

قطف الأزهار في كشف الأسرار

للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى

المتوفى سنة ٩١١ هـ

تحقيق ودراسة

د. أحمد بن محمد الحمادي

إصدار

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

دولة قطر

قطف الأزهار في كشف الأسرار

للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى

المتوفى سنة ٩١١ هـ

تحقيق ودراسة

د. أحمد بن محمد الحمادي

إصدار
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
دولة قطر

الجزء الأول

السيوطي ، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد
الخضيري (٨٤٩ – ٩١١هـ)
قطف الأزهار في كشف الأسرار/ السيوطي ، تحقيق أحمد بن محمد
الحمادي . – الدوحة : إدارة الشؤون الإسلامية – وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية ، ١٩٤٤ .
جـ ٢ (ص ٦٧٩ – ١١٧٥) ، ٢٤سم .
ايداع : ٤٢ / ١٩٩٤)
الترقيم الدولي (ردمك) ٦ – ٣ – ٠٣ – ٢٣ – ٩٩٩٢١ جـ ٢
٤ – ٠٤ – ٢٣ – ٩٩٩٢١ للمجموعة ٢ ج

الطبعـة الأولـى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد :

فإن علم التفسير من أشرف العلوم وأجلها ، وقد أورثه الله عز وجل - من هذه الأمة - من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وبرع فيه من السلف علماء أفذاذ ، فخلفوا لنا كنوزاً ثمينة ، عفا الزمن على قسم منها ، وبقيت منها بقية ، وهي ليست بالقليلة على أية حال - تستحث الهمم لإخراجها إلى النور قبل أن تأتي عليها الأيام ، وتحتاج إلى دراسة متأنية ، لتمييز الغث من السمين ، الذي يجب أن نطلع عليه ، لنقف على صورة أكثر وضوحاً لفهم النص القرآني عند السلف ، صورة تضعنا على الجادة السليمة في فهم كتاب الله تعالى .

لذا يممت وجهي شطر طبقات المفسرين - أبحث عن مفسر - وفهارس المخطوطات ودور الكتب - أبحث عن كتاب - يصلح موضوعاً لهذه الدراسة وبعد بحث ليس بالقصير ، ألقيت عصا الترحال ، عند علم من الأعلام البارزين في تاريخ أمتنا ، ألا وهو الامام جلال الدين السيوطي ، الذي برز في عدة فنون من العلم ، كان من بينها التفسير .

ووجدت كتابه « قطف الأزهار من كشف الأسرار » جمع فيه من الفوائد الشيء الكثير ، فعقدت العزم على تحقيقه ودراسته ، واخراجه إلى الوجود ، كي ينتفع به



المسلمون ، بعد أن كان في غياهب بعض المكتبات التركية ، فقد عثرت على نسختين له في تركيا ، احداهما في مكتبة كوبرلي ، والأخرى في مكتبة شهيد علي ، فمضيت مستعيناً بالله - عز وجل - في البحث الذي اقتضت طبيعته أن يكون على قسمين :

القسم الأول : الدراســـة

القسم الثاني : التحقيـــق .

أما الدراسة ، فقد قسمتها إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصر المؤلف (من النواحي السياسية ، والعلمية والاقتصادية)

الفصل الثاني : حياة المؤلف ، ومكانته العلمية ، وآثاره . ويتضمن ، هذا الفصل مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالمؤلف .

وذلك من ناحية : اسمه ، ونسبه ، ولقبه ، وكنيته .

المبحث الثاني : شيوخه - وتلاميذه - ومكانته العلمية - وآثاره - ووفاته .

الفصل الثالث : دراسة تحليلية للكتاب :

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مصادر الكتاب .

المبحث الثاني : منهج المؤلف في كتابه .

المبحث الثالث : المقارنة بين كتابه هذا ، وبين كتابه « معترك الأقران » .

المبحث الرابع : وصف نسخ الكتاب ، وإثبات صحة نسبته للمؤلف .

وأما قسم التحقيق ، فإن عملي فيه كان كالآتي :

(١) مقابلة النسخ ، واختيار أفضل النسخ أصلاً .

(٢) عزو الآيات الكريمة إلى سورها ، مع ترقيمها .



(٣) تخريج الأحاديث والآثار من كتب السنة المعتمدة ، وما لم أجده فيها ، تتبعته في مظانه من كتاب آخر للمؤلف ، وهو « الدر المنثور » .

(٤) رجع المسائل إلى مظانها في المراجع المعتمدة ، يستوي في ذلك ما عزاه المؤلف ، وما لم يعزه .

(٥) توثيق الاشعار من دواوين أصحابها ، ومن كتب اللغة .

(٦) ايضاح ما يحتاج إلى ايضاح وتعليق .

(٧) التعريف - بشكل موجز - بالاعلام الواردة في النص .

ثم أخيراً قمت بعمل الفهارس اللازمة للموضوعات والأحاديث والآثار ، والقوافي ، والاعلام .

هذا ، وما فاتني تحقيقه في موضع ، قمت بتحقيقه في موضع آخر وما لم أعثر عليه من أقوال ، أو قراءات ، تركت - في الغالب - مكانه فارغاً ، لعل الله يوفقني يوماً ما في الحصول على ما لم أحصل عليه اليوم .

وختاماً ، اتوجه بالشكر إلى كل من وقف بجانبي حيال هذا العمل القيم ، الذي أسأل الله تعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين .

اللهم آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين ، وعلى آله الطاهرين ، وصحابته الكرام الطيبين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . أما بعد :

فلقد أمر الله عز وجل بتلاوة كتابه الكريم ، والتفكير فيه ، وتدبّر آياته ، من أجل إدراك المعنى المراد ، وتذوّق الخطاب الإلهي المعجز ، فتتشربه النفس وتستنير ، وتتكشف لها أسراره ، وتتزود منه بزاد علمي وروحي وفير (كتاب أنزلناه إليك مبارك ، ليدبروا آياته ، وليذكر أولو الألباب) .

ولما كان هذا الأمر يقتضي إعمال الفكر ، والتفاعل مع القرآن ، بالعقل والقلب والوجدان ، فقد جاءت الآيات تنعى على الغافلين غفلتهم ؛ لأنها تحجبهم عن كتاب ربهم ، وحسبهم تقريعا على ذلك قوله تبارك وتعالى (أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها؟!) .

إذن . . . فأولو الألباب هم المؤهلون لتلك المهمة السامية . . يعقلون عن الله معنى خطابه ، وينتفعون بما أنزل في كتابه ، وبقدر إقبالهم على الله ، ومعايشتهم لكلامه ، سوف يجدون أنه ميسور للأفهام ، لا يعترضهم فيه لبس ولا تعقيد (ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر؟) وسوف يكتشفون من وجوه إعجازه أنه متناسق البناء ، مترابط النسيج والسياق ، يفسر بعضه بعضاً ، ويتواءم أوله مع آخره بلا تناقض ولا تعارض ، لأنه من عند الله الذي يعلم السر وأخفى (ولو كان من عند غير الله ، لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

وكثمرة طيبة من ثمرات التدبر والاعتبار ، جاء علم التفسير ، الذي عرّفه بعض العلماء بأنه (علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحِكَمِهِ) وعرّفه آخرون بأنه (علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد ، من حيث دلالته على مراد الله تعالى ، بقدر الطاقة البشرية) .

ولقد شرع النبي ﷺ هذا العلم الشريف ، بما كان يبيّنه من معاني الآيات ودلالاتها ، في حدود ما لابد للناس من معرفته . . ونبغ فيه أفذاذ من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين - وعلى رأسهم حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، الذي استجاب الله فيه دعوة النبي ﷺ بأن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل ، فكان يدعى (ترجمان القرآن) لسعة علمه وعميق فهمه لكتاب الله عز وجل ، وقد أخذ المفسرون عنه الكثير ، حتى قيل : إن تفسير « مجاهد » إنما هو في الحقيقة رواية لتفسير ابن عباس . فقد قال مجاهد نفسه : (عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه ، وأسأله عنها) ولهذا قال سفيان الثوري : (إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به) ونُقل عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا إذا حفظوا شيئاً من القرآن ، فهموه ، وعملوا به .

قال شقيق بن مسعود -رضي الله عنه- : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهم والعمل بهن . وعن عطاء عن أبي عبد الرحمن قال : حدثنا الذين كانوا يقرءوننا أنهم كانوا يستقرءون من النبي ﷺ ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً .

ومع تنامي الحركة العلمية عبر العصور اتسعت دائرة التفسير ، وكثرت مصنفاته ، وتعددت مناهج المفسرين . . فمن التفسير بالمأثور ، إلى التفسير بالرأي ، إلى الجمع بينهما فيما عرف بالرواية والدراية ، ومن المفسرين من عني بآيات الأحكام أو التفسير الفقهي ، ومنهم من ركز اهتمامه على الإعجاز البياني أو الجوانب



اللغوية والنحوية ، ومنهم من جنح إلى علم الكلام . . وفي هذا العصر ظهرت بعض التفاسير التي تهتم بالإعجاز العلمي ، وما يسمى بالتفسير الموضوعي . وعُني بعضهم بإبراز خصائص القرآن في كونه منهجاً متكاملاً للحياة ، ونظاماً شاملاً للمجتمع ، ورسالة خالدة للبشرية ، وهداية عامة للإنسان في كل زمان ومكان. .

وبالنسبة لهذا الكتاب الذي بين أيدينا ، وهو (قطف الأزهار في كشف الأسرار) فإن مؤلفه وهو الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي ، يُعتبر من أئمة التفسير بالمأثور ، وله كتاب بهذا العنوان . . وقد أربت مؤلفاته على خمسمائة مؤلَّف . . حفظ القرآن وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره ، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه ، وقد حفظ مائتي ألف حديث ، وقال : لو وجدت أكثر لحفظت . وفي الأربعين من عمره تجرد للعبادة وانقطع إلى الله تعالى حتى وافته المنية في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ وقد عاش ثلاثا وستين سنة ، وله مناقب وكرامات كثيرة .

وقد ضمّن كتابه هذا (قطف الأزهار) خلاصة ما وصل إليه من علم التفسير ، في الجوانب التي عُني بها ، وهي هنا لغوية بيانية أكثر من أي شيء آخر ، وتتناول : أسرار التقديم والتأخير والتأكيد والحذف والإيجاز والإطناب والنكت البيانية ، والأنواع البديعية ، والفروق في معاني المترادفات ، وسر الكلمات التي ختمت بها الآيات ، والتنبيه على القراءات ، ودلالة كل منها على المعنى الذي يتناسب معها ، وترتيب السور ، ومناسبات الآيات ، إلى غير ذلك من النكت والأسرار. . وقد نوّه السيوطي بتفسيره هذا قائلاً (فإذا تم هذا الكتاب ، وانضم إلى تلك الكتب -يعني كتبه الأخرى في التفسير وعلوم القرآن- استغنى بها محصِّلوها عن جميع التفاسير) . ومما عرف عن الإمام السيوطي في تآليفه كثرة الجمع والرواية . قال الدكتور الذهبي في كتابه «التفسير والمفسرون» : (والسيوطي رجل مغرم بالجمع وكثرة الرواية) وهذا ما لاحظه محقق المخطوطة الدكتور أحمد الحمادي الذي بذل جهداً مضنياً في تحقيقها ، فقال : (وإن المؤلف -يغلب عليه في كتابه هذا طابع النقل عن الآخرين ، حتى يكاد يكون كله عبارة عن مجرد نقولات ، ومن النادر جداً أن تعثر على كلام له نفسه . .) .

وأيًّا ما كان الأمر ، فإن ما ذكر آنفا لا ينقص من قيمة الكتاب شيئاً ، مادامت النقول معزوّة لأصحابها ، وحسبه أن ييسر للقارىء أمر الاطلاع عليها ويضعها بين يديه في نسق جيد ، ضمن مصنف كبير ، يشكل جزءاً من تراث هذا الإمام الجليل خاصة ، ومن التراث الإسلامي الضخم بوجه عام .

وإنه ليسر إدارة الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر ، أن تصدر هذا الكتاب لأول مرة ، في طبعته الأولى ، المحققة ، والتي نال عليها صاحبها درجة الدكتوراه في التفسير. . ومعلوم أن تراثنا الإسلامي العظيم زاخر بالنفائس التي تحتاج إلى الجهد الدؤوب والعمل المخلص الواعي من أجل إحيائها بالتحقيق والدراسة ، والطباعة الجيدة والإخراج اللائق الجميل. . لتكون سهلة التناول بأيدي القراء والباحثين . . ولتسهم في نهضة هذه الأمة. . كي تستعيد أمجادها ، وتحقق دورها الحضاري المنشود . .

واللّهَ نسأل أن يعيننا ويشد من أزرنا فيما نصبو إلى تحقيقه من خير لأمتنا وديننا ، وندعوه تبارك وتعالى أن يُثيبَ كل من ساهم في إبراز هذا الكتاب إلى الوجود تأليفاً أو نسخاً أو تحقيقاً ودراسة أو طباعة وتصحيحاً أو تمويلاً وإنفاقاً، أو غير ذلك من جهد يذكر فيشكر . . والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

إدارة الشؤون الإسلامية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولـة قطـــر



إتقان السيوطي

صفحة الغلاف من النسخة (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك وبحمدك أنزلت كتابا . عجبا عجابا . ملأته حكمة وصوابا . وأوسعته علوما وآدابا . ونوعته بلاغة وخطابا . وعجزت الفصحاء اللد فما أحاروا والديه جوابا وخفضت به فلا تمس النار وعاءه لو كان إهابا . ووعدت من تدبره ووضعه مواضعه أن تجزل له ثوابا . وبعثت به نبيا سريا أمينا عربيا . بالسيادة حريا . وبالمكارم حفيا . وعن المكا[illegible] . فهديت به ضلالا وأسعدت به شقيا وأرشدت به من كان في الضلالة غويا . [illegible]رت به حالك الظلم . وبصرت به بعد العمى وفرجت به بعد [illegible] النبي صلى الله وسلم عليه وصحبه ما ماج قيظ وأنج . وما أصبح ولج وفاح طيب وأرج . وقام داع إلى الله ببينات وحجج فإن الله سبحانه وله الحمد قد من علي بالنظر في علوم القرآن وحقائقه وتتبع أسراره ودقائقه حتى صنفت في متعلقاته كتبا شتى .. بالتفسير الملقب ترجمان القرآن وهو الوارد بالإسناد المتصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين شاهدوه وتلقوا منه الوحي والتنزيل وسمعوا منه التفسير والتأويل وقد تم ولله الحمد في خمس مجلدات وهو مستوعب لغالب آيات القرآن من غير أن أذكر فيه شيئا عن التابعين ولا من بعدهم . وهذا الذي هو [illegible] التفسير فإن الكلام في معاني القرآن ممن لم ينزل عليه ولا سمع من نزل عليه إنما هو رأي محض فإن كان موافق القواعد فهو التأويل وإن خرج عنها وأخطأ المراد فتحريف وتبديل قال صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم [illegible]وأ مقعده من النار وقال من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ . أخرجه أبو داود أي برأيه من غير استناد إلى دليل ولا برهان . وقال إن في أمتي قوما يقرؤون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله . أخرجه أبو يعلى . وقال تعالى إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا . قال ابن عباس هو أن يوضع الكلام على غير موضعه . وكفى بذا وعيدا وتهديدا فإذن الواجب الاقتصار في التفسير على ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإن في ذلك كفاية ومقنعا ومن زعم أنه يأتي [illegible] بما أتوا فإنه متهم في دينه مخدوع في عقله . نعم يبقى النظر في الترجيح إذا اختلفت الرواية عن الصحابة وذلك غير ممتنع على المتأهل لذلك . [illegible] إحداث قول زائد على ما ورد عنهم فلا ولا كرامة لأن هذا التفسير [illegible] إليه نقلا عمن ليس فيه إعراب ولا [illegible] ولا نكتة بديعية ولا استنباط [illegible] الأسانيد فأردفته بكتب في ذلك لتكون كالتتمة له ويحصل بها [illegible] من كتب التفسير [illegible] ما وضعته من ذلك كتاب الإتقان في علوم القرآن وهو كالمقدمة لمن يريد التفسير [illegible] قواعد كلية وفيه من

الصفحة الاولى من النسخة (أ)

الفوايد

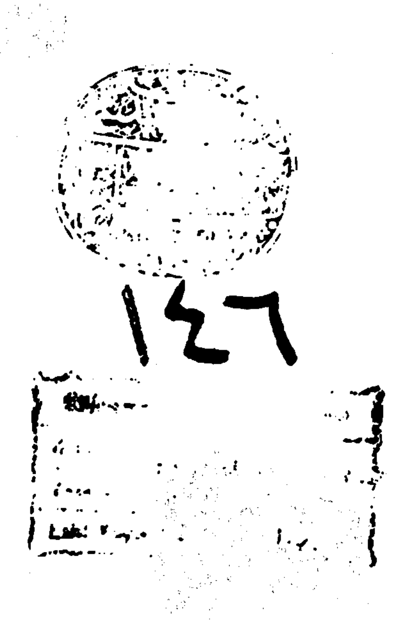
وقيل اعد الله لهم جنات تفسير له وجاء المعذرون من الاعراب لما ذكر حال المنافقين
من اهل المدينة ذكر حال المتخلفين من الاعراب وقسمهم الى ذي عذر وغيره والمعذرون
اصله المعتذرون فادغم وقرئ به للمعتذرون لمعناه وقرئ المعذرون من اعذر
وقرئ كذبوا بالتشديد ليس على الضعفا بيان للمعذرين وتفصيل للعذر المقبول
وقرئ نصحوا الله بتعدية الفعل بنفسه ما على المحسنين شامل للمذكورين وغيرهم
ولا على الذين اذا ما اتوك هو مندرج في قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
زيد معه وصف وفي اتوك التفات وجواب اذا قلت وتولوا جواب سؤال
مقدر فكانه قيل فما كان حالهم اذا اجابهم الرسول فقيل تولوا وقيل هو الجواب وقلت حال





الصفحة الاخيرة من النسخة (أ)

قطف الأزهار
في كشف الأسرار
للإمام السيوطي



غلاف النسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

سبحانك ما أجلك أنزلت كتابا عجبا عجابا ملأته حكمة وصوابا وأودعته علوما
وآدابا، ونوعته بلاغة وخطابا، وأعجزت به الفصحاء الذين لما حاروا لديه جوابا،
وحفظته وحفظت به فلا تمس النار وعاءه لو كان إهابا، ووعدت من تدبره ووضعه
مواضعه أن تجزل له ثوابا. وبعثت به نبيا سريا أميا عربيا بالسيادة حريا
وبالمكارم حفيا، وعن المكاره عريا، فهديت به ضالا، وأسعدت به شقيا، وأرشدت
به من كان في الضلالة له غويا، ونورت به حوالك الظلم، وبصرت به بعد العمى، ورحمت
به بعد الغم صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ما هاج نسيم وماج وأضاء صبح وبلج
وفاح طيب وأرج، وقام داع إلى الله ببينات وحجج. وبعد فإن الله سبحانه وله الحمد
قد من علي بالنظر في علوم القرآن وحقائقه، وتتبع أسراره ودقائقه، حتى صنفت
في متعلقاته كتبا شتى. التفسير الملقب ترجمان القرآن وهو الوارد بالإسناد المتصل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين شاهدوه وتلقوا منه الوحي والتنزيل
وسمعوا منه التفسير والتأويل، وقد تم ولله الحمد في خمس مجلدات، وهو مستوعب لغالب
آيات القرآن، من غير أن ذكرت فيه شيئا عن أحد بعينه ولا من بعدهم ولهذا المعول
هو التفسير، فإن الكلام في معاني القرآن ممن لم ينزل عليه ولا سمع من المنزل إليه
إنما هو رأي محض، فإن كان موافقا للقواعد فهو التأويل، وإن خرج عنها فأخطأ المراد
تحريف وتبديل. قال صلى الله عليه وسلم: من قال في القرآن من غير علم فليتبوأ
مقعده من النار. وقال: من تكلم برأيه فأصاب فقد أخطأ. أخرجه أبو داود وقال: في القرآن صح
برأيه من غير استناد إلى دليل والمعتبر. وقال: إن في أمتي قوما يقرؤون القرآن
ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله. أخرجه أبو يعلى. وقال تعالى:
إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا. قال ابن عباس: هو أن يوضع الكلام
على غير موضعه، وكفى بذلك وعيدا وتهديدا. فإذن الواجب الاقتصار في التفسير
على ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإن في ذلك كفاية ومقنعا، ومن
زعم أنه يأتي بأحسن مما أتوا فإنه متهم في دينه مخدوع في عقله. نعم ينبغي النظر في
الترجيح إذا اختلفت الروايات عن الصحابة، وذلك غير ممتنع على المتأهل لذلك. أما
إحداث قول زائد على ما ورد عنهم فلا ولا كرامة. وكان هذا التفسير المشار إليه
نقلا محضا ليس فيه إعراب ولا سر بياني ولا نكتة بديعية ولا استنباط حكم

الا

الصفحة الاولى من النسخة (ب)

في الذم ... قيل هو على حذف همزة الاستفهام اي اوطبع على قلوبهم فلاجل الطبع لا يفقهون

لما ذكر احتيالا المنافقين الرعب وتركا كما و ذكر حال المؤمنين في المتابعة عليه

وصف اليهم الرسول تبشرهم بالهم وفيه التفات ... جمع خيرة وهو المستحسن من كل شيء فيتناول

محاسن الدنيا والآخرة وقيل اعد الله لهم جنات تفسير له ... لما ذكر حال

المنافقين من اهل المدينة ذكر حال المتخلفين من الاعراب وقسمهم الى ذي عذر وغيره والمعذرون

اصله المعتذرون فادغم وقرئ به وقرئ المعذرون بمعناه وقرئ المعذرون من اعذر وقرئ

كذبوا بالتشديد ... بيان للعذرين وتفصيل العذر المقبول وقرئ نصحوا الله

بتعديه الفعل بنفسه ... شامل للمذكورين وغيرهم ...

للمومن درج في قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ويجمعه وصف وفي اتوك

التفات وجواب اذا قلت وتولوا جواب سؤال مقدر كانه قيل فما كان حالهم اذا اجابهم

الرسول فقيل تولوا وقيل هو الجواب وقلب على حذف العاطف ن ن

هذا آخر ما انتهى اليه شيخنا خاتمة العصر المجتهد

جلال الدين ابي الفضل عبد الرحمن السيوطي

الشافعي رحمه الله من اسرار التنزيل

المسمى قطف الازهار في كشف الاسرار و

وكان الفراغ من كتابته يوم

الاربعا رابع المحرم الحرام

عام سبعة عشر وثمانية

وكتبه محمد بن محمد بن احمد

السنهوري الشافعي

الازهري

حامدا ومصليا

ومسلما على رسول

الله صلى الله

عليه وسلم

تسليما

كثيرا

الى التفات ... وكتب بخط عقب سورة ... وهو آخر الاول من اصله ما نصه

آخر الجزء الاول من اسرار التنزيل لكاتبه فرغ منه يوم الاربعا تاسع شعبان سنة [illegible] وثمانين [illegible] وبما [illegible] احسن الله عقباها ن

انتهى ن

الصفحة الاخيرة من النسخة (ب)

قسم الدراسة

الفصل الأول

عصر المؤلف

أولاً : الحياة السياسية

ثانياً : الحياة الاقتصادية

ثالثاً : الحياة العلمية



أولاً : الحيـاة السياسـية :

لقـد عاش السيوطي -رحمه الله- في عصر دولة المماليك الجركسية الممتد من سنة ٧٨٤هـ - ٩٢٣هـ ، الذين حكموا مصر بعد زوال حكم المماليك البحرية .

والمماليك الجركسية جلبهم الناصر قلاوون المتوفى سنة ٧٤١هـ وأسكنهم في أبراج القلعة ، ولذلك أطلق عليهم أيضاً المماليك البرجية ، تمييزاً لهم عن المماليك البحرية ، الذين كانوا يقيمون في جزيرة الروضة[١] .

وأما تسميتهم بالمماليك الجراكسة ، فلأن أكثرهم من أصل جركسي[٢] .

وبلغ عدد سلاطين هذه الدولة اثنين وعشرين سلطاناً[٣] . وكان في مصر إلى جانب هؤلاء السلاطين ، خلفاء عباسيون تعقد لهم البيعة ، ويكتب لهم عهد بالخلافة ، وكل ذلك كان شيئاً صورياً ، إذ لم يكن للخلفاء أس سلطة فعلية ، غير أنهم يحضرون تولية كل سلطان جديد ، ويعقـدون له البيعـة ، وقد يتولون ترشيح القضاة ، ويحضرون المجالس التي يعقدها السلطان لبحث الشؤون الطارئة التي تقتضي اتخاذ تدابير معينة قد لا يستطيع السلطان أن يتحمل مسؤوليتها وحده[٤] .

وقد ولد السيوطي -رحمه الله- في عهد السلطان الظاهر أبي سعيد حقمق ، الذي تعـد فترة حكمـه من أهـدأ الفـترات ، وكانت مدة حكمه من سنه ٨٤٢هـ إلى سنة ٨٥٧هـ[٥] . وعـاصر مؤلفنا -رحمه الله- السلطان الأشرف قايتباي ، الذي تعد فترة حكمه أطول فترة حكم سلطان مملوكي ، فقد دام حكمه تسعاً وعشرين سنة ، وذلك

---

(١) حسن المحاضرة (٢ / ٤٣) ، وسيرة القاهرة (١١٩) ، والقاهرة تاريخها وآثارها(١٧٦) ، صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي (٣) .

(٢) الفضائل الباهرة في محاسن القاهرة (٤٨) ، وسيرة القاهرة (١٩٩) .

(٣) تاريخ الجبرتي (١ / ٦٤) .

(٤) حسـن المحاضـرة (٢ / ٩٤) .

(٥) الضوء اللامع (٣/٧١ - ٧٢) . ونظم العقيان (١٠٣) ، وحسن المحاضرة (٢ / ١٢١) .



من سنة ٨٧٢هـ إلى سنة ٩٠١هـ[١] . وقد كان السلطان قايتباي ، رجلاً متديناً مصلحاً ، فقد أسهم في عمارة كثير من المراكز العلمية والدينية في مصر وما يتبعها من الأقطار[٢] كما قام بإصلاحات عمرانية في مختلف المناطق[٣] .

وكان السلطان قانصوه الغوري ، آخر السلاطين المماليك الذين عاصرهم السيوطي ، وقد تولى السلطنة من سنة ٩٠٦هـ إلى سنة ٩٢٢هـ[٤] ، وجرت بينه وبين العثمانيين معركة تسمى بمرج دابق ، وذلك في شمالي حلب وهزم العثمانيون المماليك في هذه المعركة ، وفلج الغوري لوقته ، ووقع تحت سنابك الخيل ، فلم يوقف له على أثر .

ثم توجه القائد العثماني ، سليم الأول إلى مصر ، التي تولى حكمها بعد ذلك الأشرف طومان باي ، الذي سلّم نفسه للقائد العثماني بعد ثلاثة أيام من دخوله القاهرة ، فصلبه في باب زويلة ، وبذلك انتهت دولة الجراكسة ، وأصبحت مصر ولاية تابعة للعثمانيين[٥] .

وأبرز مظاهر دولة المماليك الجراكسة ، هو ذلك الاضطراب السياسي الداخلي ، فكان سبباً هاماً في القضاء عليها .

وليس أدل على هذا الاضطراب ، من كثرة التقلبات في السلطة العليا ، فكثير من السلاطين خلعوا من الحكم خلعاً ، وكمثال على ذلك السلطان برقوق الذي خلع من السلطنة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة وسجن بالكرك ، وأعيد حاجي بن الأشرف شعبان إلى السلطنة التي كان فيها من قبل ، فأقام فيها إلى صفر سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ثم

---

(١) الضوء اللامع (٦ / ٢٠١) ، وشذرات الذهب (٨ / ٩) ، وحسن المحاضرة (٢ / ١٢٢) .
(٢) شذرات الذهب (٨ / ٩) ، وابن إياس (٢ / ٢٩٧) .
(٣) الضوء اللامع (٦ / ٢٠٥) - ٢٠٦) ، والنور السافر (١٤) ، والبدر الطالع (٢ / ٥٦) ، وابن إياس (٢/٢٩٨ - ٣٠٣) .
(٤) شذرات الذهب (٨ / ١١٣) ، وابن إياس (٣ / ٥٨) ، والبدر الطالع (١ / ٥٥) .
(٥) شذرات الذهب (٨ / ١١٥) ، والسنا الباهر (٢١٩) .



خلع ، وعاد برقوق إلى السلطة مرة أخرى[1] .

ومما يزيد الأمر وضوحاً ، أنه في سنوات قليلة تولى السلطة خمسة سلاطين ، ففي الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة ٩٠٤هـ قتل الناصر أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباي ، وتولى السلطنة بعده خاله قانصوه ، ثم تآمر عليه المقدمون من أمراء المماليك ، فخلعوه وأسندوا السلطنة إلى جان بلاط في ثاني ذي القعدة سنة ٩٠٥هـ ، وبعد سنة ونصف وستة عشر يوماً ، ثار عليه مساعده الأيمن طومان باي ، فخلعه وتولى مكانه الحكم في الثامن والعشرين من جمادي الآخرة ، ومكث في السلطنة ثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وكانت مدة حكمه كلها شروراً وفتناً مع قصرها وقد اضطر السيوطي إلى الاختفاء طيلة أيام حكمه ، لأنه كان قد صمم على قتله إذا قبض عليه ، ولكن الله لم يمكنه من ذلك ، إذ قام عليه الأمراء فخلعوه ، وأسندوا السلطنة إلى قانصوه الغوري ، وذلك في أول يوم من أيام عيد الفطرة سنة ٩٠٦هـ[2] .

هذا ، ومما يدل على كثرة الاضطرابات في ذلك العصر ، هو أنه في بعض الفترات قد حصل وقوع أكثر من تغيير في السلطة ، ففي ربيع الأول ، سنة ٨٧٢هـ توفي السلطان الظاهر أبو سعيد خشقدم ، وتولى بعده بلباي المؤيدني ، ولم يمكث إلا يسيرا ، حتى خلعه الأمراء في السابع من جمادى الأولى[3] ، وتسلطن في اليوم نفسه الملك الظاهر تمريفا ، وفي رجب من السنة نفسها ، خلع تمريفا ، وأسندت السلطنة إلى الملك الأشرف قايتباي ، وكانت مدة تمريفا ثمانية وخمسين يوماً .

قال ابن اياس : « ولم يعلم بأحد من ملوك الترك ، أنه خلع في أقل من هذه المدة »[4] . وكان دائماً يصاحب هذه التقلبات السياسية والتغييرات المفاجئة في السلطنة ، اختلال النواحي الأمنية ، وسوء الأحوال الاقتصادية في المجتمع .

---

(١) حسن المحاضرة (٢ / ١٢٠) ، وتاريخ ابن قاضي شهبة (٣) ، ونزهة النفوس والأبدان (٢٩٤ - ٢٩٥) .

(٢) ابن إياس (٢ / ٣٩٦) ، وتحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين على هامش فتوح الشام (٢ / ٤٨) .

(٣) شذرات الذهب (٧/٣١٥) ، وحسن المحاضرة (٢/١٢٢) .

(٤) بدائع الزهور (٢/٨٩) . (٥) المرجع السابق (٢/٣٢٨) .



ثانياً : الحيـاة الاقتصاديـة :

لقـد نشـأ المؤلف في عصر ساءت فيه الأحوال الاقتصادية ففي هذا العصر انتشر القحط والغـلاء على حقب زمنية متعددة ، وبنسب متفاوتة ، ويبـدو أن أعظم غلاء حدث كان في سنة ٨٧٥هـ ، في عهد السلطان «قايتباي» ، إذ ارتفعت الأسعار في جميع أنواع المأكولات ، وصار الناس يستعملون خبز الذرة والدخن ، حتى ذهب ابن إياس إلى أنه لم يقع مثل ذلك من قبل[١] .

ويذكـر لنا المقريزي في حوادث سنة ٨٠٧هـ ، أن « البذور (وهو كل حب يبذر للنبـات ، وجمعـه بذور) ، غلت وتعـطل كثـير من الأراضـي ، لاتساع النيل بكثرة زيادتـه ، وعجز الفلاحون عن البذر ، سيما أراضـي الصعيد ، فإن أهلها بادوا موتاً بالجوع والبرد ، وباعوا أولادهم بأبخس الأثمان ، فاسترق منهم بالقاهرة خلائق ، ونقل الناس منهم إلى البلاد الشامية ما لا يعد ، فبيعوا في أقطار الأرض كما بيع السبي ، ووطىء الجواري بملك اليمين » . ثم قال : « ولقد كنت أسمع قديماً أنه يتوقع لأهل مصر غلاء ، وجلاء وفناء فأدركنا ذلك كله في سني ست ، وسبع ، وثمان مائة ، وهلك فيها ما ينيف على ثلثي أهل مصر ، ودمّر أكثر قراها »[٢] . إن ما ذكره المقريزي يشير اشارة واضحة إلى مدى ما أصاب المجتمع يومئذ من فقر ، وقلة مؤنة .

ويظهر لي أن ما أصاب المجتمع في ذلك العصر من سوء الأحوال الصحية وتردي الأوضـاع الاقتصـادية بين فترة وأخـرى ، يبدو لي أن ذلك مرتبط بالتردي في الناحية الروحية والخلقية .

هذا وقد كان التكالب على السلطة ، هو المبدأ المشترك بين سلاطين ذلك الزمان ، وبالاضافة إلى ذلك ، يبدو أن مظاهر اللهو المنافية للدين قد برزت في ذلك العصر ، على الأقل بين السلاطين والأمراء .

---

(١) المرجع السابق (٣/٤٧) .

(٢) السـلوك (الجزء الثالث - القسم الثالث ، ص ١١٣٥) .



فقد ذكر ابن إياس في حوادث شهر رجب من سنة ٨٧٥هـ ، ان السلطان «قايتباي» ذهب إلى «قناطر العشرة» وإلى «الأهرام» وأقام سبعة أيام ، أحياها المغني «ابن رحاب» ، ومعه كثير من مُغَنِّيي البلد في ذلك الوقت[1] ولكن -مع كل ما ذكرنا- فإن الاهتمام بالناحية الدينية كان لا يزال بارزاً في ذلك العصر ، يدل على ذلك كثرة المساجد المتناثرة هنا وهناك خصوصاً مساجد الصلوات الخمس التي قال عنها «القلقشندي» ، من أنها « أكثر من أن تحصى ، وأعز من أن تستقصى ، بكل خط منها مسجد من مساجد لكل منها إمام راتب ومصلون »[2] .

ثالثاً : الحيـاة العلميـة :

لقد غدت مصر في أيام المماليك ميداناً واسعاً لنشاط علمي كبير ، على الرغم من سوء الأحوال السياسية كما سبق ذكره .

وقد تجلى الاهتمام بالناحية العلمية في تلك الأيام في عدة مظاهر :

(١) كان كثير من سلاطين المماليك ذوي ثقافة عالية ، شغوفين بالدراسات الأدبية والعلمية ، فالسلطان تمريفا اليوناني كان لغوياً ومؤرخاً وعالماً دينياً[3] .

والسلطان الغوري كان ذا ذوق فني ومعرفة بالموسيقى ، وأديباً وشاعراً ، وله ديوان شعر ، شرح السيوطي بعض موشحاته ، وسمى الشرح : « النفخ الظريف على الموشح الشريف »[4] .

وكان السلطان قايتباي ينتهز فرصة اجتماع العلماء والفقهاء عنده بالقلعة ، فيثير أمامهم كثيراً من المسائل العلمية ، فمن ذلك ما حدثنا به إياس عند كلامه عن حوادث سنة ٨٩٩هـ ، قال : « فيها في المحرم ، صعد القضاة إلى القلعة للتهنئة بالعام

(١) بدائع الزهور (٣ / ٥٥) . وانظر أبناء الغمر بأنباء العصر / (٢٤١ - ٢٤٢) .
(٢) صبح الأعشى (٣/٣٦٥) . وانظر - (الخطط المقريزية) ٤/٢) . و(المجتمع المصري ١٥٩) .
(٣) سيرة القاهرة (٢٠١) ، والقاهرة تاريخها وآثارها (١٧٧) ، والعصر المملوكي (٢٣٠) .
(٤) السنا الباهر (١٩٠) .



الجديد ، وصعد الشيخ جلال الدين الأسيوطي ، فلما جلس سأله السلطان : أي سنة سنها رسول الله - ﷺ - ولم يفعلها فلم يجبه الشيخ جلال الدين بشيء عن ذلك ، مع غزارة علمه وقوة اطلاعه ، وكان السلطان عنده كتاب يسمى (حيرة العلماء) »(١) .

وكان السلطان الغوري شديد الحرص على عقد المجالس العلمية والدينية في مقر الحكم بالقلعة مرة أو مرتين أو أكثر في كل أسبوع(٢) .

وقد اتجه قسم من السلاطين بعد عزلهم نحو العلم ، فاشتغلوا به ، من ذلك مثلاً أن السيوطي قال عند ترجمته للملك يوسف بن برسباي : « ثم خلع وسجن بالاسكندرية ونظر في فنون العلم والأدب »(٣) .

وقال عند ترجمته الملك أحمد بن إينال العلائي : « ثم خلع . . . ونقل إلى الإسكندرية واشتغل بالعلم مدة إقامته بها »(٤) .

(٢) إنشاء دور التعليم في مختلف المناطق :

فلقد كثرت أعداد دور التعليم التي تدرّس العلم بفنونه المختلفة فقد ذكر أن مجموع ما شيّده حكام مصر للتعليم بلغ خمسة وخمسين ومائة(٥) .

هذا ، وقد توفي ابن دقماق سنة ٨٨٠هـ ، والمقريزي سنة ٨٤٥هـ ، وقد أنشىء من بعدهما عدد آخر من دور التعليم(٦) .

ومن هنا قال القلقشندي : « إن أكابر الأمراء وغيرهم - في ذلك العصر - قد ابتنوا من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها »(٧) .

ومن بين دور التعليم التي كانت موجودة يومئذ :

أ - جامع عمرو بن العاص(٨) .

---

(١) ابن اياس (٢/ ٢٨٠) . (٢) العصر المماليكي (٣٣٠) . (٣) نظم العقيان (١٧٩) .
(٤) نظم العقيان (٤٠) . (٥) المجتمع المصري لعاشور (١٤٢ - ١٤٣) .
(٦) عصر سلاطين المالك - المجلد ٣ ، القسم الأول من الجزء ٢ (٣٢) .
(٧) صبح الأعشى (٣ / ٣٦٤) . (٨) حسن المحاضرة (٢/ ٢٣٩ - ٢٤٥) .



ب - جامع ابن طولون[1] .

جـ - والجامع الأزهر - الذي ذكر المقريزي عنه أنه إلى سنة ٨١٨هـ كان به عدد كبير من الفقراء المنقطعين لطلب العلم ، يبلغ عددهم خمسين وسبعمائة رجل .

وذكر أيضاً أن هذا الجامع كان عامراً بتلاوة القرآن الكريم والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر .

وقال أيضاً : « فيجد الإنسان - إذا دخل هذا الجامع - من الأنس بالله والارتياح ، وترويح النفس ما لا يجده في غيره » .

ثم أضاف قائلاً : « وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس إعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى »[2] .

د - المدرسة القمحية : وإنما سميت بهذا الاسم نسبة إلى القمح الذي كان يرسل إلى فقهائها من أرضها الموقوفة عليها[3] .

هـ - مدرسة ابن شاس (مدرسة العادل)[4] .

و - المدرسة الصالحية[5] . ز - المدرسة الظاهرية[6] . ح - المدرسة الناصرية[7] .

وقد عني السلاطين والأمراء ومنشئو المدارس باختيار العلماء الذين يقومون بمهمة التدريس ، فاختاروهم من بين ذوي المكانة العلمية والفضل . . . وكان الطلاب -في العادة- لا يكتفون بحفظ القرآن الكريم وبعضٍ من كتب الحديث فقط ، إنما كانوا أيضاً يهتمون بحفظ عدد من الكتب المشهورة عن ظهر قلب وخير دليل على ذلك ما تجده في كتب التراجم في ذلك العصر ، من أن فلاناً من العلماء حفظ كذا وكذا ، وآخر حفظ كذا وكذا مما هو سوى القرآن والحديث[8] .

---

(١) الانتصار لابن دقماق (٤ / ١٢٢) . (٢) الخطط المقريزية (٤ / ٥٤) . (٣) الانتصار (٤ / ٩٥) .
(٤) الخطط المقريزية (٤ / ١٩٥) ، والانتصار (٤ / ٩٨) . (٥) حسن المحاضرة (٢ / ٢٦٣) .
(٦) الخطط المقريزية (٤ / ٢١٦) ، وحسن المحاضرة ، (٢ / ٢٦٤) ، وصبح الأعشى (٣ / ٣٦٤) .
(٧) الخطط المقريزية (٤/١٩٣ ، ٢٢١ ، ٢٥١) ، حسن المحاضرة (٢/٢٦٥) .
(٨) حسن المحاضرة (١ / ٣٦٠) ، وعصر سلاطين المماليك - المجلد ٣ - القسم ١ ج ٢/ ٧٠ - ٧٧ .



(٣) وقف الأوقاف على دور التعليم وعلى أهل العلم :

في الحقيقة أن مما ساعد على نشاط الحركة العلمية إبان ذلك العصر ، هو رصد الأوقاف المختلفة للإنفاق منها على دور التعليم المختلفة ، وعلى روادها[١] .

ومن ذلك ما حكاه المقريزي عن الأمير جمال الدين الأستادار - الذي افتتح مدرسة في سنة ٨١١هـ ، وقرّر بها عدداً من المدرسين - قال : « وقرر عند كل مدرس ثلاث مائة درهم في كل شهر ، ورتب بها إماماً ، وقومه ، وجعل فائض وقفها مصروفاً لذريته »[٢] .

(٤) إنشاء دور الكتب :

لقد كانت المكتبات منتشرة في ذلك العصر ، وكانت في العادة ملحقة بالمساجد والمدارس ، وكان لكل خزانة كتب خازن ، مهمته ترتيب الكتب وحفظها ، فضلاً عن إرشاد القراء إلى ما يلزمهم ، وكان يختار لخزانة الكتب عادة رجل أو فقيه ، فمثلاً كان ابن حجر العسقلاني خازناً للمكتبة المحمودية إلى أن توفي سنة ٨٥٢هـ وكان العلامة شمس الدين محمد بن سعد السيرامي أحد شيوخ السيوطي خازناً لكتب الشيخونية . وكان بعض السلاطين مولعاً باقتناء الكتب النفسية . . . وكذلك كان كثير من الأمراء والعلماء[٣] .

ذكر ابن اياس في « البدائع » :

« وفيه - يعني في ربيع الأول سنة ٨٨٨هـ - توفي القاضي نجم الدين يحيى بن حجيّ ، وهو يحيى بن محمد بن أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد الحسباني الدمشقي ، ثم القاهري الشافعي . وكان عالماً فاضلاً رئيساً حشماً ، وعدّ من العلماء . . . ولي نظارة الجيش بمصر ، وكان من أعيان الرؤساء بمصر والشام فلما مات وجد عنده زيادة على ثلاثة آلاف مجلد من الكتب النفيسة »[٤] .

---

(١) حجة الأشرف برسباي (٣٩ - ٤٤) . (٢) الخطط المقريزية (٤/٢٥٢ - ٢٥٣) .

(٣) عصر سلاطين المماليك - المجلد ٣ - القسم الأول - ج ٢/٦٧ .

وانظر ما ذكره المقريزي عن مدرسة الآمر جمال الدين الأستادار (٤/٢٥٤) .

(٤) بدائع الزهور (٣/٢٠٠ - ٢٠١) .



(٥) كثرة المؤلفات في مختلف الفنون :

يلاحظ الدارس لهذا العصر كثرة المؤلفات من كتب ورسائل التي كتبها العلماء في مختلف الفنون العلمية .

ومما يدل على ذلك ، أنك تقرأ في تراجم بعض العلماء في ذلك العصر أنه وحده ألف مئات الكتب ، فمثلاً : « ابن حجر العسقلاني » المتوفى سنة ٨٥٢هـ زادت مصنفاته على مائة وخمسين مصنفاً .

ويعتبر فن التاريخ من أكثر فنون العلم التي رزقت الرعاية في هذا العصر ، فقد ألفت فيه مؤلفات كثيرة على مختلف الأنواع ، فمنها تراجم للأعلام ، كالدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ، والضوء اللامع للسخاوي ، وطبقات الشافعية للسبكي ، وطبقات الشافعية للأسنوي .

ومن تلك المؤلفات ما كان في تاريخ المدن والأمصار الأخرى . وبعضها كان في التاريخ العام ، وهناك من كتب في السير ، وبعضهم كتب في الخطط والآثار إلى غير ذلك .

هذا ، بالإضافة إلى ما كتبوه في الفقه والتفسير ، والحديث ومصطلحه ، والتصوف والعقائد ، والقراءات ، والعربية بضروبها المختلفة ، وكذا العلوم الكونية[١] .

والحاصل أن ذلك العصر كان من العصور الزاهية من الناحية العلمية ويعزو السيوطي السبب في ذلك إلى إحياء الخلافة العباسية في القاهرة بعد أن سقطت في بغداد ، فهو يذكر أن « مصر من حيث صارت دار الخلافة ، عظم أمرها ، وكثرت شعائر الإسلام فيها ، وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة وصارت محل سكنى العلماء ، ومحط رحال الفضلاء »[٢] .

---

(١) راجع عصر سلاطين المماليك - المجلد ٣ - القسم ١ - ج ٢ / ٩٠ وما بعدها .

(٢) حسن المحاضرة (٢ / ٩٤) .



المبحث الأول

- **اسمه ونسبه :**

عبد الرحمن بن الكمال ، أبي بكر بن محمد ، بن سابق الدين ، بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد ، بن سيف الدين خضر ، بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب ، بن ناصر الدين محمد ، بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي(١) .

والأسيوطي نسبة إلى مدينة أسيوط ، الواقعة غرب النيل من نواحي صعيد مصر ، وهي أكبر مدن الصعيد .

ولم يذكر لنا السيوطي في ترجمته التي فيها نفسه ، لم يذكر كنيته وقد ذكر نجم الدين الغزي أن السيوطي عرض محافيظه على شيخه قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكتاني الحنبلي ، فسأله : ما كنيتك ؟ ، فقال : لا كنية لي : فقال : أبو الفضل وكتبه بخطه(٢) .

وأما لقبه ، وهو جلال الدين ، فلم أعثر على من لقبه بذلك والظاهر أن والده ، هو الذي لقبه بذلك .

هذا والخضيري نسبة إلى الخضيرية ، وهي محطة ببغداد ويقول السيوطي عن جده الأعلى : «وقد حدثني من أثق به أنه سمع والدي -رحمه الله تعالى- يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً ، أو من المشرق »(٣) .

وأما أمه ، فقد ذكر الذين ترجموا له ، أنها كانت أم ولد تركية(٤) .

---

(١) حسن المحاضرة (١ / ٣٣٥) .

(٢) الكواكب السائرة (١ / ٢٢٦) .

(٣) حسن المحاضرة (١ / ٣٣٥ - ٣٣٦) .

(٤) النور السافر (٥٤) ، والضوء اللامع (٤ / ٩٥) .



- **ولادتـــــه :**

ولد سنة ٨٤٩هـ . وقد اكتنفت ولادته حادثة طريفة ، وذلك أن والده كان من أهل العلم ، واحتاج إلى كتاب ، فأمر زوجته أن تأتيه بالكتاب من مكتبته ، فذهبت لتأتي به ، فجاءها المخاض بين الكتب فوضعته ، فأطلق عليه أهله «ابن الكتب»[(١)] .

وحمل في حياة والده إلى الشيخ محمد المجذوب ، فبرك عليه ومات والده وهو صغير ، فنشأ يتيماً .

- **طلبـــه العـــلم :**

كان والد مؤلفنا شديد الحرص على أن يتجه ابنه نحو العلم وحلقاته ، لذا نراه يحضره - وهو لم يبلغ الثالثة من عمره - أكبر مجلس علم في زمانه وذلك هو مجلس الحافظ ابن حجر[(٢)] .

حفظ القرآن الكريم وله دون ثمان سنين ، ثم حفظ كتاب عمدةالأحكام في الفقه لابن قدامة ، وشرحه لابن دقيق العيد ومنهاج النووي ، وألفية ابن مالك في النحو ، ومنهاج البيضاوي في الأصول .

ثم عرض ما حفظه على مشايخ الإسلام ، العلم البلقيني ، والشرف المناوي ، والعز الحنبلي وشيخ الشيوخ الأقصرائي وغيرهم ، وحصلت له إجازة بذلك منهم[(٣)] .

وشرع في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين وثمانمائة ، أي وسنه لم تبلغ الخامسة عشرة . فأخذ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ ، وأخذ الفرائض على المجموع .

ولازم الشيخ علم الـدين البلقيني ، فقرأ عليه أول التدريب لوالده إلى الوكالة ، وسمع عليه من أول الحاوي الصغير إلى العدد ومن أول المنهاج والزكاة ، ومن أول التنبيه

---

(١) النـور السـافر (٥٤) .

(٢) الكواكب السائرة (٢/٢٢٦) ، وشذرات الذهب (٨/٥٢) .

(٣) حسـن المحاضرة (١/٣٣٦) ، والضوء اللامع (٤/٦٩) .



إلى قريب من باب الزكاة ، وقطعة من الروضة من باب القضاء ، وقطعة من تكملة شرح المنهاج للزركشي ، ومن إحياء الموات إلى الوصايا أو نحوها .

ولازم الشيخ شرف الدين المناوي ، فقرأ عليه قطعة من المنهاج ، وسمع عليه في التقسيم إلا مجالس فاتته ، وسمع دروساً من شرح البهجة ومن حاشيته عليها ، ومن تفسير البيضاوي .

وواظب في الجلوس إلى الشيخ تقي الدين الشمني الحنفي أربع سنين لتلقي الحديث والعربية .

وجلس إلى الشيخ محيي الدين الكافيجي أربع عشرة سنة ، وأخذ عنه الفنون من التفسير ، والأصول ، والعربية ، والمعاني وغير ذلك .

وحضر عند الشيخ سيف الدين الحنفي دروساً عديدة في الكشاف والتوضيح ، وحاشيته ، وتلخيص المفتاح ، والعضد .

هذا ، ومع حرصه على ملازمة الشيوخ ، إلا أنه كان حريصاً أكثر على المتابعة الشخصية ، فقد اهتم بالبحث والتحقيق اهتماماً بالغاً ، وكذلك نراه يقول :
« ولم أكثر من سماع الرواية ، لانشغالي بما هو أهم ، وهي قراءة الدراية » .

وقد رزق التبحر في سبعة علوم ، وهي :
التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع .

ويقول هو عن نفسه :
« والذي أعتقده ، أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه ، والنقول التي اطلعت عليها فيها ، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي ، فضلاً عمن دونهم . وأما الفقه ، فلا أقول فيه ذلك ، بل شيخي « علم الدين البلقيني » فيه أوسع نظراً ، وأطول باعا .

ودون هذه السبعة في المعرفة ، أصول الفقه ، والجدل ، والتصريف ودونها الإنشاء ،



والترسل ، والفرائض ، ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ ، ودونها الطب .

وأما علم الحساب ، فهو أعسر عليّ ، وأبعده عن ذهني ، وإذا نظرت في مسألة تتعلق به ، فكأنما أحاول جبلاً أحمله » .

إلى أن قال :

« وقد كنت في مبادئ الطلب ، قرأت شيئاً في علم المنطق ، ثم ألقى الله كراهته في قلبي ، وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه ، فتركته لذلك فعوضني الله تعالى عنه علم الحديث ، الذي هو أشرف العلوم »[1] .

هذا ، وقد رحل مؤلفنا في طلب العلم إلى عدة مناطق في مصر ، مثل الفيوم ، والمحلة ، ودمياط ، ورشيد ، والاسكندرية ، وتجاوز ذلك أيضاً إلى الشام واليمن والهند وبلاد المغرب ، وبلاد التكرور هذا بالاضافة إلى سفره إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة ٨٦٩هـ فالتقى في رحلاته هذه بأهل العلم ، ونهل مما عندهم من فنون المعرفة . ومؤلفنا لم يقتصر في طلبه العلم على دراسة مذهبه الشافعي ، والأخذ عن شيوخه وإنما تجاوز ذلك ، فأخذ العلم أيضاً عن شيوخ المذاهب الإسلامية الأخرى مثل شيخ الإسلام عز الدين الحنبلي ، وقاضي القضاة أمين الدين القصرائي الحنفي[2] .

الوظائف التي تولاها :

كانت مكانة السيوطي العلمية تؤهله لتولي أكبر المناصب في عصره ، ولكن لم يتفق له أن تولى شيئاً غير التدريس والإفتاء في الأماكن التالية :

١ - تصدى للإفتاء وإملاء الحديث بجامع ابن طولون سنة ٨٧٢هـ .

٢ - أسند إليه تدريس الحديث ، ووظيفة الإسماع بالخانقاة الشيخونية سنة ٨٧٧هـ ، بمساعدة الأمير إينال الأشقر .

٣ - تولى مشيخة التصوف بتربة برقوق نائب الشام ، التي كانت بباب القرافة الحالية .

٤ - عينه الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز العباسي على مشيخة الخانقاه البيبرسية سنة ٨٩١هـ ، وهي أكبر خوانق القاهرة ، وأوسعها أوقافاً في عصره .

---

(١) حسن المحاضرة (١/٣٣٣ - ٣٣٩) .

(٢) المرجع السابق (١/٤٨٤) .



وقد حصلت بعض الحوادث الطريفة في حياة السيوطي الوظيفية منها ما ذكره ابن إياس أن الخليفة المتوكل على الله العباسي عهد إليه أمر القضاء بالديار المصرية .

فلما بلغ القضاة ذلك ، شق عليهم ، واستخفوا عقل الخليفة في ذلك ، فلما قامت الدائرة والألسنة على الخليفة ، رجع عن ذلك[1] .

ومن الحوادث الوظيفية في حياة السيوطي أيضاً :
حادثة ثورة صوفية الخانقاه البيبرسية ، ففي سنة ٩٠٣هـ ثار عليه صوفية الخانقاه البيبرسية ، وذلك لأنه قطع عنهم جعيلتهم ، لسوء أخلاقهم ، فقاموا عليه ، فحملوه بأثوابه ، ورموه في فسقية الخانقاه ، وكادوا يقتلونه .

وكانت النتيجة أن جاء الحكم بعزله ، إلا أنه بالرغم من ذلك بقي شيخاً لهذه الخانقاه إلى سنة ٩٠٦هـ[2] ، فلما تولى السلطان طومان باي الملك - وكان خصماً عنيداً للسيوطي - اختفى طيلة أيام حكمه ، فاعتبروه معزولاً بسبب هذا الاختفاء ، وعين في هذه المشيخة شيخاً آخر ، هو الشيخ ياسين البلبيسي[3] .

ولما ظهر السيوطي بعد زوال «طومان باي» ، عرض عليه السلطان الغوري إعادته إلى هذه المشيخة ، فأبى ، فعرض عليه أن يكون شيخ مدرسته التي أنشأها ، فلم يقبل ، فسأله أن يرتب له مرتبا معينا فلم يقبل ، وكان -رحمه الله- إذا احتاج شيئاً باع من كتبه ، واعتاش بثمنه[4] .

وقد اعتزل الناس بعد ظهوره ، واستقر في بيته بجزيرة المقياس وكان الأمراء والأعيان يزورونه ، ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردها ، وأرسل له السلطان الغوري خصيا وألف دينار ، فرد الألف ، وأخذ الخصي فأعتقه ، وقال لقاصد السلطان : « لا تعد تأتينا بهدية ، فإن الله أغنانا عن مثل ذلك »[5] .

---

(١) ابن إياس (٢/٣٧٦) .
(٢) الطبقات الصغرى (٣٥) .
(٣) عصر سلاطين المماليك (٣/٣٥٩) .
(٤) السنا الباهر (٨٩) .
(٥) الطبقات الصغرى (٣٢) .



المبحث الثاني

شـــيوخه

السيوطي -رحمه الله- يمتاز بكثرة الشيوخ الذين تلقى على أيديهم العلوم فقد ذكر محمـد باقـر الخونساري في «روضات الجنات» : أن قراءته وأخذه وروايته في مراتب المعقـول والمنقول ، قد انتهت إلى جماعة كثيرة ، لم يعهد بمثلها لأحد من الفحول ، بحيث ذكر بعضهم أنه أخذ عن غالب علماء عصره ، وبلغ مجموع شيوخه نحو ثلاثمائة شيخ[1] .

وذكر تلميذه الداودي في ترجمته أسماء شيوخه إجازة وقراءة وسماعا مرتبين على حروف المعجم ، فبلغت عدتهم واحداً وخمسين شيخاً[2] .

والـظاهـر أن هذا العدد الذي ذكره الداودي يتعلق بخاصة شيوخ السيوطي لأن السيوطي نفسـه ، ذكـر لنـا في ترجمته الذاتية فقال : أما شيوخي في الرواية والسماع والإجازة فكثيرون أوردتهم في المعجم الذي جمعتهم فيه ، وعدتهم نحو مائة وخمسين شيخاً[3] .

وذكر عنه تلميذه الشعراني في الطبقات الصغرى أنه كان يقول : أخذت العلم عن ستمائة نفس ، وقد نظمتهم في أرجوزة[4] وهم أربع طبقات .

الأولى : من يروي عن أصحاب الفخر بن النجار والشرف الدمياطي - ووزيره والحجار وسليمان بن حمزة وابن أبي نصر الشيرازي ونحوهم .

---

(١) روضات الجنات (٤١٥) .

(٢) الكواكب السائرة (١/ ٢٢٨) .

(٣) حسن المحاضرة (١/ ٣٣٩) .

(٤) الطبقات الصغرى (٢٠) .



الثانية : من يروي عن السراج البلقيني والحافظ أبي الفضل العراقي ، ونحوهم وهم دون التي قبلها في العلو .

الثالثة : من يروي عن الشرف بن الكويك ، والجمال الجبلي ونحوهم وهم دون الثانية .

الرابعة :من يروي عن أبي زرعة العراقي وابن الجوزي ونحوهما ، وهذه لتكثير العدة وتكبير الحجم(١) .

وقد حرص السيوطي على أن يسجل أسماء كافة شيوخه الذين أخذ عنهم العلم فوضع فيهم خمسة مصنفات هي :

١ - (حاطب ليل وجارف سيل) :

وهو معجم شيوخه الكبير أشار إليه عند ذكر مؤلفاته في كتابه : حسن المحاضرة في فن التاريخ والأدب(٢) .

٢ - (زاد المسير في الفهرست الصغير) :

ورد ذكره ضمن مؤلفاته وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية .

٣ - (فهرست المرويات) :

ويسمى (أنشاب الكتب في الكتب) :

ورد ذكره في فهرست مؤلفاته وأشار إليه صاحب كشف الظنون ، ولم أقف عليه .

٤ - (المنتقى) :

وهو المعجم الصغير ورد ذكره في مؤلفاته في كتابه : حسن المحاضرة في فن التاريخ والأدب ، ولم أقف عليه أيضاً .

٥ - (المنجم في المعجم) :

ورد ذكره في فهرست مؤلفاته في فن التاريخ ، وهو مخطوط في الأزهر .

وإليك بعض الشيوخ الذين تتلمذ لهم السيوطي :

---

(١) الطبقات الصغرى (٢٠) .

(٢) حسن المحاضرة (١/ ٣٤٤) ، وكشف الظنون (٢/ ٩٤٨) .

١ - الحافظ ابن حجر العسقلاني :

وهو أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، شهاب الدين بن حجر ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، كان صبيح الوجه فصيح اللسان ، راوية للشعر ، عارفاً بأيام المتقدمين ، وأخبار المتأخرين ، رحل من أجل سماع الحديث إلى اليمن والحجاز وغيرهما ، وأصبح حافظ الإسلام في عصره ، وله تصانيف كثيرة ، منها : « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » ، و« لسان الميزان » ، و« الأحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام » ، و« تهذيب التهذيب » ، و« فتح الباري في شرح صحيح البخاري » . توفي سنة ٨٥٢هـ[١] .

وبالرغم من أن السيوطي لم يحضر مجلس ابن حجر هذا إلا في طفولته مصاحباً لأبيه ، وكان سنه يومئذ ثلاث سنين وخمسة أشهر ، إلا أنه تأثر به تأثراً شديداً ، وتتلمذ على تراثه وسيرته ، وقد كان أمله -منذ الصغر- أن يصل إلى الدرجة التي وصل إليها هذا الشيخ .

ولما حجّ وجاور بمكة سنة ٨٦٩هـ - ولم يكن قد بلغ العشرين من العمر بعد ، شرب من ماء زمزم لأمور منها :

أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر[٢] .

والسيوطي يتحدث عن ابن حجر أحياناً بعبارة شيخنا ، وقد روى عنه معتمداً على الإجازة العامة ، وقد قال عن نفسه : « ولنا منه إجازة عامة ، ولا أستبعد أن يكون لي منه إجازة خاصة ؛ فإن والدي كان يتردد إليه وينوب في الحكم عنه ، وإن يكن فاتني حضور مجالسه ، والفوز بسماع كلامه ، والأخذ عنه ، فقد انتفعت في الفن بكتبه ، واستفدت منها الكثير »[٣] .

---

(١) طبقات الحفاظ للسيوطي (٥٤٧ - ٥٤٨) ، ودائرة المعارف الإسلامية (١/١٣١ - ١٣٢) ، والأعلام (١/١٧٣ - ١٧٤) .

(٢) حسن المحاضرة (١/١٣٨) .

(٣) ذيل طبقات الحفاظ للذهبي (٣٨١) .



٢ - شمس الدين محمد بن موسى بن محمود السيرامي الحنفي :

وقد كان إماماً بالخانقاه الشيخونية ، توفي سنة ٨٧١هـ ، وهو أول شيوخ السيوطي في العربية فقد قرأ عليه ألفية بن مالك ، وقطعة من التسهيل ، وسمع عليه الكثير من شرح ابن المصنف ، والتوضيح لابن هشام ، وشرح شذور الذهب ، كما قرأ عليه صحيح مسلم إلا قليلاً ، والشفاء للقاضي عياض ، وقرأ عليه المغني في أصول الفقه الحنفي ، وشرح العقائد للتفتازاني(١) .

٣ - علم الدين البلقيني :

وهو صالح بن عمر بن رسلان البلقيني الشافعي . أخذ الفقه عن والده وأخيه ، والنحو عن الطنوفي ، والأصول عن ابن جماعة ، وحضر إملاء أبي الفضل العراقي ، وتولى مشيخة التفسير بالبرقوقية ، والحديث بمدرسة قايتباي ، وتولى القضاء الأكبر وتكرر عزله وإعادته ، وتفرد بالفقه ، من مصنفاته : « ديوان خطب » ، و« الغيث الجاري على صحيح البخاري » . توفي سنة ٨٦٨هـ .

وقد قرأ مؤلفنا عليه الفقه ، وأجازه بالتدريس(٢) .

٤ - شرف الدين المناوي :

وهو يحيى بن سعد الدين ، محمد بن محمد المناوي ، ولد بالقاهرة وهو جد الشيخ عبدالرؤوف المناوي شارح «الجامع الصغير» ، لازم الشيخ ولي الدين العراقي ، وتخرّج عنه في الفقه والأصول ، وسمع الحديث عليه ، وعلى الشرف ابن الكويك ، وتصدّى للإقراء والإفتاء ، كان معاصراً للبلقيني ، فكانا يتعاقبان قضاء الشافعية يعزل أحدهما فيولى الآخر ، قال عنه السيوطي : « وهو آخر علماء الشافعية ومحققيهم » ، وقد انقسم الناس في أمره بين مادح وقادح .

من تصانيفه « شرح مختصر المزني » ، توفي سنة ٨٧١هـ(٣) .

---

(١) حسن المحاضرة (١/٣٣٧) ، والكواكب السائرة (١/٢٢٧) .

(٢) حوادث الدهور (٣/٥٧٣) ، وشذرات الذهب (٧/٣٠٦) ، وحسن المحاضرة (١/٤٤٤) ، والضوء اللامع (٣/٣١٢ - ٣١٤) .

(٣) انظر حسن المحاضرة (١/٤٤٥) ، وشذرات الذهب (٧/٢٧٨ - ٢٧٩ ، ٣١٢) ، وابن إياس (١/٣٥) .

٥ - تقـي الديـن الشـمني :

هو أبو العباس ، تقي الدين ، أحمد بن محمد الشمني ، القسطنطيني الأصل ، ولد بالإسكندرية ، وتعلم ومات في القاهرة ، وكان محدثاً ، مفسراً ، نحوياً . من مصنفاته : « شرح المغني » لابن هشام و « مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا » وكلاهما مطبوعان . وقد توفي سنة ٨٧٢هـ[١] .

ويعتبر الشمني من أبرز الشيوخ الذين أخذ عنهم السيوطي النحو والحديث والتفسير وواظب على حضور مجلسه مدة أربع سنوات ، وكتب له تقريظا على شرح ألفية بن مالك ، وخرّج له السيوطي الحديث المسلسل بالنحاة ، وفرح به وعجب منه ، وقد درس عليه السيوطي دراسة دراية وتحقيق غالب المطول وتوضيح ابن هشام ، والمغني وحاشيته عليه واليسير من تفسير البيضاوي وحاشيته على الشفا[٢] .

٦ - محيي الديـن الكافيجـي :

هو محيي الـدين ، أبـو عبـدالله ، محمـد بن سليمان الرومي الحنفي ، عرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو ، وولي وظائف منها مشيخة الخانقاه الشيخونية ، وانتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر ، له مصنفات أكثرها رسائل ، منها :

« مختصر في علم التاريخ » ، و « قرار الوجد في شرح الحمد » ، و « التيسير في قواعد التفسير » . توفي سنة ٨٧٩هـ[٣] .

وقد لازم السيوطي الشيخ الكافيجي مدة أربع عشرة سنة ، وأخذ عنه فنون التفسير والأصول والنحو وسائر علوم العربية .

والظاهر أن صلة الكافيجي بأسرة السيوطي قديمة ، بدأت منذ أيامه الأولى في

---

(١) حوادث الدهور (٣/٦٦٨) ، وشذرات الذهب (٧/٣١٣) ، والبدر الطالع (١/١١٩) ، والضوء اللامع (٢/١٧٤) ، والأعلام (١/٢١٩) .

(٢) حسن المحاضرة (١/٤٧٤) ، وبغيه الوعاة (١/٣٧٥) .

(٣) بغية الوعاة (٤٨) ، وابن إياس (٢/١٥٢) ، وشذرات الذهب (٧/٣٢٦) ، وحسن المحاضرة (١/٣١٧) ، والفوائد البهية (١٦٩) .



القاهرة فقد كان على صلة وثيقة بوالد السيوطي ، ومما قوى هذه الصلة أنهما كانا يمارسان التدريس في مدرسة الشيخونية معاً ، ولما توفي والد السيوطي ، وحلّ ابنه مكـانـه في الشيخونية ، أولاه الكافيجي رعايته ، ولذا قال عنه السيوطي في بغية الوعاة : « وما كنت أعد الشيخ إلا والداً لي بعد والدي ، لكثرة ما له عليّ من الشفقة والإفادة »[1] .

وقال عنه أيضاً : « لزمته أربع عشرة سنة ، ما جئته من مرة ، إلا وسمعت منه من التحقيقات والعجائب ، ما لم أسمعه من قبل ذلك ، قال لي يوماً :
أعرب « زيد قائم » ، فقلت له : قد صرنا في مقام الصغار ، ونسأل عن هذا ؟

فقال لي في « زيد قائم » مائة وثلاثة عشر بحثاً . فقلت له : لا أقوم من هذا المجلس حتى أستفيدها ، فأخرج لي تذكرته فكتبتها .

---

(١) بغيـة الوعـاة (٥٣) .

تلاميـــذه

لقد كان السيوطي -رحمه الله- منهلاً علمياً فياضاً ، ولذلك لم يكن غريباً أن يتحلق الطلاب حوله في مصر ، ويرحلوا إليه من شتى الأمصار ، ليستقوا من مائه العذب .

ولما كان تلاميذه كثيرين ، فإني سأقتصر على ذكر مشاهيرهم ، وهم :

١ - شمـس الديـن الداودي :

هو العلامة المحدث الحافظ ، شمس الدين محمد بن علي الداودي المصري الشافعي وقيل : كان مالكياً ، كان شيخ أهل الحديث في عصره ، أقام بالقاهرة ، وكان من أشهر تلاميذ السيوطي ، وأكثرهم اتصالاً به ، وقد قام بنسخ كثير من مؤلفات شيخه بقلمه ، كما أنه كتب ترجمة مفردة له ، ذكر الغزي وابن العماد أنها في مجلد ضخم ، وكـان رحمـه الله ينتهج منهجاً مشابهاً لشيخه ، فهو يذكر مصادره من الكتب التي اعتمد عليها ، وأسماء مؤلفيها[(١)] . وله عدة مؤلفات ، من بينها :

١ - طبقات المفسرين : وهو كتاب من جزأين ، مطبوع محقق .

٢ - ذيل على طبقات الشافعية / للسبكي .

٣ - ذيل على لب اللباب لشيخه .

توفي بالقاهرة ٩٤٥هـ ، وقيل سنة ٩٤٦هـ[(٢)] .

٢ - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العلقمي :

أخـذ عن جماعـة من العلماء ، منهم مؤلفنا -رحمهم الله- ، وقد أجازه بالتدريس والإفتـاء ، فكـانت له حلقة تدريس بالجامع الأزهر ، وقد عدّه الكتاني في فهرس الفهارس من حفاظ الحديث المتأخرين . ألفّ عدة مؤلفات ، من بينها : شرح على

---

(١) الكواكب السائرة (١/ ٧١) ، وشذرات الذهب (٨/ ٢٥١ ، ٢٦٤) .

(٢) شذرات الذهب (٨/ ٢٦٤) ، وهدية العارفين (٢/ ٣٧) .



الجامع الصغير لشيخه ، سماه : « الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير» ، وله حاشية على تفسير الجلالين أيضاً سماها : « قبس النيرين على الجلالين » ، وله أيضاً « ملتقى البحرين في الجمع بين كلام الشيخين » . توفي سنة ٩٦١هـ[١] .

٣ - ابن طولـــون :

وهو شمس الدين محمد بن علي بن طولون ، أخذ عن السيوطي إجازة مكاتبة وكتب بخطه كثيراً من مؤلفات شيخه ، ووضع حواشي وتعليقات كثيرة على كتبه ، منها : حاشية على الاقتراح ، وشرح ممزوج على ألفيته في النحو ، وشرح على ألفيته المسماة : « عقود الجمان في علم المعاني والبديع والبيان » . . . ، وله تصانيف كثيرة منها « مفاكهة الخلان في حوادث الزمان » . توفي سنة ٩٥٣هـ[٢] .

٤ - شمس الدين محمد بن يوسف الشامي الصالحي :

ولد في الصالحة بدمشق ، ثم انتقل إلى مصر ، وسكن البرقوقية بصحراء القاهرة ، واتصل بالسيوطي ، وأخذ عنه . كان عالماً صالحاً ، بارعاً في عديد من العلوم ، من مؤلفاته : « سبل الرشاد في سيرة خير العباد » في سبعة مجلدات ، و« النكت على ألفية ابن مالك » اقتضبه من نكت شيخه السيوطي ، و« مرشد السالك إلى ألفية ابن مالك » . توفي سنة ٩٤٢هـ[٣] .

٥ - عبد القادر بن محمد الشاذلي المؤذن المصري الشافعي :

لازم السيوطي مدة طويلة ، وكتب له ترجمة سماها : « بهجة العابدين في ترجمة الحافظ جلال الدين » ، وهي الآن مفقودة ، وقد لخصها الشعراني ، وساقها في ترجمة السيوطي في ذيل طبقاته المسماة بـ« الطبقات الصغرى » .

---

(١) شذرات الذهب (٨/٧٧) ، وريحانة الألباء (٢٤٩) ، وفهرس الفهارس (٢/١٠١) ، وهدية العارفين (٢/٢٤٤) ، والأعلام (٧/٦٨) .

(٢) الكواكب (٢/٥٢) ، والفلك المشحون (٦ ، ١٤ ، ١٧) .

(٣) شذرات الذهب (٨/٢٥٠) ، وفهرس الفهارس (٢/١٠٦٢) ، وشذرات الذهب (٨/٢٥١) .



له عدة مؤلفات ، منها « فوائد الأفراح في فوائد النكاح » ، و « تشنيف الأسماع بشرح أحكام الإجماع » ، و « شفاء المتعال بأدوية السعال » ، توفي سنة ٩٣٥هـ[1] .

٦ - أبو محمد ، أحمد بن إياس الحنفي :

مؤرخ مصر المشهور ، من المماليك كان أبوه أحمد متصلاً بالأمراء ورجال الدولة . كان يعبّر عن السيوطي في أثناء كتابه « بدائع الزهور » بعبارة شيخنا ، وقد تكررت هذه العبارة في كتابه أكثر من مرة ، وبناء على ذلك ، فقد عدّه أكثر الباحثين المعاصرين من جملة تلاميذه .

من مؤلفاته : « نشق الأزهار في عجائب الأقطار » ، و « عقود الجمان في وقائع الأزمان » ، و « مرج الزهور » ، و « نزهة الأمم في العجائب والحكم » ، توفي نحو ٩٣٠هـ[2] .

- مكانته العلمية :

السيوطي كان يعتقد أنه هو المبعوث على رأس المائة التاسعة ، مجدداً ومحيياً للإسلام ، وذلك بناء على الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله -ﷺ- : (ان الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة ، من يجدد لها دينها)[3] .

والسيوطي لما أراد أن يضع لنفسه ترجمة في كتابه « حسن المحاضرة » اختار لها مكاناً بين تراجم « الذين كانوا بمصر من الأئمة المجتهدين » ورتّبها بعد ترجمة « سراج الدين البلقيني » ، المتوفى سنة ٨٠٥هـ ، الذي وصفه السيوطي بأنه هو المبعوث على رأس المائة الثامنة .

---

(١) السنا الباهر (٧٧) ، والذيل للشعراني (١٩) ، وكشف الظنون (٣٠٩ ، ١٠٥٦) ، وهداية العارفين (٥٩٨/٢) .

(٢) آداب اللغة (٢٩٨/٣) ، وبدائع الزهور (٤٧/٤) ، وعصر سلاطين المماليك (٣٥٩/٣) ، والأعلام (٢٣٢/٦) .

(٣) رواه الحاكم (٥٢٢/٤) وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير وزاد نسبته إلى أبي داود والبيهقي في المعرفة ، ورمز له بالصحة ، وذكر المناوي أن الزين العراقي وغيره قالوا بصحة سنده . فيض القدير (٢٨١/٢ - ٢٨٢) .



وعقّب على ذلك بقوله : « ومن اللطائف أن شرط المبعوثين على رؤوس القرون مصريون ، عمر بن عبد العزيز في الأولى ، والشافعي في الثانية ، وابن دقيق العيد في السابعة ، والبلقيني في الثامنة ، وعسى أن يكون المبعوث على المائة التاسعة من أهل مصر »[١] .

وفي كتاب : « الرد على من أخلد إلى الأرض ، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض » ، مهّد السيوطي السبيل لبث دعوته عن نفسه ، ولكنه لم يجاهر بها إلى أن وضع رسالة « التنبيه فيمن يبعثه الله على رأس كل مائة » لكنه في هذه الرسالة ، لم يتجاوز في التعبير عن فكرته حد الرجاء فقال : « ان ترجيت من نعم الله وفضله ، كما ترجى الغزالي لنفسه أني المبعوث على رأس هذه المائة التاسعة ، لانفرادي عليها بالتبحر في أنواع العلوم ، وقد اخترعت علم أصول اللغة وورثته ، ولم أسبق إليه ، وهو على نمط علم الحديث وعلم أصول الفقه . وسارت مصنفاتي وعلومي في سائر الأقطار ، ووصلت إلى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور ، وامتدت إلى البحر المحيط ، ولا مشاركة لي في مجموع ما ذكرته » .

ويقول في موضع آخر ، إنه نظم أرجوزة سماها : « تحفة المهتدين بأسماء المجددين ، وهذه خاتمتها :

وهذه تاسعة المئين قد أتت .... ولا يخلف ما الهادي وعد
وقد رجوت أني المجدد .... فيها فضل الله ليس يجحد[٢]

وأخيراً في رسالته المسماة : « الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف » عبّر عن مبعوثيته بصراحة ، فقال :

« فإنه ثم من ينفخ أشداقه ، ويدعي مناظرتي ، وينكر عليّ دعوى الاجتهاد والتفرد بالعلم على رأس هذه المائة ، ويزعم أنه يعارضني ويستجيش عليّ من لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد ، ونفخت عليهم نفخة ، صاروا هباءً منثوراً »[٣] .

---

(١) حسن المحاضرة (١/٣٢٩) .
(٢) الحاوي (٢/١٦٧) .
(٣) الحاوي (٢/٨٦) .

إذن ، ليس غريباً إذا كثر أعداء السيوطي وحاسدوه من معاصريه . وقديماً قال الحكماء : الإنسان في فسحة من عقله ، وفي سلامة من أفواه الناس ، ما لم يضع كتاباً ، أو لم يقل شعراً ، فإن من صنف كتاباً ، فقد استشرف للمدح والذم ، فان أحسن فقد استهدف من الغيبة والحسد ، وإن أساء فقد تعرض للشتم والقذف(١) ، فما بالك بالسيوطي هذا ، الذي ادعى الاجتهاد ، وكثرت مؤلفاته كثرة بالغة ، مما حدا ببعض أقرانه أن يخاصموه ، وكان على رأس هؤلاء السخاوي ، فقد وجّه إلى مؤلفنا عدة مطاعن ، تتخلص في الآتي :

١ - إنه كان بليداً ، لعدم معرفته للحساب ، والحساب في نظر السخاوي فن يعتمد على الذكاء ، والذي لا يجيده بليد(٢) .

وقد أجاب السيوطي عن ذلك بقوله :

« وأما الحساب فأعسر شيء عليّ مع معرفتي به ، ولكن يثقل عليّ النظر فيه ، وتضيق أخلاقي ، ومن ظن أني قلت ذلك قصوراً فذلك لجهله بمقصودي ، وكم من مسألة عليّ ، فيه نظماً ونثراً ، فأجبت عنها في الحال ، وإنما قصدي ثقل النظر فيه لعدم ملاءمته لطبيعتي ، وقد قال إمام الحرمين « لا يصبر على الحساب إلا البليد »(٣) .

٢ - وأخذ عليه قوله : ان مؤلفاته بلغت ثلاثمائة .

قال السخاوي : « رأيت منها ما هو في ورقة ، وأما ما هو دون كراسة فكثير»(٤) .

وقد رد الشوكاني على ذلك قائلاً :

« وقوله : إنه رأى بعضها في ورقة ، لا يخالف ما حكاه السيوطي من ذكر عدد مصنفاته ، فلم يقل إنها زادت على ثلاثمائة مجلد بل قال إنها زادت على

---

(١) كشف الظنون (١/ ٢٩) . (٢) الضوء اللامع (٤/ ٧٠) .

(٣) السنا الباهر (١/ ٨٣) ، والبدر الطالع (١/ ٣٣٢) . (٤) الضوء اللامع (٤/ ٦٨) .



ثلاثمائة كتاب ، وهذا الاسم يطلق على الورقة فما فوقها »[1] .

٣ - ذكر السخاوي عنه أنه كثير التصحيف والتحريف ، لأنه عديم الفهم لكونه لم يزاحم الفضلاء في دروسهم ، ولا جلس بينهم في مسائهم وتعريسهم[2] .

وردّ الشوكاني على ذلك بقوله :

« هذه دعوى عاطلة عن البرهان ، فهذه مؤلفاته على ظهر البسيطة محررة أحسن تحرير متقنة أبلغ اتقان »[3] .

٤ - وانتقده أيضاً لما بدأ يملي الحديث في الجامع الطولوني ، فقال :

« وكذلك درس جمعاً من العوام ممن لا يحسن شيئاً »[4] .

والحقيقة أن السيوطي -كما قال الشوكاني- كان أعلم أهل زمانه بعلوم الحديث وفنونه ، حافظاً متقناً ، يعرف غريب ألفاظه ، واستنباط الأحكام[5] .

وقال الشعراني : « وقد بيّض ابن حجر عدة أحاديث لا يعرف من خرجها ولا مرتبتها ، فخرّجها الشيخ -يعني السيوطي- ، وبيّن مرتبتها من حسن وضعف وغير ذلك »[6] .

٥ - واتهمه السخاوي بأنه اختلس مؤلفات شيخه ابن حجر ، وذكر منها :

« لباب النقول في أسباب النزول » ، و« عين الإصابة في معرفة الصحابة » و« النكت البديعات على الموضوعات » و« المدرج إلى المدرج » ، وغير ذلك[7] .

كما ذكر بأنه اختلس منه بعض مؤلفاته حينما كان يتردد عليه ، منها :

« الخصال الموجبة للظلال » و « الأسماء النبوية » و« موت الأنبياء » كما اتهمه أيضاً بأنه أخذ من كتب المكتبة المحمودية وغيرها كثيراً من المصنفات المتقدمة

---

(١) البدر (١/٣٣٣) .

(٢) الضوء اللامع (٤/٦٨) .

(٣) البدر الطالع (١/٣٣٣) .

(٤) الضوء اللامع (٤/٦٦) .

(٥) البدر الطالع (١/٣٣٣) .

(٦) الطبقات الصغرى (٢٨) .

(٧) الضوء اللامع (٤/٦٨) .

بما لا عهد لكثير من العصريين بها في فنون كثيرة ، ونسبها لنفسه[١] .

ولم أعثر على ما يدل على ما ذكر هنا ، بل وجدت السيوطي أميناً ، فيعزو الأقوال إلى قائليها ، كما في كتابه - الذي نحن بصدده - وغيره من الكتب .

ولم يكن السيوطي هو الوحيد الذي ناله قلم السخاوي الجارح ، فقد تناول بالطعن والتجريح عدداً من كبار رجال عصره ، مثل الشيخ زكريا الأنصاري[٢] ، والبقاعي[٣] وغيرهما .

وقد قال عنه ابن إياس : « وكان عالماً فاضلاً بارعاً في الحديث ، وألف تاريخاً فيه أشياء كثيرة من المساوئ في حق الناس »[٤] .

وتعرض العلامة عبدالقادر الحسيني الطبري في كتابه « الأرج المسكي في التاريخ المكي » لما كتبه السخاوي في الضوء اللامع ، فقال :

« ولا يجوز اعتماد شيء مما في تاريخه ، الضوء اللامع ، فإنه بناه على اتباع الهوى والغرض وحب الظهور ، فيزيد وينقص ويؤخر باعتبار أغراضه ، ولقد كان السيوطي يسميه « الجراح » ، ومن رأى ترجمته في تاريخه المذكور للشيخ الديمي ، والقاضي زكريا وغيرهما من الأجلاء ، رأى العجب العجاب ، فما زاد أن جعل الواحد منهم طويلب علم ، لا طالب علم ، سامحه الله تعالى »[٥] .

وقد ذهب متأخرو المؤرخين إلى إفراط السخاوي في نقده خصومه ومعاصريه ، فهذا الشوكاني يقول : « ولكن السيوطي لم يسلم من حاسد لفضله ، وجاحد لمناقبه ، فإن السخاوي -وهو من أقرانه- ترجمه ترجمة مظلمة غالبها ثلب فظيع ، وسب شنيع ، وانتقاص ، وغمط لمناقبه تصريحاً وتلويحاً ، ولا جرم فذلك رأيه في جميع الفضلاء من أقرانه .

---

(١) الضوء اللامع (٤/٦٦) .
(٢) الضوء اللامع (٣/٣٣٦) .
(٣) الضوء اللامع (١/١١١) .
(٤) ابن إياس (٢/٣٢٢) .
(٥) الأرج المسكي (٦) .



وقد تنافسَ هو والسيوطي منافسة أوجبت تأليف السيوطي لرسالة سماها « الكاوي لدماغ السخاوي »[1] ، فليعرف المطلع على ترجمة هذا الفاضل في الضوء اللامع ، أنها صدرت من خصم له غير مقبولة عليه »[2]. وانما لا تقبل أقوال السخاوي في السيوطي ، لما تقرر عند علماء الجرح والتعديل من عدم قبول قول الأقران في بعضهم بعضاً ، مع ظهور أدنى منافسة .

- **مؤلفاتــــه** :

لقد ذكر السوطي في حسن المحاضرة أن مؤلفاته بلغت ثلاثمائة كتاب -سوى ما غسله وتاب عنه- في التفسير والقراءات والحديث والفقه ، والعربية والآداب . . .[3] .

ذكر ابن اياس أن مؤلفاته بلغت ستمائة مؤلف[4] وقد طبع كثير من هذه الكتب ، أحصى له صاحب معجم المطبوعات العربية[5] (٩٢) كتاباً لحين تأليف معجمه (١٣٣٩هـ - ١٩١٩م) وقد طبع له بعد هذا التاريخ مؤلفات أخرى .

وعلى كل ، فان هذا العدد الوافر من المؤلفات ، دعا بعض الباحثين إلى اتهامه باختلاس بعضها من آخرين كما ذكرنا سابقاً . وليس ببعيد أن تكون نسبة هذه الكتب إلى السيوطي صحيحه ، فقد عزا المؤرخون إلى غيره من العلماء قريباً من هذا العدد ، على أن الكثير من كتب السيوطي يقع في رسائل صغيرة ، قال عنها السخاوي : « رأيت منها ما هو في ورقة ، وأما ما هو فوق الكراسة فكثير» .

وله « الحاوي للفتاوي » في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب ، وسائر الفنون ، يقع في نحو من (٧٥٠) صفحة ، ويحوي (٧٨) كتاباً ، مذكور معظمها في جملة ما ذكره السيوطي في حسن المحاضرة .

(١) الرسالة اسمها : « الكاوي في تاريخ السخاوي » ، ولكن الشوكاني سماها بذلك تهكماً بالسخاوي .

(٢) البدر الطالع (١/٣٣٨) .

(٣) انظر حسن المحاضرة (١/٣٣٨ - ٣٤٤) .

(٤) ابن إياس (٣/٦٣) .

(٥) معجم المطبوعات (١٠٧٣) .



فإذا كان العدد الذي ذكره السيوطي وغيره يحوي أمثال هذه الكتب الصغيرة ، فليس بعيداً صحة ما نسب إليه من الكتب .

وإليك بعض الكتب التي ألفها مع الاشارة إلى المطبوع منها بالرمز (ط) :

أولاً : القرآن الكريم وعلومه :

(١) الإتقان في علوم القرآن .

(٢) الأزهار الفائحة على الفاتحة .

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل - ط

(٤) الألفية في القراءات العشر .

(٥) التحبير في علوم التفسير .

(٦) ترجمان القرآن في التفسير المسند - ط

(٧) تكملة تفسير جلال الدين المحلي - ط

(٨) تناسق الدرر في تناسب السور - ط

(٩) حاشية على تفسير البيضاوي

(١٠) خمائل الزهر في فضائل السور

(١١) الدر المنثور في التفسير المأثور - ط

(١٢) شـرح الشاطبية

(١٣) لباب النقول في أسباب النزول - ط

(١٤) مجمع البحرين ومطلع البدرين في التفسير

(١٥) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع

(١٦) معترك الاقران في مشترك القرآن - ط

(١٧) مفاتح الغيب في التفسير

(١٨) مفحمات الاقران في مبهمات القرآن

(١٩) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب

(٢٠) اليد البسطى في الصلاة الوسطى

ثانياً : الحـديث وعلـومه :

(١) أبواب السعادة في أسباب الشهادة
(٢) أربعون حديثاً في فضل الجهاد
(٣) أربعون حديثاً في رفع اليدين في الدعاء
(٤) الأزهار المتناثرة في الاخبار المتواترة - ط
(٥) الآية الكبرى في شرح قصة الاسرا
(٦) بغية الرائد في الذيل على مجمع الزوائد - ط
(٧) تجربة العناية في تخريج أحاديث الكفاية
(٨) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي - ط
(٩) الترشيح على الجامع الصحيح - ط
(١٠) توضيح الدرك في تصحيح المستدرك - ط
(١١) جامع المسـانيد
(١٢) جياد المسلسلات
(١٣) الحصر والإشاعة لأشراط الساعة
(١٤) در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة
(١٥) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة - ط
(١٦) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج - ط
(١٧) الذيل على القول المسدد - ط
(١٨) الروض المكلل والورد المعلل في المصطلح - ط
(١٩) زوائد شعب الايمان للبيهقي - ط
(٢٠) زوائد الرجال على تهذيب الكمال - ط
(٢١) زوائد نوادر الاصول للحكيم الترمذي
(٢٢) سهام الإصابة في الدعوات المجابة - ط
(٢٣) شـرح ابن ماجـة

(٢٤) شرح ألفية العراقي
(٢٥) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور
(٢٦) الطب النبوي - ط
(٢٧) عين الإصابة في معرفة الصحابة - ط
(٢٨) فلق الصباح في تخريج أحاديث الصحاح - ط
(٢٩) القول الحسن في الذب عن السنن
(٣٠) كشف المغطى في شرح الموطا
(٣١) لب اللباب في تحرير الانساب - ط
(٣٢) اللآلئ المصنوعة في الاحاديث الموضوعة - ط
(٣٣) ما رواه الداعون في أخبار الطاعون - ط
(٣٤) مرقاة الصعود إلى سنن أبي داوود
(٣٥) المسلسلات الكبرى
(٣٦) المعجزات والخصائص النبوية
(٣٧) مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة
(٣٨) مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا - ط
(٣٩) من عاش من الصحابة مائة وعشرين
(٤٠) منهاج السنة ومفتاح الجنة - ط
(٤١) نشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير .

ثالثاً : الفقـــه وعلومـــه :

(١) الأشباه والنظائر
(٢) جمع الجوامع
(٣) شرح الرحبية في الفرائض
(٤) الكـــافي

(٥) مختصر الأحكام السلطانية للماوردي
(٦) الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع

رابعا : العربيـــة وعلومهـــا :

(١) البهجة المضيئة في شرح الألفية (شرح ألفية ابن مالك)
(٢) التوشيح على التوضيح
(٣) حاشية على شرح الشذور
(٤) در التاج في إعراب مشكل المنهاج
(٥) السيف الصقيل في حواشي ابن عقيل
(٦) شرح بانت سعاد
(٧) شرح شواهد المغني
(٨) شرح كافية بن مالك
(٩) شذا العرف في إثبات المعنى للحرف
(١٠) الفريدة في النحو والتصريف والخط
(١١) مختصر الألفية ودقائقها
(١٢) المصاعد العلية في القواعد النحوية
(١٣) نكت على شرح الشواهد للعيني
(١٤) همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع - ط

خامساً : فـــن التاريـــخ :

(١) تاريخ الخلفـــاء
(٢) تاريخ مصـــــــر (حسن المحاضرة)
(٣) تاريخ ســيوط
(٤) تاريخ العمر (ذيل على أبناء الغمر)

(٥) حاطب ليل وجار في سيل (معجم شيوخه الكبير)
(٦) الرحلة الفيومية
(٧) الرحلة المكية
(٨) الرحلة الدمياطية
(٩) الرسائل إلى معرفة الأوائل
(١٠) رسالة في تفسير ألفاظ متداولة
(١١) رفع الباس عن بني العباس
(١٢) رفع شأن الحبشان
(١٣) طبقات الحفـــاظ - ط
(١٤) طبقات النحاة (الكبرى والوسطى والصغرى) - ط
(١٥) طبقات المفســرين - ط
(١٦) المجمل في الرد على المهمل
(١٧) المنتقى (المعجم الصغير)

وفاتـــه :

بعد تلك الحياة الحافلة بالعلم والعمل الصالح ، توفي شيخنا جلال الدين السيوطي في سحر ليلة الجمعة ، تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ ، في منزله بروضة المقياس بعد أن تمرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر ودفن في حوش قوصون ، خارج باب القرافة[١] .

---

(١) شذرات الذهب (٨/٥٥) ، والبدر الطالع (١/٣٣٤) .





الفصل الثالث

دراسة تحليلية حـول الكتاب

ويشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول : مصادر الكتاب

المبحث الثاني : منهج المؤلف في كتابه

المبحث الثالث : المقارنة بين كتابي المؤلف « قطف الازهار » و « معترك الأقران »

المبحث الرابع : وصف نسخ المخطوط



المبحث الأول

مصادر الكتاب

لقد كان المؤلف كثير النقل عن الآخرين ، وهناك مصادر قد أكثر عنها النقل ، ومصادر أخرى كان قليل النقل عنها ، وبعضها كان نادراً . وهذه المصادر التي رجع إليها ، هي في موضوعات شتى ، كالتفسير ، والقراءات وعلوم القرآن ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والبلاغة .

وإليك تفصيل ما سبق ذكره :

أولاً : المؤلفون الذين أكثر المؤلف من نقله عنهم ، وعناوين مؤلفاتهم :

(١) أبو حيان : محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي ت سنة ٧٤٥هـ ،[1] وكتابه «البحر المحيط» وقد أكثر المؤلف من النقل عنه ، حتى يكاد يكون كتابه نسخة أخرى منه ، فهناك أقوال لم أجدها إلا في البحر ، وهناك أقوال لبعض العلماء ساقها السيوطي بعبارة أبي حيان في بحره ، بينما هي في كتب أولئك العلماء بصيغة قريبة ، أو بمعناها ، كما أن مؤلفنا -رحمه الله- من كثرة نقله عن أبي حيان ، تجده يورد الأقوال أحياناً بنفس ترتيب أبي حيان . . .

(٢) الكرماني : أبو القاسم محمود بن حمزة ت سنة ٥٠٥هـ .

وقد نقل عنه السيوطي من كتبه الآتية :

أسرار التكرار ، والبرهان في متشابه القرآن ، ولباب التفسير ، وعجائب علوم القرآن .

(٣) الإمام : الفخر الرازي ، أبو عبد الله فخر الدين الرازي محمد بن عمر ت سنة ٦٠٦هـ .

---

(١) هو محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي أبو حيان ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث ، من مؤلفاته «البحر المحيط» ، و«تحفة الأريب» في غريب القرآن ، وغير ذلك . توفي سنة ٧٤٥هـ .

- الدرر الكامنة (٤/٣٠٢) ، وبغية الوعاة (١٢١) ، ونكت الهميان (٢٨٠) .



أحيانـاً من تفسـيره ، وأحياناً لم أعثر على أقواله ، فربما من حاشيته على الكشاف ، أو من كتابه « إعجاز القرآن » .

(٤) ابن عطية : عبد الحق بن غالب ت سنة ٥٤١هـ .

من كتابه « المحرر الوجيز » .

(٥) الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت سنة ٥٣٨هـ من تفسيره « الكشاف » .

(٦) الراغب : أبو القاسم الحسين بن محمد ت سنة ٥٠٢هـ .

من « المفردات » ، وهناك أقوال له لم أعثر عليها إلا في البحر المحيط ، وأقوال أخرى لم أجدها مطلقاً ، فربما تكون في كتبه الأخرى كـ« جامع التفاسير» أو « حل متشابهات القرآن » .

(٧) ابن جماعة : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت سنة ٧٣٣هـ .

في « كشف المعاني . . . »

(٨) الاصفهاني : محمود بن أبي القاسم بن أحمد الشافعي ، ت سنة ٧٤٩هـ في « أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية »[1] .

(٩) البيضاوي : عبد الله بن عمر ت سنة ٦٨٥هـ .

في تفسـيره «   » .

(١٠) سعد الدين : مسعود بن عمر التفتازي ت سنة ٧٩١هـ .

في حاشيته على الكشاف وهي مخطوطة بمكتبة الحرم المكي ، تحت رقم [١١٤] .

(١١) الزملكاني : عبد الواحد بن عبد الكريم ت سنة ٦٥١ هـ ،

(أسـرار التنزيـل) .

وهناك مؤلفون نقل السيوطي عنهم بكثرة ، ولم يتأكد عندي من أي الكتب أخذ عنهم ، ومن هؤلاء :

(١) الطيبي : الحسين بن محمد ت سنة ٧٤٣هـ .

---

(١) انظر كشف الظنون (١/٤٤٧) .

فربما نقل عنه من كتابه « شرح الكشاف » وهو مخطوط على ما في الأعلام (٢/ ٢٨٠) .

(٢) الخويي : أبو العباس أحمد بن خليل ت سنة ٦٣٧هـ

لعله من تفسيره[١]

ثانياً : المؤلفون الذين رجع السيوطي إليهم بقلة ، مع أسماء مؤلفاتهم إن وُجدت ، وقد كان من هؤلاء :

- الأزهري : محمد بن أحمد : ٣٧٠هـ .

(تهذيب اللغة) .

- ابن جني : عثمان بن جني ت سنة ٣٩٢هـ .

(المحتسب)

- أبو عبد الله الرازي :

(درة التنزيل ، وغرة التأويل)[٢] .

- القاضي (لعله : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت سنة ٤٠٣هـ

لم ينص المؤلف على كتابه ، وإنما عثرت على بعض أقواله في البحر المحيط أحياناً ، وأحياناً في التفسير الكبير ، وأحياناً لم أعثر عليها .

- الطبري : محمد بن جرير ت سنة ٣١٠هـ .

تفسيره « جامع البيان » .

- ابن برجان : عبد السلام بن عبد الرحمن ت سنة ٦٢٧هـ .

يمكن من تفسيره[٣] .

- الفارسي : أبو علي الحسن بن أحمد ت سنة ٣٧٧هـ .

بعض أقواله وجدتها في « الحجة للقراءات السبعة » وبعضها لم أعثر عليه .

---

(١) انظر مقدمة الإتقان .

(٢) كما في معترك الأقران (٧٣٨/٣) ، وليس هو للخطيب الإسكافي .

(٣) انظر الإتقان (المقدمة) ، وانظر (كشف الظنون) ٦٩/١ - حيث سماه «الإرشاد في تفسير القرآن» .

- الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد ت سنة ٥٠٥ هـ
(جواهر القرآن) .
- الواحدي : علي بن أحمد ت سنة ٤٦٨هـ .
لعل السيوطي أخذ أقواله من البسيط أو الوسيط ، أو الوجيز ، والأخير منها مطبوع .
- القطب ، لعله . قطب بن الدين محمد الرازي
ولم أعثر على كتابه الذي يرجع إليه السيوطي .
- صاحب المطلع ،
لم أعرف الكاتب ولا الكتاب .
- الطوفي : أبو الربيع سليمان بن عبد القوي ت سنة ٧١٦هـ
لعل النقل عنه تم في (جدل القرآن) له أو في (فواصل الآيات)(١)
- صاحب النظم : (وهو عبد القاهر الجرجاني)
وكتابه : « نظم القرآن » .
- العز بن عبد السلام ت سنة ٦٦٠هـ .
(فوائد في مشكل القرآن) .
- صاحب المناجاة (لعله : الجيلي : عبد الكريم بن إبراهيم) ،
وكتابه « المناجاة الطورية في المتشابهات النورية » .

ثالثاً : المؤلفون الذين رجع إليهم السيوطي بندرة ، مع أسماء مؤلفاتهم إن وجُدت :

- الجويني : أبو المعالي ، عبد الملك بن عبد الله ت سنة ٤٧٨هـ .
(تفسيره)
- أبو البقاء ، عبد الله بن حسين العكبري ، سنة ٦١٦هـ .
(إملاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن) .

(١) أنظر طبقات المفسرين (٨٣) وكشف الظنون (١/ ١٢٢ ، ٤٤٦) .

- ابن هشام : عبد الله جمال الدين بن هشام ت سنة ٧٦١هـ
(مغنى اللبيب) .
- الماوردي : علي بن حبيب ت سنة ٤٥٠هـ .
(النكت والعيون)
- الأخفش الأصغر : علي بن سليمان ت سنة ٣١٥هـ .
(معاني القرآن) .
- الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد ت سنة ٣٠٧هـ .
(معاني القرآن) ، وأحياناً في البحر المحيط فقط .
- سيبويه : عمر بن عثمان سنة ١٨٠هـ
(الكتاب)
- الإمام تقي الدين الشمني
(حاشيته على مغنى اللبيب)
- ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي ت سنة ٥٩٧هـ .
(زاد المسير) .
- النحاس : أحمد بن محمد ت سنة ٣٣٨
(إعراب القرآن) .
- الزركشي : محمد بن عبد الله ت سنة ٧٩٤هـ .
(البرهان في علوم القرآن)
- البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ت سنة ٢٥٦هـ .
(التاريخ الكبير)
- السكاكي : يوسف بن أبي بكر ت سنة ٥٥٥هـ .
(مفتاح العلوم) .
- ابن عباد : محمد بن إبراهيم ت سنة ٧٣٣هـ .
(شرح الحكم)

- الخليل : الخليل بن أحمد الفراهيدي ت سنة ١٧٠هـ .
(العـين)
- ابن الصائغ : محمد بن عبد الرحمن الزمردي ت سنة ٧٧٦هـ .
(تذكرته) وهي في النحو[١]
- الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد ت سنة ٣٩٣هـ .
(الصحاح) ، وبعض الأقوال وجدتها في البحر المحيط فقط .
- ابن المنير : أحمد بن محمد ت سنة ٦٨٣هـ .
(الانتصاف في شرح الكشاف)[٢] .
- ابن أبي الإصبع : عبد العظيم بن عبد الواحد ت سنة ٦٥٤هـ .
(بديع القرآن) .
- ابن الحاجب : عثمان بن عمر ت سنة ٦٤٦هـ .
(الأمالي النحوية)
- ابن عسكر : أبو عبد الله محمد بن علي ت سنة ٦٣٦هـ .
لعل السيوطي نقل عنه من كتابه « المشرع الروي في الزيادة على غريب الهروي في القرآن والحديث » .
- ابن الشجري : هبة الله بن علي ت سنة ٥٤٢هـ .
يحتمل أن يكون قد تم النقل عنه من شرح اللمع له .
- السمين : أحمد بن يوسف ت سنة ٧٥٦هـ .
(الدر المصون) .
- الكسائي : أبو الحسن علي بن حمزة ت سنة ١٩٧هـ .
يمكن أن يكون من كتابه « معاني القرآن » ، وهو مخطوط على ما في الاعلام (٩٣/٥) .

---

(١) انظر كشف الظنون (١/٢٨٤) .
(٢) انظر كشف الظنون (١/١٧٤) ، والموجود الآن هو «الانصاف» وهو أكثر اختصاراً من الأول .



- الثعلبي : أحمد بن محمد ت سنة ٣٧٠هـ
الظاهر أنه من كتابه « الكشف والبيان في تفسير القرآن » .
- الجصاص : أحمد بن علي الرازي ت سنة ٣٧٠هـ .
(أحكام القرآن)
- قطرب : أبو علي محمد بن المستنير ت سنة ٢٠٦هـ .
يبدو أنه من أحد كتابيه « معاني القرآن » أو « إعراب القرآن » المخطوطان .
- النقاش : أبو بكر محمد بن الحسن ت سنة ٣٥١هـ .
له « شفاء الصدور » في التفسير و « الإشارة في غريب القرآن » و « الموضح في معاني القرآن »[(١)] .
- القفال : محمد بن علي ت سنة ٣٦٥هـ .
له تفسير ذكره السيوطي ثم قال: ونقلت عنه بعض مناسبات في كتابي « أسرار التنزيل » يعني كتابه هذا « قطف الأزهار »[(٢)] .
- صاحب الفوائد : الذي لم أعثر على ترجمته ولا أعرف كتابه .

(١) طبقات المفسرين (٩٤) .
(٢) المرجع السابق (١١٠) .



المبحث الثاني
منهج المؤلف في كتابه

ويشتمل هذا المبحث على النقاط الآتية :

أولاً	:	العناية بالنواحي البلاغية .
ثانياً	:	الاهتمام بالمناسبات .
ثالثاً	:	كثرة النقل عن الآخرين .
رابعاً	:	الاهتمام بالقراءات .
خامساً	:	الاستشهاد بآيات القرآن .
سادساً	:	الاستشهاد بالأحاديث .
سابعاً	:	الاستشهاد بالشعر .
ثامناً	:	تعرضه لمسائل عقيديه .

أولاً : العناية بالنواحي البلاغية :

إن من بين وجوه إعجاز القرآن الكريم الصبغة البلاغية التي يتحلى بها ، فهو نور من الكلام أو كلام من النور ، ولا عجب أن يكون كذلك ، فهو (**تنزيل من حكيم حميد**) [فصلت ٤٣] ومن هنا ، فإن السيوطي اهتم كثيراً في كتابه هذا بتجلية النواحي البلاغية في الآيات التي يستعرضها ، أحياناً من قبل نفسه ، وأحياناً كثيرة فيما ينقله عن الآخرين .

وحيث إن علم البلاغة يشمل فنوناً ثلاثة وهي : علم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، فإن المؤلف -رحمه الله- ظهر اهتمامه بكل ذلك ، وخاصة بعلمي البيان والبديع وإليك بعض الأمثلة على ذلك ، مقتصراً -في الغالب- على ذكر الآيات ، وما قاله -في هذا المجال- حولها :

(١) علم البيان :

لقد ذكر المؤلف ما يندرج تحت هذا من أنواع متعددة وإليك بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر :

- **التشبيه :**

(**نساؤكم حرث لكم ، فأتوا حرثكم أنى شئتم . . .**) [البقرة/٢٢٣]

بين المؤلف أن هنا تشبيهاً تمثيلياً باعتبار تشبيه المجموع ، من إتيان قبل المرأة أنى شاء ، بمجموع إتيان الأراضي التي يراد حرثها من أي جهة كانت ، فإن وجه الشبه إذا كان مجموعاً مأخوذاً من أمور يسمى تمثيلاً ، أي جامعوهن من أي جهة أردتم ، كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم .

- **الاستعارة :**

- (**فإذا انسلخ الأشهر الحرم**) [التوبة / ٥] .

« فيه استعارة ، شبه فراغ الشهر بانسلاخ الثوب » .

- قوله تعالى : (**فتحنا عليهم أبواب كل شيء**) الأنعام (٤٤) .

قال إن فيها « استعارة للأبواب عن الأسباب التي هيأها الله لهم ، المقتضية لبسط



الرزق عليهم ، لأنها مداخل إليه فهي مكنية ، وذكر لازم الأبواب ، وهو (فتحنا) تخييليه » .

- **المجـــاز :**

(.. **والموتى يبعثهم الله** ..) [الأنعام / ٣٦]

ذهب المؤلف هنا ، إلى حمل الموتى على المجاز ، أي الكفار ، والمعنى أن الكفار الذين هم كالموتى ، لا يسمعون فلا يستجيبون ، يبعثهم الله يوم القيامة فيجازيهم على كفرهم .

(٢) علـم البديـع :

لقد حفل كتاب « قطف الأزهار » بالأنواع الكثيرة التي يتضمنها هذا العلم ، وإليك طرفاً منها :

- قوله تعالى :(. . . **ومن يرتدد منكم عن دينه ، فيمت وهو كافر ، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة**. .) البقرة/٢١٧ .

قال السيوطي : فيه النوع البديعي المسمى بالمزاوجة ، وهو أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء ، ثانيهما مرتب على الأول ، وهنا زاوج في الشرط بين الردة والموت عليها مرتب عليها بالفاء ، وفي الجواب بين إحباط العمل والخلود في النار ، والثاني مرتب على الأول ، كما لا يخفى ، وهذا النوع مثاله في القرآن عزيز جداً ، ومثاله في الشعر :

إذا ما نهى الناهي ، فلَجَّ بي الهـوى   أصاخت إلى الواشي ، فلَجَّ بها الهجر .

- **الاســتقصاء :**

قوله تعالى : (**أيود أحدكم أن تكون له جنة**. . .) البقرة (٢٦٦) .

قال « في الآية من فنون البديع الاستقصاء ، وبيانه هنا ، أنه سبحانه لو اقتصر على قوله (جنة) ، كان كافياً ، فلم يقف عند ذلك حتى قال في تفسيرها (**من نخيل**



وأعناب) ، فإن مصاب صاحبها به أعظم ، ثم زاد (**تجرى من تحتها الأنهار**) متمماً لوصفها بذلك ، ثم كمل وصفها بعد التتميمين ، فقال : (**له فيها من كل الثمرات**) فأتى بكل ما يكون في الجنات ، ليشتد الأسف على إفسادها ، ثم قال في وصف صاحبها (**وأصابه الكبر**) ، ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله -بعد وصفه بالكبر- : (**وله ذرية**) .

ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعفاء ، ثم ذكر استئصال الجنة التي ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك في أسرع وقت ، حيث قال : (**فأصابها اعصار**) ولم يقتصر على ذكره ، للعلم بأنه لا تحصل به سرعة الهلاك ، فقال (**فيه نار**) ، ثم لم يقف عند ذلك ، حتى أخبر باحتراقها ، لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفي باحتراقها ، لما فيها من الأنهار ، ورطوبة الأشجار ، فاحترز عن هذا الاحتمال بقوله (**فاحترقت**) ، فهذا أحسن استقصاء وقع في كلام وأتمه وأكمله .

- **الاحتبـــاك** :

قوله تعالى : (**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة. . .**) البقرة (٢٦١) .

ذكر السيوطي أن فيها احتباكاً ؛ لأنه حذف من الأول « نفقات » نظير (حبه) في الثاني ومن الثاني « زارع » نظير (الذين) في الأول .

- **الالتفـــات** :

قوله تعالى (**وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين**) [الأنعام/٤] .

ذهب إلى أن في (**وما تأتيهم**) التفات من الخطاب من (**. . .ويعلم ما تكسبون**) [الأنعام/٣] .

إلى الغيبة ثم قال : « ونكتته فيما ظهر لي ، أنه لما حكى تعالى عنهم في هذه الآية



وصف الإعراض ، أعرض عن خطابهم تحقيراً لهم » .

الجناس المحرّف :

(. . فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم) [التوبة/١٢].

ذكر السيوطي أن هنا جناساً محرفاً على قراءة (إيمانهم) بكسر الهمزة .

- **المقـــابلة :**

قال تعالى : (**زُيِّنَ للنَّاس حُبُّ الشهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبنِينَ والقَناطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهب وَالفضَّةِ وَالخيلِ المُسوَّمَةِ وَالأَنْعَمِ وَالحرثِ ذَلِكَ مَتَعُ الحَيوة الدُّنيَا واللَّهُ عِندَهُ حُسنُ المَئَاب * قُل أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيرٍ مِّن ذَلِكُمْ للّذينَ اتّقَواْ عِندَ رَبّهم جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضوَانٌ مِنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالعبادِ***) آل عمران (١٤ ، ١٥) .

قال المؤلف : « لما كان قوله في الآية الأولى (**ذلك متع الحياة الدنيا**) مشعراً بالزوال والفناء ، أتى في مقابلته بقوله (**خلدين فيها**) ولما كان قوله : (**زين للناس حب الشهوات**) مشعراً بأنها غير مرضية عند الله ، أتى في مقابلته بقوله (**ورضوان من الله**) وأتى في مقابلة قوله (**للناس**) بقوله (**للذين اتقوا**) .

- **التذييـــــل :**

قوله عز وجل : (**ومن أصدق من الله قيلا**) النساء/١٢٢

بيّن شيخنا أن هنا استفهاماً بمعنى النفي ، وأن الجملة أُريد بها تأكيد حقيقة الوعد من الله في مقابلة مواعيد الشيطان المخلفة وأمانيه الكاذبة ، وهي المسماة في البديع بالتذييل .

- **المعارضـــة :**

قال الله تعالى (**يَسئَلُونَكَ عَنِ الشهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فيه قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللّه وكُفرٌ بِهِ وَالمَسجدِ الحَرَام وإخرَاجُ أهلِهِ مِنهُ أكبرُ عِندَ اللّهِ والفِتنَةُ**



أَكْبَـرُ مِنَ القَتلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَتِلونَكُمْ حَتّى يردُّوكُم عَنْ دِينِكُمْ إنِ آسْتَطَاعُوْا وَمَن يَرتَدِدْ منكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ في الدُّنيَا والآخِرَةِ وَأُوْلَئكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُوْنَ) البقرة/٢١٧ .

ذكر رحمه الله أن في هذه الآية نوعاً من الجدل ، وهو المعارضة ، فإنهم لما استعظموا القتال في الشهر الحرام ، قيل لهم هو كبير ، لكن عارضه صدور ما هو أكبر منه وإذا تعارض أمران ، وجب مراعاة الأشد .

- السـير والتقسـيم :

قال تعالى : (وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لكثيرٍ مّنَ المُشرِكِينَ قَتلَ أَولَدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدوهم وَلِيَلْبِسوُاْ عَلَيهِمْ دِينَهُمْ وَلَو شَاءَ اللَّهُ مَا فَعلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفتَرُونَ) [الانعام/١٣٧] .

قال المؤلف : في الآية من أنواع الجدل : السير والتقسيم ، لأنهم لما حرموا ذكور الأنعام تارة ، وإناثها تارة أخرى ، قال تعالى في الرد عليهم إن الخلق لله ، خلق من كل زوج مما ذكر ، ذكراً وأنثى ، ثم جاء تحريم ما ذكر ، أي ما علّته لا يخلو : إما أن يكون من جهة الذكورة ، أو الأنوثة ، واشتمال الرحم الشامل لهما ، أو لا يدرى له علّة ، وهو التعبدي ، بأن أخذ ذلك عن الله ، والأخذ عن الله ، إما بوحي وإرسال رسول ، أو سماع كلامه ، ومشاهدة تلقي ذلك عنه ، وهو معنى قوله : (**أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا/ ١٤٤**) .

فهذه وجوه التحريم ، لا يخرج عن واحد منها ، والأول يلزم عليه تحريم جميع الذكور ، والثاني يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراماً ، والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معاً ، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة ، وبعض في حالة ، لأن العلة على ما ذكر ، تقتضي إطلاق التحريم ، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ، ولم يدّعوه بواسطة رسول كذلك لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي - ﷺ - ، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدّعى ، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال .



- **التجـــريـد :**

(**..وأنزل عليك الكتاب والحكمة**) [النساء/١١٣]

قال : « إن أريد بها - أي بالحكمة - ما تضمنه الكتاب ففيه تجريد ، على حد : مررت بالرجل الكريم ، والنسمة المباركة ، جرّد منه وصف ، وعطف عليه كأنه غيره » .

- **التوريـــة المرشـــحة :**

قول الله -عز وجل- : (**..فقاتلوا أئمة الكفر ، إنهم لا أيمان لهم**) [التوبة/١٢] .

ذكر المؤلف أن في قراءة (لا إيمان) بكسر الهمزة تورية ، لاحتمال اللفظ معنيين وهما : الإسلام أو الأمانة - وإرادة العهد ، وأن هذه التورية مرشحة من وجهين ، لأن الكفر يلائم المورى به ، والعهد يلائم المورى عنه ».

- **الطبـــاق :**

قوله تعالى : (**للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله** . . .) [البقرة/٢٧٣]

بين أن في الآية طباقات بين (**للفقراء**) و (**أغنياء**) ، و (**أحصروا**) و (**ضربا في الأرض**) و (**يحسبهم الجاهل**) و (**تعرفهم**) ، و (**من التعفف**) و (**بسيماهم**) و (**التعفف**) و (**لا يسألون**) .

- **نفـي الشـيء بإيجـابه :**

قوله تعالى : (. . . **لا يسألون الناس إلحافاً**) [البقرة/٢٧٣] .

قال : « أي إلحاحاً ، أي لا يقع منهم سؤال أصلاً ، فلا يقع منهم إلحاف وهذا يسمى في البديع : نفي الشيء بإيجابه ، ومثله (**ولا شفيع يطاع**) [غافر١٨] أي لا شفيع لهم أصلاً ».



- الترصيـــع :

قال تعالى : (**وإنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فلا كاشِفَ لَهُ إلاّ هُوَ وإنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) [الأنعام/١٧] .

قال ابن عطية : « ناب الضر ، هنا مناب الشر ، الذي هو مقابل الخير ، وهذا باب من الفصاحة ، يسمى ترصيع الكلام ، وهو أن يكون الشيء مقترناً بما يجتمع معه في قدر مشترك ، ونظيره (**إن لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ ولا تضحى**) [طه ١١٨ ، ١١٩] ، فجـاء بالجوع مع العري ، وبابه أن يكون مع الظمأ « لكن الجامع اشتراك الجوع والعري في الخلو ، فالأول خلو الباطن ، والثاني خلو الظاهر» .

ثانياً : الاهتمـام بالمناسـبات :

لقد اعتنى المؤلف في مؤلفه بعلم المناسبة ، وقد تجلى ذلك في عدة نواح فهو يذكر المنـاسبـة بين السور بعضها ببعض ، والآيات بعضها ببعض ، بل الآية الواحدة أحياناً ووجه الربط بين أجزائها ، كما يبين وجه الفرق بين استعمال لفظ معين في موضع ، ولفظ آخر في موضع آخر ، وأخيراً لا يغفل الكلام عن سر ختم السورة التي يفسرها بالخاتمة التي ختمت بها ، وإليك أمثلة على ماذكرناه :-

(١) يهتم بذكر المناسبات بين السور التي يفسرها ، كما فعل بالنسبة لسورة النساء حيث قال :

هذه السورة أيضاً شارحة لمجمل بقية سورة البقرة في آيات عديدة ، كآية اليتامى والوصية والمواريث والأنكحة ونكاح الأمة والصداق والخلع والقتال ، وفيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة تفسير (**الذين أنعمت عليهم/٧**) في قوله (**فأولئـك مع الـذين أنعم الله عليهم ، من النبيـين والصديقـين والشهداء والصـالحـين/ ٦٩**) وأمـا أوجـه اعتـلاقها بآل عمران فمن وجوه ، منها : أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى ، وافتتحت هذه السورة به ، وذلك من آكد

وجوه المناسبات في ترتيب السورة ، وهذا نوع من أنواع البديع يسمى تشابه الأطراف . ومنها أن سورة آل عمران ، ذكرت فيها قصة أُحد مستوفاة ، وذكر في هذه السورة ذيلها ، وهو قوله (**فما لكم في المنافقين فئتين/ ٨٨**) فإنها نزلت لما اختلف الصحابة فيمن رجع من المنافقين عن غزوة أُحد ، كما في الحديث . ومنها أن في آل عمران ذكر الغزوة التي بعد أُحد في قوله : (**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح/ ١٧٢**) الآيات ، وأشير إليها هنا بقوله : (**ولا تهنوا في ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون/ ١٠٤**) الآية ، وبهذين الوجهين عرف أن تأخير « النساء » عن « آل عمران » أنسب من تقديمها عليها في مصحف ابن مسعود ، لأن المذكور هنا ذيل ما في آل عمران ، وتابعه ولاحقه ، فكان بالتأخير أنسب ، ومنها أنه لما ذكر في آل عمران قصة خلق عيسى بلا أب وأقيمت له الحجة بآدم ، وفي ذلك تبرئة لأمه . خلافاً لما ادعته النصارى ، ذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معاً فرد على اليهود بقوله : (**وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً/ ١٥٦**) ، وعلى النصارى بقوله : (**لا تغلوا في دينكم/ ١٧١**) إلى قوله : (**لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله/ ١٧٢**) ، ومنها أنه لما ذكر في آل عمران (**إني متوفيك ورافعك إليّ/ ٥٥**) ردّ هنا على من زعم قتله بقوله : (**وقولهم إنا قتلنا المسيح/ ١٥٧**) الآية ، ومنها أنه لما قال في آل عمران (**والراسخون في العلم يقولون آمنا به/ ٧**) ، قال هنا (**لكن الراسخون في العلم منهم ، والمؤمنون/ ١٦٢**) الآية ، ومنها أنه لما قال في آل عمران (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث/ ١٤**) فصّل هذه الأشياء في السور التي بعدها على نسق ما وقعت في الآية ، ليعلم ما أحل من ذلك فيقتصر عليه ، وما حرم فلا يتعدى إليه ، ففصل في هذه السورة أحكام النساء ومباحاتها ومحرماتها ، للابتداء بها في الآية ، والبنين فشرك البنات معهم في الإرث رداً لما كانوا يصنعون من تخصيص البنين بالميراث لحبهم لهم ، فكان

ذلك تفصيلاً لما يحل ويحرم من إيثار البنين اللازم عن الحب ، ثم فسّر في سورة المائدة أحكام السرّاق وقطاع الطريق لتعلقهم بالذهب والفضة الواقع في الآية بعد النساء والبنين ، ووقع في هذه السورة إشارة إلى ذلك في قسمة المواريث ، ثم فصّل في سورة الأنعام أمر الحيوان والأنعام والحرث ، وهو بقية المذكور في الآية ، فانظر إلى هذه اللطيفة التي منّ الله بإلهامها ، وبقيت وجوه أخرى بينتها في كتاب « تناسق الدرر في تناسب السور » ثم ذكر السيوطي أن أبا حيان قال : « وجه ارتباط أول السورة بآخر ما قبلها ، أنه أخبر في آخر تلك ، أن بعض المؤمنين من بعض في أصل التوالد ، فنبه في أول هذه على اتحاد الأصل ، وتفرّع العالم الإنساني منه ، ليحث على التوافق والتواد والتعاطف وعدم الاختلاف ، ولينبه بذلك على أن أصل الجنس الانساني كان عابداً لله ، مفرده بالتوحيد والتقوى ، طائعاً له ، فكذلك ينبغي أن تكون فروعه التي نشأت منه ، فنادى تعالى نداء عاماً للناس ، وأمرهم بالتقوى التي هي ملاك الأمر ، وجعل سبباً للتقوى تذكاره إياهم بأنه أوجدهم وأنشأهم من نفس واحدة ، ومن كان قادراً على مثل هذا الإيجاد الغريب الصنع ، فهو جدير بأن يتقى ، فقال : (**يا أيها الناس اتقوا ربكم**/١) .

(٢) يهتم السيوطي بذكر المناسبات بين الآيات وذلك بإبداء رأيه هو أحياناً وأحياناً بنقل كلام العلماء حول ذلك ، ومن الأمثلة على ذلك :

(أ) ما ذكره عند قوله تعالى : (**وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كتاباً في قِرْطاسٍ ، فَلَمَسوهُ بأيْديهِمْ لَقالَ الذّينَ كَفَروا إنْ هٰذا إلّا سِحْرٌ مُبِينٌ**) الأنعام/٧ .

حيث قال « ومناسبة ذكرها بعد ما تقدم ، أنه تعالى اقترحوها ، لم يعرضوا ، ولصدقوا ولم يستهزؤوا ، فأخبر بأنه لو نزل عليهم كتاباً في قرطاس وجسّوه بأيديهم ، لم يزدهم ذلك إلا تكذيباً ، وادّعوا أن ذلك من باب السحر لا من باب المعجز ، عناداً وتعنتاً ، وأن من كان له أدنى مسكة من عقل ، لا ينازع فيما أدركه البصر ، فضلاً عما لمسه باليد ،



فذكر اللمس لأنه أبلغ ، ولأن الرؤية يقولون فيها سكرت أبصارنا ، ولأنه يحصل به العلم للأضرّاء ، ولأنه أبعد عن السحر ، وعن التزوير ، وقيده باليد ، مبالغة في التأكيد ، ولأنها أقوى من اللمس من سائر الأعضاء ، لأنه قد يطلق ، ويراد به الفحص عن الشيء والكشف عنه ، كما في قوله (وأنا لمسنا السماء) ، فذكر اليد ، لإزالة توهم إرادته .

(ب) ما قاله عند تعرضه لقوله تعالى : (**والسارق والسارقة**) المائدة/٣٨ .

حيث قال : « لما ذكر جزاء المحاربين بالعقوبات التي منها قطع الأيدي والأرجل من خلاف ذكر جزاء السارقين بذلك ، والسرقة أيضاً نوع من الحرابة والفساد ، إلا أنها على سبيل الخفية ، وتلك على سبيل الشوكة والظهور .

(جـ) عند قوله تعالى : (**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**) الأعراف/ ١٨٠ .

ذكر أن أبا حيان قال : « مناسبتها لما تقدم ، أنه لما ذكر أنه ذرأ لجهنم كثيراً ، ذكر نوعاً منهم ، وهم الذين يلحدون في أسمائه ، وهم أشد الكفار عتياً ، وأيضاً فلما نبّه على أن من أسباب دخول جهنم الغفلة عن ذكر الله ، أمر هنا بذكره بأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا » .

(٣) لقد توسَّع مؤلفنا في علم المناسبة ، حتى إنه أحياناً يأتي بالمناسبة في نفس الآية ، بين أجزائها بعضها ببعض كما في قوله تعالى (**وإذا ضربتم في الأرض ، فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ، إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً**) النساء/١٠١ .

قال مؤلفنا هنا : « ووجه ربط الآية ، أنه لما أمر بالجهاد والهجرة وكان ذلك يلزم عنه السفر والخوف ، ذكر ما يتعلق بهما من تخفيف أمر الصلاة ، من القصر والرخصة في كيفية صلاة الخوف ، والأمر بحمل السلاح فيهما .

(٤) ولقد جرت عادة المؤلف - رحمه الله - أن يُبيِّن الفروق بين خواتيم بعض الآيات والسر في ذلك .



ومن بين الأمثلة على ذلك ، ما ذكره عند قوله تعالى : (**وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، قد فصَّلنا الآيات لقوم يعلمون**) الأنعام/٩٧. حيث ذكر -كعادته- أقوال بعض العلماء في ذلك ، فقال :

إن الكرماني قال : « ختم هذه بـ (**يعلمون**) ، والثانية بـ(**يفقهون/٩٨**) والثالثة بـ(**يؤمنون/٩٩**) ، لأن من أحاط علماً بما في الآية الأولى صار عالماً بوحدانية الله ، وهو أشرف العلوم ، فختم بـ(يعلمون/٩٧) ، والثانية مشتملة على ما فيه تدبّر وتأمل ، والفقه علم يحصل بالفكر والتدبر ، فختم بـ(**يفقهون/٩٨**). ومن أقر بما في الثالثة صار مؤمناً فختم بـ(**يؤمنون/٩٩**) » .

ثم ذكر المؤلف قول ابن جماعة وهو : « لما كان حساب الشمس والقمر والنجوم ، والاهتداء بها خاصاً بالعلماء بذلك ، ناسب ختمه بـ(**يعلمون/٩٧**) وانشاء الخلائق من نفس واحدة ، ونقلهم من صلب الرحم إلى الدنيا ، إلى البرزخ ، إلى الآخرة ، والنظر في ذلك والفكر فيه أدق ، ناسب ختمه بـ(**يفقهون/٩٨**) ولما ذكر ما أنعم به على عباده ، من سعة الأرزاق والأقوات والثمار ، وأنواع ذلك ناسب ختمه بالإيمان الداعي إلى شكره تعالى على نعمه » .

ثم أخيراً ، ذكر شيخنا قول أبي حيان ، وهو : « الاهتداء بالنجوم واضح ، يحصل لمن له أدنى إدراك بالنظر في النجوم ، فناسب ختمه بالعلم ، والإنشاء من نفس واحدة يحتاج إلى فكر وتدقيق في الاستدلال به على البعث ، فناسب ختمه بالفقه ، ولما كان ظهور الآيات لا ينفع إلا من قدر له الإيمان ، ختم آخر الآيات بقوله : (**يؤمنون/٩٩**) تنبيهاً على هذا المعنى » .

(٥) إن المطالع لهذا الكتاب ، ليلحظ اهتمام المؤلف بذكر وجه المناسبة في ختام السورة بالخاتمة التي هي عليها .

وعلى سبيل المثال في خاتمة سورة المائدة ، وهو قوله تعالى : (**لله ملك**



السموات والأرض وما فيهن ، وهو على كل شيء قدير) /١٢٠ ، ذكر السيوطي أن الإمام الفخر الرازي قال :

« في هذه الخاتمة الشريفة ، أسرار كثيرة ، منها أنه قال : (**وما فيهن** /١٢٠) ، ولم يقل « ومن فيهن » ، فغلب غير العقلاء على العقلاء ، والسبب فيه التنبيه على أن كل المخلوقات مسخرات في قبضة قهره وقدرته ، وقضائه وقدره ، وهم في ذلك التسخير كالجمادات التي لا قدرة لها ، وكالبهائم التي لا عقل لها .

ومنها ، أن مفتتح السورة كان بذكر العهد المنعقد بين الربوبية والعبودية (**يا أيها الذين أمنوا أوفوا بالعقود**/١) ، كما أن حال العبد أن يشرع في العبودية ، وينتهي إلى الفناء المحض عن نفسه بالكلية . فالأول هو الشريعة وهو البداية ، والآخر هو الحقيقة ، وهو النهاية ، فمفتتح السورة من الشريعة ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته وقهره وعلوه ، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة ، فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح وهذا المختتم .

ومنها أن السورة اشتملت على أنواع كثيرة من العلوم ، فمنها بيان الشرائع والأحكام والتكليف ، ومنها المناظرة مع اليهود في إنكارهم شريعة محمد- ﷺ - ومنها المناظرة مع النصارى في قولهم بالتثليث ، فختم السورة بهذه النكتة الواقعة بإثبات كل هذه المطالب ، فإنه قال : (**لله ملك السموات والأرض وما فيهن ، وهو على كل شيء قدير**)/١٢٠ معناه أن كل ما سوى الحق -سبحانه- ، فإنه ممكن لذاته ، موجود بإيجاده ، وإذا كان الأمر كذلك ، كان مالكاً لجميع الممكنات والكائنات ، موجداً لجميع الأرواح والأجساد ، وإذا ثبت هذا ، لزم منه ثبوت كل المطالب المذكورة في هذه السورة ، أما حسن التكليف كيف شاء وأراد ، فذاك ثابت . لأنه لما كان مالكاً لذلك ، كان له أن يتصرف في الكل بالأمر والنهي والثواب والعقاب كيف شاء وأراد ، فصح القول بالتكليف على أي وجه أراده -سبحانه- ، وأما الرد على اليهود ، فلأنه



-سبحانه- لما كان مالك الملك فله بحكم المالكية أن ينسخ شرع موسى ، ويشرع شرع محمد - ﷺ وأما الرد على النصارى ، فلأن عيسى ومريم داخلان فيما سوى الله فثبت كونهما عبدين مخلوقين ، وظهر بالتقرير الذي ذكرناه أن هذه الآية التي جعلها الله خاتمة لهذه السورة ، برهان قاطع في صحة جميع العلوم التي اشتملت هذه السورة عليها ، والله أعلم بأسرار كلامه » .

ثالثاً : كثرة النقل عن الآخرين :

إن المؤلف كثير النقل عن الآخرين ، حتى يكاد أن يكون كتابه كله نقولات ، وقد أكثر النقل عن أبي حيان في تفسيره البحر المحيط بل حتى فيما ينقله عن الآخرين فإنه يرجع كثيراً إلى عبارة أبي حيان دون أن يذكر ذلك .

ومؤلفنا من كثرة نقله ، لا يقول قال فلان ، وإنما يذكر اسمه مجرداً من كلمة « قال » ثم يذكر كلامه .

وهو عادة يتصرف في النصوص التي ينقلها ، فلا ينقلها -كما هي- كاملة .

وبين حين وآخر ، يورد أقوال العلماء في مسألة من المسائل ، وردود بعضهم على بعض ، دون أن يذكر هو رأيه ، فلعله يشير إلى أن ما ذكره من ردود عن العلماء هو رأيه أيضاً ، مادام لم يعقّب على ذلك .

وقد يخرج مؤلفنا -رحمه الله- في بعض الأوقات عن مجرد النقل ، فيعقب على كلام أحدهم ، ومن الأمثلة على ذلك :

(١) ذكر المؤلف قوله تعالى : (**اللهم مالك الملك** . . .) الآيتان (٢٦ ، ٢٧) من سورة آل عمران .

ثم ساق قول ابن برجان : « ظاهر تلاوة هاتين الآيتين إقرار وإيمان بما تضمنتا ومعناهما الدعاء ، لأن قوله (**اللهم مالك الملك**) دعاء لا محالة ، وسؤال باسمٍ مقتضٍ لمعنى المسؤول ، فكان المعنى بما بعده : آتنا **الملك** ،



وانزعه من أيدي أعدائنا ، وأعزنا وأذلهم ، فإن بيدك الخير ، وأنت على كل شيء قدير كما تولج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، تديل هذا على هذا ، وهذا على هذا . . . »

ثم قال مؤلفنا : « يدل لما ذكره من الدعاء ، ما ورد في الحديث ، أن اسم الله الأعظم هذه الآية أو في هذه الآية » .

(٢) عند الكلام عن قوله تعالى : (. . **وما تنقم منا إلا أن آمنا** . .) (الأعراف/١٢٦) .

ساق مؤلفنا هنا قول أبي حيان عن الفعل (تنقم) : من أن « هذا الفعل ليس من لسان العرب يعدّى بعلى ، يقال : نقمت عليه كذا ، وعدّي في القرآن بمن ، تشبيهاً له بانتقم ، فإن (آمنا) مفعول له » .

ثم قال السيوطي : « الأولى أن يقال تضميناً له معنى : تكره » .

هذا ومن النادر جداً أن يأتي السيوطي في كتابه هذا بجديد ، إذ عامته -كما قلنا- نقل عن الآخرين ، وهناك أمثلة قليلة جداً يمكن الاستشهاد بها على الجديد الذي أتى به ، ومن ذلك مثلاً : أن الله قال في آل عمران (**قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه** . . .)/٢٩ على حين أنه عكس في البقرة[1] ، فأخر الإخفاء على الإبـداء فما سبب ذلك ؟

- قال السيوطي : « لم أر من تعرض لذلك . ويمكن أن يقال : لما كانت الآية هنا ، عقب التحذير من الموالاة وهما من أعمال القلوب ناسب الابتداء بالإخفاء ، وآية البقرة عقب التحذير من كتم الشهادة ، وأداء الشهادة من أعمال اللسان ، فناسب الابتداء بالإبداء . . » .

---

(١) البقرة (٢٨٤) .



رابعاً : الاهتمـــام بالقــراءات :

إن السيوطي -رحمه الله- في كتابه هذا مولع بإيراد القراءات المتواترة والشاذة فيما يورده من آيات ، حتى يكاد ألا يترك قراءة إلا ذكرها ، وإليك بعض الأمثلة على ذلك :

(١) القراءات التي أوردها عند قوله تعالى : (. . **وعبد الطاغوت**) الوارد في الآية (٦٠) من المائدة ، حيث قال :

وقرئ (**وعَبَدُوا**) ، (**وعَبْدَ**) بسكون الباء مخففاً من مفتوحها ، ونصب الطاغوت ، وبضم الباء ، ورفع الطاغوت ، كشَرُفَ الرجل ، أي صار له أن عُبِد ، (**وعُبِـد الـطاغـوت**) (**وعُبدَت**) بالبناء للمفعول فيهما ، وقرئ (**ومن عبد**) ، (**وعباد**) بكسر العين مخففاً ، وبضمها مشدداً ، جمع عابد ، (**وعبد**) بضمتين جمع عبد ، كرَهْن ورُهُن (**وَعُبَّد**) بالضم وتشديد الباء المفتوحة ، جمع عابد ، (**وعبيـد**) ، (**وأعبُـدُ**) ، (**وعبَدَ الطاغوت**) بالإضافة وفتح العين والباء ، أي وعَبَدة ، (**وعبدت الطاغوت**) ، و(**عابدي**) ، (**وعابد**) (**وعبد**) بوزن كلب ، وبوزن يقظ بضم القاف ، (**وعابد الشيطان**) بدل (**الطاغوت**) .

(٢) ما أورده من قراءات في لفظة (درست) الواردة في قوله تعالى (**وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون**) [الأنعام/١٠٥]. حيث قال أنه قد ورد : (**درست**) أي قرأت ونـاظرت غيرك حتى أخذتها عنه . وفي قراءة (**درست**) ماض مبني للفاعل ، بتاء الخطاب ، أي في الكتب القديمة حتى أتيت بها . وفي قراءة (**درست**) بتاء التأنيث ، أي الآيات ، أي تردّدت على أسماعنا حتى بليت ، وقدمت في نفوسنا ، وانمحت وقرئ (**درست**) بالتشديد ، والخطاب . و (**درست**) كذلك مبنياً للمفعول ، و (**درست**) بالبناء للمفعول من دارست ، و(**درست**) بتاء التأنيث ، أي دارستك الجماعة ، وجاز الإضمار ، لأن الشهـرة بالـدراسة ، كانت لليهود عندهم . و(**درست**) **بضم الراء وتاء التـأنيث** ، و (**درست**) بالبناء للمفعول ، وتاء التأنيث و(**درس**) أي محمد ،



و(درسن) بنـون الإنـاث ، أي الآيات ، و(درّس) بتشـديد الـراء كذلـك و(دارسات) أي هي قديمات ، فهذه ثلاث عشرة قراءة .

خامساً : الاستشـهاد بآيـات القـرآن :

إن خير ما يفسرّ به القرآن القرآن نفسه ، ولذلك لم يغفل المؤلف الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم لتوضيح بعض المعاني ، كما فعل ذلك مع الآية : (. . .**وليس الذكر كالأنثى**) (آل عمران/٣٦) حيث قال « . . . وإدخال الكاف على الأدني لأنه في معرض السلب ، والقاعدة دخولها على الأعلى في المدح ، وعلى الأدنى في ضده وكذا في السلب ، ومنه (**يا نساء النبيِّ لستن كأحد من النساء/٢٢**) (الأحزاب/٣٢) أي في النزول ، (**أم نجعل المتقين كالفجار**) [سورة ص/٢٨] أي في سوء الحال .

هذا ، ومما يندرج تحت ما قلناه ، ما قاله المؤلف عند الآية : (. . .**إن هي إلا فتنتك**) (**الأعراف/ ١٥٥**) .

حيث ذكر قول ابن عباس ، وهو أن المعنى « عذابك تصيب به من تشاء ، وتصرفه عمن تشاء » ثم قال السيوطي: « وإطلاق الفتنة بمعنى العذاب مشهور ، ومنه (يوم هم على النار يفتنون) (الذاريات/١٣) أي يعذبون » .

سادساً : الاستشـهاد بالأحاديـث :

إن المؤلف -رحمـه الله- كان يستشهـد على ما يذكـره أحياناً ببعض الأحاديث والآثار ، لكنه لم يكثر في ذلك .

(١) عند قوله تعالى : (**الذين إذا أصابتهم مصيبة ، قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون**) [البقـرة/١٥٦] قال : « المصيبـة هنا هي كل ما آذى المؤمن ، حتى انقطاع شسع النعل وانطفاء المصباح ، كما ورد في الحديث » .

وهـو يقصـد هنـا ، ما أخرجـه ابن أبي الـدنيا والـديلمي عن أنس أن النبي - ﷺ - رأى رجلاً اتخذ قبالاً من حديد ، فقال : (أما أنت فقد أطلت الأمل ، إن أحدكم إذا انقطع شسعه ، فقال : (إنا لله وإنا إليه راجعون) كان



عليه من ربه الصلاة والهدى والرحمة وذلك خير له من الدنيا) .

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي الدنيا عن عكرمة قال : « طفئ سراج النبي - ﷺ - فقال : (إنا لله وإنا إليه راجعون) فقيل : يا رسول الله ، أمصيبة هي ؟ قال : (نعم ، وكل ما يؤذي المؤمن ، فهو مصيبة له وأجر) - الدر المنثور (١/١٥٧) .

(٢) عند قوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى. . .) [المائدة/٢] .

قال : « قيل : البر ، والتقوى بمعنى واحد ، وكرر تأكيداً . وردّه ابن عطية بأن البر يتناول الواجب والمندوب ، والتقوى تختص بالواجب . وقال ابن عباس : البر : ما أمرت به ، والتقوى ما نهيت عنه » .

ثم قال السيوطي : « وقد ورد في الحديث : (البر ما اطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في صدرك) ، فقابل البر بالإثم ، والعدوان : تجاوز الحد المشروع ، فهو مقابل للتقوى » .

سابعاً : الاستشهاد بالشعر :

إن المؤلف -رحمه الله- لم يكن خافياً عليه دور الشعر في تفسير القرآن الكريم ، وفي توضيح بعض المعاني ، فالشعر ديوان العرب .

ولذلك ذكر المؤلف من قبل نفسه وعن طريق الآخرين بعض الشواهد الشعرية ، وإليك بعضا من ذلك :

(١) ذكر أن في قوله تعالى : (. . وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء ، فلم تجدوا ماءً ، فتيمموا صعيداً طيباً. . .) [المائدة/٦].

ذكر أن هنا مزاوجة على حد قول الشاعر :

إذا ما نهى الناهي ، فلج بي الهوى أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر

فقوله : (فلم تجدوا) مزاوجة الشرط ، (فامسحوا) مزاوجة الجواب .

(٢) عند قوله تعالى : (وهو القاهر فوق عبادة) [الأنعام/١٨] .
ذكر قول أبي حيان : « العرب تستعمل فوق إشارة إلى علو المنزلة وشفوفها على غيرها من الرتب ، استعارة من فوقية المكان ، وفيه (يد الله فوق أيديهم) [الفتح/١٠] ، (وفوق كل ذي علم عليم) [يوسف/٧٦] .
ثم قال أبو حيان : « وقال النابغة :
بلغنا السماء جدّنا وجدودنا   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
يريد علو المرتبة والمنزلة » .

ثامناً : تعرضه لمسائل عقيدية :

إن السيوطي -رحمه الله- في كتابه هذا ، يُظهر للقارئ موقفه من عقيدة أهل السنة ، وبالرغم من أن ما أورده يعتبر قليلاً بالنسبة إلى حجم كتابه إلا أننا من خلال هذا القليل ، نستطيع أن نستشف منحاه في العقيدة .

فهو مثلاً يرد على المعتزلة القائلين بأفضلية المَلَكِ على النبي - مستدلين بما في الآية : . . (. . . **ولا أقول لكم إني ملك**) [الأنعام/٥٠] .

فرد عليهم قائلاً : « وهو غلط منهم ، لأن الآية نزلت جواباً للأقوال التي صدرت من كفار مكة ، فالجملة الأولى جواب قولهم (**لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً**) ، وحتى تزيل جبال مكة ، وتوسعها في أشياء من ذلك ، والثانية جواب طلبهم أن يخبرهم بالمغيبات ، ولهذا أمره أن يقول لهم : (**ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير**) الآية . والثالثة جواب قولهم : (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق) ، وقولهم : لا همة له إلا النكاح ، فنزلت هذه مع قوله : (**ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ، وجعلنا لهم أزواجاً وذرية**) فخبره بأن هذا شأن البشر ، وإنما ينتفي الأكل والنكاح عن المَلَكِ ، وهو لم يدّع أنه ملك حتى يوردوا عليه ذلك نقصاً ، فأي دلالة في الآية على التفضيل .

هذا وقد ردَّ على المعتزلة أيضاً عند الاستثناء : (. . **إلا أن يشاء الله ربنا** . .)



من الآية : (**قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء ربنا . .**) [الأعراف/٨٩] .

إذ ذكر المؤلف هنا قول ابن عطية : « قيل هو استثناء أُريد به الاستبعاد كقوله : (**حتى يلج الجمل في سم الخياط**) [الأعراف/٤٠] » .

وقولهم : « لا أفعل ذلك حتى يشيب الغراب وقد علم استحالة ذلك ، فهو إحالة على مستحيل » .

قال : « وهذا تأويل للمعتزلة القائلين إن الكفر بغير المشيئة ، فحكاه المفسرون ولم يشعروا بما فيه » .

ثم قال السيوطي :

« وأهل السنة قالوا : هو استثناء تسليم وتأديب » .

ولكن الشيخ -رحمه الله- في بعض المواضع من كتابه خالف السلف من أهل السنة ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي :-

- في قوله تعالى :

(١) (**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام . . .**) [البقرة/٢١٠] .

قال : « (**يأتيهم الله**) أي : أمره وبأسه وعذابه ، بدليل : (**أو يأتي أمر ربك**) [النحل/٢٣] ، (**فجاءها بأسنا**) [الأعراف/٤] » .

- هذا ما قاله المؤلف ، ولكن السلف يؤمنون بما ورد في هذه الآية ، من غير تأويل ولا تحريف ، ولا تعطيل ولا تمثيل .

(٢) تفسيره لليد الواردة في بعض الآيات ، مثل (. . **بيدك الخير**) [آل عمران/٢٦] فلقد ذكر أن هنا مجازاً ، حيث استعيرت اليد للقدرة .

قلت : هذا هو رأي الخلف ، وأما السلف ، فإنهم يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه ، فلا يؤولون ، ولا يحرفون ، ولا يعطلون ، ولا يمثلون .



المبحث الثالث
المقارنة بين كتابي المؤلف
« قطف الأزهار » و « معترك الأقران »

أولاً : كتـاب « قطــف الأزهــار » :

إن السيوطي في كتابه « قطف الأزهار » يذكر فيه جميع ما وصل إلى علمه من كلام العلماء في النظم القرآني :

من أسرار التقديم والتأخير ، والتأكيد ، والحذف ، والإيجاز ، والإطناب . والنكت البيانية : من التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتعريض .

والأنواع البديعية : من الالتفات ، والتورية ، والاستخدام ، والجناس ، والمشاكلة ، والطباق ، والمقابلة ، إلى غير ذلك من أنواعه .

وبيَّن في كتابه هذا سر ما اختلفت فيه الآيات المتشابهة من تقديم أو تأخير أو زيادة ، أو نقص ، أو إبدال كلمة بأخرى .

كما وضّح الفروق بين الكلمات التي يظُن ترادفها ، ولم وقع في هذا الموضع كذا وفي هذا الموضع رديفه ، ولم ختمت هذه الآية بـ(**يؤمنون**) ، وهذه بـ(**يعلمون**) ، وهذه بـ(**يعقلون**) ، وهذه بـ(**يذكرون**) ، إلى غير ذلك .

وإن السيوطي في هذا الكتاب نبَّه على القراءات المختلفة ، المشهورة والشاذة كما بيَّن فيه مناسبة ترتيب السور ، والخفي من مناسبات الآيات . . .

هذا ، وقد ذكر المؤلف تلك النكت والأسرار في السور مرتبة على حسب ترتيب المصحف ، ومن خلال آيات كل سورة ، آية آية تقريباً .



وإن المؤلف يغلب عليه في كتابه هذا طابع النقل عن الآخرين ، حتى يكاد يكون كله عبارة عن مجرد نقولات ، ومن النادر جداً أن تعثر على كلام له نفسه ، بخلاف كتابه « معترك الأقران » .

ثانياً : كتاب : معترك الأقران في إعجاز القرآن

هذا الكتاب يبحث في وجوه إعجاز القرآن ، وهو من الكتب التي تحيط بهذا الموضوع ، وتجمع كل ما قيل فيه .

والمؤلف يجعل - في كتابه هذا - للإعجاز وجوهاً فيعددها حتى يصل إلى الوجه الخامس والثلاثين ، ثم يختم بأقوال كلية وفوائد .

وعندما يبدأ الحديث في كل وجه يذكر من ألّف فيه ، وأسماء الكتب التي بحثت موضوعه ، فهو بذلك يقدم لكل وجه بمراجعه ، ويقوّم هذه المراجع فيصفها ، ويذكر رأيه فيها .

والسيوطي يذكر أنه إذا كانت بعض الأوجه ، لا تُعدّ من إعجاز القرآن ، فإنه إنما ذكرها للاطلاع على بعض معانيه ، لكي تبتهج النفس[١] .

وهو حين يصل إلى الوجه الخامس والثلاثين - وهو ألفاظه المشتركة - فإنه يحتفل بهذا الوجه احتفالاً كبيراً ، ويقول :

« وهذا الوجه من أعظم إعجازه ، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً ، وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر » .

وهذا الوجه الخامس والثلاثون في مشترك القرآن ، قد جمع فيه ألفاظاً من القرآن ، ورتبها على حسب حروف الهجاء ، وفسّرها ، ورجع في ذلك إلى كل كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها .

---

(١) معترك الأقران (١٢) .



وهو لم يقتصر فيه على تفسير المفردات لغوياً ، بل فسّر الآيات التي وردت فيها هذه الألفاظ تفسيراً يوضحها .

وإن أهم ما يلاحظه القارئ لكتابي السيوطي ، أن شخصيته في «معترك الأقران» تبدو واضحة أكثر، حيث يكثر كلامه على نقولاته ، وإذا ما نقل عن أحد ، فإنه في العادة لا ينقل نص كلامه ، وإنما يكتفي بالإشارة إلى ذلك بذكر القائل كما في الجزء الأول ص٣٦٠ ، حيث قال : « . . . وهو الذي أشار إليه الزمخشري ، ورجحه ابن عبد السلام ، وجزم به الزملكاوي في أسرار التنزيل » .

هذا على عكس ما فعله في كتابه « قطف الأزهار » كما ذكرنا سابقاً .

ومما يلاحظ أيضاً على المؤلف في « معترك الأقران » أنه يذكر قضايا بلاغية ويستشهد عليها بالآيات ، وأحياناً بالأشعار .

وأما كتاب « قطف الأزهار » فهو يذكر السورة ، آية آية ، ويذكر ما فيها من نواح لغوية وبلاغية ، وقراءات ، كما يذكر ما فيها من أحكام أحياناً .



المبحث الرابع
وصف نسخ المخطوط

لقد اعتمدت عند تحقيقي لهذا الكتاب على نسختين مخطوطتين :

إحداهما :بمكتبة كوبرلي بتركيا ، وعدد أوراقها (٢٠٦) ورقة ومقاسها ١٧/٩سم ، وعدد أسطرها (٣١) سطراً .

والأخرى :بمكتبة « شهيد علي باشا » بتركيا أيضاً ، وعدد أوراقها (٢٣٧) ورقة وعدد أسطرها (٢٧) سطراً .

وقد وصل السيوطي -رحمه الله- في كتابه هذا إلى قوله تعالى في سورة التوبة (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم. . .) [التوبة/٩٢] .

ووقف عند ذلك ، ومن هنا قال تلميذه محمد بن محمد السنهوري - الذي انتهى من كتابة النسخة الثانية عام ٩١٧هـ : « هذا آخر ما انتهى إليه شيخنا حافظ العصر المجتهد ، جلال الدين أبوالفضل عبدالرحمن السيوطي. . . » .

ثم كتب بجوار ذلك : « وكتب بخطه - أي السيوطي - عقب سورة الأنفال -وهو الجزء الأول من أصله- ما نصه : «آخر الجزء الأول من أسرار التنزيل لكاتبه. . . » .

وهذا يدل على أن التلميذ قد ضمَّ التوبة إلى ما قبلها في جزء واحد ؛

[وقد اعتمدت عند التحقيق على هاتين النسختين ، جاعلاً الأولى هي الأساس لأنها أوضح ، ورمزت لها بالرمز (أ) وأما الثانية فرمزت لها بالرمز (ب) .]



قســـم التحقيــق



سبحانك ، وبحمدك أنزلت كتاباً عجباً عُجاباً ، ملأته حكمة وصواباً ، وأوسعته علوماً وآداباً ، ونوَّعته بلاغة وخطاباً ، وعجَّزت به الفصحاء اللّد ، فما أحاروا لديه جواباً . وحفظته وحفِظتَ به فلا تمس النار وعاءه لو كان إهاباً ، ووعدت من تدبَّره ووضعه مواضعه أن تجزل له ثواباً ، وبعثت به نبياً سرياً أُمِّيا عربيا بالسيادة حريا ، وبالكلام حفِيا ، وعن المكاره عريا ، فهديت به ضُلّالا ، وأسعدت به شقِيا ، وأرشدت به من كان في الضلالة غوِيا ، ونوَّرت به حالِك الظلماء ، وبصَّرت به بعد العمى ، وفرَّجت به بعد الغماية ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه .

ما هاج قيظ وأمج	وضاء صبح وبلج
وفاح طيب وأرج	وقام داع إلى الله ببينات وحجج[1]

وبعد ، فإن الله سبحانه ، وله الحمد قد مَنَّ عليّ بالنظر في علوم القرآن وحقائقه ، وتتبع أسراره ودقائقه ، حتى صنفت في تعليقاته كتباً شتى ، منها التفسير الملقب « ترجمان القرآن » وهو الوارد بالإسناد المتصل عن رسول الله -ﷺ- وأصحابه الذين شاهدوه وتلقوا منه الوحي والتنزيل وسمعوا منه التفسير والتأويل ، وقد تمَّ -ولله الحمد- في خمس مجلدات ، وهو مستوعب لغالب آيات القرآن من غير أن أذكر فيه شيئاً عن التابعين ، ولا من بعدهم .

وهذا لعمري هو التفسير ، فإن الكلام في معاني القرآن ممن لم ينزل عليه ولا سمع من المنزل إليه ، إنما هو رأي محض ، فإن كان موافقاً للقواعد فهو التأويل ، وإن خرج عنها ، واخطأ المراد ، فتحريف وتبديل .

---

(١) يستقيم الوزن إذا قلنا : وقام داع بالحجج ، لأن البيت على وضعه المذكور فيه كسر ، وهو زيادة « إلى الله ببينات وحجج » .



قال - ﷺ - : (من قال في القرآن من غير علم ، فليتبوأ مقعده من النار)[1] . وقال : (من تكلم في القرآن برأيه ، فأصاب فقد أخطأ)[2] أخرجه أبو داود[3] . أي برأيه من غير إسناد إلى دليل ولا برهان .

وقال : (إن في أمتي قوماً يقرؤون القرآن ، ينثرونه نثر الدَّقل يتأولونه على غير تأويله) أخرجه أبو يعلى[4]،[5] .

وقال تعالى : ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا ، لا يخفون علينا﴾[6] .

---

(١) أخرجه الترمذي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ولكن بلفظ (بغير) بدلاً من (من غير) ، ثم قال : « هذا حديث حسن صحيح » .
- سنن الترمذي (٥/١٩٩) ، كتاب : تفسير القرآن ،
باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيــه .
وكذلك أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/٣٤١) -بنفس لفظ الترمذي- تحقيق : شاكر . وحكم عليه المحقق بالضعف .

(٢) أخرجه أبو داود ولكن بلفظ : (من قال في كتاب الله -عز وجل- . . .) الحديث - سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب الكلام في كتاب الله بغير علم (٤/٦٣ - ٦٤) . وأخرجه الترمذي أيضاً باللفظ الذي أورده المؤلف (السيوطي) مع إبدال (من تكلم) بـ(من قال) .
- سنن الترمذي (٥ / ٢٠٠) ، حديث رقم (٢٩٥٢) ،
باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، كتاب : تفسير القرآن .
وقال الترمذي : هذا حديث غريب .

(٣) هو أبو داود ، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، إمام أهل الحديث في زمانه ، رحل رحلة طويلة ، له كتاب « السنن » أحد الكتب الستة جمع فيه (٤٨٠٠) حديثاً انتخبها من خمسمائة ألف حديث . وله أيضاً كتاب « المراسيل » وغير ذلك من الكتب . توفي في البصرة سنة ٢٧٥هـ .
- تذكرة الحفاظ (٢/١٥٢) ، وتهذيب ابن عساكر (٦/٢٤٤) وطبقات الحنابلة (١١٨) .

(٤) هو أبو يعلي : أحمد بن علي التميمي الموصلي ، حافظ ، من علماء الحديث نعته الذهبي بمحدث الموصل ، عمّر طويلاً حتى ناهز المائة ، من كتبه « المعجم » في الحديث و « مسندان » كبير وصغير .
توفي سنة ٣٠٧هـ .
- الرسالة المستطرفة (٥٣) ، ودول الإسلام (١/١٤٦) ، والأعلام (١/١٦٤) .

(٥) الدر المنثور (٢/٥) .

(٦) فصلت (٤٠) .



قال ابن عباس[1] : هو أن يُوضَع الكلام على غير موضعه[2] . وكفى بذلك وعيداً وتهديداً .

فإذن الواجب الاقتصار في التفسير على ما ورد عن النبي -ﷺ- وأصحابه ، فإن في ذلك كفاية ومقنعاً .

ومن زعم أنه يأتي بأحسن مما أتوا ، فإنه متهم في دينه ، مخدوع في عقله ، نعم يبقى النظر في الترجيح إذا اختلفت الرواية عن الصحابة ، وذلك غير ممتنع عن المتأهل لذلك ، أما إحداث قول زائد على ما ورد عنهم فلا ، ولا كرامة .

ولما كان هذا التفسير المشار إليه نقلاً محضا ، ليس فيه إعراب ، ولا سر بياني ، ولا نكتـه بديعيه ، ولا استنباط حكم ، إلا نادراً ، أردفته بكتب في ذلك لتكون كالتتمة له ، ويحصل بها تمام ما يراد من كتب التفسير ، فأجل ما وضعت من ذلك : كتاب الإتقان في علوم القرآن ، وهو كالمقدمة لمن يريد التفسير ، وأكثره قواعد كلية . وفيه من الفوائد ما لم يجتمع في غيره

وهـو يشتمل على ثمانين نوعـاً :

النوع الأول : معرفة المكي والمدني . الثاني : معرفة الحضري والسفري .

الثالث : النهاري والليلي . الرابع : الصيفي والشتائي .

الخامس : الفراشي والنومي . السادس : الأرضـي والسمائي .

السابع : أول ما نـــزل . الثامن : آخـر ما نزل .

التاسع : أسـباب النـزول . العاشر : ما نزل على لسان بعض الصحابة.

---

(١) عو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، ولد بمكة ، ونشأ في بدء عصر النبوة ، وكف بصره في آخر عمره ، ويعرف بحبر الأمة ، وترجمان القرآن ، كان آية في الحفظ ، حتى أنه كان إذا سمع النوادب ، سد أذنيه بأصابعه مخافة أن يحفظ أقوالهن .

توفي : سنة ٦٨هـ .

- الإصابة ت (٤٧٧٢) ، وصفة الصفوة (١ / ٣١٤) ، وحلية الأولياء (١ / ٣١٤) ، تاريخ الخميس (١ / ١٦٧) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٥ / ٣٦٦) .

الحادي عشر : ما تكرر نزولـه .

الثاني عشر : ما تأخر حكمه عن نزوله ، وما تأخر نزوله عن حكمه .

الثالث عشر : معرفة ما نزل مفرقا ، وما نزل جمعـا .

الرابع عشر : ما نزل مشيعا ، وما نزل مفردا .

الخامس عشر : ما أنزل منه على بعض الأنبياء ، وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ .

السادس عشر : في كيفية إنزاله .

السابع عشر : في معرفة أسمائه وأسماء سـوره .

الثامن عشر : في جمعه وترتيبه .

التاسع عشر : في عدد سوره ، وآياته ، وكلماته ، وحروفه .

العشـرون : في حفاظـه ورواتـه .

الحادي والعشرون : في العالي والنازل(1) .

الثاني والعشرون : معرفـة المتواتر .

الثالث والعشرون : في المشهور .

الرابع والعشرون : في الآحـــاد .

الخامس والعشرون : في الشـــاذ .

السادس والعشرون : الموضــــوع .

السابع والعشرون : المـــدرَج(2) .

الثامن والعشرون : في معرفة الوقف والابتداء .

التاسع والعشرون : في بيان الموصول لفظاً ، المفصول معنى .

الـثـلاثـــــون : في الإمالة والفتح وما بينهما .

الحادي والثلاثون : في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب .

---

(1) أي من الأسانيد ، انظر الإتقان (١ - ٢٠٧) .

(2) يعني المؤلف ، رحمه الله ، بهذه الأنواع السابقة الذكر ما يتعلق منها بالقراءات . انظر : الإتقان (١ / ٢١٠ - ٢٩٩) .

الثاني والثلاثون : في المــد والقصــر .
الثالث والثلاثون : في تخفيف الهمــز .
الرابع والثلاثون : في كيفية تحمله .
الخامس والثلاثون : في آداب تلاوته .
السادس والثلاثون : في معرفة غريبه .
السابع والثلاثون : فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز .
الثامن والثلاثون : فيما وقع فيه بغير لغة العرب .
التاسع والثلاثون : في معرفة الوجوه والنظائر .
الأربعــــون : في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر .
الحادي والأربعون : في معرفة إعرابه .
الثاني والأربعون : في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها .
الثالث والأربعون : في المحكَم والمتشابه .
الرابع والأربعون : في مقدَّمه ومؤخره .
الخامس والأربعون : في عامه وخاصه .
السادس والأربعون : في مجمله ومبينه .
السابع والأربعون : في ناسخه ومنسوخه .
الثامن والأربعون : في مشكله ، وموهم الاختلاف والتناقض .
التاسع والأربعون : في مطلقه ومقيده .
الخمســـون : في منطوقه ومفهومه .
الحادي والخمسون : في وجوه مخاطباته .
الثاني والخمسون : في حقيقته ومجازه .
الثالث والخمسون : في تشبيهه واستعاراته .
الرابع والخمسون : في كناياته وتعريضه .
الخامس والخمسون : في الحصر والاختصاص .

السادس والخمسون : في الإيجاز والاطناب .

السابع والخمسون : في الخبر والإنشاء .

الثامن والخمسون : في بدائع القرآن .

التاسع والخمسون : في فواصل الآي .

الستون : في فواتح السور .

الحادي والستون : في خواتم السور .

الثاني والستون : في مناسبة الآيات والسور .

الثالث والستون : في الآيات المشتبهات .

الرابع والستون : في إعجاز القرآن .

الخامس والستون : في العلوم المستنبطة من القرآن .

السادس والستون : في أمثاله .

السابع والستون : في أقسامه .

الثامن والستون : في جدله .

التاسع والستون : في الأسماء والكنى والألقاب .

السبعون : في مبهماته .

الحادي والسبعون : في أسماء من نزل فيهم القرآن .

الثاني والسبعون : في فضائل القرآن .

الثالث والسبعون : في أفضل القرآن وفاضله .

الرابع والسبعون : في مفردات القرآن .

الخامس والسبعون : في خواصه .

السادس والسبعون : في مرسوم الخط ، وآداب كتابته .

السابع والسبعون : في معرفة تأويله ، وتفسيره ، وبيان شرفه ، والحاجة إليه .

الثامن والسبعون : في شروط المفسر وآدابه .

التاسع والسبعون : في غرائب التفسير .

الثمانون : في طبقات المفسرين[1] .

وقد تم هذا الكتاب -ولله الحمد- وفيه من النفائس المهمة ما لا يستغني عنه الناظر في القرآن .

ثم وضعت في الأحكام كتاب الإكليل في استنباط التنزيل ، وهو مجلَّد لطيف يشتمل على جميع ما ذكره المصنفون في أحكام القرآن مع زوائد جمَّة ، ونفائس مهمة ، ثم أفردت كتاباً في أسباب النزول ، سميته لباب النقول . بالغت في إيجازه وتحريره ، بحيث فاق الكتب المؤلفة في نوعه ، ثم أفردت كتاباً وجيزاً في المبهمات ، لم يؤلف في نوعه أجمع ، ولا أوجز ، ولا أفيد منه ، ثم أفردت كراسة في ما وقع من الألفاظ المعربة ، تتبعت فيها واستوعبت . ثم كراسة سميتها « معترك الأقران في مشترك القرآن » ، فائقة في معناها . ثم مختصراً يسمى « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » وهذا لم يتم بعد . ثم كتاباً يسمى « خمائل الزهر في فضائل السور » وهذا ، وأسباب النزول كلاهما تضمنه التفسير الأول ، وإنما أفردتهما لنُكَتٍ تُعرف من خطبتهما .

وهذا كتاب شفعت به تلك ، ونظمته معها في سلك ، في أسرار التنزيل أذكر فيه جمع ما وصل إلى علمي من كلام العلماء في النظم القرآني : من أسرار التقديم والتأخير ، والتأكيد ، والحذف والايجاز ، والاطناب ، والنكت البيانية : من التشبيه ، والاستعارة[2] ، والكناية[3] ، والتعريض[4] . والأنواع البديعية : من

---

(١) الإتقان (١ / ١٤ - ١٧) .

(٢) وهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه ، والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي .
- جواهر البلاغة ، للهاشمي (٣٠٣) .

(٣) الكناية : هي لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته . - جواهر البلاغة (٣٤٦) .

(٤) التعريض : هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي . - المثل السائر (١٩٨/٢) ، والجامع الكبير ١٥٧ .



الالتفات[1] ، والتورية[2] ، والاستخدام[3] ، والجناس[4] ، والمشاكلة[5] ، والطباق[6] ، والمقابلة[7] ، إلى غير ذلك من أنواعه ، وسر ما اختلفت فيه الآيات المتشابهة من تقديم أو تأخير ، أو زيادة ، أو نقص ، أو إبدال كلمة بأخرى .

---

(١) الالتفات : هو نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى ، كالانتقال من الغيبة إلى الحضور ، وبالعكس ، والانتقال من الماضي إلى المضارع ، ومن الماضي إلى المستقبل ، وبالعكس .
- انظر : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، لابن القيم (٩٨) ، ومختصر المعاني ، لسعد التفتازاني (١٢٠) .

(٢) التورية : هي أن يطلق لفظ له معنيان : أحدهما : قريب غير مراد ، والآخر بعيد هو المراد ، ويدل عليه بقرينة يغلب أن تكون خفية ، لا يدركها إلا الفطن . كقوله تعالى : (وهو الذي يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم بالنهار) (الأنعام : ٦٠). أراد بقوله (جرحتم) معناه البعيد ، وهو ارتكاب الذنوب .
- انظر جواهر البلاغة (٣٦٢) .

(٣) الاستخدام : هو أن يؤتى بلفظ له معنيان ، فيراد به أحدهما ، ثم يراد بضميره المعنى الآخر . كقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (البقرة : ١٨٥) أريد أولاً بالشهر الهلال ، ثم أعيد عليه الضمير أخيراً بمعنى أيام رمضان
- جواهر البلاغة (٣٦٤) .

(٤) الجناس : هو تشابه لفظين في النطق ، واختلافهما في المعنى ، مثل : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) (الروم : ٥٥)
- جواهر البلاغة (٣٩٦) .

(٥) المشاكلة : هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، كقوله تعالى : (تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك) (المائدة : ١١٦) المراد ولا أعلم ما عندك ، وعبّر بالنفس للمشاكلة .
- جواهر البلاغة (٣٧٥) .

(٦) الطباق : وهو أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين يتنافى وجود معناهما معاً في شيء واحد ، في وقت واحد ، بحيث يجمع المتكلم في الكلام بين معنيين متقابلين .
مثل قوله تعالى : (وأنه هو أضحك وأبكى) (النجم : ٤٣) .
- جواهر البلاغة (٣٦٦) .

(٧) المقابلة : هى أن يؤتى بمعنيين متوافقين ، أو معان متوافقة ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب .
كقوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى) (الليل : ٥ - ١٠) .
- جواهر البلاغة (٣٦٧) .



وما بين الكلمات التي يظن ترادفها من فرق . ولم وقع في هذا الموضع كذا وفي هذا الموضع رديفه ، ولم خُتمت هذه الآية بـ(**يؤمنون**)[1] ، وهذه بـ(**يعلمون**)[2] وهذه بـ(**يعقلون**)[3] ، وهذه بـ(**يذكرون**)[4] ، إلى غير ذلك .

وأُنبِّـه على القـراءات المختلفـة المشهورة[5] ، والشاذة[6] ، إذا كان لكل قراءة معنى . فإن من وجـوه إعجاز القرآن وإيجازه تنوع قراءاته ، ودلالة كل قراءة على معنى ، فإن ذلك بمنزلة تعدد الآيات . وهذا نوع عظيم من البلاغة ، أن يكون اللفظ الواحد بجوهره يقرأ على وجهين ، فيفيد بهذا الاعتبار معنيين[7] .

---

(١) مثل ما في البقرة : ٣ ، والأنعام : ١٢ ، ويونس : ١٣٣ ، والروم : ٣٧ .

(٢) مثل : البقرة : ١٣ ، آل عمران : ٧٥ ، والعنكبوت : ٤١ ، يس : ٢٦ .

(٣) كما في : البقرة ١٦٤ ، المائدة : ٥٨ ، الأنفال : ٢٢ .

(٤) (يَذَّكرون) مثل ما في : الأنعام : ١٢٦ ، الأعراف : ١٢٦ ، الأنفال : ١٣٠ ، ١٥٧ .

(٥) القراءة المشهورة ، هي ما صح سندها ، بأن رواها عدل ضابط عن مثله وهكذا ، ووافق العربية ، ووافق أحد المصاحف العثمانية ، سواء أكان عن الأئمة السبعة ، أم العشرة ، أم غيرهم من الأئمة المقبولين ، واشتهرت عند القراءة فلم يعدوها من الغلط ، ولا من الشذوذ ، إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر .
- انظر مناهل العرفان (١ / ٤٢٣) .

(٦) القراءة الشاذة هي ما لم يصح سندها ، كقراءة ابن السميفع : (فاليوم ننحيك ببدنك) بالحاء المهملة (لتكون لمن خلفك آية) (يونس : ٩٢) بفتح اللام من كلمة (خلفك) .
- المرجع السـابق .

(٧) وذلك مثل قراءة (يطهرن) في قوله تعالى : (. . ولا تقربوهن حتى يطهرن) الآية ٢٢/البقرة .
فقد قرأها حمزة والكسائي وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء ، وفتحهما ، وقرأ الباقون بتخفيفهما ، مع ضم الهاء .
- حجة القراءات (١٣٤) .
وعلى ذلك ترتب اختلاف العلماء ، فقراءة التشديد استدل بها الأكثرية على أنه لا يحل قربان المرأة إلا بعد انقطاع الدم ، ثم الاغتسال ، أو التيمم إن تعذر ذلك بشرطه .
وقراءة التخفيف استدل بها أبو حنيفة على أن المرأة تحل بمجرد الانقطاع ، ولا تفتقر إلى غسل ، ولكن ذلك فيما إذا انقطع دمها لأكثر الحيض ، وهو عشرة أيام عنده .
ويبدو أن الراجح هو قول الأكثرية ، وخاصة أنه قد جاء بعد ذلك (فإذا تطهرن) فهو يفهم منه التطهر بالماء .
- انظر : أحكام القرآن ، للجصاص (١/٣٤٨ - ٣٥١) وأحكام القرآن ، لابن العربي (١/١٦٥ - ١٧١) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (١/٢٦٠) ، وزاد المسير (١/٢٤٨ - ٢٤٩) .



وأُبيِّن مناسبة ترتيب السور ، والخفِي من مناسبات الآيات إلى غير ذلك مما تراه من النُّكَت والأسرار .

فإذا تمَّ هذا الكتاب ، وانضم إلى تلك الكتب ، استغنى بها محصولها عن جميع التفاسير ، ومع ذلكِ فلا أدَّعِي الاستيعاب ، **﴿وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾**[١] ، ولا الإصابة في جميع ما أُورده ، فإن من رام ذلك ، لم يجد إليه سبيلا ، كيف والإنسان محل الغفلة والنسيان ، ومعدن كلال الأذهان ، غير أني أبذل جهدي فيما أُورده ، ولا أسطِّر خطأً وأنا متعمدة ، و« إنما الأعمال بالنيات »[٢] ، و **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾**[٣] .

ومَنْ ذا الذي تُرضى سجاياه كلّها ∴ كفى المرءَ نُبْلًا أن تُعَدَّ معايبُه[٤]

وبالجملة فالمؤمل بذلك واسع الكرم ، مفيض النعم ، جدير الاثابة ، حقيق بالاستجابة ، لا يخيب لديه طارق أمل ، ولا يضيع عنده اليسير من العمل .

وقد سمَّيت هذا الكتاب : « قطف الأزهار في كشف الأسرار » وأرجو إن شاء الله تعالى إن تم هذا الكتاب -وكان في الأجل فسحة- أن أضع كتاباً في توافق

---

(١) سورة الإسراء : ٨٥ .

(٢) هذا جزء من حديث رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول :
(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه) .
- اللؤلؤ والمرجان ، حديث رقم (١٢٤٥) .
باب قوله -ﷺ- (إنما الأعمال بالنية) .
- كتاب الإمارة .
وما أورده المؤلف هنا بلفظ الجمع هو ما رواه أبو داود (٢ / ٦٥١) باب (١١) - كتاب : الطلاق .
وابن ماجه (٢ / ١٤١٣) باب (٢٦) - كتاب : الزهد .

(٣) سورة هود : ١١٤ .

(٤) هذا البيت لعلي بن الجهم .
- ديوانه (١١٨) .



السنة والقرآن ، أذكر فيه كل حديث في القرآن معناه ، أو إشارة إليه ، تحقيقاً لقول الشافعي[1] -رضي الله عنه- : « كل ما حكم به النبي - ﷺ - فهو مما فهمه من القرآن »[2] .

حقق الله - تعالى - ذلك بمنه وكرمه .

---

(١) هو أبو عبد الله : محمد بن إدريس الهاشمي القرشي المطلبي ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد في غزة بفلسطين ، وحمل منها إلى مكة ، وهو ابن سنتين ، وقصد مصر سنة ١٩٩ .
كان أحذق قرشي بالرمي ، برع في الشعر ، واللغة ، وأيام العرب ، ثم أقبل على الفقه والحديث ، وأفتى وهو ابن عشرين سنة .
من كتبه : « الأم » في الفقه ، و « أحكام القرآن » ، و « المسند » في الحديث ، و « الرسالة » في أصول الفقه .
توفي سنة ٢٠٤هـ .
- تذكرة الحفاظ (١ / ٣٢٩) .
- وتهذيب التهذيب (٩ / ٢٥) .
- غاية النهاية (٢ / ٩٥) .
- والبداية والنهاية (١٠ / ٢٥١) .
- تاريخ الخميس (٢ / ٣٣٥) .

(٢) لم أعثر على هذا القول فيما اطلعت عليه .



سورة الفاتحة

افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة ، لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن ، ولذلك من أسمائها : أم القرآن ، وأم الكتاب ، والأساس ، فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال .

قال الحسن البصري(١) : « ان الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ثم أودع علوم القرآن الفاتحة ، فمن علم تفسيرها ، كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة ». أخرجه «البيهقي»(٢) في «شعب الإيمان»(٣) .

وبيان اشتمالها على علوم القرآن ، قرره الزمخشري(٤) باشتمالها على الثناء على الله

---

(١) هو أبو سعيد : الحسن بن يسار البصري : تابعي ، شب في كنف علي ابن أبي طالب ، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية ، كان أبوه من أهل ميسان ، مولى لبعض الأنصار ، وكان الحسن عالما ، فقيها ، غاية في الفصاحة ، لا يخاف في الله لومة لائم .
توفي بالبصرة ، سنة ١١٠هـ .
- ميزان الاعتدال (١ / ٢٥٤) ، وحلية الأولياء (٢ / ١٣١) ، وأمالي المرتضي (١ / ١٠٦) .

(٢) هو أبو بكر : أحمد بن الحسين بن علي ، ولد في « خسروجرد » ، من قرى بيهق ، بنيسابور ، كان من أئمة الحديث ، قال عنه إمام الحرمين : « ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي فإن له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه ، وبسط موجزه ، وتأييد آرائه » .
من مصنفاته : « السنن الكبرى » ، و« السنن الصغرى » ، و« الأسماء والصفات » ، و« دلائل النبوة » .
توفي سنة ٤٥٨هـ .
- شذرات الذهب (٣ / ٣٠٤) ، طبقات الشافعية (٣ / ٣) ، معجم البلدان (٢ / ٣٤٦) .

(٣) شعب الإيمان (٥ / ٣٠٨) .

(٤) هو أبو القاسم ، جار الله : محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، من أئمة العلم في التفسير واللغة ، ولد في زمخشر -بخوارزم- وجاور بمكة زمناً ، فلقب بجار الله ، وكان معتزلي المذهب .
من مؤلفاته : الكشاف ، وأساس البلاغة ، والمفصل ، والفائق في غريب الحديث .
توفي سنة ٥٣٨هـ .
- وفيات الأعيان (٢ / ٨١) ، وإرشاد الأريب (٧ / ١٤٧) ولسان الميزان (٦ / ٤) ، والجواهر المضيئة (٢ / ١٦٠) .



-تعالى- بما هو أهله ، وعلى التعبد بالأمر والنهي ، وعلى الوعد والوعيد[1] ، وآيات القرآن لا تخلو عن أحد هذه الأمور .

وقال الامام فخر الدين[2] :

« المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة : الالهيات ، والمعاد ، والنبوات ، واثبات القضاء والقدر لله تعالى .

فقوله : (**الحمد لله رب العالمين/٢**)[3] يدل على الإلهيات ، وقوله : (**ملك يوم الدين/٤**) يدل على المعاد ، وقوله : (**إياك نعبد وإياك نستعين/٥**) يدل على نفي الجبر ، وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره ، وقوله : (**اهدنا الصراط المستقيم/٦**) إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله ، وعلى النبوات[4] .

فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة ، التي هي المقصد الأعظم من القرآن » .

وقال القاضي البيضاوي[5] : « هي مشتملة على الحكم النظرية ، والأحكام

---

(١) انظر : الكشاف (١ / ٢٣) .

(٢) هو أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي : محمد بن عمر التيمي البكري ، قرشي النسب ، أصله من طبرستان ، ومولده في الري ، ويقال له « ابن خطيب الرأي » ، وقد كان إماماً في التفسير .
من مؤلفاته : « مفاتيح الغيب » في التفسير ، و « لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات » و « المحصول في علم الأصول » توفي سنة ٦٠٦هـ .

- وفيات الأعيان (١ / ٤٧٤) ، آداب اللغة (٣ / ٩٤) ، طبقات الشافعية (٥ / ٣٣) ، البداية والنهاية (١٣ / ٥٥) .

(٣) في التفسير الكبير (١ / ١٧٩) بإضافة (الرحمن الرحيم) .

(٤) التفسير الكبير (١ / ١٧٩) .

(٥) هو أبو سعيد ، أو أبو الخير ، ناصر الدين : عبد الله بن عمر الشيرازي ، ولد في المدينة البيضاء -قرب شيراز- ، ولي قضاء شيراز مدة ، وهو علامة مفسر ، له مصنفات عديدة ، منها : « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » ويعرف بتفسير البيضاوي ، « ومنهاج الوصول إلى علم الأصول » و « الغاية القصوى في دراية الفتوى » . توفي سنة ٦٨٥هـ .

- البداية والنهاية (١٣/٣٠٩) ، وبغية الوعاة (٢٨٦) ، طبقات السبكي (٥/٥٩) .



العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم ، والاطلاع على مراتب السعداء ، ومنازل الأشقياء »[1] .

وقال الطيبي[2] : « هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين :

أحدها : علم الأصول ، ومعاقده : معرفة الله ، وصفاته ، وإليه الاشارة بقوله : (لله رب العالمين * الرحمن الرحيم*/ ٢ ، ٣) ، ومعرفة النبوات ، وهي المراد بقوله : (**أنعمت عليهم/٧**) ، ومعرفة المعاد ، وهو المرمي إليه بقوله : (**مالك يوم الدين/٤**) .

وثانيها : علم الفروع : وأسه العبادات ، وهو المراد بقوله : (**إياك نعبد/ ٥**) .

وثالثها : علم ما يحصل به الكمال ، وهو علم الأخلاق ، وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية[3] ، والالتجاء إلى جناب الفردانية ، والسلوك لطريقه ، والاستقامة فيها ، وإليه الاشارة بقوله : (**وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم*/ ٥ ، ٦**) .

ورابعها : علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية ، السعداء منهم والأشقياء ، وما يتصل بها من وعد محسنهم ، ووعيد مسيئهم ، وهو المراد بقوله : (**أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين/٧**) .

---

(١) حاشية الشهاب (١ / ٢١) .

(٢) هو الحسين بن محمد ، شرف الدين الطيبي ، من علماء التفسير والحديث والبيان ، كان متواضعاً ، ضعيف البصر ، وكان شديد الرد على المبتدعة . ومن مؤلفاته : « التبيان في المعاني والبيان » ، و« شرح الكشاف » في أربعة مجلدات ضخمة وتوفي سنة ٧٤٣هـ .
- الدرر الكامنة (٢ / ٦٨) ، والبدر الطالع (١ / ٢٢٩) والأعلام (٢ / ٢٨٠) .

(٣) هذا من التعابير الصوفية - فيما يبدو- .



قال : « وجميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة ، فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القـرآن مفصلاً ، فإنها واقعة في مطلع التنزيل . والبلاغة فيه أن يتضمن ما سيق الكلام لأجله ، ولهذا لا ينبغي أن يقيد شيء من كلماتها ما أمكن الحمل على الاطلاق.» .

وقال الغزالي[1] في كتاب : « جواهر القرآن » : « مقاصد القرآن ستة : ثلاثة مهمة : وثلاثة تتمة :

الأولى : تعريف المدعو إليه ، كما أشار إليه بصدرها .

وتعريف الصراط المستقيم ، وقد صرّح به فيها .

وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى ، وهو الآخرة كما أشار إليه بمالك يوم الدين .

والأخرى : تعريف أحوال المطيعين كما أشار إليه بقوله : (**الذين أنعمت عليهم/٧**) .

وحكاية أحوال الجاحدين ، وقد أُشير إليها بالمغضوب عليهم ، والضالين .

وتعريف منازل الطريق ، كما أشير إليه بقوله : (**إياك نعبد ، وإياك نستعين**)[2] .

---

(١) هو أبـو حامـد : محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، حجة الإسلام ، فيلسوف متصوف ولد في الطابران -بخراسان- ونسبته إلى صناعة الغزل - عند من يقوله بتشديد الزاي - أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من مؤلفاته : « إحياء علوم الدين » ، و« تهافت الفلاسفة » و« البسيط » في الفقه . توفي سنة ٥٠٥هـ .
- وفيات الأعيان (١ / ٤٦٣) ، شذرات الذهب (٤ / ١٠) طبقات الشافعية (٤ / ١٠١) ، تبيين كذب المفتري (٢٩١ / ٣٠٦) .

(٢) جواهر القرآن (٩) بتصـرف .



ولا ينافي هذا وصفها في الحديث بأنها ثلثا القرآن . أخرجه عبد[1] في مسنده[2] لأن بعضهم وجَّه بأن دلالات القرآن الكريم إما أن تكون المطابقة ، أو بالتضمن أو بالالتـزام ، وهذه السورة تدل على جميع مقاصد القرآن بالأخيرين دون المطابقة ، والاثنين من الثلاثة ثلثان .

قال : « وأيضاً الحقوق ثلاثة :

حق الله على عباده ، وحق العباد على الله ، وحق بعض العباد على بعض .

وقد اشتملت الفاتحة صريحاً على الحقين الأولين ، فناسب كونها بصريحها ثلثين .

وحديث : (قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)[3] شاهد لذلك[4] .

---

(١) هو أبو محمد : عبد بن حميد بن نصر الكسي ، نسبة إلى كس (مدينة قرب سمرقند) ، وقد كان من حفاظ الحديث ، من كتبه « مسند » كبير ، و« تفسير » .
توفي سنة ٢٤٩هـ .
– تذكرة الحفاظ (٢ / ١٠٤) ، والرسالة المستطرفة (٥٠) .

(٢) أورده عبد بن حميد عن ابن عباس يرفعه إلى النبي – ﷺ – قال : (فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن) .
المنتخب من مسند عبد بن حميد (٢٢٧) رقم (٦٧٨) .
وذكر السيوطي أن سند هذا الحديث ضعيف .
– الدر المنثور (١ / ٥) ، والجامع الصغير (٢ / ٧٣) .

(٣) هذا جزء من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً : (قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى : حمدني عبدي . وإذا قال : (الرحمن الرحيم) قال الله تعالى : أثنى عليّ عبدي . وإذا قال : (مالك يوم الدين) قال : مجدني عبدي ، وقال مرة : فوّض إليّ عبدي) ، فإذا قال : (إياك نعبد ، وإياك نستعين) قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل . فإذا قال : (اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل » .
– مسلم (١ / ٢٩٦) ، كتاب الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة .
– ورواه أيضاً الترمذي (٥ / ٢٠١) باب : ٢ ، كتاب : تفسير القرآن .

(٤) لم أعثر على هذا النص في كتاب : « جواهر القرآن » للغزالي .



وللفاتحة نَيِّف وعشرون اسماً ، ذكرتها بتوجيهها في النوع السابع عشر من « الإتقان »[1] وذلك يدل على فخامتها ، وعظم شأنها ، لأن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى .

وقد صحت الأحاديث في الفاتحة بأنها أفضل سورة في القرآن . وفي لفظ : أعظم[2] ، وأنه ما أنزل في التوراة ، ولا في الانجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها[3] . وأن إبليس رنّ حين أنزلت[4] ، وأنها نزلت من كنز تحت العرش[5] .

---

(١) الإتقان (١ / ١٥١ - ١٥٥) ، والأسماء التي ذكرها هي :
فاتحة الكتاب ، فاتحة القرآن ، أم الكتاب ، أم القرآن ، القرآن العظيم والسبع المثاني ، الوافية ، الكنز ، الكافية ، الأساس ، النور ، الحمد ، الشكر ، الحمد الأولى ، الحمد القصرى ، الراقية ، الشفاء ، الشافية ، الصلاة ، الدعاء ، السؤال ، تعليم المسألة ، المناجاة ، التفويض .

(٢) روى البخاري عن أبي سعيد بن المعلى مرفوعاً : (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ، ثم أخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ قال : (الحمد لله رب العالمين ، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته) .
- البخاري (٥ / ١٤٦) كتاب : تفسير القرآن ، باب : ما جاء في فاتحة الكتاب .
- ورواه أيضاً النسائي (٢ / ١٣٩) ، كتاب : الافتتاح ، باب (٢٦) .
- والدارمي (١ / ٨٤١) كتاب : فضائل القرآن ، باب (١٢) .
- وأبو داود (٢ / ١٥٠) كتاب : الصلاة ، باب : (٣٥٠) .

هذا ولم أجد لفظ « أفضل » فيما اطلعت عليه من كتب الحديث .

(٣) روى الترمذي عن أبي بن كعب مرفوعاً : (والذي نفسي بيده ، ما أنزلت -يقصد سورة الفاتحة- في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ، وأنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته) .
ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .
- الترمذي (٥ / ١٥٥ - ١٥٦) كتاب فضائل القرآن ، باب (١) ما جاء في فضل فاتحة الكتاب .
- ورواه أيضاً النسائي (٢ / ١٣٩) كتاب : الافتتاح ، باب (٢٦) .
- والدارمي (١ / ٨٤٢) ، كتاب : فضائل القرآن ، باب (١٣) .
- والموطأ (١ / ٨٣) ، كتاب : الصلاة ، باب (٨) .
- وابن حنبل (٢ / ٤١٣) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو سعيد بن الأعرابي في معجمه ، والطبراني في الأوسط من طريق مجاهد ، عن أبي هريرة وذكر الهيثمي أن رجاله رجال الصحيح - الدر المنثور (١ /٣) ومجمع الزوائد (٦ /٣١١) .

(٥) أخرجه اسحاق بن راهويه في مسنده عن علي مرفوعاً قال : (فاتحة الكتاب أنزلت من كنز تحت العرش) .
ذكر ذلك السيوطي في الجامع الصغير ، وضعفه .
- الجامع الصغير (٢ / ٧٣) .



وأنها شفاء من السم[1] ، وفي لفظ مرسل : (من كل داء)[2] ، وأنها رُقية[3] ، وأن كل صلاة لا يُقرأ فيها بها خداج غير تمام[4] .

وذلك كله مما يوضح مناسبة افتتاح القرآن بهـا .

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري ، مرفوعاً بلفظ (فاتحة الكتاب شفاء من السم) .
- الدر المنثور (١/ ٤ - ٥) .
وزاد السيوطي في الجامع الصغير (٢ / ٧٣) نسبته إلى أبي الشيخ في الثواب ، ثم ضعفه .

(٢) أخرجه الدارمي عن عبد الملك بن عمير قال : قال رسول الله -ﷺ- في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء .
- الدارمي (١ / ٨٤١) ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل فاتحة الكتاب وذكره السيوطي في الدر (١ / ٥) ، وزاد نسبته إلى البيهقي في شعب الإيمان ، وبين أن رجال سنده ثقات ، وحكم في الجامع الصغير (٢ / ٧٣) بإرساله ومن ثم ضعفه ، وهو ما جرى عليه الألباني .
- مشكاة المصابيح (١ / ٦٦٧) .

(٣) روى البخاري عن أبي سعيد الخدري -رضى الله عنه- أن ناسا من أصحاب النبي -ﷺ- أتوا على حي من أحياء العرب ، فلم يقروهم ، فبينما هم كذلك ، إذ لدغ سيد أولئك ، فقالوا : هل معكم من دواء أو راق ؟ فقالوا : إنكم لم تقرونا ، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا ، فجعلوا لهم قطيعا من الشاء ، فجعل يقرأ بأم القرآن ، ويجمع بزاقه ويتفل ، فبرأ ، فأتوا بالشاء فقالوا : لا نأخذه حتى نسأل النبي -ﷺ- فسألوه فضحك ، وقال : (وما أدراك أنها رقية ، خذوها ، واضربوا لي بسهم) - البخاري (٧/ ٢٢ - ٢٣) ، كتاب : الطب ، باب : الرقي بفاتحة الكتاب . - مسلم (٢ / ١٧٢٧) ، كتاب : السلام ، باب ؛ جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار .

(٤) روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -ﷺ- : (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ، فهي خداج) ثلاثاً ، غير تمام .
- مسلم (١ / ٢٩٦) ، كتاب الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة .
- ورواه أيضاً أبو داود (١ / ٥١٢) كتاب : الصلاة ، باب : (١٣٥) .
والخدج : النقصان ، يقال خدجت الناقة : إذا ألقت ولدها قبل تمام الأيام وإن كان تام الخلق .
- الصحاح ، للجوهري (١ / ٣٠٨) مادة : خدج .



وكذا ما ورد من أنها أول سورة نزلت[1] . وذكر بعضهم أنها نزلت مرتين : مرة بمكة ، ومرة بالمدينة تفخيماً لشأنها[2] .

---

(١) أسند الزمخشري هذا القول إلى أكثر المفسرين (الكشاف ٤ / ٢٧٠) ولكن ابن حجر رد على هذا بأنه لم يقل به إلا عدد أقل من القليل .
- الإتقان ، للسيوطي (١ / ٧٠) .
وقد استدل القائلون بهذا القول بما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة ، والواحدي والثعلبي عن أبي ميسرة ، أن رسول الله -ﷺ- قال لخديجة : (إني إذا خلوت وحدي ، سمعت نداء ، فقد والله ، خشيت على نفسي أن يكون هذا أمراً) . قالت : معاذ الله ، ما كان الله ليفعل بك ، إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث .
فلما دخل أبو بكر ، ذكرت خديجة حديثه له ، وقالت : اذهب مع محمد إلى ورقة فانطلقا ، فقصا عليه ، فقال : (إذا خلوت وحدي ، سمعت نداء خلفي يا محمد ، يا محمد ، فأنطلق هارباً في الأفق) ، فقال : لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتني فأخبرني ، فلما خلا ، ناداه : يا محمد ، قل : (بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ (ولا الضالين)
- الدر المنثور (١ / ٢) ، وأسباب النزول ، للواحدي (١١ - ١٢) ، وهذا الحديث لا يصلح للاحتجاج به هنا ، وذلك من وجهين -كما ذكر الزرقاني- .
أحدهما : أنه لا يفهم من هذا الحديث أن الفاتحة كانت في أول عهده -ﷺ- بالوحي الجلي ، بل يفهم منه ، أنها كانت بعد ذلك العهد .
ثانيهما : أن هذا الحديث مرسل ، سقط من سنده الصحابي ، فلا يقوى على معارضة ما رواه الشيخان عائشة -رضي الله عنها- في بدء الوحي ، الذي يشير إلى أن أول ما نزل هو صدر سورة (قرأ باسم ربك الذي خلق) .
- انظر : مناهل العرفان (٨٦ - ٨٩) .
فبطل إذا القول الأول ، وثبت هذا القول الأخير ، والله أعلم .
وإلى هذا القول الأخير ، ذهب ابن كثير (تفسير القرآن العظيم ١ / ٩) .

(٢) والظاهر أن الأرجح هنا هو القول بأن الفاتحة نزلت مرة واحدة وذلك بمكة وهذا هو قول علي ، وابن عباس ، وعلي بن الحسين ، وقتادة ، وأبي العالية وغيرهم .
ويؤيده قوله تعالى -في سورة الحجر- (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم / ٨٧)«والحجر»مكية بإجماع .
كما أنه لا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة ، وما حفظ أنه كانت في الإسلام صلاة بغير الفاتحة .
وقد ذهب أبو حيان ، وابن كثير إلى تأييد هذا القول .
- انظر : البحر المحيط (١ / ١٦) ، وتفسير القرآن العظيم (١ / ٨) . والقول بأنها نزلت بالمدينة أيضاً مرة أخرى ، لا دليل عليه فيما أعلم).



(بسم الله الرحمن الرحيم) : افتتح سبحانه بها كل سورة غير براءة تنبيهاً على شرفها ، وتعليماً للعباد أن يبتدوا بها في كتبهم ، وفي خطبهم ، وكل أمر ذي بال .

واختصت بالأسماء الثلاثة ، لأن الاسم الكريم دال على الذات ، راجع إليه جميع الصفات ، مختص به تعالى ، لم يُسم به أحد ، لا في الجاهلية ولا غيرها . قال تعالى : (هل تعلم له سَمِيًّا[1]). قال ابن عباس : « أي لا أحد يسمى الله » . أخرجه البيهقي[2] .

وعن جابر بن زيد[3] : أنه الاسم الأعظم ، أخرجه ابن أبي حاتم[4].

والرحمن أيضاً صفة مختصة به .

أخرج ابن أبي حاتم[5] عن الحسن البصري قال : «الرحمن» اسم ممنوع ، أي لا يستطيع أحد أن يتسمى به ، لأن معناه الذي وسعت رحمته كل شيء ، وذلك لا يليق بغير جنابه تعالى » .

---

(١) سورة مريم : الآية ٦٥ .

(٢) لفظه في المستدرك (٢ / ٣٧٥) : « لم يسم أحد الرحمن غيره » ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي .
وذكره السيوطي في الدر (٤ / ٢٧٩) ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) هو أبو الشعثاء : جابر بن زيد الأزدي البصري ، أصله من عمان ، صحب ابن عباس ، وكان من بحور العلم ، وصفه الشماخي - وهو من علماء الاباضية - بأنه أصل المذهب ، وأسه الذي قامت عليه آطامه .
نفاه الحجاج إلى عمان .
توفي سنة ٩٣هـ .
- تهذيب التهذيب (٢ / ٣٨) . - تذكرة الحفاظ (١ / ٦٧) . - السير للشماخي (٧٠ / ٧٧) .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ٩) ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن الضريس في فضائله ، والبخاري في تاريخه .

(٥) هو أبو محمد ، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي ، كان من كبار الحفاظ للحديث ، له تصانيف ، منها :
« الجرح والتعديل » ، و « التفسير » عدة مجلدات ، منه جزآن مخطوطان و « علل الحديث » مطبوع ، و « المسند » ، و « المراسيل » مطبوع . توفي سنة ٣٢٧هـ .
- تذكرة الحفاظ (٣ / ٤٦) ، وفوات الوفيات (١ / ٢٦٠) ، وطبقات الحنابلة (٢ / ٥٥) ، والفهرس التمهيدي (٣٧٧) ، والأعلام (٤ / ٩٩) .



وأخرج أيضاً عن الحسن قال : « (الرحيم : اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه)[1] ، تسمَّى به تبارك وتعالى ، ولا يُعَدَّن في صفاته تعالى ما لا يجوز إطلاقه على العبد غير هذين » .

فظهرت مناسبة الإتيان في البسملة بهذه الثلاثة دون غيرها . لكن ما قاله الحسن في (**الرحيم/٣**) ، قد ينازع فيه ، فإنه يجوز وصف العبد بـ(رحيم) وفي الحديث : « لن يدخل الجنة إلا رحيم » . وقالوا يارسول الله : « كلنا رحيم »[2] .

وظهر لي في الجواب : أن مراد « الحسن » بـ« الرحيم » المعرف باللام دون المجرد منها . كما قال بعضهم إن (**الرحمن/٢**) إنما يختص بالله تعالى معرفاً بها دون المضاف والمجرد منها . كذا رأيته في كلام « بدر الدين بن مالك[3] » . وقال « الخويي »[4] : « الذي يقتضيه معنى (**الرحمن**) و(**الرحيم**) ، ألا يطلق واحد منهما على العبد ، غير أن الله يحب التخلق بأخلاقه ، فشرف عباده بأن أجاز لهم التسمية بأحدهما ، وهو غير الأبلغ .

---

(١) ما بين القوسين هو ما أورده السيوطي في الدر المنثور (١ / ٩) .

(٢) ذكره الهيثمي عن أنس مرفوعاً بلفظ : (والذي نفسي بيده ، لا يضع الله رحمته إلا على رحيم) ، قالوا : يا رسول الله ، كلنا يرحم ، قال : (ليس برحمة أحدكم صاحبه ، يرحم الناس كافة) .
وذكر الهيثمي أنه قد رواه أبو يعلي ، ثم قال الهيثمي : « ورجاله وثقوا ، إلا أن ابن إسحاق مدلس » .
- مجمع الزوائد (٨ / ١٨٧) .

(٣) هو بدر الدين ، محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك ، الملقب بابن الناظم ، أحد أئمة النحو ، والمعاني والبيان ، والبديع ،
من مصنفاته : المصباح في تلخيص المصباح ، توفي سنة ٦٨٦هـ .
- طبقات الشافعية (٥ / ٤١) ، ومعجم المطبوعات (١ / ٢٣٤) .

(٤) هو أبو العباس ، شمس الدين أحمد بن خليل المهلبي الخويي - نسبة إلى خوى ، مدينة بأذربيجان وهو صاحب الفخر الرازي ، قرأ الفقه على الرافعي وعلم الجدل على علاء الدين الطوسي ، وسمع الحديث من جماعة ، وولي قضاء القضاة بالشام .
وقد كان فقيهاً إماماً مناظراً خبيراً بعلم الكلام ، أستاذاً في الطب ، ديناً كثير الصلاة والصيام له كتاب في الأصول ، وكتاب في النحو ، وكتاب في العروض .
- توفي ٦٣٧هـ . شذرات الذهب (٥ / ١٨٣) .



فقال في حقهم : (رحماء بينهم)[1] ، وهو جمع رحيم ، وأما رحمان فلا يجوز أصلاً ، لأن كثير الرحمة كثرة مطلقة هو الله ، قال : « ولهذا رُتِّبت الأسماء في البسملة هذا الترتيب ، فبدأ باسمه الخاص به ثم بوصفه الخاص به ، ثم بالوصف الذي يستعمل في غيره من بعض الوجوه » .

قال : « وهذه الأسماء جامعة للأصول التي يجب اعتقادها ، فـ « **الله** » اشارة إلى التوحيد ، و« **الرحمن** » اشارة إلى الوجود الدنيوي من الخلق ، والرزق ، وإرسال الرسل ، و« **الرحيم** » إشارة إلى الحشر لأن « **الرحيم** » دائم الرحمة ، وذلك جدير بالآخرة ، ولأن (« الرحيم » خاص بالمؤمنين ، وثمرة ذلك إنما تظهر في الآخرة ، كما قال ابن عباس (« الرحيم » الرفيق بمن أحب أن يرحمه)[2] .

وقال « العرزمي »[3] : («**الرحمن**» : لجميع الخلق ، الرحيم بالمؤمنين) . أخرجه ابن جرير[4] .

البيضاوي : « إنما خصَّ التسمية بهذه الأسماء ليعلم الهارف أن المستحق أن يستعان به في مجامع الأمور ، هو المعبود الحقيقي ، الذي هو مولى النعم كلها ،

---

(١) الفتح (٢٩) .

(٢) أخرجه ابن جريج ، وابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (١ / ٨) .

(٣) هو أبو محمد ، عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي الفزاري الكوفي أحد الأئمة روى عن أنس وسعيد بن جبير ، وروى عنه شعبة وسفيان الثوري وسفيان بن عينية وخلق ، وثقه ابن معين والنسائي ، وضعفه يحيى في رواية .

وقال أحمد : ثقة يخطىء .

توفي سنة ١٤٥هـ .

- خلاصة تذهيب الكمال (٢٤٤) .

(٤) جامع البيان ١ /١٢٧ .



عاجلها وآجلها ، جليلها وحقيرها ، فيتوجه بشراشره[1] إليه ، ويتمسك بحبله »[2] .

فإن قلت : قد عُلم مما تقدم أن «الرحمن» أبلغ ، فكيف قدّم على «الرحيم» وقاعدة البلاغة الترقي من الأدنى إلى الأعلى ، يقال : فلان عالم نحرير وشجاع باسل ، وجواد فياض .

قلت : هذا قد اختُلِف فيه على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن « الرحيم » أبلغ . وبه جزم « ابن عسكر »[3] واستدل بتأخيره عن الرحمن[4] .

الثاني : أن « الرحمن » أبلغ ، لأن الزيادة في البناء لزيادة المعنى قال « الراغب »[5] : (« فعيل » لمن كثُر منه الفعل ، و« فعلان » للذي

---

(١) الشراشر : النفس والمحبة جميعاً ، وألقى عليه شراشره ، هو أن يحبه حتى يستهلك في حبه ، وقال اللحياني : هو هواه الذي لا يريد أن يدعه من حاجته ، قال ذو الرمه :

وكائن ترى من رشدة في كريهة ... ومن غية تلقى عليها الشراشر

قال ابن بري : « يريد كم ترى من مصيب في اعتقاده ورأيه ، وكم ترى من مخطىء في أفعاله ، وهو جاد مجتهد في فعل ما لا ينبغي أن يفعل ، يلقي شراشره على مقابح الأمور ، وينهمك في الاستكثار منها .

- انظر : اللسان (٤ / ٤٠٢) مادة : شرر .

(٢) الشهاب (١ / ٧٢) .

(٣) لعل المقصود هنا هو أبو عبد الله ، محمد بن علي الغسائي ، المعروف بابن عسكر من أهل مالقة ، وهو أديب ، عالم بالتاريخ والحديث ، وله شعر حسن وكتب منها : « المشرع الروي في الزيادة على غريبي الهروي » في القرآن والحديث . توفي سنة ٦٣٦هـ .

- قضاة الأندلس (١٢٣) ، والتكملة ، لابن الأبار (٣٤٨) . والإحاطة (٢ / ١٢٢ - ١٢٥) .

(٤) فيكون عندئذ مؤكداً لما قبله ، كما حكاه ابن كثير عن بعضهم ، والمؤكد لا يكون إلا أقوى من المؤكد .

وقد أجاب ابن كثير عن ذلك بأن هذا ليس من باب التأكيد ، وإنما هو من باب النعت ، ولا يلزم فيه ما ذكروه .

- تفسير القرآن العظيم (١ / ٢١) .

(٥) هو أبو القاسم ، الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني ، أو الأصبهاني ، المعروف بالراغب ، وقد ترجمه السيوطي في بغية الوعاة باسم « المفضل بن محمد » وقد سكن بغداد ، وكان من أئمة السنة على حسب ما قال الفخر الرازي .

من مؤلفاته : (جامع التفاسير) و (حل متشابهات القرآن) و (المفردات) ، توفي سنة ٥٠٢هـ .

- بغية الوعاة (٢ / ٢٩٧) . والأعلام (٢ / ٢٧٩) .



مع كثرة ذلك منه تكرر عنه . وعلى هذا ، ففي تقديمه أجوبة :-

(أحدها) : مراعاة الفاصلة .

(ثانيها) : ما تقدم من اختصاصه بالله .

(ثالثها) : أن « الرحمن » يتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها فذكره أولاً ، ثم أردفه بـ « الرحيم » كالتتمة والرديف ليتناول ما دقَّ منها ولَطُف[1] .

قال « الطيبي » : « وحاصله : أنه ليس من باب الترقي ، بل من باب التتميم وهو تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة » . قال : « لظاهر كلام الإمام أنه من باب التكميل ، وهو أن يُؤتى بكلام في فن ، فيرى أنه ناقص فيه ، فيكمل بآخر فإنه لما قال : « الرحمن » توهم أن جلائل النعم منه ، وأن الدقائق لا يجوز أن تُنسب إليه لحقارتها ، فكمل بـ« الرحيم »[2] .

(رابعها) : « الرحمن » : خاص بالدنيا : لشموله المؤمن والكافر و« الرحيم » بالآخرة ، فذُكِرا على الترتيب الوجودي .

(خامسها) : أن « فعلان » للأمور العارضة ، و « فعيل » للصفات الغريزية فوجب تقديم « الرحمن » على « الرحيم » . وعروض المعنى فيه من جهة العباد ، وحدوث الإنعام لهم حالاً بعد حال .

(سادسها) : أن « الرحمن » أشبه بالأعلام من حيث إنه لا يوصف به غير الله ، فكأنه هو الموصوف ، فاستحق التقديم على الوصف المحض .

قال الطيبي : « وهذا أحسن الأقوال » .

---

(١) لم أجده في كتاب المفردات للراغب ، ولعل مؤلفنا نقله من تفسيره أو من أي كتاب آخر له .

(٢) التفسير الكبير ، للفخر الرازي (١/٢٣٨ - ٢٣٩) .



القول الثالث : أنهما سواء في المبالغة ، قال «قطرب»[١]،[٢] ، ووضحه الخـــويي ، فقال : (**الرحمن** » من تكررت رحمته ، وكثرت و « **الرحيم** » من ثبتت رحمتـه ، ودامت ، فان « فعـلان » كالغضبـان لمن كثـر غضبـه ، والقصير ، والعظيم ، لما يثبت فيه القصر والعظم .

فكل من الوصفين يفيد إفادة ، ويشمل الدنيا والآخرة .

ولهذا ورد في الحديث : « رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيمهما » أخرجه الحاكم[٣] بهذا اللفظ[٤] .

وقال صاحب « المطلع »[٥] : « **الرحمن** » الذي كثرت آثار رحمته ، و « **الرحيم** » الذي ترتَّبت[٦] آثار رحمته ، ففي الدنيا يصل رزقه إلى كل مؤمن وكافر ، وحيوان ونبات ، وفي الآخرة لا يصل إلا إلى المؤمنين ، غير أن الواصل في الدنيا كثير الكمية ، قليل الكيفية ، لقلة الدنيا ، وسرعة انصرامها وكثرة شوائبها . وفي الآخرة قليل الكمية بالإضافة إلى

---

(١) هو أبو علي : محمد بن المستنير ، يقال إن سيبويه لقبه بـ«قطرب» لمباكرته أياه في السحر ، لأخذ العلم عنه ، والقطرب : دويبة تدب ولا تفتر .
وقد كان أحد العلماء باللغة والنحو ، وقال عنه أبو البركات الأنباري : « وكان يذهب مذهب المعتزلة » .
ومن مؤلفاته « معاني القرآن » و « إعراب القرآن » و « المثلث » توفي سنة ٢٠٦هـ .
- فهرست ابن النديم (٧٨ - ٧٩) ، ونزهة الألباء (٩١ - ٩٢) .
- تاريخ العلماء النحويين ، للتنوخي (٨٢ - ٨٤) .
طبقات النحاة واللغويين ، لابن قاضـي (٢٥٩) .

(٢) قول قطرب يبدو أنه موجود في أحد كتابيه « معاني القرآن » أو « إعراب القرآن » المخطوطين .

(٣) هو أبو عبد الله : محمد بن عبد الله الضبي الطهماني النيسابوري ، الشهير بالحاكم ، ويعرف بابن البيع ، من أكـابر حفاظ الحديث ، والمصنفين فيه ، أخذ عن نحو ألفي شيخ ، وله تصانيف كثيرة جداً ، منها « تاريخ نيسابور » و « المستدرك على الصحيحين » و « معرفة علوم الحديث » . . توفي سنة ٤٠٥هـ .
- طبقات السبكي (٣ / ٦٤) ، تاريخ بغداد (٥ / ٤٧٣) ، وغاية النهاية (٢ / ١٨٤) .

(٤) هذا جزء من حديث أورده الحاكم في مستدركه (١ / ٥١٥)
ثم قال : « وهذا حديث صحيح غير أنهما لم يحتجا بالحكم بن عبد الله الأيلي .
وقال الذهبي : إن الحكم ليس بثقة . انظر : المرجع السابق ص ٥١٦ .

(٥)

(٦) في (أ) تريت ، وفي (ب) : قويت . ولعل الصواب ما أثبتناه .



من يصــل إليها ، وهـم المؤمنون ، كثير الكيفية لوجود الملك المؤبد ، والنعيم المخلد »[1] .

قال الـطيبي : « والصحيح أن «الـرحمن» أبلغ ، لأنـه يشـارك «الـرحيم» في الآخرة بحسب الكيفية ، وله مزيد اختصاص بحسب الكمية في الدنيا »[2] .

الـراغب : « الـرحمة : تارة تستعمل في الرقة المجردة ، وتارة في الاحسان المجرد عنها ، وهذا المراد في وصف الباري تعالى »[3] .

وقال غيره : « اختُلِف في الرحمة هل هي مجاز عن إنعام الله على عباده ، أو عن إرادة الخير ، فعلى الأول هي من صفات الأفعال ، وعلى الثاني هي من صفات الذات » .

(**الحمد لله رب العالمين** / ٢) :

قال الخـويي : « أفضل السور ما افتُتِح بـ « **الحمد لله** » ، وذلك خمس سور في النصف الأول : سورة الأنعام ، والكهف ، وفي الثاني : سورة سبأ وفاطر ، والفاتحة تشمل النصفين ، لأنها تقرأ أولاً وآخراً ، ومن يبتدئ بحفظه من الآخر ، يبتدىء بها ، كما أن من قرأه من الأول يبتدىء بها .

فقوله في أول الأنعام : (**الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور**/ ١) إشارة إلى أول النعم ، وهي نعمة الوجود ، ومكانه وزمانه .

وفي الكهف : (**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب** / ١) إشارة إلى نعمة الشرع الذي به قيام الوجود .

وهاتان النعمتان في الدنيا .

---

(١)
(٢)
(٣) المفردات (١٩١ - مادة : رحم) باختصار وتصرف .

وفي أول سبأ[1] ، وفاطر[2] الإشارة إلى الآخرة ، فإن رسل الملائكة للأمر الأخروي أكثر .

ففي السورتين الحمد على النعم الأخروية . ويؤيد ذلك أنه قال في سورة الأنعام : (**فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين/٤٥**) ، فذكر نعمة دنيوية ، وقال في « فاطر » : (**وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن/٣٤**) ، فذكر نعمة أخروية ، وحمد عليها .

وأما الفاتحة ففيها الحمد على ما في الدنيا ، وعلى ما في الآخرة معاً ، فقوله (**رب العالمين**) اشارة إلى نعمة الايجاد ، وقوله : (**مالك يوم الدين**) إشارة إلى نعمة المعاد .

فهي أفضل السور الخمسة ، قال : « وأما ترتيب ألفاظها ، فنقول : «**الله**» : اسم الذات المقدسة ، وهو الله ، أزلاً وأبداً ، قبل الخلق وبعد الإفناء ، ثم إنه برحمته خلق وأوجد ، فهو رحمن ، ثم إنه بعد الإيجاد رزق وأبقى ، فهو رحيم ، ثم إن من خلق ورزق وأوجد وأبقى أتى بكمال النعمة ، فله الحمد فالحمد لله رب العالمين .

ثم إن الله - تعالى - مرة أخرى يخلق الخلق ، ويبعث من في القبور ، فهو رحمن برحمة ثانية بها خلق ثان ، ومرة أخرى يرزق في الآخرة ، ويبقى برحمته فهو رحيم ، فقال مرة أخرى : (**الرحمن الرحيم**) ، ثم إنه إذا خلق ثانياً ورزق ثانياً ، فهو في ذلك اليوم (**مالك**) ، فقال (**مالك يوم الدين**) .

---

(١) وهو قوله تعالى : « الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، وله الحمد في الآخرة ، وهو الحكيم الخبير) (سبأ / ١) .

(٢) وهو قوله تعالى : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى ، وثلاث ، ورباع ، يزيد في الخلق ما يشاء . إن الله على كل شيء قدير) (فاطر / ١) .



وإذا كان الخلق منه أولاً ، والرزق منه في الأولى ، وكذلك الايجاد والابقاء منه في الآخرة ، فلا يجوز أن يعبد غيره ، فقال : **(إياك نعبد)** ، ثم إن من عظمت نعمه ، وعم كرمه ، لا يقدر على حق عبادته إلا بإعانته ، فقال : **(وإياك نستعين)** ، ثم إن العبادة للزلفى والاقتراب من جناب الحق ، كما قال تعالى : **(واسجد واقترب)**[1] ، فالعابد سالك ، فيطلب الهداية ، ويقول : **(اهدنا الصراط المستقيم/٦)** ، وبعد الطريق لابد من الرفيق ، فيقول : **(صراط الذين أنعمت عليهم/٧)** ، وهم الذين قال الله فيهم : **(وحَسُن أولئك رفيقا)**[2] ، ثم إنه بعد وجدان الطريق واصطحاب الرفيق يخاف قطاع الطريق ، فيقول : **(غير المغضوب عليهم/٧)** ، **ويخاف ممن يضله بضلالة ، وان لم يقطع عليه الطريق باحتياله فيقول : (ولا الضالين/٧)** .

فهذا ترتيب في غاية الحسن .

قال : « ثم إن في هذه السورة من الأسماء الحسنى خمسة صريحة ، وهي : الله ، والرب ، والرحمن ، والرحيم ، والملك .

وفيها خمسة مستنبطة من المصدر ، أو الفعل :

المحمود : من الحمد ، والمعبود : من **(اياك نعبد)** ، والمستعان : من **(إياك نستعين)** ، والهادي : من **(اهدنا)** ، والمنعم : من **(أنعمت)** .

والخمسة المذكورة صريحاً مناسبة للخمسة المذكورة ضمنا ، فالمحمود يناسب الله ، ولهذا وجب ذكر كلمة « الله » عند الحمد ، ولم يرد الحمد للرب ، ولا للمنعم ، بل الوارد **(الحمد لله)** ، والرب يناسب المعبود ، ولهذا قال : **(يأيها الناس اعبدوا ربكم)**[3] ، وقال : **(واعبد ربك)**[4] .

والرحمن يناسب المستعان ، ويدل عليه : **(وربنا الرحمن المستعان)**[5] ، والهادي

---

(١) العلق (١٩) . (٢) النساء (٦٩) .
(٣) البقرة (٢١) . (٤) الحجر (٩٩) . (٥) الأنبياء (١١٢) .



يناسب الرحيم ، ويدل عليه قوله : (**هدى ورحمة**)[1] ففرق بينهما ، بقي المنعم في مقابلة الملك .

قلت : ويزداد على هذا اسم سادس صريح ، وهو « المالك » في قراءة (**مالك**)[2] ويقابله اسم ضمني في (**غير المغضوب**) .

ثم قال : « قوله : (**الحمد لله رب العالمين**) كلام لا يقوم غيره مقامه ، لا في ألفاظه ، ولا في ترتيبه ، وبيانه أن لفظ (**الحمد**) إن بدل بلفظ آخر ، فاللفظ الذي يظن أنه يقوم مقامه ، إما المدح ، أو الشكر ، أو الثناء ، أو التحية ، أو الكمال ، أو العظمة ، أو غيرها .

أما المدح ، فلا يقوم مقام الحمد : لأن المدح ذكر ذاكر واحد عند غيره بأوصاف كمال ، سواء كانت فيه ، أم لم تكن .

والممدوح لا يكون في الأزل ممدوحاً ، لأنه لابد فيه من الذكر عند الغير ، والأزل لم يوجد فيه اثنان ، لكن الله في الأزل محمود ، لأنه في الأزل متصف بالكمال ، ومن اتصف بصفات المكال ، فهو في نفسه محمود ، وإن لم يكن فيه شيء بدليل قولهم : أحمدته ، أي وجدته محموداً ، ولا يقال : أمدحته ، بمعنى وجدته ممدوحاً .

أما الشكر ، فلا يقوم مقامه ، لأن شرطه الإحسان ، فالمشكور لا يكون في الأزل مشكوراً ، والله في الأزل محمود ، والمشكور لا يكون عند زيد مشكوراً باحسانه إلى عمرو ، ويكون محموداً عنده بذلك ، فالحمد أبلغ وأما الثناء فكالمدح[3] .

وأما قوله : (لله) ، فلا يقوم مقامه لفظ آخر ، لأن سائر أسمائه تعالى مشتقة

---

(١) الأنعام (١٥٤ ، ١٥٧) ، والأعراف (٥٢ ، ١٥٤ ، ٢٠٣) ، يونس (٥٧) ، يوسف (١١١) ، النحل (٦٤ ، ٨٩) ، القصص (٤٣) لقمان (٣) ، الجاثية (٢٠) .

(٢) وهي قراءة عاصم ، والكسائي ، حجة القراءات لأبي زرعة (٧٧) .

(٣) ذكر ابن كثير أنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود ، بصفاته اللازمة والمتعدية ، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ، ويكون بالجنان واللسان والأركان .
- تفسير القرآن العظيم (١ / ٢٢) . - وانظر المفردات (١٣١ ، مادة : حمد) .



من معنىً ، فلو قيل (الحمد) للعظيم ، أفاد أن الحمد له لعظمته ، وكذا الباقي ، و (الحمد لله) يفيد أن (الحمد) له لذاته ، ولاختصاصه به تعالى دون سائر الأسماء .

وأما « الرب » فلأنه يجمع كل صفة من صفات الاحسان ، لأن الرب هو القائم باصلاح شيء ، من أول وجوده إلى آخر أمره ، فلو أتى بالموجد لم يفد معنى القيام بالمصالح والاحسان والتربية .

أو بالمحسن ، لم يفد دوامه ، والرب دائم الاحسان .

وأيضاً ، فالرب أنسب الأسماء بلفظ « الله » لاختصاصه به شرعاً في الحديث : « لا يقولَنَّ أحدكم ربي ، ولكن سيدي »(١) ، ولهذا لم يرد في الأذكار والصلاة غيرهما .

وأما (العالمين) ، فلأنه لا لفظ أجمع منه في معناه ، إذ العالم اسم لكل ما سوى الله ، ولو قال رب الأجسام ، لخرج عنه بعض الأشياء ، أو رب الأشياء لدخل فيه الله وصفاته ، مع تفاوت ما بين اللفظين من التفاوت اللفظي المدرك عند السامعين ، أو كل موجود ممكن ، فلا يخفى طوله مع التفاوت المذكور .

وأما ترتيبه ، فتقديم الحمد واجب ، لأن المقصود الإرشاد إليه ، لأن ذكر الله باسمه ، وصفته قد تقدم بالتسمية ، وما كان مقصوداً فتقديمه واجب ليكون أول ما يقرع السمع ، ولو قيل : لله الحمد ، لذهب الوهم قبل سماع الحمد إلى أن المراد لله الملك أو نحوه ، فلا يُفهم المقصود من أول وهلة .

وتقديم الله واجب أيضاً ، لأن تقديم الذات على الصفة واجب ، وكذا تقديم المضاف على المضاف إليه في قوله : (رب العالمين) ، فعُلِم أن هذه الجملة لا يقوم

---

(١) هذا جزء من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً :
(لا يقل أحدكم : اسق ربك ، أطعم ربك ، وضيء ربك ، ولا يقل أحدكم : ربي ، وليقل : سيدي ، مولاي ، ولا يقل أحدكم : عبدي ، أمتي ، وليقل : فتاي ، فتاتي ، غلامي) .
- مسلم (٢ / ١٧٦٥) ، كتاب : الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب : حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد .
- ورواه أيضاً الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٣١٦) .



غيرها مقامها ، لا في ألفاظها ، ولا في ترتيبها ، وكذا سائر آي القران « انتهى كلام الخويبي ملخصاً » .

وقال الأصبهاني : « **الحمد** » أخص مطلقاً من المدح ، لاختصاصه بالحي العالم القادر ، المختار ، وهو غاية المدح ، ولهذا قيل لما كانت نهاية المدح بداية الحمد ، رُوعي هذا في اللفظ ، فجُعل «الحاء» الذي هو آخر (المدح) أول « **الحمد** » ولا يقال مدحت الله ، ولا المدح لله ، لأنه لا يدل على كونه فاعلاً مختاراً ، فلا يدل على اعترافه بذلك ، بخلاف « **الحمد لله** » ولأن المدح مطلق الثناء سواء استحقه الممدوح أم لا ، والحمد الثناء على من يستحقه[1] » .

قال : « وهو أولى مما لو قيل الشكر لله ، لأنه يوهم اختصاصه بإنعامه والأول أعم ، فهو أفضل لما فيه من الحمد على كل حال » . قال : «والإتيان بـ(**الحمد لله**) أولى من «أحمد لله» لوجوه :

أحدها : أن « أحمد لله » يفيد كون القائل حمده .

وأما (**الحمد لله**) فيفيد أنه كان محموداً قبل حمد الحامدين ، فهو محمود

---

(١) لقد فرق العلماء بين الحمد والمدح بأمور غير المذكورة هنا ، ذكرها الألوسي ، وهي :

١ - أن الحمد : يختص بالثناء على الفعل الاختياري لذوي العلم .

والمدح : يكون في الاختياري وغيره ، ولذوي العلم وغيرهم ، كما يقال : مدحت اللؤلؤة على صفائها .

٢ - أن الحمد : يشترط صدوره عن علم لا ظن ، وأن تكون الصفات المحمودة صفات كمال .

والمدح : قد يكون عن ظن ، وبصفة مستحسنة ، وإن كان فيها نقص ما .

٣ - أن في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح ، وهو أخص بالعقلاء والعظماء ، وأكثر اطلاقا على الله تعالى .

٤ - أن الحمد : إخبار عن محاسن الغير ، مع المحبة والإجلال .

والمدح : إخبار عن المحاسن .

ولذا كان الحمد إخباراً يتضمن إنشاء ، والمدح خبراً محضاً .

٥ - أن الحمد : مأمور به مطلقا ، ففي الأثر (من لم يحمد الناس ، لم يحمد الله)

والمدح : ليس كذلك ، (احثوا في وجوه المداحين التراب) .

- روح المعاني (١ / ٧٠) . - وانظر المفردات (١٣١ ، مادة : حمد) .



من الأزل إلى الأبد ، بحمده القديم ، وكلامه القديم ، سواء حمدوا ، أم لم يحمدوا .

ثانيها : أن (الحمد لله) يقتضي أن الحمد حق الله ، يستحقه لذاته بسبب كثرة أياديه ، وإسباغ نعمه الظاهرة والباطنة على العباد ، بخلاف «أحمد الله» فلا يدل على ذلك فالأول أولى .

ثالثها : أن قول الإنسان «أحمد الله» ، فيه نسبة الفعل إلى نفسه ، وهو أعجز من أن يحمده حق حمده ، و(الحمد لله) معناه أنه محمود بجميع حمد الحامدين .

رابعها : أن « الحمد » عبارة عن صفة القلب ، وهي اعتقاد كونه محموداً ، منعماً ، متفضلاً ، مستحقاً للحمد والتعظيم ، فإذا تلفظ الإنسان بقوله : « أحمد لله » مع غفلته عن معنى التعظيم اللائق بجلاله كان كاذباً ، لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامداً مع أنه ليس كذلك .

وأما إذا قال : (الحمد لله) - سواء كان غافلاً ، أم لا - فانه يكون صادقاً ، لأن معناه : الحمد حق لله .

وهذا المعنى حاصل مع الغفلة وعدمها .

وقوله : (الحمد لله) أولى من قوله « الحمد لرب العالمين » أو للخالق أو للقادر ، أو لغيرها من الأسماء والصفات ، لأن « الله » اسم للذات الجامعة لصفات الكمال ، فالحمد لله حمد له على جميع الصفات الكمالية بخلاف غيره من الأسماء .

وفي « العجائب » للكرماني[1] : « الفرق بين الحمد والشكر ، أن الله تعالى -

---

(١) هو أبو القاسم ، برهان الدين : محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، ويعرف بتاج القراء ، وقد كان عالماً بالقراءات ، نقل في التفسير آراء مستنكرة في معرض التحذير منها ، كان الأولى إهمالها .

- من مؤلفاته : « لباب التفسير » المعروف بكتاب « العجائب والغرائب » و « خط المصاحف » ، و « لباب التأويل » و « البرهان » في متشابه القرآن . - توفي سنة ٥٠٥هـ .

=



يحمد ذاته ، ولا يشكره ، لأن الشكر يستدعي سابقة إحسان »[1] .

قلت : وهذا معنى لطيف ، ولعله أقوى في مناسبة الآيتين هنا بصيغة الحمد .

و « اللام » في (الحمد) للاستغراق الحقيقي ، أي جميع المحامد[2] ، وفي (لله) للملك ، أو الاختصاص ، وجملة الحمد ، إما إخبار ، وفائدته أنه تعالى بيّن أن كل الحمد له ، لا لغيره[3] . وإما ثناء أثنى به على نفسه وعلَّمه عباده ، وإما أمر لهم به على تقدير : قولوا ، بدليل : (**وقل الحمد لله**)[4] ، ويؤيده : (**إياك نعبد**)[5] ، وإليه ميل الكسائي[6][7] ، ونقله الكرماني عن جل المفسرين[8] .

= - غاية النهاية (٢ / ٢٩١) ، إرشاد الأريب (٧ / ١٤٦) .
- مفتاح السعادة (١ / ٤٢١) ، هدية العارفين (٦ / ٤٠٢) .

(١) العجائب (١ / ٩٦) .

(٢) وهو ما ذهب إليه ابن كثير (١/٢٣) قارنه بما ذهب إليه الزمخشري (١/٤٩ وما بعدها) وراجع روح المعاني (١/٧١) وما بعدها)

(٣) لعل القول بأن جملة الحمد هنا إخبار هو الأرجح ، وهو أولى من القول بأن هناك محذوفاً مقدراً : فإن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير ، كما أن قوله :(الحمد لله) يدل على كونه تعالى مستحقاً للحمد بحسب ذاته ، سواء حمده أحد أو لم يحمده ، هذا بالإضافة إلى أن الإثم يكون أقل على تارك حمد الله ، مما لو كان التقدير : قولوا الحمد لله . وهذا هو حاصل كلام الفخر الرازي . التفسير الكبير (١/٢٣٠) .
- التفسير الكبير (١ / ٢٣٠) .
وعلى هذا ، فإن الجملة هنا إخبارية ، والمراد الإخبار - كما قال الألوسي - « بأن الله تعالى مستحق الحمد ، كما قال سبحانه (له الحمد في الأولى والآخرة) . والمتكلم بها عن اعتقاد ، واصف ربه سبحانه بالجميل ومعظم له - جل شأنه - فيقال له حامد لذلك» . روح المعاني (١/٧٦) . وهو ما ذهب إليه ابن كثير (١ / ٢٣) .

(٤) النمل (٩٣) (٥) الفاتحة/٥ .

(٦) هو أبو الحسن : على بن حمزة ، الأسدي بالولاء ، الكوفي ، الكسائي ، فارسي النسب ، قيل في سبب تسميته بالكسائي هو أنه كان يحضر مجلس « معاذ الهرا » والناس عليهم الحلل ، وعو عليه كساء ورداء . وقد كان -رحمه الله- إماماً في اللغة والنحو والقراءات ، وكان إلى جانب ذلك صادق اللهجة .
من تصانيفه : « معاني القرآن » ، و« المصادر » و« الحروف والقراءات » قيل : توفي بالري سنة ١٩٧هـ .
- غاية النهاية (١/٥٣٥ - ٥٤٠) ترجمة رقم (٢٢١٢) .
وفهرست ابن النديم (٩٧ - ٩٨) ، وتاريخ الأدب العربي (٢/١٩٧ - ١٩٨) والأعلام (٥ / ٩٣) .

(٧) الظاهر أن ذلك في كتابه « معاني القرآن » الذي يبدو أنه مخطوط . - انظر : الأعلام (٥ / ٩٣) .

(٨) العجائب (١ / ٩٧) .



وقرئ (**الحمد**) بالنصب على أنه مصدر ، بتقدير فعل ، وبالكسر اتباعاً لكسرة اللام[1] . وقرئ (لله) بضم اللام[2] اتباعاً لضمه (الله) وقرئ (رب) بالنصب[3] ، فقيل على المدح ، وقيل على النداء ، وهو لفظ يحتمل الوصف والمصدر[4] .

قال ابن عبد السلام[5] : « وله أربعة معان : المعبود ، والمالك ، والسيد والمصلح . ويُحمل في كل موضع من القرآن على ما يناسبه ، فإن حُمل هنا على المالك عمَّ الموجود ، وإن حُمل على المصِلح ، خرجت الأعراض ، لأنها لا تقبل الإصلاح ، بل يُصلح بها ، وإن حُمِل على السيد ، اختص بالعقلاء ، لأنه لا يقال سيد الحمير والحشرات ، وإن حُمل على المعبود ، اختص بالمكلفين ، وهو أخص المحامل .

وأنسبها هنا المصلح : لأن الإصلاح يعمّ ، إن قلنا « الحمد » بمعنى « الشكر » وإلا فالسيد أنسب للثناء ، ووجه مناسبة المالك للثناء ، أن من مَلَك ، يناسب أن يثني عليه مملوكه ، لاستيلائه عليه وعظمته ومناسبة المعبود ، لشرفه باستحقاق العبادة[6] انتهى .

---

(١) القراءة الأولى عن هارون العتكي ، ورؤبة ، وسفيان بن عيينة . والقراءة الثانية عن الحسن وزيد بن علي .
- البحر (١ / ١٨) ، ومختصر ابن خالويه (١) .

(٢) عن إبراهيم بن أبي عبلة . - مختصر ابن خالويه (١) .

(٣) قرأ بذلك زيد بن علي وطائفة . - البحر (١ / ١٩) .

(٤) انظر : إملاء ما من به الرحمن ، لأبي البقاء العكبري (١ / ٥) .

(٥) هو عز الدين ، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء ، ففيه شافعي ، بلغ رتبة الاجتهاد ، تولى الخطابة بالجامع الأموي ، ولما سلم الصالح إسماعيل بن العادل ، قلعة « صفد » للفرنج اختيارا ، أنكر عليه ابن عبد السلام ، فغضب عليه وحبسه ، ثم أطلقه ، فخرج إلى مصر ، وتولى هناك القضاء والخطابة .
- من كتبه : « التفسير الكبير » ، و « الإلمام في أدلة الأحكام » ، و « الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز » في مجاز القرآن ، وهو مطبوع .
- توفي سنة ٦٦٠هـ . - طبقات السبكي (٥ / ٨٠ - ١٠٧) . - النجوم الزاهرة (٧ / ٢٠٨) .
- الأعـلام (٤ / ١٤٤) .

(٦) فوائد في مشكل القرآن (٤٧ - ٤٨) .



وقال الأصبهاني : « يصح أن يراد به هنا جميع معانيه ، وذلك مما يزاد في وجه مناسبة الآيتين به دون المالك ونحوه » .

الكرماني : « الرب من التربية ، وهي تبليغ الشيء إلى كماله على التدريج[1] » .

الراغب : « الرب في الأصل - التربية ، وهي انشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد النمـاء ولا يقال مطلقاً إلا لله المتكفل بمصلحة الموجودات »[2] . قال : « والعالم : اسم للفلك وما يحويه من الجواهر والأعراض ، وهو -في الأصل- اسم لما يعلم به ، وجعل بناؤه على هذه الصيغة ، لكونه كالآلة ، فالعلم آلة في الدلالة على صانعه ، وأما جمعه ، فلأن كل نوع من أنواع المخلوقات يسمى عالماً وجمع جمع السلامة تغليباً للناس »[3] .

قال الخويي : « إنما غلب في (العالمين) العقلاء ، مع أن غيرهم الأكثر تنزيلاً له ، لدلالته على وحدانية صانعه ، منزلة الناطق بالحق » .

(**الرحمن الرحيم**) : تكرار فيمن جعل البسملة من السورة ، ونكتته ، قيل : التأكيد ، وقيل ، الرحمة ، هي الإنعام على المحتاج ، ولم يكن في الآية الأولى ذكر المنعم عليهم ، فأعادها مع ذكرهم ، فقال (**رب العالمين * الرحمن**) لهم يرزقهم ، (**الرحيم**) بالمؤمنين يوم الدين .

وقال الجيلي[4] في كتابه الذي سماه « المناجاة الطورية في المتشابهات النورية[5] » يمكن أن يذكر لتكراره وجوه أخرى ، منها :

---

(١) العجائب (١ / ٩٧) . (٢) المفردات (١٨٤ ، مادة : رب) باختصار .

(٣) المفردات (٣٤٤ ، مادة : علم) باختصار وتصرف .

(٤) لعله يكون عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني من علماء المتصوفين ، له كتب كثيرة ، منها « الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل » في اصطلاح الصوفية ، و « الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم » . توفي سنة ٨٣٢هـ .
- كشف الظنون (١٨١) ، والخزانة التيمورية (٣ / ٦٧) .
ومعجم المطبوعات (٧٢٨) ، وهدية العارفين (٦١٠) .

(٥)

أنه ورد في الحديث : (كل أمر ذي بال ، لا يبدأ فيه ببسم الله ، فهو أبتر)[1]. وفي رواية (بحمد الله)[2].

وذكر في الجمع بين الحديثين : أن يجعل التسمية مبدأ الحمد ، والحمد مبدأ جميع ما عداه ، وعلى هذا ورد القرآن .

ولما كانت الجلالة اسمه تعالى ، والرحمن من الصفات الغالبة ، التي لا يصح اطلاقه على غيره ، و(**الرحيم**) من روادف (**الرحمن**) ، ورعيت في التسمية متوالية ، وجب رعايتها في التحميد أيضاً كذلك .

والفصل بـ(**رب العالمين**) ليس بأجنبي ، بل هو بسط للمقصود في مقامه اللائق به ، فإن مقام الحمد مقام يقتضي من البسط ، ما لا يقتضيه مقام التسمية ، لأن الغرض منها التبرك ، ومنها الإشارة إلى أن التكرار إذا وقع في الكلام البليغ على سبيل التتابع ، ينبغي أن يفصل بينهما بشيء لا يكون أجنبياً ، كما وقع بقوله (**رب العالمين**) ، ومنها الإشارة إلى أنه ينبغي أن يراعى في التسمية الإيجاز ، وفي التحميد الإطناب ، ومنها الإشارة إلى أن صفة الرحمانية من مقتضى الألوهية ، وصفة الرحيمية من مقتضى الربوبية ، نظراً إلى اللف والنشر المرتب ، وعموم الرحمانية للمؤمن والكافر وخصوص الرحيمية بالمؤمن ، ومنها أن التسمية باعتبار تكرارها في سائر السور أولى بالاختصار من التحميد ، ومنها أن التحميد لما كان الثناء بالجميل ينبغي أن يراعى في تكرره الثناء المتخالف ، كما وقع في القرآن من (**الحمد لله رب**

---

(١) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً (كل كلام أو أمر ذي بال ، لا يفتح بذكر الله -عز وجل- فهو أبتر ، أو قال : أقطع) .
- المسند (٢ / ٣٥٩) .

(٢) رواه ابن ماجة بلفظ (كل أمر ذي بال ، لا يبدأ فيه بالحمد ، أقطع) ، سنن ابن ماجه (١ / ٦١٠) حديث رقم (١٨٩٤) ، كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح .
ورواه أيضاً أبو داود ونحوه (٥ / ١٧٢) حديث رقم (٤٨٤٠) ، كتاب الأدب ، باب : الهدي في الكلام .



العالمين)[1] (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض)[2] (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب)[3]، (الحمد لله الذي له ما في السموات)[4]، (الحمد لله فاطر السموات)[5] .

بخلاف التسمية ، فإن الأنسب أن يكون بأفضل الأسماء والصفات ، وهو الله ، الرحمن ، الرحيم .

القاضي بدر الدين بن جماعة[6] : « الفائدة تكرر هذين الوصفين ، التنبيه على الصفات المقتضية لحمده وشكره ، وهي سعة رحمته لعباده ، ولطفه ، ورزقه ، وأنواع نعمه .

فالأول : توكيد الاستعانة ، والثاني : توكيد الشكر »[7] .

---

(١) الفاتحة : ٢ (٢) الأنعام : ١ (٣) الكهـف : ١

(٤) سـبأ : ١ (٥) فاطـر : ١

(٦) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي بدر الدين أبو عبد الله . ولد في حماة . وولي الحكم والخطابة بالقدس ، ثم القضاء بمصر ، فقضاء الشام ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي . وكان من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين .
توفي بمصـر سـنة ٧٣٣هـ .
من كتبه : « كشف المعاني في المتشابه من المثاني » و « غرر البيان لمبهمات القرآن » .
- فوات الوفيات (٢ / ١٧٤) ، ونكت الهميان (٢٣٥) .
والنجوم الزاهرة (٩ / ٢٩٨) ، والدرر الكامنة (٣ / ٢٨٠) .

(٧) كشف المعاني (٤) : وذكر القرطبي أن الله تعالى ، إنما وصف نفسه بـ(الرحمن الرحيم) بعد قول (رب العالمين) ليكون من باب قرن الترغيب بالترهيب ، كما قال في آية أخرى : (نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم) .
وكما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -ﷺ- (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ، ما طمع في جنته أحد ، ولو يعلم الكافر ، ما عند الله من الرحمة ، ما قنط من رحمته أحد) .
- الجامع لأحكام القرآن (١ / ١٣٩) .
وقد اقتصر ابن كثير بذكر قول القرطبي هذا ، دون غيره .
- تفسير القرآن العظيم (١ / ٢٤) .
ويبدو لي أن هذا التوجيه ، وإن كان فيه شيء من القوة ، إلا أنه لا يترجح على التوجيه الذي قاله القاضي بدر الدين بن جماعة ، وخاصة أن جملة (رب العالمين) تشعر بالترغيب أكثر مما تشعر بالترهيب الذي ارتآه القرطبي والله أعلم .



قال : « وهذه الآية -يعني البسملة- جمعت ما لم يجتمع في آية غيرها وهو أنها آية مستقلة في الفاتحة ، عند من قال به ، وهي بعض آية في « النمل »[1] وربعها الأول ، بعض آية في (اقرأ باسم ربك)[2] ، ونصفها الأول بعض آية في « هود » : (بسم الله مجراها ومرساها)[3] ، وربعها الثالث بعض آية في « الرحمن » : (الرحمن ، علم القرآن)[4]، ونصفها الثاني ، آية في الفاتحة ، وبعض آية في البقرة ، هو (الرحمن الرحيم)[5] .

---

(١) سورة النمل : ٣٠ . (٢) العلق : ١ (٣) هود : ٤١

(٤) سورة الرحمن : ٢١ . (٥) البقرة : ١٦٣ .

وقد اتفق العلماء على أن البسملة بعض آية من سورة النمل ، ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول كل سورة ، أو من أول كل سورة كتبت في أولها أو أنها بعض آية من كل سورة ، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها أو أنها إنما كتبت للفصل ، لا أنها آية .

فذهب داود إلى أنها آية مستقلة في أول كل سورة ، لا منها ، وهذا رواية عن أحمد بن حنبل ، وحكاه أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي ، وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة -رحمهم الله- .

وأما القول الثاني : وهو أنها آية من كل سورة -يعني ما عدا براءة- فقد ذهب إلى ذلك ابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وأبو هريرة وعلي ، ومن التابعين عطاء ، وطاووس ، وسعيد بن جبير ومكحول والزهري . وبه قال ابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل - في رواية عنه - واسحاق بن راهويه ، وأبوعبيد القاسم بن سلام -رحمهم الله- .

وقال الشافعي -في بعض طرق مذهبه- : هي آية من الفاتحة فقط ، وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة .

وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابها إنها ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور ، وإنما كتبت للفصل والتبرك .

- انظر : تفسير القرآن العظيم (١ / ١٦) .

ولعل الأرجح في البسملة أنها آية من كل سورة ، ما عدا براءة فإن أكثر علماء السلف على هذا .

ومما يؤيد ذلك ، إثباتها في المصحف في أول كل سورة ما عدا التوبة .

- انظر : التفسير الوسيط ، تأليف : لجنة من العلماء (١/ ١٦ - ١٧) .



قال النقاشي[1] : « وزعم قوم أن فيه تقديماً وتأخيراً ، والتقدير : الحمد لله ، الرحمن الرحيم ، رب العالمين »[2] ، قال : « وهذا تعسف شديد ما قاله أحد من المتقدمين »[3] .

قال الكرماني : « إنما أراد هؤلاء تقديم (الرحمن) فقط ، لأنه يشبه الأعلام والعَلَم بالتقديم أولى »[4] .

(**ملك يوم الدين**) : قرئ في السبع (**مالك**) و(**ملك**)[5] ، فقيل : هما بمعنى وهو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ، وقيل : (**مالك**) من (**المِلك**) ، بفتح الميم ، وكسرها ، و(**ملك**) من « **المُلك** » بضمها ، ثم اختلف أيهما أبلغ في المدح ، فقيل : (**مالك**) ، لأنه أوسع ، وأجمع ، يقال مالك الطير ،

---

(١) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، أبو بكر النقاش ، أصله من الموصل ومنشأه ببغداد ، رحل رحلة طويلة كان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان ، فعرف بالنقاش .
كان عالماً بالقرآن وتفسيره .
من مؤلفاته : « شفاء الصدور » في التفسير ، و « الإشارة » في غريب القرآن » و« الموضح » في القرآن ومعانيه .
قال الذهبي : « وقد اعتمد الداني في التيسير على روايته للقراءات ، والله أعلم . فإن قلبي لا يسكن إليه ، وهو عندي متهم ، عفا الله عنه » .
- توفي سنة ٣٥١هـ .
- ميزان الاعتدال (٣ / ٤٥) ، وفيات الأعيان (١ / ٤٨٩) ، إرشاد الأريب ٤٩٦/٦ .

(٢) وقد قال بذلك مكي ، ثم قال : « وإنما قلنا بالتقديم ، لأن مجاورة الرحمة بالحمد أولى ، ومجاورة الملك بالملك أولى » . البحر المحيط (١ / ١٩) . وهذا الكلام مردود على صاحبه - بما قاله أبو حيان - بأن الترتيب القرآني جاء في غاية الفصاحة ، لأنه تعالى وصف نفسه بصفة الربوبية ، وصفة الرحمة ، ثم ذكر شيئين ، أحدهما : ملكه يوم الجزاء ، والثاني : العبادة ، فناسب الربوبية للملك ، والرحمة للعبادة ، فكان الأول للأول ، والثاني للثاني » .
- البحر (١ / ٢٠) .

(٣) (٤) العجائب (١ / ١٠٠ - ١٠١) .

(٦) القراءة بالألف ، هي قراءة عاصم والكسائي ، وروي عن الكسائي أنه خير في ذلك . والقراءة بغير ألف هي قراءة البقية .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع ، لمكي بن أبي طالب ، تحقيق : د. محيي الدين رمضان (١ / ٢٥)



والـوحش ، وكل شيء[1] ، ولا يقال ملك كل شيء ، بل ملك الناس[2] ، ولأن الزيادة في البناء ، تدل على الزيادة في المعنى .

وقيل : (ملك) ، لأن كل ملك ، فلابد أن يكون مالكا لشيء ، بخلاف العكس ولأن الملك يتصرف فيما ملك ، وفيما لم يملك ، بخلاف المالك ، ولأنه تمدح بـ(مالك الملك) ، وملك مأخوذ منه ، ولم يتمدح بمالك الملك الذي مالك مأخوذ منه .

الـراغب : « الملك » -أي بالكسر- : ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم . و« الملك » -أي بالضم- : التصرف بالأمر والنهي في الجمهور »[3] .

فالأول كالجنس للثاني ، فكل ملك ملك ، وليس كل ملك ملكا[4] .

الخويي : « ملك : يدل على دوام الأمر ، وثباته ، بخلاف مالك » .
فان قلت : قرئ هنا بالوجهين ، ولم يقرأ (ملك الناس)[5] ، و(مالك الملك)[6] ، إلا بوجه واحد . فهل لذلك سر ؟

قلت : لم أقف على كلام لأحد في ذلك ، وظهر لي في ذلك أمران :
أحدهما : أن الفـاتحة لكونها أم القرآن ، وأساسه ، وقع فيها الأمران ، كما هو

---

(١) قاله الأخفش ، البحر (١ / ٢٢) . (٢) قاله أبو حاتم ، البحر (١ / ٢٢) .
(٣) المفردات (٤٧٢ ، مادة : ملك) باختصار وتصرف .
(٤) انظر في الأقوال التي قيلت في الترجيح بين (مالك) و (ملك) .
انظر : التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، (١ / ٢٤١ وما بعدها) .
وقال ابن كثير : « وقد رجح كلا من القراءتين مرجحون من حيث المعنى وكلتاهما صحيحة حسنة » .
ثم قال : « و (مالك) مأخوذ من الملك ، كما قال تعالى : (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها ، وإلينا يرجعون) . وقال : (قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس) و (ملك) مأخوذ من المُلك ، كما قال تعالى : (لمن الملك اليوم لله الـواحد القهار) ، وقال : (قوله الحق ، وله الملك) . وقال : (الملك يومئذٍ الحق للرحمن ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً) » .
- تفسـير القـرآن العظـيم (١ / ٢٤) .
(٥) سـورة الناس : ٢ . (٦) سورة آل عمران : ٢٦ .



شأنها في ايراد الألفاظ فيها على سبيل العموم كما سبق وسيأتي ، واقتصر في غيرها على أحد الأمرين .

الثاني : أن (**ملك الناس**) ذكر قبله (**برب الناس**)[1] ، والرب : بمعنى المالك ، فذكر بعده (**ملك**) ، ليحصل الجمع بين الوصفين ، ولو قرئ (**مُالك**) ، لكان مع قوله (**برب الناس**) تكرراً محضاً . فإن قيل : وهنا تقدم (**رب العالمين**) .

قلت : تقدم على سبيل العموم ، وأعيد (**مالك يوم الدين/٤**) على جهة الخصوص تنبيهاً على عظم هذا اليوم ، وتفرده بالملك فيه . كما أشار إليه الأصبهاني ، بخلاف (**برب الناس**) و(**مالك الناس**) ولو قرئ فإنهما سواء ، ليس بينهما عموم وخصوص ، وعطف الخاص على العام ، شائع كثير ، بخلاف عطف الشيء على مرادفه .

وأما مالك الملك ، فإنه لا معين فيه لملك الملك ، لو قرئ لأنه يشبه إضافة الشيء إلى نفسه ، والقصد الثناء على الله تعالى . لأنه مالك الملك ، بخلاف غيره من الملوك ، فانه ليس بمالك لما هو ملك فيه . فتأمل » .

واختصاص الإضافة بـ (**يوم الدين**) ، لما أشرنا إليه من التنبيه على عظمه والتفرد بالملك فيه (**لمن الملك اليوم**)[2] ، وإضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع ، أي مالك الأمر كله في يوم الدين ، ووقع نعتا للمعرفة ، لأنه بمعنى الاستمرار ، كـ(**غافر الذنب**)[3] ، أو المضي ، قيل : ويحسنه أن أكثر ألفاظ القيامة ، جاء بمعنى الماضي تحقيقاً ، فحمل هذا على معنى المضي ، وأفاد التعريف ، ويؤيده قراءة (**ملك يوم الدين**) بصيغة الفعل الماضي[4] .

---

(١) سورة الناس : ١ . (٢) سورة غافر : ١٦ .

(٣) سورة غافر : ٣ .

(٤) عن أنس بن مالك ، مختصر ابن خالويه (١) .



وقيل : هو بمعنى الاستقبال بدلاً ، و (يوم) مفعول به ، والمعنى أنه تعالى يملك يوم الدين أن يأتي به .

قال الكرماني : « ويؤيده قراءة (**ملك يوم الدين**) بالتنوين والنصب[1] .

وقرئَ أيضاً (**ملك**) بسكون اللام ، و (**مليك**)[2] .

قال الخـويي : « اليوم قطعـة زمـان ، والنهار اسم لما بين طلوع الشمس إلى الغـروب ، وعبر باليوم دونه ، إشارة إلى أن الخلق بأسرهم يقضى أمرهم في دون النهار ، وقد صح الحديث بأنه تعالى يحاسب الخلق في نصف نهار[3] ، ولذا لم يقل زمان الدين ، لأنه لا يعلم منه السرعة المذكورة ، لأن الزمان اسم جنس كالنهار » .

و (**الدين**) هنا : الجزاء . قال الخويي : « وبينهما فرق لطيف ، وهو أن الدين اسم للجزاء المحسوب المقدر بقدر ما يقتضيه الحساب ، إذا كان موجوداً ممن معه ، وقـع له الأمـر المجـزى به ، فيقـال لمن أعـطى كثيراً في مقابله قليل ، هذا جزاء عملك ، ولا يقال هذا دين عملك ، وكذلك لو أحسنت إلى رجل ، فأحسن إليك غيره بدلاً عنه ، فهو جزاء لا دين .

وأما إذا أعطيت من أحسن إليك بحساب مستوفى على قدر ما صنع ، فهو الدين ولـذلـك ورد هذا اللفظ في القـرآن ، لأنـه تعـالى هو المجازي لا غيره ، ويجازي بحسـاب ، كما قال : (**فوفَّـاه حسـابـه**)[4] ، ثم بعد ذلك يكون العطاء الجزيل والإحسان الكثير » .

---

(١) بالبحر (ملكًا) بالنصب والتنوين ، وذكر أنها رواها ابن أبي عاصم عن اليمان - البحر (١ / ٢٠) .

(٢) هذه قراءة أُبَيّ وأبي هريرة وأبي رجاء . والقراءة السابقة عن :
عبد الوارث عن أبي عمرو ، مختصر ابن خالويه (١) ، والبحر (١/ ٢٠) .

(٣) لعل المؤلف هنا بقصد ما رواه الامام أحمد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي -ﷺ- أنه قال : (إني لأرجو أن لا يعجز أمتي عند ربي أن يؤخرهم نصف يوم) .
فقيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال خمسمائة سنة . - المسند (١/ ١٧٠)
ورواه الطبري في تاريخه (١/ ١٦) بنحوه عن أبي ثعلبة الخشني .

(٤) سـورة النـور : ٣٩ .



قال : « وإنما وقع في القرآن : (**يوم الدين**) ولم يقع « **يوم الجزاء** » ، وقال : (**يوم يجزي الله**)[1] ، ولم يقل « يوم يدين الله » ، وقال : (**جزاء بما كانوا يعملون**)[2] ، ولم يقل : (**دينا**) ، لمعنى دقيق في العربية ، وهو أن الفعل ، لا يعم إلا بواسطة المصدر ، فإذا قلت : فلان جلس ، أو يجلس ، لا يقتضي أن يكون قد جلس طويلاً ، أو مراراً ، وإذا قلت لفلان : جلوس ، أفاد ما لا يفيده ذلك . أنظر إلى قولك : فلان مَلَك البلاد ، ولفلان مُلْك البلاد ، والتحقيق فيه أن الفعل زماني ، والمصدر لا يقتضي زماناً ، فإذا قلت : فعل ، ويفعل ، تبينً الماضى ، والمستقبل ، والمصدر يشمل الحالتين ، فهو أعم من الفعل .

إذا علمتَ هذا ، فالجزاء عام ، فإن كل دين جزاء ، وليس كل جزاء ديناً ، لما تقدم في الفرق ، فقال (**يوم الدين**) ، لأنه لو قال يوم الجزاء لتناول يوم دخول الجنة ، وأيام البقاء فيها ، لأنها أيام جزاء ، فقال : (**يوم الدين**) ليوم واحد فيه الجزاء بحساب ، وقال (يوم يجزىء) ، لزوال ذلك المانع ، لأن الفعل يقتضي زماناً واحداً ، ولم يقل : « يوم يدين » لأنه تعالى في يوم الدين ، لا يعطي كل أحد بحساب ، بل يعطي المحسنين بغير حساب ، فهو يوم لا يكون الدين إلا فيه ، وأما أن كل ما فيه ديناً فلا نذكر الفعل باللفظ الأعم ، فإن (يجزئ) أعم من « يدين » وكذا القول في « جزاء » و« دينا » .

وقال الطيبي : « في اختصاص يوم الدين دون يوم القيامة وغيره من أسمائه فائدتان :

إحداهما : مراعاة الفاصلة . والأخرى : العموم المطلوب في ألفاظ هذه السورة ، فإن الجزاء يشمل أحوال القيامة ، من ابتداء النشور إلى السرمد ،

---

(١) هذا النص ليس في القرآن الكريم .

(٢) الأحقاف : ١٤ .



الدائم ، فسبيل (**ملك يوم الدين**) و (**مالك يوم الدين**) سبيل (**رب العالمين**) في الحمل على المفهومين ، أي حمل « الرب » على معنى « المالك » و « المربي » معاً .

فـ (**رب العالمين**) اذن بالتصرف التام في الدنيا « ملكا » ، وتربية ، و (**ملك يوم الدين**) دل على ذلك في العقبى تسلطا ، وقهرا ، وتوسط (**الرحمن الرحيم**) بينهما مناديا ، يترجح جانب الرحمة ، وأنه تعالى رحمٰن الدنيا ، ورحيم الآخرة » .

وقال الأصبهاني : « بعد الدلالة على اختصاص الحمد بالله ، وأن الحمد به حقيق في قوله : (**الحمد لله**) ، أجريت هذه الأوصاف عليه ، من كونه ربا ، مالكا للعالمين ، لا يخرج منهم شيء عن ملكوته وربوبيته ، ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة ، والجلائل والدقائق ، ومن كونه مالكاً للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب ، ليدل على أن من كانت هذه أوصافه حقيق بالحمد والثناء عليه بما هو أهله » .

قال : « وقد ذكر تعالى في هذه السورة من الأسماء الحسنى خمسة : الله ، والرب والرحمن ، والرحيم ، والملك .

والسر فيه ، أن يقول خلقتك أولاً ، فأنا إله ، ثم ربَّيتك بإسباغ النِّعم فأنا رب ، ثم عصيتَ فسترت ، فأنا رحمٰن ، ثم تُبتَ ، فغفرت لك ، فأنا رحيم ، ثم لابد من اتصال الجزاء ، فأنا مالك يوم الدين .

وذكر (**الرحمن ، الرحيم**) مرة في البسملة ، وأخرى في أثناء السورة فوقع التكرر فيهما ، بخلاف الأسماء الثلاثة ، تنبيهاً على أن العناية بالرحمة أكثر منه بسائر الأمور .

ثم لما بيّن الرحمة المضاعفة ، ذكر (**ملك يوم الدين**) ، حذراً من الاغترار ونظيره (**غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب**)[1] .

---

(١) سورة غافـــر : ٣ .



(**إياك نعبد**) : هذا هو النوع المسمى في البيان بالالتفات ، والعرب يستكثرون منه على عادة افتنانهم في الكلام ، فإنهم يرون أن الكلام ، إذا نُقِل من أسلوب ، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وأكثر إيقاظاً للإصغاء إليه ، من إجرائه على أسلوب واحـد ، لما جُبِلَتْ عليه النفوس ، من حب التنقلات ، والسآمة من الاستمرار على محلٍّ واحد . وقد تختص مواقع الالتفات بلطائف شريفة ، وفوائد لطيفة وهذا الموضع من أحسن مواضعه ، فإن العبد إذا ذكر الله ، وحمده ، ثم ذكر صفاته ، التي كل صفة منها ، تبعث على شدة الإقبال ، وآخرها : (**مالك يوم الدين**) المفيد أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء ، يجد من نفسه حاملاً لا يقدر على دفعه على خطاب من هذه صفاته ، بتخصيصه بغاية الخضوع ، والاستعانة في المهمات .

وقيل : إنما اختير لفظ الغيبة للحمد ، وللعبادة الخطاب ، للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة ، لأنك تحمد نظيرك ، ولا تعبده ، فاستعمل لفظ الحمد مع الغيبة ، ولفظ العبادة مع الخطاب ، لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ، ما هو أعلى رتبة ، وذلك على طريق التأدب . ذكره ابن جني[1][2] .

وقيل : لأنه لما ذكر الحقيق بالحمد ، وأجري عليه الصفات العظيمة ، من كونه ربـا للعالمين ، ورحمانا ، ورحيما ، ومالكا ليوم الدين ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن ، حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره ، مستعانا به ، فخوطب بذلك ، لتميزه بالصفات المذكورة ، تعظيماً لشأنه ، حتى كأنه قيل : إياك يا من هذه صفاته ،

---

(١) هو أبو الفتح ، عثمان بن جني الموصلي ، من أئمة الأدب والنحو ، كان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي من تصانيفه « شرح ديوان المتنبي » ، و« المحتسب » في شواذ القراءات ، و« سر الصناعة » و« الخصائص » في اللغة ، و« اللمع » في النحو .
- توفي سنة ٣٩٢ هـ .
- إرشاد الأريب (٥ / ١٥ - ٣٢) ، وابن خلكان (١ / ٣١٣) .
شذرات الذهب (٣ / ١٤٠) ، ويتيمة الدهر (١ / ٧٧) .

(٢) لم أعثر على ذلك فيما اطلعت عليه .



نخص بالعبادة والاستعانة ، لا غيرك .

قيل : ومن لطائفه التنبيه على أن مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه وقصورهم عن محاضرتـه ، ومخاطبته ، وقيام حجاب العظمة عليهم ، فإذا عرفوه بما حوله ، وتوسلوا للقرب بالثناء عليه ، وأقروا بالمحامد له ، وتعبدوا له ، بما يليق بهم تأَهَّلُوا لمخاطباته ، ومناجاته ، فقالوا : (**إياك نعبد ، وإياك نستعين**)[1] .

وقال ابن عبد السلام : « الخطاب يشعر بالقرب ، إذ لا يخاطب إلا من يسمع الخـطاب ، فأشعـر الالتفـات ، بأنـه قريب يسمـع دعـاء الـداعـين ، ووسيلة المتوسلين »[2] وإنما قدم (**إياك**) ليفيد الاختصاص[3] ، أي لا غيرك وليكون نظرهم من الله إلى العبادة ، لا من العبادة إليه .

وفي « العجائب » : في تقديم (**إياك**) قولان :
أحدهما : تعظيماً لله . والثاني : قطعاً لمجال العطف ، فإنك إذا قلت : اضربك ، أمكنك أن تقول وزيدا ، وليس كذلك ، إذا قدّمت : « إياك أضرب »[4] .

وقال الخويي : « من عادتهم تقديم الأهم ، والأهم هنا ذكر الله ، فان العبد

---

(١) ذهب ابن كثير إلى نحو هذا القول : وذلك حيث قال : « وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب ، وهو مناسبة لأنه لما أثنى على الله ، فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى ، فلهذا قال : فلهذا قال : (اياك نعبد ، واياك نستعين » .
- تفسير القرآن العظيم (١ / ٢٥) .
(٢) فوائد في مشكل القرآن (٥٢) ، إلا أن فيه « ومعاهدة المعاهدين » بدلاً من « ووسيلة المتوسلين » .
(٣) ذهب إلى ذلك الزمخشري . (الكشاف ١ / ٦١) .
ورده أبو حيان ، واختار أن يكون التقديم هنا للاعتناء والاهتمام .
- البحر (١ / ٢٤) . وهو اختيار ابن عطية أيضاً ، - المحرر الوجيز (١ / ١١٤) .
وقد استصوب الشوكاني القولين ، وقال إنه « لا تزاحم بين المقتضيات » .
- فتح القدير (١ / ٢٢) .
(٤) العجائب (١ / ١٠٢) .



لما ذكر (الحمد لله) ، وذكر أوصافه من كونه ربا ، ورحمانا ، ورحيما ، وملكا حضر قلبه ، وعنده أن الأهم مخاطبة ربه ، فبدأ بذكر ربه ، ثم بذكر عبادته ، وهذا من كلام العبد مع الله . وأما الله -تعالى- فقال : (**اعبدوا ربكم**)[1] ، لأنهم خلقوا للعبادة ، فبدأ بها ، لأنها المقصود الأهم ، ثم ذكر ما يحملهم عليها فقال : (**ربكم**) ، فإن كونه ربا ، يقتضي أن يعبد ، وفي هذا لطيفة ، وهو أن العبد يطلب من الله وجهه ، والله يطلب من العبد فعله »[2] .

قال : « وانما جيء في « **الحمد** » بالجملة الاسمية ، ولم يقل : « **نحمدك** » ، وفي « العبادة » بالجملة الفعلية ، ولم يقل : العبادة لك ، لأن الحمد له ، أمر ثابت قبل كل خلق ، وان لم نحمده ، فجئ فيه بالاسمية الدالة على الثبوت ، وأما العبادة ، ففعل منا يتحقق بعد وجودنا ، فجئ بالفعلية الدالة على الحدوث .

وقرئ (**يعبد**) بالياء ، مبنياً للمفعول[3] ، على اقامة ضمير النصب ، مقام ضمير الرفع . قال بعضهم : « وفيه التفات من الخطاب في (**اياك**) ، للغيبة في

---

(١) سورة البقرة : ٢١ .

(٢) ما ذكره المؤلف هنا من أقوال في تقديم (إياك) على ما بعده أضاف إليها آخرون أقوالاً أخرى ، وعلى ذلك يمكن أن يقال إن هناك عدة أسباب في تقديم (إياك) على ما بعده ، وهي :
١ - الحصر والاختصاص . ٢ - تعظيم الله . ٣ - قطع العطف .
٤ - تقديم ما هو مقدم في الوجود ، فإنه تعالى مقدم على العابد والعبادة ذاتاً ، فقدم وضعاً ، ليوافق الوضع الطبع .
٥ - تنبيه العابد من أول الأمر على أن المعبود هو الله تعالى ، فلا يتكاسل ولا يلتفت يميناً وشمالاً .
٦ - الاعتناء والاهتمام .
٧ - التصريح من أول وهلة بأن العبادة له سبحانه ، فهو أبلغ في التوحيد وأبعد عن احتمال الشرك ، فإنه لو أخر ، فقبل أن يذكر المفعول يحتمل أن تكون العبادة لغيره تعالى .
٨ - الإشارة إلى حال العارف ، وأنه ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولاً ، وبالذات ، وإلى العبادة من حيث أنها وسيلة إليه .
- انظر روح المعاني (١/٨٧) .

(٣) عن الحسن وأبي مجلز وأبي المتوكل .
- البحر (١ / ٢٣) .



(**يعبد**) ، وهذا التفات غريب ، لكونه في جملة واحدة ، بخلاف المتقدم .

ونظير هذا قوله :

أأنت الهلالي الذي كنت مرة ∴ سمعنا به ، والأرحبي المغلب[1]

فقال : « به » بعد « أنت » و « كنت » .

الراغب : « العبادة غاية التذلل ، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال ، وهي أبلغ من العبودية ، التي هي إظهار التذلل »[2] .

(**وإياك نستعين**) : كرر (**إياك**) ، ليكون أدل على الإخلاص ، والاختصاص ، فإنه يفيد المبالغة في تخليص الاستعانة ، كالمبالغة في تخليص العبادة ، وتخصيصه بها ولو حذف ، لم يدل على التقديم المفيد ذلك .

وفي تأخير (**نستعين**) ما تقدم من الأوجه في (**نعبد**) ، ويزداد هنا مراعاة الفاصلة[3] .

---

(١) لم أعثر على قائله ، وهو في :
همع الهوامع ، للسيوطي (١ / ٨٧) ، والمقرب ، لابن عصفور (٦٧) ، ورصف المباني ، للمالقي (٢٦) ، إلا أن آخره : والأريحي الملقب ، وانظر البحر (١ / ٢٤) .

(٢) المفردات (٣١٩ ، مادة : عبد) .

(٣) ذكر العلماء أقوالاً أخرى ، في السر في تكرار (إياك) ، بالإضافة إلى القول المذكور هنا ، ومن هذه الأقوال :

١ - التنصيص على طلب العون منه تعالى ، فإنه لو قال : إياك نعبد ونستعين ، لاحتمل أن يكون إخباراً بطلب المعونة من غير أن يعين ممن يطلب .
وقيل : إنه لو اقتصر على واحد ، ربما توهم أنه لا يتقرب إلى الله تعالى إلا بالجمع بينهما ، والواقع خلافه .

٢ - وقيل : إنه تعليم لنا في تجديد ذكره تعالى عند كل حاجة . ذكر هذه الأقوال الألوسي ، وذهب إلى أن التكرار هنا ، للإشعار أن حيثية تعلق العبادة به تعالى ، غير حيثية تعلق طلب الاستعانة منه سبحانه ، ولو قال : إياك نعبد ونستعين ، لتوهم أن الحيثية واحدة ، والشأن ليس كذلك ، إذ لابد في طلب الإعانة من توسط صفة ، ولا كذلك في العبادة ، فلاختلاف التعلق ، أعاد المفعول ، ليشير بها إليه .
- روح المعاني (١ / ٩٠) .



وقدم جملة العبادة على جملة الاستعانة ، لأنها المقصود الأهم ، ولأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ، يستدعي الاجابة إليها .

وفي « شرح الحكم » لابن عباد[1] : « من كان من الأبرار ، فمنتهى درجة اخلاصه أن تكون أعماله سالمة من الرياء الجلي والخفي ، طلباً لما وعد الله به المخلصين من جزيل الثواب ، وهرباً عما أوعد به المخلطين من أليم العذاب . وهذا في التحقيق معنى قوله : (**إياك نعبد**) ، أي لا نعبد إلا اياك ، ولا نشرك في عبادتنا غيرك . وحاصل أمره اخراج الخلق عن نظره في أعمال بره مع بقاء رؤيته لها[2] ، والاعتماد عليها .

وأما من كان من المقربين ، فقد جاوز هذا إلى عدم رؤيته لنفسه في عمله فإخلاصه ، إنما هو شهود انفراد الحق -تعالى- بتحريكه وتسكينه من غير أن يرى لنفسه في ذلك ، حولا أو قوة ، وهو في التحقيق معنى قوله : (**وإياك نستعين**) ، أي لا نستعين إلا بك ، لا بأنفسنا ، وحولنا وقوتنا ، فالأول هو العمل لله ، والثاني : هو العمل بالله »[3] . انتهى .

وقد ظهر بهذا سر آخر لطيف في تقديم (**إياك نعبد/٥**) على (**إياك نستعين/٥**) .

قال الزملكاوي[4] : « وفي (**نستعين**) : معنى الدعاء ، وطلب الاعانة ،

---

(١) هو أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم النفزي الحميري الرندي ، المعروف بابن عباد ، متصوف ، باحث ، من أهل « رندة » بالأندلس ، وتنقل بين فاس وتلمسان ومراكش وغيرها ، واستقر خطيباً للقرويين بفاس .
من كتبه : « الرسائل الكبرى » و « غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية » .
- توفي سنة ٧٣٣هـ .
نفح الطيب ١٧٨/٣ - ١٨٣ ، الأعلام ١٩٠/٦ .

(٢) في شرح الحكم : « مع بقاء رؤيته لنفسه في النسبة إليها » .

(٣) شرح الحكم (١٠ - ١١) .

(٤) هو أبو المكارم ، كمال الدين ، عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني ، ويقال له ابن خطيب زملكا ، وهو أديب من القضاة ولي قضاء صرخد ، ودرس مدة في بعلبك .
من كتبه : « التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن » . ورسالة في الخصائص النبوية .
- توفي سنة ٦٥١هـ .
- بغية الوعاة ٣١٦ ، طبقات الشافعية ١٣٣/٥ ، شذرات الذهب ٢٥٤/٥ .



كقوله : (**يغفر الله لكم**)[1] » . وقال الخويي : « استعان : يتعدى تارة بنفسه وتارة بالياء ، والفرق بينهما ، أنك إذا قلت : استعنت زيداً ، فمعناه أنك طلبت أن يكون هو معيناً لك ، يفعل معك فعلاً مثل فعلك ، وإذا قلت : استعنت بزيد ، كنت أنت الفاعل ، ولكن زيداً ، لابد منه فهو كالآلة ، كما تقول : استعنت بالقدوم ، إذا عرف ذلـك ، فاختير هنا الأول ، لأن الله هو الفاعل ، وكذا قوله : (**وربنا الرحمن المستعان**)[2] ولم يقل به ، واختير الثاني في قوله : (**واستعينوا بالصبر**)[3] ، لأن الصبر ليس بفـاعل معين ، وإنما هو آلة بها يصل الفاعل إلى غلبة الشيطان والنفس » . قال : « فإن أورد على هذا قوله : (استعينوا بالله واصبروا)[4] قلنا : فيه لطيفة ، فانه لما جعل الحاكي العباد ، قال : (**اياك نستعين**) اظهاراً منهم ، أن فعل الله ، لابد منهم ، ولما أمرهم هو ، قال : (**استعينوا بالله**)[5] ، أي لا تتكلوا كل الاتكال ، بل اجتهدوا ، واجعلوا أنفسكم كأنكم الفاعلون المستقلون » . انتهى .

واطلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان فيه ، من عبادة وغيرها ، ذكره صاحب الكشاف[6] وغيره . وقال بعضهم : « أطلق كلاً من فعلي العبادة والاستعانة ، فلم يذكـر لهما مفعولاً ، ليتناول كل معبود به ، ومستعان عليه ، أو يكون المراد وقوع الفعـل من غير نظر إلى مفعول ، نحو : (**كلوا واشربوا**)[7] ، أي أوقعوا هذين الفعلين . وقال القاضـي : « الضمير المستكن في الفعلين للقارئ ولسائر الموحدين ، أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم ، وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ، ويجاب إليها ، ولهذا شرعت الجماعة ، والاستعانة طلب العون ، وهو المظاهرة والنصرة » .

---

(١) يوسـف : ٩٢ .
(٢) الأنبيـاء : ١١٢ .
(٣) البقـرة : ١٥٣ .
(٤) الأعـراف : ١٢٨ .
(٥) الأعـراف : ١٢٨ .
(٦) الكشاف : (١ / ٦٦) .
(٧) البقرة : ٦٠ .



(**اهدنا**) : الهداية : الدلالة والإيصال إلى المطلوب ، و« **هدى** » يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه ، كما هنا ، وباللام : (**يهدي للتي هي أقوم**)[1] وبإلى : (**وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ**)[2] .

قال الخويي : « فحيث جعل الله نفسه فاعلا للهداية ، وكان المهدي قد اجتهد في الطلب عداه بغير حرف ، كما هنا ، فإن الطالب اجتهد ، وأتى بالعبادة البالغة في قوله : « **إياك نعبد ، وإياك نستعين** »[3] ، والله هو الهادي . وكذا : (**والذين جاهدوا فينا ، لنهدينهم سبلنا**)[4] ، لما كان الفاعل هو الله ، والمهدي في جاهد ، عداه بلا حرف . وكذا (**ولهديناهم صراطاً مستقيماً**)[5] بعد (**ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به**)[6] ، (**ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً**)[7] بعد (**فأما الذين آمنوا بالله ، واعتصموا به**)[8] ، (**وهديناهما الصراط المستقيم**)[9] أي موسى وهارون ، وهما نعم المجتهدان . ومثل ذلك كثير ، وسره أن الفاعل إذا كان قوياً ، والمفعول شديد القبول ، لكون الفعل يتعلق به ، فتعديته إليه بلا حرف ، وأما (**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**)[10] (**وإنك لتهدي إلى صراطٍ**)[11]، فعداه بالحرف لما كان الهادي غير الله ، وقال : (**يهدي من يشاء إلى صراطٍ**)[12]، حيث لم يذكر اجتهاد المهدي ، وكذا (**الحمد لله الذي هدانا لهذا**)[13]، لم يذكر معه اجتهادهم ، وأما (**قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ**)[14]، واجتهاد النبي - ﷺ - معروف . فالجواب : أنه كان من التواضع وعدم العجب بمكان ، فكأنه قال : هذا الذي أعطاني الله ، لا اجتهاد لي فيه ، أو نقول : هذا هو الهدى الذي هداه الله أولاً من غير سعي منه ولا كسب ، وهو الذي قال فيه : (**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**)[15]ثم جاء الاجتهاد بعد ذلك شكراً . وأما قول مؤمن آل فرعون : (**اتبعونِ أهدكم سبيل**

---

(١) الإسراء : ٩ .
(٢) الشورى : ٥٢ .
(٣) الفاتحة : ٥ .
(٤) العنكبوت : ٦٩ .
(٥) النساء : ٦٨ .
(٦) النساء : ٦٦ .
(٧) النساء : ١٧٥ .
(٨) النساء : ١٧٥ .
(٩) الصافات : ١١٨ .
(١٠) الإسراء : ٩ .
(١١) الشورى : ٥٢ .
(١٢) البقرة : ١٤٢ ، ٢١٣ .
(١٣) الأعراف : ٤٣ .
(١٤) الأنعام : ١٦١ .
(١٥) الشورى : ٥٢ .

الرشاد)[1] فعدّاه بلا حرف ، والهادي غير الله ، فجوابه : أن سبيل الرشاد دون الصراط المستقيم ، فلما كان المفعول أسهل وأكثر حصولاً ، عداه من غير حرف .
وأما قوله : (**يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراطٍ**)[2] حيث عداه في الأول بلا حرف وفي الثاني به ، والهادي فيهما الله ، وذكر الاجتهاد ، فانه لما قال : (**يهدي به**) صارت الهداية كأنها منسوبة للكتاب ، فصار كقوله : (**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**)[3] ، ثم عداه للأول بلا حرف ، لأن سبيل السلام دون الصراط المستقيم في الشرف ، فإن الصراط المستقيم هو الذي للأنبياء ، والأولياء ، والسبل للمؤمنين بأسرهم ، فعدى إلى الأدنى بغير حرف ، وإلى الأعلى بحرف ، إبانة لخطر أحدهما وشرفه على الآخر » . انتهى كلام الخويي .

وقال الشيخ سعد الدين في حاشية الكشاف : « قد يفرق بين » هدى « المتعدي بنفسه » ، و« هدى » المتعدي بالحرف ، بأن معنى الأول : الإذهاب إلى القصد والإيصال ، ولهذا يسند إلى الله تعالى ، ومعنى الثاني : الدلالة وإراية الطريق فيسند إلى النبي - ﷺ - مثل (**وإنك لتهدي إلى صراطٍ**)[4] ، وإلى القرآن ، مثل : (**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**)[5] .

وقال الراغب : « الهداية : دلالة بلطف » . قال : « وأما استعمالها في نحو **فاهدوهم إلى صراط الجحيم**)[6] ، (**ويهديه إلى عذاب السعير**)[7] ، فإنه على سبيل التهكم مبالغة في المعنى ، كقوله : (**فبشرهم بعذابٍ أليم**)[8] ، وقول الشاعر :

« تحية بينهم ضرب وجيع » .

---

(1) غافر : ٣٨ .
(2) المائدة : ١٦ .
(3) الإسراء : ٩ .
(4) الشورى : ٥٢ .
(5) الإسراء : ٩ .
(6) الصافات : ٢٣ .
(7) الحج : ٤ .
(8) آل عمران : ٢١ ، التوبة : ٣٤ ، الانشقاق : ٢٤ .



قال : « وهداية الله للإنسان على أربعة أوجـه :

الأول - الهداية التي عم بها كل شيء ، مقدر فيه حسب احتماله ، كما قال : **(أعطى كل شيءٍ خلقه ، ثم هدى)**[(١)] .

الثاني - الهـدايـة التي جعلهـا للنـاس بدعـائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن ، ونحو ذلك ، وهو المقصود بقوله : **(وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا)**[(٢)] .

الثالث - التـوفيق الذي يختص به من اهتدى ، وهو المعنى بقوله : **(والذين اهتدوا ، زادهم هدىً)**[(٣)] ، **(ومن يؤمن بالله يهد قلبه)**[(٤)] .

الرابع - الهداية في الآخرة إلى الجنة ، وهو المعنى بقوله : **(الحمد لله الذي هدانا لهذا)**[(٥)] ، **(سيهديهم ، ويصلح بالهم)**[(٦)] .

والإنسان لا يقدر يهدي أحداً إلا بالدعاء ، وتعريف الطرق ، دون سائر أنواع الهدايات ، وكل هداية نفاها الله -تعالى- عن النبي - ﷺ - وعن البشر ، وذكر أنهم غير قادرين عليهـا ، فهي ما عدا هذه ، وكـل هداية نفـاهـا عن الـظالمـين والكـافـرين فهي الهـداية الثالثة ، التي هي التوفيق ، والرابعة التي هي الثواب ، وإدخال الجنة نحو : **(كيف يهدي الله قوماً كفروا . .)**[(٧)] الآية »[(٨)] . انتهى .

وإنما قال (**اهدنا**) ، ولم يقل « اهدني » ، لأن الدعاء مهما كان أعم أقرب إلى الإجابة ، ثم المطلوب إما زيادة ما منحوه ، أو الثبات عليه ، أو حصول المراتب المرتبة عليه . قاله القاضـي[(٩)] .

---

(١) طـه : ٥٠ . (٢) الأنبياء : ٧٣ . (٣) محمـد : ١٧ . (٤) التغابن : ١١ .

(٥) الأعراف : ٤٣ . (٦) محمـد : ٥ . (٧) آل عمران : ٨٦ .

(٨) المفردات : ٥٣٨ - ٥٣٩ ، مادة : هدى ، باختصار وتصرف .

(٩) لعل المقصود هنا ، هو أبو بكر ، محمد بن الطيب ، قاض ، من كبار علماء الكلام انتهت إليه الرئاسة في مذهب الاشاعرة وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم ، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية ، من مصنفاته « إعجاز القرآن » و« الإنصاف » و« دقائق الكلام » . توفي سنة ٤٠٣هـ . =



(**الصراط المستقيم**/٦) : أي الدين الحق ، الذي هو الإسلام ، من استعارة المحسوس للمفعول . قال ابن عبد السلام : « ونكتته : أن **الصراط** الطريق ، والطريق هو الموصل إلى المقاصد والخيرات ، فذكر الصراط مشعر بما يدل عليه من حصول المقاصد . ولفظ « الدين » لا إشعار له بذلك . و(**المستقيم**) الذي لا عوج فيه ، لأنه أقصر من العوج ، وأقرب وأسهل »[١] . والقراءة في السبع بالسين[٢] وهي الأصل ، والصاد إبدالاً لأجل حرف الاستعلاء » .

الراغب : « **الصراط** : الطريق المستسهل ، من سرطت الطعام ، ابتلعته[٣] . والاستقامة يقال في الطريق الذي يكون على خط مستو ، وبه شبه طريق الحق »[٤] .

الخويي : « الفرق بين الصراط ، والطريق ، والسبيل ، أن الطريق أعم ، وهو كل ما يطرقه طارق ، سواء كان معتاداً أم لا ، فعيل بمعنى مفعول . والسبيل من الطريق ما هو معتاد السلوك ، ولهذا يقال : هذه طريقة فلان ، ولا يقال : سبيلته ، لأن ما يختص بواحد لا يكون سبيلاً معتاداً لجماعة ، فيقال طريقه لأن العام يوجد في ضمن كل خاص . ولهذا قال تعالى : (**فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً**)[٥] لأنه طريق لم يسلك قبلهم ، ولا يسلك بعدهم ، وقال : (**فاتخذ سبيله في البحر سرباً**)[٦] ، لأن الحوت يعتاد السلوك في البحر والذهاب به .

وأما الصراط : فهو من السبل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج ، فلا يذهب تارة يمنة ، وأخرى يسرة ، بل يكون على سمت المصدر ، ويدل عليه تقاليب الكلمة فإنك تقول : هذه الحروف على سطر واحد ، إذا لم يكن بعضها خارجاً عن سمت بعض ، والسين ، والطاء ، والراء هي حروف الكلمة » . قال : ومما يدل على أن

- وفيات الأعيان (١ / ٤٨١) والديباج المذهب (٢٦٧) .
وسير أعلام النبلاء (١٧ / ١٩٠) .

(١) فوائد في مشكل القرآن ، لابن عبد السلام (٥٦ - ٥٧) بتصرف .
(٢) قنبل عن ابن كثير ، الكشف (١ / ٣٤) .
(٣) المفردات (٢٣٠ ، مادة : سرط ، باختصار) .
(٤) المفردات (٤١٨ ، مادة : قوم) .
(٥) طـه : ٧٧ .
(٦) الكهف : ٦١ .



الطريق أعم من السبيل ، قوله تعالى : ﴿ **ولا يهديهم سبيلاً** ﴾[١]، فلم يستثن ، وقال : ﴿ **ولا يهديهم طريقاً إلا طريق جهنم** ﴾[٢] ، فاستثنى من الطريق طريقاً . وعلى أن الصراط أخص منها ، أنه لم يذكر في القرآن إلا ممدوحاً ، وذكر السبيل لا في معرض المدح ، كقوله : ﴿ **وساء سبيلاً** ﴾[٣]، و﴿ **أضل سبيلاً** ﴾[٤] ، و﴿ **سبيل الغي** ﴾[٥] وأما صراط الجحيم ، فمن باب ﴿ **فبشرهم بعذابٍ أليم** ﴾[٦]، ثم قال : « فان قيل : إذا كان الصراط هو الطريق الذي لا التواء فيه ولا اعوجاج ، فما فائدة (**المستقيم**) ؟ .

قلنا : الصراط ما لا يمنة فيه ، ولا يسرة ، وقد يكون فيه صعود وهبوط ، و(**المستقيم**) ما لا ميل فيه إلى شيء من الجوانب الأربعة ، لأن أصل الاستقامة في قيام الشخص ، فان كان منحنياً ،أومقعنسساً[٧] أو مائلاً إلى اليمن أو اليسار فليس بمستقيم ، وان وقف غير مائل إلى شيء من الجوانب الأربعة ، فهو مستقيم ، فكذلك الطريق إذا لم يمل إلى شيء من الجوانب الأربعة ، فهو مستقيم ». انتهى .

وعن الحسن : ﴿ **اهدنا صراطاً مستقيماً** ﴾[٨]. قال ابن جني في « المحتسب » : « ومعناه التذلل لله ، واظهار الطاعة له ، أي قد رضينا منك يا ربنا بما يقال له صراط مستقيم ، ولسنا نريد المبالغة في قول من قرأ : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ أي الصراط الذي قد شاعت استقامته ، وعلمت حاله ، فإن قليل هدايتك ، ذاك

---

(١) الأعراف : ١٤٨ .

(٢) النساء : ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣) النساء : ٢٢ ، الاسراء : ٣٢

(٤) الإسراء : ٧٢ .

(٥) الأعراف : ١٤٦ .

(٦) آل عمران : ٢١ ، التوبة : ٣٤ ، الانشقاق : ٢٤ .

(٧) القعس : خروج الصدر ، ودخول الظهر ، ضد الحدب ،واقعنسس : تأخر ، ورجع إلى خلف ، والمقعنسس : الشديد ، وتقعوس الشيخ : كبر ، والبيت : تهدم .
- انظر : القاموس المحيط ، للفيروز آبادي (٢/ ٢٥٠ ، مادة : قعس) .

(٨) البحر (١ / ٢٦) .

عندنا[1] كثير من نعمتك علينا[2] ونحن له مطيعون ، وإلى ما تأمر به وتنهى عنه صائرون ، وزاد في حسن التنكير هنا ، ما دخله من المعنى ، وذلك أن تقديره : أدم هدايتك لنا ، فانك إذا فعلت ذلك بنا ، فقد هديتنا إلى صراطٍ مستقيم ، فجرى مجرى قولك : لئن لقيت رسول الله لتلقين منه رجلاً متناهياً في الخير ، ورسولاً جامعاً لسبل الفضل ، فقد آلت به الحال إلى معنى التجريد ، كقوله : وفي الله إن لم يعدلوا حكم عدل[3].

وقد سماه الشاعر حكماً عدلاً ، فأخرج اللفظ مخرج التنكير ، فقد ترى كيف آل الكلام من لفظ التنكير إلى معنى التعريف . قال : « ثم إن مفاد نكرة الجنس مفاد معرفته ، من حيث كان من كل جزء منه معنى ما في جملته ، ألا ترى إلى قوله :

وأعلم أن تسليماً وتركاً
للا متشابهان ولا سواء[4]

بمعنى قولك : « إن التسليم والترك[5] » . انتهى .

(صراط الذين أنعمت عليهم/٧) قال الكرماني : « كرر ذكر الصراط ، لأن الصراط هو المكان المهيأ للسلوك ، ولم يكن مع الأول ذكر السالكين ، فأعاده مع ذكرهم أي اهدنا الصراط الذي سلكه من أنعمت عليهم من النبيين والصديقين

---

(١) الذي في المحتسب « فان قليل هذا منك لنا » ويبدو أنه خطأ من الناقل .

(٢) كلمة « علينا » اضفتها من المحتسب .

(٣) البيت كاملاً كما في المحتسب :

أفاءت بنو مروان أمس دماءنا وفي الله إن لم يحكموا حكم عدل .

وقد ورد هذا البيت في معاهد التنصيص (١٦/٣) وفيه الشطر الأول هكذا : أفادت بنو مروان قيساً دماءنا .

ولم ينسبه . وورد في حماسه ابن الشجري (٤) في أبيات لأبي الخطار الكلبي هكذا :

أفادت بنو مروان قيساً دماءنا وفي الله إن لم ينصفوا حكم عدل

- انظر الخصائص (٢ / ٤٧٥) .

(٤) لأبي حزام غالب بن الحارث العكلي (مختصر شرح الشواهد للعيني / ١١٧) .

(٥) المحتسب (١ / ٤١ - ٤٣) .



والشهداء والصالحين ، كما كرره في قوله : (**صراطٍ مستقيمٍ ، صراطِ الله**)[1] لأنه لم يكن مع الأول ذكر المهيء ، فكرره ، فقال : (**صراط الله**) ، أي الصراط الذي هيأه الله للسالكين »[2] .

وقال صاحب الكشاف : « فان قلت : ما فائدة ابدال (**صراط الذين أنعمت عليهم**) من (**الصراط المستقيم**) ، وهلا قيل : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم ؟

قلت : فائدته التوكيد ، لما فيه من التثنية والتكرير ، والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ، ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه ، وآكده ، حيث ذكر أولاً مجملاً ، وثانياً مفصلا ، ووقع الثاني بياناً للأول ، وإيضاحاً له »[3] .

وقال الخويي : « فائدة البدل أنه لما ذكر حسن الطريق باستقامته وسهولة سلوكه وسرعة الوصول به إلى القصد ، فان الصراط المستقيم أقرب الطرق ، حسن أن يذكر معه حسن الرفقاء ، فإن الطريق الحسن الطيب ، قد يترك ، ويختار غيره لحسن الرفقاء ، فبين تعالى أن هذا الطريق جامع لحسنه في نفسه ، وحسن الرفقاء فيه واختير البدل على الوصف حذراً من الطول إذا كان يقال الذي هو للذين أنعمت عليهم مع ما فيه من تكرير الموصول » .

وقال غيره : « المراد بالصراط الثاني غير الأول ، والمراد به العلم بالله »[4] .

---

(١) الشورى (٥٢ - ٥٣) .

(٢) أسرار التكرار في القرآن (٢٠ - ٢١) ، البرهان (٧٧) .

(٣) الكشاف (١/٦٨ - ٦٩) بتصرف .

(٤) قاله جعفر بن محمد ، الدر المصون ، للسمين (١ / ٦٧) .
وقد استغرب أبو حيان هذا القول ، البحر المحيط (١ / ٢٧ - ٢٨) .



قال السمين[1] : « وتخريجه على هذا أن يكون معطوفاً ، حذف منه حرف العطف »[2] .

قال في الكشاف : « وأطلق الإنعام ، ليشمل كل إنعام ، فإن من أنعم عليه بنعمة الإسلام ، لم تبق نعمة إلا أصابته ، واشتملت عليه[3] .

الخويي : « الإنعام نفع العالي من دونه بأمر عظيم ، خالياً عن العوض والتبعة » .

الراغب : « هو إيصال الإحسان إلى الغير ، ولا يقال إلا إذا كان الواصل إليه من العقلاء ، لا يقال : أنعم على فرسه »[4] .

وقرأ عمر[5] (**صراط من أنعمت**) مع سكون الميم (**عليهم**) بكسر الهاء والميم (**عليهمي**) كذلك بالإشباع (**عليهم**) بكسر الهاء ، وضم الميم (**عليهم**) ، عشر قراءات ذكرها ابن جني في المحتسب : (**عليهم**) بكسر الهاء وضمها ، وفي الميم (**عليهمو**) ، كذلك (**عليهم**) بضمها ، (**عليهمو**) كذلك بالإشباع ، (**عليهم**)

---

(١) هو أبو العباس ، شهاب الدين ، أحمد بن يوسف ، المعروف بالسمين ، نشأ بحلب وأقام بقية حياته بالقاهرة ، ولي تدريس القراءات والنحو بجامع ابن طولون ، كما ولي نظر الأوقاف بالقاهرة ، وناب عن بعض القضاة فيها .
من مؤلفاته « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون » ، و« المعرب » توفي سنة ٧٥٦هـ .
- كشف الظنون (٢ / ١٢٠٨) ، وطبقات القراء (١ / ١٥٢) ، وشذرات الذهب (٦ / ١٧٩) .

(٢) الدر المصون (١ / ٦٧) .

(٣) الكشاف (١ / ٦٩) .

(٤) المفـردات (٤٩٩ ، مادة : نعم) .

(٥) هو أبو حفص ، عمر بن الخطاب ، ثاني الخلفاء الراشدين ، لقبه الرسول -ﷺ- بالفاروق ، فقد فرق الله به بين الحق والباطل ، إذ بعد إسلامه ، عبد المسلمون الله جهرة ، كما ذكر ابن مسعود ، له مآثر كثيرة منها أنه أول من كتب التاريخ الهجري ، وأول من جمع الناس في قيام رمضان - استشهد سنة ٢٣هـ ، من أثر طعنة خنجر طعنه به أبو لؤلؤة المجوسي .
- الطبقات الكبرى (٣/٢٦٥ - ٣٧٦) ، والإصابة (٢/٥١٨ - ٥١٩) .



بضم الهاء وكسر الميم ، (**عليهمي**) كذلك بالإشباع[1] .

(**غير المغضوب عليهم**) إما صفة لـ (**الذين**[2]) ، على معنى أن المنعم عليهم جمعوا بين النعمة المطلقة ، وهي نعمة الايمان ، وبين السلامة من غضب الله والضلال ، وصح وصف المعرفة بـ(غير/٧) ، وإن كانت لا تتعرف بالإضافة ، لأن ذاك في شيء له أضداد ، وأما إذا كان شيء له ضد واحد ، ثم أضيفت غير إلى ذلك الضد ، فإنها تتعرف لا محالة ، نحو : عليك بالحركة غير السكون ، والمنعم عليهم ضدهم المغضوب عليهم ، فصار معرفة .

وقيل : « لما كان (**الذين أنعمت عليهم/٧**) لم يقصدهم قصد أشخاص بأعيانهم قَرُب من النكرة ، و(**غير المغضوب**) وإن كان نكرة ، قريب من المعرفة للإضافة إلى المعرفة ، فتوافقا » .

وإما بدل من (**الذين**) ، على معنى أن المنعم عليهم ، هم الذين سلموا من غضب الله والضلال[3] . وقيل : بدل من (**صراط الذين**) ، على معنى : صراط غير المغضوب عليهم . وقيل[4] : من الضمير في (**عليهم**) .

---

(١) انظر المحتسب (١/٤٣ ، ٤٤) .

(٢) هو ما ذهب إليه سيبويه ، (البحر المحيط ١/٢٩) .
وهو ما جرى عليه ابن كثير في تفسيره (١/٢٨) .
وإليه ذهب أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (١/١٨) .

(٣) (٤) حكاهما أبو حيان ، ونسب الأول منهما إلى أبي علي .
ثم قال : « وكلاهما ضعيف ، لأن غيرا أصل وضعه الوصف ، والبدل بالوصف ضعيف » .
- البحر المحيط (١/٢٩) .
- وانظر الدر المصون ، للسمين (١/٧١) ، والإملاء ، لأبي البقاء (١/٨) ، واختار الألوسي أن (غير) بدل من (الذين) ، ورد على اعتراض أبي حيان بأنه « ضعيف ، لأنها غلبت عليها الاسمية ، ولذا لم تجر على موصوف في الأكثر » .
- روح المعاني (١/٩٤) .



وقُـرىء بنصب (غير)[1] حالاً ، على معنى أنهم حصل لهم الإنعام ، وهم موصوفون بأنهم لا يغضب عليهم أبداً ، فعلى هذا يكون تتميماً ، أو احتراساً .

الخويي : « فإن قيل : ما الحكمة في أنه لم يعطف بحرف ، ولم يقل : أنعمت عليهم ، ولم يغضب عليهم ، كما قال : (**الذين آمنوا ، ولم يلبسوا**)[2] ، (**الذين آمنوا ، ثم لم يرتابوا**)[3] .

قلنـا : الجواب المشهور ، أنه لو قال : ولم يغضب عليهم ، كان يقول : ولم يضلوا ، فلا يكون الاتيان مواخية . والذي نقوله إنه وصفهم بكونهم منعماً عليهم وعـدم كونهم مغضـوباً عليهم ، لكن الإنعام عليهم ليس بأمر من جهتهم ، لأن الإنعام لا يكون إنعاماً إلا إذا كان بغير عوض ، فالإنعام عليهم من جهة الله ، وهو فاعله وعدم الغضب عليهم بأمر من جهتهم ، حيث لم يكفروا بنعم الله ، فذكر (**أنعمت عليهم**) لأن صيغة الفعل تعلقها عليه . ووجهه الراغب : بأن كل فريق خص بصفة ، كانت أغلب عليه وإن شارك الآخر في وصفه[4] .

وبذلك سقط سؤال الخويي : أن كل مغضوب عليه ، ضال فما الحاجة إلى ذكر الضالين ، وسقط سؤاله أيضاً أن المغضوب عليه أسوأ حالاً من الضال ، والقاعدة تأخير الأبلغ ، لأن اليهود أسبق وأقدم زماناً ، ولهذا عقبت الفاتحة بسورة البقرة وجميع ما فيها من خطاب أهل الكتاب لليهود خاصة ، ثم بسورة آل عمران ، وأكثر ما فيها من خطابهم للنصارى ، وختمت بقوله : (**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله**)[5]

---

(١) روى ذلك الخليل عن ابن كثير ، وهي قراءة عمر وابن مسعود وعلي وعبدالله بن الزبير .
- البحر (١/ ٢٩) .

(٢) الأنعـام : ٨٢ .

(٣) الحجـرات : ١٥ .

(٤) لم أعثر على هذا الكلام فيما اطلعت عليه .

(٥) آل عمـران : ١٩٩ .



في النجاشي[1] وأصحابه من مؤمني النصارى[2] ، وهذا في وجوه مناسبة ترتيب السورتين ، كأنه لما ذكر في الفاتحة الفريقين ، قص في كل سورة مما بعدها حال فريق على الترتيب الواقع فيها .

الراغب : « الضلال : العدول عن الطريق المستقيم ، وتضاده الهداية »[3] .

وقال الخويي : « هو فقد المطلوب بعد حصوله » .

قلت : وفي هذه الآية مع ما قبلها طباقان ، فان الأول : بين (**اهدنا/٦**) و(**الضالين/٧**) ، والثاني : بين (**أنعمت/٧**) و(**المغضوب/٧**) .

وإذا تأملت ما أوردناه في هذه السورة - على وجازتها - من الأسرار اللطيفة والنكت البديعة ، علمت مناسبة الافتتاح بها ، وكونها أم القرآن ، وأفضله ، وأعظم سورة ، هذا مع أنه على كثرته - بالنسبة إلى ما اشتملت عليه - مما لا تدركه أفهامنا ، كنقطة من بحر .

---

(١) هو أصحمة بن أبحر النجاشي ، ملك الحبشة ، وقصته مشهورة في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام ، وأسلم على عهد النبي -ﷺ- ولما مات صلى عليه الرسول -ﷺ- صلاة الغائب .
- الإصابة : ترجمة رقم (٤٧٣) .

(٢) روى الطبري عن جابر بن عبد الله أن النبي -ﷺ- قال : (اخرجوا فصلوا على أخ لكم) ، فصلى بنا ، فكبر أربع تكبيرات ، فقال : (هذا النجاشي أصحمة) ، فقال المنافقون : « انظروا إلى هذا ، يصلي على علج نصراني لم يره قط ، فأنزل الله : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) .
وهذا الحديث ضعيف الإسناد - كما قال أحمد شاكر (جامع البيان ٤٩٦/٧ - ٤٩٧) وأما أصل المعنى ، في صلاة النبي -ﷺ- على النجاشي صلاة الجنازة الغائبة ، فإنه ثابت صحيح لا شك في صحته .
فقد روى الشيخان عن جابر -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- صلى على أصحمة النجاشي ، فكبر أربعاً .
- اللؤلؤ والمرجان (١٩٣) ، كتاب : الجنائز ، باب : ٢٢ .

(٣) المفردات : ٢٩٧ ، مادة : ضل .



وقد ورد عن علي[1] -رضي الله عنه- أنه قال : « لو شئت أوقر سبعين بعيراً من تفسير أم القرآن ، لفعلت »[2] .

---

(١) هو أبو الحسن علي أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي وابن عم النبي -ﷺ- وصهره ، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ورابع الخلفاء الراشدين .

.. تولى الخلافة بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه- وحصلت بينه وبين المطالبين بقتلة عثمان موقعة الجمل سنة ٣٦هـ ، ثم من بعدها حصلت موقعة صفين سنة ٣٧هـ .

.. وأقام علي بالكوفة إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠هـ .

- الكامل ، لابن الأثير (٣/٣٨٣) ، وصفة الصفوة (١/١١٨) .

وتاريخ الطبري (٦/٨٣) ، ومنهاج السنة (٣/٢) .

(٢) لم أعثر على هذا القول فيما اطلعت عليه ، ولكن وجدت الزركشي في البرهان (١/٨) يذكر أن علياً قال : « لو أردت أن أملي وقر بعير على الفاتحة لفعلت » .



سـورة البقـرة

قد أشرت آنفا إلى وجه مناسبة تعقيب الفاتحة بهذه السورة ، ثم بآل عمران وهو ما ظهر لي . وقال بعض الأئمة : « تضمنت سورة الفاتحة : الاقرار بالربوبية ، والالتجاء إليه في دين الإسلام ، والصيانة عن دين اليهود والنصارى ، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين ، وآل عمران مكملة لمقصودها ، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران ، بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ، ولهذا ورد فيها ذكر المتشابه ، لما تمسك به النصارى ، وأوجب الحج في آل عمران ، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه ، وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر ، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر ، لأن التوراة أصل ، والانجيل فرع لها ، والنبي - ﷺ - لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم ، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر ، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ، ولهذا كانت السور المكية ، فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء ، فخوطب به جميع الناس ، والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب ، والمؤمنين ، فخوطبوا بـ(**يأهل الكتاب**)(١) (**يا بني إسرائيل**)(٢) ، (**يأيها الذين آمنوا**)(٣) .

وأما سورة النساء ، فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس وهي نوعان : مخلوقة لله ، ومقدرة لهم ، كالنسب ، والصهر ، ولهذا افتتحت بقوله : (**ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها/١**) ، ثم قال : (**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام/١**) .

---

(١) آل عمران : ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ .
النســاء : ١٧١ .
المائـدة : ١٥ ، ١٩ .
(٢) البقـرة : ٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢ . طـه : ٨٠ .
(٣) كما في البقرة : ١٠٤ ، ١٥٣ ، ١٧٢ .
وآل عمران : ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٨ .
والمائـدة : ١ ، ٢ ، ٦ .



فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح ، وبراعة الاستهلال ، حيث تضمنت الآية المفتتح بها ، ما أكثرت السورة في أحكامه ، من نكاح النساء ، ومحرماته والمواريث المتعلقة بالأرحام ، وان ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ، ثم خلق زوجه منه ، ثم بث منهما رجالاً ونساء في غاية الكثرة .

وأما « المائدة » فسورة العقود ، تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين ، والوفاء بعهود الرسل ، وما أخذ على الأمة . وبها تم الدين ، فهي سورة التكميل ، لأن فيها تحريم الصيد على المحرم ، الذي هو من تمام الاحرام ، وتحريم الخمر ، الذي هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين في السراق والمحاربين ، الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال ، وإحلال الطيبات ، الذي هو من تمام عبادة الله ، ولهذا ذكر منها ما يختص محمد - ﷺ - كالوضوء . والتيمم والحكم بالقرآن على كل ذي دين ، ولهذا أكثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام وذكر فيها أن من ارتد ، عوض الله بخير منه ، ولا يزال هذا الدين كاملاً . ولهذا ورد أنها آخر ما نزل ، لما فيها من اشارات الختم والتمام .

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب .

وقال بعضهم : « افتتحت البقرة بقوله : (**الم ، ذلك الكتاب**) ، فإنه إشارة إلى (**الصراط**) في قوله : (**اهدنا الصراط المستقيم**)[1] ، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط ، قيل لهم ذلك الصراط ، الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب[2] ، كما أخرج ابن جرير[3] ، وغيره من حديث علي مرفوعاً (**الصراط المستقيم ، كتاب**

---

(١) الفاتحة : ٦ .

(٢) في البحر المحيط (١/٣٦) : «وسمعت الأستاذ أبا جعفر بن إبراهيم بن الزبير شيخنا يقول : « ذلك إشارة . . » ثم ساق بقية الكلام كما هنا .

وقد استحسن أبو حيان هذا القول ، لأنه إشارة إلى شيء سبق ذكره ، لا إلى شيء لم يجر له ذكر . (المرجع السابق) .

وهو ما ذهب إليه البقاعي ، (نظم الدرر (١/٧٧) .

(٣) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، ولد في آمل طبرستان ، واستوطن بغداد ، وهو مؤرخ ، =



الله)[1] ، وأخرجه في المستدرك عن ابن مسعود[2] موقوفاً[3] » .

وهذا معنى حسن ، يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة .

= مفسر ، وكان مجتهداً في أحكام الدين ، لا يقلد أحداً وكان نحيف الجسم ، أسمر ، أعين ، فصيحاً .

- من كتبه : « جامع البيان في تفسير القرآن » و « اختلاف الفقهاء » وغير ذلك .
- توفي سنة ٣١٠هـ .
- إرشاد الأريب (٦/٤٢٣) ، وتذكرة الحفاظ (٢/٣٥١) .

والوفيات (٤/١٩١) ، وطبقات السبكي (٢/١٣٥ - ١٤٠) .

(١) أورده ابن جرير موقوفاً على علي -رضي الله عنه- بزيادة « تعالى ذكره » وقد قال أحمد شاكر في الحاشية ، إن الإسناد إليه منهار .
هذا وقد أورد ابن جرير هذا الحديث بمعناه مرفوعاً عن علي أيضاً بإسنادَيْن ضعيفين جداً .
وهو جزء من حديث طويل - في فضل القرآن - رواه الترمذي (٤/١٧٢) ، وقال الترمذي : « هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه (يعني أنه من طريق حمزة الزيات) وإسناده مجهول ، وفي حديث الحرث مقال » .
ونقله السيوطي (الدر ١/١٥) ونسبه أيضاً إلى أبي شيبة وابن الأبياري في المصاحف والبيهقي في شعب الإيمان . وأشار إليه الذهبي في الميزان (٤/٥٧١) في ترجمة أبي المختار الطائي ، قال : « حديثه في فضائل القرآن العزيز منكر » .
وقد عقب أحمد شاكر على كل ذلك قائلاً : « وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي -ﷺ- وقد وهم بعضهم في رفعه ، وهو كلام حسن صحيح » (جامع البيان ١/١٧١ - ١٧٣) .

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي ، من أكابر الصحابة فضلاً وعلماً ، كان نحيفاً ، قصيراً ، يكاد الجلوس يوارونه ، وهو من السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادم الرسول -ﷺ- وصاحب سره .
ولي بعد وفاة النبي -ﷺ- بيت مال الكوفة ، ثم قدم إلى المدينة في خلافة عثمان ، فتوفي فيها سنة ٣٢هـ .
- الإصابة ترجمة رقم (٤٩٥٥) .
- صفة الصفوة (١/١٥٤) .
- حلية الأوليـاء (١/٢٤) .

(٣) المستدرك (٢/٢٥٨) وقال عنه إنه صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .



وقال الخويي : « أوائل هذه السورة[1] مناسبة لأوائل سورة البقرة ، لأن الله تعالى لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى ، قال : قد أعطيتكم ما طلبتم هذا الكتاب ، هدى لكم ، فاتبعوه ، وقد اهتديتم إلى الصراط المطلوب المسؤول ، ثم إنه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاثة ، الذين ذكرهم في الفاتحة فذكر الذين على هدى من ربهم ، وهم المُنعم عليهم ، والذين اشتروا الضلالة بالهدى ، وهم الضالون ، والذين باؤوا بغضب ، وهم المغضوب عليهم » .

وأما تسميتها سورة البقرة ، فلما فيها من قصة البقرة العجيب شأنها ، وعادة العرب تسمية الجملة من الكلام ، والقصيدة الطويلة ، بما هو أشهر فيها ، أو أشد ندرة ، واستعذاباً ، أو نحو ذلك .

وورد في أثر تسميتها فسطاط القرآن[2] ، لعظمها ، ولما جمع فيها من الأحكام والأمثال والمواعظ ، التي لم تجمع في غيرها ، وفي الحديث : إنها سنام القرآن[3] ، وسنام كل شيء أعلاه ، وقد صح في فضلها أحاديث كثيرة ، ذكرتها في « ترجمان القرآن » وفي « خمائل الزهر » .

---

(١) يقصد أوائل سورة الفاتحة .

(٢) أخرجه الدارمي عن خالد بن معدان قال : « سورة البقرة تعليمها بركة وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة ، وهي فسطاط القرآن » .
- سنن الدارمي (١/٨٤٢) ، كتاب فضائل القرآن ، باب : في فضل سورة البقرة .
وأخرجه الديلمي مثله عن أبي سعيد الخدري مرفوعا ،
- الدر المنثور (١/٢٠) .
وفيه إسماعيل بن أبي زياد الشامي ، قال الذهبي : « قال الدارقطني : يضع الحديث » .
- فيض القدير (٤/١٤٩) .
والفسطاط : بيت من شعر ، وأيضا هو ضرب من الأبنية في السفر دون السرادق وبه سميت المدينة .
وفسطاط القرآن ، أي مدينته الجامعة ، لاشتمالها على أمهات الأحكام ومعظم أصول الدين وفروعه .
- اللسان (٧/٣٧١ - ٣٧٢) ، والوسيط (٢/٦٩٥) ، وفيض القدير (٤/١٤٩) .

(٣) روى الترمذي عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله -ﷺ- (لكل شيء سنام ، وإن سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هي سيدة آي القرآن ، هي آية الكرسي) .
=



وقال ابن العربي[1] : سمعت بعض أشياخي يقول : « في هذه السورة ألف أمر ، وألف نهي ، وألف حكم ، وألف خبر »[2] . وقال غيره : « فيها خمس مائة حكم ، وخمسة عشر مثلاً ، وانتهت معاني آيات الرحمة والرجاء والعذاب فيها إلى ثلاث مائة وستين ، وفيها آية الكرسي سيدة آي القرآن ، وآية الدين أطول آية في القرآن ، وآخر أية نزلت : (**واتقوا يوما**/ ٢٨١) الآية[3] ، وخواتيمها أعطيها ليلة الاسراء من كنز تحت العرش[4] ، وفيها الاسم الأعظم[5] ، وفيها مكي ومدني ،

= وقال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير ، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير ، وضعفه » .

- الترمذي (٥/١٥٧) حديث رقم (٢٨٧٨) ، باب (٢) ، كتاب : فضائل القرآن .

وأخرجه الحاكم (١/٥٦١) ، وعلق عليه الذهبي بأنه صحيح ، وحكيم أحد رواته ، غال في التشيع .

وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٢٠) ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ، ومحمد بن نصر وابن المنذر والبيهقي في الشعب .

(١) هو محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي أبو بكر ابن العربي ، قاض من حفاظ الحديث ، وبرع في الأدب ، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين ، ولي قضاء إشبيلية ، قال عنه ابن بشكوال : « ختام علماء الأندلس ، وآخر أئمتها وحفاظها » .

من كتبه : العواصم من القواصم ، وعارضة الأحوذي في شرح الترمذي ، وأحكام القرآن وقانون التأويل في التفسير .

توفي سنة ٥٤٣هـ .

- نفح الطيب (١/٣٤٠ ، الديباج المذهب (٢٨١) .

الوافي بالوفيات (٣/٣٣٠) .

(٢) أحكام القرآن (١/٨) .

(٣) القول بأن آية (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) هي آخر ما نزل من القرآن ، هو قول ابن عباس ، الذي ذكر أنه كان بين نزولها ووفاة النبي -ﷺ- أحد وثمانون يوماً ، وقيل : تسع ليال .

- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي (١/٢٠٩) .

وقد ذهب إلى ترجيح هذا القول الزرقاني ، بعد أن ذكر أقوالاً عشرة في آخر ما نزل من القرآن .

- مناهل العرفان (١/٩٣) .

ويبدو أن هذا القول هو الراجح ، وأن ماسوى ذلك إنما هو أواخر إضافية أو مقيدة . والله أعلم .

(٤) أخرج ذلك البغوي في معجم الصحابة ، وابن عساكر في تاريخه عن ربيعة الحرشي قال : « سئل رسول الله ﷺ ، أي القرآن أفضل ؟ قال : السورة التي يذكر فيها البقرة ، قيل : فأي البقرة أفضل ؟ قال : آية =



وحضري وسفري وليلي ونهاري ، وأرضي وسمائي ، وما نزل مشيعاً ، وما نزل مفرداً ، وفيها ناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، إلى غير ذلك .

افتتح سبحانه بالحروف المقطعة تسعاً وعشرين سورة ، وفيها أقوال كثيرة استوعبتها في « الاتقان » ، وأصحها سبعة أقوال ، أرجحها أنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله[1] .

وأخرج ابن المنذر[2] عن الشعبي[3] قال : « إن لكل كتاب سراً ، وإن سر هذا القرآن فواتح السور »[4] .

= الكرمي وخواتيم سورة البقرة نزلن من تحت العرش » .
- الدر المنثور (١/ ٢٠) .
والجزء الثاني من الحديث ، أخرج الدارمي نحوه في سننه (١/ ٨٤٣) ، كتاب : فضائل القرآن ، باب فضل أول سورة البقرة ، وآية الكرمي .

(٥) روى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله ﷺ ، يقول في هذين الآيتين : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) و(الم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم) فيهما الاسم الأعظم .
- المسند (٦/ ٤٦١) .

(١) راجع الإتقان (٣/ ٢١) وما بعدها ،
وانظر : ص من هذه الرسالة .

(٢) هو أبو بكر : محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، فقيه مجتهد ، من الحفاظ ، كان شيخ الحرم بمكة . من كتبه « المبسوط » في الفقه ، و« الإشراف على مذاهب أهل العلم » ، و« اختلاف العلماء » ، و« تفسير القرآن » .
توفي سنة ٣١٩هـ .
- تذكرة الحفاظ (٣/ ٤) ، وفيات الأعيان (١/ ٤٦١ ، طبقات الشافعية ٢/ ١٢٦ .
طبقات الشافعية ٢/ ١٢٦ .

(٣) هو أبو عمرو ، عامر بن شراحيل الشعبي الحميري ، ولد ونشأ ومات بالكوفة وهو راوية من التابعين ، ومن رجال الحديث الثقات وكان فقيهاً وشاعراً ، وكان يضرب المثل بحفظه ، وسئل عما بلغ إليه حفظه ، فقال : ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته .
توفي سنة ١٠٣هـ .
- تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥) ، وحلية الأولياء (٤/ ٣١٠) ، وسمط اللآلىء (٧٥١) .

(٤) الدر المنثور (١/ ٢٣) وزاد نسبته إلى أبي الشيخ ابن حبان .



والسر في ذلك ، أن الحكيم إذا صنف كتاباً ، أجمل فيه أحياناً ، ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذه ، وكالملك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه على سره دليلاً يستمر العالم في أبهة العلم على التمرد ، فبذلك يستأنس إلى التذلل والعبودية .

والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلاماً ، واعترافاً بقصورها وقيل : هي اشارة إلى أسماء من أسمائه -تعالى- كل حرف من اسم من باب الاكتفاء ، وهو من أنواع كلام العرب ، وفنون بلاغتهم[1] .

وقيل : هي فواتح للسور ، كما يقولون في أول القصائد ، بل ولا بل[2] .

وقيل : هي تنبيهات كألا ، وأما التي يستفتح بها كلام العرب للتنبيه .

قال الخويي : « وانما عدل عن الألفاظ المشهورة في التنبيه ، لأن القرآن كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد ، ليكون أبلغ في قرع سمعه »[3] . وقد ورد « أن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه ، فأنزل الله هذا النظم البديع ، ليعجبوا منه ، ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم ، واستماعهم له سبب لاستماع ما بعده ، فترق القلوب وتلين الأفئدة »[4] .

وقيل : هي إشارة إلى أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي : أ ب ت ث فجاء بعضها مقطعاً وجاء تمامها مؤلفاً ، ليدل القول الذين نزل القرآن بلغتهم أنه الحروف التي تعرفونها ، فيكون ذلك تعريفاً لهم ، ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله ، بعد أن علموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها ، وكون كلامهم منها »[5] .

---

(١) وقد اختار هذا القول الزجاج .
- الإتقان (٢٧ / ٢٣ - ٢٤) .

(٢) ذكره السيوطي في الإتقان (٣ / ٢٥) ، وعزا نحوه إلى مجاهد ، وإليه ذهب أبوعبيدة (مجاز القرآن ١ /٢٨) ، والأخفش (معاني القرآن ١ /٢٨) ، والأخفش (معاني القرآن ١ /٢١) .

(٣) قول الخويي هذا مذكور بنحوه في الإتقان (٣ / ٢٧) .

(٤) ما بين القوسين قاله السيوطي في الإتقان (٣ / ٢٧) .

(٥) قاله قطرب وغيره ، المحرر الوجيز ، لابن عطية (١ /١٣٩) .



وقيل : المقصود بها الإعلام بالحروف التي يتركب منها الكلام ، فذكر منها أربعة عشر حرفاً ، وهي نصف جميع الحروف في تسع وعشرين سورة ، على عدد الحروف ، وذكر في كل جنس نصفه . فمن حروف الحلق : الحاء ، والعين ، والهاء من التي فوقها الكاف ، والقاف ومن الحرفين الشفهيين : الميم ، ومن المهموسة : السين ، والحاء ، والكاف ، والصاد ، والهاء ، ومن الشديدة : الهمزة ، والطاء ، والقاف ، والكاف ، ومن المطبقة : الطاء ، والصاد ، ومن المهجورة : الهمزة ، واللام ، والميم ، والعين ، والراء ، والطاء ، والقاف ، والياء ، والنون ، ومن المنفتحة : الهمزة ، والميم ، والراء ، والكاف ، والهاء ، والعين ، والسين ، والحاء ، والقاف ، والياء ، والنون[١] ، ومن المستعلية : القاف ، والصاد ، والطاء ، ومن المنخفضة : الهمزة ، واللام ، والميم ، والراء ، والكاف ، والهاء ، والياء ، والعين ، والسين ، والحاء ، والنون . ومن القلقة : القاف ، والطاء .

إذا استقرأت الكلام ، وجدت هذه الحروف ، هي أكثر دوراناً مما بقي ودليله أن الألف واللام لما كانت أكثر تداولاً ، جاءت في معظم هذه الفواتح ، ثم إنه تعالى ذكر حروفاً مفردة ، وحرفين ، حرفين ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة وخمسة ، لأن تراكيب الكلام على هذا النمط ، ولا زيادة على الخمسة ، كذا ذكره صاحب الكشاف[٢] .

وقال الزملكاني[٣] : (**الـم**/ ١) اشارة إلى الحروف المعجمة التي منها (**الـم**/ ١) فتكون على هذا (**الـم**/ ١) اسما لحروف المعجم أجمع ، كما يستدل ببعض الشيء على كله ، نحو : قرأتُ : قفا نبك[٤] . وإنما خص (**الـم**/ ١) بالتسمية ، لأن الهمزة من الرئة ، فهي أعمق الحروف ، واللام مخرجها من طرف اللسان ، ملصقة بصدر الغار الأعلى من الفم ، فصوتها يملأ ما وراءها من هواء الفم ، والميم

(١) ذكر الزمخشري هنا «اللام» أيضاً (الكشاف ١ /١٠٢) .

(٢) انظر الكشاف (١ / ١٠٠ - ١٠٥) ، وانظر الإتقان (٣ / ٢٨) .

(٣) سبق ترجمته في ص ١١١ .

(٤) أي قصيدة : قفانبك .

وهي لامرىء القيس - ديوانه بشرح الحسن السندوبي ص١٤٣ ، وانظر إعجاز القرآن للباقلاني ص٤٦ .



مطبقة ، لأن مخرجها من بين الشفتين إذا أطبقتا ، وكذلك سائر الحروف التي هي من فواتح السور ، لها شأن ليس لغيرها ، ثم لما أنزل آل عمران كررها وأخبر أن ذلك الكتاب الموعود به نزله .

وقيل : هي أسماء للقرآن ، كالفرقان ، والذكر[1] ، ولهذا لم يذكر بعدها إلا ما يتعلق بالقرآن ، كقوله : (**الم ، ذلك الكتاب**)[2]، (**الم ، نزل عليك الكتاب**)[3]، (**المص ، كتاب أنزل إليك**)[4]، (**الر ، تلك آيات الكتاب**)[5] (**طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**)[6] ، (**طسم تلك آيات الكتاب**)[7] (**يس ، والقرآن**)[8] ، (**ص ، والقرآن**)[9] ، (**ق ، والقرآن**)[10] (**حم ، تنزيل الكتاب**)[11] . إلا ثلاث سور ليس فيها ما يتعلق به : العنكبوت ، والروم ، و ن ، وحكمة ذلك[12].

(١)

وقيل : هي أسماء للسور[13] ، ولهذا ناسبت كل ما بدأت به ، حتى لم تكن لترد (**الم**)[14] في موضع (**المر**)[15]، ولا (**حم**)[16]، في موضع (**طس**)[17] وذلك أن كل سورة بدأت بحرف منها ، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له ، فحق لكل

---

(١) أخرجه عبد الرزاق عن قتادة . الإتقان (٣/٢٥) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١٣٩) .

(٢) البقرة (١ ، ٢) . (٣) آل عمران (١ ، ٣) . (٤) الأعراف (١ ، ٢) .

(٥) يونس (١) ، يوسف (١) ، الحجر (١) .

(٦) طـه (١ ، ٢) . (٧) الشعراء (١ ، ٢) ، القصص (١ ، ٢) .

(٨) يـس (١ ، ٢) . (٩) ص (١) .

(١٠) ق (١) ، (١١) غافر (١ ، ٢) ، الأحقاف (١ ، ٢) .

(١٢) بياض في الأصل .

(١٣) هذا منقول عن زيد بن أسلم ، الإتقان (٣ / ٢٥) ، الماوردي (١/٦١) . ونسبه الزمخشري إلى الأكثرية ، الكشاف (١/٨٣) .

وذكر الفخر الرازي أن هذا قول أكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه ، التفسير الكبير (٢/٥) .

(١٤) البقرة : ١ ، آل عمران : ١ ، العنكبوت : ١ ، الروم : ١ ، لقمان : ١ ، السجدة : ١ .

(١٥) الرعد : ١ .

(١٦) غافر : ١ ، فصلت : ١ ، الشورى : ١ ، الزخرف : ١ ، الدخان : ١ ، الجاثية : ١ ، الاحقاف : ١ .

(١٧) النمل : ١ .



سورة ألا يناسبها غير الوارد فيها ، فلو وضع (ق)[1] موضع (ن)[2] لم يكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله ، فـ(الم) جمعت المخارج الثلاثة : الحلق ، واللسان ، والفم ، على ترتيبها ، وذلك اشارة إلى البداية ، التي هي بدء الخلق ، والنهاية التي هي المعاد ، والوسط الذي هو المعاش ، من التشريع بالأوامر والنواهي ، وكل سورة افتتحت بها ، فهي مشتملة على الأمور الثلاثة ، وزيد عليها (ص) في الأعراف لما فيها من شرح القصص : قصة آدم فمن بعده من الأنبياء ، ولما تلاها من قوله : (**فلا يكن في صدرك حرج**) ، ولهذا قال بعضهم معنى (**المص**) : (**ألم نشرح لك صدرك**)[3] وزيد في « الرعد » راء لأجل قوله (**رفع السموات/٢**)[4] ، ولأجل ذكر الرعد والبرق ، وغيرهما . وقد تكرر في « يونس » من الكلم الواقع فيها الراء مئتا كلمة ، أو أكثر ، فلهذا افتتحت بـ(**الـمـر/١**) ، واشتملت سورة (ص) على خصومات متعددة فأولها خصومة النبي - ﷺ - مع الكفار ، وقولهم : (**أجعل الآلهة إلهاً واحداً**) ، ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصام الملأ الأعلى ، ثم تخاصم إبليس في شأن آدم ، ثم في شأن بنيه .

صاحب المناجاة : « الأنسب أن يقال إن لكل فاتحة في سورة سبباً ولطيفة ، غير ما في الأخرى ، فيقال (الم / ١) في البقرة ، قسم بالكتاب ، لقوله بعده : (**ذلك الكتاب/٢**) ، وفي « آل عمران » قسم بالله ، لقوله بعده : (**الله لا إله إلا هو/٢**) ، وفي « الأعراف » قسم بالنبي - ﷺ - لقوله بعده (**كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه/٢**) خطاباً له عليه السلام ، ولا يخفى على اللبيب حسن الجمع متتابعا في هذه السور الثلاث : بين القسم بالمنزل ، والمنزل إليه ، وفي الرعد قسم بأعظم آثاره ومخلوقاته لقوله بعد : (**الله الذي رفع السموات / ٢**) ، وفي العنكبوت بأكرم أنواع المخلوقات وهو نوع البشر ، لقوله بعد : (**أحسب**

---

(١) ق : ١ . (٢) القلم : ١ . (٣) الشرح : ١ .

(٤) انظر : أسرار التكرار ، للكرماني (٢١ - ٢٢) .



الناس / ٢) الآية ، وفي الروم بأكرم من النوع الأكرم ، وهي الأنبياء -عليهم السلام- وفي لقمان بالوساطة من النوع الأكرم ، وهم طائفة الأولياء ، وفي « تنزيل » بالصنع البديع ، والامكان العجيب في خلق السموات والأرض ، وما بينهما من المخلوقات في ستة أيام » .

قال : « ولك أن تراعي هذه المناسبة في السور المتكرر فيها الحمد ، ففي الفاتحة باعتبار الربوبية للعاملين ، وفي « الأنعام » باعتبار خلقه السموات والأرض ، وجدان آية الليل والنهار المشار إليها بقوله : (**جعل الظلمات والنور / ١**) أو الكفر والإسلام ، وفي « الكهف » باعتبار إنزال الكتاب وفي « سبأ » باعتبار ملكه لسائر ما تضمنته السموات والأرضون ، وفي « فاطر » باعتبار تخصيصه صنف الملك بخواص تشعر باجتبائه لهذا النوع من المخلوقات ، وتصريفهم في أهل الأرض » .

قال : « فهذه قاعدة عزيزة ، أعطيناكها لتتصرف بها في جميع ما تكرر في القرآن على هذا الوجه » . انتهى .

(**ذلك الكتاب / ٢**) أوقع ذلك المشار إليه للبعيد ، موقع هذا المشار به للقريب ، والقرآن حاضر ، تنزيلاً له منزلة البعيد ، لعلو مرتبته .

قال الراغب في مفرداته : (يقال بأن هذا في المستبعد بالشخص ، أو بالمنزلة ، ذاك ، وذلك »[١] .

وقال غيره : « الاشارة إذا كانت إلى غير عين ، جاز فيها ذلك ، وهذا كقوله: (**هذا ما توعدون**)[٢] ، (**ذلك ما كنت منه تحيد**)[٣] »[٤] .

---

(١) في المفردات (١٨٣ ، مادة : ذو) : « ويقال بإزاء هذا - يعني بإزاء اسم الإشارة هذا ونحوه - في المستبعد بالشخص أو بالمنزلة ذاك ، وذلك » .

(٢) سورة ص : ٥٣ ، وسورة ق : ٣٢ .   (٣) سورة ق : ١٩ .

(٤) هذا خلاصة كلام الفراء في ذلك ، وهو يعني أنه إذا كان هناك شيء لا يرى بعينه ، فحينئذ تجوز الإشارة إليه بـ« هذا » و« ذلك »وإن كان يرى بعينه ، فلا يجوز فيه « هذا » في موضع « ذلك » ولا العكس فلو رأيت رجلين ، تنكر أحدهما ، لقلت للذي تعرف : من هذا الذي معك ؟ ولا يجوز ها هنا : من ذلك ؟ لأنك تراه بعينه .
- معاني القرآن (١ / ١١) .



(لا ريب/٢) نفي الـريب على سبيل الاستغراق ، مع وجوده في المرتابين ، تنزيلاً له منزلة عدمه ، لقيام الدليل القاطع على نفيه ، فعول عليه : ذكره جماعة من أهل البيان .

وفي الكشاف : « فان قلت : كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق ، وكم من مرتاب فيه ؟

قلت : ما نفي أن أحداً لا يرتاب فيه ، وإنما المنفي فيه كونه متعلقاً للريب ، ومظنة له ، لأنه من وضوح الدلالة ، وسطوع البرهان ، بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه »[1] .

وقيل[2] : هو نفي بمعنى النهي ، والريب أخص من الشك ، لأنه شك مع تهمة . قال[3] :

ليس في الحـق يا أميمـة ريب ∴ إنـما الـريب ما يقـول الـكـذوب

ذكره جماعة[4] .

وقال الخويي : « الشك : لما استوى فيه الاعتقادان ، أو لم يستويا ، ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور الذي يبني عليه العاقل الأمور المعتبرة ، والريب : لما لم يبلغ درجة اليقين ، وان ظهر نوع ظهور ، ولهذا حسن (لا ريب فيه/٢) هنا ،

---

(١) الكشاف (١ / ١١٣ - ١١٤) ، وانظر نظم الدرر (١/ ٧٩ - ٨٠) .
وهو ما استحسنه السمين .
- الدر المصون (١ / ٩٠) .

(٢) القول بأن قوله : (لا ريب) نفي بمعنى النهي ، استبعده أبو حيان واختار أن خبر (لا) محذوف ، وعلل اختياره هذا بأن الخبر في باب (لا) العاملة عمل (ان) إذا علم لم تلفظ به بنو تميم ، وكثر حذفه عند أهل الحجاز ، وهو هنا معلوم ، فاحمله على أحسن الوجوه في الإعراب .
- البحر (١ / ٣٧) ، وانظر : دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي (٦ - ٧) .

(٣) قاله عبد الله بن الزبعرى ، البحر (١ / ٣٣) ، والماوردي (١ / ٦٤) ولكن فيه « الجهول » بدلاً من « الكذوب » .

(٤) منهم الخليل وابن الأنباري ، زاد المسير (١ / ٢٣) .



فإنه بيان لكون الأمر ظاهراً بالغاً درجة اليقين ، بحيث لا يحصل فيه ريب ، فضلاً عن شك » .

وقال غيره : « (**لا ريب فيه/٢**) : أخف من « لا شك » ، لثقله بالإدغام ، ولهذا أكثر ذكر الريب فيه ، وأخر الظرف ، لأن تقديمه يوهم اختصاصه بذلك ، ووجود الريب فيما عداه من الكتب المنزلة ، مع براءتها منه ، كما أن تقديمه في (**لا فيها غول**)[١] ، أفاد ثبوته في خمر الدنيا[٢] .

قال أهل البيان : « وهذه الجملة منزلة مع الجملة قبلها منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه ، في إفادة التقرير ، مع الاختلاف في معنى الجملتين ، فإنه لما بولغ في وصف

---

(١) الصافات (٤٧) .

(٢) انظر الكشاف (١/١١٤ - ١١٥) ، ونظم الدرر (١ / ٨٠) ،

لعل الأرجح أن الريب : هو الشك مع تهمه - كما قال أبو حيان (البحر ١/٣٣) وهو ما ذهب إليه السمين (الدر المصون ١/٨٥ - ٨٦)

وانظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي (٢/١٨) .

وهو أصلٌ يطلق على عدة معان :

أحدها : بمعنى الشك ، ومنه قول الشاعر :

فقالوا تركنا القوم قد حصروا به ... فلا ريب أن قد كان ثم لحيم

- معجم مقاييس اللغة (٢ / ٤٦٣) .

ثانيها : التهمة : قال جميل بثينة :

بثينة قالت : يا جميل أربتني ... فقلت : كلانا يا بثين مريب

وثالثها : الحاجة ، قال الشاعر :

قضينا من تهامة كل ريب ... وخيبر ، ثم أجمعنا السيوفا

- الدر المصون ، للسمين (١/٨٦) .

ورابعها : صروف الدهر ، ومنه قول الشاعر :

أمن المنون وريبه تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

والجامع لهذه المعاني كلها هو أن « الريب » حقيقته : قلق النفس واضطرابها ومنه الحديث (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) . .

- وانظر معجم مقاييس اللغة (٢/٤٦٣ - ٤٦٤) .

والحاصل أن معنى (لا ريب فيه) هنا ، هو أن هذا الكتاب - أي القرآن- لا شك فيه ، أنه نزل من عند الله ، كما قال تعالى : (ألم ، تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) السجدة :

- انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (١ / ٣٩) .

الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى في الكمال ، حيث جعل المبدأ (**ذلك/٢**) الدال على كمال العناية بتمييزه ، والتوسل ببعده إلى التعظيم وعلو الدرجة ، وتعريف الخبر باللام ، الدالة على الانحصار ، فمعنى (**ذلك الكتاب/٢**) أنه الكتاب الكامل الذي يستحق أن يسمى كتاباً ، حتى كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقصاً ، ليس بكتاب ، وجُاز أن يتوهم السامع قبل التأمل ، أن في ذلك مجازاً ، فأتبع بقوله : (**لا ريب فيه/٢**) ، دفعا لهذا التوهم ، فهو وزان نفسه في قوله[1] : جاء زيد نفسه .

قالوا : وقوله : (**هدى للمتقين/٢**) منزل منها منزلة التأكيد اللفظي في اتحاد المعنى ، فان معناه : أنه في الهداية ، بالغ درجة ما يدرك[2] كنهها ، لما في تنكير (**هدى/١**) من الابهام ، والتفخيم . والاتيان به دون هاد ، حتى كأنه هداية محضة ، وهذا معنى (**ذلك الكتاب/٢**) ، لأن معناه الكتاب الكامل ، أي في الهداية إذ هي المقصود من الانزال ، فهو وزان زيد الثاني في جاء زيد زيد ، والهدى : مصدر ، قالوا : ولم يجئ من المصادر على وزنه إلا سدى ، وبكى ، وتقى[3] .

وفي مفردات الراغب : « الهدى ، والهداية في موضع اللغة واحد ، لكن قد خص الله تعالى لفظ الهدى »[4] قال : « والاهتداء يختص بما يتحراه الإنسان على طريق الاجتهاد ، إما في الأمور الدنيوية أو الاخروية »[5] .

وخص الهدى بالمتقين : لانتفاعهم به ، كقوله : (**إنما أنت منذر من يخشاها**)[6]

---

(١) في (ب) : ذلك .

(٢) في (ب) : لا يدرك .

(٣) في الدر المصون : « قالوا : ولم يجيء من هذا الوزن في المصادر إلا سرى ، وبكى ، وهدى ، » ثم قال : « وقد جاء غيرها وهو : لقيته لقى » .
- الدر المصون (١ / ٨٧) .

(٤) في المفردات (٥٤١ / مادة : هدى) : « والهدى والهداية في موضع اللغة واحد ، لكن قد خص الله – عز وجل لفظة الهدى بما تولاه وأعطاه واختص هو به دون ما هو إلى الإنسان . . » .

(٥) هذا نص كلام الراغب ، إلا أنه بدلاً من « الاجتهاد » جاء بكلمة « الاختيار » – المرجع السابق .

(٦) النازعات : ٤٥ .



وكان منذراً له ولغيره ، وفيه إطلاق الوصف باعتبار ما يؤول إليه ، وأصل الكلام : هدى للضالين الصائرين إلى التقوى بعد الضلال ، فاختصر الكلام إيجازاً وتصديراً للسورة ، التي هي أول القرآن ، بذكر أولياء الله والمرتَضَين من عباده .

وعن ابن الأنباري[1] : « أن التقدير : هدى للمتقين وغيرهم ، فحذف الكفار ، كقوله ، (**سرابيل تقيكم الحر**)[2] »[3] .

قال الخـــويي : « وإنـــما قال في آية رمضـــان : (**أنـــزل فيـــه القـــرآن ، هدى للناس**)[4] ، لأن المقصود بيان شرف الشهر ، وكونه زمان نزول أشرف الأشياء وهو القرآن ، فاعتبر نفعه العام ، الذي بالصلاحية ، فان ذلك أدخل في بيان شرفه ، ولذلك قال بعده : (**بينات من الهدى ، والفرقان**)[5] .

الراغب : « حقيقة التقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف ، ثم يسمى الخوف تارة تقـــوى ، والتقـــوى تارة خوفـــاً ، بحسب تسمية المقتضى بمقتضيه والمقتضى

---

(١) هو أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، ولد في الأنبار –على الفرات– وهو من أعلم زمانه بالأدب واللغة ، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار وكان يتردد على أولاد الخليفة الراضي بالله يعلمهم .
- من كتبه « الزاهر » في اللغة ، وإيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، « وهو مطبوع » و « عجائب علوم القرآن » وهو مخطوط ، و « الأمالي » ، وهو مخطوط ، والأضداد وهو مطبوع .
- توفي سنة ٣٢٨هـ .
- وفيات الأعيان (١ / ٥٠٣) ، ونزهة الألباب (٣٣٠) ، بغية الوعاة (٩١) .

(٢) النحـل (٨١) .

(٣) وهو ما استبعده الألوسي . (روح المعاني ١ / ١١٠) .
ولعـل الـراجح هنا هو القول بأنه تعالى إنما خص الهدى بالمتقين ، لانتفاعهم به دون غيرهم ، كما قال السيوطي سابقاً ، ويؤيده قوله تعالى : (إنما تنذر من اتبع الذكر / ١١ يس) مع أنه –ﷺ– كان منذراً لكل الناس ، وإنما ذكر هؤلاء الناس ، لأنهم هم الذين انتفعوا بإنذاره .
وهو ما ذهب إليه الفخر الرازي (التفسير الكبير ٢ / ٢١) .

(٤) البقرة : ١٨٥ .

(٥) البقرة : ١٨٥ .



بمقتضاه[1]، وصار التقوى في عرف الشرع حفظ النفس[2] عما يؤثم » .

ابن جماعة : قال هنا (**للمتقين**) ، وفي لقمان (**للمحسنين/٣**) ، لأنه لما ذكر هنا مجموع الايمان ، ناسب المتقين ، ولما ذكر ثم الرحمة ، ناسب المحسنين »[3] .

وفي إعراب هذه الجمل[4] احتمالات .

قال الزمخشري وغيره : والأولى بالبلاغة الإعراض عن ذلك ، وإعراب كل جملة مستقلة برأسها ، فـ (الم/١) جملة ، و (**ذلك الكتاب/٢**) ثانية و (**لا ريب فيه/٢**) ثالثة ، و (**هدى للمتقين/٢**) رابعة ، وانما ترك العاطف ، لشدة الوصل ، لأن كل جملة متعلقة بما قبلها ، آخذة بعقبها تعلقا لا يجوز معه الفصل بالعطف ، فتناسقت[5] على أحسن نظام ، لأنه نبّه أولاً على الكلام المتحدى به ، ثم ثنى بأنه الكتاب المنعوت بنهاية الكمال ، وكان تقريراً لجهة التحدي ، وشدا لأعضاده ، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة ، وتسجيلاً بكمال ، لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ، ولا أنقص ما للباطل والشبهة ، ثم أخبر عنه بأنه (**هدى للمتقين/٢**) . فقرر بذلك كونه يقيناً ، لا يجوز الشك حوله ، وحقاً لا يأتيه الباطل ، من بين يديه ، ولا من خلفه ، ثم لم تخل واحدة من الجمل الأربع - بعد أن ترتبت هذا الترتيب الأنيق ، ونظمت هذا النظم السوي - من نكتة ذات جزالة .

---

(١) هذا الكلام منقول عن الراغب بتصرف .
ومعنى كلامه : أن الخوف يقتضي التقوى ، وعلى ذلك فتسمية الخوف تقوى من قبيل تسمية المقتضى الذي هو الخوف باسم مقتضاه ، وهو التقوى وتسمية التقوى خوفاً من قبيل تسمية المقتضىٰ هو التقوى باسم مقتضِيه وهو الخوف .
- المفردات (٥٣٠ - ٥٣١) .

(٢) فيهما : « الشرع » ، والصواب ما أثبتناه من المفردات (٥٣١) مادة : وقي .

(٣) كشف المعاني (٩) .

(٤) كلمة « الجمل » ليست موجودة في (ب) .

(٥) في (ب) : فتنافست .



ففي الأولى : الحذف[1] ، والرمز إلى الغرض باللطف[2] ، وفي الرابعة : حذف المبتدأ[3] ، ووضع المصدر موضع الصفة ، وايراده منكراً ، والايجاز في ذكر المتقين »[4]. انتهى .

(الذين يؤمنون بالغيب/٣) الآية . قال الأصبهاني : « هذه الجملة كاشفة لحال المتقين ، لاشتمالها على فعل الحسنات ، وترك السيئات ، أما الفعل ، فقد انطوى تحت ذكر الايمان ، الذي هو أساس الحسنات ، وأصلها ، وذكر الصلاة والصدقة

---

(١) هناك خلاف في إعراب (الم) وغيرها من الحروف المقطعة التي في أوائل السور ، حكاه أبوحيان في البحر المحيط (١ / ٣٥) قائلًا :

« وقد تكلم المعربون على هذه الحروف ، فقالوا لم تعرب حروف التهجي ، لأنها أسماء ما يلفظ ، فهي كالأصوات ، فلا تعرب إلا إذا أخبرت عنها أو عطفتها فإنك تعربها ، ويحتمل محلها الرفع على المبتدأ أو على إضمار المبتدأ والنصب بإضمار فعل ، والجر على إضمار حرف القسم ، هذا إذا جعلناها اسماً للسور وأما إذا لم تكن اسماً للسور ، فلا محل لها ، لأنها إذ ذاك كحروف المعجم أو وردت مفردة من غير عامل . فاقتضت أن تكون مستكنة كأسماء الأعداد أوردتها لمجرد العدد بغير عطف » .

ثم قال أيضاً : « وقد تكلم النحويون على هذه الحروف على أنها أسماء السور وتكلموا على ما يمكن إعرابه منها ، ومالا يمكن ، وعلى ما إذا أعرب ، فمنه ما يمنع الصرف ، ومنه ما لا يمنع الصرف . . » .

وانظر : « إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات » ، للعكبري (١ / ١٠) .

(٢) في الكشاف (١ / ١٢٢) « وفي الثانية : ما في التعريف من الفخامة ، وفي الثالثة : ما في تقديم الريب على الظرف » .

(٣) الذي هو « هو » .

ولكن ذلك هو أحد الاحتمالات في إعراب الجملة هنا .

- انظر في ذلك « إملاء ما منَّ به الرحمن » ، للعكبري (١ / ١١).

ولعل الأرجح هنا أن يكون (هدى) مرفوعاً على النعت ، أو منصوباً على الحال لأن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير ، وهذا الإعراب بناء على أن الأرجح -كما يبدو لي- في أن الوقف على قوله تعالى : (لا ريب فيه) ، وذلك لقوله تعالى في آية أخرى : (ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) ولأنه يصير قوله تعالى (هدى) صفة للقرآن ، وذلك أبلغ من كونه فيه هدى .

وهو ما ارتآه ابن كثير .

- تفسير القرآن العظيم (١ / ٣٩) .

(٤) نقل السيوطي هذا الكلام السابق عن الزمخشري بقليل من التصرف .

- الكشاف (١/١٢١ - ١٢٣) .



لأن هاتين أساس العبادات البدنية والمالية ، وهو القياس الذي ينقاس به غيره عليه ، فان من كانت فيه هاتان العبادتان ، كان ذلك دليلاً على أنه يقيم سائر العبادات ، ولذلك سمى النبي - ﷺ - الصلاة عماد الدين[1] ، والزكاة قنطرة الإسلام[2] . فلما كان بهذه المثابة ، كان من شأنهما[3] استجرار سائر العبادات ، واستتباعها ، ومن ثم اختصر الكلام اُختصاراً ، بأن استغنى عن عدّ الطاعات ، بذكر ما هو كالعنوان لها ، والذي إذا وجد ، لم تتوقف أخواته أن يقترن به ، مع ما في ذلك من الإفصاح عن هاتين العبادتين . وأما الترك ، فكذلك ينطوي تحت ذكر الصلاة ألا ترى إلى قوله : (**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**)[4] »[5] . انتهى .

وقد وقع ترتيبها على اللائق في تقديم الأشرف ، فالأشرف .

الإمام : « إنما قدم التقوى الذي هو الترك ، على الفعل الذي هو الإيمان والصلاة ، والزكاة ، لقاعدة تقديم التخلية على التحلية »[6] .

قال الراغب : « والإيمان : التصديق الذي معه أمن . وأما قوله : (**يؤمنون بالجبت والطاغوت**)[7] فهو من سبيل الذم لهم ، بأنهم قد حصل لهم الأمن بما لا يقع به الأمن »[8] .

---

(١) هذا معنى ما رواه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل مرفوعاً ، وفيه : (ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ، فقلت بلى ، يارسول الله .
قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد . .)
- المسند (٥ / ٢٣١) ، ولكن كلمة (الإسلام) أضفتها من سنن الترمذي (٥ / ١٢) ، لأنه يبدو أن ما في المسند إنما هو خطأ مطبعي .

(٢) رواه الطبراني عن أبي الدرداء .
قال ابن الجوزي : حديث لا يصح ، وقال الهيثمي : رجاله موثقون إلا بقية فمدلس
- كنز العمال (٦ / ٢٩٣) وفيض القدير (٤ / ٧١) .

(٣) في (ب) : سنانهما . (٤) العنكبوت : ٤٥ .

(٥) أنوار الحقائق (٨٣) .

(٦) هذا معنى ما قاله الفخر الرازي ، التفسير الكبير (٢ / ٢٦) .

(٧) النســاء : ٥١ .

(٨) هذه عبارة الراغب بتصرف من السيوطي ، المفردات (٢٦ ، مادة : أمن).



قال غيره : « وإنما عدى بالباء ، لتضمنه معنى الإقرار والاعتراف ، وإنما عبر بـ(**يؤمنون**) دون « **يصدقون** » ، لما فيه من زيادة معنى الأمن ، ومن تضمن معنى الإقرار والاعتراف ، ولأنه أحق . والغيب : مصدر وضع موضع الفاعل بما غاب عنهم مما لم يروه[1] ، وذلك الله ، والجنة ، والنار ، عبّر به لأنه أحق من لفظ الغائب ، واقتصر عليه ، لأنه أمدح . وقد قيل : « إن[2] فيه اكتفاء ، أي والشهادة ، على حد (**بيدك الخير**)[3] ، أو على بابه ، أي يؤمنون بالله حال كونهم بالغيب ، أي غائبين عنه[4] ، كقوله : (**لم أخنه بالغيب**)[5] .

وإقامة الصلاة ، أداؤها ، والمحافظة عليها بأركانها وسننها .

قال الراغب : « إقامة الشيء ، توفية حقه » . قال : « ولم يأمر الله بالصلاة حيث أمر ، ولا مدح بها حيث مدح ، إلا بلفظ الإقامة ، تنبيهاً أن إقامتها توفية شرائطها ، لا الإتيان بهيآتها ، إلا في قوله : (**فإن تابوا وأقاموا الصلاة**)[6] ، فقد قيل : عنى به الإقرار بوجوبها ، لا أداءَها »[7] . انتهى .

ذكر الخويي نحوه ، وزاد « ولهذا لم يذكر في حق المنافقين لفظ الاقامة ، بل قال : (**وإذا قاموا إلى الصلاة**) ، (**ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى**)[8] ، وقال في حق السكران : (**لا تقربوا الصلاة**)[9] ، وما قال : لا تقيموها . وقال في آية الوضوء : (**إذا قمتم إلى الصلاة**)[10] ، لأنه شرط لكل صلاة لا للصلاة التي يؤتى بها على

---

(١) وهذا نسبه الفخر الرازي إلى جمهور المفسرين ، التفسير الكبير : ٢ / ٣٠ .

(٢) في (ب) : انـه .

(٣) آل عمـران : ٢٦ .

(٤) هذا هو اختيار أبي مسلم الأصفهاني ، التفسير الكبير ٢ / ٣٠ .

(٥) سورة يوسـف : ٥٢ .

(٦) سورة التوبة : ٥ .

(٧) نقله السيوطي عن الراغب بتصرف .
- المفردات (٤١٨) ، مادة : قوم .

(٨) التوبة : ٥٤ . (٩) النساء : ٤٣ . (١٠) المائدة : ٦ .

أحسن حال ، ولو قال : إذا أقمتم ، كان واجباً في الصلاة المؤداة بالخشوع والخضوع ، وهو واجب في الصلاة ، كيف كانت .

الإمام : « اختلف في تفسير إقامة الصلاة ، فقيل : تعديل أركانها ، من أقام العود ، إذا عدَّله[1] . وقيل : المواظبة عليها ، من : قامت السوق .

وقيل : التشمير لأدائها ، من قامت الحرب على ساق . وقيل : أداؤها تعبيراً عن ذلك بالقيام ، لأنه بعضها ، كما عبر عنها بالركوع والسجود »[2] .

قال الطيبي : « فعلى الأول ، يكون في قوله : (**يقيمون الصلاة**) استعارة تبعية[3] ، وعلى الثاني : كناية تلويحية[4] ، وعلى الآخرين : مجاز في الإسناد[5]

---

(١) قال الشوكاني : « وإقامة الصلاة : أداؤها بأركانها وسننها وهيآتها في أوقاتها » .
- فتح القدير (١ / ٣٦) .
وهو ما رواه الطبري بمعناه عن ابن عباس ، جامع البيان (١/٢٤١ - ٢٤٢) . وقد مال إلى هذا الوجه جمع من المحققين .
- روح المعاني (١ / ١١٦) .
ولعل هذا هو الأرجح ، لأنه أظهر وأقرب إلى الحقيقة وأكثر فائدة كما ذكر الألوسي .
- انظر المرجع السابق .

(٢) هذه الأقوال ذكرها الفخر الرازي بمعناها .
- التفسير الكبير (٢ / ٣٢) .

(٣) وذلك أنه شبه تعديل الأركان بتقويم العود بإزالة اعوجاجه فهو تقويم ، تشبيهاً له بالقائم ، ثم استعيرت الإقامة من تسوية الأجسام- التي صارت حقيقة فيها- لتسوية المعاني ، كتعديل أركان الصلاة على ما هو حقها.
- روح المعاني (١ / ١١٥) .

(٤) حيث عبر عن الدوام والمواظبة بالإقامة ، فان إقامة الصلاة بهذا المعنى مشعر بكونها مرغوباً فيها ، كالسوق ، إذا شوهدت قائمة ، دلت على نفاق سلعتها ، ونفاقها على توجه الرغبات إليها . - المرجع السابق . والكناية التلويحية : هي الكناية التي بينها وبين المكني عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط . الإيضاح (١٨٨) والبلاغة والتطبيق (٣٧٥) والتبيان/ للطيبي (٢٦٤) .

(٥) مجاز الإسناد ، هو المجاز العقلي : هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له ، غير ما هو له بقرينة . - انظر شروح التلخيص (١ / ٢٣١) .
وأما بالنسبة للقول الرابع : أي أن المراد بإقامة الصلاة أداؤها ، وإنما عبر عنه بالإقامة لعلاقة اللزوم ، إذ يلزم من تأدية الصلاة فعل القيام .
- انظر روح المعاني (١ / ١١٦) .

وإدخال » من « التبعيضية في (مما رزقناهم/٣) صيانة عن الإسراف والتبذير ، وعبر بالإنفاق دون الصدقة ليعمها ، وكل إنفاق في سبيل الخير ، وقدم المتعلق للفاصلة » .

وقال الأصبهاني : « دلالة على كونه أهم ، كأنه قال : ويخصون بعض المال بالتصدق به »[1] وقال : « تهويناً لأمر الإنفاق ، فإن الإنفاق إذا كان مما آتاهم الله ، لا يصعب لا في الحال ، ولا المآل ، أما في الحال فلأن ذلك ليس شيئاً أوجده هو بصنعه ، ولا حصله بجمعه ، بل الله أعطاه من فضله ، وأما في المآل ، فلأن من رزق ، وهو كريم غني لا يقطع الرزق ، فيسهل حينئذ أمر الانفاق » . قال : « الرزق : إعطاء العالي مَنْ دُونَه ما ينتفع به ، والإنفاق : إخراج المال في وجه المصلحة فإن لم يكن في وجه المصلحة ، فتبذير وتضييع »[2] .

(**والذين يؤمنون بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك/٤**) قال الأصبهاني : « يحتمل أن يكونوا هم الأولون ، وإنما وسط العاطف ، كما توسط بين الصفات في قولك : هو الشجاع ، والجواد ، على معنى : أنهم الجامعون بين تلك الصفات ، وهذه . فعلى هذا الإتيان في جميع المؤمنين ، سواء كانوا من العرب أو من أهل الكتاب ، ويحتمل اختصاص الثانية بمؤمني أهل الكتاب ، لأنه لما كانت السورة مدنية ، وقد شرف الله المسلمين بقوله : (**هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب/٢-٣**) ، ذكر بعد ذلك أهل الكتاب ، الذين آمنوا بالرسل كعبد الله بن سلام[3] ، ونظرائه ، فان في هذا التخصيص مزيد تشريف لهم ، واستدعاء غيب

---

(١) أنوار الحقائق (٨٦) .

(٢) لم أعثر عليه في كتاب الأصبهاني .

(٣) هو أبو يوسف ، عبد الله بن سلام ، كان يهودياً اسمه « الحصين » ، أسلم عند قدوم النبي -ﷺ- المدينة ، وسماه -عليه الصلاة والسلام- عبد الله .
وشهد مع عمر فتح بيت المقدس ، والجابية ، واعتزل الفتنة التي حصلت بين علي ومعاوية .
توفي سنة ٤٣هـ .
- خلاصة تهذيب الكمال (٢٠٠) ، والإصابة : ترجمة رقم (٤٧٢٥) ، والاستيعاب (٣٨٢/٢) .



لأمثالهم في الدين »[1] .

وقوله (**بما أنزل إليك/٤**) أي القرآن كله ، وعبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقباً ، تغليبا للموجود على ما لم يوجد ، وتنزيلاً للمنتظر النزول منزلة النازل .

وقال الخويي : « الأول إيمان بالأمور النظرية ، والثاني : بالأمور السمعية » ، قال : « وإنما قال هناك (**ومما رزقناهم/٣**) دون « ومما رزقوا » ولم يقل هنا « بما أنزلنا إليك » بل (**أنزل / ٤**) بالبناء للمفعول ، لأن بعض الكفار كان يتوهم أن الرزق من غير الله ، كالكوكب ، وكياسة الرجل ، فقال : (**ومما رزقناهم/٣**) دفعاً لذلك » ، وقال : « واستعمال (قبل)[2] مع (من / ٤) يحسن فيما يقتضي الاستمرار ، وفائدته هنا أن ما أنزل إليهم ، مستمر ، لم يبطل إنزاله بنزول ما أنزل إلى النبي - ﷺ - وإنما انتهى حكمه وتلاوته » .

(**وبالآخرة/٤**) آي بالدار الآخرة ، أو بالحياة الآخرة ، إلا أنه تعالى حيث صرح بموصوف الآخرة ، ذكر الدار دون الحياة ، وحيث صرح بموصوف الدنيا ، ذكر الحياة دون الدار ، وذلك لأن الدار للإقامة ، وهي تنبئ عن المكث والقرار ، وأما الحياة في النفس ، فعرض قائم بها ، فقال : « دار الآخرة ، ليعلم أنها للإقامة ، ولم

---

(١) أنوار الحقائق (٨٦ - ٨٧) .
ذكر الزمخشري هذين القولين السابقين في المراد من (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) بنحو الكلام المذكورهنا .
- الكشاف (١ / ١٣٣ - ١٣٥) .
ولكن الظاهر أن القول الأول ، هو الأرجح ، وذلك لأن الأربع آيات الأولى في نعت المؤمنين -كما قال مجاهد- لا تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى ، وقد أمر الله المؤمنين بذلك ، كما قال : (يأيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذي نزل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل) الآية .
وقال تعالى: (قل يأهل الكتاب لستم على شيء ، حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم). . وهو ما ذهب إليه ابن كثير .
- تفسير القرآن العظيم (١/٤٣ - ٤٤) .
وقد قال الشوكاني بهذا القول ،
- فتح القدير (١ / ٣٧) .
(٢) في قوله تعالى : (من قبلك) البقرة : ٤ .



يقل دار الدنيا ، لأنها ليست للإقامة ، وقال : (**الحياة الدنيا**)[1] لأنها عرض . ذكره الخويي .

(**هم يوقنون/ ٤**) : قال صاحب الكشاف : « في تقديم (**بالآخرة/ ٤**) ، وبناء (**يوقنون/ ٤**) على (**هم/ ٤**) تعريض بأهل الكتاب ، وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة ، على خلاف حقيقته ، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك ، وما أنزل من[2] قبلك »[3] .

الإمام : « اليقين ، العلم بالشيء ، بعد أن كان صاحبه شاكا فيه ، فلذلك لا يقال : تيقنت وجود نفسي ، أو أن السماء فوقي ، ويقال ذلك في العلم الحادث بالأمور ضرورياً أو استدلاليا[4] » انتهى . فلذلك عبر به هنا ، لأن الآية إن كانت في غير أهل الكتاب ، فواضح أنهم كانوا في شك من أمر الآخرة ، أو فيهم فقد كانوا فيها على غير علم ، حيث قالوا : (**لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة**)[5] ، إلى غير ذلك من اعتقاداتهم الفاسدة فيها ، وقد زال كلها بإيمانهم ، وحصل اليقين .

الراغب : « اليقين من صفة العلم ، فوق المعرفة والدراية وأخواتها ، يقال علم يقين ، ولا يقال[6] معرفة يقين ، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم »[7] .

---

(١) ورد ذلك في أكثر من موضع ، ومن ذلك :
سورة البقرة : ٨٥ ، ٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢١٢
سورة آل عمران : ١٤ ، ١١٧ ، ١٨٥
سورة النساء : ٧٤ ، ٩٤ ، ١٠٩
سورة الأنعام : ٣٢ ، ٧٠ ، ١٣٠
سورة الأعراف : ٣٢ ، ٥١ ، ١٥٢
سورة التوبة : ٣٨ : ٥٥ .
. . . . الخ من الآيات الكريمة .

(٢) كلمة « من » ليست في (م) .

(٣) الكشاف : (١ / ١٣٧) .

(٤) هذا كلام الفخر الرازي ، بتصرف ، التفسير الكبير (٢ / ٣٦) .

(٥) سورة البقرة : ١٨٠ .

(٦) في (ب) : ولا يقال كلمة .

(٧) المفردات : ٥٥٢ ، مادة : يقين .



قال الأصبهاني : « وهذه الجملة من عطف الخاص على العام ، لأن الغيب يعم الآخرة وغيرها » .

قال الكرماني : « في هذه زيادة وصف لم تدخل تحت الإيمان ، لأن المقلد مؤمن غير موقن ، واليقين علم محصل بالدليل »[1] .

وقال الخويي : « فإن قيل الإيمان بالله وبالرسول ليس دون الإيمان بالآخرة ، فكيف قدم المعمول هنا التقديم المؤذن بالاهتمام ، بخلاف دينك .

فالجواب : أن الخوف من الكفر بالآخر أشد وأكثر ، فوجب الاهتمام به لأن دلائل الوحدانية لائحة ، ودلائل النبوة بالإعجاز ، وأمر الآخرة إنما يتيقن بإخبار الله ورسوله ، لا بدليل نظري ، فأكد أمرها بالتقديم وبالضمير» .

الطيبي : « وزان قوله تعالى : (**هدى للمتقين**/٢) إلى (**ينفقون** / ٤) وزان قوله (**الحمد لله رب العالمين**)[2] إلى (**مالك يوم الدين**)[3] ، وزان قوله : (**إياك نعبد ، وإياك نستعين**)[4] ، وزان (**أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون**)[5] » . قال « وها هنا سر دقيق ، وأنه تعالى حكى في أول الفاتحة مدح العبد لبارئه ، بسبب إحسانه إليه ، وترقى فيه ، ثم مدح في أول البقرة عبده ، بسبب هدايته له ، وترقى فيه ، على أسلوب واحد ، (**أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون**) : فيه الاستئناف البياني كأنه قيل : ما للمتصفين بهذه الصفات ، فأجيب بذلك ، وجئ باسم الإشارة إيذانا بأن المذكورين قبله أهل لاكتساب ما يورد بعده[6] من أجل الخصائص التي عددت لهم وفي (**على**) -التي للاستعلاء- تمثيل لتمكنهم من الهدى ، واستقرارهم عليه وتمسكهم به ، شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء ، وركبه ، ونحوه : هو على الحق ، وعلى الباطل ، فهو

---

(١) الذي في لباب التفسير (١ / ١١٥) :
« (هم يوقنون) : يعلمون بالدلائل » .

(٢) الفاتحة : ٢ (٣) الفاتحة : ٤ (٤) الفاتحة : ٥

(٥) البقرة : ٥ (٦) في (ب) : بعضه .



استعارة تمثيلية تبعية[1] . وإنما نكّر (**هدى / ٥**) ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه ، كما يقال : لو أبصرت زيداً ، لأبصرت رجلاً ، قال الكرماني : « وإنما أعيد ذكر » الهدى « وقد تقدم ، لبيان أن الهدى المذكور من الله لا من غيره ، كما زعم بعضهم ، أن الهدى من عند أنفسهم »[2] .

وفي تكرير (**أولئك / ٥**) تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح ، فجعلت كل واحدة من الأثرتين ، أي الاختصاصين في تميزهم بها من غيرهم ، بالمثابة التي لو انفردت ، كانت متميزة على انفرادها . وأعيد العاطف ، لاختلاف الخبرين ، بخلافه في (**أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون**)[3] فانهما متفقان ، لأن التسجيل عليهم بالغفلة ، وتشبيههم بالبهائم شيء واحد ، لأن التشبيه من حيث المعنى وهو الغفلة ، لا من حيث الغفلة والصورة ، فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى ، متصلة بها كمال الاتصال ، فهي من العطف بمعزل . و(هم / ٥) ضمير فصل ، وفائدته التأكيد والاختصاص ، والتعريض بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا برسول الله - ﷺ - وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح ، ولذلك عرف الخبر باللام ، وهو يفيد الحصر والاختصاص أيضاً ، والفلاح : الفوز بالبغية ، والظفر بالمطلوب ، قال بعضهم : « ليس في كلام العرب كلمة أجمع للخير من لفظ الفلاح » .

الراغب : « الفلاح : الظفر ، وإدراك البغية ، وذلك ضربان : دنيوي وأخروي ، فالدنيوي : الظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا ، وهي البقاء ، والغناء ، والعز . والأخروي : أربعة أشياء : بقاء بلا فناء وعز بلا ذل ،

---

(١) وذلك حيث شبهت حال أولئك -وهي تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به- بحال من اعتلى الشيء وركبه ، ثم استعير للحال التي هي المشبه المتروك كلمة الاستعلاء المستعملة في المشبه به ، ذكره الألوسي .
- روح المعاني (١ / ١٢٤) .
- وراجع التحرير والتنوير ، لابن عاشور (١/ ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٢) العجائب (١/ ١١٦) . (٣) الأعراف : ١٧٩ .



وغنى بلا فقر ، وعلم بلا جهل ، ولذلك ورد (لا عيش إلا عيش الآخرة)[1] »[2] .

الخويي : « معنى : « أفلح » : نجا من أمر عظيم ، ونال خيراً كثيراً ، ودام فيه » .

(**الذين كفروا** / ٦) : وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ، أنه تعالى قدم ذكر أوليائه ، وعباده المخلصين بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده ، وبيّن أن الكتاب هدى لهم خاصة ، وأنهم هم الفائزون بالفلاح ، عقبه بذكر أضدادهم وهم الكفرة ، الذين لا ينفع فيهم الهدى ، وسواء عليهم إنذار الرسول وعدمه ، وقطعت قصتهم من قصة المؤمنين ، ولم تعطف عليها كقوله : (**إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم**)[3] لتباين القصتين في الغرض والأسلوب ، فإن الأولى مسوقة لهم لذكر الكتاب وأنه (**هدى للمتقين/ ٢**) ، والثانية مسوقة لبيان أن الكفار صفتهم كيت وكيت[4] .

الأصبهاني : « الجملة التي تدخل (إن) عليها ، تقع جواباً لسؤال محقق أو مقدر ، وتحقيق ذلك ، أنها للتأكيد ، فإنما يحتاج لها إذا كان الخبر للمخاطب ظن بخلافه[5] .

الخويي : « دخول[6] (إن) هنا في غاية الحسن ، لأمرين :

---

(١) رواه البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قال : « كنا مع رسول الله -ﷺ- بالخندق ، وهو يحفر ، ونحن ننقل التراب ، ويمر بنا فقال : (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة) .
- البخاري (٧/ ١٧٠) ، كتاب : الرقاق ، باب : الصحة والفراغ ، ولا عيش إلا عيش الآخرة .
ورواه أيضاً مسلم ، ولكن بلفظ : (. . . فاغفر للمهاجرين والأنصار) وأورده أيضاً بلفظ البخاري المذكور هنا ، ولكن عن أنس بن مالك .
- مسلم (٢ / ١٤٣١) ، باب : غزوة الأحزاب ، وهي الخندق ، كتاب : الجهاد والسير .

(٢) المفـــردات (٣٨٥) مادة : فلح ، مع التصرف .

(٣) الانفطـار : ١٣ - ١٤ .

(٤) انظر الكشـاف (١/ ١٤٩) .

(٥) أنوار الحقائق : ٨٨ (٦) في (ب) : دخـل .



معنوي : وهو أنه قد ظهر دليل عدم انتفاعهم بالإنذار ، لأن الكتاب العزيز المعجب المعجز الهادي نزل عليهم ، وبلغهم ، ولم يؤمنوا ، فلا يؤمنون بعده ، فوقع التأكيد بأن لقطع الطمع في إيمانهم .

ولفظي : وهو ألا يتوهم العطف على الذين يؤمنون ، لو قال : والذين كفروا فيكون في سياق المتقين ، فقوله : (إن الذين كفروا/٦) لا يصلح له لا لفظاً ولا معنى ، وموافقة اللفظ للمعنى فصاحة » . قال : « وإنما قال (كفروا/٦) بلفظ الماضي ، و(يؤمنون/٦) بلفظ الحال ، أو[1] المستقبل للمغايرة بين لفظي القبيلين[2] ، ولئلا يتوهم لو قيل : آمنوا ، انصرافه لمن آمن قبل البعثة من غير أمة محمد - ﷺ - أو لمن آمن قبل نزول هذه الآية دون تأخر ، مع أن المباشرة خاصة بمن آمن بعد البعثة ، وعامة من آمن قبل نزول الآية ، وبعدها إلى يوم القيامة .

وأما (كفروا / ٦) فالمضي فيه ظاهر ، إلا أن المراد من تقدم كفره على نزول الآية ، وبعدها إلى يوم القيامة ، ممن علم الله أنه لا يؤمن .

الراغب : « استعمال الكفر في الدين أكثر ، والكفران في جحود النعمة أكثر ، والكفور فيهما جميعاً »[3] .

و (سواء / ٦) مبتدأ ، وجملة (أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم / ٦) خبره ، ولا يجوز عكسه ، لأن الجملة لا تقع مبتدأ قط ، ولأن الاستفهام لا يتقدم عليه خبره ، كذا قال الأصبهاني[4]، ورجح الامام عكسه . لأن هذه الجملة في تأويل المصدر

---

(١) في (ب) : و .　　　(٢) في (ب) : القبيلتين .

(٣) المفردات : (٤٣٤ ، مادة : كفر ، مع التصرف) .

(٤) في أنوار الحقائق : ٨٩ :

« وارتفاع سواء على أنه خبر لأن ، وأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع المرتفع بسواء على الفاعلية ، كأنه قيل : إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه . . » . ثم قال : أو يكون أنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبراً مقدماً ، بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه ، والجملة خبر لأن » .

قلت : هذا نص الأصبهاني في كتابه ، وبهذا يتبين أن ما ذكره السيوطي هنا مخالف لعبارة الأصبهاني ، فيبدو أن ذلك سهو من السيوطي .



المفرد ، والمراد وصف الإنذار ، وعدم الإنذار بالاستواء ، وما كان وصفا فهو بالخيرية أليق[1] ، وعليهما فالجملة خبر (إن / ٦) . وقيل : (سواء / ٦) وحده خبرها ، وما بعده مرتفع على الفاعلية[2] ، وجزم به البيضاوي[3] .

الكرماني[4] : « لما وقعت (سواء / ٦) خبر (إن / ٦) ، لم تعطف . وقيل : في (يس) : (وسواء)[5] ، لأنها جملة مستقلة عطفت على ما قبلها »[6] .

قال صاحب المناجاة : « ويمكن أن يقال إنه تعالى ، لما وصف الكفار هنا بأخص ما وصفهم به في سورة « يس » فإنه ذكر في شأنهم آيتين ، ولم يعطف إحداهما على الأخرى ، وكانت هذه التسوية مبدأ أوصافهم ، لم تكن محلاً للواو وحيث وصفهم في « يس » بأوصاف كثيرة ، متقدمة ، وجعل هذه التسوية آخر أوصافهم المعطوفة بعضها على بعض ، كان محلاً للواو .

الإمام والأصبهاني : فإن قيل : إطلاق أنذرتهم ، أم لم تنذرهم ، وإرادة إنذارك لهم ، وعدمه ، مجاز ، والعدول عن الحقيقة إليه ، يستدعي فائدة زائدة ، فما هي ؟

---

(١) انظر التفسير الكبير (٢ / ٤٥) .
(٢) وقد رَدَّ الفخر الرازي هذا القول بأن (سواء) اسم ، وتنزيله بمنزلة الفعل ، يكون تاركاً للظاهر من غير ضرورة ، وأنه لا يجوز .
- المرجع السابق .
كما اعترض عليه أبو حيان أيضاً ، بأن فيه وقوع الجملة فاعلاً ، وهو خلاف جمهور البصريين أن الفاعل لا يكون إلا اسماً مفرداً ، أو هو في تقديره .
- البحر (١ / ٤٦) .
(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (١ / ٢٦٧) ،
والبيضاوي لم يجزم بالقول المذكور هنا وحده ، وإنما ذكر معه أيضاً القول الآخر ، الذي اختاره الفخر الرازي سابقاً ، ولكن تقديم البيضاوي للقول الأول يؤذن بترجيحه .
وقد جوّز الجمل في حاشيته على الجلالين الأوجه المذكورة سابقاً في الإعراب هنا .
- الفتوحات الإلهية (١ / ١٤) وانظر إملاء ما منّ به الرحمن ، للعكبري (١ / ١٤) .
(٤) في (ب) : وقيل الكرماني .
(٥) يس : ١٠ .
(٦) لم أعثر على هذا النص فيما اطلعت عليه .



قلنا : قوله (**سواء عليهم أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم / ٦**) معناه : سواء عليهم إنذارك لهم ، وعدم إنذارك لهم بعد ذلك ، لأن القوم كانوا قد بلغوا في الإصرار واللجاج والإعراض عن الآيات والدلائل إلى غاية لا يرجى لهم القبول بوجه ، وقبل ذلك ما كانوا كذلك ، فلو قال : سواء عليهم إنذارك ، وعدم إنذارك ، لما أفاد أن هذا المعنى إنما حصل في هذا الوقت دون ما قبله ، ولما قال (**أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم / ٦**) أفاد أن هذه الحالة إنما حصلت في هذا الوقت فكان ذلك يفيد حصول اليأس ، وقطع الرجاء منهم ، الذي هو مقصود الآية[١] .

وعبر البيضاوي عن ذلك ، بأن العدول إلى الفعل ، لما فيه من إيهام التجدد ، و« الهمزة » ، و« أم » مسلوخ عنهما معنى الاستفهام[٢] . قال سيبويه[٣] : « جرى هذا على صورة الاستفهام ، ولا استفهام ، كما جرى قولهم : « اللهم اغفر لنا ، أيتها العصابة ، على صورة النداء ، ولا نداء »[٤] .

الراغب : « الإنذار : إخبار فيه تخويف ، كما أن التبشير إخبار فيه سرور »[٥] .

وزاد غيره : « ولا يكون إلا في زمن يسع الاحتراز ، فإن لم يسع فإشعار لا إنذار » . قال البيضاوي : « واقتصر عليه ، لأنه أوقع في القلب ، وأشد تأثيراً في النفس ، من حيث أن دفع الضرر أهمَ من جلب النفع ، فإذا لم ينفع فيهم الإنذار ، لم تنفع فيهم البشارة من باب أولى »[٦] .

---

(١) أنوار الحقائق : ٨٩ ، والتفسير الكبير : ٢ / ٤٦ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي (١ / ٢٦٩ - ٢٧٠) .

(٣) هو أبو بشر ، عمرو بن عثمان الحارثي بالولاء الملقب بسيبويه ، ولد في إحدى قرى سيراز ، وقدم البصرة ، فلزم الخليل بن أحمد ، ففاقه ، وهو إمام نحوي وأول من بسط علم النحو ، وصنف كتابه المسمى (كتاب سيبويه) في النحو ، توفي سنة ١٨٠ على خلاف في ذلك .
- البداية والنهاية (١٠ / ١٧٦) ، وطبقات النحويين (٦٦ - ٧٤) ، وتاريخ بغداد (١٢ / ١٩٥) .

(٤) الكتاب (٢ / ٢٣٢) . (٥) المفردات : ٤٨٧ ، مادة : نذر .

(٦) حاشية الشهاب على البيضاوي (١ / ٢٧٢) بشيء من التصرف .



(لا يؤمنـون / ٦) : جملة مؤكدة للجملة قبلها ، أو مفسرة لإجماله فيما فيه الاستواء ، أو خبر لأن ، وما قبلها اعتراض لتقوية الخبر . وقيل : هي دعاء[1] .

(**ختم الله على قلوبهم** / ٧) بيان لسبب تركهم الإيمان[2] . وفي الختم استعارة ، شبه حكمه عليها بالكفر والشقاوة ، فلا تعي الخير ، ولا تقبله بضرب الخاتم على الشيء كتمـاً له ، وتغطية ، لئلا يتوصل إليه ، وخص به القلوب لأنها محل العقل والعلم والفهم .

(**وعلى سمعهم** / ٧) أفرده بخلاف القلوب والأبصار ، لأنه مصدر والمصادر أصلهـا ألا تجمع[3] ، وقيل : لوقوعه بين جمعين[4] ، وقيل : هو جمع سامع لأنه جعل الأذن عضواً سامعاً .

---

(١) وقد جوز الزمخشري الوجه الأول ، والثالث .
- الكشاف (١ / ١٥٥) .
وقال ابن كثير بالوجه الأول ، وذهب إلى احتمال الوجه الثالث .
- تفسير القرآن العظيم (١ / ٤٥) .
جوز الألوسي الأوجه المذكورة في الإعراب هنا ، واستبعد منها الوجه الأخير .
- روح المعاني (١/١٢٩ - ١٣٠) .
وذهب الشوكاني إلى ترجيح أن (لا يؤمنون) خبر مبتدأ محذوف : أي هم لا يؤمنون ، وهي جملة مستأنفة ، لأنها جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : هؤلاء الذين استوى حالهم مع الإنذار وعدمه ، ماذا يكون منهم ؟ فقيل : لا يؤمنون : أي هم لا يؤمنون .
وعلل الشوكاني ترجيحه لهذا الوجه ، بأن « المقصود الإخبار عن عدم الاعتداد بإنذارهم ، وأنه لا يجدي شيئاً ، بل بمنزلة العدم . فهذه الجملة هي التي وقعت خبراً لأن ، وما بعدها من عدم الإيمان فتسبب عنها ، لا أنه المقصود » .
- فتح القدير (١ / ٣٩) .

(٢) وإنما فعل الله بهم ذلك ، جزاءً على تماديهم في الباطل ، وتركهم الحق كما قال تعالى : (فلما زاغوا ، أزاغ الله قلوبهم) (الصف : ٥) ، وكما قال أيضاً : (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ، كما لم يؤمنوا به أول مرةٍ ونذرهم في طغيانهم يعمهون) (الأنعام: ١١٠) . وقال تعالى: (بل طبع الله عليها بكفرهم) (النساء :١٥٥)
- انظر تفسير القرآن العظيم (١ / ٤٦) .

(٣) وقد استبعد الألوسي هذا التوجيه ، لأن ما ذكر مصحح لا مرجح .
- روح المعاني (١/١٣٦) .

(٤) هو قول سيبويه ، التفسير الكبير (٢ / ٥٩) .



وقرئ (**أسماعهم**) بالجمع[1] ، وقدمه ، لأنه أشرف من البصر ، إذ له مدخل عظيم في استكمال العقل بوصول المعارف إليه ، والبصر لا مدخل له في غير المبصرات ، ولأن السمع متصرف في الجهات الست ، ويقتضي بطلانه بطلان النطق بخلافه ، كما قدم القلوب ، لأنها أشرف أعضاء الإنسان .

الكشاف : « يحتمل أن يكون السمع داخلاً في حكم التغشية ، وفي حكم الختم ، والتعويل على الثاني ، يدل على ذلك قوله : (**وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة**)[2] »[3] ، ولما كانت القلوب والأسماع مجوفة كان اسناد الختم إليها أولى ، والأبصار لما كانت بارزة ادراكها متعلق بظاهرها ، كانت الغشاوة بها أليق ، « وفائدة تكرير الجار في قوله : (**وعلى سمعهم / ٧**) ، ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين : فإنه لو لم يتكرر لكان انتظاماً للقلوب[4] والسمع ، في تعدية واحدة[5] » .

(**وعلى أبصارهم غشاوة / ٧**) التنكير فيه للنوعية ، أي نوع غريب من الغشاوة ، لا يتعارفه الناس ، بحيث غطى ما لا يغطيه شيء من الغشاوات .

---

(١) عن ابن أبي عبلة .
- المحرر الوجيز (١ / ١٥٦) .
- ومختصر ابن خالويه (٢) .

(٢) الجاثية : (٢٣) .

(٣) الكشاف (١ / ١٦٣) بتصرف .
ويتحصل من ذلك أن الختم على القلوب والأسماع ، وأن الغشاوة على الأبصار، فإن قيل : قد يكون الطبع على الأبصار أيضاً ، كما في قوله تعالى في سورة النحل : (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) الآية . وقد أجاب الشيخ الشنقيطي عن ذاك ، بأن الطبع على الأبصار المذكور في آية النحل ، هو الغشاوة المذكورة في سورة البقرة -كما هنا- وفي سورة الجاثية ، في قوله تعالى (.. وجعل على بصره غشاوة /٢٣) .
والله أعلم .
- أضواء البيان (١ / ٤٨) .

(٤) في (أ) : والقلوب للسمع .

(٥) الكشاف (١/١٦٣ - ١٦٤) ، بتصرف .



وقرئ بنصبه[1] ، على تقدير : وجعل ، أو على حذف الجار ، وإيصال الختم إليه بنفسه ، أي وختم على أبصارهم بغشاوة ، وقرئ (**غشاوة**) بضم أوله ، وفتحه[2] ، و(**غشوة**) بكسر أوله ، وفتحه[3] ، و(**عشاوة**) بعين مهملة[4] ، من عشى ، يعشو .

(**ولهم عذاب** / ٧) الراغب : « العذاب : هو الإيجاع[5] الشديد ، وأصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط ، وقيل : حمل الإنسان على الجوع والسهر »[6] وتنكيره هنا للتعظيم ، أي نوع لا يعلم كنهه إلا الله تعالى .

السجاوندي[7] : « العذاب ايصال الألم إلى الحي ، مع الهوان ، فإيلام الأطفال والبهائم ، ليس بعذاب عظيم »[8] .

الإمام : « الفرق بين العظيم والكبير ، أن الأول نقيض الحقير ، والثاني نقيض الصغير ، فالعظيم فوق الكبير ، كما أن الحقير دون الصغير ، ويستعملان في الجثث ، والمعاني جميعاً »[9] .

---

(١) روى ذلك المفضل عن عاصم بن بهدلة ، إعراب القرآن ، للنحاس (١/١٨٦) .

(٢) القراءة بالضم هي قراءة الحسن وزيد بن علي ، والقراءة بالفتح هي قراءة الحسن أيضاً .
- ابن خالويه (٢) ، والبحر (١ / ٤٩) .

(٣) ذكر أبو حيان قراءة الكسر دون تعيين من قرأها ، وأسند قراءة الفتح - مع الرفع والنصب - إلى أبي حيوة والأعمش ، على حين أن ابن خالويه أسند قراءة الفتح -مع النصب- إلى سفيان وأبي رجاء .
- البحر (١/٤٩) ، وابن خالويه (٢) .

(٤) عن طاووس .
- ابن خالويه (٢) .

(٥) في (ب) : الإيجاد .

(٦) المفردات (٣٢٧) مادة : عذب - مع الحذف والتصرف .

(٧) هو أبو عبد الله ومحمد بن طيفور الغزنوي السجاوندي - مفسر مقرىء - من كتبه « علل القراءات » و« عين المعاني في تفسير السبع المثاني » و« الوقف والابتداء » . ت سنة ٥٦٠هـ .
- طبقات المفسرين ص١٠١ ومعجم المؤلفين (١٠/١١٢) .

(٨)

(٩) التفسير الكبير (٢ / ٦) بتصرف .



وقال الراغب : « عظم الشيء ، كبر عظمه ، ثم استعير لكل كبير ، فأجري مجراه محسوساً كان أو معقولاً ، عيناً كان أو معنى ، وإذا استعمل العظيم في الأعيان فأصله أن يقال في الأجزاء المتصلة ، والكبير يقال في المنفصلة ، وقد يقال فيها عظيم »[1] .

(**ومن الناس / ٨**) افتتح سبحانه بذكر المؤمنين ، وثنى بذكر الكافرين ، وثلث بذكر المنافقين ، وصفاتهم . أخرج الفريابي[2] عن مجاهد[3] قال : « من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشر آية في نعت المنافقين »[4] .

قال الأصبهاني : « وقصة المنافقين عن آخرها ، معطوفة على قصة الذين كفروا ، كما تعطف الجملة على الجملة »[5] .

(من يقول / ٨) راعى في ضمير (من / ٨) لفظها ، وفيما بعد راعى معناها .
(**آمنا بالله ، وباليوم الآخر / ٨**) خص الأمرين بالذكر ، تنبيهاً على إفراطهم في الخبث ، لأن القوم كانوا يهوداً ، وإيمان اليهود بالله واليوم الآخر ، ليس بإيمان ، لقولهم : (**عزيرٌ بن الله**)[6] ، و(**لن تمسنا النار ، إلا أياماً معدودةً**)[7] ، فهو

---

(١) المفـردات (٣٣٩) مادة : عظم - مع الحذف والاختصار .
(٢) هو أبو بكر ، جعفر بن محمد الفريابي ، تركي الأصل ، من أهل فرياب - من ضواحي بلخ - تولى القضاء بالدينور مدة من الزمن ، وكان من العلماء بالحديث ، كان يحضر مجلسه نحو عشرة آلاف .
- من مؤلفاته : « صفة النفاق وذم المنافقين » وهي رسالة مطبوعة ، و« دلائل النبوة » .
- توفي سنة ٣٠١هـ .
- تذكرة الحفاظ (٢ / ٢٣٦) ، وتاريخ بغداد ٧ / ١٩٩ ، ومعجم البلدان (٦ / ٣٧٢) .
(٣) هو أبو الحجاج ، مجاهد بن جبر ، مولى بني مخزوم ، تابعي ، من أهل مكة مفسر أخذ التفسير عن ابن عباس ، وتنقل في الأسفار ، واستقر في الكوفة .
ويقال إنه مات وهو ساجد سنة ١٠٤هـ .
- غاية النهاية (٢/٤١) ، وسير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩) . وميزان الاعتدال (٣ / ٩) .
(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٢٣) ، وعزا إخراجه أيضاً إلى عبد بن حميد ، وابن الضريس ، وابن جرير ، وابن المنذر .
(٥) أنـوار الحقـائق (٩٣) . (٦) التوبـة : ٣٠ . (٧) البقـرة : ٨٠ .

اعتقـاد على خلاف صفتـه فهـو كفـر لا إيمان ، فإذا قالـوه ثانياً على وجه النفاق والخديعة ، كان خبثاً إلى خبث ، وكفراً إلى كفر[1] ، وفي تكرير « الباء » أنهم ادعوا كل واحد من الإيمان على صفة الصحة والاستحكام ، كما تقدم في (**وعلى سمعهم / ٧**) .

الكرماني : « ليس في القرآن غيره ، في تكرار العامل مع العاطف في الاثبات ولا يكون إلا للتأكيد ، وهم أكدوا كلامهم ، نفياً للريبة ، وإبعاداً للتهمة فكانوا في ذلك كما قيل : يكاد المريب أن يقول خذوني .

فنفى الله الايمان عنهم بأوكد الألفاظ ، فقال : (**وما هم بمؤمنين/٨**) ، وكثر ذلك في النفي ، نحو (**لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر**)[2] »[3] .

قال صاحب « المناجاة » : « ويمكن أن يقال ، لما كان قولهم : (**آمناً بالله وباليوم الآخر/٨**) إثباتاً في الظاهر ، ونفياً في الباطن ، وإيماناً بالحق وقصداً للباطل ، وكان في الحقيقة إثباتاً في صورة النفي ، أعطي حكمه وعومل معاملته ، من تكرار العامل مع حرف العطف » .

(**وما هم بمؤمنين / ٨**) في الكشاف : « فإن قلت : كيف طابق قوله : (**وما هم بمؤمنين / ٨**) قولهم : (**آمنا بالله ، وباليوم الآخر / ٨**) ، والأول في ذكر شأن الفعل ، أي أحدثنا الإيمان ، لا الكفر ، ليس لذكر شأن الفاعل وإلا لقال : نحن مؤمنون ، أي لا غيرنا ، والثاني في ذكر شأن الفاعل ، أي ما هم بمؤمنين ،

---

(١) أو يقال إنما خص الإيمان بالله واليوم الآخر بالذكر ، لأنهما المقصود الأعظم من الإيمان ، لأن من آمن بالله -على ما يليق بجلاله- آمن بكتبه ورسله وشرائعه ، ومن آمن باليوم الآخر ، استعد لذلك بالأعمال الصالحة وفي ذلك إيماء منهم بأنهم حازوا الإيمان بطرفيه : المبدأ والمعاد .
- انظر الكشاف (١ / ١٦٨ - ١٦٩) .
- روح المعاني (١ / ١٤٤) .

(٢) التوبـة (٢٩ ، ٤٥) .

(٣) البرهـان (١ / ٧٩ - ٨٠) بتصـرف .



بل غيرهم لا لذكر شأن الفعل ، وإلا لقال : وما آمنوا بل كفروا ، فكيف يتطابقان ؟

قلت : القصد إلى إنكار ما ادعوه ، ونفيه من الفعل بطريق أبلغ ، فسلك بذلك طريقاً أدى إلى الغرض المطلوب ، الذي هو إنكار ما ادعوه ، وفيه من التوكيد والمبالغة ، ما ليس في غيره ، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين ، لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان ، وإذا شهد عليهم بذلك ، فقد انطوى تحت هذه الشهادة ، نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم ، بقولهم : (**آمنا / ٨**) على سبيل القطع والبت ونحوه : (**يريدون أن يخرجوا من النار ، وما هم بخارجين منها**)[١] ، فإنه أبلغ من « وما يخرجون منها »[٢] .

البيضاوي : « وأطلق الايمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء ويحتمل تقييده بتقدير ما دل عليه ما قبله »[٣] .

(**يخادعون الله ، والذين آمنوا/ ٩**) هذه الجملة إما مستأنفة جواباً لسؤال مقدر ، وهو ما بالهم قالوا آمنا ، وما هم بمؤمنين . أو بدل اشتمال من جملة (يقول / ٨)[٤] .

والمخادعة : مفاعلة من الجانبين ، وذلك خاص بهم ، وبالذين آمنوا وذكر الله فيها ، تحسين وتشريف لجانب المؤمنين . أو هي هنا من جانب واحد كعاقبت اللص ، ويؤيده ما قرئ شاذاً (**يخدعون**)[٥] ، وقرئ (**وما يخدعون**)[٦] بالوجهين

(١) البقرة : ١٦٧ . (٢) الكشاف : (١ / ١٦٩) بتصرف وإيضاح .

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (١ / ٣٠٩) بمعناه .

(٤) ذهب أبو حيان إلى احتمال الوجهين المذكورين هنا ، وأنه على كلا الوجهين لا موضع للجملة من الإعراب ، ثم قال باحتمال أن تكون الجملة في موضع الحال وذو الحال الضمير المستكن في (يقول) ، أي ومن الناس من يقول آمنا مخادعين الله ، والذين آمنوا . - البحر (١ / ٥٦) .

(٥) هذه قراءة أبو طالوت عبد السلام بن شداد ، والجارود بن أبي سبرة .
- المحرر الوجيز (١ / ١٦٠) ، ومختصر ابن خالويه(٢) .

(٦) هذه قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي . وأما القراء الباقون فقد قرؤوا بـ(يخادعون) .
- المحرر الوجيز (١ / ١٦٠) .



في السبع[1] .

(**إلا أنفسهم/ ٩**) يحتمل المجاز ، وهو أرجح ، لأن وبال خداعهم المؤمنين راجع إلى أنفسهم ، ويحتمل الحقيقة ، أي وهم في ذلك يخادعون أنفسهم ، حيث يمنونها[2] الأباطيل ، ويكذبونها فيما يحدثونها به ، وأنفسهم تخادعهم ، حيث تمنيهم بالأماني[3] .

الراغب : « الخداع : إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه ، ونسب ذلك إلى الله ، من حيث أن معاملة الرسول كمعاملته ، ولذلك قال : (**إن الذين يبايعونك ، إنما يبايعون الله**)[4] وجعل ذلك خداعاً ، تفظيعاً لفعلهم ، وتعظيماً وتنبيهاً على عظم الرسول وعظم أوليائه ، وقول أهل اللغة إن هذا على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، أي رسول الله ، فيجب أن يعلم أن المقصود بمثله في الحذف ، لا يحصل لو أتى بالمضاف المحذوف ، لما ذكرنا من

---

(١) لعل الأولى: أن يقال: إن المخادعة هنا على بابها ، وإنها من قبل أولئك لله والمؤمنين ، ومن قبل الله والمؤمنين لهم .

فأولئك الناس يظنون أنهم بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان -مع إسرارهم الكفر- أنهم يخدعون الله بذلك ، وأن ذلك نافعهم عنده وأنه يروج عليه ، كما يروج على بعض المؤمنين ، كما قال تعالى : (يوم يبعثهم الله جميعاً ، فيحلفون له ، كما يحلفون لكم ، ويحسبون أنهم على شيءٍ ، ألا إنهم هم الكاذبون) ، ولهذا قابلهم بقوله :

(وما يخدعون إلا أنفسهم ، وما يشعرون) ، كما قال تعالى : (إن المنافقين يخادعون الله ، وهو خادعهم) .

وإسناد الخداع إلى الله ، من باب المشاكلة في اللفظ -كما يقولون- والله أعلم .

- انظر جامع البيان (١/ ٢٧٤ - ٢٧٥) ،

وتفسير القرآن العظيم (١ / ٤٧ - ٤٨)

وفتح القدير ، للشوكاني (١ / ٤١) .

(٢) في (أ) : يمنوها - وما أثبتناه من (ب) .

(٣) ذهب الزمخشري إلى تجويز كلا الاحتمالين السابقين في المراد من التعبير القرآني الذي نحن بصدده ، الكشاف (١/ ١٧٤) .

(٤) الفتح : ١٠ .



التنبيه على أمرين :
أحدهما : فظاعة فعلهم فيما تحرّوه من الخديعة ، وأنهم بمخادعتهم إياه يخادعون الله .
والثاني : التنبيه على عظم المقصود بالخداع، وأن معاملته كمعاملة الله[1]. انتهى .

وقرئ : (وما يخدعون)[2] ، (وما يخادعون) بالبناء للمفعول[3] ، والتقدير إلا عن أنفسهم ، فحذف الجار ، ونصب ، على حد : (واختار موسى قومه)[4] .

وقرئ : (يخدعون) من خدع[5] ، و(يخدعون)[6] بمعنى يختدعون .

(وما يشعرون/٩) : الإمام والأصبهاني : « الشعور : علم الشيء علم حس ، والمعنى : أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس ، لكنهم لتماديهم في الغفلة ، كالذي لا يحس »[7] ، ومفعول (يشعرون / ٩) محذوف للعلم به ، والتقدير : وما يشعرون أنهم ما يخدعون[8] إلا أنفسهم ، وأن وبال خداعهم راجع إليهم واطلاع الله عليهم ، والأولى ألا يقدر له مفعول ، لأن الغرض نفي الشعور على الإطلاق عنهم ، من غير تقييد بمتعلقه[9] .

وقال الراغب : « معنى (وما يشعرون/٩) ونحوه ، لا يدركونه بالحواس ، ولو قال في كثير مما جاء فيه « لا يشعرون »[10] ، « لا يعقلون » ، لم يجز إذا كان كثير مما

---

(١) المفردات (١٤٣ - ١٤٤) مادة : خدع ، بتصرف .
(٢) عن الجارود بن أبي سبرة ، وأبي طالوت عبد السلام بن شداد .
- المحرر الوجيز (١ / ١٦٠) ، وابن خالويه (٢) .
(٣) ذكرها أبو حيان دون تعيين من قرأها ، البحر (١ / ٥٧) .
(٥) الأعراف : ١٥٥ . (٤) عن قتادة ، وجورق العجلي ، البحر (١ / ٥٧) .
(٦) البحر (١ / ٥٧) دون نسبة .
(٧) التفسير الكبير (٢ / ٧٠) بتصرف ، وأنوار الحقائق (٩٦) .
(٨) في (أ) : ما يخدعوهم - والصواب ما أثبتناه من (ب) .
(٩) وهو ما استحسنه الجمل في حاشيته على الجلالين (١ / ١٧) .
(١٠) كما في البقرة (١٢) ، والأعراف (٩٥) ، ويوسف (١٥ ، ١٠٧) ، والنحل (٢٦ ، ٤٥) والمؤمنون (٥٦) ، والشعراء (٢٠٢) .. الخ .



لا يكون محسوساً ، قد يكون معقولاً »[1] .

(**في قلوبهم مرض**) استعارة للشك بجامع الفساد ، وحقيقته خروج المزاج عن الاعتدال ، وقيل[2] : المراد به هنا الظلمة . قال الشاعر :

في ليلة مرضتْ من كل ناحية   فما يضيء لها نجـم ولا قمـر[3]

والجملة مستأنفة ، جواب سؤال مقدر ، وهو ما بالهم يخادعون ، وهي موزونة على قياس بحر .

وقرئ (مرض/١٠) بسكون الراء[4] ، لغة فيه ، كالطَّرَد ، والطَّرْد ، والشلل ، والشل .

(**فزادهم الله مرضاً / ١٠**) خبر . وقيل : دعاء[5] .

(**ولهم عذاب أليم/١٠**) إسناد الألم إليه مجاز ، وحقيقته لصاحبه .

(**بما كانوا يكذبون/١٠**) بالتشديد : أي رسول الله ، وبالتخفيف : أي في قولهم : (**آمنا/٨**) ، فالكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ، والتكذيب نسبة المخبر [إلى الكذب][6] .

---

(١) المفردات (٢٦٢ - مادة : شعر) ، بتصرف .

(٢) ذكره الألوسي ، روح المعاني (١ / ١٤٨ - ١٤٩) .

(٣) لم أهتد لقائله ، وهو في :
- البحر (١ / ٥٣) ، والدر المصون (١ / ١٢٩) باختلاف .

(٤) الأصمعي عن ابن أبي عمرو ، وابن خالويه (٢) .

(٥) القول الأول هو ما جزم به ابن الجوزي ، زاد المسير (١/٣١) .
وأما القول الثاني ، فقد ذهب الشوكاني إلى أنه محتمل هنا ، وذلك بعد أن ذكر القول الأول ، فتح القدير (١ / ٤٢) .
ذكر المفسرون في المراد من « المرض » في قوله تعالى : (في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً) عدة أقوال منها : الشك ، والرياء ، والنفاق وهي أقوال متقاربة ، حقيقتها أنها مرض في الدين . ولذلك كان جزاؤهم من جنس عملهم ، كما قال تعالى : « فأما الذين آمنوا ، فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرضٌ ، فزادتهم رجساً إلى رجسهم) أي شراً إلى شرهم ، وضلالة إلى ضلالتهم - كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .
- انظر تفسير القرآن العظيم (١ / ٤٨) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .



(**وإذا قيل لهم/١١**) عطف على (**يكذبون/١٠**) ، أو على (**يقول آمنا/٨**) قال الأصبهاني : « والأول أوجه ، من حيث أنه يليه »[1] .

(**لا تفسدوا في الأرض/١١**) الفساد : خروج الشيء عن الاعتدال ويضاده الصلاح .

(**قالوا إنما نحن مصلحون/١١**) أي أن صفة المصلحين خلقت لنا ، وتمخضت من غير شائبة قادح فيها ، من وجه من وجوه الفساد . وأتوا بـ(**إنما/١١**) وأصلها أن تكون في حكم يعلمه المخاطب ، ولا ينكره ، لأنهم ادعوا أن صلاحهم أمر ظاهر ، من شأنه أنه لا يجهله المخاطب ، ولا ينكره ، ولذلك جاء رده مؤكداً بأن ، والجملة الأسمية ، وتعريف الخبر ، وتوسيط ضمير الفصل ، وتصدير الكلام بحرف التنبيه ، الدال على أن مضمون الكلام مما له خطر ، في قوله : (**ألا إنهم هم المفسدون/١٢**) . قال الزملكاني :.

« (**ألا/١٢**) تحقيق لما يجيء بعدها ، في معنى حقاً لقد كان كذا ، ثم عقب بما يدل على التقريع والتوبيخ ، وهو قوله : (**ولكن لا يشعرون/١٢**) الدال على نفي إحساسهم ، والأولى ألا يقدر له مفعول ، أي لا شعور لهم أصلاً وقاعدة الاستدراك ، الوقوع بين متنافيين وتقريره هنا : أنهم ما نهوا عن الفساد ، فقابلوا ذلك بأنهم مصلحون وأخبر تعالى بأنهم هم المفسدون ، كانوا حقيقين بأن يعلموا أن ذلك كما أخبر تعالى ، وأنهم ليسوا بمصلحين ، فاستدرك عليهم هذا المعنى . (**وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس/١٢**) أي الكاملون في الإنسانية الذين كأنهم الناس على الحقيقة ، ومن عداهم كالبهائم في فقد تمييز بين الحق والباطل » .

(**قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء/١٣**) اللام : للعهد ، مشاراً بها إلى معهود من غير لفظه ، وهو (**الناس/١٣**) ، قال الأصبهاني : « سفهوهم لفرط سفههم ،

---

(١) أنوار الحقائق (٩٧) .



وجهلوهم [لتمادي جهلهم][1] ، وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة[2] » .
وقد رد تعالى عليهم ، على نحو ما تقدم ، فقال : (**ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون/١٣**) » . قال الإمام وغيره : « ختمت هذه الآية بـ(**لا يعلمون/١٣**) والتي قبلها بـ(**لا يشعرون/١٢**) لأن النفاق وما فيه من البغي المفضي إلى الفساد في الأرض والفتنة ، أمر دنيوي مبني على العادات ، معلوم عند الناس ، خصوصاً عند العرب في جاهليتهم ، وما كان بينهم من التعاور والتحارب ، فهو كالمحسوس ، وأما أمر الديانة ، والوقوف على أن المؤمنين على الحق ، وهم على الباطل ، فيحتاج إلى نظر واستدلال ، حتى يكتسب الناظر المعرفة ، وأيضاً فقد ذكر السفه ، وهو جهل ، فكان ذكر العلم معه ، أحسن طباقاً[3] .

(**وإذا لقوا الذين آمنوا ، قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم ، قالوا إنا معكم/١٤**) ساق هذه الآية بخلاف ما سيق له أول القصة ، وهو قوله : (**ومن الناس من يقول آمنا/٨**) ، لأن أول القصة في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا عليه مع المؤمنين ، من الاستهزاء بهم ، ولقائهم بوجوه الصادقين ، وإيهامهم أنهم معهم ، فإذا فارقوهم إلى رؤسائهم في الكفر ، صدقوهم ما في قلوبهم ، وليست هذه الآية بتكرير لتلك . وأتوا مع المؤمنين بـ(**آمنا/١٤**) الجملة الفعلية ، لأنهم في مقام ادعاء حدوث الإيمان منهم ، لا في ادعاء أنهم أوحديون فيه ، لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه ، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك . ومع شياطينهم بالجملة الأسمية ، وهي (**إنا معكم/١٤**) تأكيداً للثبات على اليهودية ، والقرار على اعتقاد الكفر ، واطلاق « الشياطين » على الرؤساء ، استعارة ، لمماثلهم لهم في التمرد والعتو ، والإضافة إليهم قرينتها .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) ، وما أثبتناه من (ب) .
(٢) أنوار الحقائق (٩٩) .
(٣) التفسير الكبير (٢ / ٧٥) ، بتصرف .



وقرئ (لاقوا)[1][2] ، قال الراغب : « خلا بفلان ، إذ صار معه في خلاء ، إليه : انتهى إليه في خلوة »[3] .

(انما نحن مستهزءون/١٤) إما تأكيد لجملة أنا معكم ، بأن معناها الثبات على اليهودية ، و (إنما نحن مستهزءون/١٤) رد للإسلام ودفع له منهم ؛ لأن المستهزئ بالشيء المستخف به ، منكر له دوافع لكونه معتداً به ، ورفع نقيض الشيء ، تأكيد لثباته . وإما بدل منها ، لأن من حقر الإسلام ، فقد عظم الكفر . وإما استئناف ، كأن شياطينهم ، اعترضوا عليهم ، حين قالوا لهم : (إنا معكم/١٤) فقالوا : فما لكم توافقون أهل الإسلام ، فقالوا : (إنما نحن مستهزءون/١٤)[4] .

(الله يستهزئ بهم/١٥) فيه من أنواع البديع : المشاكلة[5] ، أي يجازيهم باستهزائهم ، إذ حقيقة الاستهزاء ، محال على الله تعالى ، لأنه من باب العبث والجهل ، فأطلق على الجزاء استهزاء مشاكلة ، كقوله :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه
قلت اطبخوا لي جبة وقميصا[6]

ومثله : (ومكروا ، ومكر الله)[7] .

---

(١) في (ب) . . (هكذا) .
(٢) عن ابن السميفع ، المحرر (١ / ١٦٩) .
(٣) المفردات (١٥٨ – مادة : خلا) بتصرف قليل جداً .
(٤) انظر السراج المنير ، للخطيب الشربيني (١ / ٢٦) .
(٥) المشاكلة : هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره ، لوقوعه في صحبته كقوله تعالى : (تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك) (المائدة / ١١٦) .
المراد : ولا أعلم ما عندك . (جواهر البلاغة – ٣٧٥) .
(٦) قائله : أبو الرقعمق ، أحمد بن محمد الأنطاكي ،
معاهد التنصيص (٢/٢٥٢) ، شاهد رقم (١١٩) .
(٧) آل عمران : ٥٤ .
ذكر ابن جرير الطبري في المراد من (الله يستهزىء بهم) أقوالاً أخرى بالإضافة إلى القول المذكور هنا ، فذكر أن بعضهم قال إن المراد أن الله فاعل بهم ذلك يوم القيامة ، وأن آخرين قالوا : إن استهزاءه بهم ، وتوبيخه إياهم ولومه لهم على كفرهم وعصيانهم ، كما بين أيضاً أن آخرين قالوا : إن هذا وأمثاله على سبيل =



ولم تعطف الجملة ، لأنها استئناف في غاية الجزالة والفخامة ، وفيه أن الله يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ ، الذي يصير استهزاؤهم في مقابلته كالعدم ، وفيه أيضاً ، أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء منهم ، انتقاما للمؤمنين ، فلا يحوج المؤمنين أن يعارضونهم باستهزاء مثله . ولم يقل : « الله مستهزئ بهم » مع أنه المطابق لقولهم : (**إنما نحن مستهزؤن/١٤**) ، لأن (**يستهزيء/١٥**) يفيد حدوث الاستهزاء ، أو تجدده وقتاً بعد وقت ، وهكذا كانت نكايات الله فيهم ، وبلاياه النازلة بهم ، قال تعالى : (**أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عامٍ ، مرةً أو مرتين**)[1] .

القطب : « لم يقل : « الله مستهزىء بهم » ، لئلا يفيد ثبوت الاستهزاء لله دائماً ، وهو لا يليق بالحكيم العليم ، ولا « يستهزىء الله بهم » ، لئلا يدل على انتقال الاستهزاء عنهم ، وليس بمراد ، فقال (**الله يستهزىء بهم/١٥**) ليفيد تجدده بحسب الفعل ، وأن ذلك التجدد ثابت دائماً[2] ، بحسب الجملة الأسمية ، فالاستهزاء بالمنافقين ، متجدد من الله دائماً .

(**ويمدهم/١٥**) قال الراغب : « أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب ، والمد في المكروه ، فالأول ، نحو : (**وأمددناهم بفاكهةٍ**)[3] ، (**ويمددكم ربكم بخمسة**

= الجواب ، كقول الرجل -لمن يخدعه ، إذا ظفر به- أنا الذي خدعتك . بينما هو لم يكن منه خديعة ، ولكن قال ذلك ، إذ صار الأمر إليه ثم اختار ابن جرير أن يكون المراد هنا ، أن الله يظهر لهؤلاء المنافقين من أحكامه في الدنيا -يعني من عصمة دمائهم وأموالهم- خلاف الذي لهم عنده في الآخرة من العذاب .

وقد وجه الطبري اختياره هذا ونصره بأن الاستهزاء في كلام العرب : إظهار المستهزىء للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهراً ، وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطناً ، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر وإذا كان ذلك كذلك ، فإنه لا يمتنع على الله -تعالى- أن ينسب إليه ذلك ولكن على جهة الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة ، لا على جهة اللعب والعبث فان ذلك ، منتف عن الله بإجماع . والله أعلم .

- انظر جامع البيان (١/٣٠١ - ٣٠٦) ، وتفسير القرآن العظيم (١/٥١ - ٥٢). وهذا القول والقول الذي ذكره السيوطي متقاربان - فيما يظهر لي ، لأن نتيجتهما واحدة ، وهي أن الله سيجازيهم على استهزائهم .

(١) التوبة : ١٢٦ . (٢) في (ب) : بما يحسب . (٣) الطور : ٢٢ .



آلاف)[1] ، والثاني ، كهذه الآية : (**ونمد له من العذاب مداً**)[2] »[3] .

وقرئ هنا : (**ويمددهم/١٥**) بالضم[4] ، من أمد ، وقيل : مد ، فيما كانت زيادته من مثله ، وأمد فيما كانت زيادته من غيره .

(**في طغيانهم/١٥**) بالضم ، وقرئ بالكسر[5] ، الراغب : « الطغيان : تجاوز الحد في العصيان »[6] . الطيبي : « الفرق بين طغى ، وعدى ، وبغى أن : (العداوة : مجاوزة الحد المأمور بالانتهاء إليه ، والوقوف عنده ، والطغيان : تجاوز المكان الذي وقف عليه ، والبغي : طلب تجاوز قدرالاستحقاق ، تجاوزه ، أو لم يتجاوزه ، وأصله الطلب ، ويستعمل في التكبر ، لأن المتكبر طالب منزلة ليس لها بأهل » .

(**يعمهون/١٥**) قال الامام : « العمه مثل العمى ، إلا أن العمى عام في البصر والرأي ، والعمه في الرأي خاصة ، وهو التحير والتردد ، لا يدري أين يتوجه »[7] .

(**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم**) فيه استعارة مرشحة[8] ، استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ، ثم فرع عليه ما يلائم الاشتراء ، وهو الربح والتجارة ، و(**الضلالة/١٦**) الجور عن القصد ، وفقد الاهتداء ، استعيرت للذهاب عن الصواب في الدين . وإسناد الربح إلى التجارة من

---

(١) آل عمران : ١٢٥ . (٢) مريم : ٧٩ .

(٣) المفردات (٤٦٥ ، مادة مد) بتصرف واختصار .

(٤) عن ابن محيصن وشبل ، وتروى عن ابن كثير .
- البحر (١ / ٧٠) .

(٥) عن زيد بن علي ، البحر (١ / ٧٠) .

(٦) المفردات (٣٠٤ ، مادة : طغى) باختصار .

(٧) التفسير الكبير (٢ / ٧٩) مع تقديم « التردد » على « التحير » .

(٨) الاستعارة المرشحة : هي التي يذكر معها صفات تلائم المشبه به ، سميت مرشحة ، لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم .
- علم أساليب البيان ، د. غازي يموت (٢٦١) .



باب الإسناد المجازي ، وإنما هو حقيقة لأصحابها ، أي فما ربحوا في تجارتهم .

(**وما كانوا مهتدين ، مثلهم ١٦ - ١٧**) الآية . قال الراغب : « شبه من آتاه الله ضرباً من الهداية ، فأضاعه ، ولم يتوصل به إلى ما رشح له من نعيم الأبد بمن استوقد ناراً في ظلمة ، فلما أضاءت له ، ضيعها ونكس ، فعاد في الظلمة »[١] .
وقال غيره : « لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك ، بهذا التمثيل ، ليمثل هداهم الذي باعوه ، بالنار المضيئة ما حول المستوقد ، والضلالة التي اشتروها بانطفاء تلك النار المضيئة ، وطبع على قلوبهم ، بذهاب الله بنورهم ، وتركه إياهم في الظلمات ، والثابت عن ابن عباس وغيره في وجه التشبيه ، أن مثلهم في كفرهم ونفاقهم ، كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفأ ، ورأى ما حوله ، فاتقى ما يحذر ويخاف ، وأمن ، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره ، فبقي مظلماً خائفاً متحيراً ، فكذلك المنافقون ، إذا أظهروا كلمة الإيمان ، واستناروا بنورها ، أمنوا ، فناكحوا المسلمين ، وأورثوهم[٢] وقاسموهم الفيء والغنائم ، فإذا ماتوا ، عادوا في الظلمة والخوف ، وبقوا في العذاب والنقمة[٣] .

---

(١) لم أعثر على ذلك في المفردات ، ولا البحر .

(٢) في (ب) : وأورثوهم .

(٣) ذكره ابن الجوزي عن ابن عباس .
- زاد المسير (١ / ٤٠) ، وانظر الدر المنثور (١ / ٣٢) .
وذكره ابن عطية عن الحسن بن أبي الحسن .
- المحرر الوجيز (١ / ١٨٥) .
ولعل الأرجح أن يكون معنى المثل هنا ، أن الله شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى ، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى ، بمن استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ، وأبصر بها ما عن يمينه وشماله ، إذ بها تنطفىء فيصير في ظلام شديد ، لا يبصر ولا يهتدي ، وهو مع هذا ، أصم لا يسمع ، أبكم لا ينطق ، أعمى لو كان ضياء لما أبصر ، فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وفي هذا المثل ، دلالة على أن هؤلاء المنافقين آمنوا ، ثم كفروا ، كما أخبر الله عنهم في آية أخرى : (ذلك بأنهم آمنوا ، ثم كفروا ، فطبع على قلوبهم ، فهم لا يفقهون) (المنافقون / ٣) .
- انظر تفسير القرآن العظيم (١ / ٥٣) .
وقد حكى الفخر الرازي عن السدى مثل هذا القول ، وهو أن ناسا دخلوا في الإسلام عند وصوله -عليه =



السكاكي[1] : « متى كان وجه التشبيه وصفاً غير حقيقي ، وكان منتزعاً من عدة أمور ، خص باسم التمثيل ، كالذي في هذه الآية ، فان وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الآية دفع الطمع إلى تيسير مطلوب ، بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقيب الحرمان والخيبة ، لانقلاب الأسباب ، وأنه أمر توهمي ، غير حقيقي ، منتزع من عدة أمور »[2] ، والذي هنا بمعنى الجمع ، ولذلك عاد الضمير عليه جمعاً في قوله (**بنورهم ، وتركهم/١٧**) » .

(**واستوقد/١٧**) بمعنى أوقد[3] ، وقيل : سأل غيره أن يوقد[4] ، والتنكير في **ناراً / ١٧**) للتعظيم ، والإضاءة : فرط الإنارة ، بدليل (**جعل الشمس ضياءً ، والقمر نوراً**)[5] . « وأضاء » يأتي متعدياً ولازماً ، وهما هنا محتملان والتأنيث على الثاني ، للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء .

= الصلاة والسلام- إلى المدينة ، ثم إنهم نافقوا . ثم علق الفخر الرازي على ذلك قائلاً : « والتشبيه ههنا في نهاية الصحة لأنهم بإيمانهم أولاً اكتسبوا نوراً ، ثم بنفاقهم ثانيا أبطلوا ذلك النور ووقعوا في حيرة عظيمة ، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين .
- انظر التفسير الكبير (٢ / ٨١) .

(١) هو أبو يعقوب ، يوسف بن أبي بكر السكاكي الخوارزمي الحنفي ، عالم بالعربية والأدب والكلام ، من مؤلفاته : « مفتاح العلوم » ، وهو مطبوع و« رسالة في علم المناظرة » وهي مخطوطة ،
- توفي سنة ٥٥٥هـ .
- الجواهر المضيئة (٢ / ٢٢٥) ، وبغية الوعاة (٤٢٥) ، والأعلام (٩ / ٢٩٤) .

(٢) مفتاح العلوم (٣٤٦ - ٣٤٧) باختصار .

(٣) أي أن « السين » في (استوقد) صلة - أي زائدة - على نحو قول الشاعر :

وداع دعا يا مَن يُجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أراد : فلم يجبه . وهذا قول الجمهور ، زاد المسير (١ / ٣٩) .

(٤) وهذا القول على أن « السين » داخلة للطلب . المرجع السابق .

(٥) يونس : ٥ .



وقرأ بن أبي عبلة[1] (**ضاءَت**)[2] ، وهي لازمة أبداً ، ولم يقل : أنارت تنبيهاً على قوة ظهور هؤلاء ، فإن للباطل صولة ، ثم يضمحل . وإسناد فعل الذهاب إلى الله تعالى للإشارة إلى أن الإطفاء حصل بسبب سماوي ، وأن هذه نار لا يرضاها الله ، والفرق بين ذهب به ، وأذهبه ، أن معنى أذهبه[3] : أزاله وجعله ذاهباً ، وذهب به : استصحبه ، ومضى به معه ، والمعنى أخذ الله نورهم ، وأمسكه ، وما يمسكه فلا مرسل له ، فهو أبلغ من الإذهاب ، وقال (**بنورهم/١٧**) ولم يقل « بنارهم » ، مع أنه المطابق لقوله (**ناراً/١٧**) ، لأن في النار شيئين : الحرارة ، والنور ، وقد ذهب[4] نورهم ، وبقيت الحرارة عليهم ، ولا « بضوئهم » مع أنه المطابق لأضاءت ، لأن الذهاب بالنور أبلغ ، لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة ، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم ، لأوهم الذهاب بالزيادة ، وبقاء ما يسمى نوراً ، والغرض إزالة النور عنهم رأساً ، وطمسه أصلاً ولهذا ذكر عقبه : (**وتركهم في ظلمات/١٧**) ، فجمعها ونكرها ، وأتبعها على وجه التتميم ، أو الإيغال ، مما يدل على أنها ظلمة مبهمة ، لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله :(**لا يبصرون/١٧**) ، وهو فعل لا ينوى له مفعول ، وجمع الضمير في (**بنورهم/١٧**) وما بعده ، وأفرده في (**استوقد/١٧**) فإن المستوقد واحد عادة ، والمستضيء جمع ، وهذا كله على أن ذهب جواب « لما »[5] . وقال قوم : بل الجواب محذوف ، أي طفئت ، وخمدت وذهب :

---

(١) هو إبراهيم بن أبي عبلة الشامي الدمشقي ، ثقة كبير تابعي ، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة ، وفي صحة إسنادها إليه نظر .
- توفي سنة ١٥١هـ وقيل غير ذلك .
- غاية النهاية (١/١٨) وتهذيب التهذيب (١/١٤٢) .

(٢) أسند القرطبي هذه القراءة إلى ابن السميفع ، الجامع (١ / ٢١٣) .

(٣) في (أ) : أذهب ، وما أثبتناه من (ب) .

(٤) فيهما : هب - والصواب ما أثبتناه .

(٥) القول بأن (ذهب) هو جواب (لما) ، هو ما ذهب إليه أبو حيان .
- البحر ١/٧٩ .
والظاهر أن هذا القول هو الأرجح ، لأن ما لا يحتاج إلى تقدير وتأويل أولى مما يحتاج إلى تقدير وتأويل . والله أعلم .



استئناف ، أو بدل عن جملة التمثيل على سبيل البيان .

والضمير للمنافقين ، ورجح الزمخشري هذا الوجه[1] ، لما في الحذف من الوجازة والإشارة إلى أن المستوقد بعد الإضاءة ، حاله لا يمكن أن تبين وتشرح على حد : (**ولو ترى إذ وقفوا على النار**)[2] (**حتى إذا جاؤوها ، وفتحت أبوابها**)[3] .

وذكر الواحدي[4] وجهاً ثالثاً ، وهو أن جملة (**ذهب/ ١٧**) ، أقيمت مقام جواب « لما » ، لأنه جعل إطفاء الله مثلاً لإذهاب نورهم ، فأقيم إذهاب النور مقام إطفاء النار ، وجعلت جواب « لما » إيجازاً واختصاراً ، وترك إن كان متعدياً[5] لواحد ، فما بعده حالان ، أو لإثنين فأحدهما حال .

(**صم ، بكم ، عمي/١٨**) فيه حذف المبتدأ ، أي هم ، أو المنافقون صيانة للسان عن ذكرهم ، وأداة التشبيه[6][7] ، وهو أبلغ من ذكرها ، وهل يسمى مثل هذا تشبيهاً بليغاً ، أو استعارةً ، مذهبان مشهوران[8] ، قال ابن جرير : « وهذه الجملة من المؤخر الذي معناه التقديم ، فإن مقامها عقب قوله : (**وما كانوا مهتدين / ١٦**)[9] ، انتهى .

---

(١) الكشاف (١ / ١٩٩) . (٢) الأنعام : (٢٧) . (٣) الزمر (٧٣) .

(٤) هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي أصله من ساوة -بين الري وهمذان- ومولده ووفاته بنيسابور . وهو مفسر ، عالم بالأدب ، له من المؤلفات « البسيط » ، و« الوسيط » و« الوجيز » كلها في التفسير ، والأخير منها مطبوع ، و« أسباب النزول » وهو مطبوع أيضاً .
- توفي سنة ٤٦٨هـ .
- النجوم الزاهرة (٥/١٠٤) ، وفيات الأعيان (١/٣٣٣) ، ومفتاح السعادة (١/٤٠٢) .

(٥) كلمة « متعدياً » ساقطة من (ب) . (٦) في (ب) : للتشبيه .

(٧) المقصود : وحذف أداة التشبيه ، لأن جملة : وأداة التشبيه معطوفة على جملة فيه حذف المبتدأ ، السابقة الذكر .

(٨) وقد رجح أبو حيان القول بأن هذا تشبيه بليغ وليس استعارة ، وذلك لأن المستعار له -وهم المنافقون- مذكور ، والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ، ويجعل الكلام خلواً عنه ، صالحاً لأن يراد به المنقول عنه ، والمنقول إليه ، لولا دلالة الحال ، أو فحوى الكلام - البحر (١/٨١) .

(٩) جامع البيان (١ / ٣٢٩) بتصرف واختصار .



ويجوز أن يكون الضمير المقدر للمستوقدين في مكانها .

وقرئت الثلاثة بالنصب[1] ، إما على الذم ، أو الحال[2] من مفعول (ترك) .

(**فهم لا يرجعون/١٨**) أي إلى الهدى ، أو عن الضلالة ، قال الطيبي : « ويمكن أن ينظر فيه معنى الترشيح ، لأن من شأن التجارة طلب الرجوع عند ظهور الخسارة ، وهؤلاء لا يرجعون بعد تبينها » ، وهذا يؤيد ما ذكره ابن جرير من تقدير التقديم .

(**أو كصيب/١٩**) الآية ، ضرب سبحانه للمنافقين مثلاً آخر ، إيضاحاً بعد إيضاح ، وكما يحسن للبليغ أن يجمل ويوجز في مقام يقتضي الإيجاز ، فكذلك يحسن له ، أن يفصل ويطنب في مظان التفصيل والإشباع ، فشبه تعالى المنافقين في التمثيل الأول بالمستوقد ناراً ، وإظهاره الإيمان بالاستيقاد ، وانتفاعه بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، وفي الثاني شبه دين الإسلام بالصيب ، لأن القلوب تحيى به حياة الأرض بالمطر ، وما يتعلق به من شبه المنافقين بالظلمات ، وما فيه من الوعد والوعيد ، بالرعد والبرق ، وما يصيب الكفرة من البلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق[3] ، وطويت المشبهات في التمثيلين على سنن الاستعارة ، والتمثيل الثاني أبلغ من الأول لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ، ولذلك أخر ، لأنهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ[4] ، و (أو / ١٩)

---

(١) عن ابن مسعود ، وحفصة -رضي الله عنهما- . المحرر (١ / ١٨٧) .

(٢) وهو ما ذهب إليه ابن عطية ، الذي ضعف القول الأول ، ولكن لم يبين جهة الضعف .
المحرر (١ / ١٨٧) .
وبينه أبو حيان بقوله : « إن النصب على الذم إنما يكون حيث يذكر الاسم السابق ، فتعدل عن المطابقة في الإعراب إلى القطع ، وها هنا لم يتقدم اسم سابق ، تكون هذه الأوصاف موافقة في الإعراب فتقطع ، فمن أجل هذا ضعف النصب على الذم » .
- البحر (١ / ٨٢) .

(٣) انظر أضواء البيان ، للشنقيطي (١ / ٤٩ - ٥٣) ، والوسيط ، تأليف : لجنة من العلماء ، بإشراف : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (١ / ٤٨) .

(٤) انظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي (٢ / ٨٥) .



للتساوي لا للشك أو للإبهام ، فإنه قال : (**مثلهم/١٧**) كأحد هذين ، والعرب تبهم ما لا فائدة في تفصيله ، كقوله : وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر[١] ، أي من أحد هاتين القبيلتين ، و(**كصيب / ١٩**) على حذف مضاف ، أي كذوي صيب ، ليعود عليه ضمير (**يجعلون/١٩**) ، ونكر لأنه أريد نوع من المطر شديد ، وفيه مع ذلك مبالغات من جهة التركيب لأنه من الصوب ، وهو غزارة المطر ، ومن جهة البناء ، فإن « فيعلا » من أوزان الصفات المشبهة ، وهي أبلغ من اسم الفاعل ، لدلالتها على معنى الثبوت ، ومن الأوزان الخاصة ، بالمعتل ، وفيه مبالغة . وقرئ (**كصائب**)[٢] .

وفائدة قوله (**من السماء/١٩**) وإن كان الصيب لا يكون إلا منها ، أنه جاء بها معرفة ، فنفى أن يتصوب من سماء ، أي أفق واحد من بين سائر الآفاق ، لأن كل أفق من آفاقها سماء ، وأفاد كونه مطبقاً .

وقوله (**فيه ظلمات/١٩**) مجاز ، فإنما هي في مكانه ، وهو السحاب . وقيل : الضمير عائد على السماء ، بمعنى السحاب ، على لغة التذكير . وقيل : إلى الليل ، كناية عن غير مذكور ، وجمعها دون الرعد والبرق ، لأنهما في الأصل مصدران ، فحقهما ترك الجمع ، ونكرت الثلاثة ، لأن المراد أنواع منها ، كأنه قيل : فيه ظلمات داجية ، ورعد قاصف ، وبرق خاطف والمراد بالرعد صوته ، على حذف المضاف ، لأن الرعد اسم للملك الموكل به[٣] .

---

(١) صدره : « تخاف ابنتاي أن يموت أبوهما » قاله لبيد . - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات / لأبي بكر الأنباري (٥١٣) .

(٢) بعض النحويين عن بعض السلف ، كما في ابن خالويه (٣) .

(٣) وهو ما ذهب إليه الأكثرية ، ويشهد لهذا ما رواه الترمذي عن ابن عباس قال : « أقبلت يهود إلى النبي -ﷺ- ، فقالوا : يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو ؟

قال : (ملك من الملائكة ، موكل بالسحاب ، معه مخاريق من نار ، يسوق بها السحاب حيث شاء الله) .

قالوا : فما هذا الصوت الذي نسمع ؟

قال : (زجره بالسحاب إذا زجره ، حتى ينتهي إلى حيث أمر)

قالوا : صدقت . . . » . =



و (**يجعلون/ ١٩**) مستأنف ، جواب سؤال مقدر[١] . وفي (**أصابعهم/ ١٩**) مجاز لأن المراد أناملها ، فهو من إطلاق الكل على البعض ، ونكتته الإشعار بأنهم يبالغون في إدخال أصابعهم في آذانهم ، فوق العناية المعتادة في ذلك فراراً من شدة الصوب .

وقرئ (**من الصَّواقع**)[٢] ، قال في الكشاف : « وليس مقلوباً من الصواعق بل هو على الاشتقاق الأكبر[٣] ، كجبذ ، وجذب »[٤] .

الراغب : « الصاعقة ، والصاقعة ، متقاربان ، وهما الهدة الكبيرة ، إلا أن الصقع يقال في الأجسام الأرضية ، والصعق في الأجسام العلوية »[٥] .

وقرىء (**حذار الموت**)[٦] ، وجملة (**والله محيط بالكافرين/ ١٩**) اعتراضية لأن (**يكاد البرق**) متصل بما قبله ، وإحاطة الله بالكافرين مجاز ، واستعارة تمثيلية ، والمعنى : أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط .

قال القطب : « وقوله : (**بالكافرين/ ١٩**) من وضع الظاهر موضع المضمر تنبيهاً على استئهال أصحاب الصيب العذاب لكفرانهم نعم الله » . (**يكاد**

= ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .
- الترمذي (٥ / ٢٩٤) باب (١٤) ، كتاب : تفسير القرآن ، حديث رقم (٢١١٧) ، ورواه الإمام أحمد بنحوه .
- الفتح الرباني (١٨ / ١٨٥) .

(١) وهو : كيف حالهم مع مثل ذلك الرعد ؟
(٢) هي قراءة الحسن - كما في ابن خالويه (٣) .
(٣) الاشتقاق هو اصطلاح صرفي يطلق على أخذ لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ، وهو أنواع ، ومن بين أنواعه : الاشتقاق الأكبر ، وهو وجود تناسب بين اللفظين في المعنى ومخارج الحروف دون اتحادهما . الموسوعة الثقافية ، للدكتور حسين سعيد (٩٠). ومحيط المحيط ، لبطرس البستاني (٤٧٥) مادة : شقق .
(٤) الكشاف (١/٢١٧ - ٢١٨) بتصرف واختصار .
(٥) انظر المفردات (٢٨١) مادة : صعق ، وفيه : « يتقاربان » بدلاً من « متقاربان » .
(٦) اللؤلؤي عن أبيه ، ابن خالويه (٣) .



البرق/٢٠) استئناف ثانٍ ، كأنه قيل : كيف كان حالهم مع ذلك البرق . (يخطف أبصارهم/٢٠) ، الراغب : « الخطف : الأخذ بسرعة »[١] . و(يخطف/٢٠) بوزن « يعلم » ، وقرىء بوزن « يضرب »[٢] ويختطف[٣] ، ويخطف بفتح الياء والخاء ، وكسر الطاء المشددة ، على إدغام التاء فيها[٤] وبكسر الخاء لالتقاء الساكنين[٥] وبكسرها والياء ، اتباعاً لها[٦] ، وبفتح الثلاثة[٧] ، وبسكون الخاء ، وكسر الطاء المشددة[٨] ، وضعفت للجمع بين الساكنين على غير حدة .

وقال ابن جني[٩] : « هذا اختلاس فيلطف عندهم ، فيرونه إدغاماً »[١٠] ، و(يخطف)[١١] من خطف للمبالغة ، لا للتعدية ، و(يتخطف)[١٢]. فهذه عشر قراءات .

(كلما أضاء لهم/٢٠) استئناف ثالث ، وقرئ (ضاء)[١٣] ، (مشوا فيه/٢٠) أي في ضوئه ، الكشاف : « المشي : جنس الحركة المخصوصة ، فإذا اشتد ، فهو سعي ، وإذا ازداد ، فهو عدو »[١٤] ، وفي مصحف أبي[١٥] : (مروا فيه)[١٦] ، وقرأ

---

(١) المفردات (١٥٠ - مادة : خطف) بتصرف .
(٢) عن مجاهد ، ابن خالويه (٣) .
(٣) عن علي وابن مسعود ، البحر (١ / ٩٠) .
(٤) عن الحسن والجحدري وابن أبي إسحاق ، البحر (١/٩٠) .
(٥) عن الحسن والجحدري أيضاً وأبي رجاء ، البحر (١/٩٠) .
(٦) عن الحسن ، والأعمشي ، البحر (١ / ٩٠) .
(٧) عن الحسن ، البحر (١/٩٠) .
(٨) عن بعض أهل المدينة ، البحر (١ / ٩٠) . وانظر المحرر الوجيز فيما سبق (١/١٩٣ - ١٩٤) .
(٩) هو أبو الفتح عثمان بن جني ، من أحذق أهل الأدب ، وأعلمهم بالنحو والصرف ، لزم أبا علي الفارسي مدة أربعين سنة ولما مات تصدر ابن جني مكانه ببغداد ، صنف الخصائص في النحو ، وسر الصناعة واللمع في النحو ، والمحتسب في إعراب الشواذ . توفي سنة ٣٩٢. بغية الوعاة (٢/١٣٢).
(١٠) المحتسب (١ / ٦٢) .
(١١) عن زيد بن علي ، البحر (١ / ٩٠) .
(١٢) عن أبي ، البحر (١ / ٩٠) .
(١٣) عن أبي عبلة - المرجع السابق .
(١٤) الكشاف (١ / ٢٢٠) .

=

ابن مسعود (**مضوا فيه**)[17]. و« في » للظرفية أو السببية . (**وإذا أظلم عليهم قاموا/ ٢٠**) أتى في الإظلام بـ(**إذا/ ٢٠**) وفي الإضاءة بـ(**كلما/ ٢٠**) ، لتكرار المشي في الإضاءة قطعاً لحرصهم عليه وعدم لزوم الوقوف عند الإظلام ، لإمكان المشي فيه ، ولا حرص لهم على الوقوف ، فلم تكن أداة التكرار مناسبة فيه . وقرئ (**أظلم**) بالبناء للمفعول[1] ، (**ولو شاء الله/ ٢٠**) حذف مفعول (**شاء/ ٢٠**) وجواب (**لو/ ٢٠**) قوله : (**لذهب بسمعهم ، وأبصارهم/ ٢٠**) أي الظاهرة ، قال ابن جرير : « وخصها بالذكر لتقدمها على ، في قوله : (**في آذانهم/ ١٩**) ، (**يخطف أبصارهم/ ٢٠**)[2] » وقرئ : (**لأذهب بأسماعهم**)[3] فالباء زائدة ، (**إن الله على كل شيءٍ قديرٌ/ ٢٠**) جملة استئنافية مؤكدة لمعنى ما قبلها . (**يأيها الناس/ ٢١**) الآيات ، لما ذكر سبحانه وتعالى فرق المكلفين ، من المؤمنين والكفار والمنافقين ، وصفاتهم وأحوالهم ، وما اختصت به كل فرقة ، أقبل عليهم بالخطاب ، ملتفتاً عن الغيبة ، فأمر ونهى ، ودعا إلى عبادته وحده ، ودل على ذلك بأنه تعالى الخالق لهم ، ولمن قبلهم ، وامتن عليهم بما خلقه لهم مفترشاً ومظلاً ، وما أنزل لهم من الماء ، وما أخرج لهم من الرزق ، وكل ذلك من دلائل وحدانيته . ثم عاد إلى تصديق نبيه ، وأزال شبههم فيه ، فتحداهم إن كانوا في ريب من هذا القرآن ، أنه من عند الله ، فليأتوا بسورة من مثله ، وليستعينوا بمن شاؤوا ، فإنهم عربيون فصحاء ، كالذي اتهموه أنه من قول محمدٍ- ﷺ - وأخبرهم أنهم إن لم يأتوا بمثله ، فلا عذر لهم في ترك الإيمان ولا جزاء لهم إلا النار ، وأدمج في ضمن ذلك أنه لا سبيل إلى الإتيان

= (١٥) هو أبو المنذر ، أبي بن كعب ، من بني النجار ، كان نحيفاً قصيراً ، أبيض الرأس واللحية ، وكان من أحبار اليهود ثم أسلم وصار من كتاب الوحي ، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع الرسول -ﷺ- وشهد مع عمر -رضي الله عنه- وقعة الجابية ، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس . توفي سنة ٢١هـ . طبقات سعد ٣ - القسم الثاني ٥٩ ، وغاية النهاية (١ / ٣١)، وصفة الصفوة (١ / ١٨٨) .

(١٦) ،(١٧) ذكرهما أبو حيان في البحر (١ / ٩٠) .

(١) وقد قرأ بذلك يزيد بن قطيب والضحاك - كما في البحر (١ / ٩٠) .

(٢) جامع البيان (١ / ٣٥٩) بتصرف .

(٣) قرأ بذلك ابن أبي عبلة ، البحر (١ / ٩١) .



بمثله أبداً ، ثم وصف النار المتوعد بها وشدة بأسها تحذيراً منها ، ثم بشر من آمن بالجنة ، ووصفها ترغيباً فيها وذلك نهاية الفصاحة والبلاغة ، حيث جمع في خمس آيات جميع المقاصد من الأمر بالعبادة ، والنهي عن اتخاذ الند ، والاستدلال بالخلق والامتنان بالمأوى ، وأنواع الرزق ، وتصديق الرسول ، والأعذار وإزالة الشبهة ، والإياس ، والإنذار ، والتبشير إلى غير ذلك مما دخل في ضمن ذلك ، فحق لمثل هذا ، أن يؤتى به بلفظ الخطاب بعد الغيبة ، ليهيج السامع ، ويفتح المسامع ، وافتتح بالنداء قبل الخطاب ، لأن فيه تحريكاً وتنبيهاً ، وجيء بـ(يا) التي تعم البعيد ، والساهي والغافل ، والقريب الفطن ، وإذا نودي بها الأخير ، فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي[1] يتلوها معتنى بالنداء به .

الأصبهاني : « كثر في كتاب الله ، النداء بـ (يأيها/٢١) ، لأن فيه أوجهاً من التأكيد ، وأسباباً من المبالغة منها ما في « يا » من التأكيد والتنبيه ، وما في « ها » من التنبيه ، وما في التدرج من الإبهام في « أي » ، إلى التوضيح ، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد ، لأن كل ما نادى له عبادة من أوامره ونواهيه ، وعظاته وزواجره ، ووعده ووعيده ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية ، وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه ، أمور عظام ، وخطوب جسام ، ومعان واجب عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وأبصارهم إليها ، وهم غافلون ، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ » . الكرماني في « البرهان »: « لا نظير في القرآن لهذا الخطاب لأن المراد بالعبادة في الآية التوحيد ، والتوحيد أول ما يلزم العبد من المعارف ، وكان أول خطاب خاطب به الناس ، فخاطبهم بأول ما يلزمهم أولاً ، ثم ذكر سائر المعارف ، وبنى عليها العبادات فيما بعدها من السور والآيات » قال : « ولا يرد على ذلك ، أن سورة البقرة ليست أول القرآن نزولاً ، لأنها وإن لم تكن أوله نزولاً ، فهي أوله بعد الفاتحة ، في اللوح المحفوظ ، على الترتيب الموجود في المصحف[2] » . انتهى .

---

(١) في (ب) : للذي .

(٢) البرهان (١ / ٨٠) بتصرف .



وقال صاحب المناجاة : « التخصيص بلفظ العبادة هنا ، لأنه ذكر بعده الخلق ، والخلق يناسبه العبادة ، لقوله : (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**)[1] . وأيضاً فالخلق ، أول نعمة تشمل الإنسان من النعم الثبوتية والعبادة أفضل نعمة تفضل بها عليه ، وأول عبادة كلف بها التوحيد ، فكان من المناسب الجمع بينهما » .

الراغب : « (**الناس/٢١**) : يستعمل على وجهين :

أحدهما : المشار به إلى الصورة المخصوصة ، وذلك عام في الصغير والكبير والعاقل وغيره .

والثاني : المشار به إلى المختص بقوى العلم والعمل المحكم ، فهو المستعمل على طريق المدح ، وهذا المعنى هو المراد في هذا الموضع »[2] .

قوله (**اعبدوا/٢١**) : أعم من وحدوا ، لأنه يمثل التوحيد والأعمال معاً (**ربكم/ ٢١**) قال الطيبي : « فرق بين « اعبدوا الله » و (**اعبدوا ربكم/ ٢١**) لأن في الثاني إيجاب العبادة بواسطة رؤية النعمة التي بها تربيتهم وقواهم ، وفي « اعبدوا الله » إيجابها بمراعاته من غير واسطة ، وعلى ذلك قوله : (**يأيها الناس اتقوا ربكم**)[3] ، وقوله : (**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله**)[4] ، فحيث ذكر « الناس » ذكر « الرب » وحيث ذكر الإيمان ، ذكر « الله » . وقال البيضاوي : « إنما قال (**ربكم/٢١**) تنبيهاً على أن الموجب للعبادة هي الربّية »[5] .

(**الذي خلقكم/ ٢١**) أتى بالوصف الدال على الوحدانية ، واختار هذا الوصف دون غيره ، لأنه أقرب الطرق دلالة إلى الأفهام ، وأنفعها للخاص والعام ، ولأنه كما يفيد العلم بوجود الخالق ، يذكر نعمته علينا ، فإن الوجود والحياة من أعظم النعم ،

---

(١) الذاريات (٥٦) .
(٢) لم أعثر على هذا النص فيما اطلعت عليه .
(٣) النساء (١) ، الحج (١) ، ولقمان (٣٣) .
(٤) المائدة (٣٥) ، والتوبة (١١٩) ، والأحزاب (٧٠) ، والحديد (٢٨) ، والحشر (١٨) .
(٥) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢ / ٨) إلا أن فيه «التربية» بدلاً من « الربّية » .



وتذكير النعم ، يوجب المحبة وترك المنازعة وحصول الانقياد . و« الخلق » : إيجاد الشيء على تقدير ، واستواءٍ ، قاله قطرب[(١)] ، وقال الأزهري[(٢)] : « هو بمعنى الإنشاء ، وهو التقدير ، والإيجاد ، والإحداث ، والإبداع ، والاختراع ، متقاربة ، والفرق بين الإيجاد والإحداث ، أن في الأول تأنياً ، وفي الثاني : فعل على قرب . وبين الإبداع والاختراع عدم المثال »[(٣)] .

(**والذين من قبلكم/٢١**) فيه فائدتان ، إحداهما : أن طريق العلم منهما واحد فإن الاستدلال بخلقكم ، كالاستدلال بخلق آبائكم ، والأخرى : أن من قبلكم كالأصول لهم ، وخلق الأصول يجري مجرى الإنعام على الفصول ، فكأنه تعالى يذكرهم عظم إنعامه عليهم قبل إيجادهم . وقرىء بفتح (من) موصولاً على زيادة الموصول الأول[(٤)] ، وقرىء (**وخلق من قبلكم**)[(٥)] .

(**لعلكم تتقون/٢١**) صورته صورة الترجي والإطماع ، وهو من الله -سبحانه- حتم ، لكنه جرى على عادة خطاب العرب ، وأيضاً فعادة الملوك في مواعيدهم التي يريدون إنجازها الاقتصار على لفظ « لعل » و« عسى » ونحوهما ، وعلى أن يخيلوا إخالة ، ويرمزوا رمزاً ، فإذا أعثر الطالب على شيء من ذلك منهم ، لم يبق له شك في النجاح والفوز المطلوب ، ثم « لعل » متعلقة بـ(**اعبدوا/٢١**) ، لا بـ(**خلقكم/٢١**) .

---

(١) لم أعثر على ما قاله فيما اطلعت عليه .

(٢) محمد بن أحمد الأزهر الهروي ، أبو منصور ، ولد في هراة بخراسان ، نسبته إلى جده الأزهر ، عني بالفقه ، فاشتهر أولاً ثم غلب عليه التبحر في العربية ، وقع في أسار القرامطة ، فكان مع فريق من هوازن يتكلمون بطباعهم البدوية ، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحين » . من كتبه « تهذيب اللغة » و« تفسير القرآن » وغير ذلك . توفي سنة ٣٧٠هـ . الوفيات (١ / ٥٠١) ، إرشاد الأريب (٦ / ٢٩٧) .

(٣) لم أجده في تهذيب اللغة ، مادة خلق .
وانظر اللسان (١٠ / ٨٥) ، والمفردات (١٥٧) ، مادة : خلق .

(٤) عن زيد بن علي ، البحر (١ / ٩٥) .

(٥) عن ابن السميفع ، البحر (١ / ٩٥) .



قال البيضاوي : « وفيه إشارة إلى أن العابد ينبغي له ، ألا يغتر بعبادته وأن يكون ذا خوف ورجاء »[1] .

الإمام : « لم يقل « لعلكم تعبدون » - وإن كان مناسباً لـ(اعبدوا/ ٢١) - لأنه لا معنى له ، إذ المراد الأمر بالعبادة ليحصل بها اتقاء العقاب ، فالاتقاء الذي هو الاحتراز عن المضار مرتب على العبادة ، فالعبادة فعل يحصل به التقوى لا نفس التقوى »[2] .

(**الذي جعل لكم الأرض فراشاً ، والسماء بناءً ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم** / ٢٢) . قال الإمام : « ذكر سبحانه أنواعاً خمسة من الأدلة ، ورتبها على هذا الترتيب ، لأن أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه ، وعلم الإنسان بأحوال نفسه ، أظهر من علمه بأحوال غيره ، ولما كان المقصود من الاستدلال إفادة العلم ، كان كل ما هو أظهر دلالة أقوى إفادة ، فكان أولى بالذكر ، فلهذا قدم ذكر نفس الإنسان ثم ثنى بآبائه وأمهاته ، ثم ثلث بالأرض : لأنها أقرب إليه ، وهو أعرف بحالها[3] من السماء ، وقدم ذكر السماء على نزول الماء ، وخروج الثمرات بسببه ، لأن ذلك كالمتولد من السماء والأرض »[4] .

الكشاف / « قدم سبحانه من موجبات عبادته ، وملزمات حق الشكر له ، خلقهم أحياء قادرين أولاً ، لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها ، والسبب في التمكن من العبادة والشكر[5] وغيرهما ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ، ومستقرهم الذي لابد لهم منه ، وهو[6] بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ، ثم السماء[7] التي هي

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢ / ١٢) بتصرف قليل .

(٢) التفسير الكبير (٢ / ١١٠) بمعناه .

(٣) كلمة « بحالها » : ساقطة من (أ) .

(٤) التفسير الكبير (٢ / ١١١) بتصرف .

(٥) في النسختين « والفكر » - وما أثبتناه من الكشاف (١ / ٢٣٣) .

(٦) في (ب) : وهي ، وكذا أيضاً بالكشاف (١ / ٢٣٣) - وما أثبتناه من (أ) .

(٧) بالكشاف (١ / ٢٣٣) : ثم خلق السماء .



كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ، ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة ، بإنزال الماء منها عليها ، والإخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان ، من ألوان الثمار رزقاً لبني آدم ، ليكون لهم ذلك معتبراً ، ومتسلقاً إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف ، ونعمة يتعرفونها ، فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق أنفسهم ، وخلق ما فوقهم ، وتحتهم ، وأن شيئاً من هذه المخلوقات كلها ، لا يقدر على إيجاد شيء منها ، فيتيقنوا عند ذلك ، أنه لابد لها من خالق ، ليس كمثلها ، حتى لا يجعلوا المخلوقات له أنداداً ، وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو قادر عليه »[١] .

وقرىء بدل (فراشاً) : **(بساطاً)**[٢] ، وقرىء **(مهاداً)**[٣] ، والثلاثة والقرار ، والوطاء نظائر . وقرىء **(من الثمرة)**[٤] ، ولم يقل **(من الثمار)** والموضع موضع الكثرة ، لأنه أراد بالثمرات ، جمع ثمرة ، بمعنى الثمار ، فالكثرة المستفادة منها حينئذ ، أكثر . البسيط : « الثمرة في الأصل حمل الشجرة ، ثم أطلق على كل ما ينتفع به من زيادة على أصل المال يقال : لبن مثمر ، أي ظهر زبده ، وعقل مثمر ، أي يهدي صاحبه إلى الرشد . وقد قيل : إن معنى « **الثمرات** » هنا ، جميع ما ينتفع به مما يخرج من الأرض »[٥] .

(فلا تجعلوا لله أنداداً ، وأنتم تعلمون/٢٢) مفعول متروك ، أي وأنتم من أهل المعرفة والفطنة والتمييز[٦] . أو محذوف ، أي وأنتم تعلمون أنه الخالق الجاعل المنزل المخرج ، وأن الأنداد لا تفعل شيئاً من ذلك ولا يكون إلهاً ، إلا من يكون

(١) الكشاف (١ / ٢٣٣) .
(٢) عن يزيد الشامي ، البحر (١ / ٩٧) .
(٣) عن طلحة - كما في المرجع السابق .
(٤) عن ابن السميفع ، البحر (١ / ٩٩) .
(٥)
(٦) قال معناه ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن (٤٣) .



كذلك[1]. وقرىء (**نداً**)[2] ، والند : المثل .

قال الزمخشري : « ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوىء »[3] .

(**وإن كنتم/٢٣**) لما احتج على الوحدانية بالبراهين القاطعة ، انتقل إلى الاحتجاج على صدق نبيه فيما ادعاه من النبوة وفيما جاء به من القرآن . وأقول : لما افتتح السورة بالشهادة للقرآن بأنه حق ، ونفى الريب عنه وكان مناسبة ذلك ، أن هذه أول سور[4] القرآن المطولة ، التي فصل فيها الأصول والأدلة والأحكام ، فناسب أن يكون مطلعها وافتتاحها بيان حقية القرآن ، وأنه لا ريب فيه ، لتقبل القلوب ، وتصغي الأسماع إلى قبول ما يتلى فيه ، فكان افتتاح أول سور القرآن بذلك كافتتاح سورة النور بقوله (**سورة أنزلناها وفرضناها ، وأنزلنا فيها آياتٍ بيناتٍ لعلكم تذكرون/١**) ، في جريان ذلك مجرى الديباجة للكتاب ، ثم لما كان من وصف الكتاب أنه هدى للمتقين ، تخلص منه إلى بيان وصف المؤمنين ، وأثنى عليهم ، ثم استطرد إلى وصف أضدادهم من الكفار والمنافقين ، ولما أنهى الكلام في أوصافهم ، دعا الناس كلهم إلى عبادته ، وأقام الدلائل على وحدانيته ، ثم دعا إلى ما افتتح به من نفي الريب عن القرآن ، ليقيم الحجة عليه ، ويزيل الشبهة عنه ، فقال : (**وإن كنتم/٢٣**) إلى آخره ، وهكذا شأن القرآن ، يفتتح بمقصود ويستطرد منه إلى أمور شتى ، لأدنى ملاءمة ، ثم يعاد إلى تتمة المقصود ويوافيه .

(**في ريب/٢٣**) فيه مجاز من حيث أنه جعل ظرفاً محيطاً بهم لكثرة وقوعه منهم .

(**مما نزلنا / ٢٣**) فيه التفات عن الغيبة إلى التكلم ، وأتى به دون « أنزلنا » لأن المراد النزول على سبيل التدرج ، وذكر هذا اللفظ هو اللائق بهذا المكان ، لأنهم كانوا يقولون : لو كان هذا من عند الله ومخالفاً لما يكون من عند الناس ، لم ينزل هكذا نجوماً بحسب الحوادث على سنن ما يرى عليه أهل الخطابة والشعر ، من

---

(١) روي بنحوه عن ابن عباس وقتادة ، جامع البيان (١ / ٣٧٠) .

(٢) عن زيد بن علي ، وابن السميفع ، البحر (١ / ٩٩) .

(٣) الكشـاف (١ / ٢٣٦) .

(٤) في (أ) : سورة - وما أثبتناه من (ب) .



وجود ما يوجد منهم متفرقاً حيناً فحيناً بحسب ما يظهر من الأحوال المتجددة ، والحاجات المختلفة ، فلو أنزله الله لأنزله على خلاف هذه العادة جملة . ذكره الزمخشري والإمام[1]، على أنه قرىء (أنزلنا)[2] .

(**على عبدنا/٢٣**) قرىء (**على عبادنا**)[3]، أي النبي وأمته . (**فأتوا بسورةٍ من مثله/٢٣**)، في آية أخرى (**بسورةٍ مثله**)[4] ، قال الكرماني : « لأن (من / ٢٣) تدل على التبعيض ، ولما كانت هذه السورة سنام القرآن ، وأوله بعد الفاتحة ، حسن دخول (من) فيها ، ليعلم أن التحدي وقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره ، وغيرها من السور ، لو دخلها (من) ، لكان التحدي واقعاً على بعض السور دون بعض . والهاء في قوله (**من مثله/٢٣**) عائد إلى القرآن[5] » انتهى . قال صاحب المناجاة : « هذا الكلام لا حاصل له ، فإن الضمير الذي في (**مثله/٢٣**) إن رجعناه إلى القرآن ، فلا[6] تفاوت في دخول (**من / ٢٣**) في هذه السورة وغيرها في التحدي ببعض القرآن ، وإن رجعناه إلى السورة على ضرب من التأويل ، ولم يقل به أحد – فلا تفاوت أيضاً في أن يكون التحدي على بعض السور دون بعض ، فالتفصيل الذي ذهب إليه تحكم ، وكون البقرة سنام القرآن وأوله ، لا دخل له في المقصود ، فالأحسن أن يقال : لما عبر هنا عن القرآن وحده ، بما يتضمن ذكره – ﷺ – في قوله : (**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا/٢٣**) ،

(١) الكشاف (١ / ٢٣٨ – ٢٣٩) ، والتفسير الكبير (٢ / ١٢٧) .

(٢) عن يزيد بن قطيب ، المحرر (١ / ٢٠١) .

(٣) البحر (١ / ١٠٤) دون نسبة .

(٤) يونس (٣٨) .

(٥) البرهان (١ / ٨٣) .
والقول بأن ضمير « الهاء » في قوله (من مثله) عائد إلى القرآن ، هو قول مجاهد ، وقتادة ، واختاره الطبري (١/٣٧٤) ، والزمخشري (١ / ٢٤٢) ، والرازي (٢ / ١٢٩) ، ونقله عن عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، والحسن البصري ، وأكثر المحققين .
– وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١ / ٥١) .

(٦) كلمة « فلا » ساقطة من (ب) .



فإنـه جعل « ما نزلنا » جنس الحد ، و(على عبدنا/٢٣) فصله ، إذ المراد محمد -ﷺ- وبه يتميز عن سائر الكتب المنزلة ، وإن كانت أنزلت على عباده ، لأن في الإضافة تخصيصاً بعين المراد ، فكأنه قيل : وإن كنتم في ريب مما نزلنا على محمد المبعوث بإعجاز ما أنزل إليه ، حسن إدخال (من / ٢٣) ليحتمل إعادة الضمير إلى كل جنس الحد، وفصله ولما لم يكن في غيرها من السور والتعبير عن القرآن على هذا الوجه لم يحسن » قال : « وهذا وجه لطيف من الله به على عبده الضعيف » .
(وادعـوا شهـداءكم/٢٣) عبر عن الاستعـانة بلفظ الدعاء على عادة العرب في دعائهم القبائل في الوقائع العظيمة ، والحروب والشدائد .

قال الشـاعر[١] :

فلما الـتقت فرسـاننـا ورجـالنـا دعـوا آل كعب[٢] واعتـزينـا لعـامرِ[٣]

« الشهداء » : جمع شهيد ، وهو المشاهد ، كجليس للجالس ، ويطلق أيضاً بمعنى الشـاهد ، بالأول فسره ابن عباس ، فقال : « يعني أعوانكم على ما أنتم عليه »[٤] قال ابـن جرير : « أي واسـتـنصروا على الإتـيان بسـورة ، أعـوانكم وشهـداءكم ، الـذين يشـاهـدونكم ويعـاونـونكم على التكـذيب ويظاهرونكم على الكفر »[٥] ، وبالثاني : فسره مجاهد ، فقال : « أناس يشهدون لكم إذا أتيتم بها أنها مثله »[٦] . قال ابن جرير : « والأول هو الأولى والثـاني لا وجـه له »[٧] ، وقـال

---

(١) هو الراعي النميري . اللسان (مادة : عزا) .
(٢) كلمة « آل » ساقطة من (أ) .
(٣) اعتزى : انتسب ، ودعا في الحرب بمثل قوله : يالفلان . . . والاسم : العزاء ، والعزوة ، وهي دعوة المستجيب . - اللسان (مادة : عزا) . وعامر : هو عامر بن جرير .
(٤) جامع البيان (١ / ٣٧٦) . (٥) المرجع السابق (١ / ٣٧٧) بتصرف .
(٦) الذي في جامع البيان من قول مجاهد هو « ناس يشهدون » (١ / ٣٧٧) وما عزاه المؤلف هنا إلى مجاهد ، وجدته في المرجع السابق من قول ابن جرير بنحوه . وانظر الأدفوي (١ / ٥٤ - أ) .
(٧) هذا معنى كلام ابن جرير ، - جامع البيان (١ /٣٧٧ - ٣٧٨) ، وبين ابن جرير أن ذلك نظير قوله تعالى : =



الطيبي : « يحتمل أن يراد بالشهداء : الأصنام ، فالأمر في قوله : (**وادعوا/٢٣**) للتهكم وإن يراد الرؤساء ، فهو للاستدراج ، وإرخاء العنان ، وإن يراد الناس العدول ، فهو لإظهار التبكيت ، وإن يراد الناصر والمستظهر به دون الله فهو للتحدي والتعجيز » .

(**من دون الله/٢٣**) أصل (**دون/٢٣**) أدون مكان من الشيء ، استعير للتفاوت في الأحوال والرتب ، ثم اتسع فيه ، فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد .

(**فإن لم تفعلوا/٢٤**) جيء بـ(**إن/٢٤**) التي للشك ، دون « إذا » التي هي للواجب ، مع أن المقام لها ، سوقاً للكلام على حسب حسبانهم وطمعهم ، وتهكماً بهم . (**ولن تفعلوا/٢٤**) جملة اعتراضية بين الشرط وجوابه أفادت اليأس منه ، وتأكيد العجز ، والتقريع على رؤوس الأشهاد ، و « واوها » استئنافية ، وعبر في الجملتين بلفظ الفعل دون الإتيان ، مع أنه المطابق لقوله :(**فأتوا/٢٣**) لأنه بمعناه ، مع أنه يستطال أن يقال : فإن لم تأتوا بسورة من مثله ، ولن تأتوا بسورة من مثله . فإن قيل : لو قال : فإن لم تأتوا ولن تأتوا ، لكان المعنى على ما ذكر ، ويكون قد حذف مفعوله اختصاراً ، كما حذف مفعول (**لم تفعلوا ، ولن تفعلوا/٢٤**) أجيب بأن في نفي الفعل من المبالغة ما ليس في نفي الإتيان ، من حيث أن نفي الفعل الذي هو الجنس في موضع نفي النوع ، الذي هو الإتيان . الراغب : « لفظ الفعل أعمّ معنىً من سائر أخواته ، نحو الصنع والإبداع ، والإحداث ، والخلق ،

= **(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً)** (الإسراء : ٨٨)، ورد على الوجه الآخر بأنه « لا وجه له ، لأن من غير المعقول أن يدعي الكفار ، أن لهم شهداء من المؤمنين على ما فعلوا وأما الكفار والمنافقون فلا شك أنهم لو دعوا إلى تحقيق الباطل ، وإبطال الحق ، لتنازعوا إليه ، مع كفرهم وضلالهم ، فمن أي الفريقين كانت تكون الشهادة ، لو ادعوا أنهم قد أتوا بسورة من مثل القرآن » - جامع البيان (١ /٣٧٧ - ٣٧٨) بتصرف .
وهذا القول الذي ذهب إليه ابن جرير هو اختيار ابن قتيبة في غريب القرآن (٤٣) ، والظاهر أن هذا القول هو الأرجح ، وذلك لما ذكره ابن جرير .

والكسب ، والعمل[1] لأن الإبداع أكثر ما يقال في إيجادٍ من عدمٍ بلا احتذاءٍ ، ولا اقتـداءٍ ، ولا آلةٍ ، ولا مادةٍ ، وليس ذلك حقيقة إلا لله[2] ، والإحداث : إيجاد الشيء بعد أن لم يكن[3] ، والخلق : إيجاد بتقدير[4] ، والصنع : إجادة الفعل ، فكـلُ صنعٍ فعل ، وليس كلُ فعلٍ صنعاً ، ولا ينسب إلى الحيوانات والجماد كما ينسب إليها الفعل[5] ، والعمل : كل فعل يكون من الحيوان بقصد ، فهو أخص من الفعل ، لأنه ينسب إلى غير الحيوان من الجماد ، وإلى ما يقع من الحيوان بغير قصد[6] ، والكسب : ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلابُ نفعٍ ، وتحصيلُ حظٍ[7] ، وأما الفعل : فهو التأثر من جهة مؤثر ، وهو عام لما كان بإجادة وغيرها ، بعلم أو غيره ، بقصد أو غيره ، من إنسان أو حيوان ، أو جماد[8] » انتهى . (**فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة/٢٤**) فيه كناية ، حيث أقام اتقاء النار ، الذي هو ملزوم ترك العناد مقامه ، فهو أبلغ مما لو قال : فاتركوا العناد ، لأن الكناية أبلغ في إفـادة المقصـود ، لما فيه من الاتباع بتهويل صفة النار مع الإيجاز ، قال الإمام : « وإنـما عُرِّفت (**النـار/٢٤**) هنـا ، ونُكِّرت في سورة التحريم ، لأن تلك نزلت بمكـة ، فعـرفـوا منهـا ناراً موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مُعَرَّفَةً بلام العهد ، مشاراً بها إلى ما عرفوه أولاً[9] » . قلت : وبذلك سقط سؤال الكشاف :

---

(١) لم أجد ذلك في المفردات ، ويحتمل أن المؤلف نقل هذا وما بعده من تفسير الراغب .

(٢) الذي في المفردات (٣٨ ، مادة : بدع : « الإبداع صنعة بلا احتذاء واقتداء » إلى أن قال : « وإذا استعمل في الله -تعالى- فهو إيجاد الشيء بغير آلة ، ولا مادة ، ولا زمان ، ولا مكان ، وليس ذلك إلا لله » .

(٣) المفـردات : ١١٠ ، مادة : حدث .

(٤) في المفردات (١٥٧) مادة : خلق : الخلق أصله ، التقدير المستقيم ، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء » .

(٥) المفردات (٢٨٦) مادة : صنع .

(٦) المفردات (٣٤٨) مادة : عمل ، بتصرف .

(٧) المفردات (٤٣٠) مادة : كسب .

(٨) المفردات (٣٨٢) مادة : فعل - بتصرف قليل جداً .

(٩) التفسـير الكبـير (٢ / ١٣٣) .



أن صلة[1] الذي والتي يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب ، فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بها ذكر ؟ وجوابه : بأنه لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب ، أو من الرسول -ﷺ-[2] - و« الوقود » بالفتح ما يوقد به ، وبالضم[3] ، المصدر ، وقرىء به ، على تقدير ذو وقودها ، أو على تقدير : وقودها احتراق الناس ، أو من باب : رجل عدل . وعلى هذا فالمعنى : ليس وقود النار ، إلا ذلك ، وعلى الأول ، يجوز أن يكون هناك وقود آخر . ذكره الطيبي . (**أعدت للكافرين/ ٢٤**) جملة مؤكدة لما قبلها لأن إيقادها بهم ، وإعدادها لهم متقاربان ، أو بدل منها ، لصحة وقوعها موقعها ، أو استئنافية ، كأنه سئل : لم كان وقودها ذلك ؟ فأجيب : بأنها معدة لهم . ذكر ذلك في الكشاف القديم[4] . زاد أبو البقاء[5] « أو حالية من النار »[6] . وقرىء (**اعتدت**) من العتاد ، بمعنى العدة[7] وقرأ ابن أبي عبلة : (**أعدها الله**)[8] ، يقال : أعده لأمر كذا ، أي هيأه . (**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات/ ٢٥**) من عادته تعالى أن يذكر الترغيب مع الترهيب ، ويشفع البشارة بالإنذار ، إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف التثبيط عن اقتراف ما يتلف ، فلما ذكر الكفار ، وأوعدهم العذاب ، عقب ذلك ببشارة عباده المؤمنين العاملين

---

(١) في النسختين (أصله) - وما أثبتناه من الكشاف (١ / ٢٥٠) .

(٢) وتمام الكلام في الكشاف (١ / ٢٥٠) : « واسمعوا قبل هذه الآية ، قوله تعالى في سورة التحريم: (**ناراً وقودها الناس والحجارة**)» .

(٣) هذه قراءة الحسن -باختلاف- ومجاهد وطلحة وأبي حياة وعيسى بن عمر ، والقراءة السابقة هي قراءة الجمهور . البحر (١/١٠٧) .

(٤) لم أعثر عليه في الكشاف الموجود بين أيدينا ، ولعل المذكور هنا هو كتاب سابق للكتاب الحالي -كما يفهم من التعبير هنا- اختصر منه الزمخشري كشافه الحالي .

(٥) هو أبو البقاء ، عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي . أصله من عكبرا -بليدة على دجلة- أصيب في صباه بالجدري ، فعمي ، وقد كان عالماً بالأدب واللغة والفرائض والحساب . من مؤلفاته : « إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن » ، و« التبيان في إعراب القرآن » ، و« شرح اللمع لابن جني » . توفي سنة ٦١٦هـ . نكت الهيمان (١٧٨) ، وبغية الوعاة (٢٨١) ، والوفيات (١/٢٦٦) .

(٦) الإملاء (١ / ٢٥) .

(٧) هذه قراءة عبد الله بن مسعود ، البحر (١ / ١٠٩) .

(٨) المرجع السابق .



بالثواب . الراغب : « البشارة ، والبشرى : الخبر السار ، لبسطه بشرة الوجه ، لأن النفس إذا سرت ، انتشر الدم انتشار الماء في الشجر ، يقال : بشرت الرجل ، وأبشرته ، وبشرته ، وبينها فرق ، فالأول عام ، والثاني نحو أحمدته ، والثالث : للتكثير »[1] .

الكشاف : « فإن قلت : علام عطف هذا الأمر ، وبشر ، ولم يسبقه أمر ولا نهي يصح عطفه عليه ؟ . قلت : ليس الذي اعتمد بالعطف ، هو الأمر حتى يطلب له مشاكل ، من أمر ونهي ، يعطف عليه ، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ، فهي معطوفة على وصف عقاب الكافرين ، وذلك[2] أن تقول هو معطوف على (فاتقوا)[3] ، ورُدَّ هذا بأن « اتقوا » جواب الشرط ، و(بشر) لا يصح له ، إذ لا يصح أن يقال : فإن لم تفعلوا ، فبشر الذين آمنوا[4] . وأجاب الطيبي بأن (فاتقوا/ ٢٤) ليس جزاء للشرط ، بل منبأ عنه ، وهو محذوف ، والتقدير : وإن كنتم في شكٍ من صحة نبوته ، وصدق قوله إن القرآن منزل عليه من عند الله ، فأتوا بسورة من مثله ، فإن لم تقدروا على ذلك -وأنتم فرسان البلاغة- فقد صح صدقه ، وإذا صح صدقه فليتق المعاند النار وبشر يا محمد المصدق بالجنة » ، قال : « ثم على هذا التقدير ، يشمل العطف على جهات من الحسن ، منها قرب المعطوف من المعطوف عليه ، ومنها رعاية الجهة الجامعة الوهمية ، بين « بشر » و « اتقوا » لأنه في معنى أنذروا العقلية لاتفاقهما في المسببية ، ومنها اجتماع ثلاث متقابلات ، ومنها حذف العجز عن الشرط الأول ، والصدر من الثاني المؤذن بالإيجاز الذي هو حلية القرآن . وأما عدم اتحاد المسند إليه في « فاتقوا » و« بشر » فمضمحل ، نظراً إلى هذه الوجوه على أن الاتحاد حاصل -كما قررناه-. وقال

---

(١) المفردات : (٤٨ ، مادة : بشر) ، بتصرف .
(٢) في (ب) : ذلك .
(٣) الكشاف (١ / ٢٥٣ - ٢٥٤) ، بتصرف .
(٤) راجع البحر (١ / ١١٠) .

صاحب الفوائد[1] : « وهو عطف على الخبر الذي قبله ، لأنه مشتمل على معنى الأمر ، كأنه قيل أنذر ، وبشر »[2]. السكاكي : « عندي أنه معطوف على « قل » مقدراً قبل (**يأيها الناس/٢١**) ، أو قبل (**فإن لم تفعلوا/٢٤**)[3] » . البيضاوي : « لم يخاطب المؤمنين بالبشارة كما خاطب الكفار[4] ، تفخيماً لشأنهم وإيذاناً بأنهم أحقاء بأن يبشروا ، ويهنؤوا بما أعد لهم »[5]. وقرىء (**وبشر/٢٥**) فعل ماض ، مبني للمفعول[6] ، معطوف على (**أعدت/٢٤**) ، قال بعضهم : « والفرق بين « عمل » ، و« فعل » أن عمل لما كان مع امتداد زمان ، نحو (**يعملون له ما يشاء ، من محاريب**)[7] ، (**مما عملت أيدينا**)[8] لأن خلق الأنعام والثمار والزروع بامتداد ، وفعل بخلافه ، نحو (**كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**)[9] ، (**كيف فعل ربك بعاد**)[10]، (**كيف فعلنا بهم**)[11]، لأنها إهلاكات وقعت من غير بطء ، (**ويفعلون ما يؤمرون**)[12] أي في طرفة عين ، ولهذا عبر بالأول ، في قوله : (**وعملوا الصالحات/٢٥**) ، حيث كان المقصود المثابرة عليها ، لأن الإتيان بها مرة ، أو بسرعة ، وبالثاني في قوله : (**وافعلوا الخير**)[13]، حيث كان بمعنى : سارعوا ، كما قال : (**فاستبقوا الخيرات**)[14] ، وقوله : (**والذين هم للزكاة فاعلون**)[15] ، حيث كان القصد ، أن يأتوا بها على سرعة من غير توان . (**أن لهم جنات/٢٥**) جمعها : لأن الجنة اسم لدار الثواب كلها ، وهي مشتملة على جنات كثيرة ، ونكرها لتنوعها فإنها مرتبة مراتب على حسب حال أهلها ، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان » . الراغب : « إنما قال (**جنات**) بلفظ الجمع ، لكون الجنات سبعاً ، جنة الفردوس ، وجنة عدن ، وجنة النعيم ، ودار الخلد ، وجنة

---

(١) (٢) (٣)

(٤) بالإنذار بقوله (فاتقوا النار) .

(٥) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢ / ٥٩) .

(٦) قرأ بذلك زيد بن علي ، البحر (١ / ١١١) .

(٧) سبأ : (١٣) .

(٨) الفيل : (١) .

(٩) إبراهيم : (٤٥) .

(١٠) الحج : (٧٧) .

(١١) المؤمنون : (٤) .

(١٢) يس : (٧١) .

(١٣) الفجر : (٦) .

(١٤) النحل : (٥٠) .

(١٥) البقرة : (١٨٤) ، والمائدة (٤٨) .

المأوى ، ودار السلام ، وعليين[1] . والجنة : كل بستان ذي شجر ، يستر بأشجاره الأرض[2] »[3] . (**تجري من تحتها الأنهار**/٢٥) فيه حذف ، أي تحت أشجارها ، ومجاز عقلي[4] ، أي المياه في الأنهار ، إذ النهر مجرى الماء الواسع[5] ، والجري : المر السريع . (**كلما رزقوا منها ، من ثمرة رزقاً**/٢٥) فيه تجريد ، على حد لقيت منك أسداً ، لأن الثمرة هي الرزق ، وذكره في الكشاف[6] . الطيبي : « جرد (**من ثمرة**/٢٥) رزق ، وهو هي ، فيكون رزقاً ، أخص (**من ثمرة**/٢٥) ، لأن الثمرة ذات أوصاف فانتزع منها وصف المرزوقية ، أي التي يقع الأكل عليها ، لكمال هذا المعنى فيه »[7] .

(**هذا الذي**/٢٥) أي مثل الذي ، فهو تشبيه محذوف الأداة ، وهو إشارة إلى النوع . قاله ابن جرير[8] .

(**وأتوا به**/٢٥) الراغب : « الإتيان : مجيء بسهولة »[9] فهو أخص من مطلق

---

(١) المذكور سابقاً ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم ، من بينها : -
(**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً**) الكهف : ١٠٧ ، (**وإن للمتقين لحسن مآب ، جنات عدنٍ مفتحة لهم الأبواب**) ص/٥٠ ، (**والسابقون السابقون ، أولئك المقربون ، في جنات النعيم**) الواقعة/١٢ ، (**قل أذلك خيرٌ أم جنة الخلد التي وعد المتقون**) الفرقان/١٥ ، ولم ترد بلفظ « دار الخلد » . (**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى**) النازعات/٤١ ، (**لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون**) الأنعام/١٢٧ ، (**كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين**) المطففين/١٨ .

(٢) في (ب) : الجنة .

(٣) المفردات (٩٨) مادة : جن ، بتصرف .

(٤) المجاز العقلي هو إسناد الفعل ، أو ما في معناه إلى غير ما هو له في الظاهر ، من المتكلم لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له . - جواهر البلاغة / الهاشمي (٢٩٦) .

(٥) أي أنه أسند الجري إلى الأنهار ، وهي أمكنة للمياه ، وليست جارية بل الجاري ماؤها .

(٦) الكشاف (١ / ٢٦٠) .

(٧) ولكن الشريف علي بن محمد ، في حاشيته على الكشاف ، رجح إلى أن (من) هنا ابتدائية . المرجع السابق .

(٨) جامع البيان (١ / ٣٨٨) .

(٩) المفردات (٨) مادة : آتى .



المجيء . وقرىء بالبناء للفاعل[1] ، فالضمير للخدمة . وجعل الزمخشري[2] هذه الجملة معترضة لتقرير ما قبلها[3] ، والصواب[4] كما قال القطب[5] إنها تذييل تؤكد صدقهم فيما ادعوه ، وقيل : هي حالية[6] ، وفي قوله (به/٢٥) العائد إلى المرزوق في الدارين ، المفهوم من المشبه والمشبه به ، في قوله : (**هذا الذي رزقنا من قبل/٢٥**) نوع من البيان يسمى الكناية الإيمائية[7] (**مطهرةٌ/٢٥**) أبلغ من ظاهرة ، وأفخم لما فيه من الإشعار بأن مطهراً طهرهن ، وليس ذلك إلا الله تعالى . وقرىء (**مطهرات**)[8] وقرىء (**مطهرةٌ**)[9] بتشديد الطاء ، وكسر الهاء بمعنى متطهرة . (**وهم فيها خالدون/٢٥**) ، قدم الظرف لمناسبة رؤوس الآي وقد جمعت هذه البشارة غاية المقاصد ، فإن مجامع اللذات ، إما المسكن أو المطعم ، أو المنكح ، وقد وصف الله المسكن بقوله :(**جناتٌ تجري من تحتها الأنهار/٢٥**) والمطعم بقوله : (**كلما رزقوا/٢٥**) إلى آخره ، والمنكح بقوله : (**ولهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ/٢٥**) ثم هذه الأشياء إذا حصلت وقارنها خوف الزوال ، كان النعيم منغصاً ، فبين أن هذا الخوف زائل عنهم ، بقوله : (**وهم فيها خالدون/٢٥**) فصارت الآية دالة على كمال النعيم والسرور . قال القطب : « فقوله :(**وهم فيها**

---

(١) وهي قراءة هارون الأعور ، والعتكي ، البحر (١ / ١١٥) .

(٢) في (ب) : الزركشي .

(٣) الكشاف (١/٢٦١ - ٢٦٢) .

(٤) في (أ) : الصواب بدون الواو .

(٥) لعل المقصود هو قطب الدين ، محمد (أو محمود) بن محمد الرازي ، عالم بالحكمة والمنطق ، من أهل الري له حاشية على الكشاف ، توفي سنة ٧٦٦هـ - مفتاح السعادة (١/٢٤٦) ، والدرر الكامنة (٤/٣٣٩) ، والأعلام (٧/٢٦٨) .

(٦) انظر البحر (١ / ١١٥) وإملاء ما منَّ به الرحمن (١ / ٢٥) .

(٧) الكناية : هي لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له ، مع جواز إرادة المعنى الأصلي ، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته .
ومن أنواع الكناية : كناية الإيماء ، أو الإشارة : وهي التي تقل فيه الوسائط ، مع وضوح اللزوم ، بلا تعريض . جواهر البلاغة (٣٤٦ ، ٣٥١).

(٨) وهي قراءة زيد بن علي ، البحر (١ / ١١٧) .

(٩) وهذه قراءة عبيد بن عمير ، المرجع السابق .



خالدون/٢٥) تكميل في غاية الحسن ، والواو فيها ، وفي الجملة قبلها للحال أو الاستئناف » . (**إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما/٢٦**) وجه اتصال هذه بما تقدم ، أنه تعالى لما بين أن القرآن معجز وأنه من عند الله ، استنكره الجهال والسفهاء وأهل العِناد ، واستغربوا ما فيه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت ، فإن هذه لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء ، فكيف تكون في كلام الله المعجز ، أورد هذه لبيان أن ما استنكروه واستغربوه ليس في محل الاستنكار والاستغراب ، لأن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشفه المعنى ، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ، وإدناء[١] المتوهم من الشاهد ، فإن كان الممثل له[٢] عظيماً ، كان الممثل[٣] به عظيماً وإن كان حقيراً ، كان حقيراً ، ولما كانت الأصنام التي جعلها الكفار أنداداً لله ، لا حال أحقر منها وأقل ، فكذلك جعل بيت العنكبوت[٤] مثلها في الوهن وجعلت أقل من الذباب ، وأخس قدراً ، فسيق المثل على ما تقتضيه الحكمة وتستدعيه[٥]. وفي (**يستحيي/٢٦**) التمثيل البياني كنى به عن الترك . وقرىء (**يستحي/٢٦**) بياء واحدة[٦]. قال الأخفش[٧]: « وهي لغة تميم » . الكرماني : « الحياء : انقباض

---

(١) في (أ) : أداء (٢) في (ب) : بـه .

(٣) عبارة : « كان الممثل به عظيماً » غير موجودة في (ب) .

(٤) كلمة « العنكبوت » غير موجودة في (ب) .

(٥) هذا القول في مناسبة قوله تعالى : « **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما/٢٦** » لما قبله ، روي عن قتادة في روايتين ، قال في إحداهما : « قال المشركون » وقال في الأخرى : « قال أهل الضلالة » . - تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (١/٦٤) .
ولكن الظاهر أن الراجح هنا ، هو ما استظهره الشوكاني (فتح القدير ١/٥٦) .
وهو ما اختاره الطبري قبله من أن الله لما ضرب هذين المثلين للمنافقين يعني قوله تعالى : (**مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً/١٧**) ، وقوله : (**أو كصيبٍ من السماء/١٩**) - قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله : (**إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما/٢٦**) الآية وقد عزا الطبري هذا القول إلى السدي ، الذي حكاه عن أبي مالك وعن أبي صالح ، وعن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة . جامع البيان (١/٣٨٩) .
ومما يعزز رجحان هذا القول ، أنه أمس بالسورة ، لكون هذه الآية إنما جاءت عقب المثلين ، المذكورين قبلها .

(٦) ابن كثير في رواية شبل ، وابن محيصن ، ويعقوب ، البحر (١/١٢١) .

(٧) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، كان مولى بني مجاشع بن دارم ، فارس النسب ، أحد نحاة البصرة ، من =



يدل على خلق كريم ، والله -تعالى- لا يوصف به ، ومعناه هنا الترك ، أي لا يترك ضرب المثل ، ترك ما يستحي منه »[1] و(أن) في محل نصبٍ أو جرٍ ، لأن « استحى » يتعدى بنفسه ، وبمن . و(ما) زائدة[2] لتأكيد الخسة ، أي مثل كان ، وقرأ ابن مسعود بحذفها[3] . (**بعوضة/٢٦**) بالنصب بدل ، أو بيان[4] . وقرئ بالرفع[5] . (**فما فوقها/٢٦**) قيل : في الصغر ، وقيل : في الكبر[6] . الراغب : « فوق : يستعمل باعتبار العلو ، نحو (**ورفعنا فوقكم الطور**)[7] ، وباعتبار الصعود والحدور ، نحو[8] : (**إذ جاؤوكم من فوقكم ، ومن أسفل**

= تلاميذ سيبويه . ومن بين كتبه التي ألفها : « معاني القرآن » ، و« تفسير علم القوافي » . توفي سنة ٢٢١ ، وقيل سنة ٢١٥ .

- طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي (٧٢ - ٧٤) ، ترجمة رقم (٢٣) ، وتاريخ العلماء النحويين ، للتنوخي (٨٤ - ٩٠) .

(١) لباب التفسير ، للكرماني (١ / ١٦٨) .

(٢) انظر معاني القرآن ، للأخفش (١ / ٥٣) .

(٣)

(٤) القول الأول ما اختاره أبو البقاء ، الإملاء (١ / ٢٦) .

وقد ذكر أبو حيان هذين الوجهين وأوجهاً أخرى معهما ، واختار أن تكون (بعوضة) مفعولاً لـ(يضرب) لأن «ضرب» يتعدى إلى اثنين . . البحر (١ / ١٢٣) ، وانظر إعراب القرآن ، للنحاس (١ / ٢٠٣) .

(٥) وهي قراءة رؤبة ، المحتسب (١ / ٦٤) .

(٦) القول الأول هو قول أبي عبيدة (مجاز القرآن ١/٣٥) ، والكسائي (الأدفوي ١/٥٣ - ب) ، وذكر ابن كثير (١ / ٦٤) أنه قول : أكثر المحققين .

وأما القول الثاني ، فقد اختاره الطبري ، ووجهه بأن « البعوضة أضعف خلق الله ، فإذ كانت أضعف خلق الله ، فهي نهاية في القلة والضعف ، وإذ كانت كذلك ، فلا شك أن ما فوق أضعف الأشياء ، لا يكون إلا أقوى منه » ، جامع البيان (١/٤٠٥ - ٤٠٦) .

وقد ذهب أبو حيان إلى هذا القول ، البحر (١ / ١٢٣) .

وانظر معاني القرآن ، للفراء (١/٢٠ - ٢١) ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (١٤٦) .

ويبدو لي أن القول الثاني هذا ، هو الأرجح ، ويؤيده ما رواه مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله -ﷺ- قال : « ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها ، إلا كتب له بها درجة ، ومحيت عنه بها خطيئة) .

- (٣ / ١٩٩١) باب ثواب المؤمن فيما يصيبه . . كتاب : البر والصلة والآداب .

(٧) البقرة : (٦٣) .

(٨) كلمة « نحو » ليست في (ب) .



منكم)[1]، وباعتبار العدد ، نحو : (**فوق اثنتين**)[2] ، وباعتبار الكبر والصغر ، نحو (بعوضةً فما فوقها/٢٦) وباعتبار الفضيلة الدنيوية ، نحو : (**ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجاتٍ**)[3] ، و[4] الأخروية ، نحو : (**والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة**)[5] ، وباعتبار القهر والغلبة ، نحو (**وهو القاهر فوق عباده**)[6] »[7] .

وقيل : التقدير « **وما دونها** » فحذف اكتفاء . (**فأما/٢٦**) : قال الزمخشري : فائدة « أما » في الكلام أن تعطيه فضل تَوْكيد ، تقول : زيد ذاهب ، فإذا قصدت توكيد ذلك ، وأنه لا محالة ذاهب ، وأنه بصدد الذهاب عزمة . قلت : أما زيد ، فذاهب »[8] ، ففي إيراد الجملتين مصدرتين[9] بأما إحماد عظيم للمؤمنين ، ونعي[10] عظيم على الكافرين . (**فيعلمون أنه الحق من ربهم/٢٦**) في ذكر العلم مدحة للمؤمنين ، كما أن في إضافة « رب » لضمير « هم » دليل المزية . (**وأما الذين كفروا ، فيقولون/٢٦**) ، عدل عن قوله (**فلا يعلمون**) المطابق لما قبله ، للإشارة إلى أن قولهم هذا ، دليل واضح على كمال جهلهم . (**بهذا/٢٦**) الإشارة به للتحقير . (**يضل به كثيراً/٢٦**) قرىء بفتح الياء[11] ، ورفع (**كثير / ٢٦**) ، (**وما يضل به إلا الفاسقين / ٢٦**) قرىء بضم الياء ، ورفع (**الفاسقين/٢٦**)[12] ، والفسق : الخروج عن الطاعة . قال ابن الأعرابي[13]: « ولم يسمع في كلام

---

(١) الأحزاب : (١٠) .
(٢) النساء : (١١) .
(٣) الزخرف : (٣٢) .
(٤) في (ب) : أو .
(٥) البقرة : (٢١٢) .
(٦) الأنعام : (١٨) .
(٧) المفردات (٣٨٨) مادة : فوق - باختصار .
(٨) الكشاف (١ / ٢٦٦) بتصرف قليل .
(٩) في (أ) : مصدرين .
(١٠) في (ب) : ونعم .
(١١) عن إبراهيم بن أبي عبلة ، البحر (١ / ١٢٦) .
(١٢) قرأ بذلك زيد بن علي ، المرجع السابق .

(١٣) هو أبو سعيد بن الأعرابي ، أحمد بن محمد ، من أهل البصرة ، مؤرخ من علماء الحديث ، تصوف ، وصحب الجنيد ، واستقر بمكة ، فكان شيخ الحرم المكي . له « المعجم » في أسماء شيوخه ، و« معاني الزهد » . توفي سنة ٣٤٠هـ .
- فهرسة ابن خير (٢٨٤) ، - وتذكرة الحفاظ (٣/٦٦) ، - ولسان الميزان (١/٣٠٨) .



الجاهلية ، ولا في شعرهم «فاسق »[1] . (**ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه/٢٧**) النقض : الفسخ ، وفك التركيب وإفساد ما أبرم ، من حبل ، أو بناء . الكشاف : « فإن قلت : كيف ساغ استعمال النقض في إبطال العهد ؟ . قلت : من حيث تسميتهم العهد بالحبل ، على سبيل الاستعارة ، لما في العهد من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها ، أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه ، فينبهون بتلك الرمزة على مكانه »[2] و(**الميثاق**) ما به التوثق ، اسم مصدر كالميعاد ، والميقات[3] . (**أن يوصل/٢٧**) بدل من الهاء في (**به**)[4] ، أو من (**ما/٢٧**) ، أو مفعول له ، على تقدير : كراهة أو : لئلا . (**أولئك/٢٧**) جيء به على حد (**أولئك على هدىً/٥**) ، قال ابن عقيل[5] : «وقع في هذه الآيات خمس مقابلات : بين « **بعوضة** » ، و« **ما فوقها** » وبين « **آمنوا** » ، و« **كفروا** » ، وبين « **يضل** » ، و« **يهدي** » ، وبين « **ينقضون** » ، وبين « **يقطعون** » ، و« **يوصل** » ذكره بعضهم »[6] .

---

(١) اللسان (١٢/٣٠٨) مادة : فسق . والصحاح (٤/١٥٤٣) نفس المادة .
وقد ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب « الزهد » له لما تكلم على معنى الفسق - قول الشاعر :
يذهبن في نجد ، وغورا غائرا . . فواسقاً عن قصدها جوائرا
- الجامع / للقرطبي (١/٢٤٥) .

(٢) الكشاف (١/٢٦٨) بتصرف . (٣) في (ب) : والميثاق .

(٤) هذا قول الأخفش ، معاني القرآن (١/٥٤) .
وهو ما استحسنه البيضاوي : لأنه أحسن لفظاً لقربه ، وهو أحسن معنىً أيضاً ، لأن قَطْرَ ما أمر الله بوصله أبلغُ من قَطْعِ وَصْلِ ما أمر الله به نفسه . حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/١٠٨) . وهو ما ذهب إليه الألوسي ، روح المعاني (١/٢١٢) .

(٥) هو بهاء الدين ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن القرشي الهاشمي ، من نسل عقيل بن أبي طالب ، ولد وتوفي في القاهرة ، كان من أئمة النحاة ، وكان مهيباً ، كريماً ، في لسانه لثغة ، ولي قضاء مصر مدة قصيرة ، له « شرح ألفية ابن مالك» ، و« التعليق الوجيز على الكتاب العزيز » في التفسير ولم يكمله . توفي سنة ٧٦٩هـ . - الدرر الكامنة (٢/٢٦٦) - وبغية الوعاة (٢٨٤) . - والبدر الطالع (١/٣٨٦) - وشذرات الذهب (٦/٢١٤) .

(٦) لم أعثر على هذا النص فيما اطلعت عليه .



قلت : وسادس : بين « **يعلمون** » و « **يقولون** » ، لأن المراد بالأول الاعتقاد بالقلب ، وبالثاني : القول الصادر عن اللسان ، وهما خلافان في الجملة ، وذلك كان في الطباق والمقابلة . (**كيف تكفرون/٢٨**) الآية استفهام تقرير وتوبيخ وتعجيب للمؤمنين من كفر الكفار ، بعد قيام البرهان وجيء بـ(كيف -مع أنها للأحوال- للمبالغة ، لأن إنكار الحال يستلزم إنكار ذاته لأنه تبع لها ، فهو نظير : ليس[(١)] بكثير الرماد ، بالنسبة إلى : ليس بمضياف ، ولذلك أيضاً التفت إلى الخطاب عن الغيبة ، في قوله : (**فيقولون/٢٦**) لأن الإنكار والتوبيخ مع الخطاب أبلغ ، وعدل عن الماضي ، أي « كفرتم » إلى المضارع ، لإفادة التلبس وقت الخطاب ، والتوبيخ على متلبس به ، أبلغ منه على ماسبق ، ولدفع إيهام توبيخ من سبق منه كفر ، ثم آمن ، وعطف (**فأحياكم/٢٨**) على ما قبله بالفاء ، والباقي بـ(**ثم/٢٨**) لأن الإحياء الأول أعقب الموت بلا تراخٍ والإماتة بعده تراخت عنه ، والإحياء الثاني تراخى عنها ، والرجوع إلى الحساب متراخ عن النشور ، وتسمية العدم قبل الإيجاد موتاً مجاز وبناء (**ترجعون/٢٨**) للمفعول ، خلاف الأفعال قبله ، للفاصلة ، وقرأ يعقوب[(٢)] (**ترجعون/٢٨**) بفتح التاء[(٣)] ، حيث وقع .

ولما ذكر في هذه الآية دلائل الوحدانية ، من الإحياء والإماتة ، ذكر بعدها ما هو أعلى [(٤)] رتبة ، في إفادة المقصود ، ترقياً من الأدنى إلى الأعلى ، وهو خلق الأرض والسماء ، بدليل (**لخلق السموات والأرض ، أكبر من خلق الناس**)[(٥)] ، فقال : (**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً/٢٩**) ، وأورده في معرض الامتنان

---

(١) كلمة «ليس» غير موجودة في (ب) .

(٢) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي مولاهم ، وهو أحد القراء العشرة وإمام أهل البصرة ، كان فاضلاً تقياً ورعاً زاهداً . توفي سنة ٢٠٥هـ . - غاية النهاية (٢/٣٨٦) ترجمة رقم (٣٨٩١) . - مناهل العرفان (٤٦٣) .

(٣) البحر (١/١٣٢) .

(٤) في (ب) : على .

(٥) غافر : ٥٧ .



بما جعله لهم ينتفعون به ، واستغنى بذكر ما في الأرض عن الأرض ، مع إرادتها أيضاً ، وهو نوع من كلام العرب ، كقولهم[1] : راكب الناقة طليحان ، أي الناقة ، وراكبها ، (**ثم استوى إلى السماء/٢٩**) أي عمد ، وقصد إليها بإرادته ومشيئته ، استعارة من الاستواء ، الذي هو حقيقة في الاعتدال[2] و(**ثم/٢٩**) للتراخي في الرتبة لا الزمان . (**فسواهن/٢٩**) جمع الضمير ، لأن السماء في معنى الجنس . وقيل : لأنها جمع سماءة . وقال الزمخشري : « هو ضمير مبهم ، وتفسيره (**سبع سموات/٢٩**) كقوله : رُبَّهُ رَجُلًا ، وهذا الوجه هو العربي[3] »[4] ، لما فيه من الإبهام ، ثم التفسير ، فإن المبهم إذا بين ، كان أفخم وأعظم من أن يبين أولاً ، لأنه إذا أبهم ، تشوفت النفوس إلى الاطلاع عليه ، فإذا بين بعد ذلك ، حصل للنفس لذة (**وهو بكل شيء عليم/٢٩**) فإن قلت : ختم هذه الآية بالعلم ، وقال في « آل عمران » (**قل إن تخفوا ما في صدوركم ، أو تبدوه ، يعلمه الله ، ويعلم ما في السموات وما في الأرض ، والله على كل شيء قدير/٢٩**) ، والمتبادر إلى الذهن في آية « البقرة » الختم بالقدرة ، وفي آية « آل عمران » الختم بالعلم .

قلت : لما أخبر تعالى أنه خلق الأرض ، وما فيها جميعاً ، على حسب حاجات أهلها ، ومنافعهم ومصالحهم ، وخلق السموات خلقاً مستوياً ، محكماً ، من غير تفاوت ، والخالق على الوصف المذكور ، يجب أن يكون عالماً بما فعله كلياً وجزئياً ،

---

(١) في (ب) : كقوله .

(٢) وتفسير الاستواء هنا بالقصد ، هو ما فسره به ابن كثير (١/٦٧) ، وهو ما ذهب إليه الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه : تفسير كلام المنان (١/٦٩) .
وقال الطبري : إن المعنى : « علا عليهن وارتفع ، فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات ». - جامع البيان (١/٤٢٨ - ٤٣٠) . - وانظر الأدفوي (٦٦ - أ) .
قلت : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، فهو استواء يليق بكمال الله وجلاله .

(٣) في (أ) : العزيز ، وما أثبتناه من (ب) ، لأنه الموافق لما في الكشاف (١/٢٧٠) .

(٤) المرجع السابق بتصرف ، كما أن الكشاف ذكر الوجهين السابقين أيضاً . هذا ، وقد ذهب الفخر الرازي إلى اختيار ما اختاره صاحب الكشاف . - التفسير الكبير (٢/١٧٠) .



مجملاً ومفصلاً ، ناسب ختم الآية بصفة العلم . (**وإذ قال ربك/ ٣٠**) لما ذكر تعالى خلق السموات والأرض ، وما فيها ، عقبه بذكر كيفية خلق آدم ، الذي هو[١] في الوجود ، عقب خلق السموات والأرض كما في الحديث[٢] ، و (**إذ/ ٣٠**) منصوب بـ « **اذكر** » مقدراً ، للتصريح به في عدة مواضع ، وعبر بالرب : لما سبق من خلق ما في الأرض ، الذي هو من المصالح ، وإضافة الرب إلى الرسول ، ومخاطبته بالكاف ، تشريف من الله له ، وإظهار لاختصاصه به . (**خليفة/ ٣٠**) قرئ بالقاف[٣] .

(**قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها/ ٣٠**) هو من[٤] إيراد الإشكال طلباً للجواب المزيل له ، وهو مستحسن ، لا من الاعتراض المستقبح ، وقالوا ذلك ، إما لاطلاعهم[٥] عليه في اللوح المحفوظ ، أو قياساً على ما تقدم من الجن . (**ويسفك الدماء/ ٣٠**) السفك : الصب ، ولا يستعمل إلا في الدم . وقال الجوهري[٦] :

---

(١) كلمة « هو » زيادة من (ب) .

(٢) روى ابن جرير عن عبد الله بن سلام أنه قال : « إن الله بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين في الأحد والإثنين ، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء ، وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عجل ، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة » .
- جامع البيان (١/ ١٥٣) .
وقد روى مسلم عن أبي هريرة قال : « أخذ رسول الله -ﷺ- بيدي فقال : (خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة من آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) .
- مسلم (٣/ ٢١٤٩) باب : بدء الخلق - كتاب : صفات المنافقين ، وهذا الحديث من غرائب مسلم ، وقد تكلم عليه : علي بن المديني والبخاري ، وغير واحد من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار ، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً ، وقد حرر ذلك البيهقي . - تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٩).

(٣) عن زيد بن علي ، وأبي البرهسم عمران . - البحر (١/ ١٤٠) .

(٤) كلمة (من) ساقطة من (ب) .

(٥) في (ب) : لاطلاعه .

(٦) هو أبو نصر ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، أصله من فاراب ، ودخل العراق صغيراً وسافر إلى الحجاز ، =



« يستعمل في الدمع أيضاً »[1] زاد الراغب : « وفي الجوهر المذاب »[2] . وقرىء بضم أوله من الرباعي ، وبالتشديد[3] للمبالغة ، وبالنصب[4] في جواب الاستفهام ، وقال الطيبي : « قوله (**ويسفك الدماء/ ٣٠**) منتظم في سلك جوامع الكلم ، التي هي من حلية[5] التنزيل فأتى بلفظ « السفك » الدال على الإراقة والإجراء ، كما لمائع وخص بالمضارع المبني ، في مثل هذا المقام عن الاستمرار ، نحو : فلان يقري الضيف ، ويحمي الحرم ، وجمع الدماء ، وحلي بلام الاستغراق ليتصور شناعة ذلك الفعل ، ويستوعب الأزمنة ويتضمن جميع أنواع الدماء . (**ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك/ ٣٠**) من غرائب ما قيل : إن فيه تقديماً وتأخيراً ، والتقدير : ونحن نسبح ونقدس لك بحمدك أي ونحن ، وإن سبحنا وقدسنا ، وأطعنا ، وعبدنا فذلك[6] كله بحمدك ، لا بأنفسنا[7] . وقال ابن الشجري[8] : « إن شئت علقت » الباء « بـ(**نسبح / ٣٠**) بالثناء عليك ، وإن شئت قدرت : نسبح معلناً بحمدك »[9] . (**قال إني أعلم ما لا تعلمون/ ٣٠**) هذا

= وعاد إلى خراسان ، ثم استقر في نيسابور ، وهو أول من حاول الطيران ، ومات بسببه ، وقد كان من أئمة اللغة ، ومن أشهر كتبه « الصحاح » . - توفي سنة ٣٩٣هـ.
- معجم الأدباء (٢/ ٢٦٩) . - والنجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٧) . - ونزهة الألباب (٤١٨) .

(١) الصحاح (٤/ ١٥٩٠ ، مادة : سفك) بمعناه .

(٢) المفردات (٢٣٤ ، مادة : سفك) .

(٣) البحر (١/ ١٤٢) دون نسبة .

(٤) عن عبد الرحمن الأعرج . - ابن خالويه (٤) .

(٥) في (ب) : حيلة .

(٦) في (أ) : فلذلك .

(٧) ذكر أبو حيان أنه لا حاجة تدعو إلى القول بهذا القول ، « لأن التقديم والتأخير مما يختص بالضرورة فلا يحمل كلام الله عليه » ثم قال : « وإنما جاء (**بحمدك**) بعد (**نسبح**) لاختلاط التسبيح بالحمد ، وجاء قوله بعد (**ونقدس لك**) كالتوكيد لأن التقديس هو التطهير ، والتسبيح هو التنزيه والتبرئة من السوء فهما متقاربان في المعنى » . - البحر المحيط (١/ ١٤٣) .

(٨) هو أبو السعادات ، هبة الله بن علي الحسني ، المعروف بابن الشجري نسبة إلى «شجرة» وهي قرية من أعمال المدينة . وقد ولد وتوفي في بغداد ، وكان من أئمة العلم باللغة والأدب وأحوال العرب » . من مؤلفاته : «الأمالي» وهو مطبوع في جزأين ، و« شرح اللمع لابن جني » . توفي سنة ٥٤٢هـ ، - وفيات الأعيان (٢/ ١٨٣) ، ونزهة الألباب (٤٨٥) ، ومعجم المطبوعات (١٣٤) .





جواب على سبيل الإجمال ، زاده تفصيلاً بما أبانه من فضل آدم في الآية بعده المتضمن أنه لا شيء أشرف من العلم وأهله وإلا لأظهر فضله بأمر سواه .

(**وعلم/٣١**) عطف على الجملة . وقيل : على محذوف اقتضاه الإيجاز أي فجعل في الأرض خليفة، وعلم[١] . وقرئ شاذاً بالبناء للمفعول[٢] ، لأن الغرض منه حصول العلم لآدم مع العلم بأن الله هو الذي[٣] علمه إياها وأنِس علم المخاطبين بذلك بقراءة (**علم/٣١**) بالبناء للفاعل ، ذكره ابن جني[٤] .

(**ثم عرضهم**) أعاد الضمير للمسميات التي في ضمير الأسماء ، وقرأ ابن مسعود (**عرضهن**)[٥] ، وقرأ أبي (**عرضها**)[٦] . (**أنبئوني**) أمر تعجيز (**سبحانك/٣١**) مصدر بمعنى التنزيه ، أُميت فعله ، وهو من المختصات بالله (**إنك أنت العليم الحكيم/٣١**) فاصلة في غاية التمكن والاستقرار ، لأن الكلام في علمٍ عجز عنه الملائكة ، وأمرٍ أراد الله إبداعه ، وخفيَ عنهم وجه الحكمة فيه . وقدم وصف العلم ، لأنه صفة ذاتية ، وليتصل بما يناسبه وهو (**لا علم لنا/٣٢**) . لأن الإتقان ، الذي هو معنى الحكمة ، ناشئ عن العلم . (**أنبئهم/٣٣**) قرأ الحسن (**أنبهم**[٧][٨] ، وأعطهم ، على إبدال الهمز ياءً ، ثم حذفه للأمر ، وفي الآية التفات الضمائر ، فإن ضمير (**أنبئهم/٣٣**)) للملائكة ، وضمير (**بأسمائهم/٣٣**) للمسميات ، وكذا (**فلما أنبأهم بأسمائهم/٣٣**) ، وأعيد الظاهر ثانياً ، لكونه في جملة أخرى وللنص على الاسم العام ، فأعيد وأعلم اهتماماً بشأن المتعلق ، وإعلاماً بأن هذا الخبر في القصد كالأول تذييل .

---

(١) ذهب ابن كثير إلى أن تعليم الله لآدم الأسماء كان بعد سجود الملائكة له ، ولكنه لم يذكر دليلاً على ذلك .
- تفسير القرآن العظيم (١/٧٢) .

(٢) عن الحسن ويزيد اليزيدي . - ابن خالويه : (٤) ، والمحتسب (١/٦٤) .

(٣) في (أ) : الذي هو

(٤) المحتسب (١/٦٥) .

(٥) ، (٦) ابن خالويه : ٤ . (٧) في (ب) : أنبيهم . (٨) ابن خالويه : ٤ .

ذهب قوم إلى أن آدم ، نبئ في ذلك الوقت ، وأرسل إلى الملائكة ، وأن هذا الإنباء معجزته[1] . قال الواحدي : « فإن قيل : من أين علمت الملائكة صحة قول آدم ، ومطابقة الأسماء للمسميات ؟ . أجيب : بأنه يجوز أن يخلق لهم تعالى علماً ضرورياً عند أنباء آدم ، يدركون به مطابقة »[2] قوله : (**وإذ قلنا للملائكة/٣٤**) التفات من الغيبة إلى التكلم ، للتعظيم . (**أبى واستكبر**) جملتان مستأنفتان ، جواب من قال : ما فعل .

الكرماني : « ذكر هذه الحالة[3] في هذه السورة جملة ، وفصلها في الأعراف بقوله : (**إلا إبليس لم يكن من الساجدين**)[4] إلى آخره ، وفي سور أخرى[5][6] » .

ابن جماعة : « لما تقدم التفصيل في السور المكية ، أجمل في البقرة المدنية اكتفاء بما تقدم »[7] .

الراغب : « الإباء : شدة الامتناع ، وكل إباء امتناع ، وليس كل امتناع إباء »[8] . البيضاوي : « الإباء : امتناع باختيار ، والتكبر : أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره ، والاستكبار : طلب ذلك بالتشبع[9] »[10] ، وقال غيره : « الاستكبار : الأنفة مما لا ينبغي أن يؤنف منه » .

(١) وقد ذهب إلى ذلك المعتزلة ، وهم قالوا : إن الأقرب أنه كان مبعوثاً إلى حواء ، وأنه لا يبعد أيضاً أن يكون مبعوثاً إلى من توجه التحدي إليهم من الملائكة ، لأن جميعهم -وإن كانوا رسلاً- فقد يجوز الإرسال إلى الرسول كبعثة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- إلى لوط - عليه الصلاة والسلام . - التفسير الكبير / الفخر الرازي (٢/١٩٣) . وراجع فيه ردود من رد على هذا القول .

(٢) لم أعثر على هذا الكلام فيما اطلعت عليه .

(٣) في (ب) : الحال .

(٤) الأعراف : ١١ .

(٥) في الحجر (إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين) : (٣١)
وفي الإسراء (إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً) : (٦١)
وفي الكهف (إلا إبليس كان من الجن) : (٥٠) .
وفي طه (إلا إبليس أبى . . .) : (١١٦) .
وفي ص (إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين) : (٧٤) .

(٦) البرهان ، للكرماني (١/٨٤) .

(٧) إلا أنه بدل من « وكل » ، « فكل » .

(٨) المفردات (٧ ، مادة : أبى)

(٩) في (ب) : بالتشنع .

(١٠) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/١٣٢) .



وأخر (**استكبر/٣٤**) عن (**أبى/٣٤**) - وإن كان سابقاً عليه - لأنه سببه ليورد مورد التعليل له ، الذي من حقه التأخير في الذكر ، ولذلك[١] عقب بقوله : (**وكان من الكافرين/٣٤**) في علم الله ، لأنه أيضاً تعليل لاستكباره .

وقال الإمام : « لما استثنى إبليس من الساجدين وكان يحتمل أن يظن أنه كان معذوراً في ترك السجود ، بين تعالى أنه لم يسجد مع القدرة ، وعدم العذر ، بقوله : (**أبى / ٣٤**) ، إذ[٢] الإباء هو الامتناع ، مع الاختيار ، ثم إنه قد يجوز أنه يكون كذلك بدون الكبر فبين أن ذلك الإباء مع الاستكبار ، ثم جاز أن يكون مع عدم الكفر فبين أنه كفر »[٣] . (**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة/٣٥**) لما ذكر ما يتعلق بآدم من نعمة الإيجاد ، ثم نعمتي العلم ، والتعظيم ، أتبعه بنعمة العيشة الراضية ، وسكنى دار المسرة ، وأخرت عن نعمة العلم لأن العلم غذاء الأرواح ، وهو أعلى مما للأشباح ، وعن نعمة التعظيم ، لأنه في نظر العقلاء ، أتم من الملاذ الجسمانية .

الراغب : « الفرق بين افعل أنت وقومك كذا ، وبين افعلوا كذا ، أن الأول ، تنبيه على أنه المقصود بالحكم ، والباقون تبع له ، وأنه لولاه لما كانوا مأمورين بذلك ، وعلى نحو : (**قال فمن ربكما يا موسى**)[٤] ، وليس كذا ، إذ قيل افعلوا »[٥] . وذكر البيضاوي نحوه[٦] . (**وكُلا منها رغداً/ ٣٥**) في الأعراف (**فكلا**) بالفاء . قال في « درة التنزيل » : « لأن الأصل في كل فعل عطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء ، وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء ، فالأصل فيه ، عطف الثاني على الأول بالفاء ، كقوله : (**وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ،**

---

(١) في (ب) : وكذلك .

(٢) في (أ) : إذ ، وما أثبتناه من (ب) ، لأنه موافق لما في التفسير الكبير (٢/ ٢٥٥) .

(٣) المرجع السابق ، بتصرف واختصار .

(٤) طـه : (٤٩) .

(٥) لم أجد هذا النص في « المفردات » ولا البحر ، فالظاهر أن المؤلف هنا نقله من مراجع أخرى .

(٦) قال البيضاوي : « وإنما لم يخاطبها أولاً ، تنبيهاً على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له » .
- حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/ ١٣٥) .

فكلوا)[1] ، فعطف « **كلوا** » على « **ادخلوا** » بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلقاً بدخولها فكأنه قال : إن دخلتموها ، أكلتم منها فالدخول موصل إلى الأكل ، متعلق وجوده بوجوده ، بين ذلك قوله في مثل هذه الآية من سورة الأعراف : (**وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية ، وكلوا**/١٦١) فأتى بالواو دون الفاء لأن السكنى -وهي المقام ، وطول اللبث- لا يختص وجود الأكل بوجودها ، لأن من يدخل بستاناً ، قد يأكل منه ، وهو مجتاز ، فلما لم يتعلق الثاني بالأول ، تعلق الجواب بالابتداء ، وجب العطف بالواو دون الفاء ، وعلى هذا وردت آية البقرة : (**وكلا**/٣٥) بالواو ، لأنها بعد (**اسكن**/٣٥) ، وإنما وردت آية الأعراف بالفاء ، مع العطف على (اسكن) حملاً على معنى « ادخل ساكناً » ، ليكون في مقابلة قوله تعالى لإبليس : (**اخرج منها مذؤوماً مدحوراً**)[2] » ، قال : « ولعل أحد الخطابين لهم قبل الدخول ، والآخر بعده مبالغة في الإعذار ، وتوكيداً في الإنذار »[3] .

قال الكرماني : « المراد بالسكون في آية البقرة[4] ، الإقامة ، لا ضد الحركة فلم يصلح إلا الواو ، لأن معناه : اجمعا بين الإقامة فيها ، والأكل من ثمارها ، ولو أتى بالفاء ، لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة لأن الفاء للتعقيب والترتيب ، والذي في الأعراف ، معناه اتخاذ الموضع سكناً ، لأن الله أخرج إبليس من الجنة ، بقوله : « **اخرج منها مذؤوماً مدحوراً**) ، وخاطب آدم ، فقال : (**ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**/٣٥)[5] أي اتخذا لأنفسكما مسكناً (**فكلا من حيث شئتما**) فكانت الفاء أولى ، لأن اتخاذ المسكن ، لا يستدعي زماناً ممتداً ، ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه ، بل يقع الأكل عقبه ، وزاد في البقرة (**رغداً**) لما زاد في الخبر تعظيماً بقوله (**وقلنا**) ، خلاف سورة الأعراف »[6] انتهى .

---

(١) البقـرة : (٥٨) .

(٢) الأعـــراف : (١٨) .

(٣) درة التنزيل ، وغرة التأويل ، للخطيب الأسكافي (١١) ، بتصرف ، واختصار .

(٤) في (ب) : في البقرة . (٤) كلمة : (الجنة) غير موجودة في (ب) .

(٥) البرهان (١/٨٥ - ٨٦) .



والحاصل :. أن الفعل إذا كان كالشرط ، والمعطوف كالجزاء ، فالفاء وإلا فالواو .

(والرغد : سعة العيش وهناؤه)[1] . وقرىء (**رغداً**) بالسكون[2] ، وهي لغة تميم . وقال ابن جماعة : « لما نسب هذا القول إليه سبحانه : (**وقلنا يا آدم/ ٣٥**) ، ناسب زيادة الإكرام ، الدالة على الجمع بين السكنى والأكل ، ولذلك قال فيه (**رغدا/ ٣٥**) ، وقال : (**حيث شئتما/ ٣٥**) لأنه أعم وفي الأعراف (**ويا آدم/ ١٩**) ، فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها ، لأن الأكل بعد الاتخاذ من حيث ، لا تعطي معنى عموم (**حيث شئتما/ ٣٥**)[3] .

وقال صاحب المناجاة : « يمكن أن يوجه[4] بوجه آخر ، وهو أنه لما زاد في البقرة قيد (**رغداً / ٣٥**) ، ومعناه الواسع الرفه ، كان محلاً[5] للواو لأنه لا تحجير فيه ، إذ يصير كالواجب الموسع ، وفي الأعراف لما لم يذكر هذا القيد ، عطف بالفاء ، تنبيهاً على أن الجنة محل الراحة والأكل والشرب وعدم التكليف ، فلا يلزم الداخل أن يعقب دخوله بنوع من أنواع العبادات ، كما هو السنة للشخص إذا دخل مكاناً ، ولهذا شرعت تحية المسجد[6] ، وتحية منزل السفر[7] بركعتين ، وتحية البيت

---

(١) ما بين القوسين غير موجود في (ب) .

(٢) عن إبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب ، البحر (١/ ١٥٧) .

(٣) كشف المعاني (١٧) . (٤) في (ب) : يوجد (٥) في (ب) : محللا .

(٦) روى البخاري عن أبي قتادة السلمي أن رسول الله -ﷺ- قال : (إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس) .
- فتح الباري (١/ ٥٣٧) باب : إذا دخل المسجد فليركع ركعتين ، كتاب الصلاة .

(٧) روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال : كنت مع النبي -ﷺ- في غزاة ، فأبطأ بي جملي وأعيا ، فأتى على النبي -ﷺ- فقال : (يا جابر) ، فقلت : نعم . قال : (ما شأنك ؟) ، قلت : أبطأ علي جملي وأعيا .
وقدمت بالغداة ، فجئنا إلى المسجد ، فوجدته على باب المسجد ، قال : (الآن قدمت؟) قلت: نعم ، قال : (فدع جملك ، وادخل فصل ركعتين) فدخلت فصليت .
- اللؤلؤ والمرجان (١٤٠) باب : استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه . كتاب : صلاة المسافرين وقصرها .



بركعتين[1] ، والذكر المأثور » ، قال : « ووجه آخر ، وهو أن سورة الأعراف أكثر ما سيق فيها من هذه القصة مدخول للفاء ، كقوله[2] : (**فاهبط منها**)[3] ، (**فما يكون لك أن تتكبر فيها**)[4] (**فاخرج**)[5] ، (**فبما أغويتني**)[6] ، (**فوسوس**)[7] . فناسب أن يدخل في (**كلا**) ، رعاية للتناسب ، وحيث لم يكن في البقرة كذلك عطف بالواو التي هي أصل الجمع » .

وقرىء : (رغداً) بالسكون[8] ، وهي لغة تميم ، والرغد : سعة العيش وهناؤه[9] .

(**ولا تقربا / ٣٥**) نهى عن الأكل بلفظ أبلغ ، أي لا تحوما حولها فضلاً عن أن تتناولاها بالأكل ، وفي ذلك - مع تمييزها بالإشارة ، وجعل القربان منها سبباً لأن يكونا من الظالمين - مبالغة في النهي وفيه مع التوسعة في جانب الأمر بقوله : (**رغداً حيث شئتما / ٣٥**) إزالة العذر في التناول . الراغب : « القصد بالنهي عن قربان الشيء ، تأكيد الحظر والمبالغة في النهي . وذلك أن القرب من الشيء مقتضٍ للألفة ، داعية للمحبة ، ومحبة الشيء كما قيل : حبك الشيء[10] يعمي ويصم ، والعمي عن القبيح ، والصم عن المنهي عنه ، هما الموقعان فيه »[11] وقيل : لا تقرب : بالفتح ، يعني لا تلتبس بالفعل ، ولا تقرب : بضم الراء ، بمعنى لا تدن[12] . (**هذه الشجرة/٣٥**) قرىء (**هذي**) بالياء[13] ، وقرىء (**الشجرة**) بكسر

---

(١) لم أعثر على ما يدل على ذلك .

(٢) في (أ) : كقوله قال ، والظاهر أنها سهو من الناسخ .

(٣) الأعراف : ١٣ .

(٤) الأعراف : ١٣ .

(٥) الأعراف : ١٣ .

(٦) الأعراف : ١٦ .

(٧) الأعراف : ٢٠ .

(٨) وهي قراءة النخعي ، ابن خالويه (٣) .

(٩) ما بين القوسين غير موجود في (أ) .

(١٠) في (أ) للشيء .

(١١) لم أعثر على هذا النص لا في « المفردات » ، ولا في « البحر » .

(١٢) حكى أبو حيان التفرقة بين « لا تقرب » بالفتح والضم عن الشاشي - البحر (١٥٨/١) .

(١٣) عن ابن كثير في بعض رواياته . - ابن خالويه (٤) .



الشين[1] ، و(**الشيرة**) بالكسر وإبدال الجيم ياء[2] وهي لغة . (**فتكونا/٣٥**) يحتمل النصب ، والجزم[3] ، وكذا كل تركيب مثل هذا . (**فأزلهما/٣٦**) من الزلل ، أي حملهما عليه . وذكر ابن عطية : « أنه حقيقة في القدم وأنه في الرأي والنظر مجاز[4] » . وفي قراءة (**فأزالهما**[5])[6] من الإزالة (**عنها/٣٦**) الضمير للشجرة على قراءة (**أزلهما**) ، وللجنة على قراءة (**أزالهما**). و« **عن** » على الأول للسببية ، وعلى الثاني للمجاورة والتعدية . (**وقلنا اهبطوا/٣٦**) قال المفضل[7] : « الهبوط : الخروج عن البلد ، ودخولها أيضاً ، فهو من الأضداد »[8] انتهى ، وهو هنا من الأول ، ومن الثاني (**اهبطوا مصراً/٦١**) وقرىء بضم الباء[9] . (**ومتاع/٣٦**) الراغب : « المتاع : انتفاع ممتد الوقت[10] » . (**فتلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه/٣٧**) قرىء برفع (**آدم/٣٧**) ، ونصب (**كلمات/٣٧**) ، وعكسه[11]. واكتفى بذكر (آدم) ، لأن حواء تبع له ، كما طوى ذكر النساء في أكثر القرآن ، طلباً لستر المرأة ، وقد صرح بها في قوله : (**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا**)[12]. الكشاف : « فتلقى آدم كلمات : استقبلها بالأخذ والقبول ، والعمل بها حين

---

(١) قرأها أبو السمال . - ابن خالويه (٤) . (٢) حكى ذلك أبو زيد . - ابن خالويه (٤) .

(٣) إما أن (فتكونا) يحتمل النصب ، فعلى أنه جواب النهي .
وإما أنه يحتمل الجزم ، فعلى أنه معطوف على « تقربا » كما قال الزجاج ، وقد استظهر أبو حيان الوجه الأول ، لظهور السببية ، والعطف لا يدل عليها . - البحر المحيط (١/١٥٩) .

(٤) المحرر الوجيز (١/٢٤٥) بتصرف . (٥) في (ب) : فأزلهما .

(٦) هي قراءة حمزة ، - حجة القراءات (٩٤) .

(٧) هو المفضل بن محمد الضبي الكوفي ، كان راوية علامة بالشعر والأدب وأيام العرب ، من كتبه : « المفضليات » و« الأمثال » و« معاني الشعر » و« الألفاظ » توفي سنة ١٦٨هـ .
- غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٣٠٧) وإرشاد الأريب (٧/١٧١) ، وفهرست ابن النديم (١/٦٨) .

(٨) البحر (١/١٥٩) .

(٩) عن أبي حيوة شريح ، والحسن . - البحر (١/١٦٢) ، وابن خالويه (٦) .

(١٠) المفردات (٤٦١) - مادة : متع) .

(١١) القراءة بنصب (آدم) ، ورفع (كلمات) هي قراءة ابن كثير ، والقراءة الثانية هي قراءة البقية .
- حجة القراءات (٩٤ - ٩٥) .

(١٢) الأعراف (٢٣) .

علمها »[1] . قال الطيبي : « فهو مستعار من استقبال الناس بعض الأعزة ، وتلقي الغائب إذا قدم ، لأنهم حينئذٍ لا يدعون شيئاً من الإكرام إلا فعلوه ، وإكرام الكلمات الواردة من الحضرة الإلهية العمل بها » ، وفي قراءة رفع الكلمات[2] ، استعارة أيضاً .

الفراء[3] : « من الأفعال ما يستوي المعنى في إسنادها إلى الفاعل وإلى المفعول ، من ذلك : لقي ، وتلقى ، ونال ، وأصاب ، تقول : لقيت زيداً ، ولقيني زيد ، ونلت خيراً ، ونالني خير . ولهذا قرىء : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾[4] و(الظالمون) ، وأصبت خيراً ، وأصابني خير وتلقى آدمُ ، وآدمَ ، من ذلك[5] .

وفي الآية حذف ، أي فقالها ، فتاب عليه . الأصبهاني : « التوبة لفظ يشترك فيها العبد والرب ، فإذا وصف بها العبد ، يكون معناه رجوع العبد من المعصية إلى الطاعة ، وإذا وصف بها الرب ، يكون معناه رجع إليه بعد العقوبة بالمغفرة[6] » . القفال[7] : « التوبة : لفظ يكون للرب وللعبد ، وأصله الرجوع ، ويختلفان في

---

(١) في الكشاف (١/٢٧٤) : « معنى تلقى الكلمات : استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها » .

(٢) عن ابن كثير . - حجة القراءات (٩٤) ، والبحر (١/١٦٥) .

(٣) هو أبوزكريا ، يحيى بن زياد الديلمي ، مولى بني أسد (أو بني منقر) المعروف بالفراء لأنه كان يفري الكلام . وهو كوفي ، نزل بغداد ، كان يقال : الفراء أمير المؤمنين في النحو،وكان مع تقدمه في اللغة ، فقيهاً متكلماً ، عالماً بأيام العرب ، عارفاً بالطب ، يميل إلى الاعتزال . من مؤلفاته : « معاني القرآن » و« المقصورة والممدودة » و« المذكر والمؤنث » . - توفى سنة ٣٠٧هـ . - تهذيب التهذيب (١١/٢٢٢) ترجمة رقم (٣٥٣) ، - وتاريخ العلماء النحويين (١٨٧) ، وفيات الأعيان (٢/٢٢٥) .

(٤) البقرة (١٢٤) .

(٥) الذي في معاني القرآن / للفراء (١/٢٨) : « وقوله : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ . فـ(آدم) مرفوع ، والكلمات في موضع نصب والمعنى -والله أعلم- واحد ، لأن ما لقيك فقد لقيته ، وما نالك فقد نلته . وفي قراءتنا : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ (البقرة/١٢٤) وفي حرف عبد الله (لا ينال عهدي الظالمون) » .

(٦) أنوار الحقائق (١٥٠) .

(٧) هو أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال ، ولد في الشاش (وراء نهر سيحون) رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام وهو من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب ، ويعتبر أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء .
من كتبه : « أصول الفقه » و« محاسن الشريعة » و« شرح رسالة الشافعي » . توفي سنة ٣٦٥هـ . وفيات الأعيان ٤٥٨/١ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢٨٢/٢ طبقات السبكي ١٧٦/٢ ، مفتاح السعادة ٢٥٢/١ ، ١٧٨/٢ .



الصلة ، فيعدى في العبد بـ« إلى » أي رجع عن هربه إلى ربه ، وفي الرب بـ« على » أي رجع وعاد عليه بالإحسان »[1] . (**إنه هو التواب الرحيم/٥٣**) جملة استئنافية ، وقرئ : بالفتح[2] للتعليل . وقدم التواب لمناسبة (**فتاب عليه/٣٧**) ، ولأنه موافق لختم الفواصل بـ(**الرحيم/٥٣**) ، ولأنه لما كان قبول التوبة من إزالة العقاب ، يقتضي حصول الثواب ، وكان الثواب من جهة نعمته ورحمته وصف نفسه - مع كونه ثواباً - بأنه « رحيم » وجيء بضمير الفصل ، للإشعار بأن التوبة نعمة من الله ، وليست من العبد لئلا يعجب التائب ، بل يجب عليه الشكر للتوبة . (**قلنا اهبطوا منها جميعاً/٣٨**) كرره للتأكيد . ولأنه نيط بكل حكم ، غير حكم الآخر ، فعلق بالأول عداوة بعضهم لبعض ، وبالثاني إتيان الهدى والتكليف . قال الطيبي : « وهذا هو الأسلوب المسمى في البديع بالترديد » . قال الإمام : « ولأن آدم وحواء ، لما تابا - بعد الأمر بالهبوط ، وقع في قلوبهما[3] أنه لا هبوط بعد التوبة فأعيد الأمر بالهبوط ، ليعلما أن الأمر باقٍ بعدها[4] » .

وقيل : الأول ، أمر بالهبوط من الجنة ، والثاني من السماء[5] . (**فإما يأتينكم مني هدىً/٣٨**) شرط جوابه الشرط الثاني ، وجوابه : (**فمن تبع/٣٨**) في « طه » : (**فمن اتبع/١٢٣**) ، قال ابن جماعة : « يحتمل أن فعل ، لا يلزم منه مخالفة للفعل قبله ، وافتعل يشعر بتجدد الفعل . وسياق قصة آدم هنا لفعله ، فجيء بـ« من تبع » ، وفي « طه » جاء بعد قوله: (**ولم نجد له عزماً/١١٤**)

---

(١) لم أعثر على ذلك .

(٢) عن العباس بن الفضل . - ابن خالوية (٤) .

(٣) في (أ) : قلبهما ، وما أثبتناه من (ب) ، لأنه الموافق لما في التفسير الكبير (٣/٢٨) .

(٤) المرجع السابق ، بتصرف واختصار .

(٥) ذكر الفخر الرازي هذا القول عن الجبائي ، ثم قال : « وهذا ضعيف من وجهين :
أحدهما : أنه قال في الهبوط الأول (**ولكم في الأرض مستقرٌ/٣٦**) . فلو كان الاستقرار في الأرض إنما حصل بالهبوط الثاني ، لكان ذكر قوله : (ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ) عقيب الهبوط الثاني أولى .
وثانيهما : أنه قال في الهبوط الثاني (اهبطوا منها/٣٨) والضمير في (منها) عائد إلى الجنة ، وذلك يقتضي كون الهبوط الثاني من الجنة » - المرجع السابق .



(**وعصى آدم ربه فغوى/١٢١**) فناسب (**من اتبع/١٢١**) أي جدد قصد الاتباع[١] » ولذلك قال بعد (تبع) (**فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون/٣٨**) ، وبعد (**اتبع/١٢٣**) ، (**فلا يضل ولا يشقى/١٢٣**) . (**هداي**) قرىء (**هدي**) بقلب الألف ياء ، وإدغامها في ياء المتكلم[٢] ، وهي لغة فاشِيَةٌ في « هذيل »[٣]، وأوقع الظاهر موقع المضمر للاهتمام به وباتباعه ، وجيء به مضافاً ، وسبيل مثله أن يكون بـ« أل » نحو (**فعصى فرعون الرسول**)[٤]، لأن الإضافة تعرف كـ« **أل** » وتزيد إفادة التشريف . البيضاوي : « جيء بأن التي للشك ، وإتيان الهدى كائن ، لأنه محتمل في نفسه غير واجب عقلاً ، فأبرز في معرض الشك »[٥] . (**فلا خوف عليهم/٣٨**) أي فيما يستقبلونه من العذاب ، (**ولا هم يحزنون/٣٨**) أي على مافاتهم من الدنيا ، فالخوف لأمر مستقبل ، والحزن لأمر ماض . الراغب : « الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة ، ضد الأمن ، ويستعمل في الأمور الدنيوية والدينية[٦] » ، « والحزن خشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم ضد الفرح » . وقيل : أصل الحزن : غلظ الهم ، من الحزن ، وهو ما غلظ من الأرض »[٧]. وقال بعضهم : « جمعت هذه الجملة على اختصارها شيئاً كثيراً من المعاني ، لأن قوله : (**فإما يأتينكم مني هدىً/٣٨**) دخل فيه الإنعام بجميع الأدلة

---

(١) الموجود في كشف المعاني (١٨) إلى هنا فقط .

(٢) وقرأ بها أبو الطفيل ، وعبد الله بن أبي إسحاق ، وعاصم الجحدري ، وعيسى بن عمر الثقفي . -المحتسب (٧٦) ، وابن خالويه (٥) .

(٣) هي قبيلة ، يقال لها هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، تفرقت في البلاد ، وأكثر أهل وادي نخلة بالقرب من مكة من هذيل . - الأنساب / للسمعاني (٥٨٩) . واللباب / لابن الأثير الجزري (٣/٣٨٣) .

(٤) المزمل (١٦) . (٥) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/١٤١) بتصرف وإيضاح .

(٦) المفردات (١٦١ ، مادة : خوف) بتصرف .

(٧) الذي وجدته في المفردات (١١٥ - مادة : حزن) هو قوله : « الحزن ، والحزن : خشونة في الأرض ، وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم ويضاده الفرح » .



العقلية والشرعية ، وجمع قوله : (**فمن تبع هداي/٣٨**) تأمل الأدلة ، والنظر فيها ، واستنتاج المعارف منها ، والعمل بها ، وجمع قوله : (**فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون/٣٨**) جميع ما أعده الله تعالى لأوليائه ، لأن زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات وزوال الحزن يقتضي الوصول إلى كل اللذات والمرادات ، وقدم عدم الخوف على عدم الحزن لأن زوال ما لا ينبغي مقدم على طلب ما ينبغي ، فإن قيل : كيف نفى الخوف عنهم ، والأحاديث ناطقة بأن المتقين -حتى الأنبياء- يحذرون في الآخرة ويخشون ، يقول كل منهم : نفسي نفسي[1] .

أجيب : بأنه لا إشكال على القراءة المشهورة ، إذ لا تفيد الاستغراق ، وقرىء (**لا خوف**) بالفتح[2]، على إفادته ، تنزيلاً للخوف الذي يعقبه الأمن الدائم ، منزلة العدم . وفي قوله (**عليهم/٣٨**) إشارة إلى أن الخوف الذي يحصل لهم من أهوال الموقف ، يسير بالنسبة إلى ما يحصل للكافرين ، فلا يستعلي عليهم . ولما وعد المتمتع بعدم الخوف والحزن عقبه بإيعاد الذين كفروا وكذبوا في قوله : (**والذين كفروا/٣٩**) الآية .

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في دعوة ، فرفع إليه الذراع -وكانت تعجبه- فنهس منها نهسة وقال : أنا سيد القوم يوم القيامة ، هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ، فيقول بعض الناس : أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، وما بلغنا ، فيقول : ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً ، أما ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما بلغنا ، ألا تشفع لنا إلى ربك ، فيقول : ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ، نفسي نفسي ، ائتوا النبي ﷺ ، فيأتوني فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه .

- البخاري (٤/١٠٥ - ١٠٦) باب : قول الله تعالى : **(إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذابٌ أليمٌ)** . - كتاب : الأنبياء .

(٢) الزهري وعيسى الثقفي ويعقوب . - البحر (١/١٦٩) .



وقيل : وقد حذف من الكلام الأول ، ما أثبت في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت في الأول ، والتقدير : فمن تبع هداي ، فلا خوف عليهم ، ولا حزن ، وهم أصحاب الجنة . والذين كفروا وكذبوا ، يلحقهم الخوف والحزن ، وهم أصحاب النار ، وهذا يسمى في فن البديع بالاحتباك[1] . وحذف « الفاء » من « أولئك » استغناء بوجودها في الجملة الأولى : كراهة توالي متماثلين في اللفظ فيما ليس بلازم . الطيبي : « كان من حق هذا الكلام أن يذكر قبل ذكر التوبة ، لأنه وقع عند الأمر بالهبوط ، والتوبة إنما صدرت ، وهو على الأرض لكن قدمت للدلالة على مزيد الاهتمام بشأنها ، وللإيذان بأن الذنب مما يجب أن يحترز منه ، وعلى تقدير صدوره ، يجب أن يعقب بالتوبة ، ولا يمهل ، فالتقدير : قلنا ذلك فهبط آدم ، فتلقى ، فتاب » . الإمام : « قرن هذا الكلام بالأمر بالهبوط إنعاماً على آدم وحواء ، كأنه قيل : إن أهبطتكم من الجنة إلى الأرض ، فقد أنعمت عليكم بما يردكم إلى الجنة »[2] ، قال بعضهم : « وفي (مني) شبه التفات ، للانتقال من « نا » إلى « الياء »[3] . (يا بني إسرائيل/ ٤٠) لما أقام سبحانه دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وضمنها ذكر الإنعامات العامة ، عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود ، كسراً[4] لفسادهم ، ولأن الخطاب في السورة معهم ، لأنها نزلت بالمدينة ، وهم بها ، فذكرهم أولاً تلك النعم على سبيل الإجمال ، وأمرهم بالوفاء بالعهد ، الذي أخذه عليهم في محمد -ﷺ- وبالإيمان به ، وبكتابه ، ونهاهم عن الكفر به ، والاستبدال به ، وخلط الحق بالباطل وكتم الحق ، وأمرهم بالصلاة والزكاة ، اللذين هما أساس العبادات ووبخهم على مخالفة قولهم فعلهم ، وأرشدهم إلى ما يعينهم على

(١) الاحتباك : هو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، فيحذف من واحد منهما مقابله ، لدلالة الآخر عليه .
- البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٢٩) ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، للدكتور أحمد مطلوب (١/ ٥٥ - ٥٦) .

(٢) التفسير الكبير (٣/ ٢٨) بمعناه .

(٣) هذا قول أبي حيان بمعناه ، ونصه كما في البحر (١/ ١٦٨) : « .. وهذا شبيه بالالتفات ، لأنه انتقل من الضمير الموضوع للجمع أو المعظم نفسه إلى الضمير الخاص بالمتكلم المفرد » .

(٤) في (ب) : وكسراً .



تهذيب أنفسهم ثم ذكرهم ثانياً على سبيل الإجمال أيضاً ، تنبيهاً على غاية غفلتم ثم أردف هذا التكرير بالترهيب البالغ ، ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل ، وهذا هو النهاية في حسن الترتيب . (**اذكروا/٤٠**) قرئ (اذكروا) بالتشديد[١] ، مبالغة . (**نعمتي/٤٠**) ، وقال لهذه الأمة : (**فاذكروني/١٥٢**) تنبيهاً على فضلها ، لأن عبيد المنعم أجل من عبيد النعم ، ولهذا قيل : عبيد النعم كثير ، وعبيد المنعم قليل . والذكر : بالكسر والضم ، لغتان لما باللسان ، وما بالقلب ، وقيل : المكسور باللسان ، وضده الصمت ، والمضموم بالقلب ، وضده النسيان[٢] . (**التي أنعمت عليكم/٤٠**) جرياً على قاعدة العرب من نسبة ما للآباء إلى الأبناء يقولون لبعضهم : هزمناكم يوم كذا ، أي هزم آباؤنا آباءكم . قال الفرزدق[٣] :

وبيتان بيت الله ، نحن ولاته[٤]

يريد أن آباءه في القديم ولوه . (**وأوفوا بعهدي ، أوف بعهدكم/٤٠**) قرأ الزهري[٥] (**أوف**) بالتشديد[٦] . قال ابن جني : « وهو أبلغ من المخفف فكأنه قال : أوفوا بعهدي ، أبالغ في توفيتكم ، فهو ضمان منه سبحانه أن يعطي الكثير عن

---

(١) عن يحيى بن وثاب . - ابن خالويه (٥) .

(٢) ذهب الفراء إلى هذا التفريق بين الذكر ، بالكسر والضم . - لسان العرب (٤/٣٠٨ ، مادة : ذكر) .

(٣) هو أبو فراس ، همام بن غالب التميمي الدارمي ، لقب بالفرزدق ، لجهامة وجهه وغلظه . شاعر عظيم الأثر في اللغة ، من أهل البصرة ، وقد وقعت بينه وبين جرير والأخطل مهاجاة أشهر من أن تذكر . توفي سنة ١١٠هـ .

- البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون - انظر فهرسته : الفرزدق ، وخزانة البغدادي (١/١٠٥ - ١٠٨) ، الأعلام (٩/٩٦) .

(٤) والشطر الثاني هو : وبيت بأعلى إيلياء مشرف . - ديوان الفرزدق (٢/٣٢) .

(٥) هو أبو عبد الله ، محمد بن أحمد الزهري الأندلسي الإشبيلي . زار مصر والشام وبلاد الجزيرة وبغداد وغيرها ، وكان عالماً بالأدب له شعر ومقامات وتصانيف ، من كتبه : « البيان والتبيين في أنساب المحدثين » ، و« البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن » . قتله التتار سنة ٦١٧هـ . - نفح الطيب (١/٤٣٠) ، وبغية الوعاة (١١) ، كشف الظنون (١٣٦ ، ٢٦٢) .

(٦) مع فتح الواو - كما في ابن خالويه (٥) .



القليل ، كقوله : ﴿ من جاء بالحسنة ، فله عشر أمثالها ﴾[1] »[2] . قال بعضهم : « يقـال في العهد وفى ، ووفي ، وأوفى ، وفي الكيل أوفى ، لا غير »[3] . قال ابن جريج[4] : « وهو العهد الذي أخذه عليهم في المائدة في قوله : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ﴾[5] الآية . أخرجه ابن جرير[6] . وقال بعضهم : إطلاق العهد على وعد الله تعالى من مجاز المقابلة ، على حد ﴿ وجزاء سيئة سيئة ﴾[7] ، والعلاقة أن وعده لا يخلف ، فأشبه الملتزم كالعهد .

﴿ وإياي فارهبون/ ٤٠ ﴾ هو آكد في إفادة الاختصاص من ﴿ إياك نعبد ﴾[8] لما فيه من تقـديم الضمـير المنفصل ، وتأخير المتصل ، والفاء الموجبة معطوفاً عليه ، تقديره : وارهبوا إياي ، وأن أحدهما مضمر ، والآخر مظهر ، وما في ذلك من تكرار الـرهبـة . ﴿ وآمنـوا بما أنزلت/ ٤١ ﴾ من عطف الخاص على العام للاهتمام بشأنه والحث عليه ، ﴿ ولا تكونوا أول كافرٍ به/ ٤١ ﴾ أي من أهل الكتاب ، وإلا فقد تقـدمهم كفـر العـرب[9] به أو الضمـير لما معكم[10] . ﴿ ولا تشـتروا بآيـاتي ثمنـاً

(١) الأنعـام (١٦٠) . (٢) المحتسب (١/ ٨١) بقليل من الاختصار .

(٣) راجع اللسان (١٥/ ٣٩٨ - مادة : وفي) . - روح المعاني (١/ ٢٤٣) .

(٤) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، رومي الأصل من موالي قريش ، مكي المولد والوفاة ، كان إمام أهل الحجاز في عصره ، وفقيه الحرم المكي ، قال الذهبي عنه : كان ثبتاً لكنه يدلس ، توفي سنة ١٥٠هـ . - تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٠) ، وصفة الصفوة (٢/ ١٢٢) ، ودول الإسلام ، للذهبي (١/ ٧٩) .

(٥) المائـــدة : (١٢) .

(٦) جامع البيـان (١/ ٥٥٨) بمعنـاه .

وقد ذكر العلماء في المراد من «العهد» في الآية عدة أقوال أوصلها أبو حيان إلى أربعة وعشرين قولاً ، أجمعها ما قاله الجمهور من أن ذلك عام في جميع أوامره ونواهيه ووصاياه . فيدخل في ذلك ، ذكر محمد -ﷺ- الذي في التوراة .

- البحر المحيط (١/ ١٧٤ - ١٧٥) ، والمحرر الوجيز ، لابن عطية (١/ ٢٦٨ - ٢٦٩) ، وانظر فتح القدير للشوكاني (١/ ٧٤) .

(٧) الشـــورى (٤٠) .

(٨) الفاتحـة : (٥) .

(٩) في (أ) : المغربا - وما أثبتناه من (ب) .

(١٠) القول بأن ضمير « الهاء » في (ولا تكونوا أول كافر به) راجع لما معكم ، حكاه الزمخشري ولم يذكر قائله . =



قليلاً/٤١) استعارة للاستبدال ، كما تقدم في (**اشتروا الضلالة بالهدى/١٦**) ، وذكر الثمن ترشيح ، و(**قليلاً/٤١**) للشناعة عليهم وأنهم استبدلوا الخسيس بالنفيس . (**وإياي فاتقون/٤١**) قريباً من قوله : (**وإياي فارهبون/٤٠**) والفرق أن الرهبة عبارة عن الخوف . وأما الاتقاء فإنما يحتاج إليه عند الجزم بحصول ما يتقى منه فكأنه تعالى أمرهم بالرهبة بأن جواز العقاب قائم ، ثم أمرهم بالتقوى لأن تيقن العقاب[1] قائم[2] » . وقيل : الفرق أن الرهبة مقرون بها وعيد بالغ . الراغب : « الرهبة مخافة مع تحرز واضطراب[3] » ، قال : « وهي دون التقوى ، فلما خاطب الكافة عالمهم ومقلدهم ، وحثهم على النعمة التي يشتركون فيها ، أمرهم بالرهبة التي هي مبادي التقوى ، ولما خاطب العلماء منهم ، وحثهم على مراعاة آياته ، أمرهم بالتقوى ، التي هي منتهى الطاعة »[4] . (**وتكتموا الحق/٤٢**) يحتمل النصب والجزم[5] ، وقرىء (**تكتمون**)[6] . (**وآتوا الزكاة/٤٣**) الراغب : « الإيتاء : الإعطاء ، وخص دفع الصدقة في القرآن بالإيتاء »[7] .

= - الكشاف (١/٢٧٦) . كما أني لم أعثر على قائله فيما اطلعت عليه من مراجع . وهذا القول مردود بأن هذا واقع في مقابلة (**آمنوا بما أنزلت**) فيقتضي اتحاد متعلق الكفر والإيمان - كما في الألوسي . - روح المعاني (١/٢٤٥) .

ولعل القول بأن المقصود بالأولية هنا ، هي بالنسبة لأهل الكتاب ، لعل هذا القول هو الأرجح ، فيهود المدينة هم أول أهل الكتاب كفراً به . - وانظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (١/٨٣) . - وفتح القدير ، للشوكاني (١/٧٤) .

(١) بالنسختين : « الخطايا » ، وما أثبتناه من البحر (١/١٧٩) .

(٢) نسب أبو حيان هذا التفريق بين الرهبة والاتقاء إلى صاحب المنتخب . وقد شرح أبو حيان هذه العبارة بقوله : « ومعنى جواز العقاب هناك ، وتعيينه هنا ، أن ترك ذكر النعمة والإيفاء بالعهد ظاهره أنه من المعاصي التي تجوز العقاب ، إذ يجوز أن يقع العفو عن ذلك . وترك الإيمان بما أنزل الله تعالى ، وشراء الثمن اليسير بآيات الله من المعاصي التي تحتم العقاب وتعينه ، إذ لا يجوز أن يقع العفو عن ذلك ، فقيل في ذلك (**فارهبون**) ، وقيل في هذا (**فاتقون**) » . - البحر (١/١٧٩) .

(٣) المفردات (٢٠٤) ، مادة : رهب .

(٤) لم أعثر على هذا الكلام في المفردات .

(٥) انظر : الأدفوي (٩٢ - أ) ، ومعالم التنزيل ، للبغوي (١/٥٣) ، وجامع البيان (١/٥٦٩) .

(٦) عن عبد الله بن مسعود ، البحر (١/١٨٠) .

(٧) المفردات (٩ - مادة : أتى) .

(**واركعوا مع الراكعين/٤٣**) صرح به بعد ذكر الصلاة ، فإن اليهود لا ركوع في صلاتهم[1] ، أو حثاً على الطاعة . (**أتأمرون الناس بالبر ، وتنسون أنفسكم/٤٤**) القاعدة أن المنكر بالهمزة ، يجب أن يليها ، وقد أشكل على ذلك ، هذه الآية ، فإنه إن كان المنكر أمر الناس بالبر فقط كما تقتضيه القاعدة المذكورة ، فمشكل ، لأن أمر البر ليس مما ينكر أو نسيان النفس فقط ، فكذلك ، لأنه يصير ذكر أمر الناس بالبر لا مدخل له ، أو مجموع الأمرين ، لزم أن يكون العبادة جزء من المنكر أو نسيان النفس بشرط الأمرين . ورد أن النسيان منكر مطلقاً ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشد منه حال عدم الأمر ، لأن المعصية لا تزداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة ، فأكثر العلماء على أن الأمر بالبر واجب ، وإن كان الإنسان ناسياً لنفسه . وظهر لي في الجواب أن يقال: يحتمل أن يكون من المقرر عندهم في التوراة أن الأمر شرطه الامتثال ، وأنه إذا لم يفعل ما أمره به ، يكون أمره غير معتد به ، ولا مثاب عليه ، وإن كان شرعنا بخلافه ، فوردت الآية على نسق ما عندهم . وجواب ثان ، وهو أن البر المذكور ، هو الإيمان بمحمدٍ ، ولما لم يؤمنوا لم يكن أمرهم به طاعة ، لأن شرطها الإيمان ، وطاعات الكافر غير محسوبة له ، فانتفى بذلك إشكال الإنكار عند ضم الطاعة ، وقال البيضاوي : « المقصود من الآية حث الواعظ على تزكية النفس ، والإقبال عليها بالتكميل لا منع الفاسق من الوعظ ، فإن الإخلال بأخذ الأمرين المطلوبين ، لا يوجب الإخلال بالآخر[2] » .

---

(١) لم أجد دليلاً على هذا فيما اطلعت عليه ، بل إن من العلماء من رد هذا القول بقوله تعالى : (**يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**) آل عمران/٤٣ .

وعلى أي حال ، لعل الأصوب أن يقال لما كان الركوع من أركان الصلاة ، فإن القرآن عبر عن الصلاة بالركوع من باب المجاز ، وعلى ذلك يكون المعنى هنا : صلوا مع المصلين ، وفي هذا حث لهم على حضور صلاة الجماعة ، بعد أمرهم سابقاً بإقامة الصلاة .

- انظر المحرر الوجيز ، لابن عطية (١/٢٧٤ - ٢٧٥) ، - وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (١/٨٥) ، - وفتح القدير ، للشوكاني (١/٧٧) .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/١٥٤) باختصار وتصرف .



والبر : اسم جامع لجميع أنواع الخير ، كما أن الفجور اسم جامع لجميع أنواع الشر ، وفي قوله : (**تنسون/ ٤٤**) استعارة تبعية[١] ، أي تتركونها كالشيء المنسي ، وإلا فالإنسان لا ينسى نفسه ، وفائدة الاستعارة المبالغة والإنذار بأنهم تركوا تزكية أنفسهم ترك المنسي الـذي لا يخطر بالبـال . (**وأنتم تتلون الكتـاب/ ٤٤**) فرق بعضهم بين القراءة والتلاوة ، بأن القراءة أصلها جمع الحروف ، والتلاوة أصلها اتباع الحروف ولا يستلزم الجمع الاتباع[٢] . (**واستعينوا/ ٤٥**) عطف على الأوامر قبله . وجملة (**أتأمرون**) الآية كالمفترضة . (**بالصبر/ ٤٥**) هو حبس النفس على ما تكره ، فيشمل الصبر على الطاعات ، وعن المعاصي وعلى البلايا ، فهو من جوامع الكلم . (**والصـلاة/ ٤٥**) أفـردها بالذكر تعظيماً لشأنها ، واستجماعها ضروباً من الصبر ، ومصداق الاستعانة بها على الطاعة أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . الراغب : « الصلاة جامعة للعبادات ، وزائدة عليها ، لأنها لا تصح إلا ببذل مال فيما يطهر به البدن ويستر به العورة ، وذلك يجري مجرى الزكاة ، وبإمساك في مكان مخصوص وذلك يجري مجرى الاعتكاف ، وإمساك عن المفطرات من الأكل والشرب والجماع ، وذلـك يجري مجرى الصـوم ، وتـوجه إلى الكعبة ، يجري مجرى الحج ، وذكر الله ورسوله يجري مجرى الإيمان ، ومجاهدة في دفع الشيطان ، يجري مجرى الجهاد ، وفيها ما ليس في شيء من العبادات الأخر من وجوب القراءة ، وإظهار الخشوع والركوع والسجود ، ومناجاة الرب ، وعدم الالتفات ، لأنه قائم بين يدي الحضرة إلى غير ذلك ، ولذلك قال -عليه السلام-: (وجعلت قرة عيني في الصلاة)[٣] ولا شيء

---

(١) الاستعارة هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه ، والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي .
ومن أنواع الاستعارة ، الاستعارة التبعية ، وهي فيما إذا كان اللفظ المستعار فعلاً ، أو اسم فعل ، أو اسماً مشتقاً ، أو اسماً مبهماً ، أو حرفاً . - جواهر البلاغة (٣٠٣ ، ٣١٠) .

(٢) انظر : اللسان (١/ ١٢٨ ، مادة : قرأ)، (١٤/ ١٠٢ ، مادة : تلا) .

(٣) روى الإمام أحمد عن أنس أن النبي -ﷺ- قال : (حبب إليّ من الدنيا النساء ، والطيب ، وجعل قرة عيني في الصلاة) .
- المسند (٣/ ١٢٨) .

=

من العبادات يقتل بتركها بعد الإيمان سواها »[1] .

وقيل : المراد بالصلاة الدعاء والالتجاء[2] ، وقيل : المراد بالصبر الصوم ، ومنه قيل لرمضان شهر الصبر[3] ، وقدّم على الصلاة ، لأن تأثيره في التخلية عما لا ينبغي ، وتأثيرها في التحلية بما ينبغي ، والتخلية مقدمة على التحلية . (وإنها لكبيرة/ ٤٥) الضمير للاستعانة . وقيل : للصلاة[4]. وقيل : لها وللصبر تنزيلاً لهما منزلة الجمع ، لعدم الالتباس وقيل : التقدير : واستعينوا بالصبر ، وإنه لكبيرة ،

= وذكره السيوطي في الجامع الصغير مع فرق قليل جداً ، وزاد نسبته إلى النسائي والحاكم والبيهقي ، وحكم عليه بالحسن .
- فيض القديـر (٣/ ٣٧٠) .

(١) لم أعثر على كلام الراغب هذا فيما اطلعت عليه .

(٢) قد جوز الزمخشري هذا القول بعد أن فسر الصلاة هنا بالقول السابق الذكر . - الكشاف (١/ ٢٧٨) .
وفي نظري أن تفسير الصلاة بهذا القول الثاني بعيد ، وأن الأصوب هو القول الأول ، وهو أن الصلاة هنا هي الصلاة المعروفة ، المفتتحة بالتكبير ، المختتمة بالتسليم ، وهي متضمنة للدعاء والالتجاء إلى الله ، فهذا هو الظاهر من إطلاق لفظ الصلاة .
- انظر روح المعاني (١/ ٢٤٩) .

(٣) قاله مجاهد . - المحرر الوجيز (١/ ٢٧٧) .
ويجوز أن يكون المراد بالصبر هنا : الصوم ، وذلك بقرينة ذكره مع الصلاة ، كما قال الألوسي في روح المعاني (١/ ٢٤٩) .

(٤) هذا الذي يقتضيه الظاهر - كما قال الألوسي في المرجع السابق .
وقد عزا ابن الجوزي هذا القول إلى ابن عباس والحسن ومجاهد والجمهور - زاد المسير (١/ ٧٦). وهو اختيار الطبري (٢/ ١٥) .
وقال ابن كثير - بعد أن ذكر هذا القول السابق - : « ويحتمل - أي الضمير - أن يكون عائداً على ما يدل عليه الكلام ، وهو الوصية بذلك ، كقوله تعالى -في قصة قارون- : **(وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ، ولا يلقاها إلا الصابرون)** وقال تعالى : **(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)**. أي وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا . . » تفسير القرآن العظيم (١/ ٨٧) .
وهو قريب من القولين الآخرين - اللذين ذكرهما المؤلف هنا - ولكن يبدو أن الراجح هو القول الأول ، لأن الصلاة هي أقرب مذكور ، والقاعدة في العربية أن ضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل ، كما قال أبوحيان في البحر (١/ ١٨٥) .



والصلاة ، وإنها لكبيرة ، فاكتفى بذكر أحدهما . (**إلا على الخاشعين/٤٥**) الخشوع : الإخبات والتطامن ، وأما الخضوع ، فاللين والانقياد[١] . الراغب : الخشوع : ضراعة ، وأكثر ما يستعمل فيما يوجد في الجوارح ، والضراعة أكثر ما يستعمل فيما يوجد في القلب[٢] » . وقال الليث[٣] : « الخشوع قريب من الخضوع ، إلا أن الخشوع في القلب والبصر والصوت . والخضوع في البدن . ومدار خشع على السكون »[٤] . وقال بعضهم : « الخاشع من حصل في نفسه هيئة ظهر عنها في جوارحه سكون وتواضع لله » .

وقال الزجاج[٥] : « الخاشع الذي يرى عليه أثر الذل والخضوع[٦] » (**الذين يظنون/٤٦**) فيه إطلاق الظن على اليقين مجازاً ، وقرأ ابن مسعود (يعلمون)[٧] (**أنهم ملاقوا ربهم/٤٦**) قال الواحدي : « الملاقاة واللقاء حيث ذكرا في القرآن ، فالمراد بهما البعث » . وفي الإضافة إلى الرب ، وإضافته إليهم من الإشعار بالبر والإحسان ما لا يحصل لو أضيف إلى غير الرب ، أو لم يضف رب إليهم » . (**يا بني إسرائيل/٤٧**) الآية ، أعاد التذكير بالنعمة توكيداً ، وقرنه بنعمة عظيمة ، وهو تفضيلهم على عالمي زمانهم . (**واتقوا يوماً/٤٨**) أي عقاب يوم ، لأن اليوم لا

---

(١) انظر اللسان (٨/ ٧١ ، مادة : خشع) .

(٢) المفردات (١٤٨ ، مادة : خشع) بتصرف .

(٣)

(٤) بالبحر (١/ ١٨٢) : «وقال الليث : الخضوع في البدن ، والخشوع في البدن والبصر والصوت ، والخشعة : الرملة المتطامنة . . » .

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل ، عرف بالزجاج ، لأنه كان في شبيبته يخرط الزجاج ثم رغب على النحو ، فلزم « المبرد » . جعله عبيد الله بن سليمان -وزير الخليفة المعتضد- مؤدباً لابنه القاسم ، فلما وزر القاسم بعد وفاة أبيه اتخذ الزجاج كاتباً له .

- من مؤلفاته كتاب : «سر النحو» ، و «فعلت وأفعلت» ، و « إعراب القرآن ومعانيه » . قيل توفي سنة ٣١١هـ .

- تاريخ العلماء النحويين (٣٨ - ٤٠) ، - وتاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان (٢/ ١٧١ - ١٧٢) .

(٦) في معاني القرآن ، للزجاج (١/ ١٢٥) : « والخاشع المتواضع المطيع المجيب » ووجدت النص المذكور هنا في الجامع ، للقرطبي (١/ ٣٧٤) بنحوه .

(٧) البحر (١/ ١٨٥) .



يتقى . قال القشيري[1] : « خوف الله الخواص بصفته ، فقال : (**وسيرى الله عملكم**)[2] وخواص الخواص بنفسه ، فقال : (**ويحذركم الله نفسه**)[3] ، والعوام بأفعاله[4] ، بقوله : (**واتقوا يوماً**) ، (**واتقوا النار**[5]) »[6] .

(**لا تجزي/٤٨**) أي فيه . وقرىء بضم أوله والهمز[7] ، فالأول لغة الحجاز ، والثاني لغة تميم . وقيل : الأول بمعنى تقضي وتكافىء ، والثاني بمعنى تغني . (**نفسٌ عن نفسٍ شيئاً/٤٨**) في تنكير الثلاثة من التخويف ما لا يخفى (**ولا يقبل منها شفاعةٌ ولا يؤخذ منها عدلٌ/٤٨**) قدّم هنا قبول الشفاعة على أخذ الفدية ، وعكس فيما سيأتي تفنناً[8] . وقال ابن جماعة : « الضمير في (منها / ٤٨) في هذه الآية (راجع إلى النفس الأولى ، وفي الآتية)[9] راجع إلى النفس الثانية ، فكأنه بيّن هنا أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا تقبل منها شفاعتها ، ولا يؤخذ منها عدل عنها ، لأن الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل ، فقدم الشفاعة ، وبيّن في الآية الآتية أن النفس المطلوبة بجرمها ، لا تقبل منها عدل عن نفسها ، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها . وقدم بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند رده ، ولذلك قال هنا : (**لا يقبل منها شفاعة/٤٨**) ، وهناك : (**ولا تنفعها شفاعة/١٢٣**) ، لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع ، وإنما تنفع المشفوع له »[10] . الرازي : « الوجوه التي يتلقى بها المكاره ، وتداوى بها الشدائد ، أربعة ، فإن الإنسان إذا دفع إلى كريهة ذب عنه

---

(١) هو أبو القاسم ، زين الإسلام ، عبد الكريم بن هوزان النيسابوري القشيري ، شيخ خراسان في عصره ، زهداً وعلماً بالدين ، من كتبه « التيسير في التفسير » ، و« لطائف الإشارات » ، و« الرسالة القشيرية » . توفي سنة ٤٦٥هـ . - طبقات السبكي (٣/٢٤٣ - ٢٤٨) ، وتاريخ بغداد (١١/٨٣) ، الوفيات (١/٤٢٨) .

(٢) التوبـة : (٩٤) . (٣) آل عمران : (٢٨) .

(٤) كلمة « بأفعاله » ليست في النسختين ، وإنما أضفتها من كتاب القشيري (١/٨٨) .

(٥) آل عمران : (١٣١) .

(٦) لطائف الإشارات ، للقشيري (١/٨٨) بتصـرف .

(٧) عن أبي السمال ، - ابن خالويـه (٥) .

(٨) في (ب) : يقيناً . (٩) ما بين القوسين غير موجود في (أ) .

(١٠)



أصدقاؤه وعشيرته بما في أنفسهم من الحمية ، كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته وجلده ، فإن لم يكن لهم يد بالمدافعة ولا جلد على الممانعة عاد[1] بوجوه الضراعة ، وصنوف المسألة والشفاعة فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة ، فإن لم يغن عنه ذلك شيئاً لم يبق بعدها إلا الفداء بالمال ، والفك من الأسر ، فإن لم تغن عنه الثلاثة تعلل بما يرجوه من نصر في الآجل ، وإدالة في الخاتمة »[2] فذكر تعالى في هذه الآية هذه[3] المراتب على الترتيب ، فبدأ بأنه لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ، ثم ثنى بأنه لا تقبل منها شفاعة ، ثم ثلث بأنه لا يؤخذ منها فداء ، ثم ختم بأنهم لا ينصرون قطعاً لرجائهم ، وإذهاباً لطمعهم . وقال صاحب المناجاة : « لما كانت عادة العرب تختلف في دفع المكاره ، فمنهم من يقدم الشفاعة على الفداء ، ومنهم من يقدم الفداء على[4] الشفاعة لأن في نفسه زيادة إباء ، سلك في الآية الأولى طريقة أولئك ، وفي الثانية طريقة الآخرين ». قال : « أو يقال سلك فيهما مسلك العكس والتبديل ، وهو من محسنات الكلام » . قال : « وهذا الوجه يطرد في جميع ما وقع فيه تقديم وتأخير» . انتهى .

قلت : ولو جعل الضمير في قوله هنا : **(ولا يقبل منها شفاعة/٤٨)** للنفس الأولى الجازية وفي قوله : **(ولا يؤخذ منها عدل/٤٨)** للنفس الثانية المجزي عنها ، لكان وجهاً حسناً ويكون فيه لف ونشر مرتب .

وذكر هنا مع الشفاعة القبول ، وفي الآية الأخرى النفع ، ومع العدل الأخذ ، وهنا القبول ، نفياً للشيء ، بطريقي نفيه ، انتفاء أصله ، وانتفاء ما يترتب عليه ، فالنفع والأخذ مرتبان على القبول ، وبدىء بنفي القبول في الموضعين ، لأنه الأصل ، وجمع ضمير النفس باعتبار النفوس الكثيرة التي دلت عليها النفس المنكرة ،

---

(١) في (أ) : عائد .

(٢) التفسير الكبير (٣/٥٧) بتصرف .

(٣) عبارة : الآية هذه - غير موجودة في (أ) .

(٤) كلمة « على » غير موجودة في (أ) .



وذكـره باعتبـار معنى العبـاد والأنـاس . وقـرىء : (ولا يقبـل) بالتحتية مبنياً للفـاعل[1] . و (شفاعة) بالنصب . وفيه التفات ، والعدل : بالفتح ما يعدل به الشيء من غير جنسـه ، والنصر أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر . قال الواحدي : « المعونة قد تكون على صناعة ، والنصر لا يكون إلا مع منازعة » .

وفي الآية نوع طبـاق ، فإن في الشفـاعـة تذلل ، وفي المناصرة تعزز . (**وإذ نجينـاكم من آل فرعـون/ ٤٩**) شروع في تفضيل تلك النعمـة ، لأنـه أبلغ في التـذكـير ، وأعـظم في الحجـة ، ونعمـة الإنجاء أول النعم بالنسبة إلى ما بعدها فقدمت . وقرىء (**أنجيناكم**) و (**نجيتكم**)[2] . والآل أخص من الأهل من حيث أنه لا يقال إلا لذي الخطر ، كالأنبياء والملوك والعقل ، فلا يقال آل مكة ، ولا آل المدينة ، ولهذا يقال أهل العلم ، لا آل العلم .

وأعم من جهة شموله للقرابة والأتباع . و (**فرعون/ ٤٩**) قال المسعودي[3] : « لا يعرف له تفسير بالعربية »[4] . وقيل : إنه بلغة القبط : التمساح[5] .

---

(١) عن قتادة . ابن خالويـه (٥) .

(٢) نسبها ابن خالويه إلى إبراهيم النخعي . - ابن خالويه (٥) .
وقد نسب أبو حيان القراءة الأولى إلى إبراهيم النخعي أيضاً ثم قال : «وذكر بعضهم أنه -أي إبراهيم النخعي- قرأ (أنجيتكم) .
- البحر (١/ ١٩٢) .

(٣) هو أبو الحسن ، علي بن الحسين بن علي المسعودي ، من ذرية عبد الله بن مسعود ، من أهل بغداد ، أقام بمصر ، وتوفي فيها ، وهو مؤرخ رحالة بحاثة ، وكان معتزلياً .
من مصنفاته : « مروج الذهب » و « أخبار الزمان ومن أباده الحدثان» ، توفي سنة ٣٤٦هـ . - فوات الوفيات (٢/ ٤٥) ، ولسان الميزان (٤/ ٢٢٤) ، طبقات الشافعية (٢/ ٣٠٧) .

(٤) نسبـه القـرطبي إلى المسعـودي - الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٨٣) . لم أجد ذلك في « مروج الذهب» للمسعودي ، وإنما ما وجدته فيه ، هو قوله : « وسألت جماعة من أقباط مصر . عن تفسير «فرعون» فلم يخبروني عن معنى ذلك ، ولا تحصل لي في لغتهم ، فيمكن -والله أعلم- أن هذا الاسم كان سمة ملوك تلك الأعصار وأن تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية ، وهي الفارسية الأولى إلى الفارسية الثانية ، وكاليونانية إلى الرومية ، وتغير الحميرية ، وغير ذلك من اللغات » . - مروج الذهب (١/ ٢٦٦) .

(٥) حكاه صاحب اللسان (١٣/ ٣٢٣) مادة : فرعن .



(**يسومونكم/٤٩**) الراغب : « السّوم : الذهاب في ابتغاء السّوم ، فهو لفظ لمعنى مركب ، من الذهاب والابتغاء ، فأجري مجرى الذهاب في سامت الإبل ومجرى الابتغاء في ساقه ذلاً »[١] . (**سوء العذاب/٤٩**) عبّر بسوء ، لأنه اسم جامع لجميع الآفات ، والداء وكل مستقبح . (**يذبحون/٤٩**) وفي سورة إبراهيم ، قال : (**ويذبحونَ/٦**) ، قال الفراء : « الموضع الذي طرحت منه الواو تفسير لسوم العذاب ، والموضع الذي فيه الواو ، بين[٢] أنه قد مسهم من العذاب غير الذبح[٣] ، من الاستخدام في الأعمال الشاقة ، فكأنه قال : يعذبونكم بالذبح ، وبغير الذبح . وخص ذلك بما في سورة إبراهيم لأنه من قول موسى لهم ، يذكرهم بأيام الله ، كما أمره الله ، فناسب ذلك الإطناب . وقرىء (**يذبحون**) مخففاً[٤] ، و(**يقتلون**) مشدداً[٥] . (**ويستحيون نساءكم/٤٩**) أصله للبالغات ، وأطلق هنا على أطفال الإناث تسمية للشيء بما يؤول إليه ، فإن البنات لما لم يقتلن ، وصلن إلى حد النساء ، ووجه البلاء فيه ، أن الاستبقاء للاسترقاق والإذلال محنة عظيمة . (**وفي ذلكم بلاءٌ/٤٩**) البلاء : مشترك بين النعمة والنقمة ، ويصلحان هنا ، فعلى الأول ، تكون الإشارة إلى الإنجاء ، وعلى الثاني إلى السّوم . وأشار الراغب إلى أنهما معاً مرادان هنا ، من باب استعمال المشترك في معنييه ، فإنه قال : « وقوله (**وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم/٤٩**) راجع إلى المحنة التي في قوله (**يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم/٤٩**) ، وإلى المحنة[٦] ، التي هي إنجاؤهم وكذا قوله : (**وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاءٌ مبينٌ**)[٧] راجع إلى الأمرين ، كما وصف كتابه بقوله : « **قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاءٌ**)[٨] الآية ، قال : « وسمي الغم بلاءً ،

---

(١) المفردات (٢٥٠) مادة : سام ، بتصرف وبمعناه .

(٢) في (ب) : يبين .

(٣) هذا الكلام ليس موجوداً بكتاب «معاني القرآن» للفراء ، وإنما رأيته في البحر (١/١٩٤) وأما ما بعد ذلك من كلام ، فلم أجده .

(٤) الزهري وجماعة . - ابن خالويه (٥) .

(٥) أي بدلاً من (يذبحون) - وهي قراءة عبد الله . - البحر (١/١٩٣ - ١٩٤) .

(٦) في (ب) : المحنة . (٧) الدخان (٣٣) . (٨) فصلت : (٤٤) .

من حيث أنه يبلي الجسم »[١] . (**وإذ فرقنا/ ٥٠**) قرأ الزهري بالتشديد[٢] . قال ابن جني : « ومعناه : جعلناه فرقاً ، ومعنى المخفف : شققنا »[٣] . (**وأغرقنا آل فرعون/ ٥٠**) المراد فرعون وآله فاكتفى بإضافة الثاني إلى الأول ، وهو من فنون كلام العرب ، سمع « راكب الناقة طليحان » ، أي الناقة وراكبها طليحان . (**وأنتم تنظرون/ ٥٠**) إلى انطباق البحر عليهم بعد خروجكم منه .

ومن غريب ما قيل فيه ، أنه متصل بقوله : (**ويستحيون نساءكم/ ٤٩**) على التقديم والتأخير[٤] . (**وإذ وعدنا موسى/ ٥٠**)[٥] وفي قراءة (واعدنا)[٦] ووجه المفاعلة فيه ، أن الله وعده الوحي ، وموسى وعده المجيء إلى الميقات . وقيل : هي هنا من جانب واحد . وقيل : الوعد من الله ، وقبوله من موسى ، فنزل قبول الوعد منزلة الوعد . وقيل : واعد من الموعد ، الأفصح فيه واعد ولا يشترط فيه التفاعل ، بخلاف الوعد والوعيد[٧] . (**أربعين ليلة/ ٥١**) ذكر الليل دون النهار ، لأن شهور العرب وضعت على سير القمر وهو ليلي وأول الشهر الليلة ، فصارت الأيام تبعاً . وقال النقاش : « لأنه قد أمر بصيام الأربعين ، فأتى بالليل ، ليعلم أنه قد أمر ألا يفطر فيه ، ليكون الصيام واصلاً »[٨] ، وفيه بعد . وقال غيره : « خص الليل

---

(١) المفردات (٦١ - مادة : بلى) بتصرف .

(٢) ابن خالويه (٥) .

(٣) المحتسب (١/ ٨٢) .

(٤) لم أجد هذا القول فيما اطلعت عليه .

(٥) كلمة (موسى) غير موجودة في (أ) .

(٦) هذه قراءة الجمهور ، وأما قراءة (وعدنا) -من غير ألف- فهي قراءة أبي عمرو التي ذهب أبوعبيدة إلى ترجيحها، وإنكار قراءة الجمهور بحجة أن المواعدة لا تكون إلا في البشر .
وهذا الكلام مردود بأمرين :
أولاً : لا وجه لترجيح إحدى القراءتين على الأخرى ، لأن كلاً منهما متواتر فهما في الصحة سواء .
ثانياً : أنه لا غضاضة أن يعد الآدمي الله تعالى .
- حجة القراءات (٩٦) ، وجامع البيان (٢/ ٥٨ - ٦٠) ، والمحرر (١/ ٢٩٠) ، والبحر (١/ ١٩٩) .

(٧) انظر الكشاف (١/ ٢٨٠) ، والبحر المحيط (١/ ١٩٩) .

(٨) المحرر الوجيز (١/ ٢٩١) بمعناه . وانظر الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٩٦) .



بالذكر لأنه أشرف من النهار ، ولأنه محل خلوة العالم ، والملوك وأسرارهم .

وقرىء (أربعين) بكسر الباء[1] ، لغة . (**ثم اتخذتم العجل/٥١**) أي إلهاً (**من بعده/٥١**) أي من بعد مضيه ، (**وأنتم ظالمون/٥١**) بوضعكم العبادة في غير موضعها (**ثم عفونا عنكم/٥٢**) العفو : محو الذنب ، الراغب : « العفو ، القصد لتناول الشيء ، وعفوت عنك ، كأنه قصد إزالة ذنبه صارفاً عنه فالمفعول في الحقيقة متروك ، و« عن » متعلق بمضمر ، فالعفو هو التجافي عن الذنب »[2] وقال غيره : « العفو يطلق بمعنى الترك ، وبمعنى الدروس وبمعنى السهولة ، وعفو الذنب يصح رجوعه إلى كل منها »[3] وقال ابن عطية[4] : « لا يستعمل العفو بمعنى الصفح إلا في الذنب »[5] . (**وإذ آتينا موسى الكتاب/٥٣**) أي التوراة . (**والفرقان/٥٣**) أي الفارق بين الحق والباطل وهو صفة للكتاب ، فعطفه عليه مراداً بهما التوراة ، من باب الكتابة ، التي يراد بها نفس[6] الموصوف . والواو هي الداخلة بين الصفات للإعلام باستقلال كل منهما[7] وقيل : أريد به الشرع ، الفارق بين الحلال والحرام ، فعطفه على الكتاب من باب التجريد[8] »[9] . ومن

---

(١) قرأ بذلك علي وعيسى بن عمر . - البحر (١/١٩٩) .

(٢) المفردات (٣٣٩ - مادة : عفا) باختصار وتصرف .

(٣) هذا كلام أبي حيان في البحر المحيط بمعناه (١/٢٠١) .

(٤) هو أبو محمد ، عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي ، مفسر ، فقيه ، له شعر ، ولي قضاء المرية ، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين .
من كتبه : «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» . توفي سنة ٥٤١ أو ٥٤٦هـ .
- نفح الطيب (١/٥٨٥) ، وكشف الظنون (٤٣٩ ، ١٦١٣) والأعلام (٤/٥٣) .

(٥) المحرر الوجيز (١/٢٩٥) (٦) في (أ) : نسق .

(٧) تفسير (الفرقان) هنا بالتوراة هو قول الزجاج (البحر ١/٢٠٢) ، وبدأ به ابن عطية (المحرر الوجيز ١/٢٩٥) .

(٨) التجريد : هو أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة ، أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها في المنتزع منه حتى أنه قد صار منها بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها . - جواهر البلاغة (٣٧٤) .

(٩) حكاه صاحب البحر المحيط عن ابن بحر (١/٢٠٢) .



الغريب قول الفراء ، إنه القرآن ، وإن التقدير : ومحمد الفرقان[1] » . وقال الزملكاني : « التقدير : وأتيناكم الفرقان ، لعلكم تهتدون بها آتيناه من الكتاب » . الراغب : « كل موضع ذكر في وصف الكتاب » آتينا « فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه « أوتوا » لأن أوتوا قد يقال إذا أوتي من لم يكن منه قبول ، وآتيناهم يقال فيمن كان منه قبول »[2] . الخويي : « الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله » . وفي الختم (**تهتدون**) مناسبة للكتاب لأن كتب الله كلها محصلة للهدى (**وإذ قال موسى/٥٤**) الآية ، هو من جملة النعم ، لأن التنبيه على ما يتخلص به من الذنب العظيم نعمة ، وأسند إلى موسى ، وجيء به بلفظ الغيبة ، بخلاف ما قبله وبعده ، لما تضمنه من الأمر بقتل أنفسهم . وفي الخطاب بذلك حال تذكير النعمة غضاضة . (**يا قوم/٥٤**) فيه تلطف داع لقبول ما يلقى بخلاف ما لو نودوا بشيء يتضمن قبيح ما صور منهم . (**فتوبوا/٥٤**) ، الراغب : « التوبة ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ ضروب الاعتذار فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه ، إما أن يقول المعتذر لم أفعل ، أو فعلت لأجل كذا ، أو فعلت وأسأت ، وقد أقلعت ، ولا رابع لذلك ،

---

(١) لم أعثر على هذا القول في معاني القرآن / للفراء ، وإنما أورد ابن عطية قول الفراء المذكور في المحرر (٢٩٦/١) .

وهذا القول مردود من عدة أوجه :

أحدها : أن لا دليل على الحذف .

ثانيها : أن الأصل في العطف المشاركة في الحكم ، إذا كان العطف بالحروف المشتركة .

ثالثها : أنه قد جاء في آية أخرى وصف التوراة بالفرقان ، وهو قوله تعالى : (**ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين**) **الأنبياء/٤٨** وعلى ذلك فإن وصف الفرقان لا يختص بالقرآن .

- انظر المحرر الوجيز (٢٩٦/١) ، والبحر المحيط (٢٠٢/١) ، وروح المعاني (٢٥٩/١) .

وذهب الشوكاني إلى ترجيح تفسير (الفرقان) بالمعجزات التي أعطى الله موسى -عليه الصلاة والسلام- ثم قال :« وهذا أولى وأرجح ، ويكون العطف على بابه ، كأنه قال : آتينا موسى والتوراة والآيات التي أرسلناه معجزة له » - فتح القدير (٨٥/١ - ٨٦) .

وعلى أي حال فإن كلمة (الفرقان) هنا تحتمل هذا الذي رجحه الشوكاني وتحتمل القول بأنه التوراة ، فكل ذلك فارق بين الحق والباطل وإن كان القلب يميل إلى القول الثاني : لدلالة قوله تعالى : (**ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين**) **الأنبياء/٤٨ والله أعلم** .

(٢) **هذا نص كلام الراغب في المفردات (٩ - مادة : أتى)** .



وهذا الأخير : هو التوبة ، إلى[1] أن[2] قال[3] الراغب : « ذكر (**إلى** / ٥٤) بعد التوبة يقتضي الإنابة »[4] . (**بارئكم** / ٥٤) البارىء ، هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت ومتميزاً بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة .

الطيبي : « ذكر » البارىء « هنا دون سائر الصفات مناسب للمقام ، لأن معناه : الذي خلقهم أبرياء من التفاوت ، وهو نعمة جسيمة ، وكان من حق الشكر ، أن يخصوا من له هذه الصفة بالعبادة دون غيره ، فلما عكسوا هذه القضية ، وكفروا هذه النعمة ، بأن عبدوا ما هو على ضده ، أي من لا تمييز له أصلاً ، استرد منهم تلك النعمة ، بأن أمروا بالقتل ، وفك ذلك التركيب الأنيق » . (**فاقتلوا** / ٥٤) بدل من (**فتوبوا**) ، لأن التوبة نفس القتل[5] . وقرأ قتادة[6] (**فاقتالوا**)[7] من الاستقالة ، وقرىء (فأقيلوا)[8] من الإقالة (**ذلكم** / ٥٤) إشارة إلى المصدر المفهوم من (**فاقتلوا** / ٥٤) . أو من (**فتوبوا**) أو منهما[9] . (**فتاب**

---

(١) كلمة « إلى » : ساقطة من (ب) .

(٢) كلمة « أن » زيادة مني ليستقيم المعنى .

(٣) في (ب) : وقال .

(٤) المفردات (٧٦ - مادة : توب) إلا أنه حكى بعض الكلمات بمعناها .

(٥) وعلى هذا القول تكون الفاء للسببية .
وهناك قول آخر : وهو أن المعنى : فأتبوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم وذلك على اعتبار أن القتل هو تمام توبتهم .
وعلى هذا القول ، فإن الفاء للتعقيب . - البحر المحيط (٢٠٨/١) . وقد ذهب الفخر الرازي إلى هذا القول الأخير (٨٥/٣) .

(٦) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، كان ضريراً أكمه ، اشتهر بقوة الحافظة ، وبالتفسير ، كما كان رأساً في العربية وأيام العرب والنسب ، قال عنه ابن سعد : كان ثقة مأموناً حجة في الحديث وكان يقول بشيء من القدر . توفي سنة ١١٧هـ .
- تذكرة الحفاظ (١١٥/١) ، والجرح والتعديل (القسم الثاني من الجزء الثالث/ ١٣٣-١٣٥)، ونكت الهميان (٢٣٠) ، والتفسير والمفسرون (١٢٥/١) .

(٧) في (ب) : فاقتلوا .

(٨) نسبت هذه القراءة والتي قبلها إلى قتادة . - البحر المحيط (٢٠٨/١) ، وانظر المحتسب (٨٣/١) .

(٩) إن الخلاف في مرجع (ذلكم) مبني على الخلاف -الذي ذكرناه سابقاً- وهو هل قوله (**فاقتلوا**) تفسير التوبة ، أم أنه مغاير لها .



عليكم / ٥٤) إمـا من قول موسى ، على حذف ، أي فإن فعلتم ذلـك ، فقـد تاب ، أو من كلامـه تعـالى ، على طريق الالتفـات من التكلم إلى الغيبة ، على تقدير : فعلتم ذلك فتاب . وهذا هو الأحسن[١] .

(**لن نؤمن لك/ ٥٥**) ضمن معنى نُقِرّ ، فعدى باللام ، وبالغوا في النفي حيث عبروا بـ(**لن / ٥٥**) . (**جهـرة / ٥٥**) : أي عيانـاً ، استعـارة ، لأن الجهر لا يستعمل إلا في الصوت ، فشبهوا أحدهما بالآخر ، ونصبه على المصدر المؤكد ، أي رؤية جهرة ، لئلا يتوهم إرادتهم بالرؤية العلم ، والتخيل على ما يراه النائم ، قاله الأصبهـاني[٢] . الـراغب : « الجهر يقال لظهور الشيء بإفراط ، بحاسة البصر أو السمـع »[٣] . الكـرماني : « قيل : هو متعلق بالقول أي قلتم مقالة جهرة ، أي جهرتم بتلك المقالة »[٤] .

وقرىء (**جهرة**) بفتح الهاء[٥] ، على أنه مصدر كالغلبة ، أو جمع كالكتبة . (**الصاعقة / ٥٥**) قرىء (**الصعقة**)[٦] فقيل : هما بمعنى[٧] ، وقيل : الصعقة ما

= - البحـر المحيط (١/ ٢٠٩) .
والذي يظهر لي أن (**ذلكم**) وإن كان إشارة إلى المصدر المفهوم من (**فاقتلوا**) لأنه أقرب مذكور ، إلا أنه يتضمن أيضاً الإشارة إلى التوبة سواء قلنا إن القتل هو نفس التوبة ، أو إنه هو تتمة للتوبة . والله أعلم .

(١) هذا الذي استحسنه المؤلف -رحمه الله- هو ما رجحه أبو حيان (البحر ١/ ٢٠٩) وبه قال أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١/ ١٠٢) ، وإليه مال الألوسي (روح المعاني ١/ ٢٦١) وقد ترجح هذا القول على القول الأول -الذي أجازه الزمخشري (الكشاف ١/ ٢٨١)- لسلامته من حذف الأداة ، والشرط ، وإبقاء الجواب ، فإن ذلك لم يثبت في كلام العرب - كما يقول أبو حيان (البحر ١/ ٢١٠) .

(٢) أنوار الحقـائق (١٦٨) .

(٣) المفـردات (١٠١ - مادة : جهر) باختصار .

(٤) لباب التفسير (١/ ٢٤٥) بمعناه . قد حكى أبو حيان هذا القول عن ابن عباس وأبي عبيدة ، ثم استظهر أن يكون تعلق (جهرة) بالرؤية لا بالقول ، ثم قال : « وهو الذي يقتضيه التركيب الفصيح » . - البحر المحيط (١/ ٢١١) .
وما ذهب إليه أبو حيان ، قد مال إليه ابن عطية قبله . - المحرر الوجيز (١/ ٣٠١) .

(٥) عن سـهل بن شـعيب ، وعيسـى . - ابن خالويـه (٥) .

(٦) قرأها علي بن أبي طالب -رضـي الله عنه- المرجع السابق .

(٧) قاله أبو بكر النقاش . - الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢١٩) .



يحدث بالإنسان عن الصاعقة ، وهي اسم لكل مهول ، من نار أو زلزلة أو رجفة . (**ثم بعثناكم / ٥٦**) أصل البعث إثارة الشيء من محلة ، ويطلق على النشر والإرسال ، وجعله صاحب التحرير[1] لقدر مشترك وهو إزالة ما يحبس عن التصرف . (**وظللنا / ٥٧**) عطف على بعثناكم . (**الغمام / ٥٧**) السحاب ، لأنه يغم السماء ، أي يسترها ، وكلما ستر شيئاً فقد غمه . وقال مجاهد : « هو أبرد من السحاب ، وأرق ، وأصفى »[2] (**وكلوا / ٥٧**) أي قلنا ، فحذف اختصاراً للدلالة الظاهرة عليه . (**وما ظلمونا / ٥٧**) فيه حذف أي فكفروا هذه النعمة . (**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون / ٥٧**) وقعت (**لكن / ٥٧**) هنا أحسن موقع ، لتقدم النفي عليها ، ومجيء الإيجابي بعدها ، وطباق الكلام أن تثبت ما بعد « لكن » على نحو ما نفي قبلها ، ودخلت « كان » هنا مشعرة بأن ذلك شأنهم في أنفسهم ، و (**يظلمون / ٥٧**) مضارع اللفظ ، ماضي المعنى وقدم مفعوله عليه لتوافق رؤوس الآي ، والاعتناء بأخبار من حل به العقاب والاختصاص ، الزملكاني : دخلت « كان » هنا ، لأنه إخبار عن قوم مضوا ، أو لم يدخل في قوله : (**ولكن أنفسهم يظلمون**)[3] في آل عمران لأنها ضرب مثل » . زاد ابن جماعة : « لقوم حاضرين »[4] . زاد صاحب المناجاة : مع قوله في أول الآية ، قوم ظلموا أنفسهم ، فلم[5] يأت آخره[6] بصيغة « كان » ليحصل فيه النوع البديعي ، المسمى بالعكس والتبديل .

(**وإذ قلنا / ٥٨**) في الأعراف (**وإذ قيل هم / ١٦١**) لأن آية البقرة في معرض تعداد النعم فناسب نسبة القول إليه تعالى ، بخلاف آية الأعراف فإنها افتتحت

---

(١) في (أ) : التجريد ، ولعل الصواب ما في (ب) - وهذا الكتاب لابن أبي الإصبع .

(٢) حكى ابن عطية هذا القول عن مجاهد ، ولكن بزيادة : « **وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة** » - المحرر الوجيز (١/٣٠٤) .

(٣) آل عمران : (١١٧) .

(٤) لم أعثر على هذا النص في كشف المعاني .

(٥) في (أ) : فلما . (٦) في (ب) : يأته آخر .

بتوبيخهم ، فناسب ذلك (وإذ قيل لهم) ، ولهذا ذكر هنا (**رغداً** / ٥٨) لأن النعمة به أتم ، وحذفه هناك ، وقدم هنا (**وادخلوا الباب سجداً** / ٥٨) ، وأتى بـ(**خطاياكم** / ٥٨) لأنه جمع كثرة ، وهناك بـ(**خطيئاتكم** / ١٦١) وهو جمع سلامة ، وأصله للقلة ، والأول أليق بـ(**قلنا** / ٥٨) وبتعداد النعم ، وزاد الواو في (**وسنزيد** / ٥٨) لدلالتها على الجمع بينهما ، وشدة الاتصال والملاءمة وحذفها هناك قطعاً ، واستئنافاً ، فكأنه قيل : وما بعد الغفران ؟. فقيل : سنزيد المحسنين .

(**ادخلوا هذه القرية فكلوا** / ٥٨) وفي الأعراف : (**اسكنوا هذه القرية ، وكلوا** / ١٦١) ، وتقدم وجهه قريباً[1] (**رغداً** / ٥٨) قال صاحب المناجاة : « حذفت من الأعراف : لأن فيها (**اسكنوا** / ١٦١) ، والسكون مشعر بالراحة ، فلم يحتج إلى التنصيص عليه ، ولأن سورة الأعراف أقصر من البقرة ، فكانت محلاً للإيجاز ، قال : وهذه القاعدة مستمرة في الأطول ، لرعاية التسوية ، أو غيرها من المقتضيات ، قال : « ومن القاعدة زيادة الواو هنا ، وتركها هناك ، ومن عكسها زيادة منهم هناك رعاية لعكس القاعدة ، فإنه من الوجوه المحسنة للكلام أيضاً » .

(**وقولوا حطةٌ** / ٥٨) خبر مبتدأ محذوف ، أي مسألتنا حطة ، وأصله النصب ، وقرىء به[2] ، بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة . وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات ، كقوله : (**فصبرٌ جميلٌ**)[3] . الكرماني : « أخرت هذه الجملة هنا عن (**وادخلوا الباب سجداً** / ٥٨) لتصدير الآية بـ« **ادخلوا** » فبين كيفية الدخول »[4] ، بخلاف آية الأعراف ، فإنها صدرت بـ« **اسكنوا** » ووجهه الإمام بأن القصة إذا نقلت من لسان إلى آخر ، جاز التقديم والتأخير فنبه في الصورتين على ذلك ، فإنه من نقل المعنى ، بخلاف ما إذا كان الغرض حكاية اللفظ[5] . (**نغفر** / ٥٨) قرىء على

---

(١) أنظر ص (   ) من هذه الرسالة .   (٢) عن أبي عبلة .   (٣) يوسف : (١٨) .

(٤) إلى هنا ينتهي كلام الكرماني في «أسرار التكرار في القرآن» (٢٨) ، وهو منقول عنه بتصرف .

(٥) لم أجد ذلك في التفسير الكبير ، وإنما الذي وجدته هو قوله : « لم ذكر في البقرة (**وادخلوا الباب سجداً ، وقولوا حطةٌ**) وفي الأعراف قدم المؤخر ؟

الجواب : الواو للجمع المطلق ، وأيضاً فالمخاطبون بقوله : « **ادخلوا الباب سجداً ، وقولوا حطةٌ**) يحتمل =



البناء للمفعول بالياء والتاء[1] ، وعلى البناء للفاعل بالنون والياء ، وفيه على الأخيرة التفات . (**خطاياكم / ٥٨**) و(**خطيئآتكم**)[2] ، (**وسنزيد المحسنين / ٥٨**) قال ابن عباس : « أي من كان منكم مسيئاً ، كانت تلك الكلمة قربة له ومغفرة ، ومن كان محسناً ، كانت سبباً في زيادة ثوابه ، أخرجه ابن جرير[3] . قال في الكشاف : « أخرج المعطوف والمعطوف عليه ، وهما (**نغفر / ٥٨**) ، (**وسنزيد / ٥٨**) ، مع متعلقهما مخرج الشرط والجزاء ، إعلاماً أن كلاً منها جواب للأمر ، وهو قولوا ، وإن كان الثاني غير مجزوم »[4] . قال الطيبي : « فظهر من هذا ، أن في الآية الجمع والتفريق ، فالأول في قوله : (**وقولوا حطة**) جمع الفريقين : المسيء والمحسن معاً ، في هذا القول المخصوص ، والثاني في قوله : (**نغفر**) ، (**وسنزيد**) . فإن قلت : كيف عطف (**وسنزيد**) على (**نغفر**) ، وهو مجزوم ؟ أجاب عنه البيضاوي ، بأنه أخرجه عن صورة الجواب إلى الوعد إيهاماً بأن المحسن بصدد ذلك ، وإن لم يفعله ، فكيف إذا فعله ، وأنه تعالى يفعله لا محالة[5] . قال الطيبي : « أراد أن الزيادة إذا كانت من وعد الله ، كانت أعظم مما إذا كانت مسببة من فعلهم » . وقال بعضهم : « عطفت جملة (**وسنزيد / ٥٨**) هنا باعتبار ترتبها على الجملة قبلها ، وترك العطف

= أن يقال إن بعضهم كانوا مذنبين ، والبعض الآخر ما كانوا مذنبين ، فالمذنب لابد أن يكون اشتغاله بحط الذنوب مقدماً على الاشتغال بالعبادة ، لأن التوبة عن الذنب مقدمة على الاشتغال بالعبادات المستقبلة لا محالة ، فلا جرم كان تكليف هؤلاء أن يقولوا أولاً (**حطة**) ثم يدخلوا الباب سجداً ، وأما الذي لا يكون مذنباً ، فالأولى به أن يشتغل أولاً بالعبادة ثم يذكر التوبة ثانياً على سبيل هضم النفس وإزالة العجب في فعل تلك العبادة ، فهؤلاء يجب أن يدخلوا الباب سجداً أولاً ، ثم يقولوا حطة ثانياً . فلما احتمل كون أولئك المخاطبين منقسمين إلى هذين القسمين ، لا جرم ذكر الله تعالى حكم كل واحد منهما في سورة أخرى » . - التفسير الكبير (٣/٩٩ - ١٠٠) .

(١) قراءة الياء هي قراءة نافع ، وقراءة التاء هي قراءة ابن عامر . - حجة القراءات (٩٧-٩٨) .

(٢) عن الحسن . - ابن خالويه (٥) .

(٣) جامع البيان (٢/١١١) بمعناه .

(٤) لم أجد هذا الكلام في الكشاف ، ولعله نقله من الكشاف القديم كما فعل ذلك في موضع سابق ، انظر ص (   ) من هذه الرسالة .

(٥) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/١٦٥) .



في « الأعـراف » باعتبـار اقتضـائها الإخبار المطلق ، ولمجيء ما فيها على أسلوب الإيجاز ، ولذا لم يذكر (**رغداً** / ٥٨) وقال عليهم » ، وقال الرازي : « ذكر الواو هنا يفيد كون مجموع المغفرة والزيادة جزءاً واحداً لمجموع الفعلين وتركها هناك ، يفيد توزع كل من الجزأين على كل من الشرطين ، فـ« **نغفر** » لـ« **قولوا** »[(١)] ، إشارة إلى التوبة ، و« سنزيد » لـ« ادخلوا » إشارة إلى العبادة »[(٢)] .

وحاصله أنه أفيد بالعطف ترتب المجموع على المجموع من غير بيان ما يكل ، وأفيد بتركه ما لكل بخصوصه .

(**فبدل الذين ظلموا** / ٥٩) زاد في آية الأعراف (**منهم** / ١٦٢) ، ليكون مقابلة قوله في أول القصة (**ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق** / ١٥٩) ، فيساوي آخـر الكـلام أوله ، ويطابق عجزه صدره ، فيكون الظالمون من قوم موسى بإزاء الهادين منهم ، وأما هنا ، فلم يذكر منهم فرقة هادية ، بل ذكر أمة عادية مبدلة ، مفتتحة بقوله : (**اذكروا نعمتي** / ٤٧) ، إلى ما عدده عليهم من الأنعام ، إلى أن انتهى إلى قولـه : (**فبـدل الذين ظلموا** / ٥٩) ، فلم يحتج إلى (**منهم**) لأنه لم يتقدمه ما تقدمه[(٣)] في سورة الأعراف ، مما يقتضيها مع العلم بأن المراد ، الذين ظلموا من المخاطبين بقوله : (**ادخلوا** / ٥٨) إلا أن ذلك المعنى الخاص المقتضي لزيادة (**منهم**) هناك ، مفقود هنا . وحذف مفعول « بدل » المتعدي بالباء ، أي بالـذي قيل لهم[(٤)] ، أو لا حذف وضـمن « بدل » معنى « قال »[(٥)] . وفي الآية اكتفـاء ، فإنهم كما بدلـوا القـول بدلـوا الـدخـول سجداً ، فدخلوا يزحفون على أستـاههم ، كما ثبت في الصحيحـين »[(٦)] (**فأنـزلنـا** / ٥٩) ، في الأعــراف

---

(١) في (أ) : لـقـوا .
(٢) التفسير الكبـير (٣/ ١٠٠) بتصـرف .
(٣) في (أ) : لا تقدمه مـا تقـدم .
(٤) وهو ما ذهب إليه صاحب البحر المحيط (١/ ٢١٨) .
(٥) وقد جوز أبو البقاء هذا القول . - الإملاء (١/ ٣٨) . - وانظر روح المعاني (١/ ٢٦٦) .
(٦) حيث روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة -رضـي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ- : « قيل لبني =



(**فأرسلنا / ١٦٢**) لأن لفظ «الرسول» و« الرسالة » ، كثرت في الأعراف ، فجاء ذلك موافقاً ولأن الإرسال أشد وقعاً من الإنزال ، وهو مناسب لآية الأعراف دون البقرة المسوقة لتعداد النعم[١] . (**على الذين ظلموا / ٥٩**) أوقع الظاهر موقع المضمر ، زيادة في تقبيح أمرهم ، وإيذاناً بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم وفي الأعراف (**عليهم / ١٦٢**) على الأصل ، ونكتة التغاير ، أن هذه الآية ، مبنية على التفخيم ، لافتتاحها بإسناد الفعل إلى الله كما تقدم . (**رجزاً / ٥٩**) قرىء بضم الراء[٢]، لغة بني الصعدات وهو اسم للعذاب ، قال بعضهم: « وأصل الرجز : تتابع الحركات فحقيقة الرجز العذاب المقلقل لشدته قلقلة شديدة متتابعة » . الراغب : « أصل الرجز الاضطراب . والرجز هنا الزلزلة »[٣]. (**بما كانوا يفسقون / ٥٩**) في الأعراف : (**يظلمون / ١٦٢**) وهو تفنن . قال صاحب المناجاة : « وخصت هذه الآية بلفظ الفسق ، كراهة التكرار ، لتقدم ذكر الظلم فيها مرتين ، كما خصت آية الأعراف بالظلم لذلك لذكر (**يفسون / ٥٩**) عقب القصة فيها مرتين . وقال ابن جماعة : « آية الأعراف مسوقة للتوبيخ كما تقدم ، والظلم أشد من الفسق ، فناسب ختمها به . وحاصل ما اختلفت فيه الآيتان أحد عشر شيئاً »[٤] .

قال الراغب : « كان ما استعمل من جنس الشيء متعلقاً بوصف له موجود فيه فتنبيه على أن ذلك الوصف لازم له ، قليل الانفكاك عنه »[٥] . وقرىء (**يفسقون**)

= إسرائيل : ادخلوا الباب سجداً ، وقولوا حطة ، فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم ، وقالوا حبة في شعرة) . - اللؤلؤ والمرجان (٨٣٩) كتاب : التفسير .

(١) وقال الفخر الرازي : « الإنزال يفيد حدوثه في أول الأمر ، والإرسال يفيد تسلطه عليهم واستئصاله لهم بالكلية ، وذلك إنما يحدث بالآخرة » . - التفسير الكبير (٣/ ١٠٠) .

(٢) عن ابن محيصن ، - ابن خالويه (٥) .

(٣) الذي في المفردات (١٨٧ - مادة : رجز) هو «أصل الرجز : الاضطراب. . . وقوله : (عذاب من رجز أليم) فالرجز ههنا كالزلزلة » .

(٤) كشف المعاني (٢٨) وراجع ما كتبه الألوسي في ذلك . - روح المعاني (١/ ٢٦٧ - ٢٦٩) .

(٥) المفردات (٤٤٤ - مادة : كان) بتصرف .



بكسر السين[1] ، لغة .

(**وإذ استسقى موسى لقومه/ ٦٠**) قال ابن عباس: « كان ذلك في التيه » أخرجه ابن جرير[2]. قال الطيبي : « وهو قبل دخولهم القرية ، فدل على أن الآيات واردة على التقديم والتأخير ، فيتجه لقائل أن يقول : ما بالها ما نصت على ترتيب الواقعة . قال : والجواب عنه ما ذكره الزمخشري في قوله : (**وإذ قتلتم نفساً ، فادارأتم**)[3] كل ما قص من قصص بني إسرائيل وإنما قص تعديداً لما وجد منهم »[4]. فكذا هنا ، لو قصت متصلات مرتبات كانت كقصة واحدة ، فالتفريق دل على أن القصد تعديد النعم ، وتقريعهم على كفرانها نعمة غب نعمة ، فإنها وإن كانت قصة واحدة ، لكنها نعم متعددة ، ومن ثم كرر فيها لفظ (إذ / ٦١) أي اذكروا وقت كذا نعمة كذا وصرح في بعضها بذكر موسى ، وأعاده مرة بعد أخرى (**فانفجرت / ٦٠**) ، فيه حذف ، أي فضرب ، فانفجرت ، أشير بحذفه ، وبفاء الفصيحة إلى الدلالة على أن المأمور لم يتوقف عن اتباع الأمر ، فظهر أثره في الحال . وعلى أن المطلوب من المأمور به الانفجار لا الضرب[5]. وقال بعضهم : « فيه حذف أكثر من ذلك والتقدير : وإذ استسقى موسى لقومه ماء إذ عطشوا ، وسألوه ، فأجبناه فقلنا : اضرب ، على حد قوله : (**فأرسلون ، يوسف**)[6] »[7]. وفي الأعراف : (**فانبجست / ١٦٠**) قال الراغب : « الانبجاس : يقال فيما يخرج من شيء ضيق ، والانفجار : فيما يخرج من شيء واسع »[8]. وقال الكرماني : « الانفجار : انصباب الماء بكثرة والانبجاس : ظهور الماء ، وفي هذه السورة (**واشربوا / ٦٠**) فذكر بلفظ

---

(١) عن يحيى بن وثاب ، - ابن خالويه (٥) .
(٢) جامع البيان (٢/١٢٠) . (٣) البقرة : ٧٢ .
(٤) الكشاف (١/٢٩٠) .
(٥) انظر الكشاف (١/٢٨٤) وهو ما ذهب إليه أبو حيان . (البحر ١/٢٢٧) ، وأبو البركات بن الأنباري (البيان في غريب إعراب القرآن ١/٨٥) ، وقد أخذ الشوكاني بهذا القول ، - فتح القدير (١/٩١) .
(٦) يوسف (٤٥ ، ٤٦) . (٧) انظر البحر المحيط (١/٢٢٨) .
(٨) الذي في المفردات (٣٧ - مادة : بجس) هو «الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق ، والانفجار يستعمل فيه ، وفيما يخرج من شيء واسع » .



بليغ وليس في الأعراف واشربوا ، فلم يبالغ فيه »[1] . وقال غيره : « لما كانت آية البقرة في معرض تعداد النعم ، ناسب التعبير بالأبلغ » . قال صاحب المناجاة « ولما كان المستسقي هنا موسى ، ناسب الأبلغ ، بخلاف الأعراف ، فإن المستسقي فيها قوم موسى » . (**عشرة / ٦٠**) قرىء بكسر الشين ، وفتحها[2]، لغتان (**مشربهم / ٦٠**) مكان شربهم ، ولم يقل عينهم ، لتضمن مشرب المنفعة التي هي سبب الحياة . ذكره بعضهم . (**كلوا / ٦٠**) على حذف : وقلنا . (**من رزق الله / ٦٠**) فيه التفات من « قلنا » ، وعبر به دون منه ، لذكر الأكل المتعلق بالمن والسلوى ، ولو قيل منه لاختص بالمشرب . (**ولا تعثوا / ٦٠**) العثي : أشد الفساد ، وقيل : الإسراع فيه[3]. ولما كان حصول الرزق بلا تكلف مظنة البطر ، عقب بالنهي عن الفساد . (**يخرج لنا مما**) فيه حذف المفعول ، أي مأكولاً مما . (**تنبت الأرض / ٦١**) فيه الإسناد المجازي[4] . (**من بقلها / ٦١**) قال الواحدي : « هو كل نبات لا يبقى له ساق ، إذا رعته الماشية » . (**وقثائها / ٦١**) قرىء بضم القاف[5] ، لغة تميم (**وفومها / ٦١**) قرأ ابن مسعود (**ثومها / ٦١**)[6] بالمثلثة . (**أتستبدلون**) قرأ أبي (**أتبدلون**) بسكون الباء[7] . (**أدنى / ٦١**) وقرىء بالهمزة[8] من الدناءة ، وهي الجنة ، وقيل : هو مقلوب من أودن . (**اهبطوا مصراً / ٦١**) أي من الأمصار . وقرأ الأعمش[9] (**مصرَ**) بلا تنوين[10] على إرادة

(١) البرهان (١ / ٩٠) .

(٢) القراءتان عن الأعمش ، - ابن خالويه (٥-٦) ، وانظر المحتسب (١ / ٨٥) .

(٣) انظر اللسان (١٥ - ٢٨) مادة : عثا .

(٤) وذلك أنه أسند الإنبات إلى الأرض ، والأرض لا تنبت النبات بنفسها ، وإنما هي مكان للإنبات ، والذي هو ينبت النبات هو الله عز وجل .

(٥) عن يحيى بن وثاب ، والأشهب ، - المحتسب (١ / ٨٧) .

(٦) وكذا ابن عباس أيضاً ، - المحتسب (١ / ٨٨) ، وابن خالويه (٦) .

(٧) البحر (١ / ٢٣٣) .

(٨) عن زهير الفرقبي ، - ابن خالويه (٦) ، والمحتسب (١ / ٨٨) ، وانظر البحر (١ / ٢٣٣) .

(٩) هو أبو محمد ، سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، الملقب بالأعمش ، أصله من بلاد الري ، ومنشؤه ووفاته في الكوفة ، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض (توفي سنة ١٤٨هـ) . - طبقات ابن سعد (٦ / ٢٣٨) ، وتاريخ بغداد (٩ / ٣) ، والوفيات (١ / ٢١٣) .

(١٠) ابن خالويه (٦) .



البلد المعروفة . (**سألتم** / ٦١) قرىء بكسر السين[1]، لغة . (**وضربت عليهم الذلة والمسكنة** / ٦١) أي لزمتهم ولصقت بهم لزوم الدرهم المضروب لسكته .
الراغب : « الضرب : إيقاع شيء على شيء ، ولتصور اختلاف الضرب ، خولف بين تفاسيرها ، كضرب الشيء باليد والعصا ونحوهما ، وضرب الأرض بالمطر وضرب الدراهم اعتباراً بضربها بالمطرقة ، وقيل له الطبع لتأثير السكة فيه ، وبذلك شبه السجية ، فقيل لها الضريبة ، والطبيعة ، والضرب في الأرض ، الذهاب فيها ، لضربها بالأرجل ، وضرب الفحل الناقة تشبيهاً بالضرب بالمطرقة ، وضرب الخيمة بضرب أوتادها بالمطرقة وتشبيهاً بضرب الخيمة ، قال تعالى : (**ضربت عليهم الذلة**) أي التحفتهم الذلة ، التحاف الخيمة بمن ضربت عليه ، ومنه استعير (**فضربنا على آذانهم**)[2] وضرب المثل هو من ضرب الدراهم ، وهو ذكر شيء يظهر أثره في غيره »[3] . انتهى .

وقال القطب : « يحتمل أن يكون الاستعارة في الذلة ، بأن شبهت بالقبة المضروبة على شيء المحيط به ، من كل جانب ، ثم حذف المشبه به ، وأقيم المشبه مقامه ، وأثبت له الضرب على سبيل التخييل ، فهي استعارة مكنية وتخييلية ، أو في الفعل ، وهو (**ضربت** / ٦١) بأن شبه إلصاق الذلة ولزومها ، بضرب الطين على الحائط ولزومه إياه ، ثم استعير اسم الضرب لإلصاق الذلة ، فتكون مصرحة تبعية » . قال : « وإنما قال (**وضربت** / ٦١) بالواو ، لا بالفاء ، تنبيهاً على أنه ليس بمرتب على سؤالهم النوع الآخر من الطعام ، بل على ما ذكر بعده في قوله : (**ذلك بأنهم** / ٦١) إلى آخره » . وقال ابن الأنباري : « (**وضربت** / ٦١) عطف على محذوف ، أي فهبطوا ، فعثوا وأفسدوا ، وضربت » . الماوردي[4] : « الذلة أبلغ

---

(١) عن يحيى وإبراهيم ، - المحتسب (١/ ٨٩) .
(٢) الكهف : (١١) .
(٣) المفردات (٢٩٤ - ٢٩٥ ، مادة : ضرب) مع بعض تصرف ، واختصار .
(٤) هو علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي ، ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد وولي القضاء في بلدان كثيرة ، كان يميل إلى مذهب الاعتزال ، توفي سنة ٤٥٠هـ - شذرات الذهب (٣/ ٢٨٥) ، وآداب اللغة (٢/ ٣٣٣) .



من الذل »[1] . (**وباؤوا بغضب / ٦١**) يقال باء فلان بفلان ، وإذا كان حقيقاً بأن يقتل به ، لمساواته له ، ومكافأته ، أي صاروا أحقاء بغضب ، الكسائي : « أي انصرفوا به ، ولا يكون باؤوا إلا بشيء ، إما بخير ، وإما بشر ، ولا يكون بمعنى مطلق الانصراف »[2] وقال غيره : « يختص بالشر »[3] الزجاج : « **باؤوا بغضب / ٦١**) احتملوه »[4] الراغب : « أي حلوا مبوأ ، أي منزلاً ، ومعهم غضب الله ، فقوله : (بغضب / ٦١) في موضع الحال ، واستعمل (**باؤوا / ٦١**) تنبيهاً أن مكانه الموافق يلزمه فيه غضب الله ، فكيف غيره من الأمكنة ، وأصل البواء مساواة الأجزاء في المكان خلاف النبوا الذي هو منافاة الأجزاء[5] . وتنكير (**غضب / ٦١**) للتعظيم .

(**ويقتلون النبيين بغير الحق / ٦١**) الكشاف : « فإن قلت : قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق ، فما فائدة ذكره ؟ قلت : معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم ، لأن الأنبياء لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض ، وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم ، فقتلوهم ، فلو سئل اليهود وأنصفوا من أنفسهم ، لم يذكروا وجهاً يستحقون به القتل عندهم »[6] . وقرىء (**وتقتلون**) بالفوقية ، وفيه التفات ، وقرىء (**يقتلون**) بالتشديد[7] « على الكثرة »[8] . الإمام : قال هنا (**بغير الحق / ٦١**) ، وفي آل عمران (بغير حق / ٣١) لأن ما هنا إخبار عن قدماء اليهود ، بدليل (**ذلك بأنهم كانوا يكفرون / ٦١**) ، وما في آل عمران للموجودين في عصر الرسول ، بدليل (**فبشرهم بعذاب أليم / ٢١**) ولقوله : (**إن الذين**

---

(١) لم أعثر على هذا النص في تفسير الماوردي .
(٢) لم أعثر على هذا النص فيما اطلعت عليه .
(٣) حكاه أبو حيان في البحر (١/ ٢٣٦) . (٤) معاني القرآن / للزجاج (١/ ٤٥) .
(٥) المفردات (٦٩ - مادة : بواء) بتصرف ، واختصار .
(٦) الكشاف (١/ ٢٨٥) .
(٧) هذه قراءة علي ، والقراءة السابقة هي قراءة الحسن . - ابن خالويه (٦) ، والبحر (١/ ٢٣٦) .
(٨) ما بين القوسين زيادة من (ب) .



يكفرون / ٢١) ، (ويقتلون / ٢١) ، ولم يقل كفروا لأنهم كانوا حريصين على قتل النبي -ﷺ- ولذلك سموه[١] فجاء منكراً ، ليكون أعم ، فتقوى الشفاعة عليهم ، والتوبيخ لهم[٢] » .

وقال الكرماني : « التعريف هنا للإشارة إلى الحق الذي أذن الله فيه بقوله (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**)[٣] ، وقوله : (**بغير حق**)[٤] أي في معتقدهم ودينهم ، فكان بالتنكير أولى »[٥] .

وقال صاحب المناجاة : « القتل بالحق على وجهين :

أحدهما : أن يكون حقاً للقاتل ، كولي المقتول .

والثاني : ألا يكون حقاً له ، ولكن صادر منه على وجه حق ، كالحاكم ، فالمعروف إشارة إلى الأول ، والمنكر إشارة إلى الثاني » .

الكرماني : « جمع (النبيين) هنا ، جمع سلامة ، لموافقة ما بعده في (**الصابئين** / ٦٢) بخلاف سورة النساء[٦] ، حيث جمع ما فيها جمع تكسير»[٧]

(**ذلك بما عصوا** / ٦١) كررت الإشارة للتأكيد ، وليناط بها ما لم ينط أولاً . قال

(١) روى البخاري عن أنس -رضي الله عنه- أن يهودية أتت النبي ﷺ - بشاة مسمومة ، فأكل منها ، فجيء بها فقيل : ألا تقتلها ؟ قال : لا . قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله-ﷺ- البخاري (١٤١/٣) كتاب الهبة - باب : قبول الهدية من المشركين .

(٢) لم أجد هذا النص في التفسير الكبير للفخر الرازي . وإنما وجدت الفخر الرازي بعد أن أورد التساؤل المذكور هنا ، قال : « الجواب : الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل ، قال - عليه السلام : (لا يحل دم امرىءٍ مسلمٍ إلا بإحدى معانٍ ثلاثٍ : كفر بعد إيمان ، وزنا بعد إحصان ، وقتل نفس بغير حق) . فالحق المذكور بحرف التعريف إشارة إلى هذا ، وأما الحق المنكر فالمراد به تأكيد العموم ، أي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ، ولا غيره البتة » .

- التفسير الكبير (١١١/٣) .

(٣) الأنعام (١٥١) . (٤) آل عمران (٢١) .

(٥) أسرار التكرار في القرآن (٣٠) باختصار ، وتصرف .

(٦) وذلك في قوله تعالى : (**فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق**) النساء/ ١٥٥ .

(٧) البرهان (٩١/١) باختصار .



الإمام فخر الدين : « وهو كقول من يعاقب عبده عند آخر ذنوب فعلها : هذا بما عصيتني ، هذا بما تجرأت عليّ ، هذا بكذا ، فيعدد ذنوبه تبكيتاً له » ، قال : « وبدأ في بيان علة ما أنزل بهم من العقوبة بالأعظم فالأعظم فبدأ بكفرهم به ، وجحدهم نعمه ، ثم بقتل الأنبياء ، ثم بالمعاصي الخاصة بهم ، ثم المتعدية ، وهو في نهاية حسن الترتيب »[1] .

وقيل : الإشارة أولاً بقوله (**يكفرون** / ٦١) إلى الضرب ، وبقوله (**يقتلون** / ٦١) إلى البواء[2] .

وثانياً : بقوله : (**عصوا** / ٦١) إلى الكفر ، وبقوله (**يعتدون** / ٦١) إلى القتل .

قال أبو حيان : « ففيه لف ونشر في الموضعين ، وهذا من محاسن الكلام »[3] .

ولم يقل : « واعتدوا » في مقابل (**عصوا**/٦١) للفاصلة ، والاعتداء : تجاوز الحد في كل شيء . (**إن الذين آمنوا** / ٦٢) الآية . عادته تعالى إذا ذكر وعداً ووعيداً ، عقبه بما يضاده ليكون الكلام تاماً ، فلما ذكر في الآية السابقة حكم الكفرة من أهل الكتاب ، وما حل بهم من العقوبة ، أخبر في هذه الآية[4] بما للمؤمنين من الأجر العظيم . وذكر الطيبي : « أن هذه الآية هنا من باب الاستطراد وكذا قوله : (**وضربت عليهم الذلة** / ٦١) إلى آخره ، قال : « والدليل على الاستطراد العود إلى خطاب اليهود بقوله : (**وإذ أخذنا ميثاقكم** / ٦٣) ، والمراد بالذين آمنوا من أهل الكتب[5] السابقة ، وبمن آمن في هذه الملة » .

وقدم هنا النصارى على الصابئين ، لأن لهم كتاباً بخلافهم ، فقدم الأشرف ، وعكس في آية المائدة[6] تقديماً للإقدام زماناً ، لأن الصابئين قبل عيسى ورفعه لتقوى

---

(١) التفسير الكبير (٣/١١٠) بتصرف .

(٢) وقد استظهر أبو حيان هذا القول ، - البحر (١/٢٣٧) .

(٣) البحر المحيط (١/٢٣٧) بتصرف .

(٤) في (أ) : قوله هذه الآية .

(٥) في (أ) : الكتاب .

(٦) المائدة : (٦٩) .

فيه نية التأخير ، لأن التقديم بالشرف أولى من التقديم بالزمان ورتبت آية الحج[1] في الأزمنة ، وختمت بالذين كفروا ، لأنهم في عهد النبي -ﷺ- وهم العرب . ذكر ذلـك في درة التنـزيل[2] . وقيد الأجـر بقوله (**عند ربهم / ٦٢**) ليدل على عدم انقـطاعـه ، وكـذا ما بعـده أيضاً يدل على دوامه ، لأنهم لو جوزوا كونه منقطعاً لاعتراهم الخوف والحزن .

وقرأ أبو السمال[3] (**والذين هادوا / ٦٢**) بفتح الدال[4] ، فاعلوا من الهداية أي راموا أن يكونوا أهدى من غيرهم . (**ولا هم يحزنون / ٦٢**) التصريح بهم ، ليكون من عطف الاسمية على الاسمية ، الذي هو أفصح وأنسب . (**خذوا / ٦٣**) على حذف : وقلنـا . (**ما آتينـاكم / ٦٣**) قرىء (**ما آتيتكم**)[5] (**واذكـروا / ٦٣**) قرىء بالتشديد ، وقرىء (**وتذكروا**) ماض ، بالتشديد أيضاً[6] . (**توليتم / ٦٤**) أصل التولي الإعراض عن الشيء بالجسم ، ثم استعمل في الإعراض عن الأمر والـدين . الـراغب : « التـولي قد يكـون بالجسم ، وقـد يكـون بترك الإصغـاء والائتـمار[7] » . اعلم أن الله تعـالى عدد عليهم من إنعـامه عشراً ثم عقبها بذكر قبائحهم واعتدائهم ، فذكر من ذلك عدة أنواع ، بعضها مما فعله آباؤهم ، وبعضها مما فعلوه في زمان نبينا -ﷺ- . (**اعتدوا / ٦٥**) الاعتداء مجاوزة الحد في الباطل . (**كونوا قردة / ٦٥**) أمر تخير لا طلب . (خاسئين / ٦٥) صاغرين ، بلغة كنانة . (**فجعلناها / ٦٦**) أي المسخة أو العقوبة (نكالاً / ٦٦) هو الاسم ، من نكلت به ، إذا فعلت به ما ينكل ، أو من نكلته إذا قيدته بالنكل ، أي القيد ، تشبيهاً

(١) الحج : (١٧) .
(٢) درة التنزيل ، وغرة التأويل / للخطيب الإسكافي (٢١-٢٢) باختصار وتصرف .
(٣) هو أبو السمّال ، قعنب بن أبي العدوي البصري ، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة . - غاية النهاية (٢/٢٧) ترجمة رقم (٢٦١٤) .
(٤) ابن خالويـه (٦) ، والمحتسب (١/٩١) .
(٥) عن ابن مسعود - ابن خالويـه (٦) .
(٦) هذه قراءة ابن مسعود ، والقراءة السابقة هي قراءة أبي . - ابن خالويـه (٦) ، والبحر (١/٢٤٣) .
(٧) المفردات (٥٣٤) مادة : ولي .



للعقوبة به ، بجامع المنع من الاعتداء (وما خلفها / ٦٦) من غريب ما قيل فيه ، إنه في نية التقديم ، عطفاً على ضمير (**فجعلناها / ٦٦**)[١] . (**وموعظة للمتقين / ٦٦**) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك (**أتتخذنا / ٦٧**) قرىء بالتحتية[٢] ، والفاعل الله . (**هزواً**) أي مهزوءاً بنا ، من إقامة المصدر مقام المفعول ، (**قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** / ٦٧) نفى عن نفسه ما رمي به عن طريق الكناية وأخرج ذلك في صورة الاستعارة استفظاعاً لهم . (**ما هي** / ٦٨) مقتضى الحال « كيف هي » لأن « ما » سؤال عن الحقيقة ، و« كيف » عن حال الشيء ، وهو اللائق بالمقام ، لكن أتى بـ« ما » لكون اسم البقرة مشتركاً في تلك اللغة ، أو لتوهم أنها من جنس لا يعرف ، لغرابة أمرها ، أو استعير جواب كيف لما ، أو « ما » بمعنى « كيف » ، وجاء (**ما لونها** / ٦٩) على بابه ، لأنه سؤال عن جنس اللون ، ذكر ذلك الزملكاني . وقال الكرماني : « أجمع المفسرون على أن « ما » في قوله : (**ما هي** / ٦٨) بمعنى « كيف » وليس سؤالاً عن الماهية »[٣] (**لا فارض / ٦٨**) الراغب : « هو المسن من البقر وسمي فارضاً ، لكونه فارضاً للأرض ، أي قاطعاً لها ، أو فارضاً لما يحمل من الأحمال الشاقة . وقيل : لأن فريضة البقر اثنان : تبيع ومسنة ، فالتبيع يجوز في حال دون حال ، والمسنة يصح بذلها في كل حال ، فسميت المسنة فارضاً لذلك ، فعلى هذا يكون الفارض اسماً إسلامياً »[٤] . انتهى .

---

(١) حكاه أبو حيان - البحر (١/٣٤٧) .
والظاهر أن الراجح في المراد من (. . . **لما بين يديها وما خلفها**/٦٦) هو ما بين يديها وما خلفها في المكان ، وهي القرى الموجودة حولهم يومئذٍ كما قال تعالى : (**ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون**) الأحقاف/٢٧ .
وهو ما مال إليه ابن قتيبة (غريب القرآن/٥٢) ، ورجحه ابن كثير (١/١٠٧) ، وعزاه إلى ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

(٢) قرأ بذلك الجحدري وابن محيصن . - البحر (١/٢٥٠) .

(٣) العجائب (١/١٤٦) .

(٤) المفردات (٣٧٦ - مادة : فرض) بتصرف .



وقال غيره : « لأنه فرض سنيه ، أي قطعه ، وبلغ آخر عمره »[1] (**ولا بكر / ٦٨**) قال الراغب : هي هنا التي لم تلد »[2] . (**عوان / ٦٨**) هو المتوسط بين السنين أتى به بعد (**لا فارض ولا بكر / ٦٨**) ، لإزالة اللبس ، وبقي احتمال كونها عجلاً أو جنيناً . (**بين ذلك/٦٨**) أصل (**بين**) ألا يدخل إلا على شيئين فصاعداً ، ودخل على ذلك ، لأنه وقع مشاراً به إلى اثنين ، ولم يثن لفظه ، على تأويل ما ذكر ، أو ما تقدم ، وحسنه كون أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها ليس على الحقيقة ، وكذلك الموصولات ، ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع . الراغب : « (**بين**) موضوع للخلل بين الشيئين ووسطهما ، وتستعمل اسماً وظرفاً ومصدراً ، ولا تستعمل إلا فيما كان له مسافة ، أو له عدد ما ، اثنان فصاعداً ، ولا يضاف إلى ما يقتضي معنى الوحدة ، إلا إذا كرر ، نحو (**ومن بيننا وبينك حجاب**)[3] »[4] . أبو حيان : « الذي أذهب إليه أن في الآية حذف معطوف ، لدلالة المعنى عليه ، أي بين ذلك وهذا ، أي الفارض ، والبكر ، على حد (**سرابيل تقيكم الحر**)[5] ، فهو اكتفاء[6] . (**ما لونها /٦٩**) قرىء بالنصب[7] ، مفعول (**يبين / ٦٩**) و (**ما / ٦٩**) زائدة . (**فاقع لونها / ٦٩**) شديد الصفرة خالصها ، يقال : أصفر فاقع ، وأسود حالك ، وأبيض ناصع ، وأحمر قانىء ، وأخضر ناضر . الكشاف : « فإن قلت : هلا قيل : صفراء فاقعة ؟ وأي فائدة في ذكر اللون ؟ .

قلت : الفائدة فيه التوكيد ، لأن اللون اسم للهيئة ، وهو الصفرة ، فإنه قيل شديد الصفرة ، وصفرتها ، فهو من باب : جدجده »[8] .

---

(١) هذا معنى كلام أبي حيان - البحر (١/٢٤٨) .
(٢) المفـردات (٥٨ - مادة : بكر) بتصرف .
(٣) فصلـت (٥) .
(٤) المفردات (٦٧ - ٦٨ ، مادة : بين) بتصرف ، واختصار .
(٥) النمـل (٨١) .
(٦) البحر (١/٢٥٢) بتصرف واختصار .
(٧)
(٨) الكشـاف (١/٢٨٧) بتصـرف .



وقال الكرماني : « منهم من وقف على (**فاقع**) ، ولما كان تبعاً لم يحتج إلى علامة التأنيث ، وجعل (**تسر**) خبراً »[1] (لونها) وأنثه لاضافته إلى مؤنث ، على أنه قرىء بالتحتية[2] . (**تسر الناظرين / ٦٩**) ، الماوردي : « السرور : ما سر به القلب[3] ، والفرح : ما فرحت به العين » قال غيره : « وعبر فيه بالفعل ، لأنه من الأعراض الحادثة ، وفي اللون بالاسم لأنه من الأشياء الثابتة » . (**إن البقر تشابه / ٧٠**) ذكر الفعل لأن البقر اسم جنس ، والتذكير والتأنيث في اسم الجنس جائزان ، بدليل (**أعجاز نخل منقعر**)[4] (**أعجاز نخل خاوية**)[5] . وقرىء : (**تشابهت**) بالتشديد[6] ، فقيل : على زيادة التاء في الماضي ، ثم أدغمت إحدى التاءين في الشين ، وقيل : من البقرة[7] والفعل اشابهت وكتب موصولاً ، كقوله : (**ولات حين مناص**)[8] ، وقرىء (**يشابه**) بالتحتية والتشديد ، وفتح الباء[9] . قال الكرماني : « وهو خطأ بإجماع »[10] . وقرىء (**إن الباقر**)[11] وهو جمع ، أو اسم جمع لبقرة وفي تفسير أبي حيان : « في (**تشابه**) ثنتا عشرة قراءة ، تشابه كتحامل وتشابه بضم الهاء[12] ، مضارع أصله تتشابه ، فحذفت التاء ، وتشابه كذلك ، شدد الشين بإدغام التاء فيها[13] ، ويشابه بالتحتية والتشديد والرفع[14] والأصل تتشابه ، فأدغمت

---

(١) الذي في لباب التفسير (١/٢٩١) ، « فاقع لونها» اتباع للتأكيد . . ولم يقل فاقعة لأن الفعل للون ويجوز أن يكون لما كان تبعاً ، لم يحتج إلى العلامة » .

(٢) البحر (١/٢٥٣) دون نسبة .

(٣) في النكت (١/١٢٣) : « هو ما يتأثر به القلب » .

(٤) القمر : (٢٠) . (٥) الحاقة : (٧) .

(٦) عن ابن أبي إسحاق - البحر (١/٢٥٤) .

(٧) أي أن التاء هي تاء البقرة - كما في البحر (١/٢٥٤) وقد ذكر هذا الوجه وسابقه .

(٨) سورة ص : (٣) . (٩) قرأ بذلك محمد ذو الشامة . - ابن خالويه (٧) .

(١٠)

(١١) قرأ بذلك محمد ذو الشامة . - ابن خالويه (٧) .

(١٢) هذه قراءة الحسن . - البحر (١/٢٥٤) .

(١٣) قرأ بذلك الأعرج . - البحر (١/٢٥٤) .

(١٤) عن ابن مسعود . - البحر (١/٢٥٤) .



التاء ، ويشبه ، بتشديد الشين والباء ، بلا ألف[1] وتشبه ، ماض كتعلم[2] ، وتشابهت كتحاملت[3] وتشابهت بتشديد الشين[4] ويتشابه ، مضارع ، ومتشبه[5] ، ومتشابه ومتشابهة[6] صفات . **(وإنا إن شاء الله لمهتدون / ٧٠)** وسط بالشرط بين إن ، واسمها ، وخبرها ، اهتماماً بتعليق الهداية بالمشيئة ، ولموافقة رؤوس الآي . **(لا ذلولٌ ، تثير الأرض / ٧١)** هذه الجملة الفعلية ، صفة **(ذلوا)** ، داخلة في حيز النفي ، وهو من باب : على لاحب - أي طريق - لا يهتدى بمناره **(ولا شفيعٌ يطاع)**[7] لأن القصد نفي الإثارة ، واللفظ نفي الذل ، ويسمى في البديع ، نفي الشيء بإيجابه .

وقرىء **(لا ذلول)** بالفتح[8] ، بمعنى لا ذلول هناك ، أي حيث هي ، وهي نفي لذلها ، ولأن توصف به ، على حد : مررت بقوم ، لا بخيل ولا جبان[9] ، أي منهم ، أو حيث هم ، فالخبر على هذا ، هو المقدر ، وفيه كناية ، حيث نفي اللازم ، وأريد الملزوم ، كما يقال : مجلس فلان مظنة الجود والكرم ، كناية عن ثبوتهما له . **(ولا تسقي الحرث / ٧١)** قرىء بضم أوله من أسقى[10] . **(مسلمة / ٧١)** قيل : من العيوب . وقيل : من الشيات والألوان ، وقيل : من العمل . وقيل : من الحرام ، لا غصب فيها ولا سرقة . وقيل : من جميع ما ذكر[11]

---

(١) قرأ بذلك محمد ذو الشامة . - البحر (١/٢٥٤) .
(٢) وهي قراءة مجاهد . - (البحر ١/٢٥٤) .
(٣) عن أبي ، (البحر ١/٢٥٤) .
(٤) عن ابن أبي إسحاق ، (البحر ١/٢٥٤) .
(٥) لم ينسب أبو حيان هذه القراءة وسابقتها إلى أحد .
(٦) عزا أبو حيان هذه القراءة وسابقتها إلى الأعمش . وعزا ابن خالويه (٧) القراءة السابقة إلى ابن مسعود في رواية . - البحر (١/٢٥٤) .
(٧) غافر : (١٨) .
(٨) عن السلمي . - ابن خالويه (٧) .
(٩) انظر الكشاف (١/٢٨٨) .
(١٠) ابن خالويه (٧) ، والبحر (١/٢٥٧) ، والدر المصون (١/٤٣١) ، دون نسبة .
(١١) نسب ابن الجوزي القول الأول من الأقوال السابقة الذكر إلى ابن عباس وأبي العالية وقتادة . والقول الثاني إلى مجاهد ، وابن زيد . والقول الثالث إلى الحسن وابن قتيبة . - زاد المسير (١/٩٩) . وأما القولان الرابع والخامس ، فقد حكاهما أبو حيان ولم يسندهما إلى أحد . - البحر (١/٢٥٧) .



ففيه من أنواع البديع ، الاتساع ، وهو أن يؤتى بلفظ يتسع فيه التأويل . (**لاشية فيها** / ٧١)الشية بمعنى البلقة[١] من خواص صفات البقر ، يقال : ثور أشيه ، وفرس أبلق ، وكبش أخرج ، وتيس أبرق . وكلب أبقع ، كل ذلك بمعنى البلقة ، قاله ابن عطية[٢] . (**جئت بالحق** / ٧١) أي البين الواضح . (**فذبحوها** / ٧١) أي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف ، فذبحوها ، قيل : أمروا بذبح البقرة دون غيرها من الحيوان ، ودون أمر آخر ، لأنهم عبدوا العجل ، فعظم أمر البقرة عنـدهم فأراد الله أن يزيل عن قلوبهم ذلـك ، ويهـون عنـدهم . (**وإذ قتلتم نفساً**/٧٢) هو أول القصة في الحقيقة ، فإيراده هنا ، من باب التقديم ، والتأخير .

قال الأصبهاني : « ونكتة تأخيره ، أن كل ما قص من قصص بني إسرائيل ، إنما قص تعديداً لما وجد منهم من الجنايات ، وتقريعاً لهم على تلك الجنايات ولما وجد فيهم من الآيات العظام ، وهـاتـان قصتـان ، كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقـريع ، وإن كانتـا متصلتين متحدتين ، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال ، وما يتبع ذلك ، والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة ، وما يتبعه من الآيات العظيمة ، وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتل ، لأنه لو عكس لكانت قصة واحدة ، ولذهب الغرض في نكتة التقريع ، ولذا روعيت نكتته بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت الأولى ، دلالة على اتحادهما ، بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله (**اضربوه ببعضها** / ٧٣) حتى يتبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع ، وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيـرهـا وأنها قصـة واحدة ، بالضمير الراجع إلى البقرة »[٣] . وقرىء (**إذ قتلتم نسمة**)[٤] ونسبة القتل إلى الجمع ، لوجوده فيهم ، (**فادارأتم فيها** / ٧٢) أي

---

(١) البلق : سواد وبياض ، وكذلك البلقة . - اللسـان (١٠/٢٥) مادة : بلق .

(٢) المحرر (١/٣٤٧) .

(٣) أنـوار الحقـائق (١٨٢) .

(٤) قرأ بذلك أبو حيوة ، وأبو السوار الغنوي . - المحرر (١/٣٥١) .



اختلفتم وتدافعتم ، وتخاصمتم في شأن النفس ، لأن المتخاصمين يدارىء بعضهم - بعضاً . أي يدفعه ، فأطلق اللازم ، وأريد الملزوم ، فهو كناية . وقرىء (فتدارأتم)[1] على الأصل ، وقرىء (فدارأتم)[2] . (**والله مخرج ما كنتم تكتمون** / ٧٢) جملة اعتراضية ، ومخرج لحكاية الحال الماضية ، فلذا عمل الزملكاني الخطاب بذلك ليهود عصره - ﷺ - ولو خاطب القاتل ، لقال : ما كنتم تجحدون ، أو تنكرون ، إذ لا يقال للمدعى عليه : كتم ، ولكن جحد ، وأنكر ويقال للمخبر : كتم ، وكذلك الشاهد . الطيب : « دل بناء اسم الفاعل وهو (مخرج) على المبتدأ ، على الثبات ، وتوكيد الحكم ، وأن الإخراج واقع لا محالة . (**فقلنا** / ٧٢) فيه التفات من الغيبة . (**اضربوه ببعضها** / ٧٣) أي فضربوه ، فحيي . وذكر « الهاء » في (اضربوه / ٥٣) عوداً للقتيل المفهوم من (**قتلتم** / ٧٢) ، أو على النفس فإن تذكيرها لغة[3] . (**كذلك يحيي الله الموتى** / ٧٣) فيه التفات عن التكلم . قال الكرماني : « والتشبيه في الإحياء فقط »[4] قال أبو حيان : « ثم إن كان خطاباً للذين حضروا إحياء[5] القتيل ، ففيه إضمار ، أي : وقلنا لهم ، أو لمنكري[6] البعث في عهده -ﷺ- فهو من تلوين الخطاب »[7] . (**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك** / ٧٤) المراد بتراخي (**ثم**) هنا ، بعد التصور ، أي استبعاد القسوة من بعد ما ذكر ، مما يوجب لين القلوب ، ورقتها ، فإنه لما كان قسوة القلب من بعد الأمور المذكورة الموجبة للنية ، بعيدة التصور ، ناسب الإتيان بـ(**ثم**) ، ونحو (**ثم أنتم تمترون**)[8] ، وبعد قوله :(**هو**

---

(١) نسبها أبو حيان إلى أبي حيوة ، ونسبها ابن خالويه إلى ابن مسعود . - البحر (١/٢٥٩) ، وابن خالويه (٨) .

(٢) لم أعثر عليها بهذا اللفظ ، وهي في البحر (١/٢٥٩) : (فدرأتم) بغير ألف قبل الراء ونسبها إلى أبي السوار .

(٣) انظر البحر (١/٢٦٠) . (٤) لباب التفسير (١/٢٩٧) .

(٥) كلمة «إحياء» أضفتها من البحر (١/٢٦٠) .

(٦) بالبحر (١/٢٦٠) : « وإن كان لمنكري » .

(٧) انظر المرجع السابق . (٨) الأنعام : (٢) .

الذي خلقكم من طينٍ ، ثم قضى أجلاً ، وأجلٌ مسمىً عنده)[1] أي امتراؤكم -بعد هذه الأمور الموجبة لعدم امترائكم- بعيد التصور . والقسوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة . « وفي وصف القلوب بها استعارة تمثيلية ، شبه حالها في نبوّها عن الاعتبار ، وعدم تأثرها بالآيات ، بحال الحجارة ، وهي القسوة ، ثم استعير لها هذه الصفة ». قاله الزمخشري[2] . قال القطب : « ويجوز أن يكون في (**قلوبكم**) ، استعارة مكنية ، ونسبة القسوة إليها ، قرينتها » قال : (وهو أنسب » . (**فهي كالحجارة أو أشد قسوة** / ٧٤) قيل (أو) للشك وهو محال على الله تعالى. وأجيب بأنها بمعنى الواو ، أو للإضراب ، أو لتخيير السامع ، أو للإيهام عليه ، أو للشك بالنسبة إليه ، والمعنى أن من عرف حالهم شبه قلوبهم بالحجارة ، أو بما هو أشد منها قسوة[3] .

واختار أبو حيان أنها للتنويع ، وكأن قلوبهم على قسمين : قلوب كالحجارة قسوة ، وقلوب أشد قسوة منها ، فأجمل ذلك ، في قوله (**ثم قست قلوبكم**) ثم فصل ونوع إلى مشبه بالحجارة ، وإلى أشد منها »[4] فهو لف ونشر مجمل ، على حد قوله تعالى : (**كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا**)[5] ، قال أبو حيان : « وجمعت الحجارة ، ولم يقل كالحجر - مع أنه أخصر - لمناسبة مقابلة الجمع في (**قلوبكم**) بالجمع ، ولأن قلوبهم متفاوتة في القسوة كما أن الحجارة متفاوتة في الصلابة ، فلو قيل كالحجر ، لأفهم ذلك عدم التفاوت من حيث الإفراد[6] . و(**قسوة**) منصوب على التمييز ، إما من الكاف ، أو من أفعل التفضيل ، فإن كلاً منهما ، ينتصب عند التمييز . الكشاف : « فإن قلت : لم قيل (**أشد قسوة**) ، وفعل القسوة عما يخرج منه صفة التفضيل والتعجب ؟ قلت : لكونه أبين وأدل على فرط القسوة . ووجه آخر ، وهو ألا يقصد معنى الأقسى ، ولكن قصد وصف القسوة بالشدة ، كأنه

---

(١) الأنعام : (٢) .　　(٢) الكشاف (١/ ٢٩٠) باختصار .

(٣) انظر البحر (١/ ٢٦٢) - وانظر الدر المصون (١/ ٤٣٦) .

(٤) البحر (١/ ٢٦٢)　　(٥) البقرة : (١٣٥) .

(٦) بالبحر (١/ ٢٦٢) : « لأفهم ذلك عدم التفاوت ، إذ يتوهم فيه من حيث الإفراد ذلك » .

قيل : اشتدت قسوة الحجارة ، وقلوبهم أشد قسوة[1] ، فإن في (**أشد**) دلالة على اشتداد القسوتين ، واشتمال المفضل على زيادة في القسوة ، لا في شدة القسوة وترك ضمير المفضل عليه ، ولم يقل منها ، لعدم الالتباس . وقرىء (**أشد**) بالفتح[2] مجروراً عطفاً على الحجارة . وقرىء (**قساوة**)[3] . (**وإن من الحجارة / ٧٤**) إلى آخره ، بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله : (**أو أشد قسوة**) ، والجملة تذييل للتشبيه ، فالواو استئنافية ، وقيل : لعطف البيان على المبين ، وقيل : للحال[4] ، وفي الكلام حذف ، أي قلوبكم لا تلين ولا تخشع ولا تخشى .

وقرىء (**إن**) بالتخفيف في المواضع الثلاثة[5] ، فهي مخففة من الثقيلة لما قرىء بالتشديد فيها ، بمعنى ألا ، (**يتفجر**) قرىء بالنون الساكنة[6] ، والتفجير : التفجر بسعة وكثرة ، والانفجار دونه ، (**منه الأنهار**) فيه حذف ، أي الماء الذي يخرج (**منه الأنهار**) ، وقرىء (**منها**) مراعاة لمعنى « ما »[7] (**وإن منها لما يشقق**) قرىء يتشقق ، وينشقق[8] . والتشقق : التصدع بطول ، أو عرض ، ينبع منه الماء بقلة ، حتى لا يكون نهراً . (**فيخرج منه الماء**) ، لم يقرأ « منها » كما في الذي قبله ، لأنه وليه هناك جمع وهو الأنهار ، فناسب الجمع ، فخلاف هنا ، قاله أبو حيان[9] (**وإن منها لما يهبط / ٧٤**) قرىء بضم الباء[10] . قال ابن جني : « وهي أقوى قياساً من

---

(١) الكشاف (١/ ٢٩٠) .
(٢) عن أبي حيوة . - (ابن خالويه ٧) .
(٣) عن أبي حيوة أيضاً ، (البحر ١/ ٢٦٣) .
(٤) راجع معاني القرآن ، للأخفش (١/ ١٠٧) ، وروح المعاني (١/ ٢٩٥) .
(٥) عن قتادة - البحر (١/ ٢٦٤) .
(٦) عن مالك بن دينار ، (البحر/ ٢٦٥) .
(٧) قرأ بذلك أبي بن كعب ، والضحاك . - المحرر (١/ ٣٥٦) .
(٨) هذه قراءة ابن مصرف ، والقراءة السابقة هي قراءة الأعمش . - الدر المصون (١/ ٤٣٨) ، والكشاف (١/ ٢٩٠) ، والمحرر (١/ ٣٥٧) .
(٩) البحر (١/ ٣٦٥) .
(١٠) هذه قراءة الأعمش ، - المحتسب (١/ ٩٢) .



المكسورة لأنه[1] لازم » ، قال : « وبعضهم حمل المكسورة على أن الفعل متعد ، أي يهبط غيره ، أي إذا رآه الإنسان خشع لطاعة خالقه ، فحذف المفعول تخفيفاً ولدلالة المكان عليه »[2] . قال أبو حيان : « رتب تقسيم هذه الأحجار ترتيباً حسناً جداً ، وهو على حسب الترقي ، فبدىء بالذي يتفجر منه الأنهار ، أي خلق ذا خروق متسعة ، فلم ينسَّب إليه في نفسه افعل ولا تفعل ، ثم ترقى إلى الحجر الذي ينفعل انفعالاً يسيراً ، وهو أن يصدر منه تشقق بحيث ينبع منه الماء ، ثم ترقى إلى الحجر الذي ينفعل انفعالاً عظيماً ، بحيث يتحرك من علو إلى سفل ، ثم رسخ هذا الانفعال التام بأن ذلك من خشية الله »[3] ، انتهى .

وعكس الطيبي فقال : « إن الآية على التتميم لا الترقي ، على وزان قوله (**الرحمن الرحيم**) . إذ لو أريد الترقي لقيل: « وإن منها لما يشقق وإن منها لما يتفجر » لأن التفجر أبلغ من خروج الماء من التشقق ، وفائدته استيعاب جميع الانفعالات التي هي على خلاف طبيعة هذا الجوهر وهو أبلغ من الترقي ، وقوله : (**وإن منها لما يهبط / ٧٤**) تتميم للتتميم . انتهى .

(**من خشية الله / ٧٤**) قال الطيبي : « هو متعلق بالكل ، ويؤيده ما أخرجه ابن جرير عن مجاهد ، قال : « كل حجر يتفجر منه الماء ، أو يتشقق عن ماء أو يتردى من رأس جبل ، فهو من خشية الله ، نزل بذلك القرآن[4] » . ووصف الحجارة بالخشية حقيقة ، وقيل : مجاز ، وكناية عن الطاعة والانقياد واستعارة على حد (جداراً يريد أن ينقض)[5][6] (**وما الله بغافل عما تعملون / ٧٤**) وعيد ، ولا تقع هذه الجملة إلا عقب ارتكاب معصية . قال أبو حيان : « افتتح القصة بأن الله يأمر ، واختتمها بأن الله لا يغفل فهو العالم بمن امتثل ، وبمن أهمل »[7] .

---

(١) أي لأن فعل «هبط» لازم ، المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) البحر (١/٢٦٧) .
(٤) جامع البيان (٢/٢٤٠) .
(٥) الكهف : (٧٧) .
(٦) انظر البحر (١/٢٦٦) .
(٧) البحر (١/٢٦٨) .

وفي قراءة بالتحتية[1] ، وفيها التفات عن الخطاب . قال أبو حيان : « ونكتته أنه أعرض عن مخاطبتهم ، وأبرزهم في صورة من لا يقبل عليهم بالخطاب وجعلهم كالغائبين ، لأن مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه ، وتأنيس له ، فقطع عنهم ذلك لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات »[2] . (**أفتطمعون** / ٧٥) استفهام إنكار وتعجيب . والطمع تعلق النفس بإدراك مطلوب تعلقاً قوياً ، وهو أشد من الرجاء . قيل : والخطاب فيه ، وفي (**لكم**) ، للنبي -ﷺ- خاصة . وجيء بلفظ الجمع تعظيماً . (**كلام الله** / ٧٥) قرأ الأعمش (**كلم الله**)[3] . (**وإذا لقوا** / ٧٦) الآية ، الضمير في (**لقوا**) لمن نافق من اليهود ، وفي (**قالوا أتحدثونهم** / ٧٦) لمن لم ينافق منهم . قال في « الانتصاف »[4] : « فاختلاف الضميرين هنا ، كهو في (**وإذا طلقتم النساء ، فبلغن أجلهن ، فلا تعضلوهن**)[5] . فإن الأول للأزواج ، والثاني للأولياء »[6] . (**أوَلاً يعلمون** / ٧٧) قرىء بالفوقية[7] على الالتفات وفائدته : التنبيه على سماع ما يأتي بعده ، ثم التفت عنه إلى الغيبة في قوله : (**ومنهم أميون** / ٧٨) إهمالاً لهم . قال أبوحيان : « لما بين أولاً أمر الفرقة التي حرفت ، ثم أمر الفرقة التي نافقت ، ثم أمر الفرقة التي لامت وأنكرت وكل هؤلاء علماء أخذ يبين أمر فرقة العامة ، التي طريقها التقليد ، وقبول ما يقال لهم ، فاستوعبت فرق اليهود »[8] .

---

(١) عن ابن كثير . - حجة القراءات (١٠١) .

(٢) البحر (١/٢٦٨) .

(٣) ابن خالويه (٧) ، والمحتسب (١/٩٣) .

(٤) كتاب : «الانتصاف في شرح الكشاف» للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي . - انظر كشف الظنون (١/١٧٤) .

(٥) البقرة (٢٣٢) .

(٦) وجدت هذا الكلام بنحوه في «الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال» وهو مختصر لنفس المؤلف ، وهو بحاشية الكشاف (١/٢٩١) .

(٧) عن ابن محيصن وقتادة . - ابن خالويه (٧) .

(٨) البحر (١/٢٧٥) بتصرف .

وقرىء (**أميون**) بتخفيف الميم[1] . (**لا يعلمون الكتاب إلا أماني / ٧٨**) أي أكاذيب . استثناء منقطع . وقرىء بتشديد الياء ، وتخفيفها[2] كمفاتيح ومفاتح . (**وإن هم إلا يظنون / ٧٨**) جيء بالمضارع دون اسم الفاعل ليدل على حدوث الظن ، وتجدده لهم ، وأن رأيهم مضطرب غير ثابت . (**فويل / ٧٩**) كلمة عذاب . وقيل : دعاء بالثبور . وقيل : واد في جهنم ، وهو الصحيح الثابت عن رسول الله -ﷺ- وأصحابه[3] .

قال أبو حيان : « لم يجىء من هذه المادة ، التي فاؤها واو ، وعينها ياء إلا ويل ، وويح ، وويس[4] ، وويب »[5] . (**يكتبون الكتاب بأيديهم / ٧٩**) هو تأكيد برفع توهم المجاز ، كقوله : (**يطير بجناحيه**)[6] .

وقال ابن السراج[7] : « هو كناية عن أنهم اختلقوا ذلك ، من تلقاء أنفسهم » .

قال أبو حيان : « واستعمال الأيدي في الجارحة أكثر ، والأيادي في النعمة أكثر[8] » . وفي (**يكتبون / ٧٩**) جناس : (**وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً**

---

(١) أبو حيوة ، وابن أبي عبلة ، المرجع السابق .

(٢) قراءة التشديد هي قراءة الجمهور ، وقراءة التخفيف هي قراءة أبي جعفر وشيبة والحسن -بخلاف- والحكم بن الأعرج . - المحتسب (١/ ٩٤) ، والبحر (١/ ٢٧٦) .

(٣) روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ويل واد في جهنم ، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً ، قبل أن يبلغ قعره ، والصعود جبل من نار ، يصعد فيه سبعين خريفاً ، يهوي به كذلك فيه أبداً) . - مسند الإمام أحمد (٣/ ٧٥) .
وذكر السيوطي نحوه في الجامع الصغير ، وزاد نسبته إلى الترمذي ، وابن حبان والحاكم ، ثم صححه . وذكر المناوي تصحيح الحاكم له ، ثم إقرار الذهبي للحاكم على ذلك ، ثم قال : « وفيه عند أحمد والترمذي ابن لهيعة » . - فيض القدير (٦/ ٣٧٠) .

(٤) في (ب) : ووليس . (٥) البحر (١/ ٢٧٠) . (٦) الأنعام : (٣٨) .

(٧) هو أبو بكر ، محمد بن السري بن سهل ، من أهل بغداد ، وهو أحد أئمة الأدب والعربية ، كان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً ، وكان عارفاً بالموسيقى ، من كتبه : « الأصول » في النحو ، و« شرح كتاب سيبويه » . توفي ٣١٦هـ .
- بغية الوعاة (٤٤) - الوفيات (١/ ٥٠٣) . - طبقات النحويين واللغويين (١١٢) .

(٨) بالبحر (١/ ٢٧٠) : « الأيدي : جمع يد . . وهي حقيقة في الجارحة ، مجاز في غيرها ، وأما الأيادي ، فجمع الجمع ، وأكثر استعمال الأيادي في النعم .



معدودة / ٨٠) وفي « آل عمران » : (معدودات / ٢٤) استيفاء لاستعمال الجمعين ، كذا في « درة التنزيل » قال : « ويجوز أن يكون (معدودات / ٢٤) جمع معدودة »[١] .

قلت : ظهر لي في ذلك نكتة ، وهو أن الرواية عن ابن عباس ، وغيره اختلفت في عدة الأيام ، ففي رواية أنهم قالوا « سبعة أيام »[٢] ، وفي رواية أربعين[٣] » . وطريق الجمع ، أن فريقاً من اليهود ، قالوا بالأول وفريقاً آخر ، قالوا بالثاني ، فلعل ذكر (معدودة) إشارة إلى قول من قال « سبعة » ، و (معدودات) الذي هو جمع (معدودة) ، إشارة إلى قول من قال « أربعين » ، أو (معدودة) الذي هو للكثرة ، للأربعين و (معدودات) الذي للقلة ، للسبعة ، والله أعلم بمراده . ثم رأيت ابن جماعة سبقني إلى ذلك[٤] . (فلن يخلف الله عهده / ٨٠) متعلق بمحذوف ، أي إن اتخذتم عند الله عهداً ، فلن يخلف الله عهداً[٥] ، فهي اعتراضية بين الجملتين اللتين وقع التعادل بينهما[٦] ، أو مفعول مقول محذوف منصوب في جواب

---

(١) انظر درة التنزيل ، وغرة التأويل (٢٣ - ٢٤) .

(٢) وذلك فيما رواه الطبري عن ابن عباس قال : « كانت يهود يقولون : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يعذب الله الناس يوم القيامة بكل ألف سنة من أيام الدنيا ، يوماً واحداً من أيام الآخرة ، وإنها سبعة أيام ، فأنزل الله في ذلك من قولهم : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) الآية . - جامع البيان (٢/٢٧٧ - ٢٧٨) . وهذا القول رواه الطبري أيضاً عن مجاهد . - المرجع السابق (٢٧٨) .

(٣) وذلك فيما رواه الطبري عن ابن عباس : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) ، قال ذلك أعداء الله اليهود ، قالوا : لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم ، الأيام التي أصبنا فيها العجل : أربعين يوماً . فإذا انقضت عنا تلك الأيام ، انقطع عنا العذاب والقسم .
- جامع البيان (٢/٢٧٤ - ٢٧٥) .
وزاد الطبري نسبة القول بالأربعين يوماً إلى قتادة ، والسدي ، وأبي العالية ، وعكرمة والضحاك وغيرهم .
- المرجع السابق (٢/٢٧٥ - ٢٧٧) .

(٤) كشف المعاني (٣٨) .

(٥) وهو اختيار الزمخشري (الكشاف ١/٢٩٢) ، والبيضاوي (حاشية الشهاب على البيضاوي ٢/١٩٢) ، وهو ما جرى عليه الألوسي في روح المعاني (١/٣٠٤) .

(٦) ذهب إلى ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز (١/٣٦٩) .
وانظر الدر المصون (١/٥٤٥) .



الاستفهام ، أي فنقول لن يخلف[1] . (**بلى / ٨١**) إثبات لما بعد حرف النفي ، أي تمسكم النار أبداً . (**من كسب سيئة / ٨١**) البيضاوي : « الكسب : استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة (**فبشرهم بعذاب أليم**)[2] [3]» ، (**وأحاطت به خطيئته / ٨١**) الإحاطة حقيقة في إحاطة جسم بجسم آخر كإحاطة السوار باليد ، فاستعير لموافاة الموت على الكفر ، فإنه لا يقتضي تكفير شيء من الخطايا .

وفي قراءة (**خطيئاته**)[4] ، وقرىء (**خطاياه**)[5] البيضاوي : « الفرق بين السيئة والخطيئة : « أن السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات ، والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض ، لأنها من الخطأ »[6] .

وقال غيره : « أفرد السيئة ، لأنه كنى بها عن الشرك ، وهو واحد ، وجمع الكبائر ، لأن المراد بها المعاصي ، وهي كثيرة » ، (**فأولئك / ٨١**) روعي فيه معنى من . (**وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل / ٨٣**) أتى بالظاهر بدل المضمر للفصل بينه وبين الإخبار عنهم بقوله: (بلى / ٨١) الآيتين . (**لا تعبدون / ٨٣**) على تقدير القول ، أي وقلنا لا تعبدون[7] ، وقرىء بالياء[8] لأن بني إسرائيل اسم

---

(١) هذا تقدير أبي البقاء ، إلا أنه قال : « فيقولوا » بدلاً من «فنقول» . - املاء ما من به الرحمن (١/٤٦) .

(٢) آل عمران : (٢١) .

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/١٩٣) بإضافة كلمة « قوله » بعد « على طريقة » .

(٤) هذه قراءة نافع . - حجة القراءات (١٠٢) .

(٥) في ابن خالويه (٧) : (خطاياه) ، ونسبه إلى بعض الشاميين .

(٦) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/١٩٣) .

(٧) هذا القول هو أحد أقوال ثمانية ذكرها أبو حيان ، وقد نسبه إلى الفراء وهو إخبار في معنى النهي ، كما قال تعالى: (**ولا يضار كاتب ولا شهيد**) - البحر المحيط (١/٢٨٣) .
وذهب الألوسي إلى ترجيح هذا القول ، وذلك للأسباب الآتية :
١ - أنه : أبلغ من صريح النهي ، لما فيه من إيهام أن المنهي كأنه سارع إلى ذلك ، فوقع منه ، حتى أخبر عنه بالحال أو الماضي .
٢ - أنه : ابن مسعود قرأ (**لا تعبدوا**) على النهي .
٣ - أن قوله : (**وقولوا للناس حسناً**) عطف عليه ، فيحصل التناسب المعنوي بينهما في كونهما إنشاء . روح المعاني (١/٣٠٧).

(٨) عن ابن كثير وحمزة والكسائي . - حجة القراءات (١٠٢) .



ظاهر ، والأسماء الظاهرة كلها غيب ، وبالتاء حكاية لما خوطبوا وهي خبر بمعنى النهي ، وهو أبلغ من التصريح بصيغة النهي ، لما فيه من إيهام أن المنهي عنه ، مما يعتنى بشأنه ، ويتأكد طلب امتثاله فكأنه وقع وأخبر عنه . وقرىء (**لا تعبدوا**)[1] ، ولذلك صح عطف (**وقولوا** / ٨٣) وما بعده عليه . (**وبالوالدين إحساناً** / ٨٣) على تقدير : وأحسنوا . وقدم الوالدين للاهتمام ، وتنكير « إحسان » للتعظيم ، أي إحساناً لا يدرك كنهه . وقدم في الآية الأهم الأهم ، فإن حق الوالدين آكد من حق ذوي القربى ، وذوي القربى آكد من اليتامى ، لقرابتهم ، واليتامى آكد من المساكين ، لضعفهم وحاجتهم ، وفي التشبيه تغليب ، لأن الوالد حقيقة في الأب ، والأم والده . (**وقولوا** / ٨٣) فيه التفات من قراءة (**يعبدون**) بالتحتية . (**للناس حسناً** / ٨٣) قرىء بفتح الحاء والسين ، وصفاً ، أي قولاً حسناً ، وبضم الحاء وسكون السين[2] على أنه مصدر وصف به مبالغة ، أي قولاً هو حسن في نفسه لإفراط حسنه . وقرىء (**حسناً** / ٨٣) بضمتين ، اتباعاً ، و(**إحساناً**)[3] مصدر كذلك ، و(**حسنى**[4]) ككبرى على أنه مصدر كالعقبى زائل عنه معنى التفضيل ، أي صفة محذوف ، وقد تضمن هذا الميثاق جمع الأوامر لأن العبادات إما اعتقادية ، وهي التوحيد ، أو قولية ، وهي القول الحسن ، أو عملية بدنية محضة ، وهي الصلاة ، أو مالية محضة ، وهي الزكاة ، أو بدنية مالية معاً ، وهي بر الوالدين ، وما ذكر معهما ، وقرن البر بالقول الحسن ، لأنه أحد الصدقتين ، كما في الحديث (الكلمة الطيبة صدقة)[5] ولما كان سهل المراد ، إذ هو بذل تلفظ لا مال ، كان متعلقه الناس عموماً ، إذ لا مشقة فيه .

---

(١) عن ابن مسعود . - ابن خالويه (٧) .

(٢) القراءة الأولى في قراءة حمزة والكسائي ، والقراءة الثانية هي قراءة البقية . - حجة القراءات (١٠٣) .

(٣) القراءة الأولى عن عطاء بن عيسى ، والقراءة الثانية عن عاصم الجحدي . - ابن خالويه (٧) .

(٤) قرأ بذلك أبي وطلحة بن مصرف . - البحر (١/ ٢٨٥) .

(٥) هذا جزء من حديث رواه البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ- : =



(**ثم توليتم / ٨٣**) فيه التفات عن الغيبة من بني إسرائيل ، وفائدته التوبيخ والتقريع ، استحضرهم ، فوبخهم والخطاب لمعاصري الرسول -ﷺ- أسند إليهم تولي أسلافهم لكونهم على طريقهم[١] ، وقيل لهم ولأسلافهم على طريق التغليب ، فلا التفات . (**إلا قليلاً / ٨٣**) قرىء : بالرفع[٢] على البدل . (**وأنتم معرضون / ٨٣**) أي وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن المواثيق والتولية . والجملة اعتراض[٣] ، أو حال مؤكدة[٤] وجيء بها اسمية ، لأنها آكدة بالخبر اسماً ، لأنه دال على الثبوت . والإعراض والتولية ، قيل : هما بمعنى . وقيل : التولية بالجسم ، والإعراض بالقلب ، وقيل : أخذا من سلوك الطريق ، فالتولية الرجوع عوداً على بدء ، والإعراض الأخذ في عرض الطريق ، فالمتولي أقرب أمراً من المعرض عليهما ، فنبه على أنهم جمعوا بين الوضعين[٥] . (**وإذ أخذنا ميثاقكم / ٨٤**) أعاده لأن الأول متعلق بالأوامر ، وهذا بالنواهي . (**لا تسفكون / ٨٤**) أي وقلنا ، والجملة وما بعدها خبر بمعنى النهي ، والمراد : لا يسفك بعضكم دم بعض ولا يجرح بعضكم بعضاً . جعل غير الرجل نفسه ، إذا اتصل به أصلاً وديناً ، فهو من المجاز بأدنى ملابسة . وقرىء بضم التاء وكسر الفاء ، وبضم التاء وبالتشديد[٦] . (**ثم أقررتم وأنتم تشهدون / ٨٤**) هو توكيد ، كقوله : أقر فلان شاهداً على نفسه ، وقيل :

= (كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس ، يعدل بين اثنين صدقة ، ويعين الرجل على دابته ، فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة) .

- اللؤلؤ والمرجان - حديث رقم (٥٩٠) . - كتاب الزكاة : باب : (١٦) .

(١) قاله ابن عباس بنحوه ، المحرر الوجيز (١/ ٣٧٥) ، البحر (١/ ٢٨٧) .

(٢) رويت عن أبي عمرو ، - البحر (١/ ٢٨٧) .

(٣) وهو ما ذكره الألوسي أولاً ، - روح المعاني (١/ ٣١٠) .

(٤) ذهب أبو حيان إلى أن (وأنتم معرضون) جملة حالية ، وذكر أنها تكون مؤكدة على قول من جعل التولي هو الإعراض بعينه . وأنها تكون مبنية على قول من خالف بينهما . - البحر المحيط (١/ ٢٨٨) وانظر الإملاء (١/ ٤٨) .

(٥) انظر البحر (١/ ٢٨٨) .

(٦) القراءة الأولى عن ابن أبي إسحاق ، والقراءة الثانية عن أبي نهيك وأبي مجلز - البحر (١/ ٢٨٩) .



الخطاب بالثاني لمعاصري النبي - ﷺ - أي وأنتم تشهدون على إقرار أسلافكم ، فهو من تلوين الخطاب[1] ، وذكر ذلك في ميثاق المناهي دون الأوامر ، لشدة اعتناء الشارع بالمناهي ، إذ درء المفاسد أولى في نظر الشرع من جلب المصالح . (ثم أنتم هؤلاء / ٨٥) استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإخراج بعد أخذ الميثاق منهم ، وإقرارهم ، وشهادتهم ، والمعنى : ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون ، أي الحاضرون ، يعني أنكم قوم آخرون ، غير أولئك المعرضين تنزيلاً لتغير الصفة منزلة تغير الذات وما بعده بيان له ، كأنه لما قيل (**ثم أنتم هؤلاء** / ٨٥) قالوا : كيف نحن ؟ فجيء بقوله : (**تقتلون أنفسكم** / ٨٥) تفسيراً له .

الطيبي : « كان مقتضى الظاهر ، ثم أنتم بعد ذلك التوكيد في الميثاق نقضتم العهد ، فتقتلون ، إلى آخره ، أي صفتكم الآن غير الصفة التي كنتم عليها فأدخل هؤلاء ، وأوقع خبراً لـ(أنتم)[2] ، وجعل قوله (**تقتلون** / ٨٥) جملة مبنية مستقلة لتفيد أن الذي تغير هو الذات نفسها ، نعياً عليهم بشدة وكادة أخذ الميثاق ، ثم تساهلهم فيه ، وقلة المبالاة به .

وقيل : الخبر (**تقتلون** / ٨٥) و (**هؤلاء** / ٨٥) منادى على حذف حرف النداء[3] أو اختصاص[4][5] . (**تقتلون**) قرىء بالتشديد[6] . (**تظاهرون** / ٨٥)

---

(١) البحر (١/٢٨٩) .

(٢) وقد اختار ذلك أبو البركات بن الأنباري . - البيان في غريب إعراب القرآن (١/١٠٣) . وهو اختيار أبي حيان (البحر ١/٢٩٠) . وانظر روح المعاني (١/٣١١ - ٣١٢) .

(٣) ذهب إلى ذلك الزجاج وغيره ، البحر (١/٢٩٠) .
وقد ضعف أبو البركات بن الأنباري هذا القول ، وذكر أن سيبويه لا يجيزه لأن حرف النداء إنما يحذف مما لا يحسن أن يكون وصفاً لـ« أي » نحو زيد وعمر . و (هؤلاء) يحسن أن يكون وصفاً لـ« أي » نحو يأيها هؤلاء فلا يجوز حذف حرف النداء منه . - البيان (١/١٠٣ - ١٠٤) .
وبين أبو حيان أنه ذهب من ذهب إلى هذا القول لأنه صعب عنده أن ينعقد من ضمير المخاطب واسم الإشارة جملة من مبتدأ وخبر .
ولكن أبو حيان يذكر أن ذلك يمكن انعقاده ، كما قالت العرب ها أنت ذا قائماً ، وها هو ذا قائماً . - البحر (١/٢٩٠) .

(٤) في (أ) : واختصاص .

(٥) ذكره صاحب البحر عن ابن كيسان (١/٢٩٠) ، ثم قال : (وقد نص النحويون على أن التخصيص لا =



بالتشـديد على إدغـام إحـدى التـاءين ، وبـالتخفيف[1] على حذفهـا . وقـرىء (**تظاهرون**) بضم أوله[2] ، من ظاهر ، و (**تظهرون**) بالتشديد[3] ، وكلها بمعنى التعاون والتناصر . (**وإن يأتوكم** / ٨٥) جيء بلفظ الإتيان ، عطف في مقابلة الإخراج ، طباقاً ، (**أسارى** / ٨٥) وفي قراءة (**أسرى**)[4] ، وهو الأصل في جمع فعيل ، وإنما جمع على (**أسارى**) تشبيهاً بكسالى ، كما جمع كسلان على كسلى ، تشبيهاً بأسرى ، قاله سيبويه[5] ، ووجه الشبه أن **كلاً** محبوس عن تصرفه .

وقيل : الأسرى من[6] في اليد ، والأسارى من في الوثاق ، قاله أبو عمرو[7] بن العلاء[8] . (**تفدوهم**) وفي قراءة (**تفادوهم**[9] / ٨٥) بمعناه أو للمفاعلة ، وأن معنى فدى دفع الفـدى ، وفـادى[10] : بادل أسيراً بأسير ، وقيل : فدى : أعطى الفـداء وفـادى : طلب الفـداء[11] . (**وهـو محرمٌ عليكم إخراجهـم** / ٨٥) قال

= يكون بالنكرات ، ولا بأسماء الإشارة . . » .

(٦) عن الحسن ، الحبر (١/٢٩١) .

(١) قراءة التخفيف هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي ، وقراءة التشديد هي قراءة البقية . - حجة القراءات (١٠٤) .

(٢) هي قراءة أبي صوة ، - المحرر الوجيز (١/٣٧٩) .

(٣) أي بفتح التاء والظاء والهاء مشددين ، وهي قراءة مجاهد وقتادة باختلاف ، ورويت عن أبي عمرو . (البحر ١/٢٩١) .

(٤) وهي قراءة حمزة . - حجة القراءات (١٠٤) .

(٥) الكتاب (٣/٦٥٠) . (٦) كلمة « من » ليست في (أ) .

(٧) هو أبو عمرو ، زبان بن عمار التميمي المازني البصري ، ويلقبه أبوه بالعلاء ، ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة ، وهو من أئمة اللغة والأدب ، وأحد القراء السبعة . توفي سنة ١٥٤هـ . - غاية النهاية (١/٢٨٨) ، وفوات الوفيات (١/١٦٤) ، ونزهة الألباب (٣١) .

(٨) ذكر القرطبي قول أبي عمرو هذا ، ثم علق عليه بأنه قول لا يعرفه أهل اللغة . - الجامع (٢/٢٠ - ٢١) . ونقله الألوسي عنه أيضاً ، ثم قال : « ولا أرى فرقاً ، بل المأخوذون على سبيل القهر والغلبة مطلقاً أسرى وأسارى » . - روح المعاني (١/٣١٣) .

(٩) عن نافع وعاصم والكسائي . - حجة القراءات (١٠٤) .

(١٠) في (ب) : وأفادا .

(١١) انظر في هذه الأقوال ، البحر (١/٢٩١) . والقول الثاني منهما هو قول الوزير بن المعري . - اللسان (٥/١٥٠) مادة : فدى .



الأصبهاني : « في نظم الآية على التقديم والتأخير ، لأن التقدير: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، وهو محرم عليكم إخراجهم وإن يأتوكم أسارى تفدوهم . والضمير للشأن[1] ، أو للإخراج[2] ، وأظهره بعده لتراخي الكلام »[3] .

أبو حيان : « تقدم القتل والإخراج ، فخص الإخراج بتأكيد التحريم ، لأنه أشد ضرراً من القتل ، من حيث أن في القتل انقطاع الضرر في الحال ، بخلاف الإخراج وقيل : حذف من القتل مثله اكتفاءً »[4] . (**أفتؤمنون** / ٨٥) استفهام توبيخ . (**فما جزاء** / ٨٥) قال الكرماني : « يحتمل الاستفهام والنفي »[5] قال أبو حيان : « والجزاء يطلق في الخير والشر »[6] . (**خزي** / ٨٥) هو ذل يُستحيىٰ منه . (**يردون** / ٨٥) قرىء بالتاء[7] . (**عما تعملون** / ٨٥) قرىء بالتاء والياء[8] وفيه على الثاني التفات . (**فلا يخفف عنهم العذاب** / ٨٦) من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى ، لأنه إذا نفى التخفيف ، فالرفع أولى . (**ولا هم ينصرون** / ٨٦) البناء للمفعول ، لمراعاة الفواصل وللعموم ، (**ولقد آتينا موسى الكتاب** / ٨٧) قال أبو حيان : « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أن إيتاء موسى الكتاب هو نعمة لهم ، إذ فيه أحكامهم وشرائعهم ، ثم قابلوا تلك النعمة بالكفر ، وذلك جري على ما سبق من عادتهم ، إذ قد أمروا بأشياء ونهوا عن أشياء فخالفوا أمر الله ونهيه ، فناسب ذكر هذه الآية ما قبلها »[9] (**وقفينا** / ٨٧) أي أتبعنا ، وأصل الاقتفاء ، اتباع

---

(١) وهو ما جرى عليه السيوطي في تفسير الجلالين . - الفتوحات الإلهية (١/٧٤) .
(٢) وهو ما ذكره أبو حيان والألوسي أولاً . - البحر (١/٢٩٢) ، وروح المعاني (١/٣١٣) .
(٣) قد تعقب أبو حيان هذا الوجه بأن فيه خلافاً ، فمنهم (من أجاز أن يفسر المضمر الذي لم يسبق له ما يعود عليه بالبدل ، ومنهم من منع » . - البحر المحيط (١/٢٩٢) . (٣) أنوار الحقائق (١٨٩) .
(٤) البحر المحيط (١/٢٩١ - ٢٩٢) بمعناه .
(٥) العجائب (١/١٥٦) .
(٦) البحـر (١/٢٩٣) .
(٧) عن السلمي . - ابن خالويه (٨) .
(٨) القراءة بالياء هي قراءة نافع وابن كثير وأبي بكر ، والقراءة بالتاء هي قراءة البقية . - حجة القراءات (١٠٥) .
(٩) البحـر (١/٢٩٨) .



القفا ، كما أن الارتداف اتباع الردف . (**وآتينا عيسى / ٨٧**) فصله بعد ذكر الرسل ، لأن من قبله كانوا متبعين شريعة موسى ، وأما عيسى فنسخ شرعه كثيراً من شرعه . (**ابن مريم / ٨٧**) إضافة إلى أمه ، رداً على النصارى فيما زعموه . (**وأيدناه / ٨٧**) من الأيد ، وهو القوة الشديدة . وقرىء بالمد ، وتخفيف الياء[١] . قال أبو حيان : « وفرق بعضهم بين القراءتين ، بأن الأولى بمعنى النصر ، والثانية بمعنى القوة »[٢] . (**بروح القدس / ٨٧**) هو جبريل ، أي بالروح المقدسة كقولك : حاتم الجود ، فهو من باب إضافة الموصوف إلى الصفة للمبالغة في الاختصاص . وقيل : القدس ، هو الله[٣] ، أضيف إليه اضافة تشريف ، ويؤيده قراءة أبي حيوة[٤] (**بروح القدوس / ٨٧**)[٥] . (**أفكلما / ٨٧**) استفهام توبيخ وتعجيب من شأنهم . (**تهوى أنفسكم / ٨٧**) أبو حيان : « أكثر استعمال الهوى فيما ليس بحق . وأسند الفعل إلى النفس ، ولم يقل تهوون ، إشعاراً بأن النفس يسند إليها غالباً الأفعال السيئة ، (**إن النفس لأمارةٌ بالسوء**)[٦] (**فطوعت له نفسه قتل أخيه**)[٧] ، (**بل سولت لكم أنفسكم**[٨])[٩] » . (**ففريقاً كذبتم ، وفريقاً**

---

(١) عن مجاهد ، وأبي عمرو . - المحتسب (١/ ٩٥) ، وابن خالويه (٨) .

(٢) البحر (١/ ٢٩٩) بتصرف .

(٣) والقول الأول هو أصح الأقوال ، كما قال تعالى : (**إذ أيدتك بروح القدس**) - المائدة/ ١١٠ - وقد روى البخاري أن أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة : « أنشدك الله هل سمعت النبي -ﷺ- يقول : (يا حسان ، أجب عن رسول الله -ﷺ- ، اللهم أيده بروح القدس) ؟ قال أبو هريرة : «نعم» - البخاري (١/ ١١٦) كتاب : الصلاة . باب (٦٨) ، والقول الثاني أسنده القرطبي إلى مجاهد ، ثم قال : « وكذا قال الحسن : **القدس هو الله** ، وروحه جبريل » . -الجامع (٢/ ٢٤) . فعلى هذا يكون هو كالقول الأول ، الذي استصوبه الطبري (٢/ ٣٢٠-٣٢١) ، وأبوحيان (١/ ٢٩٩) . وانظر زاد المسير (١/ ١١٢) .

(٤) هو شريح بن يزيد الحضرمي ، وثقه الذهبي ، توفي سنة ٢٠٣هـ . - الكنى والأسماء لمسلم بن الحجاج (١/ ٢٧٦) . - والكاشف (٢/ ١٠) .

(٥) المحرر الوجيز (١/ ٣٨٦) .

(٦) يوسف : (٥٣) .

(٧) المائدة : ٣٠ (٨) يوسف : ١٨ . (٩) البحر المحيط (١/ ٣٠٠) بتصرف .



تقتلون / ٨٧) خص التكذيب والقتل من بين سائر قبائحهم لأنهما أقبح الأفعال الصادرة منهم ، وقدم التكذيب لسبقه القتل في الواقع . وقال (**تقتلون / ٨٧**) على حكاية الحال الماضية لأن هذه أفظع الأمرين ، فأريد احضاره في النفوس ، وتصويره في القلوب . وقال الكرماني : « مراعاة للفاصلة »[1] . قال غيره : « أو للدلالة على أنهم بعد في إرادة ذلك[2] فإنهم حاموا حول قتل النبي -ﷺ- بالسم[3] والسحر[4] ، وإرادة طرح الصخرة عليه[5] . وتقديم المفعول لتواخي رؤوس الآي .

(**وقالوا قلوبنا غلف / ٨٨**) أي مغشاة بأغطية ، لا يتوصل إليها ما جاء به محمد ، ولا نفقهه ، مستعار من الأغلف ، الذي لم يختن .

---

(١) في لباب التفسير (١/٣٣٢) : « وإنما قال : (تقتلون) لأنها فاصلة وحكاية حال » .

(٢) أي يريدون ذلك في المستقبل . انظر البحر (١/٣٠١) .

(٣) روى البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : « لما فتحت خيبر ، أهديت لرسول الله -ﷺ- شاة فيها سم » .
- البخاري (٥/٨٤) كتاب : المغازي . باب (٤١) .

(٤) روى البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : «سحر رسول الله -ﷺ- رجل من بني زريق يقال له : لبيد بن الأعصم حتى كان رسول ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال : يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل؟ فقال : مطبوب قال : من طبه قال : لبيد بن الأعصم ، قال : من أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر . قال وأين هو؟ قال : في بئر ذروان . فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء فقال : يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين ، قلت يا رسول الله أفلا استخرجته قال : قد عافني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شراً فأمر بها فدفنت . - البخاري (٧/٢٨) كتاب : الطب . باب (٤٧) .

(٥) روى ابن إسحاق أن رسول الله -ﷺ- خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الصخري ، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما ، كما حدثني يزيد بن رومان وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف . فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقي عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ مع نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي ، رضوان الله عليهم . - الروض الأنف (٦/٢٠٨) .



وقيل : المعنى ، هي أوعية للعلم فلا يحتاج إلى ما جاء به محمد .

والقولان عن ابن عباس[1]. وليسا باختلاف ، بل الأول على قراءة (**غلف / ٨٨**) بسكون اللام ، جمع أغلف ، أي في غلاف ، والثاني على قراءة ضم اللام[2] ، جمع غلاف . بينه ابن جرير[3] وغيره. (**فقليلاً ما يؤمنون / ٨٨**) قيل فيه اكتفاءً ، و(**ما**) نافية[4] ، أي ما يؤمنون ، لا قليلاً ولا كثيراً[5]. (**ولما**

(١) جامع البيان (٢/٣٢٦ - ٣٢٧) وقد ذكر ابن القيم كلا القولين ، واختار الأول منهما وقال : « وهذا هو الصواب في معنى الآية ، لتكرر نظائره في القرآن ، كقولهم (**قلوبنا غلف**) (٥/٤١) وقوله تعالى :(**كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكري**) (١٨/١٠٢) ونظائر ذلك » . ثم رد على القول الآخر ، فذكر أنه ليس «في اللفظ ما يدل عليه البتة ، وليس له في القرآن نظير يحمل عليه ، ولا يقال مثل هذا اللفظ في مدح الانسان نفسه بالعلم والحكمة . . والغلاف قد يكون وعاء للجيد والرديء ، فلا يلزم من كون القلب غلافاً ، أن يكون داخله العلم والحكمة » . - انظر التفسير القيم (١٣٦ - ١٣٧) .

(٢) اللؤلؤي عن أبي عمرو . ابن خالويه (٨) .

(٣) جامع البيان (٢/٣٢٤ - ٣٢٧) .

(٤) ذكر الألوسي أن بعضهم جوز أن تكون (ما) هنا نافية بناء على مذهب الكوفيين من جواز تقدم ما في حيزها عليها . وقد اعترض الألوسي على ذلك بأنه ربما يتوهم - لا سيما مع التقديم - أنهم لا يؤمنون قليلاً بل كثيراً .- روح المعاني (١/٣١٩) .

(٥) ذهب إلى ذلك الواقدي (البحر ١/٣٠٢) وهو معنى ما جوزه الزمخشري (الكشاف ١/٢٩٥) واعترضه أبوحيان بأن القلة بمعنى النفي ، وإن صحت ، لكن في غير هذا التركيب » لأن (قليلاً) انتصب بالفعل المثبت فصار نظير: قمت قليلاً ، أي قياماً قليلاً» . ثم قال : « ولا يذهب ذاهب إلى أنك إذا أتيت بفعل مثبت وجعلت (قليلاً) منصوباً نعتاً لمصدر ذلك الفعل يكون المعنى في المثبت الواقع على صفة أو هيئة ، انتفاء ذلك المثبت رأساً ، وعدم وقوعه بالكلية ، وإنما الذي نقل النحويون أنه قد يراد بالقلة ، النفي المحض في قولهم : أقل رجل يقول ذلك ، وقل رجل يقول ذاك ، وقلما يقوم زيد ، وقليل من الرجال يقول ذلك ، وقليلة من النساء تقول ذلك . وإذا تقرر هذا ، فحمل القلة هنا على النفي المحض ، ليس بصحيح » . البحر (١/٣٠٢) وعلى أي حال فإن الظاهر ضعف هذا القول ، وخاصة أنه ماذا سيكون المعنى المتحصل فيما لو قلنا إنهم (يؤمنون) إيماناً معدوماً -كما ذكر الألوسي (روح المعاني ١/٣١٩) وقد ذكر ابن كثير قولين آخرين للعلماء -في المراد هنا- بالإضافة إلى القول السابق : أحدهما : فقليل من يؤمن منهم . ثانيهما: فقليل إيمانهم ، بمعنى أنهم يؤمنون بما جاءهم به موسى -عليه الصلاة والسلام- من أمر المعاد والثواب والعقاب ، ولكنه إيمان لا ينفعهم ، لأنهم كفروا بما جاءهم به محمد -ﷺ- ، تفسير القرآن العظيم (١/١٢٤). وقد استحسن أبو حيان هذا القول الأخير ، « لأن دلالة الفعل على مصدره أقوى من دلالته على الزمان وعلى الهيئة وعلى المفعول وعلى الفاعل ، ولموافقته ظاهر قوله تعالى (فلا يؤمنون إلا قليلاً) . البحر ١/٣٠٢ .



جاءهم / ٨٩) حذف جواب « **لما / ٨٩** » الأول استغنــاء عنـه بجـواب الثـانية وأعيدت « **لما / ٨٩** » الثانية لطول الكلام ، ولتفيد تقدير الذنب ، وتأكيده ، وأوقع على الكافرين موقع « عليهم » لدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم . وليعم غيرهم من الكــافــرين . قرئ بنصب « **مصــدق** »[1] حالاً . وقـولـه : (**وكـانـوا من قبل / ٨٩**) إلى آخره ، جملة حالية مقررة لجهة الإشكال ، (**بئسما اشتروا / ٩٠**) أي باعـوا ، قال الطيبي : « وهو من الأضداد ، فالأنفس بمنزلة المثمن ، والكفر بمنزلة الثمن ، لأن أنفسهم لا تشترى ، بل تباع ، فهو على الاستعارة ، أي أنهم اختاروا الكفر على الإيمان وبذلوا أنفسهم فيه ، وإنما وضع الأنفس موضع الإيمان ، ليؤذن بأن النفس إنما خلقت للعلم والعمل به ، المعبر عنه بالإيمان فلما بدلوا الإيمان بالكفر ، فكأنهم بدلوا أنفسهم به . (**عذاب مهين / ٩٠**) ذو إهانة ، وصف به ، لأن من العذاب ما يكون مطهراً لا مهيناً (**آمنوا بما أنزل الله / ٩١**) أي بكل ما أنزل الله . (**بما وراءه / ٩١**) أي بعده من الإنجيل والقرآن ، أو بما سواه (**فلم تقتلون / ٩١**) أوقع المضارع موقع الماضي لتصويره على سبيل المشاهدة في القلوب ، واستحضـاره في النفوس ، وأسند إليهم ، لرضاهم به (**إن كنتم مؤمنون / ٩١**) جواب الشرط محذوف ، لدلالة ما قبله عليه ، كما أن الشرط لما قبله محذوف ، لدلالة هذا عليه ، فهو احتباك . (**ولقد جاءكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم العجل من بعده/ ٩٢**) فائدة إعادة هذه القصة ، مع تقدمها في هذه السورة تكذيبهم في قولهم (**نؤمن بما أنـزل علينا / ٩١**). (**وأنتم ظالمـون/٩٢**) إما حال[2] ، أي عبدتم العجل ، واضعين العبادة في غير موضعها ، أو اعتراض[3] ، أي وأنتم قوم عادتكم الظلم .

---

(١) عن ابن مسعود . - ابن خالويه (٨) .

(٢) وهو ما جرى عليه الجمل في حاشيته على الجلالين (١/ ٧٩) .
وإليه ميل أكثر المفسرين . - حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/٢٠٦).

(٣) وإنما من ذهب إلى هذا القول بحجة أن في القول بالحالية تكرار محض ، فإن عبادة العجل لا تكون إلا ظلماً ، بخلاف القول بالاعتراض ، فإنه يكون بياناً لرذيلة لهم تقتضي ذلك . - حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/٢٠٦) . والظاهر أن ما تمسك به أصحاب هذا القول الأخير ، غير صحيح ، لأنه لا تكرار على القول =



والفرق بين الحال والاعتراض ، أن الحال ، لبيان هيئة المعمول ، والاعتراض لتأكيد الجملة بتمامها ، (**وإذ أخذنا ميثاقكم ، ورفعنا فوقكم الطور / ٩٣**) كرر هذه القصة لما علق بها من زيادة ليست في الأولى ، وهي قولهم : (**سمعنا وعصينا / ٩٣**) وقال الكرماني : « لأن الأولى لتعداد النعم ، ولذا ختمت بقوله : (**فلولا فضل الله عليكم ورحمته**)[١] ، والثانية للاحتجاج[٢] » ، (قالوا) هو التفات من الخطاب ، (**سمعنا وعصينا / ٩٣**) هو منهم على القول بالموجب أمرهم بالسماع ، فأجابوا به[٣] ، ولكن على طريق العصيان ، ونظيره (**ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم**)[٤] ، (**وأشربوا في قلوبهم العجل / ٩٣**) قيل : هو من قولهم : أشربت البعير ، أي شددت حبلاً في عنقه ، فكأنما شد في قلوبهم لشغفهم به[٥]. وقيل : معناه ، أشرب قلوبهم حب العجل[٦] ، وذلك أن من عادتهم إذا أرادوا العبارة عن مخامرة حب ، أو بغض ، استعاروا له الشراب ، إذ هو أبلغ ما ينجع في البدن ، ولو قيل : حب العجل ، لم تكن له هذه المبالغة ، فإن في ذكر العجل ، تنبيهاً أنه لفرط شغفهم به ، صارت صورة العجل في قلوبهم ، لا تنمحي .

وقال الأصبهاني : « الإشراب ، خلط لون بلون ، يقال : أبيض مشرب بحمرة إذا كان يخالطه حمرة ، أي داخلهم حب العجل ، والحرص على عبادته كما يداخل الثوب الصبغ ، وحذف المضاف الذي هو الحب ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، إفادة لشدة تمكن حب العجل ، وقوله : (**في قلوبهم / ٩٣**) بيان لمكان الإشراب بين أن محل الحب قلوبهم ، وأن الخلط حصل فيها فأسند الفعل أولاً إلى الجملة ثم خص القلوب ، كما تقول : ضربوا على رؤوسهم[٧] .

= بالحالية هنا ، لأنها عندئذ جارية مجرى القرينة على إرادة العبادة من الاتخاذ. . . . . ذكر ذلك الألوسي . - روح المعاني (١/٣٢٥) .

(١) البقرة (٦٤) . (٢) لباب التفسير (١/٣٤٣) . (٣) كلمة : « به » ليست في « أ » .

(٤) التوبة (٦١) . (٥) حكاه صاحب البحر (١/٣٠٩) .

(٦) وهو ما ذهب إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (١/٣٩٧) .

(٧) أنوار الحقائق (١٩٢) .



قال الطيبي : « وهو من المبالغات ، بأن المقام يقتضي مزيد التقرير » (**بئسما يأمركم به إيمانكم / ٩٣**) إسناد الأمر إلى إيمانهم ، تهكم بهم ، كما في : (**أصلواتك تأمرك**)[١] ، وأضيف الإيمان إليهم ، ولم يقل الإيمان لأنه إيمان غير صحيح والمخصوص بالذم محذوف ، أي عبادة العجل ، أو هي وما قبل من قتل الأنبياء والعصيان[٢] . (**قل إن كانت لكم الدار الآخرة / ٩٤**) الآية ، هذا رد لقولهم (**لن يدخل الجنة ، إلا من كان هوداً / ١١١**) ، (**خالصة / ٩٤**) الراغب : « الخالص كالصافي ، لكن الصافي ، يقال فيما لم يكن فيه قبل[٣] شوب ، دون خالص ، فإنه لا يقال إلا فيما كان فيه شوب ، فزال منه »[٤] ، (**من دون الناس / ٩٤**) قال أبو حيان : « (**دون / ٩٤**) هنا لفظ يستعمل للاختصاص ، وقطع الشركة نحو هذا لي دونك »[٥] . وقيل : المراد بالناس هنا ، النبي -ﷺ-[٦] خاصة ، من العام المراد به الخصوص . (**فتمنوا الموت / ٩٤**) قرىء بكسر الواو ، وفتحها[٧] . (**ولن يتمنوه / ٩٥**) وفي سورة الجمعة بلفظ (**لا**)[٨] لأن دعواهم في هذه السورة بالغة قاطعة . حيث ادعوا كون الجنة لهم بصفة الخلوص فبالغ في الرد عليهم بـ(**لن / ٩٥**) الذي هو أبلغ ألفاظ النفي ، وقد ذهب المحققون إلى أنها تفيد تأكيد النفي وزاد قوم أنها تفيد تأبيده أيضاً . ودعواهم في الجمعة قاصرة ، وهي زعمهم أنهم أولياء الله ، فاقتصر على (**لا**) قاله الكرماني[٩] ، وأوضح ذلك صاحب « درة

(١) هـود (٨٧) .   (٢) كما ذهب إلى ذلك أبو حيان (البحر ١/٣٠٩) .   (٣) في (ب) : قبول .

(٤) في المفردات (١٥٤ - مادة : خلص) : « الخالص كالصافي ، إلا أن الخالص هو مازال عنه شوبه ، بعد أن كان فيه ، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه » .

(٥) البحر المحيط (١/٣١٠) مع إبدال كلمة « نحو » بـ « تقول » .

(٦) حكاه أبو حيان عن ابن عباس (البحر ١/٣١٠) ، وحكاه الطبري عن ابن عباس ولكن بزيادة : « وأصحابه » ، (جامع البيان ٢/٣٦٦) ، ولعل الأرجح أن المراد بـ(**الناس**) هنا : الجنس ، لدلالة ظاهر اللفظ عليه ، ومما يؤيد ذلك ما أخبر الله عنهم ، أنهم قالوا : « **لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى** » . - انظر جامع البيان (٢/٣٦٦) ، والبحر (١/٣١٠) ، وروح المعاني (١/٣٢٧) .

(٧) قراءة الكسر هي قراءة ابن أبي إسحاق ، وقراءة الفتح هي قراءة أبي عمرو - على ما في البحر (١/٣١٠) .

(٨) وذلك في قوله تعالى : (**ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم . .**) الجمعة/٧ .

(٩) في البرهان (٩٤) : « . . لأن دعواهم في هذه السورة بالغة قاطعة ، وهي كون الجنة لهم بصفة الخلوص ، =



التنزيل » ، فقال : « الدعوى الأولى هي غاية المطلوب ، ونهاية المأمول لذا لا مطلوب وراء الجنة ، فوجب أن يكون ما يبطل تمني الموت المؤدي إلى بطلان شرطهم ، أقوى ما يستعمل في بابه وأبلغه ، بخلاف دعوى أنهم أولياء الله ، فإنهم يطلبون بعد ذلك - إذا صح لهم هذا الوصف - دار الثواب ، فكانت قاصرة عن الدعوى الأولى »[1] زاد صاحب المناجاة : « ولهذا أكد النفي هنا بقوله : (**ولتجدنهم أحرص الناس على حياة / ٩٦**) الآية ولم يذكر في الجمعة مثل ذلك » . (**بما قدمت أيديهم / ٩٥**) أي قدموه وأسند إلى اليد ، لأن أكثر الأعمال تزاول بها . (**والله عليم بالظالمين / ٩٥**) ظاهرة الخبر ومضمنة التهديد والوعيد ، أي عليم بظلمهم ومجازاتهم . وفائدة تخصيص الظالمين تخصيصهم بحصول الوعيد . (**أحرص الناس / ٩٦**) الراغب : « الحرص : فرط الشره ، وفرط الإرادة »[2] . (**على حياة / ٩٦**) بالتنكير أي حياة مخصوصة ، وهي الحياة المتطاولة ، وقرىء (**على الحياة**)[3] . (**ومن الذين أشركوا / ٩٦**) أي وأحرص من الذين أشركوا ، أو هو محمول على المعنى لأن معنى (**أحرص الناس / ٩٦**) أحرص من الناس ، حذف « من » . وأضيف[4] وإنما جيء بـ« من » في الثاني دون الأول ، لأن أفعل إذا أضيف إلى جنسه لم يحتج إلى ذكر « من » أو إلى غير جنسه ، احتاج إليها ، نحو زيد أفضل من أخوته ، ولما كان اليهود من جنس الناس ، لم يحتج إلى ذكر « من » ولم يكونوا من المشركين ، فاحتيج إليها . وإنما خص المشركين بالذكر مع دخولهم تحت الناس ، لشدة حرصهم على الحياة ، وتوبيخاً لليهود ، لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ، ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا ، فحرصهم عليها ، غير مستبعد لأنها

= فبالغ في الرد عليهم بـ (لن) وهو أبلغ ألفاظ النفي ، ودعواهم في الجمعة قاصرة مترددة ، وهي زعمهم أنهم أولياء الله فاقتصر على (لا) » .

(١) درة التنزيل (٢٤ - ٢٥) ملخصاً .

(٢) المفـردات (١١٣ - مادة : حرص) .

(٣) عن أبي علي (البحر ١/٣١٣) .

(٤) انظر البحر (١/٣١٣) . وقد جوز الألوسي هذين القولين المذكورين هنا . - روح المعاني (١/٣٢٩ - ٣٣٠) .



جنتهم ، فإذا زاد اليهود عليهم ، وهم معترفون بالعاقبة ، والبعث والجزاء ، كانوا جديرين بأعظم التوبيخ . (**يود أحدهم / ٩٦**) استئناف لبيان زيادة حرصهم . (**لو يعمر ألف سنة / ٩٦**) قيل : « مفعول (**يود / ٩٦**) محذوف دل عليه (**لو يعمر /٩٦**) أي طول العمر ، وجواب (**لو / ٩٦**) محذوف ، دل عليه (**يود / ٩٦**) أي يسر بذلك[1] ، (**وما هو / ٩٦**) ضمير الشأن[2] ، أو أحدهم[3] . (**والله بصير بما يعملون / ٩٦**) قرىء بالفوقية[4] التفاتاً والجملة تتضمن التهديد . وأتى بصفة (**بصير / ٩٦**) وهو تعالى منزه عن الجارحة ، إعلاماً بأن علمه بجميع الأعمال علم إحاطة ، وإدراك للخفيات ، وبالمضارع وهو عالم بأعمالهم السالفة والآتية ، لمواخاة الفواصل ، (**قل من كان عدواً / ٩٧**) الراغب : « العداوة منافاة الالتئام ، فبالقلب يقال العداوة وبالمشي يقال العدو ، وبالإخلال في العدل يقال العدوان وبالمكان أو النسب ، يقال قوم عدي »[5] (**لجبريل / ٩٧**) فيه ثلاث عشرة

---

(١) هذا الإعراب ، هو الجاري على قواعد البصريين - كما ذكر أبو حيان ، ثم قال : « وذهب بعض الكوفيين وغيرهم -في مثل هذا- إلى أن (لو) هنا مصدرية بمعنى « أن » فلا يكون لها جواب ، وينسبك منها مصدر هو مفعول (يود) كأنه قال : يود أحدهم تعمير ألف سنة . فعلى هذا القول لا يكون في الكلام حذف ، وعلى القول الأول ، لا يكون لقوله (**لو يعمر ألف سنة**) محل إعراب ، وعلى القول الثاني ، محله نصب على المفعول . . » (البحر ١/ ٣١٤) .

(٢) وهو ما أجازه أبو علي الفارسي ، على ما حكى صاحب البحر الذي علق على ذلك قائلاً : « وهذا ميل منه إلى مذهب الكوفيين ، وهو أن مفسر ضمير الشأن يجوز أن يكون غير جملة ، إذا انتظم إسناداً معنوياً ، نحو : ظننته قائماً زيد . . .

بينما لا يجوز في مذهب البصريين أن يفسر ضمير الشأن ، إلا بجملة مصرح بجزأيها ، سالمة من حرف جر » . البحر ١/ ٣١٥) ملخصاً .

(٣) وهو ما استظهره أبو حيان . المرجع السابق (١/ ٣١٥ - ٣١٦) ، وإليه مال ابن الأنباري . البيان (١/ ١١١) .

(٤) عن الحسن وقتادة والأعرج ويعقوب (البحر ١/ ٣١٦) .

(٥) في المفردات (٣٢٦ - مادة : عدا) «العدو : التجاوز ، ومنافاة الالتئام ، فتارة يعتبر بالقلب ، فيقال له العداوة والمعاداة ، وتارة بالمشي ، فيقال له العدو ، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة ، فيقال له العدوان والعدو . وتارة بأجزاء المقر ، فيقال له العدواء ، يقال : مكان ذو عدواء » . إلى أن قال : «فمن المعاداة ، يقال : رجل عدو ، وقوم عدو . . وقد يجمع على عدى ، وأعداء . . » .



لغة قرىء بها ، (**جبريل / ٩٧**) بالكسر وبالفتح ، و(جبرئيل) ، كحندريس[١] وبلا ياء بعد الهمزة[٢] ، وكذلك إلا أن اللام مشددة ، و(جبرائيل)[٣] و(جبراال)[٤] ، و(جبرال)[٥] ، و(جبرائل)[٦] بالياء والقصر ، و(جبراييل)[٧] بيائين ، أولاهما مكسورة ، و(**جبرين**) و(جبرائين)[٨] ، (**فإنه نزله / ٩٧**) أي القرآن ، أضمر ، ولم يسبق له ذكر ، تفخيماً لشأنه حيث جعل لفرط شهرته ، كأنه يدل على نفسه ، ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته ، (**على قلبك / ٩٧**) أي حفظه إياك ، وفهمك . لمح فيه معنى الاستيلاء والاستعلاء ، يعني إذا نزل جبريل بالقرآن على قلبك استولى عليه ، وجعل مجامعه مغمورة به ، وتمكن فيه ، فلا يشذ منه شيء فهو أبلغ من « إلى » ، وخص القلب ، لأنه محل العقل والعلم ، الكشاف : « فإن قلت : حق الكلام أن يقال : « على قلبي » . قلت : جاءت على حكاية كلام الله ، كما[٩] تتكلم به ، كأنه قيل : قل ما تكلمت به من قولي (**من كان عدواً لجبريل ، فإنه نزله على قلبك / ٩٧**) . فإن قلت : كيف استقام قوله (**فإنه نزله / ٩٧**) جزاء للشرط ؟ قلت[١٠] : هو على تقدير ، فلا وجه لمعاداته ، حيث نزل كتاباً مصدقاً للكتب بين يديه ، فالإنصاف محبته وشكره لصنيعه ، لا معاداته . (**وهدىً ، وبشرى للمؤمنين / ٩٧**) أي فيه بيان ما وقع به

(١) قراءة الكسر هي قراءة نافع وابن عامر ، وأبي عمرو وحفص . وقراءة الفتح هي قراءة ابن كثير . والقراءة الأخيرة هي قراءة حمزة والكسائي – حجة القراءات (١٠٧) .

(٢) على وزن « جبرعل » وقد قرأ بذلك يحيى عن أبي بكر . – حجة القراءات (١٠٧) .

(٣) عن يحيى بن يعمر ، وفياض بن غزوان . المحتسب (١/٩٧) .

(٤) فياض والحسن بن علي –رضي الله عنه– . ابن خالويه (٨) .

(٥) ليست في (ب) . وهي قراءة يحيى بن يعمر . – ابن خالويه (٨) .

(٦) قرأ بها طلحة . (البحر ١/٣١٨) .

(٧) عن الأعمش . – المحتسب (١/٩٧) ، وابن يعمر أيضاً – (البحر ١/٣١٨) .

(٨) انظر في هذه القراءات البحر (١/٣١٨) ، وابن خالويه (٨) .

(٩) في (ب) : كلم .

(١٠) في الكشاف (١/٣٠٠) : « فيه وجهان » وبعد أن ذكر الوجه المذكور هنا أعقبه بذكر الوجه الآخر ، فقال : «والثاني» إن عاداه أحد ، فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقاً لكتابهم ، وموافقاً ، وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ، ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له » .



التكليف[1] من الأعمال وبيان ما على ذلك من الثواب ، فهو من الوجه الأول « **هدى / ٩٧** » ومن الوجه الثاني « **بشرى / ٩٧** » ، والأول مقدم على الثاني في الوجود ، فلهذا قدم لفظ الهدى على لفظ « البشرى » ، وخصهما بالمؤمنين ، لأنهم الذين اهتدوا به ، والبشرى لا تكون إلا لهم . (**من كان عدواً لله / ٩٨**) الآية ، أفاد بهذه الآية تلازم العداوات ، فإن من كان عدواً لجبريل ، كان عدواً لميكائيل ضرورة ، خلاف قول اليهود ، جبريل عدونا ، لأنه صاحب الزلازل والفتن وميكائيل سلمنا ، لأنه صاحب المطر والرزق ، ومن كان عدواً لهذين فهو عدو لسائر الملائكة ، ومن كان عدواً للملائكة ، فهو عدو لرسل الله ومن عادى رسل الله ، عادى الله ، فعداوة واحد من هؤلاء ، يستلزم عداوة الجميع . وأفرد الملكين بالذكر -وإن دخلا في الملائكة - لفضلهما ، فكأنهما من جنس آخر ، فإن التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات وللرد على اليهود في دعوى عداوة جبريل ، وضم إليه ميكائيل ، لما كانا أميري الملائكة ، لم يدخلا في لفظ الملائكة ، كما أن الأمير لا يدخل في مسمى الجند وقدم « جبريل » على « ميكائيل » لفضله عليه ، وللاهتمام به ، فإن اليهود إنما ادعت عداوته خاصة لما كانت عداوة اليهود للنبي -ﷺ- بعينها عداوة رسله ، لم يفرد النبي بالذكر ، مع أنهم لم يدعوا عداوته ، بل ذكروا أن المانع لهم من اتباعه ، كونه يأتيه جبريل وهو عدوهم من الملائكة ، كما ثبت في سبب النزول ، ولما كانت عداوة الرسل ، بسبب إنزال الكتب كما فهم من الآية قبلها ، ونزول الكتب بتنزيل الملائكة ، بدىء بهم في الذكر قبل الرسل ، لهذا المعنى ، فلا يلزم من ذلك تفضيلهم على الرسل لأن للتقديم وجهاً آخر غير الشرف .

وأوقع (**للكافرين / ٩٨**) موقع « لهم » بياناً لكفرهم بعداوة من ذكر ، فإن عداوة كل ممن ذكر تقتضي الكفر .

---

(١) في (أ) : التكليــف .



أبو حيان : « لما كانت الآية للرد على من ادعى عداوة جبريل ، صرح به بعد اندراجه في الملائكة ، ثم في الرسل ، لأنه منهم ، فكأنه ذكر في الآية ثلاث مرات ، تنويهاً بشأنه »[1]. وقرىء (**ميكال / ٩٨**)[2] و(**ميكائيل**) و(**ميكائل**) بهمزة بلا « ياء »[3] ، و(**ميكاييل**) بيائين ، أولاهما مكسورة و(مكييل) ، و(ميكئل)[4] بهمزة بلا « ياء ». (**وما يكفر بها إلا الفاسقون / ٩٩**) البيضاوي : « المتمردون من الكفـرة » ، قال : « والفسق إذا استعمـل في نوع من المعاصي ، دل على عظمه[5] ، فكأنه متجاوز عن حده »[6]. (**أوكلما / ١٠٠**) عطف على محذوف ، أي اكفروا بالآيات البينات ، وكلما عاهدوا . وقرأ أبو السمال ، بسكون الواو[7] ، فهي « أو » العاطفة بمعنى « بل » ، وقرأ أيضاً (**عهدوا / ١٠٠**)[8] ، وهو أشبه بالمصدر المذكور من (**عاهدوا / ١٠٠**) ، ومعناه على قراءة الكافة : أعطوا عهداً ، أو أقـام المصدر المحذوف الزوائد مقام معاهدة أو عهاد ، وقرىء (عوهدوا)[9]. (**نبذه / ١٠٠**) النبذ : إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به . وقرأ ابن مسعود بدله (**نقضه**)[10] ، (**بل أكثرهم / ١٠٠**) يحتمل أن يكون من عطف الجمل ، وأنه مبتدأ خبره (لا يؤمنون / ١٠٠) ، أو من عطف المفردات ، أي بل نبذه أكثرهم ، و(**لا يؤمنـون / ١٠٠**) حال . (**رسـول من عنـد الله مصدق / ١٠١**) قرىء مصـدقاً[11] على الحال . (**وراء ظهورهم /١٠١**) هو تمثيل للإعراض عنه رأساً

(١) البحـر (١/٣٢١) بمعناه .
(٢) هذه قراءة أبي عمرو ، وحفص . - حجة القراءات (١٠٨) .
(٣) هذه قراءة نافع ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . - حجة القراءات (١٠٨) .
(٤) في النهر المارد (حاشية البحر ١/٣٢١) : «ميكاييل ، وميكائيل وميكايل ، وميكييل » . وانظر الدر المصون (٢/٢٤) ، وراجع ابن خالويه (٨) .
(٥) في النسختين : أعظمه ، وما أثبتناه من تفسير البيضاوي . - انظر حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/٢١٣) .
(٦) المرجع السابق . (٧) الدر المصون (٢/٢٥) ، وابن خالويه (٨) .
(٨) ابن خالويه (٨) ، والمحتسب (١/٩٩) .
(٩) الحسن . - ابن خالويه (٨) . (١٠) البحـر (١/٣٢٤) .
(١١) هذه قراءة ابن أبي عبلة . - البحر (١/٣٢٥) .

بالإعراض عما يرى به وراء الظهر ، لعدم الالتفات إليه . (**واتبعوا / ١٠٢**) عطف على « نبذ » . (**ما تتلوا / ١٠٢**) أي تلت ، وضعاً للمضارع موضع الماضي ، وقيل : على حذف كان ، أي ما كانت تتلو[١] . (**الشياطين/١٠٢**) قرأ الحسن : (**الشياطون**[٢])[٣] ، تنزيلاً له منزلة جمع الصحيح . (**على ملك / ١٠٢**) أي على عهد ملك ، و(على) بمعنى « في » . وقال الكرماني : « جيء به -أي بعلى[٤]- لدلالته على الكذب كما تقول : قال عليه وروى عليه ، قال : وما كل ما يروي عليّ أقول »[٥] .

قال الطبري : « (**اتبعوا / ١٠٢**) بمعنى فضلوا ، و (**على ملك سليمان / ١٠٢**) أي شرعه ونبوته وحاله ، أي فضل اليهود ، ما تتلوا الشياطين على شرع سليمان ونبوته »[٦] (على الملكين / ١٠٢) بفتح اللام ، وقرىء بكسرها[٧]، فعلى

(١) ذكر أبو حيان القول الأول أولاً ، ثم أسند القول الثاني إلى الكوفيين ولكنه ذكر أن الكوفيين لا يريدون بقولهم أن المعنى هنا : ما كانت تتلو أن صلة (ما) محذوفة ، وهي « كانت » ، وأن « تتلوا » في موضوع الخبر ، وإنما يريدون أن المضارع وقع موقع الماضي ، كما أنك إذا قلت كان زيد يقوم ، هو إخبار بقيام زيد ، وهو ماض لدلالة كان عليه . - البحر (١/٣٢٦) .

(٢) في (ب) : الشياطون .

(٣) ابن خالويه : (٨) .

(٤) أي بعلى : ليست في (أ) .

(٥) لباب التفسير (١/٣٦٣) بتصرف واختصار قليل .
وما استشهد به في آخر كلامه ، هو الشطر الثاني من بيت شعرٍ صدره :
« وما كل من يظنني أنا معتب» ، كما أورده صاحب اللسان نفسه ، وهذا البيت للمتنبي . - انظر ديوان المتنبي (٢/٢٠) ، والخصائص (١/٢٤) .

(٦) لم أجد هذا النص في جامع البيان (٢/٤٠٥) وإنما وجدت النص التالي :
« قال أبو جعفر -يعني الطبري نفسه- «يعني بقوله : **(واتبعوا ما تتلوا الشياطين)** ، الفرق من أحبار اليهود وعلمائها . . أخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه -ﷺ- ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه ، وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود ، فاتبعوه وذلك هو الخسار والضلال المبين » .
هذا وقد اختلف في معنى **(تتلوا)** ، فقيل بمعنى تتبع -كما روي عن ابن عباس وابن رزين - على ما في معالم التنزيل/للبغوي (١/٨٦) ، والبحر (١/٣٢٦) وهو المعنى الأصلي لمادة «**تلو**» -كما ذهب إليه ابن فارس في معجم المقاييس (١/٣٥١) . =



هذا ، هما من البشر ، (هاروت وماروت / ١٠٢) قرىء بالرفع[1] ، على حذف المبتدأ . (وما يعلمان) قرىء بسكون العين[2] من الإعلام ، وقرىء (وما يعلم الملكان)[3] ، (فيتعلمون / ١٠٢) الضمير لما دل عليه (من أحد / ١٠٢) . (المرء / ١٠٢) قراءة الكافة بفتح الميم وسكون الراء ، وهمز ، وقرىء بكسر الراء خفيفة بلا همز ، وبتشديد الراء وبضم الميم وسكون الراء وهمز وبكسر الميم كذلك[4] ، وهي لغات . (وما هم بضارين به من أحد / ١٠٢) قرأ الأعمش (بضاري)[5] قال ابن جني : « وأمثل ما يوجه به ، أن التقدير : بضاري أحد به ، ثم فصل بحرف الجر »[6] ، وقال غيره : « بل حذفت النون تخفيفاً »[7] (ولقد علموا / ١٠٢) الضمير لليهود ، لأنهم الذي سيق لهم الكلام أولاً ، وقصة السحرة مستطرة ، (لمن اشتراه / ١٠٢) أي اختاره . (من خلاق) أي نصيب . الراغب : « الخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه »[8] . (ولبئس ما شروا / ١٠٢) أي باعوا به أنفسهم . (ولو كانوا يعلمون / ١٠٢) عاقبة ما يصيرون إليه في الآخرة ما فعلوا ذلك . نفى عنهم العلم هنا ، مع إثباته لهم . في قوله : (ولقد علموا / ١٠٢) ، تنزيلاً للعالم الذي لا يعمل ، منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب علمه . (ولو أنهم آمنوا / ١٠٣) الآية . لما بين ما عليهم من الوعيد ،

= ولكن -بالرغم مما قاله صاحب المقاييس- يبدو أن الراجح هو ما ذهب إليه المؤلف هنا ، من أن المعنى هو القراءة بدليل تعدية (تتلو) بـ(على) وهو ما رجحه الفخر الرازي ، وابن كثير . - انظر التفسير الكبير (٣/٢٠٣) ، وتفسير القرآن العظيم (١/١٣٦) .

(٧) عن الحسن بن علي وابن عباس -رضي الله عنهم- ، والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن أبزي . - ابن خالويه (٨) ، والمحتسب (١/١٠٠) .

(١) الزهري . - ابن خالويه : (٨) .

(٢) طلحة بن مصرف - ابن خالويه ٨ .

(٣) هي قراءة أبي . - البحر (١/٣٣٠) .

(٤) هذه قراءة الأشهب ، والقراءة الأولى هي قراءة الحسن وقتادة ، والقراءة الثانية عن الزهري ، والثالثة عن ابن أبي إسحاق . - المحتسب (١/١٠١) .

(٥) المحتسب (١/١٠٣) (٦) المحتسب (١/١٠٣) باختصار .

(٧) البحر (١/٣٣٢) . وذكر السمين أن هذا هو أظهر الوجهين . - الدر المصون (٢/٤١) .

(٨) المفردات (١٥٨ - مادة : خلق) .

أتبعه بالوعد ، جامعاً بين الترهيب والترغيب ، كما هو عادته ، لأن الجمع بينهما أدعى إلى الطاعة وترك المعصية ، وجواب (**لو / ١٠٣**) ، إنما يكون بالفعلية ، وعدل هنا إلى الاسمية ، لما فيها من الدلالة على ثبوت المثوبة واستقرارها ، كاختيار الرفع على النصب في (**سلام عليكم**)[(١)(٢)] وقيل : الجواب محذوف ، أي لأُثِيبُوا[(٣)]. و(**لمثوبة / ١٠٣**) جملة مستأنفة وتنكير (**مثوبة / ١٠٣**) للإشعار بأن القليل من ثواب الله خير كثير .

قليلك لا يقال له قليل[(٤)] : وفي وصفها بكونها من (**عند الله / ١٠٣**) تفخيم وتعظيم لها .

وقرىء (**لمثوبة / ١٠٣**) بسكون الثاء ، كقسورة[(٥)]. وجواب (**لو كانوا يعلمون / ١٠٣**) محذوف[(٦)]. (**يأيها الذين آمنوا / ١٠٤**) الآية . ذكرت أثناء قبائح اليهود ، لأن فيها ضرباً من قبائحهم ، وهو التعريض بـ(راعنا / ١٠٤) ، لسب النبي -ﷺ- ولم يصرح بإسنادها إليهم ، بل خوطب بها المؤمنون على سبيل النهي ، وضمن فيها التعريض باليهود في قوله (**وللكافرين عذاب أليم / ١٠٤**). كما عرضوا بمضمونها ، ولم يصرحوا ، فطابقت الآية صنيعهم[(٧)].

وقرىء (**راعِناً**) بالتنوين صفة قولا ، وقرىء (**راعُونا**) ، و (**ارْعَوْنا**)[(٨)] بالجمع ،

---

(١) الأنعام / ٥٤ .

(٢) وهو اختيار الزمخشري . - الكشاف (١/٣٠٢) .
وقد تعقبه أبو حيان بأنه لم يعهد في لسان العرب وقوع الجملة الابتدائية جواباً لـ« لو » - البحر (١/٣٣٥) .

(٣) هذا هو قول الأخفش ، واختاره الراغب . - معاني القرآن للأخفش (١/١٤٢) ، والبحر (١/٣٣٥) .
وإليه مال الألوسي . - روح المعاني (١/٣٤٧) .

(٤) البحر (١/٣٣٥) دون نسبة .

(٥) قتادة وابن بريدة وأبي السمال . - المحتسب (١/١٠٣) وابن خالويه (٨) .

(٦) قدره أبو حيان بـ« لكان تحصيل المثوبة خيراً » (البحر ١/٣٣٥) .

(٧) في (أ) : لصنيعهم .

(٨) القراءة الأولى عن الحسن ، وأبي حيوة ، وابن أبي ليلى ، وابن محيصن .
والقراءة الثانية عن أبيّ ، وعبد الله بن مسعود .
والقراءة الثالثة عن ابن مسعود أيضاً .
انظر ابن خالويه (٩) ، والدر المصون (٢/٥١) ، والبحر (١/٣٣٨) .

و(**انظرنا/ ١٠٤**) بالقطع . أبوحيان : «هذا أول خطاب خوطب به المؤمنون في هذه السورة بالنداء الدالّ على الإقبال عليهم ، وذلك أن أول نداء جاء ، أتى عاماً (**يا أيها الناس / ٢١**) ، وثاني نداء خاصاً ببني إسرائيل[1] وهي الطائفة العظيمة ، التي اشتملت على المِلّتين : اليهودية والنصرانية ، وثالث نداء لأمة محمد ، المؤمنين ، فكان أول نداء عاماً ، أُمروا فيه بأصل الإسلام ، وهو عبادة الله ، وثاني نداء ، ذُكِّروا فيه بالنعم الجزيلة ، وتُعُبِّدوا بالتكاليف الجليلة ، وخُوِّفوا من حُلول النقم الوبيلة ، وثالث نداء ، عُلّموا فيه أدباً من آداب الشريعة مع نبيّهم ، وتعظيم من كانت هدايتهم على يده »[2] . قال ابن مسعود : « إذا سمعت الله يقول :(**يا أيها الذين آمنوا**) ، فأرعها سمعك ، فإنه خير تُؤمر به أو شر تُنهى عنه » . أخرجه البيهقي[3] .

وقال خيثمة[4] : « ما كان في القرآن (**يأيها الذين آمنوا**) ، فإنه في التوراة «**يأيها المساكين**» أخرجه ابن أبي حاتم[5] .

وتقديم (**لا تقولوا راعنا / ١٠٤**) على (**وقولوا أنظرنا / ١٠٤**) من باب تقديم التخلية على التحلية . (**وللكافرين / ١٠٤**) اللام للعهد ، أي اليهود الذين تهاونوا برسول الله - ﷺ - في قولهم (**راعنا / ١٠٤**)، فوضع الظاهر موضع ضمير اليهود ، للإشعار بأن قولهم ذلك كان تهاوناً بالرسول ، ومن أهان رسول الله وحبيبه ، كان

---

(١) وذلك في قوله تعالى : (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) البقرة(٤٠) .

(٢) البحر (١/٣٣٨) بقليل من التصرف والاختصار .

(٣) لم أجده .

(٤) هو خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب النحاط الأنصاري ، وهو والد سعد بن خيثمة ، استشهد يوم أحد .
الإصابة (ترجمة ٢٣٠٨) .

(٥) الدر المنثور (١/١٠٣) وزاد نسبته إلى أبي نعيم في الحلية وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

غالياً في الكفر ، كاملاً فيه ، مستحقاً أن يُعَذَّب بعذاب أليم بالغ في الإيلام ، ففي الجملة تذييل ، وتعريف بالمؤمنين ، وتغليظ للوصف . (**ما يَوَدّ** / ١٠٥) الآية ، زيادة (من) في (**من خير** / ١٠٥) ، تفيد تأكيد الاستغراق الذي أفاده تنكير (**خير**) ، الواقع في سياق النفي ، وفي جعل (**الذين** / ١٠٥) فاعل (**يود**) ، وجعل (**كفروا** / ١٠٥) صلة (**الذين**) ، وبيانه بقوله (**من أهل الكتاب** / ١٠٥) ، وإقامة الظاهر مقامه - أي المضمر[1] - ، إشعار بأن كتابهم يدعوهم إلى متابعة الحق ، لكن كفرهم يمنعهم . وإقامة لفظ الجلالة مقام ضمير (**ربكم** / ١٠٥) وتقديمه على قوله (**يختص** / ١٠٥) ، إيذان بأن الله هو الجامع لصفات الألوهية ، يختص من يشاء برحمته لا غيره ، وإقامة الرحمة مقام ضمير المنزّل من خير ، إشعار بأن تنزيل الوحي الذي هو الخير ، عين الرحمة ، كما أن إرسال الرسول ، محض الرحمة ، كقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[2] . وفي قوله (والله ذو الفضل العظيم / ١٠٥) تذييل . ومن الغريب قول الشيخ أبي إسحاق الشيرازي[3] ، أن قوله (**ولا المشركين** / ١٠٥) مجرور على الجوار[4] . (**ما ننسخ من آية ، أو ننسأها** / ١٠٦) فيه الجناس المضارع ، وهو اختلاف الكلمتين بحرف مقارب في المخرج .

---

(١) في (ب) : مقام المضمر .

(٢) الأنبيـــاء : (١٠٧) .

(٣) لعل المقصود هنا هو أبو إسحاق ، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي ، ظهر نبوغه في علوم الشريعة ، فكان مرجع الطلاب ، ومفتي الأمة في عصره ، واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة . وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطىء دجلة ، فكان يدرس بها ويديرها . له تصانيف كثيرة ، منها : «المهذب» في الفقه ، و« التبصرة » في أصول الشافعية ، و« اللمع » في أصول الفقه . توفي سنة ٤٧٦هـ . طبقات السبكي (٣/٨٨) ، وفيات الأعيان (١/ ٤) ، واللباب (٢/ ٢٣٢) .

(٤) أي أن الأصل في قوله : (**المشركين**) الرفع عطفاً على (**الذين كفروا**) ولكنه هنا جُرّ عطفاً على الجوار لـ(**أهل** . . .) المجرورة .

وقد تعقبه أبو حيان قائلاً : « وهذا حديث من قصر في العربية ، وتطاول إلى الكلام فيها بغير معرفة ، وعدل عن حمل اللفظ على معناه الصحيح ، وتركيبه الفصيح » . البحر (١/ ٣٤٠) .



وقرأ ابن عامر[1] (**ننسخ / ١٠٦**) بضم النون ، وكسر السين[2] ، أي نأمر جبريل بأن يجعلها منسوخة ، بالإعلام بنسخها ، و (**ننسأها**) بالفتح والهمز[3] ، من النّساء ، بمعنى التأخير . وقرأ ابن عامر وغيره (**ننسها**) بالضم وكسر السين ، بلا همز[4] ، من النسيان ، أي نُنْسِكها ، أي نمحها من قبلك .

وقرىء شاذاً (**نُنَسِّها**) بتشديد السين[5] ، (**وتنسها**) بتاء مفتوحة[6] ومضمونة مع الهمز[7] ، وتركه فيهما ، و (نَنْساها) بنون ، وتسهيل الهمز[8] و (**ننسها**) بضم النون وهمز[9] ، و (**نُنْسِك**)[10] و (**نُنَسِّكها**)[11] ، فهذه إحدى عشر قراءة ، وفي مصحف ابن مسعود (**ما نُنْسِك من آية أو نَنْسَخْها ، نجيء[12] بمثلها**)[13] .

ومناسبة وضع هذه الآية هنا ظاهرة ، لأن اليهود هم المنكرون للنسخ ، وقد تقدم في الآية قبلها أنهم لا يودون أن ينزل على المؤمنين خير من ربهم ، ولما كان الكفار

---

(١) هو عبد الله اليحصبي ، تابعي جليل ، أحد القراء السبعة ، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبدالملك ، قال عنه الذهبي : «مقرىء الشاميين ، صدوق في رواية الحديث» . توفي ١١٨هـ . تهذيب التهذيب (٥/٢٧٤) ، وغاية النهاية (١/٤٢٣) ، وميزان الاعتدال (٢/٥١) ، ومناهل العرفان (١/٤٥٠) .

(٢) حجة القراءات (١٠٩) .

(٣) عن ابن كثير وأبي عمرو . حجة القراءات (١٠٩) ، والسبعة (١٦٨) ، والكشف (١/٢٥٨) .

(٤) حجة القراءات (١١٠) .

(٥) عن أبي رجاء ، المحتسب (١/١٠٣) .

(٦) قراءتها بذلك مع الهمزة ، ذكرها أبو حيان دون تعيين . البحر (٣٤٣) . وأما بدون همز فهي قراءة سعد بن أبي وقاص والحسن ويحيى بن يعمر . حجة القراءات (١١٠) ، والمحتسب (١/١٠٣) ، وابن خالويه (٩) .

(٧) قراءتها بالضم مع الهمز هي قراءة أبي حيوة ، البحر (١/٣٤٣) . وأما من غير همز فهي قراءة سعيد بن المسيب والضحاك . المحتسب (١/١٠٣) ، وابن خالويه (٩) .

(٨) حكاها أبو حيان ، والسمين . البحر (١/٣٤٣) ، والدر المصون (٢/٥٨ - ٥٩) .

(٩) الدر المصون (٢/٥٩) دون نسبة .

(١٠) بضم النون الأولى ، وسكون الثانية ، وكسر السين من غير همز ، وقد قرأ بذلك أبي . البحر (١/٣٤٣) .

(١١) وهي قراءة حذيفة ، وهي كذلك في مصحف سالم مولاه . الدر المصون (٢/٥٩) .

(١٢) كلمة « نجيء » : ليست في (ب) .

(١٣) انظر المحتسب (١/١٠٣) ، والبحر (١/٣٤٣) .



قد يشاركونهم في الأمرين ، ضُموا إليهم في الذكر على سبيل الاستطراد ، وإلا فالمقصود في هذه الآيات بالخطاب ، إنما هو اليهود ، فعقبّت تلك الآية المخبرة بعدم ودادهم إنزال الخير بهذه الآية المقررة لأمر النسخ ، الذي هو من مذهبهم إنكاره ، وأنه ما تُنسخ آية إلا أُنزل بدلها خير منها ، أو مثلها في الخير على خلاف ما يودونه ، رغماً لهم .

والإتيان بنون العظمة في الفعلين ، للدلالة على تعظيم الفاعل وجلالته واستبداده بما يفعل ، وأنه لا اعتراض عليه . وفيه التفات عن الغيبة في قوله : (**والله ذو الفضل العظيم** / ١٠٥). الطيبي : « الآية تفصيل لكيفية إبدال المنزّل عن الكتب السابقة على سبيل العموم ، لأن تلك الأحكام بعضها منسوخة ، وبعضها مقررة ، وغير الأحكام مثل القصص ، ومكارم الأخلاق ، مُنْسَأ ومتروك التلاوة ، مأمور بالإنساء عنها ». (**ألم تعلم** / ١٠٧) استفهام تقرير . (**أن الله على كل شيء قدير** / ١٠٦) أي ومنه النسخ والتبديل . وفيه التفات عن التكلم إلى الغيبة ، والخروج عن خطاب جمع إلى خطاب مفرد . (**ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض** / ١٠٧) أي فهو يدبرّ أمرهما على وِفق إرادته ومشيئته ، وهو أعلم بما يتعبدّكم به ، من ناسخ ومنسوخ .

ابن جرير : « الخطاب في (**ألم تعلم** / ١٠٧) للنبي -ﷺ- ، والمراد غيره تعريضاً ، على حدّ (**لئن أشركت ، ليحبطن عملك**) »[(١)(٢)] .

قال أبو حيان : « الخطاب لكل مخاطب ، وأُفرد ، لأنه ما من شخص إلا يتوهّم أنه المخاطب بذلك »[(٣)] ، وهو المسمى في فن المعاني بالخطاب العام ، على حد « ولو ترى »[(٤)] الآية » . القطب : « إنما يتضح اتصال (ألم تعلم) بما قبله ، إذا جُعل

(١) الزمـر : (٦٥) .

(٢) ذكر ابن جرير الطبري هذا الكلام بمعناه - مطَوَلاً - ، ولكن دون ذكر هذه الآية الموجودة هنا . جامع البيان (٢/٤٨٥) .

(٣) البحـر (١/٣٤٤ - ٣٤٥) مختصراً .

(٤) الأنعام (٢٧ ، ٣٠ ، ٩٣) ، الأنفال (٥٠) ، السجدة (١٢) ، سبأ (٣١ ، ٥١) .



خطاباً للكل ، على حد « بشّر المشائين »[1] ، لا مختصاً بالرسول » . **(وما لكم / ١٠٧)** فيه انتقال[2] من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع . **(من ولي / ١٠٧)** أُوثر على « وال » ، للمبالغة ، ولأنه أكثر في الاستعمال ، وكذا لم يجيء « **وال** » في القرآن ، إلا في الرعد[3] ، لمواخاة الفواصل . **(ولا نصير / ١٠٧)** جمع بينهما ، لأن الولي ، قد يعجز عن النصرة ، والنصير قد يكون أجنبياً . **(أم تريدون أن تسألوا رسولكم / ١٠٨)** الخطاب لليهود[4] ، لأن السورة مدنية ، وتصديقه **(يسألك أهل الكتاب ،أن تنزل عليهم كتاباً من السماء)**[5] أي جملة **(فقد سألوا موسى أكبر من ذلك)**[6] .

وقد ثبت في سبب النزول ، أن هذه الآية ، نزلت في قولهم ذلك[7] . **(ومن يتبدل الكفر بالإيمان ، فقد ضل سواء السبيل / ١٠٨)** أي وسطه ، كناية -بعد

---

(١) هذا جزء من حديث رواه أبو داود كما يلي :
(بشر المشّائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) . سنن أبي داود (١ / ٣٧٩) كتاب الصلاة - باب (٥٠) .
وأخرجه الترمذي حديث رقم (٢٢٣) وقال : « حديث غريب » ، وقال المحقق : وفي نسخة «حسن غريب» ، وأخرج نحوه ابن ماجة حديث رقم (٧٨١) عن أنس .

(٢) في (ب) : الانتقـال .

(٣) وذلك في قوله تعالى : **(وما لهم من دونه من وال)** الرعد (١١) .

(٤) وهو ما اختاره الفخر الرازي ، وقال : إنه الأصح ، « لأن هذه السورة من أول قوله **(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي)** حكاية عنهم -أي اليهود- ومحاجة معهم ، ولأن الآية مدنية ، ولأنه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ، ولأن المؤمن بالرسول ، لا يكاد يسأله ، فإذا سأله ، كان متبدلاً كفراً بإيمان » . التفسير الكبير (٢/٢٥٤) .

(٥) (٦) النسـاء (١٥٣) .

(٧) انظر البحر (١/٣٤٦) .
وقد ذكر الطبري أن أهل التأويل اختلفوا في السبب الذي من أجله أُنزلت هذه الآية ، فذكر في ذلك عدة روايات ، منها :
١ - أن رافعاً بن حريملة ووهب بن زيد قالا للرسول -ﷺ- : «ائتنا بكتاب تُنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهاراً ، نتبعك ونصدقك » فأنزل الله هذه الآية .
٢ - أن مجاهداًقال :إن قريشاً سألت الرسول -ﷺ- أن يجعل الله لهم الصفا ذهباً ، قال : نعم ، وهولكم =



حصوله[1]- عن الذهاب عن الاستقامة ، كأن الوسط ، هو المستقيم وما عداه منحرف .

الخويي : « الضلالة » فقد المطلوب بعد حصوله ، وأصل وضعها في الأشياء المدركة بالقوة الباصرة ، فيُقال للبعير الذي يفقده المالك ، ضلّ ، ولا يقال لمن خرج للصيد ، فلم يره ، ضلّ الصيد ، ولا لما لا يدركه بالبصر ، فلا يقال لمن نسي شعراً ، أو مسألة - بعد إتقانها - ضلّ » . قال : « وإنما استُعمل في الدين ، لأنه لوضوحه ، وقوة براهينه ، صار كالمشاهد المدرك بالبصر ، وكل مولود يولد على الفطرة ، ثم إن أسباب الشقاء تُزِلّ قدمه ، فصار فاقد الدين ، كفاقد الشيء بعد حصوله » . (ودّ / ١٠٩) الراغب : « الودّ ، محبة الشيء ، وتمني كونه »[2] .

= كمائدة بني إسرائيل إن كفرتم ، فأبوا ورجعوا .

٣ - أن أبا العالية قال : قال رجل : يا رسول الله ، لو كانت كفاراتنا كفارات بني إسرائيل . فقال النبي -ﷺ- : «اللهم لا نبغيها ، ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل ، كانت بنو إسرائيل إذا فعل أحدهم الخطيئة ، وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها ، فإن كفرّها كانت له خزياً في الدنيا ، وإن لم يكفرها ، كانت له خزياً في الآخرة ، وقد أعطاكم خيراً مما أعطى بني إسرائيل ، قال : (**ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله ، يجد الله غفوراً رحيماً**) ، النساء (١١٠) .

قال : وقال : الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، كفارات لما بينهن ، قال : (من هَمَّ بحسنة ، فلم يعملها ، كُتبت له حسنة ، فإن عملها ، كُتبت له عشر أمثالها ، ولا يهلك على الله إلا هالك) . فأنزل هذه الآية .

جامع البيان (٢/٤٨٩ - ٤٩١) .

وقد ذكر صاحب البحر (١/٣٤٥ - ٣٤٦) روايات أخرى بالإضافة إلى المذكور سابقاً ، ثم قال : « ويحتمل أن تكون هذه كلها أسباباً في نزول هذه الآية » . انظر أسباب النزول للواحدي (٢١) .

وعلى ذلك اختلف في المخاطبين بهذه الآية ، فبعضهم قال : إنهم اليهود ، وبعضهم قال : إنهم أهل مكة ، وفريق ثالث قال : إنهم المسلمون . ولعل القول الثالث هو الأرجح ، لأنه هو الذي يشهد له السياق والسباق والتذييل .

وهو ما مال إليه الألوسي ، روح المعاني (١/٣٥٥) . وراجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٥٢) .

(١) جملة « بعد حصوله » ليست في (ب) .

(٢) المفردات (٥١٦ - مادة : ودد) .



الأصبهاني[1] : « هو المحبة الكاملة »[2] ، الكرماني : « الود ، والتمني ، يستعملان للماضي والمستقبل ، ويتعديان إلى المعاني دون الأعيان ، والحب خاص بالمستقبل »[3] . (**كثير من أهل الكتاب** / ١٠٩) فيه التفات عن الخطاب في الآية قبلها ، لما تقدم أن الخطاب فيها لليهود . (**لو يردونكم** / ١٠٩) فيه تلوين الخطاب ، حيث خوطب المؤمنون ، بعد خطاب اليهود . (**حسداً من عند أنفسهم**) هو تأكيد على حدّ (**ولا طائرٍ يطير بجناحيه**)[4] ، أي الحسد لا يكون إلا من عند أنفسهم ، وقيل : هو متصل بـ(**ودّ** / ١٠٩) ، أي ودّوا ذلك من عند أنفسهم ، لم يؤمروا به[5] . (**فاعفوا واصفحوا** / ١٠٩) أبو حيان : « الصفح قريب معناه من العفو ، وهو الإعراض عن المؤاخذة ، مأخوذ من تولية صفحة الوجه إعراضاً »[6] . البيضاوي : « العفو : ترك عقوبة المذنب ، والصفح ترك تثريبه »[7] زاد الطيبي : « وقد يعفو الإنسان ، ولا يصفح » .

ولما تضمنت الآية الوعد بتغيير حال ، ناسب ختمها بالقدرة . (**وأقيموا الصلاة** / ١١٠) الآية ، لما أمر المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود ، عقّبه بالأمر بالصلاة والزكاة والحث على الخير ، تنبيهاً على أنه كما لزمهم صلاح غيرهم بالعفو والصفح ،

---

(١) هو أبو الثناء ، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد شمس الدين ، الأصبهاني أو الأصفهاني ، مفسر ، كان عالماً بالعقليات ، ولد وتعلم في أصبهان ، واستقر به المقام في القاهرة ، حيث بنى له الأمير « قوصون » الخانقاه بالقرافة ورتّبه شيخاً فيها ، من كتبه « أنوار الحقائق الربانية » في التفسير . توفي بالطاعون سنة ٧٤٩هـ . الدرر الكامنة (٣٢٧/٤) ، والبدر الطالع (٢٩٨/٢) ، وفهرست الكتبخانة (١٤٢/١) .

(٢) لم أعثر عليه .

(٣) الذي في لباب التفسير (٣٩٢/١) . « (ودّ) ، وتمنى يتعديان إلى المعاني دون الأعيان » .

(٤) الأنعام : (٣٨) .

(٥) ويتحصل مما سبق ، أن الجار والمجرور في (من عند أنفسهم) ، يتعلق إما بملفوظٍ ، وهو (ودّ) ، وإما بمقدر ، أي حسداً كائناً من عند أنفسهم ، وهذا الكلام هو خلاصة ما ذكره أبو حيان ، ثم قال : « وعلى كلا التقديرين يكون توكيداً . . . » .

البحر (٣٤٨/١) ، وانظر روح المعاني (٣٥٧/١) . والوجه الأول منهما ، هو ما رجحه أبو البركات ابن الأنباري . البيان (١١٨/١) .

(٦) البحر (٣٣٧/١) .

(٧) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢٢٣/٢) .



لزمهم صلاح أنفسهم بفعل الخير ، وأبرز الأمر بفعل الخير في قالب لا يقوم غيره مقامه ، في الصيغة الدالة على العموم ، الشاملة لكل قليل وكثير ، المقترنة بأنه مثاب عليه ، مدّخر عند غني ، لا تضيع عنده الودائع . (**تجدوه / ١١٠**) أي ثوابه . (**إن الله بما تعملون بصير / ١١٠**) لا يخفى عليه عمل عامل ، فلا يضيع عنده ، وهو ترغيب في عمل الخير ، وتحذير من خلافه ، (**وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى / ١١١**) فيه لفّ ونشر مجمل ، أي وقالت اليهود : لن يدخل الجنة ، إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة ، إلا من كان نصارى . والمسوّغ للإجمال في اللّف ، ثبوت العناد بين الفريقين ، فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين ، بدخول الآخر الجنة ، فوثق العقل في أنه يردّ كل قول إلى فريقه ، لأمن اللّبس ، وقصد الإيجاز ، وقائل ذلك يهود المدينة ، ونصارى نجران .

وراعى في اسم كان ، لفظ (**من / ١١١**) ، وفي الخبر معناها . وقرأ أبيّ : (**إلا من كان يهودياً أو نصرانياً**)[1] حملاً على اللفظ أيضاً . (**تلك / ١١١**) إشارة إلى القول تفظيعاً لشأنها ، وبُعِّدت تعظيماً لشأنها[2] ، أو إلى الأماني السابقة ، وهي أمنيتهم ألا ينزل على المؤمنين خير من ربهم ، وأن يردوهم كفاراً ، وألا يدخل الجنة غيرهم ، أي **تلك** الأماني الباطلة المذكورة ، أمانيهم .

وعلى الأول ، إنما جُمعت الأمنية الواحدة ، إشعاراً بأنها بلغت منهم كل مبلغ . وقيل : الأماني ، الأكاذيب ، والجملة تضمنت كذبين : دخولهم الجنة ، ونفي دخول غيرهم .

والجملة معترضة بين القول ، وطلب الدليل عليه ، ولم يأت بلفظ مرجواتهم[3] ، لأن الرجاء يتعلق بالممكن ، وهذا مستحيل . (**هاتوا / ١١١**) قيل : أصله « آتوا » ، قلبت الهمزة هاءً . (**برهانكم / ١١١**) الراغب : « البرهان ، بيان

(١) البحر (١/٣٥٠) .

(٢) في (ب) بعد « لشأنها » : وبعدت تعظيماً لشأنها .

(٣) في النسختين : ولم رجواتهم - وما أثبته من البحر (١/٣٥١) .



الحجة ، وهو آكد الأدلة »[1] . (بلى / ١١٢) أي يدخل الجنة غيرهم ، لا هم ، على عكس ما قالوا ، وكما هو مقتضى هذا الحرف ، ثم فسرّه بقوله (**من أسلم وجهه** / ١١٢) أي انقاد بجملته . وخصّ الوجه ، لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ، فغيره أولى . الراغب : « أصل الوجه العضو المقابل ، فاستُعير للمقابل من كل شيء ، حتى قيل : واجهته ، ووجهته ، وقيل للقصد وجه ، وللمقصد وجه ، وعلى ذلك (**أسلم وجهه** / ١١٢) و (**وجهت وجهي**)[2] وقيل : هو هنا مستعار للذات »[3] . (لله / ١١٢) أي مخلصاً . (**وهو محسنٌ** / ١١٢) باعتقاده الإيمان شرط في قبول الأعمال المفهومة من (**أسلم** / ١١٢) ، فهو كقوله (**آمنوا وعملوا الصالحات**)[4] ، وزاد بالإشارة إلى الإخلاص .

وقد جمعت هذه الجملة - على إيجازها - الإيمان والإسلام والإحسان ، المفسرّ في الحديث ، بأن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه[5] ، فإنه يراك[6] ، وهو الإخلاص الذي أشرنا إليه ، فسبحان من عجز الفصحاء اللدّ عن مضاهاة شيء من كلامه .

---

(١) المفـردات (٤٥) مادة : بره - مختصراً .

(٢) الأنعـام (١٧٩) .

(٣) في المفردات (٥١٣ - مادة : وجـه) :
« أصل الوجه الجارحة . . . ولما كان الوجه أول ما يستقبلك ، وأشرف ما في ظاهر البدن استعمل في مستقبل كل شيء ، وفي أشرفه ومبدئه ، فقيل : وجه كذا ، ووجه النهار . وربما عبر عن الذات بالوجه في قول الله : (**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**) قيل : ذاته ، وقيل : أراد بالوجه ههنا التوجه إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة . . . » .

(٤) تجد ذلك في سور كثيرة ، من بينها :
البقرة (٢٥ ، ٨٢ ، ٢٧٧) ، وآل عمران (٥٧) ، والنساء (٥٧ ، ١٢٢ ، ١٧٣) .

(٥) عبارة « فإن لم تكن تراه » ليست في (أ) .

(٦) وذلك في حديث جبريل -عليه السلام- المشهور ، وفيه أنه سأله (ما الإحسان؟) فأجابه بـ(أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) . رواه البخاري (١ /١٨) كتاب الإيمان - باب (٣٧) .
ورواه مسلم ولكن بلفظ : (فإنك إن لا تراه ، فإنه يراك) . مسلم (١ / ٣٩) كتاب الايمان - باب (١) .

الأصبهاني : « يجوز أن يجعل (**من أسلم** / ١١٢) فاعل « **يدخلها** » مقدراً ويكون (**فله أجره** / ١١٢) معطوفاً عليه ، وذلك أن أهل الكتاب لما بنوا كلامهم على النفي والإثبات المفيد للحصر ، فقيل لهم : بل يدخل غيركم ، ولما أُريد أن يطلعهم على خطاياهم في تلك المقالة ، على وجه يبعثهم على توخي الثواب ، ويرشد غيرهم إلى ما به يفوزون بالفلاح عاجلاً وآجلاً قال : (**من أسلم وجهه لله ، وهو محسن** / ١١٢) ، أي يدخل الجنة من أخلص نفسه لله ، لا يشرك به غيره ، واجتنب الشرك الجلي والخفي عقيدة ، وتواطأ ظاهره مع باطنه إخلاصاً وإحساناً ، وهذا كلام سلك فيه غاية طريق الإنصاف ، بحيث إذا نظر فيه المعاند بجيِّد الفكر ، أذعن للحق . ثم إنه تعالى ما اكتفى بهذا القدر من الجواب ، بل ضم إليه -على وجه التتميم- قوله : (**فله أجره عند ربه** / ١١٢) وأطلق الأجر ليشمل ما لا يدخل تحت الوصف ، وجعله من عند مالكه ومدبر أمره ، الرؤوف الرحيم ، وأردفه بما يُنبىء عن حصول الأمن التام عاجلاً وآجلاً ، فقال : (**ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون** / ١١٢) . ووقع في كلام الأصبهاني قبل ذلك ، أن (**لله** / ١١٢) ، إشارة إلى الإيمان ، (**وهو محسن** / ١١٢) إشارة إلى الإحسان .

وفي الآية مراعاة لفظ (من) أولاً ، ومعناها آخراً . وجيء بالرب دون الله ، لإفادة الإطماع ، ودون ضميره ، لما في توالي الضمائر من القلق . (**وقالت اليهود** / ١١٣) لما فرغ من قدح أهل الكتاب في[1] المؤمنين أتبعه بقدحهم بعضهم في بعض ، وفيه نسبة الحكم الصادر من بعض إلى الجميع مجازاً وتوسعاً ، وهو طريق معروف عند العرب ، نثراً ونظماً . (**ليست النصارى على شيء** / ١١٣) أي معتدّ به . (**كذلك قال الذين لا يعلمون** / ١١٣) قال الطيبي : « هو من قلب التشبيه مبالغة ، على حد (**إنما البيع مثل الربا**)[2] . (**مثل قولهم**) تأكيد للتشبيه المفهوم من (**كذلك**). (**فالله يحكم** / ١١٣) الآية . حذف المحكوم به ، ليعم تقديره . (**ومن أظلم** / ١١٤) الآية .

---

(١) في (أ) : مع ، وما أثبتناه من (ب) .
(٢) البقـرة : (٢٧٥) .

قال ابن عباس : « نزلت في النصارى لما خربوا بيت المقدس »[1]، ومن طريق آخر عنه « في قريش لما منعت النبي -ﷺ- من الصلاة عند الكعبة »[1] ، وهذا الطريق ، أصح إسناداً ، لكن الأول أقرب إلى رعاية النظم ، فإن الآيات السابقة كلها في قبائح أفعال اليهود والنصارى[3] ، ذكره الأصبهاني[4] ، ثم قال : « فإن قلت : كيف عبرّ بـ(مساجد / ١١٤) ، وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد ؟ .

قلت : لا بأس أن يجيء الحكم عاماً ، وإن كان السبب خاصاً »[5] .

الراغب : « المنع : الحيلولة بين المريد ومراده ، ولما كان الشيء قد يمنع صيانة ، صار المنع متعارفاً في المتنافس فيه »[6] .

(١) رواه الطبري عن محمد بن سعد الذي قال : حدثني أبي قال : حدثني عمي قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس - مختصراً .

(٢) رواه ابن كثير عن ابن أبي حاتم الذي قال : ذكر عن سلمة قال : قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - ثم ذكر القول المذكور هنا بمعناه ، واختاره وقوّاه ونصره . تفسير القرآن العظيم (١/١٥٦) .
كما حكى الطبري هذا القول أيضاً عن ابن زيد . جامع البيان (٢/٥٢١) .

(٣) ويبدو أن ترجيح القول الأول على القول الثاني ، ترجيح في محله ، وذلك لما ذكر هنا . وهو ترجيح الطبري ونصره محمود محمد شاكر في حاشيته على جامع البيان (٢/٥٢١ - ٥٢٣) وعلى أي حال ، فإن هذه الآية سواء وردت على هذا الوجه أو ذاك ، فإن العبرة في النهاية بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب كما يقولون ، ومن هنا ، فإن الآية عامة في كل من خرّب مسجداً ، أو سعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة - كما قال البيضاوي .
حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/٢٢٥) ، وانظر تفسير المنار (١/٤٣٢) .

(٤) الذي ذكره الأصبهاني هو :
« وقيل : لما حوّلت القبلة إلى الكعبة شق على اليهود ، وكانوا يمنعون الناس من الصلاة عند توجههم إلى الكعبة ويسعون في تخريب الكعبة بأن حملوا بعض الكفار على تخريبها ، وسعوا أيضاً في تخريب مسجد الرسول -ﷺ- لئلا يصلوا فيه متوجهين إلى الكعبة فعابهم الله بذلك ، ومن سوء طريقهم فيه ، وهذا الوجه أقرب إلى رعاية النظم ، فإن المذكور في الآيات السابقة مقابح أفعال اليهود والنصارى ، فكيف يليق بما قبله » .
أنوار الحقائق الربانية (١/٢٠٤) .

(٥) أنوار الحقائق (١/٢٠٤) . (٦) لم أجد هذا النص فيما اطلعت عليه .



(**أن يذكر فيها اسمه / ١١٤**) بدل اشتمال من (**مساجد / ١١٤**) ، أو مفعول لأجله ، أو على حذف « من »[١] . وكنى بذكر اسمه عن[٢] ما يوقع[٣] في المساجد من أنواع العبادات . (**وسعى في خرابها / ١١٤**) حقيقة على القول الأول في المراد بها ، ومجاز على القول الثاني . (**إلا خائفين / ١١٤**) قرأ أبيّ : (**إلا خيفاً**)[٤] .
(**لهم في الدنيا خزي / ١٠٤**) مناسب لإخمال المساجد ، بتعطيل الذكر فيها ، فجوزوا على ذلك بالذل[٥] والهوان وإخمال الذكر . (**ولهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ / ١١٤**) مناسب للتخريب ، لما في التحريق بالنار من إتلاف هياكلهم وصورهم .
(**ولله المشرق والمغرب / ١١٥**) أي الأرض كلها ، لأنهما ناحيتاها . وقد وردت روايات مختلفة في سبب نزول هذه الآية[٦] .

---

(١) البحر المحيط (١/٣٥٨) ، والبيان (١/١١٩) . وقد اختار البيضاوي القول الثاني من الأقوال المذكورة هنا. حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/٢٢٥) . واختار الزجاج القول الثالث منها . وذهب الأخفش إلى القول الأخير. معاني القرآن للأخفش (١/١٤٤) ، وانظر التفسير الكبير (٢/١١) .
(٢) في (أ) : مـن . (٣) في (أ) : يرفـع . (٤) البحـر (١/٣٥٨) . (٥) في (ب) : بالإذلال .
(٦) هناك عدة روايات في ذلك ، من بينها :
(أ) قال أبو العالية ، وابن زيد ، إنها نزلت جواباً لمن عيرّ من اليهود بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة .
(ب) وقال ابن عمر : نزلت في صلاة المسافر حيث توجهت به دابته .
(ج) وقال سعيد بن جبير : هي جواب لمن قال : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه .
(د) وقال قتادة : إنها في الصلاة على النجاشي ، حيث قال الصحابة : لم يكن يصلي إلى قبلتنا .
(هـ) وروى عامر بن ربيعة : أنها فيمن اشتبهت عليه القبلة من الصحابة في ليلة مظلمة ، فصلوا بالتحري إلى جهات مختلفة .
انظر جامع البيان (٢/٥٢٧ - ٥٣٣) ، وزاد المسير (١/١٣٤) ، والبحر (١/٣٦٠) .
وقد ذكر أبو حيان هذه الأقوال وغيرها ، ثم قال :
«وهذه أقوال كثيرة في سبب نزول هذه الآية ، وظاهرها التعارض ولا ينبغي أن يقبل منها إلا ما صح . . .» .
ثم قال : «والذي يظهر أن انتظام هذه الآية بما قبلها ، هو أنه لما ذكر منع المساجد من ذكر الله والسعي في تخريبها ، نبّه على أن ذلك لا يمنع من أداء الصلوات ولا من ذكر الله ، إذ المشرق والمغرب لله تعالى ، فأي جهة أديتم فيها العبادة فهي لله ، يثيب على ذلك ، ولا يختص مكان التأدية بالمسجد . . . » . البحر (١/٣٦٠) .
وقد ذكر المهدوي نحو هذا القول . المحرر الوجيز (١/٤٥٩) .



وأصح ما ورد ، أنها في القبلة ، حيث حوّلت ، وطعن اليهود في ذلك[1] ، وبهذا يُعرف مناسبة وضع الآية هنا ، لأنها في ضمن تعداد قبائح أهل الكتاب ، وقد مرّ قبلها تقرير أمر النسخ ، والرد عليهم في إنكار ذلك . وفي وصلها بالآية التي قبلها ما لا يخفى من المناسبة ، لأن المساجد والقبلة متلابسان ، وللتنبيه على أن من منع من التولية إلى جهة القبلة ، وإن لم يمنع من الصلاة في المسجد ، حكمه حكم من منع الصلاة في المسجد . وقال الجويني[2] في تفسيره[3] : « سمعت أبا الحسن بن الدهان[4] يقول : « وجه اتصالها ، هو أن ذكر تخريب المقدس قد سبق ، أي فلا يجرمنكم ذلك ، واستقبلوه ، فإن لله المشرق والمغرب » . انتهى وما قلته أقعد . (**فأينما تولوا** / ١١٥) وجوهكم في الصلاة بأمر الله . (**فثم وجه الله** / ١١٥) قال ابن عباس : « أي قبلة الله » أخرجه ابن أبي حاتم[5] . وقال غيره : « الوجه والجهة ، والوجهة : القبلة ، وأضافها إلى نفسه تخصيصاً وتشريفاً » . (**إن الله واسعٌ** / ١١٥) أي يسع كل شيء علماً ومغفرة وجوداً . وفيه مطابقة لما نسب إلى أهل الكتاب من التضييق في أمر القبلة . (**عليمٌ** / ١١٥) بنية عباده حيثما صلوا .

---

(١) وقد ورد ذلك فيما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قائلاً :
« كان أول ما نسخ من القرآن القبلة ، وذلك أن رسول الله -ﷺ- لما هاجر إلى المدينة -وكان أهلها اليهود- أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبلها رسول الله -ﷺ- بضعة عشر شهراً ، وكان رسول الله -ﷺ- يحب قبلة إبراهيم ، وكان يدعو ، وينظر إلى السماء ، فأنزل الله **(قد نرى تقلب وجهك في السماء)** إلى قوله **(فولوا وجوهكم شطره)** ، فارتاب من ذلك اليهود ، وقالوا ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، فأنزل الله **(قل لله المشرق والمغرب)**، وقال: **(فأينما تولوا فثم وجه الله)**.
تفسير القرآن العظيم (١٥٨/١) . وقد روي ذلك أيضاً عن أبي العالية ، وابن زيد ، كما ذكرنا سابقاً .

(٢) هو أبو المعالي ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، الملقّب بإمام الحرمين ، ولد في جوين - من نواحي نيسابور- ورحل إلى بغداد ، ثم إلى مكة حيث جاور أربع سنين ، وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس ، ثم عاد إلى نيسابور ، فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية ، من مصنفاته : «العقيدة الإسلامية في الأركان الإسلامية » ، و «البرهان» ، و « الورقات في أصول الفقه ». توفي سنة ٤٧٨هـ . وفيات الأعيان (٢٨٧/١) ، وتبيين كذب المفتري (٢٧٨ - ٢٨٥) ، والسبكي (٢٤٩/٣) .

(٣) تفسيره ذكره السيوطي في الإتقان(٢١/١)، وذكره صاحب البرهان(٤٥/١)، كما ذكر النص المذكور هنا .

(٤) هو في البرهان (٤٥/١) أبا الحسين بن الدهان .

(٥) الدر المنثور (١٠٩/١) .



وقيل : الآية خطاب للذين يخربون المساجد ، منتظمة مع الآية قبلها ، والمعنى : فأينما تولوا هاربين ، لحقكم العذاب[1] ، ويقويه قراءة الحسن (**تولوا**) بصيغة الماضي[2] ، فتكون جملة (**إن الله واسعٌ عليمٌ** / ١١٥) للتهديد ، وأنه لا مهرب من الله ولا مفر . وأُكِّدت بـ(إن) ، وصرّح فيها باسم الله ، للدلالة على الاستقلال ، ولأنه أفخم وأجزل من الضمير . (وقالوا اتخذ الله ولداً / ١١٦) هم اليهود في عزير ، والنصارى في المسيح ، والمشركون في الملائكة . والعطف على آية : (**وقالت اليهود** / ١١٣) ، فإن فيها الفرق الثلاثة ، إذ المراد بـ(**الذين لا يعلمون** / ١١٣) المشركون .

وقرأ ابن عامر (**قالوا**) بلا واو[3] ، ولما تخلّل من الفصل بقصة المساجد والقبلة من غير ذكر قول فيهما يعطف .

وقال الأصبهاني : « هي على الاستئناف ، كأن سائلاً سأل : هل انقطع حبل افترائهم على الله ، أو امتدّ ولم ينقطع . فقيل : بل قالوا أعظم من ذلك ، وهو نسبة الولد إلى الله »[4] . (**سبحانه** / ١١٦) كلمة تنزيه ، نزّه بها ذاته ، ثم احتج على هذا التنزيه بقوله : (**بل له ما في السموات والأرض** / ١١٦) أي ملكاً وخلقاً ، وعزير والمسيح والملائكة من جملة ذلك ، والملكية[5] تنافي الولادة ، وعبرّ بها مع أن المدعي فيهم ذلك من العقلاء ، للإعلام بأنهم في غاية البعد عن الربوبية ، وفي غاية التحيّز إلى معنى العبودية ، وتنبيهاً على إثبات مجانستهم للمخلوقات المنافية للولدية ، ثم ثنى بتغليب العقلاء على غيرهم في قوله (**كل له قانتون** / ١١٦) إيذاناً بأن كل ما في السموات والأرض ، في التسخير والانقياد بمنزلة المطيع القانت ، الذي يؤمن فيمتثل ولا يتوقف عن الأمر . ولما كان القصد في الإيراد إلى أن من اتخذ

(١) وقد ذهب إلى ذلك القفال . البحر (١/٣٦١ - ٣٦٢) .
(٢) ابن خالويه (٩) .
(٣) حجة القراءات (١١٠) .
(٤)
(٥) في (ب) : والمليكية .



ولداً من العقلاء ، انخرطوا في وسط هذا المسلك انخراطاً أولياً ، إيذاناً بأن من كان بهذه الصفة لم يجانس ، ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد . (**بديع** / ١١٧) بمعنى مبدع ، وهو المنشىء على غير مثال . قال أبو حيان : « لما ذكر أنه مالك لجميع من في السماوات والأرض ، وهم المظروف للسماوات والأرض ، ذكر الظرفين »[(١)] . و(**بديع** / ١١٧) بالرفع خبر مقدر ، وقرىء بالنصب على المدح ، وبالجر[(٢)] على البدل من ضمير (له) . ولما ذكر ما دّل على الاختراع ، ذكر ما يدل على طواعية المخترع ، وسرعة تكوينه ، فقال (**وإذا قضى أمراً** / ١١٧) أي أراد قضاءه ، أي خلقه وإيجاده . قال الأزهري : « القضاء في القرآن على وجوه ، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه ، فيكون بمعنى الخلق : (**فقضاهن سبع سموات**)[(٣)] ، والأمر : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)[(٤)] أي أمر ، والإخبار : (**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب**)[(٥)] أي أخبرناهم ، والفراغ : (**وقضي الأمر**)[(٦)] أي فرغ من إهلاك الكفار ، والوفاء : (**فلما قضى موسى الأجل**)[(٧)] ، والإرادة (**إذا قضى أمراً**)[(٨)(٩)] » . البيضاوي : « أصل القضاء إتمام الشيء قولاً أو فعلاً ، وأُطلق على تعلّق الإرادة الإلهية بوجود الشيء من حيث إنه يوجبه[(١٠)] » قال : « وقد تضمنت الآيتان إفساد ما ادّعوه من خمسة أوجه : التنزيه ، وإثبات الملكية[(١١)] ، والانقياد ، المنافين للولادة ، والإبداع الذي هو اختراع بلا مادة ، دفعة بخلاف الولادة ، فإنها انفعال عن الوالد بانفصال مادته عنه ، ولهذا اختير هنا على الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر ، وعلى التكوين الذي يكون بتغيير ، وفي

---

(١) البحر (١/٣٦٤) مع حذف «وأنهم كل قانتون» بعد قوله «والأرض» .

(٢) هذه قراءة صالح بن أحمد ، والقراءة السابقة هي قراءة المنصور . البحر (١/٣٦٤) ، وابن خالويه (٩) .

(٣) فصلت : (١٢) .

(٤) الإسراء : (٢٣) .

(٥) الإسراء : (٤) .

(٦) هود : (٤٤) .

(٧) القصص : (٢٩) .

(٨) آل عمران : (٤٧) ، مريم : (٣٥) .

(٩) تهذيب اللغة للأزهري (٩/٢١١) باب : القاف والصاد . بتصرف واختصار .

(١٠) في النسختين : يوحيه .

(١١) في (ب) : الملائكة .



زمان غالباً ، والخامس : الإشارة إلى سرعة تكوينه الأشياء ، وتكوُّنها بأمره دفعة ، بخلاف اتخاذ الوالد ، فإنه يكون بأطوار ومهلة »[1] . (فإنما يقول له كن فيكون / ١١٧) قال الكرماني : « فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن هذا عبارة عن سرعة الإيجاد ، وأن لا نَصَب هناك ولا تعب ، والأمر والقول مجازان ، لأن المعدوم لا يُخاطَب ، والموجود لا يُؤمَر بالوجود »[2] ، وبهذا جزم في الكشاف ، وجعله استعارة تمثيلية ، والمعنى أن ما قضاه من الأمور ، وأراد كونه ، يتكوّن ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقّف ، كما أن المأمور المطيع إذا أمر ، امتثل ولا يتوقف إلا بقدر ما يقال له افعل كذا ، فيمتثل ، فإذن لا قول ثمة : والقصد بهذه الجملة تأكيد استبعاد الولادة ، فإن من كان بهذه الصفة من القدرة ، كانت حاله مباينة لحال الأجسام في توالدها[3] .

«الثاني : أنه حقيقة ، لأن جميع ما هو كائن في علمه تعالى كالموجود ، فصح الخطاب»[4] قلت : وهذا أصح الأقوال[5] .

الثالث : أنه خاص بالموجودات التي أراد تعالى نقلها إلى حالة أخرى[6] . وقيل : (له / ١١٧) : لأجله . ورفع « يكون » هو الوجه ، أي فهو يكون . وقراءة

---

(١) حاشية الشهاب (٢/٢٢٨ - ٢٣٠) مع الاختصار والتقديم والتأخير .

(٢) لباب التفسير (١/٤١١) بتصرف .

(٣) الكشاف (١/٣٠٧) . وقد ذهب الفخر الرازي ، وأبو حيان إلى هذا القول . التفسير الكبير (٢/٣٠) ، والبحر (١/٣٦٥) . وذكر الألوسي أنه قول أكثر أهل السنة . روح المعاني (١/٣٦٨) .

(٤) لباب التفسير (١/٤١١) بتصرف .

(٥) وهو ما ذهب إليه ابن الجوزي . زاد المسير (١/١٣٦ - ١٣٧) . ونسبه الألوسي إلى الحنفية. روح المعاني (١/٦٨).

وهذا القول هو الظاهر - كما ذهب إلى ذلك الشوكاني ، ثم قال : «وليس في ذلك مانع ، ولا جاء ما يوجب تأويله ، ومنه قوله تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (يس/٨٢) ، وقال تعالى : (**إنما قولنا لشيء إذا أردناه ، أن نقول له كن فيكون**) (النحل/٤٠) ، وقال : (**وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر**) (القمر/٥٠) ، فتح القدير (١/١٣٤) .

وانظر تفسير المنار (١/٤٣٨ - ٤٣٩) .

(٦) وهو معنى قول الأصم . التفسير الكبير (٢/٣١) . ولم أجده في لباب التفسير .



النصب[1] على الحمل على اللفظ ، لأنه صيغة الأمر . (**وقال الذين لا يعلمون** / ١١٨) الآية ، لما حكى تعالى عن الكفار نسبة الولد إليه سبحانه ، عقّب ذلك بمقالة أخرى لهم ، تدل على تعنتهم ، وجهلهم بما يجب لله من التعظيم ، وعدم الاقتراح على أنبيائهم ، ثم لما كان ذلك مما يضيق به صدر نبيه -ﷺ- سلّاه بإخباره أن ذلك شأن الكفار قبلهم مع أنبيائهم ، وزاد في تسليته وطمأنينته وبيان شرفه ، بأن أكد الشهادة له بالرسالة المصاحبة للحق ، وأسندها تعالى إلى نفسه زيادة في التعظيم ، وأقبل عليه بالخطاب مبالغة في التكريم ، ثم قال : (**إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً** / ١٦٩) أبو حيان : « بشير : مقيس ، لأنه من بشّر ، ونذير غير مقيس ، لأنه من أنذر ، فالقياس منذر . وسوّغ ذلك اقترانه ببشير ، على حد قولهم : الغدايا والعشايا »[2] . انتهى . ثم زاد تسكين قلبه ، فقال : (**ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم** / ١١٩) ما لهم لم يؤمنوا ، إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ، وفي قراءة بجزم (تسأل) مفتوح التاء[3] ، نهياً له -ﷺ-[4] عن السؤال عن أحوال الكفرة ، والاهتمام بشأنهم ، تخفيفاً عليه وتهويناً ، وفي سبب نزول هذه الآية ما يقتضي أنها نزلت مرتين بالقراءتين ، وأنه -ﷺ- قال (ليت شعري ما فعل أبواي) ، فنزلت ، أخرجه ابن جرير[5] عن محمد بن كعب[6] مرسلاً .

---

(١) عن ابن عامر ، حجة القراءات (١١١) .

(٢) في البحر (١/٣٦٧) :
«والعدل في «بشير» للمبالغة ، مقيس عند سيبويه ، إذا جعلناه من بشر ، لأنهم قالوا بشر مخففاً ، وليس مقيساً في « نذير » لأنه من أنذر ، ولعل محسن العدل فيه ، كونه معطوفاً على ما يجوز ذلك فيه ، لأنه قد يسوغ في الكلمة مع الاجتماع مع ما يقابلها ما لا يسوغ فيها لو انفردت ، كما قالوا : أخذه ما قدم وما حدث وشبهه » .

(٣) هي قراءة نافع ، حجة القراءات (١١١) .

(٤) في (أ) : وسلم عليه .

(٥) أورد ابن جرير الطبري هذه الرواية بطريقين كلاهما على القراءة الثانية ، وفي الثاني منهما تكرار العبارة المذكورة في الرواية هنا ثلاثاً .
وكلا الطريقين ضعيفان ، وذلك لضعف راويهما موسى بن عبيدة بن نشيط الزبدي . كما أن كلا الطريقين مرسلان ، فإن محمد بن كعب تابعي ، والمرسل لا تقوم به حجة . ذكر ذلك محمود محمد شاكر في حاشيته =



وقيل : النهي لتعظيم ما وقع بأصحاب الجحيم من العذاب ، كما لو سألت عن صاحب بليّة ، فيقال لك : لا تسأل عنه ، أي أنه في أمر عظيم[1] .

وقرأ أبيّ (**وما تُسْأل**)[2] ، وابن مسعود (**ولن تُسْأل**)[3] والجحيم : النار العظيمة . الراغب[4] : « الجَحْمة : شدة تأجُّج النار »[5] . (**ولن ترضى عنك اليهود ، ولا النصارى حتى تتبع ملتهم / ١٢٠**) قال الأصبهاني : « وجه اتصالها بما قبلها ، أنه لما بين في الآية السابقة إصرارهم وتصميمهم على الكفر والتكذيب ، مع تبيين الآيات الدالة على حقيقة الإسلام ، عقب ذلك بأنه بلغ حالهم في تشديدهم وثباتهم على كفرهم ، أنهم يريدون مع ذلك أن نتبع ملتهم »[6] .

أبو حيان : « إفراد الملّة - وإن كان لهم مِلّتان - إيجاز ، على حدّ (**وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا**)[7][8] . (**قل إن هدى الله هو الهدى / ١٢٠**) قال الأصبهاني : « فيه مبالغات ، منها إضافة الهدى إلى الله ، ومقارنته بإن[9] ، وإعادة

= على جامع البيان (٢/٥٥٨ - ٥٥٩).

(٦) هو أبو حمزة ، محمد بن كعب القرظي ، وكان أبوه ممن لم ينبت يوم قريظة فترك . توفي سنة ١٢٠هـ . التاريخ الكبير (١/٢١٦).

(١) هذا القول تفسير للقراءة الثانية .
ويبدو لي أن تفسير الآية بهذا الوجه ، وبما ذكره المؤلف أولاً -عند تعرضه للقراءة الأولى- أرجح من القول بأن الآية واردة في سؤال النبي -ﷺ- عما فعل أبواه ، لما قلناه سابقاً ، ولأن السياق في ذكر اليهود والنصارى ، وليس في ذكر مشركي العرب .
انظر جامع البيان (٢/٥٥٩ - ٥٦١) ، وتفسير القرآن العظيم (١/١٦٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٢/٩٣) ، وروح المعاني (١/٣٧١) ، والمنار (١/٤٤٢ - ٤٤٣) .

(٢) (٣) القراءتان في ابن خالويه (٩) . وانظر البحر (١/٣٦٧) .

(٤) في (أ) : تكررت كلمة « الراغب » مرتين .

(٥) المفردات (٨٨) مادة : جحم .

(٦) أنوار الحقائق (١/٢٠٧) .

(٧) البقرة (١٣٥) .

(٨) في البحر : «ووُحِدَت المِلّة -وإن كان لهم مِلتان- لأنها يجمعهما الكفر ، فهي واحدة بهذا الاعتبار ، أو للإيجاز فيكون من باب الجمع في الضمير نظير (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى) . . . » . البحر (١/٣٦٨) .

(٩) « بإن » غير موجودة في (أ) .



الهدى في الخبر ، على حد : وشعري شعري ، وتسمية الدين بالهدى لمجيئه جواباً عن قولهم « ملتنا » ، وجعله مصدراً ، وتوسيط ضمير الفصل ، وتعريف الخبر بلام الجنس »[1] .

القطب : « وجه المطابقة بين كلامهم والجواب ، أنهم ما قالوا لن نرضى عنك ، حتى تتبع ملتنا ، إلا وزعموا أن اتباع ملتهم ، هو الهدى ، لا دين الإسلام ، فأجيبوا على قصر[2] القلب ، بأن دين الإسلام ، هو الهدى ، لا اتباع ملتهم ». **(ولئن اتبعت أهواءهم / ١٢٠)** جمع للدلالة على كثرة اختلافهم وأباطيلهم . **(بعد الذي جاءك من العلم ، مالك من الله من ولي ولا نصير / ١٢٠)** ، قال الكرماني : « قال هنا **(بعد الذي جاءك / ١٢٠ »** ، وفيما سيأتي **(من بعد ما جاءك / ١٤٥)** لأن العلم في هذه الآية ، علم بالكمال ليس وراءه علم ، لأن معناه بعد الذي جاءك من العلم بالله وصفاته ، وبأن الهدى هدى الله ، أو معناه بأن دين الله الإسلام ، وأن القرآن كلام الله ، فكان لفظ (الذي) أليق به من « ما » ، لأنه في التعريف أبلغ وفي الوصف أقعد ، بدليل أنه لا يتنكر قط ، ويوصف به اسم الإشارة بخلاف (ما) فيها . فخصّت بالموضع الآتي ، لأن المعنى بالعلم هناك ، أن قبلة الله هي الكعبة ، وذلك قليل من كثير من العلم ، وزيد معه (من) التي لابتداء الغاية ، لأن تقديره : من الوقت الذي جاءك العلم فيه بالقبلة لأن القبلة الأولى ، نسخت بهذه الآيات ، وليس الأول مؤقتاً بوقت »[3] . وختم الآية الأولى بغليظ من الخطاب ، لعظم شأن العلم الذي فيها ، وختم الثانية بقوله : **(انك إذاً لمن الظالمين)**[4] ، لما كان الثاني منحطاً عن الأول . « وقال في الرعد **(بعدما جاءك / ٣٧)** فأتى بـ(ما) ، لأن العلم فيها هو الحكم العربي[5] ، أي القرآن ، فكان

---

(١) أنوار الحقائق (١/٢٠٧) .

(٢) في (أ) : فقر .

(٣) أسرار التكرار في القرآن (٣٣ - ٣٤) بتصرف واختصار قليل .

(٤) البقرة (١٤٥) .

(٥) الحكم العربي هو المذكور في نفس الآية : **(وكذلك أنزلناه حكماً عربياً)** .

بعضاً من الأول ، ولم يزد (من) ، لأنه غير مؤقت »[١] ، وختمها أيضاً بغليظ من الخطاب ، فقال : (**مالك من الله من ولي ولا واق** / ٣٧) ، ولأنه وإن كان بعض الأصول ، فهو مشتمل على الكل . (**الذين آتيناهم الكتاب** / ١٢١) الآية ، لما ذكر كفار اليهود وقبائحهم ، وانتهى منها ، ختم بالثناء على من آمن منهم ، لئلا يظن أن الكل داخلون في الذم ، كما قال تعالى في سورة آل عمران : (**ليسوا سواءً** / ١١٣) الآية ، وضمير (به / ١٢١) في الموضعين للكتاب لتتسق الضمائر . وقيل : للنبي -ﷺ- لتقدمه في (**إنا أرسلناك** / ١١٩) ففيه التفات عن الخطاب . وقيل : لله ، فيكون التفاتاً عن التكلم[٢] . (**يا بني إسرائيل** / ١٢٢) الآية . قال الأصبهاني وغيره : « لما استقصى الله في بيان وجوه نعمه على بني إسرائيل ، ثم في بيان قبائحهم ، في أديانهم وأعمالهم ، ختم الفصل بما بدأ به ، ليكون ما حكى عنهم ، محشواً بين التذكيرين ، ومجعولاً بين الوعظين والتخويفين ، ثم شرع في نوع آخر من البيان ، وهو أن ذكر قصة إبراهيم ، وكيفية أحواله ، والسر فيه أن إبراهيم نبي يعترف بفضله جميع الطوائف ، أهل الملل والمشركون ، فحكى الله عن أمر أبيهم أموراً ، تُوجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى الإيمان به والاعتراف برسالته »[٣] .

وأقول : لما تقدم الرد على اليهود في إنكار النسخ ، وسبب ذلك نسخ القبلة ، قدم في الرسم ، على ذكر الأمر بالتوجه إلى الكعبة ، وذكر من بناها ، وهو أبوهم الأكبر إبراهيم ، الذي إنما شَرُفوا بكونهم من ذريته ، ليكون ذلك أبلغ داع لهم إلى استقبالها ، لكونها من آثار من هم منه بسبيل ، وذكر في خلال ذلك أموراً من شأنه ، كدعوته ببعثة النبي -ﷺ- ، والثناء على مِلّته ، وأن من رغب عنها ، فقد سفه نفسه ، وأن دينه الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية ، وأنه ويعقوب معاً ، وصيّا بذلك

(١) أسرار التكرار في القرآن (٣٤) .

(٢) الظاهر من هذه الأقوال المذكورة ، هو القول الأول ، وهو أن الضمير في (به) يعود على الكتاب ، وذلك لتتسق الضمائر -كما قال المؤلف- ولا تختلف فيحصل التعقيد في اللفظ ، والإلباس في المعنى . وهو ما ذهب إليه الزمخشري ، وأبو حيان . الكشاف (١/ ٣٠٨) ، والبحر (١/ ٣٧٠) .

(٣) 



أولادهما ، إلى غير ذلك مما ذكر في أثناء القصة ، وافتتحها بالثناء عليه بإتمام ما أمره به ، الموجب لجعله إماماً يقتدى به ، وأن من تابعه من ذريته في الوفاء ، فهو أيضاً إمـام ، بخلاف من ظلم منهم ، فقال : (**وإذا ابتلى إبراهيم ربه / ١٢٤**) أي اختـبره وامتحنـه ، والابتـلاء في الشـاهد ، لاستفادة علم خفي على الممتحن من الممتحن ، وذلك غير جائز في حق الله ، فهو يعود إلى إعلامه لا إلى استعلامه .

وقيل : الابتلاء في الأصل التكليف بالأمر الشاق ، من البلاء ، بمعنى إيصال المكروه (**بكلمات / ١٢٤**) هي مناسك الحج ، وخصال الفطرة العشر[١] ، وسهام الإسلام الثلاثون المذكورة في قوله : (**التائبون**)[٢] الآية ، و (**إن المسلمين**)[٣] الآية ، و (**قد أفلح**)[٤] الآيات ، ونظائرها من «سأل»[٥] ، و « **الكوكب** »[٦] و « **القمر** »[٧] و « **الشمس** »[٨] و « **النـار** »[٩] و « **الهجـرة** »[١٠] ، و « ذبـح ابنـه »[١١] ، فإطـلاق الكلمات عليهـا ، مجاز لأنها صادرة عن أوامـر ، وهي كلمات ، كما سمى عيسى كلمة[١٢] ، لأنه صادر عن كلمة (كن)[١٣] .

---

(١) وهي : المضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والفرق ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظافر ، وحلق العانة ، والاستطابة ، والختان .
كما حكاه أبو حيان عن ابن عباس وقتادة . البحر (١/ ٣٧٥) ، وانظر غريب القرآن لابن قتيبة (٦٣) ، وانظر رد الإمام محمد عبده على هذا القول . المنار (١/ ٤٥٤) .

(٢) التوبـة (١١٢) . (٣) الأحـزاب (٣٥) . (٤) المؤمنون (١) .

(٥) وذلك في الآيات (٢٣ - ٣٤) من سورة المعارج .

(٦) وذلك في قوله تعالى : (**فلما جن عليه الليل رأى كوكباً**) الأنعام (٧٦) .

(٧) وذلك فيما قال الله تعالى : (**فلما رأى القمر بازغاً ، قال هذا ربي**) الأنعام (٧٧) .

(٨) قال تعالى : (**فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، هذا أكبر**) الأنعام (٧٨) .

(٩) قا تعالى : (**قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**) الأنبياء (٦٩) .

(١٠) قال الله عز وجل : (**فآمن له لوط ، وقال إني مهاجرٌ إلى ربي ، إنه هو العزيز الحكيم**) العنكبوت (٢٦) .

(١١) قال تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - أنه قال : (**يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك . . . .**) الصافات (١٠٢).

(١٢) قال تعالى : (**إن الله يبشرك بكلمةٍ منه ، اسمه المسيح عيسى بن مريم**) آل عمران (٤٥) .

(١٣) قال تعالى : (**وقالوا اتخذ الله ولداً ، سبحانه ، بل له ما في السموات والأرض ، كلٌ له قانتون ، بديع السموات والأرض ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون**) البقرة (١١٦،١١٧). =



وقرىء برفع (**إبراهيم**) ، ونصب (**ربه**)[1] فالكلمات : الدعوات ، أي اختبر بها إبراهيم ربه ، هل يجيبه . (**قال إني جاعلك / ١٢٤**) استئناف بياني ، كأنه قيل ، فماذا قال ربه حين أتم الكلمات .

وفي الآية من أنواع البديع ، المراجعة ، وهي أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ، جرت بينه وبين محاور له ، بأوجز عبارة ، وأعدل سبك وأعذب ألفاظ . قال ابن أبي الإصبع[2] : « جمعت هذه الآية ثلاث مراجعات ، فيها معاني الكلام ، من الخبر ، والاستخبار ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد بالمنطوق والمفهوم »[3] .

قلت : أحسن من هذا أن يقال ، جمعت الخبر ، والطلب ، والإثبات والنفي ، والتأكيد ، والحذف ، والبشارة والنذارة ، والوعد والوعيد . (**ومن ذريتي / ١٢٤**) قرىء بتثليث الذال[4] ، وهو عطف على ضمير المخاطب في (**جاعلك / ١٢٤**) ، كأنه قال : وجاعل بعض ذريتي ، ويقال لمثل ذلك عطف تلقين ، كأنه يلقنه بأن يقول كذا ، كما يقال لك : سأكرمك ، فتقول وزيداً . (**قال لا ينال عهدي الظالمين / ١٢٤**) قرىء (**الظالمون**)[5] ، وهما بمعنى ، لأن ما نالك ، فقد نِلْته .

= والحقيقة أنه لا يمكن الجزم بأي قول من الأقوال المذكورة هنا لأنه ليس ثمة حديث في ذلك ولا إجماع . انظر جامع البيان (٣/١٥) ، وتفسير القرآن العظيم (١/١٦٦ - ١٦٧) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٣٦ - ٣٧) .

(١) عن أبي الشعثاء ، ابن خالويه (٩) .

(٢) هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري ، شاعر ، عالم بالأدب ، من كتبه « بديع القرآن » و« تحرير التحبير » ، و« الجواهر السوانح في سرائر القرائح » . توفي سنة ٦٥٤هـ .

فوات الوفيات (١/٢٩٤) ، والنجوم الزاهرة (٧/٣٧) ، والخزانة التيمورية (١/١٦١ - ١٦٢) ، والأعلام (٤/١٥٦) .

(٣) بديع القرآن له (٣٠١ - ٣٠٢) .

(٤) وذلك أن فيها ثلاث قراءات ، وهي : الضم ، والفتح ، والكسر ، فالضم قراءة الجمهور ، والفتح قراءة أبي جعفر المدني ، والكسر قراءة زيد بن ثابت . الدر المصون (٢/١٠١) ، وانظر ابن خالويه (٩) .

(٥) عن ابن مسعود ، ابن خالويه (٩) .



ولما صدّر بالثناء على باني البيت ، عقبّه بالثناء على البيت ، فقال : (**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس / ١٢٥**) أي مرجعاً ، يثوبون إليه كل عام . وقيل : من الثواب ، أي يحجّون فيثابون[١] .

وقرىء (**مثابات**)[٢] باعتبار التائبين . (**وأمناً / ١٢٥**) وصف به مبالغة أي ذا أمن ، وأُطلق ليعم أمن الدنيا والآخرة ، والناس وغيرهم .

(**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى / ١٢٥**) قرىء بفتح الخاء على الخبر ، وهو متصل بما قبله وما بعده ، وبكسرها على الأمر[٣] ، فقيل على تقدير : وقلنا اتخذوا .

وقيل : الخطاب خاص بهذه الأمة[٤] ، ثم رجع إلى الأول بقوله : (**وعهدنا / ١٢٥**) ، فالجملة على هذا اعتراض .

وقيل : الخطاب لليهود[٥] ، عطف على « **اذكروا نعمتي** » ، أو على « **ثوبوا** » مقدماً زجراً لهم عن إنكار التوجه إلى الكعبة .

القفّال : « (من) هنا ، كهي في قولك : اتخذت من فلان صديقاً ، وأعطاني الله من فلان أخاً صالحاً ، دخلت لبيان المتخذ والموهوب وتميزه في ذلك المعنى »[٦] ،

---

(١) ذكر أبو حيان القول الأول عن مجاهد ، وابن جبير ، وذكر القول الثاني عن الماوردي . البحر (١/٣٨٠) .
وأورد ابن عطية القول الثاني احتمالاً منه . المحرر الوجيز (١/٤٧٨) . وقد استظهر السمين القول الأول .
الدر المصون (٢/١٠٣) .

(٢) طلحة والأعمش ، ابن خالويه (٩) .

(٣) القراءة الأولى عن ابن عامر ونافع ، والقراءة الثانية عن بقية القراء . حجة القراءات (١١٣) .

(٤) ويؤيده ما ورد في سبب النزول فيما رواه البخاري عن عمر من أنه قال : «وافقت ربي في ثلاث ، أو وافقني ربي في ثلاث : قلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىً ، فنزلت (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىً) . البخاري (٥/١٤٩) - كتاب : تفسير القرآن - باب : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىً . وأما قوله «فنزلت» . . . الخ فهي من كتاب مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي(٢١) .

(٥) وهو ما استبعده ابن جزي الكلبي ، التسهيل (١/٦٠) . وأبو حيان البحر (١/٣٨١) .

(٦) حكى أبو حيان هذا القول بتصرف قليل ، واستظهر أن تكون (من) هنا تبعيضية ، وهو ما استظهره السمين أيضاً .
البحر (١/٣٨١) ، والدر المصون (٢/١٠٦) .



يعني أن الآية من باب التجريد . و(مصلى) قيل : موضع صلاة ، وقيل : موضع دعاء[1] .

قلت : ولا يبعد إرادة الأمرين ، أو اختصاص الأول بقراءة الكسر كما بيّنه سبب النزول ، والثاني بقراءة الفتح . (**أن طهّرا / ١٢٥**) يحتمل المصدرية والتفسيرية ، لأن في العهد معنى القول دون حروفه[2] . (**للطائفين والعاكفين ، والركع السجود / ١٢٥**) أي المصلين ، استوعبت العبادات الثلاث الخاصة بالمسجد : الطواف ، والاعتكاف ، والصلاة . أبو حيان : « خص الركوع والسجود بالذكر من جميع أحوال المصلي ، لأنهما أقرب أحواله إلى الله ، وقدم الركوع على السجود ، لتقدمه في الزمان ، وجمعا جمع تكسير ، لمقابلتهما ما قبلهما من جمعي السلامة ، تنويعاً في الفصاحة ، وخالف بين وزني تكسيرهما ، وتنويعاً في الفصاحة أيضاً ، وكان آخرهما على فعول لا فعل ، لأجل كونها فاصلة ، والفواصل قبلها وبعدها آخرها قبله حرف مدّ ولِين ، وعطف العاكفين والرُّكَّع ، لأن كلاًّ منهما عبادة مستقلة ، ولم يعطف السجود على الركوع ، لأن المقصود بهما المصلون ، والركوع والسجود يشملهما فعل واحد ، وهو الصلاة ، فناسب ترك العطف ، لئلا يتوهم أن كلاًّ منهما عبادة على حِيالها »[3] . (**هذا بلداً آمناً / ١٢٦**) في سورة إبراهيم : (**هذا البلد آمناً / ٣٥**) قال الكرماني : « لأن الأول إشارة إلى الوادي ، قبل بناء البيت ، فدعا أن يجعله بلداً ، وأن يجعله آمناً ، والثاني إشارة إليه بعد بنائه ومصيره بلداً »[4] . فدعا بأمنه ،

---

(١) ذهب ابن عطية أن الوجه الأول بناء على قول من قال إن المقام الحجر ، وأن الوجه الثاني بناء على قول من قال إن المقام غير الحجر . المحرر (١/٤٨١) . والوجه الأول مروي عن قتادة ، والثاني عن مجاهد . الجامع لأحكام القرآن (٢/١١٣) ، البحر (١/٣٨١) . وقد ذهب أبوحيان إلى ترجيح الوجه الأول ، المرجع السابق .

(٢) انظر البحر (١/٣٨١) ، والدر المصون (٢/١٠٧) . والقول الثاني هو قول سيبويه . الجامع لأحكام القرآن (١/١١٣ - ١١٤) ، وانظر الكتاب (٣/١٦٢ - ١٦٥) .

(٣) البحر (١/٣٨٢) بتصرف قليل .

(٤) في أسرار التكرار (٣٥) :

«قوله : (**رب اجعل هذا بلداً آمناً**) (١٢٦) ، وفي إبراهيم : (**هذا البلد آمناً**) (٣٥) ، لأن هذا هنا إشارة =



فهو دعاء بأمر واحد ، والأول دعاء بأمرين ، وإسناد[1] الأمن إلى البلد مجاز ، كـ(**عيشة راضية**)[2] ، أي آمناً أهله وسكانه ، وهو مأمون فيه . (**وارزق أهله من الثمرات ، من آمن / ١٢٦**) بدل بعض ، جاء به استدراكاً موافقة لجواب الله له الأول (**لا ينال عهدي الظالمين / ١٢٤**) ظناً أن الرزق كالإمامة (**قال ومن كفر / ١٢٦**) أي وارزق من كفر ، على حد العطف في (**ومن ذريتي / ١٢٤**) ، وضمير (**قال / ١٢٦**) لله . (**فأمتعه / ١٢٦**) قرىء بالتشديد ، والتخفيف[3] ، وقرىء شاذاً (**فأمتعه**)[4] ، (**ثم اضطرُّه / ١٢٦**) بصيغة الأمر للدعاء ، فضمير (**قال**) لإبراهيم . قال ابن جني : « وحسن إعادة (قال) على هذا ، لأمرين ، أحدهما : طول الكلام ، فلما تباعد آخره من أوله ، أُعيدت لبعدها . والآخر : أنه انتقل من الدعاء لقوم إلى الدعاء لآخرين[5] ، فكأن ذلك أخذ في كلام آخر ، فاستؤنف معه لفظ القول » . قال : « ويجوز على هذه القراءة جعل الضمير لله ، فأمتعه يا خالق ، يخاطب نفسه على ما اعتادته العرب من أمر المخاطب نفسه ، كقول الأعشى[6] :

ودّع هريرة إن الـركـب مرتحـل ... وهـل تطيق وداعـاً أيها الـرجـل[7]

وهو المسمى عندهم بالتجريد »[8] .

= إلى المذكور في قوله:(بوادٍ غير ذي زرع) (٣٧) ، قبل بناء الكعبة ، وفي إبراهيم إشارة إلى البلد بعد الكعبة ، فيكون (بلداً) في هذه السورة المفعول الثاني ، و(آمنا) صفته ، و(**هذا البلد**) في إبراهيم المفعول الأول ، و(آمناً) المفعول الثاني » .

(١) في (ب) : واستناد . (٢) الحاقة : (٢١) .

(٣) قراءة التخفيف هي قراءة ابن عامر ، وقراءة التشديد هي قراءة البقية . حجة القراءات (١١٤) .

(٤) ابن عباس ، المحتسب (١/١٠٤) .

(٥) في المحتسب (١/١٠٥) : « على آخرين » .

(٦) هو أبو بصير ، ميمون بن قيس ، المعروف بأعشى قيس ، ويقال له أعشى بكر بن وائل ، والأعشى : الكبير . وقد لقب بالأعشى لضعف بصره ، وعمي في آخر عمره ، وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات ، كان يفد على الملوك ، ولا سيما ملوك فارس ، ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره . عمرّ طويلاً ، وأدرك الإسلام ، ولم يسلم . توفي سنة ٧هـ . خزانة البغدادي (١/٨٤ - ٨٦) ، والأغاني (٩/١٠٨) ، وجمهرة أشعار العرب (٢٩ ، ٥٦) .

(٧) ديوانه (٥٥) ، والخصائص (٢/٤٧٤) . (٨) المحتسب (١/١٠٥ - ١٠٦) باختصار .

وقرأ أُبيّ (**فَنُمَتِّعُه**) (**ثم نَضْطَرُّه**)[1] ، وقرىء (**إضطرُّه**) بكسر الهمزة لغة في المضارع[2] ، وبضم الطاء[3] اتباعاً للراء . (**وإذ يرفع / ١٢٧**) حكاية حال ماضية ، قاله الزمخشري[4] ، وقال أبو حيان : « لا ، فإن (**إذ / ١٢٧**) تخلص المضارع إلى المضي »[5] . (**القواعد من البيت / ١٢٧**) قال الزمخشري : « لم يقل : قواعد البيت لأن في إبهام القواعد ، وتبيينها بعد الإبهام ، ما ليس في إضافتها ، لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم[6] ، لشأن المبيّن[7] . (**وإسماعيل / ١٢٧**) الطيبي : « أخّر عن (**إبراهيم / ١٢٧**) ، وفصل بالمفعول ، الذي هو مؤخر الرتبة عن الفاعل ، لأن الرافع في الحقيقة إبراهيم ، وإسماعيل كان معيناً ومناولاً للحجارة . (**ربنا / ١٢٧**) في مصحف ابن مسعود : (**ويقولان ربنا**)[8] وهو تصريح بالمقدّر في قراءة الكافة .

الخويي : « حيث وقع النداء بهذا الاسم ، أسقط حرف النداء ، وحيث وقع بالله ، فلابد من ذكره أو عوضه ، وهو الميم المشددة ، ونكتته أن اسم الله كلمة هيبة وعظمة ، فالمناسب له ذكر الحرف المشعر بالبعد والذل من المنادي ، ورفعة المنزلة[9] للمنادى ، واسم الرب المفهوم منه اللطف والرحمة والرأفة ، والله تعالى قريب من العبد بهذه الصفة ، إذ ما من حالة إلا والله تعالى مسد إلى عباده[10] لطفاً وبراً ، فقيل : (**ربنا / ١٢٧**) رب من غير حرف نداء ، إشارة إلى القرب المذكور » . قال : « وأما (**وقيله يارب**)[11] فإن السؤال فيه لأمر القوم ، وهم لظلمهم ، بعدوا عن الرأفة والرحمة » .

---

(١) البحر (١/٣٨٤) .
(٢) عن يحيى بن وثاب . البحر (١/٣٨٤) .
(٣) وهي قراءة يزيد بن أبي حبيب . الدر المصون (٢/١١٢) .
(٤) الكشاف (١/٣١١) .
(٥) البحر (١/٣٨٧) بتصرف .
(٦) فيهما : التفخيم شأن - وما أثبته من الكشاف (١/٣١١) .
(٧) الكشاف (١/٣١١) بتصرف قليل .
(٨) المحتسب (١/١٠٨) ، ابن خالويه (١٠) .
(٩) في (أ) : المنزل .
(١٠) في (ب) : عبده .
(١١) الزخرف : (٨٨) .



الطيبي : « تكرار (ربنا) للاستعطاف » . (**تقبل منا / ١٢٧**) فرّق بعضهم بين القبول والتقبّل ، بأن التقبّل تكلّف القبول ، وذلك حيث يكون العمل ناقصاً ، لا يستحق أن يُقبل ، وعبّرا به هنا تواضعاً واعترافاً بالتقصير في العمل . (**إنك أنت السميع العليم / ١٢٧**) في الختم بها غاية التناسب إذ صدر منهما عمل وسؤال ، وأخرّ (**العليم / ١٢٧**) على غير الترتيب لمناسبته للفاصلة . (**واجعلنا مسلمين / ١٢٨**) قرىء بصيغة الجمع[1] . (**وأَرِنا / ١٢٨**) في قراءة بسكون الراء[2] ، وقرىء (**وأرهم[3] مناسكهم ، وتب عليهم**)[4] (**ربنا وابعث فيهم / ١٢٩**) لما دعا لمكة بالأمن ، ولأهلها بالرزق ، وبأن يجعل من ذريته أمة مسلمة ، ختم الدعاء لهم بما فيه سعادتهم ، دنيا وآخرة ، وقرأ أبيّ (**وابعث في آخرهم**)[5] . (**يتلوا عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب / ١٢٩**) رتّب التعليم على التلاوة ، كما هو الواقع ، لأن التلاوة أول ما يقرع السمع ، والتعليم الذي هو التفهُّم بعده ، والختم بـ(**العزيز الحكيم / ١٢٩**) ، مناسب لأن إرسال[6] رسول على ما وصف ، لا يصدر إلا عن من اتصف بالعزة وهي الغلبة والقوة ، وبالحكمة التي هي إصابة مواقع الفعل ، قدّم (**العزيز**) لأنه من صفات الذات ، و(**الحكيم**) من صفات الأفعال ، ويكون الحكيم أنسب بالفواصل . (**ومن يرغب / ١٣٠**) استفهام إنكار واستبعاد . (**عن مِلّة إبراهيم / ١٣٠**) الراغب : « المِلّة كالدين ، وهو اسم لما شرع الله لعباده ، على لسان أنبيائه . والفرق بينها وبين الدين أن الملّة لا تضاف إلا إلى النبي ، الذي تستند إليه ، نحو (**ملة إبراهيم / ١٣٠**) (**مِلّة آبائي**)[7] ، ولا تضاف إلى الله[8] ، ولا إلى آحاد الأمة ، ولا تُستعمل إلا في جملة الشرائع ، دون الآحاد ، فلا يقال : ملة الله ، ولا ملتي ولا ملة زيد ، كما يقال : دين الله ، ودين زيد ، وديني ، ولا يقال الصلاة مِلّة الله ، كما يقال الصلاة دين الله »[9] . (**سَفِه نفسه / ١٣٠**)

---

(١) عوف الأعرابي والحسن . ابن خالويه (٩) . (٢) عن ابن كثير – كما في حجة القراءات (١١٤) .
(٣) في (أ) : ورهم . (٤) عن ابن مسعود . البحر (١/٣٩٠) . (٥) البحر (١/٣٩٢) .
(٦) في (ب) : الرسالة . (٧) يوسف (٣٨) .
(٨) في المفردات (٤٧١) : «ولا تكاد ترد مضافة إلى الله . . .» .
(٩) المفردات (٤٧١ – ٤٧٢ ، مادة : ملل) مع قليل من الاختصار .

استخفّ بها وامتهنها[١] . وقيل : جَهِلَها[٢] . وقيل : ضَيّعها[٣] . وقيل : الأصل سَفِه في نفسه ، فحذف الجار[٤] . وفي الكلمتين نوع من الجناس . (**ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين / ١٣٠**) الكشاف : « هو بيان لخطأ[٥] رأي من يرغب من مِلّته ، ومعه ما يُوجب الترغيب فيها »[٦] .

أبو حيان : « زاد التأكيد في الجملة الثانية ، لأنها إخبار عن حالة مغيّبة في الآخرة ، فاحتاجت إلى مزيد تأكيد ، بخلاف حاله في الدنيا ، فإن أرباب المِلَل قد علموا اصطفاء الله له »[٧] .

الطيبي : « خُصّت الكرامة الدنيوية بالاصطفاء ، والأُخروية بالصلاح ، لأن الاصطفاء بالنبوة ، أقصى شرف الإنسان ، ومنتهى درجات العبد في الدنيا ، وأما الصلاح ، فهو الاستقامة على الخير ، وذلك إنما يصفو[٨] في الآخرة ، وأما في الدنيا ، فهو لا يخلو من أدنى خلل . (**إذ قال له ربه أسلم / ١٣١**) قيل : ظرف لاصطفيناه ، أي اخترناه في ذلك الوقت . وقيل : لاذكر ، استشهاداً على ما ذكر من حاله ، أي اذكر ذلك الوقت ، ليعلم أن المصطفى الصالح ، الذي لا يرغب عن مِلّته ، وفيه التفات عن التكلّم[٩] . (**وَوَصَّى / ١٣٢**) ، وفي قراءة (**أوصى**)[١٠] ،

---

(١) ذهب إلى ذلك الزمخشري . الكشاف (١/٣١٢) .

(٢) هذا قول ابن بحر . البحر (١/٣٩٤) .

(٣) لم أعثر على هذا القول فيما اطلعت عليه .

(٤) ذكر أبو حيان أن هذا قول بعض البصريين . البحر (١/٣٩٤) . وراجع معاني القرآن للفراء (١/٧٩) ، والإملاء (١/٦٣ - ٦٤) ، وغريب القرآن لابن قتيبة (٦٤) ، والفتاوى لابن تيمية (١٤/٤٤٢) .

(٥) في (ب) : الخطأ .

(٦) الكشاف (١/٣١٢) بمعناه مختصراً .

(٧) البحر (١/٣٩٥) بتصرف .

(٨) في (أ) : يصفوا ، وفي (ب) : يصفه .

(٩) انظر الإملاء (١/٦٤) . وقد ذكر السمين هذين الوجهين وغيرهما ، واختار أن الأصح أن (إذ . . .) منصوب بـ(قال أسلمت) . الدر المصون (٢/١٢٣) .

(١٠) عن نافع وابن عامر . حجة القراءات (١١٥) .



والأول أبلغ ، لدلالته على التكثير . الراغب : « الوصية ، التقدّم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ »[1] . (وبها / ١٣٢) قيل : بالمِلّة[2] ، وقيل : بكلمة (**أسلمتُ لرب العالمين** / ١٣١)[3] . (**ويعقوب** / ١٣٢) بالرفع عطفاً على الفاعل ، والنصب[4] عطفاً على المفعول . (**يا بَنِيَّ** / ١٣٢) قرأ أُبيّ : (**أن يا بَنِيَّ**)[5] فـ(أن) تفسيرية . (**فلا تَمُوتُنّ** / ١٣٢) ليس نهياً عن الموت ، لأنه ليس بمقدور ، بل عن ترك الإسلام لئلا يُوافي الموت عليه . (**حضر** / ١٣٣) قرئ بكسر الضاد[6] لغة . (**يعقوب** / ١٣٣) قدّم المفعول للاعتناء . (**الموت** / ١٣٣) أي أسبابه ، مجاز . (**ما تعبدون** / ١٣٣) أي شيء ، فعبّر بـ(**ما** / ١٣٣) ، دون « من » ، لأنه أعم . أبو حيان : « لم يقل « من » لئلا يتطرق إليهم الاهتداء ، وإنما أراد أن يختبرهم ، وينظر ثبوتهم على ما هم عليه »[7] . (**وإله آبائك** / ١٣٣) عدّ العمّ في الآباء مجازاً . وقرأ أُبيّ بإسقاط (**آبائك**)[8] ، والحسن (**وإله أبيك**)[9] بالإفراد . وقدّم (**يعقوب** / ١٣٣) ، لأنه السائل ، ثم (**إبراهيم** / ١٣٣) ، لأنه

---

(١) المفردات (٥٢٥) - مادة : وصى .

(٢) وهو ما اقتصر المهدوي على ذكره دون غيره . البحر (١/٣٩٨) .

(٣) وهو ما استصوبه ابن عطية ، وذلك لأنه أقرب مذكور . (المحرر ١/٤٩٥) . وإليه ذهب الزمخشري (الكشاف ١/٣١٢) .
ويرجح عود الضمير على الملة ، بأن المرجع مصرح به على عكسه في الثاني ، ومعلوم أن عوده على المصرح أولى من عوده على المفهوم ، هذا كما أن عوده على الملة أجمع من عوده على الكلمة ، إذ الكلمة بعض الملة . ومعلوم أنه لا يوصى إلا بما كان أجمع للفلاح والفوز في الآخرة .
وهذا توجيه أبي حيان (البحر ١/٣٩٨ - ٣٩٩) . وإليه ذهب الألوسي (روح المعاني ١/٣٨٩) . والشوكاني (فتح القدير ١/١٤٤) .

(٤) عن عمرو بن فياد ، وطلحة . ابن خالويه (٩) .

(٥) البحر (١/٣٩٩) .

(٦) قرأ بذلك أبو السمال . ابن خالويه (٩) .

(٧) البحر (١/٤٠٢) وفيه : «يطرق لهم» بدلاً من «يتطرق إليهم» .

(٨) البحر (١/٤٠٢) .

(٩) وقرأ بذلك أيضاً ابن عباس والحسن وابن يعمر والجحدري وأبو رجاء . ابن خالويه (٩) ، المحتسب (١/١١٢) ، والبحر (١/٤٠٢) .



الأصل ، ثم (إسماعيل / ١٣٣) لأنه أسنّ من (**إسحاق** / ١٣٣) ، وأشرف . (إلهاً واحداً / ١٣٣) بدل يفيد التصريح بالتوحيد ، ونفي التوهم الناشيء عن تكرير المضاف ، لتصحيح العطف على الضمير المجرور ، والتأكيد . (**ونحن له مسلمون** / ١٣٣) قال أبو حيان : « لما ذكر الجواب بالفعل الذي هو (**نعبد** / ١٣٣) ، لأن العبادة متجددة ، وإنما ذُكِرت هذه الجملة الاسمية الدالة على الثبوت ، لأن الانقياد لا ينفكون[1] عنه دائماً ، وعنه تكون العبادة ، فكأنهم أجابوا بشيئين : أحدهما : الذي سأل عنه ، والثاني : مؤكد لما أجابوا به ، فهو من باب الجواب المُرْبي على السؤال »[2] . (**تلك أمة** / ١٣٤) الآية ، قال الكرماني : « هذا معلوم بالبدَيهة ، وإنما ذكره لبيان العدل والإنصاف ، ومثله (**لكم دينكم ، ولِي دين**)[3] ، وللتحذير من الاتكال على عمل الآباء والأجداد ، والاستدعاء إلى المبادرة بالطاعات »[4] . قال الكرماني : « وإنما كَرّره ، لأن المراد بالأول : الأنبياء ، وبالثاني : أسلاف اليهود والنصارى ، وقيل : الأول لإثبات مِلّة إبراهيم لهم جميعاً ، والثاني : لنفي اليهودية والنصرانية »[5] . وقال الأصبهاني : « إنما أُعيدت ثانياً ، لأن الحجاج إذا اختلف مواطنه ، حَسُن تكريره ، للتذكير به »[6] . (**وقالوا كونوا هوداً أو نصارى ، تهتدوا**) فيه لف ونشر مجمل ، على حد ما تقدم في (**وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى**/ ١٣٥) . (**بل مِلّة إبراهيم** / ١٣٥) بالنصب على تقدير : نتبع . وقيل : إغراء[7] . وقرىء بالرفع[8] ، على تقدير المبتدأ ، أي

---

(١) فيهما : لا يكفون - وما أثبتناه من البحر (١/٤٠٣) .
(٢) البحر (١/٤٠٣) مع بعض الاختصار .
(٣) الكافرون (٦) .
(٤) العجائب (١/١٧٩) .
(٥) المرجع السابق .
(٦) أنوار الحقائق (٢١٥) .
(٧) هذا قول أبي عبيدة ، مجاز القرآن (١/٥٧) . وقال السمين : «وهذا كالوجه الأول في أنه مفعول به ، وإن اختلف العامل » . الدر المصون (٢/١٣٥).
(٨) الأعرج وابن جندب وابن أبي عبلة . ابن خالويه (١٠) ، والبحر (١/٤٠٦) .



بل الهدى ، أو أَمْرُنا مِلّة ، أو الخبر ، أي بل مِلّة إبراهيم مِلّتنا[1] . وفي الإضراب بـ(بل) إثبات أنه ليس يهودياً ولا نصرانياً . (حنيفاً / ١٣٥) حال لازمة . وخصّ إبـراهيم بالـذكـر ، دون غيره من الأنبياء - وإن كانـوا كلهم مائلين إلى الحق ، مستقيمي الطريقة ، حنفاء - لأن الله اختص إبراهيم بالإمامة لما سنّه من مناسك الحج ، والختان ، وغير ذلك من شرائع الإسلام ، مما يقتدى به إلى قيام الساعة .

(وما كان من المشركين / ١٣٥) فيه تعريض بأهل الكتاب وغيرهم ، وإشراكهم بقولهم في « عزير »[2] و« المسيح »[3] . (**قولوا آمنا بالله** / ١٣٦) قال أبو حيان : « وجـه ارتباط هذه الآية بما قبلها ، أنه لما ذكر في قوله (**بل مِلة إبراهيم**) جواباً إلزامياً ، وهو أنهم لما أمروا باتباع اليهودية والنصرانية ، وإنما كان ذلك منهم ، على سبيل التقليد ، هذا ، وكـل طائفة منهما ، تكفر بالأخرى ، أُجيبوا بأن الأولى في التقليد ، اتباع إبراهيم ، لأنهم قد اتفقوا على صحة دينه ، والأخذ بالمتفق عليه ، أولى من الأخـذ بالمختلف فيه ، إن كان الـدين بالتقليد ، فلما ذكـر هذا الجواب الإلـزامي ، ذكـر بعـده برهاناً في هذه الآية ، وهو ظهور المعجزة عليهم ، بإنزال الآيات ، وقد ظهرت على يد محمد - ﷺ - فوجب الإيمان بنبوته ، فإن تخصيص بعض بالقبول ، وبعض بالرد ، يوجب التناقض في الدليل ، وهو ممتنع عقلاً »[4] .

(**وما أنزل إلينا** / ١٣٦) ، في آل عمران (**علينا** / ٨٤) ، قال الكرماني : « لأن «**إلى**/ ١٣٦ » للانتهاء إلى الشيء من أي جهة كان ، والكتب منتهية إلى الأنبياء وإلى أممهم جميعـاً ، والخـطاب هنـا للأمة ، لقوله : (**قولوا** / ١٣٦) ، فلم يصح إلا « إلى » ، و« على » تختص بجانب واحد ، وهو الفوق ، فكان مختصاً بالأنبياء ، لأن الكتب منـزلة عليهم ، ولا شركة للأمة فيه . وفي آل عمران (**قل** / ٨٤) ، وهو

---

(١) انـظر معـاني القرآن للزجاج (٢١٣/١) ، والكشاف (٣١٤/١) . والبحر (٤٠٥/١ - ٤٠٦) ، والدر المصون (١٣٥/٢ - ١٣٦) .

(٢+٣) وذلك فيما حكاه الله تعالى عنهم : (**وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله . . .**) التوبة (٣٠) .

(٤) البحـر (٤٠٧/١) مع بعض التصرف .



خطاب له -ﷺ- دون أمته ، فكان الذي يليق به « على[1] » .

وقال في الكشاف : « هذا تعسّف ، بل لأن الوحي نزل من فوق ، وينتهي إلى الرسل ، فجاء تارة بأحد المعنيين ، وأخرى بالآخر »[2] . (**وما أنزل إلى إبراهيم** / ١٣٦) كرّر الموصول ، لأن المنزل إليه وهو الصحف العشر ، غير المنزل إلينا ، وهو القرآن ، ولما لم ينزل إلى إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كتب ، عُطِفوا على إبراهيم ، لأنهم كُلِّفُوا العمل بما أُنزل إليه ، والدعاء إليه ، فأُضيف الإنزال إليهم ، كما أُضيف في قوله : (**وما أُنزل إلينا** / ١٣٦) وأُفرد موسى وعيسى بالذكر من الأسباط ، لأنهما متبوعا اليهود والنصارى ، والكلام معهم . ولم يكرر موصول في عيسى ، لأنه إنما جاء مصدقاً لما في التوراة ، لم ينسخ منها إلا نزراً يسيراً ، فالذي أُوتيه عيسى ، هو ما أُوتيه موسى ، وإن كان قد خالف في نَزْر يسير . وجاء (**وما أوتي** / ١٣٦) بعد (**وما أنزل** / ١٣٦) تنويعاً في الكلام وتصرفاً في ألفاظه ، وتفنناً في العبارة ، لما في ذلك من الحلاوة ، التي لا تُوجد في سرد الألفاظ على نمط واحد . ولما ذكر في الإنزال (أولاً خاصاً ، وعطف عليه جمعاً ، ذكر في الإيتاء خاصاً ، ثم عطف عليه جمعاً ، ولما ظهر الموصول في الإنزال[3] في العطف ، أظهره في الإيتاء ، فقال : (**وما أُوتي النبيون**/ ١٣٦) ، وهو من باب عطف العام على الخاص ، على حد (**رب اغفر لي ، ولوالدي ، ولمن دخل بيتي مؤمناً ، وللمؤمنين ، والمؤمنات**)[4] وقدّم ما أُنزل إلينا على ما بعده - وإن كان متأخراً في الإنزال - لأنه أولى بالذكر ، إذ الناس بعد البعثة المحمدية ، مدعوون إلى الإيمان بما أُنزل إليه جملة وتفصيلاً ، وفي آل عمران (**والنبيون** / ٨٤) ، لأن ذكر الإيتاء تقدّم في قوله (**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب** / ٨١) . (**لا نُفَرِّق بين أحدٍ منهم** / ١٣٦)

(١) أسرار التكرار (٣٥ - ٣٦) مع قليل من التصرف .
(٢) الكشاف (١/٤٤٢) بتصرف .
(٣) ما بين القوسين غير موجود في (ب) .
(٤) نـوح (٢٨) .



أدخل (بين) على (أحد) ، لأنه في معنى الجمع ، لعمومه[1] . وقيل : فيه اكتفاء ، أي بين أحد وآخر ، أو نحوه[2] . **(ونحن له مسلمون / ١٣٦)** قدّم **(له)** لإفادة الاختصاص ، والتقدير : له أسلمت ، لا لغرض آخر من سمعة ورياء وطلب مال ، وفيه تعريض بمنافقي اليهود ، الذين أسلموا للرياء والسمعة ، ونحو ذلك ، وختم بذكر الإسلام بعد الابتداء بالإيمان ، جمعاً بينهما في الآية . **(بمثل ما آمنتم به / ١٣٧)** قيل « مثل » زيادة ، وقيل : الباء هي الزائدة ، أي مثل إيمانكم[3] . وقرأ ابن عباس -جمعاً بينهما[4]- : **(فإن آمنوا بالذي آمنتم به)**[5] ، وقرأ ابن مسعود **(بما آمنتم به)**[6] . وقيل : هو من مجاز الكلام ، يقال : هذا أمر لا يفعله مثلك ، أي لا تفعله أنت ، ومنه : مثلك لا يبخل ، وغيرك لا يجود[7] ، كما قال القائل :

ولم أقل مثلك ، أعني به ... سِواكَ يا فرداً بلا مُشْبِه[8]

وقال الزمخشري : « وهو من باب التبكيت ، لأن دين الحق واحد ، لا مثل له ، وهو دين الإسلام **(ومن يتبع غير الإسلام ديناً ، فلن يقبل منه)**[9] ، فلا يوجد إذن دين آخر يماثل دين الإسلام ، في كونه حقاً ، حتى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له ، كانوا مهتدين ، فقيل **(فإن آمنوا / ١٣٧)** بكلمة الشك ، على سبيل الفرض ، والتقدير ، أي فإن حصّلوا ديناً آخر مثل دينكم ، مساوياً له في الصحة والسداد ، فقد اهتدوا . وفيه أن دينهم الذي هم عليه ، وكل دين سواه ، مغاير

---

(١) وهذا ما ذهب إليه الزمخشري (الكشاف ١/ ٣١٥) .

(٢) وهو اختيار ابن عطية (المحرر الوجيز ١/ ٥٠٣) . ولعل الوجه الأول هو الأرجح ، لأنه لا حذف فيه ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان . البحر (١/ ٤٠٩) .

(٣) حكاه السمين . الدر المصون (٢/ ١٤٠) .

(٤) عبارة : «جمعا بينهما» ليست في (ب) .

(٥) الدر المصون (٢/ ١٤١) ، وزاد نسبتها إلى أبيّ .

(٦) وكذا ابن عباس أيضاً . الإملاء (١/ ٦١) ، والبحر (١/ ٤٠٩) .

(٧) انظر المحرر (١/ ٥٠٣) ، والبحر (١/ ٤٠٩ - ٤١٠) .

(٨) هذا البيت للمتنبي . ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء (١/ ٢١٧) .

(٩) آل عمران : (٨٥) .



له ، غير مماثل ، لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ، ونحو هذا قولك للرجل تشير عليه ، هذا هو الرأي الصواب ، فإن كان عندك رأي أصوب منه ، فاعمل به ، وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ، ولكنك تريد تبكيت صاحبك ، وتوقيفه على أن ما[1] رأيت لا رأي وراءه »[2] . انتهى . (**فإنما هم في شقاق** / ١٣٧) فيه مبالغة لما يشعر بأنه صار ظرفاً لهم ، وهم مظروفون له ، فهو مستول عليهم من جميع جوانبهم ومحيط بهم إحاطة البيت بمن فيه ، فهو أبلغ من أن يقال : مشاقون . والشقاق العداوة . قال القاضي : « ولا يكاد يقال في العداوة على وجه الحق »[3] . (**فسيكفيكهم** الله / ١٣٧) عطف بالفاء إشعاراً بتعقيب الكفاية عقب شقاقهم وتوليهم . والمجيء بالسين يدل على قرب الاستقبال ، لأنها أقرب من « سوف » . والذوات لا تكفي ، فهو على حذف أي[4] فسيكفيك شقاقهم ، وقال الزمخشري : « والسين تفيد التوكيد ، لأنها في مقابلة « لن »[5] . قال سيبويه : « لن أفعل ، نفي سأفعل »[6] . (**وهو السميعُ العليم** / ١٣٧) ختم بهما ، لأن كلًّا من الإيمان وضده ، يشتمل على أقوال وأفعال وعقائد فناسب الختم بهما ، فالأول للأقوال ، والثاني للأفعال والاعتقادات ، ولما كانت الأقوال هي الظاهرة لنا ، الدالة على ما في الباطن ، قُدِّمت صفة (**السميع**) ، ولأن (**العليم**) فاصلة أيضاً ، وتضمنت الصفتان وعيداً وتهديداً . (**صبغة الله** / ١٣٨) أي دين الله ، أو تطهير الله[7] ، وعبّر بالصبغة على طريق المشاكلة ، لأنهم كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر ،

---

(١) في (ب) : من . (٢) الكشاف (١/٣١٥) . (٣) التفسير الكبير (٤/٩٤) .

(٤) كلمة « أي » ليست في (ب) .

(٥) لم أجد هذا النص في الكشاف ، وإنما وجدت قوله : « ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة ، وإن تأخر إلى حين » . الكشاف (١/٣١٥) .

(٦) الكتاب (١/١٣٥ - ١٣٦) ، (٣/١١٧) ، (٤/٢٢٠) .

(٧) ذهب إلى القول الأول في تفسير (صبغة الله) قتادة ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، ومجاهد ، والسدي ، وابن عباس ، وغيرهم . جامع البيان (٣/١١٨ - ١١٩) .
وأما القول الثاني ، فهو اختيار الزمخشري . الكشاف (١/٣١٦) .
وهناك أقوال أخرى في المراد من (صبغة الله) ، منها : فطرة الله ، وخِلقة الله ، وسنة الله ، والإسلام ، =



يسمونه المعمودية ، ويقولون إنه تطهير لهم ، وإن به يصير الولد نصرانياً حقاً ، فأمر المسلمـون أن يقولوا آمنا بالله ، وصبغنا الله بالإيمان صبغة ، فهو مصدر منصوب بفعله المقدر[1] ، وقيل : بتقدير : اتبعوا ، وقيل : بدل من مِلّة إبراهيم ، وقيل : إغراء ، أي عليكم[2] .

وقرىء بالرفع[3] ، خبر محذوف ، أي ذلك الإيمان . (**ومن أحسن / ١٣٨**) استفهـام بمعنى النفي ، و(**أحسن**) لا تفضيل فيه ، إذ لا حسن في صبغة غير الله . (**ونحن له مخلصون / ١٣٩**) أي وأنتم غير مخلصين ، فحذف اكتفاءً ، أو الجملة من باب التعريض بالذم ، لأن ذكر المختص بعد ذكر المشترك ، نفي لذلك المختص عمن شارك في المشترك[4] . (**أم تقولون / ١٤٠**) بالتاء والياء[5] ، وفيه لف مجمـل على ما سبق . (**أأنتم أعلم أم الله / ١٤٠**) هو تهكّم واستهـزاء ، إذ لا

= وجهة الله ، يعني القبلة .

انظر زاد المسير (١/١٥١) ، وتفسير القرآن العظيم (١/١٨٨) .

وقد ذكر أبو حيان هذه الأقوال وغيرها ، ثم قال : « وهذه أقوال متقاربة ، والأقرب منها ، هو الدين والملّة ، لأن قبله (**قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا**) الآية » . البحر (١/٤١١) ، وانظر التحرير والتنوير (١/٧٤٢) ، وتفسير القاسمي (٢/٢٧٤) .

(١) وعلى هذا يكون مصدراً مؤكداً ، وهو ما ذكره سيبويه في كتابه (١/٣٨٢) . وهو ما مال إليه الزمخشري . الكشاف (١/٣١٦) . وهو ما استظهره أبو حيان . البحـر (١/٤١١ - ٤١٢) .

(٢) انظر البيان (١/١٢٦) ، ومعاني القرآن للفراء (١/٨٢) والقول الأخير ، تعقبه أبو حيان بأنه ينافره آخر الآية ، وهو قوله (**ونحن له عابدون**) ، إلا إن قُدِّر هناك قول ، وهو إضمار لا حاجة تدعو إليه ، ولا دليل من الكلام عليه » . البحر (١/٤١٢) .

وقد ذكر أبو البقاء القول الثاني مع هذا القول الأخير . الإملاء (١/٦٦) .

وهو في الحقيقة ليس زائداً ، فإن الإغراء أيضاً هو نصب بإضمار فعل - كما قال السمين . الدر المصون (٢/١٤٣) .

والقـول بأن (صبغـة) بدل من (ملة) ، ضعيف ، إذ قد وقع الفصل بينهما بجمل كثيرة . الدر المصون (٢/١٤٣) . فالظاهر أن الراجح هنا قول الأول ، والله أعلم .

(٣) وهي قراءة الأعرج وابن أبي عبلة . البحر (١/٤١١) .

(٤) وقد ذهب أبو حيان إلى هذا المعنى الأخير . البحر (١/٤١٣) .

(٥) القراءة بالياء ، قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ، والقراءة بالتاء ، قرأ بها الباقون . حجة القراءات (١١٥) .



مشاركة بين الله وبينهم في العلم ، حتى يسأل عن الأعلم . وفائدته الأبلغية في إقامة الحجة ، وقطع النزاع ، لأن كل من خوطب بهذا الكلام يبادر إلى أن يقول : الله أعلم . قال أبـو حيان : « جاءت جمل هذه الآيات ، من ابتداء ذكر إبراهيم إلى انتهاء الكلام فيه ، على اختلاف معانيه ، وتعدد مبانيه ، كأنها جملة واحدة ، في حسن مساقها ، ونظم اتساقها ، مرتقية في الفصاحة ذروة الإحسان ، مفصحة أن بلاغتهـا ، خارجة عن طبع الإنسـان »[1] . (**سيقـول السفهـاء / ١٤٢**) قال أبو حيان : « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أن اليهود والنصارى قالوا إن إبراهيم ، ومن ذُكِر معه ، كانوا هوداً ونصارى ، ذكروا ذلك طعناً في الإسلام ، لأن النسخ عند اليهود باطل ، فقالوا الانتقال عن قبلتنا باطل وسفه ، فرد الله ذلك عليهم بهذه الآية »[2] .

وأقول : لما كانت الآيات السابقة كلها توطئة لنسخ القبلة ، من قوله (ما ننسخ من آية / ١٠٦) الموطِّن على النسخ إلى قوله (ولله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله / ١١٥) الموطِّن على التحويل إلى قصة إبراهيم ، وبنائه الكعبة ، المرغّب في التوجه إليها ، وما تبع ذلك من توصية يعقوب - جدّ اليهود والنصارى - أولاده باتباع مِلّته ، وأمره تعالى باتباعها ، وأنه لا يرغب عنها إلا من سفه نفسه ، إلى ما وقع في خلال ذلك من الثناء عليه ، وتبرئته من اليهودية والنصرانية ، ولم يبق بعد هذه التـوطئـة البليغـة ، والتمهيدات العجيبة ، إلا الصدع بالحكم الحق ، صدّر بالإخبار عما سيقوله السفهاء عند وقوعه ، من باب الإخبار بالمغيبات قبل كونها ، توطيناً للنفوس على ما يرد من الأعداء ، لأن مجيء الشيء بعد العلم ، أخف من مجيئه بغتة ، وأقل تأثيراً ، ولعظم شأن التحويل ، الذي هو أول نسخ وقع ، وكل مبتـدأ صعب ، فكـان فيه فتنة عظيمة ، حتى ارتدّ لذلك جماعة من الضعفاء ، وليكـون الجـواب معدّاً لمنكر ذلك ، وهو قوله : (**لله المشرق والمغرب /١٤٢**) .

(١) البحر (١/٤١٧) مع قليل من التصرف .

(٢) في البحر (١/٤١٩) : « . . . فرد الله - تعالى - ذلك عليهم بقوله (قل لله المشرق والمغرب) الآية . . . » .



الطوفي[1] : « الختم بآخر الآية مناسب لأولها ، أي لا معنى لإنكارهم . ترك قبلة إلى قبلة ، لأن الله -سبحانه- له جهة المشرق والمغرب وملكه ، وهو عالم بمصالح خلقه ، فهو يهدي من يشاء إلى ما[2] شاء »[3] . (**وكذلك** / ١٤٣) إشارة إلى المصدر المفهوم من (**يهدي** / ١٤٢) . (**أمة وسطاً** / ١٤٣) فيه تورية مرشحة[4] ، لأن للوسط معنيين : المتوسط والخيار ، وظاهر اللفظ يوهم الأول ، لأن قبلة الإسلام متوسطة بين المشرق والمغرب ، وهما قبلتا اليهود والنصارى ، والمراد هنا الثاني وهو الخِيار ، وكما صح التفسير بذلك عن النبي - ﷺ - ، وهو أبعد المعنيين ورشَّح ذلك قوله (**لتكونوا شهداء على الناس** / ١٤٣) فإنه من لوازم كونهم خِياراً ، أي عُدُولاً[5] . الأصبهاني : « قيل للخِيار وسط ، لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد ، والأوساط مَحْمِية مَحُوطة »[6] . (**لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً** / ١٤٢) الكشاف : أُخِّرَت صلة الشهادة أولاً ، وقُدِّمت آخراً ، لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم ، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم »[7] . أبو حيان : « سمّى إدراك البصيرة شهادة -وإن

(١) هو أبو الربيع ، سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري ، ولد بقرية طوف -أو طوفا- (من أعمال صرصر - في العراق) ، وهو فقيه حنبلي له «الإكسير في قواعد التفسير» ، و«الرياض النواضر في الأشباه والنظائر» ، توفي سنة ٧١٦هـ . جلاء العينين (٢٣) ، وشذرات الذهب (٦/٣٩) ، والدرر الكامنة (٢/١٥٤) .

(٢) في (ب) : من .

(٣) لعل النص المذكور هنا في أحد كتابيه المذكورين في ترجمته .

(٤) التورية المرشحة : هي التي يُذكر فيها لازم المورّى به ، وسميت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورى به . معجم المصطلحات (٢/٣٨٨) .

(٥) روى البخاري عن أبي سعيد الخدري -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ- : (يُدعى نوح يوم القيامة ، فيقول : لبيك وسعديك يارب ، فيقول : هل بلّغت ؟ . فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ . فيقولون : ما أتانا من نذير . فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، فيشهدون أنه قد بلغ ، ويكون الرسول عليكم شهيداً ، فذلك قوله -جل ذكره- : (**وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**) ، والوسط : العدل » . فتح الباري (٨/١٧١ - ١٧٣) .

(٦) أنوار الحقائق (٢١٦) . (٧) الكشاف (١/٣١٨) .



كان أصله في إدراك البصر- لما بين الإدراكين من المناسبة الشديدة »[1] ، وأتى بـ (شهداء / ١٤٣) لأنه جمع شهيد ، وهو أبلغ من شاهدِين ، وأشهاد . (التي / ١٤٣) مفعول ثان ، لا صفة[2] . (كنت عليها / ١٤٣) يحتمل الكعبة ، وبيت المقدس[3] ، وفيه التفات عن الغيبة في الرسول . (إلا لنعلم / ١٤٣) المراد به علم المشاهدة ، وهو الذي يستحق به الثواب والعقاب ، وعلم الغيب لا يستحق به ذلك .

وقيل المعنى : ليعلم رسول الله والمؤمنون ، وأسند علمهم إلى ذاته ، وأنهم خواصّه وأهل الزلفى عنده .

وقيل : لتميّز التابع من الناكص ، كقوله (حتى يميز الخبيث من الطيب)[4] ، فوضع العلم موضع التمييز ، لأن العلم يقع به التمييز ، ويؤيده تعدّيه بـ(من / ١٤٣) .

وقيل : المراد إلا لعلمنا ذلك في الأزل المستمر في الحال والاستقبال[5] .

---

(١) البحر (١/ ٤٢٢) بتصرف .

(٢) هذا ما ذهب إليه الزمخشري (الكشاف ١/ ٣١٨) .
وقد خطأه أبو حيان ، وذهب إلى أن (التي . . .) مفعول أول ، و (القبلة) مفعول ثان ، لأن « جعل » هنا بمعنى صيّر ، فيتعدى لمفعولين ، والتصيير هو الانتقال من حال إلى حال ، فالمتلبس بالحالة الأولى هو المفعول الأول ، والمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني ، والمعنى : ما صيرنا متوجهك الآن في الصلاة المتوجه أولاً ، لأنه كان يصلي أولاً إلى الكعبة ثم صلى إلى بيت المقدس ، ثم صار يصلي إلى الكعبة . البحر (١/ ٤٢٣) ، وانظر روح المعاني (٢/ ٥) .

(٣) قال ابن كثير : « وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة ، وحاصل الأمر ، أنه قد كان رسول الله -ﷺ- أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلي بين الركنين ، فتكون بين يديه الكعبة ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة ، تعذر الجمع بينهما ، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس ، قاله ابن عباس والجمهور . تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٩) .

(٤) آل عمران (١٧٩) .

(٥) انظر في هذه الأقوال المحرر (٢/ ٨ - ٩) ، وزاد المسير (١/ ١٥٥) ، والبحر (١/ ٤٢٤) .
والقول الثالث منها حكاه الطبري عن ابن عباس (٣/ ١٦٠) ، ويؤيده تعديه بـ(من) كالتمييز ، ويشهد له قراءة (ليعلم) على البناء للمفعول ، حيث إن المراد ليعلم كل من يأتي منه العلم - كما ذكر الألوسي (روح المعاني ٢/ ٦) .
=



وقرأ الزهري (**لِيُعْلَمَ**) بالياء ، مبنياً للمفعول[1] ، ولا يحتاج إلى تأويل . (**من يتبع الرسول** / ١٤٣) فيه التفات من الخطاب في قوله (**كنتَ** / ١٤٣). قال أبو حيان : « ونكتته أنه لما كان التوجه إلى الكعبة توجهاً إلى المكان ، الذي أَلِفَه ، وله إليه نِزاع ، أتى بالخطاب ، ولما كانت الشهادة والمتبوعية من الأمور الإلهية ، أتى بلفظ الرسول ، ليدلَّ على أن ذلك مختص بالتبليغ المحض »[2] . (**فمن ينقلب على عقبيه** / ١٤٣) كناية عن الرجوع عما كان فيه من إيمان أو غيره ، والرجوع على العقب أسوأ أحوال الراجع في مشيه على وجهه ، فلذلك شُبِّه به المرتدّ في الدين .

وقرىء بسكون القاف[3] ، لغة تميمية . (**وإن كانت** / ١٤٣) أي التولية الدال عليها السياق ، أو الجعلة الدال عليها (**جعلنا** / ١٤٣). (**لكبيرة** / ١٤٣) قرىء بالرفع[4] على زيادة كان ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أي لهي كبيرة[5] . (**إلا على الذين** / ١٤٣) استثناء من محذوف ، أي على الناس . (**هدى الله** / ١٤٣) . قال القشيري : « من نظر إلى الأمر بعين التفرقة ، كَبُر عليه أمر التحويل ، ومن نظر بعين الحقيقة ، ظهر لبصيرته وجه الصواب ، فمن كان مع الله ، في جميع الأحوال ، على قلب واحد ، رأى المختلفات من الأحوال له واحدة ، فسواء غيّر ، أو قرّر ، أو أثبت ، أو بدّل ، أو حقق ، أو حول فهم له في جميع الأحوال ، قال قائلهم :

= وقد جرى ابن كثير على هذا القول . تفسير القران العظيم (١/١٩١) . وقال أبو حيان - بعد أن ذكر الأقوال السابقة بنحوها :-

« فهذه كلها تأويلات في قوله (لنعلم) ، فراراً من حدوث العلم وتجدده ، إذ ذلك على الله مستحيل ، وكل ما وقع في القرآن مما يدل على ذلك ، أُوّل بما يناسبه من هذه التأويلات » . البحر (١/٤٢٤) .

(١) المحتسب (١/١١١) .
(٢) البحر (١/٤٢٤) بتصرف .
(٣) ابن أبي اسحاق . ابن خالويه (١٠) .
(٤) اليزيدي . ابن خالويه (١٠) .
(٥) ذهب الزمخشري إلى القول الأول (الكشاف ١/٣١٩) . وقد ضعّف أبو حيان هذا القول ، بحجة أنه « كان » الزائدة ، لا عمل لها ، وهنا قد اتصل بها الضمير ، فعملت فيه ، ولذلك استكن فيها » . وذهب إلى اختيار القول الثاني (البحر ١/٤٢٥) .
وقد علّق السمين على هذا القول بقوله : « وهو توجيه ضعيف ، ولكن لا توجّه هذه القراءة الشاذة بأكثر من ذلك » . الدر المصون (٢/١٥٦) .



حيث[1] دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنّا جُننا»[2]

(**ليضيع إيمانكم / ١٤٣**) أي صلاتكم إلى بيت المقدس قبل التحويل ، فإن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل[3] ، فكنى عنها بالإيمان ، لأنها أعظم شعبة ، ولئلا يتوهم اندراج صلاة المنافقين . قال في المنتخب[4] : « ولولا ذكر سبب نزول الآية لما اتصل الكلام بعضه ببعض »[5] .

وقرىء (**لِيُضَيِّع**) بالتشديد[6] . (**إن الله / ١٤٣**) تعليل ، (**بالناس**) قُدِّم اعتناء بالمرؤوف بهم . (**لرؤوف رحيم / ١٤٣**) الرأْفَة : شِدة الرحمة ، وقدم الأبلغ للفاصلة ، والختم بها مناسب لما قبلها . (**قد نرى / ١٤٤**) هي للتحقيق ، أو التكثير[7] ، وهي في كلام العرب كثير جداً . (**تَقَلُّب وجهك / ١٤٤**) قيل : المراد بَصَرك ، فكنّى بالكل عن الجزء . (**في السماء**) فيه حال محذوفه ، أي طالب قِبلة

---

(١) في لطائف الإشارات (١/١٣٣) : «كيفما» .

(٢) لطائف الإشارات (١/١٣٣) . ولم أعثر على قائل هذا البيت فيما اطلعت عليه من المراجع . وهو في البحر (١/٤٢٧) دون نسبة .

(٣) وذلك أن الصحابة -رضي الله عنهم- قالوا : يا رسول ، أرأيت إخواننا الذين ماتوا ، وهم يصلّون إلى بيت المقدس؟! . فأنزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) . زاد المسير (١/١٥٥) . وقد رواه الإمام أحمد عن ابن عباس . الفتح الرباني (١٨/٧٧) . وله شاهد عند البخاري من حديث أبي إسحاق عن البراء بنحوه . صحيح البخاري (٥/١٥٠ - ١٥١) ، كتاب تفسير القرآن - باب (١٢) .

(٤) كتاب المنتخب للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي ، ولعل هذا الكتاب اختصار من تفسيره الكبير «ري الظمآن» .
انظر الأعلام (٦/٢٣٣) .

(٥) البحر (١/٤٢٦) .

(٦) عن عيسى الثقفي . ابن خالويه (١٠) .

(٧) القول بأن (قد) هنا للتكثير هو اختيار الزمخشري ، حيث قال : (قد نرى) ربما نرى ، ومعناه كثرة الرؤية ، كقوله : قد أترك القرن مصفراً أنامله » . الكشاف (١/٣١٩) .
وقد تعقّب أبو حيان هذا القول بأن « ربّ » -على مذهب الجمهور- لتقليل الشيء في نظيره ، أو في نفسه ، وتركيب « قد » مع المضارع لا تدل على الكثرة ، وإنما فُهمت الكثرة هنا من التقلّب ، الذي هو مطاوع التقليب . النهر المارد (١/٤٢٧) ، وانظر الدر المصون (٢/١٥٩) .

غير التي أنت مستقبلها[1] . (**فَلَنُوَلِّيَنَّك / ١٤٤**) قدّم الوعد قبل الأمر ، لفرح النفس بالإجابة ، ثم بإنجاز الوعد فيتوالى السرور مرتين ، ولأن بلوغ المطلوب بعد الوعد به ، أنس في التوصل من مفاجأة وقوع المطلوب ، وأكدّ بإضمار القسم مبالغة في وقوعه . (**قبلة**) نُكرّت لأنه لم يَجْرِ قبلها ما يقتضي أن تكون معهودة ، حتى تُعْرَف ، ووصفها بقوله : (**ترضاها**) ليقرّبها من التعيين . (**فَوَلِّ وجهك / ١٤٤**) أي في الصلاة ، وإنما لم يذكرها لأن الآية نزلت ، وهو في الصلاة[2] ، فأغنى التلبس بها عن ذكرها . وأراد بالوجه جملة البدن ، وكنى به عنه ، لأنه أشرف أعضائه . (**شطر المسجد الحرام / ١٤٤**) قال بعضهم : « كل ما في القرآن من المسجد الحرام ، فالمراد به الحرم كله ، إلا هنا فالمراد الكعبة خاصة » .

وقرأ ابن مسعود (**تلقاء المسجد**)[3] . (**وحيث ما كنتم ، فَوَلُّوا / ١٤٤**) بدأ بأمره - ﷺ - ثم أمر أمته ، لأنهم تَبَع له ، ولئلا يتوهم أن ذلك مما يختص به ، وزاد التعميم في الأماكن ، لئلا يتوهم اختصاص ذلك بأهل المدينة .

(**شطره / ١٤٤**) قرأ ابن مسعود (**قبيله**) ، وابن أبي عبلة (**تلقاءه**)[4] . (**أنه / ١٤٤**) أي التولي المفهوم من الفعل . وقيل : هو ضمير الرسول[5] ، فيكون

---

(١) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : «كان أول ما نسخ من القرآن القبلة ، وذلك أن رسول الله -ﷺ- لما هاجر إلى المدينة ، وكان أكثر أهلها اليهود ، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبلها رسول الله -ﷺ- بضعة عشر شهراً ، وكان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو الله ، وينظر إلى السماء ، فأنزل الله ، (**قد نرى تقلب وجهك في السماء**) إلى قوله : (**فولوا وجوهكم شطره**). . .». تفسير القرآن العظيم (١/١٩٢) .

وقد روى ذلك الواحدي بنحوه عن ابن عباس أيضاً ، ولكن من رواية الكلبي . أسباب النزول (٢٨ - ٢٩) .

(٢) عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال : كان رسول الله -ﷺ- صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله -ﷺ- يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء**) فتوجه نحو الكعبة . . . .

اللؤلؤ والمرجان (١/١٠٥ - ١٠٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب (٢) حديث رقم (٣٠٢) .

(٣) البحر (١/٤٢٩) . (٤) البحر (١/٤٣٠) .

(٥) قاله قتادة ومجاهد . (البحر (١/٤٣٠) ، وانظر الدر المصون (٢/١٦٣) .

التفاتاً . (**من ربهم / ١٤٤**) في الإضافة إليه تنبيه على أنه يجب اتباع الحق الذي هو مستقر ممن هو معتن بإصلاحهم ، كما قال : (**الحق من ربك / ١٤٤**). (**يعلمون / ١٤٤**) بالياء ، لأهل الكتاب ، وبالتاء ، قيل : لهم ، التفاتاً[١] . وقيل : للمؤمنين . (**ولئن أتيت / ١٤٥**) تسلية للرسول بإظهار عنادهم . (**وما أنت بتابع قبلتهم / ١٤٥**) بيان ، لأن هذه القبلة لا تُنسخ إلى يوم القيامة ، وقطع لأطماع أهل الكتاب ، وأفرد وإن كان لهم قِبلتان ، لاشتراكهما في البطلان ، كما قيل الكفر كله مِلّة واحدة ، وحسّن ذلك المقابلة اللفظية . وفي الجمل أبلغية ، لكونها اسميّة ومؤكدة بالباء ، وهي مستأنفة لا معطوفة على الجواب ، لعدم صحته ، إذ لا مدخل لشرطه فيها .

وقرىء بإضافة اسم الفاعل[٢] . (**وما بعضهم بتابع قِبلة بعض / ١٤٥**) أفاد أن أهل الكتاب ، وإن اتفقوا على خلافك ، فهم مختلفون فيما بينهم أيضاً كما قال : (**تحسبهم جميعاً ، وقلوبهم شتّى**)[٣] ، وقد قيل أهل الباطل لا يتفقون على شيء ، إلا على عداوة أهل الحق ، وفي ذلك وَهَن لكيدهم . (**ولئن اتبعت أهواءهم / ١٤٥**) الخطاب في الظاهر له -ﷺ- ، وفي المعنى لأمته . وفيه لطف للتابعين ، وزيادة تحذير لهم ، وأكثر استعمال الهوى فيما لا خير فيه . (**الذي آتيناهم / ١٤٦**) هو أبلغ من « أوتوا » ، لإسناد الإيتاء إلى الله ، معبّراً عنه بنون العظمة ، وكذا ما يجيء من نحو هذا ، مراداً به الإكرام نحو (**هدينا**)[٤] و(**اجتبينا**)[٥] و(**اصطفينا**)[٦] . قيل : ولأن « اوتوا » قد يُستعمل فيما لم يكن له قبول ،

---

(١) القراءة الأولى هي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي ، والقراءة الثانية هي قراءة البقية . حجة القراءات (١١٦ - ١١٧) .

(٢) عيسى بن عمر . ابن خالويه (١٠) .

(٣) الحشر (١٤) .

(٤) الأنعام (٨٤) ، مريم (٥٨) .

(٥) مريم (٥٨) .

(٦) فاطر (٣٢) .

و (**آتيناهم** / ١٤٦) أكثر ما يُستعمل فيها له قبول[١] . (**الكتاب** / ١٤٦) قال أبو حيان : « إذا أُريد بالكتاب أكثر من واحد ، وحدّ صرفا إلى المكتوب المعبرّ عنه بالمصدر »[٢] . (**يعرفونه** / ١٤٦) أي محمداً -ﷺ- ، أُضمر ولم يُسبق له ذِكر ، تفخيماً لشأنه ، وإشعاراً بأنه لشهرته معلوم بغير إعلام . وقال أبو حيان : « ليس بإضمار قبل الذكر ، بل هو التفات ، من ضمائر الخطاب السابقة ، وحكمته أنه لما فرغ من الإقبال عليه بالخطاب ، أقبل على الناس ، فقال : (**الذين آتيناهم الكتاب** / ١٤٦) ، واخترناهم لتَحمّل العلم والوحي ، يعرفون هذا الذي خاطبناه في الآي السابقة ، وأمرناه ونهيناه ، لا يشكون في معرفته ، ولا في صدق أخباره »[٣] . وقيل : الضمير للعلم ، أو للقرآن ، أو تحويل القبلة[٤] . (**كما يعرفون أبناءهم** / ١٤٦) من تشبيه المعنى بالمحسوس المشاكل ، وخصّ الأبناء (دون الأنفس ، لأن الإنسان قد يمر عليه برهة من الزمان ، لا يعرف فيها نفسه ، بخلاف الأبناء)[٥] ، فإنه لا يمر عليه زمان ، إلا وهو يعرف ابنه ، وإن أُريد بمعرفته ، معرفة الوجه والصورة ، فواضح أن الإنسان ، لا يعرف نفسه بذلك ، بخلاف ابنه ، ودون البنات والآباء ، لأنهم أكثر مباشرة ومعاشرة ، وألصق وأعلق بالقلوب . ذكر ذلك أبو حيان[٦] . (**الحق** /١٧) خبر هو ، أو هذا مقدراً ، أو مبتدأ خبره (**من ربك**)[٧]، واللام

---

(١) البحر (١/٤٣٤) .

(٢) البحر (١/٤٣٤) بتصرف قليل .

(٣) البحر (١/٤٣٥) باختصار قليل .

(٤) انظر في هذه الأقوال المرجع السابق ، وزاد المسير (١/١٥٨) . والظاهر أن الراجح هنا ، هو القول بأن الضمير في (**يعرفونه**) راجع إلى محمد -ﷺ- ، لدلالة قوله تعالى (**كما يعرفون أبناءهم**) عليه ، فإنه تشبيه معرفته بمعرفة الأبناء ، دليل على أنه المراد . ولما روي عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال لعبد الله بن سلام -رضي الله عنه- : أتعرف محمداً كما تعرف ولدك ؟ قال : نعم ، وأكثر ، نزل الأمين من السماء ، على الأمين في الأرض بنعته ، فعرفته ، وأما ابني ، فإني لا أدري ما كان من أمه . انظر تفسير القرآن العظيم (١/١٩٤) . وهذا القول رجحه الزمخشري (الكشاف ١/٣٢١) . وإليه مال الألوسي (روح المعاني ٢/١٢) . وانظر الجامع لأحكام القرآن (٢/١٦٢) ، وفتح القدير (١/١٥٤) .

(٥) ما بين القوسين غير موجود في (ب) .

(٦) البحر (١/٤٣٦) .

(٧) وهو ما استظهره السمين . الدر المصون (٢/١٧٠) .

للعهد ، أو الجنس[١] . وقرىء بالنصب[٢] على البدل من (**الحق**) قبله ، أو مفعولاً لـ(**يعلمون**) ، من إقامة الظاهر مقام المضمر تهويلاً وتفخيماً ، أو إغراءً ، أي الزم[٣] . (**من ربك / ١٤٧**) فيه التفات عن الغيبة . (**فلا تكونن من الممترين / ١٤٧**) الخطاب في المعنى لغيره ، وهو أبلغ من « **فلا تمتر** » لأن النهي عن الكون من فرقة موصوفة بفعل ، أبلغ من النهي عن نفس الفعل ، فقولك لا تكن ظالماً ، أبلغ من لا تظلم ، لأن لا تظلم نهي عن الالتباس بالظلم ولا تكون ظالماً ، نهي عن الكون بهذه الصفة ، والنهي عن الكون على صفة ، أبلغ من النهي عن تلك الصفة ، إذ الأول يدل بالوضع على عموم الأكوان المستقبلة على تلك الصفة ، ويلزم من ذلك عموم تلك الصفة ، والثاني يدل بالوضع على عموم تلك الصفة ، وفرق بين ما يدل على عموم ، ويستلزم عموماً ، وبين ما يدل على عموم فقط ، فلذلك كان أبلغ ، ولذلك كثر النهي عن الكون في القرآن كقوله : (**فلا تكونن من الجاهلين**)[٤] ، (**ولا تكونن من الذين كذبوا**)[٥] ، (**فلا تكن في مِريةٍ منه**)[٦] [٧] .

قال بعضهم : « والتمارِي : المجادلة على مذهب الشك » . (**ولكل وِجهةٌ / ١٤٨**) لما ذكر القبلة التي أمر المسلمون بالتوجه إليها ، وهي الكعبة ، وذكر تصميم أهل الكتاب على عدم اتباعها ، وأن كلًّا من الفريقين مصمم على عدم اتباع قِبلة الآخر ، أعلم أن ذلك هو بفعله ، وأنه المقدِّر لذلك ، والموجّه كلًّا منهم إلى قبلته ، ففي ذلك تنبيه على شكر الله ، إذ وفّق المسلمين إلى اتباع ما أمر به من التوجّه ، واختارهم لذلك . ثم قراءة الجمهور : (**ولكل**) منوناً ، (**هو موليّها / ١٤٨**)

---

(١) انظر المرجع السابق ، والبحر (١/٤٣٦) .
(٢) عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه . ابن خالويه (١٠) .
(٣) الإعراب الأول لكلمة (**الحق**) - على القراءة الأخيرة - قاله الزمخشري . الكشاف (١/٣٢٢) .
وأما الإعراب الثاني ، فقد قاله ابن عطية ، ولكنه أيضاً جوّز الإعراب الثالث . المحرر الوجيز (٢/٢١) ، وانظر الدر المصون (٢/١٧٠) .
(٤) الأنعام (١٣٥) . (٥) يونس (٩٥) . (٦) هود (١٧) ، السجدة (١٢٣) .
(٧) هذا الكلام موجود بالبحر (١/٤٣٦ - ٤٣٧) مع تصرف واختصار قليل جداً .



بكسر اللام ، اسم فاعل ، فالضمير والوصف لله ، ومضاف « كل » المحذوف تقديره : طائفة أو فرقة ، أو نحوها .

وقيل : التقدير : ولكل نبي قِبلة . وقيل : لكل ملك ورسول ونبي ، فقِبلة المقربين العرش ، والروحانيين الكرسي ، والكروبيين[1] البيت المعمور والأنبياء بيت المقدس ، ومحمدٌ الكعبة[2] .

وقيل : الضمير والوصف (لكل) أي موليها وجهه ، فحذف أحد المفعولين[3] ، وقرأ ابن عامر (مولاها) بالفتح ، اسم مفعول[4] ، فالضمير (لكل / ١٤٨) قطعاً ، وقرىء (**ولكلٍ وجهةٌ** / ١٤٨) بالإضافة[5] ، وأحسن ما وجّه به ، أنه متعلق بـ« استبقوا » أي استبقوا الخيرات ، لكل وجهة ولآكموها ، ولا تعترضوا فيما أمركم بين هذه وهذه[6] ، وقدّم للاهتمام بالوجهة[7] .

---

(١) وهم سادة الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل ، وإسرافيل ، - كما قال أبو الربيع . اللسان (١ / ٧١٤) مادة كرب .

(٢) انظر في الأقوال السابقة . البحر (١ /٤٣٧) .
وقد أسند صاحب البحر القول الثاني منها إلى ابن عباس ، وهو داخل في القول الأول ، المذكور بمعناه عن ابن عباس أيضاً - على ما في جامع البيان (٣/١٩٣) .
والحاصل أن المعنى : أن لكل أهل دين قبلة يرضونها ، ولعل هذا القول هو الأرجح ، وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى : (**لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ، ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات ، إلى الله مرجعكم جميعاً**).
المائـــدة (٤٨) .
وقال ههنا : (**أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً ، إن الله على كل شيء قدير**) . البقرة (١٤٨) . انظر تفسير القرآن العظيم (١/ ١٩٤) .

(٣) حكاه أبو البقاء . الإملاء (١/ ٦٨) .

(٤) الدر المصون (٢/ ١٧٣) ، والسبعة (١٧١) ، والكشف (١/ ٢٦٧) .

(٥) ابن عباس . ابن خالويه (١٠) .

(٦) وهذا توجيه ابن عطية . المحرر الوجيز (٢/ ٢٣) . وقد قال أبو حيان عن هذا التوجيه : « وهو توجيه لا بأس به » . البحر (١/ ٤٣٨ - ٤٣٩) .

(٧) في (ب) : بالوجـه .



وقرأ أُبيّ (**ولكلٍّ قِبلة**)[1] ، وابن مسعود (**ولكلٍ جعلنا قِبلةً**)[2] . أبو البقاء : « (**وجهة**) جاء على الأصل ، والقياس « جهة » كعدة ، وزنة »[3] . (**أينما تكونوا** / ١٤٨) الآية قصد بها الوعظ والتحذير . (**إن الله على كل شيء قدير** / ١٤٨) مناسب لما قبله لأن جمع العالم إلى يوم القيامة يحتاج إلى قدرة عظيمة ، فبيّن سبحانه أنه قادر عليه ، مدرجاً له في عموم كل شيء ، لئلا يطمع طامع ، أو يشك شاك ، ذكره الطوفي . (**ومن حيث خرجتَ** / ١٤٩) قال الأصبهاني : « كرّر استقبال القبلة بهاتين الآيتين ، لأن هذا من مواضع التأكيد ، لأجل النسخ ، الذي هو من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان ، ولأنه نِيطَ بكل واحد ، ما لم يُنَط بالآخر ، فاختلفت فوائدها »[4] . الكرماني :[5] « الأولى لنسخ القبلة ، والثانية للسبب ، وهو قوله : (**وإنه للحق من ربك** / ١٤٩) ، والثالثة للعلة وهو قوله : (**لئلا يكون للناس عليكم حجة** / ١٥٠) . (وقيل : الأولى لجميع الأحوال ، والثانية لجميع الأزمان ، والثالثة لجميع الأمكنة)[6] . (وقيل في الأولى (**وحيثما كنتم** / ١٥٠) دون (**ومن حيث خرجت** / ١٤٩) ، والثانية بالعكس)[7] ، فجمع في الثانية بينهما ، تنبيهاً على أن النبي والمؤمنين في ذلك سواء »[8] .

الشيخ سعد الدين[9] : « الأولى لتكريم النبي - ﷺ - بإجابة دعائه ، وإعطائه متمناه ، والثانية لتعميم الحال بحسب السفر والحضر ، والتصريح بحقيّة المأمور ،

(١ + ٢) البحر (١/ ٤٣٧) . (٣) الإملاء (١/ ٦٨) . (٤) أنوار الحقائق (٢١٩) .

(٥) في أسرار التكرار (٣٦) : « **قيل : إن** . . . . » .

(٦) في أسرار التكرار (٣٧) : « **قلت : إنما كرر لأن المراد بذلك الحال والمكان والزمان** » .

(٧) في أسرار التكرار (٣٧) : « **وقلت : في الآية الأولى (ومن حيث خرجت)** وليس فيها « وحيثما كنتم » .

(٨) المرجع السابق .

(٩) هو مسعود بن عمر ، سعد الدين التفتازاني ، شافعي ، عالم باللغة والمنطق وغير ذلك ، من مؤلفاته : شرح التلخيص (مطول ، وآخر مختصر) ، وشرح القسم الثالث من المفتاح ، وحاشية الكشاف (لم يتم) ، توفي سنة ٧٩١هـ .
الدرر الكامنة (٤/ ٣٥٠) ، روضات الجنات (٣٠٩ - ٣١٠) ، هدية العارفين (٢/ ٤٢٩ - ٤٣٠) ، مفتاح السعادة (١/ ٢٠٥) .



والوعيد على من تركه ، والثالثة لتشريف الأمة بإفراد الخطاب ، وتعليل الحكم بما رتّب عليه من الحكم والمصالح . (ومن حيث / ١٤٩) متعلق بـ« ولّ »[١] ، أو بمحذوف أي افعل ما أُمرت ، وقوله (فولّ / ١٤٩) عطف عليه ، أو بجعل (ومن حيث خرجت) في معنى الشرط ، أي أينما كنتَ وتوجّهتَ ، فالفاء للجزاء[٢] » انتهى . (وإنه للحق من ربك / ١٤٩) أُزيل به وَهْم من قد يتوهم أن تحويل القبلة بمجرد رضى النبي -ﷺ- ، حيث قال (قِبلة ترضاها)[٣]، قاله أبو حيان"[٤].

(وما الله بغافل / ١٤٩) قال أبوحيان ، « حيث نبّه على الحكمة ، ذكر « الرب » المقتضي للنعمة ، وحيث ذكر الوعيد ذكر « الله » المقتضي للجلالة والمهابة »[٥] .

الطيبي : « قوله (وإنه للحق من ربك / ١٤٦) تذييل[٦] لقوله (فولّ وجهك / ١٤٩) نحو قولك : فلان ينطق بالحق ، والحق أبلج ، وقوله ، (وما الله بغافل / ١٤٩) وعيد[٧] وتذييل[٨] للمجموع ، يعني من حقيقة هذا المأمور به ، وبيانه أن الله لا يمهل عامله ، ويعطيه أجره كاملاً تاماً ، وهذا نوع من التأكيد المعنوي ، ومن ثم لما فرغ منه ، أتى بتوكيد لفظي ، فقال : (ومن حيث خرجت / ١٥٠) الآية . (لئلا / ١٥٠) متعلق بمحذوف ، أي عَرّفناكم وجه الصواب في قِبلتكم بقولنا (ولكلٍّ وجهة هو موليها)[٩] ، وبقولنا (قل لله المشرق والمغرب)[١٠] الآية ، أو بـ« ولّوا »[١١]. (إلا الذين ظلموا / ١٥٠) استثناء

(١) وتكون الفاء في (فولّ) صلة - أي زائدة - وقد استظهر هذا الوجه الشهاب في حاشيته على البيضاوي (٢/٢٥٧) .
وهو قول السمين في الدر المصون (٢/١٧٢) . وإليه ذهب الألوسي . روح المعاني (٢/١٦) .

(٢) وقد مال البيضاوي إلى هذا الوجه الأخير . حاشية الشهاب (٢/٢٥٧) .
وقد تُعُقِّب هذا الوجه ، بأن فيه تخريجاً على قول ضعيف ، لم يذهب إليه إلا الفراء ، وهو شرطية (حيث) بدون « ما » ، حتى قالوا : إنه لم يسمع في كلام العرب . انظر المرجعين السابقين .

(٣) البقرة (١٤٤) .(٤) لم أجده بالبحر .(٥) البحر (١/٤٤٠) بمعناه مختصراً . (٦) في (ب) : تبديل .
(٧) في (ب) : وعد . (٨) في (ب) : وتبديل . (٩) البقرة (١٤٨) . (١٠) البقرة (١٤٢) .

(١١) ذكر أبو حيان هذا القول والقول السابق (١/٤٤١) . والقول الأول منهما هو قول أبي البقاء ، الإملاء (١/٦٩) ، وتعقبه السمين بأنه لا حاجة إليه . الدر المصون (٢/١٧٧) . وأما القول الثاني ، فقد ذهب إليه البيضاوي . حاشية الشهاب (٢/٢٥٧) .



منقطع[1] ، أي لكنهم يأتون بالشبهة ، ويجعلونها مكان الحجة . وقيل : (**إلا** / ١٥٠) بمعنى الواو ، أي ولا الذين ظلموا[2] .

وقرأ زيد بن علي[3] (**ألا**) بالفتح والتخفيف[4] ، حرف تنبيه ، والوقف على ما قبله ، أي إلا هؤلاء فلا تخشوهم ، كقولك « إلا زيداً فأعرض عنه ، وأقبل عليّ » ، وقرىء (**إلى**)[5] حرف جر بمعنى « مع » . (**فلا تخشوهم** / ١٥٠) قيل : ذكر الخشية دون الخوف ، لأن الخشية حذر من أمر قد وقع ، والخوف حذر من أمر لم يقع . (**ولأتم** / ١٥٠) قيل : معطوف على (**لئلا يكون** / ١٥٠) ، وقيل : على مقدر أي لأوفقكم[6] . (**ولعلكم تهتدون** / ١٥٠) الطوفي : « الختم به مناسب لما

---

(١) هذا الإعراب بناءً على أن الحجة هنا ، هي الدليل والبرهان الصحيح ، وأما من ذهب إلى أن الحجة هنا بمعنى الاحتجاج والخصومة ، فإن الاستثناء حينئذٍ يكون متصلاً . البحر (١/٤٤٣) . وهو قول ابن عباس وغيره ، واختاره الطبري ، جامع البيان (٣/٢٠١ ، ٢٠٣) . وبدأ به ابن عطية ، المحرر (٢/٢٦) ، ولم يذكر الزمخشري غيره ، الكشاف (١/٣٢٢) . وانظر الدر المصون (٢/١٧٨) .

(٢) هذا قول أبي عبيدة ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

إلا كخارجة المكلف نفسه ... وابني قبيصة أن أغيب ويشهدا

ويقول الشاعر أيضاً :

وكل أخ مفارق أخوه ... لعمر أبيك إلا الفرقدان

المجاز (١/٦٠ - ٦١) ، والجامع للقرطبي (٢/١٦٩) ، والدر المصون (٢/١٧٨ - ١٧٩) .

وقد تعقب بأن إثبات (إلا) بمعنى الواو ، لا يقوم عليه دليل ، وأن الاستثناء سائغ فيما ادعى فيه أن (إلا) بمعنى الواو .

انظر البحر (١/٤٤٢) .

(٣) هو أبو الحسين ، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ويقال له « زيد الشهيد » .

قال عنه أبو حنيفة : « ما رأيت في زمانه ، أفقه منه ، ولا أسرع جواباً ، ولا أبين قولاً » ، طمحت نفسه إلى استرداد الخلافة ، فخرج على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، ولكن أتباعه خذلوه ، وتفرقوا عنه ، فقتل وصلب ، ثم أحرق جسده سنة ١٢٢هـ . وأتباعه يعرفون بالزيدية ، وهم أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية .

تاريخ الطبري (٨/٢٦٠ ، ٢٧١) ، والفرق بين الفرق (٢٥) ، التفسير والمفسرون للذهبي (٢/٥) .

(٤) انظر ابن خالويه (١٠) ، والمحتسب (١/١١٤) .

(٥) نقل هذه القراءة السجاوندي عن أبي بكر بن مجاهد . البحر (١/٤٤١) .

(٦) ذكر أبو حيان هذين الوجهين ، واستظهر الأول منهما . البحر (١/٤٤٣) . وهو ما استظهره أيضاً السمين . =



هو في سياقه ، من الأمر باستقبال الكعبة ، ودفع حجة الناس ، -وهم الكفار- عنهم ، لأن ذلك هداية وحراسة وصيانة عن شبهات الأعداء ، وهو نعمة جليلة ، كقوله (**اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيتُ لكم الإسلام ديناً**)[١] (**ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم**)[٢] . (**كما** / ١٥١) متعلق بـ« أتم » ، أي كما أتممتها بإرسال الرسول ، ووجه التشبيه أنها آخر القبلات ، كما أنه -ﷺ- آخر الرسل ، وأن للعرب بهما معاً عزاً وشرفاً ، لانتسابهم إليهما . (**ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** / ١٥١) هو من ذكر العام بعد الخاص . وقيل : المراد به قصص من سَلَفه ، ومن يأتي[٣] . (**فاذكروني أذكركم** / ١٥٢) قيل : معناه أُثيبكم ، فسمّى الثواب ذِكراً ، من باب المقابلة[٤] . (**واشكروا لي ولا تكفرون** / ١٥٢) فيه طِباق ومقابلة بين الشكر والكفر ، والأمر والنهي ، و« لي » و« ني » ، أبو حيان : « بُدىء بجملة الأمر بالذكر ، لأنه أُريد به الثناء (والمدح العام ، والحمد لله تعالى ، وذكر له جواب مترتب عليه ، وثنّى بجملة الشكر لأنه ثناء)[٥] على شيء خاص ، وقد اندرج تحت الأول ، فهو بمنزلة التأكيد ، فلم يحتج إلى جواب ، وختم بجملة النهي ، لأنه لما أمر بالشكر ، لم يكن اللفظ ، ليدل على عموم الأزمان ، ولا يمكن التكليف باستحضار الشكر في كل زمان ، فقد يذهل الإنسان عن ذلك في كثير من الأوقات ، فنهى عن الكفران ، لأن النهي يقتضي الامتناع من المنهي عنه في كل الأزمان ، وذلك ممكن ، لكنه من باب التروك ، وقد تقدّم قاعدة ، أنه إذا كان أمر ونهي ، بُدىء بالأمر »[٦] .

= الدر المصون (٢/١٨٠) . وهو قول الأخفش . معاني القرآن (١/١٥٣) . وإليه مال الألوسي . روح المعاني (٢/١٨) .

(١ + ٢) المائدة (٣) ، (٦) .

(٣) انظر البحر (١/٤٤٥) .

(٤) قاله ابن جبير . البحر (١/٤٤٥) .

(٥) ما بين القوسين غير موجود في (ب) .

(٦) البحر (١/٤٤٧) مع اختصار قليل .



وقيل : (**ولا تكفرون / ١٥٢**) ، لأنه من كفـران النعمة ، ولو كان من كفر الإيمان ، لقيل : ولا تكفروا بي . الراغب : « إن قيل : لِمَ أَتبعَ قوله : (**واشكروا لي**) قوله : (**ولا تكفرون**) ، ولم يقتصر على أحد اللفظين ؟

قيل : لو اقتصر على الأول ، لتوهّم أن من شَكَره مرة ، أو على نعمة ما ، فقد امتثل ، أو على الثاني ، لتوهم أن ذلك نهي عن تعاطي قبيح ، دون حث على الفعل الجميل ، فجمع بينهما ، لإزالة هذه الشبهة ، ولأن في الثاني نهياً عن الكفر المطلق ، وذلـك معنى زائـد على (**واشكروا لي**) »[1] . (**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة / ١٥٣**) قال أبو حيان : « مناسبة هذه لما قبلها ظاهرة ، لأنهم سمعوا من طعن الكفـار في التـوجـه إلى الكعبـة والصلاة إليها أذى كثيراً ، فأُمروا عند ذلك بالاستعـانـة بالصـبر والصـلاة »[2] . (**إن الله مع الصابرين / ١٥٣**) أي بالمعونة والتأييد . ولما كان شاملاً للصلاة أيضاً ، اقتصر على ختم الآية به ، فاندرج المصلون تحت الصـابـرين ، اندراج الفرع تحت الأصل ، ولما ذكر الصبر ، عطف عليه ما يتعلق بالجهاد المحتاج إلى الصبر أعظم احتياج ، فقال (**ولا تقولوا / ١٥٤**) الآية ، وفيها تسلية لأقرباء المقتولين في سبيل الله ، كما في التي قبلها ، تسلية للمسلمين عما سمعوا من أذى الكفار في أمر القبلة ، ثم عطف عليها قوله : (**ولنبلونكم / ١٥٥**) فأخبرهم بذلك قبل وقوعه ، تطميناً لهم ، لأن مجيء البلاء بعد العلم به ، أخف من مجيئه بغتة كما تقدم ، خصوصاً مع ما رتّب عليه من جزيل الثواب ، ولما اقترن به من الأمر بالصبر المطلوب عند الصدمة الأولى ، بخلاف ما لو أخّر نزول الآية ، وأسند الابتلاء إلى الله تهويناً على المؤمنين ، لأنه إذا كان من الحبيب سَهُل أمرُه ، كما قيل :

وخـفـف عني ما ألاقي من الـعـنـا بأنـك أنـت المـبـتـلي والمقـدر[3]

---

(١) لم أعثر على هذا النص في المفردات والبحر .

(٢) البحـر (١/٤٤٨) .

(٣)

وعندي أن قوله (**استعينوا بالصبر**) إلى آخر الآيتين ، توطئة لقوله (**ولنبلونكم**) ، وأن الآية مشيرة إلى الأمر بالجهاد المصرّح به بعدُ في قوله (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم** / ١٩٠) ، وهذه عادة القرآن يَلُوم بالتكليف الشاق ، قبل الأمر به ببرهة ، بدليل قصة تحريم الخمر ، وما عرّض به فيها قبل التصريح ، وقد ورد أن قوله (**وقاتلوا**) الآية ، أول آية نزلت في القتال[١] ، فقدّمت هذه الآيات كالتمهيد لها ، وإن كان بينهما آيات كثيرة ، كما قدّم قوله (**ما ننسخ من آية**)[٢] وما بعده من الآيات الكثيرة على نسخ القبلة تلويحاً به ، وتمهيداً له ، وههنا لما قصد التلويح بالجهاد ، وذكر نقص الأنفس مضموماً إليه غيره من نقص الأموال والثمرات والابتلاء بالخوف والجوع ، وقدم عليه ذكر فضيلة من يُقتل في سبيل الله ، وقدّم عليه الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة ، ومدح بالصابرين ، وختم ببشارة الصابرين أيضاً ، والإرشاد إلى ما يقولونه عند نزول المصيبة ، وما وعدوا عليه من الصلوات والرحمة ، وما وُصفوا به من الهداية ، (**بشيءٍ** / ١٥٥) نكرة للتقليل تسهيلاً عليهم . وقرىء (**بأشياء**)[٣] ، وقد ذُكِرت على وجه الترقي ، فبُدىء بالخوف ، ثم الجوع ، لأنه أشد من الخوف ، وأشد منه نقص الأموال ، وأشد من نقص المال ، ذهاب النفس ، وأشد من ذهاب نفس الإنسان موت الأولاد ، لأنهم المراد بالثمرات ، كما قاله هنا الشافعي[٤] . (**وبشر الصابرين** / ١٥٥) أطلق ليعم جميع أنواع الصبر ، وهو قمع النفس عن مشتهيات الطبع ، فإن كان في مصيبة ، خُصّ باسم الصبر ، ويُضادّه الجزع ، وإن كان في الحرب ، سُمِّي شجاعة ويُضادّه الجبن ، أو في الغنى ، سُمي ضبط النفس ، ويضاده البَطَر ، أو في نائبة تضجره ، سُمي سعة صدر ، ويضاده الضَّجَر ، أو[٥] في فضول الدنيا ، سُمي زهداً ، ويضاده

---

(١) وهو ما عليه الأكثرية ، كما في الجامع للقرطبي (٢/٣٤٧) .

(٢) البقـرة (١٠٦) . (٣) عن الضحاك . البحر (١/٤٥٠) .

(٤) البحـر (١/٤٥٠) . وتفسير الثمرات بالأولاد ، تفسير فيه نظر - كما قال ابن كثير (١/١٩٧). وخاصة أن الأولاد يدخلون ضمن «الأنفس» المذكورة قبل . ولعل الأرجح أن يقال: إن المراد بالثمرات هنا ، هي الثمرات المعروفة التي تخرج من الزروع . والله أعلم .

(٥) كلمة « أو » ليست في (ب) .



الحرص ، أو على يسير من المال ، سُمي قناعة ، ويضاده الشَّرَه ، أو عن شهوة الفرج والبطن ، سُمي عِفة ، أو في إخفاء الكلام ، سمي كتماناً . الشيخ سعد الدين : « (**وبشر الصابرين / ١٥٥**) عطف على (**ولنبلونكم / ١٥٥**) ، عطف المضمون على المضمون ». (الذين / ١٥٦) يجوز فيه الاتباع[١] ، والقطع على المدح ، والاستئناف البياني . (**إذا أصابتهم مصيبةٌ / ١٥٦**) فيه الجناس المغاير ، وهو أن يكون بين اسم وفعل . والمصيبة أصلها اسم فاعل ، من أصابت ، وصار لها اختصاص بالشيء المكروه ، وهي هنا كل ما آذى المؤمن ، حتى انقطاع شِسْع النعل ، وانطفاء المصباح كما ورد في الحديث[٢] . (**قالوا إنا لله ، وإنا إليه راجعون / ١٥٦**) جمعت هاتان الجملتان ما لا مزيد عليه ، من الإقرار لله بالملك والعبودية ، وهو يستلزم التفويض ، لأن المالك يتصرف في ملكه بما يريد ، والإقرار بالبعث المستلزم للتنبيه على الموت ، الذي هو أعظم المصائب ، وذِكره يُهَوِّن كل[٣] مصيبة ، وقد كانت تعزية الجاهلية أن يقولوا : كل مصيبة ما عدا النفس جَلَل ، أي حقير .

أخرجه الدينوري[٤] في المجالسة[٥] عن شريح بن عبيد[٦] ، وعلى حصول

---

(١) فيكون منصوباً على النعت للصابرين - وهو ما استظهره أبو حيان (البحر ١/٤٥١) . وصححه السمين (الدر المصون ٢/١٨٦) .

(٢) أخرج ابن أبي الدنيا في الأمل ، والديلمي عن أنس أن النبي -ﷺ- رأى رجلاً اتخذ قبالاً من حديد ، فقال : (أما أنت فقد أطلت الأمل ، إن أحدكم إذا انقطع شِسْعه ، فقال : (**إنا لله وإنا إليه راجعون**) ، كان عليه من ربه الصلاة والهدى والرحمة ، وذلك خير له من الدنيا » .

وأخرج عبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في العزاء عن عكرمة قال : « طُفىء سراج النبي -ﷺ- فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقيل : يا رسول الله ، أمصيبة هي ؟ قال : (نعم ، وكل ما يؤذي المؤمن ، فهو مصيبة له وأجر) . الدر المنثور (١/١٥٧) .

(٣) في (أ) : عـلى .

(٤) هو أبو بكر ، أحمد بن مروان الدينوري المالكي ، قاضٍ ، من رجال الحديث ، اتهمه بعض العلماء بالوضع في الحديث .

من كتبه : « المجالسة وجواهر العلم » وهو مخطوط ، و « مناقب مالك » ، توفي سنة ٣٣٣هـ .

شجرة النور الزكية (٦٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٥/٤٧٧) ، ولسان الميزان (١/٣٠٩) ، وكشف الظنون =



الجزاء ، بإثابة[1] المصاب[2] ، وعقاب المصيب ، إذا كانت المصيبة على يد ظالم ، وكل ذلك مما يهوِّن ويُسلي ، ولذلك رتَّب على هذا القول ما ذكره من الثواب الجزيل ، إذا قاله معتقداً معناه ، واتصف بثمرة فحواه ، وقد ورد أن هذا الاسترجاع ، من خصائص هذه الأمة ، لم يعطه أحد قبلها ، أخرج الطبراني[3] عن ابن عباس قال : قال النبي -ﷺ- : (أُعطيت أمتي شيئاً ، لم يُعطَه أحد من الأمم ، أن يقولوا عند المصيبة (**إنا لله ، وإنا إليه راجعون / ١٥٦**))[4] . وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير[5] قال : « لم يُعط أحد الاسترجاع غير هذه الأمة ، ألا تسمعون إلى قول يعقوب : (**يا أسفى على يوسف**)[6] »[7] . (**أولئك / ١٥٧**) أُشير به للتعظيم ، والدلالة على بعد المرتبة (**عليهم صلواتٌ / ١٥٧**) قال الخويي : « فإن قلت : الصلاة بمعنى الدعاء ، فلِم يقال الصلاة عليه : مع أن قول القائل الدعاء عليه ، دعاء بالشر ؟ . قلت : ليست الصلاة بمعنى الدعاء فقط ، بل بمعنى الدعاء بالخير ، فقيل الصلاة عليه أي الدعاء بالخير عليه ، وفيه الفائدة ،

= (١/١٥٩) ، ومعجم المؤلفين (٢/١٧٤) .

(٥) وهو كتاب مخطوط - على ما في الأعلام (١/٢٤١) .

(٦) هو شريح بن عبيد بن شريح ، الحضرمي ، الحمصي ، كان ثقة ، ويرسل كثيراً ، توفي بعد المائة من الهجرة . تقريب التهذيب (١/٣٤٩) .

(١) في (ب) : بإثبات .

(٢) في (أ) : المصايب .

(٣) هو أبو القاسم ، سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني ، نسبة إلى مكان ولادته في طبرية -بالشام- كان محدثاً ، حافظاً .
من مؤلفاته : المعاجم الثلاثة : الكبير ، والأوسط ، والصغير ، توفي سنة ٣٦٠هـ . المنتظم لابن الجوزي (٧/٥٤) ، وطبقات الحنابلة لابن الفراء (٣١٣ ، ٣١٤) ، والمختصر في أخبار البشر (٢/١١٨) .

(٤) الفتح الكبير (١/١٩٩) ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه ، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١/٣٠٠) .

(٥) هو أبو عبد الله ، سعيد بن جبير الأسدي بالولاء الكوفي ، الحبشي الأصل ، كان أعلم التابعين ، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر ، كان من الخارجين على عبد الملك بن مروان ، قتله الحجاج بواسط ، توفي سنة ٩٥هـ .
وفيات الأعيان (١/٢٠٤) ، وطبقات ابن سعد (٦/١٧٨) ، وتهذيب التهذيب (٤/١١) .

(٦) سورة يوسف (٨٤) .

(٧) جامع البيان (٣/٢٢٤) بمعناه .



وهي أنه يطلب من الخير ما يغمره ويظهر عليه لكثرته ». أبو حيان : « جيء بعلى إشارة إلى أنهم منغمسون في ذلك ، قد غشيتهم وتجلّلتهم[1] ، وهو أبلغ من قوله (لهم) . وجمع (**صلوات**) ليدل على أن ذلك ليس مطلق صلاة ، بل صلاة بعد صلاة ، ونُكِّرت لأنه لا يراد[2] العموم ، ووصفها بكونها (**من ربهم / ١٥٧**) ، ليدل بـ(**من**) على أن ابتداءها من الله ، أي تنشأ تلك الصلوات ، وتبتدىء من الله[3] . وأتى بلفظ الرب ، لما فيه من دلالة التربية والنظر للعبد فيما يصلحه ويربِّيه »[4] (**ورحمة / ١٥٧**) قيل : هو من عطف المترادفين ، لأن الصلاة من الله الرحمة ، وقيل : الرحمة كشف الكُّربة ، وقضاء الحاجة[5] .

الشيخ سعد الدين : « لما كانت الصلاة في الأصل ، تحريك الصَّلَوين[6] ، ناسبه أن يراد بها الحُنُوّ والانعطاف ، ثم الرأفة المناسبة لذلك ، ولعطف الرحمة عليها بمنزلة أن قال (**رأفة ورحمة**)[7] ، و(**الله رؤوف رحيم**)[8] ، وما يقال إن الصلاة من الله رحمة ، فهو أخذ بالحاصل ، وبأن الرحمة أيضاً ، تُنبىء عن الرأفة والانعطاف ومن الرحم ، وجمع الصلوات للتكرير ، كالتثنية في « لَبَّيك » ، بمعنى أنه لا انقطاع لرأفته ، ورُوعي مثل هذا في الرحمة ، لتنكير التفخيم ، وذلك لأن حمل الصلوات على عدة من ذلك ، ثلاثة أو ما فوقها ، ليس مما له كبير معنى ، ثم حاصل الرأفة والرحمة ، راجع إلى اتصال المسار ، ودفع المضار » انتهى .

---

(١) في (ب) : وتجتلهم .

(٢) في (ب) : لا يرد .

(٣) لقد حذف المؤلف بعض كلام أبي حيان ، وهو : «ويحتمل أن تكون (من) تبعيضية فيكون ثَمَّ حذفُ مضاف ، أي صلوات من صلوات ربهم » .

(٤) البحر (١/٤٥٢) .

(٥) انظر في هذين القولين البحر (١/٤٥٢) ، وقد ذهب السمين إلى الأول منهما ، الدر المصون (٢/١٨٧) .

(٦) الصلوين : هو ما عن يمين الذنب وشماله . اللسان مادة : صلا . والقاموس المحيط - فصل : الصاد ، باب : الواو والياء .

(٧) كما في قوله تعالى : (**وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفةً ورحمةً**) الحديد (٢٧) .

(٨) مثل ما في قوله تعالى : (**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، وأن الله رؤوفٌ رحيم**) النور (٢٠) .



أبو حيان : « أُريد بالرحمة الصلوات ، فلا يحتاج إلى تقييد بصفة محذوفة ، لأنها قد تقـيّدت ، أو ما يغـايرهـا ، فيُقـدَّر : ورحمـة منـه »[١] . (**وأولئـك هم المهتـدون / ١٥٧**) جملة ثانية تدل على الاعتناء بأمر المُخْبَر عنه ، إذ[٢] أبرز كل وصف له في جملة مستقلة ، وبُدىء بالجملة الأولى ، لأنها الأهم في حصول الثواب ، والمترتب على الوصف الذي قبله ، وأُخّرت هذه ، لأنها نزّلت مما قبلها منزلة العِلّة ، لأن ذلـك القـول المـرتب عليه ذلـك الجزاء الجزيل ، لا يصدر إلا عمن سبقت هدايته ، وأُكدت بقوله (هم / ١٥٧) ، وبالألف واللام ، كأن الهداية ، انحصرت فيهم ، وباسم الفاعل ، ليدل على الثبوت ، لأن الهداية ليست من الأفعال المتجددة وقتاً بعد وقت ، فيخبر عنها بالفعل ، بل هي وصف ثابت . وهاتان الجملتان نظير جملتي (**أولئـك على هدىً من ربهم ، وأولئـك هم المفلحـون**)[٣] . (**إن الصفـا والمروة / ١٥٨**) قال أبو حيان : « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أن الله تعالى لما أثنى على الصابرين ، وكان الحج من الأعمال الشاقة ، المفنية للمال والبدن ، وكان أحد أركان الإسلام ، ناسب ذِكره بعد ذلك »[٤] .

أقول ولمناسبة أمر القبلة في أن كلًّا طعن في قِبلة قوم ، وكلًّا من شِعار إبراهيم ، فقد ورد أن قوماً ، تحرّجوا من السعي بينهما[٥] ، وورد في السعي هذا مما أورثتكم

---

(١) البحر (١/٤٥٢) .
(٢) في (ب) : إذا .
(٣) البقرة (٥) ، ولقمان (٥) .
(٤) البحـــر (١/٤٥٦) .
(٥) روى البخاري ومسلم عن عروة قال :
سألت عائشة – رضي الله عنها– فقلت لها : أرأيت قول الله تعالى : (**إن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر ، فلا جناح عليه أن يطوف بهما**) ، فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة .
قالت : بئس ما قلت يا ابن أختي ، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه ، كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما ، ولكنهـا أنـزلت في الأنصـار ، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية ، التي كانوا يعبدونها عند المشلّل ، فكان من أهلّ ، يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة . فلما أسلموا ، سألوا رسول الله –ﷺ– عن ذلك ، قالوا : يا رسول الله ، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله تعالى : (**إن الصفا والمروة من شعائر الله**) الآية . . . ، البخاري (٢/١٦٩) كتاب الحج – باب (٧٩) ، ومسلم (١/٩٢٨) كتاب الحج – باب (٤٣) .



أم إسماعيل[1] . والصفا والمروة ، عَلَمان بالغلبة ، ولذا لزمتهما اللام . الراغب : « الصفا : هي الحجارة الصافية »[2] . والآية على حذف مضاف ، أي طواف أو سعي . (**فلا جناح عليه أن يَطَّوَّف بهما** / ١٥٨) من باب إيراد الجواب على طِبق السؤال ، لأنها نزلت جواباً لمن قال : إنما نتحرّج أن نطوف بهما ، لأنهما من أمر الجاهلية .

وقرأ ابن عباس وغيره[3] (**أن لا يَطَّوَّف**) ، قال ابن جني : « ويمكن تأويله على زيادة « لا » ، كقوله : (**لئلا يعلم أهل الكتاب**)[4] فيوافق قراءة الكافة »[5] وقرىء (**يَطُوف**)[6] من طاف ، و(**يَطَّاف**) بالتشديد[7] ، وأصله يَطْتَوِف يَفْتَعِل . (**ومن تَطَوَّع** / ١٥٨) قرىء بالتاء ماضياً ، وبالياء وتشديد الطاء مضارعاً مجزوماً[8] . (**خيراً**) على حذف الجار ، أي بخير ، وقرىء به[9] . (**فإن الله شاكر عليم**) قال أبو حيان : « وقعت الصفتان هنا الموقع الحسن ، لأن التطوع بالخير يتضمن الفعل والقصد ، فناسب ذكر الشكر باعتبار الفعل ، وذكر العلم باعتبار القصد ، وأُخِّرت صفة العلم - وإن كانت متقدمة على الشكر ، كما أن النية متقدمة على الفعل - لتواخي رؤوس الآي »[10] مناسبة لما قبلها لأن اليهود كتموا صفة النبي - ﷺ - في

---

(١) رواه الحاكم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بلفظ : «إنه كان رآهم يطوفون بين الصفا والمروة . قال : هذا مما أورثتكم أم إسماعيل » . ثم صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي على تصحيحه . المستدرك (٢ /٢٧١) .

(٢) المفردات (٢٨٣) مادة : صفو .

(٣) وهم علي وابن مسعود وأنس بن مالك وسعيد بن جبير وغيرهم . ابن خالويه (١١) ، والمحتسب (١ /١١٥) .

(٤) الحديد (٢٩) .

(٥) المحتسب (١ /١١٥ - ١١٦) .

(٦) قرأ بذلك أبو حمزة . البحر (١ /٤٥٧) .

(٧) عن ابن عباس وأبي السمال . الدر المصون (٢ /١٩١) ، والبحر (١ /٤٥٧) .

(٨) هذه قراءة حمزة والكسائي ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجة القراءات (١١٨) .

(٩) وهي قراءة ابن مسعود . البحر (١ /٤٥٨) .

(١٠) البحر (١ /٤٥٨) .



التوراة من بعد علمهم إياه ، ومن صفته فيها أنه يتوجّه إلى الكعبة[1] . (**ما أنزلنا / ١٥٩**) فيه التفات من الغيبة في الاسم الظاهر . (**من البينات والهدى / ١٥٩**) قيل : هما واحد ، والجمع بينهما توكيد . وقيل : البيّنات : الحجج الدالة على نبوّته ، والهدى : الأحكام ، كآية الرجم ونحوها . (**من بعد ما بيّناه / ١٥٩**) قرىء (**بَيَّنه**) بالإفراد[2] ، ففيه[3] عليها التفات من التكلم إلى الغيبة . (**أولئك / ١٥٩**) جيء باسم الإشارة البعيد تنبيهاً على ذلك الوصف القبيح ، وأبرز الخبر في صورة الجملتين توكيداً وتعظيماً ، وأتى بالفعل المضارع ، لتجدّد مقتضيه ، وهو الكتم ، فلذلك جيء بصلة الذين مضارعاً ، ليدل على التجدّد أيضاً ، لأن بقاءهم على الكَتْم كَتْم . وجيء بالجملة المسند فيها الفعل إلى الله ، لأنه هو المجازي ، وجاءت الجملة الثانية ، لأن لعنة اللاعنين مرتَّبة على لعنة الله للكاتمين ، وأبرز اسم الجلالة على سبيل الالتفات ، إذ لو جرى على نَسَق الكلام ، لقيل ألعنهم أو نلعنهم ، لما في إظهار هذا الاسم من الفخامة ، التي ليست في الضمير ، وفي (**يلعنهم اللاعنون / ١٥٩**) جناس مغاير ، واللاعنون كل من يتأتى منه اللعن ، وهم الملائكة والمؤمنون ، قاله : الربيع بن أنس[4][5] . وقيل دواب الأرض ، قاله مجاهد وعكرمة[6][7] .

---

(١) روى الطبري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن معاذ بن جبل ، وسعد بن معاذ ، وخارجة ابن زيد سألوا نفراً من أحبار يهود ، عن بعض ما في التوراة فكتموهم إياه ، وأبوا أن يخبروهم عنه ، فأنزل الله تعالى : (**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى. . .**) الآية . جامع البيان (٣/ ٢٥٠) .
وهذا الخبر رواه أيضاً ابن إسحاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . الدر المنثور (١/ ١٦١) .

(٢) عن طلحة بن مصرف . البحر (١/ ٤٥٨) .

(٣) في (ب) : ففيها .

(٤) وهو بصري ، من بني بكر بن وائل ، هرب من الحجاج ، فأتى مرو ، فسكن قرية ، منها خلص إليه ابن المبارك -وهو مستخف- فسمع منه أربعين حديثاً . توفي في خلافة أبي جعفر المنصور . تقريب التهذيب (١/ ٢٤٣) ، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٩) ، ومفتاح السعادة (٢/ ٧٦) .

(٥) انظر تفسير الربيع بن أنس / رسالة ماجستير للطالب عبدالرحمن العبادي (٢٨٦) .

(٦) هو أبو عبد الله ، عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، مولى ابن عباس ، أصله من البربر بالمغرب ، روى عن مولاه ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي هريرة وغيرهم . اختلف العلماء في توثيقه ، ولكن الراجح توثيقه ، =



قال الأصبهاني : « لم يقل اللاعنات ، لأن من شأن العرب ، إذا وصفت شيئاً من البهائم ، والجمادات بما هو صفة الناس ، من قول أو فعل ، ذهبوا به مذهب النـاس في الجمـع ، كقوله (**يأيها النمل ادخلوا مساكنكم**)[1] . (**إلا الذين تابوا** / ١٦٠) لم يقل « من بعد ذلك » كما في غيرها ، لأن قبله (**من بعد ما بيناه**) ، فلو ذكر ، التبَس . (**وأصْلَحُوا** / ١٦٠) أي ما أفسدوا بكتمانهم (**وبيَّنُوا** / ١٦٠) أي ما كتمـوا ، شرطـان لابد منهما في حصول التوبة ، ولهذا وجب على من تغيّر اجتهـاده في فتـوى إعلام المستفتي بذلك ، ليكُف . (**أتوب عليهم** /١٦٠) فيه التفـات عن الغيبـة . (**وأنا التواب الرحيم** / ١٦٠) ختم بها ترغيباً في التوبة .

= قال المروزي : قلت لأحمد : يحتج بحديث عكرمة ؟ . فقال : نعم ، يحتج به . وقال ابن معين : إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة وفي حماد بن سلمة ، فاتهمه على الإسلام . وقال البخاري : ليس أحد من أصحابنا ، إلا وهو يحتج بعكرمة . توفي سنة ١٠٤هـ .

تهذيب التهـذيب (٧/٢٦٣ - ٢٧٣) ، والمعـارف (٤٥٥) ، والخلاصة (٢٢٩) ، والتفسير والمفسرون للذهبي (٤٠٧/١) .

(٧) انظر في هذه الأقوال الجامع للقرطبي (٢/١٨٦ - ١٨٧) ، وقد استصوب الزجاج القول الأول . انظر المرجع السابق .

وهو توجيه الطبري أيضاً ، لأن الله تعالى قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم ، إنما هي من الله والملائكـة والنـاس أجمعين ، فقال تعالى: (**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ، أولئك عليهم لعنة الله والملائكـة والناس أجمعين**). البقرة (١٦١) ، فكذا هنا ، لأن الفريقين جميعاً أهل كفر . جامع البيان (٣/٢٥٥ - ٢٥٧) .

ويبدو لي أن القولين المذكورين هنا صحيحان ، ويندرجان تحت لفظ «**اللاعنين**» ، فإن كان ما اختاره الطبري له ما يدل عليه ويسنده ، فإن القول الآخر ، له ما يدل عليه أيضاً ويسنده ، فقد روى ابن أبي حاتم -كما حكى ابن كثير (١/ ٢٠٠)- عن البراء بن عازب قال : «كنا مع النبي -ﷺ- في جنازة ، فقال : (إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه ، يسمعها كل دابة غير الثقلين ، فتلعنه كل دابة ، سمعت صوته ، فذلك قول الله تعالى : (**أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون**) يعني دواب الأرض» ، ورواه ابن ماجه عن محمـد بن الصباح عن عمار بن محمد به (سنن ابن ماجه ٢/١٣٣٤) كتاب : الفتن . باب (٢٢) هذا بالإضافة إلى ما ورد في ذلك من آثار .

وقد جاء في الحديث أيضاً : (وأنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء) . راجع تخريجه في الفتح الرباني / الحاشية (١/ ١٥٠) فهذا من هذا . . . والله أعلم .

(١) النمل (١٨) . وانظر أنوار الحقائق (٢٢٢) .



(**عليهم لعنة الله / ١٦١**) فيه التفات عن التكلّم ، وأعاد لعنهم ، لأن الأول في حياتهم ، والثاني بعد موتهم . ذكره الأصبهاني[١] . فعُرف بذلك وجه الربط ، وأن الآية في من مات على الكتم ، ومن لم يتب . (**والملائكة والناس أجمعين / ١٦١**) قرأ الحسن برفعهما ، و(**أجمعون**)[٢] على تقدير : ويلعنهم الملائكة . (**خالدين فيها / ١٦٢**) أيٌ في اللعنة ، وقيل : في النار[٣] . وأُضمرت تهويلاً وتفخيماً لشأنها ، وقيل : لأن اللعنة دالّة عليها بالالتزام ، ولك أن تقول هو عائد إلى اللعنة مراداً بها النار ، فيكون استخداماً[٤] . (**وإلهكم إله واحد / ١٦٣**) أي لا شريك له في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله . والآية خطاب المخلوقين فهي بعد ما تقدم من ذكر حال الكاتمين ، وما قبله ، نظير قوله (**يأيها الناس اعبدوا ربكم**)[٥] ، وما اتصل به بعدما تقدم من بيان حال المنافقين ، وما قبله (**لا إله إلا هو / ١٦٣**) تقرير للوحدانية ، بنفي غيره ، وإثباته في الجملة الأولى ، دلّت على نسبة الوحدانية إليه ، والثانية على حصر الإلهية فيه بالنص ، وإن دلّت عليه الأولى بالالتزام . وقال في المنتخب : « لما قال (**وإلهكم إله واحد / ١٦٣**) ، أمكن أن يخطر ببال أحد أن يقول : هب أن إلهنا واحد ، فلعل إله غيرنا مغاير لإلهنا ، فأزال ذلك الوهم ، ببيان التوحيد المطلق ، فقال (**لا إله إلا هو /١٦٣**) »[٦] . (**الرحمن الرحيم /١٦٣**) أي المولي لجميع النعم أصولها وفروعها ، نبّه بذلك على استحقاق العبادة

---

(١) لم أعثر على ذلك . (٢) ابن خالويه (١١) .

(٣) ذكر أبو حيان القولين ، واستظهر الأول منهما ، وذلك لأنه لم يتقدم ما يعود عليها في اللفظ إلا اللعنة . البحر (٤٦٢/١) .

ويبدو لي أنه لا منافاة بين القولين ، لأن معنى خلودهم في اللعنة ، يعني خلودهم في النار ، ومع ذلك فالأولى إرجاع الضمير إلى (لعنة . . .)، لأنها هي المذكورة سابقاً ، والقول الثاني داخل فيها تبعاً .

(٤) الاستخدام هو ذكر اللفظ بمعنى وإعادة ضمير أو إشارة عليه بمعنى آخر أو إعادة ضميرين عليه تريد بثانيهما ما تريد بأولهما .

انظر بديع القرآن لابن أبي الإصبع (١٠٤) ، علوم البلاغة للمراغي (٣٤٠) ، ومعجم البلاغة العربية د. بدوي طبانة (٢٣٠/١) .

(٥) البقرة (٢١) .

(٦) البحر (٤٦٣/١) باختصار قليل جداً .



له ، ولما تقدم من ذكر اللعنة والعذاب ، جرياً على عادة القرآن ، من ذكر آية الرحمة بعد آية العذاب ، وعكسه ، وهو خبر هو مقدراً ، وفي الحديث : « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : (**وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو** /١٦٣) و(**الم ، الله لا إله إلا هو**)[١] » أخرجه أحمد[٢][٣] وفي سنن سعيد بن منصور[٤] وغيره عن أبي الضحى[٥] : « لما نزلت هذه الآية ، تعجب المشركون ، وقالوا : إلهاً واحداً ، لئن كان صادقاً ، فليأتنا بآية ، فنزل : (**إن في خلق السموات والأرض** /١٦٤)[٧] ،

---

(١) آل عمـــران (١) .

(٢) هو أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي ، رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة ، وكان إماماً في الحديث والفقه . من مصنفاته : المسند ، والزهد ، والجرح والتعديل ، توفي سنة ٢٤١هـ .
تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/١١٠ - ١١٢) ، والمجددون في الإسلام للصعيدي (١٣٨ - ١٤٠) .

(٣) الذي في المسند (٦/٤٦١) هو :
عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول في هاتين الآيتين : (**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**)، و(**ألم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم**) إن فيهما اسم الله الأعظم) .
وأما ما ذكره المؤلف هنا ، فهو ما رواه الترمذي ، إلا أن فيه : (وفاتحة آل عمران « ألم. . . »). ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . سنن الترمذي (٥/٥١٧) كتاب الدعوات - باب (٦٥) . ورواه أيضاً أبو داود (٢/١٦٨) كتاب الصلاة - باب (٣٥٨) . وابن ماجه (٢/١٢٦٧) كتاب الأدب - باب (٩) . وذكره السيوطي في الدر ، وزاد نسبته إلى الدارمي وأبي مسلم الكجي في السنن وابن الضريس وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان .
الدر (١/٣٦١) .

(٤) هو أبو عثمان ، سعيد بن منصور الخراساني المروزي ، ولد بجوزجان ، ونشأ ببلخ ، وسكن مكة ، ومات بها . قال عنه الإمام أحمد: « هو من أهل الفضل والصدق » ، وقال عنه أبو حاتم : « ثقة من المتقنين الأثبات ، جمع وصنف » ، توفي سنة ٢٢٧هـ .
تهذيب التهذيب (٢/٨٩ - ٩٠) ، والتاريخ الكبير (رقم ١٧٢٢) ، وشذرات الذهب (٢/٦٢).

(٥) هو مسلم بن صبيح الهمداني ، مشهور بكنيته ، ثقة فاضل . مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز . الكنى والأسماء لمسلم (١/٤٥٥) وتقريب التهذيب (٢/٢٤٥) .

(٧) جامع البيان للطبري (٣/٢٦٩) .
وذكره السيوطي في الدر (١/١٦٣) ، وزاد نسبته إلى وكيع والفريابي وآدم بن إياس وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة ، والبيهقي في شعب الإيمان .



جمع السموات ، لأنها أجناس مختلفة . كل سماء جنس كل الأخرى . ووحّد الأرض ، لأنها كلها تراب ، قاله الأصبهاني . وقال غيره : « لم تجمع الأرض ، لثقل جمعها ، وهو أَرَضُون ، ولهذا لما أُريد ذكر جميع الأَرَضِين قال : (**ومن الأرض مثلهن**)[1] ، وأما السماء ، فتارة ذُكِرت بصيغة الجمع ، وتارة بصيغة الإفراد لنكت تليق بذلك المحل . والحاصل أنه حيث أُريد العدد ، أتى بصيغة الجمع ، الدالة على سعة العظمة والكثرة ، نحو (**يُسَبِّح لله ما في السموات**)[2] أي جميع سكانها على كثرتهم ، (**تُسَبِّح له السموات**)[3] أي كل واحدة على اختلاف عددها ، (**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**)[4] . إذ المراد نفي علم الغيب عن كل [5] من هو واحدة من السموات ، وحيث أُريد الجهة ، أتى بصيغة الإفراد ، نحو (**وفي السماء رزقكم**)[6] ، (**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض**)[7] أي من فوقكم .

الكرماني : « قيل : لفظ الخلق مزيد ، لأن الآيات في المشاهد . وقيل : الخلق : الهيئة . وقيل : المخلوق »[8] . (**واختلاف الليل والنهار / ١٦٤**) قدّم الليل ، لأنه الأصل والأقدم ، (**والفلك التي تجري / ١٦٤**) أُنّث على معنى الجمع ، وذُكّر في قوله (**الفلك المشحون**)[9] على معنى الإفراد ، وجعل الصفة موصولاً صلته مضارع ، ليدل على تجدّد ذلك الوصف لها في كل وقت[10] يُراد منها . (**في البحر / ١٦٤**) ذكر للتوكيد ، إذ من المعلوم أنها لا تجري إلا في البحر)[11] . (**بما ينفع الناس /١٦٤**) قال أبو حيان : « اقتصر عليه - وإن كانت تجري بما يضر - لأنه في مَعرض الامتنان »[12] . و« ما » إما موصولة ، فالباء للمصاحبة ، أو مصدرية

---

(١) الطلاق (١٢) . (٢) الجمعة (١) ، التغابن (١) . (٣) الإسراء (٤٤) .
(٤) النمل (٦٥) . (٥) كلمة « كل » ليست في (ب) . (٦) الذاريات (٢٢) .
(٧) تبارك (١٦) . (٨) لباب التفسير (١/ ٤٨٩) .
(٩) الشعراء (١١٩) ، ويس (٤١) ، والصافات (١٤٠) . (١٠) كلمة « وقت » : غير موجودة في (أ) .
(١١) ما بين القوسين ليس موجوداً في (ب) . (١٢) البحر (١/ ٤٦٥) بمعناه .



فالباء سببية[١] . (**وما أنزل الله من السماء من ماء / ١٦٤**) في (**ما**) مع (**ماء**) و (**السماء**) جناس ناقص ذاك بحرف في الأخير ، وذلك بحرف في الأول ، و (**من**) الأولى ابتدائية ، والثانية بيانية . (**فأحيا به الأرض بعد موتها / ١٦٤**) نسبة الإحياء والموت إلى الأرض مجاز عقلي ، ويسمى مجازاً في الإسناد . قال أبو حيان : « كنّى بالإحياء عن ظهور ما أودع فيها من النبات ، وبالموت عن استقرار ذلك فيها ، وعدم ظهوره ، وهما كنايتان غريبتان ، لأن ما برز منها بالمطر ، جعل تعالى فيه القوة الغاذية والنامية والمحركة ، وما لم يظهر ، فهو كامِن فيها ، كأنه دفِين فيها[٢] ، وهي له قبر »[٣] . (**وبَثّ / ١٦٤**) يجوز عطفه على (**أنزل**) وعلى (**فأحيا**)[٤] والمعنى على هذا ، فأحيي الأرض بالمطر ، وبث فيها من كل دابة بالخصب ، فعلى هذا يكون الإحياء والبثّ مع الإنزال ، آية واحدة ، وعلى الأول ، يكون البَثّ آية مستقلة ، وهو الأولى : لأن المقصود تكثير الإنبات ، ولا يصح أن يكون الإحياء آية مستقلة مع الإنزال ، لأجل فاء السببية ، فالإنزال والإحياء كالسبب والمسبّب ، فصارا جميعاً كشيء واحد . قيل : وعطفه على « **فأحيا** » أبلغ ، من جهة أنه يفيد تَرتّبه على الإنزال في العبارة ، كما أنه ثابت في الواقع ، بخلاف ما إذا عطف على (**أنزل**) ، فإنه لا يفيد الترتيب في العبارة ، ولا شك أن الأول أبلغ وأدق ، لأنه وِزان قوله (**وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ، لنحيي به بلدةً ميتاً ، ونُسْقِيه مما خلقنا أنعاماً وأناسِي كثيراً**)[٥][٦] . و (**من**) هنا تبعيضية . أسم في موضع المفعول . (**وتصريف**

---

(١) وقد جوّز أبو حيان هذين الإعرابين . البحر (١/٤٦٥) .

(٢) كلمة « فيها » ليست في (ب) .

(٣) البحر (١/٤٦٥ - ٤٦٦) .

(٤) وقد استظهر الزمخشري الوجه الأول ، وجوّز الثاني . الكشاف (١/٣٤٥) . وانظر الدر المصون (٢/٢٠) ، وروح المعاني (٢/٣٢) .
واستظهر الشوكاني الوجه الثاني ، فتح القدير (١/١٦٤) .

(٥) الفرقان (٤٨) .

(٦) ذهب أبو حيان إلى أن قوله : (**وبث**) لا يصح عطفه على « **أنزل** » ولا على « **أحيى** » لأنه على التقديرين يكون في حيّز الصلة ، فيحتاج إلى ضمير يعود على الموصول ، وتقديره : وبث به فيها ، وحذف هذا الضمير لا يجوز ، لأن شرط جوازه -وهو مجرور بالحرف- أن يجر الموصول بمثله ، وهو مفقود هنا . =



الرياح/١٦٤) قرىء في السبع بالإفراد والجمع[١] ، وقال أُبيّ بن كعب - رضي الله عنه -: « كل شيء في القرآن من الرياح ، فهي رحمة ، وكل شيء فيه من الريح ، فهو عذاب » . أخرجه ابن أبي حاتم[٢] ، ولهذا ورد في الحديث : (اللهم اجعلها رِياحاً ، ولا تجعلها ريحاً)[٣] وذكر في حكمة ذلك ، أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والهيئات والمنافع ، وإذاً جاءت منها ريح ، أُثير لها من مقابلها ما يكسر سَوْرَتَها ، فينشأ من بينهما ريح لطيفة ، تنفع الحيوان والنبات ، فكانت في الرحمة رِياحاً ، وأما في العذاب ، فإنها تأتي من وجه واحد ، ولا معارض لها ، ولا دافع ، وقد خرج عن هذا آية يونس[٤] ، والشورى[٥] لنكتة تذكر هناك .

فإن قلت : فما معنى القراءة بالوجهين هنا ؟ .

قلت : الإشـارة إلى النـوعـين معاً ، فإن في كلٍّ آية ، وهذا من أنواع بلاغة القرآن . (وتصريف) مصدر مضاف للمفعول ، والفاعل الله . وقيل : الفاعل ، أي تصريف الرياح السحاب ، ورجّحه أبو حيان[٦] .

= ومن هنـا استصوب أبو حيان أنه على حذف الموصول ، أي وما بث ، وحذف ذلك الموصول لفهم المعنى ، وفيه زيادة فائدة ، وهو جعله آية مستقلة ، وحذف الموصول شائع في كلام العرب . البحـــر (١/٤٦٦) .

(١) قراءة الإفراد هي قراءة حمزة والكسائي ، وقراءة الجمع هي قراءة البقية . حجة القراءات (١١٨ - ١١٩) .

(٢) الدر المنثور (١/١٦٤) مع إبدال عبارة «في القرآن» بـ «فيه» .

(٣) هذا جزء من حديث رواه الطبراني -كما في مجمع الزوائد- عن ابن عباس ، وقال فيه الهيثمي : وفيه حسن بن قيس الملقب بحنش ، وهو متروك ، وقد وثقه حصين بن نمير ، وبقية رجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد (١٠/١٣٥ - ١٣٦) .

وأخرجه الشافعي في مسنده (٨١) باب : الاستسقاء ، بإسناد ضعيف جداً - كما ذكر الألباني . انظر مشكاة المصابيح : حديث رقم (١٥١٩) .

وذكره السيوطي في الدر (١/١٦٥) ، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ ، والبيهقي في المعرفة .

(٤) وذلك في قوله تعالى : (**هو الذي يسيركم في البر والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان . . .**) . يونس (٢٢) .

(٥) وذلك في قوله عز وجل : (**إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور**) . الشورى (٣٣) .

(٦) ذكر أبو حيان الوجه الأخير أولاً ، وقال باحتمال الثاني . البحر (١/٤٦٧) . وقد جوّز السمين الوجهين . الدر المصون (٢/٢٠٦) .



وعندي أنه لازم ، بمعنى تصرّف ، لا يحتاج إلى مفعول . (**لآيات لقوم يعقلون** / ١١٤) الكرماني : « خصّ العقل بالذكر ، لأن به يتُوصل إلى معرفة الآيات »[1] .
الأصبهاني : « علّمهم الله في هذه الآية ، كيفية الاستدلال على الصانع ، على توحيده ، وردّهم إلى التفكر في آياته ، والنظر في مصنوعاته »[2] ، فذكر أولاً ما هو أكبر وأظهر ، وهو السموات والأرض (**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس**)[3] ، وهو أول الأسباب في عالمنا هذا ، وضمّ إليه اختلاف الليل والنهار الذي هو من أسباب الحوادث المتجددة ، التابع لخلق السموات والأرض ، الدال على كمال القدرة دلالة ظاهرة ، لتجددهما على سبيل التعاقب ، ثم ذكر **الفُلْك** ، فإن جريها على الماء ، من أقوى الدلائل على وحدانية الخالق القادر الحكيم ، ثم ذكر إنزال الماء ، فإنه من الآيات الظاهرة التي يفتقر إليها ما على وجه الأرض من الحرث والشجر والدواب ، قال تعالى : (**وجعلنا من الماء كل شيء حي**)[4] ، ثم ذكر ما يترتّب عليه ، ويعقبه من إحياء الأرض ، وبثّ الدواب فيها ، وهو من الآيات البينات ، ثم ذكر تصريف الرياح والسحاب المسخر ، لأنهما من الحوادث الدالة على وجود المحدث ، ووحدانيته ، وقدرته ، وعلمه وحكمته ، (وأورد عدة آيات ، لأن في كل شيء له آية تدل على أنه واحد[5] ، لكن بعض الأشياء ، أوضح في الدلالة ، من بعض ، وعقول الناس في قبولها متفاوتة ، فإن عقل بعض الناس ، قد يكون له قابلية أن يأخذ من بعض الموجودات ، ولا يكون له قابلية أن يأخذ من وجه آخر .
فبيّن تعالى دلائل الوحدانية ، من وجوه متعددة ، وطرق متكثرة ، حتى يحصل لكلٍّ حظ ونصيب)[6] ، ثم بيّن أن هذه الأمور المذكورة ، آيات لقوم يعقلون ، الذين لا يتخذون أنداداً من دون الله ، يحبونهم كحب الله ، فإن من اتخذ أنداداً من دون

---

(١) أسرار التكرار في القرآن (٣٧) .
(٢) أنوار الحقائق (٢٢٢) .
(٣) غافر (٥٧) .
(٤) الأنبياء (٣٠) .
(٥) هذا أصلًا بيت شعر لأبي العتاهية . ديوان أبي العتاهية (١٢٢) .
(٦) ما بين القوسين لم أجده في «أنوار الحقائق» .

الله ، وخالط حبهم قلبه ، فقد فسدت فطرته ، وزال عقله ، ودخل في زمرة الأشقياء ، فلم تغن عنه الآيات ، وبهذا عرفت مناسبة اتصال الآية التي بعدها بها[1] »[2] انتهى كلام الأصبهاني . وقال أبوحيان : « رتّب الآيات ترتيباً غريباً ، فبدأ باختراع السموات ، لأن ذلك آية عظمى ، وقدّم السموات ، لعِظم خلقها وشرفها ، ثم ثنّى بذكر ما ينشأ عن العالم العلوي ، وهو الليل ، وقدّم الليل لسبقه في الخلق على النهار ، ثم ثلّث بذكر ما ينشأ عن العالم السفلي ، وهو الفلك ، ثم عقب بالمشترك بينهما ، وهو إنزال الماء من السماء ، وإحياء الأرض به ، ثم ختم بما لا تتم النعمة للإنسان إلا به ، وقدّم تصريف الرياح على السحاب ، لتقدم ذكر الفلك على إنزال الماء في الذِكر ، ولأن الرياح هي المسيِّرة للسحاب »[3] . (**ومن الناس / ١٦٥**) قال الأصبهاني : « لما ذكر تعالى الآيات الدالة على وحدانيته ، أعلم أن قوماً -بعد هذه الدلالة البينة- يتخذون الأنداد من دون الله تعالى »[4] . وقال أبوحيان : « قرر[5] التوحيد بالدلائل الباهرة ، أعقب ذلك[6] بذِكر من لم يُوَفَّق[7] ، واتخاذه الأنداد ، ليظهر تفاوت ما بين المنهجين[8] .

والضد يظهر حسنه الضد[9]

وأنه مع وضوح هذه الآيات ، لم يشاهد هذا الضّال شيئاً منها »[10] . قال : « والأحسن حمل الناس هنا على الطائفتين من المشركين ، وأهل الكتاب ، بدليل (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**)[11] . ويؤيده قوله (**يحبونهم/١٦٥**)

(١) « بها » ليست في (أ) .
(٢) أنوار الحقائق (٢٢٤) .
(٣) البحر (١/٤٦٨) مع التصرف والشرح .
(٤) أنوار الحقائق (٢٢٤) .
(٥) في النسختين : قيد - وما أثبتناه من البحر (١/٤٦٩) .
(٦) كلمة « ذلك » مضافة من البحر (١/٤٦٩) .
(٧) في النسختين « توقف » - وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٨) فراغ فيهما ، وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٩) (١٠) البحر (١/٤٦٩) . (١١) التوبة (٣١) .

بضمير العقلاء ، ورُوعي في فاعله معنى « من » ، وفي فاعل (**يتخذ**) لفظها ، وفي (**يتخذ من دون الله ، أنداداً**/ ١٦٥) تجريد ، على حد قولهم : اتخذت من زيد صديقاً »[١] ، وقرىء (**يحبونهم**) بفتح الياء[٢] ، لغة . (**كحب الله** / ١٦٥) مصدر مضاف إلى مفعول ، فقيل : التقدير ، كحبهم الله . وقيل : كحب المؤمنين الله . وقيل : كالحب الذي يجب أن يكون لله[٣] . (**والذين آمنوا أشد حبًّا لله** / ١٦٥) أي من حبّ الكافرين للأنداد . ولم يقل أحبّ لله ، لأن ذلك في فعل الفاعل ، لا المفعول . (**ولو ترى**) بالتاء[٤] ، خطاب للرسول ، أو لكل مخاطب ، وهو من رؤية البصر . و(**الذين ظلموا**) مفعول ، و(**إذ**) ظرف لـ(**يرى**) ، أي في حال رؤيتهم ، أو إراءتهم العذاب ، وفيه استعمال (**إذ**) للمستقبل ، وقرىء على هذا (**يرون**) بالبناء للفاعل وللمفعول[٥] ، وجواب « لو » محذوف ، أي لرأيت أمراً فظيعاً . و(**أن القوة** / ١٦٥) بالكسر[٦] استئناف ، وبالفتح بدل من « أمراً » ،

---

(١) البحر (١/ ٤٦٩) بتصرف واختصار .

(٢) عن أبي رجاء العطاردي - البحر (١/ ٤٧٠) .

(٣) هذا القول الأخير ، جاء على أن « الحب » مصدر مبني للمفعول ، وهو ما ذكره الزمخشري أولاً . الكشاف (١/ ٣٢٦) .

وقد تعقبه أبو حيان ، بأن في ذلك خلافاً ، وهو هل يجوز أن يعتقد في المصدر أنه مبني للمفعول ، ثم يضاف إليه ، أم لا يجوز ذلك فيه . وذهب أبو حيان إلى أن الأصح في ذلك المنع . البحر (١/ ٤٧٠) . وهو ما صححه السمين أيضاً . الدر المصون (٢/ ٢١١) .

والقول الأول ، هو اختيار الزجاج ، وهو يعني أن فاعل المصدر ، ضمير المتخذين ، أي يحبون الأصنام ، كما يحبون الله ، لأنهم أشركوها مع الله تعالى فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة . معاني القرآن (١/ ٢٣٧) ، والبحر (١/ ٤٧٠)، وانظر تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠٢) . وأما القول الثاني ، فقد قال به الفراء (معاني القرآن ١/ ٩٧) . وإليه مال الشوكاني (فتح القدير ١/ ١٦٥) . وهو مروي عن ابن عباس ، وعكرمة ، وأبي العالية ، وابن زيد ، ومقاتل .

جامع البيان (٣/ ٢٨٠) ، وزاد المسير (١/ ١٧٠) ، والجامع للقرطبي (٢/ ٢٠٤) ، والبيان لابن الأنباري (١/ ١٣٣) .

(٤) قرأ بذلك نافع وابن عامر . الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/ ٢٧١) .

(٥) القراءة الأخيرة هي قراءة ابن عامر ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . المرجع السابق (١/ ٢٧١) ، وحجة القراءات (١٢٠) .

(٦) عن الحسن وقتادة وشيبة ويعقوب وأبو جعفر . الدر المصون (٢/ ٢١٣) .



مفعول لرأيت المقدّر. وقيل: هو مفعوله، والمقدّر لرأيت خاصة[1].

وأما على قراءة (**يرى**) بالتحتية[2]، فهي عِلْمية. و(**الذين**) فاعل، و(**أن القوة**) بالفتح مفعول، وجواب (**لو**) مقدر بعده، والمعنى: ولو يعلم الذين ظلموا الآن، أن القوة لله جميعاً، لا للأنداد، حال رؤية العذاب في الآخرة، لما اتخذوها، ولآمنوا[3]. (**إذ تَبَرَّأَ** / ١٦٦) بدل من (**إذ يرون**). (**الذين اتُّبِعُوا** / ١٦٦) هم الأنداد المُتَّخَذُون. (**من الذين اتَّبَعُوا** / ١٦٦) أي الكفار. وقرىء بالبناء للفاعل في الأول، وللمفعول في الثاني[4]، فتبرؤهم بالندم على الكفر. (**ورأوا العذاب** / ١٦٦) حال، تبرؤوا في حال رؤيتهم، أو عطف[5]. (**وتَقَطَّعَت** / ١٦٦) عطف على (**تبرأ** / ١١٦). (**بهم**) بمعنى: عنهم. (**الأسباب** / ١٦٦) وهو كناية عن ألا ملجأ لهم من العذاب ولا مَخْلَص. قال أبو حيان: « في هذه الجملة من أنواع البديع، نوع يسمى الترصيع، وذلك في موضعين، في (**اتُّبِعُوا**)، و(**اتَّبَعُوا**)، ولِذا حَسُن حذف ضمير الموصول، وفي

---

(١) انظر الحجة للفارسي (٢/٢٦٣)، والبيان لابن الأنباري (١/١٧٠)، والبحر (١/٤٧٣).

(٢) قرأ نافع وابن عامر (ترى) بالفوقية، وقرأها الباقون بالتحتية. حجة القراءات (١١٩ - ١٢٠).

(٣) هذا التقدير هو معنى القول الذي ذكره ابن عطية أولاً، حيث قال:

«وتقدير ذلك: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا، في حال رؤيتهم للعذاب، وفزعهم منه واستعظامهم له، لأقروا أن القوة لله».

المحرر الوجيز (١/٥٥).

وقد تعقب أبو حيان قوله هذا، بأن « فيه مناقشة، وهو قوله: « في حال رؤيتهم العذاب » وكان ينبغي أن يقدر بمرادف (إذ)، وهو قوله: « في وقت رؤيتهم العذاب »، وأيضاً فقدر جواب « لو »، وهو غير مترتب على ما يلي (لو)، لأن رؤية السامع أو النبي -ﷺ- الظالمين في وقت رؤيتهم، لا يترتب عليها إقرارهم أن القوة لله جميعاً، وصار نظير قولك: يا زيد لو ترى عمراً في وقت ضربه، لأقر أن الله قادر عليه، وإقراره بقدرة الله ليست مترتبة على رؤية زيد ». البحر (١/٤٧١ - ٤٧٢).

وقدّر أبو حيان أن الجواب: لاستعظمت ما حلّ بهم، بناء على قراءة (ولو ترى) بالتاء، وأما على قراءتها بالياء، فإن تقديره هو: لاستعظموا ذلك. النهر المارد (حاشية البحر ١/٤٧١)، وراجع الدر المصون (٢/٢١٣-٢١٤).

(٤) عن مجاهد. الدر المصون (٢/٢١٧).

(٥) وقد استظهر السمين هذا القول الثاني. الدر المصون (٢/٢١٧).



(**العذاب**) و(**الأَسباب**) »[1]. (**وقال**) عطف على (تَقَطَّعَت) . (**كذلك / ١٦٧**) أي كما أراهم الله التبرؤ . وقيل : هو منفصل ، أي الأمر كذلك[2]. (**حسرات / ١٦٧**) ثالث مفاعيل (**يريهم / ١٦٧**) ، والمعنى أن أعمالهم ، تنقلب حسرات عليهم ، فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم . وقيل (**عليهم / ١٦٧**) إشارة للاستعلاء والغلبة . (**وما هم بخارجين من النار / ١٦٧**) قال الأصبهاني : « أفاد تقديم (هم) الاختصاص ، فإن العصاة من المسلمين يخرجون ، وقد عَدَل عنه الزمخشري ، مع اعتنائه به ، مراعاة لمذهبه »[3][4]. (**يأيها الناس / ١٦٨**) قال أبو حيان : « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه لما بيَّن التوحيد ، ودلائله[5]، اتبع ذلك

(١) لم أجده في البحر .

(٢) هذا قول أبي البقاء ، وهو ما عليه القرطبي . الإملاء (١/٧٤) ، والجامع (٢/٢٠٦) .
وقد ضعّف أبو حيان هذا القول ، لأنه يقتضي زيادة الكاف ، وحذف مبتدأ ، وكلاهما على خلاف الأصل . البحر (١/٤٧٤) .
وذهب أبو حيان إلى أن الكاف في (كذلك) على بابها من التشبيه ، كما هو الحال في القول الأول الذي ذكره المؤلف هنا ، ولكن أبو حيان اختار أن التقدير هنا : مثل إراءتهم تلك الأهوال يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . البحر (١/٤٧٤ - ٤٧٥) .
والتقدير الأول حكاه أبو حيان عن صاحب المنتخب ، حيث ذكر أن قوله (كذلك) إشارة إلى تبرؤ بعضهم من بعض . البحر (١/٤٧٥) .
وقد نحا أبو حيان إلى ترجيح التقدير الذي ذكره هو ، لأن فيه تشبيه الإرادة بالإراءة . المرجع السابق .

(٣) جعل الزمخشري الضمير المذكور لتأكيد نسبة الخلود إليهم ، لا اختصاصه بهم : وذلك فراراً من نقض مذهبه ، من أن الفاسق يخلد في النار ، ولا يخرج منها ، وهو خلاف مذهب أهل السنة . الكشاف (١/٣٢٧) .
ويبدو أنه لا دلالة في الآية على أيّ من المذهبين ، لأنك إذا قلت : ما زيد بمنطلق ، إنما في ذلك دلالة على نفس انطلاق زيد ، وإما أن في ذلك دلالة على اختصاصه بنفي الانطلاق أو مشاركة غيره له في نفي الانطلاق ، فلا ، إنما يُفهم ذلك من دليل خارجي .
هذا بالإضافة إلى أن الآية تدل على دخول الكفار النار وعدم خروجهم منها ، ولا تدل على أن من دخل النار من عصاة المؤمنين لا يخرج منها ، لأن الضمير في (هم) عائد على الكفار . وهذا هو توجيه أبي حيان في البحر (١/٤٧٥) ، وانظر الجامع للقرطبي (٢/٢٠٧) .

(٤) هذا ملخص عبارة الأصبهاني في أنوار الحقائق (٢٢٤) .

(٥) في البحر (١/٤٧٨) : « وما للتائبين والعاصين » .



بذكـر إنعـامه على الكافر والمؤمن ، ليدل أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام »[1] ، [بدليل (قال ومن كفر)[2] ، ولذلك أتى بالنداء العام ولم يخص الذين آمنوا][3] . وقال المروزي[4] : « لما حذّر المؤمنين من حال من يصير عملُه عليه حسرة ، أمرهم بأكل الحلال ، لأن مدار الطاعة عليه »[5] .

وقيل : نزلت في من حرّم البحيرة ونحوها[6] ، ولذا قال : (**وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا / ١٧٠**) ، وهذا هو التحقيق[7] ، ونـاسب ذكره ما قبله ، لأن تحريم ما ذكر ، إنما أخذوه عن آبائهم ، عن الأنداد الذين اتخذوهم قدوة في تحريم ما لم يحرمه الله . (**كلوا مما في الأرض / ١٦٨**) أدخل « من » التبعيضية ، لأنه ليس كل ما في الأرض يمكن أكله ، أو يَحِل . (**حلالاً / ١٦٨**) . الراغب : هو مستعار من حلّ العقدة »[8] . الأصبهاني : « في الحلال المبـاح الذي انحلت عنه عقدة الحظر »[9] . (**طَيّباً / ١٦٨**) صفة مؤكدة[10] ، أو بمعنى مستلذاً[11] ، أو طاهراً[12] ، قال في المنتخب : « الأصل في الطيب ما يُستلذ

(١) المرجع السابق . (٢) البقـرة (١٢٦) .
(٣) ما بين القوسين لم أجده في البحر ، ويبدو أنه زيادة من مؤلفنا .
(٤) لعله أبو معاذ ، الفضل بن خالد النحوي المروزي ، قارىء ، توفي قريباً من سنة ٢٢١هـ . طبقات القراء لابن الجزري (٢/ ٩) .
(٥) البحـر (١/ ٤٧٨) .
(٦) انظـر زاد المسير (١/ ١٧٢) .
(٧) وسواء كان المذكور هنا ، هو سبب نزول الآية أو غيره ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما هو معلوم .
(٨) المفـردات (١٢٨ - مادة : حل) بمعناه .
(٩) أنـوار الحقـائق (٢٢٤) .
(١٠) بمعنى أن (طيباً) و (حلالاً) بمعنى واحد ، وهو قول مالك وغيره . البحر (١/ ٤٧٨) .
(١١) بمعنى أن (طيباً) مخصص لما قبله ، لأن معناه مغاير لمعنى الحلال ، وهو المستلذ ، وهذا قول الشافعي وغيره . ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر ، وكل ما هو خبيث . البحر (١/ ٤٧٨) ، وانظر الجامع للقرطبي (٢/ ٢٠٨) ، والبيان لابن الأنباري (١/ ١٣٦) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠٣) .
(١٢) قاله الزمخشري مطولاً ، وذلك حيث قال : « طاهراً من كل شبهة » . الكشـاف (١/ ٣٢٧) .



، ووُصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه ، لأن النجس تكرهه النفس ، والحرام لا يُستلذ ، لأن الشرع منه[1] . (**خطوات/ ١٦٨**) قرىء في السبع بضم الخاء والطاء اتباعاً ، وبضم الخاء وسكون الطاء تخفيفاً[2] ، وإبقاء على الأصل في المفرد ، إذ هو خطوة ، وهي بالضم ، ما بين القدمين ، أي لا تتبعوا سبيله ، ولا تسلكوا طريقه ، ولا تقفوا أثره .

وقرأ أبو السَّمّال بفتح الخاء والطاء[3] ، جمع خَطوة ، وهي الفعلة . قال ابن جني : « فالخُطوات طرائق[4] الشيطان ، والخَطوات بالفتح ، أفعاله »[5] . وقرىء بضم الخاء ، وفتح الطاء[6] وبضمهما ، وهمز[7] ، من الخطأ ، جمع خِطْأَة . قال الزمخشري : « النهي عن اتباع خطوات الشيطان ، كناية عن ترك الاقتداء به ، وعن اتباع ما سنّ من المعاصي ، يقال : زيد اتبع خطوات عمرو ، وطيء على عقِبه ، إذا سَلَك مسلَكَه »[8] . (**إنه لكم عدو مبين / ١٦٨**) تعليل لهذا التحذير من الاتباع . (**إنما يأمركم /١٦٩**) بيان للعداوة . (**والفحشاء /١٦٩**) قيل[9] : كل ما في القرآن من ذكر الفحشاء ، فهو الزنى ، إلا قوله : (**الشيطان يَعِدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء**)[10] فهو منع الزكاة ، وأصله من الفُحْش ، وهو قبح المنظر ، ثم تُوسِّع فيه ، فاستُعْمِل فيما يُستقبح من المعاني[11] .

---

(١) البحر (١/٤٧٩) .

(٢) هذه القراءة الأخيرة ، هي قراءة نافع وأبي عمرو وحمزة وأبي بكر والبزي وأما القراءة السابقة ، فهي قراءة البقية . حجة القراءات (١٢٠ - ١٢١) .

(٣) المحتسب (١/١١٧) .

(٤) في (أ) : طريق . (٥) المرجع السابق .

(٦) عن أبي السمال أيضاً . البحر (١/٤٧٩) .

(٧) عن علي وقتادة والأعمش وسلام - كما في البحر (١/٤٧٩) . وعن عمرو بن عبيد وعيسى بن عمر - كما في ابن خالويه (١١) .

(٨) في الكشاف (١/٣٢٧) : « يقال : اتبع خطواته ، ووطىء على عقبه ، إذا اقتدى به ، واستنّ بسنته » .

(٩) هذا قول مقاتل - كما في الجامع للقرطبي (٢/٢١٠) .

(١٠) البقرة (٢٦٨) .

(١١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٤٧٨) مادة : فحش .



الكشاف : « فإن قلت : كيف كان الشيطان آمراً ، مع قوله : (**ليس لك عليهم سلطان**)[1] ؟ . قلت : شبّه تزيينه وبعثه على الشر ، بأمر الآمر ، وهم لقبولهم لوساوسه وطاعتهم له بمنزلة المأمورين »[2] . (**وإذا قيل لهم** / ١٧٠) فيه التفات عن الخطاب إلى الغيبة ، للنداء على ضلالهم[3] لأنه لا ضال أضلّ من المقلِّد ، كأنه يقول للعقلاء ، انظروا إلى هؤلاء الحمقى ، الذين دُعُوا إلى اتباع شريعة الله ، التي هي الهدى والنور ، فأجابوا باتباع ضلال آبائهم .

الطيبي : « الأَولى جعل الآية عامة في الكفرة ، وعليه النظم ، وذلك أنه تعالى خلق المكلفين ورزقهم ما به يعيشون ويتمتعون ، وأوجب عليهم الطاعة ، شكراً لتلك النعمة ، بقوله (**يأيها الناس اعبدوا ربكم ، الذي خلقكم**)[4] الآيات ، وأرسل إليهم الرسل ، ليدلّوهم على الهدى ، ثم إن الشيطان أحالهم ، حتى كفروا بنعمة الله ، فإذا قال لهم الأنبياء : اتبعوا ما يرشدكم إلى الهدى ، ولا تتبعوا ما يضلّكم عن السبيل ، قالوا : بل نتبع ما أَلْفَينا عليه آباءنا ، فهذا هو التحقيق ، لأن السورة في بيان إثبات التوحيد والنبوات ، ووضع الأحكام ، والتنبيه على خطأ الناس في الضلالات وإرشادهم إلى الحق ، فإنه تعالى كلما ذكر نُبَذاً عن أحوال الأمم وقصصهم ، كرّ إلى هذا المعنى » انتهى . وبُني (**قيل**) للمفعول ، لأنه أخصر ، لأن الآمر لذلك ، هو الرسول وأتباعه من المؤمنين . (**ما أنزل الله** / ١٧٠) فيه إعلام بتعظيم ما أُمروا باتباعه ، إذ نسب إنزاله إلى الله الذي هو المشرِّع للشرائع ، وكان ينبغي أن يُتلَقّى بالقبول . (**ما ألفَيْنا** / ١٧٠) في المائدة ولقمان (**وجدنا**)[5] ، لأن (**ألفينا**) أخص ، إذ لا تطلق على مطلَق الوجود ، فلا يقال : ألفيتُ زيداً ،

---

(١) الإسراء (١٦٥) .

(٢) الكشاف (١/٣٦٨) بقليل من الاختصار .

(٣) في (ب) : ضلالهم .

(٤) البقرة (٢١) .

(٥) في المائدة (١٠٤) : **(قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا. . .)** . وفي لقمان (٢١) : **(قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا)** .



بمعنى وجدت زيداً ، وإنما يقال : ألفيتُ زيداً عاقلاً ، وألفيته على الهدى ، وعلى الضلالة ، بخلاف «وجدت» ، فإنها يجوز إطلاقها على مطلق الوجود ، كما تُطْلَق على الـوجـود المخصـوص ، فكان الموضع الأول أولى باستعمال اللفظ الأخص ، وأخّر اللفظ المشترك إلى الثاني والثالث . (**أَوَلَوْ** / ١٧٠) استفهام تعجيب وإنكار ، أي يتبعونهم و(لو كان آباؤهم لا يعقلون/١٧٠) . في المائدة (**لا يعلمون**)[١] **لأن** العلم أبلغ درجة من العقل ، ولهذا جاز وصف الله بالعلم دونه ، وكان دعواهم في المائدة أبلغ ، لقـولهم : (**حسبنـا ما وجـدنـا عليـه آبـاءنـا**)[٢] ، فادّعـوا النهـاية بلفظ (**حسبنا**) ، فنفى ذلك بالعلم ، وهو النهاية ، وهنا (**بل نتبع ما ألفينا**) ، ولم يكن نهاية ، فنفى بما دون العلم ، لتكون كل دعوى منفية بما يلائمها .

أبو حيان : « (لَو) في مثل هذا التركيب شرطية ، كقوله : « أعطُوا السائل ، لو جاء على فَرَس »[٣] ، واضرب زيداً ، ولو أَحْسَن ، أي وإن ، ومعناها التنبيه على أن ما بعدها لم يكن يناسب ما قبلها ، لكنها جاءت لاستقصاء الأحوال التي يقع فيها الفعل ، ولتدل على أن المراد بذلك وجود الفعل في كل حال ، حتى في هذه الحال التي لا تناسب الفعل . ولذلك لا يجوز : اضرب زيداً ، ولو أساء ، ولا أعطوا[٤] السائل ، ولو كان محتاجاً »[٥] ، انتهى[٦] . (**ومثل الذين كفروا** / ١٧١) تشبيه لمن دُعي إلى اتبـاع ما أنـزل الله ، فأعـرض وتولّى ، ولم يُجِب ، وأصرّ على ضلاله . (**كمثـل الـذي يَنْعِق** / ١٧١) الكـرمـاني : « التقـدير : مثل الذين كفروا معك يا محمد ، كمثل الناعِق مع الغَنَم ، فحذف من كل طرف ، ما يدل عليه الطرف

(١+٢) المائـــدة (١٠٤) .

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ ، ولكن بلفظ (... وإن جاء ...) . الموطأ (٢/٩٩٦) كتاب الصدقة - باب : « الترغيب في الصدقة » .
ونسبه السيوطي في الجامع الصغير إلى ابن عدي في الكامل ، وضعفه . فيض القدير (١/٥٦٢). وانظر ضعيف الجامع الصغير للألباني - حديث رقم (١٠٤٣) .

(٤) في (ب) : تعطوا .

(٥) البحر (١/٤٨١) بتصرف وبعض اختصار .

(٦) كلمة « انتهى » ليست في (ب) .



الآخر ، وهو أبلغ ما يكون من الكلام »[1] .

قلت : وهو المسمى في البديع بالاحتباك ، وفيه تشبيه داعي الكفر بداعي البهائم ، والكفار بالبهائم ، وهو الذي اختاره في الآية سيبويه[2] وابن طاهر[3] وابن خروف[4] والشلوبين[5][6] ، والنعيق : دعاء الراعي وتصويته بالغنم ، ووقع التشبيه براعي الغنم ، لأنها من أبلد الحيوان . (**إلا دعاءً ونداءً** / ١٧١) قيل : هو من عطف المترادفين . الراغب : « الدعاء : النداء ، لكن النداء قد يقال إذا قيل يا ، وأيا ، ونحو ذلك ، من غير أن يُضم إليه الاسم ، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم ، نحو : يا فلان »[7] ، ثم قال في حرف النون : « النداء رفع الصوت وظهوره ، وقد يقال للصوت المجرد ، وإياه قصد بقوله (**بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً**) أي لا يعرف إلا الصوت المجرَّد ، دون المعنى الذي يقتضيه تركب الكلام »[8] . وقال غيره : النداء يختص بالجهر ، وقيل : بالبعد ، وقيل : بغير

---

(١) لباب التفسير (١/٥٠١) بنحوه .

(٢) الكتاب (١/٢١٢) .

(٣) هو أبو بكر ، محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري الإشبيلي ، المعروف بالخدبّ - أي الرجل الطويل - نحوي حافظ بارع ، كان يرحل إليه في العربية ، وكان يقرىء بفاس ، ويتعانى الخياطة ، توفي سنة ٥٨٠هـ . بغية الوعاة (١٣) . ولسان الميزان (٥/٤٨) .

(٤) هو أبو الحسن ، علي بن محمد الحضرمي المعروف بابن خروف نسبته إلى حضرموت ، ولعل أصله منها ، وقد كان من أهل إشبيلية بالأندلس ، كان ينتقل في البلاد ، ولا يسكن إلا في الخانات ولم يتزوج قط ولا تسرى . كان عالماً بالعربية ، له كتب منها : « شرح كتاب سيبويه » ، و« شرح الجمل للزجاجي » ، توفي سنة ٦٠٩هـ .
وفيات الأعيان (١/٣٤٣) ، فوات الوفيات (٢/٧٩) ، وإرشاد الأريب (٥/٤٢٠) .

(٥) هو أبو علي ، عمر بن محمد الأزدي ، الشلوبيني أو الشلوبين ، نسبة إلى حصن «الشلوبين» أو «شلوبينية» بجنوب الأندلس . وقد كان من كبار العلماء بالنحو واللغة ، من مصنفاته «القوانين» في علم العربية ، ومختصره « التوطئة » ، و« شرح المقدمة الجزولية » في النحو ، و« تعليق على كتاب سيبويه » ، توفي سنة ٦٤٥هـ . وفيات الأعيان (١/٣٨٢) ، والديباج المذهب (١٨٥) ، وكشف الظنون (٥٠٨) .

(٦) انظر البحر (١/٤٨٣) ، وراجع الدر المصون (٢/٢٢٩ - ٢٣٣) .

(٧) المفردات (١٦٩ - ١٧٠) مادة : دعا ، بتصرف قليل .

(٨) المفردات (٤٨٦) - مادة : ندا .



المعينّ . وقال الرماني[1] : « إنما عطف ، لأن الدعاء طلب الفعل ، والنداء إجابة الصوت »[2] ، وأصل النداء من الندى ، أي الرطوبة ، واستعارته للصوت من حيث إنه من يكثر رطوبة فمه ، يحسن كلامه ، ومنه قولهم : رطباً لسانه ، ولهذا يُوصف الفصيح بكثرة الرِّيق . (**صُمٌّ**) أي هم صمٌ عن الحق ، فلا يسمعونه ، (**بُكْمٌ**) عنه ، فلا يقولونه ، (**عُمْيٌ**) عنه ، فلا يبصرونه . (**فهم لا يعقلون / ١٧١**) شيئاً من التوحيد ومعرفة الله . والختم به بخلاف الآية في أول السورة ، لتشبيه الكفار في أول الآية بالبهائم الذين لا عقل لهم . (**يأيها الذين آمنوا كلوا / ١٧٢**) لما عمّم الخطاب بالأكل في الآية السابقة ، ميّز المؤمنين بهذا النداء ، تشريفاً لهم ، وتنبيهاً على خصوصيتهم . (**رزقناكم**) أسند إلى نون العظمة ، لما في الرزق من الامتنان والإحسان . (**واشكروا لله**) فيه التفات من التكلم . (**إن كنتم إياه تعبدون**) التقديم للاختصاص ، أي إن كنتم تخصونه بالعبادة ، ولا تشركون به . (**إنما حرّم / ١٧٣**) لما أمر بالأكل من الحلال وأراد تبيينه ، وكانت وجوهه كثيرة ، بيّن الحرام لكونه أقل ، فبقي ما سواه على الحِل ، حتى يَرِد منع آخر ، فهو من الإيجاز البليغ ، ونظيره لما سُئل رسول الله -ﷺ- : « ما يلبس المحرم من الثياب ؟ فقال : لا يلبس القمص ولا العمائم » ، الحديث[3] فعدل عن المباح الكثير إلى الحرام ، لقلته وحصره .

---

(١) هو أبو الحسن ، علي بن عيسى الرماني ، أصله سامراء ، ومولده ووفاته ببغداد ، وهو معتزلي ، مفسر ، من كبار النحاة ، من كتبه : « الأسماء والصفات » و« شرح أصول ابن السراج » ، و« شرح سيبويه » ، وكتاب : « التفسير ». توفي ٣٨٤هـ .
بغية الوعاة (٣٤٤) ، ووفيات الأعيان (١/٣٣١) ، وتاريخ بغداد (١٢/١٦) ، ومفتاح السعادة (١/١٤٢) ، وإنباه الرواة (٢/٢٩٤) .

(٢) الدر المصون (٢/٢٣٤) .

(٣) رواه مسلم بلفظ (لا تلبسوا القمص ، ولا العمائم ، ولا السراويلات ، ولا البرانس ولا الخفاف ، إلا أحد لا يجد النعلين ، فليلبس الخفين ، وليقطعهما أسفل من الكعبين ، ولا تلبسوا من الثياب شيئاً مسه الزعفران ولا الورس) .
صحيح مسلم (١/٨٣٤) - كتاب الحج باب : (١) ، حديث رقم (١١٧٧) .



وقرىء (حرم / ١٧٢) بالبناء للمفعول ، بفتح الحاء ، وضم الراء ، مخففاً ورفع الميتة[١] . (ولحم الخنزير) خص اللحم بالذكر ، والمراد كل أجزائه ، لكونه معظم ما ينتفع به ، كما[٢] نصّ على قتل الصيد في الإحرام ، والمراد جميع أنواع التعرُّض له ، وعلى البيع يوم الجمعة ، والمراد كلّ ما شَغَل . وقال ابن عطية : « خصّ اللحم ، ليُدل على تحريم عينه ، ذُكِّي أم لم يُذَكَّى »[٣] . (وما أُهِلَّ لغير الله / ١٧٣) أي ما ذُكِر على ذبحه اسم غير الله ، من الأصنام . الكرماني : « قدَّم (به) هنا ، وأخرّه في المائدة[٤] ، والأنعام[٥] ، والنحل[٦] ، لأن تقديم الباء الأصل ، وهو يجري مجرى الهمزة[٧] والتشديد في التعدِّي ، فصار كحرف من الفعل ، فكان الموضع الأول ، أولى بما هو الأصل ليعلم ما يقتضيه اللفظ ، ثم قدَّم فيما سواه ما هو المستنكر ، وهو الذبح لغير الله ، وتقديم ما هو الغرض أولى »[٨] . وقال صاحب المناجاة : « لما أتى هنا بإنما ، المفيد للحصر ، ناسبه تقديم (به) المفيد للحصر ، ولما لم يؤت به هناك ، لم يقدِّمه » . الشيخ سعد الدين : « الحصر هنا إضافي ، أي بالإضافة إلى ما حرّمه المؤمنون من المستلذات ، والكفار من السوائم ونحوها ، فيصح القصر إفراداً ، وقلب إضافة لا حقيقة » . (فمن اضطر / ١٧٣) حمل أمر يكرهه ، ويكون بسبب خارج ، كمن يضرب أو يهدد حتى يفعل منقاداً ، أو يؤخذ قهراً ، فيحمل على ذلك ، ومنه : (ثم أضطره إلى عذاب النار)[٩] ، أو داخل ، وذلك إما بقهر قوة لا يناله بدفعها هلاك ، كمن غلب عليه شهوة خمر أو

---

(١) عن أبي الزناد : ابن خالويه (١١) .

(٢) في (أ) : كل .

(٣) المحرر (٢/ ٦٩) بقليل من الاختصار .

(٤) المائـدة (٣) .

(٥) الأنعام (١٤٥) .

(٦) النحـل (١١٥) .

(٧) في النسختين « الألف » ، وما أثبتناه من « أسرار التكرار » (٣٨) .

(٨) أسـرار التكـرار (٣٨) بتصرف قليل .

(٩) البقرة (١٢٦) .

قمار ، أو يناله ، كمن اشتد به الجوع ، فاضطر إلى ميتة ، وعلى هذا قوله : (**فمن اضطر غير باغ**) ، وقوله : (**أَمَّن يجيب المضطر**)[١] عام في كل ذلك . الأصبهاني : « أصل الاضطرار ، عدم الامتناع عن الشيء قهراً »[٢] . (**غير باغ**) نصب على الحال . وقيل : على الاستثناء[٣] . (**فلا إثم عليه**) صرّح بنفي الإثم هنا ، لأنه أول المواضع ، واكتفى في بقية المواضع به ضِمناً ، لأن قوله (**غفور رحيم / ١٧٣**)يدل عليه . الكرماني : « قال في الأنعام : (**فإن ربك غفورٌ رحيمٌ / ١٤٥**) ، وفي سواها (**فإن الله**)[٤] ، لما سبق في سورة الأنعام من[٥] ذكر ما فيه تربية الأجسام ، من قوله : (**وهو الذي أنشأ جنات**) ، وفيها ذكر الحبوب ، والثمار ، وأتبعها بذكر الحيوان ، من الضأن والمعز والبقر والإبل ، فكان ذكر الرب فيها أَلْيَق »[٦] .

وقال صاحب المناجاة : « لما ساق في الأنعام صيغة التحريم على لسان نبيه -ﷺ- في قوله (**قل لا أجد فيما أُوحي إليّ محرماً / ١٤٥**) ، وقد قال في حقه : (**وما ينطق عن الهوى**)[٧] ، ولا تربية أعظم من تعليم المعلم الذي ربّاه ورقّاه إلى أن صار معلماً ، مع أنه أُمّي لا يقرأ ولا يكتب ، كان ذِكر الرب أنسب ، وفي غيرها لم يسق التحريم على لسان رسوله ، بل أسنده إلى الله ، فكان لفظ الله ، أولى بالمقام » . (**إن الذين يكتمون /١٧٤**) عَوْد إلى قصة الكاتمين ، وقد تقدّم ذِكرهم ، كما هو عادة القرآن من الاستطراد من قصة إلى أخرى ، ثم العَوْد إلى الأولى وهو حقيقة الاستطراد ، وبه يفارق حسن التخلُّص ، فإنه ليس[٨] فيه العَوْد إلى المعنى المتخلَّص

---

(١) النمل (٦٢) .

(٢) في أنوار الحقائق (٢٢٦) : « معناه : ألجىء وأحوج . . . » .

(٣) انظر البحر (١/ ٤٩٠) ، والدر المصون (٢/ ٢٣٩) ، والجامع للقرطبي (٢/ ٢٣١) . والقول الأول هو اختيار أبي حيان والسمين .

(٤) النجم (٣) .

(٥) في (ب) : في .

(٦) أسرار التكرار (٣٩) بتصرف .

(٧) النجم (٣) .

(٨) كلمة « ليس » : غير موجودة في (أ) .



منه . وقال أبو حيان : « لما تقدّم الأمر بأكل الطيبات ، وذكر ما حرّم أكله ، ذكرت هذه الآية فيمن كتم ما أنـزل الله على أنبيائه ، تحذيراً للمؤمنين أن يقعوا في مثل ذلك ، وذكر فيها نوعاً ، مما حرّم أكله »[١] . (**أولئك**) جيء بخبر (**إن**) جملة ، لأنها أبلغ من المفـرد ، وصـدّر بـ(**أولئـك**) على حد ما تقـدم في (**أولئـك على هدى** / ٥)[٢] . (**ما يأكلون في بطونهم إلا النـار** / ١٧٤) ذكـر البـطون لنفي المجاز ، لأن الأكل قد يراد به التصرُّف ، نحو فلان يأكل بلد[٣] كذا ، والإهلاك نحـو أكـل فلان مالي ، أي أهلكـه[٤] وأفسـده . وقيل : التقـدير : فيحصل في بطونهم ، لأن الأكل لا يكون في البطون . وقيل : الظرف حال للنار ، قدّم عليها ، أي إلا النـار مستقـرة في بطونهم ، وسمى ما يأكلونـه ناراً ، لأنه يؤول إليها[٥] . الـراغب : « ذكر (في بطونهم) ، تنبيهاً ، على شرهِهم ، وتقبيحاً لتضييع أعظم النعم ، لأجل المطعوم الذي هو أخسّ متناوَل »[٦] .

الكرماني : « قال هنا ذلك ، وفي آل عمران (**أولئك لا خَلاق لهم** / ٧٧) ، وما هنا أبلغ ، لأن المنكَر في الآيات المتقدمة ، أكثر ، فالتوعُّد عليه أكبر »[٧] . أبو

---

(١) في البحر (١/٢٩٣) : « . . . ذكر في الآية قبلها إباحة الطيبات ، ثم فصَّل أشياء من المحرمات ، فناسب أن يذكر جزاء من كتم شيئاً من دين الله ومما أنزله على أنبيائه ، فكان ذلك تحذيراً أن يقع المؤمنون فيما وقع فيه أهل الكتاب من كتم ما أنزل الله عليهم ، واشترائهم به ثمناً قليلاً .

(٢) انظر ص (   ) من هذه الرسالة .

(٣) في (أ) : بلـدا .

(٤) في (ب) : أهلـه .

(٥) لعل الأرجح في تأويل (**ما يأكلون في بطونهم إلا النار**) أن يكون المعنى ، أنهم يجازون على ما اقترفوه –من كتم ما أنزل الله ، والاشتراء به الثمن القليل - بالنار ، وعلى هذا ، فإن جعل المأكول ناراً ، يكون باعتبار ما يؤول عليه ، لأنه سبب النار ، وهذا هو توجيه الأكثرية . البحر (١/٤٩٢) .

(٦) لم أجده في المفردات ، وهو في البحر (١/٤٩٢) .

(٧) في «أسرار التكرار» (٤٠) : « قوله : (**إن الذين يكتمون**. . .) (الآية) الآية في السورة على هذا النسق ، وفي آل عمران : (**أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليمٌ**) لأن المنكر في هذه السـورة أكثـر ، فالمتـوعـد فيهـا أكثر ، وإن شئت قلت : زاد في آل عمران : (**ولا ينظر إليهم**) في مقابلة (**ما يأكلون في بطونهم إلا النار**) » .



حيان : « رتَّب على الكتم واشتراء الثمن القليل ، الذي هو كناية عن مطاعمهم الخسيسة الفانية ، أربعة أنواع من العقاب : أكل النار في بطونهم ، وذلك مناسب لما أكلوه من المال ، وألا يكلمهم الله ، وذلك جزاء لمنع التكلُّم بالدين ، الذي هو الكتم ، لما ابتنى عليه[1] أنهم شهود زُور ، وأحبار سوء ، حيث غيّروا نعت النبي -ﷺ- وادّعوا أن المنعوت هو غيره ، توعَّدهم على ذلك بألا يزكيهم ، وبأن لهم عذاب أليم ، فالوعيدان الأخيران ، كل منهما عائد إلى المجموع ، والأَوَّلان[2] كل واحد إلى واحد ، فالأول للثاني ، والثاني للأول ، ولما كانت جملة الكتم مشتملة على فعل مسند إلى الله ، كان فيها قابلها ، وهو (**لا يكلمهم الله / ١٧٤**) فعل مسند إليه ، (ولما لم تكن جملة الاشتراك كذلك ، خلت عنه التي تقابلها)[3] ، ولم يقل ما يطعمهم الله في بطونهم إلا النار »[4] . (**أولئك الذين اشتروا / ١٧٥**) الآية ، تأكيد لذم الكاتمين ، وقدم اشتراء الضلالة بالهدى على العذاب بالمغفرة ، لأن الأول حالهم في الدنيا ، والثاني في الآخرة ، والأول سبب للثاني ، والثاني نتيجة للأول . وفي لفظة الاشتراء إشعار . بإيثارهم ذلك ، لأن الإنسان لا يشتري إلا ما له فيه رغبة ومودة واختيار ، وذلك يدل على نهاية الخساسة ، وعدم النظر في العواقب . (**فما أصبرهم على النار / ١٧٥**) معنى التعجب والصبر هنا مجاز ، شبَّه عملهم بأعمال أهل النار ، والمداومة عليها من غير مبالاة ، بأحوال الصابر على النار كما يقال لمن يتعرض لغضب السلطان : ما أصبرك[5] على القيد والسجن[6] . وقيل : المعنى :

---

(١) في البحر (١/٤٩٣) : « وابتنى على كتمانهم الدين ، واشترائهم بما أنزل الله ثمناً قليلاً » .

(٢) في (أ) : الأول .

(٣) في البحر (١/٤٩٣) .
« ولما كانت الثانية مسندة إليهم ، ليس فيها إسناد إلى الله جاءت الجملة المقابلة لها ، مسندة إليهم » .

(٤) البحر (١/٤٩٣) باختصار .

(٥) في (أ) : أصبر .

(٦) القول بأن « ما » هنا للتعجب ، هو ما استظهره أبو حيان (١/٤٩٤) . وهو قول الجمهور - كما ذكر القرطبي (٢/٢٣٦) .
وانظر البيان لابن الأنباري (١/١٣٨) .

ما أجرأهم لغة يمانية[١] . وقيل : ما أبقاهم[٢] . وقيل : ما استفهامية للتوبيخ[٣] . وقيل : نافية ، والفاعل الله[٤] . (**ذلك /١٧٦**) أي العذاب (**بأن الله نزل الكتاب بالحق /١٧٦**) أي فكتموه ، بدلالة ما قبله أو فاختلفوا فيه بدلالة ما بعده . (**ليس البر / ١٧٧**) الآية ، روى الحاكم في المستدرك عن أبي ذر[٥] أنه سأل رسول الله -ﷺ- عن الإيمان ، فتلا عليه هذه الآية ، ثم سأله أيضاً فتلاها ، ثم سأله فتلاها[٦] .

قال الكرماني : « اشتملت هذه الآية على جميع المعارف التي يلزم العبد الإيمان بها ، وذلك : الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب ، والنبيين ، وعلى جميع الواجبات ؛ وهي إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصلة الأرحام ، وبر الأيتام ، ومواساة المساكين ، وإعانة ابن السبيل ؛ وذلك يشمل إعانة المسافر والضيف ، وإعطاء من سأل ، وفك الرقاب بالعتق والفداء ، وإعانة المكاتب ، والوفاء بالعهود ، وهو شامل حتى الأيمان والنذور ، والصبر على ما يجهد ، ويندرج فيه الصوم والحج ، والصبر على الضراء ، من فاقة ومرض ، والصبر عند القتال ، وهذه أصول[٧] الواجبات »[٨] . وقرىء بنصب (**البر**) ورفعه[٩] ، فـ(**أن**) اسم ليس على

---

(١) هذا قول الحسن وقتادة والربيع وابن جبير . البحر (١/٤٩٤) .

(٢) هذا القول والقول السابق تابع للقول بأن « ما » هنا تعجبية . انظر المرجع السابق .

(٣) قاله أبو عبيدة . مجاز القرآن (١/٦٤) .

(٤) ذهب إلى ذلك قوم - كما ذكر أبو حيان (١/٤٩٥) .

(٥) هو أبو ذر ، جندب بن جنادة الغفاري ، يقال أسلم بعد أربعة وكان خامساً ، يضرب به المثل في الصدق ، وهو أول من حي الرسول -ﷺ- بتحية الإسلام ، هاجر بعد وفاة الرسول -عليه الصلاة والسلام- إلى الشام ، وأخذ يقبّح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء ، فاستقدمه عثمان إلى المدينة ، ثم لما علت الشكوى منه أمره بالرحلة إلى الربذة ، فسكنها إلى أن مات سنة ٣٢هـ .
طبقات ابن سعد (٤/١٦١ - ١٧٥) ، والإصابة (٧/٦٠) ، والكنى والأسماء (١/٢٨) .

(٦) وتكملة الحديث هي : « ثم سأله فقال : (وإذا عملت حسنة أحبها قلبك ، وإذا عملت سيئة ، أبغضها قلبك) .
قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي معلقاً : كيف وهو منقطع . المستدرك (٢/٢٧٢) .

(٧) في (ب) : الأصول . (٨) لباب التفسير : (٢/٥١٥) . (٩) هي قراءة ابن مسعود . ابن خالويه (١١) .



الأول ، وخبرها على الثاني ، وقرأ أبيّ (**بأن تولوا**)[1] . و (**من آمن**) خبر لكن ، إما على تقدير : برّ من آمن[2] ، أو على تقدير : ولكن ذا البر[3] ، ويؤيده ما قرئ شاذاً : (**ولكن البار**)[4] ، وإما بدون تقدير ، بأن يُجْعَل البر نفس المؤمن ، كأنه متجسّد منه ، لكثرته فيه ، على حدّ : فإنما هي إقبال وإدبار ، جُعلت الناقة لكثرة[5] ما تُقْبِل وتُدْبِر ، وأنه لا حال لها غيرهما ، كأنها[6] قد تجسَّمت من الإقبال والإدبار[7] .

وقرأ ابن عامر (**لكن / ١٧٧**) بالتخفيف[8] . و (**الكتاب / ١٧٧**) للجنس ، أي الكتب ، وقدّم الإيمان بالله الذي هو المبدأ ، ثم اليوم الآخر ، الذي هو المنتهى على ما بعده ، الذي هو من مصالح الوسط ، لأنهما أهم ، والمقصود بالذات ، والملائكة ، ثم الكتاب ، ثم النبيين مراعاة لترتيب الوجود ، لأن الملك نزل بالكتب على الرسل . الراغب : «قدّم هنا اليوم الآخر ، وأخرّ في آية (**ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر**)[9] لأن تلك في الكافر وهو لا يعرف الآخرة ، ولا يعنى بها ، وهي أبعد الأشياء عن الحقائق عنده ، فأخَّر ذِكره ، وهذه في المؤمن ، والمؤمن أقرب الأشياء إليه أمر الآخرة ، وكل ما يفعله ويتحرّاه ، فإنه يقصد به وجه الله ، ثم أمر الآخرة ، فقدم ذكره تنبيهاً على أن البر مراعاة الله ومراعاة الآخرة ، ثم مراعاة غيرهما »[10] انتهى . ثم بعد الإيمان الذي هو عمل القلوب

---

(١) نسب ابن خالويه (١١) هذه القراءة إلى ابن مسعود .

(٢) قاله قطرب ، وعلى هذا خرجه سيبويه . البحر (٢/٣) ، والكتاب (١/٢١٢) .

(٣) في المخطوطة « والبر » ، وما أثبتناه من البحر (٢/٣) . وهو قول الزجاج في معاني القرآن (١/٢٤٦) .

(٤) الكشاف (١/٣٣٠) ، والدر المصون (٢/٢٤٧) دون نسبة .

(٥) كلمة « لكثرة » : ليست في (أ) .

(٦) في (أ) : لأنهـا .

(٧) قاله أبو عبيدة . البحر (٢/٣) .

(٨) وكذا نافع . حجة القراءات (١٢٣) .

(٩) النسـاء (١٣٦) .

(١٠) البحر (٢/٤) بقليل من الاختصار .



الأشرف ، ثنّى بعمل الجوارح ، وبدأ منه بإيتاء المال ، لأنه من آثرِ[1] الأشياء عند العرب ، ومن مناقبها الجليلة ، وقال :(**على حُبّهِ /١٧٧**) أي مع حب المال ، فإن الإيتاء معه أبلغ ، ويسمى ذلك في البديع تتميماً ، وهو الإتيان في الكلام بفضلة تفيد نكتته . وقدّم (**ذوي القربى/١٧٧**) ، لأنهم أحقُّ ، إذ الصدقة على القريب صدقة وصلة وفيها أجران[2] ، ثم اليتامى لانقطاع حيلتهم من كل الوجوه لصغرهم ، ثم المساكين ، لأن الحاجة قد تشتد بهم ، ثم بابن السبيل ، لأنه قد تشتد حاجته في الرجوع إلى أهله ، ثم السائلين ، وفي الرقاب ، لأن حاجتهما دون حاجة من تقدم .

الراغب : « اختير هذا الترتيب لما كان أولى من يتفقّد الإنسان بمعروفه أقاربه ، ثم عقبه لوجوب الزكاة ، لأنها لعدم عهدهم بها ، قد تشق عليهم ، ولهذا قال بعضهم : ما هذه إلا أخت الجزية ، فبدأ بإيتاء المال في الوجوه المذكورة المعهودة عندهم ، الممدوحة لديهم ، كما قالت خديجة[3] : « إنك لتَصِل الرحِم ، وتحمِل الكَلّ ، وتكسِب المعدوم ، وتُقري الضيف ، وتُعين على نوائب الحق »[4] ، توطئة للزكاة ، وتأنيساً بها . وعدل عن الفعل (من آمن) ، (**وآتى**) ، (**وأقام**) ، وأتى بالاسم في قوله :(**والموفون**) (**والصابرين**). قال الراغب: «لأمرين: أحدهما :

---

(١) في (أ) : آثار .

(٢) روى الإمام ابن ماجة أن زينب امرأة عبد الله ، سألت رسول الله -ﷺ- أيجزيء عني من الصدقة النفقة على زوجي وأيتام في حجري ؟
قال رسول الله -ﷺ- : (لها أجران : أجر الصدقة ، وأجر القرابة) . سنن ابن ماجة (١/٥٨٧) حديث رقم (١٨٣٤) باب : الصدقة على ذي قرابة - كتاب : الزكاة .
ورواه أيضاً الإمام أحمد (٣/٥٠٢) ، و البخاري (٢/١٢٨) كتاب : الزكاة - باب (٤٨) .

(٣) هي أم المؤمنين ، خديجة بنت خويلد ، زوجة الرسول -ﷺ- الأولى ، وهي أول من أسلم من الرجال والنساء ، وأولاد الرسول -ﷺ- كلهم منها إلا إبراهيم بن مارية ، توفيت سنة ٣ قبل الهجرة .
طبقات ابن سعد (٨/٧-١١)، والإصابة (قسم النساء ، ترجمة : ٣٣٣) ، والمحبر (١١ ، و٧٧ ، و٤٥٢) ، وتاريخ الخميس (١/٣٠١) .

(٤) هذا جزء من حديث رواه البخاري ، ولكن بلفظ (. . . إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق) . البخاري (٧/٦٧) كتاب التعبير - باب (١) .



لفظي ؛ وهو أن الصلة متى طالت ، كان الأحسن العطف على الموصول دون الصلة ، لئلا يطول ويقبح . والثاني : أنه ذكر في الأول ما هو داخل في حيّز الشريعة وغير مستفاد إلا منها . والحكمة العقلية تقتضي العدالة دون الجَوْر ، ولما ذكر الوفاء بالعهد ، وهو مما تقتضي به العقول المجردة ، صار عطفه على الأول أحسن »[١] انتهى .

وهذه نكتة معتزلية[٢] . وأطلق العهد ، ليشمل عهد الله وعهد الناس . وقرىء (**بعهودهم**)[٣] ونصب (**الصابرين**/١٧٧) بعد الرفع على الاختصاص والمدح ، إظهاراً لفضل الصبر في الشدائد .

الراغب : «لما كان الصبر من وجهٍ مبتدأ الفضائل ، ومن وجهٍ جامعاً للفضائل ، إذ لا فضيلة إلا وللصبر فيها أثر بليغ ، غيّر إعرابه ، تنبيهاً على هذا المقصد »[٤] انتهى .

وقرأ ابن مسعود (**والموفين**) بالنصب[٥] لذلك ، وقرأ الحسن (**والصابرون**) بالرفع[٦] ، الفارسي[٧] : «إذا ذُكِرت الصفات الكثيرة في معرض المدح أو الذم ، فالأحسن أن يُخالَف إعرابها ، ولا تُجعل كلها جارية على موصوفها ، لأن هذا الموضع من مواضع الإطناب في الوصف والإبلاغ في القول ، فإذا خُولِف بإعراب

---

(١) البحر (٢/٨) .

(٢) وذلك أن الكلام السابق الذكر هو عبارة عن قول المعتزلة القائلين بالقبح والحسن العقليين .

(٣) عن الجحدري . البحر (١/٧) .

(٤) البحر (٢/٨) .

(٥) ابن خالويه (١١) .

(٦) وكذا الأعمش ويعقوب . الدر المصون (٢/٢٥٠) .

(٧) هو أبو علي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل ، تجوّل في كثير من البلدان ، وصحب عضد الدولة بن بويه ، وعلّمه النحو ، وصنف له كتاب « الإيضاح » في قواعد العربية ، كان متهماً بالاعتزال ، من كتبه : « التذكرة » في علوم العربية ، و« تعاليق سيبويه » ، و« الحجة » في علل القراءات ، توفي سنة ٣٧٧هـ .

نزهة الألباب (٣٨٧) ، وتاريخ بغداد (٧/٢٧٥) ، وإنباه الرواة (١/٢٧٣) ، والإمتاع والمؤانسة (١/١٣١) .



الأوصاف ، كان المقصود أكمل ، لأن الكلام عند الاختلاف ، يصير كأنه أنواع من الكلام ، وضروب من البيان ، وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجهاً واحداً ، وجملة واحـدة »[1] انتهى . و(**في البـأساء** /١٧٧) و(**البأس**/١٧٧) جناس ناقص ، أو جناس اشتقاق . الراغب : « البأس : الشدة والمكروه ، واستعمالها في الحرب أكثر ، والبأس في النِكاية[2] ، والضراء : مقابل السراء والنعماء ، ومقابل الضراء : النفع » قال : « وقـد استـوعب هنـا أنـواع الصبر ، لأنه إما أن يكون فيما يُحتاج إليه من القوت ، فلا يناله وهو البأساء ، أو فيما ينال جسمه من ألم أو سقم ، وهوالضراء ، أو في مدافعة مؤذيه ، وهو البأس »[3] .

وقال غيره : «ذُكِرت على سبيل الترقي من الشديد إلى الأشد ، لأن المرض أشد من الفقـر ، والقتـال أشـد منهـما »[4] . « وعدّى «**الصابرين**» إلى البأساء والضراء بـ(**في**) ، لأنه لا يُمدح الإنسان على ذلك ، إلا إذا صار له الفقر والمرض الظرف ، وأما الفقر أو المرض وقتاً ما ، فلا يكاد يُمدح الإنسان بالصبر عليه ، لأن ذلك قلّ أن يخلو منه أحد ، وأما القتال فعدّى الصابرين إلى ظرف زمانه ، لأنها حالة لا يكاد يدوم وقتها الزمان الطويل ، فلم يعدّ إليها بـ(**في**) المقتضية للظرفية الحسية ، التي نزّل المعنى المعقول فيها كالجُرْم المحسوس »[5] . وقوله (**أولئك**/١٧٧) إلى آخره ، على حدّ ما تقدم في (**أولئك على هدىً من ربهم**/٥) الآية ، ونوّع هنا الخبر ، فأخبر عن الأول بمـوصول بفعل ماض ، لتحقق اتصافهم به ، وأن ذلك قد وقع منهم وثبت واستقر عن الثاني بموصولٍ صلته اسم الفاعل ، ليدل على الثبوت ، وأن ذلك وصف لهم لا يتجدد ، بل صار سجيّة ، ووصفاً لازماً ، ولمراعاة الفاصلة .

---

(١) البحـــر (٢/ ٧ - ٨) .

(٢) إلى هنا هو الموجود بالمفردات (٦٦) مادة : بؤس .

(٣) لم أعثر على هذا الكلام في المفردات ، وهو في البحر (٢/ ٨) .

(٤) هذا قول الماوردي نقله السيوطي هنا باختصار . البحر (٢/ ٨) .

(٥) هذا نص كلام أبي حيان نقله المؤلف بقليل من التصرف . المرجع السابق .



أبو حيان : «مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة ، لأنها إن كانت نازلة (في اليهود وصلاتهم إلى المغرب ، والنصارى وصلاتهم إلى المشرق ، وزعم كل فريق أن ذلك البر)[1]، فقد جرى ذكرهم بأقبح الذكر ، من كتمانهم ما أنزل الله ، واشترائهم به ثمناً قليلاً ، وذكر ما أعد لهم ، ولم يبق لهم مما يظهرون به شعار دينهم ، إلا صلاتهم ، وزعمهم أن ذلك البر ، فردَّ عليهم بهذه الآية ، وإن كانت في المؤمنين ، فهو نهي لهم أن يتعلقوا من شريعتهم بأيسر شيء ، كما تعلَّق أهل الكتابين ، ولكن عليهم العمل بجميع ما في طاقتهم من تكاليف الشريعة »[2]. وقيل : لما أكثروا الخوض في أمر القبلة حين وقع التحويل ، وزعم كلّ من الفريقين ، أن البر هو التوجه إلى قِبلته ، ردَّ عليهم ، فهو رجوع إلى القصة ، بعدما وقع من الاستطراد . الطيبي : « لما ذكر تعالى اختلاف أهل الكتاب في الكتاب ، ذكر اختلافاً آخر لهم في شأن القبلة ، مستطرداً ، وجعله مخلصاً وذريعة إلى ذكر أقسام البر» . **(يأيها الذين آمنوا ، كتب عليكم القصاص/١٧٨)** قال أبو حيان : « مناسبة هذه لما قبلها ، أنه تعالى لما حلَّل قبل ما حلَّل ، وحرَّم ما حرَّم ، ثم أتبع بذكر من أخذ مالاً من غير وجهه ، وأنه ما يأكل في بطنه إلا النار ، واقتضى ذلك انتظام تحريم جميع المحرمات من الأموال ، ثم أعقب ذلك بذكر من اتصف بالبر ، وأثنى عليهم بالصفات الحميدة ، أخذ يذكر تحريم الدماء ، ويستدعي حفظها وصونها فيه بمشروعية القصاص على تحريمها ، ونبّه على جواز أخذ مال بسببها ، وأنه ليس من المال الذي يؤخذ على غير وجهه ، وأشار أيضاً إلى أن مثل هذا الأمر الفظيع إذا عرض لمن اتصف بالبر ، لم يخرجه عن البر ، ولا عن الإيمان ، ولذلك ناداهم بوصف الإيمان ، وعبّر بـ(كتب) عن معنى الإلزام والإثبات مجازاً ، وحقيقته الخط الذي يُقرأ ، لأنه جدير بثبوته وبقائه »[3] . **(الحُرُّ بِالحُرِّ/١٧٨)** الآية ، الألف واللام

(١) في البحر (٢/٢) : « في أهل الكتاب » بدلاً مما بين القوسين هنا .

(٢) البحر (٢/٢) .

(٣) البحر (٢/٩) باختصار .



فيها للحصر ، أي لا يؤخذ الحر إلا بالحر ، إلى آخره[1] . **(فمن عُفِي له من أخيه شيءٌ/١٧٨)** عبّر عن وليّ المقتول بأنه أخ القاتل[2] ، تعطفاً عليه ، وترغيباً في العفو ، بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام ، و(شيءٌ) مفعول مطلق ، نائب عن الفاعل ، أي شيء من العفو ، ونكّر للإشعار بسقوط كل القصاص بالعفو عن بعضه . و(عُفِي) يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الجناية ، فإن عُدِّي إليهما معاً ، يعدّى إلى الجاني باللام ، وإلى الذنب بعن ، وهو هنا محذوف . **(فاتباعٌ بالمعروف)**

---

(١) روي معنى هذا عن ابن عباس ، وأن ذلك نسخ بآية المائدة : **(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعينَ بالعينِ . . .)** الآية (٤٥) .
وروي عن ابن عباس أيضاً ، أن الآية محكمة ، وفيها إجمال فسَّرته آية المائدة . البحر (٢/١٠) .
وقيل : إن الألف واللام هنا لا تدل على الحصر ، بل تدل على مشروعية القصاص بين المذكور . كما حكى أبو حيان ، ثم قال : « ألا ترى أن عموم **(والأنثى بالأنثى)** تقتضي قصاص الحرة بالرقيقة ، فلو كان قوله **(الحر بالحر ، والعبد بالعبد)** مانعاً من ذلك ، لتصادم العمومان » . المرجع السابق .
وهنا مسألة اختلف فيها العلماء ، وهي : هل يقتل الحر بالعبد ، والمسلم بالذمي ، أم لا ؟ فذهب الجمهور (المالكية والشافعية والحنابلة) إلى أن الحر لا يقتل بالعبد ، ولا المسلم بالذمي ، وذهب الحنفية إلى أن الحر يقتل بالعبد ، وأن المسلم يقتل بالذمي .
وقد استدل كل فريق بأدلة تؤيد ما ذهب إليه .
ولعل الراجح هنا ، أن يقال بمذهب أبي حنيفة في قتل الحر بالعبد ، إذ هو معقول المعنى ، ومؤيد بحديث (من قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبده جدعناه). رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب (٤/٢٦) كتاب : الديات - باب (١٨) ، ورواه أيضاً أبو داود (٤/٦٥٢) كتاب الديات - باب (٧) .
وأما قتل المؤمن بالكافر ، فلعل الراجح فيه رأي الجمهور ، لما روى البخاري عن أبي جحيفة قال : قلت : لعلي ، هل عندكم كتاب ؟ قال : لا إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة . قال : قلت : وما في هذه الصحيفة ؟. قال : (العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر) . البخاري (١/٣٦) كتاب : العلم - باب (٣٩) .
ولهذا قال ابن كثير : « لا يصح حديث ولا تأويل يخالف هذا » . تفسير القرآن العظيم (١/٢١٠) .
انظر روائع البيان في تفسير آيات الأحكام للصابوني (١/١٧٤ - ١٧٨) ، والتفسير الوسيط (١/٢٧٣ - ٢٧٤) .

(٢) وهذا جار على أن العفو في قوله تعالى : (فمن عفي) على بابه ، وهو الترك . الجامع للقرطبي (١/٢٥٣) .
وأن العافي هو ولي الدم ، يعفو عن القاتل ، وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم . انظر المرجع السابق .
وهذا القول هو ما اختاره الشافعي . أحكام القرآن له (١/٢٧٨ - ٢٧٩) .



أي على الولي العافي ، (وأداءٌ إليه بإحسانٍ/١٧٨) أي على الجاني المعفو له ، ففي الآية لف ونشر غير مرتب ، وضمير (إليه) للعافي الذي دل عليه (عفي) أو لأخيه ، وإن فسّر من عفي بالولي ، و(عفي) بمعنى يسّر ، والأخ بالجاني كان النشر مرتباً . قال ابن عطية: «إذا وقع المصدر في الواجب ، جاء مرفوعاً ، أو في المندوب جاء منصوباً ، وقد اجتمعا في قوله: (قالوا سلاماً ، قال سلامٌ)[1]، أي لأن الجملة الابتدائية آكد من الفِعلية »[2] . (تخفيفٌ من ربكم/١٧٨) أُضيف إلى الرب لِما فيه المِنَّة والمصلحة . (ولكم في االقصاص حياةٌ/١٧٩) كلام فصيح بليغ ، لما فيه من الغرابة اللطيفة الحسنة الوجيزة ، فإن القصاص الذي هو قتل مُزِيل للحياة ، جعله ظرفاً للحياة ، والظرف إذا حوى المظروف يمنعه عن التفويت . ومن إصابة محزّ البلاغة تعريف القصاص وتنكير الحياة ، لأن المعنى : ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص ، حياة عظيمة ، وذلك أنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد ، وكان يقتل بالمقتول غير قاتله ، فتثور الفتنة ، ويقع بينهم التقاتل والتناحر ، فلما جاء الإسلام بشرع القصاص ، (كانت فيه حياة عظيمة ، وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل ، لحصول علم القاتل بالاقتصاص)[3]، لأنه إذا هم بالقتل ، فعلم أنه يقتص منه ، فارتدع ، سلِم صاحبه من القتل ، وسلِم هو من القود ، فكان القصاص سبب حياة نفسَين ، بل سبب حياة أكثر الناس . وهذه الجملة هي العلم في الإيجاز ، المسمى بإيجاز القصر ، فإنها قائمة مقام قولنا:

---

(١) هـود (٦٩) .

(٢) في المحرر الوجيز (٢/ ٨٩) :

« وقوله تعالى : (فاتباع) رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره : فالواجب والحكم اتباع ، وهذا سبيل الواجبات ، كقوله تعالى : (فإمساك بمعروفٍ) (البقرة/ ٢٢٩) ، وأما المندوب إليه ، فيأتي منصوباً كقوله تعالى : (فضرب الرقاب) (محمد/٤) » .

وقد عقب أبو حيان على ذلك قائلاً :

« ولا أدري هذه التفرقة بين الواجب والمندوب ، إلا ما ذكروا من أن الجملة الابتدائية أثبت وآكد من الجملة الفعلية في مثل قوله (قالوا سلاماً ، قال سلامٌ) ، فيمكن أن يكون هذا الذي لحظه ابن عطية من هذا » . البحر (٢/ ١٤) .

(٣) ما بين القوسين ليس في (أ) .



الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتِل ، كان ذلك راعياً إلى ألا يقدم على القتل ، فارتفع بالقتـل الذي هو القصاص ، كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ، وكان ارتفاع القتل حياة لهم ، وقد فضّلت هذه الجملة على ما كان عند العرب في هذا المعنى ، وهو قولهم : «القتل إنفى للقتل» بعشرين وجهاً أو أكثر ، وأشار ابن الأثير[1] إلى إنكار هذا التفضيل ، وقال : « لا تشبيه بين كلام الخالق ، وكلام المخلوق ، وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك ،

الأول : أن ما يناظره من كلامهم ، وهو قوله : (**القصاص حياةٌ**) أقل حروفاً ، فإن حروفه عشرة ، وحروف «القتل أنفى للقتل» أربعة عشر .

الثاني : أن نفي القتـل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصّة على ثبوتها ، التي هي[2] الغرض المطلوب منه .

الثالث : أن تنكير (**حياة**) يفيد تعظيماً ، فيدل على أن في القصاص حياة متطاولة ، كقوله : (ولتجدَنَّهم أحرصَ الناسِ على حياةٍ)[3] ، ولا كذلك المثل ، فإن اللام فيه للجنس ، ولهذا فسّروا الحياة فيها بالبقاء .

الرابع : أن الآية مطَّردة ، بخلاف المَثَل ، فإنه ليس كل قتل أنفى للقتل ، بل قد يكـون أدعى له ، وهـو القتـل ظلماً ، وإنما ينفيه قتل خاص ، وهو القصاص ، ففيه حياة أبداً .

الخامس :أن الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع في المَثَل ، والخالي من التكرار ، أفضل من المشتمل عليه ، وإن لم يكن مخِلًا بالفصاحة .

السادس : أن الآية مستغنية عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ، فإن فيه حذف

---

(١) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو السعادات بن أبي الكرم الجزري الموصلي المجد ابن الأثير ، كاتب فاضل ، له معرفة تامة بالأدب ، ونظر حسن في العلوم الشرعية ، من مؤلفاته « جامع الأصول لأحاديث الرسول » -ﷺ- ، توفي سنة ٦٠٦هـ .
إنباه الرواة على إنباه النحاة للقفطي (٣/٢٥٧ - ٢٦٠) ، والبداية والنهاية (١٣/٥٤) .

(٢) في (ب) : هو .

(٣) البقرة : (١٩٦) .



«من» التي بعد أفعل التفضيل ، وما بعدها . وحذف قِصاصاً مع القتل الأول ، وظلماً مع القتل الثاني ، والتقدير : القتل قِصاصاً أنفى للقتل ظلماً من تركه .

السابع : أن في الآية طِباقاً ، لأن القصاص مُشْعِر بضد الحياة ، بخلاف المَثَل .

الثامن : أن الآية اشتملت على فن بديع ، وهو جعل أحد الضِّدين ، الذي هو الفنـاء والموت مَحَلًّا ومكاناً لِضِده ، الذي هو الحياة ، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة ، وهو الذي أشرنا إليه أول الكلام على الآية ، وعبّر صاحب الإيضـاح[1] عن هذا ، بأنـه جعـل القصاص كالمنبع للحياة ، والمعدِن لها ، بإدخال (في) عليه .

التاسع : أن في المَثَل توالي أسباب كثيرة خفيفة ، وهو السكون بعد الحركة ، وذلك مستكْرَه ، فإن اللفظ المنطوق به ، إذا توالت حركاته ، تَمَكَّن اللسان من النطق به ، وظهرت فصاحته ، بخلاف ما إذا تعقَّب كل حركة سكون ، فالحـركـات تنقـطع بالسكنـات ، نظيره إذا تحركت الدابة أدنى حركة ، فحُبِست ، ثم تحركت ، لا يتبين إطلاقها ، ولا تتمكن من حركتها على ما تختاره ، فهي كالمقيَّدة .

العاشر : أن المَثَل كالمتناقض من حيث الظاهر ، لأن الشيء لا ينفي عن نفسه .

الحادي عشر : سلامـة الآية عن تكـرير قلقلة القـاف الموجب للضغط والشدة ، وبعدها من غنّة النون .

الثاني عشر : اشتـمالهـا على حروف متـلائـمـة لما فيها من الخروج من القاف إلى الصـاد ، إذ القـاف من حروف الاستعـلاء ، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق ، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء ، التي هي حرف منخفض ، فهـو غير ملائم للقاف ، وكذا الخروج من

---

(١) هو أبو المعالي ، محمد بن عبد الرحمن القزويني ، قـاضٍ ، من أدباء الفقهاء له كتاب « تلخيص المفتاح » و« الإيضاح » في شرح التلخيص - توفي سنة ٧٣٩هـ . مفتاح السعادة (١/١٦٨) ، وبغية الوعاة (٦٦) .



الصاد إلى الحاء ، أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة ، لبعد ما دون طرف اللسان وأقصى الحلق .

الثالث عشر : في النطق بالصاد ، والحاء ، والتاء حسن الصوت ، ولا كذلك تكرير القاف والفاء .

الرابع عشر : سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة ، بخلاف لفظ الحياة ، فإن الطباع أَقْبَل له من لفظ القتل .

الخامس عشر : أن لفظ القصاص مشعِر بالمساواة ، فهو[1] منبىءٌ عن العدل ، بخلاف مطلق القتل .

السادس عشر : الآية مبنية على الإثبات ، والمَثَل على النفي ، والإثبات أشرف ، لأنه أول ، والنفي ثانٍ عنه .

السابع عشر : أن المَثَل لا يكاد يُفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة ، وقوله : **(في القصاص حياةٌ)** مفهوم من أول وهلة .

الثامن عشر : أن في المَثَل بناء أفعل التفضيل من فعل متعد ، والآية سالمة منه .

التاسع عشر : أن أفعل في الغالب يقتضي الاشتراك ، فيكون ترك القصاص نافياً للقتل ، ولكن القصاص أكثر نفياً ، وليس الأمر كذلك ، والآية سالمة .

العشرون : أن الآية رادعة عن القتل والجرح معاً لشمول القصاص لهما ، والحياة أيضاً في قصاص الأعضاء ، لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة ، وقد يسري إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك المَثَل ، ثم في أول الآية **(ولكم)** فيها لطيفة ، وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص ، وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم ، لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم »[2] .

---

(١) في (أ) فهي .

(٢)



وقرأ أبو الجوزاء[1] (ولكم في القَصَص) بالفتح[2] ، فقيل : ما قصّ عليكم من حكم القتل ، وقيل : هو القرآن[3]، وجعل ما فيه حياة ، لأن به تحيى القلوب . (يا أولي الألباب/ ١٧٩) جمع لُب ، وهو العقل الخالي من الهوى ، وهذا اللفظ جمعه أخف من مفرده ، ولهذا وقع في القرآن دونه ، ونكت ذكرهم هنا بهذا الوصف ، أن القصاص شاق ، تنفر منه النفوس غالباً ، وهذه المِلَّة مبنية على اليسر ورفع الحرج ، فقد يقال : إن مشروعية القصاص تنافي ذلك ، وليس كذلك ، لِما تقدمت الإشارة إليه ، بأن فيه حياة عظيمة ، ومثل هذه الإشارة لا يدركها إلا ذوو الألباب ، الذين يعرفون العواقب ، ويعلمون أن في مشروعيته من اليسر ، ما ليس في تركه ، ومن لا لُب له ، يظن أن الأمر على خلاف ذلك . (لعلكم تتقون/ ١٧٩) أي القصاص فتكفّون عن القتل ، أو القتل حذراً من القصاص ، أو الله باجتناب ما حرّمه. (كُتِب عليكم/ ١٨٠) لما ذكر القتل في القصاص ، أتبعه بالتنبيه على الوصية المطلوبة عند حضور الموت . لأن القصاص أحد وجوه[4] حضور الموت ، الكرماني : « الجمهور على أن التقدير : وكُتب ، لكن الكلام لما طال وتمّ ، حذف الواو » ، قال : « ويحتمل أنه تأخر عنها نزولاً ، فلم يحتج إلى الواو »[5]. وقال أبوحيان : « لا حاجة إلى شيء من ذلك ، بل هذه جملة مستأنفة ظاهرة الارتباط بما قبلها لما تقدم من مناسبتها »[6]. (إذا حَضَر أحدَكم الموتُ/ ١٨٠) أي أسبابه . أبوحيان: « لو

---

(١) هو أوس بن خالد الربعي ، أبو الجوزاء البصري ، من التابعين ، وثقة العجلي وابن حبان ، كان عابداً فاضلًا ، قال عنه سليمان الربعي : كان أبو الجوزاء يواصل في الصوم بين سبعة أيام ، ثم يقبض على ذراع الشاب ، فيكاد يحطمها .

ويقول أبو الجوزاء عن نفسه : صحبت ابن عباس ثنتي عشرة سنة ، ما بقي من القرآن آية إلا سألته عنها ، توفي سنة ٨٣هـ .

صفة الصفوة (٣/٢٥٨) ، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٨٤) .

(٢) الدر المصون (٢/٢٥٧) .

(٣) وهو قول السمين ، المرجع السابق .

(٤) في (أ) : حضور وجوه .

(٥) العجائب (١/١٩٦) .

(٦) البحر (٢/ ١٦) بمعناه .

جرى نظم الكلام على خطاب المؤمنين ، لقيل : إذا حضركم ، لكنه رُوعي دلالة العموم في (**عليكم**) من حيث المعنى ، إذ المعنى : كتب على كل واحد واحد منكم ، ثم أظهر[1] ذلك المضمر ، على حد قوله :

ولست بسائلٍ جارات بيتي   أغيّاب رجالك أم شهودُ[2]

فأفرد ضمير « رجالك » ، لأنه راعى معنى العموم ، إذ المعنى : ولست بسائل كل جارة ، وهذا شيء غريب مستظرف من علم العربية »[3] . (**إن ترك خيراً/ ١٨٠**) من اعتراض الشرط على الشرط ، والخير : المال ، وقد كثر وروده في القرآن بهذا المعنى . وقال بعض العلماء: « لا يقال للمال خير حتى يكون كثيراً ، ومن مكان طيِّب » ، قال : « وعبّر به هنا تنبيهاً على معنى لطيف ، وهو أن الذي تَحسُن الوصية به ، ما كان مجموعاً من وجه محمود » . حكاه الراغب[4] . (**الوصية**) مرفوع بـ(**كُتب**) ، وتذكيره للفصل ، ولأنها بمعنى الإيصاء ، ولذا ذكّر ضميره في قوله: (**بدّله/ ١٨١**)، (**سَمِعَه/ ١٨١**)، (**حقاً/ ١٨٠**)، منصوب بفعلهِ المقدر[5] . (**على المتقين/ ١٨٠**) خصّهم تنبيهاً على الوجوب ، وأن من خالف غير مُتّق . (**فمن بَدَّلَه بعدما سمِعه/ ١٨١**) الضميران للوصية ، بمعنى الإيصاء ، وكنّى بالسماع عن العلم ، لأنه طريق إلى حصوله . (**فإنما إثمه**) الضمير للتبديل . (**على الذين يُبَدِّلونه**) الضمير للإيصاء ، وهذا يُسمى التفات الضمائر ، وهو أن يعود الضمير على

---

(١) في (أ) : ظهر .

(٢) شرح التصريح على التوضيح (١/١٢٨) ولم ينسبه ، وقد نسبه عبد السلام هارون في معجم الشواهد (١٠٦) ، لأبي نواس ، ولم أجده في ديوانه .

(٣) البحر (٢/١٦ - ١٧) .

(٤) المفردات (١٦٠ - مادة : خير) إلا أن فيه : « وقال بعض العلماء : « إنما سمّي المال ها هنا خيراً تنبيهاً على معنى لطيف ، وهو . . . . » الخ .

(٥) وهو قول أبي البركات بن الأنباري (البيان ١/١٤٢) ، وإليه ذهب الزمخشري (الكشاف ١/٣٣٤) ، وابن عطية (المحرر الوجيز ٢/٩٧) وقد تعقب أبو حيان هذا الوجه بأن (**على**) في قوله تعالى: (. . . . **على المتقين**) تكون حينئذٍ متعلقة بـ(**حقاً**) ، أو تكون في موضع الصفة له ، وكلا التقديرين يخرجه عن التأكيد ، ومن هنا ، رجّح أبوحيان أن يكون (**حقاً**) منصوباً على أنه مصدر على غير الصدر ، أي من معنى (**كتب**) ، لأن معناها : وجب وحقّ . البحر (٢/٢١ - ٢٢) .



شيء سابق ، ثم يعود على آخر ، ثم يعود على الأول . **(إن الله سميعٌ عليمٌ/١٨١)** الكرماني: «خصّ السمع بالذكر ، لما في الآية من قوله (بعدما سمعه)، ليكون مطابقة ، وقال في الآية بعدها: **(إن الله غفورٌ رحيمٌ/١٨٢)** لقوله: **(فلا إثمَ عليه/١٨٢)** ، فهو مطابقٌ معنىً »[1]. وقال صاحب المناجاة: « لما ذكر في الأولى تبديل الحق بالباطل ، كان اللائق بمقام التهديد للتبديل **(إن الله سميعٌ عليمٌ/ ١٨١)** ، وفي الثانية تبديل الباطل بالحق ، فكان اللائق **(إن الله غفورٌ رحيمٌ/١٨٢)** ، أما بالنسبة إلى الموصي ، فظاهر ، وأما للوصي المغيّر للباطل بالحق ، فلأنه يكنَّى في الغالب عن استحقاق الأجر بصفة الغفران والرحمة ، والنكتة فيه ، أن الصورة الواقعة من الوصي ، صورة معصية ، لما فيه من تغيير الوصية ، لكنها معصية لمخلوق ، وطاعة للخالق » . **(فمن خاف/١٨٢)** أي علِم ، أبو حيان : « العلقة بين الخوف والعلم ، حتى أُطلق عليه ، أن الإنسان لا يخاف شيئاً حتى يعلم أنه مما يخاف منه ، فهو من باب التعبير بالمسبّب عن السبب »[2]. وقال في المنتخب : « الخوف والخشية يُستعملان بمعنى العلم ، لأن الخوف عبارة عن حالة مخصوصة متولِّدة عن ظن مخصوص[3] ، وبَيْنَ الظن والعلم مشابهة في أمور كثيرة ، فلذلك صحّ إطلاق كل منهما على الآخر »[4]. **(من موصٍ/١٨٢)** بالتخفيف والتشديد[5] **(جَنفاً أو إثماً/١٨٢)** قال ابن عباس : « الجَنَف : الخطأ ، والإثم : العَمد » أخرجه ابن جرير[6] الراغب : « أصل الجَنَف ، مَيْل في الحُكْم »[7] .

---

(١) أسرار التكرار (٤٠) .

(٢) في البحر (٢/٢٣) .

« والعلقة بين الخوف والعلم حتى أطلق على العلم الخوف ، وأن الإنسان لا يخاف شيئاً حتى يعلم أنه مما يخاف منه ، فهو من باب التعبير بالمسبب عن السبب » . فالظاهر أن « الواو » في قوله هنا « وأن الإنسان » خطأ مطبعي ، والصواب ما في كتابنا ، لأن به يستقيم المعنى .

(٣) في (أ) : خصوص . (٤) البحر (٢/٢٣) .

(٥) قراءة التشديد هي قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي ، وقراءة التخفيف هي قراءة البقية . الكشف (١/٢٨٢) .

(٦) جامع البيان لابن جرير الطبري (٣/٤٠٧ - ٤٠٨) .

(٧) المفردات (١٠١ - مادة ؛ جنف) .



وقرأ علي (**حَيفاً**) بالحاء والياء[1]، أي مَيلاً وبخساً . (**فأصلح بينهم/١٨٢**) أي بين المُوصي والموصَىٰ لهم. (**يأيها الذين آمنوا/١٨٣**) قيل : لم يقل يا أيها المؤمنون حيث وقع مع أنه أخْصَر، لوجهين، أحدهما : أن المؤمنين لا يشعر بتقدم[2] إيمانهم ، بخلاف الموصول . والثاني : أن الألف واللام تستعمل للكمال ، فإذا رتّب عليه أمر أو نهي ، أوهم أن ذلك مخصوص بكامل الإيمان ، وهو غير مختص ، بخلاف الموصول بالفعل ، فإن الفعل لا يشعر إلا بمطلق الصفة .

(**كُتب عليكم الصيام/١٨٣**) قال أبو حيان : «مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه تعالى أخبر أولاً بكَتْب القصاص ، وهو إتلاف النفوس ، وهو من أشق التكاليف ، ثم أخبر ثانياً بكَتْب الوصية ، وهو إخراج المال ، الذي هو عدِيل بالروح ، ثم انتقل ثالثاً إلى كَتْب الصيام وهو مُنْهِكٌ للبدن ، مضعِفٌ له ، قاطعٌ عما أَلِفه الإنسان من الغذاء بالنهار ، فابتدأ بالأشقّ ، ثم ما يليه وما يناسبه ، وكان فيما تقدم من الآية الأولى ، ثلاثة من أركان الإسلام : الإيمان والصلاة والزكاة ، فأتى بالركن الرابع ، وهو الصوم »[3] .

قلت : وتمامه أن يقال : وعقَّبه بالخامس : وهو الحج ، لتكون هذه الآيات جامعة لأركان الإسلام بأسرها على التوالي ، وتقديم الأنسب فالأنسب ، وإنما قدّم أمر القصاص على الصوم ، لما ذكر معه من بدل الدِّية ، الذي هو نوع من إخراج المال اللازم ، فكان له مناسبة بذكره[4] عقِب الزكاة ، وكذا الوصية أيضاً إخراج مال ، فناسب الزكاة ، وما ذكر معها من إيتاء المال . هذا ما ظهر لي ، فسبحان من أودع هذا القرآن من فنون البلاغة العجب العجاب .

---

(١) البحر (٢/٢٤) .

(٢) في (ب) : بتقديم .

(٣) البحر (٢/٢٨) بتصرف .

(٤) في (ب) : بذكر .



أبو حيان : « بني (كتب) في الآيات الثلاث للمفعول ، وحذف الفاعل الذي هو الله ، لأنها مشاق صعبة على المكلَّف ، فناسب ألا تُضاف إلى الله لفظاً ، وحيث يكون المكتوب للمكلَّف فيه راحة واستبشار ، بُني للفاعل ، نحو **(كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي)**[1] ، **(كتب في قلوبهم الإيمان)**[2] ، **(كتب على نفسه الرحمة)**[3] ، وهذا من لطيف علم البيان . وأما بناء الفعل للفاعل في قوله : **(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس)**[4] ، فمناسب لاستعصاء اليهود ، وكثرة مخالفتهم لأنبيائهم ، بخلاف هذه الأمْة المحمدية ، ففرق بين الخطابين ، لافتراق المخاطبين ، ونادى المؤمنين عند إعلامهم بهذا المكتوب الثالث ، لينبههم على استماع ما يلقى إليهم من هذا التكليف ، ولم يحتج إلى نداء في الثاني ، لانسلاكه مع الأول ، في نظام واحد ، وهو حضور الموت بقصاص أو غيره ، وتباين هذا التكليف منهما ، وقدّم الجار والمجرور على المفعول به الصريح ، وإن كان أكثر الترتيب العربي بعكس ذلك ، لأن البداءة بذكر المكتوب عليه ، أكثر[5] من ذكر المكتوب ، لتعلق الكَتْب بمن نودي ، فيعلم نفسه أولاً ، أن المنادَىٰ هو المكلَّف ، فيرتقب بعد ذلك ما كُلِّف به »[6] انتهى . **(كما كتب على الذين من قبلكم/١٨٣)** فائدة هذا الكلام التسهيل والتهوين ، لأن الصوم عبادة شاقة ، والشاق إذا عمّ ، سَهُل تَحَمُّله . **(لعلكم تتقون/١٨٣)** تصريح بفائدة الصوم تهويناً أيضاً ، لأن الشاق إذا كان له فائدة عظيمة ، سَهُل تَحَمّله . **(أياماً معدوداتٍ/١٨٤)** أتى بجمع القِلة مع كونه زائداً على العشرة تسهيلاً على المكلفين ، ونَصَبه بالصيام[7] . وقيل : بـ«**صوموا**» مقدراً[8] .

---

(١) المجادلة (٢١) . (٢) المجادلة (٢٢) . (٣) الأنعام (١٢) . (٤) المائدة (٤٥) .

(٥) فيهما : آكد ، وما أثبتناه من البحر (٢ / ٢٩) .

(٦) البحر (٢/ ٢٨ - ٢٩) بتصرف .

(٧) وهو اختيار الزمخشري . الكشاف (١ / ٣٣٥) .

وقد خطّأ أبو حيان هذا القول ، لأن معمول المصدر من صلته ، وقد فصل بينهما بأجنبي ، وهو قوله : **(كما كتب)** ، فـ**(كما كتب)** ليس بمعمول للمصدر ، وإنما هو معمول لغيره ، على أي تقدير قدرته . النهر المارد لأبي حيان (حاشية البحر ٢ / ٣٠) ، وانظر البيان (١ / ١٤٢) .

(٨) وبه صدّر أبو حيان إعراب (أياماً) . البحر (٢/ ٣١) . وهو ما استظهره السمين ، الدر المصون =



وقيل : بـ(كتب) على السعة[1]. (فمن كان منكم مريضاً/١٨٤) مقيّد هنا بقوله (منكم/١٨٤) ، ولم يقيده في الآية الآتية ، اكتفاءً بقوله: (فمن شهد منكم الشهر/١٨٥). وقال صاحب المناجاة : « يمكن أن يقال : قيّد هنا بـ(منكم) ، لأنه اشتراك الأمر بين المؤمنين وغيرهم ، ممن تقدّمهم من الأمم السالفة ، فاحتيج إلى التقييد به ، ولما كان الخطاب في الآية الأخرى خاصاً بالمؤمنين ، لم يحتج إليه ». (أو على سفرٍ/١٨٤) أبو حيان : « عدل إليه من أن يقول: « أو مسافراً »، إشعاراً بالاستيلاء على السفرَ ، لما فيه من الاختيار للمسافر ، فكأن السفر مركوبٌ للإنسان يستعلي عليه ، ولذلك يقال : فلان على طريقٍ[2]، وراكبُ طريقٍ ، بخلاف المرض ، فإنه يأخذ الإنسان من غير اختيار »[3]. (فَعِدَّةٌ/١٨٤) أي فأفْطَر ، فعليه عِدّة ، ولم يقل فعِدّتها ، لأنه أخصر مع عدم اللّبس . وقرىء بالنصب[4] ، أي فليصم عِدة ، فيكون إشارة إلى نَدْب التأخير ، والفِطر للمريض[5] والمسافر ، لما تقدم من قاعدة أن النصب للمندوبات والرفع للواجبات. (من أيام أُخَر/١٨٤) زاد أُبيّ في قراءته (متتابعات)[6].

= (٢/٢٦٨) .

وإليه ذهب ابن الأنباري ، ولكنه أيضاً جوّز القول الأول ، فيما لو أُعربت الكاف في قوله تعالى (كما كتب) في محل رفع صفة للصيام ، وإنما جوّز ذلك ، لأنه سيكون داخلاً في صلته . البيان (١/١٤٢ - ١٤٣) .

(١) نسب أبو حيان هذا القول إلى الفراء والحوفي ، ثم خطّأه ، بأن ذلك مبني على جواز وقوع (أياماً) ظرفاً لـ(كتب) ، وهو خطأ لأن الظرف محل للفعل ، والكتابة ليست واقعة في الأيام ، لكن متعلقها هو الواقع في الأيام -وهو الصيام- ، فلو قال الإنسان لولده -وكان ولد يوم الجمعة-: سرّني وِلادتك يوم الجمعة ، لم يمكن أن يكون يوم الجمعة معمولاً لسرّني ، لأن السرور يستحيل أن يكون يوم الجمعة ، إذ ليس بمحل للسرور ، الذي أسنده إلى نفسه . البحر (٢/٣١) .

وقد تُعقبّ ما ذكره أبو حيان بما قاله الألوسي : « بأنه يكفي للظرفية ظرفية المتعلق كما في (يعلم ما في السموات والأرض) ، وبأن معني (كتب) فرض ، وفرضية الصيام واقعة في الأيام » . روح المعاني (٢/٥٧) .

(٢) في (ب) : الطريق .

(٣) البحر (٢/٣٢) بتصرف .

(٤) البحر (٢/٣٢) ، والدر المصون (٢/٢٧٠) دون نسبة .

(٥) في (أ) للمرض .

(٦) البحـر (٢/٣٥) .

(وعلى الذين يطيقونه فديةٌ/١٨٤) هذا منسوخ[1]، وقيل : التقدير : لا يطيقونه[2]، وقرأ ابن عباس (يُطَوّقونه)[3]، أي يُكَلّفونه ، فلا يطيقونه . وقرىء (يطيّقونه)[4]، و(يَطَّوّقونه)[5] ، أي يتطوقونه ، و(يّطيّقونه)[6] ، و(يُطْوقُونه)[7] من أَطْوَق مصحح أطاق . (طعام مسكينٍ ، فمن تَطَّوع خيراً ، فهو خيرٌ له/١٨٤) الشيخ سعد الدين : « خير » الأول مصدر خِرت يارجل فأنْت خائر ، والثاني اسم تفضيل ، بمعنى أَزْيد خيراً » انتهى . ففيه جناس[8] تام ، وهو عزيز في القرآن .

---

(١) وناسخه هو قوله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر ، فليصمه) (البقرة / ١٨٥) وهذا قول أكثر المفسرين . البحر (٢/٣٦) .
وهو مروي عن معاذ بن جبل ، وعلقمة ، والنخعي ، والحسن البصري ، وابن عمر ، والشعبي ، وسلمة بن الأكوع ، وابن شهاب . المحرر الوجيز (٢/١٠٧ - ١٠٨) .
وهو ما مال إليه ابن كثير ، حيث قال : « فحاصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه بقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ، وأما الشيخ الفاني الهرِم الذي لا يستطيع الصيام ، فله أن يفطر ولا قضاء عليه ، لأنه ليست له حال يصير إليها يتمكن فيها من القضاء .
ولكن هل يجب عليه إذا أفطر ، أن يطعم عن كل يوم مسكيناً إذا كان ذا جدة ؟ فيه قولان للعلماء : أحدهما : لا يجب عليه . . . والثاني : وهو الصحيح وعليه أكثر العلماء ، أنه يجب عليه فدية عن كل يوم . . . » . تفسير القرآن العظيم (١/٢١٥) .

(٢) وهذا معنى قول ابن عباس ، من أن الآية ليست بمنسوخة ، وإنما هي في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصيام ، فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً .
صحيح البخاري (٥/١٥٥) ، باب : قوله (أياماً معدوداتٍ . . .) - كتاب : تفسير القرآن . وقد خطّأ أبوحيان هذا الوجه ، وعلّله بقوله بأن « مكان إلباس » ، ألا ترى أن الذي يتبادر إليه الفهم ، هو أن الفعل مثبت ، ولا يجوز حذف « لا » وإرادتها إلا في القسم . . . » . البحر (٢/٣٦) .

(٣) وكذا ابن مسعود - كما في الدر المصون (٢/٢٧٢) . وعزاها ابن خالويه إلى مجاهد (١١). ابن خالويه (١١) .

(٤) مجاهد عن ابن عباس . ابن خالويه (١٢) .

(٥) عائشة وابن دينار . الدر المصون (٢/٢٧٢) .

(٦) مجاهد عن ابن عباس أيضاً - كما في ابن خالويه (١٢) .

(٧) عن حميد - الدر المصون (٢/٢٧٢) .

(٨) الجناس التام : هو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئتها كقوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غيرَ ساعةٍ). الروم (٥٥) . معجم المصطلحات البلاغية (٢/٤١٤) ، ومعترك الأقران (١/٣٩٩) .



وعندي أن « خير » الأول مصدر ، والثاني الذي لا تفضيل فيه[1] ، كما في : حياتي خير لكم ، وموتى خير لكم ، والثالث أفعل تفضيل ، فاستُعملت هذه اللفظة في الآية ثلاث مرات لثلاثة معانٍ ، وفي قراءة (**فِدْية طعام/١٨٤**) بالإضافة ، (مساكين) بالجمع[2] ، لأن الفِدية اسم للقدر الواجب ، والطعام يعمّها وغيرها ، فهو قولك[3] : ثوب خز ، وخاتمُ حديد . والذين يطيقونه فأفطروا جماعة ، كل واحد منهم طعام مسكين . وقراءة التنوين في (**فدية/١٨٤**) على أن ما بعدها تفسير لها ، وأفرد (**مسكين/١٨٤**)[4] ، لأن المعنى : على كل واحد ، لكل يوم طعام مسكين . (**وأن تصوموا خيرٌ لكم/١٨٤**) يصح كونه اسماً ، وأفعل تفضيل . وقرأ أُبيّ : (**والصوم خيرٌ لكم**)[5] . (**شهر رمضان/١٨٥**) قيل : بدل من الصيام ، أي كتب عليكم شهر رمضان ، أي صيامه[6] . وقيل : خبر مبتدأ محذوف ، أي هي ، أي الأيام المعدودات ، أو ذلكم[7] . وقيل : مبتدأ خبره ما بعده[8] . وقرىء بالنصب[9] ، بتقدير : صوموا[10] ، أو بدلاً من (أياماً/١٨٤)[11] ، أو إغراء[12] .

---

(١) ذهب ابن عطية وأبو حيان إلى أنه هنا أفعل تفضيل . المحرر الوجيز (٢/ ١١٠) ، والبحر (٢/ ٣٨) .

(٢) هذه قراءة نافع وابن عامر . حجة القراءات (١٢٤) .

(٣) هكذا في (أ) ، وفي (ب) كذلك ، ولعل الصواب : كقولك .

(٤) هذه قراءة باقي القراء السبعة . المرجع السابق .

(٥) البحر (٢/ ٣٨) .

(٦) نسبه أبو حيان إلى الكسائي ، البحر (٢/ ٣٩) . واستبعده لوجهين :
« أحدهما : كثرة الفصل بين البدل والمبدل منه .
والثاني : أنه لا يكون إذ ذاك إلا من بدل الاشتمال ، وهو عكس بدل الاشتمال ، لأن بدل الاشتمال في الغالب يكون بالمصادر ، كقوله تعالى : (**يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه**) » . البحر (٢/ ٣٩) .

(٧) ذهب إلى ذلك الفراء . معاني القرآن (١/ ١١٢) . وبه صدر ابن عطية إعراب (شهر) - المحرر الوجيز (٢/ ١١١) .

(٨) ذكره أبو حيان في النهر المارد ، حاشية البحر (٢/ ٣٨) .
وبه صدّر ابن الأنباري الإعراب هنا . البيان (١/ ١٤٤) .

(٩) مجاهد وشهر بن حوشب وهارون الأعور عن أبي عمرو وغيرهم . البحر (٢/ ٣٨) .

(١٠) وهو اختيار ابن الأنباري - البيان (١/ ١٤٤) .
وبه صدّر أبو حيان إعراب (شهر) على قراءة النصب ، البحر (٢/ ٣٩) . وهو ما مال إليه السمين . الدر =



(وبيِّناتٍ/١٨٥) من عطف الخاص على العام ، لأن الهدى منه جَلي وخفي ، فنصّت[1] بالبينات على الجَلي منه . (**من الهدى والفرقان**/١٨٥) أي من جملة هدى الله وبيناته ، وفيه لَف ونشر ، فـ(**الهدى**) راجع إلى قوله : (**هدىً**) و (**الفرقان**) إلى قوله (**وبيناتٍ**) ، ولم يأت « والبينات » ليطابقه ، لمواخاة لفظ القرآن قبله ، ولما فيه من مزيد معنى لازم للبينات ، وهو كونه يفرّق به بين الحق والباطل . (**فمن شهد منكم الشهر**/١٨٥) هو ظرف ، والمفعول محذوف ، أي المِصْر في الشهر ، وأوقعه موقع شَهده ، تنويهاً ، وتعظيماً له . (**فلْيَصُمه**/١٨٥) أي فليصم فيه ، فحذف الجار وعدّاه . وقيل : فليصم ما شهده منه . (**ومن كان مريضاً**/١٨٥) كرّره ، لأن الأول نزل حالة التخيير بين الصوم والفِدية ، فأعاده بعد النسخ ، ليُعلَم أنه باقٍ على ما كان من الترخيص للمريض والمسافر ، ولا يتوهم نسخه في حقهما ، وتعيين الصوم . ولم يقيّده هنا بـ«منكم» لتقدّمه في[2] (**فمن شهد منكم الشهر**/١٨٥). (**يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر**/١٨٥) فيه طابقات بين العسر واليسر ، والإيجاب والسلب ، والجملتان مناسبتان للترخيص للمريض والمسافر ، والجملة الثانية مؤكدة لمعنى الأولى . (**ولتكملوا العِدة**/١٨٥) عطف على مقدّر ، أي ليَسْهُل عليكم[3] ، أو لتعملوا ما تعملون[4] أو على (**اليسر**/١٨٥)، أي ويريد بكم لتكملوا ، كقوله (**يريدون ليطفئوا**)[5][6] . وقيل : الواو زائدة[7]، وقيل : للاستئناف ، والفعل المعلّل

= المصون (٢/٢٧٧ - ٢٧٨) .

(١١) قاله الأخفش والرماني ، انظر معاني القرآن للأخفش (١/١٥٩) ، والبحر (٢/٣٩) . واستبعده أبو حيان ، لكثرة الفصل ، المرجع السابق .

(١٢) قاله أبو عبيدة والحوفي . البحر (٢/٣٩) . ورُدّ هذا القول بأنه لم يتقدم للشهر ذكر . المرجع السابق ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (١/٢٨٧) .

(١) في (ب) فنصب . (٢) « في » : ليست في (آ) .

(٣) قاله الزجاج . معاني القرآن ، ١/٢٥٤) ، وانظر الجامع للقرطبي (٢/٣٠٥ - ٣٠٦). وهو اختيار ابن الأنباري. البيان (١/١٤٥) .

(٤) وهو ما مال إليه الزمخشري في الكشاف (١/٣٣٧) .

(٥) الصف (٨) .

(٦) أي أن « اللام » في (ولتكملوا) متعلقة بـ«يريد» ، فهي اللام الداخلة على المفعول ، كما في قولك : ضربت =



محذوف ، مدلول عليه بما سبق ، والتقدير : ولتكملوا العدة[1] **(ولِتُكَبِّروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون/١٨٥)** شرع جملة ما ذكر ، من أمر الشاهد بالصوم ، ومن أمر المرخّص له بمراعاة عِدّة ما أفطر فيه ، ومن الترخيص في إباحة الفطر ، فقوله : **(ولتكملوا)** عِلّة الأمر بمراعاة العِدّة ، **(ولتكبِّروا)** عِلّة الأمر بما علّمكم من كيفية القضـاء والخـروج عن عهـدة الفِـطر ، **(ولعلكم تشكـرون)** عِلّة التسيير والترخيص ، وهذا نوع من اللّف لطيف المسلك ، وعُدّي فعل التكبير بـ**(على)** ، لتضمنه معنى الحمد ، كأنه قيل : ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ، أو لتضمنها معنى التعليل . **(وإذا سألك عبادي عني/١٨٦)** قال أبو حيان : « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه لما تضمّنت طلب تكبيره وشكره ، بيّن أنه مُطّلعٌ على ذِكر من ذكره ، وشُكر من شكره ، فيسمع نداءه ، ويجيب دعاءه ، أو رغّبه في الدعاء ، تنبيهاً على أنه لابد وأن يكون مسبوقاً بالثناء الجميل. والخطاب للنبي -ﷺ- ، وإن لم يجرِ له ذِكـر ، لأنـه[2] العَلَم المعروف ، ولأن في قوله : **(أنزل فيه القرآن/١٨٥)**ما يدل عليه ، وفي **(عبادي/١٨٦)** التفات عن الاسم الظاهر . **(فإني قريبٌ/١٨٦)** فيه إضمار ، أي فقل لهم : إني قريب ، وحُذفت بخلاف سائر الأسئلة ، للإشارة إلى أن العبد في حالة الدعاء ، في أشرف المقامات ، لا واسِطة بينه وبين مولاه ، وفي

= لزيد ، وهـذا قول البصريين ، ومنهم الأخفش - المحـرر الوجيز (٢/ ١١٥) ، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٥٩) . وهو ما جوّزه الزمخشري . الكشاف (١/ ٣٣٧). وهو قول أبي البقاء . الإملاء (١/ ٨٢) .
ومعنى هذا القول ، هو أن « اللام » جاءت في المفعول المؤخر عن الفعل ، وهو قليل أو ضرورة ، لكن يحسن ذلك هنا ، بُعده عن الفعل بالفصل ، فكأنه لما أخذ لفعل مفعوله وهو اليسر ، وفصل بينهما بجملة ، وهي **(ولا يريد بكم العسر)** ، بَعُد الفعل عن اقتضائه ، فقوي باللام . انظر البحر (٢/ ٤٢) .
وقد تعقبّ أبو حيان هذا القول ، بأن فيه إضمار « أن » بعد « اللام » الزائدة ، وفيه بُعد .
البحر (٢/ ٤٢) ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٨٨) .

(٧) وقد ضعّف أبو حيان هذا القول . البحر (٢/ ٤٢) .

(١) أي أن « اللام » في **(ولتكملوا)** متعلقة بفعل مضمر بعدُ ، تقديره : ولِأن تكملوا العدة رخّص لكم هذه الرخصة .
وهذا قول بعض الكوفيين ، حكاه ابن عطية . المحرر الوجيز (٢/ ١١٥) .

(٢) في (ب) : لأن .



الوصف بالقرب تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه ، وسرعة إنجاحه حاجة من سأله ، بحال من قَرُب مكانه ، فإذا دُعي ، أسرعت[1] تلبيته ، أُجيب ، فيه مراعاة المبتدأ في (فإني) ، ولو رُوعي الخبر ، وهو (قريب) ، لقِيل «يجيب» ، وهما طريقان للعرب ، أشهرهما مراعاة السابق»[2] . **(لعلهم يرشدون/١٨٦)** فاصِلة لا نظير لها في القرآن ، وقيل : إن فيها تعريضاً بليلة القدر ، حيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان ، أي لعلهم يرشدون إلى معرفتها . وقُرِىء بالبناء للمفعول[3] . أبو حيان : «ختم الآية برجاء الرشد لهم ، من أحسن الأشياء ، لأنه تعالى لما أمرهم بالاستجابة له ، والإيمان به ، نبّه على أن هذا التكليف ، ليس القصد منه ، إلا وصولك بامتثالك إلى رشادك في نفسك ، لا يصل إليه تعالى من شيء ، ولما كان الإيمان يُشَبَّه بالطريق المسلوك في القرآن ، ناسب ذِكر الرشاد ، وهو الهداية ، كما قال : **(اهدنا الصراط المستقيم)**»[4][5] .

(أُحلّ لكم/١٨٧) أي أطلق من عُقْدة الخطر ، وهي تمام أحكام الصيام ، فمناسبتها لما قبلها ظاهرة . وقُرِىء **(أحل)** بالبناء للفاعل[6] ، أي الله ، ففيه التفات عن التكلم . **(ليلة الصيام/١٨٧)** فيه اتساع ، أي ليلة اليوم الذي يصبح فيه صائماً . **(الرفث إلى نسائكم/١٨٧)** الراغب : « كلام متضمن لما يُستقبح ذِكره ، من ذِكر الجماع ودواعيه ، وجُعل كِناية عن الجماع هنا ، تنبيهاً على جواز دعائهن إلى ذلك ومكالمتهن فيه . وعُدّي بـ(إلى) ، لتضمنه معنى الإفضاء »[7] . القتبي[8] :

---

(١) في (ب) : استوعب . (٢) البحر (٢/٤٥) باختصار وتصرف .

(٣) وقد قرأ بذلك أبو عبلة وأبو حيوة . المحرر الوجيز (٢/١١٩) . (٤) الفاتحة (٦) .

(٥) انظر البحر (٢/٤٧) بتصرف . (٦) عن ابن ميسرة ، ابن خالويه (١٢) .

(٧) المفردات (١٩٩ - مادة : رفث) .

(٨) هو أبو محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، من أئمة الأدب ، ولي قضاء دينور مدة ، فنسب إليها .

من كتبه : « تفسير غريب القرآن » ، و « تأويل مختلف الحديث » ، و « مشكل القرآن » ، توفي سنة ٢٧٦هـ .

وفيات الأعيان (١/٢٥١) ، وآداب اللغة (٢/١٧٠) .



«(الرفث): هو الإفصاح بما يجب أن يُكَنّى عنه، من ذِكر النكاح»[1]. الزجاج: «(الرفث) كلمة جامعة لكل ما يريد الرجال من النساء»[2]. الكشاف: «فإن قلت: لم كَنّى عن الجماع هنا بلفظ (الرفث)، الدال على معنى القبح، بخلاف قوله: (وقد أفضى بعضكم إلى بعض)[3]، (فلما تَغَشّاها)[4]، (باشِروهن)[5]، (أو لامستم النساء)[6]، (دخلتم بهن)[7]، (فأتوا حرثكم)[8]، (من قبل أن تمسوهن)[9]، (فما استمتعتم به منهن)[10]، (ولا تقربوهن)[11].

قلت: استهجاناً لما وُجِد منهم قبل الإباحة، كما سمّاه اختياناً لأنفسهم»[12][13]. وقرأ ابن مسعود (الرُّفُوث)[14]. (هن لِباسٌ لكم، وأنتم لِباسٌ لهن/187) كناية عن اجتماعهما متجردَين، في فراش واحد، وما يقع بينهما من التَّضامّ والتعانقُ[15]. وقيل: كناية عن سِتر كل منهما صاحبه عما لا يحل له[16]. الراغب: «جعل الزوجة لزوجها لِباساً من حيث إنها تمنعه وتصدّه عن أن يتعاطى

(1) غريب القرآن له (74).

(2) معاني القرآن للزجاج (1/255). وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (2/315). وانظر اللسان (2/153) مادة: رفث.

(3) النساء (21).

(4) الأعراف (189).

(5) البقرة (187).

(6) المائدة (6).

(7) النساء (23).

(8) البقرة (223).

(9) البقرة (237)، والأحزاب (49).

(10) النساء (24).

(11) البقرة (222).

(12) وذلك في قوله تعالى: (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم...) البقرة (87).

(13) الكشاف (1/338).

(14) الدر المصون (2/293).

(15) نحا هذا المنحى في تفسير اللباس الربيع وغيره. جامع البيان (3/491)، والمحرر الوجيز (2/123). وبه قال أبو عبيدة. البحر (2/49).

(16) حكاه الفخر الرازي. التفسير الكبير (5/114).

قبيحاً »[1]. وقال ابن عباس في الآية : « هن سَكَن لكم ، وأنتم سَكَن لهن » صَحّحه من المستدرك[2]. قال الأصبهاني : « والمعنى أنكم تلابسونهن وتخالطونهن بالمساكنة »[3] ، وقال الكرماني : « سمّاها سَكَناً ، من قوله : **(وجعل منها زوجها ، ليسكن إليها)**[4] ، ثم سمّاها لِباساً ، كما سمّى الليل سَكَنا في قوله: **(وجعل الليل سكناً)**[5] ، ثم سمّاه لِباساً في قوله: **(وجعلنا الليل لِباساً)**»[6][7] . والجملة استئناف ، كالبيان لسبب الإحلال ، وهو أنه إذا كان بينكم وبينهن مثل هذه الملابسة والمخالطة ، قلّ صبركم عنهن ، وصَعُب عليكم اجتنابهن ، فلذلك رخّص لكم في مباشرتهن ، وفيها من أنواع البديع ، النوع المسمى بالعكس ، وهو أن يُؤتى بكلام يقدم فيه جزء ، ويؤخر آخر ، ثم يقدم المؤخر ، ويؤخر المقدم . وبُدىء بقوله **(هن لِباسٌ لكم/١٨٧)** لظهور احتياج الرجل إلى المرأة ، وقلِة صبره عنها ، وأنه هو البادِي بطلب ذلك الفِعل . وأفرد اللباس ، لأنه كالمصدر. **(تختانون/١٨٧)** قال الأصبهاني : « الاختِيان من الخِيانة ، كالاكتساب من الكسب ، فيه زيادة وشدة »[8] . وقال الراغب : «الاختِيان مراودة الخِيانة ، وذلك هو المشار إليه بقوله : **(إن النفس لأمارةٌ بالسوء)** »[9][10] ، انتهى .

---

(١) في المفردات (٤٤٧ - مادة : لبس) :
« فجعل الزوج لزوجه لباساً ، من حيث إنه يمنعها ويصدها عن تعاطي قبيح .
(٢) المستدرك (٢/ ٢٧٥) .
(٣) أنوار الحقائق (٢٣٧) .
(٤) الأعراف (١٨٩) .
(٥) الأنعام (٩٦) .
(٦) النبأ (١٠) .
(٧) العجائب (١/ ٢٠٠) . وكل ما قيل في المراد من « اللباس » في الآية صحيح .
والحاصل أن الرجل والمرأة ، كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه ، فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان ، لئلا يشق ذلك عليهم . تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٢٠) .
(٨) أنوار الحقائق (٢٣٧) .
(٩) يوسف (٥٣) .
(١٠) المفردات (١٦٣ - مادة : خون) باختصار .

قلت : وهذا أصوب . **(فتاب عليكم/١٨٧)**[١] أي خفّف عنكم بالإباحة والرخصة وهذه الكلمة تقال كثيراً عند الترخيص ، كقوله : **(علِم[٢] أن لن تحصوه ، فتاب عليكم ، فاقرؤوا ما تيسر من القرآن)**[٣][٤] ، **(فإذ لم تفعلوا ، وتاب الله عليكم)**[٥] . **(باشِروهن/١٨٧)** أمر إباحة ، وكَنّى به عن الجماع ، لما فيه من تلاصق البشرتين . **(وابتغُوا/١٨٧)** الراغب : « الابتغاء خصّ بالاجتهاد في الطلب ، وأكثر استعماله في المحمود ، والبغي مجرد الطلب ، وأكثره في المذموم »[٦] . **(ما كتب الله لكم/١٨٧)** قيل : الولد . وقيل : الرخصة . وقيل : ليلة القدر[٧] . قال الإمام : « ووجه على هذا ، أن الإنسان إذا قضى وَطَره من المباشرة ، وصار فارغاً من داعية الشهوة المانعة عن الفراغ للطاعة ، أمكنه أن يتفرغ لها ، أي إذا تخلصتم من تلك الخواطر المانعة ، فابتغوا ما كتب الله لكم من الصلاة والذكر وطلب ليلة القدر »[٨] .

---

(١) في (أ) : لكم .

(٢) كلمة « علم » ليست في (ب) .

(٣) قوله تعالى **(من القرآن)** غير موجود في (أ) .

(٤) المزمـــل (٢٠) .

(٥) المجادلة (١٣) .

(٦) في المفردات (٥٥ - ٥٦ - مادة : بغي) :
« البغي : طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى ، تجاوزه أو لم يتجاوزه » . وقال أيضاً : « فالبغي في أكثر المواضع مذموم » .
ثم قال : « وأما الابتغاء فقد خص بالاجتهاد في الطلب ، فمتى كان الطلب لشيء محمود ، فالابتغاء فيه محمود » .

(٧) نسب الطبري القول الأول إلى مجاهد وعكرمة وابن عباس وابن زيد وغيرهم . ونسب القول الثاني إلى قتادة ، وأما القول الثالث فقد نسبه إلى ابن عباس أيضاً .
جامع البيان (٣/٥٠٦ - ٥٠٨) ، التفسير الكبير (٥/١١٧) . وزاد الفخر الرازي نسبة القول الثالث إلى معاذ بن جبل .
ولعل القول الأول ، هو أشبه الأقوال بظاهر الآية ، لأنه عقيب قوله **(فالآن باشروهن)** ، ولكن يبدو أن الأولى هنا ، أن يقال إن الآية أعم من ذلك كله ، وخاصة أنه لا دليل على التخصيص . وعلى ذلك يدخل في قوله تعالى : **(وابتغوا ما كتب الله لكم)** جميع معاني الخير المطلوبة .
انظر جامع البيان للطبري (٣/٥٠٨ - ٥٠٩) ، والتفسير القيم لابن القيم (١٤٥) .

(٨) التفسير الكبير (٥/١١٧) بمعناه .



قلت : ووجه إدخال ذلك بين قصة الجماع والأكل ، الاهتمام بالعبادة لئلا يغفل عنها بالانهماك في الملاذ .

وقرىء **(واتّبِعُوا)**[1] من الاتّباع . فـ**(ما كتب الله)** القرآن. وقرىء **(وأتوا)**[2].

(حتى يَتَبَيَّنَ لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر/١٨٧) الخيط الأبيض : أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأُفق ، كالخيط الممدود ، والخيط الأسود : ما يمتد معه من غَبَش الليل ، شبّهها بخيطين : أبيض وأسود . قال :

... ولاح من الصبّح خيط أنارا[3]

وقوله : **(من الفجر)** بيان للخيط الأبيض ، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود ، لأن بيان أحدهما بيان للثاني ، وهذا من باب التشبيه ، فإن قوله **(من الفجر)** أخرجه من باب الاستعارة ، كما أن قولك : رأيت أسداً استعارة ، فإذا زدت من فلان رجع تشبيهاً ، وإنما زِيد **(من الفجر)** حتى كان تشبيهاً ، ولم يقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ وأدخل في الفصاحة ، لأن من شرط المستعار ، أن يدل عليه الحال ، أو الكلام ، ولو لم يذكر **(من الفجر)** ، لم يعلم أن الخيطين مستعاران ، ولذلك ظن كثير من الصحابة قبل نزول **(من الفجر)** ، أن المراد حقيقة الخيطين ، وكان أحدهم يضع عند رأسه خيطين ، ويأكل إلى أن يتبينّ له[4] ، فنزل **(من الفجر)** بياناً لما خَفِي

---

(١) قرأ بذلك ابن عباس والحسن ، ومعاوية بن قرة . المحرر الوجيز (٢/١٢٤) ، والدر المصون (٢/٢٩٦) .

(٢) حكاها أبو حيان عن الأعمش ، وذكر أنها قراءة شاذة لمخالفتها سواد المصحف . البحر (٢/٥٠) .

(٣) القائل هو أبو داود : جارية بن الحجاج الأزدي ، وهو شاعر جاهلي . وصدر البيت -حسب الرواية الموجودة عند الأكثر- هو : فلما أضاءت لنا سُدفة ......

والسدّفة : اختلاط الضوء والظلمة ، كوقت ما بين صلاة الفجر إلى أول الإسفار .

المحرر (٢/١٢٣) ، واللسان (مادة : سدف) .

(٤) روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال :

لما نزلت : **(حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود)** ، عمِدْتُ إلى عقال أسود ، وإلى عقال أبيض ، فجعلتهما تحت وِسادتي ، فجعلت أنظر في الليل ، فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول الله -ﷺ- فذكرت له ذلك ، فقال : (إنما ذلك سواد الليل ، وبياض النهار) ، وهذا لفظ البخاري .

انظر صحيح البخاري (٢/٢٣١) كتاب الصوم - باب (١٦) .

وصحيح مسلم (١/٧٦٦ - ٧٦٧) كتاب الصوم - باب (٨) .



عليهم[١]، وخرج به عن حد الاستعارة إلى التشبيه البليغ ، وبهذا التقدير صار تجريداً ، كأنه جرّد من الفجر خيطاً أبيض ، وهو كما أنك إذا قلت : رأيتُ من زيد رجلًا كريماً ، كأنك جرَّدتَ منه رجلًا كريماً ، وهو هو ، فإذا قلت : رأيت منه أسداً ، كان تجريداً وتشبيهاً معاً ، والآية كذلك ، مع ما فيها من الاكتفاء واللّف والنشر المرتب المُضمر أحد جزأيه .

الزملكاني : « قوله : **(من الفجر)** منتظم في الظاهر مع **(الخيط الأسود)** ، ولا سواد للفجر ، فالتقدير : حتى يتبينَّ لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل ، أي حتى يتبيّن لكم بياض الصبح في بقية سواد الليل » . ابن عبد السلام : « التشبيه في **(الفجر)** ظاهر ، لأن طوله أكثر من عرضه ، وأما الظلام فِكرة ، فكيف يشبّه بالخيط ؟ والجواب : ما قاله أبو عبيدة[٢] : «المراد بالخيط الأسود : الفجر الأول »[٣]، ويكون من باب وصف الشيء بما يؤول إليه ، لأن الفجر يصير إلى السواد بعد وجوده ، والمعنى : حتى يتبينّ لكم الفجر الثاني من الفجر الأول »[٤].

---

(١) روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد –رضي الله عنه– قال :
أُنزلت **(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود)** ، ولم ينزل **(من الفجر)** ، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ، ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ، ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله بعدُ **(من الفجر)** ، فعلِموا أنه يعني الليل والنهار) .
اللؤلؤ والمرجان (٢٤١ – ٢٤٢) كتاب الصوم حديث رقم (٦٦١) .

(٢) هو أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، التيمي بالولاء ، البصري ، إمام في الأدب واللغة ، قال عنه أبوالعباس ثعلب : « كان أبوعبيدة يرى رأي الخوارج وإذا قرأ القرآن قرأه نظراً » ، من كتبه « معاني القرآن » ، و« إعراب القرآن » ، توفي سنة ٢١٣هـ .
تاريخ بغداد (١٣/٢٥٢ – ٢٥٨) ، وإنباه الرواة (٣/٢٧٦ وما بعدها) ، والفلاكة والمفلوكين (٧٥ – ٧٦) ، والأعلام (٨/١٩١) .

(٣) كلام أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/٦٨) :
« الخيط الأبيض : هو الصبح المصدق ، والخيط الأسود : هو الليل ، والخيط : هو اللون » .

(٤) فوائد في مشكل القرآن (٩٥) باختصار .



قلت : وعلى هذا ، فيمكن أن يجعل **(من الفجر)** بياناً للخيط الأبيض والخيط الأسود معاً ، بناء على استعمال المُشْتَرك في معنييه ، ويكون المقصود به دفع وهم من ظن أن المراد حقيقة الخيطين ، فأبان أن المراد بهما الفجر بقسميه ، من صادق وكاذب ، وعلى هذا فلا خلاف في الآية ولا اكتفاء ، ويكون من باب اللّف والنشر المجمل ، لكن الإجمال هنا في النشر لا في اللّف ، على عكس ما تقدّم في **(وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى/١١١)** وهو نوع غريب ، لم أرَ من نبّه عليه . **(ثم أتِموا الصيام إلى الليل/١٨٧)** ذكر لغاية الصيام بعد ذكر ابتدائه ، وهذه الجملة آخر قصة الصوم ، وفي ختمها بلفظ التمام ، و**(إلى الليل)** نوع بديع من براعة الختام . **(ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد/١٨٧)** لما فرغ من أحكام الصيام ، أتبعه بأحكام الاعتكاف ، لما بينهما من المناسبة ، ولهذا شَرَطَ قومٌ الصيامَ فيه ، ونَدَبه آخرون[١]. وعقّب الفقهاء في كتبهم باب الصيام بباب الاعتكاف ، وعندي أنه يؤخذ من الآية عدم اشتراط الصوم فيه ، لأنه لما حظر في الصوم من الفجر ثلاثة أشياء : الجماع والأكل والشرب ، ثم ذكر الاعتكاف ، فحظر فيه الجماع فقط ، دلّ على إباحة الآخرين ، وإلا لحَظَرَهما معه أيضاً[٢].

---

(١) ذهب أبو حنيفة ومالك إلى اشتراط الصوم لصحة الاعتكاف . وذهب أحمد والشافعي إلى عدم اشتراطه ، وإنما هو مندوب .
انظر بدائع الصنائع (١٠٥٧/٣) ، وحاشية الدسوقي (٥٤٢/١) ، والمغني (١٢٠/٣) ، والمجموع (٤٨٧/٦) .

(٢) وهذا الذي ذهب إليه المؤلف هو الراجح في المسألة ، لحديث (ليس على المعتكف صيام إلا أن يجعله على نفسه) .
رواه الدارقطني (١٩٩/٢) ، والحاكم في المستدرك (٤٣٩/١) وقال إنه صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .
ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٣١٩/٤) ، وانظر نصب الراية (٤٩٠/٢) .
وراجع الغاية القصوى في دراية الفتوى للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي . تحقيق : د. علي القره داغي (٤٢٢/١ - ٤٢٣) .



وقـرىء (**عَكِفُـون**) بلا ألف[1] ، و (**في المسجد**) على الإفراد[2]. قال بعض الصوفية : « أخبر الله في الآية ، أن محل القربة مقدّس عن اجتلاب الحظوظ »[3].

(**تلك حدود الله فلا تقربوها**/١٨٧). الكرماني : « قال هنا (**فلا تقربوها**) ، وفيما سيأتي (**تلك حدود الله** ، **فلا تعتدوها**/٢٢٩) لأن الحد الذي هنا ، نهي ، وهو قوله (**ولا تباشروهن**) ، وما كان من الحدود نهياً ، أُمر بترك مقاربته . والذي هناك أمرٌ ، وهو بيان عدد الطلاق ، بخلاف ما كان عليه العرب من المراجعة بعد الطلاق بغير عدد ، وما كان أمراً أُمر بترك مجاوزته ، وهو الاعتداء »[4].

قلت : يُشْكِل على هذا ، إتيانه بصيغة الجمع في (تلك حدود الله) ، فإنه يدل على عَودِه إلى النهي عن المباشرة وغيره من الأوامر التي قبله ، لكن قال أبوحيان : « إنه على تغليب جهة النهي ، إذ هو المعقّب بذلك »[5]. وقال صاحب المناجاة : « لما كان المنهي عنـه هنا المباشرة ، ولا تكون إلا بالقرب ، ناسبه «**لا تقربوها**» ، والمنهي عنه هناك التجاوز في الأخذ عما دفعه الزوج من المهر ، فناسبه « **لا تعتدوها** » .

قلت : ولهذا قال -ﷺ- لمن قالت في الخلع : « وأزيده » : (لا خير في الزيادة)[6] .

---

(١) قرأ بذلك قتادة . البحر (٢/٥٣) ، وابن خالويه (١٢) .

(٢) قرأ بذلك مجاهد والأعمش . البحر (٢/٥٤) ، وابن خالويه (١٢) .

(٣) البحر (٢/٥٤) . (٤) أسرار التكرار (٤١) بتصرف . (٥) البحـر (٢/٥٤) بمعنـاه .

(٦) رواه البيهقي عن ابن عباس -رضى الله عنهما- بلفظ :
أن رجلا خاصم امرأته إلى النبي -ﷺ- ، فقال النبي -ﷺ- :
(أتردين عليه حديقته) ؟ . قالت : نعم وزيادة . قال النبي -ﷺ- : (أما الزيادة فلا) .
السـنن الكـبرى (٧/٣١٤) .
ورواه البخاري بلفظ : أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي -ﷺ- فقالت : يارسول الله ، ثابت بن قيس ما أعيب عليه في خلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر في الإسلام ، فقال رسول الله -ﷺ - :
(أتردين عليه حديقته)؟ . قالت : نعم . قال رسول الله -ﷺ- : (اقبل الحديقة وطلقها تطليقة) .
البخاري (٥/١٧٠) -كتاب الطلاق- باب : الخلع . . . .

وقال في الكشاف : « من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه ، فهو متصرف في حيّز الحق ، فنهى أن يتعداه ، لأن من تعدّاه ، وقع في حيّز الباطل ، ثم بُولغ في ذلك ، فنهى أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حَيِّزي الحق والباطل ، لئلا يداني الباطل ، وأن يكون في الواسطة متباعداً عن الطرف ، فضلاً عن أن يتخطاه ، كما قال -عليه السلام-: (من حام الحِمى ، يُوشك أن يقع فيه) »[1]. ثم قوله (**فلا تقربوها**) أبلغ من «**لا تؤتوها**» ، وأُضيفت الحدود إلى الله دلالة على المبالغة في عدم الالتباس. (**كذلك/١٨٧**) أي مثل هذا البيان الذي ذكر . (**لعلهم يتقون/١٨٧**) قال أبوحيان : « حيث جاءت آيةٌ بتكليفٍ شاقٍ ، خُتمت برجاءِ التقوى ، كما تقدّم في آيتي القصاص والصوم ، وحيث جاءت برخصةٍ ، خُتمت برجاءِ الشكر ، كما تقدّم في آية (**يريد الله بكم اليسر/١٨٥**) وهنا وقع الختم برجاء التقوى ، لأن الآية تضمنت تكليفاً شاقاً ، وهو منع الإنسان من أمر مُشْتَهَىً بالطبع اشتهاءً عظيماً ، بحيث هو ألذّ ما له من الملاذ الجسمانية »[2][3].

(**ولا تأكلوا أموالكم/١٨٨**) قال أبو حيان : « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أن من تعبّده الله بالصوم ، فحبس نفسه عما تعوّده[4] من الأكل والشرب والجماع ، ثم بالاعتكاف ، فحبس نفسه عن اللّذة الكبرى مقيّداً في مكان لا يبرح منه ، جدير

(١) في الكشاف : (إن لكل ملك حمى ، وحمى الله محارمه ، فمن رتع حول الحمى ، يوشك أن يقع فيه). الكشاف (١/٣٤٠) .
وهذا جزء من حديث رواه البخاري بلفظ :
(الحلال بيّن ، والحرام بيّن ، وبينهما مشبّهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات ، استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات ، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) .
صحيح البخاري (١/١٩) - كتاب الإيمان ، باب : (٤٠) .
(٢) فيهما : الجثمانية ، وما أثبتناه من البحر (٢/٥٥) .
(٣) البحر (٢/٤٥ ، ٥٥) بتصرف .
(٤) فيهما : توعده . وما أثبتناه من البحر (٢/٥٥) .



ألا يأكل ، ولا يكون مطعمه ومشربه إلا من الحلال الخالص ، الذي ينوّر القلب ويفضي به إلى الاجتهاد في العبادة ، وإلا لم يكن صومه تاماً ، وتقدَّم أيضاً آية الدعاء ، وشروط الإجابة : إحلال المطعم والمشرب والملبس ، فناسب النهي عن أكل الحرام عقِب ذلك ، ولما كان أول قصة الصوم **(كما كتب على الذين من قبلكم/١٨٣)** ، وكان من شأن أهل الكتاب أكل الباطل والرّشى ، ناسب ذِكر هذه الآية هنا ، للنهي عن التشبّه بهم ، فهذه مناسبات شتى ، كل منها كان ، واقتصر على ذكر الكل ، والمراد سائر وجوه الأخذ ، لأنه الأغلب وإضافة **(أموالكم)** للملابسة ، إذ لا ينهى الإنسان عن أكل ماله ، والمعنى : لا يأكل بعضكم مال بعض »[١] . **(وتُدْلُوا/١٨٨)** على تقدير « **لا** » ، وبها قرأ أُبيّ[٢] ، لأن المقصود النهي عن الجميع لا الجمع ، ومعنى « **تدلوا** » : ترشوا[٣] ، فإن الإدلاء : إرسال الدلو ، والرشوة من الرشاء ، وهو حبل الدلو ، لأنها يمدّ بها لتقضى الحاجة . وقيل : من قولهم : أدلى بحجته ، أي قام بها ، كأنهم جعلوا المال هو الحجة[٤] . **(يسألونك عن الأهلة/١٨٩)** مناسب لما تقدم من قصة الصوم والفطر ، لأنهما موقوتان برؤية الهلال ، ولما سيأتي من قصة الحج ، ولهذا صرّح في جواب السؤال بذكره ، فكانت هذه الآية براعة الاستهلال لأحكام الحج . و **(الأهِلّة)** جمع هِلال ، وهو القمر في أول الشهر ، أو ليلة الثانية[٥] ، قيل : والثالثة ، ثم يقال له قمر ، ولا يقال هلال ، ذكره الراغب[٦] .

---

(١) البحر (٢/٥٥) بتصرف واختصار .

(٢) البحر (٢/٥٦) ، والدر المصون (٢/٣١١) .

(٣) وهو ما رجحه ابن عطية ، للمناسبة المذكورة هنا بين الإدلاء ، بمعنى إرسال الدلو وبين الرشوة من الرشاء ، وأيضاً فإن الحكام مظِنة الرّشا إلا من عُصِم ، وهو الأقل . المحرر الوجيز (٢/١٣٣) .
وقد اقتصر الفخر الرازي على هذا القول دون غيره . التفسير الكبير (٥/١٢٧) .
وهو ما مال إليه القرطبي ، حيث قال : « ويقوِّي هذا قوله : (**وتدلوا بها**) . الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٤٠) .

(٤) وقد حكى أبو حيان هذا القول ، ولكنه استحسن الأول . البحر المحيط (٢/٥٦) .

(٥) في (أ) : أول ليلة والثانية .

(٦) لم أعثر على المذكور هنا فيما اطلعت عليه .



وقال غيره : « الهلال غُرّة القمر حين يراها الناس ، سُمِّيت هِلالاً[1] ، لأن الناس يهلّون عند رؤيته ، أي يرفعون أصواتهم » . والمضارع هنا لحكاية الحال الماضية . وجمع الهلال ، وهو مفرد ، لاختلاف أزمانه . قال الكرماني : « جميع ما في القرآن من السؤال ، وقع عقِبه الجواب بغير فاء ، إلا في قوله : **(ويسألونك عن الجبال ، فقل)**[2] فإنه أُجيب بالفاء ، لأن الأجوبة في الجميع ، كانت بعد السؤال ، وفي « طه » قبل السؤال ، فكأنه قيل : إن سُئلت عن الجبال ، فقل »[3] . **(مواقيتُ/١٨٦)** جمع ميقات ، وهو الوقت المضروب ، والوقت : الزمان المفروض لأمر ما . **(للناس/١٨٩)** شامل للعبادات ، من الصوم والحج والنذور والآجال[4] في المعاملات والعدد وغيرها . فقوله **(والحج/١٨٩)** من عطف الخاص على العام ، صرّح به ليبتني عليه ما ذكره بعده ، من أحكام الحج ، فهو من حسن التخلُّص . أبوحيان : « لم يرد السؤال عن ذات الأهِلَّة ، بل عن حِكمة اختلاف أحوالها ، وفائدة ذلك ، فلذلك أُجيبوا بأنها مواقيت ، فلو كانت على حالة واحدة ، ما حصل بها التوقيت »[5] .

قلت : وهذا ما دلّ عليه سبب النزول[6] ، ووقع في المفتاح[7] ، وكتب متابعيه ، هنا كلام فاسد ، نبّهت عليه في الإتقان »[8] . **(وليس البر بأن تأتوا[9] البيوت من**

---

(١) في (أ) : هـلال .

(٢) طـه (١٠٥) .

(٣) البرهان (١/١٠٥) .

(٤) في (ب) : والإجلال .

(٥) البحر (٢/٦١) .

(٦) روى ابن الجوزي عن ابن عباس قوله إن رجلين من الصحابة قالا : يا رسول الله ، ما بال الهلال يبدو دقيقاً ، ثم يزيد ويمتلىء حتى يستدير ويستوي ، ثم لا يزال ينقص ويَدِق حتى يعود كما كان ؟ فنزلت **(يسألونك عن الأهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج)** .
زاد المسير (١/١٩٥) .

(٧) وهو لأبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون .

(٨) لم أعثر على ذلك في الإتقان .

(٩) في (أ) : يأتوا .



ظهورها/١٨٩) قال في الكشاف : « وجه اتصال هذا بما قبله ، كأنه قيل لهم سؤالكم عن الأهلة ، وعن الحكمة في نقصانها وتمامها ، غير الأهم ، للعلم بأن أفعاله تعالى ، لا تكون إلا لحكمة بالغة ، فدَعُوا السؤال عنه ، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البِر في شيء ، وأنتم تحسبونها بِرّاً »[١]، قال : « ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر الحج ، لأنه كان من أفعالهم في الإحرام »[٢] .

قلت : هذا أحسن ، وهو الذي جزم به غيره ، وزاد أنه ذكر معه ، من باب الزيادة في الجواب على ما في السؤال ، لأنه أهم ، على حد ، سئل عن البحر ، فقال : (هو الطهور ماؤه الحِلّ مَيْتته)[٣]، ثم قال : « ويجوز أن يكون تمثيلاً لتعكيسهم في سؤالهم ، وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب الدار ، ويدخل من ظهرها ، والمعنى : ليس البر ما أتيتم به من هذه الأسئلة ، ولكن البر من اتقى ذلك وتجنّبه ولم يَجْسر[٤] على مثله . **(وأتوا البيوت من أبوابها/١٨٩)** أي وباشروا الأمور من وجوهها ولا تعكسوا »[٥] .

قلت : ليس هذا مراد الآية ، كما يردّه سبب النزول[٦]، والأحاديث[٧] في تفسير

(١+ ٢) الكشاف (١/٣٤١) مع قليل من التصرف .

(٣) رواه الترمذي ، وقال : حسن صحيح .
سنن الترمذي (١/١٠٠ - ١٠١) - أبواب الطهارة - باب : ما جاء في ماء البحر أنه طهور ، حديث رقم (٦٩).
ورواه أيضاً أبو داود (١/٦٤) كتاب : الطهارة . باب (٤١) . والنسائي (١/٥٠) كتاب : الطهارة ، باب (٤٧) .

(٤) في (أ) : ولم يجيبوا .

(٥) الكشاف (١/٣٤١) بقليل من التصرف .

(٦) وعلى هذا ذكر القرطبي أن القول الأول هو الأصح ، الجامع (٢/٣٤٦) .
وهو ما مال إليه أبو حيان . النهر المارد - حاشية البحر (٢/٦٢) .
ويبدو لي أن هذا القول هو الأرجح ، لما ذكر ، ولأن الحمل على الحقيقة -إن كان ممكناً- أولى من الحمل على المجاز.

(٧) روى البخاري عن البراء قال : « كانوا إذا أحرموا في الجاهلية ، أتوا البيت من ظهره ، فأنزل الله : **(وليس** =



الآية . **(ولكن البِر من اتقى/ ١٨٩)** فيه التقديران السابقان[١] . وقرىء **(ولكن البار)**[٢] أبو حيان : « هذه الآية كأنها مختصرة من الآية السابقة ، لأن هناك عدّ أوصافاً كثيرةً ، من البر ، وقال في آخرها : **(وأولئك هم المتقون/١٧٧)**، وقال هنا : **(ولكن البر من اتقى)** ، والتقوى لا تحصل إلا بحصول تلك الأوصاف ، فأحال هنا على تلك الأوصاف ضِمناً إذ جامعها هو المتقي ، ثم لما تقدم جملتان خَبَرِيتان ، عطف عليهما جملتان أمريتان ، الأولى راجعة للأولى ، والثانية راجعة للثانية ، وذلك من بديع الكلام »[٣] ، فقال : **(وأتوا البيوت من أبوابها/ ١٨٩)** هذه راجعة إلى جملة **(وليس البر/ ١٨٩)** ، وعاد ضمير **(البيوت)** بلفظ الواحدة ، كما هو الأفصح في جمع الكثرة . **(واتقوا الله/ ١٨٩)** هذه راجعة إلى جملة **(ولكن البر من اتقى)**. **(لعلكم تفلحون/ ١٨٩)** قال أبو حيان : « هو متعلق بجملة **(واتقوا الله/ ١٨٩)** خاصة ، لأن التقوى جماع الخير ، من امتثال الأوامر ، واجتناب المناهي ، تعلق بها رجاء الفلاح ، وهو الظفر بالبُغْية »[٤]. **(وقاتلوا/ ١٩٠)** معطوف على **(واتقوا الله/ ١٨٩)** ، عطف الخاص على ما اشتمل عليه ، اهتماماً بشأنه ، بحسب اقتضاء الوقت ، وقد ورد أنها أول آية نزلت في القتال[٥].

= **البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها)** .
صحيح البخاري (٥/١٥٧) - كتاب : تفسير القرآن - باب : ٢٩ .
وروى أبو داود الطيالسي عن البراء قال : كانت الأنصار إذا قدموا من سفرهم ، لم يدخل الرجل من قبل بابه ، فنزلت هذه الآية .
مسند أبي داود الطيالسي (٩٨) .
وانظر تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٢٥) .
والمحرر (٢/١٣٨)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٦٨) ،وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٠٠ - ١٠١) .

(١) المذكوران في (ولكن البر من آمن) .
(٢)
(٣) البحـر (٢/ ٦٤) باختصار .
(٤) المرجع السابق .
(٥) وهذا خلاف ما روي عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - من أن أول آية نزلت في القتال : **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا)** ، الحج (٣٩) . زاد المسير (١/ ١٩٨) .
وقد ذكر القرطبي أن القول الأول ، هو الذي عليه الأكثر ، وأن آية الإذن إنما نزلت في القتال عامة لمن قاتل ولمن لم يقاتل من المشركين . الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٤٧) .



وقيل : إنها نزلت لما صدّ المشركون رسول الله -ﷺ- وأصحابه عام الحديبية وصالحوه على أن يعود من قابل لعمرة القضاء ، وخاف المسلمون ألا يفوا بذلك ، ويصدوهم ويقاتلوهم في الشهر الحرام ، وفي الحَرَم ، فنزلت مبيحة لقتالهم إن قاتلوا[1] . أبوحيان : «وبذكر هذا السبب ، ظهرت مناسبة الآية لما قبلها ، لأنه تضمن شيئاً من متعلّقات الحج »[2] ، ولهذا قال بعده **(ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ، حتى يقاتلوكم فيه/١٩١)** ، وقال : **(الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص/١٩٤)** . **(في سبيل الله/١٩٠)** استعارة ظرفية مجازية ، وقدّم على المفعول الصريح ، لأنه الأهم ، ولذا اقتصر عليه في آية أخرى[3] . **(ولا تعتدوا/١٩٠)** أطلق ليعم جميع وجوه الاعتداء ، من الابتداء بالمقابلة ، وقتل ما نُهي عن قتله من النساء والصبيان والشيوخ ، ومن ألقى السلام ، والمُثْلَة[4] وغير ذلك. قال الأصبهاني : « وهذا من كمال البلاغة ، أن اختصر اللفظ ، وأفاد زيادة المعنى »[5] . **(واقتلوهم/١٩١)** أي الذين يقاتلونكم . **(حيث ثَقِفْتموهم/١٩١)** أي وجدتموهم في حِلّ أو حرم . الأصبهاني : « الثَّقْف : وجود على وجه الأخذ والغلبة »[6] . الراغب : « أصل الثقف : الحذق في إدراك الشيء وفعله ، يقال : ثقفت كذا ، إذ أدركته ببصرك لحذق في النظر ، ثم قد يتُجوزّ به ، فيُستعمل في الإدراك ، وإن لم يكن معه ثقافة ، كالواقع في الآية »[7] . **(والفتنة/١٩١)** أي الشرك منهم ، وقيل : تعذيبهم مَن أسلم ، وقيل : صدّهم إياك عن المسجد ، وقيل : العذاب المعدّ لهم في الآخرة[8] . قال الأصبهاني : «والأولى أن يحمل على جميع هذه

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (٣٣) .
(٢) البحر (٢/٦٤) .
(٣) كما في الفقرة (٢٤٤) .
(٤) كلمة « والمثلة » ليست في (ب) .
(٥) أنوار الحقائق (٢٤٠) .
(٦) أنوار الحقائق (٢٤١) .
(٧) المفردات (٧٩) مادة : ثقف - باختصار .
(٨) القول الأول من الأقوال السابقة الذكر اختاره الطبري (جامع البيان (٣/٥٦٥) ، وهو ما جرى عليه ابن كثير (١/٢٢٧) ، وابن العربي في أحكام القرآن (١/١٠٩) .
والقول الثاني مروي عن الكسائي . البحر (٢/٦٦) .
والقول الثالث جوّزه الزمخشري . (١/٣٤٢) .
وأما القول الأخير ، فقد حكاه أبو حيان دون أن ينسبه لأحد . البحر (٢/٦٦) .

الأمور »[1] . وقال أبو حيان : « الفتنة والقتل مصدران لم يذكر فاعلهما ولا مفعولهما ، وإنما أخبر أن ماهية الفتنة ، أشد من ماهية القتل ، فكل مكان تتحقق فيه هذه النسبة ، كان داخلاً في عموم هذه[2] الأخبار ، وتعيين نوع ما من أفراد هذا العموم ، يحتاج إلى دليل »[3] . الراغب : « أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ، واستُعمل في إدخال الناس النار ، نحو : **(يوم هم على النار يُفتنون)**[4] ، **(ذوقوا فتنتكم)**[5] . وتارة يُسَمّون ما يحصل عنه العذاب به ، نحو **(ألا في الفتنة سقطوا)**[6] ، وتارة في الاختبار ، نحو **(وفتناك فتوناً)**[7] ، وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يُستعملان فيما يُدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء ، قال تعالى في الأمرين : **(ونبلوكم بالشر والخير فتنةً)**[8] ، لكنهما في الشدة أظهر معنىً ، وأكثر استعمالاً »[9] . انتهى . **(ولا تقاتلوهم/١٩١)**، في قراءة **(تقتلوهم)**، وكذا الفعلان بعده[10] ، ففيهما مجاز ، أي حتى[11] يقتلوا بعضكم ، ولم يقرأ **(فاقتلوهم/١٩١)** إلا بوجه . وفيه إشارة عظيمة بالغَلَبة عليهم ، أي هم من الخذلان وعدم النصرة ، بحيث أُمِرتم بقتلهم لا بقتالهم ، فأنتم متمكِّنون منهم ، لا تحتاجون إلى إيقاع القتل بهم ، إذا ناشبوكم[12] القتال ، لا إلى قتالهم ، وضمير **(فيه/١٩١)**

---

(١) أنوار الحقائق (٢٤١) .

(٢) في (أ) هذا .

(٣) البحر (٢/٦٦) .

(٤) الذاريات (١٣) .

(٥) الذاريات (١٤) .

(٦) التوبة (٤٩) .

(٧) طه (٤٠) .

(٨) الأنبياء (٣٥) .

(٩) المفردات (٣٧١ - ٣٧٢ ، مادة : فتن) مع قليل من الاختصار .

(١٠) أي قوله : (يقاتلوكم) ، و (قاتلوكم) ، فقد قرئا أيضاً من غير ألف ، وهي قراءة حمزة والكسائي والأعمش .
حجة القراءات (١٢٧) ، والبحر (٢/٦٧) .

(١١) كلمة « حتى » ليست في (ب) .

(١٢) في (ب) : ناصبوكم .



لـ(عند/١٩١) ، ويقدّر «فيه» في الفعلين بعده . (**كذلك جزاء الكافرين/١٩١**) إشارة إلى عِلّة القتل ، وهو الكفر .

(**فإن انتهوا/١٩٢**) أي عن الكفر . وقيل : عن المقاتلة ، فالمغفرة على هذا للمخاطبين بإسقاط تكليف القتال عنهم[1] . (**وقاتلوهم/١٩٣**) الضمير لمن تقدم ، فتكون معممة في الأحوال والأمكنة ، وما سبق فيمن قاتل . (**حتى لا تكون فتنة/١٩٣**) ، فسّره ابن عباس وغيره بالشرك[2] . وقال الطيبي : « الذي يقتضيه حسن النظم ، وإيقاع النكرة في سياق النفي ، أن تجري (**فتنة**) على حقيقتها ، لتستوعب جميع ما يُسمىٰ فتنة ، فيدخل فيها الشرك والقتال والتحزّب وجميع ما عليه مخالفوا دين الإسلام ، فيطابقه قوله : (**ويكون الدين لله/١٩٣**) ، لأن معناه : يكون الدين كله لله ، كما جاء في سورة الأنفال ، ويكون تعميماً بعد تخصيص ، لأن الفتنة حملت أولاً على الشرك ، ولو أريد عين الفتنة السابقة ، لكان الواجب أن يُجاء بها معرفة[3] ، لأن الشيء إذا أُعيد أُضمر ، أو كُرر بعينه ، وضعاً للمظهَر موضع المضمَر ، فإن النكرة إذا أُعيدت ، ولم يُرَد بها التكرار ، كانت غير الأول ، بخلاف المعرفة ، ولأن قوله : (**فإن انتهوا ، فلا عدوان/١٩٣**) يقتضي مفعولاً أعمّ مما اقتضاه قوله : (**فإن انتهوا ، فإن الله غفورٌ رحيمٌ/١٩٢**) ، لأن الشيء إذا كُرِّر ، وجيء بالثاني أعم من الأول ، كان أحسن من العكس ، لئلا يجيء الكلام مبتوراً » . انتهى . (**ويكون الدين لله/١٩٣**) ، زاد في الأنفال (**كله/٣٩**) ، لأن القتال في هذه

---

(١) ذكر ابن الجوزي هذين القولين ، وزاد قولاً ثالثاً ، وهو : فإن انتهوا عن شِرْكِهِم وقتالكم . زاد المسير (١/ ٢٠٠) .
وهو اختيار الطبري (٣/ ٥٧٢) .
ولعل القول الأول هو الأرجح ، وهو اختيار ابن عطية (٢/ ١٤٢) .
وما في الآية هنا نظير قوله تعالى : (**قل للذين كفروا ، إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف**) ، **الأنفال** (٣٨) .
والقول الثاني لازم لهذا القول الأول ، لأنهم إذا أسلموا ، فسينتهون عن القتال .

(٢) زاد المسير (١/ ٢٠٠) .

(٣) في (أ) : معه .



السورة مع أهل مكة ، وفي الأنفال مع جميع الكفار ، فقيّده بقوله **(كله)** قاله: الكرماني[1] ، والإمام[2] . **(فإن انتهوا ، فلا عدوان إلا على الظالمين/١٩٣)** هو خبر بمعنى الطلب ، وقع كناية عن قول: «**فلا تعتدوا**» على المنتهين ، لأن إثبات العدوان على الظالمين على سبيل الحصر في هذا المقام ، فعِيد لنفي العدوان عن المنتهين ، لأنه مقابِله .

الأصبهاني : « أصل الكلام : فإن انتهوا ، فلا تقاتلوهم ، ثم وضع قوله: **(فلا عدوان/١٩٣)** على المنتهين ، موضع ذلك ، ثم كنّى عن ذلك بقوله : **(فلا عدوان إلا على الظالمين/١٩٣)** »[3] ، ثم تسمية المقاتلة عدواناً ، على سبيل المشاكلة المعنوية ، لأن التقدير : فإن انتهوا عن العدوان ، قاله الرماني[4] [5] . وقيل : معناه : فلا سبيل ولا حجة ، كقوله :**(أيما الأجلين قضيت ، فلا عدوان علي)**[6] أي فلا سبيل علي[7] . الإمام : « ختم هنا بذلك ، وفي الأنفال : **(فإن الله بما يعملون بصيرٌ/٣٩)** ، لأن الحكم هنا لما كان في الكفرة المخصوصين ، كان الانتهاء سبباً لكف العدوان عنهم ، وعدم كفه عن الظالمين المستمرين على ظلمهم ، لعدم الانتهاء ، ولما كان الحكم في الأنفال لجميع الكفرة ، ناسبه التقييد بما هو أعم من اطلاع الله على أحوالهم ، أخلصوا في الانتهاء أولاً ، ومثل هذا إذا صدر من الحكيم

---

(١) أسرار التكرار (٤١) .

(٢) لم أجده في التفسير الكبير .

(٣) في أنوار الحقائق (٢٤١) :

« ثم وضع فلا عدوان عليهم ، ثم كنى عن معنى قوله : فلا عدوان على المنتهين بقوله (فلا عدوان إلا على الظالمين » .

(٤) في البحر (٢/٦٨) :

« وقال الرماني : « إنما استعمل لفظ العدوان في الجزاء من غير مزاوجة اللفظ ، لأن مزاوجة اللفظ مزاوجة المعنى ، كأنه يقول : انتهوا عن العدوان ، فلا عدوان إلا على الظالمين » .

(٥) انظر أنوار الحقائق (٢٤١) .

(٦) القصص (٢٨) .

(٧) حكاه أبو حيان في البحر (٢/٦٩) .



العليم ، كان فيه غاية التهديد »[1] . (**الشهر الحرام بالشهر الحرام/١٩٤**) في الأول للعهد الذهني ، وفي الثاني للعهد الحضوري . (**والحُرُمات/١٩٤**)، قرىء بسكون الراء[2] . (**فمن اعتدى عليكم/١٩٤**) هذا مؤكد لما قبله ، من قوله: (**والحرمات قصاصٌ**). (**فاعتدوا عليه/١٩٤**) سمى الجزاء اعتداءً مشاكلة . (**بمثل**) أي بعقوبة مثل. وقيل : الباء زائدة ، أي مثل اعتدائه ، فهو نعت لمصدر محذوف ، أي اعتداء مماثلاً لاعتدائه[3] . (**واتقوا الله/١٩٤**) الآية مناسبة للأمر بترك الاعتداء ، والتعدي في القصاص . (**وأنفقوا/١٩٥**) مناسب للأمر بالقتال لأن الجهاد يحتاج إلى بذل المال ، كما تبذل فيه النفس . (**في سبيل الله/١٩٥**) الأصبهاني : « كل ما أمر الله به من الخير ، فهو من سبيل الله ، وأكثر ما يستعمل في الجهاد »[4] . (**ولا تُلْقوا بأيديكم/١٩٥**) قيل: الباء زائدة[5] . وقيل : المفعول محذوف ، أي لا تلقوا أنفسكم بأيديكم ، كما يقال: أهلك فلان نفسه بيده ، إذا تسبّب في هلاكها[6] . وقال أبوحيان : « بل ضمّن (**تُلقوا/١٩٥**) معنى تفضوا ، وكنّى بالأيدي عن النفس ، لأن بها الحركة والبطش والامتناع »[7] . وقيل : المعنى ، لا تجعلوا التهلُكة آخِذة بأيديكم ، مالِكة لكم[8] .

وقيل : لا تأخذوا في ذلك ، يقال لكل من أخذ في عمل ، ألقى يده إليه . الواحدي : « المعنى : لا تقربوا مما يهلككم ، لأن من ألقى يده إلى الشيء ، فقد

---

(١) لم أجد هذا الكلام في التفسير الكبير للإمام .

(٢) قرأ بذلك الحسن . البحر (٢/٦٩) .

(٣) البحر (٢/٧٠) ، وانظر الدر المصون (٢/٣١٠) .

(٤) أنوار الحقائق (٢٤٢) .

(٥) وهذا قول أبي عبيدة ، والأخفش . الدر المصون (٢/٣١١) ، ومعاني القرآن للأخفش (١/١٦١) . وإليه ميل الزمخشري (١/٣٤٣) ، والقرطبي (٢/٣٦٢) ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (١/٢٩٢) .

(٦) حكاه السمين . الدر المصون (١/٣١١) .

(٧) البحر (٢/٧١) باختصار قليل .

(٨) وهو ما حكاه الزمخشري أولاً . الكشاف (١/٣٤٣) .



قرب منه . وهذا مبالغة في الزجر ، وتأكيد في النهي »[1] (**التهلُكَة/ ١٩٥**) الراغب : « هي ما يؤدي إلى الهلاك »[2]. وقال غيره : «مصدر بمعنى الهلاك ، قيل : ولم يوجد في كلام العرب مصدر على « تفعُلَه » بضم العين ، إلا هذا[3]. (**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين/ ١٩٥**) الختم به مناسب للإنفاق . (**وأتموا الحج/ ١٩٦**) عوداً إلى ما كان الكلام فيه من قصة الحج بعد انقضاء ما تخلَّله من قصة القتال الذي خالفوه في الإحرام ، وبدأ به قبل العمرة ، وإن نزلت الآيات وهم محرمون بها ، لأنه آكد وأعظم . الأصبهاني : « ينبغي حمل (**وأتموا**) على معنييه ، أي ابتدئوا ، فإذا دخلتم فيه ، فأتِمُّوه ، ليكون جامعاً بين وجهي الإتمام »[4]. وقرأ عليّ : (**وأقيموا**)[5]، وقرىء (**والعمرة/ ١٩٦**) بالرفع على الابتداء[6]، والخبر ما بعده. وقرىء (**وأتموا الحج والعمرة إلى البيت**)[7]. (**لله/ ١٩٦**) قال ابن عبد السلام: «قال (**لله**) ، لأن الحج مما يكثر فيه الرياء ، بخلاف غيره من العبادات »[8]. وقال المروزي : « لأن الكفار كانوا يحجون للأصنام »[9] ، (**فإن أُحصِرتُم/ ١٩٦**) الراغب : « أصل الحَصْر : التضييق ، والإحصار المنع من طريق البيت ، ويُطلق على المنع الظاهر ، كالعدوّ ، والباطن ؛ كالمرض ، بخلاف الحَصْر ، فإنه لا يقال إلا في المنع الباطن . وقوله : (**فإن أُحصرتم**) محمول على الأمرين ، وكذا قوله : (**للفقراء الذين أُحصروا**

---

(١)

(٢) المفردات (٥٤٥) - مادة : هلك .

(٣) ذهب إلى ذلك ثعلب . الدر المصون (٢/ ٣١٢) .
والأمر ليس كذلك ، لما حكى سيبويه من أنه مما جاء من المصادر على هذا الوزن : التّضرّة ، والنّسرّة . الكتاب (٤/ ٢٧٠) .

(٤) أنوار الحقائق (٢٤٣) .

(٥) ذكر أبو حيان أن الذي قرأ بذلك هو علقمة ، وذكر ابن عطية أنها رويت عن ابن مسعود . البحر (٢/ ٧٢) ، والمحرر (٢/ ١٥١) .

(٦) عن علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم. ابن خالويه (١٢) ، والبحر (٢/ ٧٢) .

(٧) قرأ بذلك ابن مسعود . البحر (٢/ ٧٢) .

(٨) فوائد في مشكل القرآن (٩٧) .

(٩) البحر (٢/ ٧٢) .



في سبيل الله)[1] ، بخلاف (أو جاؤوكم حَصِرت صدورهم)[2] ، فإنه خاص بالباطن ، أي ضاقت صدورهم بالجبن والبخل »[3] . (فما استيسر من الهدي/١٩٦) أي على من أُحْصِر ، أو عليكم[4] ، أو فالواجب[5] ، أو فلْيُهْدِ[6] ، و(استيسر) بمعنى تيسّر ، الراغب : « الهدْي مخصوص بما يُهدى إلى البيت ، واحِده «هديْه» بسكون الدال »[7] .

وقال غيره : « سُمي بذلك ، لأنه يتقرب به إلى الله بمنزلة الهدية يهديها الإنسان إلى غيره ، تقرباً إليه » . وقرىء بكسر الدال ، وتشديد الياء[8] ، جمع هدِيّة ، كمطي ومطيّة . وقيل : التشديد لغة تميم ، والمخفّف مصدر لا واحد له . (ولا تحلِقُوا رؤوسكم/١٩٦) قيل : خاص بالمحْصَرين . وقيل : عام[9] ، ففيه من فنون الخطاب خطابه العام بعد الخاص . وفيه مجاز في الفاعل ، أي لا يحلق بعضكم رأس بعض ، وفي المفعول ، أي شَعْر رؤوسكم . (حتى يبلغ الهدي مَحِلَّه/١٩٦) كنّى به عن الإحلال ، على قول العموم ، فتَضَمَّن الإشارة إلى مشروعية الهدْي ، ووقته ومكانه . (فمن كان منكم/١٩٦) فيه القولان السابقان ، وحديث كعب بن

(١) البقـرة (٢٧٣) .
(٢) النساء (٩٠) .
(٣) المفردات (١٢٠) مادة : حصر - باختصار .
(٤) هذا ما ذهب إليه الأخفش . معاني القرآن (١/١٦٢) .
(٥) وهو ما جوّزه أبو حيان . البحر (٢/٧٤) .
(٦) وهذا مذهب ثعلب . الدر المصون (٢/٣١٣) .
(٧) المفردات (٥٤١) مادة : هدى .
إلا أن فيه : « . . . . قال الأخفش : والواحدة هديّة ، قال : ويقال للأنثى هدى ، كأنه مصدر وصف به . . . . » .
(٨) قرأ بذلك مجاهد والزهري وابن هرمز وأبو حيوة . البحر (٢/٧٤) .
(٩) ذهب إلى القول الأول الطبري (٤/٣٦) ، والزمخشري (١/٣٤٤) .
وذهب إلى القول الثاني ابن عطية (٢/١٥٤) ، وابن كثير (١/٢٣٢) ، وهو ما بدأ به الشوكاني (١/١٩٦) . وانظر الجامع للقرطبي (٢/٣٧٩) .
وقد جوّز أبو حيان القولين . البحر (٢/٧٤) .

عجـرة[1] في نزولهـا[2] يؤيد كونها في غير المحصرين . (**أو به أذىً من رأسـه ، ففديةٌ/١٩٦**) يقدّر قبله « **فحلق** » . الراغب : « الفدية ما يقِي به الإنسان نفسه من ماله يبذله في عبادة يُقَصِّر فيها »[3] . ورفعها على الابتداء ، أي عليه أو الخبر ، أي فالواجب[4] .

وقرىء بالنصب[5] ، أي فليفْدِ . (**من صيامٍ أو صدقةٍ أو نُسُكٍ/١٩٦**) فيه ترقّ من الأدنى إلى الأعلى ، فإن قيل : لِمَ قال : (**أو نُسُك**) ، ولم يقل : «**أو ما استيسر من الهدي**» كالآية السابقة ، والآتية ؟ .

قلت : ظهر لي أن ذلك لنكتة ، وهو أنه لو قاله ، لأوهم أن المراد به ما تقدّم إيجابه على المُحْصَر بعينه ، وأنه اكتفى به هنا ، وأن الحالِق لعذر مخيّر بين أن يصوم أو يتصدق أو يكتفي بما استيسر من الهدي الذي لزمه في الإحصار من غير زيادة ، فعـدل إلى قولهم (**أو نسـكٍ**) ونكّـره ، ليفيد أنـه غيره ، وأنـه ذبيحـة أخرى[6] . الراغب : « النُّسُك : العبادة ، واختص بأعمال الحج ، والنَّسِيكة مختصة بالذبيحة . والمناسِك : مواقف النُّسُك وأعمالها »[7] ، انتهى .

---

(١) هو أبو محمد ، كعب بن عجرة بن أمية البلويّ ، صحابي جليل ، حليف الأنصار ، شهد المشاهد كلها ، سكن الكوفة ، وتوفي بالمدينة سنة ٥١هـ . الإصابة (ت ٧٤١٣) ، والنووي (٦٨/٢) .

(٢) أخرج البخاري حديث كعب بن عجرة ، حيث قال : « وقف عليّ رسول الله -ﷺ- بالحديبية ، ورأسي يتهافت قملاً ، فقال : (يؤذيك هوامك) قلت : نعم ، قال : (فاحلق رأسك) ، أو قال : (احلق) . قال فيّ نزلت هذه الآية : (فمن كان منكم مريضاً ، أو به أذىً من رأسه) إلى آخرها ، فقال النبي -ﷺ- : (صم ثلاثة أيام ، أو تصدق بفرق بين ستة ، أو انسك بما تيسر) .
البخاري (٢٠٨/٢) كتاب : الحج - باب : (٦) .

(٣) المفردات (٣٧٤) مادة : فدى .

(٤) انظر البحر (٧٦/٢) .

(٥) حكى أبـو حيان أن بعض المفسرين ذكـر ذلك ، وعلى هذا تكون « فدية » منصوبة على إضمار فعل ، تقديره : فليفد - كما ذكر مؤلفنا .
انظر البحر (٧٦/٢) ، وانظر الدر المصون (٣١٧/٢) .

(٦) في (ب) : آخر .

(٧) المفردات (٤٩٠ - ٤٩١ ، مادة : نسك) .



وقال ابن الأعرابي : « النُّسُك : سبائك الفضة ، كل سبيكة نَسِيكة ، ثم قيل للمتعَبِّد ناسِك ، لأنه خلّص نفسه عن دَنَس الآثام ، وصفّاها كالسبيكة المخلّصة عن الدنس ، ثم قيل للذبيحة نسك ، لأنها من أشرف العبادات التي يتقرب بها »[1] . (**فإذا أمنتم/١٩٦**) أبوحيان : « الأمن سكون يحصل في القلب بعد اضطرابه »[2] . (**فمن تَمتَّع بالعمرة إلى الحج/١٩٦**) أي يضم العمرة إلى الحج ، والتمتع : الانتفاع . (**فمن لم يجد/١٩٦**) أي الهدي ، (**فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ في الحج/١٩٦**) أي عليه ، وقرىء بالنصب[3] ، بتقدير : فليصم . وقوله : (**في الحج**) أي في زمن الإحرام به أو في أشْهُرِه[4] ، قولان . (**وسبعةٍ إذا رجعتم/١٩٦**) قيل : إلى أوطانكم[5] . وقيل : فَرَغْتُم من أعمال الحج[6] . وفي (**رجعتم**) التفات عن الغيبة . والأصل « رجع » ، ومراعاة لمعنى « من » . وقرىء (**وسبعةً**) بالنصب[7] عطفاً على محل (**ثلاثة**) ، لأنه نُصِب بـ(**صيام**)[8] ، أو بإضمار فِعل ، أي صوموا[9] .

---

(١) لسان العرب (١٠/٤٩٩) مادة : نسك) .

(٢) البحر (٢/٧٦) .

(٣) البحر (٢/٧٨) من دون أن ينسبه لأحد . وكذا في الدر المصون (٢/٣١٨) .

(٤) قاله : عكرمة ، وعطاء ، وأبو حنيفة ، وأحمد . البحر (٢/٧٨) ، والشرح الكبير لابن قدامة المقدسي (٣/٣٣٤) .
وهو ما استظهره أبو حيان لقِلّة الحذف ، المرجع السابق .
والقول الأول هو مذهب الشافعية ، وهو ما عليه ابن كثير .
المجموع (٧/١٩٣) ، والتفسير الكبير (٥/١٦٨) ، وتفسير القرآن العظيم (١/٢٣٤) .
وبه قال مالك . الجامع للقرطبي (٢/٤٠١) ، وانظر أحكام القرآن لابن العربي (١/١٣٠) .

(٥) هو الصحيح عند الشافعية ، وهو قول لمالك . المجموع (٧/١٩٣) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١/١٣١) .
ولعل هذا القول هو الأرجح ، لما ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر أنه قال : قال -ﷺ- (فمن لم يجد هدياً ، فليصم ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجع إلى أهله) . البخاري (٢/١٨١) كتاب : الحج - باب (١٠٤) ، وانظر فتح القدير للشوكاني (١/١٩٧) .

(٦) وهو قول أبي حنيفة ، وأحمد . التفسير الكبير (٥/١٦٨) ، والشرح الكبير (٣/٣٣٥) .

(٧) قرأ بذلك زيد بن علي ، وابن أبي عبلة . الدر المصون (٢/٣١٨) .

(٨) قاله الزمخشري . الكشاف (١/٣٤٥) .

(٩) قاله الحوفي ، وابن عطية . البحر (٢/٧٩) ، والمحرر (٢/١٦١) .

(**تلك عشرةٌ كاملةٌ/١٩٦**) ذُكِرت هذه الجملة للتأكيد الرافع لاحتمال أن يعني بالواو معنى « أو » ، ونظيره في التأكيد (**فَتَمَّ مِيقات ربه أربعين ليلةً**)[١] ، لأنه رافع لاحتمال أن تكون العشرة بغير مواعدة ، (**ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيه**)[٢] رافع لاحتمال إرادة قوة الإسراع دون الطيران . (**يقولون بألسنتهم**)[٣] رافع لاحتمال إرادة القول القلبي .

ابن الباذش[٤] : « أتى بـ(**عشرةُ/١٩٦**) توطِئة لقوله (**كاملةٌ/١٩٦**) ، لا أنها هي الخبر المستقل به فائدة الإسناد ، فجيء بها للتوكيد ، كما تقول : زيد رجل صالح »[٥] .

وقال غيره : « مذهب العرب إذا ذكروا عددين ، أن يُجملوهما ، لِقلّة معرفتهم بالحساب ، كما ورد (إنا أمةٌ أميّة ، لا نكتب ولا نحسب)[٦] ، وورد ذلك في أشعارهم كثيراً »[٧] .

= وهو ما نصره أبو حيان محتجاً بأن العطف يُشترط فيه وجود المحرز أي الداعي إلى ذلك ، وليس ثمة داع هنا ، لأن «صيام» في الآية مصدر غير مُنَوَّن وهو لا يعمل أصلاً في منصوب ، فكيف نعطف على معموله بالنصب ؟ .
البحر (٢/٧٩) .

(١) الأعراف (١٤٢) .

(٢) الأنعام (٣٨) .

(٣) الفتح (١١) .

(٤) هو علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي ، المعروف بابن الباذش ، من العلماء بالعربية ، من كتبه : « المقتضب من كلام العرب » ، و« شرح كتاب سيبويه » ، و« شرح أصول ابن السراج » في النحو ، و« شرح الإيضاح » للفارسي . توفي سنة ٥٢٨هـ .
بغية الوعاة (٣٢٦) ، وإنباه الرواة (٢/٢٢٧) ، وهدية العارفين (١/٦٩٦) .

(٥) البحر (٢/٧٩) .

(٦) رواه الشيخان عن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- أنه قال : (إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا) .
يعني مرة تسعة وعشرين ، ومرة ثلاثين .
اللؤلؤ والمرجان (٢٤٠) - حديث رقم (٦٥٥) .

(٧) هذا قول ابن عرفة . البحر (٢/٧٩) .



الكشـاف : « فائـدة الفذلكة في كل حساب ، أن يُعْلَم العدد جملة كما عُلِم تفصيلاً ليُحاط[1] به من جهتين ، فيتأكد العلم »[2] . و (كاملةٌ) تأكيد آخر ، وفيه زيادة بصيامها وألا يتهاون بها ولا ينقص من عددها[3] .

وقيل : كاملة بشروطها وحدودها[4] ، وقيل : كاملة في وقوعها بدلاً من الهدي[5] .

وقيل : لفظه خبر ، ومعناه الأمر ، أي فأكملوها ولا تنقصوها[6] .

الكـرمـاني : « إن قيل : لِمَ[7] قيَّد[8] الثلاثة والسبعة بالعشرة ، وذلك معلوم بالبديهة ، فعنه ثمانية أجوبة : جوابان من التفسير ، وجواب من الفقه ، وجواب من النحو ، وجواب من اللغة ، وجواب من المعنى ، وجوابان من الحساب . أما التفسير فالجواب الأول ، إن المقصود ، ذِكر الكمال لا ذكر العشرة ، وأن المعنى : تلك عشرة كاملة عن شاة . والثاني : تقديره : فصيام عشرة أيام ، ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجعتم . وأمـا الفقـه ، فإن الكفـارات وجبت متتـابعة ، ولما فصل هنا بينهما بالإفطار ، قيّد ليعلَم أنها كالمتصلة . وأما النحو ، فإن الواو قد تأتي بمعنى « أو » نحـو (**فـانكحـوا ما طاب لكم من النسـاء ، مثنى وثُـلاث ورُبـاع**)[9] أي أحد المذكورات ، فقيّد ليُعْلَم أن كليهما مرادان . وأما اللغة ، فإن السبع يُذْكَر ، والمراد به الكثرة لا العدد المعروف ، وكذلك السبعون والسبعمائة ، فقيّد ليُعْلَم أن المراد به

---

(١) في النسختين : ليخاطب – وما أثبتناه من الكشاف .

(٢) الكشاف (١/٣٤٥) .

(٣) قال الزمخشري . الكشاف (١/٣٤٥) .

(٤) لم أعثر على هذا القول .

(٥) وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس . زاد المسير (١/٢٠٧) .

(٦) حكاه القرطبي (٢/٤٠٢) ، وهو اختيار الطبري (٤/١٠٩) .

(٧) في (أ) : لما .

(٨) في (ب) : يقيد .

(٩) النسـاء (٣) .



العدد المعروف ، وهو ما بين الست والثمان . وأما المعنى ، فإن الثلاثة لما عُطِفَت عليها سبعة ، احتمل أن يكون بعدها ثالثة ، فقيل بالعشرة ، ليُعْلَم أنها كَملَت . وأما الحساب ، فإن السبعة المذكورة عقِب الثلاثة ، يحتمل أن تكون مع الثلاثة ، أي هي من جملتها ، كما في قوله: ﴿**وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام**﴾[1] بعد قوله : ﴿**خلق الأرض في يومين**﴾[2] ، فإن المراد يومان مع اليومين المتقدّمين ، لا أربعة سِواها ، فقيّد بقوله: ﴿**تلك عشرةٌ كاملةٌ**﴾ ، ليُعْلَم أنها سبعة سِوى الثلاثة . والثاني : أن عادة الحساب قد جرت بذكر الجملة بعد التفصيل . قال الفرزدق :

ثلاث واثنتان فهن خمس .... .[3]

وقال الأعشى :

ثلاث بالغداة فهنّ حسبي ... وست حين يدركني العشاء

فذلك تسعة في اليوم ريّ ... وشرب المرء فوق الريّ داء[4]

وفائدة ذلك ، ما تقدم من الإعلام بالجملة بعد التفصيل ، ثم الحساب تارة يذكرون التفصيل ، ثم الجملة كما هنا ، وتارة الجملة ، ثم يفصلون بـ«منها» ، كما في قوله: ﴿**اثنى عشر شهراً منها أربعةٌ حرمٌ**﴾[5]»[6] انتهى . ومما قيل في ذلك ، أنه أتى بعشرة لئلا يُتوهم اختصاص الكمال بالثلاثة المَصُومة في الحج لِشَرفِه ، وقيل : لإزالة الإيهام المُتولِّد من تصحيف الخط لاشتباه سبعة وتسعة ، كما قيل بمثله في حديث : (إن الله

---

(١) فصلت (١٠) .

(٢) فصلت (٩) .

(٣) والشطر الثاني من البيت هو :

..... وسادسة تميل إلى شمام .

انظر ديوان الفرزدق (٨٣٥) ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٤٣) ، والموشح للمرزباني (١١٤) ، واللسان مادة : عشر .

وشمام اسم جبل - كما في اللسان : مادة : شمم .

(٤) هذان البيتان ليسا في ديوانه ، وهما في البحر (٢/ ٧٩) ، والدر المصون (٢/ ٣٢٠) .

(٥) التوبة (٣٦) .

(٦) العجائب (١/ ٢٠٦ - ٢٠٧) بتصرف .



تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً)[1] ، ألّفها السبكي[2] في عروس[3] الأفراح[4] : «الفرق بين التكميل والتتميم ، أن الأول استيعاب الأجزاء التي لا توجد الماهية إلا بها ، والتتميم لما وراء الأجزاء من زيادات يتأكد بها ذلك الشيء الكامل ، ولذلك قال : **(تلك عشرةٌ كاملةٌ)** أي لم تنقص أجزاؤها . وقال : **(وأتموا الحج والعمرة لله/١٩٦)** رويَ إتمامها أن تحرم بهما من دويرة أهلك[5] ، وهو وصف فيه زيادة على الإجزاء ، فإن ماهيتي الحج والعمرة توجدان بدونه ، وقد جمع بينهما في قوله : **(اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي)**[6] لما كانت أك[7] كان الدين ، وجد فيها الجزء[8] الأخير ، إذ ذلك استعمل فيها الإتمام ، لأنه زيادة على نعم الله التي كانت قبل كاملة » . انتهى . **(ذلك/١٩٦)** إشارة إلى الأقرب ، وهو لزوم الهدي ، أو بدله[9] ، أو الأبعد ، وهو إباحة التمتع[10] ، قولان ، ويؤيد الثاني

---

(١) وتتمة الحديث هي : (من أحصاها دخل الجنة) ، وزاد في رواية أخرى : (وهو وِتر يحب الوتر) . متفق عليه .
اللؤلؤ والمرجان (٣/ ٢٢٠) ، حديث رقم (١٧١٤) .

(٢) هو أبو حامد ، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، بهاء الدين السبكي ، ولِي قضاء الشام ، ثم ولِي قضاء العسكر ، وكثرت رحلاته ، توفي سنة ٧٦٣هـ .
البدر الطالع (١/ ٨١) ، والدرر الكامنة (١/ ٢١٠) .

(٣)

(٤) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي (٥/ ١٦٨ - ١٧١) .

(٥) قاله عمر وعلي وسفيان .
أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١١٧) .
وهذا الرأي فيه مشقة رفعها الشرع وهدمتها السنة بما وقّت النبي - ﷺ - من المواقيت - كما قال ابن العربي في « أحكام القرآن » (١/ ١١٨) .

(٦) المائـدة (٣) . (٧) هكذا فيهما ، ولعل الصواب « إكمال » . (٨) في (ب) : الجـزاء .

(٩) وهو مذهب المالكية والشافعية والحنابلة .
حاشية الصاوي على الشرح الصغير (٢/ ٣٧) ، والمجموع (٧/ ١٧٥) ، والمغني (٣/ ٥٠٣) ، والتفسير الكبير (٥/ ١٧١) .

(١٠) وهو مذهب أبي حنيفة . بدائع الصنائع (٣/ ١١٩٢) .
وهو ما استظهره أبو حيان . (البحر ٢/ ٨١) .
ويبدو لي أن القول الأول هو الراجح ، لأن الضمير في العربية يرجع إلى أقرب مذكور ، وأقرب مذكور هو الهدي ، والله أعلم .

اللّام ، فإنها تناسب الرُّخَص ، والمناسب في الواجبات «على» . **(لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام/١٩٦)** ذكر الأهِلّة كِناية عن الاستيطان . **(واتقوا الله/١٩٦)** في المحافظة على حدوده ، وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج . **(واعلموا أن الله شديد العقاب/١٩٦)** لمن خالفه ، وتهاون بحدوده . **(الحج أشهرٌ/١٩٧)** أي أشهر الحج ، أو وقت الحج[١] ، أو حج أشهر ، أو الأصل : في أشهر ، فاتُّسِع فيه[٢] .

أبو علي : « جعل الأشهر حجاً لكثرة وقوعه فيها ، وفيه إطلاق الأشهر على شهرين وبعض شهر عند من لا يرى بقية ذي الحجة منها »[٣] . أبو حيان : « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما أمر بإتمام الحج والعمرة ، وكانت العمرة لا وقت لها معلوم ، بيّن أن الحج له وقت معلوم[٤] . **(معلوماتٌ/١٩٧)** أي معدودات عند الناس ، لأن مشروعية الحج فيها جاءت على ما عرفوه ، وكان مقرراً عندهم . **(فيهن/١٩٧)** أعاد الضمير جمعاً ، لأن العائد إليه جمع قِلّة . **(فلا رَفَثَ/١٩٧)** قرىء (رَفُوث)[٥] . **(ولا فُسوقَ ، ولا جِدالَ/١٩٧)** القراءة ببناء الثلاثة[٦] ، وبرفع الأولين ، وبناء الثالث[٧] ، ووجهه على هذا أن الاهتمام بنفي الجدال ، أشد من

---

(١) هذان التقديران بناء على أن المحذوف هنا هو المبتدأ .
والتقدير الثاني منهما هو قول الزمخشري .
البحر (٢/٨٤) ، والكشاف (١/٣٤٦) .

(٢) هذان التقديران الأخيران ، بناء على أن المحذوف هنا هو الخبر .
البحر (٢/٨٤) .

(٣) الحجة له (٢/٢٧٩ - ٢٨٠) بنحوه .

(٤) البحر (٢/٨٤) .

(٥) عن ابن مسعود والأعمش . المرجع السابق (٨٨) .

(٦) على الفتح من غير تنوين - فالحركة هنا حركة بناء كما هو رأي الجمهور - ، وهذه قراءة الكوفيين ونافع .
البحر (٢/٨٨) ، وحجة القراءات (١٢٩) .

(٧) على الفتح غير تنوين - وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو .
البحر (٢/٨٨) ، وحجة القراءات (١٢٨) .



الاهتمام بنفي الرفث والفسوق ، لاشتماله على قضاء شهوة النفس من تمشِية قوله الـذي هو في ضِمن الرَّفَث ، وعلى مخالفة أمر الله تعالى الذي هو من الفسوق ، وزيادة الإيذاء والإيحاش المؤدي إلى العداوة والبغضاء ، وعدم الانقياد للحق غالباً ، فخصّ بمزيد الزجر والمبالغة في النفي[1] .

وقيل : رفعُ الأولين محمولٌ على النهي ، والثالث : على الإخبار بانتفاء الجدال ، وكأنه قيل لا شك ولا خِلاف في الحج[2] . ابن العربي : « قوله : **(فلا رفث)** ليس نفياً لوجـود الـرفث ، بل نفي للمشروعية ، فإن الرفث يوجد في بعض الناس ، وإخبار الله لا يجوز أن يقع بخلاف مخبره ، وإنما يرجع النفي إلى وجوده مشروعاً ، لا إلى وجـوده محسـوسـاً ، كقـولـه : **(والمـطلقـات يَتَرَبَّصْنَ)**[3] ومعناه مشروعاً لا محسوساً ، فإنا نجد المطلقات لا يتربصن ، فعاد النفي إلى الحكم الشرعي ، لا إلى الوجود الحسي .

(وهذا كقوله تعالى : **(لا يمسه إلا المطهرون)**[4] إذا قلنا : إنه وارد في الآدميين -وهو الصحيح- أن معناه)[5] : لا يمسه أحد منهم شرعاً ، فإن وجد المسّ ، فعلى خلاف حكم الشرع ، وهذه الدقيقة التي فاتت العلماء فقالوا : إن الخبر قد[6] يكون بمعنى النهي ، وما وجد ذلك قط ، ولا يصح أن يُوجَد ، فإنهما مختلفان حقيقة ، ومتبـاينـان ، ويتضـادّان وصفـاً[7] . وقـرىء برفـع الثـلاثـة ، وبنصبهـا مُنونة[8] ،

---

(١) ذكر هذا الكلام الفخر الرازي بنحوه . التفسير الكبير (٥/١٧٧) .
(٢) قاله الزمخشري (الكشاف ١/٣٤٧) . .
وتعقبه أبو حيان بعدة تعقبات ، منها :
أن الرفع والبناء لا يقتضيان شيئاً من ذلك .
البحر (٢/٩٠) ، وانظر الدر المصون (٢/٣٢٥ - ٣٢٦) .
(٣) البقرة (٢٢٨) . (٤) الواقعة (٧٩) .
(٥) ما بين القوسين أضفته من كتاب ابن العربي الذي هو « أحكام القرآن » .
(٦) قد - أضفتها من كتاب « أحكام القرآن » .
(٧) عبارة « ويتضادان وصفاً » أضفتها من كتاب « أحكام القرآن » (١/١٣٤) .
(٨) قراءة النصب مع التنوين هي قراءة أبي رجاء العطاردي . وقراءة الرفع مع التنوين هي قراءة أبي جعفر . البحر (٢/٨٨) ، والكشف ١/٢٨٥ - ٢٨٦ ، وابن خالويه (١٢) ، والسبعة (١٨٠) .



مصادر[1]، بتقدير فعل، أي لا يرفث ولا يفسق ولا يجادل. الإمام: «الحكمة في ذكر هذه الألفاظ الثلاثة، لا أزيد ولا أنقص، أنه قد ثبت في العلوم العقلية أن الإنسان فيه أربع قوى: شهوانية بهيمية، وغضبية سبعية، ووهمية شيطانية، وعقلية ملَكية، والمقصود من جميع العبادات قهر القوى الثلاث الأُول، فقوله: (فلا رفث) إشارة إلى قهر القوة الشهوانية، (ولا فسوق) إشارة إلى قهر القوة الغضبية، (ولا جدال) إشارة إلى قهر القوة الوهمية، التي تحمل الإنسان على الجدال في ذات الله وصفاته وأحكامه وأفعاله، وهي الباعثة للإنسان على منازعة الناس[2]، ومماراتهم، والمخاصمة معهم في كل شيء، فلما كان منشأ الشر، محصوراً في هذه الأمور الثلاثة، خصّها بالذكر»[3]. أبو حيان: «ذكر في الآية ثلاثة. وفي الحديث: (من حج فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه، كيوم ولدته أمه)[4]، فاقتصر على اثنتين، لأن مقصود الحديث ما يترتب عليه مغفرة الذنوب، وليس الجدال من ذلك، لأنه إن كان من المحظور، اندرج في قوله: (ولا فسوق) لعمومه، أو المكروه، فلا يجعل شرطاً للمغفرة، فلذلك اقتصر على الرفث، الذي هو محظور في الحج، والفسوق الذي هو محظور مطلقاً. والآية لبيان الأكمل والأفضل، وهو تنزيه الحاج عن المخاصمة والمجادلة، فمقصدها غير مقصد الحديث، وإنما خصّ النهي عنها بالحج، لأن النهي عن الرفث خاص به والآخرين، تعظيماً لحرمته، لأن التَّلَبُّس بالمعاصي فيه، أفحش وأعظم منه في غيره، ونظيره الحديث: (وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يجهل)[5]، والجهل منهي عنه مطلقاً،

---

(١) في (ب): مصادير.

(٢) في (أ): الإنسان.

(٣) التفسير الكبير (٥/ ١٨٠ - ١٨١) مع قليل من الاختصار.

(٤) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فيما اطلعت عليه، ورواه البخاري بلفظ (من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه)، ورواه مسلم، والترمذي وابن ماجه والدارمي، وأحمد. البخاري (٢/ ١٤١) باب (٤)، ومسلم (١/ ٩٨٣) باب (٧٩)، والترمذي (٣/ ١٧٦) باب (٢) - كلهم كتاب: الحج، والدارمي (١/ ٤٢٧) كتاب المناسك باب (٧). وأحمد (٢/ ٢٢٩).

(٥) هذا الحديث متفق عليه، ولكن بلفظ (ولا يصخب) بدلاً من (ولا يجهل). =



لكن خصّ الصوم بالذكر تعظيماً لحرمته ، ولأنه آكد فيه من غيره»[1] . الراغب : « الجدال : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأصله من جَدَلْتُ الحبل ، أي أحْكَمْت فَتْلَه ، فكأن المتجادلين يفتل كل منهما الآخر عن رأيه . وقيل : أصله الصرّاع ، وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة ، أي الأرض الصّلبة »[2] . **(فيهن الحجَّ/١٩٧)** فيه إقامة الظاهر مقام المضمر للتأكيد ولإزالة توهّم عودهِ على **(من)** لا على **(الحج)**. **(وما تفعلوا/١٩٧)** فيه التفات عن الغيبة . وحمل على معنى **(من)** وعموم الأفعال القلب واللسان والجوارح . **(من خيرٍ ، يعلمه الله/١٩٧)** الأصبهاني: « تقدم الأمر بفعل الخير في قوله: **(وأتموا الحج والعمرة/١٩٦)** ، والنهي عن فعل الشر في قولـه **(فلا رفث/١٩٧)** وما بعده ، ثم عَقَّبَهما بقوله **(وما تفعلوا من خيرٍ يعلمـه الله/١٩٧)** ، فخصّ الخير **(بذلك دون الشرتكرّماً ، وإشارة إلى أنه تعالى يظهر الخير ، ويستر الشر)**»[3] . **وقال في الكشاف: «حثّ على الخير عقب النهي عن الشر ، ليستعملوا مكان القبيح الحسن»**[4] . **الطيبي : « إذا حُمِل (فلا رفث)** وما بعده على معنى النهي ، **(وما تفعلوا)** على معنى الأمر ، كان من الطرد والعكس ، لأنهما متقابلان ، لأن النهي عن الشيء أمر بضده وعكسه » . **(وتزودوا/١٩٧)** أي في سفــركم ، لأن الآية نزلت فيمن كان يحج بغــير زاد[5] . **(فــإن خير الــزاد**

= اللؤلؤ والمرجان (٢٥٥) كتاب الصيام - باب : فضل الصيام .
ولكن وردت لفظة (ولا يجهل) في رواية أخرى للبخاري (٢/٢٢٦) كتاب : الصوم باب (٤) .
ورواه الإمام أحمد بهذا اللفظ ، ولكن بزيادة (فلا يفسق) ، قبل (ولا يجهل) .
المسند (٢/٣٥٦) .

(١) البحر (٢/٩٠ - ٩٢) بتصرف واختصار . (٢) المفردات (٨٩ - ٩٠ ، مادة : جدل) باختصار .

(٣) أنوار الحقائق (٢٤٩) . وما بين القوسين ليس موجوداً به .

(٤) الكشــاف (١/٣٤٧) .

(٥) قال الطبري : « ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يحجون بغير زاد ، وكان بعضهم إذا أحرم ، رمى بما معه من الزاد ، واستأنف غيره من الأزودة . . . » .
ثم ذكر الطبري الأخبار التي رويت في ذلك .
جامع البيان (٤/١٥٦) ، وانظر أسباب النزول للواحدي (٣٧) ، وتفسير القرآن العظيم (١/٢٣٨-٢٣٩) .



التقوى/١٩٧) أي ما يتقى به سؤال الناس ، ثم أردفه بتقوى الله الذي هو زاد الآخرة ، فقال : **(واتقونِ يا أولي الألباب/١٩٧)** وهذه نهاية البلاغة .

وقيل : تزودوا : أَمْر بالتزود إلى الآخرة ، بقرينة ما قبله وما بعده ، وأن التقوى في عرف الشرع والقرآن عبارة عما يتّقى به النار[١] ، ويردّه سبب النزول .

وقيل : هو أمر بالتزوّد في السفرين معاً ، وكأن التقدير : وتزودوا ما تنتفعون به لعاجل سفركم وآجِلِه[٢] .

قلت : وتتمتـه أن يقـال : وأردفـه بجملتين ، أولاهما يتعلق بالدنيا ، الثانية بالآخرة ، ففيه لَفّ ونشر للإجمال المطوي . قال أبو بكر الرازي[٣] : «احتمل قوله **(وتزودوا/١٩٧)** الأمرين من زاد الطعام وزاد التقوى ، فوجب الحمل عليهما ، إذ لم يقم دليل على تخصيص أحد الأمرين »[٤] . **(ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم/١٩٨)** زاد ابن عبـاس في قراءتـه (في مواسم الحج)[٥] . أبـوحيان :

---

(١) وهو ما حكاه الزمخشري أولاً ، وإليه ذهب أبو حيان .
الكشاف (١/٣٤٧) ، البحر (٢/٩٧) .

(٢) وهو ما قال باحتماله أبو بكر الرازي ، حيث لا دليل على التخصيص .
أحكام القرآن له (١/٣٠٩) .

(٣) هو أبو بكر ، محمد بن زكريا الرازي ، وُلد وتعلم بالري ، وسافر إلى بغداد بعد سن الثلاثين . عكف على الطب والفلسفة في كِبره ، فنبغ واشتهر . تولّى رئاسة البيمارستان العضدي في بغداد ، كان يجلس في مجلسه ، ودونه تلاميذه ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ أخر ، فيجيء المريض فيذكر مرضه لأول من يلقاه ، فإن كان عندهم علم وإلا تعدّاهم إلى غيرهم ، فإن أصابوا وإلا تكلّم الرازي في ذلك . عَمِي في آخر عمره . من مصنفاته « الحاوي » في الطب . توفي سنة ٣٢٠هـ وقيل غير ذلك .
طبقات الأطباء (١/٣٠٩ - ٣٢١) ، ونكت الهميان (٢٤٩) .

(٤) أحكام القرآن له (١/٣٠٩) .
وقد رجح القرطبي هذا القول . الجامع (٢/٤١١) .

(٥) ذكر ذلك أبو حيان ، وزاد نسبة هذه القراءة إلى ابن مسعود وابن الزبير ثم قال أبو حيان : « والأولى جعل هذا تفسيراً ، لأنه مخالف لسواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة » .
البحـر (٢/٩٤) .



« الجُنــاح : أعمّ من الإثم ، لأنــه فيها يقتضي العقــاب ، وفيها يقتضي الـزجـر والعِتاب »[1] قال : « ومناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه لما نهى عن الجدال ، والتجارة قد تفضي إلى المنازعة ، ناسب أن يُتَوقَّف فيها ، لأن ما أفضى إلى المنهي عنه ، منهي عنه ، أو لأن المسلمين لما صار كثير من المباحات محرماً عليهم في الحج ، توسّموا أن التجارة من هذا القبيل ، فأُبيحت لهم »[2] .

قلت : وأيضاً فلما قال : (**وأتموا الحج والعمرة لله/١٩٦**) توقف كثير من التجارة في الحج ، لأنه قد يكون فيه شائبة دنيوية بمداخَلَة التجارة ، فينتفي الإخلاص لله المأمور به ، ولهذا اختلف أصحابنا فيمن سافر للحج والتجارة ، هل يُثاب على الحج أولاً ، فنبّه تعالى على إباحتها إذا كان المقصود الأعظم هو الحج . (**فإذا أفضتم من عرفاتٍ/١٩٨**) الراغب : « أي دفعتم منها بكثرة ، تشبيهاً بفَيْض الماء »[3] . قال جماعـة : والإفـاضـة منها دالّة على وجوب الكون فيها ، إذ الإفاضة لا تكون إلا بعده . (**المَشْعَر/١٩٨**) الراغب : «مشاعر الحج : معالِمه الظاهرة للحواس »[4] . (**من قبله/١٩٨**) أي من قبل هذا[5] . (**ثم أفيضوا/١٩٩**) يا قريش . (**من حيث أفاض الناس/١٩٩**) أي غيركم من العرب ، أي من عرفات ، خلاف ما كانوا عليه من مخالفتهم ، والـوقف بمـزدلفة ، قائلين نحن أهل الحرم ، فلا نخرج منه[6] . وقيل : المراد بالناس إبراهيم . أخرجه ابن جرير من طريق عن ابن عباس[7] .

(١+٢) البحـر (٢/٩٤) بقليل من الاختصار .	(٣) المفردات (٣٨٧ - ٣٨٨ ، مادة : فيض) .

(٤) المفردات (٢٦٢ - مادة : شعر) .	(٥) في (أ) : هــذا .

(٦) روى البخاري عن عائشة -رضـي الله عنها- قالت :

« كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمّون الحمس ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام ، أمر الله نبيه -ﷺ- أن يأتي عرفات ، ثم يقف بها ثم يفيض منها ، فذلك قوله تعالى : (**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس**) .

صحيح البخاري (١٥٨/٥) - كتاب : تفسير القرآن ، وانظر أسباب النزول للواحدي (٣٨) .

(٧) لم أجد ذلك في جامع البيان ، وإنما وجدت فيه ، نسبة هذا القول إلى الضحاك . وذكر الطبري أنه لولا إجماع الحجة على خلافه ، لكان هو الأرجح .

جامع البيان (٤/١٨٩) ، والجامع للقرطبي (٢/٤٢٧) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (١/٤٢٤٢) ، وانظر أحكام القرآن للجصاص (١/٣١٠) .



وقرأ ابن مسعود (الناسِي)[1] أي آدم ، و (ثم) لتفاوت ما بين الإفاضتين ، وأن إحديهما صواب ، والأخرى خطأ . وقيل : هي على بابها من الترتيب ، وأن هذه الإفاضة من جُمَع[2] . وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ، أي فمن فرض فيهن الحج ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، فإذا أفضتم من عرفات ، وقيل : هي للترتيب في الذكر ، لا في الزمان الواقع فيه الأفعال ، وحسّنه أن الإفاضة[3] السابقة ، لم يكن مأموراً بها ، إنما كان المأمور به ذِكر الله ، إذا فعلت ، فكأنه قيل : ثم لتكن تلك الإفاضة من عرفات ، لا من مزدلفة[4] . (واستغفروا الله) أي من مخالفتكم في الموقف. (كذِكْرِكم آباءكم/٢٠٠)

---

(١) نسب أبو حيان وابن خالويه هذه القراءة إلى ابن جبير فقط .
البحر (٢/١٠٠) ، وابن خالويه (١٢) .

(٢) وهي المزدلفة ، سُمِّيت جُمعاً لاجتماع الناس بها .
معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/١٦٣) .

(٣) في (ب) الإضافـة .

(٤) القول الأول في (ثم) قاله الزمخشري ، الكشاف (١/٣٤٩) .
وهو متعقّب بأنه لم يجرِ في الآية ذِكر الإفاضة الخطأ ، فتكون (ثم) في قوله (ثم أفيضوا) جاءت لبُعد ما بين الإفاضتين وتفارقهما .
انظر النهر المارد (حاشية البحر٢/١٠٠) .
وأما القول الثالث ، وهو أن في الكلام تقديماً وتأخيراً ، فهو ما ذهب إليه ابن الجوزي ، وقد تعقبّه أبوحيان بقوله بأن «التقديم والتأخير هو مما يختص بالضرورة ونُنَزِّه القرآن عن حمله عليه ، وقد أمكن ذلك بجعل (ثم) للترتيب في الذكر ، لا في الفعل الواقع بالنسبة للزمان ، أو بجعل الإفاضة المأمور بها هنا غير الإفاضة المشروط بها ، وتكون هذه الإفاضة من جُمع إلى منى » .
البحر (٢/٩٩) .
وهذان الاحتمالان الأخيران اللذان ذكرهما أبو حيان ، هما القولان : الرابع ، والثاني اللذان ذكرهما المؤلف هنا .
والراجح من الأقوال السابقة ، هو القول بأن (ثم) هنا ، للترتيب الذِّكري ، بمعنى عطف جملة على جملة وترتيبها عليها في مطلق الذِّكر ، ونظيره قول الشاعر :

إن مـن سـاد ، ثـم سـاد أبوه ... ثـم قـد سـاد قبـل ذلـك جـده

وسبب النزول السابق الذِّكر يدل على رجاحة هذا القول .
انظر الجامع للقرطبي (٢/٤٢٨) ، وأضواء البيان (١/٢٠٣)



بالرفع ، و(أباكم) بالإفراد[1] (أو أشدَّ ذِكراً/ ٢٠٠) أحسن ما قيل في إعرابه ، أنه مصدر. (فاذكروا الله/ ٢٠٠) ، أُخرّ لكونه كالفاصِلة[2]. قال أبوحيان : «وظن المتقدمون أنه تمييز ، فاحتاجوا إلى تخاريج متكلَّفة ليصححوا نصبه ، إذ ظاهره أنه من جنس ما قبله ، فحقّه الجر»[3]. الأصبهاني : «بيّن الله أولاً ، تفصيل مناسك الحج ، ثم أمر بذِكره عند المشعر الحرام ، ثم أمر بذكره على الوجه الذي هدى إليه ، ثم أشار إلى أنهم قبل ذلك الهدى كانوا ضالِّين ، ثم بيّن أن الأولى أن يترك ما كانوا عليه وقت الضلالة والجاهلية ، وأن يقتصر على ذِكره ، ثم بيّن بعد الذِّكر كيفية الدعاء ، بقوله : (فمن الناس/ ٢٠٠) إلى آخره .

وما أحسن هذا الترتيب وأبلغَهَ ، فإن تقديم العبادة واجبٌ ، كَسْراً للنفس ، وإزالةً لعصيانها ، ثم بعد العبادة لابد من الاشتغال بذِكر الله لتنوير القلب ، ثم بعد الذِّكر يشتغل المرء بالدعاء ، فإن الدعاء إنما يَكْمُل إذا كان مسبوقاً بالذكر ، كما حكى تعالى عن إبراهيم أنه قال : (الذي خلقني فهو يهدين)[4] إلى قوله : (ربِّ هَبْ لي حكماً)[5] ، فقدّم الذِّكر على الدعاء ، وفي الحديث : (إذا دعا أحدكم ، فليبدأ بتحميد الله ، والثناء عليه)»[6]. (فمن الناس/ ٢٠٠) المعنى : أكثِروا ذِكر الله ودعاءه ، فإن الناس بين قليل الهِمَّة ، لا يطلب إلا أعراض الدنيا ، وعالِيها يطلب

---

(١) رُويت هذه القراءة والقراءة السابقة عن محمد بن كعب - المحرر (٢/ ١٧٩) ، والبحر (٢/ ١٠٣) .

(٢) وقد جوّز أبو حيان هذا القول .
البحر (٢/ ١٠٤) ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٩٧) .

(٣) في البحر (٢/ ١٠٣) :
« (أشد) جوزوا في إعرابه وجوهاً ، اضطروا إليها ، لاعتقادهم أن (ذكراً) بعد (أشد) تمييزاً بعد أفعل التفضيل ، فلا يمكن إقراره تمييزاً إلا بهذه التقارير التي قدّروها ، ووجه إشكال كونه تمييزاً ، أن أفعل التفضيل إذا انتصب ما بعده فإنه يكون غير الذي قبله . . . » إلى أن قال : « فإذا كان من جنس ما قبله ، انخفض . . . . » ثم قال : « فجوزوا إذ ذاك النصب على وجوه . . . . » وأخذ يذكر تلك الوجوه .

(٤) الشعراء (٧٨) . (٥) الشعراء (٨٣) .

(٦) رواه الترمذي (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه. .) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .
سنن الترمذي (٥/ ٥١٦) كتاب الدعوات باب (٦٥) .



خير الدارَين . والفاء تفصيلية ، والمجمل ما عليه الناس في نفس الأمر يُعْلَم من سياق الآيات . الأصبهاني : « لما بيّن تعالى الإرشاد إلى هذا النُّسُك العظيم الشأن ، قال : **(فإذا قضيتم مناسككم/٢٠٠)** أي إذا فرغتم من عباداتكم الحَجِّية ، ونَفَرْتم إلى أوطانكم ، لا تقولوا قضينا ما علينا ، بل اذكروا الله ذِكراً كثيراً ، ثم قسّم الناسَ أربعَ فِرقٍ :

أحدها : الكافرون الذين غاية مقصودهم ، ومنتهى هِمتهم أعراض الدنيا ، وهم المراد بقوله **(فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا/٢٠٠)** .

والثانية : المتقصدون الذين يطلبون خير الدنيا والآخرة ، وهم المراد بقوله : **(ومنهم من يقول/٢٠١)** الآية .

والثالثة : المنافقون الذين كانت تَحْلُوا ألسنتهم ، وقلوبهم أمرّ من الصَّبر ، وهم المراد بقوله : **(ومن الناس من يعجبك قوله/٢٠٤)** .

والرابعة : السابقون الباذِلون نفوسهم في سبيل الله ، وابتغاء مرضاته ، وهم المراد بقوله : **(ومن الناس من يشري نفسه/٢٠٧)** .

فالثانية في مقابلة الأولى ، والرابعة في مقابلة الثالثة[1] ، فلهذا ذكرهم على هذا الترتيب إرشاداً لهم إلى اختيار ما هو الأصوب ، ولما فرغ من ذلك ، وأراد أن يشرع في قصة بني إسرائيل ، أتى بما يتخلّص منه إليها ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السِّلْم كافةً/٢٠٨)»[2] انتهى .

وقال أبو حيان : « الذي يظهر أن قوله : **(فمن الناس/٢٠٠)** تقسيمٌ للمأمورين بالذِّكر ، وأنهم ينقسمون في سؤال الله ، إلى من يغلب عليه حُبّ الدنيا ، فلا يدعو[3] إلا[4] بها ، ومنهم من يدعو[5] بصلاح حاله في الدنيا والآخرة ، وأن هذا

---

(١) في أنوار الحقائق (٢٥٣) : « والثالث في مقابلة الثالث » .

(٢) أنوار الحقائق (٢٥٣) .

(٣) في النسختين : يدعوا ، وهو خطأ إملائي .

(٤) في (أ) : إلى .

(٥) في النسختين : يدعوا ، وهو خطأ إملائي .



من الالتفات ، ولو جاء على مقتضى النظم ، لَقِيل : فمنكم ، ونكتته أنهم لم يُواجهوا بهذا الذي لا ينبغي أن يسلُكه عاقل[1] ، وهو الاقتصار[2] على الدنيا ، فأبرزوا في صورة أنهم غير المخاطبين بالذكر ، بأن جُعلوا في صورة الغائبين »[3] . (حسنةً) بالتنكير في الموضعين ، أي حسنة عظيمة ، لا يكون وراءها حسنة ، فتشمل جميع الحسُنات في الدنيا والآخرة . (وقِنا عذاب النار/٢٠١) هو من جملة الحسنة المدعو بإيتائها في الآخرة ، أُفرد اهتماماً بها . (أولئك/٢٠٢) خاص بالفريق الثاني ، لتقدم ما للفريق الأول في قوله : (وماله[4] في الآخرة من خَلاقٍ/٢٠٠) أي نصيب ، والإشارة به للتعظيم ، لعُلُوّ مرتبتهم . (كَسَبوا/٢٠٢) الأصبهاني : «سُمِّي الدعاء كسباً ، لأنه من الأعمال ، والأعمال موصوفة بالكسب »[5] . الراغب : « الكسب ما يتحرّاه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع ، وتحصيل حظّ ، ويقال فيما أخذه لنفسه ولغيره ، والاكتساب لا يقال إلا فيما استفدته لنفسك ، فكل اكتساب كَسْبٌ ، وليس كل كَسْب اكتساباً ، ويُستعملان في الصالح والسيء ، فمن الأول : (لهم نصيبٌ مما كسبوا/٢٠٢) (أو كسبت في إيمانها خيراً)[6] ، (للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا ، وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن)[7] ومن الثاني : (أُبْسِلوا بما كسبوا)[8] ، (وويلٌ لهم مما يكسبون)[9] ، (وعليها ما اكتسبت)[10] ، ومن الصالح لهما (ثم تُوَفّى كل نفسٍ ما كسبت) »[11] ، قال : « وقد خُصّ الكسب بالصالح والاكتساب بالسيء ، في قوله : (لها ما كَسَبَت ، وعليها ما اكتسبت) »[12][13] . (سريع الحساب/٢٠٢) في الختم به وعد ووعيد ، وبشارة ونذارة ، ووصف لنفسه بسرعة حساب الخلائق ، على كثرة عددهم ، وكثرة أعمالهم ، ليدل على كمال قدرته ،

---

(١) في (أ) : أقل .
(٢) في (أ) : الاختصار .
(٣) البحر (٢/١٠٤) بتصرف قليل .
(٤) في (أ) : وما .
(٥) أنوار الحقائق (٢٥٤) .
(٦) الأنعام (١٥٨) .
(٧) النساء (٣٢) .
(٨) الأنعام (٧٠) .
(٩) البقرة (٧٩) .
(١٠) البقرة (٢٨٦) .
(١١+١٢) البقرة (٢٨١) ، (٢٨٦) .
(١٣) المفردات (٤٣٠ - ٤٣١ ، مادة : كسب) بتصرف .

ووجوب الحذر منه ، ورجاء الرحمة ، ومعنى الحساب تعريف عباده مقادير الجزاء على أعمالهم ، وتذكيره إياهم ما قد نَسوه من ذلك . (**واذكروا الله/٢٠٣**) إطلاق الذِّكر هنا وفيما تقدم ، ليَعُمّ الصلاة والتَلْبية والتكبير والرمي وسائر وجوه الأذكار والعبادات . (**في أيامٍ معدوداتٍ/٢٠٣**) سَمّاها بذلك لقِلّتها . (**فمن تَعَجَّل في يومَين/٢٠٣**) الكرماني : « هو يوم ، وبعض الثاني ، فثُنّي لوجود بعض الثاني ، كما جمع لوجود بعض الثالث ، في قوله (**الحج أشهرُ/١٩٧**) »[١] . (**فلا إثمَ/٢٠٣**) قرأ سالم بن عبد الله بن عمر[٢] (**فلثم**) بحذف الهمزة اعتباطاً بلا موجب ، ثم اللَّف لالتقائها مع الثاء ، وهما ساكنان[٣] . (ومن تَأَخَّر/٢٠٣) أبوحيان : «فيه طِباق غريب بين (**تعجَّل**) ، و(**تأخر**)، لأن ضد (**تعجَّل**) تأنّى ، وضد (**تأخَّر**) تقدّم ، فعبرّ في (**تعجل**) بالملزوم وفي (**تأخر**) باللازم عن الملزوم ، وقوله فيه(**فلا إثمَ عليه**) من باب المقابلة اللفظية ، لأن المتأخر أتى بزيادة في العبادة ، فله زيادة في الأجر ، وإنما أتى بقوله (**فلا إثم عليه**) في مقابلة قوله ذلك (**فمن تعجل**)، فهو كقوله: (**فمن اعتدى عليكم ، فاعتدوا عليه**)[٤][٥] . (**لمن اتقى/٢٠٣**) أي ذلك التخيير ونفي الإثم لمن اتقى في حجّه ، لأنه الحاج على الحقيقة . وفي مصحف ابن مسعود: (**لمن اتقى الله**)[٦] . (**واتقوا الله/٢٠٣**) طلب للتقوى في المستقبل ، فليس بتكرار ما قبله . (**واعلموا أنكم إليه تُحْشَرون/٢٠٣**) توكيد للأمر بالتقوى ، لأن من علم أنه لابد من حشر وحساب ، وسؤال ، وجنة ونار ، قويت دواعيه إلى التقوى . وتقديم (**إليه/٢٠٣**) للاختصاص ، أي لا إلى غيره ، ولا مالك يومئذٍ سِواه ، ولا ملجأ إلا إياه . وختم قصة الحج بذكر الحشر ، كما هو العادة في كثير من قصص القرآن ،

---

(١) العجائب (١/٢٠٨) .

(٢) أحد فقهاء المدينة السبعة ، ومن سادات التابعين ، توفي سنة ١٠٦هـ .
تهذيب التهذيب (٣/٤٣٦) ، وصفة الصفوة (٢/٥٠) ، وحلية الأولياء (٢/١٩٣) .

(٣) في البحر (٢/١١١) : « وقرأ سالم بن عبد الله (**فلا إثم عليه**) بوصل الألف » .

(٤) البقرة (١٩٤) .

(٥) البحر (٢/١١٢) بتصرف .

(٦) البحر (٢/١١٣) .



أن يختم بذكر المعاد ، تأكيداً للحقيقة ورداً لمنكريه ، وتنبيهاً على الإخلاص[1] في العبادات ، ليظهر ثمرتها فيه . أبوحيان : « افتُتحت قصة الحج بالأمر بالتقوى ، وخُتمت بها ، وتخلّل في غضونها الأمر بها ، تأكيداً لمطلوبِيّتها »[2] . **(ومن الناس من يعجبك/٢٠٤)** تقدم من كلام الأصبهاني الإشارة إلى مناسبة هذه الآية لما قبلها . وقال أبوحيان : « لما قسّم السائلين قبلُ ، إلى مقتصرٍ على الدنيا ، وسائلٍ حسنةَ الدنيا والآخرة ، أتى بذِكر النوعين هنا ، فذكر من النوع الأول ، من هو حُلْو المنطق ، يُظْهِر الودّ ، وليس ظاهره كباطنه ، وعطف عليه من يقصد رضى الله ، ويبيع نفسه في طَلَبِه ، وقدّم هنا الأول ، لأنه هناك المقدَّم[3] ، ولهذا علّق الإعجاب بقوله[4] دون غيره من الأوصاف ، لأن الواقع منه قوله[5] ، كما قال : **(فمن الناس من يقول/٢٠٠)** والكاف خطاب للنبي -ﷺ- ، أو لكل مؤمن »[6]. الراغب : « العَجَبُ حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ، ويُستعار للمؤْنَق ، فيقال أعجبني كذا ، أي راقني ، ومنه الآية »[7] . وقال غيره : « يقال في الاستحسان والمحبة ، أعجبني كذا ، وفي الإنكار والكراهية ، عجبتُ من كذا » . **(في الحياة الدنيا/٢٠٤)** يجوز تعلُّقه بالفعل[8]، أي يعجبك في الدنيا لفصاحته وحلاوته ، ولا يعجبك في الآخرة ، لما يرهقه في الموقف من اللّكْنة ، ويتبيّن فيه من المخالفة ، وبالقول[9] ، أي يعجبك ما يقوله في شأن الدنيا . **(ويشهد الله/٢٠٤)** قُرِىء بفتح الياء والهاء ، ورفع الجلالة[10]. وقرأ أُبيّ **(يستشهد الله)**[11] **(ألَدّ الخِصام/٢٠٤)** يجوز

---

(١) في (أ) : الاختصاص . (٢) البحر (١١٣/٢) بتصرف .
(٣) في البحر (١١٣/٢) : « المقدم في قوله : (فمنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا) » .
(٤) في البحر (١١٣/٢) : « وأحال هنا على إعجاب قوله .... » .
(٥) في (ب) : قول . (٦) البحر (١١٣/٢) بتصرف .
(٧) المفردات (٣٢٢ - مادة : عجب) باختصار .
(٨) وهو ما جوّزه الزمخشري . الكشاف (٣٥٢/١) .
(٩) وهو ما ذكره أبو حيان أولاً . البحر (١١٣/٢) .
(١٠) قرأ بذلك أبو حيوة ، وابن محيصن . البحر (١١٤/٢) وابن خالويه (١٢) .
(١١) المحرر الوجيز (١٨٨/٢) ، والبحر (١١٤/٢) وزاد نسبتها إلى ابن مسعود أيضاً . وفي ابن خالويه (١٣) : « ويستشهدوا الله » ، والظاهر أنها خطأ مطبعي .



كونه مصدراً[١] . فأضافه بمعنى «في»[٢] ، وجمعاً ، فهي بمعنى «من»[٣] . (**تَوَلَّى/٢٠٥**) أي ذَهَب . وقيل : بمعنى وَلِي وِلاية[٤] . (**سعى/٢٠٥**) الراغب : « السعي : المشي السريع ، وهو دون العَدْوَ ، ويُستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً ، وأكثر ما يُستعمل في الأفعال المحمودة »[٥] .

الأصبهاني : « أصل السعي : المشي بسرعة ، ويُستعار لإيقاع الفتنة في الأرض »[٦]. أبو حيان : « معلوم أن السعي لا يكون إلا في الأرض ، لكن ذُكِر لإفادة العموم ، أي في أيّ مكان حلّ منها ، سعى بالفساد والتكثير ، أي أنه كثير التقلّب في نواحي الأرض للسعي بالفساد »[٧]. (**ويُهلِك الحرث والنَّسل/٢٠٥**) هو داخل في الإفساد ، خُصّا بالذكر ، لأنهما أعظم ما يُحتاج إليه في عمارة الدنيا .

وقرأ أُبي (**وليُهْلِك**)[٨] ، وقرىء (**ويُهْلِكُ**) برفع الكاف[٩] استئنافاً، وقرىء

---

(١) قاله الخليل . البحر (٢/١١٤) ، والجامع للقرطبي (٣/١٦) .

(٢) يعني أن أفعل التفضيل هنا ، ليس من باب ما أضيف إلى ما هو بعضه ، بل هي اضافة على معنى « في » .
وهو قول الزمخشري - الكشاف (١/٣٥٢) .
وقد تعقبّه أبو حيان بأن « هذا مخالف لما يزعمه النحاة ، من أن أفعل التفضيل لا يضاف إلا لما هي بعض له ، وفيه إثبات الإضافة بمعنى « في » ، وهو قول مرجوح في النحو » .
البحر (٢/١١٥) .

(٣) قاله الزجاج . الجامع (٣/١٦) ، والبحر (٢/١١٤) .

(٤) القول الأول هو قول مقاتل ، وابن قتيبة ، وهو اختيار الزمخشري ، والقول الثاني هو قول مجاهد والضحاك .
زاد المسير (١/٢٢١) ، والكشاف (١/٣٥٢) .

(٥) المفردات (٢٢٣) - مادة : سعى - باختصار .

(٦) لم أجد ذلك في كتابه ، لأن الصفحة التي يحتمل وجود هذا النص فيها ، غير موجودة .

(٧) البحر (٢/١١٥) ، إلا أنه بدلاً من « والتكثير . . . . » ، نجد قوله : « ويدل لفظ (في الأرض) على كثرة سعيه ونقلته في نواحي الأرض ، لأنه يلزم من عموم الأرض تكرار السعي » .

(٨) البحر (٢/١١٦) ، وابن خالويه (١٣) .

(٩) هي قراءة الحسن - كما في ابن خالويه (١٣) .



(ويَهلَكُ) بفتح أوله ، والرفع من هلك ، والحرث ، فاعل[1] . وقرىء كذلك بفتح اللام لغة ، (ويهلك) بالبناء للمفعول[2] .

الراغب : « النَّسل : الولد لكونه ناسِلاً عن أبيه ، أي منفصلاً عنه »[3] .
(أخذته العزة بالإثم/٢٠٦) أي حَمَلَتْه عليه[4] ، وألزمَتْه به[5] ، واحْتَوت عليه العزة وأحاطت به ، وصار كالمأخوذ بها ، كما يؤخذ الشيء باليد ، فالباء على الأول للتعدية[6] ، وعلى الثاني للسببية و[7] المصاحبة . أبوحيان: «في هذه الكلمة نوع من البديع ، يسمى بالتتميم ، وهو إرداف الكلام بكلمة ترفع اللّبس عنه ، وتقرِّبه للفهم ، كقوله : (ولا طائرٍ يَطير بجناحيه)[8] ، وذلك أن العزة محمودة في طاعة الله ، كما قال (أعِزةٍ على الكافرين)[9] ، ولما قال : (بالإثم) اتضح المعنى ، وتبيّن أنها العزة المذمومة ، المؤثم صاحبها »[10] . (فحسَبْه جهنم/٢٠٦) أي كافِيه جزاءً وإذلالاً ، فهو طباق من حيث المعنى ، وهو صيغة استعظام لما يحلُّ به من العذاب .
(المِهاد/٢٠٦) هو المكان المهيّأ للنوم ، الموطَّأ للراحة ، ذُكر على سبيل التهكُّم ، على

(١+٢) هما قراءتا الحسن أيضاً . الدر المصون (٢/٣٥٣) .
(٣) المفردات (٤٩١) مادة : نسل ، بتصرف .
(٤) هذا قول قتادة - الجامع للقرطبي (٣/١٩) .
(٥) هذا قول القرطبي - المرجع السابق ، وانظر الكشاف (١/٣٥٢) .
(٦) وقد علّق أبو حيان على ذلك ، بأن التعدية بالباء ، بابها الفعل اللازم وأنه ندرت التعدية بالباء في المتعدي .
البحر (٢/١١٧) .
(٧) لعل هنا « أو » ، فتكون « الباء » هنا للسببية ، والمعنى أن إثمه السابق ، كان سبباً لأخذ العزة له ، حتى لا يقبل ممن يأمره بتقوى الله تعالى .
أو تكون « الباء » هنا للمصاحبة ، أي أخذته مصحوباً بالإثم ، أو مصحوبة بلا إثم .
وقد قال أبو حيان باحتمال هذين المعنيين للباء . البحر (٢/١١٧) .
والمعنى الأول ، هو صنيع ابن كثير في تفسيره (٢/٢٤٧) .
(٨) الأنعام (٣٨) .
(٩) المائدة (٥٤) .
(١٠) البحر (٢/١١٧) باختصار .

حدٍّ قوله : . . . . تحيةُ بينِهم ضَرْبٌ وَجِيعُ[1]

(**ومن الناس/٢٠٧**) الآية ، لما ذكر المنافق الذي يُبدي خِلاف ما يُضمر ، ناسَب أن يذكر ضده ، وهو من يبذل نفسه في طاعة الله ، ويرتكب الصعب لمرضاته ، ولما طال الفصل هنا ، بين القسم الأول والثاني ، أظهر في الثاني (**ومن الناس/٢٠٧**) ، وهناك لما لم يَطُل ، قال (**ومنهم/٢٠١**) بالإضمار . (**يَشْرِي**) أي يبيع ، وهو كِناية عن بذل النفس . (**ابتغاءَ/٢٠٧**) مفعول له . (**والله رؤوفٌ بالعباد/٢٠٧**) ابن عطية : «هذه ترجِية تقتضي الحَضّ على الامتثال بما وقع به المدح في الآية ، كما أن (**فحسبه جهنم/٢٠٦**) تخويف يقتضي التحذير مما وقع به الذم »[2] .

أبو حيان : « لما ختم تلك بالوعيد ، ختم هذه بالوعد المبشر بحسن المآب ، وجزيل الثواب ودلّ على ذلك بالرأفة ، التي هي سبب لذلك ، فصار ذلك كناية عن إحسان الله إليهم ، لأن رأفته بهم تستدعي جميع أنواع الإحسان ، ولو ذكر أي نوع من الإحسان لم يُفِد ما أفاده لفظ الرأفة ، ولذا كانت الكناية أبلغ . وعدل عن قوله «بهم» إلى (**بالعباد/٢٠٧**) ، لأمرين :

أحدهما : أن لفظ «العباد» له في القرآن تشريف وتخصيص ، كقوله : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ)[3] ، (**سبحان الذي أسرى بعبده**)[4] ، (**أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**)[5] .

ولذلك قيل : ما أُضيف إلى الله عباد ، وما أُضيف إلى الناس عبيد .

---

(١) والشطر الأول لهذا البيت هو :
وخيلٍ قد دَلَفْتُ لها بخَيْلٍ . . . .
وهو لعمرو بن معد يكرب .
النوادر (١٥٠) ، والكتاب (٣٢٣/٢) ، وابن يعيش (٨٠/٢) ، وشرح شواهد الكشاف (٤٣٦/٤) ، والخزانة (٥٣/٤) .

(٢) المحرر الوجيز (١٩٧/٢) .

(٣) الحجـــر (٤٢) .

(٤) الإســـراء (١) .

(٥) فاطـــــر (٣٢) .

والثاني : مراعاة الفواصل ، فإن قبله **(الفساد/٢٠٥)** ، **(المهاد/٢٠٦)** ، وفي هذه الآية والتي قبلها ، نوع من البديع ، وهو التقسيم[١] . وقيل : إن فيها نوعاً منه ، وهو التقديم والتأخير ، وهو من ضروب البيان في النظم والنثر ، ودليل على قوة المَلَكة في ضروب الكلام ، وذلك أن قوله : **(واذكروا الله/٢٠٣)** (معطوف على قوله : **(فإذا قضيتُم مناسككم ، فاذكروا الله/٢٠٠)** ، وقوله : **(ومن الناس من يعجبك/٢٠٤)** ، **(ومن الناس من يشري/٢٠٧)** معطوف على قوله : **(فمن الناس من يقول/٢٠٠)** ، **(ومنهم من يقول/٢٠١)** ، وهو معطوف على الذِّكر[٢] ، فيصير الكلام كله منسوقاً على الذكر ، لأنه مناسب له في المعنى ، ويصير التقسيم معطوفاً بعضه على بعض ، لأن التقسيم الأول في معنىٍ الثاني ، فيتحد المعنى ، ويتّسِق اللفظ »[٣]. **(السّلم/٢٠٨)** بالفتح والكسر[٤] ، الإسلام والطاعة . **(كافةً/٢٠٨)** أي جميعاً ، حال من الواو ، أو المجرور[٥] وهو الصواب[٦] ، لأن سبب نزولها ، أن

---

(١) التقسيم : من قسّم : أي جزّأ ، والتقسيم هو التجزئة والتفريق كما في قول الشاعر :

والمرء ساع لأمر ليس يدركه والعيش شح واشفاق وتأميل

حيث قسمّ العيش إلى هذه الأقسام الثلاثة .

معجم المصطلحات البلاغية (٢/٣٢٩) .

(٢) في البحر (٢/١٢٠) .

« معطوف عليه قوله : **(فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله)** ، وقوله : **(فمن الناس من يقول)** معطوف على قوله : **(ومنهم من يقول)** ، وقوله : **(ومنهم من يقول)** معطوف على قوله : **(ومن الناس من يعجبك)** ، وعلى قوله : **(ومن الناس من يشري)** ، فيصير الكلام معطوفاً على الذكر . . . . . » .

(٣) البحر (٢/١١٩ - ١٢٠) بقليل من الاختصار .

وقد علّق أبو حيان على هذا القول الذي ذكره عن بعضهم بأن في الآية تقديماً وتأخيراً ، علّق أبو حيان على ذلك قائلاً : « ولا يذهب إلى ما ذكره ، ولا تقديم ولا تأخير في القرآن ، لأن التقديم والتأخير عندنا من باب الضرورات ، وتنزه كتاب الله تعالى عنه » .

البحر (٢/١٢٠) .

(٤) قراءة الفتح هي قراءة نافع وابن كثير والكسائي ، وقراءة الكسر هي قراءة البقية .

حجة القراءات (١٣٠) .

(٥) القول الأول هو ما استظهره أبو حيان ، والقول الثاني هو ما جوّزه الزمخشري .

البحر (٢/١٢١) ، والكشاف (١/٣٥٣) ، وانظر زاد المسير (١/٢٢٥) .

(٦) وهو ما صححه ابن كثير أيضاً في تفسيره (١/٢٤٨) .



بعض مؤمني أهل الكتاب تمسّك ببعض ما في التوراة[1]، فهو محط الأمر، وبه يندفع سؤالٌ: كيف أمر المؤمنين بالدخول في الإسلام، وهم داخلون فيه. (**فإن زللتم/٢٠٩**) قرىء بكسر اللام، لغة[2]. وأصله للقَدَم، ثم استُعمل في الرأي والاعتقاد. حكي أن قارئاً قرأ هذه الآية، فقال في آخرها: «**فاعلموا أن الله غفورٌ رحيمٌ**»، فسمعه أعرابي -ولم يكن يقرأ- فقال: إن هذا كلام الله، فلا يقول كذا الحكيم، لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراء عليه، فلما قيل له: (**عزيزٌ حكيمٌ/٢٠٩**)، قال: «هكذا ينبغي». (**هل/٢١٠**) استفهام بمعنى النفي. (**ينظرون/٢١٠**) فيه التفات عن الخطاب. (**يأتيهم الله/٢١٠**) أي أمره وبأسه وعذابه[3]، بدليل (**أو يأتي أمر ربك**)[4]، (**فجاءها بأسنا**)[5]، والآية مسوقة للتهديد والوعيد. (**في ظُلَلٍ/٢١٠**) جمع ظُلّة. الراغب: «وهي سحابة تظلّ، وأكثر ما يقال فيما يستوخم ويكره»[6].

وقرىء (**في ظِلالٍ**)[7]، قال ابن جنّي: «والوجه أن يكون جمع ظلّة أيضاً، لأن الظّل ليس بالغيم، وإنما الظُلَّة الغيم، والظِل عدم الشمس في أول النهار، فهو عَرَض، والظلَّة جسم»[8]. (**والملائكة/٢١٠**) قرىء بالجر[9] عطفاً على

---

(١) روى الواحدي عن عطاء عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك أنهم حين آمنوا بالنبي -ﷺ- فآمنوا بشرائعه وشرائع موسى -عليه الصلاة والسلام- -فعظموا السبت، وكرهوا لحم الإبل وألبانها بعد ما أسلموا، فأنكر ذلك عليهم المسلمون، فقالوا: إنا نقوى على هذا، وهذا. وقالوا للنبي-ﷺ-: إن التوراة كتاب الله، فدعنا فلنصلّ بها، فأنزل الله تعالى هذه الآية.
أسباب النزول للواحدي (٤٠).

(٢) قرأ بذلك أبو السمال. البحر (٢/١٢٣)، وابن خالويه (١٣).

(٣) وهو ما مال إليه أبو حيان. البحر (٢/١٢٤).
ولكن السلف يؤمنون بما ورد في الآية هنا، من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل.

(٤) النحل (٣٣). (٥) الأعراف (٤). (٦) المفردات (٣١٤) - مادة: ظلل.

(٧) قرأ بذلك أبيّ، وعبد الله، وقتادة، والضحاك. البحر (٢/١٢٥)، وابن خالويه (١٣).

(٨) المحتسب (١/١٢٢).

(٩) هذه القراءة منسوبة إلى الحسن، وأبي حيوة، وأبي جعفر.
البحر (٢/١٢٥)، وابن خالويه (١٣).



مدخـول في أو من . وقرأ ابن مسعود (**يأتيهم الله والملائكة في ظللٍ**)[١] ، (**وقُضي الأمر**/ ٢١٠) أي وقع الجزاء ، وفرغ من الحساب ، وعذب أهل العصيان ، وليس في جُمَل الـوعيد ، أبلغ من هذه . وفيهـا إيقـاع الماضـي موقع المستقبل ، وقرىء (**وقُضي الأمور**)[٢] ، وقرأ معاذ بن جبل[٣] : (**وقضاء الأمر**)[٤] مصدر مرفوع عطفاً على الملائكة[٥] . وقيل : مجرورٌ عطفاً عليها ، في قراءة الجر[٦] . قال بعضهم : «في قوله (**وقضي الأمر وإلى الله تُرجع الأمور**/ ٢١٠) من علم البيان الإيجاز . فإنه يندرج فيه جميع أحوال العباد منذ خُلِقوا إلى أن يُبْعثوا ، ومن البعث إلى الفصل بين العباد . وفي (**إلى الله**/ ٢١٠) اختصـاص ، (**تـرجـع**/ ٢١٠) بالبنـاء للفاعل ، أي تصير ، وللمفعـول[٧] ، أي تردّ . وقـرىء بالتذكير[٨] مبنياً للمفعول ، من رجع المتعدي . (**سـل بني اسرائيـل**/ ٢١١) هو سؤال تبكيت وتقـريع ، وقـرىء (**اسأل**)[٩] ، قال أبوحيان : « لما تقدم (**هل ينظرون**/ ٢١٠) الآية ، والمعنى فيه استبطاء دخولهم في

---

(١) البحر (٢/ ١٢٥) .

(٢) هذه القراءة معزوة إلى يحيى بن يعمر . (البحر ٢/ ١٢٥) .

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الرحمن . صحابي جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع الرسول -ﷺ- .
بعثه -ﷺ- قاضياً ومرشداً لأهل اليمن . وكان من أحسن الناس وجهاً ، ومن أسمحهم كفّاً . توفي بالأردن سنة ١٨ هـ .
ابن سعد (٣/ ١٢٠) القسم الثاني ، الإصابة (ت ٨٠٣٩) ، أسد الغابة (٤/ ٣٧٦) ، حلية الأولياء (١/ ٢٢٨) ، صفة الصفوة (١/ ١٩٥) .

(٤) البحر (٢/ ١٢٥) ، وابن خالويه (١٣) .

(٥) ذهب إلى ذلك الزمخشري . الكشاف (١/ ٣٥٣) .

(٦) حكاه صاحب البحر (٢/ ١٢٥) ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٠١ ، ٣٠٢) .

(٧) القراءة الأولى هي قراءة ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي .
والقراءة الثانية هي قراءة البقية .
الكشف (١/ ٣٨٩) .

(٨) هي قراءة خارجة عن نافع . البحر (٢/ ١٢٥) .

(٩) هذه قراءة أبي عمرو في رواية ابن عباس . البحر (٢/ ١٢٦) .



السِّلْم ، وأنهم لا ينتظرون إلا آية عظيمة ، تُلْجِئُهم إلى الدخول فيه ، جاء هذا الأمـر بسـؤالهـم عما جاءهـم من الآيات الـعـظيمـة ، ولم تنـفعهم »[1] . (كم آتينـاهم/٢١١) فيه التفـات ، ثم فيما بعده . (من آيةٍ بينةٍ/٢١١) أي فبَدَّلُوها ، بدليل ما بعده (ومن يبدل/٢١١) قرىء بالتخفيف[2] ، والمفعول الثاني محذوف ، أي كفراً ، بدليل (ألم ترَ إلى الذين بدّلُوا نعمة الله كفراً)[3] . (نعمةَ اللّهِ) الطيبي : « هو من وضـع الـظاهـر موضـع المضمـر ، بغير لفظه السابق ، للإشعار بتعظيم الآيات ، وتقبيح فعلهم » . (من بعد ما جاءته/٢١١) قيّد به ، مع أن التبديل لا يصح إلا بعد مجيئها ، لأنه ربما يُوجَد التبديل من غير خبرة بالمبدل أو عن جهل به ، فيُعـذَر فاعله ، وهؤلاء على خلاف ذلـك ، والفـائدة ؛ مزيد التقريع والتشنيع . الـطيبي : (ومن يبدلْ نعمة الله/١٢١) واردة على سبيل التبديل ، وهي مع ذلك مشتملة على[4] التتميم ، مقررة لقوله : (كم آتيناهم من آيةٍ بينةٍ/٢١١) ، لتضمن الاستفهام في (كم) معنى التوبيخ والتقريع . (فإن الله شديد العقاب/٢١١) قيل : فيه إضمار أي له . قال الشيخ عبد القاهر[5] في دلائل الإعجاز : «والأولى تركه ، لأن المقصود من الآية التخويف بكونه في ذاته موصوفاً بأنه شديد العقاب ، من غير التفات إلى كونه لهذا وذاك ، و (العقاب) عذاب يَعْقُب الجُرْم »[6] . الطيبي : «في الآية مبالغات شتى :

---

(١) البحر (٢/١٢٦) .

(٢) البحر (٢/١٢٨) ، وابن خالويه (١٣) ، والدر المصون (٢/٣٧١) دون نسبة .

(٣) سورة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - (٢٨) .

(٤) كلمة « على » ليست في (أ) .

(٥) في (ب) : عبد القادر .
وعبد القاهر الجرجاني ، هو أبو بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، من أهل جرجان -بين طبرستان وخراسان- ، كان من أئمة اللغة ، وهو واضع أصول البلاغة . من مصنفاته « أسرار البلاغة » ، و« دلائل الإعجاز » ، و« إعجاز القرآن » وهذه كلها مطبوعة .
فوات الوفيات (١/٢٩٧) ، وآداب اللغة (٣/٤٤) ، ومرآة الجنان (٣/١٠١) ، وطبقات الشافعية (٣/٢٤٢) ، والأعلام (٤/١٧٤) .

(٦) لم أعثر على هذا النص في كتاب « دلائل الإعجاز » ، وهو في البحر (٢/١٢٨) .



إحداها : العموم في (من) ، ليدخل هؤلاء الذين بدّلُوا فيه دخولاً أولياً .

ثانيها : إقامة الظاهر مقام المضمر ، كما سبق .

ثالثها : إضافة النعمة إلى الله .

رابعها : التتميم في قوله : (**من بعد ما جاءته**) .

خامسها : نسبة المجيء إلى الآيات على سبيل الاستعارة .

سادسها : إيقاع (**فإن الله شديد العقاب/٢١١**) جزاء للشرط على تأويل الإخبار ، يعني تبـديل الناس نعمة الله سبب لإخبار الله بكونه شديد العقاب ، وهذا لا يُصار إليه إلا عند فظاعة الشأن .

سابعها : إقامة المظهر مقام المضمر في الجزاء .

ثامنها : تصديره بأداة التأكيد .

تاسعها : إضافة الشديد إلى العقاب .

عاشرها : التعميم في الجزاء » انتهى .

وقيل : هذه الآية مقدَّمة في المعنى على التي قبلها ، وهي (**هل ينظرون/٢١٠**) الآية . (**زُيِّن/٢١٢**) الأصبهاني : « لما ذكر تعالى حال من يبدل نعمة الله ، وهم الكفار الذين كذبوا بالآيات والأدلة ، أتبعه بذكر السبب الذي من أجله كانت هذه طريقتهم ، لتعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني على الباقي » .

وقـرىء بالبنـاء للفـاعـل[١] ، راجعـاً إلى الله . وقرىء (**زينت**)[٢]. (**والذين اتقـوا/٢١٢**) من إقـامـة الظاهر مقام المضمر[٣]، لكن بمعنى الظاهر السابق لا بلفظه ، ونكتته الإشارة إلى أن السعادة الكبرى ، إنما تحصل للمؤمن المتقي ، مع ما فيه من إزالة التكرار . وفي الآية ثلاث طباقات ، بين الدنيا ويوم القيامة ، وكفروا وآمنوا ، ويسخرون وفوقهم . (**والله يرزق من يشاء بغير حسابٍ/٢١٢**) الراغب :

(١) عن مجاهد ، وحميد بن قيس ، وأبي حيوة . البحر (٢/ ١٢٩) .
(٢) قرأ بذلك ابن أبي عبلة . المرجع السابق .
(٣) في (ب) : الضمير .



«فيها أوجُهٌ : قيل : يعطيه أكثر مما يستحقه . وقيل : يعطيه ولا يأخذ منه . وقيل : يعطيه عطاءً ، لا يمكن للبشر احتواءَه كثرةً. وقيل : يعطيه بلا مضايقة . وقيل : يعطيه أكثر مما يحسبه . وقيل : يعطيه بحسب ما يعرفه من مصلحته ، لا على حسب حسابهم . وقيل : يعطي المؤمن ، ولا يحاسبه عليه . وقيل : يقابله في الآخرة ، لا بقدر استحقاقه ، بل بأكثر منه »[١]. والختم بهذه الجملة مناسب لِسعة الكفار في الدنيا ، وسعة المؤمنين في الآخرة معاً. **(كان الناسُ)** الأصبهاني: «لما بيّن إصرار الذين كفروا على الكفر ، وحب الدنيا ، بيّن أن هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان ، بل في الأزمنة المتقادمة ، فإن الناس كانوا أمة واحدة ، ثم اختلفوا ، وما كان اختلافهم إلا بسبب البغي والحسد وحب الدنيا والتنازع في طلبها ». **(أمةً واحدةً/٢١٣)** أي على الإسلام فاختلفوا. وقيل : على الكفر[٢] ، فلا تقدير ، والأول أصح ، ويدل عليه **(وما كان الناس إلا أمةً واحدةً ، فاختلفوا)**[٣][٤]. وقرأ[٥] ابن مسعود هنا بزيادة **(فاختلفوا)**[٦]. **(وأنزل معهم الكتاب/٢١٣)** أي الكتب . وضمير **(معهم/٢١٣)** لمجموعهم الصادق ببعضهم ، على حد **(يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)**[٧]، فلا تدل الآية على أن مع كل نبي كتاباً. وقيل : التجويز في **(أنزل/٢١٣)** ، أي[٨] وجعل ، كقوله : **(وأنزلنا الحديد)**[٩]. وقيل في

---

(١) لم أجد هذا الكلام في المفردات ولا في البحر .

(٢) روي هذان القولان عن ابن عباس ، والأول منهما أصح سنداً ومعنىً - كما ذكر ابن كثير (١/ ٢٥٠) وهو قول أبيّ بن كعب ، وقتادة ، والسدي ، ومقاتل .
زاد المسير (١/ ٢٢٩) ، والجامع للقرطبي (٣/ ٣١) .

(٣) يونس (١٩) .

(٤) ومما يرجح هذا القول قوله تعالى : **(فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . . .)**. وإنما بُعثوا حين الاختلاف ، ويؤكده قراءة ابن مسعود **(. . . . أمة واحدة فاختلفوا)** فهذا يدل على أن الاتفاق كان قد حصل قبل البعث والإنزال .
وهذا توجيه أبي حيان (٢/ ١٣٥) ، وإليه مال ابن كثير (١/ ٢٥٠) .

(٥) في (ب) : وقراءة .

(٦) البحر (٢/ ١٣٥) .

(٧) الرحمن (٢٢) .

(٨) كلمة « أي » ليست في (أ) .

(٩) الحديد (٢٥) .

(**الكتاب/٢١٣**) على معنى الموحى به[1]. (**ليحكم/٢١٣**) أي الكتاب لأنه أقرب مذكور، أو النبي الذي اشتمل عليه لفظ النبيين، لأنه هو المظهر، أو الله[2] لأنه الحاكم في الحقيقة، ويؤيده ما قرىء (**لنحكم**) بالنون[3]، وفيه على هذا التفات، وقرىء (**ليحكم/٢١٣**) بالياء، مبنياً للمفعول[4]. (**وما اختلف فيه إلا الذين أُوتوه/٢١٣**) خصّهم بالذكر تنبيهاً على شناعة فِعلهم، ولأن غيرَهم تَبَعٌ لهم، فهم أصل الشر، وأتى بـ(**من/٢١٣**) الدالة على ابتداء الغاية، تنبيهاً على أن اختلافهم متصلٌ بأول زمانِ مجيء البينات، لم يقع منهم اتفاق على شيء بعد المجيء، بل بنفس ما جاءهم البينات اختلفوا وذلك أشنع عليهم، حيث رتبوا على الشيء خلاف مقتضاه، وقال: (**بغياً بينهم/٢١٣**) لبيان أن الحامل على ذلك منهم مجرد البغي والظلم، لا لخلل فيما جاءهم.

قال أبو حيان: « في قوله (**بغياً/٢١٣**) إشارة إلى حصر العِلَّة »[5]. (**فهدى الله الذين آمنوا لِما اختلفوا فيه/٢١٣**) أي أولئك المتقدمون أولاً. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي للحق فيما اختلفوا فيه[6]. (**والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ**

---

(١) قال أبو حيان باحتمال هذا الوجه وسابقه. البحر (٢/١٣٦).

(٢) ذكر القرطبي الأقوال الثلاثة، ونسب الأول منها إلى الجمهور. الجامع (٣/٣٢).
وذهب الزمخشري إلى تجويز الأقوال الثلاثة. الكشاف (١/٣٥٥).
وقد استظهر أبو حيان القول الأخير. البحر (٢/١٣٦).

(٣ + ٤) هاتان القراءتان منسوبتان إلى الجحدري. البحر (٢/١٣٦).

(٥) البحر (٢/١٣٧).

(٦) قاله الفراء في معاني القرآن له (١/١٣١).
واختاره الطبري (٤/٢٨٦).
وقد علّق ابن عطية على اختيار الطبري هذا، فقال:
« ودعاه إلى هذا التقدير خوف أن يحتمل اللفظ أنهم اختلفوا في الحق، فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه، وعساه غير الحق في نفسه». قال: « وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوء نظر، وذلك أن الكلام يتخرج على وجهه ورصفه، لأن قوله: (**فهدى**) يقتضي أنهم أصابوا الحق، وتم المعنى في قوله: (**فيه**)، وتبين بقوله: (**من الحق**) جنس ما وقع الخلاف فيه ».
المحرر الوجيز (٢/٢١١).
وقد استحسن أبو حيان كلام ابن عطية هذا. البحر (٢/١٣٩)



مستقيمٍ/٢١٣) أي طريق مُوصل إلى المطلوب ، وهو طريق الجنة ، ثم بيّن أن ذلك الطلب ، لا يُفضي إلى المطلوب ، الذي هو دخول الجنة ، إلا باحتمال الشدائد في التكليف ، فقال : (أم حسبتم/٢١٤) استفهام إنكار واستبعاد . (أن تدخلوا الجنة ، ولَمّا يأتكم/٢١٤) أي لم يأتِ وهو متوقع الإتيان منتظر ، لأن ذلك هو الفارق بين « لم » و« لما » .

الأصبهاني : « لما ذكر الله أن الذين كفروا يسخرون من الذين آمنوا ، ذكر ما كانت عليه الأمم ، من الاختلاف ، واستهزاء كافرهم بمؤمنهم ، تسلية للمؤمنين ، وتشجيعاً لهم على الصبر ، على خلاف المشركين وأهل الكتاب ، وعداوتهم واستهزائهم ، ثم قال لهم على طريقة الالتفات ، التي هي أبلغ : أم حسبتم[1] أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الإيمان ، دون أن تنالوا من أذى الكفار ، ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضرّ والبؤس في المعيشة ، ومقاساة الأهوال في مجاهدة العدو كما نال ذلك من قبلكم من المؤمنين ، في الأمم الخالية ، و« المَثَل » : الشَّبَه ، إلا أنه مستعار لحال غريبة ، أو قصة عجيبة لها شأن ، وهو على حذف مضاف أي مثل محنة الذين . و(من قبلكم/٢١٤) تأكيد ، لأن الذين خَلَوا يقتضي التقدم » (مَسَّتهم/٢١٤) استئناف بيان للمثل . (وزُلْزِلوا/٢١٤) أُزعِجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة بما أصابهم من أنواع البلاء والرزايا والأهوال . (حتى يقولَ الرسولُ/٢١٤) برفع الفعل على حكاية الحال الماضية ، ونصبه[2] ، وهو من إيقاع المستقبل موقع الماضي ، أي قال . ومعنى الغاية ، أن الأمر تناهى في الشدة ، وتمادى في العظم ، وبلغ بهم الضجر ، ومس الجهد ، إلى استبطاء النصر ، حتى قال الرسول والمؤمنون (متى نصرُ اللهِ/٢١٤) استبطاء له لغاية ما لِحقهم من الجهد ، لأن الرسل لا يقدر مقدار صبرهم وثباتهم وضبطهم لأنفسهم ، فإذا ضجوا ، كان

---

(١) في (ب) : أحسبتم .

(٢) قراءة الرفع هي قراءة نافع وقراءة النصب هي قراءة البقية .
السعة (١٨١) ، والكشف (١/ ٢٨٩) .



ذلك الغاية القصوى ، التي لا مطمح وراءها في نهاية الشدة ، فأُجيبوا من قِبل الله : (**ألا إن نصرَ اللّهِ قريبٌ/٢١٤**) فهو على تقدير : قيل لهم[١] . وقيل : الآية من باب اللّف والنشر غير المرتب ، والأصل : حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله ، فيقول الرسول ، ألا إن نصر الله قريب[٢] . وتقدير النظم ، حتى يقول الرسول : ألا إن نصر الله قريب ، جواباً لقول الذين آمنوا ، متى نصر الله ، وإنما قدّم في اللّف (**الرسولُ/٢١٤**) لشرفه ، والمؤمنون تبع له ، وقدّم في النشر قولهم ، لأنه سابق ، وقول الرسول تالٍ له ، جواباً ، ولأن فيه مواخاة الفاصلة ، وفي قوله : (**والذين آمنوا/٢١٤**) دون «وهم» ، تفخيم لشأنهم ، حيث صرّح به ظاهراً بهذا الوصف الشريف .

ابن جماعة : « قال هنا : (**أم حسبتم أن تدخلوا الجنةَ ، ولَما يأتكم/٢١٤**) الآية ، وفي آل عمران : (**ولَما يعلمِ اللّهُ الذين جاهدوا منكم ، ويَعلمَ الصابرينَ/١٤٢**) ، وفي براءة (**أم حسبتم أن تُتْركوا/١٦**) الآية ، لأن آية البقرة في الصبر على مقاساة أذى الكفار ، وآية آل عمران في حق المجاهدين ، وما حصل لهم من القتل والجراح والهزيمة يومَ أُحد ، وآية براءة فيمن كان يجاهد مع النبي -ﷺ- ، ويباطن أقاربه وأولياءه من الكفار المعادين لرسول الله -ﷺ- ، فناسب مضمونُ كلِ آيةٍ ما سِيقت له »[٣]، وهو معنى قول الكرماني : «آية البقرة للنبي والمؤمنين ، وآية آل عمران للمؤمنين ، وآية براءة للمجاهدين »[٤]. (**يسألونك ماذا ينفقون/٢١٥**)

---

(١) وعلى هذا أكثر المتأولين . الجامع لأحكام القرآن (٣/٣٥) .

(٢) حكاه القرطبي (٣/٣٥) .

وقد علّق ابن عطية على هذا الوجه ، بأنه تحكّم ، وحمل الكلام على وجهه غير متعذر . المحرر (٢/٢١٤) .

وقد استحسن أبو حيان هذا التعقيب من ابن عطية ، حيث قال : « وقوله حسن ، إذ التقديم والتأخير مما يختصان بالضرورة » .

البحر (٢/١٤١) .

والظاهر هنا هو القول الأول ، وهو أن الكلام إلى آخر الآية ، من قول الرسول والمؤمنين ، ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر ، لا على شك ولا ارتياب والله أعلم .

(٣) كشف المعاني (٥٨ - ٥٩) مع التصرف .

(٤) البرهان (١٠٦) ، وأسرار التكرار (٤٢) وقد نسب الكرماني هذا القول إلى الخطيب الإسكافي .



الأصبهاني : « لما بيّن تعالى حال من زيّن له الحياة الدنيا ، وحال من أعرض عنها ، وأَقْبَلَ على الآخرة ، شرع في بيان الأحكام التكليفية ، وهو من هنا ، إلى قوله : **(ألم ترَ إلى الـذينَ خَرجـوا مِن ديـارهم/٢٤٣)** ، فإن من عادة القرآن أن يكون بيان التوحيد فيه ، والوعظ ، والنصيحة ، والأحكام مختلطاً بعضها ببعض ، ليكون كل واحد مُقَوِّيا للآخر ، ومؤكداً له ، فإن قيل : سألوا عن ماذا ينفقون ، لا عن من تصرف النفقة إليهم ، فكيف طابق الجواب السؤال ؟ . أُجيب بأنه قد تضمّن قوله : **(ما أنفقتم من خير/٢١٥)** بيان ما ينفقونه ، وهو كل خير ، الذي دل عليه **(ما أنفقتم)** على سبيل الإبهام والعموم ، و**(من خير)** بيان له ، فيكون الجواب مطابقاً ، ثم زاد في الجواب ما هو أهم ، وهو بيان المصرف ، لأن النفقة لا يُعتدّ بها إلا إذا وقعت موقعها . وبدأ بالوالدين ، لأنهما أهم ، وحقهما آكد ، إذ[1] كانا من أسباب وجوده ، وربيّاه في حالة ضعفه ، ثم سائر القرابة ، لأنهم أهم من الأجانب ، إذ هم كالجزء منه ، ولأن الصدقةَ عليهم صدقةٌ وصِلةٌ ، ثم اليتامى ، لأنهم لا يقدرون على الاكتساب ، لصغرهم ، ولا أب يكتسب لهم ، فهم في معرض الضياع ، والمساكين أقل حاجة منهم ، لأن لهم قدرة على التحصيل في الجملة ، وذكر بعدهم ابن السبيل ، لأنه بسبب انقطاعه عن بلده ، قد يقع في الاحتياج والفقر ، ثم أردف هذا التفصيل الحسن الكامل ، بما هو مجمل ، فقال: **(وما تفعلوا من خير/٢١٥)** أي مع هؤلاء ، أو غيرهم حسبةً لله ، وطلباً لجزيل ثوابه » . وقرىء بالياء[2] ، ففيه التفات . **(فإن الله به عليمٌ/٢١٥)** فمجازِيه . وقال أبوحيان : «مناسبة الآية لما قبلها ، أن الصبر على النفقة وبذل المال ، هو من أعظم ما تحلّى به المؤمن ، وهو من أقوى الأسباب الموصلة إلى الجنة »، قال : « وفي الكلام حذف تقديره : وِلمن يعطون ؟ فجاء الجواب ببيان المنفق والمصرف معاً، أو التقدير : يسألونك[3] مصرف

---

(١) في (أ) : إذا .

(٢) عن علي -رضي الله عنه- . البحر (١٤٣/٢) .

(٣) في (أ) : معاً يسألونك .



ماذا ينفقون فطابقه الجواب ببيانه » ، قال : « وخير الأول ، أُريد به المال ، والثاني : الفضل المقابل للشر »[1].

قلت : ففيه حينئذٍ الجناس التام ، وهو عزيز في القرآن . (**كُتب عَليكم القتالُ/٢١٦**) قرىء بالبناء للفاعل[2] ، «ومناسبة الآية لما قبلها ، أنه لما ذكر مسّ مَن تقدَّمَنا من أَتباعِ الرسل البلايا ، وأن دخولَ الجنة معروفٌ[3] بالصبر على ما يُبتلىٰ به المكلَّف ، ثم ذكَر الابتلاء بالإنفاق للمال ، انتقل إلى أعلى منه ، وهو الابتلاء بالجهاد ، الذي فيه بذل النفس والمال معاً[4] . (**كُرْهٌ/٢١٦**) الأصبهاني : « الكُرْه : بالضم المشقة ، وبالفتح الإجبار ، ولهذا المعنى لم يُقرأ هنا بالفتح[5] ، كما قرىء في سائر المواضع[6] بالوجهين ، لأن المقصود هنا المشقة ، لا أنهم أُكْرِهوا عليه » .

الراغب : « قيل الكُره والكَره واحد ، كالضُّعف ، والضَّعف . وقيل : الكره بالفتح ، المشقة التي تنال الإنسان من خارج مما يُحمل عليه بإكراه ، والكره -بالضم- ما ينالـه من ذاته ، وهو يعافه ، إما من حيث الطبع ، أو العقل ، أو الشرع ، والقتالُ كرهٌ ، أي يكرهونه من حيث الطبع ، ثم بيّن بقوله : (**وعسى أن تكرهوا شيئاً ، وهو خيرٌ لكم/٢١٦**) أنه لا يجب للإنسان أن يعتبر كراهيته للشيء ، أو محبته

---

(١) البحر (٢/١٤١ - ١٤٢) بتصرف وتلخيص .

(٢) قرأ بذلك قوم - كما في البحر (٢/١٤٣) ، والمحرر (٢/٢١٧) .

(٣) في النسختين : « معدوق » ، وما أثبتناه من البحر (٢/١٤٣) .

(٤) هذا نص كلام أبي حيان نقله عنه المؤلف هنا بقليل من التصرف . البحر (٢/١٤٣) .

(٥) يقصد أنه لم يرد ذلك في القراءات المتواترة .
هذا ، وقد ورد ذلك في القراءات الشاذة ، حيث قرأ بالفتح ، السلمي .
ابن خالويه (١٣) ، والدر المصون (٢/٣٨٦) .

(٦) كما في قوله تعالى : (.... **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً** ...) النساء (١٩) .
فقد قرأ حمزة والكسائي بالضم ، والباقون بالنصب .
وكما في قوله :(.... **حملته أمه كرهاً ، ووضعته كرهاً** ....) الأحقاف (١٥) .
حيث قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالفتح ، وقرأ الباقون بالرفع .
انظر حجة القراءات (١٩٥) و (٦٦٣) .

له ، حتى يعلم حاله ، وكرهت يقال فيهما جميعاً ، إلا أن استعماله في المضموم أكثر ، وأكرهت في المفتوح أكثر »[1] انتهى .

وقال أبو حيان : « قُرىء هنا بالفتح أيضاً ، إما على أنه مصدر بمعنى المضموم ، أو بمعنى الإكراه على سبيل المجاز ، كأنهم أُكْرِهوا عليه ، لِشدة كراهيتهم له ، ومشقته عليهم »[2] .

وذهب بعضهم إلى أن الكره -بالفتح- هو المصدر ، وأما بالضم ، فاسم للمفعول ، كالأكل بمعنى المأكول . (**وعسى أن تكرهوا شيئاً**/٢١٦) من حيث الطبع كالغزو ، لما فيه من المشقة والخطر . (**وهو خيرٌ لكم**/٢١٦) من حيث الشرع ، لما فيه من إحدى الحسنيين ، إما الظفر والغنيمة أو الشهادة . (**وعسى أن تحبوا شيئاً**/٢١٦) كالقعود عن الغزو . (**وهو شرٌ لكم**/٢١٦) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر ، و« **عسى** » في الجملة الأولى للإشفاق ، وفي الثانية للترجِّي ، ووقوعها من الله جرياً على عادة العرب في كلامهم ، والملوك في مواعيدهم فخامة وإجلالاً ، مع إرادة التحقيق . الراغب : « الخير ما يرغب فيه الكل ، والشر ضده ، وتُستعملان اسمين ووصفين ، بمعنى أفعل التفضيل ، والذي هنا من الأول »[3] .

الأصبهاني : « في الشر السوء ، وأصله من شَرَرْتُ الشيء ، إذا بسطته ، فهو انبساط الأشياء الضارة » . (**واللّهُ يعلمُ**/٢١٦) ما فيه من مصالحكم . (**وأنتم لا تعلمون**/٢١٦) ذلك ، فبادروا إلى ما يأمركم به ، وإن شق عليكم ، والمقصود منه الترغيب في الجهاد ، لأن الإنسان إذا علم أن الله يعلم ما لا يعلمه ، ثم علم أنه لا يأمره إلا بما فيه صلاحه ، علم قطعاً أن الذي يأمره به ، يجب امتثاله ، سواء

(١) المفردات (٤٢٩) مادة : كره - باختصار وتصرف ، وقوله : « وأكرهت .... الخ ، ليس موجوداً في المفردات .

(٢) هذا كلام الزمخشري (١/٣٥٦) . أورده أبو حيان في البحر عنه (٢/١٤٣) .

(٣) المفردات (١٦٠) مادة : خير - باختصار ، وقوله : « والذي ...... » إلخ ليس بالمفردات .



كرهه طبعه أو أحبّه ، وهذه الجملة في هذا المقام ، تجري مجرى قوله في جواب الملائكة : **(إني أعلمُ ما لا تعلمونَ/٣٠)** . **(يسألونَك عن الشهرِ الحرام/٢١٧)** لما فرض القتال ، ذكر ما يتعلق به من حيث الزمان. **(قِتالٍ فيهِ)** بدل اشتمال من الشهر . وقرىء بالرفع[١] على الابتداء والخبر ، بتقدير همزة الاستفهام . وقرىء **(قتلٍ فيه ، قل قتلٌ فيهِ)**[٢] . **(قل قتالٌ فيهِ/٢١٧)** الكرماني : « لم يعرِّفه باللام كما تعرّف النكرة إذا أُعيدت ، لأن الثاني هنا ليس بالأول »[٣]. زاد في « المنتخب » : « لأن الأول الذي سألوا عنه ، قتال عبدالله بن جحش[٤] ، وكان لنصرة الإسلام ، وإذلال الكفر ، وليس هو بكبير ، إنما الكبير قِتال غير هذا »[٥] . **(وصَدٌّ/٢١٧)** الراغب : « الصَدُّ يكون صرفاً ومنعاً كما هنا[٦] ، وانصرافاً وامتناعاً ، نحو (ويصدون عنك صدوداً) »[٧][٨] . **(والمسجدِ الحرامِ/٢١٧)** قيل : هو عطف على مجرور الباء[٩] . وقيل : على مجرور عن[١٠] ، وفصل بقوله: **(وكُفْرٌ بهِ/٢١٧)** لفرط العناية

---

(١) البحر (٢/١٤٥) دون نسبة ، ونسبها القرطبي إلى الأعرج (الجامع ٣/٤٤) .

(٢) قرأها عكرمة . البحر (٢/١٤٥) .

(٣) العجائب (١/٢١٢) .

(٤) عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي ، صحابي ، هاجر إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، وكان من أمراء السرايا ، وهو أخو زينب أم المؤمنين ، وقد قُتل يوم أحد شهيداً سنة ٣هـ . الإصابة ترجمة (٤٥٧٤) ، حلية الأولياء (١/١٠٨) و(٥/١٢٠) .

(٥) البحر (٢/١٤٦) .

(٦) في (أ) : هو .

(٧) النساء (٦١) .

(٨) المفردات (٢٧٥ - ٢٧٦) مادة : صدد .

(٩) حكاه أبو حيان عن الفراء . البحر (٢/١٤٧) .

وقال أبو حيان : « ورُدّ بأن هذا لا يجوز إلا بإعادة الجار ، وذلك على مذهب البصريين » ثم قال أبو حيان بعد ذلك : « إن ذلك جائز ، لأن السماع يعضده ، والقياس يقويه » ومن هنا ، فإن أباحيان قد اختار هذا القول دون الثاني .

البحر (٢/١٤٦) .

(١٠) هذا قول النحاس ، والزمخشري ، وابن عطية .

إعراب القرآن للنحاس (١/٣٠٨) ، والكشاف (١/٣٥٧) ، والمحرر (٢/٢٢١) .

وهو مروي عن المبرد . الدر المصون (٢/٣٩٣) .

وقد علق أبو حيان على هذا القول ، بأنه إذا كان معطوفاً على (سبيل الله) ، كان متعلقاً بقوله (وصدّ) ، إذ =



به ، كما في قوله (ولَم يكنْ لَه كفواً أحدٌ)[1] ، فإن موضع (له) بعد (كفواً) ، ولكن قدّم لفرط العناية به . وقرىء بالرفع[2] على أن الأصل «وكفرٌ بالمسجد» ، حذف الباء ، ثم أُضيف ، ثم حذف المضاف ، فقام المضاف إليه مقامه . (والفتنةُ أكبرُ/٢١٧) لم يقل أشد ، كما في الآية السابقة ، لمناسبة ما قبله من قوله (كبيرٌ/٢١٧) ، و (أكبرُ عندَ اللّهِ/٢١٧) ، وفي هذه الآية نوع من الجدل ، وهو المعارضة ، فإنهم لما استعظموا القتال في الشهر الحرام قيل لهم : هو كبير ، لكن عارضه صدور ما هو أكبر منه منكم ، وإذا تعارض أمران ، قُدِّم مراعاة الأشد منهما . (ولا يزالون يقاتلونَكمْ/٢١٧) فيه تَلْوين الخطاب ، وهو مخاطبة الأمة بعد النبي -ﷺ- تشريفاً له أن يخاطب بمضمونه . (حتى/٢١٧) للتعليل ، بمعنى كي ، ذُكر لتهييج المؤمنين ، وحَضِّهم على قتالهم إن استطاعوا.

قال الزمخشري : « استبعاد لاستطاعتهم ، كقول الرجل لعدوِّه : إن ظفرت بي ، فلا تُبْقِ عليّ ، وهو واثِق بأنه لا يظفر به »[3]. ولما تضمنت العِلّة ، ذكر الارتداد واستطرد إلى ذكر حكمه شرعاً ، فقال: (ومن يرتَدِدْ/٢١٧) الآية ، فيه النوع البديعي المسمى بالمزاوجة ، وهو أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء ، ثانيهما مرتَّب على الأول ، وهنا زاوَج في الشرط بين الردة والموت عليها ، مرتب عليها بالفاء ، وفي الجواب بين إحباط العمل والخلود في النار ، والثاني مرتب على الأول ، كما لا يخفى[4]، وهذا النوع مثاله في القرآن عزيز جداً ، ومثاله في الشعر :

= التقدير : وصد عن سبيل الله ، وعن المسجد الحرام ، فهو من تمام عمل المصدر ، وقد فصل بينهما بقوله (وكفر به) ، ولا يجوز أن يفصل بين الصلة والموصول » .
البحر (٢/١٤٧) .

(١) الإخلاص (٤) .
(٢) البحر (٢/١٤٧) دون نسبة .
(٣) الكشاف (١/٣٥٧) .
(٤) قال أبو حيان : « وظاهر هذا الشرط والجزاء ، ترتب حبوط العمل على الموافاة على الكفر ، لا على مجرد الارتداد ، وهذا مذهب جماعة من العلماء ، منهم الشافعي . . . » .
البحر (٢/١٥٠) .



إذا ما نهى الناهي ، فَلَجَّ بي الهوى أصاخت إلى الواشِي ، فلَجَّ بها الهَجْر[1]

ومن ذهب إلى أن الردة تحبط العمل ، وإن لم تتصل بالموت[2] ، قال في الآية لف ونشر ، لأن الحبوط عائد إلى الارتداد ، والخلود عائد إلى الموت على الكفر ، ورُوعي في أول الكلام لفظ (من) ، وفي آخره معناها . ولما كانت هذه الآية نافية لإثم الذين جاهدوا وقُتلوا في رجب ، في سَرِية ابن جحش ، وظنوا أنهم إن سَلِموا من الإثم ، فلا أجر لهم ، نزلت الآية بعدها مقررة لثبوت الأجر لهم ، وعلّقه بالرجاء ، حيث قال : (**يَرجون رحمَةَ اللّهِ/٢١٨**) ، لأنه مشروطٌ بالموت على الإيمان وهذا الشرط غير متَيَّقن ، لأن العاقبة مستورة عنهم ، فلا يحصل لهم إلا الرجاء ، وتعليماً للعباد -ولو بلغوا من العبادة الغاية القصوى- أن يكونوا على الرجاء الممتزج بالخوف ، لا على الطمأنينة والجزم ، وقدّم فيها الإيمان ، ثم الهجرة ، ثم الجهاد ، كما هو الواقع ، وأفرد الإيمان بموصول ، لأنه أصل ، وهما فرعان فأُدرِجا في موصول واحد ، وجيء بـ(**أولئك**) ، لما تقدم في أول السورة ، ولما ذكر رجاءهم رحمة الله ، أخبر تعالى ، أنه متصف بالرحمة ، وزاد وصفاً آخر ، وهو الغفران . (**يسألونَك عَن الخمرِ/٢١٩**) مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما ذكر مصرف النفقة في الوجوه التي ذكرها ، بيّن هنا نوعين من مصارف المال ، وذمّهما ، كان ذِكر المصرف السيِّء بعد المصرف الحسن ، كذِكر قصة إن الذين كفروا ، بعد الذين يؤمنون ، ويرَشِّحه ختمها بذكر المنفق أيضاً ، (**والميسِر/٢١٩**) هو القمار ، مصدر من يسر كالموعد ، (واشتقاقه من اليسر ، لأن الآخذ حَصَّل المالَ بِيُسْرٍ وَسهولة من غير كَدٍّ أو من اليسار ، لأن)[3]

---

(١) هذا البيت للبحتري .
انظر ديوانه (١/٢١٧) ، ومعاهد التنصيص (٢/٢٥٥) ، ودلائل الإعجاز (٧٤) .

(٢) وقد ذهب إلى هذا مالك ، وأبو حنيفة وغيرهما .
الجامع للقرطبي (٣/٤٨) ، والبحر (٢/١٥٠) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١/١٤٧) .

(٣) ما بين القوسين ليس موجوداً في (ب) .



المـأخـوذ منـه ، سُلِب يساره . (**إثمٌ كبيرٌ/ ٢١٩**) قرىء بالموحدة والمثلثة[١]، ووجه الأول ، أن المبالغة في تعظيم الذنب ، إنما تكون بالكِبر ، لا بالكثرة ، بدليل (**كبائرَ الإثم**)[٢]، (حُوباً كبيراً)[٣]، ووجه الثاني ، أنه تعالى وصف فيهما أنواعاً كثيرة من الإثم في آية المـائدة[٤]، وأنه قابله هنا بقوله :(**ومنافعُ/ ٢١٩**)، وهي أعداد كثيرة ، فكذا الإثم ، وصار التقدير : فيهما مضار كثيرة ومنافع كثيرة . (**وإثمُهُما أكبرُ/ ٢١٩**) قرأ ابن مسعـود (**أكثـر**) بالمثلثـة ، وقـرأ أُبيّ بَدَلَـه (أقرب)[٥]. (**ويسألونكَ ماذا ينفقـونَ/ ٢١٩**) الأصبهـاني : « هذا السؤال قد تقـدم ذِكـره ، فأُجيب عنـه بذِكر المصرف ، وأُعيد هنا ، فأُجيب بذكر الكَمِّية ». (**العَفْوَ/ ٢١٩**) قال ابن عباس : « الفضل عن العِيال »[٦]. قرىء بالنصب بتقدير : أنفقوا ، وبالرفع[٧] بتقدير هو ، أو الذي ينفقونه . (**كذلك/ ٢١٩**) قيل : إنما أفرد الخطاب والمخاطب جماعة ، لأنهم في معنى القبيل[٨]. ويجوز أن يكون الخطاب للنبي -ﷺ- . (**تَتفكرَّونَ ، في الدنيا والآخرةِ/ ٢١٩ - ٢٢٠**) أي في زوال تلك وفنائها ، وإقبال هذه وبقائها ، فتزهدوا في الفاني وترغبوا في الباقي ، صرّح بمتعلق التفكر هنا[٩] ، لأنه أول موضع ، ثم حذفه في[١٠] سائر المواضع ، للعلم به ، وقيل : هو متعلق بـ(**يُبين**)[١٢].

---

(١) القراءة بالثاء ، هي قراءة حمزة والكسائي .
والقراءة بالموحدة هي قراءة البقية . الكشف (١/ ٢٩١) .

(٢) الشـورى (٣٧) . (٣) النسـاء (٢) .

(٤) وذلك في قوله تعالى : (**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر....**) المائدة (٩١) .

(٥) انظر البحر (٢/ ١٥٨) في هذه القراءة والقراءة السابقة .

(٦) في البحر (٢/ ١٥٨) : « ما فضل عن الأهل والمال » .

(٧) قراءة الرفع هي قراءة أبي عمرو ، وقراءة النصب هي قراءة البقية . الكشـف (١/ ٢٩٢) .

(٨) ويؤيد هذا القول ، قوله : (يبين لكم) ، فأتى بضمير الجمع ، فدل على أن الخطاب للجمع .

(٩) وهو (في الدنيا والآخرة) ، وهو ما استحسنه أبو حيان . البحر (٢/ ١٥٩) .

(١٠) في (أ) : هـي .

(١١) أي قوله :(في الدنيا ....) متعلق بـ(يبين) ، وهو مروي عن الحسن .
الدر المصون (٢/ ٤١٠) . وذهب الزمخشري إلى تجويز هذا الوجه وسابقه . الكشاف (١/ ٣٦٠) .



وفي الآية تقديم وتأخير ، وجملة التفكر اعتراضية[١] . **﴿ويسألونك عن اليتامى/ ٢٢٠﴾** لما أمرهم بإصلاح أموالهم ، حيث أمرهم بإنفاق العفو ، عقّبه الأمر بإصلاح أموال محاجيرهم لأنهم يتصرفون عليهم بالإنفاق وغيره . **﴿إصلاحٌ لهم/ ٢٢٠﴾** قرأ طاووس[٢] **(إليهم)**[٣] على تضمينه معنى الإحسان ، ونكرّه ليفيد العموم البدلي في كل إصلاح[٤] يتعلق بالمال أو بالبدن ، بخلاف ما لو عرّفه ، فكان يفيد إما العموم الشمولي ، وهو غير ممكن وقوعه ، أو العهد في إصلاح خاص . **﴿وإن تخالطوهُم/ ٢٢٠﴾** قال أبو حيان : «فيه التفات من **(يسألونك)** »[٥] وليس كما قال ، ولما كانت المخالطة هي المسؤول عنها ، صرّح بها في الجواب ، مكتنفة بذِكر الإصلاح قبلُ وبعدُ ، وأُبرزت في صورة الشرط ، لأنها أتت لجواز الوقوع ، لا لطلبه وندبه ، وجعل الجواب **﴿فإخوانُكُمْ/ ٢٢٠﴾** أي فهم إخوانكم ، دون فجائز ، أو نحوه ، للحث على قصد الإصلاح والنصيحة ، لأن ذلك شأن الأخ مع أخيه ، ولذا لم يقل : فأولادكم المناسب لكونهم أطفالاً ، لأن الغالب عند إرادة التعطف والتوادّ والتعاون والإصلاح ، ذِكر الأخوّة .

---

(١) وقد ردّ هذا القول ، بأنه عدول عن الظاهر لا لِدليل ، كما أن هذا ليس من باب التقديم والتأخير ، لأن « **لعل** » هنا جارية مجرى التعليل ، فهي كالمتعلقة بـ**(يبين)** ، وإذا كانت كذلك ، فهي والظرف من مطلوب **(يبين)** ، وتَقدُّم أحد المطلوبين ، وتأخُّر الآخر ، لا يكون ذلك من باب التقديم والتأخير .
كما أنه باحتمال أن تكون **(لعلكم تتفكرون)** جملة اعتراضية ، فلا يكون ذلك من باب التقديم والتأخير ، لأن شرط جملة الاعتراض أن تكون فاصلة بين متقاضيين .
البحر (٢/ ١٦٠) .

(٢) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني ، بالولاء أبو عبد الرحمن .
أصله من فارس ، ومولده ومنشؤه في اليمن ، كان من أكابر التابعين ، تفقهاً في الدين ورواية للحديث ، وتقشفاً في العيش ، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك .
كان يأبى القرب من الملوك والأمراء ، توفي سنة ١٠٦هـ .
تهذيب التهذيب (٥/ ٨) ، صفة الصفوة (٢/ ١٦٠) ، حلية الأولياء (٤/ ٣) .

(٣) البحر (٢/ ١٦١) .

(٤) في (أ) : الإصلاح .

(٥) البحر (٢/ ١٦١) .



وقرىء بالنصب[1] بتقدير : فتخالطون . **(والله يعلمُ المفسِدَ مِنَ المصلحِ / ٢٢٠)** جملة معناها التحذير والمجازاة ، وعدى **(يعلم)** بـ**(من)** ، لتضمنه معنى : يميز. **(ولو شاءَ اللهُ لأعْنَتَكم/ ٢٢٠)** أي لَضَيَّق عليكم بمنع المخالطة ، ذكَّرهم بنعمته في ذلك ، ليقفوا عند ما حدّ لهم من المخالطة بالإصلاح ، ولا يتجاوزوه إلى المخالطة بإفساد .

الراغب : « المعانتة كالمعاندة ، لكن المعانتة أبلغ ، لأنها معاندة فيها خوفُ هلاكٍ ، ولهذا يقال : عَنَت فلانٌ ، إذا وقع في أمر يُخاف منه التَّلَف »[2]. **(إن الله عزيزٌ حكيمٌ/ ٢٢٠)** الطوفي: «هو مناسب لما قبله ، لأن الإعنات هو الإيقاع في أمر شاق ، وذلك لا يتحقق إلا بعزة وحُكْم وغَلبة وقهر». **(ولا تنكحوا/ ٢٢١)** أبوحيان : « مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما ذكر تحريم الخمر من المشروبات ، وما يجرّ إليه الميسر من المأكولات ، عقَّبه بتحريم المشركات من المنكوحات ، وأيضاً فلما ذكر حكم اليتامى في المخالطة ، وكان من أنواعها المناكحة حتى إن بعضهم فسّرها بالمصاهرة فقط ، ناسَب الاستطراد إلى ذِكر المنكوحات »[3]، والقراءة بفتح التاء ، من نَكَح ، وقرىء بضمها[4]، من أنْكَحَ ، أي ولا تنكحوا أنفسكم المشركات ، ولم يُقرأ في الثاني إلا بالضم ، إذ لا يصح فيه إلا المعنى الأول ، وحذف مفعوله الثاني ، أي ولا تنكحوا المشركين المؤمنات ، وعدل عن قوله : ولا ينكحن المشركين ، وإن كان ذلك حق المقابلة ، للإشارة إلى اعتبار الولِي ، قاله في المناجاة .

الراغب : « أصل النكاح العقد ، ثم استُعير للجماع ، ومحالٌ أن يكون في الأصل للجماع ، ثم استُعير للعقد ، لأن أسماء الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره ، كاستقباح تعاطِيه ، ومحالٌ أن يستعير من لا يقصد **فحشاً** ، اسم ما

---

(١) قرأ بذلك أبو مجلز . البحر (٢/١٦٢) .

(٢) المفردات (٣٤٩) مادة : عنت .

(٣) البحر (٢/١٦٣) بتصرف .

(٤) قراءة الضم هي قراءة الأعمش ، وقراءة الفتح هي قراءة الجمهور . البحر (٢/١٦٣) .



يستقبحونه لما يستحسنونه »[1] . (ولأَمَةٌ مؤمنةٌ/ ٢٢١) ابن الحاجب[2] : « المراد كل أمة مؤمنة ، فهو المصحح للابتداء ، لا الوصف »[3] (خيرٌ من مشركةٍ/ ٢٢١) أي من حرة مشركة[4] ، ففيه طباقان . وقيل : لا تقدير ، وإطلاق المشركة ليعم الحرة والأمة ، تنبيهاً على أن الخيرية عِلِّية باعتبار الشرك فقط ، دون الحرية .

قلت : ويحتمل أن يقدر في الجملة الأولى : ولو كرِهتم ، في مقابلة قوله في الثانية (ولو أعجبتكم/ ٢٢١) ، كما قدّر في الثانية : حرة ، في مقابلة قوله في الأولى (ولأمةٌ/ ٢٢١) ، فيكون في الآية احتباك ، وثلاث طباقات ، و(خيرٌ/ ٢٢١) في الموضعين لا تفضيل فيه ، إذ لا خير في المشرك البَتَّة .

قال نفطوية[5] : « لفظ التفضيل يجيء في كلام العرب إيجاباً للأول ، ونفياً عن الثاني[6] كقوله تعالى : (أصحابُ الجنةِ يومئذٍ ، خيرٌ مستقراً ، وأحسنُ مَقيلاً)[7] ،

---

(١) المفردات (٥٠٥) مادة : نكح .

(٢) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ، أبو عمرو جمال الدين ، ابن الحاجب ، نسبة لأبيه الذي كان حاجباً . كردي الأصل ، ولد في آسنا -في صعيد مصر- ونشأ في القاهرة ، وسكن دمشق ، وهو فقيه مالكي ، من كبار العلماء بالعربية ، من تصانيفه : « الكافية » في النحو ، و« الشامية » في الصرف ، و« مختصر الفقه » استخرجه من ستين كتاباً . . . توفي سنة ٦٤٦هـ .
وفيات الأعيان (١/ ٣١٤) ، مفتاح السعادة (١/ ١١٧) ، آداب اللغة (٣/ ٥٤) .

(٣) الأمالي النحوية لابن الحاجب (٣/ ٨٦ - ٨٧) باختصار .
وذهب أبو حيان إلى أن مصحح الابتداء هنا هو الوصف . البحر (٢/ ١٦٤) .

(٤) وهو اختيار أبي حيان . النهر المارد - حاشية (٢/ ١٦٤) .
وقد استدل أبو حنيفة بالآية على جواز نكاح الأمة الكتابية ، ووجه الدليل من الآية أن الله تعالى خاير بين نكاح الأمة المؤمنة والمشركة ، فلولا أن نكاح الأمة المشركة جائز لما خاير الله تعالى بينهما . . . .
انظر أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٣٦) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٥٦ - ١٥٧) ، وراجع فيه رده على ما ذهب إليه أبو حنيفة .

(٥) هو أبو عبد الله ، إبراهيم بن محمد الأزدي العتكي ، من أحفاد المهلب بن أبي صفرة ، كان إماما في النحو ، فقيهاً ، مسنداً في الحديث ، ثقة ، كان يؤيد مذهب سيبويه في النحو فلقبوه نفطويه ، من كتبه : « غريب القرآن » ، و« أمثال القرآن » . توفي سنة ٣٢٣هـ .
وفيات الأعيان (١/ ١١) ، ونزهة الألباء (٣٢٦) ، وإنباه الرواة (١/ ١٧٦) .

(٦) الموجود في البحر (٢/ ١٦٥) إلى هنا فقط .

(٧) الفرقان (٢٤) .



وقولهم : العسل أحلى من الخَلّ » . (**أولئك/٢٢١**) إشارة إلى الصنفين : المشركات والمشركين ، قصد به بيان العِلّة لِما ذكر من الحكم. (**يَدْعُونَ/٢٢١**) إما بالقول ، أو بالمعنى بسبب المحبـة والمخالطة ، وحذف مفعوله تنزيلاً له منزلة اللازم ، أي من شأنهم الدعاء ، أو مقدّراً ، أي يدعونكم ، أو من ناكحهم .

الشيخ سعد الدين : « استعمال المشترك في معنييه لأن صيغة (**يدعون**) للمذكر والمؤنث إلا أن الواو على الأول ضمير ، والنون حرف ، وعلى الثاني النون ضمير ، والواو لام الفعل » (**إلى النار/٢٢١**) أي الكفر المؤدي إليها ، تعبيراً بالمسبب عن السبب . (**واللّهُ يَدْعُو/٢٢١**) عبرّ به بدلاً عن : والمؤمنون يدعون -الذي هو حق المقابلة- مبالغة في أن الكفار في جانب غير جانب الله ، وتشريفاً للمؤمنين ، حيث أقـام سبحـانـه دعـاءه مقام دعائهم . (**والمغفرةِ/٢٢١**) بالجر عطفاً على الجنة ، وبالرفع[١] مبتدأ خبره (**بإذنِهِ/٢٢١**) أي بأوامره على الأول ، وبتوفيقه وتيسيره على الثاني .

أبو حيان : « قُدّمت الجنة هنا على المغفرة ، وأُخّرت في قوله: (**إلى مغفرةٍ من ربكم وجنـةٍ**)[٢] لأن الأصل تقديم المغفرة ، لأنها سبب لدخول الجنة ، والسبب مقـدَّم على المسبّب ، وأمـا هنـا ، فرُوعي حسن المقابلة في قوله قبلُ (**يدعون إلى النـار**) »[٣]. (**ويُبين آيـاتِـهِ للناس /٢٢١**) أي لا يخص تبيينها بأحد دون أحد . (**ويسألونَكَ/٢٢٢**) ذكر تعالى «**يسألونك**» في ستة مواضع[٤]، فذكر الثلاثة الأُوَل

---

(١) قراءة الرفع هي قراءة الحسن .
وقراءة الجر هي قراءة الجمهور .
البحـر (٢/١٦٦) .

(٢) آل عمـران (١٣٣) .

(٣) البحـر (٢/١٦٦) بتصرف .

(٤) في الحقيقة أن ذلك ورد في خمسة عشر موضعاً ، منها ثمانية بغير الواو ، والباقي بالواو . وهذه المواضع هي : البقرة (١٨٩ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢) ، والمائدة (٤) ، والأعراف (١٨٧) مرتين ، والأنفال (١) ، والإسراء (٨٥) ، والكهف (٨٣) ، وطـه (١٠٥) ، والنازعات (٤٢) .



بغير واو ، والثلاثة الأخيرة بالواو ، لأن سؤالهم عن الحوادث الأُوَل ، وقع في أحوال متفرقة ، لا اتصال بينها ، فلم يُؤتَ فيها بحرف العطف ، لأن كل واحد من تلك السؤالات سؤال مبتدأ ، وسؤالهم عن الثلاثة الأخيرة في وقت واحد ، فجيء بحرف العطف ، دلالة على الجمع . (**المحيض/٢٢٢**) يحتمل المصدر والمكان والزمان[١] ويؤيد الأول : (**قل هو أذىً**) ، والثاني (**فاعتزلوا النساء في المحيض/٢٢**) . (**ولا تقربوهن/٢٢٢**) مؤكدٌ لقوله : (**فاعتزلوا/٢٢٢**) . (**حتى يطهرن/٢٢٢**) بالتخفيف ، أي ينقين بانقطاع الدم وبالتشديد[٢] ، أي يتطهرن بالماء ، فأفادت القراءتان وجوب الأمرين ، أو وجوب الأول وندب الثاني . (**فأتوهن/٢٢٢**) أمر إباحة ، لأنه بعد الحظر . (**إن الله يُحب التوابين ويحب المتطهرين/٢٢٢**) اعتراض للحث على الطهارة ، وتَجنُّب الوطء في الحيض ، أو الدبر .

الطوفي : « هو مناسب[٣] لقوله (**يطهرن**) ، أو هو من باب ردّ العجز على الصدر » . (**نساؤكم حرثٌ لكم/٢٢٣**) أي موضع حرثكم ، أي زرعكم ، استعارة ، شَبَّه الجماع بالزرع ، والنطفة بالبذر ، والرحِم بالأرض ، والولد بالبنات .

الراغب : « وجه الشبه ، أن به بقاء نوع الإنسان ، كما أن الزرع به بقاء أشخاصهم »[٤] . (**فأتوا حرثَكم أنَّى شِئتم/٢٢٣**) تمثيل باعتبار تشبيه المجموع ، من إتيان قُبُل المرأة أنَّى شاء ، بمجموع إتيان الأراضي ، التي يُراد حرثها من أي جهة كانت ، فإن وجه الشبه إذا كان مجموعاً مأخوذاً من أمور ، يُسمى تمثيلاً ، أي

---

(١) ذكر أبو حيان أن (المحيض) صالح من حيث اللغة لهذه الثلاثة ، وأن أكثر المفسرين من الأدباء على القول الأول . (البحر ٢/١٦٧) ، وانظر أحكام القرآن لابن العربي (١/١٦٠) . وقد فسّر الزمخشري (المحيض) بهذا القول الأول (الكشاف ١/٣٦١) ، وبه بدأ ابن عطية (المحرر الوجيز ٢/٢٥١) .
وهو مروي عن ابن المسيب . البحر (٢/١٦٧) .
وأما القول الثاني ، فقد روي عن ابن عباس ، المرجع السابق .

(٢) قراءة التخفيف مع ضم الهاء ، هي قراءة الحرميين ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وحفص ، وقراءة التشديد مع فتح الهاء ، هي قراءة البقية . الكشف (١/٢٩٣ - ٢٩٤) .

(٣) في (أ) : من مناسب . (٤)



جامعوهن من أي جهة أردتم ، كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم . و **(أنَّى)** تحتمل أن تكون بمعنى كيف ، وبمعنى من أين ، وبمعنى متى ، والثلاثة مروية عن[1] السلف[2] ، والأول لعموم الأحوال ، والثاني لعموم الجهات ، والثالث لعموم الأوقات . وفيها قول رابع ، أنها بمعنى : حيث شئتم ، وهو عن ابن عمر[3] وهو لعموم المكان المأتي فيه ، بناء على رأيه من إباحة الوطء في الدبر[4] .

---

(١) في (أ) : من . (٢) انظر الدر المصون (٢/٤٢٣) .

(٣) هو أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- صحابي جليل ، كفّ بصره في آخر حياته ، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة ، له في كتب الحديث (٢٦٣٠) حديثاً . توفي سنة ٧٣هـ . الإصابة (ترجمة رقم ٤٨٢٥) ، وتهذيب الأسماء (١/٢٧٨) ، وطبقات ابن سعد (٤/١٠٥ - ١٣٨) .

(٤) انظر زاد المسير (١/٢٥١ - ٢٥٢) .
وقد أورد أبو حيان هذا عن ابن عمر ، ثم قال :
وقد روي عن ابن عمر تكفير من فعل ذلك وإنكاره » . (البحر ٢/١٧١) .
وهذا اللائق بابن عمر -رضي الله عنهما- ، ومما يدل على ذلك ، ما رواه النسائي والطبراني وابن مردويه عن أبي النضر أنه قال لنافع -مولى ابن عمر- إنه قد أكثر عليك القول ، إنك تقول عن ابن عمر : إنه أفتى أن يؤتى النساء في أدبارهن . قال : كذبوا عليَّ ، ولكن سأحدثك كيف كان الأمر : إن ابن عمر عرض المصحف يوماً وأنا عنده حتى بلغ : **(نساؤكم حرث لكم ، فأتوا حرثكم أنى شئتم)** . فقال : يا نافع هل تعلم من أمر هذه الآية ؟ قلت : لا . قال : إنا كنا معشر قريش نجْبِي النساء ، فلما دخلنا المدينة ، ونكحنا نساء الأنصار ، أردنا منهن مثل ما كنا نريد ، فإذا هن تكرهن ذلك وأعظمنه ، وكانت نساء الأنصار قد أخذن بحال اليهود ، إنما يؤتين على جنوبهن ، فأنزل الله **(نساؤكم حرث لكم ، فأتوا حرثكم أنى شئتم)** .
تفسير القرآن العظيم (١/٢٦٢) ، والدر المنثور (١/٢٦٥) .
وذكر ابن كثير (١/٢٦٢) أنه صحيح الإسناد .
وروى الدارمي عن سعيد بن يسار أبي الحباب قال : قلت لابن عمر : ما تقول الجواري ، حين أحمض لهن ؟ . قال : وما التحميض ؟ فذكرت الدبر ، فقال :
هل يفعل ذلك أحد من المسلمين ؟
الدارمي (١/٢٦٠) كتاب الوضوء - باب (١١٤) .
وقد علّق ابن كثير على ذلك قائلاً : « وكذا رواه ابن وهب وقتيبة عن الليث به ، وهذا إسناد صحيح ، ونص صريح منه بتحريم ذلك ، فكل ما ورد عنه مما يحتمل ويحتمل ، فهو مردود إلى هذا الحكم .
تفسير القرآن العظيم (١/٢٦٤) ، وانظر الجامع للقرطبي (٣/٩٥) ، وإغاثة اللهفان لابن القيم (٢/١٤٤) .



الكشاف : « قوله **(هو أذىً/٢٢٢)** ، **(فاعتزلوا النساءَ/٢٢٢)** ، **(مِن حيثُ أمَـرَكم اللهُ/٢٢٢)**، **(فأتوا حرثَكم/٢٢٣)** من الكنايات اللطيفة ، والتعريضات المستحسنة ، وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة ، على المؤمنين أن يتعلموها ، ويتأدبوا بها في محاوراتهم ومكاتباتهم »[١] .

الثعلبي[٢] : « هذه من أظرف كنايات القرآن ، حيث عبرّ بالحرث عن الفرج »[٣] **(واتقوا اللّهَ/٢٢٣)** فيما يأمركم به ، وينهاكم عنه ، فامتثلوا أوامره[٤]، ولا تجسروا على مناهيه ، **(واعلموا أنكم مُلاقوه/٢٢٣)** ، فيجازيكم[٥] ، وعيدٌ وتهديدٌ. **(وبَشِّر المؤمنينَ/٢٢٣)** بالثواب والكرامة . والقصد به رعاية الترتيب المعتبر في القرآن ، وهو أن يجعل مع كل وعيد وعداً .

وقال الطوفي : « هو مناسب لقوله : **(وقَدِّموا لأنفُسكُم ، واتقوا اللّهَ/٢٢٣)** ، لأن تقديم الخبر، والتقوى سبب الفلاح الموجب للبشرى » .

أبو حيان : « في الانتقال من أمرهم إلى أمر الرسول بالتبشير تأنيسٌ عظيم . ولم يأتِ بضمير الغيبة ، بل بالظاهر لدلالته على الوصف الأسنى ، ولكونه فاصلة »[٦] .

(ولا تجعلوا اللّهَ/٢٢٤)، أبـوحيان: «مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما أمرهم بالتقوى ، وحذَّرهم يوم المعاد نهاهم عن ابتذال اسمه ، وجعله معرضاً لما يحلفون عليه دائماً ، لأن من يُتَّقَى ويُحذر ، يجب صيانة اسمه ، وتنزيهه عن أن يُذكر في كل

---

(١) الكشـاف (١/٣٦٢) .

(٢) هو أبو إسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، من أهل نيسابور ، وهو مفسر وله اشتغال بالتاريخ . من كتبه « عرائس المجالس » مطبوع ، في قصص الأنبياء . و « الكشف والبيان في تفسير القرآن » مخطوط ، يعرف بتفسير الثعلبي . توفي سنة ٤٢٧هـ .
ابن خلكان (١/٢٢) ، وإنباه الرواة (١/١١٩) ، والبداية والنهاية (١٢/٤٠) ، واللباب (١/١٩٤) .

(٣) الظاهر أن ذلك من كتابه : « الكشف والبيان في تفسير القرآن » وهو مخطوط - على ما ذكره صاحب الأعلام (١/٢٠٥) .

(٤) في (أ) : لأوامـره .

(٥) في (ب) : ليجازيكـم .

(٦) البحـر (٢/١٧٢) بتصرف .

ما يحلف عليه ، من قليل وكثير ، وعظيم وحقير»[1] . (عُرْضَةً/٢٢٤) فُعْلَة بمعنى مفعول ، كغرفة ، وقبضة ، يقال : فلان عرضة لكذا ، أي معرّض له . الراغب : « العُـرْضَـة : ما يجعل معرضاً للشيء »[2] . (أن تَبَرُّوا/٢٢٤) مفعول له[3] ، أي كراهة أن تَبَرُّوا ، أو لئلا تَبَرُّوا ، وأغرب من جعله مبتدأ خبره محذوف ، أي أَمْثَل لكم ، أو خير من أن تجعلوا الله عرضة[4] .

وقال أبو حيان : « هو على نزع الخافض ، أي لأيمانكم ، على أن »[5] . (والله سميعٌ عليمٌ/٢٢٤) قال أبـو حيان : «الختم بهما منـاسب ، لأن السميع ينـاسب الحَلِف ، لأنه من المسموعات ، والعليم يناسب إرادة البر والتقوى[6] ، إذ محلها القلب » .

الطوفي : « معنى الآية ، أن يُدعى الشخص إلى معروف ، من بِر أو تقوى أو إصلاح بين خصوم ، فيقول : عليّ يمين ألا أدخل في شيء من هذا ، فَنُهُوا[7] عن ذلك ، لأنه وسيلة إلى سد باب المعروف ، بل ينبغي أن يجيب إليه ، وإن كان قد حلف ، ويُكَفِّـر عن يمينـه ، كما في الحـديث[8] ، وحينئذ ظهرت مناسبة الفاصلة لمضمون الآية ، فالمعنى : والله سميع لاعتذاركم باليمين ، عليم بقصدكم بذلك

---

(١) البحـــر (٢/١٧٦) باختصار قليل .

(٢) المفـردات (٣٣٠) مادة : عرض .

(٣) ذهب إلى ذلك الجمهور . البحر (٢/١٧٧) .

(٤) قاله الزجاج ، وتبعه التبريزي .
معاني القرآن (١/٢٩٣) ، والدر المصون (٢/٤٥) .
وقد ضُعِّف هذا القول ، لأنه يؤدي إلى انقطاع هذه الجملة عن ما قبلها ، والظاهر تعلقها به .
الدر المصون (٢/٤٢٦) ، والبحر (٢/١٧٧) .

(٥) البحر (٢/١٧٨) .

(٦) في البحر (٢/١٧٩) : والإصلاح .

(٧) في (ب) : قهرا .

(٨) روى البخاري ومسلم - عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً : (.. إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ، فأرى غيرها خيراً منها ، إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها) البخاري (٦/٢٢٩) كتاب : الذبائح والصيد ، باب (٢٦) ، ومسلم (٢/١٢٧٠) كتاب : الإيمان ، باب (٣) .



الاعتذار. (**لا يُؤاخِذُكُمُ/٢٢٥**) لما نهى عن جعل اسمه ، عُرْضة للحلِف ، وكان حسماً لمادة الأيمان ، بيّن أن ما سبق إليه اللسان من اليمين من غير قصد غير مؤاخذ به .

وأصل اليمين : العضو ، واستُعمل للحلِف ، لِما جرت العادة من تصافح المتعاقدين. (**ولكنْ يُؤاخِذُكُم بما كَسَبت قُلوبُكُم/٢٢٥**) هو مفسّر لقوله في المائدة: (**بما عَقَّدْتُم الأيمان**)[١] ، كما أن آية المائدة مفسر للمؤاخذة المذكورة هنا ، بقوله: (**فكفارته**) إلى آخره ، فكل من الآيتين مجملة من وجه ، ومبينة من وجه آخر ، فصارت كل منهما مفسرة للأخرى ، ووقعت « لكن » هنا ، أحسن موقع ، لكونها بين ضدّين ، و« ما » موصولة . وقيل : مصدرية ، وقيل : نكرة موصوفة[٢] .

الطيبي : « أصل الكسب لِما يُزاوَل باليد ، كقوله : (**كسبت أيديكم**)[٣] ، فاستعماله في القلب استعارة ، فيفيد المبالغة » .

الراغب : «قوله : (**بما كسبت قلوبكم**) أعم من قوله: (**بما عَقَّدْتُم الأيمان**)[٤] ، لأن القلب لما كان يُعَبَّر به عن الجزء الذي به المعرفة والفكر ، ويجري من سائر أجزائه ، مجرى الراعي من المرعِي ، نبّه بقوله: (**بما كسبت قلوبكم**) ، أن الاعتداد به دون غيره من الجوارح حتى أن كل فعل لا يكون به ، أو عنه سهواً وخطأً ، يُتجاوز عنه »[٥] . (**والله غفورٌ/٢٢٥**) مناسب لما لا مؤاخذة فيه ، وهو الجملة الأولى. (**حليمٌ/٢٢٥**) مناسب لما فيه المؤاخذة ، وهو الجملة الثانية . (**للذين يُؤلُونَ/٢٢٦**) أبوحيان: «مناسبة الآية لما قبلها ظاهرة ، لأنه تقدم شيء من أحكام

---

(١) المائــدة (٨٩) .

(٢) ذكر السمين هذه الأوجه ، وقال عن القول الثاني إنه هو الظاهر .
الدر المصون (٢/٤٣١) ، وانظر البحر (٢/١٨٠) .

(٣) الشــورى (٣٠) .

(٤) المائــدة (٨٩) .

(٥) لم أعثر على هذا النص فيما اطلعت عليه .

النساء ، وشيء من أحكام الأيمان ، وهذه الآية جمعت بين الشيئين »[1]. وأقول : لما كانت هذه الآيات كلها في أحكام النساء ، بُدِىء بالنكاح في قوله: (**ولا تَنكحوا المشركـاتِ**/٢٢١) الآية ، لأنـه أولٌ وسابقٌ على غيره من أحكامهن ، ثم بأحكام الوطء في الآية التي تَلِيه ، لأنه المقصود الأعظم منه ، ثم لما أُريد بيان الطلاق ، ذكر قبله الإيلاء الذي هو قريب منه في تحريم الوطء ، لأنه من تعلقات العِصمة ، ولأن الطلاق يعقبه إذا امتنع من الفيئة ، ولما كان يميناً صدّر بالكلام على الأيمان إجمالاً من النهي عن الإكثار من الحلف بالله ، والتصميم على ما حلف عليه ، إذا كان البِر في الحنث ، والإخبـار بأن اللغـو من الأيمان لا يؤاخـذ به ، إنما يؤاخذ بما تعمده القلب ، وذلك كالمقدمة للمقصود ، ثم فرّع عليه الإيلاء الذي قصد بالذات ، وهو يمين خاص في نوع خاص ، وأخبر أنه إن لم يفيء بعد المدة ، فليس إلا الطلاق ، ثم عقبه بأن المطلقات يتربصن للاعتداد ، وأن الرجعية منهن لزوجها الرجعة في المدة بغير إذنها ، ثم أخبر أن الزوج يملك الرجعة في طلقتين ، ما لم تكن افتدت نفسها منه بالخلع ، فهي أحق بنفسها ، ثم أخبر أنه إذا طلّق الثالثة ، حَرُمَت عليه حتى تنكح زوجاً غيره ، فإذا طلّقها الثاني ، حلّت للأول بشرطه ، ثم حثّ الأزواج على الإحسـان في حقهن ، وتـرك المضـارة ، وأنـه لا تصلح المراجعة والإمساك بقصد الإضرار ، ثم حثّ الأولياء على إجابة الزوجات في العَوْد إلى أزواجهن ، ونهاهم عن العَضْل ، ثم بيّن أحكام الأولاد في الإرضاع والنفقة والفِطام ، ثم بيّن عِدة المتوفى عنها ، ثم بيّن أحكام الخِطبة في العِدَّة وغيرها ، ثم أحكام المطلَّقة قبل الدخول في المهر ، فجعل للمسمىٰ لها النصف ، ولغيرها المتعة ، ثم بيّن أن لجميع المطلقات المدخول بها المتعة ، من رجعِية وغيرها ، وخلّل في ضمن ذلك ، بالأمر بالمحافظة على الصلوات ، لأن المـذكـور من أمر الزوجات والأولاد ، قد يُشغِل عن العبادة والمحافظة عليها ، فنبّه على الاهتمام بالمحافظة عليها ، وترك الغفلة عنها ، حتى في حال القتال والخوف ، الذي هو أشغل للقلب من أمر الزوجات والأولاد ، وبهذا

(١) البحـر (٢/ ١٨٠) .



الذي قررناه ، عرفت مناسبة ترتيب هذه الآيات كلها .

وقرأ ابن مسعود (آلو) ، وابن عباس (**يقسمون**)[1][2] . **(من نسائهم/٢٢٦)** قيل : **(من)** بمعنى على[3] ، لأن **(يُؤلـون)** إنما يتعدَّى بها . وقيل : ضمّن معنى يمتنعون[4] ، فعُدِّي بها (**تَرَبُّصَ أربعةِ أشهرٍ/٢٢٦**) من إضافة المصدر إلى ظرف الزمان توسعاً ، والأصل : تربصهم أربعة أشهر ، والتَّرَبُّص : الترقب والانتظار . قال أبوحيان : « وهو مقلوب التصبر »[5] . **(فإن فَاؤوا/٢٢٦)** الراغب : « الفَيْئَة : الرجوع إلى حالة محمودة »[6] .

وقـرأ ابن مسعـود : **(فـإن فاؤوا فيهن)** ، وأُبيّ **(فيهـا)**[7] . **(فـإن اللّهَ غفـورٌ رحيمٌ/٢٢٦)** ختم بها لبيان أن الإيلاء معصية ، والفَيئـة توبتهـا ، والتوبة تُسقِط الذنب ، وتقتضي المغفرة والرحمة. **(وإن عَزموا الطَّلاقَ/٢٢٧)** العزم ما يعقد عليه القلب ، ويصمم . و**(الطلاق)** نصب بإسقاط «على» ، أو تضمين **(عزموا)** معنى نووا[8] .

---

(١) في (ب) : يقسموهم .

(٢) انظر في هذه القراءة وسابقتها البحر (٢/ ١٨٠) .

(٣) ذكره الزمخشري . الكشاف (١/ ٣٦٣) .
وقد تعقب أبو حيان ذلك قائلاً :
« وهذا كله ضعيف ، ينزه القرآن عنه » ، ثم ذهب إلى احتمال أن تكون (من) للسببية ، أن الإيلاء هنا مضمن معنى الامتناع ، وهو ما ذكره المؤلف هنا ثانياً .
البحـــر (٢/ ١٨١) .

(٤) حكاه السمين في الدر المصون (٢/ ٤٣٤) .

(٥) البحـــر (٢/ ١٧٥) .

(٦) المفردات (٣٨٩) مادة : فيأ .

(٧) انظر في هاتين القراءتين البحر (٢/ ١٨٢) .

(٨) وقد جوّز أبو حيان هذا الوجه وسابقه .
البحر (٢/ ١٨٣) ، وانظر الدر المصون (٢/ ٤٣٥) .

وقرأ ابن عباس : (السرَّاح) ، قال أبو حيان : « ويظهر أن جواب الشرط محذوف ، تقديره: فليُوقِعُوه »[١] . (فإن الله سميعٌ/٢٢٧) أي لِما قاله المطلّق ، (عليمٌ/٢٢٧) أي بما في قلْبِه. الكشاف: «فإن قلتَ : عزم الطلاق مما يُعلم ، ولا يسمع ، قلت : الغالب أن العازم للطلاق وترك الفيئة ، لا يخلو من مقاولة ودمدمة ، ولابدّ له أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك ، وذلك حديث لا يسمعه إلا الله ، كما يسمع وسوسة الشيطان »[٢] .

أبو حيان : « (سميعٌ) مناسب لإيقاع الطلاق المقدّر ، لأنه مسموع ، و (عليمٌ) مناسب للعزم ، وأُخِّر للفاصلة ، ولأنه أعمّ من السمع »[٣]، وكذا قال الطوفي . (والمطلقاتُ يَتَربَّصنَ/٢٢٨) [خبرٌ بمعنى الأمر ، وهو أبلغ في تأكيده ، لإشعاره بأنه مما يجب أن يُتَلَّقى بالمسارعة إلى امتثاله ، فكأنه امتثل وصار موجداً ، فأخبر عنه ، وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضاً فضل تأكيد ، ولو قيل : ويتربصن المطلقات ، لم تكن بتلك الوكادة][٤]. فالبناء على المبتدأ ، يفيد التأكيد ، بل التخصيص أيضاً . (بأنفسهن/٢٢٨) قيل: الباء زائدة في التأكيد[٥] ، والفائدة في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص ، وزيادة بعث ، لأن فيه ما يستنكفن[٦] منه ، فيحملهن على أن يتربص ، فإن أنفسَ النساء طوامِحُ إلى الرجال ، فأُمِرْن أن يقْمَعْن أنفسهن ، ويغلِبنها على الطموح ، ويجبرنها على التربص. (ثلاثةَ قُروء/٢٢٨) أتى بجمع الكثرة دون أقراء اتساعاً باستعمال أحد الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ، كما أتى بجمع[٧] القِلَّة في «أنفسهن» مكان نفوسهن ، والمقام له إذ هي نفوس كثيرة ،

---

(١) البحر (٢/١٨٣) . (٢) الكشاف (١/٣٦٤ - ٣٦٥) . (٣) البحر (٢/١٨٣) باختصار .
(٤) ما بين القوسين هو كلام الزمخشري بالكشاف (١/٣٦٥) نقله عنه المؤلف بقليل من الاختصار .
(٥) وهو ما جوزّه أبو حيان .
البحر (٢/١٨٥) ، وانظر الدر المصون (٢/٤٣٧ - ٤٣٨) .
(٦) في (أ) : ما يستنكفهن ، وفي (ب) : ما لا يستنكفن ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٧) في (أ) : بجميع .



قاله في الكشاف ، قال : « ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً من الأقراء ، فأُوثر عليه »[1] .

وقال الكرماني : « لما ذكر النساء - وكان لكل واحدة ثلاثة أقراء - جاء لكثرتهن بلفظ الكثير »[2] وقرىء (قروّ) بتشديد الواو بدلاً من الهمزة ، وقرىء بفتح القاف[3] مفرداً ، من إضافة العدد إلى اسم الجنس ، لإطلاقه على الواحد والجمع ، (ولا يَحِلُّ لَهنَّ أن يَكْتُمنَ ما خَلَقَ اللّهُ في أرحامِهِنَّ/٢٢٨) أي من الحيض والولد[4] . قال الزمخشري : « ويجوز أن يُراد اللاتي يبغِين إسقاط ما في بطونهن من الأجِنَّة ، ولا يعترفن به ، ويجحدنه لذلك ، فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه »[5] . (إن كنَّ يُؤمِنَّ/٢٢٨) ليس شرطاً في النهي ، بل تعظيم لِفِعْلِهن ، وأن من آمن بالله وبعقابه ، لا يجترىء على مثل ذلك. (وبُعولَتُهن أحقُّ بردِّهِن/٢٢٨) تخصيص بعد تعميم ، لأن المطلقات عام ، والضمير هنا عائد له باعتبار الرجعيات خاصة ، ونظيره قوله : (ووصَّينا الإنسان بوالديه حُسناً)[6] ، فعَمَّ ، ثم قال : (وإنْ جَاهداكَ)[7] وهو خاص بالمشركين . وفي « بعولتهن » مجاز الكون ، و(أحقُّ) لا تفضيل فيه ، إذ لا حق لغير البعولة في الرجعة . ويجوز أن يكون تفضيلاً ، أي منهن ، أي أملك لأمرهن منهن[8] .

---

(١) الكشاف (٢/٣٦٦) . (٢) لباب التفسير (٢/٦٤٥) بمعناه .

(٣) مع سكون الراء ، وراء خفيفة ، وهي قراءة الحسن .

والقراءة السابقة هي قراءة الزهري ، ورويت عن نافع . البحر (٢/١٨٦) .

(٤) قاله ابن عمر ، وابن زيد . زاد المسير (١/٢٦٠) .

(٥) الكشاف (١/٣٦٦) .

وقد ذكر أبو حيان كلام الزمخشري هذا ، ثم قال : « والآية محتملة » . البحر (٢/١٨٧) .

(٦+٧) العنكبوت (٨) .

(٨) قال أبو حيان :

« والأولى عندي أن يكون على حذف مضاف ، دلَّ عليه الحكم ، تقديره : وبعولة رجعياتهن ، و(أحق) هنا ليست على بابها ، لأن غير الزوج لا حق له ولا تسليط على الزوجة في مدة العدة ، وإنما ذلك الزوج ، ولا حق لها أيضاً في ذلك » . البحر (٢/١٨٨) ، وانظر الدر المصون (٢/٤٤٢) .



وقرئ بسكون «التاء»[1] من «بعولتهن» ، فراراً من ثقل توالي الحركات ، كما قرئ بسكون ، نحو : (يأمركم)[2] ، وذكر أبو عمرو أن ذلك لغة تميم[3] . وقرأ أُبيّ (بردتهن)[4] (**إن أرادوا إصلاحاً/٢٢٨**) حثٌّ عليه ، لا شرط في جواز الرجعة . (**ولَهُن مثلُ الذي عليهن/٢٢٨**) قال أبوحيان : « هذا من بديع الكلام ، إذ حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني وعكسه ، والتقدير : ولهن على أزواجهن ، مثل الذي لأزواجهن عليهن »[5] . (**وللرجالِ/٢٢٨**) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ، للتنويه بذكر الرجولية التي بها ظهرت المِزية للرجال على النساء ، وفِراراً من قلق توالي المضمرات لو قيل : ولهم . (**درجةٌ/٢٢٨**) الراغب : « الدرجة نحو المنزلة ، لكنها تختص بالصعود دون الامتداد على البسيط ، ولذلك عبرّ بها عن المنزلة الرفيعة »[6] . (**والله عزيزٌ حكيمٌ/٢٢٨**) الطوفي : « هو مناسب للآية ، لأنها تضمنت أحكاماً ، وهي على وِفق الحكمة ، ولابد لنفوذها من عزٍ وغلبةٍ وحكمٍ قاهرٍ » . (**الطَّلاقُ مرتان/٢٢٩**) الزملكاني : « هذا التفصيل في المعنى ، شرط وجزاء ، والتقدير : فمن طلّق امرأته مرتين ، فليُمسك بعدهما بمعروف ، أو ليسرحها بإحسان ، ونظيره (**ربَّنا اكشف عنا العذابَ إنا مُؤمنون**)[7] ، وهذه حكاية عن الكفار ، ثم قال في جوابه : (**إنا كاشفو العذاب قليلاً ، إنكم عائدون**)[8] ، والتقدير : إن كشفنا العذاب ، تعودوا .

---

(١) قرأ بذلك مسلمة بن محارب . البحر (٢/١٨٨) .

(٢) وذلك في قوله تعالى : (**وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً**) البقرة (٦٧) . وهي قراءة حكيت عن أبي عمرو . الجامع للقرطبي (١/٤٤٤) .

(٣+٤) انظر البحر (٢/١٨٨) .

(٥) البحر (٢/١٨٩) باختصار .

(٦) المفردات (١٦٧) مادة : درج - بتصرف .

(٧) الدخان (٢) . (٨) الدخان (١٥) .

الأصبهاني : « اللام في (**الطلاق**) للمعهود السابق ، أي الطلاق الذي حكمنا بثبوت الرجعية فيه »[١] . وإنما قال (مرتان) ، ولم يقل : طلقتان ، تنبيهاً على أن الأولى ، أن يُطَلّق مرتين ، لا دفعة واحدة ، ولما كان الأهم بيان عدم المراجعة دائماً ، التي كان عليها أهل الجاهلية ، صرّح بذلك (**أو تسريحٌ/٢٢٩**) أي إرسالٌ. (**ولا يحل لكم/٢٢٩**) إلى آخر الآية ، قال صاحب النظم[٢] : «هو اعتراض ، والتقدير : الطلاق مرتان ، فإن طلقها الثالثة ، فلا تحل له »[٣] .

الأصبهاني : « وقوع ذِكر الخلع بين الطلقتين ، والثالثة[٤] كالأجنبي ، لكن لما كان الرجعة والخلع ، لا يصِحّان[٥] إلا قبل الطلقة الثالثة ، فأما بعدها ، فلا تصح الرجعة ولا الخلع[٦] ، ثم أَتبعه بحكم الخلع ، ثم ذكر الطلقة الثالثة ، لأنها كالخاتمة لأحكام الطلاق »[٧] .

قال أبو حيان : « لما قال : (**أو تسريحٌ بإحسانٍ**) اقتضى ذلك ، أن من الإحسان ألا يأخذ الزوج من امرأته شيئاً مما أعطاها ، واستثنى من ذلك قصة الخلع »[٨] .

الزملكاني : « ضمّن هذا الفصل المذكور لبيان عدد الطلاق المحرّم فصلاً آخر، وهو حكم الخلع ، ثم إنه خاطب الجميع فيما اعترض من حكم الاختلاع ، ثم رجع إلى الزوجين ، فقال : (**إلاَّ أن يَخافَا أَلاَّ يُقيما حُدودَ اللّهِ/٢٢٩**) ، [ثم رجع إلى المخاطبين بالجمع بينهم ، وبين الزوجين في لفظ واحد ، فقال : (**فَإن خِفتُم أَلاّ**

---

(١) صفحة هذا النص مفقودة من كتاب الأصبهاني .

(٢) لعله يقصد نظم القرآن للجرجاني .

انظر البرهان للزركشي (٩٢/٢) ، (١٩٣/٣) .

(٣) لم أعثر على ذلك .

(٤) في أنوار الحقائق (٢٥٩) : « هاتين الآيتين » .

(٥) في أنوار الحقائق « ويصحان » .

(٦) في النسختين : فلا ذكر حكم الرجعة - وما أثبتناه من أنوار الحقائق .

(٧) أنوار الحقائق (٢٥٩) .

(٨) البحر (١٩٦/٢) .

يُقيما حُدودَ اللّهِ][1]، فلا جُناحَ عَليهِما فِيما افتدَت بِهِ/٢٢٩) ، ومن قرأ (يخافا) بضم الياء[2]، فالمخاطبة للحاكم والمفتي بألا يحل لهما أن يحكما للزوج بالأخذ إلا بالجهة التي أذن الله فيها ، فلما فرغ من هذا الفصل ، عاد إلى تكميل بيان الطلاق المحرّم ، فقال: (فإن طلَّقها/٢٣٠) يعني الزوج المطلِّق ثنتين ، الطلقة الثالثة ، فلا تحل له من بعد ، حتى تنكح زوجاً غيره ، فإن طلقها -يعني الزوج الثاني- فلا جناح عليهما ، يعني الزوج الأول والمرأة المطلقة ، فهذه فصول أُدرجت في أثناء الفصل المسوق لبيان عدد الطلاق .

الكشاف : «فإن قلت : لمن الخطاب في قوله : (ولا يَحل لكم أن تأخُذوا/٢٢٩) إن قلنا للأزواج[3]، لم يطابقه قوله: (فإن خفتم ألا يقيما)، (فإن الخطاب فيه للأئمة والحكام أو)[4][5] للأئمة والحكام ، فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن[6] ، ولا بمؤتين »[7] .

قلت : يجوز الأمر أن يكون أول الخطاب للأزواج ، وآخره للحكام ، وذلك كثير في القرآن وغيره ، وأن يكون كله للحكام ، لأنهم الذين يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم ، والخوف هنا بمعنى العلم . ومن قرأ بضم الياء ، فـ(أن) بدل اشتمال من ألف الضمير .

قلت : وإذا جعلنا الخطاب في (ولا يحل لكم) للأزواج ، ففي قراءة (يخافا) التفات عن الخطاب . وقرأ ابن مسعود (أن يخافوا أن لا يقيموا) بالغيبة أيضاً ، ففيه

---

(١) ما بين القوسين ليس موجوداً في (ب) .
(٢) هي قراءة حمزة .
الكشاف (١/٢٩٤) ، حجة القراءات (١٣٣٥) .
(٣) ذهب إلى ذلك القرطبي . الجامع (١٣٦/٣) .
(٤) ما بين القوسين ليس في (ب) .
(٥) في الكشاف : وإن قلت .
(٦) في (ب) : منهم .
(٧) الكشاف (١/٣٦٧) .

التفات وتغليب . وقرىء كذلك بالخطاب[1]، فلا التفات .

الفراء : « قوله (فَلا جُناحَ عَلَيهِما/ ٢٢٩) أي على المجموع ، والمراد الزوج ، كقوله :(يخرجُ مِنهما اللؤلؤ[2]) ، (نَسِيا حُوتَهما) »[3][4] .

وقرأ أُبيّ (أن يَظُنّا)[5] ، وذلك إشارة إلى جميع ما تقدّم من أحكام الطلاق والرجعة والخلع وعدم المضارّة والأخذ .

الإمام : « في ختم هذه الآية بقوله : (فأولئكَ هُم الظّالمون/ ٢٢٩) وجوه :

أحدها : أنه تعالى ذكر في سائر الآيات (ألا لعنةُ اللهِ على الظالمين)[6] ، فذكر الظلم ها هنا تنبيهاً على حصول اللّعن .

ثانيها : أن الظلمَ اسمُ ذمٍ وتحقيرٍ ، فوقوع هذا الاسم يكون جارياً مجرى الوعيد .

ثالثها : أنه أطلق لفظ الظلم تنبيهاً على أنه ظلم من الإنسان لنفسه ، حيث أقدم على المعصية ، وللغير بما أتاه في حقه ، وفيه أعظم التهديدات »[7] .

وقال الطوفي : « الختم بالظلم مناسب لقوله : (ومَن يتعدّ حُدودَ اللهِ/ ٢٢٩) ، كما قال: (ومن يتعدّ حدودَ اللهِ ، فقد ظَلَمَ نَفسَه) »[8] . (حتى تنكِحَ زوجاً

---

(١) رويت هذه القراءة والقراءة السابقة عن ابن مسعود . البحر (٢/ ١٩٧) .

(٢) الرحمن (٢٢) .

(٣) الكهف (٦١) .

(٤) في معاني القرآن (١/ ١٤٧) : « . . . . . في ذلك وجهان :
أن يُراد الزوج دون المرأة ، وإن كانا قد ذُكِرا جميعاً ، كما قال في سورة الرحمن (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح لا من العذب . ومنه (نسيا حوتهما) وإنما الناسي صاحب موسى وحده . . . . » .
إلى أن قال :
« والوجه الآخر ، أن يشتركا جميعاً في ألا يكون عليهما جناح . . . . . » .

(٥) البحر (٢/ ١٩٧) .

(٦) هود (١٨) .

(٧) التفسير الكبير (٣/ ١١١) باختصار .

(٨) الطلاق (١) .



غيره/ ٢٣٠) ابن عبد السلام: «الغاية باقية على أصلها، فإنها بمجرد النكاح، يرتفع تحريمها، الناشيء من الطلاق الثلاث، ويخلفه تحريم كونها زوجة الغير، حتى يطلّق وتنقضي عدتها، و(تَحِلُّ له) مطْلَق لا عموم له، فيقتضي ثبوت فرد[1] من أفراد الحِلّ، ورفع فرد من أفراد التحريم، لا الجميع»[2]. قيل: وكل ما في القرآن من لفظ النكاح، فالمراد به العقد، إلا هنا فالمراد به الوطء.

(فإن طلَّقها/ ٢٣٠) أي الزوج الثاني، وجيء بـ« إن » دون « إذا » تنبيهاً على أن طلاقه، يجب أن يكون على ما يخطر له، دون الشرط، لأن « إذا » للمحقق، وقيل: للمبهم والمحتمل الوقوع وعدمه. (فلا جُناحَ/ ٢٣٠) أي الزوج الأول والمرأة. (إن ظَنّا/ ٢٣٠) الكشاف: « من فسّر الظن هنا بالعلم، فقد وَهِم[3]، لأن الإنسان لا يعلم ما في الغد، إنما يظن ظناً »[4]. (يُبيِّنُها/ ٢٣٠) قرىء بالنون[5] على الالتفات. (وإذا طَلقتم النِساءَ/ ٢٣١) الآية، الأصبهاني: « إن قيل: معنى هذه الآية، هو بعينه معنى قوله: (الطلاقُ مَرتانِ، فإمساكٌ بمعروفٍ، أو تسريحٌ بإحسانٍ/ ٢٢٩)، فذكر هذه الآية بعد تلك تكرار بلا فائدة ؟.

أُجيب: بأن من حمل تلك الآية على أنه كلام مبتدأ يفيد لعدم مشروعية الجمع بين الطلقات، سقط عنه هذا السؤال، لأن ذلك في بيان كيفية الجمع والتفريق، وهذه في كيفية الرجعة، ومن حمل تلك على بيان كيفية الرجعة، فهو وارِد عليه، وله أن يقول إن من ذكر حكماً يتناول صوراً كثيرة، وكان إثبات ذلك الحكم في بعض تلك الصور أهم، لم يبعد أن يعيد بعد الحكم إتمام تلك الصورة الخاصة مرة أخرى، ليدل على أن في تلك الصورة من الاهتمام، ما ليس في غيرها، وهنا

---

(١) في (ب): فردا.

(٢) فوائد في مشكل القرآن (٩٨ - ٩٩) بمعناه.

(٣) في الكشاف: « ..... من طريق اللفظ والمعنى، لأنك لا تقول: علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم .... ».

(٤) الكشاف (١/ ٣٦٨).

(٥) وهي قراءة تروى عن عاصم - كما في البحر (٢/ ٢٠٤).



كذلك ، لأن قوله : ﴿الطلاق مرتانِ ، فإِمساكٌ بمعروفٍ ، أو تسريحٌ بإِحسانٍ﴾ فيه بيان أنه لابد في مدة العدة من أحد هذين الأمرين ، وأما هذه الآية ، ففيها بيان أن عند مساوفة العِدة على الزوال ، لابد من رعاية أحد هذين الأمرين ، ومن المعلوم أن رعاية ذلك عندٍ مساوفة زوال العدة ، أولى بالوجوب من سائر الأوقات التي قبلها » .

قلت : خصوصاً أن الآية نزلت فيمن قال لامرأته : والله لا أطلقك فتبِيني مني ، ولا آويك أبداً. قالت: وكيف ذلك؟. قال: أطلقك ، فكلما همَّت عِدتك أن تنقضي راجعتك » أخرجه الترمذي[1] والحاكم[2] .

فلما كانت هذه الواقعة هي السبب في نزول هذه الآيات ، بُدىء أولاً ببيان عدد الطلاق ، وانحصاره في الثلاث ، وتحريم المرأة بعد الثالثة حتى تنكح زوجاً غيره . وأُشير في أول الآية إلى المأمور به من الإِمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان ، في ضِمن إباحة الرجعة بعد الطلقتين ، ثم أُفردت في ذلك آية لزجر الواقع منه ذلك ، على طريق البسط ، بذكر صورة الواقعة ، وهو كونها عند بلوغ الأجل ، وبتأكيد ذلك بقوله : ﴿ولا تُمسِكُوهنَّ ضِراراً لِتعتَدُوا/ ٢٣١﴾ ، وبالوعيد عليه بالجمل التي بعد ذلك .

والحاصل أن ذكر الإِمساك بمعروف ، والتسريح بإحسان في هذه الآية ، على طريق الأصالة والقصد بالذات ، وهنا على طريق الرمز والإِشارة والاستتباع وانتهاز

(١) محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي الترمذي ، أبو عيسى من أهل ترمذ ، تتلمذ للبخاري ، وشاركه في بعض شيوخه .
ارتحل إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره . وهو يعتبر من أئمة علماء الحديث وحفاظه ، كان يضرب به المثل في الحفظ .
من تصانيفه : « الجامع الصحيح » ، و « الشمائل النبوية » ، توفي سنة ٢٧٩هـ .
تهذيب التهذيب (٣٨٧/٩) ، تذكرة الحفاظ (١٨٧/٢) .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الطلاق عن عائشة ، ثم ذكر أن هناك حديثاً آخر نحو هذا الحديث بمعناه عن هشام بن عروة عن أبيه ، ولم يذكر فيه عن عائشة ، وذكر أن هذا الحديث الأخير أصح من الحديث السابق .
سنن الترمذي (٤٩٧/٣) كتاب الطلاق - باب (١٦) ، وانظر المستدرك للحاكم (٢٨٠/٢) حيث صحح المذكور عن عائشة ، ووافقه الذهبي على تصحيحه .



الفرصة في إيصاله إلى ذِهن السامع[1] أولاً في ضِمن بيان الأحكام ، ليروّع قلبه إلى أن يأتيه في شأنـه كلام طويل ينـاسبـه ، ولهذا كان في الآية الأخيرة من الإطناب والتـأكيد والـوعيد والـزجر والوعظ والنصح والتهديد ما ليس في الأول شيء منه. وأضاف الأجل إليهن ، لأنه أمسّ بهن ، ولهذا قيل : الطلاق للرجال ، والعدة للنساء .

الكرماني : « قرىء هنا (**ولا تُمسكُوهن**) بالتخفيف فقط ، وفي غير هذه الآية بالـوجهـين[2] لمنـاسبـة قولـه قبله: (**فـإمساكٌ**/ ٢٢٩) »[3]، (**فأمسِكوهن**/ ٢٣١) ، الأصبهـاني : « إن قيل : لا فرق بين قوله : (**فأمسكوهن بمعروفٍ**/ ٢٣١) ، (**ولا تمسكوهن ضراراً**/ ٢٣١) ، لأن الأمر بالشيء ، نهيٌ عن ضده ، أو مستلزمٌ له ، فما الفائدة في ذكره؟ .

أُجيب : بأن الأمر لا يفيد[4] التكرار، فلا يتناول كل الأوقات ، والنهي يتناول كل الأوقـات ، فلعله يمسكهـا بمعـروفٍ في الحـال ، وفي قلبـه أن يضـارهـا في المستقبل ، فقال: (**ولا تمسكوهن ضراراً**) لدفع ذلك ، و(**ضِراراً**) مفعول له »[5] .

(**ومَـا أَنـزلَ**/ ٢٣١) من عطف الخـاص على العـام ، وقيل : مبتـدأ خبره (**يَعِـظُكُم**/ ٢٣١)[6]. (**بِكُـل شيءٍ عليمٌ**/ ٢٣١) الطوفي : «هو مناسب لما تضمنته الآية ، لأن الإمساك ضِراراً وعدواناً ، واتخاذ الآيات هزواً ، مرجعها إلى نية الإنسان وقصده » .

---

(١) في (ب) : السماع .
(٢) وذلك في قوله تعالى :
(.... ولا تمسكوا بعصم الكوافر ....) الممتحنة (١٠) .
حيث قرأ أبو عمرو بالتشديد في السين ، وقرأ الباقون بالتخفيف فيها . حجة القراءات (٧٠٧) .
(٣) أسرار التكرار (٤٣) .
(٤) في أنوار الحقائق : لا يفسد .
(٥) أنوار الحقائق (٢٦١) .
(٦) وقد حكى أبو حيان هذا القول الثاني ، واستظهر الأول .
البحر (٢/ ٢٠٩) ، وانظر الدر المصون (٢/ ٤٥٩) .



(**وإذا طَلَّقتمُ النِّساءَ/٢٣٢**) الآية، أولها خطاب للأزواج بالإجماع ، وقوله: (**فلا تعْضُلوهن/٢٣٢**) خطاب للأولياء عند الأكثرين ، ويؤيده سبب النزول[١]. فـ(**أزواجهن/٢٣٢**) مجاز باعتبار الكَوْن[٢]، وللأزواج ، عند آخرين ، فـ(أزواجهن) مجاز باعتبار الأَوْل[٣]. و(**فَبَلَغْنَ أجلَهن/٢٣٢**) هنا على حقيقته ، وفي الآية قبلها أُريد به مشارفة البُلوغ ومقاربته. قال الشافعي: «دلّ سياق الكلامين على افتراق البلوغين »[٤]. الراغب: «العَضْل: الشدُّ بالعضل المتناول من الحيوان ، وتُجُوز به في كل منع شديد»[٥]. أبوحيان: «جَعْل الخطاب في أول الآية للأزواج ، وفي آخرها

---

(١) القول بأن الخطاب هنا للأولياء هو ما صححه القرطبي (الجامع ١٥٨/٣ - ١٥٩) ، وقال عنه ابن كثير إنه هو الظاهر (تفسير القرآن العظيم ٢٨٢/١) .
والمقصود بسبب النزول المذكور هنا هو ما رواه البخاري عن الحسن ، أن أخت معقل بن يسار طلّقها زوجها ، فتركها حتى انقضت عدّتها ، فخطبها ، فأبى معقل ، فنزلت (**فلا تعضلوهن**. . .) .
صحيح البخاري (١٦٠/٥) كتاب : تفسير القرآن : باب (٤٠) .
وقد استبعد أبو حيان القول بأن الخطاب هنا للأولياء ، لأن نسبة الطلاق إليهم هو مجاز بعيد وهو أن يكون الأولياء قد تسببوا في الطلاق ، حتى وقع فنسب إليهم الطلاق بهذا الاعتبار ، ويبعد جداً أن يكون الخطاب في (**وإذا طلقتم**) للأزواج ، وفي (**فلا تعضلوهن**) للأولياء ، لتنافي التخاطب ، ولتنافر الشرط والجزاء .
ثم قال أبو حيان : « فالأولى - والذي يناسبه سياق الكلام - أن الخطاب في الشرط والجزاء للأزواج ، لأن الخطاب من أول الآيات هو مع الأزواج ، ولم يجر للأولياء ذِكر ، ولأن الآية قبل هذه ، خطاب مع الأزواج في كيفية معاملة النساء قبل انقضاء العدة ، وهذه الآية خطاب لهم في كيفية معاملتهم معهن بعد انقضاء العدة . . . » .
البحر (٢٠٩/٢ - ٢١٠) .
ويبدو لي أن القول الأول هو الراجح ، لأن سبب النزول هو الذي يؤيد ذلك ، والله أعلم .
(٢) أي لأن الأزواج سموا أزواجاً -بالرغم من أنهم مطلقون- باعتبار ما كانوا عليه .
(٣) أي باعتبار ما يؤولون إليه .
(٤) الذي في أحكام القرآن للشافعي (١٧٢/١ - ١٧٣) :
« فان قال قائلٌ : قد يحتمل : إذا قاربن بلوغ أجلهن ، لأن الله تعالى يقول للأزواج : (**وإذا طلقتم النساء ، فبلغن أجلهن ، فأمسكوهن بمعروفٍ**) الآية ، يعني : « إذا قاربن بلوغ أجلهن » ، فالآية تدل على أنه لم يُرد بها هذا المعنى ، وأنها لا تحتمله ، لأنها إذا قاربت بلوغ أجلها ، أو لم تبلغه -فقد حظر الله- عز وجل -عليها أن تنكِح ، لقول الله -عز وجل- (**ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجلَه**) . . . » البقرة (٢٣٥) .
(٥) المفردات (٣٣٨) مادة : عضل : باختصار قليل .



للأولياء ، فيه تنافر في الخطاب ، وبين الشرط والجزاء ، ويزول بما ذكره ابن عطية[1] ، والزمخشري[2] أن الخطاب للمؤمنين على العموم ، الذين منهم الأزواج ، ومنهم الأولياء ، وأُريد بالأول ذلك البعض ، وبالثاني بعض آخر. (**ذلكَ يُوعظُ بِهِ/٢٣٢**)، في الطلاق: (**ذلكم/٢**) قال الكرماني: «لما كان الكاف حرف خطاب ، لا محل له من الإعراب ، جاز إفراده وجمعه ، ومثله (**ثم عفونا عنكم من بعدِ ذلك**)[3] . وقيل: حيث جاء مُوَحَّداً، فالخطاب للنبي -ﷺ- وخصّ التوحيد هنا ، لقوله: (**مَن كانَ منكم/٢٣٢**)، وجمع في سورة الطلاق ، لما لم يكن بعده «منكم»[4] ، والقصد بهذه الجملة التأكيد والتهديد ، قيل : وفي الآيتين أنواع من البديع : الطِّباق بين (**فأمسكوهن**) و(**سَرِحوهن**)، والمقابلة (**فأمسكوهن بمعروفٍ**)، (**ولا تمسكوهن ضراراً**)، وتلوين الخطاب ، حيث خاطب أولاً الأزواج ، وثانياً الأولياء ، وثالثاً النبي -ﷺ- ورابعاً : عامة المؤمنين، والتكرار في (**فبلغن أجلهن**) مع اختلاف البلوغين ، ومخاطبة الواحد بخطاب الجمع، لأنها نزلت في واحد . (**والوالِدات يُرْضِعْن/٢٣٣**) خبر بمعنى الأمر. الأصبهاني: «سواء كنَّ مطلَّقات أم مزوَّجات ، فإن اللفظ عام ، ولم يظهر ما يخصصه. وقيل : هو خاص بالمطلَّقات ، لأن الله تعالى ذكر هذه الآية عقب الطلاق ، وهذه الآية تتمة تلك الآيات ظاهراً ، ووجه ربط هذه الآية بما قبلها ، أنه إذا حصلت الفرقة ، حصل التباغض والتعادي ، وذلك يحمل المرأة على إيذاء الولد ليُؤذَىٰ به الزوج المطلِق ، ولأنها ترغب في التزويج بآخر ، فتهمل أمر الطفل ، فلهذا ندب الله الوالدات المطلقات إلى رعاية جانب الأطفال ، والاهتمام بشأنهم »[5].

(١+٢) المحرر الوجيز (٢/ ٢٨٩) ، والكشاف (١/ ٣٦٩) .

(٣) البقرة (٥٢) .

(٤) أسرار التكرار (٤٣) .

(٥) أنوار الحقائق (٢٦٣) .



قال الأصبهاني : « ولقائل أن يقول إن الآية مشتملة على حكم مستقبل ، فلم يجب تعليقها بما قبلها »[1].

(**حَوْلَيْن/٢٣٣**) الراغب : «الحَوْل : السنة ، اعتباراً بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها »[2]. (**كامِلَين/٢٣٣**) تأكيد لتدفع التَّوَهُم ، لأنه يجوز أن يقال: أقمتُ حَوْلَين ، وهو لم يستكمِل الباقي. (**لمن/٢٣٣**) اللام للبيان . (**أن يُتِمَّ/٢٣٣**) قرىء برفع (**يتم**)[3]، إما إهمالاً لـ(أن) ، وإما على أنه منصوب بحذف النون ، والفعل للجماعة ، باعتبار معنى « من » ، وقرىء (**تتم**) بالفوقية أوله ، ورفع الرضاعة[4] وقرىء بكسر الراء لغة[5]، وقرىء الرَّضْعَة[6]، وقرىء (**أن يكمل**) بضم الياء[7] . (**وعلى المولودِ له/٢٣٣**) لم يقل الوالد ، لأنه أخصر ، ليعلم أن الوالدات إنما ولدت لهم ، لأن الأولاد للآباء ، ولذلك يُنسبون إليهم ، لا إلى الأمهات ، فلذلك وجب عليهم رزق الأمهات على إرضاعهم ، ولذلك ذُكر باسم الوالد ، حيث لم يكن من هذا المعنى ، في قوله: (**لا يجزي والِدٌ**)[8].

ابن عبد السلام : «نبّه تعالى على العِلَّة التي من أجلها اختصت نفقة الولد بأبيه دون أمه ، فإن اللام تُشْعِر بالنفع ، والولد ينفع أباه أكثر مما ينفع أمه ، لأنه يُجَمِّلْه في المحافل ، ويدفع عنه في الحروب ، إلى غير ذلك من وجوه المنافع التي لا تحصل للأم »[9]. أبو حيان : «لما كَلَّفه المُؤن ، سلاّه بلام التمليك ، وأن الولد إنما وَلَدٌ له ،

---

(١) أنوار الحقائق (٢٦٣) .
(٢) المفردات (١٣٧) مادة : حول .
(٣) نسبها النحويون إلى مجاهد - كما في البحر (٢/٢١٣) .
(٤) عن مجاهد ، والحسن ، وحميد ، وابن محيصن ، وأبي رجاء . البحر (٢/٢١٣) .
(٥) عن الجارود ، وأبي رجاء أيضاً . ابن خالويه (١٤) .
(٦) رويت عن مجاهد . البحر (٢/٢١٣) .
وانظر ابن خالويه (٢/٢١٣) فقد ذكر أن مجاهداً قرأ (رضعة) .
(٧) رويت عن ابن عباس . البحر (٢/٢١٣) .
(٨) لقمان (٣٣) .
(٩) فوائد في مشكل القرآن (٩٩ - ١٠٠) .



لا لأمه »[1]. (**رِزقُهن/٢٣٣**) بكسر الراء ، اسم للمرزوق ، كالطحن ، والرعي . وقيل : مصدر كالمفتوح[2]. (**وكِسوتُهن**) قرىء بضم الكاف[3] لغة (**بالمعروف**) قال في الكشاف : « تفسيره ما يعقبه ، وهو (**لا تُكَلَّف نفسٌ إلا وُسْعَها/٢٣٣**) »[4] الأصبهاني : « الـوُسْع : ما يَسَعُ الإنسان فيطيقه ، ولو ضاق عنه ، لعجز عنه ، فالسَّعَة بمنزلة القدرة ، ولهذا قيل: الوُسْعُ ، فوق الطاقة »[5]. الراغب: « الوسع من القدرة ما يَفْضُل عن قدر المكلف. قال تعالى : (**لا يُكَلِّف الله نفساً إلا وُسْعَها**)[6] تنبيهاً على أنه يكلّف دوين عبده ما تنوء به قدرته »[7]. وقرىء (**تكلف**) بفتح التاء ، على حذف إحـدى التـاءين ، أي تتكلف ، وبـالنـون على الالتفـات ، ونصب (نفسـاً)[8] . أبـوحيان : « تفسـير هذه الجملة (**لِيُنْفِق ذو سَعَـةٍ**)[9] الآية » (**لا تضار/٢٣٣**) القراءة بالرفع خبراً ، وبالفتح نهياً[10] ، وبالسكون[11] وتشديد الراء إجراءً للوصل مجرى الوقف ، وقرىء بالسكون والتخفيف على حذف الراء الثانية ، وإجراء الوصل مجرى الوقف[12] .

---

(١) البحـر (٢/ ٢١٤) .

(٢) قال أبو حيان باحتمال الوجهين . المرجع السابق .

(٣) السلمي عن علي . ابن خالويه (١٤) .

(٤) الكشـاف (١/ ٣٧٠) .

(٥) أنـوار الحقـائق (٢٤٦) .

(٦) البقـرة (٢٨٦) .

(٧) المفردات (٥٢٣) مادة : وسع .

(٨) رويت هذه القراءة والقراءة السابقة عن أبي رجاء . البحر (٢/ ٢١٤) .

(٩) الطلاق (٧) ، وانظر البحر (٢/ ٢١٤) .

(١٠) القراءة الأولى قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابان عن عاصم .
والقراءة الثانية قرأ بها باقي السبعة .
حجة القراءات (١٣٦) ، والبحر (٢/ ٢١٥) .

(١١) قرأها أبو جعفر الصفار . البحـر (٢/ ٢١٥) .

(١٢) رويت هذه القراءة أيضاً عن أبي جعفر الصفار ، وهي قراءة الأعرج .
المحتسب (١/ ١٢٣) ، ابن خالويه (١٤) ، والبحر (٢/ ٢١٥) .



وقرىء بكسر الراء مشددةً لالتقاء الساكِنَين[١] . و(تضارر) بالفك مكسور[٢] الراء الأولى . ومفتوحها[٣] فهذه سبع قراءات . **(والِدةٌ بولدها ، ولا مولودٌ له بولَدِه/٢٣٣)** أضيف الولد في كل شِقٍّ إلى المنهي استعطافاً ، والباء للسببية . أبوحيان: « في هذهِ الجمل[٤] الأربع من بلاغة المعنى ، وفصاحة اللفظ ما لا يخفى على من تعاطى علم المعاني[٥]، فالأولى أُبرزت اسمية ، وجُعل خبرها فِعلاً ، لأن الإرضاع مما يتجدّد دائماً ، ثم أُضيف الأولاد إلى الوالِدات تنبيهاً على شفقتِهن ، وهزاً لهن وحثاً على الإرضاع ، وجاء بلفظ العموم ، ليعم المطلقات وغيرهن . والثانية أُبرزت كذلك ، وجعل الخبر جاراً ومجروراً بلفظ **(على/٢٣٣)** الدال على الاستعلاء المجازي والوجوب ، فأكد بذلك مضمون الجملة ، لأن من عادة المرء منع ما في يده من المال ، وإهمال ما يجب عليه من الحقوق . وقدّم الخبر للاعتناء به ، وقدّم الرزق على الكِسوة ، لأنه الأهم في بقاء الحياة ، والمتكرر في كل يوم ، والثالثة أُبرزت فِعليّة ، لتجدد مضمونها ، وجيء بمرفوع الفعل نكرة في سياق النفي ، ليعم ما سِيق لأجله وغيره ، والرابعة كذلك ، وهي كالشرح للجملة قبلها ، لأن النفس إذا لم تكلَّف إلا وسعها لا يقع ضرر ، لا للوالِدة ، ولا للمولود له ، فلذلك جاءت غير معطوفة ، بخلاف الثانية مع الأولى ، حيث عُطِفت عليها لتغايرهما ، وقدّم عدم مضارّة الوالِدة على المولد له ، مراعاة للجملتين الأُولَيَيْن ، إذ بُدىء فيهما بحكم الوالِدات ، وثنى بحكم المولود له . **(وعلى الوارثِ/٢٣٣)** عطف على قوله: **(وعلى المولودِ لَه/٢٣٣)**، وما بينهما تفسير للمعروف ، معترض بين المعطوف والمعطوف عليه »[٦] .

---

(١) البحر (٢/٢١٥) . (٢) في (ب) : مسكور .

(٣) بالفتح هي قراءة عمر وابن مسعود .
وبالكسر هي قراءة الأعرج وابن عباس .
البحر (٢/٢١٥) ، وابن خالويه (١٤) .

(٤) في (أ) : الجملة .

(٥) في البحر (٢/٢١٦) : البيان .

(٦) البحر (٢/٢١٦) مع الاختصار .



وقرىء (وعلى الورثة)[1] . (تَسترضِعوا أولادَكم/٢٣٣) قال الواحدي : «أي لِأولادكم راضِع غير الوالِدات ، فحُذفت اللام اكتفاء بدلالة الاسترضاع» . (ما آتيتم/٢٣٣) أي أعطيتم ، أي أردتم إيتاءه ، وقرأ ابن كثير[2] بالقصر[3] ، بمعنى : جئتم ، وفعلتم ، يقال : أتى جميلًا ، أي فَعَلَه . وقرىء (ما أوتيتم) مبنياً للمفعول[4] ، أي آتاكم الله . (واعلَموا أن اللّه بما تعمَلون بصيرٌ/٢٣٣) قال الطوفي : «هو مناسب لما هو في[5] سياقه ، من آية الرضاع ، لتضمنها تشاور الزوجين ، وإضرار أحدهما بالآخر ، أو بالمولود ، و(بصيرٌ/٢٣٣) بمعنى عليم . (والذين يُتوفَّونَ/٢٣٤) أصل التوفية الإتمام ، ثم عبرّ بها عن الموت ، لأنه يوافي عند تمام الأجل .

وقرىء بفتح الياء[6] . قال ابن جني : «أي يَتوفون أيامهم وأعمارهم وآجالهم»[7] . (يَتَربَّصْنَ/٢٣٤) أي بعدهم ، فحذف العائد ، نحو[8] : السمن منوان بدرهم . وجاءت الآية هكذا ، لا كقوله (والمطلقاتُ يَتَربَّصنَ)[9] لأنها توطِئة لقوله : (فلا جُناحَ عَليكم/٢٣٤) ، إذ القصد بالمخاطبة من أول الآية إلى آخرها للرجال ، قاله ابن عطية[10] . (وعشراً/٢٣٤) حذف الهاء ، والمراد الأيام ، تغليباً لليالي ، لأنها سابقة على أيامها .

---

(١) قرأها يحيى بن يعمر . البحر (٢/٢١٦) .

(٢) هو عبد الله بن كثير الداري ، كان إمام الناس في القراءة بمكة ، تَحُفُّه السكينةُ ، ويحوطه الوقار ، توفي سنة ١٢٠هـ .
غاية النهاية (ترجمة رقم ١٨٥٢) ، ومناهل العرفان (١/٤٥٠) .

(٣) حجة القراءات (١٣٧) .

(٤) رويت عن عاصم . البحر (٢/٢١٩) .

(٥) كلمة «في» ليست في (أ) .

(٦) قرأها علي والمفضل عن عاصم .
ابن خالويه (١٥) ، والبحر (٢/٢٢٢) .

(٧) المحتسب (١/١٢٥) . (٨) في (ب) : نحن .

(٩) البقرة (٢٢٨) . (١٠) المحرر (٢/٣٠٠ - ٣٠١) .

قال أبوحيان : «وحسّنه أنه مقطع كلام ، فأشبه الفواصل ، كما حسَّن قوله : (إن لَبثُتم إلاّ عَشراً)[1] كونـه فاصِلة»[2]. (فـلا جُناحَ عَليكُم/٢٣٤) خطاب للأولياء. (فيما فَعلنَ في أنفسِهن بِالمعروفِ/٢٣٤)، وفي الآية الآتية: (من معروف/٢٤٠). قال في « درة التنزيل »: لأن المراد بالأول المعروف من الشرع ، وهو الذي أمر الله به ، وبالثاني وجه من الوجوه التي لهن أن يفعلنه ، فأُخرج مخرج النكرة لذلك »[3].

وقال الكرماني : « النكرة إذا تكررت صارت معرفة ، وهذه الآية وإن تقدمت في الرسم على تلك ، فهي متأخرة عنها في النزول ، فجيء (بالمعروف) معرّفاً ، وهو المذكور هنا منكراً ، إشارة إليه »[4]. (واللّهُ بما تَعملون خبيرٌ/٢٣٤) الطوفي: «هو مناسب لما تضمنته الآية ، لأن العدة قد تستخفي بها المرأة وتغالِط فيها ». (ولا جُنـاحَ عَليكُم/٢٣٥) يا معشر الـرجـال ، عطف على (فَلا جُناحَ/٢٣٤) ، ووجه الاتصال أنه لما أخبر تعالى بأن المرأة إذا انقضت عدتها ، فلا جناح فيما أرادت من التعرّض للأزواج ، أردفه بأنه لا جناح على الرجال في التعرّض للنساء بالخطبة ، وهذا من محاسن الاتصال جداً ، ولهذا قال في الآية التي بعد هذا (لا جُناحَ/٢٣٦) بغير عطف ، لأنه لا اتصال بين ما فيها ، وبين ما في هذه حتى يعطف عليها. (عَلِمَ اللّهُ أنكم سَتـذكرونهَن/٢٣٥) هو عذر في التعريض ، وفيه طرف من التوبيخ ، كقوله: (عَلِمَ اللّهُ أنكم كُنتم تَختَانُونَ)[5] ، (ولكن لا تُواعِدوهُن/٢٣٥) المستدرَك محذوف لِدلالة (ستذكرونهن/٢٣٥) عليه ، أي فاذكروهن ، وفي حذفه إشارة إلى أن الأولى خلافه. (سِراً/٢٣٥) أي عقد نكاح ، وهو مجاز عن مجاز ، فإن الوطء تُجُوِّز عنه بالسِّر ، لكونه لا يقع غالباً إلا في السِّر ، ثم تُجُوِّز به عن العقد ، لأنه مسبّب عنه ، فهو من مجاز المجاز . (ولا تَعزِمُوا عُقدَةَ النِّكاحِ/٢٣٥) الراغب: «العزم :

---

(١) طــه (١٠٣) .

(٢) البحـر (٢/٢٢٤) .

(٣) درة التنزيل للخطيب الإسكافي (٥٢) .

(٤) أسـرار التكـرار (٤٤) .

(٥) البقـرة (١٨٧) .



عقد القلب على إمضاء الأمر»[1]، والنهي عن العزم على الفعل، أبلغ من النهي عن الفعل لا محالة. ونصب (عُقْدَة) إما على إسقاط الجار، أو على تضمين (تعزموا) معنى تَنْـوُوا[2]. (واعلمـوا أن اللّهَ يَعلمُ ما في أنفسِكم فاحـذَروهُ/٢٣٥) تهديد مناسب لقوله: (ولا تَعزموا). (واعلموا أن اللّهَ غفورٌ حليمٌ/٢٣٥) مناسب لقوله في أول الآية: (ولا جُنـاحَ عليكم فيما عَرَّضْتم بهِ). وقيل: لما حذَّر بالجملة قبلها، عقَّب بهذه الآية[3]، لتنزيل بعض روع التحذير والتهديد، على عادته تعالى من الجمع بين الترهيب والترغيب والتخويف والرجاء[4].

قلت: ويحتمل عَود (غفورٌ) إلى ما نُفِي عنه الجناح، و(حليمٌ) إلى ما نُهِي عنه، لأنـه يُشْعِـر بتـأخـير العقوبة عمن استحقها. (تَمسُّوهُن/٢٣٦) القراءة بألف على المفاعلة، لأن بدن كل منهما يلاقي الآخر وبدونها[5]، لأن الغشيان إنما هو من فعل الرجال. (الموْسِع/٢٣٦) قرىء بفتح الواو والسين المشددة[6]. (قَدَرُهُ/٢٣٦) بفتح الدال وسكونها[7]، لغتان[8]، والأولى أفخم. وقيل: الساكن مصدر، والمتحرك اسم[9]. وقرىء بنصب الراء بإضمار فعل، أي أوجبوا، أو ليؤدّ. وقرىء بصيغة الماضـي[10]. (وعلى المُقْتِر/٢٣٦) فيه طباق. (فنِصْفُ/٢٣٧) قرىء بضم النون،

---

(١) المفردات (٣٣٤) مادة: عــزم.

(٢) انظر البيان لابن الأنباري (١/١٦١ - ١٦٢). والبحر (٢/٢٢٩ - ٢٣٠)، والدر المصون (٢/٢٨٥).

(٣) كلمة «الآية» ليست في (أ).

(٤) ذهب إلى ذلك أبو حيان. البحـر (٢/ ٢٣٠).

(٥) القراءة الأولى مع ضم التاء هي قراءة حمزة والكسائي، والقراءة الثانية هي قراءة البقية. حجة القراءات (١٣٧)، والمحرر (٢/٣١٧).

(٦) قرأها أبو حيوة. البحر (٢/٢٣٣).

(٧) قراءة الفتح هي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص.
وقراءة السكون هي قراءة البقية.
حجـة القراءات (١٣٧).

(٨) أي أنهما لغتان بمعنى واحد. وقد ذهب إلى ذلك أكثر أئمة العربية.
البحـــر (٢ / ٢٣٣).

(٩) حكاه أبو حيان. البحـر (٢/٢٣٣).

(١٠) قرأها ابن أبي عبلة، والقراءة السابقة ذكرها أبو حيان دون نسبة.
البحـر (٢/٢٣٤).



لغـــة ، وبنصب آخـره[1] ، على تقـدير : فادفعـوا . (**إلّا أن يَعفُـونَ/٢٣٧**) أي النســاء . قرأ الحسن بسكـون الـواو[2]، لغة . (**الذي بِيدِهِ عُقدةُ النكاحِ /٢٣٧**) قيل : الزوج[3]. وقيل : الولي[4] ، وهو المختار عندي لأنه لو أريد الزوج ، لعبّر به ، إذ هو أخصر ، إذ كان يقـال : أو تعفـو -بالتاء- ولا مقتضى للعدول عن ذلك ، ولأنه أتى بلفظ الغيبة ، والأزواج في مقام الخطاب ، ولهذا عقَّبه بخطاب الأزواج ، فقال: (**وأن تَعفُوا أقربُ للتقوى/٢٣٧**) فجمعت الآية الثلاثة . وعلى القول أن المراد به الزوج ، ففيه التفات عن الخطاب ، ثم التفت إليه عن الغيبة في (وأن تعفوا) ، والبلاغة تقتضي أن يُراد به الولي للأمرين المشار إليهما أولاً . قال ابن

---

(١) قرأت بذلك فرقة كما حكى أبو حيان ، وأما القراءة السابقة ، فقد قرأ بها السلمي وعلي والأصمعي عن أبي عمرو .
البحـر (٢/٢٣٤ - ٢٣٥) .

(٢) في البحـــر (٢/٢٣٥) :
« قرأ الحسن : (**إلا أن يعفونه**) ، وقد أورد البحر قراءة الحسن بتسكين الواو في (**أو يعفو**) .
البحر (٢/٢٣٦) ، وانظر المحتسب (١/١٢٥) ، وابن خالويه (١٥) ، والدر المصون (٢/٤٩٢ ، ٤٩٤) .

(٣) روي عن علي وابن عباس وابن جبير ومجاهد ، وهو مذهب أبي حنيفة ، والشافعي على الجديد .
انظر المحرر (٢/٢٣٠) ، ومدارك التنزيل للنسفي (١/١٥٧) .
وهو ما استصوبه الطبري (٥/١٥٨) ، واختاره الفراء (معاني القرآن ١/١٥٥) .
وقال ابن كثير : ومأخذ هذا القول أن (**الذي بيده عقدة النكاح**) حقيقة الزوج ، فإن بيده عقدَها وإبرامَها ، ونقضَها وانهدامهَا ، وكما أنه لا يجوز للولي أن يهب شيئاً من مال المولية للغير ، فكذلك في الصداق » .
تفسير القرآن العظيم (١/٢٨٩) .
وانظر كلام الجصاص في ترجيحه لهذا القول في أحكام القرآن له (١/٥٢١ - ٥٢٤) .
وانظر أيضا « نيل المرام » للسيد محمد صديق حسن القنوجي (١٢٦ - ١٢٧) .

(٤) قالـه ابن عبـاس أيضـاً ، والحسن ، وعكرمة ، وطاووس وغيرهم - كما في أحكام القرآن لابن العربي (١/٢١٩) ، وهو مذهب مالك والشافعي في القديم -المحرر الوجيز (٢/٢٣٠) ، ومدارك التنزيل (١/١٥٧) .
ومأخذ هذا القول - كما قال ابن كثير : « لأن الولي هو الذي أكسبها إياه ، فله التصرف فيه ، بخلاف سائر ما لها » .
تفسير القرآن العظيم (١/٢٨٩) .
وقد اختار القرطبي هذا القول - راجع سبب اختياره له في تفسيره (٣/٢٠٧ - ٢٠٨) .



عبدالسلام في «أماليه»[1] : « تلوين الخطاب وتنويعه بالخروج عن الخطاب إلى الغيبة ، وبالعكس ، أقل في كلامهم من المشي على أسلوب واحد ، فجعل الآية من قَبيل الأكثر أولى »[2] . انتهى .

فإن قيل : كان التعبير بالولي أخصر ، فلِمَ عدل إلى **(الذي بيده عقدة النكاح)** ؟ .

قلت : للإشارة إلى اختصاصه بالولي المجبر ، ويؤيد ذلك تقديم المجرور ، وهو **(بيده)** ، فإنه يفيد الاختصاص ، أي الذي عقدة النكاح في يده خاصة ، بحيث لا يشاركه فيها أحد ، وذلك هو الولي المجبر الذي ليس للزوجة معه أمر في إذن ولا منع .

وقرىء **(وأن يعفوا)** بالغيبة[3] . **(ولا تَنْسَوْا/٢٣٧)** مجاز ، أي تتركوا ، إذ النسيان ليس في الوسع حتى ينهه عنه . والخطاب ، قيل : للرجال والنساء معاً ، فغلّب الذكور ، وأخرج من ذلك قراءة عليّ : **(ولا تناسوا/٢١)** .

وقال ابن جني : « الفرق بين القراءتين ، أن تنسوا : نهي عن النسيان على الإطلاق ، وتناسوا : نهي عن فِعلهم الذي هم اختاروه ، كقولك : تَغافَل وتعامَى ، إذا سعى في ذلك ، وأسرع فيه ، وأظهره من فِعله وتعاطاه وتظاهر به ، وزاد في حسنه ، أن المأمور هنا جماعة ، وتفاعل لائق به ، كتقاطعوا ، وتواصلوا ، وتقاربوا ، وتباعدوا »[5] . **(إن الله بما تعلمون بصيرٌ/٢٣٧)** ختم الآية بما يفيد الوعد على الإحسان ، والوعيد على الإساءة . أبوحيان : « لما كان دفع النصف من

---

(١) يقصد كتابه « فوائد في مشكل القرآن » انظر مقدمته .

(٢) المرجع السابق (١٠١) .

(٣) قرأ بذلك الشعبي وأبو نهيك . البحر (٢/٢٣٨) ، وابن خالويه (١٥) .

(٤) وهي أيضاً قراءة مجاهد ، وأبي حيوة ، وابن أبي عبلة ، وغيرهم . البحر (٢/٢٣٨) ، وابن خالويه (١٥) ، والمحتسب (١٢٧) .

(٥) المحتسب (١/١٢٧ - ١٢٨) باختصار .



المرئيات ، ناسب الختم بصفة البصير ، ولما كان مضمون الآية السابقة ، مما يدرك بلُطْف وخفاء ، ناسبه الختم بصفة الخبير»[1] . (**حافِظوا على الصلواتِ/٢٣٨**) تقدَّمت الإشارة إلى مناسبة وَضْع هذه الآية هنا[2] ، ومما قيل فيها ، أنه يحتمل حدوث خوف قبل نزول تمام أحكام المطلَّقات ، فبيّن حكم الصلاة فيه ، لمسيس الحاجة إليه . ثم بيّن بقية أحكام المطلقات . وقال الطيبي : «لما بيّن تعالى أحكام الأزواج والأولاد ، وأوصاهم بالتقوى ، ونهى عن نسيان الحقوق والفضل فيما بينهم ، بقوله: (**ولا تنسوا الفضل بينكم/٢٣٧**) ، أردفه بالأمر بالمحافظة على حقوق الله ، لا سيما أفضلها نفعاً ، وأعلاها قدراً ، وهي الصلوات ، وفيه إشعار بأن مراعاة حق العباد مقدَّمة على حق الله ، ويدل على أن الآية مستطردة العود إلى ما ذكر ما يتعلق بالأزواج » . وقال الراغب : «آيات القرآن منَزَّلَة على حسب الحاجات ، ثم إنه تعالى لا يذكر شيئاً مما يتعلق بالأحكام الدنيوية ، إلا ويقرِنه بحكم أُخروي ، ليُنبِّههم على مراعاة الآخرة في جميع أحوالهم وأعمالهم ، وأنها هي المقصودة بالقصد الأولي ، وأما سائر ما يُتحرّى فلأجلها ، ولما حثّهم على العفو والفضل ، عرّفهم أن السلوك إلى التخصيص بذلك ، هو المحافظة على الصلوات بكل حال ، فإن الصلاة ، هي الآمرة بالمعروف ، الناهية عن المنكر ، ثم صرف الكلام إلى ذكر ما كان بصدده ، فتمَّمَه »[3] .

أبو حيان : « (**حافظوا/٢٣٨**) من باب : طارَقْتُ النعل ، ولما تضمن معنى التكرار والمواظبة ، عُدّي بـ(على) »[4] . (**والصلاةِ الوُسطى/٢٣٨**) أُفردت بالذِكر لِفضلها ، أو لأن المحافظة عليها أشد .

---

(١) البحر (٢/٢٣٨) باختصار .

(٢) انظر : ص (   ) من هذه الرسالة .

(٣) لم أعثر على هذا النص فيما اطلعت عليه .

(٤) البحر (٢/٢٣٩) .



قلت : ولأن الآية نزلت في التخلُّف عن صلاة الظهر(١) ، لشدة الحر ، فصرّح بها ، ولهذا اخترت أنها الظهر(٢) ، ويقويّه أن في مصحف عائشة(٣) وحفصة(٤)

---

(١) روى زيد بن ثابت أن النبي -ﷺ- كان يصلي الهاجرة ، والناس في هاجرتهم ، فلم يجتمع إليه أحد ، فتكلم في ذلك ، فأنزل الله تعالى : (والصلاة الوسطى) يريد الظهر .
وقد روي أنه لا يكون وراءه إلا الصف والصفان ، فقال رسول الله -ﷺ- (**لقد هممت أحرق على قوم ٍ لا يشهدون الصلاة ، بيوتهم**) ، فنزلت هذه الآية .
البحـــر (٢/٢٤١) .

(٢) في الحقيقة أن السلف اختلفوا في المراد بالصلاة الوسطى ، وجمع الدمياطي في ذلك جزءاً مشهوراً سماه « كشف الغطا عن الصلاة الوسطى » فبلغ تسعة عشر قولاً ، ذكرها ابن حجر ثم قال : « قال شيخ شيوخنا الحافظ صلاح الدين العلائي : حاصلُ أدلةِ من قال إنها غير العصر ، يرجع إلى ثلاثة أنواع :
أحدها : تنصيص بعض الصحابة ، وهو معارض بمثله ممن قال منهم إنها العصر ، ويترجح قول العصر بالنص الصريح المرفوع ، وإذا اختلف الصحابة لم يكن قول بعضهم حجة على غيره فتبقى حجة المرفوع قائمة .
ثانيها : معـارضة المرفوع بورود التأكيد على فعل غيرها ، كالحث على المواظبة على الصبح والعشاء وهو معارض بما هو أقوى منه ، وهو الوعيد الشديد الوارد في ترك صلاة العصر .
ثالثها : ما جاء عن عائشـة وحفصـة من قراءة : (**حـافظوا على الصلوات ، والصلاة الوسطى وصلاة العصر**)، فان العطف يقتضي المغايرة .
وهذا يرد عليه إثبات القرآن بخبر الآحاد ، وهو ممتنع ، وكونه ينزل منزلة خبر الواحد مختلف فيه ، سلَّمنا لكن لا يصلح معارضاً للنصوص صريحاً ، وأيضاً فليس العطف صريحاً في اقتضاء المغايرة ، لوروده في نسق الصفات ، كقوله تعالى : (**الأول والآخر والظاهر والباطن**) .
انظر فتح الباري (٨/١٩٦ - ١٩٨) ، وسنن الترمذي (٥/٢١٧ - ٢١٨) باب : ومن سورة البقرة كتاب : تفسير القرآن .
فالظاهر أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، ومما يؤيد ذلك ما رواه الإمام البخاري عن علي -رضـي الله عنه- : « أن النبي-ﷺ- قال يوم الخندق: (حبسونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس ، ملأ الله قبورهم وبيوتهم - أو أجوافهم - ناراً) .
فتح الباري (٨/١٩٥) .
وهـذا القـول هو مذهب أحمد ، والشافعي ، وهو الصحيح عن أبي حنيفة - كما قال ابن كثير (١/٢٩١) ونسبه ابن عطية (٢/٢٣٥) ، والنسفي (١/١٥٨) إلى الجمهور ، وهو اختيار الطبري (٥/٢٢١ - ٢٢٦) ، وابن كثير (١/٢٩١ - ٢٩٣) .

(٣) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ، أفقه نساء المسلمين ، تزوجها الرسول -ﷺ- في السنة الثانية من الهجرة وكانت أحب نسائه إليه ، وأكثرهن رواية للحديث عنه ، رُوي عنها (٢٢١٠) أحاديث ، تُوفيت بالمدينة سنة ٥٨هـ .
=



وأم سلمة[1] زيادة **(وصلاة العصر)**[2]. وقرأ أُبيّ وابن عباس **(صلاة العصر)** بلا واو[3]، على البدل من الصلاة الوسطى. وقرأ ابن مسعود **(وعلى الصلاة الوسطى)** بإعادة الجار[4]. وقرىء (والصلاة) بالنصب[5] على المدح، كقوله: **(والمقيمين الصلاة)**[6]، أو عطف على محل ما قبله. وقرىء (الوصطى) بإبدال السين صاداً[7]، لمجاورة الطاء. **(فإن خِفتم/ ٢٣٩)** حُذف متعلقه ليَعُمّ الخوف من عدو وغيره، كسَبُع، وسَيْل، وكل أمر يُخاف منه. (فرِجالاً/ ٢٣٩) جمع راجِلٍ. وقرىء بضم الراء مع تشديد الجيم[8] وتخفيفها[9]. وقرىء **(فرجلًا)** بضم الراء. وفتح الجيم المشددة[10]، وبفتح الراء وسكون الجيم[11]، جموع له. وقرىء **(فرجالاً فركباناً)**[12] بالفاء. والركبان جمع راكب، ولا يقال إلا لصاحب الجمل، وأما صاحب الفرس ففارس، وكذا بغّال، وحمّار. **(فاذكروا الله/ ٢٣٩)** أي صَلُّوا كما قد

= الإصابة -كتاب النساء- ت٧٠١، وطبقات ابن سعد (٨/ ٣٩)، وأعلام النساء (٩/٣٣)، وتاريخ الخميس (١/ ٤٧٥).

(٤) هي أم المؤمنين، حفصة بنت عمر بن الخطاب، روى لها البخاري ومسلم في الصحيحين ستين حديثاً. توفيت في المدينة سنة ٤٥هـ.
طبقات ابن سعد (٨/ ٥٦)، صفة الصفوة (٢/ ١٩)، ذيل المذيل (١١/ ٦٠٣).

(١) هي أم المؤمنين، أم سلمة هند بنت سهيل تزوجها الرسول -ﷺ- في السنة الرابعة للهجرة، وهي قديمة الإسلام، هاجرت إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، روي عنها (٣٧٨) حديثاً، وكانت وفاتها بالمدينة سنة ٦٢هـ، وقيل غير ذلك.
طبقات ابن سعد (٨/ ٦٠ - ٦٢)، والسمط الثمين (٨٦)، ومرآة الجنان (١/ ١٣٧).

(٢+٣+٤) انظر البحر (٢/ ٢٤٠ - ٢٤٢)، وابن خالويه (١٥).

(٥) قرأت بذلك عائشة - كما في البحر (٢/ ٢٤٢).

(٦) النســـاء (١٦٢).

(٧) رويت عن قالون - على ما في البحر (٢/ ٢٤٢).

(٨) عن عكرمة وأبي مجلز.

(٩) رويت عن عكرمة.

(١٠) عن أبي مجلز.

(١١) البحر، دون نسبة.

(١٢) عن بديل بن ميسرة.
انظر في القراءات السابقة، البحر (٢/ ٢٤٣)، وابن خالويه (١٥).

علمتم من الصلاة قبل الخوف ، بأن تأتوا بها بجميع أركانها ، فالكاف على بابها من التشبيه .

وفي الآية طباقات بين الخوف والأمن ، وإن وإذا ، ورجالاً وركباناً ، و(**علَّمكم ما لم تكونوا تعلمون/ ٢٣٩**) وعبّر في جانب الخوف بإن ، وفي جانب الأمن بإذا ، لِقِلَّة الخوف بالنسبة إلى الأمن . (**وصية/ ٢٤٠**) بالنصب أي فليُوصوا ، وبالرفع[1] أي فعليهم ، فالمراد بالتوفي ، مقارنة الوفاة .

وقرأ ابن مسعود (**الوصيةُ**)[2] مبتدأ خبره (**لأَزواجِهم/ ٢٤٠**) ، أو عليهم مقدراً . (**مَتاعاً/ ٢٤٠**) نصب بمقدر أي متعوهن ، أو جعل الله لهن ، أو بوصية على حذف الباء[3] . وقرأ أُبيّ (**متاعٌ لأزواجهم متاعاً إلى الحولِ**)[4] ، وروي عنه (**فمتاع**)[5] . (**واللّهُ عزيزٌ حكيمٌ/ ٢٤٠**) الطوفي : «مناسب لمضمون الآية ، لأنه حكم لابد فيه من عزّة منفّذة ، وحكمة مصحّحة » . (**وللمُطَلقاتِ مَتاعُ/ ٢٤١**) أعاده ليعُمَّ سائر المطلقات . (**حقاً على المتقينَ/ ٢٤١**) أتى به ليفهم الوجوب ، لأن تلك لما نزلت ، قال رجل : إن شئتُ أحسنتُ ، وإن شئتُ لم أحسن ، فنزلت هذه . (**ألَم تَرَ/ ٢٤٣**) أي ألم ينتهِ عِلمك . وهذا اللفظ يُستعمل فيما تقدم للمخاطب العِلم به ، فيكون تقريراً وتعجيباً ، وفيما لم يتقدم له عِلم به ، ويُسمى تشويقاً . أبوحيان: «مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى متى ذكر شيئاً من الأحكام التكليفية ، أعقبه بشيء من القصص ، على سبيل الاعتبار للسامع ، فيحمله ذلك على الانقياد ، وترك العناد ، ولما كان قد وقع ذكر الوفاة في ضِمن المعتَدَّات ، أعقبه بذِكر هذه القصة

---

(١) قراءة النصب هي قراءة أبي عمرو ، وابن عامر ، وحمزة وحفص ، وقراءة الرفع هي قراءة الباقين . حجة القراءات (١٣٨) .

(٢) ابن خالويه (١٥) ، والبحر (٢/ ٢٤٥) .

(٣) انظر البحر (٢/ ٢٤٥) ، والدر المصون (٢/ ٥٠٣) .

(٤) البحر (٢/ ٢٤٥) .

(٥) ابن خالويه (١٥) .



العجيبة ، من إماتة هؤلاء ، ثم إحيائهم في الدنيا ، للدلالة على قدرته تعالى ، وتنبيهاً على المعاد ، وأنه كائن لا محالة . وقيل : لما بيَّن حكم النكاح ، بيّن حكم القتال ، لأن كلاً منهما تحصين للدِّين ، ولما قال : (**كذلك يُبيّن اللّهُ لكُم آياتِهِ**/٢٤٢) ، ذكر هذه القصة ، لأنها من عظيم آياته ، وبدائع قدرته »[١] ، (**فَقالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُوا**/٢٤٣) وَضَعَه موضِع «فأماتهم الله » ، ليدل على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته ، وتلك ميتة خارجة عن العادة ، والقصد بسياق هذه القصة هنا تشجيع المسلمين على الجهاد ، وإعلامهم أن الموت لابد منه ، وأن الفرار لا ينجي منه ، ولهذا قال عقب ذلك : (**وقاتلوا في سبيلِ اللّهِ ، وَاعلَموا أَن اللّهَ سميعٌ**/٢٤٤) بما يقوله المتخلِّفون عن القتال . (**عليمٌ**/٢٤٤) بما يضمرونه في قلوبهم . وقال الطّوفي : « لما كان القتال لابد فيه عادة من مشاورة وتدبير ، ناسَبَه (**سميعٌ**) ، ولما كان يحتاج إلى نية صحيحة ، وهو القتال لتكون كلمة الله هي العليا لا للرياء ولا للمغنم ، ناسبه (**عليمٌ**) ، ولما حث على القتال في سبيل الله ، أردفه بالحث على الإنفاق ، فقال : (**مَن ذَا الذي يُقرِضُ اللّهَ قَرضاً حَسناً**/٢٤٥) استفهام بمعنى الأمر ، أو التشويق » . قال الكرماني : « هذا لفظ يدل على المسارعة والسبق »[٢] . والقَرْض : ما يُدفع من المال ليُؤخذ بَدَله ، شبّه به عمل المؤمنين لله على ما يرجون من ثوابه ، وذُكر على سبيل التأنيس والتقريب للناس بما يفهمونه ، كما شبّه بذل النفوس والأموال رجاء الجنة بالبيع ، والشراء . وقيل : التقدير : يقرض عباد الله ، فأضافه إلى نفسه استعظاماً ، ثم رغَّب فيه بقوله : (**فيُضاعِفَه**/٢٤٥) بألف ودونها مشدداً ، مرفوعاً ومنصوباً[٣] ، وأكّد الفعل بالمصدر

---

(١) البحر (٢/٢٤٩) بقليل من الاختصار .

(٢) لباب التفسير (٢/٦٨٥) .

(٣) قراءة الرفع مع التشديد ، وحذف الألف ، هي قراءة ابن كثير .
وقراءة النصب مع التشديد ، وحذف الألف ، هي قراءة ابن عامر .
وقراءة النصب ، مع وجود الألف ، هي قراءة عاصم .
وقراءة الألف والرفع ، هي قراءة البقية .
حجة القراءات (١٣٩) .



والـوصف فقـال : (أضعافاً كثيرةً) ، ثم زاد في تأكيد الرغبة بقوله : (وَاللهُ يَقبِضُ وَيَبسُطُ/٢٤٥) ، لأن من علم ذلك ، كان اعتماده على فضل الله ، أكثر من اعتماده على ماله ، وذلك يدعوه إلى الإنفاق في سبيل الله ، وترك البخل ، ثم ختم بقوله : (وإليه تُرْجَعون/٢٤٥) ، وهو يفيد الزجر عن ترك الإنفاق ، والترغيب فيه ، من حيث إنه يفيد الموت وفناء المال ، وملاقاة الخالق ، فَرْداً لا مال له ، وعنده الثواب الجزيل ، ومن تذَّكر ذلك ، رغب في إقراض ماله له ليوافيه به مضاعفاً في دار البقاء. قيل: والفرق بين ضعَّف وضاعَف ، أن التضعيف لما جُعِل مثلَين ، والمضاعفة لما زِيد عليه أكثر من ذلـك. (ألم ترَ إلى الملأ من بني إسرَائيلَ/٢٤٦) الأصبهاني: « تعلُّق هذه الآية بما قبلها من حيث إنه تعالى لما أمر بالقتال والإنفاق فيه ، ذكر قصة بني إسرائيل ، وهي أنهم لما أُمِـروا بالقتـال ، فنُكِبوا وخالفَوا ، ذمَّهم الله عليه ، ونسبهم إلى الظلم ، والمقصود منه ألا يقدم المأمورون بالقتال من هذه الأمة على تركه كما فعـل أولئـك ، وأن يكونوا متشمرين لقتال أعداء الله »[١]. الفراء : « الملأ : الـرجال لا يكون فيهم امرأة ، وكذلك القوم والنفر والرهط »[٢]. وقال الزجاج : « هم الوجوه ، وذوو الرأي »[٣]، وقال غيره : « هم الأشراف ، لأنهم يملؤون العين هيبة »[٤] (نُقاتِلَ/٢٤٦) قرىء بالرفع على الحال[٥]، وبالياء مجزوماً[٦]، ومرفوعاً على الصفة لملِك[٧]. (هل عَسيتُم/٢٤٦) بكسر السين ، وفتحها[٨]، لغتان ، والثاني

---

(١) أنـوار الحقـائق (٢٧٧) .

(٢) لم أجد ذلك في معاني القرآن للفراء ، ولكن وجدته في البحر (٢/٢٤٨) .

(٣) البحر (٢/٢٤٨) ، وفي معاني القرآن له (١/٣٢٥) : « الملأ : أشراف القوم ووجوههم » .

(٤) هذا قول أبي حيان باختصار - البحـر (٢/٢٤٨) .

(٥) البحر (٢/٢٥٥) ، والدر المصون (٢/٥١٥) دون نسبة .

(٦) المرجعين السابقين دون نسبة .
وذكر ابن خالويه أن السلمي قرأ بالياء ، ولكنه لم يبين حركة اللام .
انظر ابن خالويه (١٥) .

(٧) أي بالياء ، مع رفع اللام ، وهي قراءة الضحاك وابن أبي عبلة .
البحر (٢/٢٥٥) ، والدر المصون (٢/٥١٥) .

(٨) قراءة الكسر هي قراءة نافع ، وقراءة الفتح هي قراءة الباقين .
حجـة القـراءات (١٣٩) .



أشهر . **(ومَا لَنا/٢٤٦)** الواو لربط الكلام بما قبله ، ولو حُذفت لجاز أن يكون منعطفاً عنه . **(أن لا نقاتِل/٢٤٦)** زيادة « أن » في مثل هذا ، وتركها لغتان فصيحتان .

(أُخْرجْنا من دِيارنا وأبنائِنا/٢٤٦) أي وأُفردنا من أبنائنا بالسبي ، قاله الكرماني[1] . وقيل : هو القلب ، أي وأُخرِج منا أبناؤنا[2] . وقرىء **(أخرجنا)** بالبناء للفاعل[3] ، وهو ضمير العدو . **(واللّهُ عليمٌ بالظّالمينَ/٢٤٦)** وعيد لهم على ظلمهم بترك القتال . **(ونَحنُ أحقُّ بالمُلكِ منه/٢٤٧)** حال مقررة لجملة الإشكال. **(ولم يُؤْتَ/٢٤٧)** حال ثانية لتتميم معنى الأولى ، والمبالغة فيها . والحاصل أن الأولى لكونه غير نسيب ، والثانية لكونه فقيراً ، فقابَلَ ذلك بخصلتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال ، وهما زيادة البَسْطَة في العِلم والجسم ، ووقع ذلك في المَلِك أشد لأن الجاهل مزدَرَىً ، غير منتفع به ، والجسم أَهْيَب في القلوب ، واتقى في النفوس ، ثم زاد في ذلك أن المُلْك سيؤتيه من يشاء ، فلا اعتراض عليه. **(والله واسعٌ عليمٌ/٢٤٧)** الطوفي: «مناسب لإيتاء المُلْك من يشاء ، لأنه واسع الفضل والعطاء ، عليم بمن يصطفيه ويختصه من الناس ، لأن له في خلقه أسراراً ، لا يحيط بها غيره » . **(التابوتُ/٢٤٨)** قرأ أُبيّ[4] بالهاء ، لغة الأنصار. **(سكينةٌ/٢٤٨)** قرىء بتشديد الكاف[5] . **(مما تَركَ آلُ موسى ، وآلُ هارونَ/٢٤٨)**، **(آل)** مقحم لتفخيم شأنها . **(تَحمِلُهُ/٢٤٨)** قرىء بالتحتية[6] . **(فلما فَصَلَ/٢٤٩)** فيه محذوف ، أي فأتاهم التابوت ، فأذعنوا له ، وأجابوا إلى المسير تحت لوائه .

---

(١) لم أجد ذلك في كتاب « أسرار التكرار » . وهو في لباب التفسير (٢/٦٨٩) كالآتي : « وأفردنا عن أبنائنا بالقتل والسبي » .

(٢) حكاه أبو حيان ، وذكر السمين أنه لا حاجة لهذا الوجه .
البحر (٢/٢٥٦) ، والدر المصون (٢/٥١٨) ، وانظر الإملاء (١/١٠٣) .

(٣) قرأ بذلك عبيد بن عمير . البحر (٢/٢٥٦) .

(٤) وزيد أيضاً . البحر (٢/٢٦١) ، وابن خالويه (١٥) .

(٥) قرأ بذلك أبو السمال . انظر المرجعين السابقين .

(٦) عن مجاهد . البحر (٢/٢٦٣) .



الـراغب : « فصل القوم عن مكان كذا ، وانفصلوا ، فارَقُوه »[1] . (**بنَهَرٍ/٢٤٩**) قرىء بسكون الهاء[2] حيث وقع . (**ومن لم يَطْعَمْه/٢٤٩**) أي يَذُقْه ، ولهذا اختير على « يشرب منه » ، الـذي هو مقتضى المقابلة ، لأنه أبلغ ، إذ نفي الطعم ، يستلزم نفي الشرب ، من غير عكس ، قاله ابن عطية[3] . (**إلا مَن اغترف/٢٤٩**) استثناء من الجملة الأولى ، والجملة الثانية في حكم التأخير ، قدِّمت للعناية ، والتقدير : فمن شرب منه ، فليس مني ، إلا من اغترف غرفةً بيده ، ومن لم يطعمه ، فإنه مني ، ومعناه ، الرخصة في اغتراف الغرفة باليد ، دون الكَرْع ، بدليل : (**فشربوا/٢٤٩**) أي فكرعوا . (**غُرفةً/٢٤٩**) بالضم ، الشيء المغترف ، وبالفتح[4] : المرة الواحدة . (**فشربوا منه إلا قليلاً/٢٤٩**) قرىء بالرفع[5] ، وهو إخراج لهم من الشاربين بالاتباع ، لأن الكلام بُني عليه ، حيث صار تابعاً ، وحكم مثل ذلك ، أن ما بُني على إخراجه أتبع ، وما لم يُبْنَ على إخراجه ، وكأنه إنما انثنى إليه بعد مضيّ الكلام الأول ، قُطِعَ ونُصِب . (**فلما جاوَزَهُ/٢٤٩**) فيه حذف ، أي فجَبُن الـذين شربوا ، ولم يجاوزوا النهر ، وجاوزه الآخرون . (**طاقة/٢٤٩**) من الطَّوْق وهو القوة . (**قال الذين يَظُنونَ/٢٤٩**) إما من وضع الظاهر موضع المضمر ، فضمير (**قالوا/٢٤٩**) للكثير الذين لم يجاوزوا ، أو المراد بهم الخلّص من الذين آمنوا (**فئةٍ/٢٤٩**) هي القطعة من الناس . وقرىء بإبدال الهمزة[6] . (**واللهُ مَع الصابرين/٢٤٩**) يحتمل أن يكون تتمة كلامهم ، وأن يكون

---

(١) المفردات (٣٨١) مادة : فصل .

(٢) قرأ بذلك حميد . ابن خالويه (١٥) .

(٣) المحرر (٢/٣٦٥ - ٣٦٦) بمعناه .

(٤) قراءة الفتح هي قراءة نافع ، وكذا ابن كثير وأبي عمرو .
وقراءة الضم ، هي قراءة الباقين .
حجة القراءات (١٤٠) .

(٥) عن ابن مسعود وأبي الأعمش . البحر (٢/٢٦٦) .

(٦) قرأ بذلك الأعمش . البحر (٢/٢٦٨) .



من كلامه تعالى استئنافاً[1]. (بَرَزُوا/٢٥٠) صاروا بالبَراز من الأرض ، وهو ما ظهر واستوى . (أَفْرِغ/٢٥٠) الراغب : «أفرغت الدلو ، صببت ما فيه ، ومنه استُعِير (أفـرِغ علينـا صبراً/٢٥٠) »[2]. (وثَبِّت أقدامَنا/٢٥٠) كناية عن تشجيع قلوبهم وتقويتها . الطيبي : « هو كلام جامع ، يشتمل على جميع ما يحصل به الظَّفَر على العدو » . البيضاوي : « في الدعاء ترتيب بليغ ، إذ سألوا أولاً : إفراغ الصبر في قلوبهم ، الذي هو مَلاك الأمر ، ثم ثبات القدم في مداحِض الحرب المسبب عنه ، ثم النصر على العـدو ، المرتَّب عليهما غالباً »[3]. (فهزموهم/٢٥١) قال الطيبي : « هي فاء الفصيحــة ». الــراغب : « أصـل الهَـزْم : غمـز الشيء اليابس حتى يتحـطمّ ، ومنـه الهزيمة ، لأنه يعبَّر عنه بالحكم والكسر »[4]. [(دَفْعُ/٢٥١) قرأ نافع[5] (دفاع)[6]، وهو من جانب واحد ، لأن الله لا يغالبه أحد ، وهو الدافع وحـده)][7]. (تلك/٢٥٢) إشـارة إلى القصص المـذكورة ، من قصة الألوف وما بعدها . (نتلُوها/٢٥٢) فيه التفات . (وإنك لمن المرسَلينَ/٢٥٢) حيث تخبر بها من غير أن تُعْرَف بقراءة كتاب ، ولا سماع أخبار . الطوفي: « في الختم به مناسب لأول الآية ، لأن تلاوة الآيات عليه سبب صيرورته مرسلاً .

وأما قوله في آل عمران : (تلك آياتُ الله نتلوها عليك بالحقِّ ، وما الله يُريدُ ظُلماً للعـالَمينَ/١٠٨)، [فهو هناك مناسب ، لأنه في سياق الأمر بالدعاء إلى الخير ،

---

(١) قال أبو حيان باحتمال القولين ، وأسند الثاني منهما إلى القفال .
البحـر (٢/٢٦٨) .
(٢) المفـردات (٣٧٧) مادة : فرغ .
(٣) حاشية الشهاب (٢/٣٣١) .
(٤) المفردات (٥٤٣) باختصار .
(٥) هو أبو رويم ، نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني ، أحد القراء السبعة ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة المنورة ، أصله من أصبهان ، وكان أسود اللون حالكاً ، صبيح الوجه ، حسن الخلق ، فيه دعابة ، توفي سنة ١٦٩هـ ، وقيل غير ذلك .
غاية النهاية (ترجمة رقم ٣٧١٨) ، ومناهل العرفان (١/٤٥٤) .
(٦) حجة القراءات (١٤٠) ، وانظر البحر (٢/٢٦٩) .
(٧) ما بين القوسين ليس في (ب) .



والأمر بالمعروف ، حيث قال : (**ولْتَكُن منكم أمةٌ**/١٠٤) إلى قوله (**ولا تكونوا كالذين تَفرقوا واختلفوا**/١٠٥) ، فكان قوله : (**وما الله يُريد ظُلماً للعالمين**)[١]] مؤكداً لذلك ، أي إنما ندعوهم إلى الحق عدلاً ، لا إلى الجور ظلماً» . (**تلك الرسلُ**/٢٥٣) إشارة إلى جماعة الرسل الذين ذُكِرت قصصهم في السورة ، أو الذين ثبت علمهم عند رسول الله -ﷺ- ، وعبرّ بالرسل ، بدل المرسلين ، لاختصار اللفظ ، وإزالة قلق التكرار . الزجاج : « (**وإنك لمن المرسلين**) أي أنت من هؤلاء الذين قصصتُ آياتهم ، لأنك قد أُعطيت من الآيات ، مثل الذي أُعطوا ، وزِدت على ما أُعطوا ، كما أشار إلى ذلك في الآية التي بعدها »[٢] . الطيبي : « النظم يقتضي أعم من ذلك ، بأن يُجعل التعريف في المرسلين للجنس ، وأن يُراد بالآيات ، جميع الآيات المذكورة من لَدُن مفتتح السورة ، وتقريره أنه سبحانه ، لما بيّن بقوله : (**وإن كنتم في ريبٍ مما نَزلنا على عَبدِنا**/٢٣) الآية ، أنه نبي صادق ، ومعجزته هذا القرآن ، الذي بذّ بفصاحته ، فصاحة كل ناطق ، وشقَّ ببلاغته غبار كل سابق ، وما اكتفى بذلك ، بل أتى بكل ما يتعلق بأمور الدين ، من التوحيد والأخلاق والديانات وأحوال الآخرة وقصص الأنبياء السالفة والأمم الدارجة والأحكام التي تُناط بها أمور الأمة ، وأطنب فيها كل الإطناب ، ليُؤذِن بأن الكتاب ، كما أنه معجزة في نفسه ، مشتمل على حِكَم وعلوم وأحكام ، يتوقف عليها أمر الرسالة ، ثم لما أراد أن يرجع إلى ما بدأ به ، من إثبات نبوته ورسالته ، قال: (**تلك آياتُ اللّهِ نَتلوها عَليكَ**/٢٥٢) ، ليكون كالفذلكة لسائر ما ذكر وكالتخلص إلى حديثه -ﷺ- ، وأنه نبي مرسل ، وأنه أفضل الرسل ، على سبيل الترقي ، كأنه قيل تلك المذكورات ، كلها آيات الله ، ملتبسة بالحق الهادي إلى طريق مستقيم ليقرر بها أمر نبوتك ، الذي ثبت بالمعجزة القاهرة ، وليعلم بها أنك من المرسلين الجامعين بين المعجزة والوحي ، وأنك أفضلهم وواسطتهم ، لأنك أُعطيت ما أُعطوا ، وزِدت على ما أُعطوا وهو هذا

---

(١) ما بين القوسين ليس في (أ) .

(٢) معاني القرآن له (١/٣٣٣) .



الكتاب الكريم ، فعلى هذا التعريف في الرسل كما في المرسلين ، وهي[(١)] للجنس ، والمشار إليه بقوله: (**تلك الرسل**/٢٥٣) ما يعلم من المرسلين . ثم لما كان هنا مظِنة أن يسأل السائل عن الرسل ، هل يتفاوت حالهم في علو الرتبة ، ومراتب الرسالة ، أم هم سواء ، فقيل: (**تلك الرسل فضلنا بعضَهم على بعض**/٢٥٣) ، ثم أخذ يشرع في بيان التفضيل ، منهم من كلَّم الله ، ومنهم من رفع درجاته ، وإنما فرق واحداً من الأقسام ، ليشير إلى أن هذا القسم مباين للأقسام ، ومغاير له ، بحسب ما خصّ به ، لأن رفع الدرجات ، ليس من قبيل ما أُوتوا[(٢)] ولا هو داخل في حكم ما أُعطوا ، فكان ذلك تفضيلاً لمحمد -ﷺ- على الرسل » . انتهى . (**منهم من كلَّم اللّهُ**/٢٥٣) فيه التفات عن التكلُّم . وقرىء بنصب الجلالة ، وقرىء (كالَم اللّهَ) بالنصب[(٣)] . (**ورفع بعضَهم درجاتٍ**/٢٥٣) هو محمد -ﷺ- أبهمه تفخيماً لشأنه ، وإعلاماً بقَدْره ، وإشعاراً بأنه العَلَم الذي لا يشتبه ، ووسّط بذِكره بين موسى وعيسى ، إشارة إلى أنه واسِطة عِقد النبوة . (**وآتينا**/٢٥٣) فيه التفات عن الغيبة . (**عيسى بن مريم**/٢٥٣) قال صاحب الفوائد[(٤)] : «خصّ موسى وعيسى بالذكر من بين المرسلين ، لأن الكلام فيما مرّ ، مع أهل الكتاب ، واليهود ينكرون عيسى ، والنصارى ينكرون موسى »[(٥)] . وقال الإمام: « إنما خُصّا بالذِّكر ، لأن أُمتيهما موجودتان وأُمم سائر الأنبياء ليسوا كذلك »[(٦)] . وقال البيضاوي : « خصّ عيسى بالذكر ، لإفراط اليهود والنصارى في أمره بغضاً وحباً »[(٧)] . وقال غيره : « الوجه ، أن ذِكرهما لِبيان وجه التفضيل ، يعني أن فضل النبي -ﷺ- على رسول مثله ، إنما

---

(١) في (ب) : وهـو .

(٢) في (ب) : ما أتـوا .

(٣) هذه قراءة المتوكل ، وأبي نهشل ، وابن السميفع ، واليماني .
والقراءة السابقة هي قراءة ابن ميسرة . البحر (٢/٢٧٣) ، وابن خالويه (١٥) .

(٤)

(٥) في هذا الكلام نظر ، إذ أن النصارى لا ينكرون موسى ، وإن كانوا يبغضون اليهود .

(٦) التفسير الكبير (٦/٢١٨) .

(٧) حاشية الشهاب (٢/٣٣٢) .

يظهر بسبب اختصاصه بما أوتي من الفضل والكرامة ورفعة الدرجة [1]، وبحسب هدايته وإرشاده ، وكثرة تبعيته ، ولا شك في أن أولئك الثلاثة هم المخصوصون من بين سائر الأنبياء بذلك ، وأن نبينا -ﷺ- له عليهما قَصَبات السبق ، ومن ثم اكتفى بهم عنهم ، وبهذا تبينَّ المقصود ، وهو فضل نبينا على سائر الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-. **(ولو شاء الله/٢٥٣)** فيه التفات عن التكلم. **(ولو شاء الله ما اقتتلوا/٢٥٣)** كرَّره تأكيداً للأمر ، وتكذيباً لمن زعم أنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم ، لم يجرِ به قضاءٌ ولا قدرٌ .

قال بعضهم : « وجه تعلُّق هذه الآية بما قبلها ، أنه تعالى أنبأ محمداً -ﷺ- من أخبار الأنبياء السالفة مع قومهم ، كسؤال قوم موسى : **(أرِنا الله جهرة)** [2]، وقولهم : **(اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهةٌ)** [3]، بعد أن شاهدوا منه الآيات العظيمة ، من فَلق البحر وغيره ، وكقوم عيسى بعد أن شاهدوا منه إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، فكذبوه وراموا قتله ، وكالملأ من بني إسرائيل حسدوا طالوت ، ودفعوا ملكه بعد المسألة ، وخالفوه في أمر النهر ، فعزّى الله رسوله عما رأى من قومه من التكذيب والحسد ، فشهد له أولاً بأن ما أتى [4] به قرآن من عند الله ، تلاه عليه على لسان جبريل ، لم يقترحه من قِبل نفسه ، ووقع في ذلك غاية الحسن التخلُّص بالإشارة إلى الآيات والقصص السابقة ، ثم شهد له بأنواع من التأكيد ردّا على من أنكر رسالته ، ثم أخبر فقال: هؤلاء الرسل الذين فضَّلهم الله ، بعضهم بكلامه ، وبعضهم بتأييده بروح القدس ، وإيتاء البينات ، قد نالهم من قومهم مثل ما نالَك ، واختلفت أممهم بعدهم حتى اقتتلوا ، وذلك كله واقع بمشيئة الله وإرادته ، فلا يحزنك ما ترى من قومك ، فإنه بقدر الله ولك أسوة بالرسل قبلك ، ولقوله : (ما

---

(١) في (أ) : للدرجة .

(٢) النساء (١٥٣) .

(٣) الأعراف (١٣٨) .

(٤) في (ب) : أوتى .



اقتتل الذين من بعدهم/٢٥٣) ، و(**اختلفوا/٢٥٣**) اتصال ظاهر بقصة[١] الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى ، وافتراقهم في أمر النهر كما لا يخفى . وفي الآية التقسيم في موضعين. (**ولكنَّ اللهَ يفعلُ ما يُريدُ/٢٥٣**) الطوفي: «هو مطابق لِقوله (**ولو شاء الله/٢٥٣**) لأن فعله لما يريد سبب توقّف الأمور على مشيئته ». (**يأيها الذين آمنوا أنفقوا/٢٥٤**) الأصبهاني : « وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ، أنه تعالى أمر بالقتال فيما سبق ، ثم أعقبه بالقرض ، والمقصود منه الإنفاق في الجهاد ، ثم إنه مرة ثانية أكّد الأمر بالقتال ، وذكر فيه قصة طالوت وجالوت ، ثم أعقبه بالإنفاق في الجهاد ، وفي الزكاة المفروضة »[٢].

وأقول : الأولى أن يقال : إن الآية الأولى لما ذكرت في الإنفاق في الجهاد ، وهو أحد قِسمي الإنفاق الواجبين ، ذكر هنا القسم الآخر ، وهو الزكاة[٣]، فإنها خاصة فيها . (**لا بيعٌ فيه وَلا خُلّةٌ ولا شَفاعةٌ/٢٥٤**) قرىء في الثلاثة بالفتح ، وبالرفع[٤]. ونفي الأخيرين خاص بالكافرين ، ولذا قال : (**والكافرون هم الظالمون/٢٥٣**) قال عطاء[٥]: «الحمد لله الذي قال : (**والكافرون هم الظالمون/٢٥٤**) ، ولم يقل :

---

(١) في (أ) : القصة .   (٢) أنوار الحقائق (٢٨٤) .

(٣) وهو ما ذهب إليه الزمخشري في الكشاف (١/٣٨٤) .
ولعل الأولى أن يقال إن المناسبة ، هو أنه لما بيّن تعالى أنه أراد الاختلاف إلى مؤمن وكافر وأراد الاقتتال ، وأمر به المؤمنين ، وكان الجهاد يحتاج صاحبه إلى الإعانة عليه ، أمر تعالى بالنفقة من بعض ما رزق ، فيشمل من بين ما يشمل النفقة في الجهاد .
وهذا ما ذهب إليه أبو حيان ، البحر (٢/٢٧٥) .
وتفسير الإنفاق بهذا الوجه يتأيدّ بأنه جاء عقب ذكر المؤمن والكافر ، واقتتالهم ، كما أن لفظ الإنفاق عام ، فيبقى على عمومه ، حيث لا دليل على التخصيص .
والقول بعموم الإنفاق هنا ، هو قول الأكثرية .
البحر (٢/٢٧٥) .

(٤) قراءة الفتح من غير تنوين هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو .
وقراءة الرفع مع التنوين هي قراءة الباقين .
حجة القراءات (١٤١) ، وانظر البحر (٢/٢٧٦) .

(٥) هو أبو الزيات ، وقيل : أبو طلحة ، عطاء بن دينار الهذلي ، مولاهم ، وثقه أحمد وأبو داود وقال عنه =



والظالمون هم الكافرون »[1] . الأصبهاني : « لما قال: **(ولا خلّةٌ ولا شفاعةٌ/٢٥٤)** أَوْهَمَ ذلـك نفي الخلّة والشفاعة مطلقاً ، فذكر عقِبه هذه الجملة ، ليدل على أنه خاص بالكافرين ، والمعنى : والكافرون هم الذين وضعوا الأمور في غير موضعها ، فإنهم ودّوا من لا ينفعهم وِداده في الآخرة ، وتوقَّعُوا الشفاعة ممن لا يشفع لهم ، وهم آلهتهم التي عبـدوهـا »[2] . الطوفي : «الختم به مناسب لما تضمنته الآية ، بتقدير محذوف ، لأنه لما أخبر بوقوع اليوم الآخر ، أشار إلى أن من كذّب به ، فهو كافر ، والكـافـر ظالم بوضعه التكذيب غير موضعه ، وحصر الكافرين في الظالمين حصراً للأخص في الأعم ، لأن الكفر نوع من الظلم ، والنوع أخص من جنسه . آية الكرسي مناسبة وضعها هنا ، أن من عادته تعالى في القرآن الكريم ، أن يذكر علم التوحيد وعلم الأحكام وعلم القصص مرتبطاً بعضه ببعض ، والمقصود الأعظم علم التوحيد ، وأما علم الأحكام ، فللتوسُّل إلى الأعمال الصالحات ، التي هي من تمام التوحيد ، وأما القصص فللمبالغة[3] في التزام الأحكام والتكاليف ، وتقرير دلائل التوحيد .

وهذه الطريقة في البلاغة ، أحسن الطرق وأكملها ، فإن الاستمرار على نوع واحد ، يفضي إلى الملالة والسآمة ، والانتقال من نوع إلى آخر ، ينشرح له الصدر ، ويفرح به القلب ويصغي له السمع . ولما ذكر فيما تقدم جملة من الأحكام ، ثم تبعها بقصة الألوف ، وقصة طالوت وجالوت . واختلاف الأمم بعد أنبيائهم ، أعقبها بما يتعلّق بعلم التوحيد . وقال بعضهم : « جرت عادة القرآن ، وإذا ذكر أحكاماً ،

= أبو حاتم إنه صالح الحديث ، إلا أن التفسير أخذه من الديوان ، وكان عبدالملك بن مروان سأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن ، فكتب سعيد بهذا التفسير ، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله . توفي سنة ١٢٦هـ .

تهذيب التهذيب (١٩٨/٧) ، حلية الأولياء (١٠/٣) ، صفة الصفوة (١١٩/٢) .

(١) وبقية كلامه هو « ولو نزل هكذا ، لكان قد حكم على كل ظالم - وهو من يضع الشيء في غير موضعه - بالكفر ، فلم يكن ليخلص من الكفر كل عاص إلا من عصمه الله من العصيان » . البحر (٢٧٦/٢) .

(٢) أنـوار الحقـائق (٢٨٤) .

(٣) في (أ) فللمبالغات .



ذكر بعدها وعداً ووعيداً ، ليكون باعثاً على العمل بما سبق ، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ، ليعلم عِظَم الآمر ، والناهي ، وقد صح في الحديث ، أن آية الكرسي سيدة آي القرآن ، وأعظم آية فيه ، وأنها ربع القرآن[1]. قال ابن عبد السلام : «وسبب شرفها ، أن فيها أحداً[2] وعشرين اسماً لله ، ما بين ظاهر ومضمر »[3]. وقال ابن العربي : « إنما صارت آية الكرسي أعظم الآيات ، لعِظَم مقتضاها ، فإن الشيء إنما يشرف بشرف ذاته ، ومقتضاه ومتعلقاته ، وهي في آي القرآن ، كسورة الإخلاص في سوره ، إلا أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين:

أحدهما : أنها سورة ، وهذه آية ، والسورة أعظم ، لأنه وقع التحدي بها ، فهي أفضل من الآية التي لم يُتحدّ بها .

والثاني : أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفاً ، وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفاً ، فظهرت القدرة في الإعجاز بوضع معنى معبرّ عنه بخمسين حرفاً ، ثم يُعبَّر عنه بخمسة عشر ، وذلك بيان لعظِم القدرة والانفراد بالوحدانية »[4].

وقال الغزالي : إنما كان آية الكرسي سيدة الآيات ، لأنها اشتملت على ذات الله وصفاته وأفعاله فقط ، ليس فيها غير ذلك، ومعرفة ذلك هي المقصد الأقصى في العلوم ، وما عداه تابع له ، والسيد : اسم للمتبوع المقدَّم ، فقوله (**الله**/٢٥٥) إشارة إلى الذات . (**لا إله إلا هو**/٢٥٥) إشارة إلى توحيد الذات. (**الحيُّ القَيُّومُ**/٢٥٥) إشارة إلى صفة الذات وجلاله ، فإن معنى (**القيُّوم**/٢٥٥) الذي يقوم

---

(١) عن أنس أن رسول الله ﷺ سأل رجلاً من صحابته ، فقال : أي فلان هل تزوجت ؟ قال : لا وليس عندي ما أتزوج به. . . قال : أليس معك آية الكرسي (**الله لا إله إلا هو**) . قال : بلى ، قال : ربع القرآن . قال : تزوّج تزوّج تزوّج -ثلاث مرات- . مسند أحمد (٢٢١/٣) .

(٢) في (ب) : أحـد .

(٣) لم أجد ذلك في كتابه « فوائد في مشكل القرآن » .

(٤) لم أجد هذا الكلام في كتاب أحكام القرآن لابن العربي .

بنفسه ، ولا يقوم به غيره ، وذلك غاية الجلال والعظمة . (**لا تأخُذُهُ سنةٌ ولا نومٌ**/ ٢٥٥) تنزيهٌ وتقديسٌ له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث ، والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة . (**له ما في السموات وما في الأرض**/ ٢٥٥) إشارة إلى الأفعال كلها ، وأن جميعها منه وإليه . (**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**/ ٢٥٥) إشارة إلى انفراده بالملك والحكم والأمر ، وأن من يملك الشفاعة ، إنما يملكها بتشريفه إياه والإذن ، وهذا[1] نفي الشركة عنه في الملك والأمر . (**يعلم ما بين أيديهم**/ ٢٥٥) إلى قوله : (**بما يشاء**/ ٢٥٥) إشارة إلى صفة العلم ، وتفصيل بعض المعلومات ، والانفراد بالعلم حتى لا علم لغيره إلا ما أعطاه ووهبه ، على قدر مشيئته وإرادته . (**وسِع كُرسيه السمواتِ والأرضَ**/ ٢٥٥) إشارة إلى عِظم ملكه ، وكمال قدرته . (**ولا يَؤُدُهُ حفظُهما**/ ٢٥٥) إشارة إلى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان . (**وهو العلي العظيم**/ ٢٥٥) إشارة إلى أصلين عظيمين في الصفات .

فإذا تأملتَ هذه المعاني ، ثم تلوتَ جميع آي القرآن ، لم تجد جملتها مجموعة في آية واحدة فإن (**شهد الله**)[2] ليس فيها إلا التوحيد ، وسورة الإخلاص ليس فيها إلا التوحيد والتقديس ، و(**قل اللهم مالك الملك**)[3] ليس فيها إلا الأفعال ، والفاتحة فيها الثلاثة ، لكن غير مشروحة ، بل مرموزة ، والثلاثة مجموعة مشروحة في آية الكرسي ، والذي يقرب منها في جمعها آخر الحشر ، وأول الحديد ، ولكنها آيات لا آية واحدة ، فإذا قابلت آية الكرسي بأحد تلك الآيات ، وجدتَها أجمع للمقاصد ، فلذلك استحقت السيادة على الآي ، كيف وفيها : (**الحيَّ القَيّومُ**/ ٢٥٥) ، وهو الاسم الأعظم ، كما ورد به الخبر»[4] انتهى كلام الغزالي ، ثم

---

(١) في (ب) : وهي .

(٢) آل عمران (١٨) .

(٣) آل عمران (٢٦) .

(٤) راجع ما سبق ص (   ) من هذه الرسالة .
وانظر جواهر القرآن للغزالي (٤٥ – ٤٧) .



قال : « إنما قال -ﷺ- في الفاتحة أفضل ، وفي آية الكرسي سَيِّدة ، لِسِر ، وهو أن الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة ، يسمى أفضل ، فإن الفضل هو الزيادة ، والأفضل هو الأزيد ، وأما السؤدد هو رسوخ معنى الشرف ، الذي يقتضي الاستتباع ، ويأبى التبعية ، والفاتحة تتضمن التنبيه على معان كثيرة ، ومعارف مختلفة ، فكانت أفْضل ، وآية الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى ، التي هي[1] المقصودة المتبوعة ، التي يتبعها سائر المعارف ، فكان اسم السيد بها أليق »[2]. انتهى. (الحي/٢٥٥) قرىء بالنصب[3] على المدح ، وكذا ما بعده. (**القَيُّوم**/٢٥٥) الراغب : « هو المقيم[4] الحافظ لكل شيء ، والمعطِي له ما به قوامه ، وذلك هو المعنى المذكور في قوله : (**أعطى كلَّ شيءٍ خلْقه ، ثم هدى**)[5]، وقوله : (**أفمن هو قائمٌ على كل نفسٍ بما كسبت**)[6] »، وقرىء (**القَيّام**) و(**القَيِّم**)[7]. (**لا تأخذه سِنَةٌ**/٢٥٥) أي نعاس. (**ولا نومٌ**/٢٥٥) الكرماني : «بدأ بالسِّنة ترقياً من القليل إلى الكثير»[8]. الأصبهاني : « إن قيل : إذا كانت السِّنة عبارة عن مقدِّمة النوم ، فقد دلّ قوله (**لا تأخذه سنةٌ**) على أنه لا يأخذه بطريق الأولى ، فما الفائدة في ذكره ؟

قلت : تقدير الآية : لا تأخذه سِنة فضلاً عن أن يأخذه نوم ، وأيضاً لما كان ضعيف المِزاج ، نومه خفيفاً ، وقوي المِزاج ، نومه ثقيلاً ، جاز أن يتوهم متوهم ،

---

(١) في (أ) : الذي هو .
(٢) لم أعثر على هذا النص في جواهر القرآن .
(٣) عن الحسن . ابن خالويه (١٥) .
(٤) بالمفردات « القائم » .
(٥) طـه (٥٠) .
(٦) الرعد (٣٣) .
انظر المفردات (٤١٧) مادة : قوم .
(٧) القراءة الأولى هي قراءة ابن مسعود ، وابن عمر ، وعلقمة ، والنخعي ، والأعمش .
والقراءة الثانية هي قراءة علقمة أيضاً .
البحر (٢/٢٧٧) .
(٨) لباب التفسير (٢/٧١٠) .

أنه تعالى هو القوي ، فيأخذه النوم الثقيل لقوته ، ولا تأخذه السِّنة ، فنفى عنه النوم الثقيل أيضاً ، دفعاً للتوَهُّم المذكور »[1] .

وقال التاج البارنباري[2] : « الأمر في الآية على خلاف ما فُهم ، والسؤال غير وارد البتة ، والمنفي فيها أولاً ، إنما هو الخاص ، وثانياً : العام على خلاف ما ظن ، فإن الأخذ فيها بمعنى الغَلَبة ، ولا يلزم من عدم غَلَبة السِّنة -التي هي القليل من نوم أو نعاس- عدم غلبة النوم ، وإنما كان يصح الإيراد ، لو قيل : لا يحصل له سِنة ولا نوم »[3] . وقال الطيبي : « الآية من باب التتميم ، وهو أبلغ من الترقي ، فاندرج في **(لا تأخذه سنةٌ)** انفتاء النوم بطريق الأولى ، ثم جيء بقوله **(ولا نومٌ)** تأكيداً للنوم المنفي ضِمناً ، ومثله: **(لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها)**[4]، فإنه إذا لم يغادر صغيرة ، لم يغادر كبيرة من باب أولى ، **(فلا تقل لهما أفٍ ، ولا تنهرهما)**[5] ، ولو كانت هذه الآيات من الترقي ، لقدّم النوم ، والكبيرة ، والنهر » .

وقال بعضهم : « عبرّ بقوله : (**لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ**) كناية عن أنه لا يغفل عن حقير ولا جليل ، من إطلاق المسبّب على السبب »[6] .

وقال ابن جرير : « المعنى : لا تحلّه الآفات والعاهات المذهلة عن حفظ المخلوقات ، أُقيم المذكور منها مقام الجميع ، كقوله : **(فلا تقل لهما أُفٍ ، ولا تنهرهما)** »[7] .

---

(١) أنوار الحقائق (٢٨٦) .

(٢) هو محمد بن علي البارنباري الملقب بطوير الليل ، تاج الدين ، فقيه ، منطقي ، أصولي ، توفي سنة ٧١٧هـ .

مفتاح السعادة (٢/٣٦٣) .

(٣) لم أجد هذا النص فيما اطلعت عليه من مراجع .

(٤) الكهف (٤٩) . (٥) الإسراء (٢٣) .

(٦) في البحر (٢/٢٧٧ - ٢٧٨) :

« والمعنى أنه تعالى لا يغفل عن دقيق ولا جليل ، عبرّبذلك عن الغفلة ، لأنه سببها ، فأطلق اسم السبب على المسبب » .

(٧) الموجود في جامع البيان (٥/٣٩٣) هو : « لا تحلّه الآفات ، ولا تناله العاهات » .



الزمخشري : « الجملة تأكيد لـ(القيوم) ، لأن من جاز عليه ذلك ، استحال أن يكون قيّوماً »[1]. (له ما في السموات ، وما في الأرض/٢٥٥) أي هما وما فيهما ، على حدّ : راكب الناقة طليحان[2]. وأتى بـ(ما) تغليباً للأكثر ، ولأن اختصاص الكل به ، من جهة المخلوقية ، وأعاد الضمير في (أيديهم/٢٥٥) وما بعده باعتبار العقلاء. (من علمهٌ/٢٥٥) أي معلومه ، لأن علم الله لا يَتَبَعَّض . (وَسِع/٢٥٥) قرئ بسكون السين ، على بقاء الفعلية ، وبالسكون وضم العين ، ورفع السموات[3]، اسم مبتدأ وخبر. (كرسيه/٢٥٥) قيل : هو العرش[4]. وقيل: دون العرش[5]. وفيه أحاديث[6]. وقيل: عِلمه ، قاله ابن عباس[7] وقيل : مُلْكه[8]،

---

(١) الكشاف (١/٣٨٤) .

(٢) أي هو والناقة - وهذا من كلام العرب كما في تاج العروس (فصل الطاء - باب الحاء) .

(٣) القراءة الأولى ذكرها أبو حيان (٢/٢٧٩) دون نسبة ، والقراءة الثانية وردت في بعض روايات يعقوب - كما في ابن خالويه (١٦) .

(٤) وهذا تفسير الحسن .
مدارك التنزيل للنسفي (١/١٦٩) ، ولباب التأويل للخازن (١/٢٧٠) .

(٥) روي عن السدي أن الكرسي بين يدي العرش . فتح الباري (٨/١٩٩) .

(٦) روى الخطيب في تاريخه عن ابن عباس قال :
« سئل النبي -ﷺ- عن قول الله : (وسع كرسيه السموات والأرض) ، قال : (كرسيه موضع قدمه ، والعرش لا يقدر قدره) .
الدر المنثور (١/٣٢٨) .
ورواه الحاكم موقوفاً على ابن عباس ، ولكن بلفظ (قدميه) بدلاً من (قدمه) ثم ذكر أنه صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .
المستدرك (٢/٢٨٢) .
وأخرج البيهقي عن أبي ذر ، قال : قلت : يا رسول الله ، أيما أنزل عليك أعظم ؟. قال -ﷺ-: آية الكرسي . ثم قال :
(يا أبا ذر ، ما السموات السبع مع الكرسي ، إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة) .
الأسماء والصفات (٢/١٤٩) .

(٧) حكى ذلك النسفي (١/١٦٩) ، والبغوي والخازن (١/٢٧٠) .
كما روي هذا القول عن ابن جبير بإسناد صحيح - (فتح الباري ٨/١٩٩) ولكن إسناد هذا القول إلى ابن =



تسمية المُلْك بمكان صاحبه . وقيل[1] : القصد به تصوير عظمة الله وكبريائه ، فخُوطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته ، بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم ، فأثبت لنفسه عرشاً ، ثم كُرسياً ، وما هو إلا تصوير لعظمته ، وتخييل لِرفعة شأنه ، ولا كرسي ثَمَّ ، ولا قعود .

الكشاف : «فإن قلت : كيف ترتَّبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف ؟

قلت : ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه ، والبيان متحد بالمبيّن ، فلو توسط بينهما عاطف ، لكان كما تقول العرب : بين العصا ولِحائها ، فالأولى - أي (**لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ**)- بيان لقيامه بتدبير الخلق ، وكونه مهيمناً عليه ، غير ساهٍ عنه ، والثانية (**ما في السموات**) لكونه مالِكاً لما يدبّره ، والثالثة (**من ذا الذي يشفع**) لكبرياء شأنه ، والرابعة (**يعلم ما بين**) لإحاطته بأحوال الخلق وعلِمه بالمرتضى منهن ، المستوجب للشفاعة من غيره ، والخامسة (**وسع**) لسعة علمه ، وتعلقه بالمعلومات كلها ، أو لجلاله وعظمه »[2] .

= عباس باطل - انظر تعليق محمود شاكر في حاشية تفسير الطبري (٥/٤٠١) - وخاصة أن سائر الروايات عن ابن عباس تدل على أن المراد بالكرسي هنا ، هو الكرسي المشهور مع العرش - على ما في الجامع للقرطبي (٣/٢٧٧) .

(٨) مدارك التنزيل (١/١٦٩٠) .

(١) هذا أحد الأوجه التي ذكرها الزمخشري في الكشاف (١/٣٨٥) .
وقال ابن كثير (١/٣١٠) : « والصحيح أن الكرسي غير العرش ، والعرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار والأخبار » .
وهذا قول القرطبي (٣/٢٧٨) بنحوه ، حيث قال : « والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش ، والعرش أعظم منه » .
وهو ما مال إليه الشوكاني (فتح القدير ١/٢٧٢) ، وكذا الألوسي (٣/٩) .
ويبدو لي أن القول بما رجحه هؤلاء العلماء الذين ذكرتهم ، هو الأرجح ، لما دلّت على ذلك الآثار والأخبار ، ولأنه لا داعي لصرف اللفظ إلى المجاز .

(٢) الكشاف (١/٣٨٦) .



وقال الأصبهاني : « يمكن أن يقال : مضمون الجملة الأولى -وهو (**الله لا إله إلا هو**)- محققة لمضمون الجملة الثانية ، لأن الذي يقدر أن يخلق ، هو الذي يستحق أن يعبده المخلوق ولا شيء بهذه الصفة ، إلا هو ، فيجب أن يكون موجوداً لا سبيل للفناء إليه ، وقائماً على كل شيء ، وهو قائم بذاته ، وهي (**الحي القيوم**) فهذه مؤكدة للأولى ، ولما كان حياً قيوماً ، لزم ألا تأخذه سنة ولا نوم ، وإلا لم يكن قيوماً ، فهذه الثالثة مؤكدة للثانية ، ولما كان بهذه الصفة ، وجب أن تكون السموات والأرض وما بينهما ملكاً له ، لا نزاع لشيءٍ في ذلك ، فهذه الرابعة مؤكدة لمضمون المجموع في الثالثة ، وإذا كان كذلك ، فلا شفاعة لأحد إلا بإذنه ، وإلا لتحقّق لشيء التصرف في بعض ما في السموات والأرض بوجه ، وإذا كان كذلك ، لزم أن يعلم ما قدَّموه من الأعمال ، وما أخَّروه ، ليكون إذنه في الشفاعة وعدم إذنه فيها ، من علم وحكمة . (**ولا يحيطون بشيءٍ من علمه**) من تمام ما هو المراد من هذه الجملة ، فعطفت عليها الجملة الأخرى ، وهي (**ولا يؤده حفظهما**) ليتم المراد منها ، ثم أُكِّدت بما يتبعه ، وهو (**وسع كرسيه**) ، فهذه الجمل كلها في حكم واحدة ، فعطف عليها الجملة الأخرى ، وهي (**ولا يؤده حفظهما**) ، لأنه لا يظهر مما مرّ أن هذه الأجسام العظام بالنسبة إليه في الحفظ ، كأدنى شيء ، وعطف (**وهو العلي العظيم**) ليعلم[1] أن علاه وعظمته ، غير منحصر على ما يفعله العاقل من الجملة المتقدمة ، بل تقصر العقول عنها ، فإنها إن لم تعطف ، تكن مؤكدة ومقررة للمتقدمة ، وليست كذلك ، بل مضمونها يشارك المتقدمة ببعض الوجوه ، ويفارقها بما لا يعلمه إلا الله » .

وقيل : (**الله لا إله إلا هو/٢٥٥**) تصريح بنفي الآلهة ، وإثبات الإله الحق على سبيل الإجمال ، وما بعده إلى آخر الآية ، إشارة إلى نفي إله كل طائفة من الكفار على التفصيل ، فقوله: (**الحي**) إشارة إلى إلهية الأصنام . (**القيوم**) إلى نفي إلهية

(١) كلمة « ليعلم » ليست في (أ) .



البشر . **(لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ)** زيادة بيان لنفي إلٰهية البشر ، **(له ما في السموات وما في الأرض)** إلى نفي إلٰهية الكواكب والملائكة والبشر أيضاً. **(من ذا الذي يشفع)** إلى نفي الآلهة التي يعبدونها ، لتكون شفعاءهم عند الله . **(يعلم ما بين)** برهان قاطع على إثبات وحدانيته في الإلٰهية. **(ولا يحيطون)** [برهان قاطع على[1] نفي إلٰهية الملك والبشر ، **(وسع كرسيه)**[2]] برهان قاطع على[3] إثبات وحدانيته في الإلٰهية ، ونفي إلٰهية غيره ، لأنه إنما يُستدل على الإلٰهية بالقدرة التامة والعلم .

(وهو العلي العظيم) زيادة إيضاح لبيان قدرته وعلمه. الطوفي: «ختم آية الكرسي بهذين الوصفين لما تضمنته من التوحيد ، وصفات الجلال ، ومن اتصف بذلك ، كان علياً في رتبته ، عظيماً في سلطانه ، ومملكته ». الماوردي : « الفرق بين **(العلي)** ، والعالي ، هو الموجود في محل العلو : والعلي هو المستحق للعلو ، وأن العالي هو الذي يجوز أن يُشارك ، والعلي هو الذي لا يجوز أن يُشارك »[4]. **(لا إكراهَ في الدين/٢٥٦)** قال القفال : « لما بيّن تعالى دلائل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للعذر ، قال بعد ذلك ، إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر ، إلا أن يُقسر على الإيمان ، ويُجبر عليه ، وذلك مما لا يجوز ، وإلا لبطل معنى التكليف والامتحان ، ولهذا قال : **(قد تبينَّ الرُشدُ من الغيِّ/٢٥٦)** يعني ظهرت الآيات ، ووضحت البينات ، وبان الهدى من الضلال ، والحق من الباطل »[5]. وقرىء **(الرشد)** بوزن «عنق» وبوزن «جبل»[6] ، و**(الرشاد)**[7] ،

---

(١) في (ب) : عن .

(٢) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) ، وإنما هو من (ب) .

(٣) كلمة « على » ليست في (ب) .

(٤) النكت والعيون (١/٢٧٢) بتصرف .

(٥) البحر (٢/٢٨١ - ٢٨٢) بتصرف .

(٦) هذه قراءة أبي عبد الرحمن ، ورويت أيضاً عن الشعبي والحسن ومجاهد ، والقراءة السابقة هي قراءة الحسن .
البحر (٢/٢٨٢) .

(٧) حكاها ابن عطية عن أبي عبد الرحمن السلمي . المحرر (٢/٣٨٩) .



وفيه طباق . (**فمن يكفر بالطاغوت ، ويؤمن بالله**) فيه طباقان ، و«الطاغوت» قيل : مصدر، وقيل: جمع. وقيل: يقع على المفرد والجمع ، وهو صفة مبالغة من الطغيان. الراغب: «[1] هو عبارة عن كل معبود من دون الله ، وزنه «فَعَلُوت» ، وقيل : «فلعوت» والأصل «طغووت» ، قُلِب لام الفعل قبل العين ، ثم قُلِب ألفاً لتحركه ، وانفتاح ما قبله »[2].

ابن عطية : « قدَّم ذِكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ، ليظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت »[3].

زاد أبوحيان : « ولأنه سابق على الإيمان بالله ، إذ الكفر بالطاغوت رفض عبادته ، ولاتصاله بلفظ (**الغي**) قبله »[4]. (**فقد استمسك بالعروة الوثقى/٢٥٦**) استعارة تمثيلية ، شبَّه المستمسك بالإيمان بالمستمسك في مهواة بعروة وثيقة يؤمن انفصامها ، أي انقطاعها .

الراغب : « **العُرْوَة** » ما يتعلق به من عُراه ، أي ناحيته »[5]. (لا انفصامَ) هو بالفاء ، انقطاع من غير بينونة ، وأما بالقاف فانقطاع مع بينونة[6] ، وعبرّ بالأول ، لأنه أبلغ في النفي. (**والله سميعٌ عليم**) مناسب لمضمون الآية ، لأن الإيمان والكفر مشتملان على قول لساني وعقد قلبي[7]. (**الله ولي/٢٥٧**) الآية ، فيه أربع طباقات . قيل: وكل ما في القرآن من الظلمات والنور ، فالمراد : الكفر والإيمان ، إلا قوله في آية الأنعام : (**وجعل الظلمات والنور/١**)، فالمراد حقيقتهما. وجمع (الظلمات) لاختلاف الضلالات ، ولهذا جمع أولياءهم . والإيمان واحد ، ومعبود

(١) في (أ) : فيه .

(٢) المفردات (٣٠٥) مادة : طغى - باختصار .

(٣) المحرر (٢/ ٣٩٠) .

(٤) البحر (٢/ ٢٨٢) بتصرف .

(٥) المفردات (٣٣٢) مادة : عرى .

(٦) البحر (٢/ ٢٨٣) ، والمحرر (٢/ ٣٩١) .

(٧) كلمة « قلبي » ليست في (ب) .

المؤمنين واحد ، وذِكر الإخراج من النور في جانب «الذين كفروا» ، إما مجاز بجعل المنع من الدخول فيه إخراجاً ، وإما حقيقة ، والمراد من كان مؤمناً بعيسى ، وكفر بمحمدٍ ، كما قال ابن عيسى .

وقرأ الحسن : (أولياؤهم الطواغيت)[1] [2] . وبدأ في جانب المؤمنين باسم الله ، وأخبر عنه بأنه ولِيهم تشريفاً لهم ، وبُدىء في جانب الكفار ، بوصفهم بالكفر نعياً عليهم ، ثم أخبر عنهم بأن أولياءهم الطاغوت ، ولم يُصدّر به استهانة به ، وأنه مما ينبغي ألا يُجعل مقابلاً لله وعكس الإخبار فيه ، فابتدأ بأوليائهم ، وجعل الطاغوت خبراً ، كأنه هو مجهول ، فأخبر به ، وجملة (يخرجهم/٢٥٧)، و(يخرجونهم/٢٥٧) في موقع التفسير للآية ، وقد وقع الكلام فيما تضمنته هذه الآية من أنواع البديع ، فاستخرجت منها مائة وعشرين نوعاً ، وأفردتها بتأليف . (ألم تر/٢٥٨) الأصبهاني : «ذكـر تعالى قصصاً ثلاثاً : الأولى : في بيان إثبات العلم بالصانع ، وهي مناظرة إبـراهيم مع ملك زمـانـه ، والثانية والثالثة : في إثبات الحشر والنشر ، وهما قصة الذي[3] مرّ على قرية ، وسؤال إبراهيم ربه : كيف يحيي الموتى »[4] .

قلت : وفيهـما تقـوية لما في مناظرة إبراهيم ، لأنه لما قال : (ربي الذي يحيي ويميت/٢٥٨) ، وادّعى فرد مثل ذلك ، ولم يأتِ بحقيقته ، ذكر تعالى قصتين وقع فيهما إحياء الموتى منه تعالى على سبيل الحقيقة مشاهداً ، فكأن الآية الأولى لبيان اتصاف الله بذلك ، والآيتان لبيان الحجة على ذلك .

أبو حيان : « لما ذكر تعالى أنه[5] ولي المؤمنين ، وولي الكافرين الطاغوت ، عقبه بمناظرة إبراهيم نمرود ، لما فيها من غَلبة إبراهيم ، إذَ[6] كان الله ولِيّه ، وانقطاع نمـرود إذ[7] كان ولِيّه الـطاغـوت (ألا إن حزب الله هم المفلحـون) »[8] [9] . (أن/٢٥٨) أي لأن .

---

(١) في (ب) : الطاغيث . (٢) البحـر (٢/٢٨٣) . (٣) في (أ) : التي . (٤)

(٥) « أنه » : ليست في (أ) . (٦+٧) في (ب) : إذا . (٨) المجـادلة .

(٩) البحـر (٢/٢٨٦) بتصرف .



(ربي الذي يحيي ويميت/٢٥٨) الإخبار بمثل هذا الصنع يفيد الاختصاص ، ولذا لم يأتِ مثله في كلام نمرود ، لأنه لم يقصده. (قال أنا أُحيي وأميت/٢٥٨) أي بالقتل والعفو عنه ، فلما رآه إبراهيم أحمق بليداً ، انتقل إلى حجة مسكتة لا يمكنه أن يدَّعِي فعلها . قيل : ولِبلادته لم يُذكر في القرآن باسمه ، وهو « نمرود » بخلاف « فرعون » . (فإنّ) الفاء دليل شرط محذوف ، أي إن زعمت ذلك ، أو موّهت به .
(فَبُهت) القراءة بالبناء للمفعول . وقرىء شاذاً بالبناء للفاعل ، على وزن ضرب[1] ، وعلِم[2] ، وحسُن[3] ، والثالثة أبلغ ، والأولى فعلها متعد فاعله ، ضمير (إبراهيم) .
(والله لا يهدي القوم الظالمين) إلى الحجة. قال الأصبهاني : « حذف المفعول ليفيد العموم ، فاختصر اللفظ ، إفادة لزيادة المعنى ، وهو من اللطائف القرآنية »[4]. (أو كَالذي مَرّ/٢٥٩) قيل : التقدير : أو لم ترَ إلى الذي مرّ ، والكاف زائدة[5]. وقيل : التقدير : أو رأيت مثل الذي مرّ ، فحذف : أرأيت لدلالة (ألم تر) عليه ، لأن كليهما كلِمتا تعجب وتنبيه[6] ، وإنما قدّر « رأيت » دون (ألم تر) لتعدِّيه بنفسه ، و(ألم تر) بإلى . ويجوز أن يُحمل على المعنى دون اللفظ ، كأنه قيل : أرأيت الذي حاجّ ، أو كالذي مرّ[7] ، ونظيره : (قل لمن الأرضُ ومن فيها إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله)[8] ، ثم قال : (من ربُّ السموات السبع ، وربُّ العرش العظيم ،

(١) أي بفتح الباء والهاء ، وهي قراءة ابن السميفع . البحر (٢/ ٢٨٩) ، وابن خالويه (١٦) .
(٢) وذلك بفتح الباء ، وكسر الهاء ، كما حكاها الأخفش - على ما ذكر أبو حيان (٢/ ٢٨٩) ، والسمين (٢/ ٥٥٥) ، ولم أعثر في معاني القرآن للأخفش (١/ ١٨٢) إلا على « بهَت » و« بهِت » .
(٣) أي بفتح الباء وضم الهاء ، وقد قرأ بذلك أبو حيوة . البحر (٢/ ٢٨٩) .
(٤)
(٥) هذا قول الأخفش (معاني القرآن ١/ ١٨٢) ، وهو ما ضعفّه السمين (٢/ ٥٥٧) ، لأن الأصل عدم الزيادة .
(٦) وهو ما نحا إليه الزمخشري (١/ ٣٨٩) ، وأبو البقاء (الإملاء ١/ ١٠٩) .
واستحسنه أبو حيان البحر (٢/ ٢٩٠) .
(٧) وهذا تقدير الكسائي ، والفراء ، ومكي ، وهو ما جوّزه الزمخشري .
معاني القرآن للفراء (١/ ١٧٠) ، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٠٨) ، والكشاف (١/ ٣٨٩) ، والدر المصون (٢/ ٥٥٦) .
(٨) المؤمنون (٨٤ ، ٨٥) .



سيقولون لله)[1]، فهذا عطف على المعنى، لأن معناه: لمن السموات. وقال أبو حيان: «المحوجِ إلى هذه التأويلات، اعتقاد أن الكاف على حرفيتها، وإنما هي هنا اسم بمعنى مثل، مجرورة بالعطف على (الذي)»[2].

وقرىء بفتح الواو عاطفة، والهمزة للتقرير[3]. (**على قريةٍ**) إلى آخره، أُريد بالقرية أولاً حقيقتها. والإحياء والإماتة، قيل: مجازان عن العمارة والخراب. وقيل: حقيقتان على تقدير: أهل هذه. أو لا تقدير، على الاستخدام. (**ثم بعثه**) الإمام: «لم يقل (**ثم أحياه**)، لأن (**بعثه**) يدل على أنه عاد كما كان أولاً حياً عاقلاً فاهماً مستعداً للنظر والاستدلال»[4]. (**كم لبِثتَ/ ٢٥٩**) المقصود من هذا السؤال التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق. (**لم يتَسَنَّه**) قرىء بإثبات الهاء وصلاً، وحذفها[5]، أي لم يتغيّر بمرّ السنين، وضميره للشراب، لأنه أقرب اللفظين. واكتفى بذكره عن الآخر. وقرىء (**لم يَسَّنَّه**) بإدغام التاء في السين، وقرىء [(**بدله لمائة سنة**)][6]. (**ولِنجعلَك/ ٢٥٩**) قيل: الواو زائدة. وقيل: عاطفة على تقدير: وعليهما، فاللام تعليل لمحذوف، أي أريناك [**ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك**[7]. (**نُنْشِرُها**)[8]] بالراء من نشر، وهو الإحياء، وبالزاي[9] من نشز، وأنشز، من

---

(١) المؤمنون (٨٦، ٨٧).

(٢) البحر (٢/ ٢٩٠) بتصرف.

(٣) قرأ بذلك أبو سفيان بن الحسين.
البحر (٢/ ٢٩٠)، والدر المصون (٢/ ٥٥٥).

(٤) التفسير الكبير (٤/ ٣٥).

(٥) والقراءة بحذف الهاء هي قراءة حمزة والكسائي، والقراءة بإثباتها هي قراءة البقية. السبعة (١٨٨)، وحجة القراءات (١٤٢ - ١٤٣).

(٦) هذه قراءة طلحة بن مصرف، والقراءة السابقة هي قراءة أبيّ. البحر (٢/ ٢٩٢).

(٧) انظر البحر (٢/ ٢٩٣)، والدر المصون (٢/ ٥٦٥).

(٨) ما بين القوسين ليس موجوداً في (ب).

(٩) القراءة بالراء هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، والقراءة بالزاي هي قراءة البقية. حجة القراءات (١٤٤).



النشـوز ، وهو التحريك والارتفاع ، أي نحركها ونرفعها فنردها إلى مواضعها من الجسد ، ونركِّب بعضها على بعض .

وقرأ أُبيّ (نُنْشِيها)[1] . (**ثم نكسوها**) استعارة لما غطَّى العظم من اللحم ، وأصله لما وارى الجسد من الثياب . (**تبيّن**) قرئ بالبناء للمفعول ، وقرئ (**بيّن**) كذلك[2] . (**أعلَمُ**) بصيغة المضارع ، فضمير (**قال**) للذي مرّ ، وبصيغة الأمر[3] ، فضمير (**قال**) لله ، والختم بالقدرة مناسب لإحياء الميت . (**وإذ قال إبراهيمُ/ ٢٦٠**) قيل : بتقدير: واذكر. وقيل: عطف على (**ألم ترَ إلى الذي حَاجَّ/٢٥٨**) لأنه في تقدير : ألم ترَ إذ حاجَّ[4] .(**قـالَ أَوَلـم تُؤمِن/ ٢٦٠**) سأله مع علمه أنه أثبت الناس إيماناً ، ليجيب بما أجاب به ، لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين . (**ولكن ليطمئن**) أي سألت ذلك ليطمئن . (**فَصُـرْهُنَّ/ ٢٦٠**) بضم الصاد ، أي أملهن ، وكسرها[5] ، أي قطِّعنهن . وقيل : هما لغتان بمعنى المَيل[6] . وقرئ (**فصرهن**) بفتح الصاد وكسر الراء المشددة من صرّى ، يصرّي ، بمعنى الحبس ، وبكسر الصاد وضمها مع فتح الراء المشددة[7] من صرّه ، يصرّه ، المضموم من الصرّ بمعنى

---

(١) البحـر (٢/ ٢٩٤) .

(٢) هذه قراءة ابن السميفع ، والقراءة السابقة هي قراءة ابن عباس . البحـر (٢/ ٢٩٥) .

(٣) القراءة بصيغة الأمر هي قراءة حمزة والكسائي . والقراءة بصيغة المضارع هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٤٤ - ١٤٥).

(٤) ذكر أبو حيان هذين التقديرين ، واستظهر أن يكون العامل في « إذ » قوله : (قال أولم تؤمن) . البحـر (٢/ ٢٩٧) ، وانظر الدر المصون (٢/ ٥٧٢) .

(٥) هذه قراءة حمزة ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجـة القـراءات (١٤٥) .

(٦) انـظر الحجـة للفارسي (٢/ ٣٨٩ - ٣٩٢) ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٨٠) ، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٧٤) ، وزاد المسير (١/ ٣١٥) ، ومدارك التنزيل (١/ ١٧٥) ، والعمدة لمكي (٩٣) .
وقـد استصوب الطبري (٥/ ٤٩٩ - ٥٠١) قول نحويي البصرة ، الذين قالوا إن المعنى هنا هو « التقطيع » ، سواء ضمت الصاد أو كسرت .

(٧) القراءات المذكورة هنا في (فصرهن) ذكرها أبو حيان عن ابن عباس ، وذكر أيضاً أن القراءة الأولى رويت أيضاً عن عكرمة .
البحـر (٢/ ٣٠٠) .



الشك ، والمكسور من الصرير ، وهو الصوت ، أي صح بهن . وقد ورد عن ابن عباس التفسير بقطّعهنّ ، وأوثقهنّ ، فكأنه تفسير على القراءتين ، وعنه أيضاً ، أنها بالنبطية[1] . وقال وهب[2] : بالرومية[3] . **(إليك)**[4] متعلق بمحذوفٍ إن فُسِرّ الفعل بقطعهن ، وبِصَرِّهِنَّ إن فُسِّر بأملهن ، ويقدر بعده : ثم قطعهن . الكشاف : « إنما أمر بضمها إليه ليتأملها ، ويعرف أشكالها وهيآتها[5] ، لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ، ولا يتوهَّم أنها غير تلك »[6] . الكرماني : «خص الطير ، لأنه جامع لخواص الحيوان ، ولو كان غيره ، لنفى خاصة الطيران ، وخصّ **(أربعةً/٢٦٠)** لتكون جامعة للطبائع الأربعة ، لأن كل واحد منها مخصوص بطبع وذلك أبلغ في القدرة ، وعدّد الأَجْبُل إشارة إلى نواحي الدنيا ، ومهاب الرياح »[7] . الطوفي : « فاصلة الآية مناسبة لها ، لأن إحياء الطير بعد تفريق أجزائها أمر عظيم خارق ، لابد فيه من عزة وقوة واقتدار وحكمة » . قال : «فإن قيل : إحياء القرية والمارّ بها ، وحماره كذلك ، فهلا فصلت آيته بها فصلت به هذه من العزة والحكمة ؟ .

فالجواب : أن المارّ على القرية استبعد إحياءها في القدرة ، بدليل قوله : **(أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها/٢٥٩)** ، وذلك يقرب أن يكون شاكّاً في القدرة ، فقدّر تعالى له عظيم قدرته ، بخلاف إبراهيم ، فإنه لم يشك في القدرة ولا استبعده ، فاختلفت الفاصلتان » . **(مَثَل الذين يُنفقون/٢٦١)** الآية ، قيل : في كيفية النظم ،

---

(١) انظر في ذلك كله البحر (٢/٣٠٠) ، والمحرر (٢/٤٢٢) ، والجامع للقرطبي (٣/٣٠١) ، وتفسير القرآن العظيم (١/٣١٥) .

(٢) ابن منبه من أبناء فارس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، وأمه من حمير ، وكان كثير الأخبار عن الكتب القديمة ، توفي سنة ١١٤هـ .
ذيل المذيل (٩٥) .

(٣) أخرجه عبد بن حميد ، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١/٣٣٥) .

(٤) في (أ) : أولئك .

(٥) في (ب) : وهيئتها .

(٦) الكشاف (١/٣٩٢) .

(٧) العجائب (١/٢٢٩ - ٢٣٠) .



أنه تعالى لما أجمل في قوله: (**من ذا الذي يُقرضُ الله قرضاً حسناً ، فُيضاعفه له أضعافاً كثيرةً/٢٤٥**) فصّل بعد ذلك بهذه الآيات تلك الأضعاف ، وإنما ذكر بين الآيتين الأدلة على قدرته بالإحياء والإماتة ، من حيث لولا ذلك ، لم يحسن التكليف بالإنفاق ، لأنه لولا وجود الإله المثيب المعاقب ، لكان الإنفاق عبثاً . وقال الطيبي : « اعلم أن للبلغاء فناءً يذهبون إليه ، دقيق المسلك ، لطيف المغزى ، وهو أنهم إذا شرعوا في حديث ذي شجون ، له شُعَب وفنون شتى ، ولهم اعتناء بنوع منها أكثر من الآخر ، فحيث وجدوا له مجالاً -كيف ما كان- أوردوه ، والله -جلّ[1] سلطانه- حين فرغ من بيان الأحكام ، وشرع في القصص ، تحريضاً على الجهاد ، وحثاً على الإنفاق في سبيله ، إشادةً للدين ، وقمعاً للملحدين ، قال : (**وقاتلوا في سبيل الله/٢٤٤**) الآية ، ثم قال : (**من ذا الذي يقرض الله/٢٤٥**) لما كان الإنفاق هو العمدة في الجهاد ، كرَّر ذكره مراراً ، وذلك أنه لما قصّ حديث طالوت وجالوت ، ونُبَذاً من أحوال الأنبياء ، تقريراً للجهاد ، تأسيًّا بهم ، كرّ إلى حديث الإنفاق بقوله: (**يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم/٢٥٤**) الآية ، ثم أتى بوصف ذاته المقدسة ، وبقصة خليله ، وكرّ راجعاً إلى قصة الإنفاق بهذه الآية ، ثم لما استوفى حقه من البيان ، ختم السورة بخاتمة سَنِية ، وما ذاك إلا لأن للإنفاق عند الله خَطْباً جليلاً ، وخطراً عظيماً » انتهى .

وفي الآية احتباك ، لأنه حذف من الأول «نفقات» نظير «حبة» في الثاني ، ومن الثاني «زارع» نظير (**الذين**) في الأول. وقال هنا: (**سبعَ سَنابِلَ/٢٦١**) ، وفي يوسف (**وسبعُ سُنبلاتٍ/٤٣**) ، استعمالاً للجمعين ، قاله الزمخشري[2]. وحسّن جمع التصحيح هنا ، مجاورة (**سبعَ بقراتٍ/٤٣**). (**مائةَ**) قرىء بالنصب[3]، على تقدير : أنبتَتْ ، أو أخرجت[4]، أو بدلاً من (**سبعَ سنابلَ**) ، بدل بعض من كل ، أو

(١) في (أ) : جعل .　　(٢) انظر الكشاف (٣٩٣/١) .

(٣) البحر (٣٠٥/٢) ، وابن خالويه (١٦) دون نسبة .

(٤) هذان التقديران قالهما أبو البقاء ، والأول منهما هو تقدير ابن عطية . الإملاء (١١١/١) ، والمحرر (٤٢٧/٢) .



اشتمال[١] . ﴿والله واسعٌ/٢٦١﴾ غني بتلك الأضعاف ، جواد لا ينقصه ما يتفضلً به ، عليمٌ بمن ينفق في سبيله[٢] ، وبمن يستحق المضاعفة .

﴿الذين ينفقون﴾ هذه الآية لبيان شرط اعتبار النفقة ، التي وعد عليها بالمضاعفة . ﴿ثُم لا يُتْبِعونَ﴾ معنى ﴿ثُم﴾ تراخي الرتبة ، وإظهار التفاوت بين الإنفاق ، وترك المَن والأذى ، وأن تركهما خير من نفس الإنفاق ، كما جعل الاستقامة على الإيمان ، خيراً من الدخول فيه ، بقوله : ﴿ثم استقاموا﴾[٣] . [﴿مناً ولا أذىً/٢٦٢﴾ تكرير لإفادة أن انتفاء كل منهما ، شرط لحصول الأجر][٤] ﴿لهم﴾ لم تدخل الفاء في خبر ﴿الذين﴾ ، إشارة إلى أن أجرهم عند ربهم ، إنما هو على سبيل التفضّل ، لا بإيجاب الإنفاق . [﴿والله غنيٌ/٢٦٣﴾ عن صدَقات العباد . ﴿حليمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المانِّ والمؤذي][٥] . ﴿يأيها الذين آمنوا/٢٦٤﴾ الآية ضرب فيها مثلاً للمانِّ . والمؤذي ، ثم في التي بعدها مثلاً لضده . وقوله : ﴿لا يقدرون﴾ قيل : عائد إلى قوله : ﴿كالذي ينفق﴾ باعتبار المعنى . وقيل : إلى قوله : ﴿لا تبطلوا صدقاتكم/٢٦٤﴾ على طريقة الالتفات ، والتقدير : فإنكم إذا فعلتم ذلك ، لم تقدروا على شيءٍ مما كسبتم[٦] .

وأقول : عندي أن المَثَل في الآية راجع إلى الذي ينفق ماله رئاء الناس ، وهو غير مؤمن ، فعمله في الظاهر بِرّ ، وفي الحقيقة بخلافه ، كما أن الصفوان عليه تراب في رأي العين متصل به ، وفي الحقيقة منفصل عنه ، فإذا جاء المطر وأذهبه ، صار أجردَ نقياً منه ، كذلك المرائي الكافر ، إذا جاءه الحساب ، عارياً من الفاقة

---

(١) الإملاء (١/١١١) ، والبحر (٢/٣٠٥) ، والدر المصون (٢/٥٨٢) .

(٢) في (ب) : سبيل الله .

(٣) وذلك في قوله تعالى :
﴿إن الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة . . .﴾ فصلت (٣٠) .
وقوله تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ الأحقاف (١٣) .
قلت : التعبير الأصوب أن يقال : . . . خيرا من مجرد الدخول فيه .

(٤+٥) ما بين القوسين ليس في (ب) .

(٦) انظر البحر (٢/٣١٠) .

=



بالكلية ، والدليل على ما قلته ، أن قوله : (**فَمَثَلُهُ/٢٦٤**) بضمير الإفراد ، فهو عائد إلى أقرب مذكور ، وهو الذي ينفق ، وهو مفرد ، ثم أعاده في (**لا يقدرون/٢٦٤**) باعتبار المعنى ، ثم ختم الآية بقوله: (**والله لا يهدي القوم الكافرين/٢٦٤**) . قال أبو حيان: « وفيه ترجيح لمن قال إن ضرب المثل عائد على الكافر »[1]، ثم ضرب في الآية الثانية مثلاً للذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ، وذلك ضد المنفق رياءً ، لا ضد المانّ والمؤذي ، وهذا كله استطراد ، جرّ إليه التنظير بنفقة المرائي . ثم ضرب في الآية الثالثة مثلاً للمانّ والمؤذي . قال الأصبهاني: « في قوله (**أَيودُّ أَحَدُكُم/٢٦٦**) الآية هذه متصلة بقوله: (**لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى/١٦٤**) الآية ، فإنه ضرب مَثَل له »[2] .

قلت : ولذلك جاء بلفظ الخطاب على نمط الخطاب في (**لا تبطلوا صدقاتكم**) ، والمَثَلان المعترضان بلفظ الغيبة على نمطها في (**كالذي/٢٦٤**) .

الراغب : « الصفوان كالصفا ، الواحدة صفوانة »[3] . الكرماني : « هو الحجر الصافي من الرمل »[4] قال الكسائي : « مفرد جمعه صفوان بالكسر »[5]. ابن جني : « قرأ الزهري بفتح الفاء »[6] . ابن جماعة : « قال هنا: (**لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا/٢٦٤**) ، وفي سورة إبراهيم : (**لا يقدرون مما كسبوا على شيءٍ/١٨**) ، لأن المَثَل هنا للعامل ، فكان تقديم نفي قدرته وصلتها ، لأن (على) من صلة القدرة ، وهناك للعمل ، لقوله: (**مَثَلُ الذين كفروا أعمالُهم كرمادٍ/١٨**) ، تقديره: مثل أعمال الذين ، فكان تقديم نفي (**مما كسبوا/١٨**) أنسب »[7]. (**ومَثَل الذين/٢٦٥**) الآية ، أبوحيان : « لما ضرب مثل المنفق رئاءَ الناس ، وهو غير مؤمن ، ضرب مثل

(١) انظر البحر (٢ / ٣١٠) .
(٢)
(٣) المفردات (٢٨٤) مادة : صفو .
(٤) العجائب (١/٢٣١) .
(٥) المرجع السابق .
(٦) المحتسب (١/١٣٧ - ١٣٨) .
(٧) كشف المعاني (٦٧) .



هذه ، ليظهر للسامع تفاوت ما بين الضدّين ، وهذا من بديع أساليب فصاحة القرآن ، ولما وصف الأول بوصفين[1] ، قابل ذلك هنا بوصفين ، فقوله: **(ابتغاءَ مرضاتِ الله/٢٦٥)** مقابل لقوله: **(رئاءَ الناس/٢٦٤)** ، وقوله: **(وتثبيتاً من أنفسهم/٢٦٥)** مقابل لقوله: **(ولا يؤمن بالله واليوم الآخر/٢٦٤)** ، لأن[2] المراد بالتثبيت توطين النفس على المحافظة عليه وترك ما يفسده ، ورجاء ثوابه[3] ، ولا يكون إلا عن يقين بالآخرة »[4] . وفي الآية احتباك على قياس ما تقدم . **(كمَثَلِ جَنةٍ/٢٦٥)** قرىء بالحاء والباء[5] . **(بِرَبْوَةٍ)** الأصبهاني: «الربوة: المكان المرتفع المستوى ، الذي تجري فيه الأنهار ، فلا يعلوه الماء ، ولا يعلو على الماء . وخصّها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمراً »[6] .

والقراءة بضم الراء وفتحها[7] . وقرأ ابن عباس بكسرها[8] . وقرىء **(برباوة)** بفتح الراء وكسرها[9] . **(أصابها وابِلٌ/٢٦٥)** قال أبوحيان : «لم يعطف بالفاء ، وعطف بها في قوله: **(كمَثل صفوانٍ عليه ترابٌ ، فأصابه وابِلٌ/٢٦٤)** ، فلينظر ما الفرق بين الموضعين »[10] .

قال شيخنا الإمام تقي الدين الشمني في حاشيته على مغني اللبيب ، في الكلام على أن الفاء تدخل في الصفات ، لتدل على ترتيب معانيها في الوجود : « دخلت الفاء في الصفة الثانية في الآية[11] الأولى ، لأن ترتيبها في الممثل به على الصفة

(١) في (أ) : موضعين .

(٢) في (أ) : كان .

(٣) عبارة « ورجاء ثوابه » ليست في البحر ، وإنما هي من النسختين .

(٤) البحر (٢/٣١٠) .

(٥) عن عاصم الجحدري . البحر (٢/٣١١) .

(٦)

(٧) القراءة بالفتح هي قراءة ابن عامر وعاصم . والقراءة بالضم هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٤٦) .

(٨) البحر (٢/٣١٢) .

(٩) قراءة الكسر هي قراءة أبو الأشهب العقيلي ، وقراءة الفتح هي قراءة أبي جعفر ، وأبي عبد الرحمن . البحر (٢/٣١٢) .

(١٠) البحر (٢/٣١٢) بتصرف .

(١١) كلمة « الآية » : ليست في (ب) .



الأولى ، وهي (**عليه ترابٌ**) متعينٌ ، لأن الممثل به صفوان أصاب التراب الذي عليه وابِل ، فأذهبه بخلاف الآية الثانية ، حيث لم تدخل فيها الفاء في الصفة الثانية ، (لعدم تعين ترتبها في الممثل به على الصفة الثانية)[١] ، وهي (**بربوةٍ**/٢٦٥) » قال : «وفرق آخر بين الآيتين ، وهي أن الصفة الأولى في الآية الثانية ثابتة ، والصفة الثانية عارضة ، ومعلوم أن الثابتة مترتبة في الوجود على العارضة ، فلا حاجة إلى ما يدل على ترتبها ، بخلاف الصفتين في الآية الأولى ، فإنهما عارضتان ، والثانية مترتبة على الأولى ، فلابد مما يدل على ترتبها ، وهو الفاء »[٢] انتهى. والوابل : المطر الثقيل ، والطّل : أضعفه ، وهو ما له أثر قليل . قال ابن الجوزي[٣] : «معنى الآية : أن صاحب هذه الجنة لا يخيب ، فإنها إن أصابها الطل حسنت ، وإن أصابها الوابل أضعفت، فكـذلك نفقة المؤمن المخلص »[٤] . (**والله بما تعملونَ بصيرٌ**/٢٦٥) فيه التفات . وقرىء بالغيبة[٥] . قال الطوفي : « والختم به مناسب لمضمون الآية ، أي بصير بعملكم الخالص من المشوب ، فيجازي على كل ». قال أبوحيان : « ففيه وعـد ووعيد »[٦] . (**جنةٌ من نخيلٍ وأعنابٍ**/٢٦٦) خصهما بالذكر ، لأنهما أكرم الشجر وأكثرها منافع . فجعل الجنة منهما ، وإن كانت محتوية على سائر الأشجار ، تغليباً لهما على غيرهما ، ثم أردفهما بذكر (**كل الثمرات**) ، ووصفها بجريان الأنهار من تحتها ، ولا يمكن الزيادة على هذا في حسن الجنة ، ثم شرع في بيان شدة حاجة مالكهـا إليهـا ، من كونه كبيراً عاجزاً عن الاكتساب ، وكثرت جهات حاجاته ، بحيث احتياجه إلى مؤنه ومؤن من يقوم بخدمته ، وتحصيل مصالحه ، وزيادة على

---

(١) ما بين القوسين ليس موجودا في (ب) .

(٢)

(٣) هو أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي الجوزي القرشي البغدادي ، كان علامة في التاريخ والحديث ، كثير التصانيف ، من مؤلفاته : « زاد المسير في علم التفسير » ، و« فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ». توفي سنة ٥٩٧هـ .

البداية والنهاية (١٣/٢٨) ، ومرآة الزمان (٨/٤٨١) .

(٤) زاد المسير (١/٣١٩ - ٣٢٠) .

(٥) وهي قراءة الزهري . البحر (٢/٣١٣) .

(٦) البحـــر (٢/٣١٣) .



ذلك أن له ذرية تحتاج إلى ما يقوم بهم ، وهم ضعفاء عاجزون ، لا يُنتفع بهم في دفع حاجتهم ، فضلاً عن حاجة أبيهم ، وقرىء (جنات)[1]. أبوحيان: «حيث وقع في القرآن ذِكر هذا ، نص على النخيل دون الثمرة ، وعلى ثمرة الكَرْم دون الكَرْم ، لأن أعظم منافع الكَرْم ، هو ثمرته دون أصله ، والنخل كله منافع ، ثمرته وخشبه وجريده ولِيفه وخُوصه وسائر ما يشتمل عليه »[2]. (له فيها من كل الثمرات/٢٦٦) فيه حذف الموصول ، أي رزق أو ثمر من كل . (وأصابه الكِبَر/٢٦٦) أبوحيان: «في لفظ الإصابة معنى التأثير ، فهو أبلغ من « وكَبُر »[3]. (ضُعَفَاءُ) قرىء (ضعاف)[4]. (إعصارٌ/٢٦٦) ريح تثير الغبار ، (فيه) ذكَّر الضمير ، لأن الإعصار مذكَّر من سائر أسماء[5] الرياح. وحاصل المَثَل أن نفقة المانِّ والمؤذي شبيهة بالجنة المذكورة ، من حيث إن صاحبها ، يفقدها في الآخرة ، أحوج ما يكون إليها ، كما فقد صاحب الجنة جنته ، وهو أحوج ما يكون إليها . وفي التشبيه بالجنة دون غيرها مناسبة حسنة ، لأن الذي يفقده المانُّ والمؤذي من نفقته ، إنما هو ثوابها ، وهو الجنة ، وفي ذكر أن هلاكها بنار أحرقتها مناسبة أيضاً ، لأن مقابل الجنة في الآخرة النار ، وهي جزاء المنّ والأذى . ابن أبي الإصبع : « في الآية من فنون البديع الاستقصاء ، وهو أنَ يتناول المتكلِّم معنىً ، فيستقصيه ، فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية ، بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالاً ، وبيانه هنا ، أنه سبحانه لو اقتصر على قوله (جنةٌ) ، كان كافياً ، فلم يقف عند ذلك حتى قال في تفسيرها (من نخيلٍ وأعنابٍ) ، فإن مُصابَ صاحبها بها

---

(١) عن الحسن . البحر (٢/٣١٤) .

(٢) البحر (٢/٣١٤) .
إلا أن فيه : « .... والنخيل كله منافع عظيمة توازي منفعة ثمرته ، من خشبه وجريده وليفه وخوصه وسائر ما يشتمل عليه ....» .

(٣) البحر (٢/٣١٤) .

(٤) البحر (٢/٣١٤) ، والدر المصون (٢/٥٩٨) دون نسبة .

(٥) كلمة « أسماء » ليست في (ب) .



أعظم ، ثم زاد (تجري من تحتها الأنهار) متمِّماً لوصفها بذلك ، ثم كمَّل وصفها بعد التتميمين ، فقال : (**له فيها من كل الثمرات**) ، فأتى بكل ما يكون في الجنات ، ليشتد الأسف على إفسادها ، ثم قال في وصف صاحبها (**وأصابه الكِبَرُ**) ، ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله -بعد وصفه بالكبر- : (**وله ذُريةٌ**) ، ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعفاء ، ثم ذكر استئصال الجنة التي ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك في أسرع وقت ، حيث قال: (**فأصابها إعصارٌ**) ، ولم يقتصر على ذِكره ، للعلم بأنه لا تحصل به سرعة الهلاك ، فقال (**فيه نارٌ**) ، ثم لم يقف عند ذلك ، حتى أخبر باحتراقها ، لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفِي باحتراقها ، لما فيها من الأنهار ، ورطوبة الأشجار ، فاحترز عن هذا الاحتمال بقوله (**فاحترقت**) ، فهذا أحسن استقصاء وقع على كلام وأتمَّه وأكمله »[1] . (**يأيها الذين آمنوا أنفقوا/٢٦٧**) الآية ، لما أثنى تعالى على الإنفاق ، ووعد عليه بالمضاعفة ، شرط في اعتباره فَقْدَ المَنّ والأذى ، ثم نهى عنه تأكيداً للتحذير منه ، وضرب له مَثَلاً ، وخلّل في ضمن ذلك تنظيره بالرياء ، وضرب له ولضده مَثَلَين ، وتضمَّن ذلك شرطاً ثانياً في اعتبار الإنفاق ، وهو أن يكون خالصاً لوجه الله عارياً من الرياء ، أردف ذلك بشرط ثالث في اعتباره ، وهو أن يكون من طيب مال المنفق ، ثم حذَّر في الآية بعده من وسوسة الشيطان وتثبيطه عن[2] الإنفاق ، بوعده الفقر ، وختم الآية الأولى بقوله: (**غَنيٌّ**) يناسب النهي عن الخبيث ، وقوله: (**حميدٌ**) يناسب الإنفاق من الطيِّب ، والثانية بقوله: (**واسعٌ/٢٦٨**) يناسب وعد المغفرة والفضل ، ومطابق لوعد الشيطان الفقر ، الذي هو تضييق منه ، وقوله: (**عليمٌ/٢٦٨**) يناسب وسوسة الشيطان ، وإلقاءه في القلب الأمر بالبخل . الراغب : «تخصيص الأمر بالإنفاق بالمكتسب دون الموروث مثلاً ، لأن الإنسان بما يكسبه أضنُّ مما يرثه ، فإن الموروث معقول من فحواه »[3] . وقرىء (**تيمموا/٢٦٧**)

---

(١) بديع القرآن (٢٤٧ ، ٢٤٩ - ٢٥٠) بتصرف .

(٢) في (ب) : على .   (٣) البحر (٢/٣١٦ - ٣١٧) .



بضم أوله من يمم ، وقرىء (تأمموا) بالهمزة[١] ، وتَيَمَّم ، ويَمَّم ، وتأمم ، الثلاث بمعنى قصد . وقال الخليل[٢] :

« أَمَّتُه : قصدتُ أَمامَه ، ويَمَّمْتُهُ : قصدتُه من أي جهة كان »[٣] . والإغماض : التساهل والتغافل .

وقرىء (تغمضوا/٢١٧) بتشديد الميم مكسورة ، من غمّض ، لغة في أغمض[٤] ، ومفتوحة[٥] وقرىء بفتح التاء ، وضم الميم[٦] ، وبضم التاء ، وفتح الميم مخففة[٧] ، أي تحملوا على التغافل عنه ، والمسامحة فيه . وقرىء (الغفر) بضم الفاء ، لغة ، وقرىء بفتحتين[٨] . (ويُؤتِ الحكمةَ/٢٦٩) الأصبهاني : « لما ذكر في الآية قبله أن الشيطان يعِد بالفقر ، ويأمر بالبخل ، وأن الله يعِد بالمغفرة والفضل ، نبّه على أن الأمر الذي لأجله وجب ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان ، أن وعد الرحمن يرجحه الحكمة والعقل ، ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والهوى ، من حيث إنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة ، ويعرضان عن النظر في عواقب الأمور »[٩] .

---

(١) هذه قراءة عبد الله بن مسعود ، والقراءة السابقة هي قراءة ابن عباس ، والزهري ، ومسلم بن جندب . البحر (٢/٣١٨) ، والدر المصون (٢/٦٠٠) .

(٢) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، ولد ومات في البصرة ، له كتاب « العين » في اللغة ، و« العروض » . توفي سنة ١٧٠هـ . إنباه الرواة (١/٣٤١) ، والجاسوس على القاموس (٢٢) ، والفهرس التمهيدي (٢٣٩) ، ونزهة الجليس (١/٨٠) .

(٣) البحـر (٢/٣١٥) .

(٤) قرأ بذلك الزهري . البحر (٢/٣١٨) ، وابن خالويه (١٦) .

(٥) وهي قراءة الحسن . البحر (٢/٣١٩) ، والدر المصون (٢/٦٠٣ - ٦٠٤) .

(٦) عن اليزيدي . البحر (٢/٣١٩) ، والإملاء (١/١١٤) .

(٧) قرأ بذلك قتادة . البحر (٢/٣١٩) ، والإملاء (١/١١٤) .

(٨) البحر (٢/٣١٩) دون نسبة ، وأما القراءة السابقة فقد ذكر صاحب البحر أن أبا حيوة رواها عن رجل من أهل الرباط .
المرجع السابق .
ونسبها ابن خالويه (١٧) إلى عيسى بن عمر .
وانظر الدر المصون (٢/٦٠٤) .

(٩)



قلت : وعندي أن يقال : إن إدخال هذه الآية في خَلَل آيات الإنفاق ، كإدخال (**حافظوا على الصلوات**)[1] في خَلَل آيات العدة ، تنبيهاً على الاهتمام ، وذلك لأن الحكمة ، هي العلم النافع المؤدي إلى العمل ، فكأنه تعالى يقول : لا يلهينكم أمر الإنفاق عن النظر في العلم والعمل به ، فإن المنفق بلا علم ، قد يضع الشيء في غير مواضعه ، فحثَّ على العلم ، ثم عاد إلى ذكر الإنفاق .

وأحسن من هذا أنه لما ذكر وعد الشيطان ووعد الرحمن ، كأنه قال : ومِثل[2] هذا لا يدركه ، ويعرف مغزاه ، ويميز بين المشتبه منه ، إلا من آتاه الله الحكمة ، وألهمه العلم ، ولذا ختم بقوله: (**وما يذَّكر إلا أُولوا الألباب/ ٢٦٩**). وقرأ يعقوب (**ومن يؤت/ ٢٦٩**) بكسر التاء[3] ، وضميره لله ، والمفعول الأول محذوف . وقرىء (**تؤتي الحكمة من تشاء**)[4] بالخطاب في الفعلين ، التفاتاً . وقرىء (**ومن يؤته**)[5] بإثبات الضمير ، وهو المفعول الأول ، وذكر الحكمة ثانياً بلفظ الظاهر ، لكونها في جملة أخرى وللاعتناء بها ، والتنبيه على شرفها .

قال الزمخشري : « وتنكير خير للتعظيم »[6]، ولما كانت هذه الآيات كلها في أحكام النفقة الواجبة شرعاً ، المنحصرة في نفقة الجهاد والزكاة ، اللذين[7] ذُكر في كل منهما ، آية كما تقدم ، وكان لها قسم ثالث، لكنه ليس بإيجاب الشرع ، بل إيجاب الإنسان على نفسه بالنذر ، ختم بالأمر به ، والحث على الوفاء به ، [فقال : (**وما أنفقتم من نفقةٍ ، أو نَذَرتم من نذرٍ/ ٢٧٠**)] أي فَوَفَّيتم به][8]. (**فإن الله يعلمه/ ٢٧٠**) فيجازيكم عليه . وأفرد الضمير ، لأن العطف بـ(أو). ثم هدَّد على

---

(١) البقرة (٢٣٨) .

(٢) في (ب) : ومثله .

(٣) البحر (٢/ ٣٢٠) . وابن خالويه (١٧) .

(٤) عن الربيع بن خيثم . البحر (٢/ ٣٢٠) ، وابن خالويه (١٧) .

(٥) البحر (٢/ ٣٢٠) ، وابن خالويه (١٧) ، والدر المصون (٢/ ٦٠٥) .

(٦) الكشـاف (١/ ٣٩٦) .

(٧) في (ب) : الذي .

(٨) ما بين القوسين ليس موجوداً في (ب) .



ترك الوفاء به ، بقوله: (**وما للظالمين من أنصارٍ/٢٧٠**) ، فاستوفى جميع النفقات الواجبة ، ثم بيّن في الآيات[1] بعدها ، أن الصدقات الواجبات وغيرها ، يجوز إيتاؤها ظاهراً ، وأن إخفاءها أفضل ، حذراً من الرياء ، الذي سبقت الإشارة إلى التحذير منه ، وأن الصدقة على الفقراء خيرٌ من الصدقة على الأغنياء وأفضل ، وذلك خاص بالنوافل ، فقال : (**وإن تُبدوا/٢٧١**) الآية . وقيل : ضمير (**تُخفوها/٢٧١**) للصدقات مراداً بها النوافل ، والأولى مراداً بها الفرض ، فيكون استخداماً ، وعلى التقدير السابق ، يكون الاستخدام في ضمير (**تُؤتوها/٢٧١**). وقرىء (**نكفِّر/٢٧١**) بالرفع استئنافاً ، والجزم[2] عطفاً على محل الجزاء ، والنصب[3] عطفاً على مصدر متوهم ، وعلى الثلاثة قرىء بالياء[4]، فالضمير للإخفاء أو لله ، وبالتاء[5]، فالضمير للصدقات ، وبالنون[6] . وقرىء بالتاء مبنياً للمفعول[7] ، وبإسقاط الواو[8] والياء مجزوماً بدلاً[9] على قراءة النون ، ففي قوله: (**والله بما تعلمون خبيرٌ/٢٧١**) التفات ، وهذه الجملة إشارة إلى تفضيل صدقة السِّر ، فإن الله لا يخفى عليه أمرها ، وإدخال (**من**) في (**من سيئاتكم**)، لأن الصدقة لا تكفِّر الجميع ، وإبهامه حذراً من الإغراء على فعله إذا علم تكفيره . (**ليس عليك هداهم/٢٧٢**) نزلت لما نهى[10] رسول الله[11] -ﷺ- عن التصدُّق على المشركين ،

---

(١) في (ب) : الآية بغيرها .

(٢) هذه قراءة نافع وحمزة والكسائي ، والقراءة السابقة هي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وأبي بكر . حجة القراءات (١٤٧) .

(٣) قرأ بذلك الأعمش . الدر المصون (٢/٦١١) .

(٤) أي قرىء بالياء مع رفع الراء وجزمها ونصبها ، وقراءة الرفع هي قراءة ابن عامر ، وقراءة الجزم هي قراءة الحسن ، وقراءة النصب رويت عن الأعمش . البحر (٢/٣٢٥) .

(٥) وذلك مع رفع الراء وهي قراءة ابن هرمز ، ومع نصبها وهي قراءة شهر بن حوشب ، ومع جزمها وهي قراءة ابن عباس . البحر (٢/٣٢٥) .

(٦)

(٧) وهي قراءة عكرمة . البحر (٢/٣٢٥) .

(٨) في (ب) : الياء والواو .

(٩)

(١٠) كملة « نهى » ليست في (ب) .

(١١) « رسول الله » : ليست في (أ) .



أو كرِه الصحابة ذلك ، كما أخرجه النسائي[1] [2] والحاكم[3] ، وبذلك يُعرف وجه اتصالها بما قبلها . وقيل : الهدى هنا بمعنى الغِنى ، أي[4] ليس عليك أن تُغْنِيهم ، بل تواسِيهم ، والله يُغْني من يشاء . وقيل : الآية مرتبطة بقوله : **(يؤتِ الحكمة من يشاء/٢٦٩)**[5] ، **(وما تنفقون إلا ابتغاء وجهِ الله/٢٧٢)** نفي ، معناه النهي . وقيل : حال ، أي ما تنفقوا من خير ، والحال أنكم لا تريدون إلا وجه الله ، فهو لكم ، أي أجره وثوابه ، ولا يضركم كفر المتصدق عليه[6] . الأصبهاني : «ذكر **(وجه الله)** للتشريف ، لأن قولك : فعلته لوجه زيد ، أشرف في الذكر من فعلته له ، لأن وجه الشيء في الأصل أشرف ما فيه ، ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر ، من غير تحقيق وجه ، كما تقول : وجه الدليل كذا ، أي أشرف ما فيه ، من جهة شدة ظهوره ، وحسن بيانه »[7] .

(للفقراءِ/٢٧٣) الأصبهاني : « لما بيّن في الآية الأولى أنه يجوز صرف الصدقة إلى أي فقير كان ، وفي الثانية أنه يجوز صرفها إلى المشركين ، بيّن في هذه ، من هو

---

(١) هو القاضي الحافظ ، أحمد بن علي بن شعيب النسائي ، أصله من نسا - بخراسان ، من كتبه « السنن الكبرى » ، و« المجتبي » وهو السنن الصغرى . توفي سنة ٣٠٣هـ . البداية والنهاية (١١/١٢٣) وشذرات الذهب (٢/٢٣٩) .

(٢) لم أعثر على ذلك في سنن النسائي ، وقد أسنده السيوطي في الدر (١/٣٥٧) إلى النسائي وغيره .

(٣) روى الحاكم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : « كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم وهم مشركون ، فنزلت : **(ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء)** - حتى بلغ **(وأنتم لا تظلمون)** ، قال : فرخص لهم » .
وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي على تصحيحه .
المستدرك (٢/٢٨٥) كتاب التفسير .
وذكره السيوطي ، وزاد نسبته إلى ابن جرير ، والطبراني ، والبيهقي في سننه ، وغيرهم . الدر المنثور (١/٣٥٩) .

(٤) في (أ) : إذ .

(٥) ذكر كل ذلك أبو حيان ، واستبعد تفسير الهدى بالغنى .
البحر (٢/٣٢٦) .

(٦) انظر البحر (٢/٣٢٧) . (٧)



أشـد الناس استحقاقاً بصرفها إليه[1]، وهم الفقراء الذين من صفتهم[2] ، كَيْتَ وكَيْتَ ، واللام متعلقة بمحذوف ، أي اعمدوا ، أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء ، ووصفهم بوصفين عظيمين : حبسهم نفسهم في سبيل الله ، وهو الجهاد ، أو طلب القرآن والعلم[3] المانع لهم عن التكسب والضرب في الأرض ، وعفَّتهم المانعة لهم من السؤال ، حتى يظنهم من لا خبرة له بحالهم أغنياء ، ويدركهم الحاذق بفراسته لما عندهم من أثر ذلك ، من البؤس ، ورثاثة الحال ، وأثر الجهد »[4] .

وقال أبو حيان : « قوله : **(للفقراء)** جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : لمن هذه الصفات المحثوث فعلها ، فقيل : **(للفقراء)** ، فبيّن مصرف الصدقة »[5] .

الراغب : « العفة : حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة ، والمتعفف المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر »[6] .

وفي الآية طباقات بين **(للفقراء)** و **(أغنياء)** ، و **(أحصروا)** و **(ضرباً في الأرض)** ، و **(يحسبهم الجاهل)** و **(تعرفهم)** ، و **(من التعفف)** و **(بسيماهم)**[7] ، و **(التعفف)** و **(لا يسألون)** . **(لا يسألون الناس إلحافاً/٢٧٣)** أي إلحاحاً ، أي لا يقع منهم سؤالٌ أصلاً ، فلا يقع منهم إلحاف ، وهذا يسمى في البديع ، نفي الشيء بإيجابه ، ومثله **(ولا شفيعٌ يُطاعُ)**[8] أي لا شفيع لهم أصلاً . قال الزمخشري : «الفائدة في ذكر الصفة ونفيها ، هي أن تضم مع الموصوف ليقام انتفاء الموصوف في مقام الشاهد على انتفاء الصفة ، فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف »[9] .

---

(١) في (أ) : إليهم .

(٢) في (ب) : أو وصفهم .

(٣) في (ب) : والمعلم .

(٤)

(٥) البحر (٣٢٨/٢) .

(٦) المفردات (٣٣٩) مادة : عف .

(٧) في (أ) : وسيماهم .

(٨) غافر (١٨) .

(٩) الكشاف (٤٢١/٣) باختصار .

(**وما تنفقوا من خيرٍ ، فإن الله به عليمٌ**/٢٧٣) الأصبهاني : « هو نظير قوله في الآية قبله : (**وما تنفقوا من خيرٍ ، يُوفَ إليكم ، وأنتم لا تُظْلَمون**/٢٧٢) ، وليس هذا من باب التكرير ، بل فيه فوائد منها : أنه لما قال في الآية الأولى ذلك ، ومن المعلوم أن توفية الأجر من غير بخس ونقصان ، لا يمكن إلا عند العلم بمقدار العمل ، ختم هذه الآية بوصفه بالعلم به ، ومنها أنه لما رغّب في التصدق على الملىء المشرك قال : (**وما تنفقوا من خير ، يُوَفَّ إليكم**/٢٧٢) ، فبيَّن أن أجره واصل لا محالة ، ثم لما رغّب في التصدق على الفقراء ، الموصوفين بهذه الأوصاف الكاملة ، والإنفاق عليهم أعظم وجوه الإنفاق ، أردفه بما يدل على عِظم ثوابه ، فقال : (**وما تنفقوا من خيرٍ ، فإن الله به عليمٌ**/٢٧٣) ، وهو يجري مجرى قول السلطان لعبده : أحسن إلى فلانٍ ، فما أحسنت إليه ، فإني أعلمه ، ويصل إليّ خبره ، فإنه أعظم وقعاً مما لو قال له : فإن أجرك واصل إليك »[1] . (**الذين ينفقون**/٢٧٤) الآية ، الأصبهاني : «لما بيّن في الآية المتقدمة أكمل من تصرف إليه النفقة ، بيّن في هذه أكمل وجوه الإنفاق ، وهو أن يعمّ الأوقات والأحوال بالصدقة ، فكلما نزل محتاج ، عجّل قضاء حاجته ، ولم يؤخر ، وذلك مناسب لختم آيات الإنفاق بها ، فإن الختم إنما يكون بالمشتمل على الأكمل ، وفيها تأكيد وإيضاح لما أوجز في قوله : (**إن تُبْدُوا الصدقات ، فَنِعِمَّا هِي**/٢٧١) الآية ، وتقديم الليل على النهار ، والسر على العلانية ، لفضل الأولين »[2] . (**الذين يأكلون الربا**/٢٧٥) الأصبهاني : « لما كان بين الصدقة والربا تضاد ، لأن الصدقة عبارة عن نقص المال بسبب أمر الله به ، والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال ، مع نهي الله عنه ، ولهذا قال تعالى : (**يمحق الله الربا ، ويُربي الصدقات**/٢٧٦) ، وعادة القرآن جارية بتعقيب حكم أحد الضِّدَين بالآخر ، عقَّب حكم الصدقات حكم الربا »[3] . وقال أبو حيان : « لما نهى عن الصدقة من الخبيث ، وأمر بها من الطيبات من الكسب ، ذكر نوعاً من الخبائث كان غالباً عليهم في الجاهلية »[4] . وخصّ الأكل لأنه معظم الأمر ، كما في آية اليتامى[5] . وكتب

---

(١) (٢)
(٣) (٤) البحر (٢/٣٣٣) بتصرف . =



(**الربا**) بالواو على لغة من يفخم ، كما كتب الصلاة والزكاة ، وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع . وقرأ أبو السمال (**الرّبوه**) بضم الباء ساكن الواو[1] . قال ابن جني : « وفيه شذوذان : الخروج عن الكسر إلى الضم اللازم ، ووقوع الواو بعد الضمة في آخر الاسم ، وهذا شيء لا يُعهد إلا في الفعل »[2] . وقرىء (الرّبو) بفتح البـاء ، ساكن الواو[3] على لغة من يقف على أفعى أفْعَو ، وإجراء الوصل مجرى الوقف ، قيل : وهي لغة الحِيرة ، وكذا كتبها أهل الحجاز بالواو ، ولأنهم تعلّموا الخط من الحيرة . (**لا يقومون/٢٧٥**) أي من قبورهم إذا بُعثوا . وقرأ ابن مسعود (يوم القيامـة)[4] . (**يتخبـطه**) يصرعـه . الـراغب : «الخَبْط : الضرب على غير استواء »[5] . (**من المَس/٢٧٥**) قال الراغب : «كنّي به عن الجنون ، كما كنّي به عن النكاح ، ويُطلق في كل ما ينال الإنسان من الأذى ، نحو (**مسَّتهم البأساء**)[6] وأصله ما يُدرك بحاسة اللّمس »[7] . أبو حيان : « (**من المس**) تأكيد ليتخبطه ، رافع لاحتمال المجاز ، وهو أن يُراد بالتخبّط الإغواء ، وتزيين المعاصي »[8] . (**قالوا إنما البيع مثل الربا/٢٧٥**) هذا من قلب التشبيه مبالغة منهم ، إذ القصد تشبيههم الربا بالبيع في الحِلّ ، لا عكسه ، فبالغوا وجعلوا الربا في الحِلّ مقاساً عليه البيع ، فقال تعـالى ردًّا عليهم : (**وأحـلّ الله البيـع ، وحـرّم الربا/٢٧٥**) فلا قياس مع وجود

= (٢) وهي قوله تعالى : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً) . النســاء (١٠) .

(١) نقل ذلك ابن عطية في المحرر (٢/٤٩١) .
وتعقبه السمين بأن أبا السمّال إنما قرأها بواو بعد فتحة الباء ، وأن أبا زيد حكى عن بعضهم أنه ضم الباء . الدر المصون (٢/٦٣٨) ، وانظر البحر (٢/٣٣٣) .

(٢) المحتسب (١/١٤٢) .

(٣) قرأ بذلك العدوي . البحر (٢/٣٣٣) ، والدر المصون (٢/٦٢٨) .

(٤) البحر (٢/٣٣٣) .

(٥) المفردات (١٤٢) مادة : خبط .

(٦) البقرة (٢١٤) .

(٧) المفردات (٤٦٧) مادة : مسس - بتصرف .

(٨) البحـر (٢/٣٣٤) بتصـرف .



النص . (**فمن جاءه موعظةٌ/٢٧٥**) ذكر الفعل للفصل ، وتأويل الموعظة . وقرىء (**جاءته**)[1] . (**من ربه/٢٧٥**) فيه تعظيم الموعظة وتأنيس العبد لقبولها . (**ومَن عَادَ/٢٧٥**) أي إلى أكل الربا ، مشبّهاً له بالبيع في الحِل . (**يَمحقُ الله الربا ويُربي الصدقاتِ/٢٧٦**) لما بالغ بالصدقات ، والحث عليها ، وفي الزجر عن الربا ، ذكر هذه الجملة على طريق الاستئناف ، ليكون باعثاً على فعل الصدقات ، وترك الربا . وفيها طباقات وجناس اشتقاقي[2] .

الراغب : « المحق : النقصان وإذهاب البَرَكة »[3] . أبو حيان : « هو نقص الشيء حالاً بعد حال »[4] . وقرىء بالتشديد في الفعلين[5] . (**لا يحب كُلَّ كفارٍ/٢٧٦**) بتحليل الربا .

---

(١) عن أبيّ والحسن .
ابن خالويه (١٧) ، والبحر (٢/٣٣٥) ، والدر المصون (٢/٦٣٤) .

(٢) الجناس هو تشابه اللفظين في اللفظ ، ومن أنواعه : الجناس الاشتقاقي ، وذلك بأن يجتمع اللفظان في أصل الاشتقاق ، ويسمى الاقتضاب ، والجناس هنا في (.... الربا ، ويربي) . معترك الأقران (١/٤٠١) ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها / د. أحمد مطلوب (٢/٤١٤) .

(٣) المفردات (٤٦٤) مادة : محق - بتصرف .

(٤) البحر (٢/٣٣٢) .

(٥) في (يمحق) ، و (يربي) ، وهي قراءة ابن الزبير ، ورويت عن النبي -ﷺ- . البحر (٢/٣٣٦) ، والدر المصون (٢/٦٣٥) .



(**أثيم/٢٧٦**) فاجر يأكله . أبو حيان : « أتى بصيغة المبالغة في (**كَفَّار**) و (**أثيم**) تنبيهاً على عِظَم الربا »[1] . ابن فورك[2] : « ذكر الأثيم ليزول الاشتراك الذي في (كَفَّار) ، إذ يقع على الزرّاع[3] ، كما في (**أعجب الكفار نباته**) »[4] . ابن جماعة : « عدل عن قوله : « ببغض » إلى (**لا يحب**) توخياً لأحسن اللفظين ، ولأن لفظ البغض مكروه للنفس ، فلم يحسن نسبته إلى الله تعالى »[5] . الإمام : « قال هنا (**لا يحب كل كَفَّارٍ أثيمٍ/٢٧٦**) ، وفي أول النساء :(**إن الله لا يحب كل من كان مختالاً فخوراً/٣٦**) ، وفي آخرها : (**إن الله لا يحب من كان خَوَّاناً أثيماً/١٠٧**) ، وفي الحديد (**والله لا يحب كل مختالٍ فخورٍ/٢٣**) ، لأن آية البقرة في الكفار الذين استحلوا ما حرّم الله ، فقالوا إنما البيع مثل الربا ، فوصفهم بالكفر ، وناسبه الأثيم ، وآية النساء الأولى أتت بعد الأمر بالعبادة ، وترك الشرك ، فناسبه النهي عن الاختيال والفخر اللذين يضادان العبادة والعبدية ، والثانية فيمن سرق الدرع ، وبعد قوله:(**يختانون أنفسهم/١٠٧**) فناسبه (**خَوَّاناً أثيماً/١٠٧**) . وآية الحديد بعد النهي عن الأسى على ما فات ، والفرح بما أتى ، وذلك سبب التفاخر والخيلاء ، وتقدَّم (**وتفاخرٌ بينكم/٢٠**) ، فناسب (**والله لا يحب كل مختالٍ فخورٍ/٢٣**) » ، قال : « واختصت آية البقرة والحديد بالواو ، لأن مبناهما على الاتصال ، الذي هو من[6] مقتضيات الواو ، فإن الكلام في السورتين متصل بعضه ببعض ، وآيتا النساء ، لأن مبناهما على الانفصال ، الذي هو من مقتضيات إن ، لأن الكلام قد تمّ عند آخر الأمر والنهي ، وجاءت آيتا الأمر والنهي بلفظ (**من كان**) ، وآيتا

---

(١) البحر (٢/٣٣٦) .

(٢) هو أبوبكر، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، أديب، متكلم، أصولي، نحوي من الوعاظ. من مصنفاته : « مشكل الحديث وغريبه » ، توفي سنة ٤٠٦هـ . تبيين كذب المفتري (٢٣٢ - ٢٣٣) . وإنباه الرواة (٣/١١٠) .

(٣) إلى هنا الموجود في البحر (٢/٣٣٦) .

(٤) الحديد (٢٠) .

(٥) كشف المعاني (٦٨) .

(٦) كلمة « من » : ليست في (ب) .

الإخبار ، بلفظ (كل) ، وفيه من المناسبة ما لا يخفى »[1] . (**إن الذين آمنوا/٢١٧**) الآية . عادته تعالى في القرآن مطردة بأنه مهما ذكر وعيداً ذكر بعده وعداً ، فلما بالغ في وعيد الربا ، أتبعه بهذا الوعد . (**يأيها الذين آمنوا/٢٧٨**) الآية ، نزلت فيمن طالب بعد النهي عن الربا بربا كان له قبل النهي .

الأصبهاني : « لما بيّن الله في الآية المتقدمة ، أن من انتهى عن الربا ، فله ما سلف ، ظُنَّ أنه لا فرق بين المقبوض عنه ، وبين الباقي في الذمة ، فبيّن في هذه الآية ، أن ما لم يُقْبَض بعدُ ، يَحْرُمُ أخذه ، وإنما شدّد في الوعيد ، لأن من انتظر مدة طويلة في حلول الأجل ، ثم حضر الوقت ، وطّن نفسه على أن تلك الزيادة قد حصلت ، فيحتاج في منعه إلى تشدد عظيم »[2] .

وقرىء (بقا) بالألف[3] ، لغة طيء ، و(بقي) بسكون الياء[4] ، وقوله (**إن كنتم مؤمنين/٢٧٨**) شرط أُريد به التهييج . (**فإن لم تفعلوا/٢٧٩**) أي تتركوا ما بقي من الربا ، سمى الترك فعلاً . (**فأذنوا/٢٧٩**) بالمد وكسر الذال ، أي أعلموا غيركم ممن لم ينته عن الربا ، وإذا أعلموا غيرهم ، علموا هم لا محالة ، وبالقصر وسكونها[5] ، أي اعلموا أنتم واسمعوا . (**بحرب**) أي بنوع منه عظيم لا يطاق .

الكشاف : « فإن قلت : هلاّ قيل بحرب الله ورسوله ؟ .

قلت : هذا أبلغ ، لأن المعنى : فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله »[6] . (**رؤوس أموالكم/٢٧٩**) أي أصولها ، سميت رؤوساً مجازاً . (**لا تَظلمون ولا تُظلمون/٢٧٩**) خبر معناه النهي . والقراءة بالبناء للفاعل في الأول ،

---

(١) لم أعثر على ذلك .
(٢)
(٣) عن الحسن . البحر (٢/٣٣٧)
(٤)
(٥) القراءة بالمد ، وكسر الذال هي قراءة حمزة وأبي بكر عن عاصم . والقراءة بالقصر ، وذلك بسكون الهمزة ، هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٤٨) .
(٦) الكشـاف (١/٤٠١) .



وللمفعول في الثاني[1] ، وقرىء بعكسه[2] . (وإن كان ذو عسرةٍ/ ٢٨٠) قرىء (ذا)[3] على أن (كان) ناقصة ، واسمها ضمير الغريم . وقرىء (مُعْسِراً)[4] ، وقرىء (ومن كان ذا)[5] ، وقرىء (فإن كان)[6] . (فنظِرَةٌ/ ٢٨٠) قرىء بسكون الظاء تخفيفاً[7] ، وهي لغة تميم . وقرىء (فناظِرَة) بهاء الكناية ، مع اسم الفاعل[8] . وقرىء (فناظِرْهُ) بصيغة الأمر ، وهاء الكناية[9] أي سامِحه . وقرىء (ميسرة) بالفتح والضم[10] بالإضافة إلى ضمير الغريم. وقرىء[11] (مَيْسُورة)[12] كذلك ، وقرىء (فناظِرة) بالتاء[13]، مصدر كـ(كاذِبة)[14]، و(فاقِرة)[15]. وقرىء (فناظِرُوه)[16]. (ميسرة) بفتح السين وضمها[17]، و(ياسرة)[18]. (وأن تَصَدَّقوا/ ٢٨٠) ابن عبدالسلام : « عبّر به بدل « وأن تبروا » ، ليفيد أن ذلك عنده بمنزلة الصدقات التي يثبت عليها ترغيباً فيه »[19] ، والقراءة بالتشديد والتخفيف[20] ، وقرىء بتاءين[21] .

---

(١) « في » : ليست في (أ) .

(٢) رواها أبان والمفضل عن عاصم . السبعة (١٩٢) ، والدر المصون (٢/ ٦٤٣) .

(٣) عن عبد الله ، وأبيّ ، وعثمان . البحر (٢/ ٣٤٠) ، والدر المصون (٢/ ٦٤٤) .

(٤) قرأها الأعمش .

(٥) وهي قراءة أبان بن عثمان .

(٦) حكى المهدي أن هذه القراءة في مصحف عثمان .

(٧) عن أبي رجاء ، ومجاهد ، والحسن ، والضحاك ، وقتادة .

(٨) قرأها عطاء .

(٩) قرأها عطاء أيضاً . انظر في القراءات السابقة البحر (٢/ ٣٤٠) .

(١٠) قراءة الضم هي قراءة نافع ، وقراءة النصب هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٤٩) .

(١١) كلمة « وقرىء » : ليست في (أ) .

(١٢) عن عبد الله . البحر (٢/ ٣٤٠) .

(١٣) هذه قراءة عطاء المذكورة سابقاً - فهذا تكرار وقع في النسختين .

(١٤) وذلك في قوله : (إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة) الواقعة (٢) .

(١٥) وذلك في قوله عز وجل : (ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة) القيامة (٢٥) .

(١٦) عن عبد الله . البحر (٢/ ٣٤٠) .

(١٧) هذا تكرار لما ورد سابقاً .

(١٨)

(١٩) فوائد في مشكل القرآن للعز بن عبد السلام (١٠٢ - ١٠٣) .

(٢٠) قراءة التخفيف هي قراءة عاصم ، وقراءة التشديد هي قراءة الباقين . السبعة (١٩٣) ، والكشف =

(واتقوا يوماً/٢٨١) الآية ، زيادة مبالغة في الزجر عن الربا ، والتهديد عليه ، على أعظم الوجوه ، وفيها مع ذلك ، وعظ لجميع الناس ، البَّر والفاجر ، وهي آخر آية نزلت فيما أخرجه النسائي عن ابن عباس[١] ، وفيها من براعة الختام ، والإشعار بالآخرية ، المستلزمة للوفاة ، ما لا مزيد على حُسنه ، و(ترجعون) بالتاء ، خطاباً على جهة المبالغة في الوعظ والتحذير ، مبنياً للمفعول والفاعل[٢] . وقرأ الحسن (يرجعون) بالتحتية ، والبناء[٣] للمفعول[٤] ، قال ابن جني : «وفيه التفات على حدّ : (كنتم في الفُلك وجَرَين بهم) »[٥] ، قال : «ونكتته هنا الرفق من الله تعالى بصالحي عباده ، وذلك أن العَود إلى الله للحساب أعظم ما يخوّف به العباد ، فإذا قرىء بالخطاب ، فقد خُوطبوا بأمر عظيم ، تكاد تنشق له قلوب المطيعين ، فانحرف عنهم بذكر الرجعة بلفظ الغيبة رِفقاً بهم ، وكأنه قال : اتقوا يا مطيعين[٦] يوماً يرجع فيه العاصون ، ويجازون فيه بجرائمهم[٧] . وأما قراءة الخطاب ، ففيها فضل تحذير للمؤمنين نظراً لهم ، واهتماماً بما يعقبهم السلامة »[٨] .

وقرىء (تردّون) ، و (تصيرون)[٩] . ابن جماعة : « قال هنا ، وفي آل عمران (ما كَسَبَت/٢٥) ، وفي النحل والزمر (ما عَمِلَت/١١١ ، ٧٠) تفنّناً . وأيضاً لما

= (١/٣١٩) ، وحجة القراءات (١٤٩) .

(٢١) هي قراءة عبد الله .
البحر (٢/٣٤١) ، والدر المصون (٢/٦٤٩) .

(١) لم أعثر على ذلك في سنن النسائي . وقد ذكره السيوطي في الدر (١/٣٦٩) ، وزاد نسبته إلى أبي عبيد وعبد بن حميد وابن جرير وغيرهم .

(٢) القراءة بالبناء للفاعل هي قراءة أبي عمرو ، والقراءة بالبناء للمفعول هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٤٩) .

(٣) في (ب) : وبالبناء .

(٤) البحر (٢/٣٤١) ، والدر المصون (٢/٦٤٩) .

(٥) يونس (٢٢) .

(٦) في (ب) : مطيعين .

(٧) في (ب) : بجرائرهم .

(٨) المحتسب (١/١٤٥) .

(٩) نسب ابن عطية القراءة الأولى إلى أبيّ ، ونسب الزمخشري القراءة الثانية إلى أبيّ أيضاً . المحرر (٢/٤٩٩) ، والكشاف (١/٤٠٢) .



تقدم في الزمر لفظ الكسب في مواضع ، (وبدا لهم سيئات ما كسبوا/٤٨) ، (فأصابهم سيئات ما كسبوا/٥١) ، عدل إلى لفظ عملوا ، تركاً للتكرار ، ولم يتقدم ذلك في البقرة وآل عمران ، أو أنه إشارة إلى أن الأعمال كسب العبد ، خيراً كان أو شراً »[1]. (يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم/٢٨٢) ، لما حرّم الربا في[2] تلك الآيات ، أباح السَّلَمَ[3] بهذه الآية . وقيل في كيفية النظم ، إنه تعالى لما ذكر قبل هذا الحكم نوعين من الحكم ، الأول الإنفاق في سبيله ، وهو يوجب تنقص المال أولاً ، وعاقبته الزيادة ، والثاني ترك الربا ، الذي يوجب زيادة المال أولاً ، وعاقبته النقص ، وختم الحكمين بالتهديد العظيم ، والأمر بالتقوى ، والتقوى تسد أكثر أبواب المكاسب والمنافع ، أتبع ذلك بالإشارة إلى كيفية حفظ المال الحلال ، وصونه عن الفساد ، وذلك من المعين على التمكن من الإنفاق في سبيل الله ، المأمور به ، وقد بالغ في الإشارة إلى ذلك بالبسط الشديد ، خلاف عادة ألفاظ القرآن من جريانها على الاختصار . (بدَيْنٍ) ذُكِر ، مع أن (تداينتم) يُفهمه ، للتأكيد على حدّ : (ولا طائرٍ يطير)[4]. قال الكرماني : «ونكتته قطع المجاز ، إذ قد يقال : تداينا بمعنى تجازينا »[5]. وقال الزمخشري : « إنما ذُكِر ليرجع إليه الضمير في قوله (فاكتبوه)، إذ لو لم يذكر ، لوجب أن يقال: فاكتبوا الدَّين ، فلم يكن النظم بذلك الحسن ، ولأنه أَبْينُ لتنويع الدين إلى حالّ ومؤجّل »[6] . وقيل: ذُكر ليفهم أن المراد أي دَين كان ، قليلاً أو كثيراً . وقال الإمام : « (تداينتم) من باب المفاعلة ، فقد يفهم جواز بيع الدَّين بالدَّين ، وهو باطل ، فقوله (بدينٍ) ليفهم أن المراد تداين يحصل فيه دَين واحد »[7] .

---

(١) كشف المعاني (٧٢) .

(٢) في (أ) : على .

(٣) في (ب) : المسلم .

(٤) الأنعام (٣٨) .

(٥) لباب التفسير (٢/٧٧٢) .

(٦) الكشاف (١/٤٠٢) .

(٧) التفسير الكبير (٣/١١٧) بمعناه .

فهـذه خمسـة أجوبة . (مسمًّى) فائدته الإعلام بأن من حق الأجل أن يكون معلومـاً . (فـاكتبـوه/٢٨٢) أمر إرشاد . (ولا يأْب) الأصبهاني: « هو نهي إرشاد أيضـاً »[١] . (كما علَّمه الله) على حدّ (وأحسِن كما أحسَنَ الله إليك)[٢] أي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله .

(فليكتب) أعـاده بصيغـة الأمر تأكيداً . (وليُمْلِل) الإملال: إعادة الشيء مرة بعد أخرى . وأملّ : لغة الحجاز وبني أسد ، وأملى : لغة تميم ، وقيل : أملَيت فرع أملَلْت ، أُبدلت اللام ياء ، لأنها أخف[٣] . (وليتق الله ربه) جُمع بين اسم الذات ووصف الـربـوبية ، تنبيهـاً على مقتضـاهـما من التحذير والمراقبة ، وتذكير النعمة والتربية . (أن يُمِلَّ هو) في تأكيد الضمير المستكن بـ(هو) من الفصاحة ما لا يخفى ، لما فيه من رفع المجاز الذي يحتمله إسناد الفعل إلى الضمير ، والتنصيص على أنه غير مستطيع بنفسه، (واستشهدوا/٢٨٢) أبوحيان: «يحتمل أن يكون للطلب ، وأن يكون بمعنى : أشهدوا »[٤] . (شهيدين) الأصبهاني : « ذكر (   ) المبالغة دلالة على من قد شهـد وتكرر ذلك منه ، فكأنه إشارة إلى العدالة »[٥] . (فإن لم يكونا رجلين) الكـرمـاني: « لا مفهـوم لهذا الشرط بالإجماع »[٦] . (فرجل وامرأتان) أي يشهدون ، أو فليشهد ، أو فليكن . (أن تضلّ) قرأ حمزة[٧] بالكسر شرطاً جوابه : (فتـذكّـر/٢٨٢) مرفـوعـاً ، أي فهي تُذَكِّـر ، وغـيره بالفتـح تعليلاً ، و« تذكر » بالنصب[٨] عطفاً عليه ، والتقدير : إرادة أن تضلّ ، فتذكر ، وهو من إقامة السبب

---

(١)

(٢) القصص (٧٧) . (٣) انظر الدر المصون (٢/٦٥٣) . (٤) البحـر (٢/٣٤٥) باختصار .

(٥) فيهما (فراغ) ، وفي أنوار الحقائق (٣٠٦) : « وذكر بناء مبالغة في شهيدين ، دلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه فكأنها اشارة إلى العدالة » .

(٦) لباب التفسـير (٢/٧٧٦) بمعنـاه .

(٧) هو أبـو عمارة ، حمزة بن حبيب الكـوفي ، أدرك الصحابة بالسن ، فلعله رأى بعضهم وهو أحد القراء السبعة ، كان حافظاً للحديث ، بصيراً بالفرائض والعربية عابداً ورعاً ، توفي سنة ١٥٦هـ . معرفة القراء الكبار للذهبي (١/٩٣) .

(٨) حجـة القـراءات (١٤٩ - ١٥٠) .



مقام المسبّب ، لأن الضلال سبب الإذكار ، والإذكار هو المراد في الحقيقة ، والتقدير : إرادة أن تذكِّر إن ضلّت ، وأعاد أحديهما ، لأن المذكّرة غير الضالّة ، فليس من إقامة الظاهر مقام المضمر ، نعم كان يمكن أن يقال : فتذكِّرها أخرى ، وعدل عنه ، لأن التقديم يفيد الاهتمام ، وهو أولى بالمذكّرة لا بالناسية ، فلو قدم لأفاد الاهتمام بالناسية ، وهو خلاف القواعد ، قاله ابن عبدالسلام[1]. ومفعول تذكِّر الثاني محذوف ، أي الشهادة التي ضلّت عنها .

وقرىء **(تضل)** بضم أوله مع كسر الضاد ، وفتحها[2]. وقرىء **(فتُذاكِرُ)**[3]. **(إذا ما دُعُوا/٢٨٢)** أطلق ليعم التحمل والأداء معاً . **(ولا تسأموا/٢٨٢)** الكشاف : « كنَّى بالسآمة عن الكسل ، لأنه من صفة المنافقين ، فلم يطلبه على المؤمنين »[4]. وقرىء بالغيبة على الالتفات هنا ، وفي **(يكتبوه)** ، و**(ترتابوا)**[5]. **(صغيراً أو كبيراً)** فيه ترقّ . **(إلى أجَلِه)** نصّ عليه للدلالة على كتابته أيضاً ، كما يُكتب أصل الدين . **(أقسط)** فيه استعمال أفعل التفضيل من غير ثلاثي ، لأن فعله « أقسط » ، وكذا قوله **(وأقـوم)** ، لأن فعله أقـام ، أو استقـام . وقال أبوحيان : « ينبغي أن يكون من «قسط» الثلاث بمعنى «عدل» ، فقد حكى ابن السكيت[6] في « الأضداد » عن أبي عبيدة[7] : «قسط : جار ، وقسط : عدل ، وأقسط -بالألف- عدل لا غير ، وكذا حكاه ابن

---

(١) فوائد في مشكل القرآن (١٠٣) .

(٢) حكى الداني قراءة الفتح عن الجحدري ، وعيسى بن عمر ، وحكى النقاش قراءة الكسر عن الجحدري .

(٤) البحـــر (٣٤٩/٢) .

(٣) عن زيد بن أسلم . البحـــر (٣٤٩/٢) . (٤) الكشـاف (٤٠٣/١) بتصرف .

(٥) القراءة بالغيبة في كل ذلك هي قراءة السلمي . البحـــر (٣٥١/٢ - ٣٥٢) .

(٦) هو يعقوب بن إسحاق ، أبو يوسف ، ابن السكيت إمام في اللغة والأدب ، أصله من خوزستان علَّم ببغداد ، وعهد إليه المتوكل العباسي بتأديب أولاده ، وجعله في عداد ندمائه ، ثم قتله لسبب مجهول ، قيل : سأله عن ابنيه المعتز والمؤيد : أهما أحب إليه ، أم الحسن والحسين ؟ فقال : والله إن قنبراً خادم علي خير منك ومن بنيك . فأمر الأتراك فداسوا بطنه ، أو سلوا لسانه وحمل إلى داره فمات سنة ٢٤٤هـ .
من مؤلفاته : « اصلاح المنطق » ، و« الأضداد » و« القلب والابدال » وغير ذلك .
ابن خلكان (٢٩٥/٦) ، وابن النديم (٧٢ - ٧٣) .

(٧) الذي في مجاز القرآن لأبي عبيدة (٨٤/١) : « (أقسط ....) : أعدل » .



القطاع[1] أيضاً ، وكذا أقوم من قام ، بمعنى اعتدل »[2]. انتهى . أبوحيان : « نسق هذه الأخبار في غاية الحُسن ، إذ بُدىء أولاً بالأشرف ، وهو (**أقسط عند الله**) ، ثم ثنى بما يليه ثم بما يليه ، ثم بما يليه ، وهو نفي الريبة »[3]. (**إلا أن تكون تجارة**) بالرفع ، فكان تامة ، والنصب[4] خبراً لها ، ناقصة ، والاسم للمبايعة ، أو التجارة . (**ولا يضار/٢٨٢**) مشترك بين الفاعل والمفعول ، أي لا يضار الكاتب ، والشهيد : صاحب الحق ، أو المدين ، أو لا يضارّ الدائن أو المدين الكاتب والشهيد[5] ، ويؤيد الأول ما قرىء (**ولا يضار**) بالفتح وكسر الراء الأولى[6] ، والثاني ما قرىء (**ولا يضار**) بفتح الراء[7] . قال الأصبهاني : « والأولى أن يُحمل على المعنيين[8] جميعاً »[9] . وقرىء (**لا يضار**) بضم الراء ، نفي بمعنى النهي ، وبكسرها لالتقاء الساكنين . وقرىء (**ولا يضارر كاتباً ولا شهيداً**) بكسر الراء ، ونصب الاسمين[10] والفاعل ضمير صاحب الحق . (**فُسُوقٌ بكم**) أي ملتبس بكم ، أو

---

(١) هو أبو القاسم ، علي بن جعفر بن علي السعدي ، المعروف بابن القطاع ، عالم بالأدب واللغة ولد في صقلية ، ولما احتلها الافرنج انتقل إلى مصر ، من مؤلفاته : « كتاب الأفعال » - مطبوع و « أبنية الأسماء » . . . . توفي سنة ٥١٥هـ .
مفتاح السعادة (١/١٧٧) ، ومرآة الزمان (٨/٥٦) .

(٢) (٣) البحر (٢/٣٥٢) باختصار .

(٤) قراءة النصب هي قراءة عاصم ، وقراءة الرفع هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٥١) .

(٥) القول الأول ، هو قول الحسن وطاووس وقتادة وابن زيد ، وهو اختيار ابن قتيبة .
غريب القرآن (١٠٠) ، والزجاج (معاني القرآن ١/٣٦٦) ، ومكي (المشكل ١/١١٩) . والقول الثاني قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة ، واختاره الفراء .
معاني القرآن (١/١٨٧) ، انظر زاد المسير (١/١/٣٤٠ - ٣٤١) .

(٦) أي مع فك الراء ، وهي قراءة عكرمة . البحر (٢/٣٥٤) .

(٧) حكاها أبو عمرو الداني عن عمر وابن عباس ومجاهد وابن أبي إسحاق .
البحر (٢/٣٥٤) .

(٨) في (ب) : معنيين .

(٩) أنوار الحقائق (٣٠٨) .

(١٠) القراءة بضم الراء هي قراءة ابن محيصن ، والقراءة بكسرها رواها مقسم عن عكرمة والقراءة الأخيرة هي قراءة عكرمة أيضاً .
البحر (٢/٣٥٤) .



فيكم ، فالباء ظرفية ، وهو أبلغ إذ جُعلوا محلاً للفسق . (**واتقوا الله/٢٨٢**) تحذير من الفسق . (**ويعلمكم الله**) وعد وتذكير بالنعم . (**والله بكل شيءٍ عليمٌ/٢٨٢**) ختم به لما فيه من الإشعار بالمجازاة للفاسق والمتقي ، وأُعيد لفظ (**الله**) في الجمل الثلاث ، على طريق تعظيم الأمر ، فجعلت كل حجة منها مستقلة بنفسها ، لا تحتاج إلى ربط بالضمير ، بل اكتفى فيها بربط العاطف ، الطوفي: « الختم به مناسب لما تضمنته آية الدَّين من الأحكام الكثيرة ، ولقوله : (**ويعلمكم الله**) ، لأنه إذا أخبرهم أنه بكل شيء عليم ، وثقوا بتعليمه وسكنوا إليه » . (**وإن كنتم على سَفَرٍ/٢٨٣**) ذكره على سبيل التمثيل ، لأنه مظِنة فقدان الكاتب ، وإعواز الإشهاد ، فنبّه على كل عذر . (**ولم تجدوا كاتباً**) قرأ ابن عباس (**كِتاباً**) بصيغة المصدر ، وقال إنه يعم الصحيفة والدَّواة والقلم[(١)] . وقرىء بضم الكاف ، بصيغة الجمع ، و(**كُتُباً**)[(٢)] . (**فَرُهُنٌ**) جمع رهن . وقرىء بسكون الهاء تخفيفاً[(٣)] . وفي قراءة (**فرهان**)[(٤)] جمع الجمع ، وهو خبر لمبتدأ محذوف ، أي فالوثيقة . (**فإن أَمِن/٢٨٣**) قرىء (**أُومِنَ**) رباعي ، مبني للمفعول[(٥)] ، أي أمنه الناس ، وقرىء (**ائتمن**)[(٦)] (**وليتقِ الله ربه/٢٨٣**) أكد به الأمر بأداء الدَّين ، كما ذكر ذلك أيضاً عند قوله : (**فليُملِل الذي عليه الحق/٢٨٢**) فأمر بالتقوى حين الأخذ والإقرار والوفاء . (**ولا تكتموا/٢٨٣**) عود إلى خطاب الشهود . وقرىء بالغيبة[(٧)] . (**آثمٌ قلبه/٢٨٣**) الكشاف : « أسند الإثم إلى القلب ، ولو قال : «**فإنه آثمٌ** » ، لكان أوجز ، مع أداء

---

(١) الكشاف (١/٤٠٤) ، والدر المصون (٢/٦٧٧) .

(٢) أي قرىء (كُتُباً) ، وهي قراءة أبي العالية ، والقراءة السابقة ، أي (كُتَّاباً) ، هي قراءة ابن عباس أيضاً ، والضحاك .
المحـرر (٢/٥٢٢) ، والدر المصون (٢/٦٧٨) .

(٣) رويت عن ابن كثير وأبي عمرو في رواية . الدر المصون (٢/٦٧٨) .

(٤) هذه قراءة السبعة ، ما عدا ابن كثير وأبي عمرو اللذين قرءا بالقراءة الأولى (فرهن) برفع الراء والهاء . حجة القراءات (١٥٢) .

(٥) نقل هذه القراءة الزمخشري عن أبيّ . الكشاف (١/٤٠٥) .

(٦) حكاها السجاوندي عن أبيّ . البحر (٢/٣٥٦) .

(٧) عن السلمي . البحـر (٢/٣٥٦) .



المعنى لأنه أبلغ حيث أسند الإثم إلى الجارحة ، التي تعلّق بها العمل ، وهو القلب ، لأن كتمان الشهادة ، هو إضمارها في القلب ، فلا يتكلم بها ، ولأن القلب رئيس الأعضاء ، وإذا فسد ، فسد الجسد كله ، فكأنه قيل : فقد تمكّن الإثم في أصل نفسه ، وملك أشرف مكان منه ، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط ، وليعلم أن القلب أصل متعلقه ، ومعدن اقترافه ، واللسان ترجمان عنه ، ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال الجوارح ، وهي لها كالأصول ، فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب ، فقد شهد له بأنه من عظائم الذنوب »[١] . وقال (**آثم**) دون « **يأثم** » ، ليدل على الثبوت . قرىء (**قلبه**) بالنصب[٢] على التشبيه بالمفعول به ، وقيل : على التمييز . وقيل : على البدل من اسم إنّ[٣] . وقرىء بفتح الهمزة والثاء المشددة والميم ، فعلاً ماضياً ، و(**قلبه**) بالنصب[٤]، مفعول ، أي جعله آثماً . (**والله بما تعلمون عليمٌ/٢٨٣**) وعيد للكاتم . الطوفي : « هو مناسب لما قبله من أداء الأمانات والشهادات ، أخبر تعالى أنه عالِم بعلمهم من أداء وكتمان ، فيجازي كلًّا بحسبه » . وقرىء بالغيبة في (**تعلمون**)[٥]، من قرأ بها في (**ولا تكتموا**). وقد وقع في هاتين الآيتين تلوين الخطاب في عدة مواضع ، وهو الانتقال من خطاب الحضور إلى خطاب الغيبة ، وعكسه (**لله ما في السموات/٢٨٤**) قيل : لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة ، من علم الأصول -وهي دلائل التوحيد والنبوة والمعاد- ، وأشياء كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف ، من الصلاة والزكاة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والإيلاء والطلاق

---

(١) الكشاف (١/٤٠٦) بتصرف .

(٢) نسبها ابن عطية إلى ابن أبي عبلة . المحرر (٢/٥٢٩) .

(٣) قد جوّز أبو حيان هذا الوجه الأخير ، وأما الوجه الأول ، فهو ما استصوبه صاحب مغني اللبيب (٧٤٥) ، وأما الوجه الثاني فقد ضعّفه مكي (المشكل ١/١٢١) لأنه معرفة ، لكن الكوفيين يجيزون التمييز معرفة . انظر البحر (٢/٣٥٧) ، والمحرر (٢/٥٢٩) .

(٤) نقل الزمخشري هذه القراءة عن ابن أبي عبلة .
الكشاف (١/٤٠٦) ، والبحر (٢/٣٥٧) .

(٥) عن السلمي . البحر (٢/٣٥٨) .



والخلع والرجعة والعدة والصداق والرضاع والربا والبيع وكيفية المداينة ، ختم بهذه الآية على سبيل التهديد ، وقد ثبت أن الصفات التي هي كمالات حقيقية ، ليست إلا القدرة والعلم[1] ، فعبر عن كمال القدرة بقوله :(**لله ما في السموات وما في الأرض**) وبقوله :(**والله على كل شيءٍ قديرٌ**) ، وعن كمال العلم بقوله :(**وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ، يحاسبكم به الله**) ، وإذا ثبت كمال القدرة وكمال العلم ، وكان كل من في السموات والأرض ملكاً له وخلقاً ، كان ذلك غاية الوعد للمطيعين ، وغاية الوعيد للعاصين ، فلهذا السبب ، وقع الختم بهذه الآية ، ولهذا وقع فيها ذكر الحساب والمغفرة والعذاب . وقيل : لما ذكر في آخر الآية المتقدمة (**والله بما تعملون عليم/٢٨٣**) ، ذكر عقبه ما يجري مجرى الدليل العقلي على ثبوت العلم له ، فإن من كان خالقاً لهذا الخلق العجيب المتقن المحكم المشتمل على الحكم الباهرة ، والمنافع المتكاثرة ، لابد أن يكون عالماً ضرورة . وقيل : لما تقدم النهي عن كَتم الشهادة والوعيد عليه ، بيّن أن له ملك السموات والأرض ، فيجازي على الإظهار والكتمان ، ولهذا قال : (**وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه/٢٨٤**) فيهما طباق . والقراءة (**فيغفر**) (**ويعذب**) بالجزم ، عطفاً على الجواب ، والرفع[2] بإضمار هو ، وقرىء بالنصب بإضمار « إن »[3] . وقرأ ابن مسعود بإسقاط الفاء ، والجزم على البدل ، بعضاً أو اشتمالاً[4] ، وختمت أيضاً بذكر القدرة ، مناسبة للمغفرة ، والتعذيب ، والحساب ، إذ لا يصح ذلك إلا من قادر ، قاله الطوفي وغيره . الكرماني : « قدّم ذكر المغفرة على العذاب في هذه السورة وغيرها وعكس في المائدة[5] ، لأن آية البقرة وغيرها ، جاءت ترغيباً في المسارعة إلى طلب المغفرة ، وإشارة إلى سعة مغفرته ورحمته ، وآية المائدة عقب ذكر السارق والسارقة ، فناسب

---

(١) هذا قول الاشاعرة وأما السلف فيعتقدون بأن كل صفات الله كمالات حقيقية .

(٢) قراءة الرفع هي قراءة عاصم ، وابن عامر ، وقراءة الجزم هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٥٢) .

(٣) عن ابن عباس والأعرج وأبي حيوة . البحر (٢/ ٣٦٠) .

(٤) انظر البحر (٢/٣٦١) ، والكشاف (١/ ٤٠٧) .

(٥) المائدة (٤٠) .



تقديم ذكر العذاب »[1] . ولما نزلت هذه الآية ، شق على الصحابة المؤاخذة بحديث النفس ، وقالوا : لا نطيقها ، فقال لهم رسول الله -ﷺ- : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم (**سمعنا وعصينا**)[2] ، بل قولوا : سمعنا وأطعنا ، غفرانك ، ربنا ، وإليك المصير ، فلما اقترأها القوم ، وذلّت بها ألسنتهم ، أنزل الله في إثرها : (**آمن الرسول**/٢٨٥) الآية ، فلما فعلوا ذلك ، نسخها الله ، فأنزل : (**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**/٢٨٦) إلى آخر السورة . رواه مسلم وغيره[3] .

قال أبو حيان : « وبهذا السبب في النزول ، عرفت مناسبة (**آمن الرسول**) الآية ، لما قبلها »[4] . وأخرج الفريابي عن محمد بن كعب قال : « ما بعث الله من نبي ، ولا أرسل من رسول ، أنزل عليهم الكتاب ، إلا أنزل عليه هذه الآية : (**وإن تبدوا ما في أنفسكم ، أو تخفوه ، يحاسبكم به الله**/٢٨٤) الآية ، فكانت الأمم تأبى على أنبيائها ورسلها ويقولون: نؤاخَذ بما نحدث به أنفسنا ، ولم تعمله جوارحنا ، فيكفرون ويضلون ، فلما نزلت على النبي -ﷺ-، اشتد على المسلمين ما اشتد على الأمم قبلهم ، فقالوا : يا رسول الله ، أنؤاخذ بما نحدث به أنفسنا ، ولم تعمله جوارحنا ؟ قال : نعم ، فاسمعوا وأطيعوا ، واطلبوا إلى ربكم ، فلذلك قوله : (**آمن الرسول**/٢٨٥) الآية ، فوضع الله عنهم حديث النفس ، إلا ما عملت الجوارح ، لها ما كسبت من خير ، وعليها ما اكتسبت من شر »[5] ، وبهذا يعرف مناسبة ختم السورة بهذه الآية ، لأن هذه السورة ، أعظم سور القرآن واشتملت على ما لم يشتمل عليه غيرها ، من الأحكام وغيرها ، فناسب ختمها بهذه الآية ، التي أُنزلت على جميع الأنبياء ، المتضمنة أن جميع ما أبداه العبد ، وأسرَّه ، محاسَب

---

(١) البرهان (١١١) .

(٢) البقرة (٩٣) ، والنساء (٤٦) .

(٣) مسلم (١/١١٥) كتاب الايمان - باب (٥٧) ، وأحمد (٢/٤١٢) .

وذكره السيوطي في الدر (١/٣٧٤) ، وزاد نسبته إلى أبي داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) البحر (٢/٣٦٣) .

(٥) الدر المنثور (-/٢٧٥) .



عليه ، ثم هو في المشيئة ، إما المغفرة ، وإما العذاب ، وحقّ بهذه السورة أن تختم بهذه الآية ، التي لها شأن ، بحيث لم تغادر نبياً ولا رسولاً إلا أُنزلت عليه ، ثم أُردفت بما امتازت به هذه الأمة على غيرها ، من التخفيف عنها ، والترخيص في شأنها ، ورفع ذلك الإصر مع بقاء رسمها ، تذكيراً لهم بالنعمة في نسخها ، وتنبيهاً على إيمانهم بها ، وقولهم : (**سمعنا وأطعنا**/٢٨٥) ، لا كما قال غيرهم من الأمم ، ولذلك ذكر (كما حملته على الذين من قبلنا/٢٨٦) . ووقع الختم بآيتين عظيمتين نزلتا من كنز تحت العرش ، لم يُعْطَهُما نبي قبل نبينا -ﷺ- كما ورد في الحديث ، وفيه أنه أعطيهما ليلة الإسراء ، وأنهما صلاة وقرآن ودعاء[1] ، ويشفيان[2] ويرضيان الرحمن[3] ، وينفران الشيطان[4] . وقيل : لما ذكر في هذه السورة جملة من فرائض الأحكام خُتمت بذكر تصديق نبيه والمؤمنين بجميع ذلك . وقيل : إنه تعالى بدأ السورة بمدح المتقين (**الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون**)[5] ، وبيّن في آخر السورة ، أن الذين مدحهم في أولها ، هم أمة محمد -ﷺ- ، فقال : (**والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**/٢٨٥) ، وهذا هو المراد بقوله في أول السورة (**وبالآخرة هم يوقنون**/٤) ، ثم حكى عنهم هنا كيفية تضرعهم إلى ربهم ، في قولهم : (**ربنا لا تؤاخذنا**/٢٨٦) إلى آخر السورة ، وهو المراد بقوله في أولها : (**أولئك على هدىً من ربهم ، وأولئك هم المفلحون**/٥) فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها . أبوحيان : « لما كان مفتتح

(١) روى ذلك الحاكم (١/٥٦٢) عن أبي ذر مرفوعاً وذكر أنه صحيحٌ على شرط البخاري وتعقبه الذهبي بأن فيه معاوية بن صالح لم يحتج به البخاري ، قال : ورواه ابن وهب عن معاوية مرسلاً .

(٢) أخرج الديلمي عن أبي هريرة مرفوعاً « آيتان هما قرآن وهما يشفيان وهما مما يحبهما الله ، الآيتان من آخر البقرة » - الدر المنثور (١/٣٧٨) .

(٣) أخرج أبو عبيد وغيره عن محمد بن المنكدر قال : قال رسول الله ﷺ في أواخر سورة البقرة : « إنهن قرآن وإنهن دعاء وإنهن يدخلن الجنة وإنهن يرضين الرحمن » - المرجع السابق .

(٤) أخرج الطبراني بسند جيد عن شداد بن أوس مرفوعاً (أن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام ، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، لا يقرءان في دار ثلاث ليال ، فيقربها شيطان) - المرجع السابق .

(٥) البقرة / ٣ .



السورة بذكر الكتاب المنزل ، وأنه هدى للمتقين الموصوفين بما وُصفوا به من الإيمان بالغيب ، وبما أُنزل إلى الرسول ، وإلى من قبله ، كان مختتمها أيضاً موافقاً لمفتتحها » ، قال : « وقد تتبعت أوائل السور المطولة[1] ، فوجدتها يناسبها آخرها بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء ، وذلك من أبدع الفصاحة ، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله ، وهي عادة العرب ، في كثير من نظمهم ، يكون أحدهم آخذاً في شيء ، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر ثم إلى آخر هكذا طويلاً ، ثم يعود إلى ما كان آخِذاً فيه أولاً »[2] . انتهى .

قلت / وقد ألَّفتُ في ذلك كتاب : «مراصد المطالع[3] في تناسب المقاطع والمطالع » . (**آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه/٢٨٥**) أفرده بالإيمان وحده ، ثم ابتدأ : (**والمؤمنون كلٌّ آمن/ ٢٨٥**) ، لأن الذي ينزل إلى الرسول ، قد يكون متلوّاً يعرفه الغير ، فيمكن أن يؤمن به ، وقد يكون وحياً ، لا يعلمه سواه ، فيكون مختصاً بالإيمان به ، ولا يتمكّن غيره من الإيمان به ، فلهذا كان مختصاً في باب الإيمان بما لا يمكن حصوله في غيره . وقيل : (**والمؤمنون**) معطوف ، ويؤيده ما قرىء : (**وآمن المؤمنون**)[4] . وقدّم الملائكة على الكتب ، لأنها واسطة في إنزالها ، فهي متقدمة على تنزيل الكتب ، والكتب على الرسل ، لأنهم الذين تنزل إليهم الكتب ، فالكتب متقدمة . وقراءة (**وكتابه**) قيل : إنها أبلغ من قراءة (**وكتبه**)[5] ، وكلاهما في السبع لأنه للجنس ، والجنسية قائمة في الوحدان كلها ، لا يخرج منها شيء ، وأما الجمع ، فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من المجموع . وقرىء : (**وكتْبه ورسْله/ ٢٨٥**) بإسكان ثانيهما تخفيفاً[6] . وقرأ ابن مسعود (**وكتابه ولقائه ورسله**)[7] . (**لا**

---

(١) في (أ) : الطويلة . (٢) البحر (٢/٣٦٣ - ٣٦٤) .

(٣) في (أ) : المطابع .

(٤) قد استظهر أبو حيان القول بالعطف ، ونسب القراءة المذكورة إلى علي وعبد الله . البحر (٢/٣٦٤) .

(٥) القراءة الأولى هي قراءة حمزة والكسائي ، والقراءة الثانية هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٥٢ - ١٥٣) .

(٦) عن يحيى بن يعمر ، ورويت عن نافع . البحر (٢/٣٦٥) ، والدر المصون (٢/٦٩٤) .

(٧) البحر (٢/٣٦٥ ، والمحرر (٢/٥٣٩) .



نفرِّق/٢٨٥) بإضمار يقولون ، أو قائلين ، وقرأ يعقوب بالياء على لفظ كل ، وقرأ أُبيّ وابن مسعود : **(لا يفرقون)**[1] على معناها. **(بين أحد)** أي وأحد كما يفعل اليهود والنصارى . **(سمعنا)** أي قوله. **(وأطعنا)** أي أمره ، فحذفا لدلالة المعنى عليهما . **(غفرانك/٢٨٥)** أي نطلب غفرانك في رفع المؤاخذة بحديث النفس . **(ربنا/٢٨٥)** تقدمت نكتته عند قوله **(ربنا تقبَّل منا/١٢٧)**[2]. **(وإليك المصير/٢٨٥)** إشارة إلى أن العبد متى علِم أنه لابد من المصير إليه ، كان إخلاصه في الطاعات أتمّ ، واجتنابه المعاصي أكمل. **(لا يكلِّف/٢٨٦)** استئناف إخبار من الله ، لا تتمة حكاية كلام الرسول والمؤمنين ، كما دلّ عليه سبب النزول والأحاديث الصحيحة ، فلذلك جاء بلا عطف ، لكمالِ الانفصال ، وهو إجابة لدعائهم بقولهم : **(غفرانك)**. **(إلا وُسْعَها/٢٨٦)** قرىء بصيغة الماضي[3]، على حذف « ما » الموصولة ، أو المفعول الثاني ، أي شيئاً ، وما بعد (**إلا**) حال ، وفيه على هذه القراءة قلب ، والأصل إلا وسعته ، على حدّ أدخلت القلنسوة في رأسي ، قاله ابن عطية[4]. **(لها ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت/٢٨٦)** فيه طباقان. الكشاف : « وخص الكسب بالخير ، والاكتساب بالشر ، لأن في الاكتساب اعتمالاً ، فلما أن كان الشر مما تشتهيه النفس ، وهي منجذبة إليه ، وأمّارة به ، كانت في تحصيله أعمل وأجهد ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه ، ولما لم تكن كذلك في باب الخير ، وُصِفَت بما لا دليل فيه على الاعتِمال »[5]. ابن عطية: « الحسنات تُكْتَسب بلا تكلف ، لأنها على جادة أمر

---

(١) انظر في هذه القراءة وسابقتها ، البحر (٢/ ٣٦٥) .

(٢) انظر ص   من هذه الرسالة .

(٣) عن ابن أبي عبلة . البحر (٢/ ٣٦٦) .

(٤) المحرر (٢/ ٥٤٤) .

وقد ذكر أبو حيان الأوجه المذكورة سابقاً ، وجوّز الوجه الثاني ، بأن المفعول الثاني محذوف ، لفهم المعنى ، وضعّف الوجه الأول ، من حيث حذف الموصول دون أن يدل عليه موصول آخر يقابله ، وقال عن قول ابن عطية –وهو الوجه الأخير– بأن ابن عطية تكلم هنا في تكليف ما لا يطاق ، وهي مسألة يبحث فيها في أصول الدين ، والذي يدل عليه ظاهر الآية أنه غير واقع . البحر (٢/ ٣٦٦ / ٣٦٧) .

(٥) الكشـاف (١/ ٤٠٨) .



الله ، ورسم شرعه والسيئات تُكْتَسَب بتكلُّف[1] ، لأن كاسبها يتكلف خرق حجاب نهي الله ، ويتخطاه إليها ، فحَسُن في الآية مجيء التصريفين ، إحرازاً لهذا المعنى »[2] ، وجيء في الحسنات[3] باللام ، لأنها مما يسرّ ، فأُضيفت إلى ملك الكاسب ، وفي السيئات بعلى ، لأنها أوزار وأثقال يحملها. (ربنا/٢٨٦) بإضمار قولوا ، على التعليم للدعاء ، الأصبهاني : «المقصود من جميع العبادات والطاعات التعظيم لأمر الله ، فالدعاء خلاصة العبادة ، فلهذا السبب خُتمت هذه السورة الكريمة المشتملة على هذه العلوم الشريفة بالدعاء والتضرع إلى الله ، ثم إنه تعالى علم المؤمنين أربعة أنواع من الدعاء ، ذكر في مطلع الثلاثة الأُول : (ربنا)[4] ، ولم يذكر في مطلع الرابع[5] (ربنا) ، لأن المطلوب في الأُول الترك ، والرابع الفعل ، فترك منه لفظ (ربنا) إشعاراً بأن العبد إذا واظب على التضرع ، نال القرب من الله -سبحانه وتعالى- فلم يحتج إلى النداء ، لأن النداء إنما احتِيج إليه عند البُعد »[6] . انتهى . (لا تؤاخذنا/٢٨٦) قيل: إنما خرج على صيغة المفاعلة ، وهو فعل واحد ، لأن المسيء قد أمكن من نفسه ، وطرق السبيل إليها بفعله ، فكأنه أعان عليه من يأخذه بذنبه ، فكأنه له بذلك مشاركة . (إصراً/٢٨٦) أصله الحِمل الذي[7] أصر حامله ، أي يحبسه ، فكأنه لا يستقل به لثقله ، استُعير للتكليف الشاق . وقرأ أُبيّ (تحمِّل/٢٨٦) بالتشديد ، (آصارا) بالجمع ، وقرىء (أُصرا) بضم الهمزة[8] (ما لا طاقة لنا به/٢٨٦) أي من التكليفات الشاقة ، والعقوبات على التفريط فيها ،

---

(١) في (أ) : بتكليف .

(٢) المحرر (٢/٥٤٤ - ٥٤٥) .

(٣) في (أ) : وجيء بالحسنات .

(٤) وذلك في قوله تعالى : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا ، أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) (٢٨٦) .

(٥) وهو قوله تعالى : (واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا . . . .) (٢٨٦) .

(٦) أنوار الحقائق (٣١٥) بتصرف .

(٧) في (أ) : أي .

(٨) ذكر أبو حيان القراءات السابقة وذكر أن الأخيرة منها رويت عن عاصم . البحر (٢/٣٦٩) .



وبشموله للأمرين يخرج عن أن يكون مع ما قبله تكراراً محضاً ، و(**طاقة**) من المصادر التي جاءت على غير قياس ، فتُسمع ولا يقاس عليها ، والقياس[1] إطاقة . ابن الأنباري : « المعنى : لا تحمّلنا ما يثقل علينا أداؤه ، وإن كنا مطيقين له على تجشّم وتحمّل مكروه ، خاطب العرب على حسب ما تعقل ، فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغضه : ما أُطيق[2] النظر إليه ، وهو يقدر على النظر إليه ، لكنه يثقل عليه ، ومثله : (**ما كانوا يستطيعون السمع**) »[3][4]. (**واعفُ عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا/٢٨٦**) ظهر لي أن هذه الثلاثة عائدة إلى الثلاثة الأُول ، فالعفو راجع إلى عدم المؤاخذة بالنسيان والخطأ ، أي اعفُ عنا ، وامحُ ذنبنا ، فلا تواخذنا به ، والمغفرة إلى[5] تحميل الإصر الذي كان على من قبلنا ، أي اغفر لنا ، واستُرنا من الفضيحة بعدم رعاية حقه ، فلا تحمل علينا ، والرحمة إلى تحميل ما لا طاقة به ، وأي ارحمنا فلا تحملنا ما لا نطيقه ، وبذلك عُرف مناسبة عدم اقترانه بلفظ (**ربنا**)، لأنه ليس دعاء رابعا مباينا للثلاثة ، بل كأنه أعاد الثلاثة بمعناها ، أو بمسبباتها ، أو بلوازمها ، ثم رأيت أبا حيان ذكر نحو ذلك ، فقال : «خُتمت هذه السورة بالدعاء الذي هو أشرف العبادة ، إذ الداعي يشاهد نفسه في مقام الحاجة والذلة والافتقار ويشاهد ربه يعين الاستغناء والإفصال ، وافتُتحت كل جملة بقوله (**ربنا**) إيذانا بأنهم يرغبون من ربهم الذي هو مربيهم ، ومصلح أحوالهم ، وبأنهم مقرُّون بأنهم مربوبون داخلون تحت رق العبودية والافتقار ، ولم يأت لفظ (**ربنا**) في الجمل الطلبية أخيراً ، لأنها نِتاج ما تقدم من الجمل التي دعوا فيها بـ(**ربنا**)، وجاءت مقابلة كل جملة من الثلاث السوابق جملة ، فقابل (**لا تؤاخذنا**) بقوله (**واعفُ عنا**) ، وقابل (**ولا تحمل علينا إصرا**) بقوله (**واغفر لنا**) ، وقابل (**ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**) بقوله

---

(١) في (أ) : وللقياس .

(٢) في (أ) : أطيقه .

(٣) هود (٢٠) .

(٤) البحر (٢/٣٦٩) .

(٥) في (ب) : ان .



(وارحمنا)، لأن من آثار عدم المؤاخذة بالنسيان والخطأ ، العفو ، ومن آثار عدم حمل الإصر ، المغفرة ، ومن آثار عدم تكليف ما لا يطاق ، وجمع بين الثلاثة ، لأن العفو إسقاط العقاب على الذنب إلا أنه لا يقتضي ستره ، فقد يقفه عليه ، ثم يعفو ، فسألوا أولاً إسقاط العقوبة ، لأنه الأهم ثم سألوه المغفرة ، التي هي الستر ، لإزالة عقوبة التخجيل ، ثم سألوا الرحمة ، التي هي طلب الثواب وينشأ عنها النعيم »[1] انتهى. الراغب : «العفو : إزالة الذنب بترك عقوبته ، والغفران ستره ، والرحمة إفاضة الإحسان ، فالثاني أبلغ من الأول ، والثالث أبلغ من الثاني »[2]، وقيل بعد ذلك (أنت مولانا/٢٨٦) إشارة إلى أنهم في غاية الخضوع ، ونهاية التذلل ، وأنهم معترفون بأنه سبحانه هو المولى لكل[3] نعمة ، وهو سيدهم الذي[4] لا يطلبون إلا منه ، ولا يلجؤون إلا إليه . (فانصرنا على القوم الكافرين/٢٨٦) في الحرب والمناظرة ، فإن من حق المولى أن ينصر عبيده على أعدائه وأعدائهم ، فلذلك رتَّبه عليه بفاء السببية ، كما يقال : أنت الشجاع فقاتل ، وأنت الكريم فجد ، والنصر إذا كان بمعنى الغلبة ، عُدي بعلى ، أو بمعنى المنع ، عُدي بمن .

وقد وافق آخر السورة أولها ، من ذكر أوصاف[5] المؤمنين ، ثم الإشارة إلى وصف الكافرين ، ووافق آخر السورة التي قبلها ، من اختتامها بالدعاء ، والإشارة إلى الفِرق الثلاث : المؤمنين والكافرين الشاملين : المشركين[6] ، واليهود ، والنصارى ، المشار إليهما بقوله :
(كما حملته على الذين من قبلنا/٢٨٦) ، ومن موافقتها لآخر الفاتحة ، من التأمين في آخر هذه كما في الفاتحة .

---

(١) البحر (٢/٣٦٧ - ٣٦٨ ، ٣٧٠) بتصرف .
(٢) البحر (٢/٣٧٠) باختصار ، ولم أجده بالمفردات .
(٣+٤) في (أ) : بكل ، الذين .
(٥) في (أ) : للمشركين .



أخرج أبو عبيد[1] في فضائل القرآن ، عن أبي ميسرة[2] ، أن جبريل لقّن رسول الله -ﷺ- عند خاتمة البقرة آمين[3] .

وأخرج عن معاذ بن جبل ، أنه كان إذا ختم سورة البقرة ، قال (آمين)[4] .

قال الإمام الرازي : « ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة ، وفي بدائع ترتيبها ، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه ، وشرف معانيه ، فهو أيضاً معجز بسبب ترتيبه ، ونظم آياته إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف ، غير متهيئين لهذه الأسرار ، وليس الأمر في هذا الباب ، إلا كما قيل[5] :

والنجم تستصغر الأبصار صورته
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر »[6]

---

(١) هو أبو عبيد ، القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء ، الخراساني البغدادي ، كان من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه .
من كتبه : « الغريب المصنف » غريب الحديث ، و« فضائل القرآن » ، و« الأمثال » ، توفي سنة ٢٢٤هـ .
تذكرة الحفاظ (٢/٥) ، وطبقات النحويين واللغويين (٢١٧) ، وتاريخ بغداد (١٢/٤٠٣) ، والكتبخانة (٤/١٧٦) .

(٢) أبو ميسرة : هو عمرو بن شرحبيل ، تابعي جليل ، كان من أفاضل أصحاب عبد الله ، ذكر أنه أدرك الجاهلية ، توفي سنة ٦٣هـ . تهذيب التهذيب (٨/٤٧) .

(٣+٤) فضائل القرآن (١٦٥) .

(٥)

(٦) لم أعثر على ذلك في التفسير الكبير . وهو في أنوار الحقائق (٣١١) .





سورة آل عمران

تقدمت الإشارة إلى مناسبة وضعها هنا في أول سورة البقرة ، ووجه التسمية ما وقع في قصة آل عمران من الأمرين الغريبين ، في ولادة يحيى وعيسى ، وثبت في سبب النزول أن صدرها إلى نَيِّف وثمانين آية ، نزل[1] في وفد نصارى نجران ، ومجادلتهم في شأن عيسى[2] .

أقول : ولما كان المقصود الأعظم تقرير كونه عبد الله ، والرد عليهم في دعوى الهيته أو نبوّته ، جاءت على الترتيب البليغ ، من الابتداء بما فيه براعة الاستهلال كما سنبيّنه ، ثم تقرير كون هذا الكتاب صِدقا وحقاً ، ثم الوعيد على مخالفة ذلك ومعاندته ، ثم استطرد إلى وصف الكتاب وتقسيمه إلى محكم ومتشابه ، ووصف أهل الزيغ باتباع متشابهه ، ثم استطرد من أمر إلى أمر كل منهما[3] لنكتة يأتي بيانها إلى أن أراد التخلّص للمقصود ، فافتتحه بذِكر اصطفاء الله آدم الذي هو أبو البشر ، ونوحاً الذي هو أول الرسل ، وآل إبراهيم الذي هو أبو الأنبياء ومقدمهم بعد نبينا -ﷺ- ، وآل عمران الذي عيسى من ذريته ، ثم ذكر قصة ولادة مريم ، وذلك من المبالغة في استيفاء الشيء بذكر أصوله الدالة على حدوثه ، وهو ضرورة ، ثم ذكر قصة ولادة يحيى ، لترتبها على ولادة مريم ، وفيها نمط من الغرابة الواقعة في ولادة عيسى من حيث الولادة في غير حينها عادة ، لكن أمر عيسى أغرب ، فقدم القليل

---

(١) في (أ) : نزلت .

(٢) وذلك أنهم قدموا إلى النبي-ﷺ- في ستين راكباً ، فيهم العاقل والسيد ، فخاصموه في عيسى -عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : ان لم يكن ولد الله ، فمن أبوه ؟ فنزلت فيهم صدر « آل عمران » إلى بضع وثمانين آية فيها .

زاد المسير (١ / ٣٤٩) .

(٣) في (أ) : منهـــا .



الغـرابـة تأنيساً بالأكثر غرابة وتمهيداً له ، ثم ذكر مبدأ خلق عيسى ، وذكر دليل حدوثـه وعبوديته ، ثم تخلّص إلى ذكر رسالته ، وما حصل له من المرسَل إليهم ، وهمِّهم بقتله ، ثم ذكر رفعه إلى السماء ، وهو آخر ما اتفق له ، وذلك استيعاب لا مزيد عليه ، ثم أخبر نبيه -ﷺ- أن هذا الذي تلاه عليه وحي صدق ، وقول حق ، وذِكر محكم ، ثم ضرب لعيسى في خلق بلا أب مَثَلاً بآدم ، فإنه أغرب منه ، حيث خُلِق بلا أب ولا أم ، وذلك حجة قاطعة وبرهان ، لا يُطلب معه دليل ، فلما أصرّ النصـارى على دعـواهم عنـاداً بعـد هذا البيان التام ، والاحتجاج الدافع ، أمر نبيه -ﷺ- أن يدعوهم إلى المباهلة ، وذكر آخر قصتهم .

فانظر إلى هذا الترتيب البليغ ، والنظم الأنيق ، والمقدمات الموطأة ، والتمهيدات من مبدأ السورة إلى التخلُّص لقصة آل عمران ، إلى التخلُّص لقصة عيسى ، وابتدأ في شأنه بالإخبار بحاله في خلقه الدال على حدوثه وعبوديته ، لأنه أول الأدلة في ذلك ، للإشارة إلى أن المصدق بأن هذا الكتاب وحي من عند الله ، يكتفي بإخباره بذلـك ، ولا يطلب معـه دليلاً آخر ، ثم ثنَّى بالقياس على آدم ، لأن ذلك عند استمرار العناد ، فلم يبقَ إلا إقامة الدليل العقلي القاطع لكل معاند ، لا يقف عند السمعيات ، وإذ قد قام الـدليل السمعي ثم العقـلي ، واستمر العناد لم يبقَ إلا المباهلة القاصمة للكاذب من المتخاصمين في حولها ، فختم بها .

أبو حيان : « مناسبة هذه السورة لما قبلها واضحة ، لأنه لما ذكر آخر البقرة (**أنت مولانـا ، فانصرنا على القوم الكافرين/٢٨٦**) ، ناسب أن يذكر نصره تعالى على الكـافـرين ، حيث ناظـرهم رسـول الله -ﷺ- وردَّ عليهم بالـبراهين الساطعة ، والحجج القاطعة ، فقصّ تعالى أحوالهم ، وردَّ عليهم في اعتقادهم ، وذكر تنزيهه تعالى عما يقولون ، وبداءة خلق مريم وابنها المسيح ، إلى آخر ما ردّ عليهم ، ولما كان مفتتح آخر البقرة (**آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه/٣٨٥**) ، وكان في ذلك الإيمان بالله وبالكتب ، ناسب ذكر أوصاف الله ، وذكر ما أنزل على رسوله ، وذكر



المنزل على غيره »[1] . (الله لا إله إلا هو الحي القيوم/٣) الأصبهاني : «في هذا كلام مبتدأ ردّ به على وفد نجران ، إذ هذه الصفات ، لا يمنعهم ادعاؤها لعيسى ، لأنهم يقولون إنه صُلِب ، وذلك[2] موت في[3] معتقدهم ، ومن البيِّن أنه ليس بقيُّوم »[4] .
الامام : «مطلع هذه السورة ، له نظم عجيب لطيف ، وذلك أن أولئك النصارى الذين نازعوا الرسول -ﷺ- كأنه قيل لهم ، أما أن تنازعوه في معرفة الإله ، أو في النبوة ، فإن كان الأول ، فإنهم يثبتون له ولداً ، فالحق معه الدلائل العقلية ، فإنه يثبت بالبرهان ، أنه حي قيوم ، والحي القيوم يستحيل عقلاً ، أن يكون له ولد ، وإن كان النزاع في النبوة ، فهو أيضاً باطل ، لأنه بالطريق الذي عرفتم أن الله أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى[5] ، وعيسى[6] عرف أن الله أنزل القرآن على محمد ، فإن المعجزة هي الدالة على أن الله أنزل التوراة والإنجيل على موسى وعيسى ، وهي حاصلة هنا ، فكيف يمكن منازعته في صحة النبوة ، فهذا هو وجه النظم ، وهو مضبوط حسن جداً ، فلذلك عقّب الدليل الثاني فقال: (**نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس/٣-٤**) ، وأدمج في الدليل على صحة النبوة ، الدليل على صدق القرآن ، لأنه لو كان من عند غير الله ، لم يكن مشتملاً على الحق ، وعدم الاختلاف ، ولا مصدقاً لما قبله من الكتب التي جاءت بها الأنبياء عن الله ، لأن الجائي به[7] أُميّ ، لم يختلط بأحد من العلماء ، ولا قرأ على أحد شيئاً ، والمفتري إذا كان هكذا ، امتنع عادة أن يسلم من الكذب ، فلما لم يكن كذلك ، ثبت أنه من عند الله ، ولما كانت هذه السورة ، قرينة سورة البقرة ، والمكملة لها ، افتُتِحت بتقرير ما افتُتحت به تلك ، وصرّح في منطوق مطلعها بما طُوي في مفهوم مطلع تلك ، وعبّر في القرآن

---

(١) البحر (٢/٣٧٤) .
(٢) في (أ) : وذكر .
(٣) حرف « في » : ليس موجوداً في (أ) .
(٤)
(٥) في (أ) : موسى .
(٦) في (أ) : وعيسى عرف .
(٧) في (ب) : بهـا .



بـ(نزَّل) ، وفي التوراة والإنجيل بـ(أنزلَ) ، إما تفننا ، بناء على ترادف التنزيل ، والإنزال ، وإما لأنهما نزلا جملة ، وهو نزل مفرَّقاً ، بناء على أن التنزيل ، ما نزل مرة بعد مرة ، لأنه بناء تكثير»[1] . الأصبهاني : «وصف القرآن في أول البقرة بأنه هدى للمتقين[2]، ولم يصفه هنا ، لأن المتقين هم المنتفعون به ، فصار من هذا الوجه ، هدى لهم ، لا لغـيرهم ، وأمـا هنـا فالمناظرة كانت مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن ، فلذا لم يقل فيه هنا أنه هدى ، بل قال إنه حق في نفسه ، سواء قَبلوه أو لم يقبلوه ، وأما التوراة والإنجيل ، فهم يعتقدون صحتهما ، ويدّعون أنهم يعوِّلون في دينهم عليهما ، فلا جرم وصفهما الله -لأجل هذا التأويل- بأنه هدى »[3] .

أقـول : وفي افتتاح السورة بجملة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم/٣) مقصد بديع ، وذلك أن البيهقي أخرج في دلائل النبوة ، عن مقاتل بن حيان[4] ، أن الله أوحى إلى عيسى بن مريم فسِّر لأهل سوران[5] أني أنا الله ، الحي القيوم والذي لا أزول ، صدّقوا النبي الأمي العربي ، صاحب الجمل . إلى آخره[6] . فافتُتحت هذه

---

(١) التفسير الكبير (١٦٨/٧ - ١٧٠) باختصار وتصرف .

(٢) وذلك في قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين /٢) . (٣)

(٤) هو أبو بسطام ، مقاتل بن حيان النبطي ، البلخي ، الخزاز ، صدوق ، فاضل . توفي قبل الخمسين . تقريب التهذيب (٢٧٢/٢) .

(٥) لم أجد اسم هذا المكان بهذا اللفظ ، وإنما وجدت « سوريان » وهي من قرى نيسابور - كما في معجم البلدان لياقوت الحموي (٢٧٩/٣) .

(٦) ما أثبته السيوطي من أرى الراوي هنا هو مقاتل بن حيان ، يبدو -من خلال المراجعة والمقارنة- أنه هو الصواب ، على عكس ما هو مذكور في دلائل النبوة من أن الراوي هو ابن الطاهر ، إذ يظهر أن ذلك تحريف من الناسخ ، أو من الناقل .

وتمام الخبر هو : « . . . . والمدرعة ، والعمامة - وهي التاج - والنعلين والهراوة - وهي القضيب - الجعد الرأس ، الصلت الجبين ، المقرون الحاجبين ، الأنجل العينين ، الأهدب الأشفار ، الأدعج العينين ، الأقني الأنف ، الواضح الخدين ، الكث اللحية ، عرقه في وجهه كاللؤلؤ ريح المسك ينفح منه ، كأن عنقه إبـريق فضة ، وكأن الذهب يجري في تراقيه ، له شعرات من لبته إلى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ، ولا على بطنه شعر غيره ، شثن الكف والقدم إذا جاء مع الناس غمرهم ، وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخر ، وينحدر في صبب ، ذو النسل القليل » .

دلائل النبوة (٢٨٠/١ - ٢٨١) .



السورة -التي نزلت في مجادلة النصارى- بالوصف الذي نزل[1] على نبيهم في افتتاح الـم بتصديق نبينا -ﷺ ، وذلك تمام المناسبة والمطابقة .

ابن جني : « قرأ عمر (**القيّام**) ، وعلقمة[2] (**القيّم**) »[3] ، وإبراهيم[4] : (**نزل/٣**) بالتخفيف ، ورفع (**الكتاب**) ، وهو يدل على استقلال الجملة الأولى ، فقوله (**الله**) مبتدأ ، و(**لا إله إلا هو**) خبر ، وما بعده صفة ، أو خبر ثان ، وثالث ، أو (**لا إله إلا هو**) معترض بين المبتدأ والخبر للثناء[5] ، و(**الحي القيوم**) خبران ، كحلو حامض ، و(**نزل**) بالتخفيف استئناف وبالتشديد خبر رابع ، أو هو الخبر ، وما قبله اعتراض للثناء .

وقرىء (**الإنجيل/٣**) بالفتح[6] ، وهو دليل عُجمته . أبوحيان: «أتى بذكر المنزّل عليه القرآن بقوله (**عليك/٣**) ، ولم يأتِ بذكر المنزَّل عليه التوراة والإنجيل تخصيصاً للنبي -ﷺ- ، وتشريفاً له بالذكر ، وجاء بلفظ الخطاب ، لما فيه من المؤانسة ، وأتى بعلي ، لما فيها من الاستعلاء ، كأن الكتاب تجلَّلَه وتغشَّاه »[7] . وقوله (**لما بين يديه/٣**) أصله أن يقال لما يتمكن الإنسان من التصرّف فيه ، كالشيء الذي يحتوي عليه . ولم يثنّ هدى مع أنه جارٍ على اثنين ، لأنه مصدر . ابن عطية : « قال فيهما (**هدى للناس/٤**) وفي القرآن (**هدىً للمتقين**)[8] ، لأن ما هنا خبر مجرّد ،

---

(١) في (ب) : يدل .

(٢) هو أبو شبل ، علقمة بن قيس النخعي فقيه ، قارىء .
ولد في حياة الرسول -ﷺ- كان أشبه الناس بابن مسعود سمتاً وهدياً وعلماً ، وكان أعرج ، حسن الصوت بالقرآن ، توفي سنة ٦٢هـ . غاية النهاية في طبقات القراء (١/٥١٦) .

(٣) المحتسب (١/١٥١) .

(٤) هو أبو عمران ، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي ، من أهل الكوفة من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث . توفي سنة ٩٦هـ .
طبقات ابن سعد (٦/١٨٨ - ١٩٩) ، وتقريب التهذيب (١/٣٠١) ، وحلية الأولياء (٤/٢١٩) ، وطبقات القراء (١/٢٩) .

(٥) انظر البحر (٢/٣٧٧) ، والدر المصون (٣/٦) .

(٦) أي بفتح الهمزة ، وقد قرأ بذلك الحسن . ابن خالويه (١٩) ، والبحر (٢/٣٧٨) .

(٧) البحر (٢/٣٧٧) .   (٨) البقرة (٢) .



و (**هدى للمتقين**) خبر مقترن به الاستدعاء والصرف إلى الإيمان ، فحسُنت الصفة ، من السامع النشاط والبِدار »[1] . قال فورك : « التقدير هنا ، هدى للناس المتقين ، ويردّ هذا العام إلى ذلك الخاص »[2]. قال ابن عطية : « وفيه نظر »[3] . (**وأنزل الفرقان/٤**) قيل : المراد جنس الكتب السماوية ، لأنها فرقان بين الحق والباطل . وقيل : الكتب الثلاثة التي ذُكرت أولاً ، أعاده بذكر صفتها . وقيل : أُريد الكتاب الرابع ، وهو الزبور . وقيل : أُريد القرآن ، وكرّر ذِكره بما هو نعت له ، ومدح ، من كونه فارقاً بين الحق والباطل ، بعدما ذُكر باسم الجنس ، تعظيماً لشأنه ، وإظهاراً لفضله . وقيل : المراد كل ما أنزله فارقاً بين الحق والباطل من الآيات والمعجزات ، كطوفان نوح وفرق البحر لموسى ، وغير ذلك[4] .

الأصبهاني : « الظاهر أنه أراد بالفرقان القرآن ، باعتبار أنه معجز ، فإن الأهم في هذا المقام ، ذكر ما يفيد إلجام الخصم بما يدل على أن القرآن نزلّه الله الحق ، فإنه لما قال : (**نزّل عليك الكتاب بالحق/٣**) ، استبعد الخصوم ذلك ، فذكر قوله (**وأنـزل التوراة والإنجيل/٣**) رفعاً لاستبعادهم ، فإنهم معترفون بإنزالهما ، كما لا استبعـاد في إنزالهما ، لا استبعاد في إنزاله ، ثم رفع الاستبعاد ، لا يلزم منه رفع الرَّيب ، فأقام الحجة على دعواه لرفع الريب ، بقوله (**وأنزل الفرقان/٤**) ، الذي هو المعجز الفارق بين الحق والباطل ، ولما كان اعتبار كونه منزلا ، غير اعتبار كونه معجزاً ، فإن الأول لكونه دعوى ، والثاني لكونه حجة ، فإنهما متغايران بالذات ، حسن العطف » .

قلت : وبهـذا يعرف نكتة التعبير أولا بـ(**نزل/٣**) ، وثانيا بـ(**أنزل/٤**) ، لأن الأول لما كان المقصـود منه الإخبار بنزوله من عند الله ، ذُكر على الهيئة التي نزل عليها ، لأن نزوله هو محط القصد ، فرُوعيت صفته ، والمقصود من الثاني الإخبار

---

(١) المحـرر (١٣/٣) .

(٢+٣) المحـرر (١٣/٣) .

(٤) انظر البحـر (٣٧٩/٢) .



بكونه معجزاً ، فارقاً بين الحق والباطل ، فمحطّ القصد وصف له خاص زائد على النزول ، فلم تُراعَ صفة النزول ، وأتى بـ(**أنزل**) ، لأن الإنزال للإعجاز ، أمر واحد لا تكثير فيه ، وللإشارة إلى حصول الاعجاز بأول نازل منه ، وبأيّة آية نزلت .

الطيبي : « إن أريد بالفرقان ، جنس الكتب ، فهو من باب عطف العام على الخاص ، كقوله تعالى : (**والشمس والقمر والنجوم**)[1] ، ذكر أولاً الكتب الثلاثة ، ثم عمَّم الكتب كلها ، بتخصيص المذكور بمزيد شرف ، وإن أُريد الكتب الثلاثة ، فهو من باب عطف الصفة على الموصوف ، على سبيل التجريد ، جرّد من الكتب معنى كونها مفرقة بين الحقل والباطل ، ثم عطف عليها . ثم لما قرر الحجة بأبلغ عبارة وأوجز إشارة ، وجمع فيها ما يتعلق بمعرفة التوحيد وما يتعلق بمعرفة النبوة عموماً ، ومعرفة نبينا -ﷺ- خصوماً أتبع ذلك بالوعيد ، زجراً للجاحدين والمعرضين عن هذه الآيات الساطعة ، والبينات القاطعة ، فقال : (**إن الذين كفروا/٤**) إلى آخره » .

الطوفي : « ختم الآية بقوله (**عزيز ذو انتقام/٤**) مناسب لوعيد الكفار بالعذاب الشديد ، لأن العذاب تسلُّط لابد فيه من عزة وغَلَبة ، وحيث اقترنت هاتان الصفتان ، فلابد أن يكونا في سياق عقوبة على ذنب ، كقوله في المائدة (**ومن عادَ ، فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام/٩٥**) ، لأنه في[2] سياق القصة بقتل الصيد في الإحرام ، والعقوبة عليه . والانتقام افتعال من النقمة ، وهي السطوة والانتصار . وقيل : هي المعاقبة على الذنب بمبالغة في ذلك ، ويقال : نقم ، إذا أنكر ، وانتقم إذا عاقب. أبوحيان: « أشار بالعزة إلى القدرة التامة ، وهي من صفات الذات ، وبذي انتقام إلى كونه فاعلاً للعقاب ، وهي من صفات الفعل »[3] . والوصف بـ(**ذو**)[4] أبلغ من الوصف بـ« صاحب » ، ولذا لم يجيء في صفات الله صاحب . الزمخشري : « (**ذو انتقام/٤**) له انتقام شديد ، لا يقدر على

(١) الأعراف (٥٤) .

(٢) في (أ) : على .

(٣) البحر (٢/ ٣٧٩) .

(٤) في (ب) : بذاو .



مثله منتقم »[1] وكأنه أخذ ذلك من التنكير. ﴿إن الله لا يخفي عليه شيء/٥﴾ الإمام : « لما ذكر قيّوم ، وهو القائم بإصلاح مصالح الخلق ، ولا يتم ذلك إلا لمجموع أمرين : كونه عالماً بجميع حاجاتهم على جميع الوجوه ، وكونه قادراً على دفعها ، والأول لا يتم إلا بكونه عالماً بكل شيء ، والثاني لا يتم إلا بكونه قادراً على كل شيء ، أشارَ إلى الأول بقوله: ﴿إن الله لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء/٥﴾ ، وإلى الثاني بقوله : ﴿هو الذي يصوِّركم في الأرحام كيف يشاء/٦﴾ » ، قال : « وفي هذه لطيفة أخرى ، وهي أن قوله: ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء/٥﴾ ، لا يجوز إثباته بالسمع ، لأن معرفة السمع موقوفة على العلم بكونه عالماً بكل شيء ، بل بالدليل العقلي ، وهو أن يقال إن أفعاله تعالى محكمة متقنة ، والفعل المحكم المتقن يدل على كون فاعله عالماً ، فذكر الدليل العقلي الدال عليه ، وهو أنه الذي صوَّركم في الأرحام ، على هذه البِنية العجيبة ، والهيئة الغريبة ، وركّب الأعضاء المختلفة في الشكل والطبع والصفة ، فبعضها عظام ، وبعضها أعصاب ، وبعضها أوردة ، وبعضها شرايين ، وبعضها عضلات ، ثم إنه ضمَّ بعضها إلى بعض على أحسن التركيب ، وأكمل التأليف ، وذلك يدل على كمال قدرته حيث خلق ذلك من نطفة ، وعلى كمال علمه ، من حيث إن الفعل المحكم المتقن على هذا الوجه ، لا يصدر إلا عن العالِم ، فكان قوله ﴿هو الذي يصوركم/٦﴾ دالاً على الأمرين معاً ، وإذا ثبت أنه عالِم بجميع المعلومات ، قادر على جميع الممكنات ، ثبت أنه قيِّم المخلوقات ، فظهر أن هذا كالتقرير لما ذكره أولاً ، من قوله ﴿الحي القيوم/٢﴾ .

من تأمل في هذه اللطائف ، علم أنه لا أبلغ ولا أحسن من كلام الله ، ويحتمل تنزيل ذلك على ما نزلت فيه الآية ، وذلك أن النصارى ادعوا إلهية عيسى ، وعوّلوا في ذلك على أمرين :

---

(١) الكشاف (١/٤١١) .



أحدهما : يتعلق بالعلم ، وهو إخباره بالمغيبات ، **(وأنبئكم**[1] **بما تأكلون ، وما تدخرون في بيوتكم)**[2]، والآخر بالقدرة ، وهو إحياؤه الموتى ، وإبراؤه الأكمه والأبرص ، ثم إنه لما استدل تعالى على بطلان قولهم في إلٰهية عيسى ، وفي التثليث بقوله **(الحي القيوم)**، ومعناه أن الإله يجب أن يكون كذلك ، وعيسى ما كان حيّاً ولا قيوماً ، فلزم القطع بأنه ما كان إلٰهاً ، أتبعه بهذه الآية ، ليقرر فيها ما يكون جواباً عن الأمرين ، أما الأول ، فإنه لا يلزم من العلم ببعض المغيبات ، أن يكون إلٰهاً ، لكن عدم إحاطته بكلها ، يدل على أنه ليس بإله قطعاً ، فإن الإله هو الذي لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، أي يكون عالماً بجميع المعلومات ، وعيسى ما كان كذلك ، فوجب القطع بأنه ليس بإله ، وأما الثاني ، فإنه لا يلزم عن صدور هذه الأفعال عنه كونه إلهاً ، لأن الإله هو الذي يكون قادراً على تصوير الناس في الأرحام ، من نطفة كيف شاء ، وعيسى ما كان كذلك ، فلا يكون إلٰهاً ، فقوله : **(إن الله لا يخفي عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء)** إشارة إلى الجواب من الشبهة المتعلقة بالعلم ، وما بعده إشارة إلى الجواب عن الشبهة المتعلقة بالقدرة ، ثم إنه تعالى لما أجاب عن شبهة النصارى أعاد كلمة التوحيد ، زجراً لهم عن قولهم بالتثليث ، فقال : **(لا إله إلا هو/٦)** وقوله **(العزيز)** إشارة إلى كمال القدرة . **(الحكيم/٦)** إشارة إلى كونه كامل العلم ، وهو تقرير لما مرّ من أن علم عيسى بعض المغيبات ، وقدرته على الأفعال المذكورة ، لا يكفي في كونه إلٰهاً ، فإن الإله يجب أن يكون كامل القدرة ، وهو العزيز كامل العلم ، وهو الحكيم .

فإن قيل : قوله : « **(لا يخفى عليه شيءٌ)** على اطلاقه ، يكون دالاً على أنه عالم بكل شيء ، وهو أبلغ في الغرض من التقييد بقوله **(في الأرض ، ولا في السماء)** ، فما الفائدة فيه ؟

---

(١) في النسختين : ويخبركم – والصواب ما أثبتناه .
(٢) آل عمران (٤٩) .



أُجيب : بأن الغرض إفهام العباد كما علَّمه -تعالى- ، وهو عند التقييد المذكور أقوى ، لأن الحسّ متى أعان العقل على المطلوب ، كان الفهم أتمّ والإدراك أكمل »[(١)].

الراغب : (**لا يخفى عليه شيءٌ**) أبلغ من « يعلم » في الأصل ، وإن كانا عند الاستعمال ، يفيدان معنى واحداً »[(٢)]، قال بعضهم : « ووجهه أن (**لا يخفى عليه شيء**) يدل على أنه يعلم[(٣)] من كل وجه يصح أن يعلم منه ، بخلاف « عالم » فإنه من حيث اللفظ يصدق على أن من يعلم الشيء من وجه ، ويخفى عليه من وجه آخر ، كما في علم المخلوقين » .

[البيضاوي : « إنما عبرَّ عن العالِم بالسماء والأرض ، لأن الحِسّ لا يتجاوزهما ، وقدّم الأرض ترقيا ، ولأن المقصود بالذِّكر ما اقترف فيها ، وهو الدليل على كونه تعالى حيّاً ، وقوله : (**هو الذي يصوركم في الأرحام/٦**) كالدليل على القيومية »[(٤)]]. قال الراغب : « وذكر هنا (**يصوركم**) بلفظ الحال ، وفي موضع آخر (**وصوركم**)[(٥)]، لأنه لا اعتبار بالأزمنة في أفعاله ، وإنما استُعملت الألفاظ فيه للدلالة على الأزمنة بحسب اللغات ، وأيضاً (**وصوركم**) إنما هو على نسبة التقدير ، وأن فعله تعالى في حكم ما قد فرغ منه ، و(**يصوركم**) على حسب ما يظهر لنا حالاً فحالاً »[(٦)]. انتهى .

وقرىء (**تَصَوَّركم**)[(٧)] بمعنى صَوَّركم . والتصوير جعل الشيء على صورة ، وهي هيئة حاصلة[(٨)] للشيء عند إيقاع التأليف على أجزائه ، وأصله من صارَه يَصُوره ،

---

(١) التفسير الكبير (٧/ ١٧٥ - ١٧٩) باختصار .

(٢) البحــر (٢/ ٣٨٠) .

(٣) في (ب) : يعلمه .

(٤) ما بين القوسين ليس في (أ) .
وانظر حاشية الشهاب على البيضاوي (٣/ ٤) .

(٥) غافر (٦٤) .

(٦) البحر (٢/ ٢٨٠) .

(٧) عن طاووس - ابن خالويه (١٩) .

(٨) في (أ) : الحاصلة .



أي أمـاله ، فهي صورة لأنها مائلة إلى شكل أبويه . قال بعضهم: «والفرق بين الصـورة والصيغـة ، أن الصيغـة[1] بِنية مضمنـة بجعـل جاعـل في دلالة الصفة اللغوية ، وليس كذلك الصورة ، لأن دلالتها على جعل جاعل قياسية . والرحم أصلهـا من الـرحمـة ، لأن الاشتـمال فيها يُوجب الرحمة والعطف ، فسمى بذلك العضو» . أبوحيان: « في ذكر التصوير في الرحم ، ردّ على من زعم أن عيسى إله ، إذ من المعلوم بالضرورة ، أنه صُوِّر في الرحم »[2].

[الكشاف : « هذا حِجاج على من زعم أن عيسى كان رباً ، فنبَّه بكونه مصوّرا في الـرحم على أنه عبد كغيره »[3]. الطيبي : « يمكن أن يكون الخطاب عاماً ، وإيراد هذا الـوصف بين الأوصـاف ، لأنـه ينـدمـج فيهـا على سبيل التعريض ، الاحتجـاج على النصـارى ، وإلى التعريض الإشارة بقوله ، نبَّه بكونه مصوراً في الرحم ، على أنه عبد كغيره ، وتقديره : أن يقال : لا شك أن من كان إلهاً ، يكون عالِماً بما في العالَم ، لا يخفى عليه شيء فيه كلّياً كان أو جزئياً ، وقادراً على مقدور ، ومنه أنه يصوركم في الأرحام كيف يشاء ، وأنتم هؤلاء النصارى تزعمون أن عيسى كان رباً ، لأنه وُجِد بغير أب ، ولكنكم تقرّون أنه كان مصوَّراً في الرحم ، فإذن لا فرق بينه وبين سائر العباد في هذا المعنى ، فيلزم أن يكون عبداً كسائر العباد ، وإن كان كذلك ، لا يكون رباً فيخفى عليه ما لا يخفى على الرب][4].

الطوفي : « الختم بالعزيز الحكيم ، مناسب لأول الآية ، لأن التصوير في الأرحام أمر عظيم لطيف دقيق ، يحتاج لِعِظَمه إلى عزة وقدرة ، ولِلطْفِه ودِقَّته إلى حِكمة. (**هو الذي أنزل عليك الكتاب/٧**) هو تقدير لحقيقة الكتاب ، ولكونه قيوماً بمصالح الخلق ، فإن إنزال الكتاب من أعظم مصالحهم ، لما فيه من منافعهم دنيا وأخرى » .

(١) عبارة « أن الصيغة » ليست في (أ) .
(٢) البحر (٢/ ٣٨٠) .
(٣) الكشاف (١/ ٤١١ - ٤١٢) ، وقد أسند الزمخشري هذا القول إلى سعيد بن جبير .
(٤) ما بين القوسين ليس في (أ) .



أبو حيان : « مناسبة الآية لما قبلها ، أنه لما ذكر تعديل البنية وتصويرها على ما يشاء من الأشكال الحسنة ، وهو أمر جسماني ، استطرد إلى العلم ، وهو أمر روحاني »[١] ، (ولما ذكر صدر السورة : (**نَزَّل عليك الكتاب/٢**) ، ذكر هنا كيفيته ، وأتى بالموصول ، إذ في صِلته حوالة على التنزيل السابق ، وعهد فيه)[٢] . وقيل : إن من جملة ما تَمَسَّكت به النصارى في عيسى ، قوله تعالى: (**وروح منه**)[٣] ، فأنزل الله هذه الآية لبيان أن آيات الكتاب نوعان : محكم ومتشابه »[٤] ، وذمّ متّبعي المتشابه ، ووصفهم بالزيغ ، وسرّ وقوع المتشابه في القرآن مبسط في القرآن[٥] ، ومشار إليه في أول سورة البقرة ، ووصفه كله بالإحكام في قوله: (**كتاب أُحكمت آياته**)[٦] ، لأن المراد به كونه محكماً بالنظم العجيب ، والمعنى البديع ، وبالتشابه في قوله (**كتاباً متشابهاً**)[٧] لأن المعني به ، أنه يشبه بعضه بعضا في الفصاحة والبلاغة ، ويصدِّق بعضه بعضا ، لا اختلاف فيه ولا تناقض . (**هن أم الكتاب/٧**) لم يقل «أمهات» لأن الآيات كلها -في تكاملها أو اجتماعها كالآيةالواحدة ، وكلام الله واحد ، وقيل : التقدير : كل آية أُم[٨] . (**زَيْغ/٧**) الراغب : « هو المَيل عن الاستقامة[٩] إلى أحد الجانبين ، وزاغ ، وزال ، ومال متقاربة ، إلا أن زاغ لا يقال إلا فيما كان عن حق إلى باطل » . (**تأويلِه/٧**) الراغب : « التأويل من الأَوْل وهو الرجوع إلى الأصل ، وذلك ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه ، علماً كان أو فعلاً »[١٠] . (والراسخون/٧) الصواب أنه مبتدأ . وقرأ ابن عباس : (**ويقول**

---

(١) البحر (٢/٣٨١) .

(٢) ما بين القوسين لم أجده بالبحر .

(٣) النساء (١٧١) .

(٤) البحر (٢/٣٨١) .

(٥) انظر الإتقان (٢/١٦ - ١٧) .

(٦) هود (١) .

(٧) الزمر (٢٣) .

(٨) البحر (٢/٣٨٢) .

(٩) إلى هنا فقط هو الموجود بالمفردات (٢١٧) مادة : زيغ .

(١٠) المفردات (٣١) - مادة : أول - مع الاختصار .

الـراسخـون)[1] ، وقـرأ ابن مسعـود **(إن تأويله إلا عند الله والراسخون)**[2] . الراغب : « الراسخ في العلم المتحقق به ، الذي لا تعرضه شبهة ، والراسخون هم الموصوفون بقوله : **(الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا)** »[3] [4] ، **(كُلٌّ من عند ربنا/٧)** من جملة المقول ، جعلت كأنها مستقلة بالقول ، ولذا لم يشرك بينهما بحرف العطف ، أو جُعلا ممتزجين في القول امتزاج الجملة الواحدة ، وأضافوا العِندية إلى الرب دون سائر أسمائه تعالى ، لما فيه من الإشعار بالنظر في مصلحة عباده ، فلولا أن في المتشابه مصلحة ، لجعله كله محكماً . **(وما يذّكر إلا أولو الألباب/٧)** ابن عطية : « أي ما يقـول هذا ، ويؤمن به ، ويقف[5] عن اتباع المتشابه ، إلا ذو لُبّ » . الراغب : « اللّب : العقل الخالص من الشوائب ، وسُمِّي بذلك ، لكونه خالص ما في الإنسان من قوله كاللّباب . وقيل : هو ما زكى من العقل ، فكل لُب عقل ، وليس كل عقل لُباً ، ولهذا علّق الله الأحكام التي لا تدركها إلا العقول الـزكية بأولي الألبـاب »[6] . قال غيره : « ولم يستعمـل مفرده في القرآن ، لثقله بالإدغام »[7] . (قال صاحب المرشد[8] : لا إنكار لبقاء معنى في القرآن ، استأثر الله بعلمه دون خلقه ، فالوقف على قوله **(إلا الله/٧)** تام » ، وقال : لا يكاد يوجد في التنزيل **(أما)** وبعدها رفع إلا ويُثَنَّى أو يُثَلَّث ، كقوله تعالى : **(أما السفينة)**[9] ، **(وأما الغلام)**[10] ، **(وأما الجدار)**[11] ، فالمعنى : وأما الراسخون ، فحذف **(أما)** ،

(١+٢) البحـر (٢/٣٨٤) .

(٣) الحجرات (١٥) .

(٤) المفردات (١٩٥) - مادة : رسخ .

(٥) في المحرر (٣/٢٩) : « . . . . ويقف حيث وقف ، ويدع اتباع . . . . » .

(٦) المفردات (٤٤٦) مادة : لب .

(٧) في (أ) : في الإدغام .

(٨) لعـل المقصود هنا هو القشيري صاحب كتاب «المرشد» - على ما في الاتقان (٤/١٩٩) وهو قد سبقت ترجمته ، ولم أعثر على كتابه المذكور .

(٩) الكهـف (٧٩) .

(١٠) الكهـف (٨٠) .

(١١) الكهـف (٨٢) .

لدلالة الكلام عليه . فإن قيل : فيلزم على هذا أن يُجاء في الجواب بالفاء ، وليس بعد **(والراسخون/٧)** الفاء ، فجوابه أن **(ما)** لما حُذفت ، ذهب حكمها الذي يختص بها ، فجرى مجرى الابتداء والخبر» .

الطيبي : « الآية من باب الجمع والتقسيم والتفريق[(١)] ، أما الجمع فقوله **(هو الذي أنزل عليك الكتاب)** ، والتقسيم ، قوله : **(منه آياتٌ محكماتٌ)** ، وقوله : **(وأُخر متشابهات)** ، والتفريق قوله : **(فأما الذين في قلوبهم زيغٌ)** الآية ، فلابد من جعل **(والراسخون)** قسيماً له ، لأن التقسيم حاصل[(٢)] » ، وكان من الظاهر أن يقال : وأما الذين في قلوبهم استقامة ، ويتبعون المحكم ، فوضع موضع ذلك **(والراسخون في العلم يقولون آمنا به)** ، وإنما وضع (يقولون آمنا به) موضع « يتبعون المحكم » ، لإيثار لفظ « الراسخون » على المهتدين في الابتداء ، لأن الرسوخ في العلم ، لا يحصل إلا بعد الاهتداء والتتبع التام ، والاجتهاد البليغ ، فإذا استقام القلب في سبيل الرشاد ، ورسخ القدم في العلم ، أفصح صاحبه . ونطق بالقول الحق إرشاداً للخلق ، وكفى بدعاء الراسخين في العلم : **(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا/٨)** شاهداً على أن **(والراسخون في العلم/٧)** مقابل لقوله **(الذين في قلوبهم زيغٌ/٧)** ، وكذا **(يقولون/٧)** وما يتصل به ، مقابل لـ**(فيتبعون/٧)** وما يتعلق به ، فكأنه قال : فأما الزائغون فيتبعون المتشابه ، وأما الراسخون فيتبعون المحكم ، ويردون المتشابه إلى المحكم بقدر وسعهم ، وإلا فيقولون كلٌّ من المحكم والمتشابه من عند الله ، ثم جيء بقوله : **(وما يذَّكَّر إلا أولو الألباب/٧)** تذييلاً وتعريضاً بالزائغين ، ومدحاً للراسخين ، يعني من لم يذكر

---

(١) الجمع والتقسيم : هو جمع متعدد تحت حكم ، ثم تقسيمه أو العكس .
- التلخيص (٣٦٥) .
وأما الجمع والتفريق : فهو أن تدخل شيئين في معنى واحد ، وتفريق جهتي الإدخال .
- مفتاح العلوم (٢٠١) .

(٢) إلى هنا هو الموجود في التبيان (٤٠٧ - ٤٠٨) ، مع ملاحظة أن ما ذكر هنا أنه تقسيم أو تفريق ، هو في التبيان على العكس .



ولم يتعظ ، ويتبع هواه ، ليس من أولي الألباب ، ومن ثم قال الراسخون : **(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك** رحمةً ، **إنك أنت الوهاب/٨)** ، خضعوا لبارئهم لاستنزال العلم اللّدُنِي ، واستعانوا به من الزيغ النفساني » ، انتهى[١]) .

(ربنا/٨) من تتمة مقولهم : **(لا تزغ قلوبنا/٨)** ، قرىء بفتح التاء ، ورفع القلوب[٢] وهو من باب : لا أرينّك ههنا ، أي لا تزغها ، فتزيغ **بعد إذ هديتنا** ، أي بعد هدايتك إيانا . وقيل : **(إذ)** زائدة . وقيل : **(بعد/٨)** زائدة ، ولما كان تطهير القلب عما لا ينبغي ، مقدَّماً على تنويره بما ينبغي ، سألوا أولاً ألا يجعل قلوبهم مائلة عن الحق إلى الأباطيل والعقائد الفاسدة ثم طلبوا أن ينوّر قلوبهم بأنوار المعرفة ، وجوارحهم وأعضاءهم بزينة الطاعة فقالوا : (هب لنا من **لدنك** رحمةً/٨) هي شاملة للإحسان الدنيوي والأخروي . أبوحيان : « سألوا بلفظ الهبة المشعرة بالتفضُّل والإحسان من غير مقابلة »[٣] [الراغب: « الهِبة تمليك الشيء غيره من غير ثمن »[٤] . قال الطيبي : فنبّه بقوله: **(هب لنا)** على أن حق العبد ألا يلتفت إلى شيء من العمل ، وطلب العِوض به ، بل يرجو رجاء المفاليس المطالبين للتفضل والهبة ، لا العوض ، وإنما قال: **(من لَدُنك)** ، لأنه لما كانت الهبة على ضربين ، هبة عن عِوض ، وهبة لا عن عِوض ، نبّه بقوله: **(وهب لنا من لدنك)** أن هذه الهبة اعتراف أن يتفضله بدرك ما لا يدرك في الدنيا والآخرة ، نحو قوله **(وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله** [٥]][٦] ، وختم بقوله **(إنك أنت الوهاب/٨)** بصيغة المبالغة إشارة إلى سعة كرمه ورحمته ، وأن المطلوب يسير في جنب هباته الجزيلة . الطوفي :

---

(١) ما بين القوسين ، ليس موجوداً في (أ) .

(٢) وقد قرأ بذلك الصديق ، وأبو قائلة ، والجراح . البحر (٢/٣٨٦) .
وكذا عمرو بن فايد ، والجحدري . ابن خالويه (١٩) .

(٣) البحـر (٢/٣٨٦) .

(٤) المفردات (٥٣٣) - مادة : وهب - بمعناه .

(٥) الأعـــراف (٤٣) .

(٦) ما بين القوسين ، ليس موجوداً في (أ) .



« هو من رد العجز على الصدر » . (ربنا إنك جامع الناس ليومٍ لا ريب فيه/ ٩) من تتمة دعائهم للإشارة إلى أن غرضهم من سؤال الرحمة ليس الدنيا فقط ، بل الآخرة التي هي المقصود الأهم ، وهناك يظهر خِزي أهل الزيغ وعِز أهل الرسوخ . وقرىء بتنوين (جامع) ، ونصب (الناس)[١] . (إن الله لا يخلف الميعاد/ ٩) هو من كلامه تعالى ، لا منْ كلام الداعين ، أيدّ به كلامهم ، وهذا يسمى في البديع حشو التمهيد ، ونظيره قوله تعالى -حكاية عن بلقيس-: (إن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلةً)[٢] ، ثم قال تعالى : (وكذلك يفعلون)[٣] ، فهذه من كلامه تعالى ، أكدّ بها كلام بلقيس وليست من تتمة كلامها ، وبهذا يعرف الفرق بين هذه الآية ، وبين قوله في آخر السورة حكاية عن المؤمنين : (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ، إنك لا تُخلِف الميعاد/ ١٩٤) ، حيث أتى هنا بالغيبة ، وهناك بالخطاب ، فإن ذلك من تتمة كلام المؤمنين خطابا لمولاهم ، ومن قال إن الجملة هنا من تتمة دعاء الراسخين ، أجاب في الفرق بأجوبة ، أحدها : أن أول السورة قد تقدَّم فيه ذِكر الله وأوصافه مرة بعد أخرى صريحاً ، ولم يتقدم ذكر الكناية إلا مرة ، فعدل من الخطاب إلى الغيبة ، لأنها الأغلب ، وأما آخر السورة فلِغَلَبة الكناية .

الثاني : أن اتصال هذا الموضع بما قبله معنوي ، وتقديره : فقِنا شَرَّه ، وهو المطلوب بقوله :(ربنا إنك جامع الناس ليومٍ لا ريب فيه/ ٩) ، واتصال ذلك الموضع بما قبله لفظي ومعنوي ، لتقدُّم لفظ الوعد في قوله : (ما وعدتنا/ ١٩٤) ، فهو أشد في الاتصال مما هنا ، فحسُن مجيئه هناك على سَنَن واحد ، والعدول هنا إلى الغيبة .

الثالث : أن هذه الآية في بيان الحشر والنشر ، لينتصف المظلومون من الظالمين[٤] فهو مقام الهيبة ، فكان ذِكره باسمه[٥] الأعظم أبلغ . وهناك لطلب العبد

---

(١) وهي قراءة أبي حاتم - البحر (٢/ ٣٨٧) .

(٢+٣) النمل (٣٤) .

(٤) في (أ) : الظالم .

(٥) في (أ) : باسم .



من ربه أن ينعم عليه بفضله ، ويتجاوز عن سيآته ، فكان مقام القرب ، والتعطف به والخطاب أَلْيق .

[الطيبي : « هذه الخاتمة تذييل لما سبق ، وكان مقتضى الظاهر أن يقال : إنك لا تُخْلِف الميعاد ، ثم إن ربنا لا يخلف الميعاد ، فوضع المظهر المضمر من غير لفظه السابق ، وخصَّ باسم الذات ، وجعله محكوماً عليه ، وجعل عدم خُلْف الميعاد محكوماً به ، ليكون من باب الإشعار بالعلية »[1]] . **(إن الذين كفروا/١٠)** الأصبهاني : « لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم ، حكى كيفية حال[2] الكافرين ، وشدة عقابهم » . **(لن تُغْني/١٠)** قرىء بسكون الياء وبالتحتية مفتوحاً وساكناً[3] . **(أموالهم/١٠)** قُدِّمت على الأولاد في هذه الآية وما شابهها ، لأنها أبلغ في الدفع من الأولاد . **(هم وقود/١٠)** بضم الواو[4] . وفي الحصر بهم مبالغة ، كأنه ليس لها وقود إلا هم ، فهو حصر مجازي . **(كَدَأْب/١١)** خبر محذوف ، أي دأبهم ، وهو العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة . وقرىء بفتح الهمزة[5] . **(آل فرعون/١١)** خصَّهم بالذكر ، لأن الكلام مع بني إسرائيل ، وهم يعرفون ما جرى لهم حيث كذبوا موسى . **(كذبوا/١١)** تفسير للدأب . **(بآياتنا/١١)** فيه التفات . **(فأخذهم/١١)** فيه التفات عن التكلم في **(بآياتنا)** قال الكرماني : « ونكتته أنه لما عدل في قوله (إن الله لا يخلف الميعاد/٩) عن الخطاب إلى الغيبة ، عدل هنا ليكون الكلام على منهاج واحد »[6] ، واستُعير الأخذ للعقاب ، لأن المعاقب كالمأخوذ الأسير الذي لا يقدر على التخلّص . **(والله شديد العقاب/١١)** الطوفي: « مناسب لقوله **(فأخذهم الله بذنوبهم/١١)** ، لأن ذنوبهم سبب أخذهم بالعقاب » . **(قل للذين كفروا/١٢)** الأصبهاني: « وجه اتصالها ، أنه بيّن في الآية المتقدمة ما حلّ

---

(١) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) .

(٢) كلمة « حال » ليست في (ب) .

(٣) راجع البحر (٢/٣٨٨) ، وابن خالويه (١٩) .

(٤) عن طلحة بن مصرف ابن خالويه (١٩) .

(٥) ذكرها أبو حاتم عن يعقوب - البحر (٢/٣٨٩) .

(٦) البرهان للكرماني (١١٣) .

بالمكـذبـين ، فكما نزل بالقوم العذاب المعجَّل ، ثم يصيرون إلى دوام العذاب ، كذلك ينزل بمن كذَّب بمحمد[١] -ﷺ- أمران ، أحدهما : المعجَّل ، وهو القتل والسبي والإذلال ، ثم يكون بعده المصير إلى العذاب الأليم ». (**ستُغلَبون/١٢**) من قرأ بالتاء فالأمر واقعٍ على هذه اللفظة ، ومن قرأ بالياء[٢] ، فهو واقع[٣] على المعنى ، أي قل لهم ما يكون هذا معناه . ويحتمل أن يكون تقديره : قل للذين كفروا إن الذين كفروا سيغلبون . (**وبئس المهاد/١٢**) من جملة المقول ، أو استئناف من كلامه تعالى . (**قد كان لكم آيةٌ/١٣**) لم يقل كانت ، والآية مؤنثة ، لأنه ردَّها إلى البيان ، قد كان لكم بيان ، فذهب إلى المعنى ، وترك اللفظ والخطاب ، وهم الذين كفروا في الآية كفروا في الآية قبلها ، كما بيَّنه سبب النزول[٤] (**فئةٌ تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرةٌ/١٣**) فيه احتباك ، أي فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الله[٥] الطاغوت. وقرىء (فئة)[٦] ، و(**كافرة**) بالجر[٧] على البدل ، وبالنصب[٨] على المدح والذم . وقرىء (**يقاتل**) بالتحتية[٩] على تأويل الفئة بالقوم . (**تـرونهم مثليهم**) بالتـاء خطابـاً لليهـود ، أي ترون الكفـار مثل المؤمنين ، ففي

(١) في (ب) : محمـد .
(٢) قراءة الياء هي قراءة حمزة والكسائي ، وقراءة التاء هي قراءة البقية .
حجـة القـراءات (١٥٣ - ١٥٤) .
(٣) في (ب) : أبلغ .
(٤) قال ابن اسحاق : لما أصاب رسول الله -ﷺ- قريشاً ببدر ، فقدِم المدينة جمع اليهود وقال : يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر ، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم ، فقد عرفتم أني نبيّ مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم ، فقالوا : يا محمد لا يغرَّنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت فيهم فرصة ، أما والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس ، فأنزل الله تعالى : « قل للذين كفروا ستغلبون ». أسباب النزول للواحدي (٦٢) .
(٥) كلمة « سبيل » ليست في (ب) .
(٦) الزهري ومجاهد والحسن وحميد . ابن خالويه (١٩) ، البحر (٣٩٣/٤) .
(٧) انظـر البحـر (٣٩٤/٢) .
(٨) ابن أبي عبلة ، وابن السميفع ، ابن خالويه (١٩) ، والبحر (٣٩٤/٢) .
(٩) مجاهد ومقاتل ، البحر (٣٩٤/٢) .



الضميرين لف ونشر غير مرتب ، وبالياء[1] بلفظ الغيبة لليهود أيضاً ، على طريقة الالتفات ، فاتفقت القراءتان ، وليست إحدى القراءتين للمؤمنين ، ولا للكافرين ، لئـلا يخالف قولـه (**وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليـلاً ، ويقلِلكم في أعينهم**)[2] وما أُجيب به على جعلها كذلك من أن التقليل وقع أولاً ، والتكثير بعد الملاقاة خلاف الظاهر[3]. وقرىء بضم أوله مع التاء[4]، والياء[5] . (**رأْيَ العين/١٣**) مصدر مؤكد دافع لاحتمال أن يُراد رؤية القلب ، أو رؤية النوم . (**إن في ذلك لَعِبرة/١٣**) حيث نصر المؤمنين مع قِلَّتهم على الكافرين ، وهم مِثلاهم . (**زُيِّن للناس/١٤**) الآية ، هذه الآية كالشرح والبيان للعبرة المذكورة في الآية قبلها. وقيل : إن اليهود لما قالوا ما قالوا ، وردَّ عليهم بما سبق ، وكانوا مستظهرين بما خولوه من المال والسلاح والأبناء ، بيّن تعالى في هذه الآية ، أن هذه الأشياء ونحوها من متاع الدنيا زائل فانٍ ، وأن الآخرة خير وأبقى ، ثم وصف الجنة وما فيها ، وبيّن أنها للذين اتقوا ، ووصفهم بصفاتهم الجميلة . وقال ابن برّجان[6] : « عرض تعالى في هذه الآية بأن المحبّ لمتاع الدنيا يُورثه حبها الجبن عن القتال ، وتغشية البصائر ، وإلهاء القلوب عن النظر في الآيات ، والاعتبار بها ، وهذا هو ترك الاستعداد لحسن المآب » . انتهى .

---

(١) القراءة بالتاء هي قراءة نافع ، والقراءة بالياء هي قراءة باقي السبعة .
حجة القراءات (١٥٤) .

(٢) الأنفال (٤٤) .

(٣) انظر البحر (٢/٣٩٤) .

(٤) قرأ بذلك ابن عباس ، وطلحة ، البحر (٢/٣٩٤) .

(٥) قرأها السلمي - البحر (٢/٣٩٤) ، وابن مصرف - ابن خالويه (١٩) ، وابن عباس - المحتسب (١/١٥٤) .

(٦) هو أبو الحكم ، عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي الاشبيلي ، متصوف ، من كتبه كتاب في «تفسير القرءان» مخطوط ، أكثر كلامه فيه على طريق الصوفية ، ولم يكمله توفي سنة ٥٣٦هـ .
فوات الوفيات (١/٢٧٤) ، والاستقصاء (١/١٢٩) ، ولسان الميزان (٤/١٣) ، والأعلام (٤/١٢٩) .



وقرأ مجاهد (زين/١٤) بالبناء للفاعل[١]، ونصب (حب/١٤)، وفاعله ضمير راجـع إلى الله في قوله: (والله يؤيد بنصره من يشاء/١٣) ، وأما قول ابن جني إنه ضمير شيطان ، دلّ عليه ما يتردد في القرآن من نحو قوله: (يَعدِهم ويُمَنِّيهم)[٢][٣]، فإنـه بنـاء على رأيه من الاعتـزال ، فإنه كان معتزلياً[٤]، وأوقع التزيين على حب الشهوات دون الشهوات نفسها ، لأن ذلك أبلغ ، إذ لو أوقعه على نفس الشهوات ، لم تُزيَّن غالبـاً إلا لواجـدهـا ، إيقاعه على حبها أعم لواجدها وفاقدها ، قاله ابن برّجان . قال الأصبهاني : « وجعل الأعيان التي ذكرها من النساء وما بعدها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصاً عليها ، وإلا فالشهوة تَوَقان النفس إليها ، وأجملها أولاً ، ثم فسرها ليقرر أولاً في النفوس ، أن المزيّن لهم حبّه ، ما هو إلا شهوات لا غير ، ثم يفسرهـا بهذه الأعيان ، فيكـون أقـوى تخسيسهـا ، وأدل على ذم من يستعـطفها ويتهالك عليها . وقدَّم النساء لأن حبهن أشد ، والالتذاذ بهن أكثر ، والاستئناس بهن أتمّ . وخصّ البنين من الأولاد ، لأنهم أحب إلى الآباء منهن كما هو معروف ، وقدمهم على الأموال ، لأن حب الإنسان ولده ، أكثر من حبه ماله ، بخلاف ما إذا ذُكِر في معرض الاستعانة والدفع ، فإن الأموال تقدَّم كما سبق . وقدَّم الذهب على الفضة ، لأنه أحب منها ، وأعلى قيمة ، وقدّمها على الخيل ، وما ذُكِر بعـدها ، لأنها[٥] أعم نفعاً ، وقدَّم الخيل على الأنعام ، لأنها أشرف ، ولصاحبها أعـزّ ، والأنعـام على الحـرث ، لأنها أجمل لصاحبها ، ولم يجمع الحرث ، لأنه في الأصل مصدر » .

---

(١) المحتسب (١/١٥٥) ، وابن خالويه (١٩) .

(٢) النسـاء (١٢٠) .

(٣) المحتسب (١/١٥٥) .

(٤) والمعتـزلـة ينفـون أن يكـون فعل الانسان بقدر الله وقضائه وقالوا أن للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى .
انظر تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي (٧٢) .

(٥) في (ب) : لأنهم .

ولما ذكر في هذه الآية ستة أنواع من متاع الدنيا ، قابلها بستة من أمور الآخرة : الجنات ، والأنهار ، والخلد ، والأزواج ، والتطهرّ ، والرضوان ، كذا قال بعضهم .

قلت : وأحسن منه ، أن يقال : إن الآية الأولى اشتملت على ذكر جميع منافع الدنيا ، والجنة شاملة لذلك ، لأن فيها جميع المطالب ، كما قال : **(وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)**[1] ، فدخل فيها جميع النعمة ، من المطعم والمشرب والملبس والمفرش والمنظر والمنكح ، ثم صرح بهذا في قوله : **(وأزواجٌ/١٥)** ، من باب عطف الخاص على العام للاهتمام به ، وليصفها بما ليس في نساء الدنيا ، من التطهير الشامل لجميع الأحوال الذميمة التي في النساء ، من الحيض والنفاس والأقذار وسوء العشرة ، ولما كان قوله في الآية الأولى **(ذلك متاع الحياة الدنيا/١٤)** مشعراً بالزوال والفناء ، أتى في مقابلته بقوله **(خالدين فيها/١٥)** ، ولما كان قوله : **(زين للناس حب الشهوات/١٤)** مشعراً بأنها غير مرضية عند الله ، أتى في مقابلته بقوله **(ورضوان من الله/١٥)** وأتى في مقابلة قوله **(للناس/١٤)** بقوله **(للذين اتقوا/١٥)** .

فانظر إلى هذه المقابلات . والاستفهام في **(أنبئكم/١٥)** للتشويق . وفي خطابه التفات . وفي قراءة **(جنات/١٥)** بالجرّ[2] بدلاً من **(خير)** ، فلام **(للذين)**[3] متعلقة به ، والتنكير في **(رضوان/١٥)** للتعظيم ، والقراءة بكسر الراء ، لغة الحجاز ، وضمها[4] لغة تميم . وقال ابن برّجان : « وصف تعالى الشهوات بوصف فيه فخامة ، وللنفوس إليه التفات لنكتة ، وذلك أن الغرض الترغيب في شهوات الآخرة ، ومتى فُوضل بين قرينَين ، وعظم أمر المغلوب ، ورفع قدره ، فالمراد في ذلك مدحه الغالب ، وإظهار فضله »[5] . **(والله بصيرٌ بالعباد/١٥)** الطوفي : «مناسب لما في الآية ، لأن المعنى أنه تعالى عالِم بمن يستحق الجنَّات ونعيم الآخرة ،

---

(١) الزخرف (٧١) .

(٢) في رواية عن يعقوب ، ابن خالويه (١٩) .

(٣) في (أ) : للذي .

(٤) قراءة الضم هي قراءة أبي بكر عن عاصم ، وقراءة الكسر هي قراءة الباقين . حجة القراءات (١٥٧) .

(٥)



فيوفقه لها بالتوفيق والصلاح ». (**الذين يقولون/١٦**) تابع (**للذين اتقوا/١٥**). (**الصابرين/١٧**) الآية عطف الصفات بالواو، للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها، وعلى أن من كانت فيه واحدة من هذه الصفات، فهو داخل تحت هذا المدح، مستوجِب لهذا الثواب. والإطلاق في الصبر والصدق والقنوت والإنفاق، ليعم جميع وجوهها. وخصّ الاستغفار بالأسحار، لأنه أفضل الأوقات وأجوبها. والسَّحَر: الوقت الذي قبل طلوع الفجر إلى الإسفار، وأصله الخفاء، لِلطفه. (**شهد الله/١٨**) لما مدح تعالى المؤمنين، وأثنى عليهم، أردفه بدلائل ظاهرة، تدل على فضلهم وكمالهم. وأصل الشهادة: الحضور، ثم نقل إلى الإخبار عما تقرَّر علمه في النفس. وقيل: شهادة الله عبارة عن خلقه الدلائل الدالة على توحيده، وشهادة الملائكة وأُولي العلم عبارة عن إقرارهم بذلك، شُبِّهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الحاصلة، وبما أوحى من آياته بشهادة الشاهد في البيان والكشف، وكذلك إقرار الملائكة وأُولي العلم بذلك، واحتجاجهم عليه، فيكون في قوله: (**شهد الله**) استعارة تبعية، مصرَّح بها، تحقيقية قطعية[1]. المروزي: « ذكر[2] سبحانه شهادته على سبيل التعظيم لشهادة من ذكر بعده كقوله: (**قل الأنفال لله والرسول**)[3][4] ». المؤرِّخ[5]: « (**شهد الله**) بمعنى: قال الله، بلغة قيس[6] بن عيلان »[7]. وقرىء

---

(١) الاستعارة التبعية هي أن يكون اللفظ المستعار فعلاً أو اسم فعلٍ، أو اسماً مشتقاً أو اسماً مبهماً، أو حرفاً والاستعارة هنا تبعية، لأن اللفظ المستعار، فعل، وهو (شهد). جواهر البلاغة للهاشمي (٣١٠).
والاستعارة التصريحية، تكون بذكر لفظ المشبه به فقط، كما هنا حيث قال: (شهد). والاستعارة التحقيقية تتحقق فيها لو كان المستعار له محققاً حساً وعقلاً، وهنا المستعار له محقق عقلاً. جواهر البلاغة (٤٠٥).

(٢) كلمة « ذكر » ليست في (ب).

(٣) الأنفال (١).

(٤) البحر (٢/٤٠٢).

(٥) هو أبو فيد، مؤرج بن عمرو بن الحارث، من بني سدوس بن شيبان ولد وتوفي في البصرة، وكان عالماً بالعربية والأنساب، من مصنفاته: « حذق نسب قريش »، و« غريب القرآن »، و« الأمثال »، و« المعاني » توفي سنة ١٩٥هـ.
وفيات الأعيان (٢/١٣٠)، وبغية الوعاة (٤٠٠)، وإرشاد الأريب (٧/١٩٣).
=



(شهد) بالبناء للمفعول[1] ، فإنه بدل من الجلالة ، أي شهد ألوهية الله ، ورفع الملائكة على هذه القراءة على الابتداء ، والخبر محذوف أي يشهدون . وقرىء (شهداء لله)[2] بصيغة الجمع ولام الجر ، كقوله : (قوَّامِين بالقسط شهداء لله)[3] ، وهو بالنصب حال من الضمير في المستغفرين ، أي يستغفرونه شهداء لله بأنه لا إلٰه إلا هو ، وذلك غاية الارتباط ، وبالرفع على إضمار «هم» ، وقرىء كذلك بالوجهين[4] ، والإضافة إلى اسم الله . وقرىء بضم الشين والهاء[5] ، جمع شهيد ، كنذير ونذر ، ومضافاً إلى الله مرفوعاً ومنصوباً[6] . فهذه سبع قراءات .

=(٦) هو شعب عظيم ينتسب إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وقد تشعب قيس إلى ثلاثة بطون : كعب ، وعمرو ، وسعد .
الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر (٨١ - ٨٨) ، والعقد الفريد (٢/٦٢) ، ومجمع الأمثال للميداني (٢/٢٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢) ، اللسان (مادة : قيس) ، وجمهرة أنساب العرب (٣٤٣) ، وجمهرة النسب للكلبي (٣١١) ، ومعجم قبائل العرب (٣/٩٧٢) .

(٧) البحر (٢/٤٠٢) .
وقال ابن تيمية : « الشهادة تتضمن كلام الشاهد وقوله وخبره عما شهد به وهذا قد يكون مع أن الشاهد نفسه يتكلم بذلك ويقوله ويذكره ، وإن لم يكن معلماً به لغيره ، ولا مخبراً به لسواه ، فهذه أول مراتب الشهادة ، ثم قد يخبره ويعلمه بذلك ، فتكون الشهادة إعلاماً لغيره ، وإخباراً له ، ومن أخبر غيره بشيء ، فقد شهد به ». إلى أن قال : « وشهادة الرب وبيانه وإعلامه يكون بقوله تارة ، وبفعله تارة ، فالقول هو ما أرسل به رسله وأنزل به كتبه ، وأوحاه إلى عباده ، وقد علم بالتواتر والاضطرار ، أن جميع الرسل أخبروا عن الله ، أنه شهد ويشهد ألا إله إلا هو بقوله وكلامه . . . ، وأما شهادته بفعله ، فهو ما نصبه من الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل ، وإن لم يكن هناك خبر عن الله . . » .
الفتاوى (١٤/١٦٨ - ١٧٥) .

(١) عن أبي الشعثاء - كما في البحر (٢/٤٠٣) .
(٢) القراءة برفع الهمزة وبلام الجر ،وبنصب الهمزة وبلام الجر ذكرها الزمخشري ، الكشاف (١/٤١٩) ، وانظر المحتسب (١/١٥٥) .
(٣) النساء (١٣٥) .
(٤) قراءة (شهد الله) بالنصب هي قراءة أبي المهلب وقراءتها بالرفع هي قراءة أبي الشعثاء وأبي نهيك . ابن خالويه (١٩) ، والبحر (٢/٤٠٣) . وعلى كلتا القراءتين فإن (شهداء) مضافة إلى اسم الله .
(٥) عن أبي المهلب ، البحر (٢/٤٠٣) .
(٦) أي بضم الدال ، وفتحها كما ذكر النقاش ، البحر (٢/٤٠٣) .



(أنه لا إله إلا هو/١٨) قدَّم المفعول فاصلاً به بين المعطوف والمعطوف عليه ، ليدل على الاعتناء به ، وعلى تفاوت درجة المتعاطفين بحيث لا يتسقان متجاورين . وقرىء (إنه) بالكسر[(١)]، إجراء لـ(شهد) مجرى «قال» ، لأن الشهادة في معنى القول ، أو على أن معمول (شهد) (إن الدين عند الله الإسلام/١٣٩) ، وما بينهما اعتراض .

وقرىء (ان لا)[(٢)] بحذف الضمير والتخفيف . (والملائكة/١٨) قدمهم على أولي العلم من البشر ، لأنهم الملأ الأعلى ، وعلمهم كله ضروري ، بخلاف البشر ، فإن علمهم ضروري واكتسابي . (قائماً/١٨) قرىء (قيماً)[(٣)]، وقرىء (القائم) . بالرفع[(٤)]، خبر هو مقدرا . (لا إله إلا هو/١٨) الكرماني : « كرر لأن الأول جار مجرى شهادة الشاهدين ، والثاني جار مجرى حكم الحاكم بصحة ما شهدوا »[(٥)]، ونقل ذلك الإمام[(٦)] والأصبهاني وغيرهما . وقال ابن برّجان : « يمكن أن يكون التكرير لأجل عظم الشهادة ، كما كررت في الأذان ، وكما جاء ذكر الصلاة مكرراً في صدر سورة المؤمنين ، وسورة المعارج ، إشعاراً بتعظيمها »[(٧)].

الراغب : « كرر ، لأن صفات التنزيه أشرف من صفات التمجيد ، لأن أكثرها مشارك في ألفاظها العبيد ، فيصح وصفهم بها ، ولذا وردت ألفاظ التنزيه في حقه أكثر ، وأبلغ ما وصف به من التنزيه (لا إله إلا هو) ، فكرر هنا ، لأنه سرّ كون الثاني ، قطعاً للحكم ، كقولك : أشهد أن زيداً خارج ، وهو خارج ، والثاني : لئلا يسبق بذكر العزيز الحكيم إلى قلب السامع تشبيه ، إذ قد يوصف بهما المخلوق »[(٨)]. انتهى . (العزيز الحكيم/١٨) وصفان بمعنى القدرة والعلم ، مقدران لما قبلهما ،

---

(١) عن ابن عباس . ابن خالويه (١٩) .

(٢) عن عبد الله بن مسعود . البحر (٢/٤٠٣) .

(٣) عن أبي حنيفة ، البحر (٢/٤٠٣) .

(٤) قرأ بذلك عبد الله بن مسعود ، البحر (٢/٤٠٥) .

(٥) البرهان (١١٣) بتصرف .

(٦)

(٧)

(٨) البحر (٢/٤٠٦) .

فإنه تعالى لما ذكر التوحيد والقيام بالعدل ، أردفهما بذلك ، على وجه التكميل والتوكيد ليدل قوله : (**لا إله إلا هو**) على التوحيد الصرف. و(**قائماً بالقسط**) على أنه تعالى يجري الأمور كلها على الاستقامة والسداد . وقدم (**العزيز**) على (**الحكيم**) ، لأن العلم بكونه قادراً مقدم على العلم بكونه عالماً في طريق المعرفة الاستدلالية. الطوفي: « الختم بهما مناسب لقوله: (**قائماً بالقسط**) إذ لا يقدر على إقامة القسط ، إلا من اجتمع له العزة والحكمة والحكم ، فبالحكمة يعلم القسط ، ووضع الأشياء مواضعها ، وبالعزة والحكم ، ينفذ ذلك » . (**إن الدين عند الله الإسلام/١٩**) قرىء بفتح (**أن**)[1]، بدل اشتمال من (أنه/١٨) ، أو معمول (الحكيم/١٨) ، ويكسرها[2] جملة مستأنفة[3] مؤكدة [لما قبلها. الطيبي : « هي مذيلة معترضة على أسلوب قوله تعالى: (**واتبع مِلَّة إبراهيم حنيفاً ، واتخذ الله إبراهيم خليلاً**)[4]، وإنما كانت مذيَّلَة ، لأن الشهادة بالوحدانية وبالعدل والعزة والحكمة ، هي أُسُّ الدين ، وقاعدة الإيمان ، ولا شك أن الدين أعم من الاعتقاد الذي هو التصديق ، ثم إن الدين صُدِّر بإن ، وخُصِّص بقوله : (**عند الله**) ، وهو كناية عن رفعة المنزلة ، ثم التعريف في الخبر ، الذي هو (**الإسلام**) ، جاء لقصر المسند على المسند إليه » (**وما اختلف/١٩**)[5]] . الأصبهاني : « المقصود من الآية ، بيان أن الله أوضح الدلائل وأزال الشبهات ، والقوم ما كفروا إلا بغياً وعناداً » .

ابن برّجان : « هذا[6] إخبار منه تعالى ، أن أول وجوب الشهادة إجماع واتفاق على دين الإسلام ، وإنما خرق الإجماع اختلاف حادث بعد انعقاده » .

---

(١) عن ابن عباس والكسائي ومحمد بن عيسى الأصبهاني .
حجة القراءات (١٥٧) ، والبحر (٢/٤٠٧) .

(٢) عن ابن عباس أيضاً - الدر المصون (٣/٧٤) .

(٣) في (ب) : مستأنفاً .

(٤) النساء (١٢٥) .

(٥) ما بين القوسين ليس في (أ) .

(٦) في (ب) : هذه .



قلت : وانظر إلى هذا التخلُّص العظيم ، فإن الكلام لما كان أولاً في أهل الكتاب ، واستطرد منه إلى وصف متاع الدنيا ، ثم حال الآخرة ، وأنها للذين اتقوا ، ثم وصف حالهم ، وأتبعها بذكر الشهادة تخلَّص بذكر اختلاف الذين أُوتوا الكتاب في الدِّين ، ليعود إلى الكلام فيهم ، الذي كان فيه أولا ، ولهذا قال عقبه : (**فإن حاجُّوك**/٢٠) إلى آخره . الطوفي : « (**سريع الحساب**/١٩) مناسب لقوله (**ومن يكفر**/١٩) ، لأنه إشارة إلى الوعيد على الكفر » . (**فإن حاجُّوك ، فقل أسلمت وجهي لله**/٢٠) الإمام : « في كيفية إيراد هذا الكلام طريقان : أحدهما : أنه إعراض عن المحاجَّة ، إذ قد أظهر لهم الحجة على صدقه قبل نزول هذه الآية[1] بالمعجزات من القرآن وغيره ، وقد ذكر قبل هذه الآية الحجة بقوله : (**الحي القيوم**/٢) على فساد قول النصارى في إلٰهية عيسى ، وبقوله (**نَزَّل عليك الكتاب**/٣) على صحة نبوته ، وذكر شُبَه القوم وأجاب عنها ، وذكر معجزة أخرى ، وهي ما شهدوه يوم بدر ، وبيَّن القول بالتوحيد بقوله :(**شهِد الله**/١٨) . والثاني : أنه إظهار للدليل ، وذلك أنهم كانوا مقرِّين بالصانع ، واستحقاقه للعبادة ، فإنه قال : أنا متمسِّك بهذا القول ، المتفق عليه ، والخلاف فيما وراءه ، وعلى المدَّعِي الإثبات »[2] .

(**ومن اتبعنِ**/٢٠) عطف التاء في (**أسلمت**/٢٠) ، يؤكد لطول الفصل . ويجوز أن يكون مفعولاً معه ، ذكره جماعة . (**أأسلمتم**/٢٠) استفهام بمعنى الأمر ، عبّر به ليكون دالًّا على معاندة المخاطب ، ومعناه : أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ، ويقتضي حصوله لا محالة ، فهل أسلمتم ، أم أنتم بعدُ على كفركم ، وقد يعبّر عن هذا الاستفهام بالاستقصار ، أي بالنسبة إلى التقصُّر نحو (**فهل أنتم منتهون**)[3] ، لما فيه من الإشعار بالتقاعد عن الانتهاء ، والحرص على تعاطي المنهي

---

(١) في (أ) : الآيات ، وما أثبتناه من (ب) هو الصحيح ، لأنه كذا في التفسير الكبير .

(٢) التفسير الكبير (٧/٢٢٧ - ٢٢٨) باختصار .

(٣) المائـدة (٩١) .



عنه . (فإن أسلموا/٢٠) إلى آخره ، فيه طباق[1] (والله بصيرٌ بالعباد/٢٠) وعد لمن أسلم ، ووعيد لمن تَولَّى . (إن الذين كفروا/٢١) هم أهل الكتاب ، ذكر لهم ثلاثة أوصاف ، مقدِّماً فيها الأعظم فالأعظم ، ثم عقَّبها بثلاثة أوجه من الوعيد : البشارة بالعذاب الأليم ، وهو سبب الآلام والمكروهات وهو مقابل الكفر ، لأنه أعظم مما بعده ، وحبوط الأعمال ، وهو زوال المنافع عنهم بالكلية ، وهو مقابل لقتل الأنبياء ، والثالث : وقوع ذلك في حقهم على وجه لا يكون لهم ناصر ولا دافع ، كما لم يكن للآمرين بالقسط من ينصرهم حين قتلوهم .

وقرأ الحسن (يقتّلون) الأول[2] بالتشديد ، وحمزة الثاني (ويقاتلون)[3] والأعمش (وقاتلوا الذين)[4] ، وأُبيّ (والذين) بإسقاطها[5] .

أبو حيان : « جاء هنا (بغير حقٍ/٢١) ، وفي البقرة (بغير الحق/١٦١) ، لأن الجملة هنا أُخرجت مخرج الشرط ، وهو عام لا يتخصَّص ، فناسب أن يكون المنفي بصيغة التنكير ، حتى يكون عاماً ، وفي البقرة جاء ذلك في صورة الخبر عن ناس معهودين ، فناسب صيغة التعريف ، لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنفس عندهم ، كان معروفاً ،لقوله :(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس)[6] ، فالحق فيها معهود معروف ، بخلاف ما في هذه السورة « قال : « ثم هذه اللفظة من الحشو الحسن ، لأنه لم يُقتل[7] نبي قط بحق ، وإنما أتى به ليتأكد قبح قتل الأنبياء ، ويعظم أمره في قلب العازم عليه . وقال :(من الناس/٢١) لينبِّه على أنهم غير الأنبياء ، الذين تقدَّم ذكرهم »[8] . (وما لهم من ناصرين/٢٢) أبوحيان : « مجيء

---

(١) وذلك في (أسلموا) ، (تولوا) .

(٢) يعني (ويقتلون النبيين) ، البحر (٢/٤١٣) .

(٤) حجة القراءات (١٥٨) .

(٤+٥) البحر (٢/٤١٤) .

(٦) المائدة (٤٥) .

(٧) في (أ) : لا يقتل .

(٨) البحر (٢/٤١٤) بتصرف .

الجمع هنا ، أحسن من مجيء الإفراد ، لأنه رأس آية ، ولأنه بإزاء من للمؤمنين من الشفعاء »[1] .

(ألم ترَ/٢٣) الأصبهاني : « لما نبَّه تعالى على عناد القوم بقوله : **(فإن حاجُّوك)** ، بيَّنَ في هذه الآية غاية عنادهم و(ثم) لاستبعاد تولِّيهم بعد علمهم أن المدعو إليه كتاب الله ، وأن الرجوع إليه واجب » . **(ليحكم/٢٣)** بالبناء للفاعل وللمفعول[2] . **(وهم معرضون/٢٣)** أي وهم قوم لا يزال الإعراض دَيْدَنهم **(فكيف/٢٥)** لما ذكر تعالى اغترارهم بما هم عليه[3] من الجهل ، بيّن أنه سيجيء يوم يزول فيه ذلك الجهل ، وينكشف فيه ذلك الغرور . وفي الكلام حذف ، أي فكيف حالهم ، أو فكيف يصنعون ، وهو استعظام لما أعدَّ لهم ، وتهويل له ، وأنهم يقومون فيما لا حِيلة في دفعه ، ولا مخلص منه ، وأن ما حدثوا به أنفسهم تعلُّلٌ بباطل ، وتطمع بما لا يكون . **(اللهم/٢٦)** قيل : إنه الاسم الأعظم . وقيل : أصله : يا الله أمنّا بخير ، حذفت الهمزة ، وأُلقيت حركتها على ما قبلها ، لكثرة استعماله[4] . **(مالك الملك ، تُؤتي الملك/٢٦)** لم يقل[5] تؤتيه مع أنه أخصر ، لأن الملك الأول عام ، والثاني بعضه ، لأن الملك الذي يُؤتاه الناس ، ليس[6] كل الملك الذي الله مالكه ، فتعينً الإظهار . **(من تشاء/٢٦)** أي إيتاءه الملك ، وكذا ما بعده .

وفي الآيتين[7] طباق في **(تؤتي/٢٦)** و**(تنزع)** ، و**(تعز)** و**(تذل)** ، و**(تولج/٢٧)** و**(تخرج)** ، و**(الليل)** ، و**(النهار)** ، و**(الحي)** و**(الميت)** ، فهذه خمس

---

(١) البحر (٢/٤١٤ - ٤١٥) .

(٢) القراءة بالبناء للمفعول هي قراءة الحسن ، وأبي جعفر ، وعاصم الجحدري . البحر (٣/٤١٦) .

(٣) في (أ) : عليهم عليه .

(٤) قاله الفراء - معاني القرآن (١/٢٠٣) ، وانظر الجامع القرطبي (٤/٥٣ - ٥٤) .

(٥) في (أ) : يقع .

(٦) في (ب) : يقع .

(٧) في المخطوطة : الآية - والصواب ما أثبتناه .

طباقات[1] . وفي الآية الثانية النوع المسمى في البديع بالعكس[2] . في موضعين ، وفي قوله : (**بيدك الخير**/٢٦) اختصاص ، أي لا بيد غيرك ، ومجاز ، استُعيرت اليد للقدرة[3] ، واكتفاء ، أي والشر ، ونكتته الأدب بعدم التصريح ، بإضافة الشر إليه ، وكون الخير هو الأغلب والأفضل .

ابن عطية : « خصَّ الخير بالذكر ، لأن الآية في معنى دعاء ورغبة ، فكأن المعنى بيدك الخير ، فأجزل حظي منه »[4] .

الراغب : « لما كانت في الحمد والشكر ، لا للحكم ، ذكر الخير ، إذ هو المشكور عليه[5] ، ثم لما كان قد يوهم خروج الشيء عن قدرته ، أردف بما يدل على دخوله فيها كغيره فقال : (**إنك على كل شيءٍ قديرٌ**/٢٦) ، فهو تكميل واحتراس » .

وقال الطوفي : « الختم به مناسب للأفعال المذكورة في الآية ، إذ لا يقدر عليها إلا كامل القدرة عامِّها ، ثم أردفه بقوله : (**تُولج**/٢٧) إلى آخره ، الدال على قدرته الباهرة ، فهو كالتقدير لقوله (**إنك على كل شيءٍ قديرٌ**/٢٦) ، وختم بقوله : (**وترزق من تشاء بغير حساب**/٢٧) دلالة على أن القادر على تلك الأفعال العظيمة المحيِّرة للأفهام ، القادر أن يرزق من يشاء بغير حساب ، قادر على إيتاء الملك من يشاء من عباده ، وهم هذه الأمة ، وينزعه من الكفار ، خلاف ما استبعده المنافقون » .

وقال ابن برّجان : « ظاهر تلاوة هاتين الآيتين ، إقرار وإيمان بما تضمنتا ، ومعناهما الدعاء ، لأن قوله : (**اللهم مالك الملك**/٢٦) دعاء لا محالة ، وسؤال باسم مقتض لمعنى المسؤول ، فكان المعنى بما بعده : آتنا -أيتها الأمة- الملك ، وانزعه

---

(١) في (ب) : طبقات .

(٢) وهو أن يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ، ويؤخر آخر ، ثم يقدم المؤخر ، ويؤخر المقدم كما هنا . بديع القرآن لابن أبي الإصبع (١١١) ، والاتقان (٢٧٧/٣) ، وعلوم البلاغة للمراغي (٣٢٧) .

(٣) قلت : نثبت لله ما أثبته لنفسه ، فلا نؤول ولا نحرف ولا نعطل ولا نمثل .

(٤) المحـــرر (٦٨/٣) .

(٥) الموجود في البحر (٤٢٠/٢) إلى هنا فقط .



من أيدي أعدائنا ، وأعزّنا وأذلهم ، فإن بيدك الخير ، وأنت على كل شيء قدير ، كما تُولج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، تُدِيل هذا على هذا » ، قال : « وكان يحسن على ظاهر الدعاء ، أن تختم الآية الأولى بما خُتمت به الثانية ، وبالعكس ، لكنه لما صرّف المشيئة في الأول ظاهراً ، ختمها بوصف القدرة ، ولما صرف القدرة ظاهراً في الثانية ، خُتمها بوصف المشيئة » انتهى .

قلت : يدل لما ذكره من الدعاء ، ما ورد في الحديث ، أن اسم الله الأعظم هذه الآية ، أو في هذه الآية[1] .

الطوفي : « الفاصلة مناسبة لقوله : (**وتُخرِج الحي من الميت/٢٧**) ، لأنه أخبر أنه يخرج المرزوق ، وهو الحي ، فناسب الإخبار بأنه يرزق ، إذ لا يستغني الحي عن رزق » .

والقراءة في (**الميّت/٢٧**) بالتخفيف والتشديد[2] . (**لا يتخذ/٢٨**) الأصبهاني :

« لما ذكر ما دل على كمال قدرته ، بيّن ما يجب على العبد في المعاملة مع الناس ، لأن كمال الأمر في شيئين : التعظيم لأمر الله ، والشفقة على خلق الله ، وأيضاً لما بيّن أنه مالك الدنيا والآخرة ، بيّن أنه ينبغي أن تكون الرغبة فيما عنده ، ولا يتم ذلك إلا بموالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه » .

وقرىء بالرفع[3] على النفي ، والمراد به النهي . (**تتقوا/٢٨**) فيه التفات ، ونكتته اللطف بالمؤمنين ، حيث لم يُواجَهوا بالنهي ، وَوُجِهوا بما فيه مسامحة . (**منهم**

---

(١) أخرج الطبراني عن ابن عباس عن النبي -ﷺ- قال :
(اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب ، في هذه الآية من آل عمران : (قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء) إلى آخر الآية . الدر المنثور (٢/١٤). وقال الهيثمي : « رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه (جسر بن فرقد) وهو ضعيف » . مجمع الزوائد (١٠/١٥٦).

(٢) قراءة التخفيف هي قراءة ابن كثير وأبي عامر وابن عامر وأبي بكر وقراءة التشديد هي قراءة الباقين . حجة القراءات (١٥٩).

(٣) عن الضبي البحر (٢/٤٢٢) .



تُقاة/٢٨) أقام مصدر تقى مقام الاتقاء ، لأن العرب تخرج مصدر إحدى الكلمتين المتفقتين معنى على مصدر الأخرى .

وفي قراءة (تَقِيَّة)[١] بوزن مَطِيَّة ، مصدر على فعلية . (**ويحذركم الله نفسه/٢٨**) أي بطشه وعقوبته ، أو إياه ، والفائدة في ذِكر النفس تأكيد التهديد ، وتشديد الوعيد . (**وإلى الله المصير/٢٨**) مناسب للتحذير ، لأن وقوع المحذَّر بهم ، إنما يكون كاملاً عند مصيرهم إليه. (**قل إن تُخْفُوا/٢٩**) الآية ، الأصبهاني : « لما نهي عن اتخاذ الكافرين أولياء ظاهراً وباطناً ، واستثنى التقية في الظاهر ، أتبعه بالوعد[٢] على أن يصير الباطن وقت التقية على وفق الظاهر ، وبيّن أن الله يعلم الظواهر والبواطن ، ويعلم كل المعلومات ، فلا يخفى عليه شيء مما أضمره العبد ، ثم أتبعه بقوله :(**والله على كل شيءٍ قديرٌ/٢٩**) إتماماً للتحذير ببيان القدرة » .

فإن قلت : لم قدّم الإخفاء على الابتداء هنا ، وعكس في آخر البقرة .

قلت : لم أرَ من تعرَّض لذلك ، ويمكن أن يقال : لما كانت الآية هنا عقب التحذير من الموالاة والحب ، وهما من أعمال القلوب ، ناسب الابتداء بالإخفاء ، وآية البقرة عقب التحذير من كتم الشهادة ، وأداء الشهادة من أعمال اللسان ، فناسب الابتداء بالإبداء . وجعل أبوحيان ذلك من باب التفنُّن ، وكذا قوله هناك (**ما في أنفسكم**)[٣] ، وهنا (**ما في صدوركم/٩**) »[٤].

الطوفي : قوله :(**والله على كل شيءٍ قديرٌ/٢٩**) في بادىء الرأي غير مناسب لما في الآية من قوله :(**يعلمه الله ، ويعلم/٢٩**) ، لأن هذا يقتضي أن تكون فاصلته : « **والله بكل شيءٍ عليمٌ** » ، غير أنه مع النظر مناسب بتقدير محذوف ، أي يعلم ما

---

(١) قرأ بذلك ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو رجاء ، وقتادة ، والضحاك وأبو حيوة ويعقوب وسهل وحميد بن قيس . البحر (٢/٤٢٤) ، وحجة القراءات (١٦٠) .

(٢) في (ب) : بالوعيد .

(٣) البقرة (٢٨٤) .

(٤) البحر (٢/٤٢٥) .



تُخْفون وما تُبدون ، فيجازيكم عليه ثواباً وعقاباً ، وهو قادر على جزائكم ، لأنه على كل شيء قدير ، ولا شك أن المجازاة تحتاج إلى قدرة ويحقِّق ذلك أنه في سياق الوعيد على موالاة الكفار . (**يوم تَجِدُ**/ ٣٠) قيل العامل في (يوم/ ٣٠) اذكر . وقيل : اتقِ . وقيل : يحذركم . وقيل : المصير. وقيل : قدير[١] وخصّ اليوم -وإن كان غيره من الأيام بمنزلته في قدرة الله - تفضيلاً له لِعِظم شأنه ، كقوله :(**مالك يوم الدين**)[٢] . (**مُحْضَراً**/ ٣٠) قرىء بكسر الضاد[٣]، أي محضراً الجنة . و(**ما**/ ٣٠) تحتمل العطف ، والاستئناف . (**تَوَدُّ**/ ٣٠) قرىء (**وَدَّت**)[٤] (**ويُحَذِّركم الله نفسه**/ ٣٠) الأصبهاني : «كرَّره تأكيداً للوعيد ، ليكون على بالٍ منهم[٥]، لا يغفلون عنه » .

وقال الكرماني : لأن الأول وعيد ، عطف عليه وعيد ، فإن قوله :(**وإلى الله المصير**/ ٢٨) معناه : مصيركم إليه ، والعقاب مُعَدٌّ لديه ، فأعاده في الآية الثانية ليستدركه بوعد ، وهو قوله : (**والله رؤوفٌ بالعباد**/ ٣٠) »[٦] .

وفي كشف المعاني : « الأول في سياق الوعيد ، والثاني في سياق حذر التفويت للخير»[٧] . (**والله رؤوف بالعباد**/ ٣٠) الطوفي : « مناسب للتحذير ، لأن من حذَّر نفسه ، فقد رئِف بمن حذَّره ، حيث نبهه على جهة الحذر ، ليحذر) » .

---

(١) هذا القول الأخير قاله مكي بن أبي طالب ، وجوّز الأقوال الأخرى المذكورة هنا ، ما عدا القول الثاني فإنه لم يذكره . مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٥) ، والقول الثاني هو تقدير الطبري ، جامع البيان (٦/ ٣١٩) ، وقال الزمخشري إن العامل هنا ، هو : (تود) . الكشاف (١/ ٤٢٣) ، وقد علّق أبو حيان على قول الزمخشري هذا بقوله: «والظاهر -في بادىء النظر- حسنه وترجيحه ، إذ يظهر أنه ليس فيه شيء من مضعفات الأقوال السابقة ، لكن في جواز هذه المسألة ونظائرها خلاف بين النحويين ، وهي إذا كان الفاعل ضميراً عائداً على شيء اتصل بالمعمول للفعل ، نحو غلام هند ضربت ، وثوبي أخويك يلبسان ، ومال زيد أخذ ، فذهب الكسائي وهشام وجمهور البصريين إلى جواز هذه المسائل » . البحر (٢/ ٤٢٦) .

(٢) الفاتحة (٤) .

(٣) عن عبيد بن عمر - البحر (٢/ ٤٢٧) .

(٤) عن عبد الله ، وابن أبي عبلة - البحر (٢/ ٤٣٠) :

(٥) في (ب) : بالهم .

(٦) البرهان (١١٥) مع تصرف يسير .

(٧) كشف المعاني (٨٠) .



أبو حيان : « لما ذكر صفة التحذير وكررها -وكان ذلك مزعجاً للقلوب- ذكر صفة الرحمة ، من باب اتباع الوعيد بالوعد ، وجاءت جملة الوعيد أسمية ليكون أبلغ من جملة الوعيد الفعلية ، وجاء متعلقة أعم ، ليدل على الإحسان التام »[1] . **(قل إن كنتم تحبون الله/١)** قال ابن برّجان : « لقرب معنى الوِلاية من معنى المحبة ، نظمها بها » . وقرىء بفتح أول الفعلين[2] من حب ، لغة ، وقرىء **(يحبكم)** بالفتح والإدغام[3] ، وقرىء **(فاتبعوني)** بتشديد النون[4] . ألحق الأمر بنون التوكيد وأدغمها في نون الوقاية ، ولم يحذف الواو ، تشبيهاً بـ**(أتحاجّوني)**[5] . **(والله غفورٌ رحيمٌ/٣١)** مناسب لما قبله من رد العجز على الصدر . **(قل أطيعوا الله/٣٢)** الآية ، هذه كالشرح للآية قبلها ، لأن معنى محبة الله . الإيمان به وطاعته وطاعة رسوله وتعظيمه . **(فإن تولوا/٣٢)** يحتمل الماضي والمضارع . **(فإن الله لا يحب الكافرين/٣٢)** أوقع الظاهر موقع المضمر ، بياناً لكفرهم ، وتفظيعاً لشأنهم ، **(إن الله اصطفى/٣٣)** الأصبهاني : « لما بيّن أن محبته لا تتم إلا بمتابعة الرسول ، بيّنَ عُلُو درجات الرسل وشَرَفهم » .

قلت : هذا مطلع قصة عيسى ، وابتداء خلقه المقرر للرد على النصارى فيما ادّعوه . **(واصطفى/٣٣)** من الصفوة ، كاصطنع من الصنعة ، واصطبر من الصبر ، فيه زيادة مبالغة ، لأن زيادة البناء ، تدل على زيادة المعنى ، والصفوة الخلوص من كل دنس . **(آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران/٣٣)** في الاقتصار على هذه الأربعة ، وترتيبهم على هذا النسق ، ما لا يختفي من البلاغة ، لأن آدم أبوالبشر ، وأول الأنبياء ، ونوحاً أول الرسل ، وجميع الخلق بعدُ من ذريته ، وإبراهيم

---

(١) البحر (٢/ ٤٣٠ - ٤٣١) باختصار .

(٢) أي (تحبون) ، و (يحببكم) ، وقد قرأ بذلك أبو رجاء العطاردي . البحر (٢/٤٣١) ، وانظر ابن خالويه (٢٠) .

(٣) رويت عن أبي رجاء أيضاً ، ابن خالويه (٢٠) .

(٤) عن الزهري ، البحر (٣/٤٣١) .

(٥) الأنعام (٨٠) .



أبو الأنبياء ، وجدّ بني إسرائيل ، وعمران أبو أم عيسى[1] وعيسى هو المقصود ذكره ، فبدأ باصطفاء أجداده مقدماً الأعلى فالأعلى ، ليعلم أنه خِيار من خِيار ، من خِيار من خِيار .

وقيل : المراد عمران أبو موسى وهارون[2] ، وهو أيضاً من أجداد عيسى . قال الأصبهاني : «ويؤيد الأول ذِكر (إذ قالت امرأة عمران/ ٣٥) على أثره » ابن جماعة : « أدخل آل في عمران ، لأنه لم يكن نبياً ، وإنما الأنبياء من ذريته »[3] . وفي (إبراهيم) الإشارة إلى كثرة الأنبياء في نسله ، أو كثرة من تبع مِلَّته ، دون آدم ، ونوح ، لأنهما المقصودان بأنفسهما . وقرأ ابن مسعود : (وآل محمد على العالمين)[4] . (ذرية/ ٣٤) قيل : نصبه على البدل[5] . وقيل : على الحال[6] . وقيل : على المدح .

الراغب : « الذرية ، أصلها الصغار من الأولاد ، ثم صار يُطْلَق على الصغار والكبار معاً »[7] ، زاد الزملكاني : « ثم صار يُطْلَق على الإماء ، لأن الأب ذرىء منه الولد أي خلق ، فكان ذرية لولده ، كما أن الولد ذرىء من أبيه » ، قال : « ومن استعمالها في الآباء ، قوله تعالى : (وآيةٌ لهم أنا حملنا ذريتهم في الفُلْك المشحون)[8] أي آباءهم » ، قال : « ومنه هذه الآية ، جعل آدم ومن ذكر معه ذرية للأبناء » . وسبقه إلى ذلك صاحب النظم[9] . الراغب فقال : « الذرية تقال للواحد والجمع

(١) قاله الكلبي - الجامع للقرطبي (٤/ ٦٣) .

(٢) قاله مقاتل ، المرجع السابق .

(٣) في كشف المعاني (٨١) :
« إن الأولين - يقصد آدم ونوحاً (عليهما الصلاة والسلام) - جميع الأنبياء والرسل من نسلهم ، وآل إبراهيم ، أما نفسه أو من تبع ملته ، وآل عمران موسى ، وهارون ، ولم يكن عمران نبياً » .

(٤) البحر (٢/ ٤٣٥) .

(٥) قاله أبو البقاء ، وهو يذهب إلى أن (ذرية) بدل من نوع وما عطف عليه من الأسماء . الاملاء (١/ ١٣١) .

(٦) قاله الأخفش . معاني القرآن (١/ ٢٠٠) .

(٧) المفردات (١٧٨) مادة : ذرو - بتصرف .

(٨) يس (٤١) .

(٩) البحر (٢/ ٤٣٥) .



والأصل والنسل ، ومنه (**حملنا ذريتهم**)[1] أي آباءهم »[2]. ابن جني : « قراءة الكافة بضم الذال ، وقرىء بكسرها[3] وفتحها ، فعليه من الذرىء ، مصدر ذرأ الله الخلق ، أو من الـذَّر ، لأن الخلق كان في القـديم كالـذر »[4]. (**والله سميعٌ عليم/ ٣٤**) الطوفي : « مناسب لما قبله ، فكأنه بيِّن به وجه اصطفائهم ، لأنه سميع لأقوالهم ، عليم بصحة مقاصدهم ونياتهم ، فكان ذلك سبباً لاصطفائه لهم ». (**إذ قالت/ ٣٥**) الأصبهاني : « لما كانت الآيات مسوقة لمحاجة نصارى نجران ، معلمة بصـورة الأمر ، الذي قد ضلُّوا فيه ، ومبينة لحقيقته ، ابتدأ بذكر اصطفاء هؤلاء المذكورين ، الذين آل عمران منهم ، ثم ذكر قصصاً كثيرة فالقصة الأولى ، قصة أم مريم ، لأن القصد وصف قصة القوم ، إلى أن يبين أمر عيسى ». (**فَتَقَبَّل/ ٣٥**) التَّقَبُّـل : « أخـذ الشيء عن الـرِضى به في كل حال . (**إنـك أنت السميـع العليم**[5]**/ ٣٥**) مناسب للنذر ، لأنه لابد فيه من قول مسموع ، وقصد معلوم . (**وضعتها/ ٣٦**) أنثى ضميرها حملاً على المعنى . (**قالت رب إني وضعتها أنثى/ ٣٦**) اعتذار إلى الله ، وتحسرّ على خيبة رجائها ، (**والله أعلم بما وضعت/ ٣٦**) القراءة بتاء المتكلم على أنة من كلام أم مريم ، إخبار بأن ما قالته قبله اعتذار وتحسُّر ، لا إعلام -تعالى الله عن ذلك- وتسلية لنفسها ، كأنها تقول : ولعل لله فيه سرًّا وحكمة ، ولعل هذه الأنثى خير من الذكر . وبتاء التأنيث الساكنة[6] ، فهي جملة اعتراضية من كلام الله تعظيماً لولدها وتجهيلاً لها بقدر ذلك الموضوع ، أي والله أعلم بالشيء الذي وضعتـه ، وبـما علّق به من عظائم الأمور ، وأن تجعله وولده آية للعالمين ، وهي جاهلة بذلـك . وقـرىء بكسر التـاء[7] خطابـاً من الله لها . (**وليس الـذكر**

---

(١) يـس (٤١) .

(٢) لم أجد هذا النص في المفردات ، وهو في البحر (٢/ ٤٣٥) .

(٣) نسبها ابن جني إلى زيد بن ثابت ، المحتسب (١/ ١٥٦) .

(٤) المحتسب (١/ ١٥٦) باختصار وتصرف .

(٥) كلمة (العليم) ليست في (أ) .

(٦) القراءة بتاء المتكلم هي قراءة ابن عامر ، وأبي بكر ، والقراءة بتاء التأنيث الساكنة هي قراءة الباقين . حجة القراءات (١٦٠) ، والكشف (١/ ٣٤٠) .

(٧) عن ابن عباس ، ابن خالويه (٢٠) .

كالأنثى/٣٦) من كلام أم مريم ، أي ليس الـذكـر الـذي طلبت كالأنثى التي وهبت ، لأنها لا تصلح لخدمة المسجد التي[1] نذر الذكر لها ، وإدخال الكاف على الأدنى ، لأنـه في معرض السلب ، والقاعدة دخولها على الأعلى في المدح ، وعلى الأدنى في ضده ، وكذا في السلب ، ومنه **(يا نساء النبي لستن كأحدٍ من النساء)**[2] . أي في النـزول ، **(أم نجعل المتقين كالفجار)**[3] أي في سوء الحال ، وكذا هنا . وقيل : الجملة من كلامه تعالى ، اعتراضية ، أي ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت ، لما حوته هذه من التعظيم والآيات والفضل الذي لم يحوه الذكر الذي قدّرت حصـولـه ، فالكاف داخلة على الأعلى ، لأنه مقام المدح . **(وإني سميتها مريم/٣٦)** ذكرته لربها ، لأن مريم في لغتهم العابدة ، فأرادت بذلك التقرب إلى الله ، وطلب أن يعصمها ليكون فعلاً مناسباً لاسمها ، ولهذا أتبعته طلب الإعادة لها ولـذريتهـا . **(وإني أعيـذها/٣٦)** عبَّر بالمضارع ، لقصد الدوام والاستمرار ، بخلاف **(وضعتها/٣٦)** و**(سميتها/٣٦)** ، لأنهما ماضيان ، قد انقطعا . **(فتقبَّلها ربها/٣٧)** قرىء بصيغة الأمر ، ونصب **(ربها/٣٧)** على النداء ، وكذا **(أَنْبِتَهَا/٣٧)** و**(كفِّلهـا/٣٧)** قرىء بصيغـة الأمر[4] **(بقَبُولٍ/٣٧)** مصدر وضعه موضع تقبُّل ، ونظيره الوَلُوع والطَّهُور ، والوَضُوء ، ولا خامس لها ، وقياسها الضم . والباء : قبل زائدة أي قبولا ، وقيل : سببية ، والتقدير: بأمر ذي قبول . وقيل : معنى تقبَّلها : استقبلها[5]. الأصبهاني : « إنما قال:(فتقبلها/٣٧) ، لأن ما كان من باب التفعّل يدل على شدة اعتناء الفاعل بالفعل ، كالتعبُّد والتجلّد ، فالتقبل يفيد المبالغة في إظهار القبول ، ولم يقل بتبتلّ ، حتى تصير المبالغة أكمل ، لأن التقبل ، وإن أدى إلى ما ذُكر ، إلا أنه يفيد نوع تكلّف ، على خلاف الطبع ، أما القبول ، فإنه يفيد

---

(١) في (أ) : الذي .

(٢) الأحـزاب (٣٢) .

(٣) ص (٢٨) .

(٤) عن مجاهـد . الدر المصون (٣/١٤١) ، وابن خالويه (٢٠) .

(٥) انظر البحر (٢/٤٤١) . =



معناه على وفق الطبع ، فذكر التقبل ليفيد الجد والمبالغة ، ثم ذكر القبول ليفيد أن ذلك ليس على خلاف الطبع بل على وِفقه .

وهذه الأمور ، وإن كانت ممتنعة في حق الله ، إلا أنها من حيث الاستعارة للدلالة على حصول العناية العظيمة ». (**وأنبتَها نباتاً حسناً/٣٧**) جاز عن التربية الحسنة ، وأقام (**نباتاً/٣٧**) مقام «إنبات». وقيل : التقدير : فنبتت نباتاً[1] . (**وكفلها/٣٧**) بالتخفيف ورفع (**زكريا/٣٧**) ، والتشديد ونصبه[2] ، أي ضمَّها الله إليه ، وجعله كافلا لها . وقرىء (**وأكْفَلَها**) ، (**وكَفِلها**) بكسر الفاء[3] لغة ، والقراءة (زكريا) بالمد والقصر[4] . (**إن الله يرزق من يشاء بغير حساب/٣٧**) يحتمل أن يكون من كلام مريم ، وأن يكون من كلامه تعالى ، وهو مناسب لما في الآية من وجدان الرزق . (**هنالِك**) أصله للمكان ، واستُعير هنا للزمان ، وفيه إشعار بالسببية . (**قال/٣٨**) تفسير لـ(**دعا/٣٨**) . ابن برّجان : « جاء ذكر سؤال زكريا ربه على أوجه[5] من الخطاب ، متفقة في المعنى ، فهنا : (**رَبِّ هب لي من لدنك ذريةً طيبةً ، إنك سميع الدعاء/٣٨**) . وفي مريم : (**رب إني وَهَنَ العظم منى/٤٠**) إلى قوله (**واجعله رب رضياً/٦**) وفي الأنبياء (**رب لا تذرني فرداً ، وأنت خير الوارثين/٨٩**). ومجيء ذلك مختلفاً ، دليل على تكراره ، ففيه إشارة إلى التكرار والإلحاح في الدعاء » .

قلت : وقد يكون دعا مرة ، فعبّر تعالى عنه بألفاظ متنوعة ، كما هو عادته في تكرير القصص .

---

(١) انظر البحر (٢/٤٤١) .

(٢) قراءة التشديد مع النصب في (زكريا) ، هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وأبي بكر ، وقراءة التخفيف ، مع الرفع في (زكريا) ، ومدها هي قراءة الباقين . حجة القراءات (١٦١) ، والبحر (٢/٤٤٢) .

(٣) قراءة (وأكفلها) هي قراءة أبيّ ، وقراءة (وكفلها) بكسر الفاء هي قراءة عبد الله المزني وهي أيضاً رواية ابن كثير . البحر (٢/٤٤٢) ، والدر المصون (٣/١٤١) ، وابن خالويه (٢٠) .

(٤) قراءة القصر هي قراءة حمزة والكسائي وعاصم وحفص وقراءة المد هي قراءة باقي السبعة . حجة القراءات (١٦١) ، والبحر (٢/٤٤٢) .

(٥) في (ب) : وجـه .



أبـو حيان : « دعا بلفظ (رب/٣٨) ، لأنه مربيّة ، ومصلح حاله ، وبلفظ (هب/٣٨) لأن الهبة إحسان محض ، لا في مقابل »[١].

الراغب : « استعمال الطيب في الصالح ، كاستعمال الخبيث في ضده ، على أن في الطيب زيادة على معنى الصالح »[٢]، والفاصلة مناسبة لما في الآية من الدعاء والسماع ، فكنّى به عن الإجابـة . (فنادتـه الملائكـة/٣٩) وفي قراءة (فناداه) بالتذكير[٣]، والمراد جبريل وحده ، كما قرأ ابن مسعود (فناداه جبريل)[٤] من العام المراد به الخصوص . قيل : والنداء يُستعمل في التبشير ، وفيما ينبغي أن يُسرع به ، ويُنهي إلى نفس السامع ليسرّ به . (إن الله) بالكسر على إضمار القول ، والفتح[٥] على إضمار الباء . وقرأ ابن مسعود قبله (يا زكرياء)[٦]. (يبشرك/٣٩) في القرآن من مضارع بشّر عشرة مواضع[٧]، قرئت في السبع بالتخفيف والتشديد[٨]، إلا قوله في الحجر (فبم تبشرون/٥٤) ، فاتفقوا على تشديده ، وقرىء هنا أيضاً بالضم مخففاً[٩]

---

(١) البحـر (٢/٤٤٤) بتصـرف .

(٢) البحـر (٢/٤٤٥) .

(٣) عن حمزة والكسائي . حجة القراءات (١٦٢) .

(٤) البحـر (٢/٤٤٦) .

(٥) قراءة الكسر عن ابن عامر ، وحمزة ، وقراءة الفتح عن البقية ، حجة القراءات (١٦٢ - ١٦٣) .

(٦) البحـر (٢/٤٤٦) .

(٧) وهذه المواضع هي :
- (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين ، وتنذر به قوما لداً) مريم (٩٧) .
- قالوا لا توجل ، إنا نبشرك بغلام عليم) الحجر (٥٣) .
- (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) مريم (٧) .
- (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) الإسراء (٩) .
- (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً) الكهف (٢) .
- (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الشورى (٢٣) .
- (أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً) آل عمران (٣٩) .
- (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) آل عمران (٤٥) .
- (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم) التوبة (٢١) .

(٨) قراءة التخفيف هي قراءة حمزة والكسائي ، وقراءة التشديد هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٦٣) .

(٩) عن عبد الله ، البحر (٢/٤٤٧) . وأسندها ابن خالويه (٢٠) إلى حميد بن قيس .



من أبشر . (بيحيى/٣٩) قال ابن برّجان : « في اسمه إشارة إلى كونه يُقتل شهيداً ، لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون » . (مصدقاً بكلمةٍ/٣٩) أي بعيسى ، سُمِّي كلمة ، لأنه وُجد بكلمة « كن » وحدها من غير أب . وقرىء بسكون اللام[1] .
(وسيداً/٣٩) أي متبوعاً لقومه ، ذكره في مقابلة قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب)[2] وما بعده في مقابلة قوله (اجعله رب رضياً)[3] ، وذكر الصفات على وجه الترقي . (قال رب أنى يكون لي غلامٌ/٤٠) استبعاد .

فإن قلت : ما وجه سؤاله ذلك مع طلبه الولد ، وعلمه بقدرة الله ؟ أُجيب : بأنه تعالى ألهمه[4] السؤال ليُجاب بما أُجيب[5] به من الحكمة ، فيستفاد . (وقد بلغني الكِبَر/٤٠) قيل : هو من باب القلب ، أي بلَغْتُه ، كما قال في آية أخرى : (وقد بَلَغْتُ من الكِبَر)[6] . وقال الراغب : « إذا بلَغْتَ الكِبَر ، فقد بلَغَكَ الكِبَر »[7] .

(وامرأتي عاقرٌ/٤٠) أَخّر ذِكر المرأة هنا ، وقدَّمه في سورة مريم[8] ، لتناسب رؤوس الآي ، وأيضاً فلما قدَّم ذكره هناك أولاً بقوله : (وَهَن العظم مني)[9] (وكانت امرأتي عاقراً)[10] ، أَخّره ثانيا تفنناً في الفصاحة . قال الماتريدي[11] : « لا تُراعى

---

(١) مع كسر الكاف ، وقد قرأ بذلك أبو السمال العدوي . البحر (٢/٤٤٧) .
(٢+٣) مريم (٦) .
(٤) في (ب) : إليه .
(٥) في (أ) : أجاب .
(٦) مريم (٨) .
(٧) البحر (٢/٤٥٠) .
(٨) وذلك في قوله تعالى : (قال رب أنىّ يكون لي غلامٌ ، وكانت امرأتي عاقراً ، وقد بلغت من الكبر عتياً) مريم (٨) .
(٩) سورة مريم (٤) .
(١٠) سورة مريم (٥) .
(١١) محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) وهو من أئمة علماء الكلام .
=

الألفاظ في الحِكاية ، إنما تُراعى المعاني المدرجة في الألفاظ »[1] . أبو حيان : « جاءت جملة الكِبَر فِعلية ، لأنه يتجدّد شيئاً فشيئاً ، وجملة المرأة اسمية ، لأن كونها عاقراً ، أمر لازم لها »[2] . (**قال كذلك/ ٤٠**) أي الأمر كذلك ، أي كما ذكر من خلق غلام منكما ، فهو خبر مقدر . وقيل : خبر ، و(**الله**) بعده مبتدأ ، أي الله على هذه الصفة . (**يفعل ما يشاء/ ٤٠**) بيان له . وقيل : هو صفة مصدر محذوف ، أي يفعل ما يشاء فعلاً مثل ذلك[3] . وقال ابن برّجان : « الكاف للتشبيه والتسوية بين الحكمين والإشارة إلى ما عند زكريا من العلم بالله ؛ وقدرته على ذلك إذا شاء ، كقدرته على سنته الظاهرة ، **يفعل** ما يشاء من ذلك بتوسط الأسباب وباطّراحها ، ثم أراه آية بقوله عقبه في سورة مريم (**وقد خلقتكَ من قبلُ ، ولم تكُ شيئاً**)[4]، وكذا قوله لمريم (**كذلك**)[5] الإشارة إلى علمها بمقدور الله الغائب ، أنه عنده كالحاضر الموجود المعهود ، فقوله (**كذلك/ ٤٠**) أي هكذا هو عند ربك ، كالمعهود عندك » . انتهى . (**قال رب اجعل لي آيةً/ ٣١**) أي علامة أعرف بها الحَبل[6] ، لم يطلبها شكّاً بل لتَوَقان النفس إلى المطلوب ، ليعرف وقته حال حدوثه قبل ظهوره عادة ، وليقابله بمزيد الشكر والاجتهاد في العبادة ، **وجعل** آيته حبس لسانه عن كلام الناس مع قدرته على الذكر ، من جنس الآية في ولادة امرأته ، مع أنها في سِنِّ العُقر . (**أن لا تكلّم/ ٤١**) قرىء بالرفع[7] ، على أن (**أن**) مخففة .

= من كتبه : « التوحيد » و « أوهام المعتزلة » و « الرد على القرامطة » و « الجدل » و « شرح الفقه الأكبر» المنسوب للامام أبي حنيفة .

توفي سنة ٣٣٣هـ .

الفوائد البهية (١٩٥ ، ومفتاح السعادة (٢/ ٢١) ، والجواهر المضيئة (٢/ ١٣٠) .

(١) البحر (٢/ ٤٥٠) .

(٢) البحر (٢/ ٤٥٠) باختصار .

(٣) انظر البحر (٢/ ٤٥١) ، والكشاف (١/ ٤٢٨) .

(٤+٥) مريم (٩) .

(٦) في (ب) : الجهل .

(٧) قرأها ابن أبي عبلة . البحر (٢/ ٤٥٢) .



(رمزاً/٤١) قرىء بضمتين[١]، جمع رَموز كرسول ، ورُسُل ، وبفتحتين[٢] ، جمع رامِز ، كخادم : وخَدَم . (والإبكار/٤١) مصدر أبكَر . وقرىء بفتح الهمزة[٣] ، جمع بَكَر بفتحتين . (وإذ/٤٢) عطف على (إذ قالت امرأة عمران) . أبو حيان : « لما فرغ من قصة زكريا ، وكان قد استطرد من قصة مريم إليها ، رجع إلى قصة مريم ، وهكـذا أساليب العرب »[٤]. والملائكة هنا جبريل وحده كما تقدَّم ، ودلَّ عليه سورة مريم[٥]. وقـرىء (قال)[٦]، وتكرير قوله :(اصطفاك/٤٢)، لأن المراد اصـطفـاك أولاً حين تقبَّلكِ من أُمِّـكِ ، ثم ثانياً حال كِبَرِكِ بما أتاكِ من المعارف والفضـائـل والنبوة -إن كانت نبيّة ، وهو أحد القولين ، ومال إليه السبكي-[٧]. (يـا مريم اقنُتي/٤٣) الأصبهاني : « لما بيَّن تعالى أنها مخصومة بمزيد الاصطفاء ، أوجب عليها مزيد العبادات » .

ابن الـزملكـاني : « المـراد بـ(اقنتي) : أطيعي واسجـدي ، صلِّي واركعي واشكري ، كقوله :(فَخَرَّ راكعاً ، وأناب)[٨] ، ولم تُشرع صلاة إلا والركوع فيها مقدَّم » .

وقال غيره : « قدَّم السجود على الركوع لأنه أفضل ، إذ أقرب ما يكون العبد من ربه ، وهو ساجد ، ولم يقل مع الراكعات ، لأن الاقتداء بالرجال أفضل من

---

(١) عن علقمة بن قيس ، ويحيى بن وثاب . البحر (٢/٤٥٣) ، وابن خالويه (٢٠) .
(٢) قرأها الأعمش ، البحر (٢/٤٥٣) .
(٣) ذكرها الأخفش عن بعضهم . ابن خالويه (٢٠) .
(٤) البحـر (٢/٤٥٥) .
(٥) وذلك في قوله تعالى : (فأرسلنا إليها روحنا ، فتمثل لها بشراً سوياً) مريم (١٧) .
(٦) عن ابن مسعود وعبد الله بن عمر . البحر (٢/٤٥٥) .
(٧) ذكره السبكي في الحلبيات - كما في روح المعاني (٣/١٥٤) ، ولم أعثر على كتاب «الحلبيات» المذكور . وقد صحح القرطبي هذا القول . الجامع (٤/٨٣) . والجمهور على أنه لم تنبأ امرأة - على ما ذكر أبوحيان بالبحر (٢/٤٥٦) .
(٨) سـورة ص (٢٤) .

الاقتداء بالنساء ، وللتغليب ، ولمراعاة الفاصلة ». وفي قراءة ابن مسعود **(واركعي واسجدي في الساجدين/٤٣)** .

ابن عطية : « الذي عندي في الآية ، أن مريم أمرت بفصلين ومعلَمَين من معالم الصلاة ، وهما طُول القيام والسجود ، وخُصَّا بالذكر لشرفهما في أركان الصلاة ، وهذان يختصان بصلاتها منفردة ، وإلا فمن يصلي وراء إمام ، لا يقال له : أطِل قيامك . ثم أُمِرَت بعدُ بالصلاة في الجماعة ، فقيل لها : **(واركعي مع الراكعين/٤٣)** ، وقُصِد هنا معلم آخر من معالم الصلاة لئلا يتكرر لفظ ، ولم يُرِد بالآية السجود والركوع ، الذي هو منتظم في ركعة واحدة »[1] . ذلك إشارة إلى ما تقدَّم من أمر مريم وأمها وزكريا ويحيى . **(من أنباء الغيب ، نوحيه إليك/٤١)** تقرير لصِدقه فيما أخبر به لتقوم به الحجة على نصارى نجران ، وقد أعاده ثانياً بعد قصة عيسى بقوله :**(ذلك نتلوه عليك من الآيات ، والذكر الحكيم/٥٨)** ، وثالثاً بعد ضرب المَثَل بقوله **(الحق من ربك ، فلا تكن من الممترين/٦٠)** ، ورابعاً بقوله :**(إن هذا لهو القصص الحق/٦٢)** ، كل ذلك لتقرير الحجة عليهم ، بتصديق ما أخبر به القرآن . **(وما كنتَ لدَيهم/٤٤)** أي لم تكن حاضراً شاهداً لهم فتخبر بذلك . علِمته من جهة الوحي ، زيادة تقرير أيضاً ، ونفي لما نَفْيه معلوم ضرورة ، تهكُّماً بالمنكرين ، والضمير فيه عائد على غير مذكور ، بل لِما دلّ عليه المعنى ، أي لدى المتنازعين ، كقوله **(فـأَثَرْنَ به نفعاً)**[2] أي بالمكان . **(إذ يُلْقون أقلامهم/٤٤)** ينظرون . **(أيُّهم يَكْفُل/٤٤)** والمضارع لحكاية الحال الماضية . **(إذ قالت الملائكة/٤٥)** لما ذكر حال مريم أول أمرها ، شرح كيفية ولادتها لعيسى[3] . وقرىء **(وإذ قال)**[4] . **(بكلمةٍ منه)** من لابتداء الغاية ، لأنه لم يكن للأب واسطة بينه وبين

---

(١)
(٢) المحرر الوجيز (٣/١١٥ - ١١٦) .
(٣) العاديات (٤) .
(٤) في (ب) : بعيسى .
(٥) عن ابن مسعود وابن عمر . البحر (٢/٤٥٩) .



الله ، ونظيره (وسخر لكم ما في السموات ، وما في الأرض جميعاً منه)[1] .

(اسمه/٤٥) ذكر ضمير الكلمة لأن المسمى بها مذكر . (المسيح عيسى بن مريم/٤٥) ، ذكره بلقبه ، ثم اسمه ، ثم نَسَبه[2] ، ونسبه إليه مع أن الخطاب معها ، لأن الأنبياء ينسبون إلى الآباء ، لا إلى الأمهات ، فاعلمت بنسبته إليه أنه يولد من غير أب ، فلا ينسب إلى أمه ، وذكره بمجموع هذه الثلاثة لأن الاسم للمسمى علامة يُعرف بها ، ويتميَّز ، فكأنه قيل : الذي يُعرف به ، ويتميّز[3] ممن سواه مجموع هذه الثلاثة[4] ، ثم عقَّبها بصفاته الجميلة (يخلق ما يشاء/٤٧) وفي قصة يحيى (يفعل ما يشاء/٤٠) ، أقول : لأن أمر عيسى أبدع وأغرب ، فعبّر فيه بالخلق الدال على الاختراع والإبداع ، .ثم رأيت أبا حيان ذكر[5] مثل ذلك)[6] .

ابن الأنباري : « بدأ بلقبه ، لأن المسيح أشهر من عيسى لأنه قلّ أن يقع على سميّ يشتبه به ، وعيسى قد يقع على عدد كثير ، فقدمه لشهرته ، ألا ترى أن ألقاب الخلفاء ، أشهر من أسمائهم »[7] .

قلت : وفي هذا رد على النحاة ، حيث أوجبوا تأَخُّر اللقب عن الاسم عند اجتماعهم . (ومن المُقَرَّبِين/٤٥) لم[8] يقل : ومقرباً ، كما قال : (وجهياً/٤٥) ، لمراعاة الفاصلة . والتقريب صفة جليلة عظيمة ، معناها علو المنزلة عند الله . (ويكلِّم/٤٦) أي ومكلِّما ، وجيء بهذه الحال مضارعا للتجدد . (المهد/٤٦) أصله

---

(١) لقمان (٢٠) .

(٢) في (أ) : نسبته .

(٣) في (ب) : متميز .

(٤) في (ب) : الآية .

(٥) قال أبو حيان : « في قصته - أي قصة زكريا - (يفعل ما يشاء) من حيث أن أمر زكريا داخل في الإمكان العادي الذي يتعارف وإن قل ، وفي قصة مريم (يخلق) ، لأنه لا يتعارف مثله ، وهو وجود ولد من غير والد ، فهو إيجاد واختراع من غير سبب عادي ، فلذلك جاء بلفظ (يخلق) الدال على هذا المعنى » . البحر (٢/٤٦٣) .

(٦) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) .

(٧) البحر (٢/٤٦٠) .

(٨) في (ب) : له .



مصدر سُمِّي به مقر الصبي في رِضاعه . (وكَهْلًا/٤٦) قيل : هو بِشارة ببلوغه حدّ الكهول ، إذ الكلام في الكهولة مما يتساوى فيه الناس . وقيل : بنزوله ، لأنه رُفع في مبدأ الكهولة ، وينزل فيها[١] . أبوحيان : « المشهور في اللغة في ترتيب[٢] [٣] سن المولود ، أنه في الرحِم جنين ، فإذا وُلد فوليد ، وفي الأسبوع صديع ، وفي مدة الرضاعة رضيع ، وإذا فُطِم فطِيم[٤]، وإذا دبّ دارِج[٥] . وإذا سقطت أسنانه مثغور ، وإذا عادت مثغّر[٦] ، وإذا جاوز العشر مترعْرِع وناشِىء ، وإذا قارب الحُلُم يافع ومراهِق ، (وإذا احتلم بالغ وحَزَوَّر)[٧] ، وهو في هذه الأحوال ، غلام ، وإذا أخضرّ شارِبه ، وسال عذاره فباقِل[٨] ، وإذا التحى فتى وشارِخ ، وإذا كَمُلَت لِحيته ، مجتمِع ، وما دام إلى الثلاثين[٩] شاب ، ثم كهل (إلى خمسين ، ثم شيخ »[١٠]) . (ومن الصالحين) ابن الأنباري : « معناه : من صالحي الحال عند الله »[١١] . الكرماني : « خص الأنبياء بذكر الصلاح ، لأنه لا يتخلل صلاحهم خلاف ذلك »[١٢] . الماتريدي : « الصلاح يتحقق في الأنبياء من جميع الوجوه ، وفي غيرهم لا يتحقق إلا من بعضها »[١٣] .

---

(١) هذا قول ابن زيد بنحوه ، والقول السابق هو قول الربيع وجماعة من المفسرين . البحر (٢/٤٦١) ، والمحرر (٣/١٢٢) .

(٢) في (ب) : تربية .

(٣) في البحر (٤/٤٥٥) : « نقل عن الأئمة في ترتيب سن المولود وتنقل أحواله . . . » ثم ساق الكلام كما هنا .

(٤) بالبحر : « وإذا لم يرضع فجحوش » .

(٥) في (ب) وادرج .

(٦) في (ب) مثغور .

(٧) في البحر : « فإذا احتلم فمحزور » .

(٨) هذه الكلمة غير موجودة في النسختين ، وإنما أضفتها من البحر .

(٩) في البحر : « بين الثلاثين والأربعين » .

(١٠) في البحر : « إلى أن يستوفي الستين ، هذا هو المشهور عند أهل اللغة » . انظر البحر (٢/٤٥٥) .

(١١) لم أعثر على ذلك فيما اطلعت عليه .

(١٢) العجائب (١/٢٥٤) .

(١٣) لم أعثر على ذلك فيما اطلعت عليه .

(أنَّى يكون لي ولدٌ/٤٧) ، وفي سورة مريم (أنّى يكون لي غلام/٢٠) ، لتقدُّم قولـه : (لأِهَبَ لكِ غلامـاً زكِيـا/١٩). (يخلق ما يشاء/٤٧) ، وفي قصة يحيى (يفعل ما يشاء/٤٠) .

أقـول : لأن أمـر عيسى أبدع وأغرب ، فعبّر فيه بالخلق الدال على الاختراع والإبـداع ، ثم رأيتُ أبا حيان ذكر مثل ذلك[١] . (ويعلّمه/٤٨) بالياء عطفا على يخلق ، وبـالنـون التفـاتـاً[٢] . (ورسولاً/٤٩) وقال ابن عطية : « هو عطف على (وجِيهاً/٤٥) وما بعده ، لأن التقدير : ومعلّماً ، ولهذا قال بعده : (ورسولاً/٤٩) والجميع أحـوال »[٣] . وقـال الإمـام : « التقدير في الأخير : ونبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل ، قائلاً : إني قد جئتكم »[٤] (بآيةٍ/٤٩) قرىء (بآياتٍ)[٥] في الموضعين . (اني أخلق/٤٩) بالكسر ، استئنافاً ، أو تفسيراً لما قبله بالجملة ، والفتح[٦] بدل مما[٧] قبله ، أو رفع بتقدير : هي[٨] . (كهيئة الطير/٤٩) أي شيئاً أو تمثالاً كهيئة . وقيل : الكـاف اسم[٩] ، مفعـول به . الكـرماني : « الهيئة الحال الظاهرة »[١٠] .

---

(١) ذكر أبو حيان أن الله تعالى قال في قصة زكريا : (يفعل ما يشاء) ، وذلك من حيث أن أمر زكريا داخِل في الإمكان العادي ، الذي يتعارف ، وإن قل ، وأما في قصة مريم فقد قال : (يخلق) ، لأنه لا يتعارف مثله ، وهو وجود ولد من غيروالد، فهو إيجاد واختراع من غير سبب عادي ، فلذلك جاء بلفظ (يخلق) الدال على هذا المعنى » . البحر (٢/٤٦٣) .

(٢) القـراءة بالياء قرأ بها نافع وعاصم ويعقوب وسهل . والقراءة بالنون هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٦٣) ، والبحر (٢/٤٦٣) .

(٣) المحـرر الوجـيز (٣/١٢٦) . وقد ضعف أبو حيان هذا الوجه ، لطول الفصل بين المتعاطفين . البحر (٢/٤٦٤) .

(٤) التفسـير الكبير (٨/٥٤) .

(٥) عن ابن مسعود . البحر (٢/٤٦٥) ، ومختصر ابن خالويه (٢٠ - ٢١) .

(٦) قراءة الكسر هي قراءة نافع ، وقراءة الفتح هي قراءة الجمهور . حجة القراءات (١٦٤) ، والبحر (٢/٤٦٥) .

(٧) في (ب) : فيمـا .

(٨) انظر البحـر (٢/٤٦٥) .

(٩) القول بأن الكاف في (كهيئة) اسم ، ذلك على مذهب أبي الحسن فهي مفعولة بأخلق ، وأما على قول =



الراغب : « الهيئة الحال التي يكون عليها الشيء محسوسة كانت أو معقولة ، لكن في المحسوس أكثر »[(١)] .

وقرىء بكسر الهاء ، وتشديد الياء[(٢)] . وقرىء (الطائر)[(٣)] . **(فأنفخ فيه/٤٩)** قيل : هي[(٤)] في المهيأ . وقيل : في الطير . وقيل : في الطين . وقيل : الطير للكاف ، أي[(٥)] في ذلك الشيء المماثل[(٦)] . وفي المائدة **(فتنفخ فيها/١١٠)** أي الهيئة . وسِر التنويع ، أن الذي هنا من كلام المسيح في ابتداء تحدِّيه ، ولم يكن صورة بعدُ ، فحسُن التذكير والإفراد ، وآية المائدة في كلامه تعالى له يوم القيامة معدِّدا[(٧)] نِعَمه عليه ، بعدما مضت ، وكان قد اتفق ذلك منه مرات ، وانقضى ، فحسُن التأنيث لجماعة ما صوَّره من ذلك ، **(فأنفخ فيه/٤٩)** وقرىء هنا **(فأنفخها)**[(٨)] على إسقاط في . **(فيكون طيراً/٤٩)** بالجمع ، لأنه خلق طيراً كثيراً ، والإفراد[(٩)]، لأنه لم يخلق غير الخفَّاش لأنه أكمل الطير خلقاً ، ليكون أبلغ في القدرة ، لأن لها لساناً وثدياً ، وهي تحيض وتطير . **(بإذن الله/٤٩)** قاله إزالةً للشبهة ، وتنبيهاً على أن خلق الحياة إنما هو من الله ، وكرَّره هنا مرتين ، وفي المائدة أربعاً[(١٠)]، لأن ما هنا من كلام عيسى ، فما تُصوِّر أن يكون من فِعل البشر ، أضافه

= الجمهور ، يكون صفة لمفعول محذوف تقديره : هيئة مثل هيئة ، وتكون هيئة مصدراً في معنى المفعول ، أي مثالاً مهيأ مثل . البحر (٢/٤٦٦) .

(١٠) لباب التفسير (٢/٨٧٢) .

(١) المفردات (٥٤٨) مادة : هيأ .

(٢) مع فتحها ، وقد قرأ بذلك الزهري . البحر (٢/٤٦٦) .

(٣) قرأها أبو جعفر القعقاع . البحر (٢/٤٦٦) .

(٤) كلمة « هي » ليست في (ب) .

(٥) كلمة « أي » ليست في (ب) .

(٦) انظر البحر (٢/٤٦٦) .

(٧) في (ب) : تعددا .

(٨) أسندها أبو حيان إلى بعض القراء دون التصريح بأسمائهم . البحر (٢/٤٦٦) .

(٩) هذه قراءة نافع ، وقراءة الجمع هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٦٤) .

(١٠) وذلك في الآية (١١٠) .



إلى نفسه ، وهو الخلق بمعنى التصوير ، وإبراء الأكمه والأبرص بمعنى التطببُّ ، وأما مصير الطين طيراً ، وإحياء الموتى ، فمن فِعل الله وحده ، وما في المائدة من كلامه تعالى ، فأضاف الكل إلى صُنعه ، إظهاراً لعجز البشر ، وأن فِعل العبد ، مخلوق لله . وقيل (**بإذن الله**) هنا ، عائد لجميع ما قبله ، وهو الصواب ، لأن الأكمه والأبرص لا صُنع للمتطبِّب فيهما ، لأنهما داءا إعياء ، ولهذا خُصَّا بالمعجزة من بين سائر الأدواء[1] ، إذ بُعث في زمن الطِّب . (**تَدَّخِرون/٤٩**) قرىء (**تَذْدَخِرون**) بالفك ، و(**تَذْخَرون**)[2] بوزن تَعْلَمون ، والذال معجمة . (**ومصدقاً/٥٠**) أي وجئتكم مصدقا ، فهو عطف على (**بآية/٥٠**) من حيث المعنى . (**ولِأحلّ/٥٠**) عطف على (**مصدقاً**) من حيث المعنى. (**حُرِّم**) قرىء بالبناء للفاعل[3] ، وبوزن كَرُم . « **وجئتكم بآيةٍ من ربكم/٥٠** »[4] كرَّره تأكيداً ، لأن إخراج الإنسان عن المألوف والمعتاد من قديم الزمان عسير ، ثم خوّفهم بقوله (**فاتقوا الله ، وأطيعون/٥٠**) ، لأن طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ، ثم ختم بقوله (**إن الله ربي وربكم/٥٠**) ، ومقصوده اظهار الخضوع والاعتراف بالعبودية لئلا يَتَقَوَّلُوا عليه الباطل ، ويقولوا إنه إله ، أو ابن إله ، وزاد في الزخرف (**هو/٦٤**) تأكيداً واستغنى عنه هنا ، وفي سورة مريم بما تقدَّم من الآيات في خلقِه الدالَّة على أنه تعالى خالِقه ، لا والِده كما زعمت النصارى ، ولما لم يتقدَّم في الزخرف ذلك ، حسُن التأكيد ، والإتيان بضمير الصلة المفيد للقصر وهو إثبات الربوبية ، ونفي الأُبوَّة . وفي الكشاف : « **وجئتكم بآيةٍ من ربكم/٥٠**) شاهدة على صحة رسالتي ، وهي قوله (**إن الله ربي وربكم/٩١**) لأن جميع الرسل كانوا على هذا القول ، لم يختلفوا فيه »[5] . وقرىء بالفتح[6] على البدل ، فقوله :(**فاتقوا الله ، وأطيعون/٥٠**)

---

(١) في (ب) : الأداء .

(٢) هذه قراءة مجاهد ، والزهري ، وأيوب السختياني ، وأبي السمال . والقراءة السابقة هي قراءة أبي شعيب السوسي. البحر (٢/٤٦٧) ، وابن خالويه (٢٠) .

(٣) عن إبراهيم ، ويحيى . ابن خالويه (٢٠) .

(٤) ما بين القوسين ليس في (ب) .

(٥) الكشاف (١/٤٣٢) .

(٦) أي في (إن الله ربي) . وقد ذكرها الأخفش عن بعض القراء ، ابن خالويه (٢٠) .



اعتراض . (**فاعبدوه/٥١**) جيء بالفاء لترتُّبه على ما قبله ، لأن الرب تجب عبادته على عبيده ، ثم أكَّد ذلك بقوله (**هذا صراطٌ مستقيمٌ** ، **فلما أحس عيسى منهم الكفر/٥١-٥٢**) الأصبهاني: « لما حكى تعالى بشارة مريم بكلمة منه ، واستقصى في بيان اسمه وصفاته ومعجزاته ، ترك قصة ولادته ، لأنه شرحها في سورة[1] مريم على الاستقصاء ، وشرع في بيان أن عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات ، وأظهر لهم تلك الدلائل قصدوا قتله ، فلما أحسّ منهم الكفر ، وأنهم أرادوا قتله ، أي علم ذلك منهم علماً لا شبهة فيه ، كعلم ما يدرك بالحسّ ، (**قال من أنصاري/٥٢**) » الراغب: « أي ظهر له ذلك ظهوراً بان للحسّ فضلاً عن الفهم »[2]. وأقول : هذه الآية وقع فيها حُسْن التخلُّص ، ولِلطافته جداً ، حار الفكر في موضعه ، فيحتمل أن يكون هنا ، كما أشار إليه الأصبهاني ، فيكون جميع ما في الآية إلى قوله (**مستقيم/٥١**) من كلام الله تعالى حكاية عما يقوله عيسى إذا أُرسل ، فهو من تتمة البشارة لمريم ، ويقدَّر هنا : فنفخ جبريل في جَيب دِرعها ، فحملت به ، فوضعته ، فبلغ ، فأرسل ، فقال : (**فلما أحسَّ/٥١**) ، ويحتمل أن يكون التخلُّص من عند قوله :(**ورسولاً إلى بني إسرائيل/٤٩**) ، وهذا أوضح ، ولهذا جاءت الأفعال والإضافات بعده بضمائر التكلُّم عن عيسى ، وكانت قبل بصيغة الغيبة ، فيكون آخر كلامه تعالى في البشارة (**إسرائيل/٤٩**) ، ويحتمل أن يكون آخر البشارة (**والإنجيل/٤٨**) ، (**ورسولاً/٤٩**) على الاستئناف ، أي فخلقناه[3] ، وأرسلناه رسولاً إلى بني إسرائيل فقال : « ويحتمل أن يكون آخر البشارة (**ومن الصالحين/٤٦**) (**ويعلِّمه/٤٨**) على الاستئناف ، على معنى علَّمناه ، ويؤيده الفصل بقول مريم ، وما قيل لها في الجواب ، فيكون آخر قصة ولادته (**إذا قضى أمراً** ، **فإنما يقول له ، كن فيكون/٤٧**) ثم تخلّص إلى رسالته » .

---

(١) في (ب) : صورة .

(٢) المفردات (١١٦) مادة : حس .

(٣) في (ب) : فخلقنا .

وهـذا وجه لعمري قوي ، والأول أقوى منه . (**إلى الله/٥٢**) أي مضافاً إلى نصرته . وقيل : مع الله . وقيل : في الله[١] . (**الحواريون/٥٢**) قرىء بتخفيف الياء[٢] . (**آمنا بالله/٥٣**) جار مجرى العلة لما قبله ، لأن الإيمان بالله ، يوجب نصرة دينـه ، ورسـوله . ثم طلبوا شهادة عيسى تأكيداً لإيمانهم ، فقالوا : (**واشهد بأنا مسلمون/٥٢**) ، وفي المائدة (**بأننا/١١١**) ، لأنه أول كلام الحواريين ، فجاء على الأصل ، وما هنا تكرير كلامهم ، فخفّف لأن التكرير فرع ، والتخفيف فرع ، والفرع بالفرع أولى ، ثم تضرعوا إلى الله ، فقالوا : (**ربنا آمنا بما أنزلت ، واتبعنا الرسول/٥٣**) ، وفيه زيادة على قولهم (**آمنا بالله/٥٢**) الإيمان بالكتاب والرسول ، فعند ذلك طلبوا الزلفى ، فقالوا (**فاكتبنا مع الشاهدين/٥٣**) أي أُولي العلم الذين شهدوا لك بالوحدانية ، المشار إليهم في قوله (**شهد الله/١٨**) الآية . (**ومكروا/٥٤**) أي كفار بني إسرائيل ، الذين أحسّ عيسى منهم الكفر . (**ومَكَر الله/٥٤**) من باب المشـاكلة . الراغب : « المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة ، ومكر الله بالعبد ، إمهـالـه وتمكينـه من أعراض الدنيا »[٣] . وقال المفضل : « المكر صرف[٤] ألطف التدبير »[٥] . وقال غيره : « أصل المكر التدبير المحكم الكامل ، ثم اختصر بالتدبير في إيصال الشر في خفية » ، وقال بعضهم : « المكر الاحتيال على العبد لإيقاعه في

---

(١) هذا مذهب أبي عبيدة ، والقول السابق هو قول السدي والثوري وغيرهما . وما قاله المؤلف أولا ، ذكره القرطبي دون نسبة .
مجاز القرآن (١/٩٤) ، والبحر (٢/٤٧١) ، والجامع للقرطبي (٤/٩٧) ، زاد المسير (١/٣٩٣) .
وقال الفراء عن القول بأن « إلى » بمعنى « مع » بأنه وجه حسن ، ثم قال :
« إنما يجوز أن تجعل « إلى » موضع « مع » ، إذا ضممت إلى الشيء مما لم يكن معه كقول العرب : إن الذَّود إلى الذود صارت إبلا ، فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان « مع » « إلى » ، ألا ترى أنك تقول : قدم فلان ومعه مال كثير ، ولا تقول في هذا الموضع : قدم فلان ، وإليه مال كثير. . . ومنه قوله تعالى : (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) معناه : ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم) » . معاني القرآن (١/٢١٨) .
(٢) عن إبراهيم النخعي ، وأبي بكر الثقفي . البحر (٢/٤٧١) .
(٣) المفـــردات (٤٧١) مادة : مكر - مع الاختصار .
(٤) كلمة « صرف » ليست في (أ) .
(٥) في البحر (٢/٤٧٢) : « والمكر : لطيف التدبير » .

الضر ، والفرق بينه وبين الحِيلة ، أن الحِيلة قد تكون لإظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد إلا الإضرار ، والمكر حِيلة تُوقع في الضرار » . (**والله خير الماكرين/٥٤**) أي أقواهم مكرا ، وأبعدهم كيدا ، وأقدرهم على العقاب ، من حيث لا يشعر المعاقب . (**إذ/٥٥**) ظرف لـ(**خير الماكرين**) أو لـ(**مَكَر الله**) أو لأذكر . (**إني متوفِّيك ورافِعك/٥٥**) قيل: هو من باب التقديم والتأخير، أي رافعك ومطهرك ومتوفِّيك . (**إليّ**) إضافة تشريف ، أي إلى سمائي[1] ، (**ثم إلي مرجعكم/٥٥**) رجوع إلى خطابهم من الغيبة في (**الذين اتبعوك فوق الذين كفروا/٥٥**). (**فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون/٥٥**) ، في لقمان : (**إليّ مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعملون/٥١**) ، لأن الاختلاف تقدم هنا ، فناسبه الحكم ، ولا ذِكر له في لقمان ، فناسب الإنباء ، لأنها عامة في الأعمال . (**فأما الذين كفروا/٥٦**) الآيتين بيان للاختلاف ، والحكم للجملتين في الآية الأولى ، وبدأ بقسم الكفار ، لأنهم أقرب في الذِّكر من قوله (**فوق الذين كفروا/٥٥**) ، ولأن الكلام في من كفر بعيسى ، ورام قتله ، فكانوا أهم ، وقال (**فأُعَذِّبُهُم/٥٦**) لموافقة (**فأحكُمُ/٥٥**) ، و(**فنُوَفِّيهم**) بنون[2] العظمة ، لمناسبة عِظم المخبر عن جزائه ، وهم المؤمنون ، فإنهم عظماء عند الله ، وفي قراءة بالياء[3] التفاتاً ، وفي قوله : (**والله لا يحب/٥٧**) على قراءة النون التفات ، ولما تقرر أمر عيسى من ابتداء خلق أمه ، ثم خلقه ، إلى رفعه ، قال تعالى -ملتفتا إلى التكلم- (**ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم/٥٨**) فقدَّر بذلك كونه وحيا حقا وصدقا ، وأنه من جملة ذكر وكتاب محكم ، لا يتطرق إليه البطلان ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وفي ذلك مقنع لمن رام الحق ، وترك المراء والعناد ، ولما لم يقنعهم ذلك ، وتمسّكوا بشبهة الزَّيغ في أنه كيف يكون ولد بلا أب ، والعادة والعقل قاضِيان بخلافه ، إذ

---

(١) في (ب) : إلى السماء .

(٢) كلمة « بنون » : ليست في (ب) .

(٣) القراءة بالياء هي قراءة حفص ، والقراءة بالنون هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٦٤) .



البرهان القاطع بزعمهم ، دال على أنه لابد للناس من والد ، أقام تعالى حجة عقلية ، وقياسا أولويا ، فقال : (**إن مَثَل عيسى/٥٩**) ، أي صفته وشأنه الغريب ، إذ لا يقال (**مَثَل**) إلا لِما له شأن ، وفيه غرابة . (**عند الله/٥٩**) عبارة عن الحق في نفسه ، أي هكذا هو الأمر فيما غاب عنكم ، وفيه التفات . (**كَمَثَل آدم خَلَقَه/٥٩**) هو وما بعده مفسّر لوجه الشبه ، أي خلق آدم ولا أب له ولا أم بإجماع منا ، فكذا حال عيسى . (**ثم/٥٩**) للترتيب في الذِّكر ، لا في الوجود . (**كن فيكون/٥٩**) أي فكان ، ولهذا أجمع على رفعه ، وإنما احتِيج إلى بيان وجه الشبه ، لأن عيسى أشبه آدم في أشياء كثيرة ، كالنبوة والعلم ، وصفة التركيب والرفع إلى السماء والنزول منها ، إلى غير ذلك ، والمقصود خو خلقه بلا أب فقط ، لأنه موضع الاستدلال ، فلذا صرّح به . (**الحق/٦٠**) خبر مقدر ، أي هذا والذي أنبأتك به . (**فلا تكن من الممترين/٦٠**) الخطاب له -ﷺ- ، والمراد غيره تهييجاً للزيادة في ثباته ، وتلطفاً بغيره في ترك الامتراء ، وفي البقرة : (**فلا تكونن/١٤٧**) بنون التوكيد . قال الكرماني : « مناسبة لقوله قبله (**فلنولينك/١٤٤**) ، ولم يتقدم هنا ما يقتضي مناسبته فترك »[1] .

وأقول : بل ، لأن أمر القبلة كان محل الاضطراب ، لكونه أول نسخ في الإسلام ، وقد ارتدَّ له جماعة ، فناسب تأكيد النهي عن الامتراء فيه ، ولهذا وقع هناك من التأكيد والتكرير ما لا مزيد عليه ، وأما هنا ، فأمر عيسى واضح بيّن لمن تأمله ، فترك التأكيد (إحالة على ما ظهر من الأدلة على حدِّ ترك اللام في قوله (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون)[2] ، ولم يُخله في الموضعين من نوع تأكيد ، فإن قوله (فلا تكن من الممترين) ، أبلغ من : فلا تمترِ . الراغب : « المراد به التردد في الأمر ، وهو أخص من الشك ، والامتراء المحاجَّة فيما ليس[3] فيه مِرية » .

---

(١) أسـرار التكـرار (٥٠) .

(٢) المؤمنـون (١٦) .

(٣) بالمفردات (٤٦٧) ماد : مرى : « فيما فيه مرية » .

وفي اللسان (١٥/٢٧٨) مادة : مرا ، « وأصله في اللغة الجدال وأن يستخرج الرجل من مناظره كلاما ومعاني الخصومة وغيرها ، من مريت الشاة ، إذا حلبتها ، واستخرجت لبنها . . . » .



قلت : ولهذا عقَّبه بقوله (فمن حاجه/٦١) . الأصبهاني : «بيّن الله في صدر هذه السورة وجوهاً من الدلائل القاطعة على فساد قول النصارى في عيسى ، وأتبعها بذكر الجواب عن جميع شبههم ، على سبيل الاستقصاء ، وختم الكلام بالنكتة القاطعة بفساد كلامهم ، وهو أنه لما لم يلزم من عدم الأب لآدم ، وأن يكون ابنا الله ، لم يلزم أيضاً من عدم الأب لعيسى ذلك ، ومن أنصف وطلب الحق ، علم أن البيان قد بلغ الغاية القصوى ، فعند ذلك قال تعالى : **(فمن حاجَّك)**. وقيل : لما احتج على النصارى أولاً بالعلم السمعي ، ثم بالعلم البرهاني العقلي ، أمر أن يحتج عليهم من طريق الإعجاز ، وهو المباهَلَة » . الراغب : «المحاجَّة أن يطلب كل واحد أن يردَّ الآخر عن حجته ومحجته »[١] . **(تعالَوا/٦١)** الأصبهاني : « المراد المجيء بالرأي ، والعزم ». ابن جني : « هو من تعالى : بمعنى ارتفع »[٢] . وقرىء بضم اللام[٣] ، على أن الأصل : تعالَيُوا ، نُقِلَت ضمة الياء إلى اللام ، وحُذفت . **(ندعُ أبناءنا/٦١)** إلى آخره . الزمخشري : «فإن : قلت : ما معنى ضمّ الأبناء والنساء في المباهلَة إلى الأنفس ؟ .

قلت : لأنه آكد في الدلالة على ثقته بحاله[٤] ، واستيقانه بصدقه ، وكذب خصمه ، حيث عرَّض نفسه وأعزته لهلاك الاستئصال . وخصّ الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل ، وألصقهم بالقلوب ، وقدَّمهم في الذِّكر على الأنفس ، لينبِّه على لُطْف مكانهم ، وقرب منزلتهم ، وليُؤذِن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدَون بها »[٥] . **(نبتَهِل/٦١)** أي نقل : بهلة الله إلى الكاذبين[٦] ، والبهلة بالضم والفتح : اللعنة . **(إن هذا لهو القَصَص الحق/٦٢)** أي لا ما ادعته النصارى في شأن عيسى . **(وما**

---

(١) المفردات (١٠٨) مادة : حجج .

(٢) لم أجد ذلك في المحتسب .

(٣) عن الحسن وأبي واقد وأبي السمال . البحر (٢/٤٧٩) .

(٤) هذه الكلمة ليست في (ب) .

(٥) الكشاف (١/٤٣٤) باختصار .

(٦) في (ب) : الكاذب .

من إلهٍ إلا الله/٦٢) (من) في مثل هذا بمنزلة البناء على الفتح في « لا إله إلا الله » في إفادة معنى الاستغراق . (وإن الله لهو العزيز الحكيم/٦٢) إشارة إلى وصْفي الإلهية ، وهما القدرة الناشئة عن الغَلَبة ، فلا يمتنع عليه شيء ، والعمل المعبر عنه بالحكمة فيما صنع والاتقان لما اخترع ، فلا يخفى عليه[1] شيء ، وهما منتفيان عن عيسى . (عليم بالمفسدين/٦٣) كناية عن عقابه إياهم ، وعبّر به دون الضمير ليعمَّهم وغيرهم ، وليدل على أن تولِيهم إفساد . (قل يا أهل الكتاب تعالوا/٦٤) لما أورد -ﷺ- عليهم أنواع الحجج ، وانقطعوا ، ثم دعاهم إلى المباهلة فخافوا وجبنوا عنها ،كما ورد في الحديث[2] . وكان-ﷺ- حريصاً على إيمانهم ، قال تعالى : يا محمد اترك ذلك النهج من الكلام ، واعدل إلى نهج آخر ، ليشهد كل عاقل سليم القلب مستقيم الفكر ، أنه كلام مبني على الإنصاف ، وترك الجدال . وقل يا أهل الكتاب مخاطباً لهم بأحسن الأسماء ، وأكمل الألقاب -حيث جُعلوا أهلا لكتاب الله- تطييبا لخاطرهم وتألفا لقلوبهم ، والمراد بقوله (تعالوا) توجيههم إلى النظر فيما دُعوا إليه ، وإن لم يكن انتقالا من مكان عال . (إلى كلمة/٦٤) قرىء بسكون اللام مع كسر الكاف وفتحها[3] ، وعبَّر بها هنا عن كلمات ، مجازا . (سواء/٦٤) أي عادلة مستقيمة مستوية . قرىء بالنصب حالا[4] . وقرأ ابن مسعود بدله (عدل)[5] (بيننا وبينكم/٦٤) إذا أتينا بها نحن وأنتم كنا على السواء والاستقامة ، لا يختلف

(١) في (ب) : عنه .

(٢) روى البخاري عن حذيفة قال : « جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله -ﷺ- يريدان أن يلاعِناه ، قال ، فقال أحدهما لصاحبه : « لا تفعل ، فوالله لئن كان نبيًّا فلاعنَّا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا » . قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أميناً ، فقال : (لأبعثن معكم رجلًا أميناً حقّ أمين) ، فاستشرف له أصحاب رسول الله -ﷺ- ، فقال : (قم يا أبا عبيدة بن الجراح) فلما قام قال رسول الله -ﷺ- (هذا أمين هذه الأمة) .
البخاري (١٢٠/٥) كتاب : المغازي - باب (٧٢) . وذكره ابن كثير ، وزاد نسبته إلى مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة . تفسير القرآن العظيم (٣٦٩/١) .

(٣) القراءة بالفتح ، وبالكسر كلتاهما عن أبي السمال . البحر (٤٨٢/٢) ، وابن خالويه (٢١) .

(٤) عن الحسن . ابن خالويه (٢١) .

(٥) البحر (٤٨٣/٢) .



فيها القرآن والتوراة والإنجيل . (أن) تفسير للكلمة ، أو خبر هي مقدراً . (**بعضنا بعضا/٦٤**) فيه لطيفة ، وهي أن البعضية تنافي الإلٰهية إذ هي مماثلة في الشبه ، وما كان مثلك استحال أن يكون إلٰهك . (**فإن تَوَلَّوا/٦٤**) عن التوحيد والإجابة . (**فقولوا/٦٤**) خطاب للأمة بعد خطاب الرسول . (**اشهدوا بأنا مسلمون/٦٤**) أي لزمتكم الحجة ، فوجب عليكم أن تعترفوا ، وتسلِّموا بأنا مسلمون دونكم . ويجوز أن يكون من باب التعريض ، ومعناه: اشهدوا واعترفوا بأنكم كنتم كافرين ، حيث تولَّيتم عن الحق بعد ظهوره[1] . (**يا أهل الكتاب/٦٥**) الآية ، نزل في مخاصمة وفد نجران مع اليهود ، وقول الأولين إن إبراهيم كان نصرانياً ، وقول الآخرين إنه كان يهودياً ، فبرَّأه الله من الفريقين ، وأخبر أن اليهودية والنصرانية إنما حدثا من بعده بدهر طويل . والاستفهام للتوبيخ والتقريع ، ولذا قال : (**أفلا تعقلون/ ٦٥**) ، أي هذا كلام من لا يعقِل ، إذ محال أن ينسب المتقدم إلى المتأخر . (**ها أنتم هؤلاء/٦٦**) في قراءة بالقصر[2] . فقيل : حُذفت ألف « ها » للتنبيه . وقيل : الأصل : أأنتم ، بهمزة الاستفهام ، فأبدلت « ها » على حدِّ قوله :

وأَتَت صواحبها ، وقلن هذا الذي[3] . . .

أي يا هؤلاء . (**حاجَجْتُم فيما لكم به عِلم/٦٦**) أي من أمر محمد المذكور في كتابكم ، وإن كان علمكم فيه ومحاجتكم ، لم يوافِق الحق . (**فلم تحاجُّون فيما ليس لكم به علم/٦٦**) ولا ذِكر له في كتابكم أصلا باليهودية ولا بالنصرانية ، ثم بدأ إبراهيم وكذَّبهم في دعواهم بقوله : (**ما كان إبراهيم/٦٧**) الآية ، وبدأ بانتقاد اليهودية لِقدمها على النصرانية ، وكرَّره لتأكيد النفي عن كل واحد من الدِّينَين ، ثم نفى عنه الإشراك على سبيل التكميل ، بقوله: (**وما كان من المشركين/٦٧**) وفيه

---

(١) انظر الكشاف (١/٤٣٥) .

(٢) هذه قراءة قنبل . البحر (٢/٤٨٦) .

(٣) وعجزه : منح المودة غيرنا وجفانا .

نسبه في اللسان (مادة : ذا) إلى جميل ، وهو في البحر (٢/٤٨٦) ، ورصف المباني (٤٠٣) ، وابن يعيش (١٠/٤٢) .



تعريض بأن اليهود والنصارى مشركون بقولهم : عزير ابن الله والمسيح ابن الله ، ولم يقل : وما كان مشركاً ، لكونه رأس آية ، ثم حقَّق أن دين إبراهيم الحنيفية الإسلام ، دين هذا النبي محمد -ﷺ- وأمَّتِه ، وذِكر محاجَّتهم في إبراهيم عِقِب محاجتهم في عيسى ظاهر المناسبة ، ثم لما كان هذا النوع أحد رذائلهم ، أردفه بأنواع منها : ودّهم ضلال المؤمنين ، ثم كفرهم بآيات الله ، مع عِلمهم بها ، وذلك أقبح ما يكون ، ثم خلطهم الحق بالباطل ، وكتمهم الحق ، ثم تَلَعُّبُهم بالدِّين ، وإيمانهم وجه النهار ، والكفر آخره ، ثم إصرارهم على الخيانة في الأموال بعد إصرارهم عليها في الدين بكتم الحق ، ومناسبة ذلك ظاهرة .

وبدأ بالخيانة في الدين ، لأنها أشد ، وفي الحديث : (خيانة الرجل في علمه أشد من خيانته في ماله)[1] **(وهذا النبي/٦٨)** من عطف العام على الخاص . وقرىء بالنصب عطفاً على الهاء في **(اتبعوه/٦٨)** ، وبالجر[2] عطفا على **(إبراهيم/٦٨)** . **(والله ولي المؤمنين/٦٨)** فيه إقامة الظاهر مقام المضمر . وقال أبوحيان : « وفي (ولي) و(أولى) جناس »[3] . **(وأنتم تشهدون/٧٠)** أبوحيان : « فيه طِباق معنوي ، لأن الشهادة إقرار وإظهار ، والكفر ستر»[4] . **(تلبسون/٧١)** قرىء بفتح الباء ، مضارع لَبس ، جعل الحق كأنه ثوب لَبِسوه . وقرىء بضم أوله وتشديد الباء المكسورة[5] . أبوحيان : « ضمير هذه الآية بقوله : **(وأنتم تعلمون/٧١)** ، والتي قبلها بقوله **(وأنتم تشهدون/٧٠)** ، لأن المنكر عليهم في تلك ، هو الكفر بآيات الله ، وهي

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -ﷺ- قال : (تناصحوا في العلم ، فإن خيانة أحدكم في علمه ، أشد من خيانته في ماله ، وإن الله مسائلكم) .
قال المنذري : « ورواته ثقات إلا أن أبا سعيد البقال ، واسمه سعيد بن المرزبان فيه خلاف . . . » .
الترغيب والترهيب (١/١٢٣) .

(٢) ذكر ابن خالويه هذه القراءة عن بعضهم دون التصريح باسمه وذكر القراءة السابقة عن أبي السمال . ابن خالويه (٢١) .

(٣) البحر (٢/٤٨٨) .

(٤) البحر (٢/٤٩٣) .

(٥) هذه قراءة أبي مجلز ، والقراءة السابقة هي قراءة يحيى بن وثاب . البحر (٢/٤٩١) ، وابن خالويه (٢١) .



أخصّ من الحق ، لأن الآيات بعض الحق والشهادة أخص من العلم ، فناسب الأخص الأخص ، وهنا الحق أعم من الآيات وغيرها ، والعلم أعم من الشهادة ، فناسب الأعم الأعم »[1] . (وَجْه النهار/٧٢) أي أوَّله ، سُمِّي وجهاً ، لأنه أحسنه ، وأول ما يواجَه به الناظر فيراه ، ونصبه على الظرف . (آخره/٧٢) ضميره للنهار ، وفي الآية طباقان . (ولا تؤمنوا إلا لِمن تبع دينكم/٧٣) من تتمة كلام الطائفة ، وقوله : (إن الهدى هدى الله/٧٣) اعتراض بقوله (أن يُؤتى أحد مثل ما أوتيتم/٧٣) متصل بكلام اليهود ، أي لا تصدِّقوا بأن يُؤتى أحد مثل ما أُوتيتم إلا لأهل دينكم خاصة ، فمحل (أن) خبر ، أو نصب ، قولان ، وقوله (أو يحاجُّوكم/٧٣) عطف على (أن يُؤتي) ، والضمير لـ(أحد) ، لأنه في معنى الجمع ، أي ولا تؤمنوا لغير أتباعكم ، إنهم يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ، فعلى هذا في الآية نوع لَف ونشر ، فإنهم قالوا أمرين ، فقُوبلوا من عند الله بأمرين ، فنفوا عن المؤمنين أن يُؤتوا ، فقابلهم تعالى بقوله: (قل إن الفضل بيد الله ، يؤتيه من يشاء/٧٣) ، ونفوا عنهم الاهتداء إلى الحجة ، فقابلهم تعالى بقوله : (قل إن الهدى هدى الله/٧٣). وقيل : تمَّ كلامهم عند قوله : (دينكم)[2] والمعنى : ولا تؤمنوا ، تحقيقاً إلا لمن تبع دينكم ، بخلاف غيرهم ، فتلوَّنوا لهم في الإيمان وجه النهار ، والكفر آخره ، ثم ابتدأ تعالى بقوله : (قل إن الهدى هدى الله/٧٣) ، وما بعده ، والمعنى بِي قلتم هذا القول : ودبَّرتم هذا التدبير ، لأجل أن يُؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من العلم والكتاب أو يحاجوكم ، أي كراهة ذلك حسداً وبغياً ، ويؤيده قراءة ابن كثير (أن يؤتى أحد)[3] بهمزة الاستفهام للإنكار ، أي ألِأن يُؤتى أحد ، قلتم ذلك . قال الكرماني : « وعلى قراءة الاستفهام ، هو مفصول عن الأول قطعاً ، لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله »[4].

---

(١) البحر (٢/٤٩٢ - ٤٩٣) .

(٢) هذا ما استظهره أبو حيان . البحر (٢/٤٩٤) .

(٣) حجة القراءات (١٦٥) .

(٤) في العجائب (١/٢٦٢) « . . . لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله » .

ومما قيل في الآية : أن « لا » مقدَّرة ، أي لئلا يُؤتى . وقرىء (إن يؤتى) بكسر الهمزة[1] نافية من تتمة كلام اليهود أيضاً ، أو بمعنى : إلا أن . وقيل : من كلام النبي -ﷺ- لأمته ، وقرىء به ، و(يؤتي) بالبناء للفاعل[2] من كلام النبي -ﷺ- لأمته ، والمفعول محذوف ، أي لا يُؤتي أحدٌ أحداً . (**واسعٌ عليمٌ/٧٣**) مناسب لما قبله ، أي واسع الفضل ، عليم بمن يستحقه . (**ذو الفضل العظيم/٧٤**) مناسب لقوله (**يختص برحمته من يشاء/٧٤**). (**تأمنه/٧٥**) قرىء (**تيمنه**) بكسر التاء ، وهمزة[3] وبه[4]، وياء ، لغة تميم . (**بقِنطارٍ/٧٥**) هو مِثال لكثير ، والدينار مثال للقليل . (**بلى/٧٦**) إثبات لما نفوه من السبيل . (**من أوفى/٧٦**) إلى آخره جملة مستأنفة مقررة الجملة التي سدَّت (**بلى**) مسدها ، وقام عموم المتقين مقام ضمير (**من**). (**إن الذين يشترون/٧٧**) الآية ، الأصبهاني : « لما وصف الله اليهود بالخيانة في الأموال ، والخيانة لا تتمشى إلا بالأيمان الكاذبة ، ذكر في هذه الآية ، وعيد من يقدِم على الأيمان الكاذبة » .

قلت : وقد صحَّ إنما نزلت فيمن حلف على حق اقتطعه[5]، وذلك نوع من الخيانة ، فذكره بقدر وصف اليهود بالخيانة ظاهر المناسبة ، وفيه تحذير المسلمين من

---

(١) قرأها الأعمش ، ولحة ، وشعيب بن أبي حمزة . البحر (٢/٤٩٧) ، وابن خالويه (٢١) .

(٢) عن الحسن . المحرر الوجيز (٣/١٧٦) .

(٣) هذه قراءة أبيّ بن كعب . البحر (٢/٤٩٩) .

(٤) أي بكسر التاء ، وياء ساكنة (تيمنه) ، وقد قرأ بذلك ابن مسعود والأشهب العقيلي وابن وثاب . البحر (٢/٤٩٩) .

(٥) روى البخاري عن عبد الله -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ- (من حلف على يمين ، وهو فيها فاجر ، ليقطع بها مال امرىء مسلم لقي الله ، وهو عليه غضبان) . قال : فقال الأشعب بن قيس : فيّ والله كان ذلك ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض ، فجحدني ، فقدمته إلى النبي -ﷺ- فقال لي رسول الله -ﷺ- (ألك بينة) ، قال : لا . قال : فقال لليهودي : احلف . قال : قلت : يا رسول الله ، إذاً يحلف ، ويذهب بمالي . قال : فأنزل الله تعالى : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلًا) إلى آخر الآية .

البخاري (٣/١٥٩) - كتاب : الشهادات - باب : سؤال الحاكم المدّعي هل لك بينة قبل اليمين .



التلبّس[1] بالخيانة ، التي هي من أوصاف اليهود . **(ولا ينظر إليهم يوم القيامة/٧٧)** كناية عن السخط والغضب .

(وإن منهم لفريقاً/٧٨) الآية فيها النوع المسمى بالترديد ، وهو تكرير الكتاب ثلاث مرات ، معلقاً في كل مرة بغير ما علّق به في الأخرى . الأصبهاني : « **(وما هو من الكتاب/٧٨)** نفي خاص ، **(وما هو من عند الله/٧٨)** نفي عام ، واللّيّ أصله في الأجسام ، ثم استُعير للمعاني ، وفي قراءة **(يلوون)** بالتشديد . وقرىء **(يلون)** بضم اللام ، على حذف إحدى الواوين[2] . **(ما كان لبشرٍ/٧٩)** الأصبهاني : « لما بيّن أن عادة علماء أهل الكتاب التحريف والتبديل ، أتبعه بما يدل على أن من جملة ما حرّفوه ما زعموا أن عيسى كان يدَّعي الإلٰهية ، وأنه كان يأمر قومه بعبادته ، وأكذبهم تعالى في ذلك » .

قلت : قد صحَّ أنها نزلت فيمن قال من اليهود للنبي -ﷺ- : أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى[3] ، فهو من جملة قبائح اليهود ، فذكر عقب ذكر أنواع رذائلهم . **(أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة/٧٩)** الأصبهاني : « ذُكِرت الثلاث على ترتيب حسن ، لأن الكتاب السماوي ينزل[4] أولاً ، ثم يحصل في عقل النبي

(١) في (ب) : التلبيس .

(٢) هذه قراءة حميد - كما في البحر (٢/٥٠٣) .
ونسبها الزمخشري إلى أنها رواية عن مجاهد وابن كثير . الكشاف (١/٤٣٩) .
والقراءة السابقة هي قراءة أبي جعفر بن القعقاع ، وشيبة بن نصاح ، وأبي حاتم عن نافع . البحر (٢/٥٠٣) .

(٣) عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القرظي : حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله -ﷺ- ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصاري عيسى بن مريم ؟. فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد ، وإليه تدعونا ، أو كما قال ، فقال رسول الله -ﷺ- : (معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو أن نأمر بعبادة غير الله ، ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني) أو كما قال -ﷺ- ، فأنزل الله في ذلك من قولهما: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) إلى قوله : (بعد إذ أنتم مسلمون) . تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٧٧) .

(٤) في (ب) : ينزله .



فهم ذلك الكتاب ، وإليه الإشارة بالحكم ، فإن المراد به العلم والفهم ، ثم يبلغ إلى الناس ، وإليه الإشارة بالنبوة » .

الزملكاني : « النفي في الآية واقع في غير موضعه ، والأصل : ما كان لبشر يؤتيه الله ، أن يقول ، فوقع أن في غير موضعه ، ثم نسق عليه بثم ، ونظيره : **(ولولا رجالٌ مؤمنون)**[1] الآية ، تقديره : ولولا أن تطؤوا رجالاً . **(مَثَلَ الذين كفروا بربهم أعمالهم)**[2] ، أي مثل أعمال الذين كفروا . **(ثم يقول/ ٧٩)** أبوحيان : « أتى بـ(ثم) التي للمهملة ، تعظيماً لهذا القول »[3] .

وقرىء برفع (يقول)[4] على إضمار هو . **(ولكن كونوا/ ٧٩)** على إضمار يقول . **(ربانِيّين/ ٧٩)** قيل : الربانيّ : فوق الحَبْر هو العالِم ، والرباني الذي جمع إلى العلم والفقه ، البَصَرَ[5] بالسياسَة والتدبير بالقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دينهم ودنياهم . **(تعلمون/ ٧٩)** بالتخفيف والتشديد ، مع ضم التاء ، وقرىء مع فتحها[6] . **(تدرسون/ ٧٩)** قرىء بكسر الراء ، مع فتح أوله وضمه[7] . **(ولا يأمركم/ ٨٠)** بالرفع[8] على القطع ، على معنى : ولا له أن يأمركم . وقرىء (ولن)[9] . **(أيأمركم/ ٨٠)** استفهام إنكار . **(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين/ ٨١)** الأصبهاني : « القصد بهذه الآية تقرير الأشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على

---

(١) الفتح (٢٥) .

(٢) إبراهيم (١٨) .

(٣) البحر (٢/ ٥٠٤) .

(٤) وهي قراءة ابن كثير في رواية شبل بن عباد ، وأبو عمرو في رواية محبوب . الدر المصون (٣/ ٢٧٣) .

(٥) في (ب) : البصير .

(٦) قراءة التخفيف مع فتح التاء ، هي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو . وقراءة التشديد مع ضم التاء ، هي قراءة البقية . والقراءة الأخيرة هي قراءة الحسن ومجاهد حجة القراءات (١٦٧) . والبحر (٢/ ٥٠٦) .

(٧) القراءة بالفتح ، وبالضم كلتاهما منسوبتان إلى أبي حيوة . الدر المصون (٣/ ٢٧٨) ، والجامع للقرطبي (٤/ ١٢٣) ، وابن خالويه (٢١) .

(٨) هذه قراءة القراء ما عدا ابن عامر ، وعاصماً ، وحمزة فقد قرؤوا بالنصب . حجة القراءات (١٦٨) .

(٩) هذه قراءة عبد الله . الكشاف (١/ ٤٤٠) .



نبوة محمد -ﷺ- ، قطعاً لعذرهم ، وإظهاراً لعنادهم » الكرماني : « قيل : التقدير : ميثاق النبيين وأممهم ، فحُذِف اكتفاء . وقيل : التقدير : ميثاق أُمم النبيين . وقيل : أُريد بالنبيين الأمم من غير تقدير ، كما يرِدِ الخطاب للنبي ، والمراد الأمة »[1] . وقرأ ابن مسعود : (ميثاق الذين أُوتوا الكتاب)[2] . (لَمَا) قرأ حمزة بالكسر وتخفيف الميم ، فهي مصدرية ، والفعلان بعدها في تأويل المصدر ، واللام للتعليل ، أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدّق لتؤمنن به ، والمعنى : أخذ الله ميثاقهم ، لتُؤمِنن بالرسول لأجل أني أَتيتكم . ويجوز كونها موصولة[3] . وقرأ غيره بالفتح والتخفيف[4] ، فاللام لام التوطئة للقسم و« ما » شرطية[5] ، و(لَتُؤْمِنُنَّ/ ٨١) جواب القسم ، سادٌّ مسدَّ جواب الشرط ، أو

---

(١) لباب التفسير (٩١٦ - ٩١٧) بقليل من الاختصار .

(٢) وهي قراءة أبيّ أيضاً - كما في البحر (٢/ ٥٠٨) .

(٣) القول الأول هو قول الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٤١) . وهو ما ذهب إليه السمين في الدر المصون (٣/ ٢٨٨) .

وراجع تعقيب أبو حيان على هذا القول في البحر (٢/ ٥١٢) ، وردّ السمين عليه في الدر المصون (٣/ ٢٨٨ - ٢٨٩) .

والقول الثاني هو قول سيبويه . الكتاب (٣/ ١٠٧) .

(٤) انظر حجة القراءات في القراءة بالفتح ، وبالكسر (١٦٨) .

(٥) وهو قول الكسائي - كما في البحر (٢/ ٥٠٩) .

وإليه الزمخشري (الكشاف ١/ ٤٤١) ، والزجاج معاني القرآن (١/ ٤٥٥) .

وإليه ذهب أبو حيان هذا القول بأن فيه خدشاً لطيفاً جداً ، وهو أنه إذا كانت « ما » شرطية ، كان الجواب محذوفاً ، لدلالة جواب القسم عليه ، وإذا كان كذلك ، فالمحذوف من جنس المثبت ومتعلقاته ، فإذا قلت : والله لمن جاءني لأكرمنه ، فجواب من محذوف ، التقدير : من جاءني أكرمه ، وفي الآية اسم الشرط « ما » ، وجوابه محذوف من جنس جواب القسم ، وهو الفعل المقسم عليه ، ومتعلق الفعل هو ضمير الرسول بواسطة حرف الجر ، لا ضمير ما المقدر ، فجواب ما المقدر إن كان من جنس جواب القسم ، فلا يجوز ذلك لأنه تعد ، والجملة الجوابية إذ ذاك من ضمير يعود على اسم الشرط ، وان كان من غير جنس جواب القسم ، فكيف يدل عليه جواب القسم ، وهو من غير جنسه وهو لا يحذف إلا إذا كان من جنس جواب القسم . . » .

البحر (٢/ ٥١٠ - ٥١١) ، وراجع الدر المصون (٣/ ٢٨٧) .

اللام للابتداء ، و« ما » موصولة مبتدأ[1] ، و(**لتؤمنن**) خبره ، ابن برّجان : « ثم جاءكم/٨١) عطف على محذوف ، أي فقبلتموه والتزمتموه . وقرأ الأعرج[2]: (**لما آتيناكم**) بالفتح والتشديد[3] ، ووجَّهه ابن جني بأن التقدير : لمن ما ، بزيادة من ، فلما التقى ثلاث ميمات ، حُذفت الأولى[4] .

قلت : وعندي في توجيهها غير ذلك ، وهو أن فيها التفاتا عن الغيبية إلى الخطاب ، فإنه قد تقدم ، أن المراد أخذ الميثاق على أهل الكتاب ، فالتقدير : وإذ أخذ الله ميثاقكم يا أهل الكتاب مع أنبيائكم لما آتاكم ، أي وقت إيتائه الكتاب إياكم بإيتائه لأنبيائكم ، لتؤمنن أن جاءكم رسول مصدِّق لما معكم ، فقوله: (**لتؤمنن**) متصل بقوله : (**وحكمة/٨١**) جواب الميثاق ، وقدّم عليه (**ثم جاءكم رسولٌ/٨١**) ليعود إليه الضمير في به ، وهذه الآية مع آية (**أن يؤتى أحدٌ**)[5] من مشكلات القرآن من حيث التركيب وفيها أقوال كثيرة[6] ، والقراءة (**آتيتكم/٨١**) بالتاء ، و(**آتيناكم**) بالنون[7] وقرىء (**مصدقاً**)[8] حال . (**إصري**) هو العهد ، لأنه مما يُؤصر ، أي يُشدُّ ويُعقَد . وقرىء بضم الهمزة[9] ، لغة ، أو جمع إصار .

---

(١) قاله أبو علي الفارسي وغيره . الدر المصون (٣/٢٨٤) .

(٢) هو حميد بن قيس الأعرج ، أبو صفوان المكي ، قارىء ، ثقة ، أخذ القراءة عن مجاهد ، توفي سنة ١٣٠هـ .
غاية النهاية (١/١٦٥) ، وتقريب التهذيب (١/٢٠٣) .

(٣) نسب أبو حيان هذه القراءة إلى سعيد بن جبير والحسن . البحر (٢/٥٠٩) .

(٤) المحتسب (١/١٦٤) . وقد تعقب أبو حيان هذا القول بأنه : « في غاية البعد ، وينزه كلام العرب أن يأتي فيه مثله ، فكيف كلام الله تعالى. . . » البحر (٢/٥١٢) .
وقد صحح أبو حيان هنا قول سيبويه ، وهو أن (لما) حرف وجوب الوجوب . المرجع السابق .

(٥) آل عمران (٧٣) .

(٦) راجع البحر (٢/٥١٢) .

(٧) القراءة بالنون هي قراءة نافع ، والقراءة بالتاء هي قراءة البقية .
حجة القراءات (١٦٩) .

(٨) هي قراءة عبد الله . البحر (٢/٥١٣) .

(٩) رويت هذه القراءة عن أبي بكر عن عاصم . البحر (٢/٥١٣) .



ولما بيَّن في هذه الآية ، أن الإيمان بمحمد شرع أوجبه الله على جميع من مضى من الأنبياء والأمم ، بيَّن أن كل من كره ذلك ، فإنه يكون طالباً ديناً غير دين الله ، فقال : (**أفغير دين الله يبغون/٨٣**) بالتاء ، خطاباً على حدِّ الخطاب في الآية قبله ، وبالياء[1] التفاتا . والفاء لعطف الجملة على جملة (**فأولئك هم الفاسقون/٨٢**) ، ثم توسَّطت همزة الإنكار . أو للعطف على محذوف ، أي أيقولون فغير دين الله يبغون . وقدّم المفعول ، لأنه أهم من حيث إن الإنكار متوجّه إلى المعبود بالباطل[2] . (**طَوْعا وكَرْها/٨٣**) فيه طباق . قرىء بضم الكاف[3] . (**وإليه تُرجعون/٨٣**) بالتاء والياء[4] كما سبق . وقرأ أبو عمرو بالياء في الأول ، والتاء هنا [5] ، لأن الأول خاص والثاني عام ، ففرّق بينهما ، لافتراقهما في المعنى . (**قل آمنا بالله/٨٤**) الآية ، لما ذكر تعالى في الآية السابقة ، أنه أخذ الميثاق على الأنبياء وأتباعهم بتصديق الرسول المصدّق لما معهم ، بيّن هنا من صفته -ﷺ- كونه مصدقاً لما معهم ، فيجب عليهم اتباعه . وأفرد ضمير (**قل**) وجمع [6] (**آمنا**) ، ليدل على أنه لا مبلِّغ [7] لهذا التكليف من الله إلى الخلق إلا الرسول -ﷺ-، ثم قال (**آمنا**) تنبيهاً على أن من آمن بالرسول ، مشارك له في الإيمان بالله ، وبما[8] أنزل . (**ومن يبتغِ /٨٥**) الآية لما قال في الآية الأولى: (**أفغير دين الله يبغون/٨٣**) ، وفي آخر التي تلِيها: (**ونحن له مسلمون/٨٤**) ، أتبعه بأن بيّن في هذه الآية ، أن الدين ليس إلا الإسلام ، ومن

---

(١) القراءة بالياء هي قراءة أبي عمرو ، والقراءة بالتاء هي قراءة البقية . الكشف (١/٣٥٣) .

(٢) القول الأول هو ما قاله الزمخشري ، وفي نفس الوقت ذهب إلى تجويز القول الثاني . الكشاف (١/٤٤١ - ٤٤٢) .

وقد علق أبو حيان على قول الزمخشري هذا بأنه : « لا تحقيق فيه ، لأن الإنكار الذي هو معنى الهمزة ، لا يتوجه إلى الذوات ، إنما يتوجه إلى الأفعال التي تتعلق بالذوات فالذي أنكر إنما هو الابتغاء ، الذي متعلقه (غير دين الله) » ، ثم ذهب أبوحيان إلى أن تقديم المفعول هنا من باب الاتساع » .

(٣) عن الأعمش . الدر المصون (٣/٢٩٦) .

(٤) قراءة الياء هي قراءة حفص ، وقراءة التاء هي قراءة البقية . الكشف (١/٣٥٣) .

(٥) الكشف (١/٣٥٣) .

(٦ + ٧) في (ب) : وأجمع ، لا يبلغ .

(٨) في (ب) : وما أنزل .



ابتغى دينا غيره ، فهو مردود عليه . (**كيف يهدي الله/٨٦**) الآية ، نزلت فيمن ارتد ، فمناسبتها للآية التي قبلها ظاهرة ، لأن المرتد متبع غير دين الإسلام . والاستفهام بمعنى النفي ، أو الاستبعاد . (**وشِهدوا/٨٦**) عطف على ما في إيمانهم من[1] معنى الفعل ، لأن معناه : بعد أن آمنوا . (**والله لا يهدي القوم الظالمين/٨٦**) ليس تكراراً لما في أول الآية لأن ذلك خاص بالمرتدين ، والثاني عام فيهم وفي غيرهم ، وفيه رد العجز على الصدر . (**والناس أجمعين/٨٧**) قرىء بالرفع[2] . (**خالدين فيها/٨٨**) استخدام كما تقدم تقريره في نظيره من البقرة[3] . (**إن الذين كفروا/٩٠**) الآية في من استمرَّ على الرِّدة ، وتاب عند الغرغرة . وقيل : المراد لمن تقبل توبتهم بعد الموت أو ماتوا على الكفر ، فجعل لمن تقبل توبتهم كناية عن الموت على الكفر . وفائدة هذه الكناية التغليظ في شأنهم ، وإيراد حالهم في صورة حال الآيسين من رحمة الله ، التي هي[4] أغلظ الأحوال . (**لن تُقْبَل/٩٠**) قرىء بالنون ، ونصب (**توبتهم/٩٠**)[5] ، فيه التفات . (**وأولئك هم الضالون/٩٠**) أي الذين بلغوا في الضلالة غاية هي أشد وأكمل . وقال الإمام : « الكفار[6] أقسام ، من تاب توبة صحيحة ، وهم الذين قال فيهم :(**إلا الذين تابوا/٨٩**) الآية ، ومن تاب توبة فاسدة ، وهم الذين قال فيهم : (**لن تقبل توبتهم**) ، ومن مات على الكفر من غير توبة ، وهم المذكورون في قوله : (**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ/٩١**) »[7] ، وأدخل الفاء في قوله :(**فلن يُقْبَل من أحدهم/٩١**) للإيذان بأن الكلام بُني على الشرط والجزاء ، وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر ، بخلاف قوله في الآية التي قبلها ،(**لن تقبل توبتهم**) ، فإن عدم قبول التوبة ، ليس مسبباً عن

---

(١) في (ب) : مع .

(٢) هي قراءة الحسن . الدر المصون (٣/٣٠٤) .

(٣) انظر ص من هذه الرسالة .

(٤) في (أ) : يلي غلظ .

(٥) عن عكرمة . الدر المصون (٣/٣٠٥) .

(٦) كلمة « الكفار » ليست في (أ) .

(٧) التفسير الكبير (٧/١٤٤) .



الكفر ، لأن التوبة تُقبل من الكافر ، وإنما سببه صدورها في وقت لا تنفع فيه التوبة ، وليس مذكوراً في الآية ، فلهذا تُركت منه الفاء . ذكره الأصبهاني وغيره . وقرىء (يقبل) بالتحتية[1] ، وبالنون [2] ، أي الله . وقيل (من أحدهم/٩١) دون « منهم » ، لأنه أبلغ وأنصّ في المقصود ، إذ يحتمل منهم أن يكون بقية[3] الجمع . (ذهبا/٩١) تمييز ، وقرىء بالرفع[4] بدل من (ملء/٩١). (ولو افتدى به/٩١) قيل : فائدة الواو التعظيم ، والتقدير : لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهباً ، لم ينفعه ولو افتدى به من العذاب ، لم يُقبل منه ، وهذا آكد في التغليظ ، لأنه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه . وقيل : الواو دخلت لبيان التفصيل بعد الإجمال ، لأن قوله (فلن يُقبل) يحتمل وجوهاً ، فنص على نفي القبول بجهة الفدية ، لأن من غضب على بعض عبيده ، إذا أتحفه بهدية ، لم يقبلها البتة ، إلا أنه قد يقبل الفدية ، فإذا لم يقبل الفدية أيضاً ، كان ذلك غاية الغضب ، والمبالغة إنما تحصل بذكر المرتبة التي هي الغاية ، فحكم الله تعالى أنه لا يقبل منه ملء الأرض ذهباً ، ولو كان واقعاً على سبيل الفدية ، تنبيهاً على أنه إذا لم يقبل بهذا الطريق ، فلأن لا يقبل لسائر الطرق أولى . وقيل : التقدير : ولو افتدى بمثله[5]، كقوله (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ، ومثله معه ، لافتدوا به)[6] والمثل يُحذف كثيراً في كلام العرب .

---

(١) أي على البناء للفاعل ، وهي قراءة عيسى بن سليمان الحجازي . ابن خالويه (٢١) .

(٢) وهي قراءة عكرمة ، الدر المصون (٣/٣٠٦) .

(٣) في (أ) : بقيد ، وفي (ب) : بتيه ، وفي البحر (٢/٥٢١) : بقيد الجميع ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤) عن الأعمش . الدر المصون (٣/٣٠٦) .

(٥) وهو ما جوزه الزمخشري . الكشاف (١/٤٤٤) .
وقد تعقبه أبو حيان بقوله : « ولا حاجة إلى تقدير « مثل » في قوله (ولو افتدى به) وكأن الزمخشري تخيل أن ما نفى أن يقبل ، لا يمكن أن يفتدى به ، فاحتاج إلى اضمار مثل ، حتى يغاير بين ما نفى قبوله ، وبين ما يفتدى به ، وليس كذلك لأن ذلك هو على سبيل الفرض والتقدير ، إذ لا يمكن -عادة- أن أحداً يملك ملء الأرض ذهبَاً ، بحيث لو بذله على أي جهة بذله ، لم يقبل منه . . . . » الخ . البحر (٢/٥٢٢) .

(٦) الرعـد (١٨) .



قلت : ويقال في تقرير هذا ، أُعيد[1] الضمير في (به/٩١) على (ملء الأرض/٩١) مرادا به ملؤها مرة ثانية ، فيكون استخداماً . وقرىء (لو) بدون واو[2] .

ولما بيّن أن الكفار لا ينجيهم من العذاب فدية ، عقبه بأنه لا ينجيهم منه أيضاً منه أيضاً ناصر ولا شافع بقوله: (**ومالهم من ناصرين/٩١**) وتقديم المجرور لإفادة الاختصاص ، وأن للمؤمنين ناصرين . (**لن تنالوا البر/٩٢**) الآية . **الأصبهاني** : « لما بيَّن تعالى أن الإنفاق لا ينفع الكفار ، علَّم المؤمنين كيفية الإنفاق الذي ينتفعون به في الآخرة » .

ابن برجان : « لما ذكر تعالى الإسلام ، وأن لا دين مقبول عنده سواه ، وتقدَّم أن الإسلام هو الدخول في السِّلم كافة ، وكان كل شيء قد أسلم لله ، فهو ينفق مما عنده ، ذكر الإنفاق فنظَّمه[3] بما تقدم من ذِكره في مفتتح التنزيل بقوله:(**ومما**[4] **رزقناهم ينفقون**)[5] ، ثم بما[6] تقدم من ذكره في هذه السورة بقوله (**والمنفقين/١٧**) . وفي الآية الانسجام البليغ حتى إنها جاءت موزونة على مثال بحر الرمل[7] . (**كل الطعام/٩٣**) الآية ، الأصبهاني : «الآيات المتقدمة في تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد -ﷺ- ، وفي توجيه الالزامات على أهل الكتاب ، وهذه الآية في بيان الجواب عن شبهات القوم ، فإنهم قالوا كيف تدَّعِي أنك على مِلَّة إبراهيم ، وأنت تأكل لحوم الإبل ، وقد كانت محرَّمة على إبراهيم ، فأكذبهم الله في ذلك ،

(١) في (ب) : عند .
(٢) عن ابن أبي عبلة . الدر المصون (٣٠٧/٣) .
(٣) في (ب) فنظير ما .
(٤) في (ب) : وفيما .
(٥) البقرة (٣) .
(٦) في (ب) : مما .
(٧) الذي وزنه في الأصل :
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن . . . . فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن .
الإطار الموسيقي للشعر / د. عبد العزيز نبوي (٩٥) .

وأبان أنها إنما حُرِّمت في عهد إسرائيل وهو يعقوب ، حرّمها على نفسه بنذر نذره ، وذلك بعد إبراهيم ، والتوراة فيها ذكر ذلك ، وهي حجة عليهم ، وفي ذلك -مع تكذيبهم المقصود- ردٌّ عليهم في إنكار النسخ » .

أبو حيان : « الجامع بين الآية وما قبلها ، أنه تعالى أخبر أنه لا ينال المرء البر إلا بالإنفاق مما يحبّ ، ونبي الله إسرائيل حرّم الإبل ، وكانت أحب الطعام إليه تقرباً إلى الله[1] ، فاجتمعت الآيتان في أن كلاً منهما فيه ترك ما يحبه[2] الإنسان ، ويؤثره على سبيل القربة إليه »[3] (**قل صَدَقَ الله**) فيما أخبر به من أن تحريم ما ذكر حادث بعد إبراهيم . وفيه تعريض بكذب اليهود ، أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل ، وأنتم الكاذبون[4] ، فثبتت عليكم الحجة ، ولزمكم اتباع مِلَّة إبراهيم باتباع محمد -ﷺ- .

الإمام : « المقصود من الآية ، بيان أن محمداً -ﷺ- على دين إبراهيم في الفروع والأصول »[5] .

قلت : وعلى هذا ، فهي منتظمة مع ما تقدم من قصة المحاجَّة في إبراهيم ، أُعيد هنا تقريراً وتوكيداً ، وبياناً لموافقة دين محمد له في[6] الفروع ، والمذكور هناك[7] لموافقته في الأصول . ثم لما كان من أعظم شعائر مِلَّة إبراهيم الحج ، عقَّب هنا بذكره ، لبيان كذب اليهود والنصارى في دعواهم أنهم على دينه ، وهم لا يحجون ، وافتتح بذكر فضيلة البيت ليفرّع عليه إيجاب الحج ، ولأنه من بناء إبراهيم ، وفيه

---

(١) في البحر (٣/٢) : « .... ونبي الله إسرائيل ، روى في الحديث أنه مرض مرضاً شديداً ، فطال سقمه ، فنذر نذراً ان عافاه الله من سقمه أن يحرم أو ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه ، وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل ، وأحب الشراب ألبانها ، ففعل ذلك تقرباً إلى الله .... » .

(٢) في (ب) : ما يحب .

(٣) البحر (٣/٢) .

(٤) في (ب) : كاذبون .

(٥) التفسير الكبير (١٥٥/٧) .

(٦) في (أ) : على .

(٧) في (ب) : هنا .



مقامه ، فلِمَ تركه اليهود والنصارى ، واقتصروا على بيت المقدس وليس من بنائه ، وزادوا ففضَّلُوه عليه ، واستقبلوا في صلاتهم إليه ، وأنكروا استقبال البيت لما نزل إيجابه ، وهذا كله مخالف لِمِلَّة إبراهيم ، لا موافق لها ، فهم كاذبون في دعوى أنهم على دينه ، وعلى هذا التقرير وقع الاستطراد من ذِكر محاجة القوم في إبراهيم ، إلى ذكر أنواع قبائحهم إلى غير ذلك مما استطرد إليه ، كلٌّ مناسب لما قبله ، على عادة القرآن في ذلك ، ثم رجع إلى ما يتعلق بالمحاجَّة ، وفي التخليل بالمستطرد إليه مناسبة لطيفة ، لأنه كله مما يناسب الأصول ، فلما انقضى عاد إلى المحاجَّة في أمره في الفروع . (وضع/٩٦) قرىء بالبناء للفاعل[١] ، فضميره لله ، أو لإبراهيم[٢] . **(فيه آياتٌ بيناتٌ ، مقام إبراهيم/٩٧)** قيل : التقدير : منها مقام[٣] . وقيل : المقام نفسه مشتمل على آيات : إلانة الصخرة الصماء ، والغوص فيها إلى الكعبين ، وإلانة بعضها دون بعض ، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء ، وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب الملاحدة . وقيل : المقام : المناسك ومحالُّها[٤] . وفي قراءة (آية بينة)[٥] . **(ومن دخله كان آمناً/٩٧)** قيل : هو من جملة الآيات ، والتقدير : وأمن داخِله[٦] . وقيل: هو خبر بمعنى الأمر ، أي من دَخَلَه فَأَمِّنُوه[٧] . **(ولله على الناس حج البيت من استطاع)** الأصبهاني : « في هذا الكلام أنواع من التأكيد والتشديد ، منها قوله :

(ولله على الناس) . أي أنه حق واجب لله في رقاب الناس ، لا ينفكون عن أدائه

---

(١) قرأ بذلك عكرمة ، وابن السميفع (البحر ٣/٦) .

(٢) قال أبو حيان باحتمال هذا الوجه وسابقه ، وقال عن الوجه الأخير بأنه أقرب في الذكر وأليق وأوفق لحديث أبي ذر « قلت : يا رسول الله : أي مسجد وضع أولاً ؟ . قال : (المسجد الحرام) » . البحر (٣/٦) .

(٣) أي أن (مقام . . . . .) مبتدأ محذوف الخبر تقديره « منها » . وهناك إعراب آخر ، وهو أن (مقام . . . .) خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : « أحدها » وقد صوب أبو حيان كلا الإعرابين . البحر (٣/٩) .

(٤) وقال الجمهور مقام إبراهيم هو الحجر المعروف . البحر (٣/٩) .

(٥) عن أبيّ وعمر وابن عباس وأبي جعفر ومجاهد . الدر المصون (٣/٣٢١) .

(٦) وهو ظاهر من الآية - كما قال أبو حيان (البحر ٣/٩) .

(٧) حكاه أبو حيان - البحر (٣/١٠) .



والخروج من عهدته ، لأنه إله معبود ، ألزم[1] عباده هذه العبادة ، فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة أم لا .

ومنها أنه ذكر الناس ، ثم أبدل منه **(من استطاع)** ، وفيه ضربان من التأكيد : الأول : أن الإبدال تثنية للمراد ، وتكرير له ، وذلك يدل على شدة العناية . والثاني : أن الإيضاح بعد الإبهام ، والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين ، وذلك يدل على شدة الاهتمام .

ومنها قوله **(ومن كفر/٩٧)** مكان من لم يحج ، تغليظاً على تارك الحج . ومنها ذكر الاستغناء ، وذلك يدل على المقت والسخط والخذلان . ومنها قوله **(عن العالمين/٩٧)** ، ولم يقل : عنه ، وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان ، لأنه إذا استغنى عن العالمين ، تناوله الاستغناء لا محالة ، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل ، فكان أدلّ على عِظم السخط ، الذي وقع عبارة عنه . وعن بعضهم : « لم يخاطب الله في شيء من العبادات بأن لله عليهم ، إلا الحج ، لأنه ليس في العبادات أشقّ منه ، إذ يشترك فيها إجهاد النفس والمال ، ويكثر فيه التعب والنصب » .

والقراءة (حج/٩٧) بالفتح ، لغة العالية ، وبالكسر[2] . لغة نجد . **(قل يا أهل الكتاب)** الآية ، الأصبهاني : « لما أورد تعالى الدلائل على نبوة محمد -ﷺ- مما ورد في التوراة والإنجيل من البشارة بمقدمه ، ثم عقَّب ذلك بشبهات القوم ، فالشبهة الأولى فيما يتعلق بحلّ الطعام ، والثانية ما يتعلق بالكعبة ، ووجوب استقبالها ، ووجوب حَجّها ، فعندما تمّت وظيفة الاستدلال وتكمَّل الجواب عن شبهات أصحاب الضلال ، فعند ذلك خاطبهم بالكلام الليّن وقال **(لِمَ تكفرون بآيات الله/٩٨)** بعد ظهور الآيات ، وسقوط الشبهات ، وهذا هو الغاية القصوى في ترتيب الكلام ، وحُسْن نظمه ، ثم لما أنكر عليهم في ضلالهم ، أتبعه بالإنكار عليهم في

---

(١) في (ب) : ألزمه .

(٢) هذه قراءة حمزة والكسائي وحفص ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٧٠) .



إضلالهم ضَعَفَة المسلمين ، فقال : (**يا أهل الكتاب لم تَصُدُّون/٩٩**) الآية ، وختم الآية الأولى بقوله (**والله شهيد على ما تعملون/٩٨**) ، لأنهم كانوا يظهرون الكفر بمحمد-ﷺ-، وأما إلقاء الشبهة في قلوب المؤمنين للصدِّ عن سبيل الله ، فما كانوا يظهرونه ، بل كانوا يحتالون في ذلك بوجوه الحِيَل ، فقال فيما أظهروه (**والله شهيد على ما تعملون/٩٨**) ، وإنما كرَّر في الآيتين (**قل يا أهل الكتاب/٩٧،٩٨**) ، لأن المقصود التوبيخ على ألطف الوجوه ، وتكرير هذا الخطاب اللطيف أقرب إلى التلطُّف في صرفهم عن طريقهم في الضلال والإضلال ، وأدلّ على النصح لهم في الدين والإشفاق » .

وقرىء (**تصدون/٩٩**) بضم أوله[1] من أصدّ ، لغة . وقول (**من آمن/٩٩**) بحذف به المذكور في الأعراف ، مناسبة لقوله فيما تقدم (**ومن كفر/٩٧**) ، (**وتبغونها/٩٩**) حال ، فلذا لم يدخلها الواو ، ودخلت في آية الأعراف[2]، لأنها معطوفة كأنه قال : توعدون وتصدون ، وفي ذلك تعداد لقبائحهم ، لأنه من قول شعيب ، والذي هنا من أمر الله تعالى ، فلم يكثر من التعداد إغضاء وكرما ، ولما تقدَّم من أن المقصود التلطُّف . الراغب : « جاء أهل الكتاب بدون « قل » ، وجاء هنا بـ(**قل**) ، فبدون « قل » ، وجاء هنا بـ(قل) ، فبدون « قل » هو استدعاء منه تعالى لهم إلى الحق ، فجعل خطابهم منه ، استلانة للقوم ليكونوا أقرب إلى الانقياد . ولما قصد الغض منهم ذكر (**قل**) تنبيهاً على أنهم غير مستأهلين أن يخاطبهم بنفسه ، وإن كان كلا الخطابين وصل على لسان النبي-ﷺ-. وأطلق أهل الكتاب على المدح تارة وعلى الذم أخرى ، وأهل القرآن والسنة لا ينطلق إلا على المدح ، لأن الكتاب قد يراد به ما افتعلوه دون ما أنزل الله ، وقد يراد به ما أنزل الله . وأيضاً فقد يصح أن يقال على سبيل الذم والتهكم ، كما لو قيل : يا أهل القرآن لمن لا يعمل بمقتضاه »[3]. انتهى . (**يأيها الذين آمنوا/١٠٠**) الآية لما حذر أهل الكتاب

(١) وهي قراءة الحسن . ابن خالويه (١٢) .

(٢) الأعراف (٨٦) .

(٣) البحر (١٤/٣) .



من الإغرار والإضلال ، عقَّبه بتحذير المؤمنين عن طاعة فريق منهم ، ولم يأتِ بلفظ « قل » كما في الآيتين قبله في خطاب أهل الكتاب تشريفاً منه تعالى للمؤمنين وتأنيساً . وأبرز النهي في صورة شرطية ، لأنه لم يقع طاعتهم لهم. **(وكيف تكفرون/١٠١)** استفهام إنكار وتعجيب واستبعاد ، أي من أين يتطرق إليكم الكفر ، والحال أن آيات الله -وهي القرآن المعجز- تُتلى عليكم على لسان رسوله ، والرسول بين أظهركم يعظكم ، ويزيح شبهتكم . (تُتْلَى) قرىء بالتذكير[٤]، للفصل . (ومن يعتصم) الاعتصام : الاستمساك بالشيء .

ولما ذكر أولاً ، أن طاعة الفريق تؤدي إلى الكفر ، ذكر في مقابله ، أن الاعتصام بالله يهدي إلى الإسلام والدين القيم ، ثم عقَّبه بأشياء كأنها شرح وبيان لمعنى الاعتصام بالله ، فبدأ[٢] بتقوى الله ، ثم الاعتصام بحبل الله ، وهو القرآن ، أي التمسك بما فيه من أمر ونهي ، ثم بلزوم الجماعة ، فإن الفرقة مع الشيطان ، ثم بذِكر نِعَم الله ، فإن ذلك أدنى أن يشكرها ، وهذه الأمور غاية المطلوب ، ونهاية الاعتصام ، فقال **(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله/١٠٢)** حق تقاته . في مصحف حفصة بدله **(اعبدوا الله حق عبادته)**[٣] وقد فُسرِّ **(حق تقاته/١٠٢)** بأن يُطاع فلا يُعصى ، ويُذكر فلا ينسى ، ويُشكر فلا يُكفر ، فكان أهم الأمور الأربعة ، فلذا بدأ به ، وعطف عليه الباقي ، عطف الخاص على العام ، وبدأ منها الاعتصام بالقرآن ، لأنه قريب من الأول في العموم ، فقال **(واعتصموا بحبل الله/١٠٣)**. الراغب: « الحَبْل : معروف ، واستُعير للقرآن والنبي وغير ذلك مما إذا اعتصمت به ، وصَّلَك إلى المقصود »[٤] .

---

(١) عن الحسن والأعمش . البحر (١٥/٣) .
(٢) في (أ) : يهدي إلى الإسلام .
(٣) البحر (١٧/٣) .
(٤) المفردات (١٠٧) مادة : حبل - بمعناه مختصراً .



وقال غيره : « هي استعارة تمثيلية ، لأن وجه الشبه فيها منتزع من متعدد ، شبه استظهار العبد الله ، ووثوقه بحمايته ، والنجاة من المكاره ، باستمساك الواقع في مهواة بحبل وثيق مدلّى من مكان مرتفع يأمن انقطاعه » .

قال الأصبهاني : « ويجوز أن يكون الحبل استعارة لعهده أو دينه ، والاعتصام استعارة لوثوقه بذلك ، أو يكون الاعتصام ترشيحاً لاستعارة الحبل بما يناسبه » .
(واذكروا نعمة الله/١٠٣) الإضافة للعظمة ، والعموم على سبيل الإجمال ، ثم فصَّلَها بقوله :**(إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم ، فأصبحتم/١٠٣)** أي فصرتم . **(بنعمته إخوانا/١٠٣)** وهذه مناسبة لقوله :**(ولا تَفَرَّقُوا/١٠٣)** ، وهي من أعظم نِعم الدنيا ، ثم أردفها بأعظم نِعم الآخرة ، فقال :**(وكنتم على شفا حفرةٍ من النار ، فأنقذكم منها/١٠٣)** مُثِّلَت حياتهم التي يُتوقع بعدها الوقوع في النار ، لو وافى الموت عليها بقعودهم على حرفها ، مُشْفِين على الوقوع فيها .

فجمع هذا البيان نعمتين عظيمتين هما أعظم النِّعم ، وسبب الحياة في الدنيا والآخرة لما في العداوة والفرقة من إثارة الحروب ، التي فيها فناء الأنفس بالقتل ، والنار كذلك . وفي **(كنتم أعداءً/١٣)** و**(أصبحتم إخواناً/١٠٣)** طباقان . وفي العداوة ، و**(شفا حفرةٍ/١٠٣)** إيهام طباق ، لأن العداوة مثيرة لنار الحرب . قال بعضهم : « والأكثر في أخ الدين ، أن يُجمع على إخوان ، وفي أخ النسب أن يُجمع على إخوة »[1] . أبو حيان : «شفى الشيء : طرفه وحرفه ، وهو حرف كل جُرْم له مهوى ، كالحفرة والبئر والجُرف والسقف والجدار ، ويضاف في الاستعمال إلى الأعلى ، نحو **(شفا جرفٍ)**[2] ، وإلى الأسفل ، نحو : **(شفا حفرةٍ)** »[3] .

---

(١) انظر البحر (٣/١٩) حيث حكاه عن بعضهم دون ذكر اسم هذا البعض ثم قال : « والصحيح أنهما يقالان من النسب ، وفي الدين » .
(٢) التوبة (١٠٩) .
(٣) البحر (٣/١٦) بقليل من الاختصار .



الراغب : « شفا البئر والنهر طرفه ، ويُضرب به المثل[1] في القرب من الهلكة ، كالآيتين »[2]، وضمير (منها) عائد[3] إلى (شفا)[4]، وإن كان مذكرًا ، لإضافته إلى مؤنث ، قالـه جماعة[5]، واختاره أبوحيان[6]، جرياً على قاعدة رجوع الضمير إلى المضاف دون المضاف إليه ، لأنه المتحدث[7] عنه .

ولما كانت الأوامر السابقة لخاصة أنفسهم ، أردفها بأوامر متعلِّقة بالغير ، من الـدعـاء إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر في قوله: **(ولتكن/١٠٤)** الآية ، ليكون الأمران في مقابلة ما حكاه عن أهل الكتاب من ضلالهم وإضلالهم غيرهم .

الأصبهاني : « أمرهم أولا بالمحافظة على التقوى والخير ، ثم بالدعاء إليه ، وهذا هو الترتيب البليغ المطابق للعقل » .

الجمهور : « من » في (منكم/١٠٤) للتبعيض . وقالت طائفة : للبيان[8]. قال المفضَّل : « أي لتكونوا أمة بهذه الصفة » قال : « وهذا من كلام العرب فصيح ، يقولون للرجل ، ليكن منك رجل قائماً بهذا ، أي كن قائماً به »[9].

---

(١) في (ب) : المثـال .

(٢) المفردات (٢٦٤) مادة : شفا .

(٣) كلمة « عائد » ليست في (أ) .

(٤) في (أ) : الشـفاء .

(٥) انظر جامع البيان للطبري (٨٦/٧) .

(٦) البحـر (١٩/٣) .

(٧) في (ب) : المحدث .

(٨) القول الأول ذهب إليه الضحاك ، والطبري . والقول الثاني ذهب إليه الزجاج وغير واحد من المفسرين . معاني القرآن (٤٥٢/١) ، وجامع البيان (٩٠/٧) ، والمحرر الوجيز (٢٥٤/٣) .
وعلى أي حال ، فإن المسلمين عموماً مطالبون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لينجوا من الخسران الوارد في قولـه تعالى : (والعصر إن الإنسان لفي خُسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر) ، وحتى لو قلنا إن (من) هنا للتبعيض ، فإن المخاطب بذلك المؤمنون كافة أن ينتخبوا منهم أمة تقوم بفريضة الأمر والنهي . انظر تفسير المنار (٢٧/٤ - ٣٦) .

(٩) لم أعثر على ذلك فيما اطلعت عليه .



قلت : وهذا هو النوع المسمى بالتجريد . وفي الحديث تفسير الدعاء إلى الخير باتباع القرآن والسنة[1] . وعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، على الدعاء إلى الخير ، من عطف الخاص على العام ، اهتماماً بشأنهما . روى سعيد بن منصور في سننه عن ابن الزبير[2] : أنه كان يقرأ (**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويستعينون بالله على ما أصابهم**).[3] ولما أمرهم بذلك ، نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما فعلوه من التفرق والاختلاف في فهم الكتاب ، وإلقاء الشبهات في النصوص واستخراج التأويلات الفاسدة لها المشار إليه في قوله أول السورة (**فأما الذين في قلوبهم زَيغ/٧**) الآية ، وحذَّرهم ذلك فقال (**ولا تكونوا/١٠٥**) أيها المؤمنون عند سماع هذه البينات. (**كالذين تفرقوا/١٠٥**) أبوحيان: « هذه والآية قبلها كالشرح لقوله (**واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا/١٠٣**) فشرح الاعتصام بحبل الله بقوله (**ولتكن منكم أمة/١٠٤**) ، وشرح قوله (**ولا تفرقوا/١٠٣**) بقوله (**ولا تكونوا/١٠٥**) إلى آخره »[4]. وقيل : لما أمر المؤمنين بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان ذلك متوجهاً إلى بعضهم بقوله (**منكم أمة/١٠٤**) نهاهم جميعاً عن الفرقة والاختلاف ، وأمرهم بالاجتماع والتعاون على الخير . (**واختلفوا/١٠٥**) عطف مبيِّن لمعنى التفرق ، وأن المراد به تفرّق الكلمة ، لا تفرّق الذوات. (**من بعد ما**

---

(١) أخرج ابن مردويه عن أبي جعفر الباقر ، قال : « قرأ رسول الله -ﷺ- (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) ، ثم قال : (الخير : اتباع القرآن وسنتي) . الدر المنثور (٢/٦٢) .

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، أول مولود في المدينة بعد الهجرة ، كان من خطباء قريش المعدودين ، يشبّه في ذلك بأبي بكر . بويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ عقيب موت يزيد بن معاوية ، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام ، ومدة خلافته دامت تسع سنين كانت له مع الأمويين حروب ، انتهت بمقتله في مكة سنة ٧٣هـ . ابن الأثير (٤/١٣٥) ، فوات الوفيات (١/٢١٠) ، تاريخ الخميس (٢/٣٠١) ، حلية الأولياء (١/٣٢٩) ، اليعقوبي (٣/٢) ، تهذيب ابن عساكر (٧/٣٩٦) .

(٣) لم أعثر على ذلك في كتاب «سنن ابن منصور» ، وذكرها السيوطي في الدر المنثور (٢/٦١) ، وأسندها إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف . وذكرها الطبري في تفسيره (٧/١٠٤) .

(٤) البحر (٣/٢١) باختصار قليل .



جاءهم البينات/١٠٥) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة . (وأولئك/١٠٥) المذكورون (لهم عذابٌ عظيمٌ يومَ/١٠٥) ظرف متعلق بما قبله ، ذُكر لبيان حال المتمثلين للأمر والمختلفين . (تَبْيَض وجوهٌ ، وتسود وجوهٌ/١٠٦) فُسِّر في الحديث بأن المراد بالفريق الأول أهل السنة ، وبالثاني أهل البِدَع[١] ، وهو مناسب لما قبله ، لأن أهل البدع الذين خالفوا في فهم الكتاب ، وأوّلوا النصوص بالتأويلات الفاسدة ، واختلفوا في ثنتين وسبعين فرقة ، كل فرقة تضلِّل الأخرى .

وقرىء بكسر أول الفعلين . وقرىء (تبياض وتسواد)[٢](فأما الذين اسودت وجوههم/١٠٦) نشر بعد اللَّف[٣] ، وهو غير مرتب . (اسوادت وابياضّت)[٤]. (أكفرتم/١٠٦) على حذف القول ، أي فيقال لهم . والهمزة للتوبيخ والتعجيب . (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون/١٠٦) الأصبهاني : « ذكر ذلك ليشمل الوعيد من كفر بعد إيمانه ، والكافر الأصلي » . (ففي رحمة الله/١٠٧) أي الجنة ، من تسمية المحل باسم الحال ، مجازاً . أبو حيان : «أضاف الرحمة إليه دون العذاب ، كعادته من إسناد الجميل إليه »[٥] . (هم فيها خالدون/١٠٧) استئناف ، كأنه قيل : كيف يكونون فيها ، فأجيب بذلك . الأصبهاني : « إنما ابتدأ بقوله : (يوم تَبْيَض وجوه/١٠٦) ، وختم بقوله : (وأما الذين ابْيَضَّت وجوههم/١٠٧)، ولم يرتّب

---

(١) أخرج الخطيب والديلمي عن ابن عمر عن النبي -ﷺ- في قوله تعالى : (يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه) ، قال : « تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدع » . الدر المنثور (٢/٦٣) .

(٢) هذه قراءة الحسن والزهري وابن محيصن وأبي الجوزاء . والقراءة السابقة هي قراءة يحيى بن وثاب وأبي رزين العقيلي وأبي نهيك . البحر (٣/٢٢) .

(٣) اللف والنشر : هو ذكر متعدد مفصل أو مجمل ، ثم ذكر لكل من آحاده بلا تعيين اتكالاً على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به لوضوح الحال ، والمفصل قسمان : مرتب - وغير مرتب وهنا يعتبر غير مرتب ، لأن (فأما الذين اسودت وجوههم) تابع لـ(تسود) ، و(أما الذين أبيضت وجوههم) تابع لـ(. . . . تبيض وجوه) .
علوم البلاغة للمراغي (٣٤١ - ٣٤٢) .

(٤) لم أعثر على هذه القراءة فيما اطلعت عليه .

(٥) في البحر (٣/٢٦) :
« وأضاف الرحمة هنا إليه ، ولم يضف العذاب إلى نفسه ، بل قال (فذوقوا العذاب) » .



النشر ترتيب اللّف ، لأن عادة القرآن الافتتاح بأهل الخير ، والختم بهم . **(نتلوها/١٠٨)** فيه التفات . وقرىء بالياء[1] ، عودا على الله . وقيل : إلى جبريل ، لأنه التّالي ، وإن لم يجرِ له ذِكر ، للعلم به[2] . **(وما الله/١٠٨)** فيه التفات . **(يريد ظلماً/١٠٨)** نكّره ، ليفيد نفي القليل والكثير ، ومناسبة الختم بهذه الجملة الإشارة إلى أنه عادل فيما تقدّم إخباره به من تعذيب طائفة ، وتنعيم أخرى ، ثم أكّد ذلك بذِكر الحجة القاطعة في أن جميع المخلوقات مُلْكُه ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، فقال : **(ولله ما في السموات وما في الأرض/١٠٩)** وعبّر بـ**(ما/١٠٩)** تغليباً للأكثر . **(وإلى الله تُرجع الأمور/١٠٩)** الأصبهاني : « أعاد ذِكر الله في الآيتين تفخيماً للكلام وتنبيهاً على عِظم المعنى » . وقيل : لما كان أول كل من الآيتين وآخره جملتان مستقلتان متفرقتان في المعنى ، حسُن إظهار الاسم فيهما ، فإنه إذا تكررت جمل كثيرة على هذا الحد ، حسُن فيها كلها إظهار الاسم ، ولم يحسُن الإتيان بالضمير ، ولما كان كل المخلوقات منه يبدأ ، وإليه يعود ، قال : **(ولله ما في السموات وما في الأرض)** ، **إشارة إلى أنه تعالى هو الأولى** ، **(وإلى الله تُرجع الأمور)** ، إشارة إلى أنه هو الآخر ، وذلك يدل على إحاطة علمه وحكمه ، وتصرّفه وتدبيره بأولهم وآخرهم ، فإن الأسباب والمسببات ، منتسبة إليه ، وإن الحاجة منتهية إليه ، ثم لما أمر المؤمنين ونهاهم ، وحذّرهم عن التشبه[3] . بأهل الكتاب ، أراد تقرير ذلك بطريق آخر يقتضي حملهم على الانقياد والمطاوعة ، فقال **(كنتم خير أمةٍ أُخرجت للناس/١١٠)** أي أنكم في اللوح المحفوظ خير الأمم وأفضلهم ، فاللائق بكم ألا تُبطلوا ء' أنفسكم هذه الفضيلة ، وأن تنقادوا إلى الطاعة ، وأن تدعوا إلى الخير ، وألا تتشبهوا بمن هو دونكم ، فإن الفاضل لا يليق به أن يفعل أفعال المفضولين والأرذال ، ومثل هذا الكلام عادة ، يحمل النفوس الأبية على ارتكاب معالي الأمور ، وتجنب سفسافها كما في الحديث : (إذا مُدح المؤمن ، ربا الإيمان في

---

(١) عن أبي نهيك . البحر (٢٦/٣) .

(٢) وقد استحسن أبوحيان القول الأول . البحر (٢٦/٣) .

(٣) في (أ) : الشبهة .



قلبه)[1]. أبوحيان: « هذه الآية من تمام الخطاب في قوله (**يـأيها الذين آمنوا اتقوا الله/١٠٢**) ، وتوالت بعد هذا مخاطبات المؤمنين ، من أوامر ونواه ، واستطرد من ذلـك لذكر من يبيضّ وجهه ، ويسودّ ، وشيء من أحوال الآخرة ، ثم عاد إلى الخطاب الأول ، فقال : (**كنتم خير أمة/١١٠**) تحريضاً بهذا[2] الإخبار على الانقياد والطواعية »[3]، و« كان » ناقصة في الأظهر . وقيل : تامة . وقيل : بمعنى صار . وقيل : زائدة[4]. الكرماني : « قيل : هي متصلة بقوله (**هم فيها خالدون/١٠٧**) أي ويقال لهم في القيامة (**كنتم خير أمة أخرجت/١١٠**) »[5] حذف الفاعل للعلم به ، وهو الله ، ورُوعي في الضمير لفظ الغيبة جريا على (**أمة/١١٠**) ، لا الخطاب جرياً على (**كنتم/١١٠**) ، وهما طريقان للعرب . (**للناس/١١٠**) من غريب ما قيل فيه أنه مفعول (**تأمرون/١١٠**) قُدِّم عليه ، فقُرِن باللام المقوية على حدّ (**إن كنتم للرؤيـا تَعْـبُرون**)[6][7]. (**تأمرون بالمعروف/١١٠**) استئناف بيّن به كونهم (**خير أمـةٍ**) ، كما تقـول : زيد كريم ، يطعم النـاس ويكسـوهم ويقوم بمصالحهم . الامام : « قُدِّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قوله (**وتؤمنون بالله/١١٠**) ، لأن الإيمان مشترك بين جميع الأمم ، فليس المؤثر لحصول هذه الزيادة ، بل المؤثر كونهم أقوى حالاً في الأمر والنهي ، وإنما الإيمان شرط للتأثير ، لأنه ما لم يوجد ، لم يصر شيء من الطاعات مؤثراً في صفة الخيرية ، والمؤثر ألصق بالأثر من شرط

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير بلفظ : (إذا مدح المؤمن في وجهه . . .) الخ ، وأسنده إلى الطبراني في الكبير ، ثم ضعفّه ، وذكر المناوي أن العراقي قال : إن سنده ضعيف . فيض القدير (١/٤٤٠ - ٤٤١) . وأخرجه الحاكم (٣/٥٩٧) ، ولم يتكلم عليه بشيء .

(٢) في (ب) : بهـذه .

(٣) البحر (٣/٢٨) بتصرف .

(٤) حكى أبو حيان هذه الأقوال ، واستظهر الأول منها . البحر (٣/٢٨) .

(٥) في لباب التفسير (٣/٩٥١) .

« . . . . فيقال لهم في القيامة : كنتم - أي في الدنيا - خير أمة » .

(٦) سورة يوسـف (٤٣) .

(٧) وقد استبعد أبوحيان هذا القول . البحر (٣/٢٩) .



التـأثـير . واكتفى بذكـر الإيمان بالله عن الإيمان بالنبـوة ، لأنـه مسلتـزم له »[1] (لكان/ ١١٠) أي الإيمان (**منهم المؤمنون ، وأكثرهم الفاسقون/ ١١٠**) اللام فيهما تدل على المبالغة والكمال في الموضعين. (**لن يضروكم إلا أذى/ ١١١**) هو استثناء متصـل مفرّع من المصدر المحذوف . وقيل : منقطع[2] . (**وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبـار/ ١١١**) هذه الجملة كالمؤكـدة للجملة قبلهـا . وأتى بلفظ (**الأدبار**) دون الظهور لما في ذكره من الإهانة ، ولأنه أبلغ في الانهزام والهرب ، ولهذا كثر استعماله في القرآن. (**ثم لا يُبصرون/ ١١١**) « استئناف ، إخبار أنهم لا يُبصرون أبداً ، ولم يُشرَك في الجزاء فيُجزم ، لأنه ليس مرتباً على الشرط ، بل التولية مرتبة على المقاتلة ، والنصر منفي عنهم أبدا ، قاتلوا أم لا ، إذ سببه الكفر ، فالجملة معطوفة على جملة الشرط ، و(**ثم**) للتراخي في الإخبار ، لا الزمان »[3]. الزمخشري : « (**ثم**) للتراخي في الرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم ، أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار . فإن قلت : ما موقع الجملتين - أعني (**منهم المؤمنون/ ١١٠**) ، و(**لن يضروكم/ ١١١**) ؟.

قلت : هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب ، ولـذلـك جاءا من غير عطف »[4]. (**إلا بحبـل/ ١١٢**) قيل : تقـديره : إلا أن يعتصِمُوا بحبل[5]. وقيل : فلا نجاة من الموت إلا بحبل[6]. وقيل : هو استثناء منقـطع[7]، تقـديره لكن اعتصـامهم بحبـل ينجيهم من القتـل والأسر والسبي

---

(١) التفسـير الكبـير (٨/ ١٩٧) .

(٢) هذا قول الفراء والزجاج والنحاس ، وهو اختيار الطبري والقول الأول هو ما استظهره أبو حيان . انظر معاني القرآن للنحاس (١/ ٤٠٠) ، وجامع البيان (٧/ ١٠٨) ، والبحر (٣/ ٣٠) .

(٣) هذا كلام أبي حيان نقله عنه السيوطي بتصرف . انظر البحـر (٣/ ٣١) .

(٤) الكشـاف (١/ ٤٥٥) .

(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٠) .

(٦) هذا هو تقدير ابن عطية . المحرر الوجيز (٣/ ٢٧١) .

(٧) وهو ما ذهب إليه الزجاج - معاني القرآن (١/ ٤٥٧) . والفراء - معاني القرآن (١/ ٤٥٧) .



واستئصال الأموال[1] الزمخشري : « هو استثناء متصل من[2] عموم[3] الأحوال ، والمعنى : ضُرِبت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل من الله ، وحبل من الناس ، يعني ذمة الله وذمة[4] المسلمين ، أي لا عِز لهم قط إلا بهذه الواحدة ، وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية[5] . « وشبّه العهد بالحبل ، لأنه يصل قوما بقوم ، كما يفعل الحبل في الأجرام »[6] [7] . أبوحيان : « الظاهر في تكرار الحبل ، أنه أُريد حبلان . وفُسِّر حبل الله الإسلام ، وحبل الناس بالعهد والذمة . وقيل : الأول ما نصّ عليه من أخذ الجزية ، والثاني : ما فوّض إلى رأي الامام . وقيل : المراد حبل واحد ، إذ حبل المؤمنين[8] ، هو حبل الله ، وهو العهد »[9] . **(سواء/١١٣)** الضمير لأهل الكتاب . **(من أهل الكتاب ، أمة/١١٣)** مستأنف ، بيّن به انتفاء التسوية . **(قائمة/١١٣)** بمعنى مستقيمة. **(يتلون آيات الله/١١٣)** جيء بالمضارع ، ليدل على التجدد . **(وهم يسجدون/١١٣)** أي يصلون[10] ، فالواو حالية . وقيل : هي مقطوعة من الكلام الأول ، أخبر عنهم أيضاً ، أنهم أهل سجود[11] ، فهو نعت ، عُدّد بواو العطف .

---

(١) وهذا هو تقدير أبي حيان ، الذي ذكر أن الذي يدل على أن الاستثناء هنا منقطع ، هو الإخبار بذلك في قوله تعالى في سورة البقرة : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباؤوا بغضب من الله) (٦١) ، فلم يستثن هناك » . البحر (٣/٣٢) .

(٢) في (ب) : في .

(٣) في الكشاف (١/٤٥٥) : « من أعم عام » .

(٤) في (ب) : وذم .

(٥) الكشاف (١/٤٥٥) .

(٦) في (ب) : الاجرا .

(٧) هذا كلام أبي حيان . البحر (٣/٣٢) .

(٨) في (أ) : المؤمن .

(٩) البحر (٣/٣٢) .

(١٠) وهو ما استظهره أبو حيان . البحر (٣/٣٥) .

(١١) ذهب إلى ذلك الطبري (٧/١٢٩) .

والمعنى عنده أن : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم ، وهم مع ذلك يسجدون فيها . . .



(يؤمنون/١٥٤) صفة أخرى ، أو استئناف ، أو حال من ضمير (يسجدون) ، أو بدل من (يسجدون) أقوال[١] .

الزمخشري : « وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود ، من تلاوة آيات الله بالليل ساجـدين ، ومن الإيمان بالله ، لأن إيمانهم به كلا إيمان ، لإشراكهم به عزيرا ، وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الإيمان باليوم الآخر ، لأنهم يصفونه بخلاف صفته ، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنهم كانوا مداهنين ، ومن المسارعة في الخيرات ، لأنهم كانوا متباطئين عنها ، غير راغبين فيها »[٢] .

أبو حيان : « وصف هذه الأمة بست صفات : الاستقامة ، ولما كانت وصفاً ثابتاً لا يتغير ، جاءت باسم الفاعل ، وصلاة الليل ، وهي العبادة التي فيها الخلوة لمناجاة الله ، والإيمان بالله واليوم الآخر ، وهو الحامل على عبادة الله ، وذكر اليوم الآخر ، لأن فيه ظهور أثر العبادة من الجزاء الجزيل ، وتضمن الإيمان بالأنبياء ، إذ هم الذين أُخبروا بوقوعه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنهم لما كملوا في أنفسهم ، سعـوا في تكميل غيرهم بهذين الوصفين ، والمسارعة في الخيرات ، وهي[٣] صفة تشمل أفعالهم المختصة بهم ، والمتعدية عنهم ، وهذه الصفات الثلاث ناشئة أيضاً عن الإيمان .

فانظر إلى حسن مساق هذه الصفات ، حيث توسَّط الإيمان ، وتقدمت عليه الصفـة المختصـة بالإنسان في ذاته ، وتأخرت عنه الصفتان المتعديتان ، والصفة المشتركة »[٤] . (**وما يفعلوا من خير ، فلن يُكفروه/١١٥**) القراءة بالغيبة عودا على (**أمة قائمة/١١٣**) ، وبالخطاب[٥] على الالتفات ، لما وصفهم بأوصاف جليلة ،

---

(١) انظر الدر المصون (٣/٣٥٧) .

(٢) الكشاف (١/٤٥٦) .

(٣) في (أ) : وهـو .

(٤) البحر (٣/٣٥ - ٣٦) بتصرف .

(٥) القراءة بالغيبة هي قراءة حمزة والكسائي وحفص . والقراءة بالخطاب هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٧٠ - ١٧١) .



أقبل عليهم تأنيساً لهم ، واستعطافا عليهم ، فخاطبهم بأن ما يفعلونه من الخير ، لا يُمنعون ثوابه ، وكذلك اقتصر على الخير ، ولم يذكر الشر ، لأنه موضع عطف وترحم .

وقيل : المخاطب به المخاطبون في قوله **(كنتم خير أمة/١١٠)** فيكون تلويناً ، لا التفاتا و« كفر » يتعدى لواحد ، وعدّي هنا لاثنين ، لتضمنه معنى حرم . **(والله عليم بالمتقين/١١٥)** أبو حيان : « لما كانت الآية فيمن اتصف بالأوصاف الجميلة ، وأخبر تعالى ، أنه يثبت على فعل الخير ، ناسب ختمها بذكر علمه بالمتقين ، وإن كان بالمتقين وبغيرهم ، ومعنى علمه بهم ، أنه مجازيهم على تقواهم ، ففيه وعدٌ لهم ، ووعيد لغيرهم »[1] . الطوفي : «كقوله **(وما تنفقوا من شيءٍ ، فإن الله به عليمٌ)**[2] في أنه إشارة إلى تصحيح الجزاء ، وإلى الاخلاص ، بدليل قوله : **(والله عليمٌ بالمتقين/١١٥)** ، وقال في آية أخرى **(إنما يتقبَّل الله من المتقين)**[3] ، ومن راءى بعلمه ، لم يتقِ فيه ، فلا يُقْبَل منه . **(إن الذين كفروا/١١٦)** الآية ، أبو حيان : « لما ذكر شيئاً من أحوال المؤمنين ، ذكر شيئاً من أحوال الكافرين ليتضح الفرق بين القبيلين »[4] . **(مثل ما ينفقون/١١٧)** أبوحيان : « لما ذكر تعالى أن ما يفعله المؤمنون من الخير ، لا يُحرمون ثوابه ، أخذ في بيان نفقة الكافرين فضرب لها مثلاً ، اقتضى حرمان ثوابها »[5] . الزمخشري : « شبَّه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء ، وحسن الذكر بين الناس ، لا يبتغون به وجه الله ، الذي أصابه البَرد ، فذهب حطاماً »[6] .

---

(١) البحر (٣/٦) بتصرف .

(٢) آل عمران (٩٢) .

(٣) المائدة (٢٧) .

(٤) البحر (٣/٣٦) .

(٥) البحر (٣/٣٧) بتصرف .

(٦) الكشاف (١/٤٥٧) .



ابن عطية : « شبَّه إنفاقهم الذي يَعُدُّونه قربة وحسنة ، وذهابه يوم القيامة ، بزرع نبت واخضرّ ، وقوي الأمل فيه ، عليه ريح صِرّ محرق ، فأهلكته »[(١)] . ثم قيل : هو من التشبيه المركب[(٢)] ، لم تقابل فيه الأفراد بالأفراد ، فإنه شبّه المنفق بالريح ، والمعنى على تشبيه بالحرث . وقيل : وقع التشبيه بين شيئين وشيئين ذكر أحد المشبهين ، وترك ذكر الآخر ، على حدّ **(ومَثَل الذين كفروا ، كمَثَل الذي ينعِق)**[(٣)] ، فهو احتباك[(٤)] . وقيل : هو على حذف مضاف من الأول ، أي مثل مهلك ما ينفقون . وقيل : من الثاني ، أي كمثل مهلك ريح[(٥)] . وقيل : ما مصدرية ، أي مثل إنفاقهم ، فيكون قد شبَّه المعقول بالمحسوس ، إذ شبَّه الإنفاق بالريح . وقيل : الإنفاق استعارة للأعمال . قال ابن عطية : « وهو بعيد »[(٦)] . الراغب : « قيل ما ينفقون عبارة عن أعمالهم كلها ، وخص الإنفاق لكونه أظهر وأكثر »[(٧)] . وقرىء (تنفقون) بالخطاب[(٨)] على معنى : قل لهم . وأفرد ريح ، لأنها مختصة بالعذاب ، والصِرّ إن كان البرد ، أو صوت لهب النار ، أو صوت الريح الشديدة[(٩)] ، فظاهر كون ذلك في الريح ، وإن كان صفة الريح ، كالصرصر ، فهو من التجريد[(١٠)] ، حيث جعل الموصوف ظرفاً للصفة ، على حد قوله :

---

(١) المحــرر الوجـيز (٣/٢٨١) .

(٢) هو اختيار الزمخشري . الكشاف (١/٤٥٧) .

(٣) البقرة (١٧١) .

(٤) وهو ما اختاره ابن عطية . المحرر الوجيز (٣/٢٨١) .

(٥) وقد جوّز أبو حيان هذا القول وسابقه . البحر (٣/٣٧) .
وقد استظهر السمين هذا القول على سابقه ، لأنه يؤدي في الأول إلى تشبيه الشيء المنفق المهلك بالريح ، وليس المعنى عليه أيضاً ، ففيه عود لما مرّ منه . الدر المصون (٣/٣٥٩) .

(٦) انظر المحرر الوجيز (٣/٢٨٢) .

(٧) البحــر (٣/٣٧) .

(٨) عن ابن هرمز والأعرج . البحر (٤/٣٧) .

(٩) انظر الجامع للقرطبي (٣/١٧٧ - ١٧٨) ، والبحر (٣/٣٧) ، واللسان (٤/٤٥٠) مادة : صرر .

(١٠) قد استبعد أبو حيان هذا القول . البحر (٣/٣٧) .

..... وفـي الرحمــن للضعفــاء كــاف[1] .

(**ظلموا أنفسهم/١١٧**) أي بالمعاصي[2] . وقيل : بالزرع في غير حينه[3] . (**وما ظلمهم/١١٧**) قيل : الضمير للمنفقين[4] . وقيل : لأصحاب الحرف[5] ، وأيّد ابن عطية الأول بقـولـه : (**ولكن أنفسهم يظلمـون/١١٧**) ، لأنـه يدل على حاضرين[6] [7] . وقرىء (**لكن**) بالتشديد[8] . فاسمها (**أنفسهم**) ، والخبر (**يظلمون**) .

(الشيخ سعد الدين : « فإن قيل : على كلٍّ من القراءتين إشكال ، وهو أن ما ظلمناهم كلام في الفاعل ، ولكن أنفسهم يظلمون في المفعول ، أما على قراءة التشديد ، فلأنه بُني الكلام على أنفسهم ، حيث جُعل في موقع المبتدأ ، مع أنه المفعول في المعنى ، والذي يقتضيه ظاهر النظر أن يكون في الفاعل ، أي ما نحن ظلمناهم ، ولكن هم ظلموا أنفسهم ، كما تقول ما أنا قلت هذا ، ولكن غيري قاله .

قلت : تقديم المفعول في المشهور لرعاية الفاصلة ، لا الاختصاص ، والقصد إلى الفعل من حيث تعلقه بالفاعل ، أي ما ظلمناهم ، ولكن ظلموا أنفسهم وهو ظاهر ، وأما على قراءة التشديد ، فبناء الكلام على أنفسهم ، من حيث فاعليتها ، لا مفعوليتها ، بمنزلة أن يقول : ولكن لا غيرهم ، ولذا لم يقل « إياهم » ، تأكيداً

---

(١) البيت لأبي خالد القناني ، وصدره : ولولاهنّ قد سوّمت مهري
وهو في الكامل (٨٩٥) ، والكشاف (٤٥٧/١) ، وشواهده (٤٥٦/٤) .

(٢) وهو ما استظهره أبو حيان . البحر (٣٨/٣) .

(٣) نحا إلى مثل هذا القول المهدوي . البحر (٣٨/٣) ، والجامع للقرطبي (١٧٨/٣) .

(٤) وهو ما جوزه الزمخشري . الكشاف (٤٥٧/١) .

(٥) لم أعثر على هذا القول فيما اطلعت عليه .

(٦) المحـرر الوجـيز (٢٨٥/١) .

(٧) وقد استحسن أبو حيان هذا التوجيه . البحر (٣٨/٣) .

(٨) البحـــر (٣٨/٣) دون نسبة .



للمفعول »)[1]. (يا أيها الذين آمنوا/١١٨) لما ذكر صفة الكافرين ، حذَّر المؤمنين من موالاتهم ومصافاتهم . (بطانة) هي في الثوب[2] بإزاء الظهارة ، وتستعار لمن يختصه الإنسان ، كالشِّعار والدِّثار . أبوحيان : « شبَّه الصديق بما يباشر بطن الإنسان من ثوبه ، فقيل له بطانة ووليجة . (من دونكم/١١٨)[3] هو من التجريد . (لا يألونكم/١١٨) قال أبوحيان : « هي والجمل بعدها ، لا محل لها من الإعراب ، إذ جاءت بياناً لحال البطانة الكافرة . ويقال أَلَوْت في الأمر ، أي قصّرت فيه ، فهو متعد إلى واحد بحرف الجر ، فتعديته إلى الضمير على إسقاط اللام ، وإلى (خبالاً/١١٨) على إسقاط في ، والأصل ، لا يألونكم في خبال . وقيل : (خبالاً/١١٨) تمييز منقول من المفعول ، والأصل لا يألونكم خبالكم ، أي في خبالكم . وقيل : مصدر في موضع الحال »[4]. الزمخشري : « يقال : ألا في الأمر ، يألو ، إذا قصّر فيه ، ثم استُعمل معدًّى إلى مفعولين في قولهم : لا آلوك نصحاً ، ولا آلوك جهداً على التضمين ، والمعنى : لا أمنعك نصحاً ، ولا أنقصكه »[5][6]. (ودُّوا ما عَنِتُّم/١١٨) الراغب : « المعابدة والمعانتة متقاربان ، لكن المعاندة هي الممانعة ، والمعانتة أن يتحرى مع الممانعة المشقة »[7]. أبوحيان : « أصل العنت انهياض العظم ، بعد جبره »[8]. (قد بدت البغضاء/١١٨) قرىء (قد بدا)[9]. لأن الفاعل مؤنث مجازا ، أو على معنى البغض . (من

---

(١) ما بين القوسين ليس في (أ) .
(٢) في (أ) : القرب .
(٣) « من دونكم » : ليست في (أ) .
(٤) البحر (٣/٣٨ - ٣٩) بتصرف .
(٥) في (أ) : ولا أنقصه .
(٦) الكشاف (١/٤٥٨) .
(٧) في المفردات (٣٤٩) مادة عنت :
« المعانته كالمعانده ، لكن المعانتة أبلغ ، لأنها معاندة فيها خوف وهلاك . . . . » .
(٨) البحر (٣/٣٩) .
(٩) عن عبد الله بن مسعود . الدر المصون (٣/٣٦٦) .

أفواههم/١١٨) ذكرها دون الألسنة إشعاراً بأن ما يلفظون به يملأ أفواههم ، كما يقال : قال كلمة تملأ الفم ، إذا تشدَّق بها . **(وما تُخفي صدورهم أكبر/١١٨)** إسناد الإخفاء إلى الصدور مجازاً ، إذ هي محال القلوب التي تُخفي . **(إن كنتم تعقلون/١١٨)** شرط جيء به للتهييج[١] . **(وتؤمنون بالكتاب كله/١١٩)** فيه جملة محذوفة ، أي وهم لا يؤمنون بكتابكم . **(عَضُوا عليكم الأنامِل/١١٩)** إما على حقيقته ، وإما من مجاز التمثيل[٢] ، عبر بذلك عن شدة الغيظ والتأسف على ما يفوتهم من أذى المؤمنين . والعضّ : وضع الأسنان على الشيء بقوة ، وأما عظ الزمان[٣] فبالظاء المسألة ، والأنامل : أطراف الأصابع . قال ابن عيسى[٤] : « أصلها النمل المعروف ، وهي مشبَّهٌ به في الدِّقة والتصرف[٥] بالحركة »[٦] . **(موتوا بغيظكم/١١٩)** صيغة أمر ، ومعناها : الدعاء . وقيل : التقريع[٧] . وقيل : الخبر[٨] ، والباء للحال أي تموتون ومعكم الغيظ .

(الشيخ سعد الدين : « هذا من كناية الكناية ، عبر بدعاء موتهم بالغيظ عن ملزومه الذي هو دعاء ازدياد غيظهم إلى حين الهلاك ، وبه عن ملزومه الذي هو قوة الإسلام ، وعن اسمه ، وذلك لأن مجرد الموت بالغيظ ، أو ازدياده ليس مما يحسن أن يُطلَب ويُدعىٰ به)[٩] . **(إن الله عليم بذات الصدور/١١٩)** قيل : هو

---

(١) في (أ) : لتهييج .

(٢) قال أبو حيان باحتمال هذا الوجه ، واستظهر الوجه الأول . البحر (٣/٤١) .

(٣) كلمة « الزمان » ليست في (ب) .

(٤) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ، أبو الحسن الرماني أصله من سامراء ، ومولده ووفاته ببغداد وهو باحث معتزلي مفسر من كبار النحاة . من مؤلفاته : « التفسير » و « الأسماء والصفات » و « معاني الحروف ». توفي سنة ٣٨٤هـ .
بغية الوعاة (٣٤٤) ، ووفيات الأعيان (١/٣٣١) ، مفتاح السعادة (١/١٤٢) .

(٥) في (ب) : والقصر .

(٦) البحر (٣/٣٣) ، اللسان (١١/٦٧٩) مادة : نمـل .

(٧) ذكر القرطبي هذا المعنى ، وذكر أن المعنى الأول عليه كثير من المفسرين . الجامع (٣/١٨٣) .

(٨) حكاه السمين . الدر المصون (٣/٣٧٣) .

(٩) ما بين القوسين ليس في (أ) .



من جملة المقول . وقيل : استئناف من كلام[1] الله . أبوحيان : « ذات : تأنيث ذي بمعنى صاحب ، وأصله عليم بالمضمرات ذوات الصدور ، ثم حذف الموصوف وغلّب إقامة الصفة مقامه . ومعنى صاحبة الصدور ، الملازمة لها التي لا تنفك[2] عنها »[3] . الطوفي : « الختم به مناسب لقوله (وإذا لَقُوكم/١١٩) إلى آخره ، لأن ذلك صفة للمنافقين ، فأخبرهم سبحانه أنه يعلم ما في صدورهم ، لا يخفى عليه منه شيء ، وأن نفاقهم لا ينفعهم ، وهذه الفاصلة لا تقع غالباً إلا في سياق كلام مشتمل على أمر خفي ، من نفاق وغيره يتعلق به العلم » . (إن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وإن تُصِبكم سيئةٌ يفرحوا بها/١٢٠) فيه أربع طباقات ، وفيه استعارة في المس والإصابة ، شبّه الحصول بهما من باب تشبيه المعقول بالمحسوس . ابن عطية : « ذكر المسّ في الحسنة ، ليبيِّنَ أنه بأدنى طروء الحسنة ، تقع المساءة بهؤلاء ، والإصابة في السيئة ، وهي أبلغ دلالة على شدة العداوة ، إذ لا يفرحون إلا بما فيه زيادة تمكّن من الشدائد »[4] . وقرىء (يمسسكم) بالتحتية[5] ، لأن تأنيث الحسنة مجازي . (لا يضرُّكم/١٢٠) بالتشديد ، من ضر يضر ، وبالتخفيف من ضار يضِير[6] . وقرىء بضم الراء وبكسرها مع التشديد[7] ، لغات . وقرىء (لا يضرركم) بالفك[8] . (كيدُهم/١٢٠) هو الاحتيال بالباطل . قال ابن قتيبة : « وأصله المشقة ، من قولهم : فلان يكيد بنفسه ، أي يعالج مشقات النزع وسكرات الموت »[9] . (إن الله بما يعملون محيطٌ/١٢٠) أبوحيان : « هو وعيد معناه

---

(١) في (ب) : في كل أمر الله .
(٢) في (ب) : لا تنقل .
(٣) البحر (٤٢/٣) .
(٤) المحرر الوجيز (٢٩٢/٣) باختصار .
(٥) عن السلمي . البحر (٤٣/٣) .
(٦) قراءة التشديد هي قراءة الكوفيين ، وابن عامر .
والقراءة بالتخفيف هي قراءة البقية . الكشف (٣٥٥/١) ، والسبعة (٢١٥) .
(٧) في البحر (٤٣/٣) ، والدر المصون (٣٧٧/٣) . أن الضحاك قرأ بضم الضاد ، وكسر الراء المشددة .
(٨) عن أبيّ . البحر (٤٣/٣) ، والدر المصون (٣٧٨/٣) .
(٩) لم أجد هذا الكلام في كتاب « غريب القرآن » لابن قتيبة ، ولا في كتابه « تأويل مشكل القرآن » ، ولكني وجدته في البحر (٣٣/٣) .

المجـازاة »[1] . الطوفي : « هو مناسب لأول الآية ، لأنها في المنافقين » . وقرىء (تعلمون) بالفوقية[2] ، إما على الالتفات أو على إضمار قل ، أو خطابا للمؤمنين يتضمن توعدهم على اتخاذ بطانة من الكفار . (وإذ غدوتَ من أهلك/١٢١) هذا أول الآيات النازلة في قصة أُحد . أبو حيان : « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما نهاهم عن اتخاذ بطانة من الكفار ، ووعدهم أنهم إن صبروا واتقوا ، لا يضرهم كيدهم ، ذكَّرهم بحالة اتفق فيها بعض طواغيت وأتباع لبعض المنافقين وهو ما جرى يوم أحد لعبد الله بن أُبي[3] ، حين انخذل عن رسول الله -ﷺ- ، واتبعه في الانخذال ثلاثمائة رجل من المنافقين وغيرهم من المؤمنين »[4] ، وغدا : خرج غدوة ، أي في أول النهار . (تُبَوِّىء/١٢١) تُنزل ، وقرىء بالتخفيف[5][6] ، من أبوأ[7] ، وبالتسهيل بوزن تعطي[8] . (المؤمنين/١٢١) قرىء (للمؤمنين) بلام الجر[9] ، فهي بمعنى : ترتِّب وتُهَيِّء . وقال أبو حيان : « الظاهر أن الأصل تعديته لواحد بنفسه ، وللآخر باللام »[10] . (مقاعِد/١٢١) جمع مقعد ، وهو مكان القعود ، والمعنى : مواطن ومواقف . ابن عطية : « لفظ المقاعد هنا أدل على الثبوت ، لا سيما أن الرماة إنما كانوا قعوداً »[11] . وقرىء (مقاعد القتال) بالإضافة[12] . (والله سميعٌ عليم/١٢١) أبو حيان : « جاءت هاتان الصفتان هنا ،

---

(١) البحر (٣/٤٣) .

(٢) عن الحسن بن أبي الحسن . البحر (٣/٤٣) .

(٣) هو عبد الله بن أبي بن سلول ، رأس المنافقين ، كان سيد الخزرج في الجاهلية ، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقية ، توفي سنة ٩هـ - تاريخ الخميس (٢/١٤٠) ، المحبر (٢٣٣) .

(٤) البحر (٣/٤٤) .

(٥) في (ب) التحتية .

(٦) قرأ بها عبد الله بن مسعود . ابن خالويه (٢١) ، والدر المصون (٣/٣٨٠) .

(٧) في (ب) : أبيواء .

(٨) الدر المصون (٣/٣٨٠) .

(٩) عن عبد الله بن مسعود . الدر المصون (٣/٣٨٠) .

(١٠) البحر (٣/٤٦) .

(١١) المحرر الوجيز (٣/٣٠١) .

(١٢) عن الأشهب . الدر المصون (٣/٣٨١) .

لأن في ابتداء هذه الغزوة مشاورة ومجاوبة بأقوال مختلفة ، وانطواء على نيات مضطربة »[1] . الطوفي : « وجه مناسبة الختم به ، ما سبق في قوله في البقرة : **(وقاتلوا في سبيل الله ، واعلموا أن الله سميعٌ عليم/٢٢٤)** » . **(إذ همَّت/١٢٢)** بدل من **(وإذ غَدَوْتَ/١٢١)** ، أو معمول للوصف قبله . **(طائفتان/١٢٢)** فيه الكناية عن من يقع منه ما لا يناسب ، ستراً عليه . **(أن تفشلا/١٢٢)** فيه حذف باء التعدية ، والفشل في البدن الإعياء ، وفي الرأي العجز والفساد ، وفي الحرب الجبن والخوف . **(والله وليهما/١٢٢)** فيه احتراس ، أزال به توهُّم نقص في الطائفتين لما همُّوا به . وقرىء **(والله ولِيهم)**[2] إعادة للضمير على المعنى ، لا على لفظ التثنية ، كقوله **(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)**[3] ، **(هذان خصمان اختصموا)**[4] . **(وعلى الله فليتوكل المؤمنون/١٢٢)** ذكر تشجيعاً وإزالة للفشل . ابن فارس[5] : « التوكل إظهار العجز والاعتماد على الغير »[6] ، وقيل : هو من الوكالة ، وهو تفويض الأمر إلى غيره ، ثقة بحسن تدبيره . **(ولقد نصركم الله ببدرٍ/١٢٣)** أبوحيان : « لما أمرهم بالتوكل عليه ، ذكَّرهم بما يوجب التوكل عليه ، وهو ما سبق لهم من النصر يوم بدر ، وهم في حالة قِلَّة »[7] . **(وأنتم أذِلَّةٌ/١٢٣)** فيه طباقان لأن النصر إعزاز ، وجاء بـ**(أذِلة)** جمع قِلَّة ، ليدل على أنهم كانوا

---

(١) البحر (٣/٤٦) .

(٢) عن عبد الله بن مسعود . البحر (٣/٤٧) .

(٣) الحجرات (٩) .

(٤) الحج (١٩) .

(٥) هو أبو الحسين ، أحمد بن فارس القزويني الرازي ، إمام في اللغة والأدب . من مؤلفاته : «مقاييس اللغة» و« المجمل » ، و« الصاحب » في العربية ، و« جامع التأويل » في تفسير القرآن ، توفي سنة ٣٩٥هـ . ابن خلكان (١/٣٥) ، وآداب اللغة (٢/٣٠٩) .

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١٣٦) مادة : وكل .
وقال الراغب : « التوكيل أن تعتمد على غيرك ، وتجعله نائباً عنك . . . » . ثم قال : « والتوكل يقال على وجهين ، يقال : توكلت لفلان ، بمعنى توليّت له ويقال : وكلته ، فتوكل لي . وتوكلت عليه ، بمعنى اعتمدته » . المفردات (٥٣١) مادة : وكل .

(٧) البحر (٣/٤٧) .



قليلين . (**فاتقوا الله لعلكم تشكرون/١٢٣**) أبوحيان : « ترجية الشكر ، إما على الإنعام السابق بالنصر يوم بدر ، أو على الإنعام المرجوّ أن يقع ، فكأنه قيل : لعلكم ننعم عليكم نعمة أخرى ، فتشكرونها ، وضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له »[1] . الطوفي : « قد يقف الخاطر عن فهم مناسبة الفاصلة لما قبلها إذ التقوى ليست سبب الشكر ، إنما سبب الشكر النعمة ، غير أنا نقول : التقوى سبب النعمة التي هي لازم الشكر ومؤثره ، فأقام الأثر مقام المؤثر ، والتقدير : اتقوا الله لعلكم ننعم عليكم ، فتشكرون » . (**إذ تقول للمؤمنين/١٢٤**) الجمهور على أن الآية متصلة بما قبلها ، وأنها من قصة بدر ، فـ(**إذ**) معمول (**نَصَركم/١٢٣**) . وقيل : هي من تمام قصة أُحد ، والآية قبلها معترضة للتحريض على التوكل والثبات للقتال . (**ألن يكفيكم/١٢٤**) دخلت أداة الاستفهام على حرف النفي ، على سبيل الإنكار ، لانتفاء الكفاية بهذا العدد من الملائكة ، وكان حرف النفي « لن » -الذي هو أبلغ في الاستقبال من لا- إشعارا بأنهم كانوا لِقلَّتهم وضعفهم ، وكثرة عدوهم وشوكته ، كالآيسين من النصر .

وفي مصحف أُبيّ (**ألا يكفيكم**)[2] ، ابن عيسى : « الكفاية مقدار سدّ الخلة ، والإمداد : إعطاء الشيء حالاً بعد حال »[3] . (**منزلين/١٢٤**) بالتشديد والتخفيف مع البناء للمفعول[4] ، وقرىء بهما مع البناء للفاعل[5] ، أي ينزلون النصر . (**بلى/١٢٥**) إيجاب لما بعد « لن » ، أي يكفيكم الإمداد بهم .

ابن عطية : « بادر المتكلم إلى الجواب بقوله (**بلى/١٢٥**) ليبني ما يستأنف من قوله عليه ، وهذا يحسُن في الأمور البيِّنة ، التي لا محيد في جوابها ، ونحوه (**قل أي**

---

(١) البحر (٣/٤٨) .

(٢) البحر (٣/٥٠) .

(٣) البحر (٣/٥٠) .

(٤) قراءة التشديد هي قراءة ابن عامر وقراءة التخفيف هي قراءة البقية . الكشف (١/٣٥٥) .

(٥) قراءة التشديد هي قراءة ابن أبي عبلة . وقراءة التخفيف هي قراءة أبي حيوة . الدر المصون (٣/٣٨٦) ، وابن خالويه (٢٢) .



شيءٍ أكبر شهادةً ، قل الله) »[1][2] . (من فَوْرِهم/١٢٥) أي وجههم ، وهي لغة هذيل وكنانة . أبوحيان : « أصل الفَور من فارت القدر ، اشتد غليانها ، وبادر ما فيها إلى الخروج ، استُعير للسرعة ، ثم سُمِّيت به الحالة التي لا ريث فيها ، ولا تعريج على شيء من صاحبها »[3]. (يمددكم ربكم/١٢٥) أسند الإمداد إلى لفظة رب ، دون غيره من أسمائه تعالى إشعاراً بحسن النظر ، لهم ، واللطف بهم . (مسومِين/١٢٥) بكسر الواو وفتحها[4]. (وما جعله الله/١٢٦) الضمير للإمداد . وقيل : للإنزال . وقيل : للتسويم ، وقيل : للعدد[5]. (إلا بُشرى/١٢٦) استثناء من المفعول له[6]، فرّغ له العامل. (لكم/١٢٦) الكرماني : « زيدت هنا ، وأُسقطت في الأنفال[7]، لأنه لما كانت البشرى هنا للمخاطبين ، بيّن ، فقال : (لكم) ، وأما في الأنفال ، فاكتفى بما تقدم من قوله (فاستجاب لكم)[8] ، لأنه قد علم أن البشرى للمخاطبين »[9] (ولتطمئن/١٢٦) عطف على موضع بشرى ، إذ أصله : لبشرى . الإمام : « في ذكر الإمداد مطلوبان :

أحدهما : إدخال السرور في قلوبهم ، وهو المراد بقوله: (إلا بشرى/١٢٦) .

والثاني : حصول الطمأنينة بالنصر ، فلا يجبنوا ، وهذا هو المقصود الأصلي ، ففرق بين العبارتين تنبيهاً على حصول التفاوت بين الأمرين ، فعطف الفعل على

---

(١) الأنعـام .

(٢) المحرر الوجيز (٣/٣٠٨) .

(٣) البحـر (٣/٤٤) .

(٤) قراءة الكسر هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم .
وقراءة الفتح هي قراءة البقية . الكشف (١/٣٥٥) .

(٥) الجامع للقرطبي (٤/١٩٨) .
وقد استظهر أبو حيان القول الأول ، وجوّز الأقوال الباقية . البحر (٣/٥١) .

(٦) كلمة « له » ليست في (ب) .

(٧) الآيـة (١٠) .

(٨) الأنفـال (٩) .

(٩) أسـرار التكـرار (٥١) بتصرف .



الاسم ، ولما كان الأقوى حصول الطمأنينة أدخل حرف التعليل »[1]. **(قلوبكم به/١٢٦)** الكرماني : « أخرّ **(به)** هنا ، وقدَّمه في الأنفال[2]، مراعاة للازدواج ، لأنه لما قال هنا **(بشرى لكم)** ، قدَّم **(قلوبكم)** ازدواجاً بين الخطابين ، ولما قدّم الخطاب في الأنفال بقوله: **(لكم/٩)** ، قال **(ولتطمئن به/١٠)** ، مراعاة لقوله: **(وما جعله/١٠)** ازدواجاً بين كنايتي الغيبة »[3]. ابن جماعة : « آية آل عمران ختم فيها الجملة الأولى بجار ومجرور ، وهو قوله: **(لكم)** ، فختمت التي بمثلها وهو قوله: **(به)** ، لتناسب الجملتين ، وآية الأنفال خلت فيها الأولى عن ذلك . وجواب آخر ، وهو أن آية الأنفال ، قدّم فيها **(به)** اهتماماً ، وجاءت آية آل عمران على الأصل ، من إيلاء الفاعل الفعل ، وجواب آخر ، وهو التفنن في الكلام »[4]. انتهى .

وقال صاحب المناجاة : « قدَّم القلوب في آل عمران على **(به)** ، لأنهم كانوا في شدة ، فلم يفصل بين الاطمئنان والقلوب بشيء ، وفي الأنفال لما كانت محل الظفر ، وسّط بين الاطمئنان والقلوب (به) » . **(وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم/١٢٦)** ، في الأنفال : **(إن الله عزيزٌ حكيمٌ/١٠)** ، لأن آية الأنفال متقدمة النزول في وقعة بدر ، وهذه نزلت بعدها في وقعة أُحد ، فبيَّن أولا ، أن النصر من عنده لا بغيره ، من كثرة عدد أو عُدَد ، ولذلك علّله بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحق نصره ، وأحال في الثانية على الأولى بالتعريف ، كأنه قيل : إنما النصر من عند الله العزيز الحكيم ، الذي تقدم إعلامكم أن النصر من عنده ، فناسب التعريف بعد التنكير. قاله ابن جماعة[5]. وعبارة الكرماني : « ذكر في الأنفال على وجه الإخبار ، أي النصر من عند الله الغالب القادر الحكيم ، الذي

---

(١) التفسير الكبير (٨/٢٣٦) .

(٢) الأنفال (١٠) .

(٣) أسرار التكرار (٥١) بشرح .

(٤) كشف المعاني (٩٠ - ٩١) بتصرف .

(٥) كشف المعاني (٩٢) .



وضع النصر موضعه ، لا من الملائكة والعُدَّة والعدد ، وذكر في آل عمران بلفظ الصفة إذ قد سبق الخبر به »[1]. الطوفي : « **(العزيز الحكيم)** مناسب لقوله **(وما النصر إلا من عند الله)** ، وما في سياقه من إرسال الملائكة لنصر المؤمنين ، لأن[2] ذلك لا يقدر عليه إلا عزيز حكيم[3] حاكم حكيم ، يقدّر الأشياء لمواقيتها . **(ليقطع طَرَفاً/١٢٧)** قيل : متعلق بمحذوف ، أي أمدَّكم ، أو نصركم . وقيل : بقوله **(ولقد نصركم الله/١٢٣)** وقيل : بقوله : **(وما النصر إلا من عند الله/١٢٦)** . وقيل : بـ**(يمدِدكم/١٢٥)**. وقيل : بـ**(جعله/١٢٦)** وقيل : هو معطوف على **(ولتطمئن/١٢٦)** بحذف حرف العطف ، وجملة **(وما النصر)** إلى آخره ، اعتراضية[4] ، واختار أبوحيان تعلقه بأقرب مذكور ، وهو العامل في من عند الله ، وهو خبر مبتدأ ، والتقدير : وما النصر إلا كائن من عند الله ، لا من عند غيره ، لأحد أمرين : إما قطع طرف من الكفار بقتل أو أسر ، وإما بخزي وانقلاب بخيبة[5] . « وكنّى عن الجماعة بطرف ، لأن من قتله المسلمون في حرب ، هم طرف من الكفار ، إذ هم الذين يَلُون القاتلين ، فهم حاشية منهم فكأن جميع الكفار رقعة ، وهؤلاء المقتولون طرفٌ منها »[6]. أبوحيان : « شبَّه من قُتِل منهم وتفرّق ،

---

(١) في البرهان (١٢٢) .
« وحذف (إن الله) ههنا ، لأن ما في الأنفال وهي سابقة على ما في هذه السورة ، فإنها في قصة أحد ، فأخبر هناك بـ (إن الله عزيز حكيم) ، فاستقر الخبر ، وجعله في هذه السورة صفة ، لأن الخبر قد سبق » .

(٢) عبارة « لأن ذلك » ليست في (أ) .

(٣) كلمة « حكيم » ليست في (ب) .

(٤) ذكر السمين هذه الأقوال ، ونسب الثاني منها إلى الحوفي ، وتعقّبه بأن فيه بُعدا ، لطول الفصل . ذكر أن في القول الثالث نظراً ، من حيث أنه قد فصل بين المصدر ومتعلقه بأجنبي ، وهو الخبر . وبيّن أن في القول الرابع بُعداً ، للفواصل بين (ليقطع طرفاً) و (يمددكم) . وعلّق على القول السادس ، بأنه ساقط الاعتبار . الدر المصون (٣/٣٩٠) . وأما القول الخامس ، فقد قال ابن عطية باحتماله . المحرر الوجيز (٣/٣١٣) ، وانظر البحر (٣/٥٢) .

(٥) البحر (٣/٥٢ - ٥٣) .

(٦) هذا نص كلام أبي حيان في البحر (٣/٥٢) .



بالشيء المتقطع الذي تفرقت أجزاؤه ، وانخرم نظامه »[1] . (**أو يكبتهم/١٢٧**) الراغب : « الكبت : الردّ بعنف ، وتذليل »[2] النقاش : التاء بدل من الدال والأصل كبده ، أي فعل فعلاً يؤذي كبده »[3] . وقرىء : (**أو يكبدهم**) بالدال[4] (**ليس لك من الأمر شيءٌ/١٢٨**) جملة معترضة بين المتعاطفين . وقيل : (أو/١٢٨) في (**أو يتوب عليهم/١٢٨**) بمعنى إلى أن ، أو إلا أن ، فيكون متصلاً بالجملة وقرأ أُبيّ برفع (يتوب) ، و(**يعذبهم**)[5] . (**والله ما في السموات وما في الأرض/١٢٩**) لما تقدم (**ليس لك من الأمر شيءٌ/١٢٨**) بيَّن أن الأمر إنما هو لمن له المِلك والمُلك ، فجاء بهذه الجملة مؤكدة للجملة السابقة . (**يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء/١٢٩**) لما تقدم قوله : (**أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم/١٢٨**) أتى بهذه الجملة موضحة أن تصرفاته على وفق مشيئته . وناسب البداء بالغفران ، تقديم (**أو**[6] **يتوب عليهم**) ، والإرداف بالعذاب تأخير (**أو يعذبهم**) ، وفيه طباق . (**والله غفورٌ رحيمٌ/١٢٩**) أبوحيان : « في هذه الجملة ترجيح لجهة الإحسان والإنعام »[7] . الطوفي : « فإن قلت : قد ذكر قبل لفاصلة المغفرة والعذاب ، فلِمَ كان فصل الآية بالمغفرة أولى من العذاب ؟ . قلت : لأن رحمة الله غلبت غضبه ، وسبقت عذابه ، فجانبها راجح ما لم يوجد في الكلام ما يقتضي الاهتمام بالعذاب ، فيغلَّب » .

(**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا/١٣٠**) .

ابن عطية : « هذا النهي عن أكل الربا اعتراض أثناء قصة أُحد ، ولا أحفظ في ذلك شيئاً[8] مرويًا »[9] . أبوحيان : « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، ومجيئها أثناء

---

(١) البحر (٣/٥٥) .

(٢) المفردات (٤٢٠) مادة : كبت .

(٣) المحرر الوجيز (٣/٣١٤) .

(٤) عن لاحق بن حميد . الدر المصون (٣/٣٩١) .

(٥) الدر المصون (٣/٣٩٣) .

(٦) في (أ) : أن .

(٧) البحر (٣/٥٤) .

(٨) في المحرر الوجيز « سببا » .

(٩) المحرر الوجيز (٣/٣١٧) .

القصة ، أنه لما نهى المؤمنين عن اتخاذ بطانة من غيرهم ، واستطرد لذكر قصة أحد ، وكان الكفار أكثر معاملاتهم بالربا مع أمثالهم ومع المؤمنين ، وهذه المعاملة مؤدية إلى مخالطة الكفار ، نُهوا عنها قطعاً لمخالطتهم ومودتهم ، وأيضاً فأكل الحرام له مدخل عظيم في عدم قبول الأعمال الصالحة والأدعية ، فناسب ذكر الآية هنا . وقيل : لما وعد تعالى المؤمنين بالنصر ، والإمداد مقروناً بالصبر والتقوى ، بدأ بالأهم منها ، وهو ما كانوا يتعاطونه من أكل الأموال بالباطل ، وأمر بالتقوى ثم بالطاعة. وقيل : لما قال (**ولله ما في السموات وما في الأرض/١٢٩**) بيّن أن ما فيهما من الموجودات ، ملك له ، ولا يجوز أن يتُصرف في شيء منها إلا بإذنه على الوجه الذي شرعه ، وأكل الربا تصرفٌ بغير الوجه الذي شرع ، فنبَّه على ذلك ونهى عما كانوا في الإسلام مستمرين عليه من حكم الجاهلية »[1] (**أضعافاً مضاعفة/١٣٠**) الراغب : « قيل : أتى باللفظين على التأكيد . وقيل : بل المضاعفة من الضَّعْف ، والمعنى : ما تعدونه ضِعْفاً ، هو ضَعْفٌ أي نقص »[2]. (**واتقوا الله لعلكم تفلحون/١٣٠**) لما نهاهم عن أمر صَعُب عليهم فراقه وهو الربا ، أمر بتقوى الله ، إذ هي الحاملة على مخالفة ما تعوَّده المرء ، مما نهى الشرع عنه ، ثم ذكر أن التقوى سبب لرجاء الفلاح ، وأمر بها مطلقاً لا مقيداً بفعل الربا ، بقصد العموم . (**واتقوا النار التي أُعدت للكافرين/١٣١**) لما تقدم (**واتقوا الله/١٣٠**) ، والذوات لا تُتقى ، وإنما المُتقَىٰ محذوف ، أوضحه في هذه الآية . قال أبو حنيفة[3] : « وهذه أخوف آية في القرآن ، حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدّة للكافرين ، إن لم يتقوه باجتناب محارمه »[4]. (**وأطيعوا الله والرسول/١٣٢**) قال ابن اسحاق[5] : « هذه الآية هي

---

(١) البحر (٣/٥٤) بتصرف .

(٢) المفردات (٢٩٧) مادة : ضعف .

(٣) هو النعمان بن ثابت ، التيمي بالولاء ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة أصله من أبناء فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، كان قوي الحجة ، جواداً جهوري الصوت. توفي سنة ١٥٠هـ .
تاريخ بغداد (١٣/٣٢٣ - ٤٢٣) ، والنجوم الزاهرة (٢/١٢) ، والجواهر المضيئة (١/٢٦) .

(٤) الكشاف (١/٤٦٣) .

=



ابتداء المعاتبة في أمر أُحد وانهزام من فرّ، وزوال[1] الرماة من مركزهم »[2].
(وسارعوا/١٣٣) القراءة بالواو على العطف، وبدونها على الاستئناف[3]، لما أمروا بتقوى النار، أُمروا بالمبادرة إلى أسباب المغفرة والجنة. وقرأ أُبيّ **(سابقوا)**[4]. وقدّم ذكر المغفرة على الجنة، لأنها السبب الموصل إليها. **(عرضها السموات/١٣٣)** أي كعرض السموات، حذف أداة التشبيه، ثم المضاف. **(أُعدت للمتقين/١٣٣)** خُصّوا بالذكر تشريفاً وإعلاماً بأنهم الأصل في ذلك، وغيرهم تبع لهم. **(في السراء والضراء/١٣٤)** فيه طباق. **(والكاظمين الغيظ)** الكظم: الإمساك على غيظ وغم، والكظيم والمكظوم: الممتلىء أسفاً، وكظم الغيظ رده في الجوف إذا كاد[5] يخرج من كثرته، فضبطه ومنعه: كظم له. الراغب: « الكظم مخرج النَّفَس، وبه يعبرَّ عن السكوت، كقولهم: فلان لا يتنفس، إذا وُصف بالمبالغة في السكوت، وكظم فلان: حبس نَفَسَه، وكظم الغيظ: حبسه »[6].

أبو حيان: « الغيظ: أصل الغضب، وكثيراً ما يتلازمان، والغيظ فعل نفساني لا يظهر على الجوارح، والغضب فعل لها معه ظهور في الجوارح، وفعل مّا ولابد، ولذلك[7] أُسند إلى الله -تعالى-، إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم، ولا يسند الغيظ إليه تعالى »[8]. الراغب: « الغيظ: أشد غضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان عند ثوران دم قلبه، وإذا وُصِف الله تعالى به، فإنما يراد به

= (٥) هو محمد بن إسحاق بن يسار، المطلبي بالولاء، المدني، من أقدم مؤرخي العرب ومن حفاظ الحديث، له « السيرة النبوية » رواها عنه ابن هشام. توفي سنة ١٥١ هـ. تهذيب التهذيب (٣٨/٩)، وطبقات ابن سعد: القسم الثاني من المجلد السابع (٦٧)، وإرشاد الأريب (٣٩٩/٦)، وتذكرة الحفاظ (١٦٣/١).

(١) في (ب): وزاول.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١٥/٣) بنحوه.
(٣) هذه قراءة نافع، وابن عامر. والقراءة السابقة هي قراءة البقية. الكشف (٣٥٦/١).
(٤) البحر (٥٧/٣).
(٥) في (ب): كان.
(٦) المفردات (٤٣٢) مادة: كظم - بقليل من الاختصار.
(٧) في (أ): وذلك.
(٨) البحر (٥٨/٣).



الانتقام ، كقوله : (**وإنهم لنا لغائظون**)[1] أي داعون بفعلهم إلى الانتقام منهم . والتغيُّظ : إظهار الغيظ ، وقد يكون ذلك مع صوت مسموع ، كما قال (**سمعوا لها تغيظاً وزفيراً**) »[2][3] (**والذين إذا فعلوا فاحشةً/١٣٥**) أبوحيان : « العطف بالواو مشعر بالمغايرة ، لما ذكر الصنف الأعلى ، وهم المتقون الموصوفون بتلك الأوصاف الجميلة ذكر من دونهم ، ممن قارف المعاصي ، وتاب وأقلع »[4] . وقيل : هو من عطف الصفات مع اتحاد الموصوف ، وأنه من نعت المتقين[5] . (**ومن يغفر الذنوب إلا الله/١٣٥**) « جملة معترضة بين المتعاطفين ، أو بين الحال وصاحبه ، فيها ترقيق للنفس ، وداعية إلى رجاء الله ، وسعة عفوه ، واختصاصه بغفران الذنب »[6] . (**ولم يصِروا/١٣٥**) الراغب : « الإصرار : التعقد في الذنب والتشدد فيه ، والامتناع من الإقلاع عنه . وأصله من الصرِّ ، أي الشد »[7] . (**أولئك/١٣٦**) إشارة إلى الصنفين . (**ونِعْم أجر العالمين/١٣٦**) الزمخشري : « قال (**أجر العاملين**) بعد قوله (**جزاؤهم/١٣٦**) ، لأنهما في معنى واحد »[8] . ابن جماعة : « قال هنا (**ونِعم**) بالواو ، وفي العنكبوت (**نِعم أجر العاملين/٥٨**) بغير واو ، لأنه تقدم هنا عطف الأوصاف ، فناسبه العطف ، ولم يتقدم مثله في العنكبوت ، فجاءت بغير واو ، كأنه تمام الجملة »[9] . (**قد خَلَت من قبلكم سُنَن/١٧٣**) لما ذكر تعالى الجمل المعترضة في قصة أحد ، عاد إلى إكمالها . والخطاب قيل للمؤمنين تسلية عما وقع يوم أُحد من القتل والهزيمة . وقيل : للكفار[10] .

---

(١) الشعراء (٥٥) .

(٢) الفرقان (١٢) .

(٣) المفردات (٣٦٨ - ٣٦٩) - مادة : غيظ .

(٤) البحر (٣/٥٩) .

(٥) روي ذلك عن الحسن . البحر (٣/٥٩) .

(٦) هذا نص كلام أبي حيان . البحر (٣/٥٩) نقله عنه المؤلف باختصار قليل .

(٧) المفردات (٢٧٩) مادة : صر .

(٨) الكشاف (١/٤٦٥) .

(٩) كشف المعاني (٩٣) .

(١٠) ذكر أبو حيان هذا القول عن النقاش ، وذهب هو إلى القول الأول ، وهو ما جرى عليه أيضاً القرطبي . انظر البحر (٣/٦١) ، والجامع (٤/٢١٦) .

وقيل : هذه الجملة معترضة للبعث على الإيمان . وقوله (**هذا بيانٌ/١٣٨**) إشارة إلى ما بيّن من أمر المتقين والتائبين والمُصِرّين . (**هذا بيانٌ للناس/١٣٨**) أبو حيان : « لما كان البيان ظاهراً واضحاً ، قال (**للناس**) ، ولما كانت الموعظة والهدى لا يكونان إلا لمن اتقى ، خصّ بذلك المتقين ، لأن من عمي فكره ، وقسا فؤاده ، لا يهتدي ولا يتعظ ، فلا يناسِب أن يضاف إليه الهدى والموعظة »[(١)] . (**ولا تهنوا/١٣٩**) الراغب : « الوَهَن : ضعف من حيث الخَلْق والخُلُق »[(٢)] . (**وأنتم الأعلون/١٣٩**) فيه طباق. (**قرح/١٤٠**) القراءة بفتح القاف وضمها[(٣)] ، لغتان كالضَّعف والضُّعف ، والكَره والكُره ، وهما مصدران . وقيل : بالفتح الجرح ، وبالضم أَلَمه . الراغب : « القَرْح : الأثر من الجراحة من شيء يصيبه من خارج ، والقُرْح أثرها من داخل »[(٤)] . وقرىء بفتح القاف والراء لغة كالطَّرْد والطَّرَد والشَّلْ والشَّلَل[(٥)] . وقرىء (**تمسسكم قروح**) بالفوقية والجمع[(٦)] . (**نداولها/١٤٠**) فيه التفات . وقرىء بالتحتية[(٧)] على نسق ما سبق ، والمداولة المعاورة ، وهي المعاهدة مرة بعد مرة ، يقال : داولت بينهم الشيء ، فتداولوه ، والدور والدول متقاربان ، لكن الدور أعم ، فإن الدول لا يقال إلا في الحظ الدنيوي . (**وليعلم الله/١٤٠**) فيه التفات وعطف على مقدر أي ليتعظوا . وقيل : الواو زائدة . وقيل : اللام متعلقة بمحذوف متأخر ، أي فعلنا ذلك ، وهو المداولة[(٨)] . (**والله لا يحب الظالمين/١٤٠**) جملة معترضة . (**وليمحِّص الله/١٤١**) الراغب : « أصل المحص تخليص الشيء مما فيه من عيب كالفحص لكن الفحص يقال في إبراز شيء من أثناء

(١) البحر (٣/٦١) .

(٢) المفردات (٥٣٥) مادة : وهن .

(٣) قراءة الضم هي قراءة حمزة وأبي بكر والكسائي ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . الكشف (١/٣٥٦) .

(٤) المفردات (٤٠٠) مادة : قرح .

(٥) في (أ) : والفلل .

(٦) عن الأعمش . الدر المصون (٣/٤٠٣) .

(٧) البحر (٣/٦٣) .

(٨) انظر الإملاء (١/١٥٠) . والوجه الأخير هو ما ذكره أبو حيان أولاً . البحر (٣/٦٣) .



ما يختلط به ، وهو منفصل عنه ، والمحص يقال في إبرازه عما هو متصل به ، يقال : مَحَّصْت الذهب ، إذا أزلت عنه ما يشوبه من خَبَث » ، «والتمحيص في الآية كالتزكية والتطهير»[1] (**ويمحق الكافرين/١٤١**) قيل : قابل تمحيص المؤمن بحق الكافر ، لأن التمحيص إهلاك الذنوب ، والمحق إهلاك النفوس ، وهي مقابلة لطيفة في المعنى . (**أم حسبتم/١٤٢**) هذه الآية وما بعدها عتب لمن وقع منهم الهفوات يوم أُحد . وفي (**أم**) الأقوال السابقة في آية البقرة[2]. (**ولما يعلم الله/١٤٢**) قرىء بفتح الميم[3] اتباعاً لفتحة اللام ، أو على إرادة النون الخفيفة وحذفها ، كقوله : لا تهين الفقير[4] . (**ويعلم الصابرين/١٤٢**) بالنصب على إضمار أن بعد واو مع وقرىء بالجزم عطفاً على (**يعلم/١٤٤**)[5]، وبالرفع[6] على الاستئناف ، أي وهو يعلم . (**من قبل/١٤٣**) قرىء بضم اللام[7]، مقطوعاً عن الإضافة ، فموضع (**أن تلقوه/١٤٣**) نصب بدل اشتمال من الموت . (**أن تلقوه**) الضمير للموت . وقيل : للعدو ، لدلالة الكلام عليه[8]. وقرىء (**تُلاقُوه**)[9].

---

(١) المفردات (٤٦٤) - مادة : محص .

(٢) وذلك في قوله تعالى : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) البقرة (١٠٨). انظر البحر (٣٤٦/١) .

(٣) عن ابن وثاب والنخعي . البحر (٦٦/٣) .

(٤) هذا جزء من البيت الآتي :

لا تهين الفقير علَّكَ أن ... تركع يوماً ، والدهر قد رفعه

وهو للأضبط بن قريع .

أمالي القالي (١٨/١) ، وشرح المفصل (٤٣/٩) ، وأمالي اليشجري (٣٨٥/١) ، والدرر اللوامع (١١١/١) .

(٥) عن الحسن وابن يعمر وأبي حيوة وعمرو بن عبيد . ابن خالويه (٢٢) ، والبحر (٦٦/٣) ، والدر المصون (٤١١/٣) .

(٦) قرأ بذلك عبد الوارث عن أبي عمرو . البحر (٦٦/٣) .

(٧) عن مجاهد . البحر (٦٧/٣) .

(٨) ذكر أبو حيان هذين القولين ، واستظهر الأول منهما ، لأنه يعود على مذكور . البحر (٦٧/٣) . وهو ما استظهره السمين أيضاً . الدر المصون (٤١٢/٣) .

(٩) عن الزهري والنخعي . ابن خالويه (٢٢) ، والبحر (٦٧/٣) .



(فقد/١٤٣) قرىء (فلقد) (رأيتموه/١٤٣)[١] أي أسباب الموت ، وهي الحرب ، كقوله :

لقد رأيت الموت قبل ذوقه[٢] . . . .

ففيه استخدام. (وأنتم تنظرون/١٤٣) جملة حالية للتأكيد ، ورفع ما يحتمله (رأيتموه) من المجاز ، أو الاشتراك . وقيل : مستأنفة ، أتى بها للتوبيخ ، وهي من نظر الفكر والتأمل ، لا رؤية العين[٣]. وقال ابن الأنباري : « يقال إن معنى (رأيتموه) : قابلتموه ، وأنتم تنظرون بعيونكم ، ولهذه العِلَّة ذكر النظر بعد الرؤية ، حيث اختلف معناهما ، لأن الأول بمعنى المقابلة والمواجهة ، والثاني بمعنى رؤية العين »[٤]، قال أبوحيان : « فالجملة حال مبيِّنة لا مؤكدة » [٥]. (وما محمدٌ إلا رسولٌ /١٤٤) هذا استمرار في عتبهم . (قد خلت من قبله الرسل/١٤٤) قرىء (رسل) بالتنكير[٦] . (أفإن مات ، أو قتل ، انقلبتم على أعقابكم/١٤٤) الكرماني : « الاستفهام دخل الشرط ، وحقه أن يدخل الجزاء ، لأن المعنى : أتنقلبون على أعقابكم ، ان مات محمد ، لكن الشرط والجزاء لما تنزلا منزلة جملة واحدة ، صار دخوله على الشرط كدخوله على الجزاء »[٧] . الزملكاني : « هذا نظم فيه تقديم وتأخير ، لأن المعنى واقع على الانقلاب ، لأنه الذي أنكر عليهم ، ومثله (أفإن مت فهم الخالدون)[٨] ، والتقدير : أفهم الخالدون إن مت ، والأوجه أن يقدَّر بمحذوف بعد الهمزة ، وقبل الفاء لتكون عاطفة عليه ، ولو صرّح به لقيل :

---

(١) عن طلحة بن مصرف . البحر (٣/٦٧) .

(٢) هذا البيت لعامر بن فهيره ، وعجزه : . . . . إن الجبان حتفه من فوقه
البحر (٣/٦٦) ، والمحرر (٣/٣٤٦) .

(٣) حكى أبو حيان هذا القول ، وسابقه ، واستظهر الأول منهما الذي هو قول الأخفش . البحر (٣/٦٧) ، ومعاني القرآن للأخفش (١/٢١٦) .

(٤+٥) البحر (٣/٦٨) .

(٦)) كما في مصحف ابن مسعود ، وهي قراءة ابن عباس ، وقحطان بن عبد الله . البحر (٣/٦٨) .

(٧) في لباب التفسير (٣/١٠٠١) : « ودخل الاستفهام الشرط ، ومحله الجزاء ، لكونهما جملة » .

(٨) الأنبياء (٣٤) .



أتؤمنون به مدة حياته ، فإن مات ارتددتم ، فتخالِفوا سنن الأمم قبلكم في ثباتهم على مِلل أنبيائهم بعد وفاتهم[1] ، يدل على ذلك قوله تعالى : **(قد خَلَت من قبله الرسل/١٤٤)** » انتهى . ودخل « إن » هنا على المحقق وليس من مظانها ، لأنه أُورد مورد المشكوك فيه ، للتردد بين الموت والقتل . **(ومن ينقلب على عقبيه/١٤٤)** من باب التمثيل ، مثل به من يرجع إلى دينه الأول . وقرىء **(عقبه)** بالإفراد[2] . **(وسيجزي الله الشاكرين/١٤٤)** وعد للثابت بعد وعيد المنقلب . **(وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله/١٤٥)** أبوحيان : « قول العرب : ما كان لزيد أن يفعل ، معناه انتفاء الفعل عن زيد وامتناعه ، ثم تارة يكون لكونه ممتنعاً عقلاً ، كقوله **(ما كان لله أن يتخذ من ولد)**[3] **(ما كان لكم أن تُنبتوا شجرها)**[4] ، وتارة لكونه ممتنعاً عادة ، نحو : ما كان لزيد أن يطير ، وتارة لكونه ممتنعاً شرعاً ، كقوله **(وما كان لمؤمنٍ أن يقتل مؤمناً)** »[5][6] . **(كتاباً مؤجلاً/١٤٥)** نصب على المصدر المؤكد[7] . وقيل : إغراء ، أي التزموا بالقدر[8] . **(ومن يُرِد ثواب الدنيا/١٤٥)** « هذا تعريض بالذين رغبوا في الغنائم يوم أُحد ، واشتغلوا بها »[9] . **(نُؤتِه/١٤٥)** فيه التفات ، وقرىء بالياء في الفعلين[10] ، وفي **(وسنجزي الشاكرين/١٤٥)** . الطوفي : « هو من باب الإبطاء » . **(وكأيِّن/١٤٦)** الكلام[11] عليها مبسوط في

(١) في (أ) : وفاته .
(٢) عن ابن أبي اسحاق . الدر المصون (٣/٤١٨) .
(٣) مريم (٣٥) .
(٤) النمل (٦٠) .
(٥) النساء (٩٢) .
(٦) وتمام كلام أبي حيان هو : « وتارة لكونه ممتنعاً أدباً ، كقول أبي بكر : ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله -ﷺ- » .
ثم قال أبو حيان : « ويفهم هذا من سياق الكلام » . البحر (٣/٧٠) .
(٧) وهو ما استظهره السمين ، وهو قول النحاس . الدر المصون (٣/٣١٩) ، واعراب القرآن (١/٤١٠) .
(٨) وهو ما استبعده أبو حيان . البحر (٣/٧٠) .
(٩) هذا نص كلام أبي حيان . البحر (٣/٧٠) .
(١٠) عن الأعمش . البحر (٣/٧٠) ، وابن خالويه (٢٢) .
(١١) كلمة « الكلام » ليست في (ب) .



الإتقان[١] . وفي قراءة (وكائن) بالمد[٢]، قال أبو حيان : « وهي أكثر استعمالا في لسان العرب وأشعارها قال :

وكائن بالأباطح من صديق[٣] .

وقرىء (وكَأْيِنِ)[٤] على مثال : كَعَيِنِ ، و (كَيْئِن)[٥]، وكَئِنْ[٦]، على مثال : كَعٍ ، وكي بكاف بعدها ياء مكسورة منونة[٧] . (قُتِل) في قراءة (قاتَل)[٨]، وقرىء (قتل) بالتشديد[٩] . وعلى كلٍّ يصلح إسناد الفعل إلى الضمير، وإلى (رِبِّيون/١٤٦) . (رِبِّيون) جمع ربّي ، وهو عابد الرب ، وكسر الراء من تغيير النسب ، وقرىء بضم الراء[١٠]، وهو من تغييره أيضاً ، وبفتحها[١١] على الأصل. (فما وهنوا/١٤٦) بفتح الهاء . وقرىء بكسرها وبسكونها[١٢]، لغات . (في سبيل الله/١٤٦) فيه التفات. (وما ضعفوا/١٤٦) بضم العين وفتحها[١٣]، لغتان . (وما استكانوا/١٤٦) قيل[١٤] : هو استفعل ، من كان يكون ، أي لم يكونوا بصفة الوهن والضعف .

(١) كلمة « قراءة » ليست في (ب) . انظر الإتقان (٢/٢١٨) .

(٢) هي قراءة ابن كثير . حجة القراءات (١٧٤) ، البحر (٣/٧٢) .

(٣) لم يذكر أبو حيان هذا الشاهد ، ولكن ذكر قول من قال : وكائن رددنا عنكم من مدجج . البحر (٣/٧٢) .
وأما البيت المذكور هنا ، فإن الشطر الثاني منه ، هو : . . . . . . يراني لو أصبت هو المصابا
وهو لجرير . ديوان جرير (١/٢٤٤) ، والمقرب (١/١٩٩) ، والهمع (١/٦٨) .

(٤) عن ابن محيصن ، والأشهب العقيلي . الدر المصون (٣/٤٢٤) .

(٥) انظر المرجع السابق .

(٦) عن ابن محيصن أيضاً ، المرجع السابق .

(٧) عن الحسن ، البحر (٣/٧٢) .

(٨) القراءة الأولى هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ، والقراءة الثانية هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٧٥) .

(٩) عن قتادة . الدر المصون (٣/٤٢٨ - ٤٢٩) .

(١٠) عن علي وابن مسعود وابن عباس والحسن . ابن خالويه (٢٢) ، والدر المصون (٣/٤٣١) .

(١١) قرأ بذلك ابن عباس في رواية قتادة . الدر المصون (٣/٤٣١) .

(١٢) قراءة الكسر هي قراءة الأعمش ، وأبي السمال . وقراءة السكون هي قراءة أبي السمال أيضاً ، وعكرمة . الدر المصون (٣/٤٣١) ، وابن خالويه (٢٢) .

(١٣) ذكرها أبو حيان في البحر (٣/٧٤) بدون نسبة . وذكر أن الكسائي ذكرها لغة .

(١٤) كلمة « قيل » : ليست في (ب) .



وقيل : من أكانه ، إذا أخضعه . وقيل افتعل من السكون ، وأصله : استكن ، وأُشبعت الفتحة ، فتولدت الألف[1] **(وما كان قولهم/١٤٧)** لما ذكر ما كانوا عليه من الجَلَد والصبر وعدم الوهن والاستكانة للعدو ، وذلك كله من الأفعال النفسانية ، ذكر ما كانوا عليه من الإنابة والاستغفار والالتجاء إلى الله بالدعاء . **(إلا أن قالوا/١٤٧)** الكرماني : « جعل قولهم الخبر ، لأن **(أن قالوا/١٤٧)** أشد تعريفاً ، لامتناعه من الوصف »[2] . وقرىء برفع **(قولهم)**[3] اسم كان ، والخبر **(أن قالوا)** ، « وقدم طلب الاستغفار على طلب تثبيت الأقدام والنصر . ليكون طلبهم ذلك إلى الله عن زكاة وطهارة ، فيكون طلبهم التثبيت بتقديم الاستغفار حَرِيا بالإجابة ، والذنوب والإسراف متقاربان من حيث المعنى ، فجاء ذلك على سبيل التأكيد . وقيل : أحدهما للكبائر ، والآخر لما دونها »[4] . **(فآتاهم/١٤٨)** قرىء **(فأثابهم)**[5] . **(ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة/١٤٨)** لم يراع في الجواب ، ترتيب السؤال ، اعتباراً بالواقع . **(يأيها الذين آمنوا/١٤٩)** قيل : الخطاب خاص بأهل أُحد . وقيل : عام[6] . **(بل الله/١٥٠)** قرىء بالنصب[7] على معنى : بل أطيعوا الله . **(سنلقي/١٥١)** فهي التفات . وقرىء بالياء[8] جرياً على الغيبة . **(في**

---

(١) نسب أبو البقاء هذا القول الأخير إلى الفراء ، ثم تعقبه بأنه « خطأ ، لأن الكلة في جميع تصاريفها ، ثبتت عينها ، تقول ، استكان ، يستكين استكانة ، فهو مستكين ، ومستكان له والاشباع لا يكون على هذا الحد » . الاملاء (١/١٥٣) . وقد ذكر أبوحيان هذه الأقوال ، واستظهر الأول منها . البحر (٣/٧٥) ، وانظر تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٣٧٤) مادة : كان .

(٢) لباب التفسير (٣/١٠٠٧) .

(٣) عن ابن كثير ، وعاصم في رواية عنهما . ابن خالويه (٢٢) ، والدر المصون (٣/٤٣٣) ، والبحر (٣/٢٥) .

(٤) هذا نص كلام أبي حيان ، إلا أن فيه : « وقيل : الذنوب ، ما دون الكبائر ، والاسراف : الكبائر » . البحر (٣/٧٥) .

(٥) عن الجحدري . الدر المصون (٣/٤٣٣) .

(٦) ذكر أبو حيان هذا القول أولاً ، ثم حكى الثاني . البحر (٣/٧٦) .

(٧) عن الحسن . ابن خالويه (٢٢) ، والدر المصون (٣/٤٣٤) .

(٨) عن أيوب السختياني . ابن خالويه (٢٢) ، والدر المصون (٣/٤٣٤) .



قلوب الذين كفروا/١٥١) الراغب : « قدم المجرور على المفعول للاهتمام بالمحل الملقى فيه قبل ذكر الملقى »[١] ، « والقراءة بضم العين وسكونها [٢] ، فقيل لغتان . وقيل : الأصل السكون ، وضم اتباعا كالصبح والصبح . وقيل : الأصل الضم ، وسكن تخفيفا ، كالرُّسُل والرسْل »[٣] .

أبو حيان : « الرعب : الخوف ، وأصله من الملء ، يقال : رعبت الحوض : ملأته ، وسيل راعب : يملأ الوادي »[٤] . الراغب : « الرعب : الانقطاع من امتلاء الخوف »[٥] . (بالله/١٥١) فيه التفات . **(ما لم يُنَزِّل به سلطاناً/١٥١)** المراد نفي السلطان[٦] والنزول معاً ، على حد قوله :

على لاحِب ، لا يهتدَى بمناره[٧] .

(ومأواهم النار/١٥١) الآية ، في مأوى ، ومثوى جناس . الراغب : « الثواء : الإقامة مع الاستقرار »[٨] . أبوحيان : « بدأ بالمأوى ، وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ، ولا يلزم منه الثواء ، لأن الثواء[٩] دال على الإقامة فجعلها مأوى ،

---

(١) لم أعثر على هذا النص فيما اطلعت عليه .

(٢) قراءة الضم هي قراءة ابن عامر والكسائي . وقراءة السكون هي قراءة البقية . الكشف (١/٣٦٠) ، والسبعة (٢١٧) .

(٣) هذا نص كلام أبي حيان ، نقله عنه المؤلف بقليل من الاختصار . البحر (٣/٧٧) .

(٤) البحر (٣/٦٥) بتصرف قليل .

(٥) المفردات (١٩٧) مادة : رعب .

(٦) عبارة : « نفي السلطان » : ليست في (ب) .

(٧) هذا البيت لامرىء القيس ، وتكملته هي :

. . . . . إذا سافه العود النبّاطيّ جرجرا

اللاحب : الطريق البيّن ، الذي لحبته الحوافر ، أي أثرت فيه ، فصارت فيه طرائق وآثار بينة . وسافه : يعني شمه . والعود : البعير المسن . والنباطي : منسوب إلى النبط ، أشد الابل ، وأصبرها ، هو الضخم . والجرجرة : تردد صوت الفحل وهديره .

ديوان امرىء القيس (٦٦) ، والخصائص (٣/١٦٥) ، وشواهد الكشاف (٤/٣٩٧) ، واللسان ، مادة سوف .

(٨) المفردات (٨٤) مادة : ثوى .

(٩) في (أ) : الثوى .



ومثوى ، ونبّه على الوصف الذي استحقوا به النار ، وهو الظلم بالإشراك ، كما قال تعالى : **(إن الشرك لظلمٌ عظيمٌ)** »[1][2] . **(ولقد صَدَقكم الله/١٥٢)** الآية ، أبو حيان : « جاءت المخاطبة في هذه الآية بجمع ضمير المؤمنين ، وإن لم يصدر ما عُوتبوا به من جميعهم ، على طريقة العرب في نسبة ما يقع من بعضهم للجميع على سبيل التجوُّز في ذلك ، إبقاءً على من فعل وستر ، إذ لم يعيّن ، وزجرا لمن لم يفعل ، أن يفعل »[3] . والحسّ : القتل الذريع . وقرىء بضم التاء[4] ، من الإحساس ، أي تذهبون حسّهم بالقتل . الراغب : « الحاسَّة : القوة التي بها تُدرك الأعراض الحسية . يقال : حَسَسْت ، وأحسَسْت[5]، وحَسِسْت وأحْسَسْتُ فحسَستُ[6] ، يقال على وجهين : أحدهما : أصبته بحسيّ ، نحو عِنْتُه ، ورمحته . والثاني : أصبت حاسته ، نحو : كبدتُه ، وفأدتُه ، ولما كان ذلك قد يتولد عنه القتل ، عبر به عن القتل ، فقيل : حسسته ، أي قتلته ، وأما حَسِسْتُ ، فلا يقال إلا لما كان من جهة الحاسة ، وأما أحسسته فحقيقته أدركته بحاستي »[7] . **(حتى إذا فَشِلتم/١٥٢)** جواب (إذا محذوف ، أي انهزمتم[8] ، أو منعكم نصره[9] ، أو نحو ذلك . **(منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة/١٥٢)** جملتا اعتراض بين المتعاطفين . وقال أبوحيان : « هو دليل الجواب المحذوف ، أي انقسمتم

---

(١) لقمان (١٣) .
(٢) البحر (٧٨/٣) .
(٣) البحر (٧٨/٣) بقليل من الاختصار .
(٤) عن عبيد بن عمير ، البحر (٧٨/٣) .
(٥) في (ب) : أوحسست .
(٦) في المفردات : حَسْتُ ، وحسَيْتُ ، وأحَسْتُ ، فأحَسْتُ .
(٧) المفردات (١١٦) مادة : حس - باختصار قليل .
(٨) المحرر الوجيز (٣٧١/٣) .
(٩) هذا تقدير الزمخشري . الكشاف (٤٧١/١) .
وقد عقب أبو حيان على هذه التقادير السابقة بأنها متقاربة . ثم قال : « ويظهر أن الجواب المحذوف غير ما قدروه ، وهو : انقسم إلى قسمين ، ويدل عليه ما بعده ، وهو نظير : (فلما نجاهم إلى البر ، فمنهم مقتصد) ، التقدير : انقسموا قسمين ، فمنهم مقتصد . . . » . (البحر ٧٩/٣) .



قسمين »[1] . (والله ذو فضلٍ على المؤمنين/١٥٢) قال الطوفي : « هو مناسب لقوله (ولقد عفى عنكم/١٥٢) ، وعدل إلى الظاهر لإفادة العموم » . (إذ تُصْعِدون/١٥٣) الراغب : « الصُّعُود : الذهاب في المكان العالي ، وأما الإصعاد ، فقيل هو الإبعاد في الأرض ، سواء كان في صعود أو حدور ، وأصله من الصُّعُود ، وهو الذهاب في الأمكنة المرتفعة ، ثم استُعمل في الإبعاد ، وإن لم يكن فيه اعتبار الصُّعُود ، كما في « تعالَ » ، فإنه في الأصل دعاء إلى العُلُو ، ثم أمر بالمجيء ، سواء كان إلى أعلى أو إلى أسفل . وقيل : لم يقصد بقوله (إذ تصعدون) الإبعاد في الأرض ، وإنما أشار به إلى عُلُوِّهم فيما تحروّه وأتوه ، كقولك : أبعدت في كذا ، وارتقيت فيه كل مرتقى ، وكأنه قال : إذ أبعدتم في استشعار الخوف ، والاستمرار على الهزيمة »[2] . أبو حيان : « قرأ الجمهور (تُصْعِدون) من أصْعد ، والهمزة فيه للدخول ، أي دخلتم في الصعيد ، كأصبح ، أي دخل في الصباح ، فالمعنى : إذ تذهبون في الأرض ، ويبيّن ذلك قراءة أُبيّ (إذ تُصْعِدون في الوادي)[3] . وقرىء (تَصْعَدون)[4] من صَعِد في الجبل ، إذا ارتقى إليه . وقرىء (تَصَعَّدُون/١٥٣) بتشديد العين[5] من تصعّد في السلّم ، وأصله تتصعدون ، فحُذفت إحدى التاءين . والجمع بينهما ، أنهم أولاً أصعدوا في الوادي ، ثم لما أرهقهم العدو ، صعدوا في الجبل »[6] . وقال المفضَّل : « صعد ، وأصعد ، وصعّد بمعنى واحد »[7] . وقرىء بالياء[8] في الفعلين على الالتفات ، والعامل في (إذا)

---

(١) البحر (٣/ ٧٩) .

(٢) المفردات (٢٨٠ - ٢٨١) مادة : صعد .

(٣) ابن خالويه (٢٣) . والدر المصون (٣/ ٤٣٨) .

(٤) عن الحسن والسلمي ومجاهد وقتادة واليزيدي . البحر (٣/ ٨٢) ، والدر المصون (٣/ ٤٣٨) .

(٥) عن أبي حيوة . الدر المصون (٣/ ٤٣٨) ، والبحر (٣/ ٨٢) .

(٦) البحر (٣/ ٨٢) .

(٧) الجامع للقرطبي (٤/ ٢٤٠) .

(٨) قرأ بذلك ابن محيصن ، وابن كثير في رواية شبل . البحر (٣/ ٨٢) .

اذكـروا مقداراً ، أو عصيتم ، أو تنازعتم ، أو فشلتم[1] ، أو عفا عنكم[2] ، أو ليبتليكم ، أو صرفكم ، أقوال .

قال أبو حيان : « والأول أجودها ، لأن ما قبل (إذ) جُمَل مستقلة يحسن السكوت عليها ، فليس لها تعلّق إعرابي بما بعدها ، إنما يتعلق به من حيث إن السياق كله في قصة واحدة ، وتعلق بـ(صرفكم)[3] جيد من حيث المعنى وبـ(عفى عنكم)[4] جيد من حيث القرب »[5] . (ولا تَلْوُون على أحدٍ/١٥٣) الراغب : « يقال فلان لا يلوي على أحد ، إذا أمعن في الهزيمة »[6] . أبو حيان : « يقال : لوى بكذا ، ذهب به ، ولـوى عليه : كرّ عليه وعـطف »[7] . وقرىء (تلؤون) بإبدال الواو همزة ، لكراهة اجتماع الواوين . و(تَلُون) على حذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى الـلام ، أو على أنه مضارع ولي ، عُدِّي بـ(على) على تضمين معنى العطف . وقرىء (تُلْوون)[8] من أَلْوى ، لغة في لَوَي ، و(أحد) على عمومه ، وقيل : المراد به النبي -ﷺ- ، عبّر عنه بـ(أحد/١٥٣) ، تعظيماً له وصوناً لاسمه أن يذكر عند ذهابهم عنه[9] . وقرىء بضم الهمزة والحاء[10] ، وهو الحبل ، قيل : على تقدير : على

---

(١) هذه التقديرات الثلاثة الأخيرة جوّزها أبو البقاء . الإمـلاء (١/١٥٤) .

(٢) هذا تقدير ابن عطية . المحرر الوجيز (٣/٣٧٣) .

(٣) وقد جوّز الزمخشري هذين التقديرين الأخيرين ، والتقدير المذكور أولاً . الكشاف (١/٤٧١) .
وقد ذكر السمين هذه التقديرات السابقة ، ثم قال : « وكل هذه الوجوه سائغة ، وكونه ظرفاً لـ(صرفكم) جيد من جهة المعنى ، ولـ(عفا) جيد من جهة القرب » . الدر المصون (٣/٤٣٨) .

(٤) آل عمـران (١٥٢) .

(٥) البحـر (٣/٨٢) .

(٦) المفردات (٤٥٦) مادة : لـوى .

(٧) البحـر (٣/٨٢) .

(٨) ذكر السمين قراءة (تلؤون) دون أن ينسبها لأحد ونسب قراءة (تلون) إلى الحسن ، وأما القراءة الأخيرة فقـد نسبهـا إلى الأعمش ، وذكر أنها رويت عن عاصم . الدر المصون (٣/٤٣٩ - ٤٤٠) ، وانظر (٣/٨٣) ، وراجع ابن خالويه (٢٣) .

(٩) قالـه الكلـبي . الجامع للقرطبي (٤/٢٤٠) . وقد ذكر أبوحيان هذا القول ، واستظهر القول الأول . البحر (٣/٨٣) .

(١٠) عن حميـد بن قيـس . الدر المصون (٣/٤٤١) .



من كان على جبل أُحد . **(فأثابكم/١٥٣)** الفراء : « الإثابة هنا بمعنى المعاقبة »[١] قال أبوحيان : « وسمى الغم ثواباً على أنه قائم في هذه النازلة مقام الثواب الذي كان يحصل لولا الفرار ، فهو نظير قوله :

.... تحيـة بينهـم ضـربٌ وجيـع »[٢] .

الراغب : « الثواب : يقال في الخير والشر ، لكن الأكثر المتعارف في الخير ، والإثابة تُستعمل في المحبوب ، وقد تقال في المكروه على الاستعارة كاستعارة البشارة فيه »[٣] . وقال بعض المحققين : « ذكر لفظ الإثابة ، وإن كان الغم مكروهاً بالطبع ، لأنه ثواب من الله من وجه ، لأنه كان سبب تهذيب نفوسهم الذي بيَّنه تعالى بقوله **(لكيلا تأسَوا على ما فاتكم)**[٤] ، وكل أمر يؤدي الإنسان إلى أن يجعله بحيث لا يقلقه فوت مطلوب ، ولا فقد محبوب ، فيا لَه من ثواب . ولهذا قال حكيم : « جماع الزهادة في قوله: **(لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم)** » . **(غَمّاً بغمٍ/١٥٣)** قيل : الباء للسببية[٥] . وقيل : للمصاحبة[٦] . **(لكيلا تحزنوا/١٥٣)** قيل : لا زائدة[٧] ، والجمهور أنها باقية على معناها من النفي[٨] . **(على ما فاتكم ، ولا ما أصابكم/١٥٣)** فيه طباق . **(والله خبيرٌ بما تعملون/١٥٣)** أبوحيان : « هذه الجملة تقتضي تهديداً . وخص العمل هنا ، وإن كان خبيراً بالأقوال والنيات أيضاً ، تنبيهاً على أعمالهم ، من تولية الأدبار ، والمبالغة في الفرار ، وهي أعمال تُخشى عاقبتها »[٩] . الطوفي : « الختم بها مناسب لمضمون

---

(١) معاني القرآن (١/٢٣٩) .
(٢) سبق تخريجه في ص (٣٩١) .
(٣) المفردات (٨٣ - ٨٤) مادة : ثوب - باختصار .
(٤) الحديد (٢٣) .
(٥) في (أ) : لا يقلقه .
(٦) هذا قول الزجاج ، وإليه ذهب الزمخشري . معاني القرآن (١/٤٧٩) ، والكشاف (١/٤٧١) .
(٧) جوّز أبو حيان هذا الوجه والوجه السابق . البحر (٣/٨٣) .
(٨) ذكره أبو البقاء ، الاملاء (١/١٥٤) .
(٩) البحر (٣/٨٥) بقليل من الاختصار .



الآية ، أي لا يخفى عليه ما كان من عمل أبدانكم وهو الفرار ، ولا من عمل قلوبكم ، وهو الحزن على ما فاتكم من الغنيمة ، وأصابكم من الجراح والقتل ».
(أَمَنَةً/١٥٤) « بمعنى الأمن ، قاله ابن قتيبة[١] وغيره ، وفرّق آخرون ، فقالوا : « الأَمَنَة تكون مع بقاء أسباب الخوف ، والأمن يكون مع زوال أسبابه . وقيل : هي هنا جمع آمن ، ككاتب وكَتَبة . وقرىء بسكون الميم ، بمعنى الأمن »[٢].
(نعاساً/١٥٤) الراغب : « هو النوم القليل . وقيل : هو هنا عبارة عن السكون والهدوء »[٣]. أبوحيان : « نسبة الإنزال إلى النعاس مجاز ، لأن حقيقته في الأجرام »[٤]. (يغشى/١٥٤) بالتحتية ، حملا على لفظ النعاس ، وبالفوقية[٥] حملا على لفظ (أمنةً). (أهمَّتهم/١٥٤) أبوحيان : « أهمَّني الأمر : أقلقني وأدخلني في الهَمّ »[٦]. الراغب : « أهمَّني كذا ، حملني على الهمّ ، والهمّ ، الحزن الذي يذيب الإنسان »[٧]. (ظَنّ الجاهلية/١٥٤) الكشاف : « هو كقولك : حاتم الجود ، ورجل صدق ، يريد الظن المختص بالمِلَّة الجاهلية . ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية »[٨]. (يقولون هل لنا من الأمر من شيء/١٥٤) هو استفهام على حقيقته . وقيل : بمعنى النفي[٩]. ولما أُكِّد بزيادة (من/١٥٤) ، جاء جوابه مؤكداً

---

(١) تفسير غريب القرآن (١١٤) . وهو ما ذهب إليه صاحب اللسان (٢١/١٣) مادة : أمن .
(٢) هذا نص كلام أبي حيان ، مع تصرف قليل (البحر ٨٥/٣) .
إلا أن أبا حيان أشار إلى أن قراءة (أمنة) بفتح الميم هي قراءة الجمهور وقراءتها بسكون الميم هي قراءة النخعي وابن محيصن . وانظر الجامع (٢٤١/٤ - ٢٤٢) .
(٣) المفردات (٤٩٩) - مادة : نعس ، بقليل من الاختصار .
(٤) البحر (٨٦/٣) .
(٥) قراءة التاء هي قراءة حمزة والكسائي . وقراءة الياء هي قراءة البقية . الكشف (٣٦٠/١) .
(٦) البحر (٨٧/٣) .
(٧) المفردات (٥٤٥) مادة : همم - بتصرف .
(٨) الكشاف (٤٧٢/١) .
(٩) وهو ما ذهب إليه القرطبي (٢٤٢/٤) .
وهذا التوجيه يتخرج على قول قتادة وابن جريج ، حيث قالا : « قيل لعبد الله بن أبيّ بن سلول قُتِل بنو الخزرج ، فقال : وهل لنا من الأمر من شيء ، يريد أن الراي ليس لنا ولو كان لنا منه شيء لسمع من =



بإن ، وكل في قوله : (**قل إن الأمر كله/١٥٤**) بالنصب على التأكيد[١] ، والرفع[٢] على الابتداء ، أو التأكيد على الموضع[٣] . (**يُخْفُون في أنفسهم ما لا يبدون لك/١٥٤**) فيه طباقان ، ومقابلة بين الإخفاء والإبداء ، والإثبات والنفي ، وفي أنفسهم ذلك . (**يقولون/١٥٤**) تفسير لإبهام قوله (**ما لا يبدون لك**). (**قل لو كنتم/١٥٤**) إلى آخره ، هذا من النوع المسمى في البيان بالاحتجاج النظري ، وبالمذهب الكلامي[٤] . (**لَبَرّز/١٥٤**) قرىء بتشديد الراء ، مبنياً للمفعول[٥] . (**كُتِبَ عليهم القتلُ/١٥٤**) قرىء (**القتال**)[٦] وقرىء (**كتب/١٥٤**) بالبناء للفاعل[٧] ، ونصب القتل . (**مضاجعهم/١٥٤**) جمع مضجع ، وهو المكان الذي يُتكأ فيه للنوم ، ويسمى به مكان القتل ، لضجعة المقتول فيه . (**وليبتلي الله/١٥٤**) عطف على محذوف ، أي ليقضي الله أمراً ، أو متعلق بمؤخر أي فعل

= رأينا ، ولم نخرج ولم يقتل أحد منا » . البحر (٨٧/٣) .

ولعل الأرجح هنا ، هو التوجيه الأول ، وهو أن الاستفهام هنا باق على حقيقته ، لأنهم أُجيبوا بقوله : (قل إن الأمر كله لله) ، ولو كان معناه النفي ، لم يُجابوا بذلك إلا إن قدِّر مع جملة النفي جملة ثبوتية لغيرهم ، فكأن المعنى : ليس لنا من الأمر من شيء ، بل لغيرنا ممن حملنا على الخروج ، وأكرهنا عليه ، فيمكن أن يكون ذلك جواباً لهذه المقدر .

وهو هو توجيه أبي حيان . البحر (٨٨/٣) .

(١) وهو ما استظهره السمين . الدر المصون (٤٤٩/٣) .

(٢) هذه قراءة أبي عمرو ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . الكشف (٣٦١/١) .

(٣) الدر المصون (٤٤٩/٣) .

(٤) الاحتجاج النظري لون من ألوان الكلام ، سماه بهذا الاسم جماعة ، منهم أبو حيان الأندلسي ، وابن القيم ، وابن النقيب وسماه الزركشي « إلجام الخصم بالحجة » ، ولكن البلاغيين يسمونه «المذهب الكلامي» ، وحقيقة هذا النوع ، أن احتجاج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده ، وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم وإبطال ما أورده الخصم . وسمي بالمذهب الكلامي ، لأن يسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على إبطال حجج خصومهم .

البحر (٨٩/٣ ، ٣٠٥) ، (٣٥٠/٥) ، والفوائد (١٣٦) وشرح عقود الجمان (١٢٣) ، وحلية اللب (١٢٤) ، والبرهان (٤٦٨/٣) ، وجوهر الكنز (٣٠٢) ، والمصطلحات البلاغية (٥٧/١) .

(٥) عن أبي حيوة - ابن خالويه (٢٣) .

(٦) عن الحسن - الدر المصون (٤٥٠/٣) .

(٧) عن ابن عباس - ابن خالويه (٢٣) .



هذه الأمور الواقعة على القولين في مثل ذلك. **(ما في صدوركم ، وليمحص ما في قلوبكم/١٥٤)**. أبوحيان : « كان متعلق الابتلاء ، ما انطوت عليه الصدور ، وهو القلوب ، كما قال: **(ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)**[1]، ومتعلق التمحيص ، وهو التصفية والتطهير ، ما انطوت عليه القلوب من النيات والعقائد »[2] **(والله عليمٌ بذات الصدور/١٥٤)** مناسب لما قبله من قوله : **(وطائفةٌ قد أهمتهم/١٥٤)** إلى قوله **(ما في قلوبكم/١٥٤)** ، قاله الطوفي . **(يوم التقى الجمعان/١٥٥)** فيه تثنية اسم الجمع على خلاف القاعدة ، لافتراق المدلولين . **(استزلّهم/١٥٥)** بمعنى : أزلّهم . **(إن الله غفورٌ حليمٌ/١٥٥)** تعليل لعفوه تعالى عنهم[3]. **(وقالوا لإخوانهم/١٥٦)** اللام للسبب ، لا للتبليغ . **(إذا ضربوا في الأرض/١٥٦)** أي فماتوا . **(أو كانوا غُزًّى/١٥٦)** أي فقُتِلوا ، وقرىء بتخفيف الزاي[4]، إما على حذف أحد المضعفّين ، أو على حذف التاء ، والأصل : غزاة . **(وما قُتِلوا/١٥٦)** قرىء بالتشديد[5]. **(ليجعل الله/١٥٦)** قيل : هي لام كي . وقيل : هي لام الصيرورة ، فعلى الأول هي متعلقة بمحذوف ، دل عليه السياق ، أي أوقع ذلك القول منهم ، والمعتقد في قلوبهم »[6]. **(والله يحيي ويميت/١٥٦)** رد عليهم في تلك المقالة الفاسدة . وفيه طباق . **(والله بما تعملون بصيرٌ/١٥٦)** قال الراغب : « علّق ذلك بالبصر لا بالسمع ، وإن كان الصادر منهم قولاً مسموعاً لا فعلاً مرئياً ، لما كان ذلك القول من الكفار ، قصداً منهم إلى عمل يحاولونه ، فخصّ البصر بذلك ، كقولك لمن يقول شيئاً ، وهو يقصد فعلاً يحاوله ، أنا أرى ما تفعله »[7]. الطوفي : « الختم به مناسب لمضمون الآية ، ومعنى الفاصلة راجع إما

---

(١) الحج (٤٦) .

(٢) البحر (٣/٩٠) .

(٣) في (أ) : عنكم .

(٤) عن الزهري والحسن . ابن خالويه (٢٣) ، والبحر (٣/٩٣) ، والدر المصون (٣/٤٥٣) .

(٥) قرأ بذلك الحسن ، البحر (٣/٩٣) .

(٦) هذا نص كلام أبي حيان ، منقول عنه باختصار قليل . البحر (٣/٩٤) . وهذا التقدير المذكور هنا قاله أبو البقاء . الاملاء (١/١٥٥) .

(٧) البحر (٣/٩٥) .



للقائلين ، أو للمؤمنين المخاطبين » ، قال : « ولعله بالنظر إلى هذين الاحتمالين ، قرىء (يعملون) بالياء والتاء »[1] . (ولئن قُتِلتم في سبيل الله ، أو متم/١٥٧) قدّم القتل هنا بخلاف ما في الآية قبلها وبعدها ، لأنه ابتداء إخبار ، ومحل تحريض على الجهاد ، فقدم الأشرف الأهم في تحصيل المغفرة والرحمة ، إذ القتل في سبيل الله ، أعظم ثواباً من الموت في سبيله ، وأما الآيتان الأخريان ، فقدم فيهما الموت على القتل لأنه الأغلب . الراغب : « تضمنت هاتان الآيتان إلزاماً ، هو جارٍ مجرى قياسين شرطيين ، اقتضيا الحرص على القتل[2] في سبيل الله ، (تمثيله إن قُتِلتم في سبيل الله)[3] ، أو متم ، حصلت لكم المغفرة والرحمة ، وهما خير مما[4] تجمعون ، فإذا الموت والقتل في سبيل الله ، خير مما تجمعون ، ولئن متم أو قتلتم فالحشر لكم حاصل ، وإذا كان الموت والقتل لابد فيه من الحشر ، فنتيجة ذلك أن القتل والموت اللذين يوجبان المغفرة والرحمة ، خير من القتل والموت اللذين لا يوجبانها »[5] . والقراءة (متم/١٥٧) بضم الميم وكسرها[6] ، لغتان . (وتجمعون/١٥٧) بالفوقية للمؤمنين ، وبالتحتية للكفار[7] ، وتقديم (لإلى الله/١٥٨) يفيد الاختصاص . الكشاف : « لوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه ، وإدخال اللام على الحرف المتصل به ، شأن ليس بالخفي »[8] . (فبما رحمة/١٥٩) ما زائدة للتأكيد . (ولو كنتَ فظًّا ، غليظ القلب/١٥٩) « قيل : الوصفان بمعنى ، فجُمعا للتأكيد . وقيل : الفظاظة : الجفوة في المعاشرة قولاً وفعلاً ، وغِلظ القلب عبارة عن كونه خُلِق صلبا لا يلِين ولا يتأثر ، وعن الغِلَظ تنشأ الفظاظة ، فقدّم ما هو ظاهر

---

(١) قراءة الياء هي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي ، وقراءة التاء هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٧٧) .
(٢) في (ب) : القتال .
(٣) ما بين القوسين ليس في (ب) .
(٤) في (أ) : ما .
(٥) البحر (٩٦/٣) .
(٦) قراءة الكسر هي قراءة نافع وحمزة والكسائي ، وقراءة الضم هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٧٨) .
(٧) قراءة الياء هي قراءة حفص ، وقراءة التاء هي قراءة البقية . الكشف (٣٦٢/١) .
(٨) الكشاف (٤٧٤/١) .



للحُسْن على ما هو خافٍ ، وإنما يُعلم بظهور أثره »[1] .

الراغب : « الفظّ : الكريه الخلق ، مستعار من الفظ ، أي ماء الكَرْش ، وذلك مكروه شربه ، لا يُتناول إلا في أشد ضروره »[2] . أبو حيان : « الغِلَظ أصله في الجُرْم ، وهو تكثّر أجزائه ، ثم استُعمل في قلة الانفعال والإشفاق والرحمة »[3] . **(فاعفُ عنه ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر/١٥٩)** ابن عطية : « أُمر بتدريج بليغ ، أمر بالعفو عنهم فيما يخصه ، فإذا صاروا في هذه الدرجة ، أُمر بالاستغفار في ما لله ، فإذا صاروا في هذه الدرجة ، صاروا أهلا للاستشارة في الأمور »[4] .

وقرأ ابن عباس **(وشاورهم في بعض الأمر)**[5] . **(فإذا عزمت/١٥٩)** بالخطاب ، وقرىء بضم التاء[6] على أنها ضمير لله ، والمعنى : فإذا عزمت لك على شيء ، أي أرشدتك إليه ، وجعلتك تقصده ، ففيه التفات ، ثم في قوله : **(على الله/١٥٩)** التفات . **(إن ينصركم الله/١٦٠)** فيه التفات عن ضمير الغيبة . **(وإن يخذلكم/١٦٠)** قرىء بضم أوله[8] من أخذل ، والخذل والخذلان : الترك[9] في موضع يُحتاج فيه إلى التارك[10] ، وفيه مع **(ينصركم/١٦٠)** طباق . **(فمن ذا الذي ينصركم/١٦٠)** أُجيب بالاستفهام بعد جواب الأول بالنفي ، تنويعاً للكلام في الفصاحة ، وتلطفاً بالمؤمنين حتى لا يصرح لهم بأنه لا ناصر لهم ، بل أبرز ذلك في صورة الاستفهام الذي يقتضي السؤال عن الناصر ، وإن كان المعنى على نفي

---

(١) هذا نص كلام أبي حيان (البحر ٣/٩٨) .
(٢) المفردات (٣٨٢) مادة : فظ . وانظر معاني القرآن للزجاج (١/٤٨٣) .
(٣) البحر (٣/٨١) .
(٤) المحرر (٣/٣٩٧) .
(٥) المحرر (٣/٣٩٧) .
(٦) البحر (٣/٩٩) .
(٧) قرأ بذلك عكرمة وجابر بن زيد وأبو نهيك وجعفر الصادق . البحر (٣/٩٩) .
(٨) عن عبيد بن عمير . البحر (٣/١٠٠) .
(٩) في (ب) : المنزل .
(١٠) في (ب) : النازل .

الناصر ، لكن فرق بين الصريح والمضمّن ، فلم يجرِ المؤمنين في ذلك مجرى الكفار ، الذين نص[1] عليهم بالصريح ، لأنه[2] لا ناصر لهم ، لقوله **(أهلكناهم فلا ناصر لهم)**[3] . **(وعلى الله/١٦٠)** قدّم الإفادة الاختصاص . **(وما كان لنبي أن يَغُل/١٦١)** أبوحيان : « مناسبة الآية لما قبلها من حيث أنها تضمنت حكماً من أحكام الغنائم في الجهاد »[4] . وفي قراءة **(يُغَلَّ)**[5] بالبناء للمفعول ، أي ينسب إلى الغلول ، **(أفمن اتبع/١٦٢)** استفهام بمعنى النفي . أبوحيان : « ليست من اتبع رِضى الله ، فامتثل أوامره ، واجتنب مناهيه ، كمن عصاه ، فباء بسخطه . وهذا من الاستعارة البديعية ، جعل ما شرعه الله كالدليل الذي يتبعه من يهتدي به ، وجعل العاصي كالشخص الذي أُمر أن يتبع شيئاً ، فنكص عن اتباعه ، ورجع مصحوباً بما[6] يخالف الاتباع »[7] . والسخط : الكراهة المفرطة . الراغب : « السخط[8] : الغضب الشديد المقتضي للعقوبة ، وهو من الله إنزال العقوبة الشديدة »[9] .

وفي الآية طباق ، وحذف ، أي فمأواه الجنة . **(هم درجاتٌ/١٦٣)** فيه تغليب ، إذ مراتب النار دركات . وقيل : الضمير لمن اتبع رضوان الله ، فالتقدير : هم ذوو درجات ، أو لهم درجات . وقرىء (درجة)[10] **(والله بصيرٌ بما**

---

(١) في (ب) : نصر .

(٢) في (ب) : أنه .

(٣) سورة محمد -ﷺ- (١٣) .

(٤) البحر (١٠١/٣) .

(٥) قراءة (يغل) بفتح الياء وضم الغين هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وعاصم وقراءتها بضم الياء ، وفتح الغين ، هي قراءة البقية . الكشف (٣٦٣/١) .

(٦) في (ب) : لا .

(٧) البحر (١٠١/٣ - ١٠٢) .

(٨) كلمة « السخط » ليست في (أ) .

(٩) المفردات (٢٢٧) مادة : سخط - بقليل من الاختصار .

(١٠) عن النخعي . البحر (١٠٢/٣) .



يعملون/١٦٣). الطوفي: «مناسب لما في سياقه[1]، إذ لا ينزل الناس في درجاتهم، إلا من هو بصير بتفاوت أعمالهم وأحوالهم، ومن يستحق منهم التقديم والتأخير». أبو حيان: «خصّ العمل دون القول، لأن العمل جُلُّ ما يترتب عليه الجزاء»[2]. **(لقد منَّ الله على المؤمنين/١٦٤)** أبوحيان: «مناسبة الآية لما قبلها، أنه تعالى لما ذكر الفريقين، فريق الرضوان، وفريق السخط، وأنهم درجات عند الله مجملا من غير تفصيل، فصَّل أحوالهم، وبدأ بالمؤمنين، وذكر ما امتنّ عليهم به من بعثة الرسول إليهم تالياً لآيات الله، ومبيِّناً لهم طريق الهدى، ومطهراً لهم من أرجاس الشرك، ومستنقذاً لهم من غمرة الضلالة، بعد أن كانوا فيها. وسلّاهم عما أصابهم يوم أُحد، من القتل والجرح بما أنالهم يوم بدر من الظفر والغنيمة، ثم فصّل حال المنافقين، الذين هم أهل سخط بما نصّ عليه. ومعنى (منَّ) تطوَّل وتفضَّل»[3]. الراغب: «منَّ عليه: أثقله بالنعمة»[4]، وخصّ المؤمنين لأنهم المنتفعون ببعثه. وقرىء **(لمن منّ الله)**[5] بمن الجارة، و(منّ) مجرور بها، والتقدير: لمن منّ الله على المؤمنين منّه أو بعثه إذ[6] بعث **(من أنفسهم/١٦٤)** الكرماني: «في غير هذه الآية **(منهم)**[7]، لأن هذه في معرض المِنَّة، فجعله **(من أنفسهم)** ليكون موجب المِنَّة أظهر[8]، وكذا قوله **(لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم)**[9] لما وصفه بقوله **(عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم)**[10] إلى آخره، جعله من أنفسهم، ليكون موجب الإجابة والإيمان به، أظهر وأبْيَن»[11]. الماتريدي:

---

(١) في (ب): هنا سبب كافي.

(٢) البحر (١٠٢/٣).

(٣) البحر (١٠٢/٣ - ١٠٣).

(٤) المفردات (٤٧٤) - مادة: منن.

(٥) البحر (١٠٣/٣)، والدر المصون (٤٧١/٣)، وابن خالويه (٢٣) دون نسبة.

(٦) في (ب): إذا.

(٧) الجمعة (٢).

(٨) كلمة «أظهر» زيادة من البرهان (١٢٣).

(٩) +(١٠) التوبة (١٢٨).

(١١) البرهان (١٢٣) مع قليل من التصرف.

« وجه الامتنان بكونه من أنفسهم ، حصول الأُنس به ، والشرف لهم »[1] . وقرىء بفتح الفاء[2] ، من النفاسة . **(أنّى/١٦٥)** بمعنى كيف ، سؤال عن الحال . **(قل هو من عند أنفسكم/١٦٥)** جواب يتضمن تعيين الكيفية ، لأنه بتعيين السبب ، وهو يقتضي تعينّ الكيفية من حيث المعنى . وأعاد (هو) على المصيبة ، حملا على المعنى . **(إن الله على كل شيءٍ قديرٌ/١٦٥)** الطوفي : « هو مناسب لما في الآية ، أي أن الله أصابكم بذلك بما كسبتم ، ولا يصيب أحداً بمصيبة إلا من هو قادر . وبالجملة إرسال المكاره على الخلق ، مفتقر إلى قدرة » . أبو حيان : « نبّه بذلك على أن ما أصابهم ، كان لِوَهَن منهم ، لا لضعف في قدرة الله »[3] . **(وليعلم المؤمنين/١٦٦)** عطف على **(فبإذن الله/١٦٦)** ، عطف السبب على السبب[4] . وقيل : عطف على **(نافقوا/١٦٧)**[5] . **(قالوا/١٦٧)** لم يرد بالفاء ، لأنه جواب سؤال اقتضاه دعاؤهم إلى القتال ، كأنه قيل : فماذا قالوا ، قال : قالوا : لو نعلم . **(والله أعلم بما يكتمون/١٦٧)** مناسب لقوله **(ما ليس في قلوبهم/١٦٧)** **(الذين/١٦٨)** بدل من الذين نافقوا. **(قالوا لإخوانهم/١٦٨)** أي حين خرجوا ، **(وقعدوا/١٦٨)** حال بتقدير : قد . **(ما قُتِّلوا)** قرىء بالتشديد[6] . **(ولا تحسبن/١٦٩)** خطاب للنبي -ﷺ- ، أو لكل سامع . وقرىء بالتحتية[7] ، فالفاعل ضمير حاسب ، دلّ عليه الفعل . **(قتلوا/١٦٩)** بالتخفيف والتشديد[8] . وقرىء : **(قاتلوا)**[9] . **(بل أحياء/١٦٩)** بالرفع خبر « هم » مقدراً . وقرىء بالنصب[10] . قال

(١) لم أعثر على هذا النص فيما اطلعت عليه .

(٢) عن فاطمة وعائشة والضحاك وأبي الجوزاء . البحر (٣/١٠٤) .

(٣) الدر المصون (٣/١٠٨) .

(٤) الدر المصون (٣/٤٧٥) .

(٥) انظر البحر (٣/١٠٨) .

(٦) عن الحسن ، البحر (٣/١١١) . وعن هشام ، الكشف (١/٣٦٤) .

(٧) عن حميد بن قيس ، وهشام - بخلاف عنه . الدر المصون (٣/٤٨٠) .

(٨) قراءة التشديد هي قراءة ابن عامر ، وقراءة التخفيف هي قراءة البقية . الكشف (١/٣٦٤) .

(٩) رويت عن عاصم . البحر (٣/١١٣) .

(١٠) قراءة الرفع هي قراءة الجمهور ، وقراءة النصب هي قراءة ابن أبي عبلة . البحر (٣/١١٣) .

الزجاج : « على معنى : بل أحسبهم » ، وردّه الفارسي بأن الأمر يقين ، فلا يضمر فعل الحسبان ، بل اعتقدهم أو نحوه[1] . (ويستبشّرون/١٧٠) بمعنى : يبشرون . (ألّا خوف/١٧٠) بدل اشتمال[2] من الذين يستبشرون ، كُرِّر الفعل على سبيل التوكيد إن كانت النعمة والفضل بياناً لمتعلق الاستبشار الأول ، قاله الزمخشري[3] . وقيل : هو بدل من الأول ، فكذا لم يدخل عليه واو العطف . وقيل : هو مستأنف متعلق بهم أنفسهم ، لا بالذين لم يلحقوا بهم ، فقد اختلف متعلق الفعلين ، فلا تأكيد . وفي تنكير « **نعمة** » ، و« **فضل** » إبهام وتعظيم ، وظاهر العطف تباين النعمة والفضل ، فالأولى الجزاء ، والثاني التضعيف . (**وأن الله/١٧١**) بالكسر على الاستئناف ، وبالفتح عطف على متعلّق الاستبشار[4] . وقرىء (**والله**)[5] . (**الذين استجابوا/١٧٢**) مبتدأ ، والجملة بعده الخبر[6] ، وجوّزوا الاتباع نعتاً أو بدلاً[7] . (**الـذين قال لهم الناس/١٧٣**) هو من العام ، المراد به الخصوص ، لأن القائل واحد. (**إن الناس قد جمعوا لكم/١٧٣**) الآية . أبوحيان : « لما ذكر أخبار المثبِّطين بأن قريشاً قد جمعوا لهم ، وأمرهم لهم بخشيتهم ، ترتَّب على هذا القول شيئان : أحـدهما قلبي ، وهو زيادة الإيمان ، وهو مقابل للأمر بالخشية ، والآخر قولي ، يقابل جميع الناس ، وهو أن كافيهم شر الناس ، وهو الله تعالى ، ثم أثنوا عليه

---

(١) معاني القرآن للزجاج (١/٤٨٨) ، ولم أعثر على ردّ الفارسي في كتابه « الحجة » وإنما وجدته في البحر (١١٣/٣) .

(٢) قاله مكي بن أبي طالب . مشكل إعراب القرآن (١/١٧٨) .

(٣) في الكشاف (١/٤٨٠) : « وكرر (يستبشرون) ليعلق به ما هو بيان لقوله : (ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) من ذكر النعمة والفضل ، وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم . . . » .

(٤) قراءة الكسر هي قراءة الكسائي ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . الكشف (١/٣٦٤ - ٣٦٥) .

(٥) هي قراءة عبد الله بن مسعود . البحر (١١٦/٣) .

(٦) أي قوله : (من بعد ما أصابهم القرح) - كما قال مكي . مشكل إعراب القرآن (١/١٧٨) .
وقد غلّط السمين قول مكي هذا ، محتجاً بأن هذا ليس مفيداً البتة ، بل (من بعد) متعلق بـ(استجابوا) . الدر المصون (٤٨٧/٣ - ٤٨٨) .

(٧) هذا الوجه الأخير هو ما جوزّه مكي . مشكل اعراب القرآن (١/١٧٩) . والوجه الذي قبله ذكره السمين . الدر المصون (٤٨٨/٣) .



بقولهم : (ونعم الوكيل/١٧٣) ، فدّل على أن قولهم (حسبنا الله/١٧٣) هو من المبالغة ، وربط أمورهم به. فانظر إلى براعة هذا الكلام وبلاغته ، حيث قوبل قول بقول ، ومتعلق قلب بمتعلق قلب»[١] . الطوفي : «الختم بالحسبلة مناسب لما في سياقه من توكّل الصحابة ، الذين استجابوا بعد إصابة القرح ، وكذا قوله (والله ذو فضلٍ عظيمٍ/١٧٤) مناسب لقوله (بنعمةٍ من الله ،وفضلٍ لم يَمْسَسْهُمْ سوءٌ/١٧٤) ، لأن ذلك فضل من الله »، (ذلكم/١٧٥) إشارة إلى القائل المثبِّط . (يُخوِّف أولياءه/١٧٥) أي يخوفكم أولياءه ، وكذا قراءة ابن مسعود وابن عباس[٢] .

وقرأ أُبيّ (يُخَوِّفكم بأوليائه)[٣] . (ولا يحزنك/١٧٦) لما نهى الله المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان ، وأمرهم بخوفه ، ونهى رسوله عن الحزن لمسارعة من سارع في الكفر . والقراءة بالفتح والضم[٤] ، من حزن وأحزن ، يقال : حزن الرجل : أصابه الحُزن ، وأحزنه : جعله حزيناً . (يسارعون/١٧٦) قرىء (يُسْرَعون)[٥] . (حظاً/١٧٦) الراغب : « الحظ : النصيب المقدر »[٦] . قال أبو حيان : « وإذا لم يقيّد ، فإنما يُستعمل في الخير»[٧] . (إن الذين اشتروا/١٧٧) من ذكر العام بعد الخاص ، أو المرادف للتأكيد ، وليرتّب لهم العذاب بنوعيه من العظم والألم . (ولا تحسبن/١٧٨) بالخطاب ، فـ(الذين/١٧٨) مفعول أول ، و(أنما/١٧٨) إلى آخره في موضع الثاني ، وبالغيبة[٨] ، فـ(الذين) فاعل ، وسدّت (إنما) إلى آخره مسد المفعولين . وقرىء بالغيبة ، وكسر (إنما)[٩] على التعليق ، بإضمار اللام . (ولهم

---

(١) البحر (٣/١١٨) بتصرف قليل .

(٢) الدر المصون (٣/٤٩٣) .

(٣) البحر (٣/١٢٠) .

(٤) قراءة الضم هي قراءة نافع ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . السبعة (٢١٩) ، والكشف (١/٣٦٥) .

(٥) عن النحوي ، البحر (٣/١٢١) .

(٦) المفردات (١٢٣) مادة : حط .

(٧) البحر (٣/١١٦) .

(٨) القراءة بالخطاب هي قراءة حمزة ، والقراءة بالغيبة هي قراءة البقية . الكشف (١/٣٦٥) .

(٩) عن يحيى بن وثاب . البحر (٣/١٢٣) .

عذابٌ مهينٌ/١٧٨) أبو حيان : « وصف تعالى عذابه في مقاطع هذه الآيات الثلاث بعظيم ، وأليم ، ومهين ، ولكلٍّ مناسبة تقتضي ختم الآية بها ، أما الأولى ، فإن المسارعة في الشيء تقتضي جلالة ما سُورع فيه ، وأنه من النفاسة والعِظم ، بحيث يُتسابق فيه ، فخُتمت الآية بعِظم العذاب ، وهو جزاؤهم على المسارعة في الكفر ، إشعاراً بخساسة ما سابقوا فيه ، وأما الثانية ، فإنه ذكر فيها اشتراء الكفر بالإيمان ، ومن عادة المشتري الاغتباط بما اشتراه ، والسرور والفرح ، فخُتمت الآية بأليم لأن صفقته خسرت بألم العذاب ، كما يجده المشتري المغبون في تجارته ، وأما الثالثة ، فإنه ذكر فيها الإملاء ، وهو الإمتاع بالمال والبنين والصحة ، وكان الإمتاع سبباً للتعزّز والاستطالة ، فختمت الآية بإهانة العذاب لهم ، وأن ذلك الإملاء الموجب للتعزّز في الدنيا ، ومآله إلى إهانتهم بالعذاب ، الذي يُهين الجبابرة »[١].

(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه/١٧٩) قيل: الخطاب للكفار. وقيل : للمؤمنين[٢] الكشاف : « فإن قلت : لمن الخطاب في (أنتم) ؟. قلت : للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق ، كأنه قيل : ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها ، من اختلاط بعضكم ببعض ، وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم ، لاتفاقكم على التصديق جميعاً ، حتى يميزهم منكم »[٣]. **(حتى يميز)** بالتخفيف ، من ماز ، وبالتشديد[٤]، من ميّز . قال ابن السكيت : « وهما بمعنى »[٥].

---

(١) البحـر (٣/١٢٥) بقليل من الاختصار .

(٢) القول الأول هو قول قتادة والسدي - كما في المحرر الوجيز (٣/٤٣٤) . والقول الثاني هو ما ذهب إليه أبوحيان في البحر (٣/١٢٥) . وهو قول أكثر أهل المعاني - كما حكى ابن الجوزي عن الثعلبي . زاد المسير (١/٥١٠) .

(٣) الكشـاف (١/٤٨٣) .

(٤) قراءة التشديد هي قراءة حمزة والكسائي ، وقراءة التخفيف هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٨٢) .

(٥) المحرر الوجيز (٣/٤٣٦) ، والبحر (٣/١١٦) .



الراغب : « الْمَيْز ، والتمييز الفصل بين المتشابهات »[1] . وقيل : التشديد أقرب إلى الفخامة ، وأكثر في الاستعمال . وقيل : لا يكون ماز إلا في كثير ، فأما واحد فميز[2] ، ولهذا قال أبو معاذ[3] « يقال : مَيَّزْتُ بين شيئين ، ومِزْتُ بين الأشياء[4] » ، وقرىء بالضم والتخفيف[5] ، من أماز . (ولا يحسبن الذين يبخلون/١٨٠) أبوحيان: « مناسبتها لما قبلها ، أنه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل الأرواح في الجهاد في الآيات السابقة شرع في التحريض على بذل الأموال في الجهاد وغيره ، وبينً الوعيد الشديد لمن يبخل »[6] . والقراءة (تحسبن/١٨٠) بالخطاب ، فـ(الذين) أول المفعولين ، وبالغيبة[7] ، فإن كان الفعل مسنداً إلى ضمير الرسول ، أو حاسب ، فكذلك ، أو إلى (الذين) ، فالمفعول الأول محذوف ، أي بخلهم . وقرىء بإسقاط (هو)[8] (بل هو شرٌ لهم/١٨٠) لما كان تحت انتفاء الخير قسمان : أحدهما : ألا خير ولا شر ، والآخر : إثبات الشر ، أتى بهذه الجملة تعيّن أحد القسمين ، وهو الثاني . (سيُطَوَّقون/١٨٠) بيان لكونه شراً لهم . (ولله ميراث السموات والأرض/١٨٠) تقرير لذم من بخل بما هو ملك لله ، وإخبار بفناء العالم ، وأن جميع ما يخلفونه فهو وارثه ، وهو خطاب على ما يفهمه البشر ، وإن كان ملكه لكل شيء لم يزل . (والله بما تعلمون خبيرٌ/١٨٠) القراءة بالياء وبالتاء[9] على الالتفات . قال الطوفي : « والختم به مناسب لما في الآية ، لأن البخل منع ما ينبغي بذله ، وهو عمل » . (لقد سمع الله/١٨١) الآية ، نزلت رداً لمن قال ذلك من اليهود . ووجه ارتباطها بما قبلها ظاهر . (سنكتب ما قالوا/١٨١) جيء

---

(١) المفردات (٤٧٨) مادة : ميز .

(٢) في البحر (٣/١١٦) : فأما واحد من واحد فيتميز .

(٣) سبقت ترجمته في ص من هذه الرسالة .

(٤) البحر (٣/١١٦) .

(٥) وهي رواية عن ابن كثير . البحر (٣/١٢٦) .

(٦) البحر (٣/١٢٧) .

(٦) القراءة بالتاء هي قراءة حمزة ، والقراءة بالياء هي قراءة البقية .

(٨) عن الأعمش ، البحر (٣/١٢٨) .

(٩) القراءة بالياء هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو . والقراءة بالتاء هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٨٤) .

بلفظ المستقبل ، لأنه يفيد معنى المجازاة . (**ونقول ذوقوا عذاب الحريق/١٨١**) لما كان الصادر منهم قولاً وفعلاً ، ناسب أن يكون الجزاء قولاً وفعلاً ، فإن في الجمع بينهما أعظم انتقام . واستُعير لمباشرة العذاب الذوق ، لأنه من أبلغ أنواع المباشرة . وفي (**سنكتب**) ، (**ونقول**) التفات . وقرىء فيهما بالغيبة ، والبناء للفاعل[١] ، وفي قراءة بالبنـاء للمفعول في الأول ، ورفع (**قتلهم/١٨١**) ، وللفاعل في الثاني[٢] . وقرىء (**سنكتب ما يقولون**) ، و(**ستكتب ما قالوا**) بتاء مضمومة ، على معنى : مقالتهم . وقرىء (**ويقال ذوقوا/١٨١**)[٣] . (**ذلك بما قدَّمت أيديكم/١٨٢**) نسب المعـاصي إلى الأيدي ، لأن أكثـر الأعـمال تُزاوَل بها . (**وأن الله ليس بظلّامٍ للعبيد/١٨٢**) الطوفي: «مناسب لما في الآية ، لأن من عُوقب على كسبه وجنايته ، لم يظلم ، ومن عاقبه على ذلك لم يظلم .

فإن قلت : القاعدة أن نفي المبالغة في الفعل ، لا يستلزم نفي أصل الفعل ، فلم عبرّ هنا بصيغة المبالغة ؟. قلت : أُجيب بوجوه :

أحدها : أن ظلَّاماً ، وإن كان للكثرة ، لكنه جيء به في مقابلة العبيد ، الذي هو جمع كثرة ، ويرشِّحه أنه تعالى قال : (**علّام الغيوب**)[٤] ، فقابل صيغة فعّال بالجمع ، وقال في آية أخرى (**عالم الغيب**)[٥] ، فقابل صيغة فاعل الدّال على أصل الفعل بالواحد .

الثاني : أنه نفى الظلم الكثير ، فينتفي القليل ضرورة ، لأن الذي يظلم ، إنما يظلم لانتفـاعه بالظلم ، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه ، فلأن يترك القليل أولى .

---

(١) الذي وجدته في المراجع التي اطلعت عليها أن هذه القراءة إنما هي فقط في (سنكتب) ، وهي قراءة الحسن والأعرج . انظر البحر (٣/١٣١) ، وابن خالويه (٢٣) .

(٢) وذلك مع اثبات الياء في كلا اللفظين ، وهي قراءة حمزة . حجة القراءات (١٨٤) .

(٣) هـذه قـراءة ابن مسعود ، والقراءتان السابقتان هما قراءة طلحة بن مصرف . البحر (٣/١٣١) ، والمحرر الوجيز (٣/٤٤٢) .

(٤) المائـدة (١٠٩ ، ١١٦) ، والتـوبة (٧٨) ، وسبأ (٤٨) .

(٥) الرعـد (٩) ، والسجدة (٦) ، وفاطر (٣٨) .... الخ .



الثالث : أنه على النسب ، أي بذي ظلم ، حكاه ابن مالك عن المحققين .

الرابع : أنه أتى بمعنى فاعل ، لا كثرة فيه .

الخامس: أن أقل القليل لو ورد منه تعالى ، لكان كثيراً ، كما يقال : زلة العالم كبيرة ، وعبّر بعضهم عن هذا بأن العذاب الذي يفعله بهم لو كان ظلماً ، لكان عظيماً ، فنفاه على حد عِظمه لو كان ثابتاً .

السادس: أنه أراد : ليس بظالم ، ليس بظالم تأكيداً للنفي ، فعبرّ عن ذلك بليس بظلّام .

السابع : أنه ورد جوابا لمن قال : ظلّام ، والتكرار إذا ورد جوابا لكلام خاص ، لم يكن له مفهوم .

الثامن : أن صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات ، فجرى النفي على ذلك .

التاسع : أنه قصد التعريض بأن ثم ظلّاماً للعبيد من وُلاة الجور » .

أبو حيان : « جاء بلفظ العبيد ، دون العباد هنا ، وفي « فصّلت »[1]. لمناسبة الفواصل قبله ، كما ناسب لفظ العباد في سورة غافر ما قبله وما بعده »[2]. **(الذين قالوا/١٨٣)** جار على (الذين) قبله. وقال الزجاج : « على العبيد »[3]. **(عَهِدَ/١٨٣)** أبو حيان : « العهد أخصّ من الأمر ، لأنه في كل ما يتطاول أمره ، ويبقى في غابر الزمان »[4]. الراغب : « العهد : حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ، وسمي الموثق الذي تلزم مراعاته عهداً »[5]. **(بقُربانٍ/١٨٣)** الراغب : « القُربان : ما يتقرب به إلى الله ، وصار في التعارف اسماً للنسيكة التي هي

---

(١) فصلت (٤٨١) .

(٢) البحر (٣/١٣١) مختصراً .

(٣) ذهب ابن عطية وأبو حيان إلى القول الأول . وتعقب ابن عطية القول الثاني بأن هذا مفسد للمعنى والوصف . انظر معاني القرآن (١/٤٩٤) ، والبحر (٣/١٣٢) ، والمحرر الوجيز (٣/٤٤٣) .

(٤) البحر (٣/١٣٢) .

(٥) المفردات (٣٥٠) مادة : عهد .



الـذبيحـة ، ويُستعمل للواحد ، كما في هذه الآية ، وللجمع كما في قوله **(قُرباناً آلهـةً)** »[1][2]. أبوحيان : « هو في الأصل مصدر سمّي به المفعول »[3]. وقرىء بضم الراء[4] اتباعاً . **(جاؤوا بالبينات والزُّبُر والكتاب/١٨٤)** الكرماني : « قال في سورة « فاطـر » : **(وبـالـزُّبُـر وبالكتاب/٢٥)** بزيادة الباء ، لأن ما هنا بُني على الاختصـار ، مع وضـوح المعنى بدليل افتتـاح الآية بالمـاضـي ، وهو أحضر من المضـارع المبدوء به آية فاطر ، وبناء الفعل للمفعول هنا ، وللفاعل هناك »[5].

وقيل : هنـا **(جـاؤوا/١٨٤)** ، وهناك **(جاءتهم رسلهم/٢٥)** ، وفي قراءة هنا ، بإدخال الباء فيهما[5] أيضاً ، وجيء بالكتاب مفرداً ، وإن كان مجموعاً من حيث المعنى ، لتنـاسب الفـواصـل . وقيل : وهـو من عطف المـرادف ، لأن الـزُّبُر : الكتب . وقيل : الكتاب : جنس للتوراة والإنجيل وغيرهما ، والزبر : الزواجر من غير أن يُراد بها الكتب[6] . **(كل نفسٍ ذائقةُ الموت/ ١٨٥)** جيء بهذه الجملة للوعظ والتسلية للمؤمنين من صنع المكذبين ، كما سلّي بالآية قبلها الرسول-ﷺ- . وقرىء بنصب **(الموت)** ، مع تنوين **(ذائقة)** ، وحذفه لالتقاء الساكنين[7]. على حد قوله :

.... ولا ذاكـر اللــه إلا قليـــلا[8]

---

(١) الأحقـاف (٢٨) .

(٢) المفردات (٣٩٩) مادة : قرب .

(٣) البحـر (١٣٢/٣) .

(٤) عن عيسى بن عمر . ابن خالويه (٢٣) .

(٥) أسرار التكرار (٥٣) - بتصرف .

(٦) قراءة (وبالزبر) هي قراءة ابن عامر . وقراءة (وبالكتاب) هي قراءة هشام بخلاف عنه . البحر (١٣٣/٣) .

(٧) البحـر (١٣٣/٣) .

(٨) القـراءة بنصب (المـوت) ، مع تنـوين (ذائقة) هي قراءة اليزيدي . والقراءة بذلك ، ولكن مع حذف التنوين ، هي قراءة الأعمش . ابن خالويه (٢٣) ، والبحر (١٣٣/٣) ، والدر المصون (٥٢٠/٣) .

(٩) وصدر البيت هو :

فألفيته غير مستعتب .... وهـو لأبـي الأسـود .

انظر ديوانه (١٢٣) ، ومجالس ثعلب (١٢٣) ، وأمالي الشجري (٣٨٣/١) .



(فمن زُحزح) هو أبلغ من زحّ ، لما فيه من التكرار . وفي الجملة ثلاث مقابلات

(وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور/١٨٥) قال الزمخشري : « شبّه الدنيا بالمتاع الذي يدلّس به على المقام ، ويغرّ حتى يشتريه ثم يتبينّ له فساده ، ورداءته »[١] . وقرىء (الغَرور) بفتح الغين[٢] ، وفُسِّر بالشيطان . (لَتُبْلَوُن في أموالكم/١٨٦) الآية . قال أبُوحيان : « هي مسوقة في ذم أهل الكتاب وغيرهم من المشركين ، فناسب ما قبلها من الآيات التي جاءت في ذم أهل الكتاب ، وقدَّم الأموال على الأنفس ، على سبيل الترقي إلى الأشرف ، أو على سبيل الكثرة ، لأن الرزايا في الأموال أكثر من الرزايا في الأنفس »[٣] . (من عزم الأمور/١٨٦) أي معزوماتها التي عزمها الله ، أي أوجبها . وقال النقاش : « العزم والحزم واحد ، الحاء مبدلة من العين »[٤] .

(لَيُبيِّنُنَّهُ/١٨٧) القراءة من الفعلين بالياء والتاء[٥] . وقرىء (لَتُبيِّنُونه) بغير نون التوكيد[٦] . (لا يَحْسَبَنَّ/١٨٨) الآية ، نزلت في فريق من اليهود كتموا النبي -ﷺ- ما سألهم عنه ، كما ورد في الحديث[٧] ، فعُرف بذلك وجه ارتباطها بالآية قبلها .

---

(١) الكشاف (١/٤٨٦) .

(٢) عن عبد الله ابن عمير . المحرر الوجيز (٣/٤٤٧) .

(٣) البحر (٣/١٣٥) .

(٤) البحر (٣/١٣٦) .

(٥) القراءة بالياء هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر . والقراءة بالتاء هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٨٥ - ١٨٦) .

(٦) عن ابن مسعود . المحرر الوجيز (٣/٤٥١) .

(٧) روى البخاري ومسلم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن علقمة بن وقاص ، أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرىء فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً ، لنعذبن أجمعون . فقال ابن عباس : وما لكم ولهذه ؟ إنما دعا النبي -ﷺ- يهود ، فسألهم عن شيء ، فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ، ثم قرأ ابن عباس : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) كذلك حتى قوله (يفرحون بما أوتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) . =



والقراءة في الفعلين بالياء والتاء[1]. وقرىء (**آتوا/١٨٨**) بالمد، و(**أُوتوا/١٨٨**) بالبناء للمفعول[2]. وفي مصحف ابن مسعود إسقاط (**فلا تحسبنهم/١٨٨**)[3]. (**بمفازةٍ/١٨٨**) مفعلة من فاز، وهي المكان، أي بموضع فوز، أي نجاة. الفراء: «الفوز: التباعد من المكروه»[4]. الراغب: «الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامة»[5]. (**ولله ملك السموات والأرض/١٨٩**) تقرير لحكمه على من ذكر بالتعذيب. (**والله على كل شيءٍ قديرٌ/١٨٩**) الطوفي: «مناسب لما قبله، لأن الاستقلال بالملك العام والتمكُّن من تعذيب الغير، يستدعي القدرة التامة العامة». (**إن في خلق السموات والأرض/١٩٠**) الآية، مناسب لذكر ملك السموات والأرض، وذكر قدرته على كل شيء. ابن جماعة: «قدَّم هنا خلق السموات والأرض، على اختلاف الليل والنهار، لمناسبة تقدُّم ملك السموات والأرض، وعكس في يونس في قوله: (**إن في اختلاف الليل والنهار، وما خلق الله في السموات والأرض، لآياتٍ/٦**)، لتقدُّم قوله: (**هو الذي جعل الشمس**

اللؤلؤ والمرجان (٧٧٩) حديث رقم (١٧٧١).

وروى البخاري ومسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري -رضى الله عنه- أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله -ﷺ- كان إذا خرج رسول الله -ﷺ- إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله -ﷺ- فإذا قدم رسول الله -ﷺ- اعتذروا إليه، وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت (لا يحسبن الذين يفرحون) الآية.

اللؤلؤ والمرجان (٧٧٩) حديث رقم (١٧٧٠).

ويبدو لي أن ما ورد في هذه الرواية الأخيرة هو سبب نزول الآية، بسبب تصريح الرواية بذلك، وإن كانت الآية تشمل أيضاً ما قيل في الرواية الأولى، ولذلك قال ابن كثير بعد أن ذكر الروايتين السابقتين وغيرهما: «ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس، وما قاله هؤلاء، لأن الآية عامة في جميع ما ذكر».

تفسير القرآن العظيم (١/٤٣٧)، وانظر زاد المسير (١/٥٢٢).

(١) قراءة التاء هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي. وقراءة الياء هي قراءة البقية. حجة القراءات (١٨٦).

(٢) القراءة الأولى هي قراءة مروان بن الحكم وإبراهيم النخعي، والأعمش. والقراءة الثانية هي قراءة سعيد بن جبير، وأبي عبد الرحمن السلمي. ابن خالويه (٢٣ - ٢٤)، والمحرر الوجيز (٣/٤٥٥).

(٣) البحر (٣/١٣٨).

(٤) البحر (٣/١٣٨).

(٥) المفردات (٣٨٧) مادة: فوز.



ضياءً ، **والقمر نوراً/٥)** الآية ، وذلك اختلاف الليل والنهار فأولى كلًّا ما يناسبه »[1] . **(الذين يذكرون الله/١٩١)** فيها من أنواع البديع ، حسن التقسيم باستيفاء أحوال الذاكر . **(ربنا/١٩١)** على تقدير القول . **(سبحانك/١٩١)** اعتراض للتنزيه . **(فقِنا/١٩١)** رتّب بالفاء ، لأنه نتيجة الذكر والفكر والإقرار . **(أَخْزَيْتَه/١٩٢)** الراغب : « خزي الرجل : لَحِقه انكسار ، إما من نفسه ، وإما من غيره ، فالذي من نفسه ، هو الحياء المفرط ، ومصدره الخِزاية ، والذي من غيره ضرب من الاستخفاف ومصدره الخِزي ، وأخزاه يقال منهما جميعاً ، والآية تحتملها »[2] انتهى .

أبو حيان : « أخزيته : فضحته ، من خزي الرجل يخزي خزيا ، إذا افتضح وخزاية : إذا استحيى »[3] . الزجاج : « المخزي في اللغة : المُذَل الحقور بأمر قد لزمه ، يقال : أخزيته : ألزمته حجة أذلَلْتُه معها »[4] . **(منادياً/١٩٧)** إن كان الرسول ، فينادي على حقيقته ، أو القرآن ، فهو مجاز . أبو حيان : « جمع بين قوله (منادياً) ، و(ينادي) ، لأنه ذكر الأول مطلقا ، وقيّد الثاني تفخيماً لشأن المنادي ، لأنه لا منادي أعظم من منادٍ ينادي للإيمان ، وذلك أن المنادي إذا أُطلق ذهب الوهم إلى منادٍ للحرب ، أو لإطفاء الثائرة ، أو لإغاثة المكروب ، أو لكفاية بعض النوازل ، أو لبعض المنافع ، فإذا قلت ينادي للإيمان ، فقد رفعتَ من شأن المنادي ، وفخّمته ، ونادى ، ودعا ، وندب تُعدّى باللاّم وبإلى ، كما يُعدّى بهما هدى ، لوقوع معنى الاختصاص ، وانتهاء الغاية جميعاً »[5] . **(أن آمِنُوا/١٩٣)** تحتمل المصدرية ، والتفسيرية . **(فآمنا)** العطف بالفاء مؤذِن بتعجيل القبول ، وتسبب الإيمان على السماع . **(فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفرّ عنا سيآتنا)** الذنوب الكبائر ،

---

(١) كشف المعاني (٩٥) بتصرف .

(٢) المفردات (١٤٧) مادة : خزي - باختصار .

(٣) البحر (٣/١٤٠) .

(٤) البحر (٣/١٤٠) .

(٥) البحر (٣/١٤١) بقليل من الاختصار .

والسيئات الصغائر ، ففيه ثلاث مقابلات[1] . **(وتَوَفَّنا مع الأبرار/١٩٣) (مع)** هنا مجاز عن الصحبة الزمانية إلى الصحبة في الوصف . و**(الأبرار/١٩٣)** جمع بار ، أو بَر ، ويُجمع أيضاً على بَرَرة . الراغب : « بَرَرة ، خُصّ بها الملائكة في القرآن من حيث إنه أبلغ من أبرار ، فإنه جمع بَرّ ، وأبرار ، جمع بار ، وبرّ أبلغ من بار ، كما أن عَدْلا أبلغ من عادِل[2] . **(على رُسُلِك/١٩٤)** أي على ألسِنة رُسِلك . وقرىء بسكون السين[3] . أبوحيان : « تكرر لفظ ربنا خمس مرات ، على سبيل الاستعطاف وطلب رحمة الله بندائه بهذا الاسم الشريف الدال على التربية ، والملك والإصلاح »[4] . **(فاستجاب/١٩٥)** بمعنى أجاب . وقال تاج القراء[5] : « أجاب : عام ، واستجاب : خاص في حصول المطلوب »[6] . **(أني/١٩٥)** أي بأني ، وكذا قرأ أُبيّ ، وقرىء **(أني/١٩٥)** بالكسر على إضمار القول . وقرىء **(أضيّع)** بالتشديد[7] . **(فالذين هاجروا/١٩٥)** تفسير للعمل . **(وقاتَلُوا وقُتِلُوا/١٩٥)** في قراءة **(وقُتِلُوا وقاتَلُوا)**[8] ، وقرىء **(وقَتَلوا وقُتِلوا)** بتقديم المبني للفاعل ، **(وقَتَلوا ، وقاتلوا)** بالبناء للفاعل أيضاً ، **(وقُتِّلوا وقاتَلوا)** بالبناء للمفعول والتشديد ، **(وقاتلوا وقُتِّلوا)** كذلك[9] . **(ثواباً/١٩٥)** مصدر مؤكد . **(لا**

---

(١) المقابلة ، هي نوع من الطباق ، وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب ، كقوله تعالى (يحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث) . علوم البلاغة للمراغي (٣٢٢ - ٣٢٣) .

(٢) المفردات (٤١) مادة : برّ .

(٣) عن الأعمش . المحرر الوجيز (٤٦٦/٣) .

(٤) فيها : الصلاح - وما أثبتناه من البحر (١٤٣/٣) .

(٥) هو محمود بن حمزة بن نصر الكرماني الذي سبقت ترجمته في ص من هذه الرسالة .

(٦) البحر (١٤٣/٣) .

(٧) نسبت ابن خالويه هذه القراءة إلى جناح بن حبيش ، وذكر أبو حيان القراءتين السابقتين . ونسب الثانية منهما إلى عيسى بن عمر . ابن خالويه (٢٤) ، والبحر (١٤٣/٣) ، وانظر المحرر الوجيز (٤٦٧/٣) .

(٨) هذه قراءة حمزة والكسائي ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٨٧) .

(٩) أي بتشديد التاء ، والبناء للمفعول في (وقتلوا) ، وهي قراءة ابن عامر ، وابن كثير والقراءة الأولى ، هي قراءة عمر بن عبد العزيز . والقراءة الثانية هي قراءة محارب بن دثار . والقراءة الثالثة هي قراءة طلحة بن مصرف . انظر البحر (١٥٤/٣) ، والمحرر الوجيز (٤٦٩/٣ - ٤٧٠) ، وراجع ابن خالويه (٢٤) .



يَغُرَّنَّك/١٩٦) قرىء بالنون الخفيفة[١] . **(ثم مأواهم/١٩٧)** الكرماني : « عطف بـ(ثم) ، لأن قبله **(متاعٌ قليلٌ /١٩٧)** ، وهو في الدنيا ، فالمأوى متراخ »[٢] ، وفي الرعد **(ومأواهم/١٨)** بالواو ، لأنه عطف على سوء الحساب ، وهما جميعاً في الآخرة ، فناسب الجمع . **(لكن الذين اتقوا ربهم/١٩٨)** لما تقدَّم الإخبار عن الكفار بأن لهم متاعاً قليلاً في الدنيا ، وأن مأواهم جهنم ، استدرك بلكن الإخبار عن المتقين بأمرين مقابلين لذينك الأمرين : أحدهما : مأواهم وهي الجنات ، والثاني : ذكر الخلود فيها . وفي قراءة **(لكن)** بالتشديد[٣] . **(نُزُلاً/١٩١)** نُصب على المصدر ، وهو ما يُعدّ للضيف من القِرى . وقرىء بتسكين الزاي[٤] **(من عند الله)** أُضيف إليه هنا وفيما تقدَّم للتشريف . **(وما عند الله خير للأبرار/١٩٨)** تذييل . **(وإن من أهل الكتاب/١٩٩)** الآية ، لما تقدَّم في الآيات السابقة ذمُّ أهل الكتاب ، ذكر المؤمنين منهمْ ومدحهم . **(لا يشترون/١٩٩)** تعريض بكَفَرَة أهل الكتاب الذين اشتروا بآياته عرضاً من الدنيا . **(سريع الحساب/١٩٩)** الطوفي : « مناسب لما قبله ، لما وعدهم بالأجر ، قرّب عليهم مدته » . **(يأيها الذين آمنوا/٢٠٠)** الآية . أبوحيان: « خُتمت هذه السورة بهذه الوصايا التي جمعت الظهور في الدنيا على العدو ، والفوز بنعيم الآخرة ، فأمر تعالى بالصبر والمصابرة والرباط ، فقيل : اصبروا وصابروا بمعنى واحد للتأكيد . وقيل : اصبروا على طاعة الله ، وصابروا أعداء الله بالجهاد ، ورابطوا في الثغور في سبيل الله »[٥] . الراغب : « اصبروا : احسبوا أنفسكم على العبادة »[٦] . **(ورابِطوا/٢٠٠)** جاء بعد **(وأموالكم)** . الكشاف : « المصابرة باب من الصبر ، ذُكر بعد الصبر على ما يجب عليه تخصيصاً ،

---

(١) عن ابن أبي اسحاق ويعقوب . البحر (٣/١٤٧) ، والمحرر (٣/٤٧١) .

(٢) إلى هنا هو الموجود بأسرار التكرار (٥٣) .

(٣) عن أبي جعفر بن القعقاع . ابن خالويه (٢٤) ، والمحرر (٣/٤٧٢) .

(٤) وبه قرأ الحسن ومسلمة بن محارب والأعمش . البحر (٣/١٤٧) .

(٥) البحر (٣/١٤٨ - ١٤٩) إلا أنه أسند القول الأخير إلى الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج .

(٦) المفردات (٢٧٤) - مادة : صبر .



لشـدته وصعوبته »[1]. وقد بيَّنْتُ في كتاب « مراصد الاطلاع في تناسب المقاطع والمطالع »[2]، أن كل سورة تناسب أولها وآخرها ، وهذه السورة افتُتحت بذكره إنزال القرآن والتوراة والإنجيل من قبلُ ، وخُتمت بذلك في قوله : **(وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أُنزل إليكم ، وما أُنزل إليهم/١٩٩)** .

---

(١) الكشاف (١/٤٩١) .
(٢)



فهارس الموضوعات



قسم التحقيق :



قطف الأزهار في كشف الأسرار

للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى

المتوفى سنة ٩١١ هـ

تحقيق ودراسة

د. أحمد بن محمد الحمادي

إصدار

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

دولة قطر

الجزء الثاني

سورة النساء

تقدمت الإشارة إلى مناسبة وضعها هنا ، وأقول : هذه السورة أيضاً شارحة لبقية مجملات سورة البقرة في آيات عديدة ، كآية اليتامى ، والوصية ، والمواريث ، والأنكحة ، ونكاح الأمة ، والصداق ، والخلع ، والقتال ، وفيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة تفسير: (الذين أنعمت عليهم/٧) في قوله: **(فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين/٦٩)** ، وأما أوجه اعتلاقها بآل عمران ، فمن وجوه ، منها : أن آل عمران خُتمت بالأمر بالتقوى ، وافتُتحت هذه السورة به ، وذلك من آكد وجوه المناسبات في ترتيب السورة ، وهذا نوع من أنواع البديع يسمى تشابه الأطراف[1] . ومنها أن سورة آل عمران ، ذُكرت فيها قصة أُحد مستوفاة ، وذُكر في هذه السورة ذيلها ، وهو قوله: **(فما لكم في المنافقين فئتين/٨٨)** ، فإنها نزلت لما اختلف الصحابة فيمن رجع من المنافقين عن غزوة أحد ، كما في الحديث[2] . ومنها أن في آل عمران ذكر الغزوة التي بعد أُحد[3] في قوله: **(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح/١٧٢)** الآيات ، وأُشير إليها هنا بقوله: **(ولا تهنوا في ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون/١٠٤)** الآية ، وبهذين الوجهين ، عُرف أن تأخير « النساء » عن « آل عمران » ، أنسب من تقديمها عليها في مصحف ابن مسعود ، لأن المذكور هنا ذَيْل ما في آل عمران ، وتابعه ولاحقه ، فكان بالتأخير أنسب ، ومنها أنه لما ذكر في آل عمران قصة خلق

---

(١) وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى .
الإيضاح (٣٤٤) ، والتلخيص (٣٥٤) ، وشروح التلخيص (٤/٣٠٣) ، والمطول (٤٢٠) ، والأطول (٢/١٨٨) ، ومعجم المصطلحات (٢/١٦٤) .

(٢) روى البخاري عن زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- : « (فمالكم في المنافقين فئتين) ، رجع ناس من أصحاب النبي -ﷺ- من أحد ، وكان الناس فيهم فريقين : فريق يقول: قتلهم ، وفريق يقول : لا . فنزلت (فمالكم في المنافقين فئتين) » .
البخاري (٥/١٨١) كتاب : تفسير القرآن - باب (١٥) .

(٣) وهي غزوة حمراء الأسد .
انظر الدر المنثور (٢/١٠١) ، وزاد المسير (١/٥٠٣) .



عيسى بلا أب ، وأقيمت له الحجة بآدم ، وفي ذلك تبرئة لأمه ، خلافاً لما زعمته اليهود ، وتقرير لعبوديته ، خلافاً لما ادَّعته النصارى ، ذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معاً ، فرد على اليهود بقوله : **(وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً/١٥٦)**، وعلى النصارى بقوله : **(لا تغلوا في دينكم/١٧١)** إلى قوله :**(لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله/١٧٢)** ، ومنها أنه لما ذكر في آل عمران **(إني متوفِّيك ورافعك إليّ/٥٥)** ردّ هنا على من زعم قتله بقوله : **(وقولهم إنا قتلنا المسيح/١٥٧)** الآية ، ومنها أنه لما قال في آل عمران: **(والراسخون في العلم يقولون آمنا به/٧)** ، قال هنا: **(لكن الراسخون في العلم منهم ، والمؤمنون/١٦٢)** الآية ، ومنها أنه لما قال في آل عمران: **(زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث/١٤)** ، فصّل هذه الأشياء في السور التي بعدها على نسق ما وقعت في الآية ، ليُعلم ما أحلَّ من ذلك فيقتصر عليه ، وما حرَّم فلا يتعدى إليه ، ففصَّل في هذه السورة أحكام النساء ومباحاتها ومحرماتها ، للابتداء بها في الآية ، والبنين فشرك البنات معهم في الإرث رداً لما كانوا يصنعون من تخصيص البنين بالميراث لحبهم لهم ، فكان ذلك تفصيلاً لما يحلّ ويحرم من إيثار البنين اللازم عن الحب ، ثم فسّر في سورة المائدة أحكام السرّاق وقطَّاع الطريق لتعلقهم بالذهب والفضة الواقع في الآية بعد النساء والبنين ، ووقع في هذه السورة إشارة إلى ذلك في قسمة المواريث ، ثم فصّل في سورة الأنعام أمر الحيوان والأنعام والحرث ، وهو بقية المذكور في الآية ، فانظر إلى هذه اللطيفة التي منّ الله بإلهامها ، وبَقِيت وجوه أخرى بينتُها في كتاب « تناسق الدرر في تناسب السور »[1].

أبوحيان: « وجه ارتباط أول السورة بآخر ما قبلها ، أنه أخبر في آخر تلك ، أن بعض المؤمنين من بعض في أصل التوالد ، فنبه في أول هذه على اتحاد الأصل ، وتفرّع العالم الإنساني منه ، ليحث على التوافق والتوادّ والتعاطف وعدم الاختلاف ، ولينبِّه بذلك على أن الجنس الإنساني كان عابداً لله ، مفرده بالتوحيد والتقوى ، طائعاً له ، فكذلك ينبغي أن تكون فروعه التي نشأت منه ، فنادى تعالى نداءً عاماً

---

(١)



للناس ، وأمرهم بالتقوى التي هي ملاك الأمر ، وجعل سبباً للتقوى تذكاره إياهم بأنه أوجدهم وأنشأهم من نفس واحدة ، ومن كان قادراً على مثل هذا الإيجاد الغريب الصنع ، فهو جدير بأن يُتقى »[1] ، فقال : (يـأيها الناس اتقوا ربكم/ ١) « قيل : وجعل هذا المطلع مطلعاً لسورتين: إحداهما هذه ، وهي الرابعة من النصف الأول ، والثانية سورة الحج ، وهي الرابعة من النصف الثاني ، وعلَّل هنا الأمر بالتقوى بما يدل على معرفة المبدأ ، وهناك بما يدل على المعاد ، وبدأ بالمبدأ ، لأنه الأول »[2] . (من نفسٍ واحدةٍ/ ١) أنّث مراعاة للفظ النفس . وقرىء (واحدٍ) بالتذكير[3] ، مراعاة للمعنى ، أو على أن النفس تذكَّر وتؤنَّث . (وخلق منها زوجها/ ١) في الأعراف : (وجعل منها زوجها/ ١٨٩) وهي تفننّ . (وبثَّ/ ١) الراغب : « أصل البَثّ : إثارة الشيء وتفريقه »[4] . (رجالاً كثيراً ونساءً/ ١) التنكير للشيوع ، وقدّم الرجال ، لفضلهم ، وخصّ (رجالاً) « بذكر الوصف بالكثرة ، قيل : على الحذف من الثاني اكتفاء . وقيل : تنبيهاً على أن اللائق بحالهم الاشتهار والخروج والبروز ، واللائق بحال النساء الاختفاء »[5] . وقرىء (وخالِقٌ) ، (وباثٌّ)[6] على تقدير: وهو. (واتقوا الله/ ١) « كرره تأكيداً للأول . وقيل : لاختلاف المتعلق ، وذكر أولاً الرب الذي يدل على الإحسان والتربية ، وثانياً : الله ، الذي يدل على القهر والهيبة جمعاً بين الترغيب والترهيب ، بادياً

---

(١) في البحر (٣/١٥٣) .
« . . . أنه تعالى لما ذكر أحوال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب والمؤمنين أولي الألباب ، ونبه تعالى بقوله : (إني لا أُضيعُ عَملَ عامِلٍ منكم) على المجازاة ، وأخبر أن بعضهم من بعض في أصل التوالد. . . . » ثم ذكر الكلام المذكور هنا .

(٢) البحر (٣/١٥٤) .

(٣) عن ابن أبي عبلة . البحر (٣/١٥٤) .

(٤) المفردات (٣٧) مادة : بث .

(٥) هذا نص صاحب البحر (٣/١٥٥) مع قليل من الاختصار .

(٦) عن خالد الحذّاء - كما في ابن خالويه (٢٤) .



بالترغيب »[١] . (**تساءلون/١**) بالتشديد والتخفيف[٢]. وقرىء (**تَسْأَلون**) مضارع سأل ، و(تَسَلون) بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على السين[٣]. (**والأرحام/١**) بالنصب عطفاً على الجلالة ، أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وبالجر[٤] عطفاً على الضمير المجرور، من غير إعادة الجار ، ويؤيده قراءة ابن مسعود : (وبالأرحام)[٥]. وكانوا يتناشدون بذكر الله والرحم ، وقرىء بالضم[٦]. (رقيباً/١) أي حافظاً . أبوحيان : « هو فعيل ، من رقب يرقب : أحدُّ النظر إلى أمر ليتحققه على ما هو عليه ، ويقترن به الحفظ »[٧]. الطوفي : « هو مناسب لما في سياقه من الوصية بتقوى الله ، وصِلة الأرحام ، أكّد ذلك بأَنْ أخبرهم أنَّهُ رقيبٌ عليهم ، مشاهدٌ لهم ليحتاطوا بمراعاة ما أمرهم به » . (**وآتوا اليتامى/٢**) مناسب لما تقدم من الأمر بوصل الأرحام . وفي (اليتامى) مجاز الكون[٨] . (**ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم/٢**) قيدٌ جيء به لتقبيح فعلهم ، لا للاحتراز ، كما في قوله : (**أضعافاً مُضاعفةً**)[٩] . (**حُوباً/٢**) مصدر بمعنى الإثم . وقرىء بفتح الحاء[١٠]، لغة تميم ، و(حاباً)[١١] وهما مصدران أيضاً . وقيل : الحوب بالفتح المصدر ، وبالضم

---

(١) هذه عبارة أبي حيان ، البحر (٣/١٥٥ - ١٥٦) مع قليل من الاختصار .

(٢) قراءة التخفيف هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي ، وقراءة التشديد هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٨٨) .

(٣) هذه قراءة ابن مسعود ، وابن عباس ، واليماني ، والقراءة السابقة هي قراءة الأعمش ، وابن مسعود أيضاً . البحر (٣/١٥٧) ، وابن خالويه (٢٤) .

(٤) قراءة الجر هي قراءة حمزة ، وقراءة النصب هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٨٨) .

(٥) ابن خالويه (٢٤) .

(٦) عن عبد الله بن يزيد ، البحر (٣/١٥٧) .

(٧) البحر (٣/١٥٠) باختصار .

(٨) أي باعتبار ما كانوا عليه لأنهم بعد البلوغ لا يعتبرون يتامى .

(٩) آل عمران (١٣٠) .

(١٠) عن الحسن وابن سيرين . ابن خالويه (٢٤) .

(١١) البحر (٣/١٦١) ، والدر المصون (٣/٥٥٦) دون تعيين من قرأ بذلك .



الاسم[1] . ﴿وإن خِفتم ألّا تُقْسِطوا في اليتامى/٣﴾ الآية . الكرماني : « طعن بعض أهل الإلحاد في تلفيق الآية ، وله وجوه :

أحدها : إن خفتم ألّا تقسطوا في إنكاح اليتامى ، فإن الأمر فيهن ، وفي مهورهن على المتزوج ضَيِّق ، فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم .

الثاني : إن خفتم ألّا تقسطوا في اليتامى ، وهمَّكُم ذلك ، فكذلك خافوا في النساء .

الثالث : إن خِفتم الحَيف والحَوب في إنفاقكم أموال اليتامى ، فقد حظرت عليكم أن تنكحوا أكثر من أربع .

الرابع : إن تحرّجتم عن أكل مال اليتيم ، فتحرجُّوا عن الزنى ، وانكحوا ما طاب لكم »[2] .

الزملكاني : « في الآية ليس آخر الكلام طِبقاً لأوله ، فلا يجوز في الظاهر أن يكون جواباً ، وتأويله : إن كنتم تتحرجون عن مخالطة اليتامى مخافة ألا تقسطوا ، فلم لا تتحرجون من ترككم الإقساط في أمر النساء ، لأن أحدكم كان يتزوج العشر والعشرين ، ثم لا يقسم بينهن ، وربما جار عليهن في المأكل والملبس والعشرة ، فكأنه قال : فإن تحرّجتم عن أمر اليتامى ، فتحرجوا عن أمر النساء ، فانكحوا ما طاب لكم منهن ، أي حلّ ، ثم بيّن ما حلّ ، بأن قال : ﴿مثنى ، وثُلاث ، ورُباع/٣﴾ ، ﴿فإن خفتم ألّا تعدلوا فواحدةً/٣﴾ أي فلينكح كل واحد واحدة ، ولو ذهب مذهب مثنى وثلاث ورباع ، لقال : أُحاداً ، ولم يقصد فيه الاستيعاب على جهة التفصيل » . انتهى . وقرىء ﴿تَقسطوا﴾ بفتح التاء[3] ، بمعنى عدل ، كما تقدم حكايته ، أو بمعنى جار ، وعلى زيادة لا ، وقرىء ﴿مَنْ طاب﴾ ،

---

(١) البحر (٣/١٥٠) .

(٢) العجائب (١/٢٨٠) باختصار .

(٣) عن ابن وثاب والنخعي . المحرر (٣/٤٨٩) ، وابن خالويه (٢٤) .



و (ما طِيب)[1] . (مثنى وثُلاثَ ورُباعَ/٣) هي معدولة عن اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، ولم يردِ بها التوكيد ، إنما أُريد تكرار العدد إلى غاية المعدود ، كقوله : بعيراً بعيراً ، وفصّلتُ لك الحساب باباً باباً . وقرىء (ثُنَى وثُلَث ، ورُبَع)[2] مقصورات من ثُناء ، وثُلاث ، ورُباع بحذف الألف . (فواحدةً/٣) بالنصب ، على تقدير : فانكحوا ، وبالرفع[3] على الابتداء ، والخبر مقدر ، أي كافية ، أو على الخبر ، والمبتدأ مقدر ، أي فحسبكم[4] . (أو ما ملكت أيمانكم/٣) هو من باب :

علَفْتُها تِبْناً وماءً بارِداً[5] .....

إذ لا يصح أن يُقدّر فيه فانكحوا ، فيقدّر : طؤوا . وقرىء (من ملكت)[6] . وأسند الملك إلى اليمين ، لأنها صفة مدح ، واليمين مخصوصة بالمحاسن . (تَعُولُوا/٣) من عالَ ، بمعنى : جار . وقيل : بمعنى كثُر عِياله ، ويؤيد الأول تقدُّم ألا تعدِلوا ، والعدل ضده الجور . وقرىء (تَعيلوا) بفتح أوله ، أي تفتقروا من العيلة ، ومن عال يعيل ، افتقر ، وبضمه[7] من أعال الرجل ، كثُر عِياله . (صَدُقاتهن/٤) صَدُقة ، بوزن سَمُرَة . وقرىء بضم وسكون الدال ، وقرىء بضمهما ، وقرىء (صدقتهن)

---

(١) القراءة الأولى هي قراءة ابن أبي عبلة ، والقراءة الثانية هي كذلك في مصحف أبيّ . المحرر (٣/٤٩٠) ، والبحر (٣/١٦٢) .

(٢) قراءة (وربع) هي قراءة النخعي ، وابن وثاب ، والقراءتان السابقتان مرويتان عن النخعي أيضاً - الدر المصون (٣/٥٦٥) . والبحر (٣/١٦٣) ، والمحرر (٣/٤٩١) .

(٣) قراءة الرفع هي قراءة عبدالرحمن بن هرمز ، والحسن . المحرر (٣/٤٩٢) .

(٤) الإعراب الأول هو توجيه ابن عطية في المحرر (٣/٤٩٢) .
والإعراب الثاني هو توجيه الزمخشري في الكشاف (١/٤٩٧) .
وانظر البيان (١/٢٤٢) ، والإملاء (١/١٦٦) .

(٥) البيت منسوب لذي الرمّة ، وليس في ديوانه ، وعجزه هو :
..... حتى شتت همّالة عيناها
الخصائص (٢/٣٢١) ، والإنصاف (٦١٣) ، والدرر (٢/١٦٩) .

(٦) عن ابن أبي عبلة . البحر (٣/١٦٤) .

(٧) هذه قراءة طاووس ، والقراءة السابقة هي قراءة طلحة .
البحر (٣/١٦٥ - ١٦٦) ، وراجع ابن خالويه (٢٤) .

بضمتين[1]. (**نِحْلَةً/٤**) الراغب: «النِّحْلَة: العَطِيَّة على سبيل التبرع، وهو أخص من الهبة، لأن كل نِحلة هِبة، ولا عكس، وسمى الصداق نِحلة، من حيث إنه لا يجب في مقابلته سوى التمتع دون عِوض مالي»[2]. أبوحيان: «النِّحلة: العطية عن طيب نفس، وهو مصدر لآتوا من معناه»[3]. (منه) «ذَكَّر الضمير مع عوده إلى الصدقات على معنى الصداق، أو إجراء للضمير مجرى الإشارة. وقيل: هو عائد إلى المال الدال عليه صدُقاتهن، وقيل: على الإيتاء الدال عليه (**وآتوا/٤**)»[4]. (**فكلوه/٤**) أمر إباحة. (**هنيئاً مريئاً/٤**) نصب على المصدر[5]، أو الحال[6].

الراغب: «الهنيء: كل ما لا تلحق فيه مشقة، ولا وخامة»[7]، والمريء: ما كان سائغاً لا تنغيص فيه. وقرىء بالإدغام فيهما[8]. (**ولا تُؤتُوا السفهاءَ أموالَكُمُ/٥**) قيل: الخطاب لأرباب الأموال، فالإضافة على حقيقتها. وقيل: للأولياء، والمراد السفهاء، وإضافتها إلى المخاطبين بها، على حدّ: (**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**)[9]، (**ولا تقتلوا أنفسكم**)[10][11]. أبوحيان: «لما أمر أولاً

---

(١) هذه قراءة يحيى بن وثاب، ورويت عن قتادة، والقراءة الأولى هي قراءة قتادة وأبي السمال، والقراءة الثانية هي قراءة أبي واقد. ابن خالويه (٢٤).

(٢) المفردات (٤٨٥) مادة: نحل. (٣) البحر (١٥٢/٣ - ١٦٦).

(٤) هذه الأقوال نقلها المؤلف باختصار عن البحر (١٦٦/٣ - ١٦٧).

(٥) أي نعت لمصدر محذوف، أي فكلوه أكلاً هنيئاً - كما في البحر (١٦٧/٣).

(٦) ذكر الزمخشري هذا الإعراب وسابقه، ولكنه ذهب إلى أن الحال هنا من الضمير. الكشاف (٤٩٩/١). وقد تعقب أبو حيان هذا القول بأنه: «قول مخالف لقول أئمة العربية، لأنه عند سيبويه وغيره منصوب بإضمار فعل لا يجوز إظهاره....» إلى أن قال: «وجماع القول في (هنيئاً)، أنها حال قائمة مقام الفعل الناصب لها، فإذا قيل: إن فلاناً أصاب خيراً، فقلت: هنيئاً له ذلك، فالأصل ثبت له ذلك هنيئاً، فحذف ثبت، وأقيم هنيئاً مقامه». البحر (١٦٧/٣).

(٧) إلى هنا هو الموجود في المفردات (٥٤٦) مادة: هنا.

(٨) أي (هنياً مرياً) دون همز، وهي قراءة الحسن بن أبي الحسن، والزهري. المحرر (٤٩٦/٣)، والبحر (١٦٧/٣).

(٩) البقرة (١٨٨). (١٠) النساء (٢٩).

(١١) انظر في القولين البحر (١٦٩/٣). والقول الثاني منهما ذكره الزمخشري أولاً - الكشاف (٥٠٠/١).



بإيتاء اليتامى أموالهم ، ثم بإيتاء النساء صدقاتهن ، وكان هذا عاماً ، خصَّصه بغير السفهاء »[1] . (التي/٥) قرىء (اللاتي) ، و(اللواتي)[2] . (قِياماً/٥) مصدر قام ، كالصيام . وفي قراءة (قِيَماً)[3] مصدر أيضاً. وقيل: جمع قيمة. وقرىء (قواماً) بكسر القاف وفتحها[4] ، و (قِوَماً) بالكسر[5] ، مصادر لم تُعَلّ . (وارزقوهم فيها/٥) أبو حيان : « لم يقل منها[6] ، تنبيهاً على ما قاله عليه السلام : « ابتغوا في أموال اليتامى ، كي لا تأكلها الصدقة »[7] ، فيكون الإنفاق عليهم من فضلاتها المكتسبة . وقيل : في ، بمعنى ، من »[8] . (بَلَغوا النكاحَ/٦) أي الحُلُم . (آنستم/٦) الراغب : « أبصرتم أُنْساً به »[9] . أبو حيان : « آنس كذا ، أحسّ به وشعر »[10] . وقرأ ابن مسعود (فإن أحستم)[11] أي أحسستم. (رُشداً/٦) قرىء بفتحتين وبضمتين[12] ، ونكرة كأن المراد نوع من الرشد ، وطرف ومخيلة من مخيلته ، ولا تنتظر تمام الرشد . (ولا تأكلوها/٦) عبرّ بالأكل عن الأخذ ، لأنه أعظم وجوه الانتفاع . (إسرافاً وبِداراً/٦) مصدران في موضع الحال. (أن يكبروا) نُصب

---

(١) البحر (١٧١/٣) باختصار .

(٢) ذكر السمين هذه القراءة دون نسبة . الدر المصون (٣/ ٥٨٠) . وأما القراءة الأولى هي قراءة الحسن والنخعي . البحر (١٦٩/٣) ، والمحرر (٤٩٧/٣) .

(٣) هذه قراءة نافع وابن نافع . حجة القراءات (١٩٠) .

(٤) القراءة بالفتح رويت عن أبي عمرو ، والقراءة بالكسر هي قراءة ابن عمر . المحرر (٤٩٨/٣) ؛ وابن خالويه (٢٤) .

(٥) حكاها الأخفش - كما في البحر (٣/ ١٧٠) .

(٦) في البحر (٣/ ١٧٠) : « قيل : وقال فيها ، ولم يقل منها . . . . » الخ .

(٧) في البحر (٣/ ١٧٠) : (ابتغوا في أموال اليتامى التجارة لا تأكلها الزكاة). والحديث رواه الطبراني بلفظ: (اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة) - فيض القدير (١/ ١٠٧) .

(٨) البحر (٣/ ١٧٠) باختصار قليل .

(٩) المفردات (٢٨) مادة : أنس .

(١٠) البحر (١٥٢/٣) .

(١١) المحرر الوجيز (٤٩٩/٣) .

(١٢) هذه قراءة الحسن ، والقراءة السابقة هي قراءة عيسى ، وأبي السمال ، وغيرهما . ابن خالويه (٢٤) ، والمحرر (٤٩٩) .



بـ(بداراً) . (فليستعفِف) قال أبوحيان : « هي أبلغ من فليعفّ ، لأن فيه طلب زيادة العِفَّة »[1] .

الراغب : « الاستعفاف : طلب العفة ، وهي حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة »[2]. (وكفى بالله) هو من زيادة الباء في الفاعل ، لأنه في معنى الأمر ، أي اكتفى بالله . (حسيباً/٦) أي كافياً . الراغب : « أي رقيباً يحاسبهم ، وأصله : المحاسب ، ثم عبّر به عن الكافي بالحساب »[3]. (فارزقوهم منه/٨) أي من الميراث ، أو المقسوم . (وَلْيَخْشَ الذين/٩) الآية ، قال ابن جني : « الأليق بما تقدم وما تأخر ، أن تكون من الآيات الواردة في الأيتام ، جعل تعالى آخر ما دعاهم به إلى حفظ مال اليتيم ، أن ينبههم على حال أنفسهم وذريتهم ، وذلك من أقوى البـواعث في هذا المقصـود على الاحتياط »[4]. وقـرىء بكسر الـلام في الأفعـال الثـلاثـة[5]. وقـرىء (ضعفـاً) بضمتين[6]، و(ضعافاً)[7] كسكارى ، و(ضعفاء) كظُرَفاء[8] . أبوحيان: « ترتيب هذه الأوامر أحسن ترتيب ، حيث بدأ أولاً بالخشية التي محلها القلب ، وهي الاحتراز من الشيء بمقتضى العلم ، وهي الحاملة على التقوى ، ثم بالتقوى ، وهي مسببة عن الخشية إذ هي جعل المرء نفسه في وقاية مما يخشاه ، ثم بالقول السديد[9] وهو[10] ما يظهر من الفعل الناشىء عن التقوى

---

(١) البحـر (٣/١٧٣) .

(٢) الذي في المفردات (٣٣٩ – مادة : عف) : « وهي حصول . . . . » .

(٣) المفردات (١١٧) مادة : حسب – بتصرف .

(٤) لم أعثر على هذا الكلام في المحتسب .

(٥) قرأ بذلك أبو حيوة وعيسى بن عمر والحسن والزهري .

(٦) عن أبي محيصـن .

(٧) وهي قـراءة عيسـى .

(٨) عن السلمي وأبي حيوة والـزهـري وابن محيصن وعائشة . انظر فيما سبق المحرر (٣/٥٠٦) ، والبحر (٣/١٧٨) ، وابن خالويه (٢٤) .

(٩) في (أ) : ثم بالقول السديد فقط ، بل .

(١٠) في (ب) : وهي .

الناشئة[1] عن الخشية ، ولا يُراد تخصيص القول السديد فقط ، بل المعنى على الفعل والقول السديدين ، وإنما اقتصر على القول لسهولته على الإنسان ، والسديد يقال بمعنى الفاعل ، وبمعنى المفعول »[2]. (إنما يأكلونَ/ ١٠) فيه وقوع « إن » وجزمها خبراً لإن ، وحسَّنه طول الكلام. (في بطونهم/ ١٠) تأكيد كما تقدم مثله في البقـرة[3]. (نـاراً/ ١٠) هو حقيقـة في الآخـرة . وقيل : من مجاز الأَوْل . (وسيصلونَ/ ١٠) بالبنـاء للفاعل وللمفعول[4]. وقرىء بضم الياء واللام ، مبنياً للفاعل من الرباعي ، وبالتشديد مبنياً للمفعول[5]. والصِّليُّ : السخن بقرب النار ، قالـه[6] أبـوحيان[7]. وقال الراغب : « أصله الإيقاد بالنار »[8]. الخليل : « صَليَ الكافر النار ، قاسى حرَّها »[9]. أبوحيان: «عبَّر بالصِّليِّ بالنار عن العذاب الدائم بها ، إذ النار لا تُذهب ذواتهم ، ولا تعدمهم بالكلية كما في الآية الآتية ، وجاء (يـأكلون/ ١٠) بدون سين ، (وسيصلون/ ١٠) بالسـين (**لأن الثـاني مؤخـرٌ إلى الآخرة ، والأول في الدنيا ، فأشبه الحال**)[10]. ولما كان لفظ نار مطلقاً ، قُيِّد في قوله: (سعيراً/ ١٠) ، وهو الجمر المتقد »[11].

---

(١) في (ب) : الخاشعة .

(٢) البحر (١٧٨/٣) باختصار .

(٣) وذلك في قوله : (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً ، أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليمٌ) البقرة (٧٤) .

(٤) هذه قراءة ابن‌عامر،وأبي بكر ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٩١) .

(٥) هذه قراءة أبي حيوة ، والقراءة السابقة هي قراءة ابن أبي عبلة . ابن خالويه (٢٤) ، والمحرر (٥١٠/٣) .

(٦) كلمة « قاله » ليست في (ب) .

(٧) البحـر (١٧٩/٣) .

(٨) المفردات (٢٨٥) مادة : صلا .

(٩) لم أعثر على ذلك فيما اطلعت عليه .

(١٠) ما بين القوسين غير موجود في البحر ، وإنما وجدت بدله : « فإن كان الأكل للنار حقيقة ، فهو مستقبل ، واستغنى عن تقييده بالسين بعطف المستقبل عليه وإن كان مجازاً ، فليس بمستقبل ، إذ المعنى : يأكلون ما يجر إلى النار ، ويكون سبباً إلى العذاب بها » . البحـر (١٧٩/٣) .

(١١) المرجع السابق .



الراغب : « السَّعر : التهاب النار ، والسُّعار : حَرُّ النار ، وسَعُرَ الرجل : أصابه حرّ ، والسعير : الجحيم ، فعيل ، بمعنى مفعول »[1] . **(يوصيكُمُ الله/١١)** أبوحيان : « لما أبهم في قوله : **(نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربونَ/٧)** في المقدار والأقربين ، بيّن في هذه الآية المقادير ، ومن يرث من الأقربين ، وبدأ بالأولاد وأورثهم من والديهم ، كما بدأ بهم في قوله : **(للرجالِ نصيبٌ مما تركَ الوالدانِ/٧)** ، وقدَّم الذكر لفضله »[2] . وعبرَّ بلفظ الإيصاء ، لأنه أبلغ وأدل على الاهتمام ، وطلب حصوله بسرعة . وقرىء بالتشديد[3] . **(في أولادكم/١١)** أي أولاد موتاكم ، لأنه لا يخاطب الحي بقسمة الميراث في أولاده . **(لِلذَّكَرِ/١١)** قرىء (أن للذكر)[4] **(فإن كُنَّ/١١)** عائد إلى ما دلّ عليه للأولاد من الإناث . **(فوقَ اثنتين/١١)** قيل : بظاهره ، وأن للاثنتين النصف[5]. والجمهور على أن للبنتين أيضاً الثلثين ، فقيل : (فوق) زائدة . وقيل : بيّن هنا حكم ما فوق الثنتين ، والواحدة من البنات ، وسكت عن حكم الثنتين ، وبيّن في آخر السورة حكم الواحدة من الأخوات ، والثنتين ، وسكت عما فوقهما ، فوجب إلحاق المسكوت في كل آية بالمنطوق في الأخرى[6] .

قال الزملكاني : « ذكر من كل من الآيتين ما كفَّ عن ذكره في الأخرى ، فوجب حمل كل واحدة منهما فيما أمسك عنه فيها ، على ما ذكر في غيرها » .

---

(١) المفردات (٢٣٣) مادة : سعر .

(٢) البحر (١٨٠/٣) .

(٣) عن أبي الدرداء وأبي رجاء . ابن خالويه (٢٥) .

(٤) عن إبراهيم بن أبي عبلة . المحرر (٥١٢/٣) .

(٥) وقد روي ذلك عن ابن عباس - كما في البحر (١٨٢/٣) .

(٦) هذا معنى قول ابن كثير ، وقد ردّ على من قال بزيادة **(فوق)** بأنه غير سليم ، وأنه ليس في القرآن شيء زائد ، لا فائدة فيه ، ثم إن قوله : **(فلهن ثلثا ما ترك)** ، لو كان المراد ما قالوه ، لقال : **فلهما ثلثا ما ترك** .
تفسير القرآن العظيم (٤٥٨/١) .
وعلى هذا فإن الراجح هنا هو قول الجمهور .
وهو ما نصره ابن العربي ، وإليه ذهب الشنقيطي .
أحكام القرآن (٣٣٦/١) ، وأضواء البيان (٣٧٠/١) .



وقرىء بسكون ثاني **(ثلْث)** و **(ثلْثا)** ، و (ربْع) و **(سدْس)**[1] **(وإن كانت واحدة/١١)** بالنصب على أنَّ ؛ كانَ ناقصة ، وبالرفع على أنها تامة[2]. **(النصف)** قرىء بضم النون[3]. **(ولأبويه)** فيه تغليب . **(لكل واحدٍ منهما)** بدل تفصيل ، إذ لولا هذا البدل ، لفُهم اشتراكهما في السدس ، وهو أبلغ وآكد مما لو قيل : لكل واحد من أبويه السدس ، إذ تكرَّر ذِكرهما مرتين : مرة بالإظهار ، ومرة بالإضمار ، ولو كان التركيب : ولأبويه السدسان ، لأوهم الترجيح في المقدار بين الأبوين ، فكان هذا التركيب في غاية النصيّة والفصاحة . **(فلأمه الثلث/١١)** فيه اكتفاء ، أي والباقي وهو الثلثان للأب ، وفي قراءة بكسر الهمزة[4]، لغة هوازن وهُذَيل. **(فإن كان له إخوةٌ)** فيه إطلاق الجمع على الاثنين فصاعداً . **(من بعد وصيةٍ يُوصي بها أو دينٌ/١١)** قدَّم الوصية على الدَّين -وإن كانت مؤخرة عنه شرعاً- لأنها لكونها مندوبة قد يغفل عنها ويتهاون بها ، فأُفيد بالتقديم الاهتمام ، و(من) متعلقة بمحذوف ، أي يستحقون ذلك ، كما فصَّل . **و(يوصى)** بالبناء للفاعل والمفعول[5]. **(آباؤكم وأبناؤكم)** إلى آخره ، الزجاج : « معنى الكلام أن الله تعالى تولّى قسمة المواريث على ما هو عنده حكمة ، ولو وكل ذلك إليكم ، لم تعلموا أيهم أنفع لكم ، فتضعون الأمر على غير حكمة ، ولهذا أتبعه بقوله: **(إن الله كان عليماً حكيماً/١١)** أي عليمٌ بما يصلح لخلقه ، حكيمٌ فيما فرض »[6].

ابن عطية : « هذا تعريض للحكمة في ذلك ، وتأنيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة »[7].

الطوفي : «الفاصلة مناسبة لما في الآية من توزيع الفروض على أهلها ،

(١) عن الحسن ونعيم بن ميسرة . ابن خالويه (٢٥) .

(٢) قراءة الرفع هي قراءة نافع ، وقراءة النصب هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٩٢) .

(٣) عن علي ، وزيد بن ثابت ، والسلمي . المحرر (٣/٥١٤) .

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي . حجة القراءات (١٩٢) .

(٥) هذه قراءة ابن كثير، وابن عامر، وأبي بكر، والقراءة السابقةهي قراءة البقية . حجة القراءات (١٩٣) .

(٦) معاني القرآن (٢/٢٤) بتصرف .

(٧) المحرر (٣/٥١٨) .



وتخصيص بعضهم بالقليل ، وبعضهم بالكثير ، وذلك يستدعي علماً وحكمةً » ، قال: « وحكى أبو علي النسفي[1] عن مشايخه : أن حبراً من النصارى سمع هذه الآية فصاح صيحة ، ثم أسلم ، فسئل عن ذلك ، فقال : إني تأمَّلْتُ هذه القِسمة ، فعرفتُ أنه لا يهتدي إلى مثلها إلا العليم الحكيم » . **(ولكم نصفُ/١٢)** لما ذكر تعالى ميراث الفروع والأصول ، أخذ في ذكر المفضلين بالنسب ، وبُدىء بخطاب الرجال لشرفهم. **(يُورثُ/١٢)** بالبناء للمفعول مخففاً ومشدداً[2]. **(كلالةً)** الزمخشري : « هي في[3] الأصل مصدر بمعنى الكلال ، وهو ذهاب القوة من الإعياء ، فاستُعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد ، لأنها بالإضافة إلى قرابتهما ، كالّة ضعيفة »[4]. الراغب : « الكلالة : مصدر يجمع الوارث والموروث جميعاً ، وتسميتها بذلك ، إما لأن النسب كَلَّ عن الملحوق به ، أو لأنه قد لحِق به بالعرض من أحد طرفيه »[5]. **(وله أخٌ أو أختٌ/١٢)** زاد ابن أبي وقاص[6] في قراءته **(من أمٍّ)** ، وفي قراءة أُبيّ **(من الأم)** [7]. **(فإن كانوا)** فيه تغليب ضمير الذكور . **(يُوصَىٰ بها)** الضمير عائد على رجل ، كما عاد إليه ضمير **(وله أخٌ)**. وقيل: إلى المعنى . وفي قراءة بالبناء إلى المفعول[8]. وقرىء**(غيرَ مُضارِّ ، وصيةٍ)**[9] بإضافة **(مُضارِّ)** إلى **(وصيةٍ)** اتساعاً ، على حدّ : يا سارق الليلة أهل الدار . **(والله عليمٌ حليمٌ/١٢)** الطوفي: « هو مناسب لما في الآية ، أي والله عليم بصواب ما

---

(١)

(٢) قراءة التشديد هي قراءة عيسى بن عمر الثقفي . المحرر (٥٢١/٣) .

(٣) في (أ) : من .

(٤) الكشاف (٥١٠/١) .

(٥) المفردات (٤٣٧) مادة : كل .

(٦) هو سعد بن أبي وقاص ، مالك بن أهيب القرشي الزهري ، صحابي جليل ، أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو الذي فتح العراق ، توفي سنة ٥٥هـ . الرياض النضرة (٣٩٢/٢ - ٣٠١) ، وتاريخ الخميس (٤٩٩/١) ، والإصابة : ترجمة رقم (٣١٨٧) .

(٧) انظر في هذه القراءة والقراءة السابقة المحرر (٥٢٣/٣) ، والبحر (١٩٠/٣) .

(٨) وهي قراءة ابن كثير ، وابن عامر ، وأبي بكر . حجة القراءات (١٩٣) .

(٩) عن الحسن بن أبي الحسن . المحرر (٥٢٤/٣) .



فصّل من أحكام الفرائض ، حليم عمن ضارّ في وصيته .
فرهَّبَ من المضارة بالنهي عنها ، ولم يقنط من التجاوز ، باتصافه بالحلم » .
الإمام : « لما وصف نفسه بقوله: (عليم) ، وفيه إشارة إلى المجازاة على المضارَّة ، أعقب ذلك بالصفة الدالة على الصفح ، وذلك عادة أكثر القرآن ألا يذكر ما يدل على العقاب إلا ويردف بما يدل على العفو »[1]. (تلكَ حدودُ اللّهِ/١٣)الآيتين، لما قسم المواريث ، أشار إلى أنها حدود لا يجوز تعدّيها ، ثم قسم الناس إلى عامل بها مطيع ، وإلى غير عامل ، عاص ، وبدأ بالمطيع ، لأن الغالب على من كان مؤمناً بالله ، الطاعة ، ولأن قسم الخير ينبغي أن يُبتدأ به ، ويعتنى بتقديمه .

وفي الآيتين ثلاث مقابلات ، وفيهما مراعاة لفظ من تارة ، ومعناها أخرى ، والقراءة (يُدخلهُ) في الموضعين بالياء[2] والنون[3]، ففيهما على الثانية ثلاث التفاتات .

الراغب : « وصف الفوز بالعظيم ، اعتباراً بفوز الدنيا الموصوف بقوله: (متاعُ الدنيا قليلٌ)[4]، والصغير والقليل في وصفها متقاربان »[5] .

أبو حيان : « غلّظ في قسم المعاصي ، إذ لم يكتف بالعصيان ، بل أكَّد ذلك بقوله : (ويتعدَّ حدودَهُ/١٤) . وناسب الختم بالعذاب المهين ، لأن العاصي المتعدي للحدود برز في صورة من اعترّ وتجاسر على معصية الله ، وقد تقلّ المبالاة بالشدائد ما لم ينضم إليها الهوان ، ولهذا قالوا : المَنِيّة ولا الدَنِيّة . قيل : وأفرد (خالداً) في العاصي ، وجمع في الطائع ، لأن[6] العاصي يدخل النار وحيداً ، وأهل

(١)
(٢) أي في الآيتين (١٣ ، ١٤) .
(٣) القراءة بالنون هي قراءةنافع ،وابن عامر ، والقراءة بالياء هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٩٣) .
(٤) النســـاء (٧٧) .
(٥) البحــر (١٩٢/٣) .
(٦) في البحر (١٩٢/٣) .
« لأن أهل الطـاعة أهل الشفاعة ، وإذا شفع في غيره دخلها ، والعاصي لا يدخل النار به غيره ، فبقي وحيداً » .



الجنة يدخلون الجنة زمراً »[1]. الكرماني : « قال هنا : **(وذلك الفوزُ العظيمُ/١٣)** بالواو ، وفي براءة بغير واو[2] ، لموافقة ما قبل وما بعد من قوله : **(ومن يُطعِ/١٣)** ، **(ومن يعصِ/١٤)**. وفي براءة **(أعدَّ اللّهُ/٨٩)** بغير واو ، فناسب تركها »[3].

(واللاتي يأتين الفاحشةَ/١٥) أبوحيان : « مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما أمر بالإحسان إلى النساء بذكر إيتاء صدُقاتهن وتوريثهن ، وقد كُنَّ لا يُورثْنَ في الجاهلية ، ذكر التغليظ عليهن فيما يأتينه من الفاحشة ، وهو في الحقيقة إحسان إليهن ، إذ هو من مصالح دينهن وآخرتهن ودنياهن أيضاً ، وأنه تعالى لما ذكر حدوده المشار بها إلى جميع ما وقع من أول السورة إلى موضع الإشارة ، وكان في مبدأ السورة التحصُّن بالتزويج ، وإباحة ما أباح من نكاح أربع ، استطرد بعد ذلك إلى حكم من خالف ما أمر الله به من النكاح من الزواني ، وقدَّمهن على الرجال لأنهن أدخل في باب الشهوة ، [ولهذا قُدِّمت في آية **(الزانية والزاني)**[4] وإن كانت الآية الآتية في اللواط ، فوجه التقديم ظاهر ، لأن الزنى أكثر منه خصوصاً عند العرب ، فلم يكونوا يعرفونه][5]. وأطلق على الزنى اسم الفاحشة لزيادته في القبح على كثير من القبائح ، وإن كان القتل والكفر أكبر منه لكونه أخسّ أنواع الفساد »[6]. وقرىء **(بالفاحشة)**[7]. **(واللَّذان/١٦)** بتخفيف النون وتشديدها[8]. وقرىء بالهمزة والتشديد[9] . وقرأ ابن مسعود (والذين يفعلونه)[10]. **(تواباً رحيماً/١٦)** الطوفي : « مناسب لقوله : **(فإن تابا وأصلحا، فأعرضوا عنهما/١٦)** ».

---

(١) المرجع السابق .

(٢) براءة (٨٩) .

(٣) أسرار التكرار (٥٤) باختصار .

(٤) النور (٢) .

(٥) ما بين القوسين زيادة من المؤلف نفسه ، ليست في البحر .

(٦) البحر (١٩٤/٣) باختصار وتصرف .

(٧) عن ابن مسعود . المحرر (٥٢٦/٣) .

(٨) هذه قراءة ابن كثير ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٩٣ - ١٩٥) .

(٩) ابن خالويه (٢٥) ، والبحر (١٩٧/٣) دون نسبة .

(١٠) البحر (١٩٧/٣) .



(إنَّما التوبةُ/١٧) أي قبولها. (على الله/١٧) عبّر بعلى للتأكيد. وقيل: هي بمعنى: عند[1]. (فأولئك يتوبُ اللّهُ عليهم/١٧) لما ذكر أن قبول التوبة عليه، ذكر أنه يتعطَّف عليهم فيرحمهم، ولذلك اختلف متعلقا التوبة، حيث قيل في الأول: (على الله)، وفي الثاني: (عليهم). (يعملون السيئات/١٨) جيء بالمضارع دون الماضي إشارة إلى الإصرار. (ولا الذين/١٨) بلا النافية. وقرىء بلام الابتداء[2]، مبتدأ خبره (أولئك/١٨). (أعتدنا/١٨) فيه التفات. (يأيها الذين آمنوا/١٩) الآية، عود إلى قصة النساء بعد الاستطراد منها إلى ذكر فاحشة الرجال المقابلة لفاحشة النساء، ثم قصة التوبة المتصلة بقوله: (فإن تابا وأصلحا/١٦). (كرهاً/١٩) بفتح الكاف وضمها[3]. (ولا تعضُلُوهُنَّ/١٩) خطاب للأزواج بعد خطاب وارثي الأزواج، وهو يحتمل الجزم والنصب، ويؤيد الثاني قراءة ابن مسعود: (ولا أن تعضلون)[4] (مُبَيِّنَةٍ/١٩) بفتح الياء وكسرها[5]. (فعسى أن تكرهوا شيئاً/١٩) علّق الكراهة بلفظ شيء دون ضميرهن، لقصد العموم. (ويجعلَ اللّهُ/١٩) فيه التفات. (وإن أردتم/٢٠) الآية، لما أذن في أخذ شيء منهن إذا أتينَ بفاحشة، بيَّن تحريمه في غير حال الفاحشة، وأقام الإرادة مقام الفعل فكأنه قال: وإن استبدلتم، وهذا عكس الصنيع المشهور من إقامة الفعل مقام الإرادة. (وآتيتم إحداهن قِنطاراً/٢٠) فيه مبالغة، وحملا على معنى زوج. وقرىء بوصل ألف (إحداهن)[6]. (بُهتاناً/٢٠) أصله[7] الكذب الذي يواجه به الإنسان صاحبه على جهة المكابرة، فيبهت المكذوب عليه، أي يتحيرّ، ثم سُمِّي

---

(١) انظر البحر (١٩٧/٣)، والجامع (٩١/٥)، وقد نسب الألوسي القول الأخير إلى الطبرسي. روح المعاني (٢٣٨/٤).

(٢) البيان لابن الأنباري (٢٢٤٧/١) دون نسبة.

(٣) قراءة الضم هي قراءة حمزة، والكسائي، وقراءة النصب هي قراءة البقية. حجة القراءات (١٩٥).

(٤) المحرر (٥٤٣/٣).

(٥) قراءة الفتح هي قراءة ابن كثير، وأبي بكر، وقراءة الكسر هي قراءة البقية. حجة القراءات (١٩٦).

(٦) عن ابن محيصن. المحرر (٥٤٧/٣).

(٧) في (ب): أصله فيه.

كل باطل يُتَحَيَّر من بطلانه بهتاناً . (**أفضى/٢١**) أبوحيان : « الإفضاء إلى الشيء : الوصول إلى فضاء منه ، أي سعة غير محصورة ، وكنّى به عن الجماع »[١] . (**ميثاقاً غليظاً/٢١**) الزمخشري : « وصف بالغلظ لقوته وعِظمه »[٢] وإسناد الأخذ إليه مجاز . (**ولا تَنكِحُوا/٢٢**) الآية ، هي متصلة بقوله : (**لا يحل لكم أن ترثوا النساء كَرهاً/١٩**) ، لأن سبب نزولها من كان من العرب يتزوج امرأة أبيه كرهاً منها[٣][٤] . (**ومقتاً/٢٢**) الراغب : « المقت : البغض الشديد لمن تراه متعاطياً بقبيح »[٥] . أبو حيان : « المقت : بغض مقرون باستحقار ، حصل بسبب أمر قبيح »[٦] . (**حُرِّمَتْ عليكم أُمهاتُكم/٢٣**) لما تقدم تحريم نكاح امرأة الأب وليست أمّاً ، كان تحريم الأم أولى ، فوصل به مع ما استتبعه . (**وبناتُ الأخ وبناتُ الأخت/٢٣**) أفرد المضاف إليه اكتفاءً بجمع المضاف ، طلباً للخِفَّة . (**وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ، وأخواتكم من الرضاعة/٢٣**) ذكر من الرضاع قمسين ، وإن كان المحرم منه أيضاً سبعاً ، تنبيهاً على الباقي ، فالأمهات يُستدل بها على قرابة الأولاد ، والأخوات يُستدل بها على قرابة العمّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت . وأخَّر الرضاع عن النسب ، لكونه دونه . وقرىء (التي) و(اللاتي) و(الرضاعة) بالكسر[٧] . (**اللاتي في حجوركم/٢٣**) صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها ، ولذا لم يذكر له مفهوماً ، كما ذكر مفهوم قوله : (**اللاتي دخلتم بهن/٢٣**) (**وحلائلُ/٢٣**) جمع حليلة ، وهي الزوجة ، لأنها تَحِلُّ مع الزوج حيث حلّ ، بمعنى فاعلة . وقيل : هي من لفظ

(١) البحر (١٩٣/٣) إلا قوله : « وكنى به . . . . » الخ .

(٢) الكشاف (٥١٤/١) .

(٣) كلمة « منها » ليست في (أ) .

(٤) روى الواحدي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال :
كانوا إذا مات الرجل ، كان أولياؤه أحق بامرأته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاؤوا زوجوها ، وإن شاؤوا لم يزوجوها ، وهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية في ذلك . أسباب النزول (١٠٨) .

(٥) المفردات (٤٧٠) مادة : مقت .

(٦) البحر (١٩٣/٣) .

(٧) القراءة الأولى هي قراءة ابن هرمز ، والقراءة التالية هي قراءة عبد الله ، والقراءة الأخيرة هي قراءة أبي حيوة . البحر (٣١١/٣) .



الحلال ، فهي بمعنى محلّلة . أبو حيان : « الحليلة اسم يختص بالزوجة دون ملك اليمين »[1]. (الـذين من أصلابكم/٢٣) وصف يرفع المجاز الذي يحتمله لفظ أبنـائكم ، إذ كانـوا يطلقـونـه على من يتبنَّونه . (إن الله كان غفوراً رحيماً/٢٣) الطوفي : « مناسب لقوله:(إلا ما قد سلف/٢٣) ، لأن ذلك مغفور ، إذ الإسلام يَجبُّ ما قبله . (والمحصنـاتُ/٢٤) عطف على المحـرمـات . والإحصان أصله المَنع ، ومنه الحِصْن ، ثم استُعمل بمعنى التزوج كما هنا ، وبمعنى العِفَّة كما في (محصنـاتٍ غير مسـافحـاتٍ)[2]، (أحصنت فرجَها)[3]، وبمعنى الحرية ، كما في (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب)[4]، وبمعنى الإسلام .

الراغب : « لم يُقرأ هنا إلا بالفتح ، لأن المراد المزوَّجات دون العفيفات . وقرىء في غيره بالفتح والكسر لاحتمال الأمرين »[5]، وقرىء هنا بضم الصاد[6] اتباعاً لضمة الميم . (كتابَ اللّهِ عليكم/٢٤) نصب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة من قوله: (حُرِّمتَ عليكم/٢٣) . وقيل : على الإغراء[7]. وقرىء (كتب) بصيغة الماضـي ، ورفع الجلالة[8]، و(كُتُب) بصيغة الجمع ، مرفوعاً[9]، أي هذه كتب الله

---

(١) البحـر (٣/١٢٣) .

(٢) النســاء (٢٥) .

(٣) الأنبيـاء (٩١) ، والتحريم (١٢) .

(٤) النســاء (٢٥) .

(٥) المفردات (١٢١) مادة : حصـن .
والقول بأن المراد من المحصنات هنا هم المزوجات ، هو ما ذهب إليه ابن كثير . تفسير القرآن العظيم (١/٤٧٣) .

(٦) عن يزيد بن قطيب . المحرر (٢/٦) .

(٧) القول الأول هو قول سيبويه - كما في إعراب القرآن للنحاس (١/٤٤٥) ، وإليه ذهب ابن الأنباري في البيان (١/٢٤٩) .
وهو اختيار ابن عطية في المحرر (٢/٧) .
وإليه ذهب أبو حيان ، ورد القول الثاني الذي هو قول الكسائي ثم ذكر أن الذي يؤكد التأويل الذي ذهب إليه ، قراءة (كتب الله . . . .) فهنا هو فعل ماض رافع ما بعده ، أي كتب الله عليكم تحريم ذلك . البحـر (٣/٢١٤) .

(٨) عن أبي حيوة ، وابن السميفع . المحرر (٧٤) ، وابن خالويه (٢٥) .

(٩) رويت عن ابن السميفع . البحر (٣/٢١٤) .



عليكم ، أي فرائضه ولازماته . **(وأحل لكم/٢٤)** بالبناء للفاعل والمفعول[١] . **(ما وراءَ ذلِكُم)** أي سِواه . **(أن تبتغـوا)** بدل من **(مـا)** . **(مُحصِنينَ)** حال . **(غيرَ مُسافِحين)** حال مؤكـدة ، لأن الإحصـان لا يجامـع مع السفاح ، ففيه طباق . الكـرمـاني : « قال هنا ذلك ، وكذا في المائدة[٢] وفي الآية الآتية **(مُحصناتٍ غيرَ مُسـافحاتٍ/٢٥)** ، لأن ما هنا راجع إلى الرجال الناكحين ، وما سيأتي راجع إلى النساء المنكوحات[٣] . **(فما استمتعتم به منهن)** زاد أُبيّ وابن عباس في القراءة **(إلى أجلٍ مسمىً)**[٤] . **(أُجُورَهُنَّ)** استعارة في المهور ، إذ حقيقتها ما بذل على عمل . **(فريضةً)** حال ، أو مصدر لآتوهن[٥] . **(إن الله كان عليماً حكيماً/٢٤)** الطوفي : « مناسب لما هو في سياقه ، من تحريم المحرمات وإحلال ما عداهن ، لأن ذلك لا يصـدر إلا عن علم وحكمة ، ولا ينفذ إلا من حاكم ماضِ الحكم » . **(ومَن لم يَستطِعْ/٢٥)** لما فرغ من ذكر المحرمات والمباحات ، شرع فيما يحِلّ في حال ، ويحرُم في حال . **(طَوْلاً)** سعة في المال . **(أن ينكحَ المحصنات)** المراد هنا الحرائر. **(فمما)** أي فلينكـح مما. (فتياتِكم) جمع فتـاة ، وأصلها الحديثة السن ، ثم كنّى بها عن الرقيقة . قاله الراغب[٦]، والإضافة فيه على حدّ ما تقدم في **(أموالكم/٥)** ، إذ ليس المعنى أن الرجل ينكح فتاة نفسه . **(والله أعلمُ بإيمانكم)** جملة معترضة مناسبة لذكر المؤمنـات ، وغلب فيهـا خطاب المـذكـور . **(بعضُكُم من بعضٍ)** جملة أخـرى معترضة ، قصد بها التأنيس بنكاح الإماء ، وأن الأحرار والأرقاء ، كلهم متواصلون متناسبون ، يرجعون إلى أصل واحد ، وقد اشتركوا في الإيمان ، وقد كانت العرب

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي وحفص ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٩٨) .

(٢) المائدة (٥) .

(٣) وبقية كلام الكرماني هو :

« وما في المائدة في الكتابيات ، فقال : **(ولا متخذي أخدان)** حرمة للحرائر المسلمات ، لأنهن إلى الصيانة أقرب ، ومن الخيانة أبعد ، ولأنهن لا يتعاطين ما يتعاطاه الإماء والكتابيات من اتخاذ الأخدان » . أسرار التكرار (٥٥) .

(٤) المحـرر (٤/٩) .

(٥) انظر الإملاء (١/١٧٥) ، والبيان (١/٢٥٠) ، وروح المعاني (٥/٥) .

(٦) المفردات (٣٧٣) مادة : فتى - بمعناه .



تستنكف عن نكاح الإماء وتستهجنه . (**غيرَ مسافحاتٍ**) أي معلنات بالزنى . (**ولا متخذاتِ أخدانٍ**) أي مسرّات به ، الراغب : « الأخدان : جمع خدن ، وهو المصاحب ، وأكثر ما يستعمل ذلك في من يصاحب بشهوة »[١] . (**فإذا أُحْصِنَّ**) قيل : المراد : أسلمن . وقيل : تزوجن ، فلا مفهوم[٢] للشرط على هذا[٣] . والقراءة بالبناء للفاعل والمفعول[٤] . (**فإن آتينَ**) هو من اعتراض الشرط على الشرط . (**المحصناتِ**) المراد الحرائر . (**ذلك**) إشارة إلى نكاح الأَمَة . (**وأَن تَصبروا**) أي عن نكاح الإماء ، وحذف لقصد العموم . (**والله غفورٌ رحيمٌ/ ٢٥**) الطوفي : « مناسب لما هو في سياقه من إحلال نكاح الأَمَة . ومن تخفيف عذابها بالنسبة إلى الحرة » . (**ليبيِّن لكم ويهديكم/٢٦**) قيل : معناهما واحد ، والحقُّ التفرقة . (**والله عليمٌ حكيمٌ/٢٦**) الطوفي : « مناسب لما في الآية ، لأن بيان الأحكام الظاهرة الحكمة ، لا يكون إلا من عالمٍ حكيمٍ » . (**والله يريد أن يتوبَ عليكم/٢٧**) قيل : تكرار للتأكيد . وقيل : عُلِّقَت الإرادة بالتوبة أولاً على سبيل العليّة ، وثانياً على سبيل المفعول ، فقد اختلف التعلقان ، فلا تكرار ، وكما أراد سبب التوبة ، فقد أراد التوبة عليهم ، إذ قد يصح عليهم إرادة السبب دون الفعل[٥] . ابن عطية : « تكرار إرادة التوبة على عباده تقوية للإخبار الأول ، وليس المقصد في الآية إلا الإخبار عن إرادة الذين يتبعون الشهوات ، فقدِّمت إرادة الله توطئة لفساد إرادة متبعي

---

(١) المفردات (١٤٤) مادة : خدن .

(٢) في (ب) : ولا مفهوم .

(٣) القول الأول هو قول الجمهور - على ما في المحرر الوجيز (١٨/٤) .
والقول الثاني هو قول ابن عباس وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة .
وهو ما استظهره ابن كثير ، لأن سياق الآية يدل عليه ، حيث يقول سبحانه وتعالى : (**ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكحَ المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات**) . تفسير القرآن العظيم (٤٧٦/١) .

(٤) القراءة بالبناء للفاعل هي قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر . والقراءة بالبناء للمفعول ، هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٩٨) .

(٥) وهو قول أبي حيان . البحر (٢٢٦/٣) .



الشهوات »[1]، وأكَّد فعل الميل بالمصدر على سبيل المبالغة ، ولم يكتفِ حتى وصفه بالعِظم ، لأن الميول مختلفة ، ورُتِّب علاجها متفاوتة ، ومَيْل هؤلاء أبعد الميول معالجة . وجاءت الجملة الأولى اسمية ، لأنها أدل على الثبوت ، ولتكرير اسم الله فيها مظهراً ومضمراً ، والثانية فعلية ، لأن إرادتهم تتجدد في كل وقت. الراغب : « الواو في الثانية للحال ، لا للعطف تنبيهاً على أنه يريد التوبة عليكم في حال ما تريدون أن تميلوا ، فخالفَ[2] بين الإخبارين ، في تقديم المخبر عنه في الجملة الأولى ، وتأخيره في الثانية ، ليبيِّن أن الثاني ليس على العطف »[3]. وقرىء (**يميلوا**) بالغيبة ، عوداً على (**الذين**) و (**ميلًا**) بفتح الياء[4]. الراغب : « الميل : العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين ، ويُستعمل في الجَوْر ، ومنه (**فلا تميلوا كل المَيْل**)[5]، ومِلْتُ عليه : تحاملتُ عليه ، ومنه :(**فيميلون عليكم مَيْلَةً واحدةً**)[6]، والمال سُمي بذلك لكونه مائلًا أبداً وزائلًا ، وإذا استُعمل المَيْل في الأجسام ، قيل في ما كان خِلقة مَيَل ، وفي ما كان عَرَضاً مَيْل »[7]. (**يريد الله أن يخفف عنكم/٢٨**) جملة مستأنفة . وقيل : حال من الجملة السابقة[8]. (**وخُلِق الإنسان ضعيفاً/٢٨**) أي في أمر النساء . وقرىء (خلق) بالبناء للفاعل[9]. (**يأيها الذين آمنوا/٢٩**) الآية ، أبو

---

(١) المحرر الوجيز (٤/٢٢) .

(٢) في (ب) : فالحافا .

(٣) ذكر أبو حيان كلام الراغب المذكور هنا ، ثم علّق عليه بأنه ليس بجيد ، لأن إرادته تعالى التوبة علينا ، ليست مقيدة بإرادة غيره الميل ولأن المضارع باشرته الواو ، وذلك لا يجوز ، وقد جاء منه شيء نادر يؤوّل على إضمار مبتدأ قبله ، لا ينبغي أن يحمل القرآن عليه ، لا سيا إذا كان للكلام محمل صحيح ، فصيح ، فحمله على النادر تعسف ولا يجوز . البحر (٣/٢٢٧) .

(٤) هذه قراءة الحسن ، والقراءة السابقة هي قراءة عيسى بن عمر . البحر (٣/٢٢٧) ، وابن خالويه (٢٥) .

(٥+٦) النسـاء (١٢٩) ، (١٠٢) .

(٧) المفـردات (٤٧٨) مادة : ميل .

(٨) ضعّف أبو حيان هذا الإعراب ، لأنه قد فصل بين العامل والحال بجملة معطوفة على الجملة التي في ضمنها العامل ، وهي جملة أجنبية من العامل والحال ، فلا ينبغي أن تجوز إلا بسماع من العرف ، ولأنه رفع الاسم الواقع حالًا الاسم الظاهر ، وينبغي أن يرفع ضميره ، لا ظاهره. . . » . ثم استحسن القول الأول . البحر (٣/٢٢٧ - ٢٢٨) .

(٩) عن ابن عباس ومجاهد - كما في المحرر الوجيز (٤/٢٣) . وراجع ابن خالويه (٢٥) .



حيان : « مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما بيّن كيفية التصرف في النفوس بالنكاح ، بيّن كيفية التصرف في الأموال الموصلة إلى النكاح ، وإلى ملك اليمين ، وأن المهور والأثمان المبذولة في ذلك لا تكون مما مُلِكَتْ بالباطل ، والباطل كل طريق لم يبحه الشرع »[1]. وإضافة الأموال إلى المخاطبين للملابسة كما تقدم . **(إلا أن تكون)** الاستثناء منقطع . **(تجارةً)** بالرفع والنصب[2]، على أن اسمها مضمر يعود على الأموال ، أو تفسره التجارة. **(ولا تقتلوا أنفسكم)** قيل : على حقيقته . وقيل : مجازاً ، أي لا يقتل بعضكم بعضاً ، أضاف القتل إلى أنفسهم ، لأنهم كنفس واحدة . وقرىء **(تقتلوا)** بالتشديد[3]. **(إن الله كان بكم رحيماً/ ٢٩)** الطوفي : « مناسب للنهي عن قتل أنفسهم ». زاد أبوحيان : « وعن أكل الحرام ، ولبيان جهة الحِلّ التي بها قوام الأنفس وحياتها ، وقيل : **(رحيماً)** حيث لم يكلفكم قتل أنفسكم حين التوبة كما كلّف بني إسرائيل ذلك ، ويؤيده الاختصاص المفهوم من تقديم **(بكم)** »[4]. **(ومن يفعل ذلك/ ٣٠)** إشارة إلى ما وقع النهي عنه في الآية قبلها ، من أكل الحرام ، وقتل الأنفس . وقيل : إلى الثاني خاصة ، لأنه أقرب مذكور . وقيل : إلى ما سبق النهي عنه ، من قوله : **(لا يحل لكم أن ترثوا النساء كَرهاً/ ١٩)** إلى هنا[5]. **(عدواناً/ ٣٠)** وقرىء بكسر العين[6]. **(وظلماً)** وقيل : هو من عطف المرادف . **(نصليه)** بضم النون ، من أصلاه ، قرىء بفتحها من صلاه ، وقرىء

---

(١) البحر (٣/ ٢٣٠) .

(٢) قراءة النصب هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي ، وقراءة الرفع هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٩٩) .

(٣) عن علي والحسن والسلمي . المحرر (٤/ ٢٨) ، والبحر (٣/ ٢٣٢) ، وابن خالويه (٢٥) .

(٤) البحر (٣/ ٢٣٢) باختصار وتصرف .

(٥) انظر في هذه الأقوال البحر (٣/ ٢٣٢) . والقول الثاني هو اختيار الزمخشري . الكشاف (١/ ٥٢٢) .
والقول الثالث هو ما استصوبه الطبري ، لأن كل ما نهي عنه من أول السورة ، قرن به وعيد ، إلا من قوله : **(يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً)**، فإنه والنواهي بعده لا وعيد معها ، إلا قوله : **(ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً)** .
جامع البيان (٨/ ٢٣٠) ، وانظر المحرر (٤/ ٢٩) .

(٦) البحر (٣/ ٢٣٣) دون نسبة ، وكذا الدر المصون (٣/ ٦٦٤) .



بالضم والتشديد ، وفيها التفات ، وقرىء بالياء على نسق ما تقدم[1] . (على الله/٣٠) فيه التفات على القراءة المشهورة. (إن تجتنبوا/٣١) الآية ، أبوحيان : « مناسبة الآية لما قبلها ظاهرة ، لأنه تعالى لما ذكر الوعيد على فعل بعض الكبائر ، ذكر الوعد على اجتناب الكبائر[2] . (كبائرَ) قرىء (كبير) بالتوحيد[3] .

(نكفِّر) بالياء والنون[4] ففيه على الثاني التفات . (سيآتِكم) قرىء بزيادة من[5] . (وندخلكم) بالياء والنون[6] . (مدخلاً/٣١) بضم الميم مصدر ، وبفتحها مكان[7] . (ولا تتمنوا/٣٢) أبوحيان: « مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما نهى عن أكل المال بالباطل ، وعن قتل الأنفس ، وكان ما نهى عنه مراعاة إلى التبسُّط في الدنيا ، والعلو فيها ، وتحصيل حطامها ، نهاهم عن تمني ما فضّل به بعضهم على بعض ، إذ التمني لذلك سبب مؤثر في تحصيل الدنيا ، وتشوّق النفس إليها بكل طريق ، فلم يكتف بالنهي عن تحصيل المال بالباطل ، وقتل الأنفس ، حتى نهى عن السبب المحرّض على ذلك ، وكانت المبادرة إلى النهي عن المسبب ، آكد لفظاعته ، فبُدىء به ، ثم اتّبع بالنهي عن السبب حسماً لمادة المسبّب ، وليوافق العمل القلبي العمل الخارجي فيستوي الباطن والظاهر في الامتناع عن الأفعال القبيحة »[8] . (فضّل الله/٣٢) فيه التفات . (واسألوا الله من فضله) لما نهاهم عن تمني ما فضّل به بعضهم ، أمرهم أن يعتمدوا في المزيد عليه ، والقراءة (سلوا) لغة

---

(١) القراءة بالفتح هي قراءة الأعمش ، وحميد ، والنخعي ، والقراءة الثانية حكاها الزجاج ، والقراءة الثالثة ذكرها أبوحيان دون نسبة . ابن خالويه (٢٥) ، والمحرر (٤/ ٢٩) ، والبحر (٣/ ٢٣٣) .

(٢) البحر (٣/ ٢٣٣) .

(٣) عن ابن مسعود ، وابن جبير . المحرر (٤/ ٣٠) .

(٤) قراءة النون قرأ بها المفضل عن عاصم . المحرر (٤/ ٣٠) .

(٥) عن ابن عباس . المحرر (٤/ ٣٠) .

(٦) القراءة بالنون قرأ بها المفضل عن عاصم . المرجع السابق .

(٧) قراءة الفتح هي قراءة نافع ، وقراءة الضم هي قراءة البقية . حجة القراءات (١٩٩ - ٢٠٠) .

(٨) البحر (٣/ ٢٣٥) .



الحجاز ، (واسألوا)[1] لغة تميم . (بكل شيءٍ عليماً/٣٢) الطوفي : « مناسب لأول الآية وهو النهي عن التمني ، أي أن الله عليم بما يصلحكم ، فربّ مُتَمَنٍ ما أُعطيه غيره ، وفيه فساد حاله » ، قال : « وليس مناسباً لقوله: (واسألوا الله من فضله) ، لأن صفة القدرة به أنسب ، إذ هي المؤثرة في العطاء ، وإجابة السؤال لا العلم » . (ولكلٍّ جعلنا/٣٣) فيه التفات ، وفيه عَود إلى قصة المواريث ، وارتباط بقوله: (للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا ، وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن/٣٢) . (عاقدت) في قراءة (عقدت/٣٣) مخفف ومشدد[2]، وفي إسناده إلى الإيمان مجاز ، والمراد به الحَلِف . وقيل : الزوجية . وقيل : الولاء . وقيل : الوصية[3]. (إن الله/٣٣) فيه التفات .

(شهيداً/٣٣) مناسب للعقد والمعاقدة ، قاله الطوفي . (الرجالُ قوّامونَ/٣٤) له اعتلاق بقوله: (ولا تتمنوا ما فضلّ الله به بعضَكم على بعضٍ/٣٢) ، والمراد ببعضهم هنا الرجال ، وببعض النساء ، وعدل عن الضميرين ، فلم يأت بما فضّلهم الله عليهن ، لما في ذكر بعض من الإبهام الذي لا يقتضي عموم الضمير ، فرُبّ أنثى فضلت ذكراً . (بما حفظ الله/٣٤) برفع الجلالة ، أي بحفظ الله إياهن ، أي بتوفيقه ، وبنصبها[4] فـ(ما) موصولة ، وفي (حفظ) ضميرها ، أي بالطاعة والبر الذي حفظ الله في امتثال أمره . (واللاتي) مقابل الصالحات. (فعِظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) فيه الترقي . وقرىء (المضجع) بالإفراد[5]. (إن الله كان عَليّاً كبيراً/٣٤) الطوفي : « مناسب لأول الآية وآخرها ،

(١) القراءة الأولى هي قراءة ابن كثير،والكسائي ، والقراءة الثانية هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٠٠ - ٢٠١) .

(٢) هذه قراءة أم سعد بنت سعد بن الربيع ، ومبشر بن عبيد - كما في مختصر ابن خالويه (٢٦) . والقراءة السابقة هي قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي . وأما القراءة الأولى فهي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٠١) .

(٣) وقد ذهب الطبري ،وابن عطية إلى اختيار القول الأول . جامع البيان (٢٨١/٨) ، والمحرر (٤٠/٤) .

(٤) هذه قراءة أبي جعفر بن القعقاع . المحرر (٤٣/٤) ، وابن خالويه (٢٦) .

(٥) عن عبد الله ، والشعبي ، وإبراهيم النخعي . ابن خالويه (٢٦) ، والبحر (٤٥/٣) .



لأن قيام الرجال على النساء فيه نوعٍ استعلاء ، وطلب السبيل عليهن بعد الطاعة بغي عليهن ، والبغي فيه علُو وتكبر ، فنهاهم عن ذلك ، وأخبرهم أنه هو العلي الكبير المستحق للاتصاف بهاتين[1] الصفتين لا غيره » . **(وإن خفتم/٣٥)** خطاب للأولياء والحكام ، بعد خطاب الأزواج . **(شِقاقَ بينهما)** أصله شقاقاً بينهما ، فأُضيف اتساعاً . **(إن يريدا إصلاحاً ، يوفِّقِ الله بينهما)** الكرماني : « الضميران يحتملان أربعة أوجه : عودهما للحكمين وللزوجين ، والأول للحكمين ، والثاني للزوجين ، وعكسه »[2]. **(عليماً خبيراً/٣٥)** الطوفي : « مناسب لما في الآية ، أي عليم بمصلحة الزوجين في مشروعية الخلع ، وبعث الحكمين ، خبير بما هو الأَوْلى بهما في معاشهما ، فلذلك شرعه لهما ، ليكون طريقاً إلى التخلُّص من سوء العشرة ، وإحدى الصفتين مؤكدة للأخرى ، غير أن (خبيراً) أبلغ من عليم ، من جهة الاشتقاق » . أبوحيان : « عليم بمقصد الحكمين ، وكيف يوفّق بين المختلفين[3]، خبير بخفايا ما ينطقان به في أمر الزوجين »[4] **(واعبدوا الله/٣٦)** أبوحيان : « لما ذكر قيام الرجال على النساء ، والإنفاق عليهن ، استطرد إلى الإحسان للوالدين ، ومن ذكر معهما ، حثًّا على الإحسان ، واستطراداً لمكارم الأخلاق ، وافتتح التوصل إلى ذلك بالأمر بإفراد الله بالعبادة ، إذ هي مبدأ الخير ، الذي تترتب الأعمال الصالحة عليه ، ونظيره **(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ، لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً)** »[5][6]. **(وبالوالدين إحساناً)** قرىء (إحسانٌ) على الابتداء والخبر[7].

---

(١) في (ب) : بهذين .

(٢) العجائب (١/٢٩٥) مختصراً .

(٣) في البحر (٣/٢٤٤) : « عليم بما يقصد الحكمان ، وكيف يوفقا بين المختلفين » .

(٤) المرجع السابق .

(٥) البقرة (٨٣) .

(٦) البحر (٣/٢٤٤) مختصراً .

(٧) عن ابن أبي عبلة .
البحر (٣/٢٤٤) .

(وبذي القربى) أعاد الباء هنا ، دون آية البقرة[1] ، لأن هذه في حق هذه الأمة ، وتلك في حق بني إسرائيل ، فزيدت هنا تأكيداً ومبالغة ، لأن الاعتناء بهذه الأمة أكثر من الاعتناء بغيرها . (والجار ذي القربى/٣٦) قرىء (ذا القربى)[2] بالنصب على الاختصاص ، تنبيهاً على عِظم حقه لإدلائه بحق الجوار والقربى . (والجارِ الجُنُب) أي البعيد . وقرىء بفتح الجيم وسكون[3] النون بمعناه ، وفيه طباق . (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً /٣٦) أبو حيان : « نفى تعالى محبته عمن اتصف بهاتين الصفتين : الاختيال ، وهو التكبر ، والفخر ، وهو عدّ المناقب على سبيل التطاول بها والتعاظم على الناس ، لأن من اتصف بهاتين الصفتين حملتاه على الإخلال بمن ذكر في الآية ممن يكون لهم حاجة إليه »[4] .

وقال أبو رجاء[5] : « لا تجد سيء المَلَكة[6] ، إلا وجدته مختالاً فخوراً ، ولا عاقاً إلا وجدته جباراً شقياً »[7] .

وقال الزمخشري : « المختال : التيَّاه الجهول ، الذي يتكبرّ عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه »[8] .

وقال غيره : « ذكر تعالى الاختيال ، لأن المختال يأنف من ذوي قرابته إذا كانوا فقراء ، ومن جيرانه إذا كانوا ضعفاء ، ومن الأيتام لاستضعافهم ، ومن المساكين

---

(١) وهو قوله تعالى :
(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين . . . .) . الآية (٨٣) .
(٢) عن أبي حيوة ، وابن أبي عبلة . المحرر (٤/٥٢) .
(٣) المفضل عن عاصم . ابن خالويه (٢٦) .
(٤) البحر (٣/٢٤٥) .
(٥) هو عبد الله بن واقد بن الحارث ، أبو رجاء الهروي الخراساني ، وثقه أحمد وابن معين ، توفي سنة ١٦٠هـ . تهذيب التهذيب (٦/٦٤) ، والمقتنى في سرد الكنى (١/٢٣٥) .
(٦) في (أ) : الملائكة .
(٧) البحر (٣/٢٤٥) .
(٨) الكشاف (١/٥٢٦) .



لافتقارهم ، ومن ابن السبيل ، لبعده عن أهله وماله ومن مماليكه لأسرهم في يده »[1] .

قال أبو حيان : « تظافرت النقول على أن ذكر هاتين الصفتين في آخر الآية ، إنما جاء تنبيهاً على أن من اتصف بالخيلاء والفخر ، يأنف من الإحسان للأصناف المذكورين ، وأن الحامل له على ذلك اتصافه بهما .

والذي يظهر لي ، أن مساقهما غير هذا المساق الذي ذكروه ، وذلك أنه تعالى لما أمر بالإحسان للأصناف المذكورة ، وكان[2] في العادة أن من اتصف بمكارم الأخلاق ، يجد في نفسه خيلاء وافتخاراً بما صدر منه من الإحسان ، وكثيراً ما افتخرت العرب[3] بذلك وتعاظمت به في نثرها ونظمها ، أراد الله تعالى ، أن ينبه على التحلِّي بصفة التواضع ، وألا يرى لنفسه شفوفاً[4] على من أحسن إليه ، وألا يفخر عليه »[5]. الراغب : « الخيلاء : التكبر عن تخيّل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه »[6]، « والفخر : المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان ، كالجاه والمال »[7].

(الذين يبخلون/٣٧) « قيل : لما أمر تعالى بالإحسان إلى من ذكر على سبيل اتباع أمر الله ، بيَّن أن من لا يفعل ذلك قسمان : أحدهما : البخيل ، الذي لا يقدم على إنفاق المال البتة ، حتى أفرط في ذلك وأمر بالبخل ، والثاني : الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، لا لغرض أمر الله وطاعته ، وذمّ القسمين ، فأعقب الأول بقوله : **(وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً/٣٧)** ، وأعقب الثاني بقوله : **(ومن يكن الشيطان له قريناً/٣٨)** »[8]. الراغب : « لم يُرِدِ البخل بالمال فقط ، بل بجميع ما

---

(١) البحـر (٣/٢٤٥) .

(٢) في (أ) : وكانت .

(٣) كلمة « العرب » ليست في (أ) .

(٤) من الشَّفّ ، وهو الفضل والزيادة . اللسان : مادة : شفف .

(٥) البحـر (٣/٢٤٦) .

(٦) المفردات (١٦٢) مادة : خيل .

(٧) المفردات (٣٧٤) مادة : فخر .

(٨) هذا كلام أبي حيان في البحر (٣/٢٤٦) نقله عنه المؤلف بقليل من الاختصار .

فيه نفع للغير »[1]. والقراءة بالبخل بضم الباء، وسكون الخاء، لغة الحجاز، وبفتحهما[2] لغة أسد. وقرىء بفتح الباء وسكون الخاء[3]، لغة تميم. و(**الذين/٣٧**) بدل من (**من/٣٧**). وقيل: من (**مختالاً/٣٦**). وقيل: صفة لـ(**من**). وقيل: خبر هم مقدراً[4]. (**وأعتدنا/٣٧**) فيه التفات، وأصله: أعددنا، قُلبت الدال تاءً. (**ومن يكنِ الشيطان/٣٨**) أبوحيان: « لما ذكر تعالى من اتصف بهذه الأوصاف الذميمة، ذكر أنها من نتائج مقارنة الشيطان ومخالطته وملازمته للمتصف بذلك »[5]. وقال الزمخشري: « يجوز أن يكون وعيداً لهم بأن الشيطان يُقْرَن بهم في النار »[6]. ووقع الترقي في ذكر هذه الأوصاف، من الشديد للأشد. (**وكان الله بهم عليماً/٣٩**) الطوفي: « مناسب لقوله: (**وماذا عليهم لو آمنوا بالله/٣٩**) إلى آخره، ولمناسبته توجيهان: أحدهما: أنهم لو آمنوا وأنفقوا، لما ضيّعت لهم ذلك، لأني أعلم حالهم فأجازيهم عليه. الثاني: أنهم إنما لم يؤمنوا وينفقوا، لتعلُّق علم الله بأنهم أشقياء لا يؤمنون، وخلاف معلوم الله محال ». (**إن الله لا يظلم مثقالَ ذرةٍ/٤٠**) أبوحيان: « مناسبتها لما قبلها واضحة، لأنه تعالى لما أمر بالإحسان، ثم أعقب بذم الباخلين، ذكر في هذه عدله وجزاءه على الحسنات والسيئات، وضرب مثلاً لأخفّ الأشياء وزن ذَرَّة، وذلك مبالغة عظيمة في التنزيه عن الظلم، وقد قيل: إن الذَّرَّة لا وزن لها، وأنه امتحن ذلك، فلم يكن لها وزن »[7]. وقرأ ابن مسعود (**مثقالَ نملةٍ**)[8]. الراغب: « المثقال: ما يوزن به »[9].

---

(١) البحر (٣/٢٤٦).

(٢) قراءة الفتح هي قراءة حمزة والكسائي، والقراءة السابقة هي قراءة البقية.

(٣) عن ابن الزبير وقتادة. المحرر (٤/٥٨).

(٤) انظر في هذه الأقوال: البحر (٣/٢٤٧)، والإملاء (١/١٧٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/٤٥٥)، والبيان لابن الأنباري (١/٢٥٣).

(٥) البحر (٣/٢٤٨).

(٦) الكشاف (١/٥٢٧).

(٧) البحر (٣/٢٥١) إلا أن فيه:
« .... ثم أعقب ذلك بذم البخل والأوصاف المذكورة معه، ثم وبخ من لم يؤمن ولم ينفق في طاعة الله .... ». وباقي الكلام - الذي قبل هذا وبعده - هو كما ذكره المؤلف هنا مع قليل من الاختصار.

(٨) البحر (٣/٢٥١).

(٩) المفردات (٨٠) مادة: ثقل.

(وإن تكُ حسنةً/٤٠) بالرفع والنصب[١]. (يضاعِفها) ، وفي قراءة (يُضعّفها)[٢]، قال أبـوعبيدة: « ضاعف : يقتضي مراراً كثـيرة ، وضعّف يقتضي مرتـين »[٣]. « وقيل : عكسه »[٤]. وقرىء (نضعفها) بالنون[٥] على الالتفات . (فكيف/٤١) خبر محذوف ، أي حالهم (إذا جئنا) فيه التفات . (من كل أمةٍ بشهيدٍ) فيه حذف ، أي على أمته . (يومئذٍ يودُّ/٤٢) الآية ، تفسير للحال المذكور . (وعَصَوُا الرسولَ) فيه التفات من الخطاب في (تك) . (تُسَوّى بهم الأرض) .

الكرماني : « من باب القلب ، لأنهم ودوا أن يصيروا مثل الأرض ، لا أن تصير الأرض مثلهم »[٦]، والقراءة (تسوّى) بالبناء للمفعول[٧]، و(تسوى) بالبناء للفـاعـل ، مخفف السين ومشددها[٨]. (ولا يكتمون الله حديثاً) قال الكرماني : « متصـل بالتمني أي بعـد ما نطقت جوارحهـم »[٩]. وقيل : استئنـاف[١٠]، وفيه التفات . (يأيها الذين آمنوا/٤٣) أبو حيان: « مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما أمر بعبادته ، والإخلاص فيها ، وببِر الوالدين ومكارم الأخلاق ، وذم البخل ، واستطرد منه إلى شيء من أحوال القيامة ، وكان قد وقع من بعض المسلمين تخليط في الصـلاة التي هي[١١] رأس العبـادة ، بسبب شرب الخمـر ، ناسب أن يخلِّص

(١) قراءة الرفع هي قراءة نافع وابن كثير ، وقراءة النصب هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٠٣) .
(٢) هذه قراءة ابن كثير وابن عامر ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٠٣) .
(٣) مجاز القرآن (١/١٢٧) مختصراً .
(٤) قاله أبو حيان في البحر (٣/٢٥١) .
(٥) عن ابن هرمز . ابن خالويـــه (٢٦)
(٦) العجائب (١/٢٩٧) .
(٧) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم . حجة القراءات (٢٠٣) .
(٨) قراءة التخفيف هي قراءة حمزة والكسائي ، وقراءة التشديد هي قراءة نافع وابن عامر . حجة القراءات (٢٠٤) .
(٩) العجائب (١/٢٩٧) .
(١٠) انظر المحرر (٤/٦٨ - ٦٩) .
(١١) كلمة « هي » ليست في (أ) .



الصلاة من شوائب الكدر التي توقعها على غير وجهها ، فأمر تعالى بإيتائها[1] على وجهها دون ما يفسدها ، ليجمع لهم[2] بين إخلاص[3] عبادة الحق ومكارم الأخلاق التي بينهم ، وبين الخلق »[4] . (**لا تقربوا الصلاة/٤٣**) تُطلق حقيقة على العبادة المعروفة ، ومجازاً على مواضعها ، وهي المساجد ، ومنه (لَهُدِّمَت صوامِعُ وبِيَعٌ وصَلَوَاتٌ)[5] فأُطلقت هنا مراداً بها المعنيان على سبيل الاستخدام ، فيخدم المعنى الأول (**وأنتم سكارى**) ، ويخدم الثاني (**ولا جنباً**) ، ولهذا عدل عن لا تصلوا -مع اختصاره- لأن القربان هو المناسب للمعنى الثاني ، مع ما يفيده من الأبلغية بالنسبة إلى المعنى الأول .

وقرىء (**سكارى**) بفتح السين ، و(**سكرى**) بالفتح والضم[6] ، جموع .

الراغب : « السُّكر : حالة تعترض بين المرء وعقله ، وأكثر ما يُستعمل ذلك في الشراب ، وقد يعتري من الغضب[7] والعشق »[8] .

أبو حيان : « السُّكْر انسداد طريق التمييز »[9] . « وقد قيل : إن المراد هنا السُّكْر من النوم ، وقيل : من الهَوْل ، وهما بعيدان »[10] . وجنب : اسم جرى مجرى

---

(١) بالبحر : بإتيانها .

(٢) كلمة « لهم » ليست في (أ) .

(٣) في (أ) : إصلاح .

(٤) البحر (٣/٢٥٥) .

(٥) الحج (٤٠) .

(٦) القراءة الأولى رويت عن عيسى ، والقراءة الثانية عن إبراهيم النخعي ، والقراءة الثالثة عن الأعمش .
ابن خالويه (٢٦) .

(٧) في (أ) : الشراب .

(٨) المفردات (٢٣٦) مادة : سكر .

(٩) البحر (٣/٢٥٠) .

(١٠) في البحر (٣/٢٥٥) .
« وقال الضحاك : المراد السكر من النوم . . . . وقال عبيدة السلماني : المراد بقوله : (**وأنتم سكارى**) إذا كنتم حاقنين. . . . » ثم قال أبوحيان : « واستضعف قول الضحاك وعبيدة ، واستبعد » .
هذا ، و الجمهور على أن المراد : وأنتم سكارى من الخمر .
البحر (٣/٢٥٥) .



المصدر ، يستوي فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث . الراغب : « سُميت جنابة ، لكونها سبباً لتجنب الصلاة في حكم الشرع »[١]. **(عابري سبيلٍ/٤٣)** الراغب : « أصل العَبْر : تجاوز من حال إلى حال ، فأما العبور ، فيختص بتجاوز الماء ، إما بسباحة أو سفينة أو على بعير ، أو قنطرة »[٢]. **(من الغائط)** قرأ ابن مسعود (من الغَيْطِ)[٣]، على أنه مصدر ، إذ قالوا : غاط ، يغيط ، أو على أن أصله فيعل ، ثم حذف كمَيْت . **(أو لامستم)** القراءة بألف ودونها[٤]، فالأولى للجماع ، والثانية لما دونه . أبو حيان : «لما كان المرض والسفر ولمس النساء لا يفحش الخطاب بها ، جاء على سبيل الخطاب ، ولما كان قضاء الحاجة يفحش الخطاب به ، نزع به إلى لفظ الغائب بقوله: **(أو جاء أحدٌ/٤٣)** ، مع الكناية عن الحاجة بالغائط ، وهذا أحسن الملاحظات ، وأجمل المخاطبات »[٥].

الزمخشري : « فإن قلت : كيف نظم في سلك واحد بين المرض والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين ، والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة ، والحدث سبب لوجوب الوضوء ، والجنابة سبب لوجوب الغسل ؟ .

قلت : أراد سبحانه أن يرخِّص للذين وجب عليهم الطهر ، وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب ، فخصَّ أولاً من بينهم مرضاهم وسفرهم ، لأنهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم ، لكثرة المرض والسفر ، وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة ، ثم عمّ كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو ، أو سبع ، أو عدم آلة استقاء ، أو ارتفاق في مكان لا ماء فيه ، أو غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر »[٦].

(١) المفردات (١٠٠) مادة : جنب .
(٢) المفردات (٣٢٠) مادة : عبر .
(٣) ابن خالويه (٢٦) .
(٤) القراءة من غير ألف هي قراءة حمزة والكسائي ، والقراءة بألف هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٠٤ - ٢٠٥) .
(٥) البحر (٣/٢٥٩) بتصرف .
(٦) الكشاف (١/٥٢٩) .



أبو حيان : « هذا من باب الترقي من الأقل إلى الأكثر ، لأن حالة المرض أقل من حالة السفر ، وحالة السفر أقل من حالة قضاء الحاجة ، وحالة قضاء الحاجة أقل من حالة لمس المرأة »[١] . **(صعيداً)** الراغب : « الصعيد يقال لوجه الأرض . وقيل : يقال للغبار الذي يصعد من الصعود »[٢] . **(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم/٤٣)** قيل : المراد إلى المناكب ، لأنه مدلولها لغة . وقيل : إلى المرفقين ، كما في الوضوء . وقيل : إلى الكوعين ، كما في السرقة[٣] . الكرماني : « زاد في المائدة **(منه/٦)** ، وتركها هنا ، لأن هذه الآية مبنيّة على الاختصار فحسُن الحذف ، وآية المائدة استوعبت جميع أقسام الطهارة ، فحسُن الإثبات »[٤] لما فيها من إفادة شرط في التيمم ، وهو اتصال بعض التراب بالبدن ، وعبرّ عن هذا بعضهم ، بأن آية المائدة سيقت لبيان أحكام الطهارة بطريق القصد ، وهذه سيقت للنهي عن قربان الصلاة ، وذكر الطهارة فيها على وجه التبع . **(إن الله كان عفواً غفوراً/٤٣)** قال الزمخشري : « كناية عن الترخيص والتيسير ، لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخطّائين ويغفر لهم ، آثر أن يكون ميسِّراً غير معسِّرٍ »[٥] . الطوفي : « هو مناسب لإزالة المشقة بإباحة التيمم عند فقد الماء » . **(ألم ترَ إلى الذين أُوتوا/٤٤)**

---

(١) البحر (٣/٢٥٩) إلا أن في بدايته : « ومن يحمل اللمس على ظاهره يقول . . . » ثم ذكر ما هو مذكور هنا .

(٢) المفردات (٢٨٠ - ٢٨١) مادة : صعد - بتصرف واختصار .

(٣) القول الأول هو قول ابن شهاب ومحمد بن سلمة .
والقول الثاني هو قول أبي حنيفة ، والشافعي في الجديد ، وهو مشهور مذهب مالك ، والقول الثالث هو قول أحمد ، والشافعي في القديم ، وهو مروي عن مالك ، وهو اختيار الطبري .
الجامع (٥/٢٣٩) ، والبحر (٣/٢٦٠) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٠٤ - ٥٠٥) ، وجامع البيان (٨/٤١٩) ، وبداية المجتهد (١/٦٨) .
ولعل الأرجح هنا ، هو القول الأخير ، لما ورد في صحيح مسلم من حديث عمار -رضي الله عنه- : (إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك) . مسلم (١/٢٨٠ - ٢٨١) كتاب الحيض - باب التيمم .

(٤) إلى هنا الموجود في « أسرار التكرار » (٥٥) .

(٥) الكشاف (١/٥٢٩) .



أبوحيان : « هو عَود إلى قصة الكفار التي كان الكلام فيها بعد الاستطراد »[1]. (**نصيباً**) الراغب : « النصيب : الحظ المنصوب ، أي المعين »[2]. (**يشترون الضلالة**) فيه استعارة ، (**ويريدون أن تضلوا السبيلَ/٤٤**) قرىء (**تريدون**) بالفوقية[3] خطاباً للمؤمنين ، أي تريدون أن تدعوا الصواب في اجتنابهم ، وتحسبونهم غير أعداء . وقرىء (**تضلوا**) بضم أوله ، من أضل ، وبالتخفيف مع فتح الضاد وكسرها[4]. (**وكفى بالله ولِيّاً ، وكفى بالله نصيراً/٤٥**) الطوفي : « مناسب لقوله : (**والله أعلم بأعدائكم/٤٥**) ، أي فهو يتولّاكم وينصركم عليهم ، وفي هذه الجملة الانسجام ، حتى جاءت موزونة ». ابن عيسى : « دخل الباء في (**كفى بالله**) ، وهو فاعل ، لأنه كان يتصل اتصال الفاعل ، وبدخولها اتصل اتصال المضاف واتصال الفاعل ، لأن الكفاية منه ليست كالكفاية من غيره ، فضُوعِف لفظها لمضاعفة معناها »[5]. (**من الذين هادوا/٤٦**) قيل : هو خبر حُذِف مبتدؤه الموصوف ، أي قوم محرفون[6]. وقيل : إن التقدير هم من الذين ، عوداً إلى الذين أُوتوا . وقيل : متعلق بـ(**نصيراً/٤٥**) ، كقوله : (**ونصرناه من القوم**)[7]. وقيل :

---

(١) في البحر (٣/٢٦٠ - ٢٦١) : « ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر شيئاً من أحوال الآخرة ، وأن الكفار إذ ذاك يودون لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ، وجاءت هذه الآية بعد ذلك كالاعتراض بين ذكر أحوال الكفار في الآخرة وذكر أحوالهم في الدنيا وما هم عليه من معاداة المؤمنين وكيف يعاملون رسول الله -ﷺ- الذي يأتي شهيداً عليهم وعلى غيرهم .
ولما كان اليهود أشد إنكاراً للحق وأبعد من قبول الخير ، وكان قد تقدم أيضاً الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون -وهم أشد الناس تحلياً بهذين الوصفين- أخذ يذكرهم بخصوصيتهم » .

(٢) المفردات (٤٩٤) مادة : نصب .

(٣) عن النخعي . المحرر (٤/٨٥) .

(٤) القراءة بالتاء المضمومة لم أعثر عليها .
والقراءة بالفتح على الضاد ، مع إبدال التاء ياءً هي قراءة الحسن . والقراءة الأخيرة ، ذكرها أبو حيان دون نسبة . ابن خالويه (٢٦) ، والبحر (٣/٢٦١) .

(٥) البحر (٣/٢٦٢) .

(٦) وهذا مذهب سيبويه وأبي علي . البحر (٣/٢٦٢) .

(٧) الأنبياء (٧٧) .



بأعدائكم ، وما بينهما اعتراض . وقيل : بيان للذين أُوتوا ، وما بينهما اعتراض[1].

(الكَلِم) قرىء بكسر الكاف وسكون اللام ، وقرىء : **(الكلام عن مواضعه)**[2].

في المائدة **(من بعد مواضعه/٤١)** قال الزمخشري : « أما **(عن مواضعه)** ، فعلى معنى إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم ، من إبدال غيره مكانه . وأما **(من بعد مواضعه)** فالمعنى أنه كان له مواضع ، هو[3] قَمِن[4] بأن يكون فيها ، فحين حرّفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقارّه » قال : « والمعنيان متقاربان »[5]. وقال أبوحيان : « الذي يظهر أنهما سياقان ، فحيث وُصِفوا بشدة التمرُّد والطغيان وإظهار العداوة ، واشترائهم الضلالة ، ونقض الميثاق ، جاء **(يحرِّفون الكَلِم عن مواضعه)** ، ألا ترى إلى قوله : **(ويقولون سمِعنا وعصينا/٤٦)** ، وقوله : **(فبما نقضِهم ميثاقهم ، لعنَّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرِّفون الكَلِم عن مواضعه)**[6]، فكأنهم لم يتركوا الكلم من التحريف عما يراد بها ، ولم تستقر في مواضعها ، فيكون التحريف بعد استقرارها ، بل بادروا إلى تحريفها بأول وَهْلة ، وحيث وُصفوا ببعض لِين وترديد وتحكيم للرسول في بعض الأمر ، جاء **(من بعد مواضعه/٤١)** ، ألا ترى إلى قوله : **(يقولون إن أُوتيتم هذا فخُذُوه ، وإن لم تُؤتَوه فاحذروا/٤١)** ، وقوله : **(فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم/٤٢)** ، وكأنهم لم يبادروا بالتحريف ، بل عرض لهم التحريف بعد استقرار الكَلِم في مواضعها ». قال : « وقد يقال إنهما سِيَّان ، لكنه

---

(١) انظر هذه الأقوال ، البحر (٣/٢٦٢) . والأخير منها قاله الزمخشري وبدأ به (الكشاف ١/٥٣٠) .
وقد قال أبو حيان عن هذا الوجه : « ويضعفه أن هذه جمل ثلاث ، وإذا كان الفارسي قد منع أن يعترض بجملتين ، فأحرى أن يمنع أن يعترض بثلاث » . البحر (٣/٢٦٢) .

(٢) القراءة الأولى هي قراءة أبي رجاء ، والقراءة الثانية هي قراءة النخعي ، وعلي ، والسلمي . المحرر (٤/٨٧) ، وابن خالويه (٢٦) .

(٣) في (أ) : فهو ، وما أثبتناه من (ب) هو الموافق لما في الكشاف (١/٥٣٠) .

(٤) كلمة « قمن » ليست في (ب) .

(٥) الكشاف (١/٥٣٠) .

(٦) المائدة (١٣) .



حذف هنا ، وفي أول المائدة **(من بعد مواضعه)** ، لأن قوله : **(عن مواضعه)** يدل على استقرار مواضع له ، وحذف في ثاني المائدة **(عن مواضعه)** ، لأن التحريف **(من بعد مواضعه)** يدل على أنه تحريف عن مواضعه ، والأصل يحرفون الكَلِم من بعد مواضعه عنها ، فحذف هنا البعدية ، وهناك عنها ، توسعاً في العبارة . وكانت البداءة بعن ، لأنه أخصر ، وفيه تنصيص باللفظ على عن ، وعلى المواضع ، وإشارة إلى البعدية »[1].

الكرماني : « آية (**عن**) أُريد بها التحريف الأول قبل بعث النبي -ﷺ- ، وآية **(من بعد)** أُريد بها تحريفهم في زمن النبي -ﷺ- ، وتعبيرهم عن المقول لهم في التوراة بغير معين ، كأنه قال : من بعد ما عملوا به واعتقدوه وتدينوا به ، كآية الرجم ونحوها ، فعن لما قرُب من الأمر ، وبعد لما بعُد »[2].

وقال صاحب المناجاة : « فعل التحريف يُعدّى بعن ، وبمن ، وإذا عُدي بعن ، لا تزداد بعده بعد في كلام الفصيح ، وإذا عُدي بمن جاز بعده لفظ بعد ، فتفنّن في الكلام على الوجهين في الموضعين » .

الراغب : « تحريف الشيء إمالته ، وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين »[3].

قلت : ولهذا أردفه بقوله : **(ويقولون سمعنا وعصينا ، واسمع غير مسمعٍ/٤٦)** لأن الجملة الأولى[4] من كلّ ، محتملة للمحبوب والمكروه ، وكذا قوله : **(وراعِنا/٤٦)** ولذا قال : **(لَيّاً/٤٦)** ، وهو القول باللسان خلاف ما في القلب . **(فلا يؤمنون إلا قليلاً/٤٦)** عبرّ بالقِلّة عن العدم ، على حد قولهم : أرض قلّ ما تنبت كذا ، وهي لا تنبته جملة ، قاله ابن عطية[5] وغيره . **(يأيها الذين**

(١) البحر (٣/٢٦٣) .

(٢)

(٣) المفردات (١١٤) مادة : حرف .

(٤) كلمة « الأولى » ليست في (أ) .

(٥) المحرر الوجيز (٤/٩٠) .



أُوتوا الكتاب/٤٧) أبوحيان : « لما رجاهم بقوله: **(ولو أنهم قالوا)** الآية ، خاطب من يُرجى إيمانه منهم بالأمر بالإيمان ، وقرّر الوعيد البالغ على تركه ليكون أدعى لهم إليه ، ثم أزال خوفهم من سوء الكبائر السابقة بقوله : **(إن الله لا يغفر أن يُشرك به/٤٨)** الآية ، وأعلمهم أن تزكيتهم أنفسهم بما لم يزكِّهم الله له لا ينفع »[١].

الكرماني : « في غير هذه الآية **(يا أهل الكتاب)**[٢]، لأنه تعالى استخفّ بهم في هذه الآية وبالغ ، ثم ختم الطمس ورد الوجوه على الأدبار واللعن ، فإنها كلها واقعة بهم »[٣].

وقال صاحب المناجاة : « لما كان في الآية السابقة خطاب المؤمنين بـ**(يأيها الذين آمنوا)** ، ناسب عقبه خطاب أهل الكتاب بـ**(يأيها الذين أُوتوا الكتاب)** ، تتميماً للمقابلة وجلباً لخواطرهم للإسلام ، وفي غيرها لما لم يكن الأمر كذلك ، خاطبهم بـ**(يا أهل الكتاب)** » . **(بما نزلنا/٤٧)** فيه التفات . **(نطمس/٤٧)** قرىء بضم الميم[٤] لغة ، ويُستعمل متعدياً ولازماً . الراغب : « الطَّمس : إزالة الأثر بالمحو ، والوجوه على حقيقتها ، أو أُريد بها العيون ، أو الأعيان والرؤساء »[٥]. **(أو نلعنهم/٤٧)** فيه التفات عن الخطاب . قال أبوحيان : « ونكتته ، أنه لما ناداهم كان ذلك تشريفاً لهم ، فألقى إليهم الأمر بالإيمان بالخطاب ، ثم لما ذكر الوعي ،

---

(١) البحـــر (٣/٢٦٦) .

(٢) كما في قوله تعالى :
(يا أهل الكتابِ قد جاءَكُم رسولُنا يُبينُ لَكم كَثيراً مِمَّا كنتم تُخفُونَ مِن الكتابِ وَيَعفُو عَن كَثيرٍ) ، المائدة (١٥) .

(٣) أسـرار التكـرار (٥٦) .

(٤) عن أبي رجاء ، كما في البحر (٤/٣٦٦) .

(٥) المفردات (٣٠٧) مادة : طمس - باختصار .



أتى بوجوه دون خطاب ، والمعنى : وجوهكم ، ثم عطف عليه **(أو نلعنهم/٤٧)** ، فعدل إلى الغيبة ليبقى التأنيس ، ولا يُشاب الخطاب بما يُوحش[١]، فيكون أدعى إلى القبول ، وهذا من جليل المخاطبة ، وبديع المحاورة »[٢]. **(وكان أمرُ الله/٤٧)** فيه التفات . **(ولا يُظْلَمون/٤٩)** قرىء بالخطاب[٣]. **(فَتِيلًا/٤٩)** الراغب : « الفَتِيل : الحبل المفتول ، سُمِّي به ما يكون في شِق النواة ، لكونه على هيئته . وقيل : هو هنا ما تفتله بين أصابعك من خيط ، أو وسخ ، ويُضرب به المثل في الشيء الحقير »[٤]. **(انظر كيف يفترون/٥٠)** جيء بالمضارع لدوام افترائهم واستمرارهم . وجعل الزمخشري[٥] الافتراء هنا مخصوصاً بالتزكية . **(وكفى به إثماً مبيناً/٥٠)** ابن عطية : « خبر في ضِمنه تعجُّب ، ولذا دخلت الباء لتدل على معنى الأمر بالتعجب ، وأن يُكتفى لهم بهذا الكذب إثماً ، ولا يُطلب لهم غيره ، إذ هو موبِق ومهلِك »[٦]. **(ويقولون للذين كفروا/٥١)** اللام للتبليغ . **(فإذاً لا يُؤتون الناسَ/٥٣)** قرىء **(لا يؤتوا)**[٧] . **(نقيراً/٥٣)** قال الأزهري : « الفتيل ، والنقير ، والقِطمير يُضرب مثلاً للشيء التافه الحقير »[٨] .

---

(١) في البحر (٣/٣٦٨) : « ليبقى لهم التأنيس والهم والاستدعاء إلى الإيمان غير مشوب بمفاجأة الخطاب ، الذي يوحش السامع . . . . » .

(٢) البحر (٣/٣٦٨) مع قليل من الاختصار .

(٣) قرأت بذلك طائفة - كما في البحر (٣/٢٧٠) ، والمحرر الوجيز (٤/٩٧) .

(٤) المفردات (٣٧١) مادة : فتل - بتصرف .

(٥) الكشاف (١/٥٣٣) .

(٦) المحرر الوجيز (٤/٩٨) .

(٧) عن ابن مسعود - المحرر الوجيز (٤/١٠٢) .

(٨) تهذيب اللغة (١٤/٢٩٠) مادة : فتل .

قال أبو حيان : « وخُتمت تلك الآية بـ(**فتيلًا**) ، وهذه بـ(**نقيراً**) لوفاق النظير من الفواصل »[1] . (**أم يحسدون/٥٤**) أبوحيان: « ذمّهم بالحسد بعد البخل ، لما في كلٍّ من منع وصول الخير إلى الغير ، ولما كان الحسد شر الخصلتين ترقّى إليه بعد البخل »[2] . (**الناس/٥٤**) هو من العام المراد به الخصوص ، إذا[3] أراد به هنا رسول الله ﷺ . (**فقد آتينا/٥٤**) فيه التفات (**فمنهم**) قيل : الضمير لآل إبراهيم ، وضمير (**به**) ، و(**عنه**) لإبراهيم . وقيل : هم اليهود ، و(**به**) ، و(**عنه**) للنبي ﷺ[4] . وفي الجملة احتباك ، أي آمن به ، فاتبعه وكذَّب به . (**فصدّ عنه/٥٥**) وقرىء (**صد**) بالبناء للمفعول ، مضموم الصاد ومكسورها[5] . (**نُصْلِيهم/٥٦**) قرىء بفتح النون[6] . (**بَدَّلناهم/٥٦**) التبديل تارة يكون في الذوات ، وتارة في الصفات مع بقاء العين . (**ليذوقوا العذاب/٥٦**) عبرّ بالذوق المشعر بالإحساس لأنه أبلغ . (**إن الله/٥٦**) فيه التفات . (**كان عزيزاً حكيماً/٥٦**)

---

(١) البحر (٣/٢٧٣) .

(٢) في البحر (٣/٢٧٣) .

« أنكر عليهم البخل ، ثم ثانياً الحسد ، فالبخل منع وصول خير من الإنسان إلى غيره ، والحسد تمني زوال ما أعطى الله الإنسان من الخير ، وإيتاؤه له ، نعى الله تعالى تحلِّيهم بهاتين الخصلتين الذميمتين ، ولما كان الحسد شر الخصلتين ترقّى إلى ذِكره بعد ذكر البخل » .

(٣) في (ب) : المراد .

(٤) ذكر أبو حيان هذين القولين ، وأسند الأول منهما إلى السدي - البحر (٣/٢٧٤) . وأشار ابن عطية أن الجمهور ذهب إلى أن الضمير هنا عائد على القرآن الذي في قوله تعالى : (**آمنوا بما أنزلنا مصدقاً لما معكم ، من قبل أن نطمس وجوهاً**) . . . . - المحرر الوجيز (٤/١٠٤) .

(٥) القراءة بضم الصاد هي قراءة ابن مسعود ، وابن عباس ، وابن جبير ، وعكرمة ، وابن يعمر ، والجحدري . والقراءة بكسر الصاد هي قراءة أُبيّ ، وأبي الحوراء ، وأبي رجاء ، والحوفي . ابن خالويه (٢٦) ، والبحر (٣/٢٧٤) .

(٦) عن حميد . البحر (٣/٢٧٤) .

الطوفي : « مناسب لما في الآية ، إذ لا يقدر على تعذيب الخلق إلا عزيز حاكم حكيم ، لأن هذا العذاب تضمن حكمة ، وهو تجديد جلودهم كلما نضجت ليذوقوا العذاب دائماً » . (والذين آمنوا/٥٧) أبوحيان : « لما ذكر وعيد الكفار ، أعقبه بوعد المؤمنين ، وأكَّد جملة الكفار بأن ، لتحقيق الوعيد ، ولم يحتج إلى ذلك في جملة المؤمنين »[١].

قلت : لأنها معطوفة عليها ، فشاركتها في ذلك ، فكان حرف العطف مغنياً عن التصريح بأن[٢]. (سندخلهم) فيه التفات . وقرىء بالتحتية في الفعلين[٣]. أبوحيان : « عبرّ فيها بالسين المشعرة بقصر مدة التنفيس ، وفي تلك بسوف ، على سبيل تقريب الخير من[٤] المؤمن ، وتبشيره به »[٥]. (ظِلاًّ ظليلاً/٥٧) الراغب : « هو كناية عن غضارة العيش » ، قال : « والظِّل ضد الضَّح ، وهو أعم من الفيء ، فإنه يقال : ظِلّ الليل ، وظِلّ الجنة ، ولكل موضع لم تصل إليه الشمس ، ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس ، ويعبرّ به عن المناعة والعزة والرفاهة ، نحو : أنا في ظلال فلان ، ومنه : (إن المتقين في ظِلالٍ)[٦] (هم وأزواجهم في ظِلالٍ)[٧][٨].

أبو مسلم[٩] : الظَّلِيل : القوي المتمكن » ، قال : « ونعت الشيء بمثل ما

---

(١) البحر (٣/٢٧٥) .

(٢) في (أ) : بمن .

(٣) أي في (سندخلهم) و (ندخلهم) ، وهي قراءة النخعي وابن وثاب . البحر (٣/٢٧٥) .

(٤) في (أ) : في .

(٥) البحر (٣/٢٧٥) ، مع ملاحظة أن عبارة « وَفي تِلكَ بِسَوْفَ » غير موجودة بالبحر .

(٦) المرسلات (٤١) .

(٧) يس (٥٦) .

(٨) المفردات (٣١٤) مادة : ظلل - بتصرف .

(٩) هو أبو مسلم ، محمد بن بحر الأصفهاني ، معتزلي ، عالم بالتفسير وغيره ، ولي أصفهان وبلاد فارس للمقتدر العباسي ، من كتبه : « جامع التأويل » في التفسير ، توفي سنة ٣٢٢هـ .
إرشاد الأريب (٦/٤٢٠) ، والأعلام (٦/٢٧٣) .

اشتُق من لفظه ، يكون مبالغة ، كقولهم : لَيْل أليل ، وداهِية دهياء »[١]. ابن عطية : « أكّد بقوله : (**ظليلاً/٥٧**) إما لامتداده ، أو لكونه لا ينتقل ، بخلاف ظِل الدنيا »[٢].

الإمام : « إنما قال : (**ظلاً ظليلاً/٥٧**) ، لأن بلاد العرب في غاية الحرارة ، فكان الظل عندهم من أعظم[٣] أسباب الراحة ، ولهذا المعنى جعل كناية عن الراحة ، ووصف بالظليل مبالغة في الراحة »[٤].

الزمخشري : « ظليل : صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه ، كما يقال لَيْل الليل ، ويوم اليوم ، وهو ما كان لا تجوُّب فيه ، ودائماً لا تنسخه الشمس ، وسَجْسَجاً ، لا حرّ فيه ولا برد ، وليس ذلك إلا ظِل الجنة »[٥] . وفي الآية عشر مقابلات كما يظهر بالتأمل .

(**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها/٥٨**) السبكي : « هي مناسبة لقوله (**ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت**) إلى آخره ، النازل في كعب بن الأشرف[٦] ونحوه من علماء اليهود ، لما سألهم كفار مكة ، من أهدى سبيلاً : محمد وأصحابه ، أم نحن ؟ فقالوا : أنتم ، مع علمهم بما في كتابهم من نعت النبي -ﷺ- المنطبق عليه ، وأخذ المواثيق ألا يكتموا فإن ذلك أمانة لازمة لهم ، ولم يؤدوها ، حيث قالوا للكفار : أنتم أهدى سبيلاً ، حسداً للنبي -ﷺ-

---

(١) البحر (٣/٢٧٥) .
(٢) المحرر (٤/١٠٧) باختصار .
(٣) في (أ) : من أعظم من .
(٤) التفسير الكبير (١٠/١٤١) .
(٥) الكشاف (٢/٥٣٤ - ٥٣٥) ، وتجوّب : من جوّب ، أي كشف ونوّر ، اللسان : مادة : جوب .
(٦) هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان ، أمه من بني النضير ، فدان باليهودية وكان شاعراً ، سيداً في أخواله ، يقيم في حصن له قريب من المدينة ، خرج إلى مكة بعد معركة بدر ، فندب قتلى قريش ، وحض على الأخذ بثأرهم ، فأمر النبي -ﷺ- بقتله ، فقتل على يد خمسة من الأنصار سنة ٣هـ .
الروض الأنف (٢/١٢٣) ، وإمتاع الأسماع (١/١٠٧ - ١٠٩) ، والمحبر (٢٨٢ و ٣٩٠) .



فناسب الأمر بعده بأداء الأمانات إلى أهلها ، وإن كانت الآية نازلة في شأن مفتاح الكعبة[(١)] ، لما تقرر من أن مناسبة الترتيب يُعتبر فيها الألفاظ ومعانيها ، لا سبب النزول » . وقرىء (**الأمانة**) بالإفراد[(٢)] . (**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا/٥٨**) قيل : (أن تحكموا معطوف على (أن تؤدوا) ، فصل بينه وبين الواو العاطفة بـ(إذا) ومدخوله . (**إن الله كان سميعاً بصيراً/٥٨**) الطوفي : « مناسب لأداء الأمانة ، وحكم الحاكم وقصده » . قال أبوحيان : (**سميعاً/٥٨**) لأقوالكم الصادرة منكم في الأحكام ، (**بصيراً/٥٨**) بِرَدِّ الأمانات إلى أهلها »[(٣)] . (**يأيها الذين آمنوا/٥٦**) الآية ، أبوحيان : « لما أمر الولاة أن يحكموا بالعدل ، أمر الرعية بطاعتهم »[(٤)] .

(**فإن تنازعتهم/٥٩**) أبو حيان : « أصل المنازعة : الجذب باليد ، ثم استُعير للتنازع في الكلام »[(٥)] . (**ألم تَر إلى الذين يزعمون/٦٠**) الآية . أبوحيان : «لما أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر ، ورد الأمر عند التنازع إلى الله والرسول ، عجَّب بعد ذلك من حال من يدّعي الإيمان ، ويريد أن يتحاكم إلى الطاغوت ،

---

(١) ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة ، الذي كان حاجب الكعبة ، وقصته -على ما ذكر الواحدي- هي أنه لما دخل النبي-ﷺ- مكة يوم الفتح ، أغلق عثمان باب البيت ، وصعد السطح ، فطلب رسول الله-ﷺ- المفتاح ، فقيل : إنه مع عثمان ، فطلب منه فأبى ، وقال : لو علمت أنه رسول الله ، لم أمنعه المفتاح ، فلوى علي بن أبي طالب يده ، وأخذ منه المفتاح ، ففتح الباب ، فدخل رسول الله-ﷺ- البيت وصلى فيه ركعتين . فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ، ليجمع له بين السقاية والسدانة . فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فأمر رسول الله -ﷺ- علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ، ويعتذر إليه ، ففعل ذلك علي ، فقال له عثمان : يا علي أكرهت وآذيت . ثم جئت ترفق ، فقال : لقد أنزل الله تعالى في شأنك وقرأ عليه هذه الآية ، فقال عثمان : أشهد أن محمداً رسول الله ، وأسلم ، فجاء جبريل -عليه السلام- فقال : مادام هذا البيت ، فإن المفتاح والسدانة في أولاد عثمان .

أسباب النزول (١١٦) ، وانظر جامع البيان للطبري (٨/٤٩١) وهذا من المشهورات أن الآية نزلت في عثمان بن طلحة ، ولكن سواء كانت نزلت في ذلك أو لا ، فحكمها عام ، كما قال ابن كثير (١/٥١٦) .

(٢) البحر (٣/٢٧٧) دون نسبة ، ونسبها ابن خالويه إلى عيسى بن عمر . ابن خالويه (٢٦) .

(٣+٤) البحر (٣/٢٧٨) .

(٥) لم أجده بالبحر .



ويترك الرسول »[1]. الراغب : « الزعم حكاية قول يكون مظِنّة الكذب ، ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذمّ القائلين به »[2].

وقال ابن دريد[3]: « أكثر ما يقع على الباطل »[4]. وذكر صاحب العين أن الأحسن أن يوقع على[5] أن قال[6]. وقرىء (أنـزل/٦٠) بالبناء للفاعل[7] في الموضعين . (**أن يكفروا به**/٦٠) قرىء (**بها**)[8]، لأن الطاغوت يذكّر ويؤنث ، كما قرىء : (**اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها**)[9]، ويقع على المفرد والجمع ، كما قال : (**أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم**)[10]. (**تعالَوا**/٦١) قرىء بضم اللام[11]، على حذف لام الكلمة وضم عينها لوقوع واو الجمع بعدها. (**رأيتَ المنافقين**/٦١) عدل إلى الظاهر لبيان حالهم . (**فكيف**/٦٢) خبر محذوف ، أي حالهم . (**وما أرسلنا**/٦٤) فيه التفات . ومناسبة الآية لما قبلها ظاهرة . (**بإذن الله**) فيه التفات . (**واستغْفَرَ لهم الرسول**/٦٤) فيه التفات من الخطاب في (**جاؤوك**/٦٤) ، تفخيماً لشأن الرسول ، وتعظيماً لاستغفاره ، وتنبيهاً على أن استغفار من اسمه الرسول من

---

(١) البحر (٣/ ٢٨٠) .

(٢) المفردات (٢١٣) مادة : زعم .

(٣) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، من أزد عمان من قحطان . ولد بالبصرة ، وانتقل إلى عمان ، فأقام اثني عشر عاماً ، وعاد إلى البصرة ، ثم رحل إلى نواحي فارس ، ثم رجع إلى بغداد ، وأقام بها إلى أن توفي سنة ٣٢١هـ ، وقد كان من أئمة اللغة والأدب . من كتبه : « الاشتقاق » في الأنساب ، و« المقصور والممدود » ، و« الجمهرة » . . . .

إرشاد الأريب (٦/٤٨٣) ، وفيات (١/٤٩٧) ، وطبقات الشافعية (٢/١٤٥) ، ولسان الميزان (٥/١٣٢) .

(٤) جمهرة اللغة (٣/٧) مادة : زعم ، والبحر (٣/٣٧٦) .

(٥) عبارة : على أن : ليست في (ب) .

(٦) لم أجد ذلك في كتاب العين للخليل بن أحمد ، ولكني وجدته في البحر (٣/٢٧٦) منسوباً إلى الخليل .

(٧) عن أبي نهيك - ابن خالويه (٢٦) .

(٨) لم أجد هذه القراءة فيما اطلعت عليه .

(٩) عن عباس بن الفضل ، البحر (٣/ ٢٨٠) .

(١٠) البقرة (٢٥٧) .

(١١) عن الحسن ، البحر (٣/ ٢٨٠) .



الله بمكان ، وعلى أن هذا الوصف الشريف ، وهو إرسال الله إياه ، مُوجِب لطاعته ، وعلى أنه مندرج في عموم قوله : **(وما أرسلنا من رسولٍ إلا ليُطاعَ/٦٤)** .
الإمام : « فائدة ضم استغفار الرسول إلى استغفاره ، أنهم بتحاكمهم إلى الطاغوت ، خالَفُوا حكم الله ، وأساؤوا إلى الرسول ، فوجب عليهم أن يعتذروا ويطلبوا من الرسول الاستغفار ، ولما لم يرضوا بحكم الرسول ، ظهر منهم التمرُّد ، فإذا تابوا ، وجب أن يظهر منهم ما يزيل التمرُّد ، بأن يذهبوا إلى الرسول ويطلبوا منه الاستغفار »[1] . **(لوجدوا الله تواباً رحيماً/٦٤)** الطوفي : « مناسب لما في الآية ، لأن المستغفر يحسن ظنه بالله ، فيجده عند ظنه به » . **(فلا وربك/٦٥)** . فيه التفات إلى الخطاب ، وأُضيف الرب إلى النبي ، تعظيماً له . **(ولا/٦٥)** قيل ردٌّ لما تقدم ، أي ليس الأمر كما تزعمون ، ثم استأنف القَسَم[2] ، وقيل : نافية ، قدِّمت على القَسَم اهتماماً بالنفي ، ثم كُرِّرت توكيداً له[3] . وقيل : زائدة . وقيل : الثانية هي المزيدة[4] ، والقَسَم معترض بين حرف النفي والمنفي ، ثم الآية قال مجاهد وغيره : « نزلت فيمن أراد التحاكم إلى الطاغوت »[5] ، ورجحه الطبري[6] ، لأنه أشبه بنسَقَ الآيات ، وقد ورد في الصحيح[7] أنها نزلت في قصة أخرى ، وذلك غير

---

(١) التفسير الكبير (١٠/١٦٧) .
(٢) وهذا قول الطبري . جامع البيان (٨/٥١٨) .
(٣) حكاه أبو حيان في البحر (٣/٢٨٤) .
(٤) ذكر أبو البقاء هذا الوجه وسابقه - الإملاء (١/١٨٥) . والقول السابق هو قول الزمخشري - الكشاف (١/٥٣٨) .
(٥) البحر (٣/٢٨٣) .
(٦) جامع البيان (٤/٥٢٤ - ٥٢٥) .
(٧) وذلك فيما رواه البخاري أن رجلاً من الأنصار ، خاصم الزبير عند النبي -ﷺ- في شراج الحرّة التي يسقون بها النخل ، فقال الأنصاري : سرّح الماء يمر ، فأبى عليه . فاختصما عند النبي-ﷺ- فقال رسول الله-ﷺ- للزبير : اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الأنصاري فقال : إن كان ابن عمتك ، فتلوّن وجه رسول الله-ﷺ- ، ثم قال : (اسق يا زبير ، ثم احبس الماء ، حتى يرجع إلى الجدر) . فقال الزبير : والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك : **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)** . فتح الباري (٥/٣٤) .



قادح في التناسق ، لأن المناسبة يعتبر فيها الألفاظ ومعانيها . دون أسباب النزول ، كما تقدم تقريره . (**شَجَر/٦٥**) قرىء بسكون الجيم[1].

أبو حيان : « استُعير ما اشتبك وتضايق من الشجر للمنازعة التي يدخل فيها بعض الكلام في بعض ، استعارة المحسوس للمعقول »[2]. (**حَرَجاً/٦٥**) أطلق اسم الحرج ، الذي هو من وصف الشجر إذا تضايق على الأمر الذي يشق على النفس للمناسبة التي بينهما ، وهو الضيق . (**ويُسَلِّموا تسليماً/٦٥**) أبوحيان: « أكّد الفعل بالمصدر على سبيل صدور التسليم حقيقة ، وحسَّنه كونه فاصِلة »[3]. (**ولو أنا كتبنا/٦٦**) فيه التفات . (**أن**) تحتمل التفسيرية والمصدرية[4] (**إلا قليلٌ/٦٦**) في قراءة بالنصب على أصل الاستثناء[5] . (**وإذَن/٦٧**) الزمخشري : « هو جواب عن سؤال مقدر ، كأنه قيل : وماذا يكون لهم أيضاً بعد التثبت ؟. فقيل : وإذن لو ثبتوا لآتيناهم »[6] . ابن عطية : « جاء ترتيب الآية هكذا ، ومعلوم أن الهداية قبل إعطاء الأجر ، لأن القصد إنما هو تعديد ما كان الله ينعم به عليهم ، دون ترتيب »[7] .

(**ومَن يُطع اللّهَ والرسولَ/٦٩**) فيه التفاتان في المعطوف والمعطوف عليه ، وهذه الآية أيضاً روعي فيها المناسبة في الترتيب باعتبار الألفاظ ومعانيها ، وإن كان لنزولها سبب آخر[8] غير السببين السابقين. (**من النبيين/٦٩**) إلى آخره ، فيه الابتداء

---

(١) عن أبي السمال . المحرر الوجيز (١٢١/٤) .
(٢) لم أجد هذا النص بالبحر .
(٣) البحر (٢٨٤/٣) .
(٤) انظر البحر (٢٨٥/٣) .
(٥) عن أبيّ ، وابن أبي اسحاق ، وابن عامر ، وعيسى بن عمر ، البحر (٢٨٥/٣) .
(٦) الكشاف (٥٣٩/١ - ٥٤٠) .
(٧) المحرر الوجيز (١٢٤/٤ - ١٢٥) .
(٨) روى الطبري عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل من الأنصار إلى النبي -ﷺ- وهو محزون ، فقال له النبي-ﷺ- : (يا فلان مالي أراك محزوناً ؟. قال : يا نبي الله ، شيء فكرت فيه . فقال : ما هو؟ قال : نحن نغدو عليك ونروح ، ننظر في وجهك ونجالسك ، غداً ترفع مع النبيين ، فلا نصل إليك ! فلم يرد النبي -ﷺ- عليه شيئاً ، فأتاه جبريل -عليه السلام- بهذه الآية : (**وَمَن يُطِعَ اللّهَ والرسولَ ، فأولئك مع الذين أنعمَ اللّهُ عليهم. . . .**) الآية. قال: فبعث إليه النبي -ﷺ-فبشره . جامع البيان (٥٣٤/٨) .



بالأشرف فالأشرف ، وهكذا التفصيل مفسِّرٌ لإجمال قوله تعالى من الفاتحة : **(صراطَ الـذين أنعمتَ عليهم/٧)** ، وبه يُعرف مناسبة ذكره هنا بعد قوله : **(ولهديناهم صراطاً مستقيماً)** ، وكأنه قيل : هذا الصراط المستقيم الذي وعدنا بالهداية إليه ، هو طريق الذين أنعم الله عليهم إلى آخره . **(رفيقاً/٦٩)** أي رفقاء . وجاء مفرداً ، إما لأنه يكون للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد ، مثل الخليط والصديق ، وإما لإطلاق المفرد في باب التمييز وإرادة الجمع اكتفاءً ، وحسّن ذلك هنا كونه فاصلة. **(ذلك الفضلُ من الله/٧٠)** على تقدير سؤال ، كأنه قيل : ما الموجب لكونهم معهم مع وضوح الفرق بينهم ؟ . فأُجيب بأن ذلك فضل من الله . **(وكفى بالله عليماً/٧٠)** أي بالفضل ومن يستحقه ، قاله الطوفي . قال ابن عطية : « فيه معنى أن يقول : فسلموا فعل[١] الله وتفضله من الاعتراض[٢] عليه ، واكتفوا بعلمه في ذلك وغيره ، ولذا دخلت الباء »[٣]. **(يأيها الذين آمنوا/٧١)** الآية ، أبو حيان : «مناسبتها لما قبلها ، أنه لما ذكر طاعته وطاعة رسوله ، وكان من أهم الطاعات إحياء دينه ، أمر بالقيام به بالجهاد »[٤]. **(خذوا حِذْركُم/٧١)** الراغب : « أي ما فيه الحذر ، من السلام وغيره . والحذر : احتراز من مخيف »[٥]. أبوحيان: « الحَذَر والحِذْر بمعنى واحد ، ولم يُسمع في هذا التركيب إلا خُذ حِذْرك ، لا خذ حَذَرك ، ويقال : أخذ حِذْره ، إذا احترز من المخوف ، كأنه جعل الحِذْر آلته التي يتقي بها ويعتصم »[٦]. **(فَانفِرُوا/٧١)** قرىء بضم الفاء في الموضعين[٧] .

---

(١) في (أ) : قيل له .
(٢) في (ب) : الاعراض .
(٣) المحرر الوجيز (١٢٧/٤) .
(٤) البحر (٢٩٠/٣) بقليل من الاختصار .
(٥) المفردات (١١١) مادة : حذر .
(٦) البحر (٢٩٠/٣) .
(٧) عن الأعمش . البحر (٢٩٠/٣) ، ونسب ابن خالويه ضم الفاء في (فانفروا) إلى مجاهد - ابن خالويه (٢٧) .



أبو حيان : « نفر الرجل : خرج مدًّا ، وأصله الفزع »[1]. (**ثُباتٍ/٧١**). جمع ثُبَة ، وهي الجماعة المنفردة ، قاله الراغب[2]. وقيل : الاثنان ، والثلاثة . وقيل : ما فوق العشرة[3]. (**لَيُبَطِّئَنَّ/٧٢**) الراغب : « البُطْء : تأخُّر الانبعاث في السير ، يقال : بَطُؤ ، وتباطَأَ ، واستَبْطَأَ ، وأَبْطَأَ ، فبَطُؤ ، إذا تَخَفَّص بالبطء ، وتباطأ : تكلَّفه ، واستبطأ طلبه ، وأبطأ : صار ذا بُطءٍ ، ويقال : بطأه ، وأبطأه ، وقوله : (**ليبطئن/٧٢**) أي يثبِّط غيره . وقيل : يكثر هو التثبط في نفسه ، فالقصد بذلك أن منكم من يتأخَّر ويؤخر غيره »[4]. وقرىء (**ليبطئن**) بالتخفيف[5]، إما من اللازم أو من المتعدي . (**فَضْلٌ من الله ، لَيقولَن/٧٣**) قرىء بضم اللام[6] على معنى الجمع (**كَأَن لم تَكُن بينكم وبينه مودةٌ/٧٣**) معترض بين القول وقوله[7]، وقال الماتريدي[8]: « على التقديم والتأخير . وهو متصل بقوله : (**قال قد أنعم الله عليّ ، إذ لم أكن معهم شهيداً**)[9]، وكذلك قال الزملكاني ، هو منظوم به ، لأنه موضع الشماتة » . الإمام : « هو اعتراض في غاية الحسن ، لأن من أحب إنساناً ، فَرِح عند فَرِحه وحزن عند حزنه ، فإذا قلب القضية ، فذلك إظهار العداوة ، فحكى تعالى عن المنافق سروره وقت نكبة المسلمين ، ثم لما حكى حزنه عند دولة المسلمين ، ألقى قبل تمام الكلام هذه الجملة للتعجيب ، وزاد في حسنه كون ما

---

(١) البحر (٣/٢٨٢) باختصار .

(٢) المفردات (٧٨) مادة : ثبات .

(٣) هذا القول حكاه ابن عطية بالمحرر الوجيز (٤/١٢٨) ، والقول السابق هو قول الماوردي . البحر (٣/٢٨٢) .

(٤) المفردات (٥٢) مادة : بطؤ .

(٥) عن مجاهد . ابن خالويه (٢٧) .

(٦) عن الحسن . البحر (٣/٢٩٢) .

(٧) قاله الزمخشري ، وهو ما جوّزه الزجاج . الكشاف (١/٥٤١) ، ومعاني القرآن (٢/٨٠) .

(٨) سبقت ترجمته في ص (***) ٥٨٧ .

(٩) البحر (٣/٢٩٣) ، وقد تعقب الراغب هذا القول بقوله :

« وذلك مستقبح ، فإنه لا يفصل بين بعض الجملة وبعض ما يتعلق بجملة أخرى » . البحر (٣/٢٩٣) .

بعده فاصلة »[1] . (فأفوز/٧٣) قرىء بالرفع[2] ، عطفاً على (كنتُ) ، أو استئنافاً[3] .

(فليقاتِلْ/٧٤) لما أمر بأخذ الحذر والنفر ، واستطرد إلى حال من يبطىء ، عاد مصرحاً بالأمر بالقتال ، ثم وعد عليه بالأجر العظيم ، واكتفى عن[4] حالَي القاتل بالغاية ، لأن غاية المغلوب أن يُقتَل ، وغاية الذي يقتل أن يغلب ، وبدأ بالأولى ، لأنها أشرف . وقرىء (فليقاتل) بكسر اللام[5] ، و(فَيُقْتَلْ/٧٤) بالبناء للفاعل[6] و(نُؤتيه/٧٤) بالتحتية[7] ، وفيه على القراءة المشهورة التفات . (وَمَالَكُم لا تُقَاتِلُونَ/٧٥) استفهام حث وتحريض . (في سَبيلِ اللهِ/٧٥) فيه التفات . (والمستَضْعفِينَ/٧٥) عطف على الجلالة ، أي وسبيل المستضعفين . وقيل : على سبيل[8] ، أي وفي المستضعفين ، أي وفي خلاصهم . وقرىء بحذف الواو[9] ، إما على إضمارها أو على البدل من (سبيل الله) . (الذين آمنوا يُقاتِلون في سبيل الله ، والذين كفروا يُقاتِلون في سبيل الطاغوت/٧٦) فيه طباقان . والقصد بهذه الجملة تشجيع المؤمنين وتحريضهم ، لأن من قاتل في سبيل الله ، حَرِيّ أن يغلب ، ولذا قال : (فقاتلوا أولياء الشيطان/٧٦) وفيه حذف ، أي فإنكم تغلبونهم لقوتكم بالله ، ثم علَّل هذا المحذوف بقوله : (إن كَيدَ الشيطانِ كان ضعيفاً/٧٦) ، ودخلت (كان) إشعاراً بأن هذا الوصف سابق لكيد الشيطان ، وأنه لم يزل ضعيفاً . (ألم

---

(١) التفسير الكبير (١٠/١٨٥) بتصرف .

(٢) عن النحوي . ابن خالويه (٢٧) .

(٣) البحر (٣/٢٩٢) .

(٤) في (ب) : في .

(٥) قرأت بذلك فرقة - كما في البحر (٣/٢٩٥) ، والمحرر الوجيز (٤/١٣٣) .

(٦) عن محارب بن دثار . البحر (٣/٢٩٥) .

(٧) عن الأعمش وطلحة بن مصرف . البحر (٣/٢٩٥) .

(٨) هذا قول الزجاج في معاني القرآن (٢/٧٧) . وأسنده أبو حيان إلى المبرد ، ومال هو إلى القول الأول . البحر (٣/٣٩٥) .

(٩) عن ابن شهاب . البحر (٣/٢٩٥) .



تر/٧٧) الآية ، لما أمر بالقتال ، ذكر من جَبُنَ عنه . (أو أشدَّ خشية/٧٧) فيه ما تقدم في قوله: (أو أشدَّ ذكراً)[١] . (لولا أَخَّرتَنا إلى أجلٍ قريبٍ/٧٧) زاد ابن مسعود في قراءته (فنموت حَتْفَ أنفِنا ، ولا نُقْتَل فيسر[٢] بذلك الأعداء). (ولا تُظْلَمون/٧٧) بالتحتية وبالفوقية[٣]، وفيه التفات (يُدرككُم/٧٨) قرىء بالرفع[٤] . قال ابن جني : على حذف فاء الجواب »[٥] . (بُرُوجٍ/٧٨) هي هنا القصور والحصون ، وفي سائر القرآن بروج السماء . الراغب : « يحتمل هنا أن يُراد بروج الأرض ، وأن يُراد بروج النجوم ، ويكون استعمال لفظ المشيّدة فيها على سبيل الاستعارة »[٦] .

والمشيَّدة : قيل : المُطَوَّلة : وقيل : المبنية بالشِّيد ، وهو الجِصُّ[٧]. وقرىء بكسرها[٨] وصفاً[٩] لها، بفعل فاعلها مجازاً ، كما قالوا : قصيدة شاعرة ، وإنما الشاعر ناظِمها . (وإن تُصِبهم/٧٨) إن كان الضمير إلى من الكلام فيهم ، ففيه التفات ، إن لم تكن جمل الخطاب من مقول القول ، وإن كان لغيرهم ، وهو الأشبه ، ففيه الانتقال من حديث المؤمنين إلى حديث المنافقين[١٠]، ويؤيده سبب

(١) وذلك في قوله تعالى : (فاذا قضيتم مناسككم ، فاذكروا الله كذكركم آباءكم ، أو أشد ذِكراً) البقرة (٢٠٠) .

(٢) بالبحر (٢٩٨/٣) : فتسر - بالفوقية .

(٣) القراءة بالتحتية هي قراءة ابن كثير، وحمزة،والكسائي . والقراءة بالفوقية هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٠٨) .

(٤) عن طلحة بن سليمان . ابن خالويه (٢٧) ، والبحر (٢٩٩/٣) .

(٥) المحتسب (١٩٣/١) .

(٦) المفردات (٤١) - مادة : برج .

(٧) روي عن عكرمة . الجامع للقرطبي (٢٨٣/٥) . وفي اللسان : « الشيد - بالكسر - : كل ما طلي به الحائط من جص أو بلاط ، وبالفتح المصدر». (٢٤/٣) مادة : شيد . والقول السابق هو قول الزجاج . المحرر (١٨١/٤) .

(٨) مع التشديد ، وقد قرأ بذلك نعيم بن ميسرة . ابن خالويه (٢٧) .

(٩) في (أ) : وصف .

(١٠) استظهر أبو حيان أن الضمير هنا للمنافقين ، لأن مثل هذا لا يصدر من مؤمن ، واليهود لم يكونوا في طاعة الإسلام حتى يكتب عليهم القتال . البحر (٣٠٠/٣) ، وانظر المحرر (١٣٩/٤) .



النزول[1] (فمالِ هؤلاء/٧٨) استفهام تعجب ، وبالغ تعالى في قِلةّ فهمهم ، حتى نفىٰ عنهم مقاربة الفقه التي نفيها أبلغ من نفي الفعل . (ما أصابكَ من حسنةٍ ، فمنَ اللّهِ ، وما أصابكَ من سيئةٍ فمن نفسِكَ/٧٩) الكرماني : « إن قيل : كيف صح هذا التقسيم ، وقد سبق (قل كلٌّ من عند الله/٧٨) ، قيل : الحسنة والسيئة ، في هذه هي الحسنة والسيئة في الأولى »[2].

الراغب : « طعن بعض الملاحدة في هذه الآية ، وقال : « إن فيها تناقضاً ، وهو ظاهر الوَهْي ، لأن الحسنة والسيئة من الألفاظ المشتركة ، وقد أُريد بهما في الأول غير ما أُريد في الثانية »[3]. وقيل : القول مصدر ، أي يقولون ما أصابك . وقيل : همزة الاستفهام مقدرة في الثانية على وجه الإنكار ، أي أو ما أصابك من سيئة فمن نفسك على حد : (وتلك نعمة)[4] ، (هذا ربي)[5][6]. وفي مصحف ابن مسعود (وإنما قضيتها عليك)[7]. وقرأ أُبيّ : (وأنا قدَّرتها عليك)[8]. وقرأ ابن

(١) ذكر الراغب أن الآية نزلت في قوم أسلموا ذريعةً إلى غِنىً وخصبٍ ينالونه ، وظفرٍ يحصلونه ، فإن أحدهم إذا نابته نائبة ، أو فاته محبوب ، أو ناله مكروه ، أضاف سببه إلى الرسول-ﷺ- متطيراً به . البحر (٣/٣٠٢) .

(٢)

(٣) البحر (٣/٣٠٢) باختصار .

(٤) الشعراء (٢٢) .

(٥) الأنعام (٧٧) ، (٧٨) .

(٦) أنظر البحر (٣/٣١٠) ، وقد أسند الوجه الأخير إلى ابن الأنباري . ويبدو لي أن الأرجح هنا ، هو ما ذهب إليه ابن عباس وقتادة والحسن وغيرهم بأن الآية إخبار من الله على سبيل الاستئناف والقطع بأن الحسنة منه وبفضله ، والسيئة من الإنسان بذنوبه ، ومن الله بالخلق والاختراع .

ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى لأهل أحد : (أوَ لما أصابتكم مصيبةٌ قد أصبتم مثليها ، قلتم أنىَّ هذا ، قل هو من عند أنفسكم) آل عمران (١٦٥) .

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن ثوبان قال : قال رسول الله-ﷺ- : (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر). المسند (٥/٢٧٧) .

ورواه ابن ماجة أيضاً ، ولكن باختلاف في ترتيب جمله . سنن ابن ماجه (٢/١٣٣٤) باب (٢٢) كتاب الفتن . وانظر جامع البيان (٨/٥٥٩) ، والمحرر (٤/١٤٢) ، وتفسير القرآن العظيم (١/٥٢٨) .

(٧) البحر (٣/٣٠١) .

(٨) وقرأ بذلك أيضاً ابن مسعود . البحر (٣/٣٠١) .



عباس : (وأنا كتبتها)[1]. « وقال بعضهم : الفرق بين من عند الله ، ومن الله ، أن من عند الله أعم ، يقال فيما يرضاه ويسخطه ، وفيما يحصل ، وقد أمر به ونهى عنه ، ولا يقال هو من الله إلا فيما يرضاه ، ويأمر به »[2]، والخطاب قيل : عام لكل مخاطب . وقيل : للرسول ، والمراد غيره . وقيل : للفريق في قوله : **(إذا فريقٌ منهم)** ، وفي كتاب « حز الغلاصم »[3] لشيث[4] بن حيدرة ، أن قوله : **(ما أصابك/ ٧٩)** دون « أصبت » ، للإشعار بأن الله هو الفاعل للسيئة والحسنة جميعاً »[5]. وقرىء **(فمن نفسك/ ٧٩)** بفتح الميم ورفع السين[6] ، استفهام إنكار ، أي فمَن نفسُك حتى يُنْسَب إليها فِعل المعنى ما للنفس في السيئة فِعل[7]. **(وأرسلناك/ ٧٩)** فيه التفات. **(وكفى بالله شهيداً/ ٧٩)** فيه التفات آخر . الطوفي : « هو مناسب لقوله : **(وأرسلناك للناس رسولاً)** ، لأن الكفار طالبوه بمن يشهد له . **(من يطع الرسول/ ٨٠)** فيه التفات من الخطاب . **(فما أرسلناك)** فيه التفاتان

---

(١) ذكر أبو حيان أن أبا عمرو حكى أنها كذلك في مصحف ابن مسعود ، وذكر القرطبي أن مجاهداً رواها عن ابن عباس ، وأُبيّ ، وابن مسعود ثم قال القرطبي : « فهذه قراءة على التفسير ، وقد أثبتها بعض أهل الزيغ من القرآن ، والحديث بذلك عن ابن مسعود ، وأبيّ منقطع ، لأن مجاهداً لم ير عبدالله ولا أبيّاً » . انظر البحر (٣/ ٣٠١) ، والجامع للقرطبي (٥/ ٢٨٥ - ٢٨٦) .

(٢) البحـر (٣/ ٣٠٢) .

(٣) كتاب : « حـز الغلاصم ، وإفحام المخاصم » وهو عبارة عن مآخذ نحوية عن مآخذ أخذها عليه بعض النحاة .
والغلاصم : جمع غلصمة ، وهي اللحم بين الرأس والعنق ، وقيل : غير ذلك .
إنباه الرواة (٢/ ٧٣) ، ومعجم الأدباء (١١/ ٢٧٨) .

(٤) هو أبو الحسن ، شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة ، المعروف بابن الحاج القناوي ، صاحب أدب وعلم ، عمي في كبره . من مؤلفاته : « المختصر ، و« حز الغلاصم وإفحام المخاصم » وكلاهما في النحو ، توفي سنة ٥٩٩هـ .
نكت الهميان (١٦٨) ، وفوات الوفيات (١/ ١٨٨) ، بغية الوعاة (٢٦٧) ، والطالع السعيد (١٣٧ - ١٣٩) ، وإنباه الرواة (٢/ ٧٣) ، والديباج المذهب (١٢٧ - ١٢٩) .

(٥) البحـر (٣/ ٣١٠ - ٣٢٠) ، والجامع للقرطبي (٥/ ٢٨٧) بمعناه .

(٦) عن عائشة -رضـي الله عنها- البحر (٣/ ٣٠٢) .

(٧) والحاصل أن المعنى المراد في قوله تعالى : **(وإن تصبهم حسنةٌ . . . .)** إلى قوله : **(وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك)** ، هو أنه إذا نال أولئك القوم رخاء وظفر ونحو ذلك ، يقولوا هذه من قِبل الله ، ومن تقديره ، وإن =



في « نا » ، والكاف . (**ويقولون طاعة/٨١**) أي أَمْرُنا . (**بَيَّتَ طائفةٌ/٨١**) قرىء (**بيَّتَ مُبَيِّت**)[1] الأصمعي[2] : « كل أمر قُضِي بلَيل ، قيل : بيّت »[3] ، وقال غيره : « التبييت » التبديل بلغة طيء[4][5] ، (**تقول/٨١**) قيل : الضمير لطائفة ، وقيل : للرسول[6] . وقرىء بالتحتية[7] ، إما للطائفة ، على معنى الفريق ، وإما للرسول ، التفاتاً . (**والله يكتب/٨١**) فيه الفتات من التكلُّم في (**أرسلناك**) (**وكفى بالله وكيلاً/٨١**) . الطوفي : « مناسب لما في الآية من حكاية كيدهم » . (**أفلا يتدبرون/٨٢**) قرىء (**يَدَّبَّرون**)[8] ، أبوحيان : « التدبر : تأمل الأمر والنظر في إدباره ، وما يؤول إليه في عاقبته ، ثم استُعمل في كل تأمل »[9] . الكرماني :

= تصبهم شدة من عيش وهزيمة وغير ذلك ، يقولوا هذه من قبلك يا محمد ، بخطئك التدبير . فيأمر الله -عز وجل- نبيه -عليه الصلاة والسلام- أن يقول لهم بأن الرخاء والشدة ، والنصر والهزيمة من عند الله . . . .

ثم يبيِّن تعالى أن « الحسنة » و « السيئة » - بالمفهوم السابق الذكر - الأولى منهما تفضل من الله ، والثانية منهما إنما هي بسبب الذنوب .

انظر جامع البيان (٨/ ٥٥٥ - ٥٥٨) ، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٥٢٧) .

(١) عن عبد الله - كما في الدر المصون (٤/ ٥٠) .

(٢) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد الأصمعي ، نسبته إلى جده أصمع ، راوية العرب ، وعالم باللغة والشعر والبلدان ، ولد بالبصرة ، كان كثير التطواف في البوادي ، يقتبس علومها ، ويتلقى أخبارها ، من تصانيفه : « الإبل » ، و « الأضداد » و « المترادف » وغير ذلك ، توفي بالبصرة سنة ٢١٦هـ .

السيرافي (٥٨) ، جمهرة الأنساب (٢٣٤) ، ابن خلكان (١/ ٢٨٨) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٠) ، نزهة الألباء (١٥٠) ، إنباه الرواة (٢/ ١٩٧ - ٢٠٥) .

(٣) البحر (٣/ ٣٠٣) .

(٤) وهم طيء بن أدد ، قبيلة من كهلان من القحطانية ، كانوا ينزلون باليمن . معجم قبائل العرب (٢/ ٦٨٩) .

(٥) حكاه أبو حيان في البحر (٣/ ٣٠٣) .

(٦) القول الأول : هو قول ابن عباس ، والقول الثاني : حكاه أبو حيان ، وذكر أنه يؤيده قراءة عبدالله (بيت مبيت منهم يا محمد) . البحر (٣/ ٣٠٤) .

(٧) عن يحيى بن يعمر . البحر (٣/ ٣٠٤) .

(٨) عن ابن محيصن . البحر (٣/ ٣٠٥) .

(٩) البحر (٣/ ٣٠٣) .



« التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب ، والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل »[1] .

(**ولو كان من عند غيرِ الله ، لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**/٨٢) فيه النوع المسمى بالمذهب الكلامي ، والاحتجاج النظري . والمراد اختلاف التناقض والتباين ، لا اختلاف التلاوة . (**وإذا جاءهم أمرٌ من الأمنِ أو الخوفِ**/٨٣) فيه جناس وطباق . (**أذاعوا**/٨٣) الإذاعة إظهار الشيء وإفشاؤه ، يقال : ذاع يذيع ، وأذاع ، يتعدى بنفسه وبالباء . (**ولو ردوه إلى الرسول**/٨٣) فيه التفات . (**يستنبطونه**/٨٣) الراغب : « هو استعارة من أَنْبَطَ الماء : أخرجه من الأرض »[2]. ابن النقيب[3]: « لاح لي أن في الآية حذفاً ، وتقديماً وتأخيراً ، وأن هذا الكلام متعلق بالذي قبله ، مردود إليه ، والتقدير : أفلا يتدبرون القرآن ، ولو تدبروه لعلموا أنه من كلام الله ، وما أشكل[4] عليهم من متشابهه لو ردوه إلى الرسول ، وإلى أولي الأمر منهم ، لَعَلِمَه الذين يستنبطونه منهم ، يعني لَعَلِم معنى ذلك المتشابه الذين يستنبطونه منهم ، من أهل العلم بالكتاب (**إلا قليلاً**/٨٣) وهو ما استأثر الله به من عِلْم كتابه ومكنون خطابه » . قال: (**وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به**) ، والذي حسَّن لهم ذلك وزينَّه الشيطان ، ثم التفت إلى المؤمنين ، فقال : (**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، لاتبعتم الشيطان**/٨٣) ، وقد أشار إلى شيء من هذا أبو طالب المكي[5]

---

(١) العجائب (١/ ٣٠٠) .

(٢) المفردات (٨١) مادة : نبط - بمعناه .

(٣) محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي ، أبو عبد الله ، جمال الدين بن النقيب ، أصله من بلخ ، وولد في القدس ، وانتقل إلى القاهرة ، وأقرأ في بعض مدارسها وقد كان مفسراً ، ومن فقهاء الحنفية له تفسير كبير حافل ، قال المقريزي في سبعين مجلدة ، توفي بالقدس سنة ٦٩٨هـ .
الأنس الجليل (٢/٥٥٦) ، والفوائد البهية (١٦٨) ، الوافي بالوفيات (٣/١٣٦) ، السلوك للمقريزي (١/ ٨٨١) .

(٤) في (ب) : والمتكلم ، وفي البحر (٣/٣٠٦) : « والمشكل عليهم » .

(٥) محمد بن علي بن عطية الحارثي ، أبو طالب من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) ، نشأ بمكة ، ورحل إلى البصرة ، فاتهم بالاعتزال وسكن بغداد فوعظ بها ، فحفظ الناس عنه أقوالاً ، هجروه من أجلها .. من =



في كتابه : قوت القلوب[1]، فقال : « إن قوله : **(إلا قليلاً/٨٣)** متصل بقوله : **(لَعَلِمه الذين يستنبطونه منهم)** » انتهى[2]. الزملكاني : « قيل : **(إلا قليلاً)** متصل بقوله : **(لَعَلِمه الذين يستنبطونه منهم/٨٣)** ، وقيل : بقوله : **(ولولا فضل الله عليكم ورحمته/٨٣)** ، على تأويل : ولولا فضل الله عليكم ورحمته إلا قليلاً ممن لم يدخله في رحمته ، فاتَّبَعُوا الشيطان ، لاتبعتم أنتم الشيطان » . الكرماني : « **(إلا قليلاً)** قيل : متصل باتبعتم . وقيل : بأذاعوا به . وقيل : لعلمه الذين يستنبطونه . ويمكن حمله على كل ضمير جمعٍ سبقه في الآية »[3][4]. انتهى .

والخطاب في قوله : **(ولولا فضل الله عليكم)** للمؤمنين باتفاق ، قاله ابن عطية[5]، ففيه تلوين الخطاب . **(فقاتل/٨٤)** خاطب الرسول بعد خطاب المؤمنين ، عوداً إلى الأمر بالقتال بعد الاستطراد . **(لا تُكَلَّف/٨٤)** قرىء بالجزم على جواب الأمر ، وقرىء بالنون[6] على الالتفات . **(وحرِّض/٨٤)** الراغب :

= كتبه : « قوت القلوب » ، في التصوف . قال الخطيب البغدادي : « ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في الصفات » . توفي سنة ٣٨٦هـ .
وفيات الأعيان (٤٩١/١) ، ميزان الاعتدال (١٠٧/٣) ، تاريخ بغداد (٨٩/٣) ، لسان الميزان (٣٠٠/٥) .

(١) قوت القلوب (٥٦/١) .

(٢) البحر (٣٠٦/٣) . وقد تعقب أبو حيان هذا الكلام قائلاً :
« وهو كما ترى تركيب ونظم غير تركيب القرآن ونظمه ، وكثيراً ما يذكر هذا الرجل في القرآن تقديماً وتأخيراً ، وأغرب من ذلك أنه يجعله من أنواع علم البيان ، وأصحابنا وحذاق النحويين يجعلونه من باب ضرائر الأشعار ، وشتان ما بين القولين » . البحر (٣٠٧/٣) .

(٣) والقول الأول هو ما قاله الزمخشري ، والقول الثاني هو اختيار الكسائي والفراء وأبي عبيد ، وهو ما رجحه الطبري ، والقول الثالث هو قول الحسن وقتادة ، وهو اختيار ابن عيينة .
انظر البحر (٣٠٨/٣) ، وجامع البيان (٥٧٧/٨) ، والمحرر (١٥١/٤) ، ومعاني القرآن للفراء (٢٧٩/١) ، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢٠٠/١) .

(٤) العجائب (٣٠١/١) .

(٥) المحرر الوجيز (١٥١/٤) .

(٦) القراءة الأولى هي قراءة عبد الله بن عمر ، والقراءة الثانية بالنون وكسر اللام ، ذكرها أبو حيان دون نسبة . البحر (٣٠٩/٣) .



« التحـريض : الحث على الشيء بكثرة التزيين[1] وتسهيل الخَطْب فيه ، كأنه في الأصـل إزالـة الحَرَض ، وهو الفساد ، نحو : قذيته ، ومرضته ، أي أزلت عنه المـرض والقـذى ، وأحـرضتـه : أفسـدتـه ، كأقـذيته ، جعلت فيه الأذى »[2]. (تنكيـلاً/٨٤) أبـوحيان : « التنكيل الأخـذ بأنـواع العـذاب ، وتـرديده على المعـذَّب »[3]. (من يشفـع/٨٥) الآية ، قال قوم : « من يكن شفيعـاً[4] لِوِتْـر أصحـابـك يا محمـد في الجهاد ، يكن له نصيب من الجهاد ، أو من يشفع وِتْر الإسـلام بالمعـونـة للمسلمين »[5]. قال أبوحيان : « وألجأهم إلى هذا التأويل ما تقدم[6] من ذكر القتال والأمر به » ، قال : « والكِفْل : النصيب ، والنصيب في الخير أكثر استعمالاً ، والكِفْل في الشر أكثر منه في الخير ، ولذا عبرّ بالنصيب في الحسنة ، وبالكفل في السيئة ، وهو مستعار من كِفل البعير ، وهو كساء يدار على سنامه ليركب عليه ، وسُمِّي كفلاً ، لأنه لم يعم الظهر »[7].

الراغب : « الكِفل الحظ الذي فيه الكفاية ، وهو في الآية مستعار من الكفل ، وهو الشيء الرديء ، واشتقاقه من الكفل ، لأنه لما كان مركباً ينبو براكبه ، صار متعارفاً في كل شدة ، ومعنى الآية : من ينضم إلى غيره ، معيناً له في فعلة حسنة ، يكن له منها نصيب ، ومن ينضم إلى غيره معيناً له في سيئة ، يناله منها شدة .

وقيل : الكِفل : الكفيل ، نبَّه[8] أن من يتحرى شراً ، فله من فِعله كفيل يسأله ، كما يقال : من ظلم فقد أقام كفيلاً يظلمه[9] ، تنبيهاً على أنه لا يمكنه

---

(١) في (أ) : بتربيته ، وفي (ب) : بترتيبه ، وما أثبتناه من مفردات الراغب .

(٢) المفردات (١١٣ - ١١٤) مادة : حرض .

(٣) البحـر (٣/٣٠٣) .

(٤) في (ب) : شافعاً .

(٥) البحـر (٣/٣٠٩) بقليل من الاختصار .

(٦) فيهما « ما بعده » ، وما أثبتناه من البحر (٣/٣٠٩) .

(٧) البحـر (٣/٣٠٣ ، ٣٠٩) .

(٨) في (أ) : بـه .

(٩) في (أ) : يظلم .



التخلص من عقوبته »[1] . انتهى. **(وكان الله على كل شيءٍ مقيتاً/٨٥)** الطوفي : « مناسب لما في الآية ، لأن المقيت : الشاهد الحفيظ ، أو المقتدر ، وكلٌّ مناسب ، لأنه سبحانه يشهد الشفاعة ويحفظها ، ويقدر على الجزاء عليها » . **(بتحيةٍ/٨٦)** الأزهري : « التحية بمعنى المُلْك ، وبمعنى البقاء ، ثم صار بمعنى السلام »[2]. الراغب : « التحية أن يقال : حيّاك الله ، أي جعل لك حياة ، وذلك إخبار ، ثم يُجعل دعاء ، ويقال : حيّى فلانٌ فلاناً تحيةً ، إذا قال له ذلك . وأصل التحية من الحياة ، ثم جعل كل دعاء تحية ، لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة ، أو سبب حياة ، إما لدنيا أو لآخرة »[3][4]. **(إن الله كان على كل شيءٍ حسيباً/٨٦)** الطوفي: « مناسب لما في الآية ، لأن الحسيب ، المحاسب المجازي ، فهو سبحانه يجازي الآتي بالتحية والرادّ والتارك لذلك ، كلٌّ بحسبه » . **(الله لا إلٰه إلا هو/٨٧)** أبو حيان: « لما ذكر أنه على كل شيءٍ حسيبٌ ، تلاه بالإعلام بوحدانية الله والحشر والبعث من القبور للحساب »[5]. **(إلى يوم القيامة/٨٧)** أبوحيان: « القيامة والقيام واحد ، ودخلت الهاء للمبالغة ، لشدة ما يقع فيه من الهول »[6]. **(ومن أصدقُ من الله حديثاً/٨٧)** تذييل . الطوفي : « مناسب لما أخبر به من الجمع » . **(أركَسَهم/٨٨)** الراغب : « الركس : قلب الشيء على رأسه ، وردّ أوله إلى آخره »[7]. وعبارة أبي حيان : « ردّ آخره على أوله »[8]. وقرىء **(ركسهم)** مخففاً ومشدداً ثلاث لغات[9]. الراغب : « الركس والنكس : الرد ، والركس أبلغ من النكس ، لأن النكس ما جعل أسفله أعلاه ، والركس أصله ما رجع رجيعاً بعد

(١) المفردات (٤٣٦) مادة : كفل - بتصرف .
(٢) تهذيب اللغة (٥/٢٩١) مادة : حي - باختصار .
(٣) في (أ) : الآخـرة .
(٤) المفردات (١٤٠) مادة : حيي .
(٥) البحـر (٣/٣١٢) .
(٦) البحـر (٣/٣١٢) باختصار قليل .
(٧) المفردات (٢٠٢) مادة : ركس .
(٨) البحـر (٣/٣١١) .
(٩) ذكر أبو حيان قراءة التخفيف عن عبد الله ، وذكر قراءة التشديد ، ولم ينسبها لأحد . البحر (٣/٣١٣) .



أن كان طعاماً فهو كالرجس ، وصف أعمالهم به ، كما قال : **(إنما المشركون نَجَسٌ)**[1]، وأركسه أبلغ من ركسه ، كما أن أسقاه أبلغ من سقاه »[2] .

(فتكونون/ ٨٩) الزملكاني : « ليس جواباً للتمني ولذا رُفع ، بل هو منسوق على تأويل : وَدُّوا لو تكفرون : وَدُّوا لو تكونون[3] سواء ، ونظيره **(ودّ الذين كفروا)** إلى قوله : **(فيميلون)** »[4] **(إلا الذين يصلون/ ٩٠)** استثناء من قوله : **(فخذوهم/ ٨٩)** . **(حَصِرت صدورُهم/ ٩٠)** حال بإضمار قد . وقيل : صفة ، أي قوم حَصِرت . وقيل : دعاء عليهم[5]، ويؤيد الأول ما قرىء: **(حَصِرةً)** ، و **(حَصِرات)** ، و **(حاصراتٍ)** ، وقرىء **(حصرةٌ)**[6] بالرفع ، خبر **(صدورهم)** قدّم . وفي مصحف أُبيّ إسقاط **(أو)**[7] ، فـ **(جاؤوكم/ ٩٠)** بيان ليصلون ، أو بدل ، أو استئناف ، أو صفة بعد صفة لقوم[8]. **(فلقَاتَلُوكم/ ٩٠)** قيل: جواب ثان[9]

---

(١) التوبة (٢٨) .

(٢) البحر (٣/٣١٣) .

(٣) في (أ) : لو تكفرون .

(٤) النساء (١٠٢) .

(٥) القول الأول هو قول جمهور النحويين ، ومنهم الفراء ، ومكي ، والقول الثاني والثالث هما قول المبرد .
انظر معاني القرآن للفراء (١/٢٨٢) ، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٧٩) ، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/٢٠١) ، والمحرر (٤/١٦٥) ، والبحر (٣/٣١٧) .

(٦) القراءة بـ(حَصِرةً) هي قراءة الحسن وقتادة ويعقوب ، وذكرها المهدوي عن عاصم في رواية حفص .
والقراءة بـ(حاصرات) حكيت عن الحسن ، وأسندها ابن خالويه إلى الضحاك .
والقراءة بـ(حصرات) ، هي قراءة جناح بن حبيش .
والقراءة الأخيرة ذكرها أبو حيان دون نسبة .
انظر البحر (٣/٣١٧) ، والمحرر الوجيز (٤/١٦٥) ، ابن خالويه (٢٧-٢٨) .

(٧) البحر (٣/٣١٦) .

(٨) ذكر الزمخشري هذه الأوجه . الكشاف (١/٥٥١) .
وقد عقب أبو حيان على ذلك قائلاً :
« وهي وجوه محتملة ، وفي بعضها ضعف ، وهو البيان ، والبدل ، لأن البيان لا يكون في الأفعال ، ولأن البدل لا يتأتى ، لكونه ليس إياه ، ولا بعضاً ، ولا مشتملاً » .
البحر (٣/٣١٧) .

(٩) في (ب) : بيان .



لـ(لـو)[1]. وقـرىء (فلقتلوكم) مخففـاً ومشـدداً[2]. (السَّلَم/٩٠) قرىء بسكون اللام ، مع فتح السين وكسرها[3]. (ستجدون آخرينَ/٩١) لما ذكر صفة المحقين في المتاركة ، المجدّين في إلقاء السلم ، نبّه على طائفة أخرى مخادعة يريدون الإقامة في مواضعهم مع أهليهم . ابن عطية: «تأمل فصاحة هذا الكلام ، حيث ساقه في الآية المتقدمة سياق إيجاب الاعتزال ، وإيجاب إلقاء السلم ، ونفي المقاتلة[4] إذا كانوا محقِّين في ذلك ، معتقدين له ، وساقه في هذه الآية سياق نفي الاعتزال ، ونفي إلقاء السلم إذا كانوا مبطلين فيه مخادعين ، والحكم سواء على السياقين ، لأن الذين لم يجعل عليهم سبيلاً ، ولو لم يعتزلوا ، لكان حكمهم حكم الذين جعل عليهم السلطان المبين ، وكذلك الذين عليهم السلطان إذا لم يعتزلوا ، لو اعتزلوا ، لكان حكمهم حكم الذين لا سبيل عليهم »[5]. أبوحيان: « لما كان أمر الفرقة الأولى أخف ، رتَّب تعالى انتفاء جعل السبيل عليهم ، على تقدير سببين : وجود الاعتزال ، وإلقاء السلم ، ولما كان أمر هذه الفرقة المخادعة أشد ، رتَّب أخذهم وقتلهم على ثلاثة أشياء: نفي الاعتزال ، ونفي إلقاء السلم ، ونفي كفّ الأيدي ، كل ذلك على سبيل التأكيد في حقهم والتشديد »[6].

وقرىء (ردوا/٩١) بكسر الراء[7]، و (ركسوا/٩١) مخففاً ومشدداً[8]. (وما كان

---

(١) وقد ذهب أبو حيان إلى هذا القول . البحر (٣١٨/٣) .

(٢) قراءة التخفيف هي قراءة مجاهد وطائفة ، وقراءة التشديد هي قراءة الحسن والجحدري . البحر (٣١٨/٣) .

(٣) قراءة فتح السين مع سكون اللام ، هي قراءة الجحدري ، وقراءة كسر السين مع سكون اللام ، هي قراءة الحسن . البحر (٣١٨/٣) ، وابن خالويه (٢٨) .

(٤) في (ب) : المقابلة .

(٥) المحرر الوجيز (١٦٨/٤) بتصرف يسير .

(٦) البحر (٣١٩/٣) .

(٧) أسندها ابن خالويه إلى علقمة ، وأسندها أبو حيان إلى ابن وثاب والأعمش . ابن خالويه (٢٧) ، والبحر (٣١٩/٣) ، وإعراب القرآن للنحاس (٤٧٩/١) .

(٨) القراءة بالتخفيف هي قراءة عبد الله ، والقراءة بالتشديد حكاها ابن جني عن عبد الله أيضاً . أنظر ابن خالويه (٢٧) ، والمحتسب (١٩٤/١) ، والبحر (٣١٩/٣) .

لمؤمنٍ/٩٢) أبـوحيان : «لما رغَّب في مقاتلة الكفار ، ذكر بعد ذلك ، ما يتعلق بالمحاربة ، ومنها أن يظن شخصاً حربياً ، وهو مسلم ، فيقتله »[١]. **(إلا خَطَأً/٩٢)** استثناء منقطع . وقرىء بالمد بوزن سماء ، وبالقصر بوزن عصا[٢]. **(رَقَبةٍ/٩٢)** الراغب : «هي اسم للعضو المعروف ، ثم يعبِّر به عن الجملة ، وجعل في التعارف اسماً للمماليك ، كما عبرَّ بالرأس عن السادة ، وبالظهر عن المركوب »[٣]. **(إلا أن يَصَّدَّقُوا/٩٢)** قرىء بالفوقية على الخطاب التفاتاً ، وبها مخففاً على حذف إحدى التاءين ، و**(يتصدقوا)** بالتحتية[٤]. وجاء بلفظ التصدق ، تنبيهاً على فضيلة العفو ، وحضـاً عليه ، وأنـه جارٍ مجرى الصـدقة في استحقاق الثواب . **(من قومٍ عدوٍ لكم/٩٢)** أي في قوم ، بدليل قوله : **(وهو مؤمنٌ)** ، ووقع في الآية تقديم الأشرف فالأشرف ، وهو المؤمن من المهاجر ، ثم المؤمن الذي لم يهاجر ، ثم الذمي . **(وكان الله عليماً حكيماً/٩٤)** مناسب لما في الآية من أحكام قتل الخطأ ، والتكفير بالعتق أو الصـوم ، لأن ذلك التفصيل يستدعي علماً وحكمة وحكماً منفذاً كما سبق في فاصلة آية الوصية . **(ومن يقتل مؤمناً/٩٣)** الآية ، لما ذكر قتل الخطأ ، ذكر مقابله وهو قتل العمد. **(يأيها الذين آمنوا/٩٤)** لما ذكر من قتل مؤمناً متعمداً ، وما رتّب عليه من الوعيد ، أمر المؤمنين بالتثبت والتبينّ ، وألا يقدم الإنسان على قتل من أظهر الإيمان بتأويل ضعيف ، ولما كان حقاً ذلك منوطاً بالغزوات ، رتَّبه عليه . **(فتبيّنوا/٩٤)** القراءة من التثبت ، ومن التبين[٥]. قيل: والثانية أبلغ من الأولى ، لأن المتثبت قد لا يتبينَّ وقلما يكون التبينُّ إلا بعد تثبت . الفارسي : « المراد بالتثبت

---

(١) البحـر (٣/٣٢٠) .

(٢) القـراءة بالمد هي قراءة الحسن والأعمش ، وبالقراءة بالقصر هي قراءة الزهري ابن خالويه (٢٨) ، والبحر (٣/٣٢١) .

(٣) المفردات (٢٠١) مادة : رقب .

(٤) هذه في حرف عبـد الله وأُبيّ . والقـراءة بالفـوقية في (يصـدقـوا) ، هي قراءة الحسن وأبي عبـد الـرحمن وعبد الوارث عن أبي عمرو . والقراءة التي بعدها ، ذكرها أبو حيان دون نسبة . البحر (٣/٣٢٤) ، وانظر ابن خالويه (٢٨) .

(٥) القراءة بالثاء ، هي قراءة حمزة والكسائي ، والقراءة بالتاء هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٠٩) .



التأني ، وهو أشد اختصاصاً بهذا الموضع »[1]. **(السلام)** بألف ، ودونها[2]. وقرىء بسكون اللام ، مع كسر السين وفتحها[3]. **(فَتَبَيَّنُوا/ ٩٤)** كُرر للتأكيد اهتماماً بهذا الأمر وتعظيماً لِحُرمة القتل . **(إن الله/ ٩٤)** قرىء بفتح (ان)[4] معمولة لتبينوا . **(كان بما تعملون خبيراً/ ٩٤)** مناسب لما في الآية ، أعلمهم أنه خبير بعملهم وقصدهم وهل جهادهم في سبيله ، أو طلب عرض الدنيا ، وفيه الإشارة إلى المجازاة. **(لا يستوي القاعدون/ ٩٥)** الآية ، عود إلى قصة الجهاد بعد الاستطراد. وفي التعبير بنفي الاستواء إيهام على السامع ، وهو أبلغ من تحري المنزلة التي بين القاعد والمجاهد ، لأن المتأمل يستعمل فكره ، ولا يزال يتخيل الدرجات بينهما. **(غَيرُ أُولي الضرر/ ٩٥)** بالنصب ، استثناءً ، والرفع[5]، صفة **(القاعدون/ ٩٥)**. وقرىء بالجر[6]، صفة المؤمنين. **(فضَّل الله المجاهدين/ ٩٥)** تفسير لنفي الاستواء . **(درجةً/ ٩٥)** الكرماني : « قال هنا درجة ، وفي الآية الثانية **(درجاتٍ/ ٩٦)** ، لأن الأولى في الدنيا ، وهي الغنيمة ، والثانية في الجنة . وقيل : الأولى بالمنزلة ، والثانية بالمنزل ، وهي الجنة ودرجاتها . وقيل : الأولى على القاعدين بعذر ، والثانية على القاعدين بغير عذر »[7]. الزمخشري : « فإن قلت : قد ذكر الله مفضَّلِين درجة ، ومفضَّلِين درجات ؟ .

قلت : الأولون الذين فُضِّلُوا على القاعدين الأضِراء ، والآخرون الذين فُضِّلُوا على القاعدين ، الذين أُذِن لهم في التخلّف اكتفاء بغيرهم ، لأن الغزو فرض

---

(١) الحجة للقراءة السبعة (٣/ ١٧٤) باختصار .

(٢) القراءة بدون الألف هي قراءة نافع ، وابن عامر ، وحمزة ، والقراءة بالألف هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٠٩) .

(٣) القراءة الأولى رويت عن عاصم في بعض طرقه ، والقراءة الثانية هي قراءة الجحدري . المحرر الوجيز (٤/ ١٨٤) .

(٤) البحر (٣/ ٣٣٠) من غير نسبة .

(٥) قراءة النصب هي قراءة نافع ، وابن عمر ، والكسائي ، وقراءة الرفع هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢١٠) ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٨٣) ، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٨٣) .

(٦) عن الأعمش وأبي حيوة . البحر (٣/ ٣٣٠) .

(٧) أسرار التكرار (٥٦) .



كفاية »[1]. الماتريدي : «ليس مدلول **(درجة)** مخالف لمدلول درجات ، بل هما سواء في المعنى ، قال تعالى : **(وللرجال عليهن درجةٌ)**[2]، لم يرد بها شيء واحد ، بل أشياء ، وكرّر التفضيل للتأكيد والترغيب في الجهاد »[3]. **(وكلًّا/٩٥)** قرىء بالرفع[4] على الابتداء ، أي كلهم. **(درجاتٍ)** بدل من أجراً[5]. **(وكان الله غفوراً رحيماً/٩٦)** الطوفي: «تقرير للوعد بالمغفرة الجزئية بالاتصاف بالمغفرة الكلية » . **(إن الذين توفاهم الملائكة/٩٧)** الآية ، هي في الهجرة ، ولها اعتلاق بالجهاد . أبوحيان : « لما ذكر ثواب من أقدم على الجهاد ، أتبعه بعقاب من قعد عن الجهاد ، وسكن في بلاد الكفر »[6]. وقرىء **(تُوفاهم/٩٧)** بضم التاء[7] ، مضارع وفيت . **(إلا المستضعفين/٩٨)** الآية ، فيه الترقي من الضعيف إلى الأضعف . **(لا يستطيعون/٩٨)** بيان للاستضعاف . **(حِيلَةً/٩٨)**[8].

(وكان الله عفواً غفوراً/٩٩) من باب تقرير الجزئي بالكلي كما تقدم. **(مُراغَماً/١٠٠)** الراغب : « رَغِم أنف فلان ، وقع في الرَّغام ، وهو التراب ، وأَرْغَمَه غيره ، ويعبر بذلك عن السخط ، وراغمه : ساخطه ، ثم تُستعار المراغمة للمنازعة ، و **(مُراغَماً كثيراً)** أي مذهباً يذهب إليه ، إذا رأى منكراً يلزمه أن يغضب منه »[9]. أبوحيان: «المراغم : مكان المراغمة ، وهو أن يرغم كل من المتنازعين بحصوله في منعة أنف صاحبه ، بأن يغلبه على مراده .

---

(١) الكشاف (٥٥٦/١) .
(٢) البقرة (٢٢٨) .
(٣) البحر (٣٣٢/٣) .
(٤) البحر (٣٣٣/٣) دون نسبة .
(٥) في (ب) : من كل من أجرا ومغفرة ورحمة .
(٦) البحر (٣٣٣/٣) .
(٧) عن إبراهيم . البحر (٣٣٤/٣) .
(٨) بياض في الأصل .
(٩) المفردات (١٩٩) مادة : رغم - بتصرف .

يقال : راغمت فلاناً ، إذا فارقته ، وهو يكره مفارقتك لمذلةٍ تلحقه »[1]. وقرىء (مـرغمـاً)[2] على حذف الزوائد . وقدّم مراغمة العداء على سعة العيش ، لأن الابتهـاج برغم أُنوف الأعداء لسوء معاملتهم ، أشد من الابتهاج بالسعة . (ثم يُدْرِكْـه/١٠٠) قرىء بالـرفـع على إضمار المبتدأ ، وبالنصب[3] على إضمار أن . (وكـان الله غفوراً رحيماً/١٠٠) أي لما اكتسب قبل خروجه مهاجراً بتقاعده عن الهجرة وغيره. (وإذا ضربتم في الأرض/١٠١) فيه استعارة الضرب للسير . ووجه ربط الآية ، أنه لما أمر بالجهاد والهجرة ، وكان ذلك يلزم عنه السفر والخوف ، ذكر ما يتعلق بهما من تخفيف أمر الصلاة من القصر والرخصة في كيفية صلاة الخوف والأمر بحمل السلاح فيهما . (فليس عليكم جناحٌ أن تقصروا من الصلاة إن خِفتم أن يفتنكم الذين كفروا/١٠١) ظاهره أن الخوف شرط في إباحة القصر ، وليس مراداً كما دل عليه الحـديث الصحيح[4]. قيل: وهو أحد المواضع التي وقع فيها صيغة الشرط ، ولا مفهوم له لموافقته الواقع إذ ذاك ، كقوله: (ولا تُكرِهُوا فَتياتكم على البغـاءِ إنْ أَردن تَحصُّنـاً)[5]، (وبُعـولَتُهن أحقُّ بِردِّهن في ذلـكَ إن أرادوا إصـلاحـاً)[6] وقيل: هذا من المـوصـول المفصـول ، وأن الكـلام تمَّ عنـد (من الصـلاة/١٠١) ، وقوله: (إن خفتم/١٠١) ابتداء حكم صلاة الخوف ، ويؤيد

---

(١) البحـر (٣/٣٢٧ - ٣٢٨) .

(٢) عن الجراح ونبيح والحسن بن عمران .
البحر (٣/٣٣٦) ، وانظر ابن خالويه (٢٨) .

(٣) قراءة الرفع هي قراءة النخعي وطلحة بن مصرف ، وقراءة النصب هي قراءة الحسن بن أبي الحسن .
البحر (٣/٣٣٦ - ٣٣٧) .

(٤) أخرج مسلم عن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب : (ليس عليكم جُناحٌ أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفـروا) فقد أَمِن الناس ! فقال : عجبتُ مما عجبتَ منه ، فسألت رسول الله -ﷺ- عن ذلك ، فقال : (صدقة تصدَّقَ الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته) .
مسلم (١/٤٧٨) كتاب : صلاة المسافرين وقصرها - باب (١) ، وأخرجه أيضاً أبو داود (٢/٧) كتاب الصلاة - باب (٢٧٠) ، وابن ماجه (١/٣٣٩) كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها - باب (٧٣) .

(٥) النـــور (٣٣) .

(٦) البقرة (٢٢٨) .



ذلك ما ورد في سبب النزول ، فأخرج[1] ابن جرير من حديث علي ، قال : سأل قوم من التجار[2] رسول الله -ﷺ- فقالوا : يا رسول الله ، إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي ، فأنزل الله **(وإذا ضربتم في الأرض ، فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة/١٠١)** ثم انقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك بحول ، غزا النبي -ﷺ- فصلى الظهر ، فقال المشركون : لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم ، هلّا شدَّدتم عليهم ؟. فقال قائل منهم : إن لهم أخرى مثلها في أثرها ، فأنزل الله بين الصلاتين **(إن خِفتم أن يفتنكم الذين كفروا/١٠١)** إلى قوله : **(عذاباً مهيناً/١٠٢)** ، فنزلت صلاة الخوف[3]، فتبيَّن بهذا الحديث أن قوله: **(إن خِفتم/١٠١)** شرط فيما بعده ، وهو صلاة الخوف ، لا في صلاة القصر ، وقد قال ابن جرير : « هذا تأويل حسن لو لم يكن في الآية إذا »[4].

قال ابن الفرس[5]: « ويصح مع إذا على جعل الواو زائدة ، بناء على قول من يجيز زيادتها »[6] وقال ابن الزملكاني في أسرار التنزيل ما نصه : « قيل تمَّت القصة عند قوله: **(من الصلاة)** ، ثم افتتح قصة صلاة الخوف بلا واو عطف ، ومن هذا النوع : **(وربك يخلق ما يشاء ويختار)**[7]، تمَّت ، ثم قال: **(ما كان لهم الخِيَرَةُ)**[8] ،

---

(١) في (أ) : أبو .

(٢) في النسختين « بني النجار » ، ولعل الصواب هو ما أثبته ، كما هو في جامع البيان (٩ ، ١٢٦) ، والدر المنثور (٢/٢٠٩) .

(٣) جامع البيان (٩/١٢٦) .

وهذا الأثر خرجه السيوطي في الدر المنثور (٢/٢٠٩) ، وابن كثير في تفسيره (٢/٥٦٤) ولم ينسباه لغير ابن جرير .

وقال ابن كثير بعد أن ساق هذا الأثر : « وهذا سياق غريب جداً ، ولكن لبعضه شاهد من رواية أبي عياش الزرقي ، واسمه زيد بن الصامت . . . . » .

(٤) وإذا تؤذن بانقطاع ما بعدها عن معنى ما قبلها . . . . » كما قال ابن جرير . جامع البيان (٩/١٢٧) .

(٥) هو أبو عبد الله ، عبد المنعم بن محمد الخزرجي ، المعروف بابن الفرس ، قاضي أندلسي، وجعل إليه النظر في الحسبة والشرطة ، من مؤلفاته : « أحكام القرآن » وهو مخطوط . توفي ٥٩٩هـ .

الديباج المذهب (٢١٨) ، وبغية الوعاة (٣١٥) ، والتكملة لابن الأبار (٦٥١) .

(٦)

(٧+٨) القصص (٦٨) .



ولو أتى بالواو لاتضح الانفصال . ومنه: (**قالتَ امرأةُ العزيزِ الآن حَصْحَصَ الحقُ**) إلى قوله: (**من الصادقين**)[1] ثم قولها ، وقوله: (**ذلك ليعلم**)[2] إلى آخره من كلام يوسف. فإن قلت: لِمَ خُتمت الآية بقـولـه: (**إن الكـافـرين كانـوا لكم عدواً مبيناً/١٠١**)؟. قلت : من عادتهم أن يفتتحوا الخبر بأمسِّ شيءٍ لم يُعرَض وصفه ، ثم إذا فرغ من الوصف ، رجع إلى جواب ما ابتدؤوا به ، كقوله: (**ووصينا الإنسانَ بوالديهِ**)[3]، ثم أخذ في وصف الإنسان ، فقال (**حَمَلَتْهُ أمه وَهْناً على وَهْنٍ**)[4]، ثم نظر به فصلاً آخر ، فقال : (**وفِصالُهُ في عامين**)[5] ، وإنما ذكر ذلك ليبينِّ وجوب حق الوالدة ، ثم لما فرغ من ذلك ، رجع إلى مبدأ الخبر ، فقال: (**أن آشكرُ لي ولوالديكَ**)[6] ، وقوله: (**وإذا كنتَ فيهم/١٠٢**) شرط آخر ذُكِر قبل مجيء جواب الشرط الأول في الفصل المتقدم ، ونـظيره (**فإما يأتينكم مني هدىً ، فمن تَبِعَ هدايَ**)[7] ، فالقصة الأولى في قصر الصلاة إلى المنتهى الذي بينته ، ويعضد ذلك قوله بعد انقضاء قصة القصر: (**فإذا اطمأننتم/١٠٣**) ضد السفر والحركة على حدِّ (**ألا بذِكـر الله تطمئنُ القلوبُ**)[8] أي تسكن ، لأنه شرع القصر بعِلَّة السفر ، والإتمام عند زواله ، ولو شرعه بالسفر والخوف ، لقال : فإذا اطمأننتم وأمنتم ، فأقيمـوا الصلاة ، لأن ضد الخوف الأَمَنَة ، وضد السفر الطمأنينة ، وليس ضد الخوف الطمأنينة ، لأنه قال: (**الذين إذا ذُكر الله ، وَجِلَت قلوبهم**)[9] ، فكيف يمدحهم على ذهاب خوفهم ، مع أنه مدح الطمأنينة ، فقال: (**ألا بذِكر الله تطمئن القلوب**) ، فكيف يقع المدح والذم معاً على الخوف وذهابه». انتهى. ومن في (**من الصلاة/١٠١**) تبعيضية ، وقيل : زائـدة[10]وقـرىء (**تقصـروا**) رباعياً ، وقرىء

---

(١) يوسـف (٥١) .

(٢) يوسـف (٥٢) .

(٣+٤+٥+٦) لقمـان (١٤) .

(٧) البقـرة (٣٨) .

(٨) الرعد (٢٨) .

(٩) الأنفـال (٢) ، والحج (٣٥) .

(١٠) انظر البحـر (٣/ ٣٣٩) .

مشدداً[١] ، وقرأ أُبيّ وابن مسعود (من الصلاة أن يفتنكم) بإسقاط (إن خفتم)[٢] . (فلتقم) قرىء بالتحتية[٣]، وفيه مع (فأقمت) جناس . (طائفةٌ منهم مَعكَ) فيه اكتفاء ، أي وطائفة وجاه العدو . (وليأخذوا/١٠٢) ضميره لطائفة ، وقيل : للجميع[٤]، فوافق ضمير (فيهم) ، و(لهم) ما بعده . (فإذا سجدوا) ضميره للطائفة . (فليكونوا من ورائِكم) ضميره قيل: للطائفة الأخرى التي دل عليها السياق[٥] ، وقيل : للطائفة الساجدة ، على معنى : إذا فرغوا من السجود ، وانتقلوا إلى الحراسة ، فكانوا من ورائكم[٦]. (وليأخذوا حِذرهم وأسلحتهم/١٠٢) أبوحيان: « جمع بينهما في الأخذ ، كأنه جعل الحذر آية يحتذر بها كالأسلحة ، كقوله: (تبوؤوا الدار والإيمان)[٧] ، جعل الإيمان مستقراً ، لتمكّنهم فيه[٨]. (وأمتعتكم) قرىء (وأمتعاتكم)[٩] ، (فيميلون) استعارة للحمل في الحرب . (وخذوا حِذركم) أي في الحالة التي رخّص فيها في وضع السلاح . (إن الله أعد للكافرين عذاباً مُهيناً) قال الزمخشري : « الأمر بالحذر من العدو يُوهِم توقُّع غَلَبة واعتزاز[١٠]، فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أن الله يُهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه ، لتقوى قلوبهم ، وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك ، وإنما هو تعبُّد من

(١) قراءة (تقصروا) بضم التاء وكسر الصاد وسكون القاف هي قراءة رواها الضبي عن أصحابه ، وقراءتها بضم التاء وفتح القاف وكسر الصاد وشدها ، هي قراءة الزهري . المحرر الوجيز (٤/٢٠٥) ، وانظر ابن خالويه (٢٨) .

(٢) البحر (٣/٣٣٩) .

(٣) مع كسر اللام ، وهي قراءة الحسن ويحيى ، ابن خالويه (٢٨) .

(٤) أسند أبو حيان هذا القول إلى النحاس ، واستظهر القول الأول ، وذلك للقرب من الضمير. البحر (٣/٣٤٠) .

(٥) وهي الطائفة القائمة أولاً بإزاء العدو - كما ذهب إلى ذلك الزمخشري . الكشاف (١/٥٥٩) .

(٦) وقد استظهر أبو حيان هذا القول . البحر (٣/٣٤٠) . وذهب ابن عطية إلى تجويز هذا القول والقول السابق . المحرر الوجيز (٤/٢١٣) .

(٧) الحشر (٩) .

(٨) البحر (٣/٣٤١) .

(٩) عن سعيد بن حميد - ابن خالويه (٢٨) .

(١٠) في (أ) : واعتذار .



الله ، كما قال : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلُكَةِ »[1][2] . (**فإذا قضيتم الصلاةَ/١٠٣**) أي فرغتم من أدائها . (**فاذكروا الله/١٠٣**) ، قال أبوحيان : « هو نظير ما أُمِروا به من الذكر عند قضاء المناسك بالتهليل والتسبيح والدعاء بقوله : (**فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله**)[3][4] . (**فإذا اطمأننتم ، فأقيموا الصلاة/١٠٣**) أي أدوها تامة بحدودها . (**كتاباً موقوتاً/١٠٣**) ، لم يقل موقوتة مراعاة للكتاب ، فإنه مذكَّر .

الإمام : « أجمل هنا ذِكر الأوقات ، وفسَّرها في آيات خمس[5]، وتوقيتها بأوقات خمسة في نهاية الحسن ، نظراً إلى المعقولات ، لأن الحواس لها مراتب خمس : مرتبة الحدوث ، ومرتبة الوقوف ، ومرتبة الكهولة ، وفيها نقصان خفي ، ومرتبة الشيخوخة ، والخامسة أن تبقى آثاره بعد موته مدة ، ثم تمحى ، وهذه المراتب حصلت للشمس بحسب طلوعها وغروبها ، فأوجب الله عند كل مرتبة من أحوالها الخمس صلاة »[6] . (**ولا تَهِنُوا/١٠٤**) الآية ، نزلت في انصراف الصحابة من أُحد ، فهو متصل بقوله: (**فما لكم في المنافقين فِئَتَين/٨٨**) ، مع ما قبله بعد الاستطراد ، والمراد بابتغاء القوم طلبهم ، الذي توجَّه إليه الرسول بعد وقعة أُحد ،

---

(١) البقرة (١٩٥) .

(٢) الكشاف (١/٥٦٠) .

(٣) البقرة (٢٠٠) .

(٤) البحر (٣/٣٤١) بتصرف .

(٥) وقد ذكر الإمام الآيات الدالة على ذلك ، وهي :
أ - (**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**) .
ب - (**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر**) .
جـ - (**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون**) .
د - (**وأقم الصلاة طرفي النهار ، وزلفاً من الليل**) .

(٦) التفسير الكبير (١١/٣٠) .
وقد علق أبو حيان على كلام الفخر الرازي هذا بقوله : « وطوّل هو كثيراً في شيء لا يدل عليه القرآن ، ولا تقتضيه لغة العرب » . البحر (٣/٣٤٢) .



وقد ذكره في آخر قصة أُحد من آل عمران[1]، وبذلك يُعرف اعتلاق هذه السورة بما قبلها ، وأن وضعها بعدها أنسب من وضعها قبلها ، لأن قصة أُحد هناك مستوفاة من أولها إلى آخرها ، والمذكور منها في هذه السورة ذيلها ولواحقها ، فهو بالتأخير أليق . وقيل : إنها في الجهاد مطلقاً ، فهي متصلة بقوله : **(ألم ترَ إلى الذين قيل لهم كُفُّوا أيديَكُم/٧٧)** إلى قوله : **(فلما كُتب عليهم القتال ، إذا فريقٌ منهم يخشون الناسَ)**[2] الآيات النازلة في الحضّ على القتال إلى قوله : **(وحرّض المؤمنين)**[3] ، ومن هنا وقع الاستطراد[4] وهذا عود عليه . وقرىء **(تَهِنُوا/١٠٤)** بفتح الهاء ، لغة ، و**(تُهانوا)**[5] من الإهانة ، نُهوا عن أن يقع منهم جُبن ، فيترتب عليه إهانة . **(إن تكونوا تألمونَ ، فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون/١٠٤)** نوع من الاحتجاج النظري ألزمهم الحجة ، بأن ما فيهم من الألم مشترك ويزيدون على الكفار برجاء الثواب والنصر من الله ، وهم لا يرجون ، ومع ذلك لا يجبنون ولا يهنون عن قتالكم ، فأنتم أولى ألا تجبنوا ، ولا تهنوا . وفي **(تألمون/١٠٤)** ترديد[6] .

والرجاء هنا على بابه . وقيل : بمعنى الخوف[7]. وقرىء **(أن تكونوا/١٠٤)** بفتح أن[8]، تعليلية ، وَنِعِمَّا هي ، فإن فيها التصريح بعِلّة الوهن ، وأوّل الاحتجاج

---

(١) وذلك في قوله تعالى : **(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيمٍ)** آل عمران (١٧٣ - ١٧٤) .

(٢+٣) النســاء (٧٧) ، (٧٨) .

(٤) في (أ) : وقع الاستطراد وقع .

(٥) هذه قراءة عبيد بن عمير ، والقراءة السابقة هي قراءة الحسن . البحر (٣٤٢/٣) .

(٦) الترديد هو إعادة الشيء ، وقد عرّفه الحاتمي بأنه هو تعليق الشاعر لفظة في البيت متعلقة بمعنى ، ثم يرددها فيه بعينها ، ويعلقها بمعنى آخر في البيت نفسه .
حلية المحاضرة (١٥٤/١) ، والمنصف (٦١) ، ومعجم المصطلحات البلاغية (١٢٨/٢) .

(٧) حكى أبو حيان هذا القول ، وذهب هو إلى القول الأول . البحر (٣٤٢/٣) ، وانظر معاني القرآن للفراء (٢٨٦/١) .

(٨) عن الأعرج - مختصر ابن خالويه (٢٨) ، وإعراب القرآن للنحاس (٤٨٦/١) .



للنهي عنه (فإنهم/١٠٤) . وقرىء (تئلمون/١٠٤) بكسر تاء المضارعة ويائها[١] ، لغة . (وكان الله عليماً حكيماً/١٠٤) الطوفي : « مناسب لما قبله ، لأن تفصيل صلاة الخوف يستدعي العلم والحكمة ، وأيضاً فإنه نبَّههم على عِلَّته[٢] من محاسن الحكمة ، وهو أن الألم مشترك بينهم وبين عدوهم ، وفُضّلوا بأنهم في الجنة وعدوهم في النار . (إنا أنزلنا/١٠٥) فيه التفات . الكرماني : « أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت في ابن أبيرق[٣]، لما سرق درع قتادة بن[٤] النعمان[٥]، إلا ابن بحر[٦] ، فإنه قال : نزلت في المنافقين ، وهي متصلة بقوله: (فما لكم في المنافقين فئتين/٨٨)[٧] انتهى . وقال أبوحيان: « مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما صرّح بأحوال المنافقين واتصل بذلك أمر المحاربة ، وما يتعلق بها من الأحكام الشرعية ، رجع إلى أحوال المنافقين ، وأنهم خانوا الرسول على ما لا ينبغي ، فأطلعه الله على ذلك »[٨] .

---

(١) قرأ بذلك ابن وثاب ، ومنصور بن المعتمر . المحرر (٢١٥/٤) ، والبحر (٣٤٣/٣) .

(٢) في (ب) : نكه .

(٣) هو طعمة بن أبيرق الأنصاري ، ذكره أبو إسحاق المستملي في الصحابة ، وقال شهد المشاهد كلها إلا بدراً . هذا ، وقد تُكُلِم في إيمان طعمة .
الإصابة : ترجمة (٤٢٤٥) .

(٤) هو قتادة بن النعمان الظفري الأوسي الأنصاري ، صحابي جليل ، كان من الرماة المشهورين ، شهد المشاهد كلها مع الرسول-ﷺ- ، سقطت إحدى عينيه على وجنته في أحد ، فردها-ﷺ- فكانت أحسن عينيه ، توفي سنة ٢٣هـ .
أسد الغابة ترجمة رقم : (٤٢٧١) ، والجرح والتعديل (القسم ٢ من الجزء ١٣٢/٣) .

(٥) روى ابن جرير أن هذه الآيات نزلت في طعمة بن أبيرق الذي سرق درعاً لعمه -كانت وديعة عنده- ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم يقال له: « زيد بن السمين » ، فجاء اليهودي إلى نبي الله-ﷺ- يهنف ، فلما رأى ذلك قوم طعمة ، جاؤوا إلى النبي-ﷺ- ليعذروا صاحبهم ، وكان نبي الله-ﷺ- قد هم بعذره ، حتى أنزل الله هذه الآيات . جامع البيان (١٨٢/٩ - ١٨٣) ، وانظر أسباب النزول للواحدي (١٣٤) ، والدر المنثور (٢١٧/٢) .

(٦) سبقت ترجمته في ص (   ) من هذه الرسالة .

(٧) لباب التفسير (١٢٦٧/٣) .

(٨) البحر (٣٤٣/٣) .



قلت : وقصة نزول الآية أخرجها الترمذي[1] والحاكم[2] وغيرهما[3]، وفيها أن

(١) روى الترمذي عن قتادة بن النعمان ، قال :
كان أهل بيت منا يقال لهم : بنو أبيرق بشر وبشير ومبشر ، وكان بشير رجلاً منافقاً ، يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله -ﷺ- ثم ينحله بعض العرب ، ثم يقول : قال فلان : كذا وكذا ، قال فلان : كذا وكذا ، فإذا سمع أصحاب رسول الله -ﷺ- ذلك الشعر ، قالوا : والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث أو كما قال الرجل ، وقالوا : ابن الأبيرق قالها . قال : وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام ، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير ، وكان الرجل إذا كان له يسار ، فقدمت ضافطة من الشام من الدرمك ، ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه ، وأما العيال ، فإنما طعامهم التمر والشعير ، فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرمك ، فجعله في مشربته ، وفي المشربة سلاح ، درع وسيف ، فعُدي عليه من تحت البيت ، فنُقبت المشربة ، وأخذ الطعام والسلاح . فلما أصبح أتاني عمي رفاعة ، فقال : يابن أخي ، إنه قد عُدي علينا في ليلتنا هذه ، فنُقبت مشربتنا ، وذُهب بطعامنا وسلاحنا ، قال : فتحسسنا في الدار وسألنا ، فقيل لنا : قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ، ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم ، قال : وكان بنو أبيرق ، قالوا -ونحن نسأل في الدار- : والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل ، رجل منا ، له صلاح وإسلام ، فلما سمع لبيد ، اخترط سيفه ، وقال : أنا أسرق ؟ فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة . قالوا : إليك عنها أيها الرجل فما أنت بصاحبها ، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها ، فقال لي عمي : يابن أخي لو أتيت رسول الله -ﷺ- فذكرت ذلك له ، قال قتادة : فأتيت رسول الله -ﷺ- فقلت : إن أهل بيت منا أهل جفاء ، عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه ، فقال النبي -ﷺ- : سآمر في ذلك ، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم ، يقال له ، أسير بن عروة ، فكلموه في ذلك ، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار ، فقالوا : يا رسول الله ، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا ، أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ، ولا ثبت .
قال قتادة : فأتيت رسول الله -ﷺ- فكلمته ، فقال عمدتَ إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة . قال : فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله -ﷺ- في ذلك ، فأتاني عمي رفاعة ، فقال : يا بن أخي ما صنعت ، فأخبرته بما قال لي رسول الله -ﷺ- ، فقال : الله المستعان . فلم يلبث أن نزل القرآن : **(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيماً)** بني أبيرق ، (واستغفر الله) أي مما قلت لقتادة (إن الله كان غفوراً رحيماً . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم) إلى قوله : (غفوراً رحيماً) . أي : لو استغفروا الله لغفر لهم . (ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه) إلى قوله : (إثماً مبيناً) -قولهم للبيد- (ولولا فضل الله عليك ورحمته) إلى قوله : (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) . فلما نزل القرآن أتى رسول الله -ﷺ- بالسلاح فرده إلى رفاعة . فقال قتادة : لما أتيت عمي بالسلاح ، وكان شيخاً قد عسى أو عشى في الجاهلية ، وكنت أرى إسلامه مدخولاً ، فلما أتيته بالسلاح قال : يا ابن أخي هو في سبيل الله ، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً ، فلما نزل القرآن =



الذي سرق الدرع بشير بن أبيرق[1] من المنافقين ، فصح قول من قال : إنها نزلت في المنافقين ، أي في طائفة منهم ، وصح اتصالها بقصة المنافقين . **(أراكَ اللّهُ/١٠٥)** فيه التفات . **(للخائنينَ/١٠٥)** أي لأجلهم. **(خصيماً/١٠٥)** أي مخاصماً ، كجليس بمعنى مجالس . **(واستغفر اللّهَ/١٠٦)** أي من لومك لقتادة في تهمته ، الذي سرق بغير بينة ، وهو صادق فيما اتهم ، كذا ثبت مفسراً في الحديث ، وهو بطوله في أسباب النزول ، وفي التفسير المسند . والفاصلة مناسبة للأمر بالاستغفار . **(ولا تجادل عن الذين يختانون/١٠٧)** عام يندرج فيه أصحاب النازلة ، ويتقرر به توبيخهم . **(إن الله لا يحب من كان خوَّاناً أثيماً/١٠٧)** قال أبوحيان : « أتى بصيغة المبالغة فيها ليخرج من وقع منه ذلك المَرَّة ، ومن صدر منه على سبيل الغفلة ، وعدم القصد ، وقدَّم صفة الخيانة (لمناسبة أول الآية)[2] ولأنها سبب الإثم ، خان فأثم ، ولتوخي[3] الفواصل »[4]. **(يَستَخْفُونَ/١٠٨)** الآية ،

= لحق بشير بالمشركين ، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية ، فأنزل الله تعالى : **(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً . إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً)** فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر ، فأخذت رحله فوضعته على رأسها ، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح ، ثم قالت : أهديت لي شعر حسان ما كنت تأتيني بخير» .
الترمذي (٥/٢٤٤ - ٢٤٦) رقم الحديث (٣٠٣٦) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/٣٨٥ - ٣٨٨) من طريق يونس بن كبير . . . . بمعناه ، أتم منه ، ثم قال : وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .
راجع تهذيب التهذيب (٧/٤٨٩) ، وزاد المسير (٢/١٩١) .

(٣) ورواه أيضاً ابن جرير الطبري (٩/١٧٦) ، وخرجه ابن كثير في تفسيره (١/٥٥١) ، والسيوطي في الدر (٢/٢١٥) وزاد نسبته لابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(١) هو أخو بشر بن أبيرق الصحابي الجليل ، وقد كان بشير شاعراً منافقاً ، يهجو الصحابة ، شهد مع أخويه أحداً ، فسرق درعاً ، ثم ارتد .
الاستيعاب لابن عبد البر (القسم الأول/١٧١) ، والإصابة (ترجمة : ٦٥٥) ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (٣٤٣) .

(٢) ما بين القوسين ليس في البحر .

(٣) في (ب) : والقوافي .

(٤) البحر (٣/٣٤٤) .



فيها طباق الإيجاب والسلب . (وهو معهم/١٠٨) فيه مع المجاز : التتميم[١] ، ونكتته المبالغة في تفظيع ما فعلوه ، لأن حياء الإنسان ممن يصحبه أكثر من حيائه وحده . (محيطاً/١٠٨) مناسب لاستخفائهم . (ها أنتم/١٠٨) خطاب للفئة التي جادلت عن السارق ، وبرَّأته عند النبي -ﷺ- ، حتى لامَ قتادة ، ففيه انتقال من خطاب النبي -ﷺ- إلى خطاب الأمة. (عنهم/١٠٩) قرأ ابن مسعود (عنه)[٢] أي عن السارق. (فَمَن) استفهام بمعنى النفي. (ومن يعمل سوءاً أو يَظْلِم نَفسهَ/١١٠) ظاهر العطف التغاير ، فقيل : الأول : الصغيرة ، والثاني : الكبيرة . وقيل : الأول : المتعدي إلى الغير ، والثاني : القاصر على النفس ، أخذاً بظاهر الآية[٣] .

قال الإمام : « وخصّ السوء بالمتعدي إلى الغير ، لما فيه من الضرر ، والضرر سوء حاضر ، بخلاف ظلم النفس ، فإنه ليس ضرراً حاضراً »[٤] . وقال ابن عطية : « هما بمعنى عطف المترادفين ، كُرر مبالغة »[٥] . (ثم يَستغفِر اللّهَ ، يجدِ اللّهَ غفوراً رحيماً/١١٠) في لفظة (يجد) لطيفة ، كأن الغفران والرحمة مُعَدَّان لطالبهما ، مهيآن له ، متى طلبهما وجدهما . (ومن يكسب إثماً/١١١) هو جامع للسوء وظلم النفس السابقين ، والآية إشارة إلى الجزاء اللاحق له في الآخرة ، وختمها بصفة العلم ، لأنه يعلم ما تكسب كل نفس ، ثم بصفة الحكمة ، لأنه واضع الأشياء موضعها ، فيجازي على ذلك الإثم ما تقتضيه حكمته ، فالصفتان إشارة إلى علمه بذلك الإثم ، وإلى ما يستحق فاعله . وفي (على/١١١) دلالة على استعلاء الإثم عليه

(١) وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكتة ، مثل مفعول أو حال أو نحو ذلك مما ليس بجملة مستقلة ، ولا ركن كلام .

الإيضاح (٢٠٥) ، وشروح التخليص (٣/٢٣٥) ، والطراز (٣/١٠٤) ، وأساليب بلاغية لأحمد مطلوب (٢٤١) ، ومعجم المصطلحات (٢/٢٧) .

(٢) البحر (٣/٣٤٥) .

(٣) البحر (٣/٣٤٥) .

(٤) التفسير الكبير (٦/٣٨) .

(٥) المحرر (٤/٢٢٢) بمعناه .



واستيلائه وقهره . (**ومن يكسب خطيئةً أو إثماً ، ثم يرمِ به بريئاً/١١٢**) مناسب للقصة ، لأن بشيراً السارق رمى بها لبيد بن سهل[١] ، وهو بريء منها ، كما في حديث نزولها ، والخطيئة للصغيرة ، والإثم للكبيرة ، أو للقاصر المتعدي .

وقال ابن جرير : « الخطيئة تكون عن عمد وعن غيره ، والإثم لا يكون إلا عن عمد »[٢] وقيل : هما بمعنى ، من عطف المترادفين ، كُرِّر مبالغة[٣] . وضمير (به) إلى الإثم ، لأن العطف بأو ، وهو يُفرد فيه الضمير ، ثم تارة يعود إلى المعطوف كما هنا ، وتارة إلى المعطوف عليه ، كما في (**تجارةً ، أو لهواً انفضوا إليها**)[٤] . وقيل : هو عائد إلى الكسب المفهوم من (**يكسب/١١٢**) . وقيل : على المكسوب[٥] ، تنزيلاً له منزلة الإشارة . وقرىء (**يكسب/١١٢**) بالتشديد[٦] ، والأصل : يكتسب . (**احتملَ/١١٢**) أبلغ من حمل ، كاقتدر أبلغ من قدر ، أُشير به إلى ثِقل الوِزر الذي حمله ، ثم فيه استعارة ما للأجرام للمعاني . (**بهتاناً وإثماً/١١٢**) فيه لف ونشر غير مرتب ، فإن البهتان راجع إلى رميه ، والإثم راجع إلى كسبه . والمعنى : أنه يستحق عقابين ، عقاب الكسب ، وعقاب البُهت . (**لَهمَّت/١١٣**) فيه حذف ، أي هَمّاً يؤثر عندك ، وإلا فقد همُّوا حقيقة . وفي (**يُضِلُّون/١١٣**) ، و(**يَضُرُّون/١١٣**) جناس . (**وأنزل الله عليكَ الكتابَ والحكمةَ/١١٣**) ختم القصة بمثل ما ابتدأها به ، من إنزال الكتاب والإراءة ، التي هي بمعنى الحكمة ، وهي مفسَّرة بالسنة ، وإن أُريد ما تضمَّنه الكتاب ، ففيه تجريد ، على حد : مررت بالرجل الكريم ، والنَّسَمة المباركة ، جرّد منه وصف ، وعطف عليه ، كأنه غيره .

---

(١) هو لبيد بن سهل بن الحارث بن عروة بن عبد رزاح بن ظفر ، بدري ، فاضل .
أسد الغابة (٥١٧/٤) ترجمة (٤٥٢٢) ، وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٣٤٣) .

(٢) جامع البيان (١٩٧/٩) .

(٣) حكاه أبو حيان . البحر (٣٤٦/٣) .

(٤) الجمعة (١١) .

(٥) هذه الكلمة من البحر (٣٤٦/٣) ، وفي (أ) : المجموع ، وعبارة : « وقيل : على المكسوب » ليست في (ب) .

(٦) أي بتشديد السين وكسرها ، مع كسر الكاف ، وهي قراءة معاذ بن جبل . ابن خالويه (٢٨) .



(لا خيرَ في كثيرٍ من نجواهم/١١٤) قال ابن عطية: « الضمير عائد إلى الناس أجمع ، وجاءت هذه الآيات عامة عقب قصة أصحاب النازلة ، فاندرجوا فيها » ، قال : « وهذا من باب الإيجاز والفصاحة ، لكون الماضي والغابر يشملها عبارة واحدة »[١] . انتهى. والنجوى: المسارَّة ، قال الواحدي : « ولا تكون إلا بين اثنين »[٢] . وقال الزجاج : « النجوى : ما تفرد به الجماعة ، أو الاثنان سِراً كان ، أو ظاهراً ، وتطلق النجوى على القوم المتناجين ، من باب الوصف بالمصدر »[٣] . وقال الكرماني : « جمعاً « لنجِي » ، والأمران محتملان هنا ، فعلى الثاني لا يحتاج الاستثناء إلى تقدير ، وعلى الأول يقدَّر : إلا نجوى من أمر »[٤] . والمعروف : إما عام على كل بِر ، فيندرج فيه الصدقة والإصلاح ، وأُفردا بالذكر اهتماماً بهما ، أو خاص ، وعلى كلٍّ جَمعت الثلاثة جميع وجوه الخير اللسانية ، من نشر العلم ، وفصل الحكم ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدلالة على سبل الخيرات ، والذكر ، والدعاء ، وإغاثة الملهوف ، والنهي عن المنكر ، ونصر المظلوم إلى غير ذلك . (نُؤتيه/١١٤) بالنون ، ففيه التفات ، وبالياء[٥] ، فالالتفات في قوله: (ومن يشاقِق الرسولَ/١١٥) الآية هي أيضاً نازلة في السارق لما ارتدّ ، وفرّ إلى مكة ، وأُوردت مورد العموم كالآية التي قبلها ، وفيها مع ذلك ملاحظة الأسلوب القرآني من الجمع بين ذكر الثواب والعقاب ، والنعيم والعذاب ، وما للطائعين وما للعاصين ، وجاء (يشاقِق/١١٥) بالفكّ هنا ، وفي الأنفال[٦] ، والإدغام في الحشر[٧] استعمالاً للفئتين ، وجاءت اللغة الفصحى مقدمة ، وفي سورتين ، وفي الإدغام في

---

(١) المحرر (٤/٢٢٥) .

(٢) البحر (٣/٣٤٨) .

(٣) معاني القرآن للزجاج (٢/١٠٤) .

(٤) انظر البحر (٣/٣٤٨) .

(٥) القراءة بالياء هي قراءة أبي عمرو ، وحمزة . والقراءة بالنون هي قراءة البقية. حجة القراءات (٢١١ - ٢١٢) .

(٦) وذلك في قوله تعالى : (ومن يشاقق الله ورسوله ، فإن الله شديد العقاب) ، الأنفال (١٣) .

(٧) وهو في قوله تعالى : (ومن يشاق الله ، فإن الله شديد العقاب) ، الحشر (٤) .



الحشر مناسبة لماضي المبدوء به الآية ، فإنه مدغم لا محالة . **(ويتبع غيرَ سبيل المؤمنين/١١٥)** هي تأكيد للجملة قبلها لتلازم مشاقّة الرسول ، واتباع غير سبيل المؤمنين . **(نُوَلِّه ما تولّى/١١٥)** قال ابن عطية: «وعيد بأن يُترك مع فاسد اختياره»[1] . وقرىء بالياء فيه ، وفي (نُصْلِه/١١٥)[2] ، وقرىء **(نصله/١١٥)** بفتح النون[3] من صلاه . **(إن الله/١١٦)** فيه التفات . **(لا يغفر أن يُشْرَك به/١١٦)** الآية خُتمت بقوله: **(فقد ضلّ ضلالاً بعيداً/١١٦)** ، لأنها نازلة في الذي ارتدّ ، وخُتمت السابقة أول السورة بقوله: **(فقد افترى إثماً عظيماً/٤٨)** ، لأنها في أهل الكتاب الذين بدّلوا وحرّفوا وافتروا على الله ما لم يَقُلْه ، أو هذه في المشركين مطلقاً[4] ، ويندرج فيها الذكور ، على حد الآيات قبلها ، ولذا قال بعدها : **(إن يَدعُونَ من دونه إلا إناثاً/١١٧)** وهي الأصنام والجمادات المسماة بأسماء مؤنثة كاللات والعزى ومناة . وقرىء (إلا أوثاناً)[5] جمع وثن . وقرىء (إلا وثناً)[6] بالإفراد ، و(إلا أُثْناً)[7] كذلك بإبدال الواو همزة ، و(إلا وُثُناً) بضمتين[8] ، جمع كسُقُف ، وقرىء (إلا أُنُثى)[9] بتقديم النون ، جمع[10] إناث ، كثِمار وثُمر . وقيل : جمع أنيث . وقيل : المراد بالإناث ضعاف عاجزون لا قدرة لهم ، يقال : أنث في أمره ، لأن الأنيث من الرجال : الضعيف ، وسيف أنيث : غير قاطع[11] . وقرىء

---

(١) المحرر (٤/٢٢٧) .
(٢) عن ابن أبي عبلة . المحرر (٤/٢٢٧) .
(٣) قرأها الأعمش - ابن خالويه (٢٨) .
(٤) في (أ) : مطلق .
(٥) هذه القراءة في مصحف عائشة -رضي الله عنها- وهي قراءة أبي السوار ، والهناي .
(٦) هذه قراءة سعد بن أبي وقاص ، وابن عمر ، وأبي المتوكل ، وأبي الجوزاء .
(٧) قرأ بذلك ابن المسيب ، ومسلم بن جندب ، ورويت عن ابن عباس ، وابن عمر ، وعطاء .
(٨) وهي قراءة أبي أيوب السجستاني .
(٩) قرأها الحسن .
انظر في القراءات السابقة : البحر (٣/٣٥٢) ، وابن خالويه (٢٨ - ٢٩) .
(١٠) في (ب) : نصب .
(١١) انظر البحر (٣/٣٥٢) .



(تدعون)[1] بالخطاب على الالتفات . **(وإن يدعون إلا شيطاناً/١١٧)** لا تعارض في الحصرين ، لأن دعاء الأصنام ناشيء عن دعائهم الشيطان ، والمراد بالدعاء الأول: العبارة ، وبالثاني : الطواعية ، ففيه جناس تام . وقال الرماني : « هو مِثل **(وما رميتَ إذ رميتَ)**[2] ، فنسبة دعائهم الأصنام على سبيل المجاز ، وأما في الحقيقة ، فهم يدعون الشيطان »[3] . **(مَرِيداً/١١٧)** من مَرَدَ : عتا وعلا في الحذاقة ، وتجرّد للغواية .

وقال الكرماني : « أصله التَّلَمُّس ، ومنه : شجرة مرداء : أي ملساء تناثر ورقها ، وغلام أمرد ، والمارِد : الذي لا يعلق بشيء من الفضائل »[4]. **(لَعَنَه الله/١١٨)** يحتمل الخبر والدعاء . ولما ذكر الشيطان ، استطرد إلى جمل تتعلق به ، فحكى طائفة من أقواله بقوله: **(وقال لأتخِذَنَّ من عبادك/١١٨)** إلى قوله: **(خَلْقَ الله/١١٩)** ، وصف مُتَّبِعيه ، وهم العباد الذين اتخذهم نصيبه ، بالخسران بقوله: **(وَمَن يَتخذِ الشيطانَ/١١٩)** الآية ، وأخبر عن صنعه بأتباعه ، بياناً لخسرانهم بقوله: **(يَعِدُهم/١٢٠)** الآية ، وأخبر أن وعده غرور باطل ، ثم توعّد متبعيه بقوله: **(أولئك مأواهُم جهنمُ)** الآية ، ثم لما وصف حال متبعي الشيطان ، ومآلهم إلى العذاب ، وذكر حال من خالفه ، واتبع الله ورسوله ، ومآلهم إلى الجنة ، وذكر أن ذلك وعد من الله حق صادق في مقابلة وعد إبليس لأوليائه بالغرور الباطل ، فقال: **(والذين آمنوا/١٢٢)** الآية ، فانظر إلى تلاحم ختم هذه الآيات وتناسقها ، ومناسبة ارتباطها ، وألفاظها ، والبتك : الشق والقطع ، وبتّك للتكثير والتغيير أعم من التبديل ، ولا يعارض ما هنا قوله: **(لا تبديل لخلق الله)**[5]، لأن ذلك خبر بمعنى النهي ، وشمل التغيير المُثلَة والوشم والوصل والنّماص والخِصاء وسائر وجوه التغيير .

---

(١) عن أبي رجاء ، وتروى عن عاصم - الدر المصون (٤/٩٣) .

(٢) الأنفال (١٧) .

(٣) البحر (٣/٣٥٢) .

(٤) البحر (٣/٣٤٨) .

(٥) الروم (٣٠) .



وقرأ[1] أُبيّ **(وأضلّهم وأمنيهم وآمرهم)**[2]. أبو حيان : « قال : **(ومن يتخِذِ الشيطانَ وَلِيـاً/١١٩)** في مقابلة: **(لأتخذنَّ من عبادك/١١٨)** لأنه لما اصطفاهم لنفسه ، فكـأنهم قبلوا ذلك الاتخاذ وانفعلوا له فاتخذوه ولِياً »[3]. وفي **(سندخلهم/١٢٢)** التفات. وقرىء بالياء[4] وفي **(وَعْدَ اللهِ/١٢٢)** التفات على القراءة المشهورة . **(ومَن أصدقُ/١٢٢)** استفهام بمعنى النفي ، والجملة أُريد بها تأكيد حقيقة الوعد من الله في مقـابلة مواعيد الشيطان المخلفـة ، وأمـانيه الكـاذبة ، وهي المسماة في البديع بالتـذييل[5]. **(ليس بِأَمـانِيِّكم ولا أَمانِيِّ أهلِ الكتابِ/١٢٣)** مناسب لذكر تمنية الشيطان لأوليائه ، لأن أمانيهم ناشئة عن تمنِّيه . الزمخشري : « اسم **(ليس/٢٣)** ضمير **(وعد الله/١٢٢)** أي: وليس وعد الله يُنال بالأماني. والخطاب للمسلمين ، وقيل : للمشركـين »[6]. وقـال غيره : « الضمـير عائـد على الإيمان المفهـوم من **(آمنوا/١٢٢)** ، كما ورد (وليس الإيمان بالتمني)[7] » . وقال أبوالبقاء : « الضمير عائد إلى غير مذكور ، وإنما دلَّ عليه سبب نزول الآية »[8] **(ولا يجد/١٢٣)** قرىء

---

(١) في (ب) : فقرأ .

(٢) البحـر (٣/٣٥٤) .

(٣) البحـر (٣/٣٥٤) .

(٤) البحـر (٣/٣٥٥) ، والمحرر (٤/٢٣٤) دون تعيين من قرأها .

(٥) والتذييل : هو أن يُذَيِّل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحقق لها ما قبله من الكلام . الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ، لابن القيم (١٧٣) ، وجوهر الكنز (٢٤٤) .

(٦) الكشــاف (١/٥٦٥) .

(٧) هذا جزء من حديث ، ونصه بالكامل هو : (ليس الإيمان بالتمني ، ولا بالتحلي ، ولكن هو ما وقر في القلب ، وصدَّقه العمل) وهو حديث ضعيف ، رواه الديلمي في مسند الفردوس ، وقد روي معناه بسند جيد عن الحسن من قوله . انظر فيض القدير (٥/٥٥٣ - ٦٥٣) . وقال الألباني إنه موضوع (ضعيف الجامع الصغير- رقم ٤٨٨٣) .

(٨) الإملاء (١/٥٩١) ، وبقية كلام أبي البقاء هو قوله : « وذلك أن اليهود قالوا : نحن أصحاب الجنة ، وقالت النصارى ذلك ، وقال المشركون لا نبعث ، فقال : (ليس بأمانيكم) ، أي ليس ما ادعيتموه » .



بالرفع على القطع[1]. و(من يعمل/١٢٤) الآية . (من) الأولى للتبعيض ، والثانية للتبيين . (يدخلون/١٢٤) بالبناء للفاعل وللمفعول[2]. (ولا يُظْلَمون/١٢٤) الضمير عائد إلى أقرب مذكور ، وهو[3] المؤمنون . وقيل : إلى الفريقين . (ومَن أحسنُ ديناً/١٢٥) الآية[4]. (ولله ما في السموات/١٢٦) الآية ، لما تقدم ذكر عامل السوء ، وعامل الصالحات ، أخبر بعظيم ملكه ، وإحاطته بجميع خلقه ومجازاته لأعمالهم ، شرها وخيرها . الطوفي: « قوله: (وكان الله بكل شيءٍ محيطاً/١٢٦) مناسب لأول الآية ، لأن من مَلَك شيئاً ، فلابُدَّ وأن يحيط به علماً وقدرةً ، ليصح تصرفه فيه ، وقصد إلى التصرف فيه » . (ويَسْتَفْتُونَكَ في النِّسَاءِ/١٢٧) قال أبوحيان: « مناسبة الآية لما قبلها على تربيع العرب في[5] كلامها ، أنها تكون في أمر ، ثم تخرج منه إلى شيء ، ثم تعود إلى ما كانت فيه أولاً ، وهكذا القرآن يبيّن فيه أحكاماً تكليفية ، ثم يعقّب بالوعد والوعيد ، والترغيب والترّهيب ، ثم يعقّب ذلك بذكر المخالفين المعاندين الذين لا يتبعون تلك الأحكام ، ثم بما يدل على كبرياء الله وجلاله ، ثم قد[6] يُعاد لتبيين ما تعلّق بتلك الأحكام السابقة ، وقد عرض هنا في هذه السورة ، أن بدأ[7] بأحوال النساء والمواريث ، وذكر اليتامى ، ثم ثنّى بذكر شيء من ذلك في هذه الآية ، ثم ختم آخر السورة بذكر شيء من المواريث أيضاً ، ولما كانت النساء مطروحاً أمرهن عند العرب في الميراث وغيره ، وكذلك اليتامى ، أكّد الحديث فيهن مِراراً ، ليرجعوا عن أحكام الجاهلية »[8]. انتهى .

---

(١) رواها ابن بكار عن ابن عامر . المحرر (٤/٢٣٨) .

(٢) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢١٢ - ٢١٣) .

(٣) في (ب) : وهم .

(٤) بياض في الأصل .

(٥) في (أ) : من .

(٦) « قد » : ليست في (أ) .

(٧) في (ب) : بدىء .

(٨) البحر (٣/٣٥٩) .

الراغب : « الفُتْيا ، والفتوىٰ : الجواب عما يُشكل من الأحكام »[1].

أبو حيان : « معنى الإفتاء ، إظهار المُشْكِل على السائل ، وأصله من الفتى[2]، وهو الشاب الذي قوي وكَمُل ، وكأن المفتي ببيانه ما أشكل ، يثبت ويقوي »[3].
و(ما) يحتمل الرفع عطفاً على اسم الله[4]، أو الضمير المستتر في (**يفتيكم/١٢٧**)[5] على أنه أيضاً يفتيهم ، والمراد بالكتاب على هذا القرآن ، وبما يتلى فيه الآيات التي من صدر السورة ، فالمضارع في الجملتين بمعنى الماضي ، أو مبتدأ خبره (**في الكتاب**) ، والمراد به اللوح المحفوظ ، كقوله : (**وإنه في أُمِّ الكتابِ**)[6] فالجملة معترضة ، والنصب بإضمار فِعل ، أي ويُبَيِّنُ لكم ما يُتلى لدلالة (**يفتيكم**) عليه ، والجر على أن الواو للقسم ، أو عطف على ضمير (**فيهن/١٢٧**) المجرور من غير إعادة الجار[7]، واختاره أبوحيان ، وقال التقدير : يفتيكم في متلوّهن[8] [وفي متلو[9] اليتامى ، كأنه قال : يفتيكم فيما سألتم عنه من أمر النساء ، وفيما لم تسألوا عنه من أمر اليتامى][10] . (**يتامى النساء/١٢٧**) قرىء (**ييامى النساء**) بياءين[11]، على أن الأصل : أيامي ، جمع أَيِّم ، وهي من لا زوج لها ، أبدل من الهمزة ياء . (**ما**

---

(١) البحر (٣/٣٥٩) .
(٢) المفردات (٣٧٢) مادة : فتى .
(٣) البحر (٣/٣٥٩) .
(٤) انظر الكشاف (١/٥٦٧) .
(٥) ذهب إلى ذلك النحاس - إعراب القرآن (١/٤٩٢) .
(٦) الزخرف (٤) .
(٧) انظر الإملاء (١/١٩٦) .
وقد اختار أبو البقاء بأن (ما) في موضع الرفع دون باقي الأقوال .
(٨+٩) في (ب) : يتلوهن ، يتلوا .
(١٠) ما بين القوسين ليس بالبحر ، وإنما فيه : « وفيما يتلى عليكم في الكتاب ، من إضافة (متلو) إلى ضمير (هن) سائغة ، إذ الإضافة تكون لأدنى ملابسة ، لما كان متلوا فيهن ، صحت الإضافة إليهما » . البحر (٣/٣٦٠ - ٣٦١) .
(١١) عن أبي عبد الله المدني . البحر (٣/٣٦٢) ، وابن خالويه (٢٩) .



كَتَبَ/١٢٧) قرىء (كتب الله)[1] . (وترغبون أن تنكحوهن/١٢٧) يحتمل تقدير : في ، وعن ، فالآية مجملة ، والقولان في التفسير.

(والمستضعفين/١٢٧) عطف على (يتامى النساء/١٢٧) . (وأن تقوموا/١٢٧) محله جر عطفاً على مجرور في ، أو نصب على تقدير : ويأمركم ، أو رفع على الابتداء ، والخبر محذوف ، أي خير لكم[2] (وما تفعلوا/١٢٧) الآية ، أبوحيان : « لما أمر بالعدل والإنصاف والقيام بالقسط في أمر النساء واليتامى ، عقَّبه بعام ، وهو أن من فعل خيراً ما ، جُوزي عليه »[3].

الطوفي : « (فإن الله كان به عليماً/١٢٧) مناسب لقوله: (وما تفعلوا من خير/١٢٧) ، أي فإنه يعلمه ، فيجازيكم عليه . (وإن امرأةٌ خافت/١٢٨) الآيةَ ، لما أمر بالعدل في النساء ، ومن جملته العدل في القسم ، رخّص في تركه إذا تصالحا عليه ، والخوف هنا على بابه ، أو بمعنى العلم ، أو الظن ، والإعراض أخف من النشوز ، والقراءة (يصّالحا) بالتشديد ، والأصل : يتصالحا ، ويصلحا بالتخفيف[4] من أَصْلَح ، بوزن أَكْرَم . وقرىء (يُصالِحا) بالتخفيف ، من صالَح ، و(يَصَّلِحا/١٢٨) بالتشديد[5]، والأصل : يصلحا . وقرأ ابن مسعود : (أن اصّالحا)[6]، إما ماضياً ، والأصل : تصالحا ، والصلح ليس مصدراً لشيء من هذه الأفعال ، فإما أن يكون مصدراً محذوف الزوائد ، أو اسماً لما يصلح به ، كالعطاء

(١) البحر (٣/٣٦٢) دون نسبة ، وكذا ابن خالويه (٢٩) .

(٢) وقد ذهب ابن الأنباري إلى القول الأول . البيان (١/٢٦٨) . وهو قول ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/٢٤٢) . والقول الثاني هو ما جوّزه الزمخشري . الكشاف (١/٥٦٧) . والقول الثالث حكاه أبوحيان في البحر (٣/٣٦٢) . ثم ذكر أبوحيان أنه إذا أمكن الحمل على غير حذف بكونه قد عطف على مجرور ، كان أولى من إضمار ناصب ، ومن كونه مبتدأ قد حذف خبره . البحر (٣/٣٦٢) .

(٣) البحر (٣/٣٦٣) بمعناه .

(٤) هذه قراءة عاصم وحمزة والكسائي ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢١٣ - ٢١٤) .

(٥) نسب ابن عطية هذه القراءة إلى الجحدري ، وعثمان البتي،ونسب القراءة السابقة إلى عبيدة السلماني . المحرر الوجيز (٤/٢٤٦) .

(٦) انظر البحر (٣/٣٦٣) .



والكرامة ، مع أعطيت ، وأكرمت ، فنصبه بإسقاط الجار ، أي بصلح ، أي بشيء يصلحان عليه . (والصُلحُ خيرٌ/١٢٨) جملة عامة في كل صلح ، أو خاصة بالمذكور ، فاللام للعهد . و(خيرٌ/١٢٨) قيل للتفضيل ، أي من الفرقة ، وقيل: هو الاسم لا تفضيل فيه[١]. (وأُحضرت الأنفسُ الشُحَّ/١٢٨) .

هذا من باب المبالغة ، جعل الشيء كأنه شيء معدّ في مكانه وأُحضرت الأنفس ، وسِيقت إليه ، ولم يأت ،[٢] وأُحضِر الشحُّ الأنفس ، فيكون مسوقاً إلى الأنفس ، بل الأنفس سِيقت إليه ، لكون الشح مجبولاً عليه الإنسان ، ومركزاً في طبيعته »[١]. ابن فارس : « الشح : بخل مع حِرص »[٣]، وكذا قال الراغب[٤]. وقال ابن عطية: « الشح: الضبط على المعتقدات والإرادات ، والهمم والأموال ونحو ذلك ، فما أفرط فيه منها ، ففيه بعض المذمة ، وما صار إلى حيّز منع الحقوق الشرعية ، وما تقتضيه المروءة ، فهو البخل ، وهو رذيلة لكنها قد تكون في المؤمن ، وأما الشح ففي كل أحد ، ويدل عليه (وأُحْضِرَت الأنفسُ الشُحَّ)[٥] ، (ومن يُوقَ شُحّ نفسِه)[٦]، أثبت لكل نفس شحاً . وفي الحديث : (أن تَصَدَّقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ)[٧]، ولم يرد به واحد بعينه ، وليس يحسن أن يقال فيه: وأنت صحيح بخيل »[٨]. أبوحيان: « أصل الوضع ، أن الشح للمنع ، والحرص للطلب ،

---

(١) انظر البحر (٣/٣٦٣) .

(٢) البحر (٣/٣٦٤) .

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣/١٧٨) .

(٤) المفردات (٢٥٦) مادة : شح .

(٥) النساء (١٢٨) .

(٦) الحشر (٩) ، والتغابن (١٦) .

(٧) هذا جزء من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي -ﷺ- فقال : يا رسول الله ، أي الصدقة أعظم أجراً ؟ فقال : (أما وأبيك لتنبئنه : أن تصدّق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمل البقاء ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت : لفلان كذا ولفلان كذا ، وقد كان لفلان) . مسلم (١/٧١٦) كتاب الزكاة ، باب (٣١) .

(٨) المحرر (٤/٢٤٨ - ٢٤٩) بتصرف .



وأطلق كلٌّ على[1] الآخر ، لأنه سببه »[2]. الزمخشري : « جملة **(والصلحُ خيرٌ/١٢٨)** اعتراضية ، وكذا **(وأُحضرت الأنفس الشُحَّ/١٢٨)** ، ومعنى إحضار الأنفس الشح ، أن الشح جعل حاضراً لها لا يغيب عنها أبداً ، ولا تنفك عنه ، يعني أنها مطبوعة عليه ، والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها ، والرجل لا يكاد يسمح بأن يقسم لها إذا رغِب عنها ، وأحبَّ غيرها »[3] . قال أبوحيان : « فجعل الأمر من باب القلب »[4] . وقرىء (الشِّح) بكسر الشين[5] لغة . **(وإن تُحسِنوا/١٢٨)** ندب تعالى إلى الإحسان في عِشرة النساء ، والتقوى في حالهن ، لأن الرجل قد يحمله بغض الزوجة على أذاها ، والإساءة في حقها ، لا سيما وقد ظهر منه أمارات النشوز والإعراض . وختم الآية بصفة الخبير، وهي علم ما يطلق إدراكه ويدقّ ، لأنه قد يكون بين الزوجين من خفايا الأمور ما لا يطلع عليه إلا الله ، ولا يظهر عليه أحد من بني آدم . **(ولن تستطيعوا/١٢٩)** الآية ، لما أمر تعالى بالإحسان في عشرة النساء والتقوى فيها ، خصص ذلك بما يقدر الإنسان عليه من القسم والإنفاق ونحو ذلك ، وعذره فيما لا يملكه من المحبة والميل وأرشده إلى أنه مع ذلك لا يجور عليها في شيء مما يقدر عليه ، بل يقسم لها ، أو يتبع ما تراضيا عليه من ترك القسم ، لكن بحيث لا يعطلها ويميل عليها في ترك القسم جملة . **(كُلَّ المَيلِ/١٢٩)** فتصير كالمعلَّقة التي هي لا ذات بَعْل ، ولا مطلَّقة . وضمير **(فتذروها/١٢٩)** راجع إلى المُمال عنها المفهومة من **(فلا تميلوا/١٢٩)** ، وهو منصوب ، أو مجرور ، وقرأ ابن مسعود (كأنها معلقة) ، وقرأ أُبيّ (كالمسجونة)[6]. **(وإن تُصلِحُوا/١٢٩)** أي بترك كل المَيل الذي لم يلزم منه الإفساد . **(فإن الله كان**

---

(١) في (ب) : إلى .

(٢) البحر (٣/٣٦٤) .

(٣) الكشاف (١/٥٦٨) .

(٤) البحر (٣/٣٦٤) باختصار .

(٥) عن العدوي . البحر (٣/٣٦٤) .

(٦) انظر البحر في هذه القراءة وسابقتها (٣/٣٦٥) .



غفوراً رحيماً/ ١٢٩) لما لا تملكونه من المحبة ، ولا تستطيعونه من العدل فيها . وقال أبوحيان: « خُتمت تلك بالإحسان ، وهذه بالإصلاح ، لأن الأولى في[1] مندوب إليه ، إذ له ألا يحسن وأن يشح ويصالح ، وهذه في لازم ، إذ ليس له إلا أن يصلح ، بل يلزمه العدل[2]. (وإن يتفرقا/ ١٣٠) أي الزوجان المذكوران في قوله: (وإن امرأةٌ خافت من بعلها/ ١٢٨) ، أي وإن شحَّ كل منهما ولم يصطلحا وتفرقا بطلاق . وقرىء (يتفارقا)[3]، أي يفارق كلٌّ صاحبه . (وكان الله واسعاً حكيماً/ ١٣٠) الواسع: غاية في الغنى والقدرة والعلم وسائر الكمالات ، والختم به مناسب لقوله: (من سعته/ ١٣٠) وضمّ إليه وصف الحكيم ، لأن السعة ما لم تكن معها الحكمة ، كان إلى الفساد أقرب منها للإصلاح ، قاله الراغب[4]. وقال الطوفي: «المَيل وسوء العشرة إذا وقع بين الزوجين ، ترجح جانب الفرقة ، فكانت الفرقة هي المصلحة بمقتضى الحكمة ، وخوف الفاقة والحاجة عليهما[5] لا تعارض هذه المصلحة ، لأن الرزق على الله ، فهو يأتيهما مجتمعين ومتفرقين ». (ولله ما في السموات وما في الأرض/ ١٣١) لما ذكر تعالى سعة رزقه وحكمته ، ذكر أن له ملك ما في السموات وما في الأرض ، فلا يعتاص عليه غنى أحد ، ولا التوسعة عليه ، لأن من له ذلك ، هو الغني المطلق . (ولقد وصَّينا/ ١٣١) إلى آخره ، يعني أن الوصية بالتقوى هي سنة الله في الأمم الماضية ، فلستم مخصوصين بهذه الوصية . وراعى في التقدم سبق الزمان . (أَن) تحتمل المصدرية والتفسيرية. (وإن تكفروا/ ١٣١) إما خاص بهذه الأمة ، أو عام لهم ولمن قبلهم ، وغلّب المخاطب ، أي على تقدير: وقلنا لكم ولهم : إن تكفروا ، (فإن لله ما في السموات وما في الأرض/ ١٣١) ، أي فهو غني عن عبادتكم ولا يضره كفركم ، ولذا ختم بقوله :

---

(١) حرف « في » ليس في (أ) .

(٢) البحر (٣/ ٣٦٥) .

(٣) عن زيد بن أفلح . البحر (٣/ ٣٦٥) .

(٤) البحر (٣/ ٣٦٦) .

(٥) في (ب) : لأن .



(وكان الله غنياً/ ١٣١) أي عن عبادة العابدين وغيرهم ، فهو نظير قوله ؛ (ومَن كَفَر فإن الله غنيٌ عن العالمين)[١] ، وضمّ إليه (حميداً) أي مستحقاً لأن يُحمد لكثرة نعمه ، وإن كفرتموه أنتم. (ولله ما في السموات وما في الأرض ، وكَفَى بالله وكيلاً/ ١٣٢) ابن عطية : « تكرر قوله: (لله ما في السموات وما في الأرض) ثلاث مرات[٢] بحسب السياق ، فالأول تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين ، والثاني تنبيه على استغنائه عن العباد ، والثالث مقدمة للوعيد »[٣]. وقال الراغب : « الأول للتسلية عما فات ، والثاني أن وصيته لرحمته لا لحاجته ، وأنهم إن كفروا لا يضروه شيئاً ، والثالث دلالة على كونه غنياً »[٤]. وقال الرازي : « الأول تقدير كونه واسع الجود ، والثاني للتنزيه عن طاعة المطيعين ، والثالث لقدرته على الإفناء والإيجاد ، والغرض منه تقرير كونه قادراً على مدلولات كثيرة ، فيحسن أن يذكر ذلك الدليل على كل واحد من مدلولاته ، وهذه الإعادة أحسن وأولى من الاكتفاء بذكر الدليل مرة واحدة ، لأنه عند ذِكر الدليل يحضر في الذهن ما يُوجِب العلم بالمدلول ، وكان العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجمل ، فظهر أن هذا التكرير في غاية الكمال »[٥]. وقال مكي : « نبَّهنا أولاً على ملكه وسعته ، وثانياً على حاجتنا إليه وعنده ، وثالثاً على حفظه لنا ، وعلمه بتدبيرنا »[٦]. وقال ابن جرير : « فإن قيل : ما وجه تكرار قوله: (ولله ما في السموات وما في الأرض) في آيتين ، إحداهما في أمر الأخرى ؟.

قلنا : لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والأرض ، وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين ، ذكر حاجته إلى بارئه ، وغنى بارئه عنه ، وفي الأخرى حفظ

(١) آل عمران (٩٧) .
(٢) ذلك في الآيتين (١٣١ ، ١٣٢) .
(٣) المحرر (٤/ ٢٥٣) .
(٤) البحر (٣/ ٣٦٧) .
(٥) التفسير الكبير (١١/ ٧١ - ٧٢) بتصرف واختصار .
(٦) البحر (٣/ ٣٦٧) .

بارئه إياه وعلمه به وتدبيره » .

قال : « فإن قيل : أفلا قيل : وكان الله غنياً حميداً ، وكفى بالله وكيلاً ؟ قيل : ليس في الآية الأولى ما يصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير»[(١)] . وقال الطوفي : « قوله: **(وكفى بالله وكيلاً/١٣٢)** مناسب لأول الآية ، لأن من ملك السموات والأرض ، فهو قَيِّم بها وكل إليه ، ورعاية ما وكل فيه » . **(إن يشأ يُذهِبْكُم أيُّها الناسُ/١٣٣)** قال أبوحيان : « الظاهر أن الخطاب به لمن تقدّم له الخطاب قبلُ . وقيل : للكفار ، وهو تهديد لهم ، أي إن يشأ يهلكم كما أهلك من كفر قبلكم »[(٢)]. وقال ابن جرير : « الخطاب للذين شفعوا في أمر طعمة بن أبيرق ، وسرقته الدرع »[(٣)]. **(ويأتِ بآخرينَ/١٣٣)** أي بدلكم من جنسكم[(٤)]. وقال ابن عطية : « أو من غيركم كالملائكة ، فيكون وعيداً لجميع بني آدم »[(٥)]. وردّه أبوحيان بأن مدلول « آخر » في اللغة ، هو مدلول « غير » خاصاً بجنس من تقدّمه ، نحو : مررت بزيد ، وآخر معه ، أو بامرأة وأخرى معها ، واشتريت فرساً وآخر ، فلا يجوز أن يكون آخر في الأمثلة إلا من جنس ما تقدم . قال : « وهذا هو الفرق بين «غير» ، وبين « آخر » ، لأن «غيراً » يقع على المغاير مطلقاً في جنس أو صفة ، نحو : اشتريت فرساً وغيره ، يجوز أن يكون الغير فرساً ، وأن يكون غير فرس ، كثوب وحمار » . قال : « وقلّ من يفرق هذا الفرق »[(٦)]. **(وكان الله على ذلك قديراً/١٣٣)** مناسب لأول الآية ، لأن إهلاك الخلق وإنشاءه ، لابد فيه من قدرة ،

---

(١) جامع البيان (٩/٢٩٧) مع قليل من الاختصار .

(٢) البحر (٣/٣٦٧) إلا أن فيه بدلاً من كلمة « وقيل » : وقال أبو سليمان الدمشقي .

(٣) هذا الكلام موجود بنحوه في جامع البيان (٩/٢٩٨) ويظهر أن المؤلف -كعادته- نقل هذا الكلام عن أبي حيان ، فعبارته هنا قريبة مما في البحر (٣/٣٦٧) .

وقد علق ابن عطية على قول ابن جرير المذكور هنا بقوله : « وهذا تأويل بعيد ، واللفظ إنما يظهر حسن رصفه بعمومه وانسحابه على العالم جملة ، أو العالم الحاضر » . المحرر (٤/٢٥٤) .

(٤) وهو ما ذهب إليه أبو حيان . البحر (٣/٣٦٧) .

(٥) المحرر (٤/٢٥٤) بتصرف .

(٦) البحر (٣/٣٦٧ - ٣٦٨) بتصرف قليل .



قالـه الطوفي . (**من كان يريد ثوابَ الدنيا/١٣٤**) وذلك من جملة أسباب الكفر الذي تقدم في قوله: (**وإن تكفروا/١٣١**) ، فعُرف وجه الارتباط ، ولذلك جُعل ثواب هذا الشرط قريباً من جواب ذلك الشرط ، حيث قال : (**فعند الله ثوابُ الدنيا والآخرة/١٣٤**) أي فهو المالك لثواب الدارين ، كما هو المالك لما في السموات وما في الأرض ، فهو الغني عن عبادة خلقه ، وهم الفقراء إليه ، من أراد منهم ثواب الدنيا ، ومن أراد منهم ثواب الآخرة . الراغب : « هذا تبكيت لمن اقتصر على أحد الثوابين ، مع كون من بيده الأمر مالكاً لهما ، وحث على أن يطلب منه تعالى كل شيء ، خصوصاً الأفضل والأسنى »[1]. وقال أبوحيان: « الذي يظهر أن جواب الشرط محذوف ، أي فلا يقتصر عليه ، وليطلب الثوابين ، فعند الله . . . إلى آخره »[2]. (**وكان الله سمعياً بصيراً/١٣٤**) الطوفي : « الختم بهما مناسب لما في الآية ، لأن إرادة الثواب تتضمن قولاً ، وهو طلبه وسؤاله ، وذلك يناسب السمع ، وقصداً ونية ، وذلك يناسبه البصر ، إن جعل بمعنى العلم ، وهيئة وحالاً عند السؤال ، ويناسبه صفة البصر بمعنى الإبصار » . (**يأيها الذين آمنوا ، كونوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ ، شُهَدَاءَ لِلّهِ/١٣٥**) قال ابن جرير : « هو بسبب واقعة ابن أبيرق ، وقيام من قام في أمره بغير القسط ، فعُرف بذلك وجه المناسبة »[3]. وقال أبوحيان: « مناسبتها لما قبلها ، أنه تعالى لما ذكر النساء والنشوز والمصالحة ، أعقبه بالقيام لأداء حقوق الله ، وفي الشهادة حقوق الله ، أو أنه لما ذكر طالب الدنيا ، وأن عنده ثواب الدنيا والآخرة ، بيّن أن كمال السعادة أن يكون قول الإنسان وفعله لله ، أو أنه

---

(١) البحر (٣/٣٦٨) بتصرف .

(٢) البحر (٣/٣٦٨) بقليل من الاختصار .

(٣) الذي في جامع البيان (٩/٣٠١) :

« وهذا تقدّم من الله تعالى ذكره إلى عباده المؤمنين به وبرسوله أن يفعلوا فعل الذين سعوا إلى رسول الله -ﷺ- في أمر ابن أبيرق ، أن يقوم بالعذر لهم في أصحابه ، وذبّهم عنهم ، وتحسينهم أمرهم بأنهم أهل فاقة وفقر . . . . » .

ويظهر أن ما نقله المؤلف هنا ، إنما نقله عن عبارة أبي حيان - كعادته - ، فهذه العبارة موجودة في البحر (٣/٣٦٨) ما عدا قوله : « نعرف . . . . الخ » .



لما ذكر في صدر السورة (**وإن خفِتم ألا تُقسطوا في اليتامى/٣**)، والإشهاد عند دفع أموال اليتامى إليهم ، وأمر ببذل النفس والمال في سبيل الله ، وذكر قصة ابن أبيرق ، واجتماع قومه على الكذب والشهادة بالباطل ، وندب الزوجين إلى المصالحة ، أعقب ذلك بأن أمر عباده المؤمنين بالقيام بالعدل والشهادة لوجه الله . وأتى بصيغة المبالغة في (**قوَّامِين**) حتى لا يكون منهم جور ما . ومعنى (**شُهداءَ للهِ/١٣٥**) أي لوجه الله لا يراعى في الشهادة في الحقوق غيره »[1]. قال أبوحيان: « وقُدِّمَتْ صفة (**قوامين بالقسط/١٣٥**) على (**شُهداءَ للَّهِ/١٣٥**) ، لأن القيام بالقسط أعم ، والشهادة أخص »[2]. الكرماني : « علّق هنا (**القسط**) بـ(**قوَّامِينَ**) ، و(**الله**) بـ(**شهداء**) ، وعكس في المائدة (**قوَّامِينَ لله شُهداءَ بالقِسطِ/٨**) ، لأن الخطاب هناك للوُلاة فأمرهم بالقيام لله ، بدليل قوله: (**ولا يَجرِمنَّكُم شَنَآنُ قومٍ/٢**) ، وهنا للشاهدين ، فأمرهم بأداء الشهادة لله ، بدليل (**ولو على أنفسِكُم ، أو الوالِدين/١٣٥**) ، أي ولو تشهدون عليهم »[3]. ابن جماعة : « لما تقدم هنا الأمر بالقيام لليتامى بالقسط ، والعدل بين النساء[4]، ناسب تقديم القسط ، وهو العدل ، أي كونوا قوامين بالعدل بين الأزواج وغيرهم ، واشهدوا لله ، لا لمراعاة نفس أو قرابة ، وآية المائدة جاءت بعد أحكام تتعلق بالدين والوفاء بالعهود والمواثيق وأوامرَ ونواهٍ ، فناسب تقديم (**لله**) أي كونوا قوامين بما أُمرتم أو نُهيتم لله ، وإذا شهدتم فاشهدوا بالعدل لا بالهوى . و(**لو**) هنا لاستقصاء أحوال الشهادة ، وقدَّم الأعز فالأعز ، وكنّى بالشهادة على النفس عن الإقرار ، لأنه في معناها. (**إن يَكُن غَنياً أو فقيراً/١٣٥**) جواب الشرط محذوف ، أي فليشهد عليه ، وعاد الضمير في (بهما) مثنى ، وإن كان المعروف في العطف بأو الإفراد ، على إرادة

---

(١) البحر (٣/٣٦٨) بقليل من الاختصار .

(٢) البحر (٣/٣٦٩) .

(٣) أسرار التكرار (٥٨) .

(٤) وذلك في الآية (٢) و(٣) من سورة النساء .



جنس الغني ، والفقير ، أي بالأغنياء والفقراء ، ويؤيده قراءة أُبيّ (بهم)[1] ، وقرأ ابن مسعود (**غني أو فقير**) بالرفع على أن (يكن)[2] تامة[3] . (**فلا تتَّبِعُوا الهوى/١٣٥**) لما أمر تعالى بالقيام بالعدل وبالشهادة له ، نهى عن اتباع الهوى وحظوظ النفس . (**أن تَعدِلوا**) على تقدير : كراهة ، أو لئلا ، إن كان من العدل بالحق ، أو إرادة ، إن كان من العدول عنه ، قولان . (**وإن تَلْوُوا/١٣٥**) بواوين ، من لَيّ اللسان بالشهادة ، وهو تحريفها ، وبواو واحدة على حذف الأخرى ، أو من الولاية ، أي وليتم إقامة الشهادة ، أو أعرضتم عنها[4] . (**فإن الله كان بما تعلمون خبيراً/١٣٥**) أي بعملكم عدلاً وجوراً ، فيجازيكم عليه بحسبه ، ولما كان تحريف الشهادة والأغراض النفسية من الأمور الباطنة ، ناسبه صفة الخبير ، الذي هو إدراك ما خفِي ودقّ . (**يأيها الذين آمَنوا/١٣٦**) الآية ، أبوحيان : « مناسبتها لما قبل ، أنه تعالى لما أمر المؤمنين بالقيام بالقسط والشهادة لله ، بيّن أنه لا يتصف بذلك إلا من كان راسخ القدم في الإيمان بالأشياء المذكورة في الآية »[5] . (**آمِنوا**) أي دُوموا على الإيمان ، فهو أمر بالاستمرار في المستقبل . (**والكتابِ الذي أُنزلَ من قبلُ**) بمعنى الكتب ، والقراءة (**نزلِ**) ، و(**أنزل**) بالبناء للفاعل والمفعول[6] . قال الزمخشري : « وإنما قال (**نَزَّلَ على رسولِه**) ، و (**أُنزلَ من قبلُ**) ، لأن القرآن نزل مفرّقا بخلاف الكتب قبله »[7] . (**وكتبه/١٣٦**) قرىء (**كتابه**)[8] . (**إن الذين آمنوا/١٣٧**) الآية ، لما أمر بالإيمان بما تقدم ، وذكر أن من كفر بها ، أو بشيء منها ، فهو ضال ، عقَّب ذلك بفساد طريقة من كفر بعد الإيمان ووعيده . قال أبوحيان : « والظاهر أنها في المنافقين ، إذ هم المتلاعبون بالدين ، فحيث لَقُوا المؤمنين ، قالوا آمنا ، وحيث لَقُوا

---

(١) البحر (٣/ ٣٧٠) .

(٢) في (أ) : يكون .

(٣+٤) البحر (٣/ ٣٧٠) .

(٥) البحر (٣/ ٣٧١) .

(٦) القراءة الأولى هي قراءة نافع والكوفيين ، والقراءة الثانية هي قراءة البقية . الكشف (١/ ٤٠٠) .

(٧) الكشاف (١/ ٥٧١) بقليل من الاختصار .

(٨) عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- ابن خالويه (٢٩) .

أصحابهم ، قالوا : إنا معكم ، ولذلك قال بعده : **(بشّر المنافقين/١٣٨)** الآيات »[١]. وكذا قال القفال : « ليس المراد بيان هذا العدد[٢] ، بل المراد ترددهم بين الكفر والإيمان ، كما قال : **(مذبذبين بين ذلك)**[٣] ، ويدل عليه قوله : **(بَشِّر المنافقين)**[٤] ، وفائدة المجيء بلام الجحود في **(لم يكن اللّهُ لِيغفرَ لهم/١٣٧)** الدلالة على أنهم محتوم عليهم بانتفاء المغفرة ، وهداية السبيل ، وأنهم يقرّر عليهم ذلك في الدنيا ، وهم أحياء ، كما أن الفرق بين قولك : لم يكن زيد يقوم ، ولم يكن ليقوم ، أن الأول ليس فيه إلا انتفاء القيام ، والثاني فيه انتفاء الإرادة والإيثار للقيام ، ويلزم من انتفاء إرادة القيام ، نفي القيام . وفي (بشر) استعارة تهكمية[٥]. **(الذين/١٣٩)** نعت ، أو منصوب على الذم ، أو رفع خبرهم مقدراً[٦]. **(فإن العزةَ)** دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط ، أي إن تبتغوا . **(وقد نزَّل عليكم/١٤٠)** الخطاب لمن يُظهر الإيمان من مخلص ومنافق . وقيل : للمنافقين الذين تقدم ذِكرهم ، على الالتفات[٧] والقراءة بالتشديد ، مبنياً للفاعل والمفعول[٨]. وقرىء بالتخفيف مبنياً للفاعل ، وقرىء **(أنزل)** مبنياً للمفعول[٩] ، والإشارة بذلك إلى قوله في سورة الأنعام : **(وإذا رأيتَ الذين يخوضون في آياتنا/٦٨)** الآية ، **(معهم/١٤٠)** أي مع الكافرين والمستهزئين الدال عليه الفعل . **(حتى يخوضوا في**

---

(١) البحر (٣/٣٧٢) بتصرف قليل .

(٢) وذلك أن الآية تقول : **(إن الذين آمنوا ، ثم كفروا ، ثم آمنوا ، ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً. . . .)** (١٣٧). فيذهب القفال أن ليس المراد هنا عدد مرات إيمانهم ، وكفرهم . . . .

(٣) النساء (١٤٣) .

(٤) البحر (٣/٣٧٢) .

(٥) وذلك لأن لطف البشارة إنما يكون في الإخبار بالشيء السار ، وأما هنا فإن الخبر المذكور هو شيء ضار ، حيث قال تعالى : **(بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً)** ، فيكون استعمال التبشير هنا من باب التهكم بهم .

(٦) انظر البحر (٣/٣٧٤) ، والدر المصون (٤/١٢٠) ، وإعراب القرآن للنحاس (١/٤٩٦) .

(٧) انظر البحر (٣/٣٧٤) .

(٨) القراءة الأولى هي قراءة عاصم ، والقراءة الثانية هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٤٠ - ٤٤١) .

(٩) أسند السمين القراءة الأولى إلى أبي حيوة ، وحميد ، وأسند القراءة الثانية إلى النخعي . الدر المصون (٤/١٢٠) .



حديثٍ غيرِهِ/١٤٠) هذه الجملة موزونة على قياس بحر[١]، والضمير عائد لما دلّ عليه المعنى ، أي غير حديثهم الذي هو كفر واستهزاء ، أو غير الكفر والاستهزاء ، وأفرد الضمير إجراء له مجرى الإشارة . (إنكم إذن مثلُهم) زاد هذه الجملة على آية الأنعام[٢] النازلة بمكة ، لعجز المسلمين إذ ذاك عن الإنكار ، وضعفهم ، فلم يبالغ في وعيدهم ، وهذه مدنية نزلت ، والمسلمون قادرون على الإنكار ، فسوّى بين السامع والقائل ، والإفراد والمطابقة في مِثل ، جائزان لغة ، وما هنا من الأول ، وكذا (أنؤمن لبشَرَين مثلِنا)[٣] ومن الثاني (ثم لا يكونوا أمثالَكُم)[٤]، (وحُورٌ عِينٌ كأمثالِ اللؤلؤ)[٥] ، وقرىء (مثلهم) بفتح اللام[٦] على البناء لإضافته إلى مبني ، كقوله : (إنه لحقٌّ مثلَ ما أنكم تنطِقُون)[٧] . (إن الله/١٤٠) الآية ، وعيد حذّر به من مجالستهم وموالاتهم . (الذين/١٤١) بدل من (الذين يتخذون/١٣٩) . (فإن كان/١٤١) إلى آخره ، سمى سبحانه ظفر المؤمنين فتحاً ، تعظيماً له ، وجعله منه مبالغة في تعظيمه ، وظفر الكافرين نصيباً ، ولم ينسبه إليه تحقيراً وتخسيساً لما نالوه من المؤمنين ، لأنه حظ دنيء دنيوي يصيبونه مرة ، ثم تكون الدائرة عليهم . (نَستحوذْ/١٤١) من الأفعال التي جاءت مصححة على خلاف القاعدة . (ونَمنَعكُم) قرىء بالنصب[٨] على إضمار « أن » بعد واو الجمع . وقرأ أُبيّ (ومنعناكم)[٩]، (فالله يحكم بينكم) فيه حذف ، أي وبينهم ، أو تغليب

---

(١) في (أ) بحر ، وفي (ب) بحر .

(٢) وذلك في قوله تعالى : (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا ، فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره . . . .) الأنعام (٦٨) .

(٣) المؤمنون (٤٧) .

(٤) سورة محمد - ﷺ - (٣٨) .

(٥) الواقعة (٢٢ ، ٢٣) .

(٦) الدر المصون (١٢٢/٤) من دون نسبة .

(٧) الذاريات (٢٣) .

(٨) عن ابن أبي عبلة ، ابن خالويه (٢٩) ، والمحرر (٢٦٦/٤) .

(٩) الدر المصون (٢٤/٤) .

للمخاطبين ، والمقصود بهذه الجملة تسلية المؤمنين ، وتأنيسهم . **(كُسالى/١٤٢)** قرئ بفتح الكاف لغة تميم ، و**(كَسْلى)** كسَكْرى[١] . **(يُراؤونَ)** قرئ **(يرؤون)** بهمزة مضمومة مشددة ، بوزن يُدَعُّون[٢] . قال ابن عطية : « وهو أقوى في المعنى من يراؤون ، لأن معناها : يحملون الناس على أن يروهم »[٣] . الراغب : الذبذبة : حكاية صوت الحركة للشيء المعلّق ، ثم استعير لكل اضطراب وحركة ، أي مضطربين مائلين تارة إلى المؤمنين وتارة إلى الكافرين »[٤] . نفطويه : « الذبذبة : الاضطراب بحيث لا يبقى على حال ، والتردد بين الأمرين »[٥] . وقرئ بكسر الذال الثانية[٦] ، اسم فاعل ، وقرئ بفتح الميم والذالين[٧] على إتباع الميم للذال ، وقرئ **(متذبذبين/١٧٠)**[٨] ، وقرئ **(مدبدبين)** بإهمال الدالين[٩] ، من الدُّبَّة ، وهي الطريقة . **(بين/١٤٣)** فيه مع ما قبله الجناس المتوّج[١٠] ، **(ذلك)** إشارة إلى حالَتَي الكفر والإيمان ، كما قال : **(عوانٌ بين ذلك)**[١١] . قال ابن عطية : « وأشار إليه ، وإن لم يتقدم له ذِكر ، لتضمن الكلام له ، كقوله : **(حتى توارت بالحجاب)**[١٢] ، **(كُلُّ مَن عَليها فانٍ)** »[١٣][١٤] . **(لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء/١٤٣)**

---

(١) هذه قراءة ابن السميفع ، والقراءة السابقة عن الأعرج . ابن خالويه (٢٩) ، والدر المصون (٤/١٢٥) .

(٢) البحر (٣/٣٧٧) من غير نسبة . الدر المصون (٤/١٢٦) : (يُرَؤِّنهم) بهمزة مشددة ونسبها إلى ابن أبي إسحاق .

(٣) المحـرر (٤/٢٦٧) .

(٤) المفردات (١٧٧) مادة : ذب .

(٥) لم أعثر على ذلك فيما اطلعت عليه .

(٦) عن ابن عباس ، وعمرو بن فائد . ابن خالويه (٢٩) ، والدر المصون (٤/١٢٧) .

(٧) هي قراءة الحسن البصري ، الدر المصون (٤/١٢٧) .

(٨) هي قراءة أبيّ ، وهي كذلك في مصحف عبد الله بن مسعود ، الدر المصون (٤/١٢٧) .

(٩) عن ابن القعقاع ، الدر المصون (٤/١٢٨) .

(١٠) الجناس المتوج : سماه بعضهم بهذا ، وبعضهم سماه ترجيعاً ، لأن الكلمة رجعت بذاتها بزيادة ، كما هنا **(مذبذبين بين ذلك)** . جوهر الكنز (٩٥) ، ومعجم المصطلحات (٢/٤١٦) .

(١١) البقـرة (٦٨) .

(١٢) سورة ص (٣٢) .

(١٣) الرحمن (٢٦) .

(١٤) المحـرر (٤/٢٦٨) .



جملة حالية ، أو مفسرة لمذبذبين ، والجار متعلق بمنسوبين مقدراً ، وإحدى الإشارتين للمؤمنين ، والأخرى للكافرين . **(يأيها الذين آمنوا/١٤٤)** « لما كان هذا الوصف من أوصاف المنافقين ، وتقدم ذمّهم بذلك ، نهى الله المؤمنين عنه ، لأن الأنصار كان لهم في اليهود رضاع وحلف ومودة »(١). وقال القفال : « هذا نهي للمؤمنين عن موالاة المنافقين ، يقول : قد بيَّنت لكم أخلاق هؤلاء المنافقين ، فلا تتخذوا منهم ولِياً »(٢). وقال ابن عطية : « خطابه للمؤمنين يدخل فيه بحكم الظاهر المنافقون ، والمظهرون للإيمان ، ففي اللفظ رِفق بهم ، وهم المراد بقوله : **(أتريدون/١٤٤)**(٣). **(سلطاناً مبيناً/١٤٤)** السلطان يذكر بمعنى البرهان . قال ابن عطية : « وهو أشهر ، وبه جاء القرآن ، ويؤنَّث بمعنى الحجة »(٤). قال القفال : « وهو أكثر عند الفصحاء ، وإنما اختِير تذكيره في الوصف ، لأنه فاصلة »(٥). **(الدَّرْكِ/١٤٥)** الراغب : « الدرك كالدرج ، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود ، والدرك اعتباراً بالحدور ، ولهذا قيل : درجات الجنة ، ودركات النار ، ولتصوّر الحدور في النار سميت هاوية »(٦) . والقراءة بفتح الراء وسكونها(٧) ، لغتان في المفرد . وقيل : الساكن مفرد ، والمفتوح جمع دَرَكَة ، كبقرة ، وبقر ، وذكّر وصفه ، لأن اسم الجنس الجمعي يجوز تذكيره وتأنيثه(٨) . **(إلا الذين تابوا/١٤٦)** الآية ، شرط في توبتهم ، نقائض أوصافهم الذميمة السابقة ، فالإصلاح في مقابلة فساد الأعمال ، كالتكاسل في الصلاة ، وقِلَّة ذِكر الله ، والاعتصام بالله في مقابلة

---

(١) هذا كلام أبي حيان نقله عنه المؤلف هنا بتصرف قليل . البحر (٣/٣٧٩) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المحرر (٤/٢٦٩) .

(٤) المرجع السابق (٤/٢٧٠) .

(٥) لم أعثر على هذا النص فيما اطلعت عليه .

(٦) المفردات (١٦٧) مادة : درك .

(٧) قراءة السكون هي قراءة الكوفيين ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٠١)، السبعة (٢٣٩) .

(٨) انظر الحجة لأبي علي الفارسي (٣/١٨٨) ، وإعراب القرآن للنحاس (١/٤٩٨)، والبحر (٣/٣٨٠) .



اتخاذهم الكافرين أولياء ، لابتغائهم العزة عندهم ، والإخلاص في مقابلة رياء الناس ، وحكم لهم بعد تحصيل هذه الأوصاف جميعها ، بأنهم مع المؤمنين ، ولم يحكم عليهم بأنهم المؤمنون ، أو من المؤمنين ، وإن كانوا قد صاروا مؤمنين ، تنفيراً لما كانوا عليه من عِظم كفر النفاق ، وتعظيماً لحال المؤمنين الخلّص ، لما تعطيه مع من دخولها على المتبوع ، ثم بيّن أجر المؤمنين بقوله: (**وسوف يُؤتي اللّهُ المؤمنينَ أجراً عظيماً/١٤٦**) فعلم من ذلك ما لمن تاب وأحسن المتاب من المنافقين ، وهو المشاركة في هذا الأجر . (**ما يفعلُ اللّهُ/١٤٧**) استفهام بمعنى النفي . (**بِعذابِكم/١٤٧**) قيل الخطاب للمؤمنين ، وقيل : للمنافقين(١) . قال أبوحيان: « وهو الذي يقتضيه سياق الكلام »(٢) ، ففيه التفات . (**إن شَكرتُم وآمنتم/١٤٧**) قيل : هو على التقديم والتأخير، لأن الإيمان سابق الشكر(٣) . وقال ابن عطية : « الشكر على الحقيقة لا يكون إلا مقترناً بالإيمان ، لكونه ذكر الإيمان تأكيداً ، وتنبيهاً على جلالة موقعه »(٤) . وقال الزمخشري : « العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه ، فيشكر شكراً مبهماً ، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ، ثم شكر شكراً مفصلاً ، فكان الشكر متقدماً على الإيمان ، فكأنه أصل التكليف ومداره »(٥) . (**وكان الله شاكراً عليماً/١٤٧**) الطوفي : « هو مناسب لأول الآية ، أي فهو يقابل شكركم إياه بالطاعة ، فشكره إياكم بالثواب والثناء » .

قلت : ولما قال : (**إن شكرتم وآمنتم/١٤٧**) ناسب شكرتم شاكراً ، وآمنتم عليماً ، لأن الإيمان أمر قلبي ، والخطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم ، فناسب صفة العلم . أبوحيان: « لم يأتِ في صيغة الشكر بصيغة المبالغة ،

---

(١) بالبحر « للكافرين » ، البحر (٣/٣٨١) .
(٢) البحر (٣/٣٨١) ، وهو ما ذهب إليه الألوسي (٥/١٨٠) .
(٣) وهو ما استبعده أبو حيان (٣/٣٨١) .
(٤) المحرر (٤/٢٧٢) .
(٥) الكشاف (٤/٥٧٥) .



ليدل على أنه يشكر ، ولو أقل شيء من العمل »[1]. ﴿لا يُحِبُّ/١٤٨﴾ الآية ، أبو حيان : «مناسبتها لما قبلها ، أنه تعالى لما ذكر من أحوال المنافقين ، وذمّهم ، وبيّن ظلمهم وهضمهم جانب المؤمنين ، سَوَّغ هنا للمؤمنين أن يذكروهم بما فيهم من الأوصاف الذميمة »[2]! ﴿إلا من ظُلِم﴾ الاستثناء منقطع : لكن من ظُلِم ، له أن يجهر بظلامته لينتصف من ظالمه . وقيل : متصل ، على تقدير : إلا جهر من ظُلِم[3]. وقرىء (ظلم) بالبناء للفاعل[4]، فهو منقطع قطعاً ، أي لكن من ظلم ، فاجهروا له بالسوء ، كالمنافق وغيره . ﴿وكان الله سميعاً عليماً﴾ الطوفي : « هو مناسب لما في الآية ، لأنه سبحانه يسمع قول الجاهر بالسوء ، ويعلم الظالم من المظلوم ، فكأنه يقول: لا تطمعوا حيث أجزت للمظلوم أن يجهر بالسوء مقاصة ، فيذهب كل منكم يجهر بالسوء ، ويقول : أنا مظلوم ، فإني أعلم المظلوم من غيره » . ﴿إن تُبْدوا خيراً أو تخفوه/١٤٩﴾ حث على الخير وترك[5] السوء ، ذكره تمهيداً لقوله: ﴿أو تَعفُوا عن سوءٍ﴾ المناسب لما في الآية قبلها ، لأنه تعالى لما أباح للمظلوم الجهر بالسوء ، أراد أن يبيِّن أن العفو مع ذلك أحسن ، كقوله : ﴿فمن عفا وأصلحَ فَأجرُهُ على اللّهِ﴾[6] وفي الآية طباقان ، بين (تبدوا) و(تخفوا) ، و(خيراً) و(سوءً) ، وجناس مضارع بين (تخفوا) و(تعفوا). وختم بقوله: ﴿فإن الله كان عفواً قديراً﴾ للإشارة إلى أنه سبحانه كثير العفو ، مع قدرته على الانتقام ، فينبغي للعبد أن يكون كذلك . وقال الطوفي : « قابل سبحانه عفو العافي عن حقه بعفوه عنه . وصفة القدرة راجعة إلى قوله: ﴿إن تُبْدوا خيراً أو تُخفوهُ﴾ ، أي فإن الله قدير على مكافأتكم ، والأول أقعد ». الكرماني : قال هنا : ﴿إن تُبدوا خيراً﴾ وفي الأحزاب :

---

(١) البحر (٣/٣٨١) بمعناه .

(٢) البحر (٣/٣٨٢) .

(٣) انظر البحر (٣/٣٨٢) .

(٤) عن ابن عباس ، وابن عمر ، وابن جبير ، وعطاء بن السائب ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، وغيرهم . البحر (٣/٣٨٢) .

(٥) في (ب) : وذكر .

(٦) الشورى (٤٠) .



(إن تُبدوا شيئاً/٥٤) ، لأن هذه السورة وقع الخير فيها في مقابلة الجهر بالسوء ، فاقتضت المقابلة أن يكون بإزاء السوء الخير ، وآية الأحزاب[1] لمن أضمر في قلبه نكاح أزواج النبي -ﷺ- من بعده ، أو صرّح به ، ولهذا ناسب ختمها بقوله : (فإن الله كان بكُلّ شيءٍ عليماً) ، مع تقدم قوله : (والله يعلم ما في قلوبكم/٥١) ، وهو عام ، و(شيء) أعم العام »[2]. (إن الذين يكفرون/١٥٠) الآية ، أبوحيان: « لما فرغ من بيان أحوال المنافقين ، شرع في بيان أحوال اليهود والنصارى »[3]. (بَيْنَ ذلك) أي بين الكفر والإيمان . (أولئك هم الكافرون حقاً/١٥١) أكَّده ، لئلا يُتوهم أن إيمانهم ببعض الرسل يُعدّ إيماناً . (وأعتدنا للكافرين/١٥١) وعيد ، وفيه التفات ، إقامة الظاهر مقام المضمر (والذين آمنوا/١٥٢) الآية ، هي في مؤمني أهل الكتاب ، صرّح بوعدهم بعد وعيد كفارهم . (نؤتيهم) بالنون وبالياء[4]، ففيه التفات عن التكلم إلى الغيبة . (وكان الله) فيه التفات . (غفوراً رحيماً) قال أبوحيان : « لما وعدهم بالثواب ، زادهم تبشيراً بالتجاوز عن السيئات ، وبرحمته إياهم »[5]. الطوفي : « صفة الرحمة مناسبةٌ بيانٍ للأجور بأنها فضل ورحمة منه ، لا باستحقاقٍ ووجوبٍ للأعمال . فإن قلت : فما وجه مناسبة صفة المغفرة ؟. قلت : وجهه أن غفران الذنوب قد يكون من جملة الأجور ، بدليل (فالذين هاجروا) إلى قوله: (لأكَفِّرَنَّ عنهم سيآتِهم ، ولأُدخِلَنَّهم جناتٍ)[6]، فجعل في مقابلة الهجرة وما ضم إليها ، تكفير السيئات ودخول الجنة » انتهى. (فقد سألوا/١٥٣) جواب شرط مقدراً ، أي استكبرتَ ما سألوك ، فقد. . . . (أكبرَ) قرىء بالمثلثة[7]. (الصاعِقةُ)

---

(١) في أسرار التكرار (٥٨) :
« وقع بعدها : (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ) فاقتضى العموم ، وأعم الأسماء « شيء » ، ثم ختم الآية بقوله : (فإن الله كان بكل شيءٍ عليماً) » .

(٢) المرجع السابق .

(٣) البحر (٣/٣٨٥) باختصار .

(٤) قراءة الياء هي قراءة حفص ، وقراءة النون هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٠١) .

(٥) البحر (٣/٣٨٦) .

(٦) آل عمران (١٩٥) .

(٧) عن الحسن ، البحر (٣/٣٨٦) .



قرىء (الصعقة)[1]. (ثم اتخذوا العجل) هي للترتيب في الأخبار، لا في نفس الأمر، لأن الاتخاذ كان قبل السؤال المذكور، (فعفونا) فيه التفات. (لا تَعْدُوا/١٥٤) من قرأه بفتح العين وتشديد الدال، أصلها تعتدوا، وقرىء بالأصل[2]. (فبِما نَقضِهِم/١٥٥) متعلق بمحذوف، أي فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والإذلال وغير ذلك. قال ابن عطية: «وحذف هذا المتعلق بليغ متروك، مع ذهن السامع»[3]، وقد صرّح به في قوله: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبَهم قاسيةً)[4] وقيل: متعلق بقوله: (حَرَّمنا عليهم طيباتٍ)[5] على أن قوله (فبظلمٍ)[6] بدل منه[7]. الكشاف: «فإن قلت: هلّا كان المتعلق ما دلّ عليه قوله: (طبع الله عليها)؟.

قلت: لا يصح، لأنه ردّ وإنكار لقولهم: (قلوبنا غلفٌ/١٥٥)، فكان متعلقاً به»[8]. قال أبوحيان: «وهو جواب حسن»[9]. (بآيات الله) فيه التفات. (وبِكفرِهم/١٥٦) تكرر نسبة الكفر إليهم بحسب متعلقاته، إذ كفروا بموسى، ثم بعيسى، ثم بمحمد-ﷺ- (رسولَ الله/١٥٧) هو من جملة قولهم، على سبيل الاستهزاء، كقول فرعون: (إن رسولَكُمُ الذي أُرسلَ إليكم لمجنونٌ)[10]، أو من كلامه، فقال رفعاً لعيسى-عليه السلام-، وحطاً وتشنيعاً على اليهود. (اختلفوا

---

(١) عن السلمي والنخعي، البحر (٣/٣٨٧).

(٢) القراءة بفتح العين وتشديد الدال، هي قراءة ورش، والقراءة باخفاء حركة العين وتشديد الدال، هي قراءة قالون. انظر البحر (٣/٣٨٨)، والكشف (١/٤٠١).

(٣) المحرر (٤/٢٨٢).

(٤) المائدة (١٣).

(٥) النساء (١٦٠).

(٦) النساء (١٦٠).

(٧) وهذا قول الزجاج (البحر ٣/٣٨٨)، وهو ما جوّزه الزمخشري (١/٥٧٨).

(٨) الكشاف (١/٥٧٨) باختصار.

(٩) البحر (٣/٣٨٩).

(١٠) الشعراء (٢٧).

فيـه) أي في قتله . (إلا اتباعَ الظنِ) استثناء منقطع ، (يقيناً) حال ، أو مصدر مؤكـدة لانتفاء القتل[1] . وقد اجتمع في الآية ألفاظ متناسبة ، وهي : التخيّل، والشك، والعلم، والظن، واليقين . (وكان الله عزيزاً حكيماً/١٥٨) قال الإمام : « المراد من العزة ، كمال القدرة ، ومن الحكمة ، كمال العلم ، فنبّه بهذا على أن رفع عيسى من الدنيا إلى السماء ، وإن كان كالمتعذر على البشر ، لكنه لا تعذر فيه بالنسبة إلى قدرته وحكمته »[2]. وقال غيره : « (عزيزاً) قوياً في نقمته من اليهود ، (حكيمـاً) فيما دبّـر لعيسى ». وقال أبوحيان: « (عزيزاً) لا يُغالَب ، لأن اليهود حاولت بعيسى أمراً ، وأراد الله خلافه ، (حكيماً) واضعاً الأشياء موضعها ، ومن حكمتـه تخليصـه من اليهـود ، ورفعـه إلى السماء لما يريده »[3]. (وإن من أهلِ الكتابِ/١٥٩) (إن) هنا نافية ، والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه ، أي وما أحد من أهل الكتاب ، ومثله : (وإن منكم إلا وارِدُها)[4]، (وما منا إلا له مقامٌ معلومٌ)[5]. قال الـزجاج : « وحذف « أحد » ، لأنه مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو : ما قام إلا زيد ، أي أحد »[6]، وضمير (به) ، و(موته) لعيسى . وقيل : ضمير موته لليهود[7]، ويؤيده قراءة أُبيّ : (ليؤمنن) بضم النون الأولى ، (بهِ

(١) انـظر البحر (٣/٣٩١) ، ومعاني القرآن للفراء (١/٢٩٤) ، وإعراب القرآن للنحاس (١/٥٠٣) ، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/٢١١) ، وفتح القدير (١/٥٣٤) .

(٢) التفسـير الكبـير (١١/١٠٥) .

(٣) البحر (٣/٣٩٢) بقليل من الاختصار - إلا أن البداية فيه كانت بالآتي : « وقيل . . . . » .

(٤) مريـم (٧١) . (٥) الصافات (١٦٤) . (٦) البحـر (٣/٣٩٢) .

(٧) هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة . والقول السابق هو قول ابن عباس أيضاً ، وقتادة ، وابن زيد ، وابن قتيبة .
غريب القرآن لابن قتيبة (١٣٧) ، وزاد المسير (٢/٢٤٧ - ٢٤٨) ، وجامع البيان (٩/٣٨٠ - ٣٨٦) وهو اختيار ابن جرير الطبري (٩/٣٨٦) ، وهو ما صححه ابن كثير « لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلّم لهم من النصارى ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شُبِّه لهم ، فقتلوا الشَّبَه ، وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه إليه ، وإنه باقٍ حي ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة ، كما دلَّت عليه الأحاديث المتواترة » .
تفسير القرآن العظيم (١/٥٧٧) ، وانظر فتح القدير (١/٥٣٥) .



قبل موته)[1]. الكشاف : « فإن قلت : ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم ؟ .

قلت : فائدته الوعيد ، وليكون علمهم بأنهم لابد لهم من الإيمان عن قريب عند الاحتضار ، وأن ذلك لا ينفعهم ، بعثاً لهم ، وحثاً على معالجة الإيمان به في أوان الانتفاع به ، وليكون إلزاماً للحجة لهم »[2]. **(فبظلمٍ/١٦٠)** فيه حذف الصفة ، لفهم المعنى ، أي عظيم ، وقدم السبب على المسبب تنبيهاً على فحش الظلم ، وتقبيحاً له وتحذيراً منه . **(حرَّمنا)** فيه التفات . وقرأ ابن عباس **(طَيِّباتٍ كانت أُحلّت)**.[3] **(سبيلِ الله)** فيه التفات . **(كثيراً)** أي صدّا كثيراً أو ناساً كثيراً . **(وقد نُهوا عنه/١٦١)** جملة حالية ، تفيد تأكيد قبح فعلهم ، وسوء صنيعهم ، وأُعيدت الباء في **(بِصدهم/١٦٠)** لبعده عن المعطوف عليه بالفعل ، مما ليس معمولاً له ، بخلاف البواقي . وهذه الآية أجمل فيها المحرّم ، وفصّل السبب ، وآية الأنعام ، فصّل فيها المحرم ، وأجمل السبب بقوله : **(ذلك جزيناهم ببغيِهم/١٤٦)** . ولما ذكر في الآية ما عوقبوا به في الدنيا ، من تحريم الطيبات ختمها بما أعد لهم في الآخرة عقوبة . وفي قوله : **(وأعتدنا/١٦١)** التفات . **(والمقيمون)**[4] نسقاً على ما قبله . **(سنؤتيهم/١٦٢)** بالنون وبالياء[5]، ففيه التفات . **(إنا أوحينا إليك/١٦٣)** الآية ، فيه التفات على قراءة الباء ، والآية متعلقة بقوله : **(يسألُكَ أهلُ الكتابِ/١٥٣)** الآية ، قال الزمخشري : « هي جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله -ﷺ- أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ،

---

(١) انظر البحر (٣/٣٩٣) .

(٢) الكشاف (١/٥٨١) .

(٣) البحر (٣/٣٩٤) .

(٤) قرأ بذلك ابن جبير ، وعمرو ، والجحدري ، وعيسى بن عمر ، ومالك بن دينار ، وعصمة ، عن الأعشم ، ويونس ، وهارون ، عن أبي عمرو . البحر (٣/٣٩٥) .

(٥) قراءة الباء هي قراءة حمزة ، وقراءة النون هي قراءة البقية ، الكشف (١/٤٠١) .



واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه ، كشأن سائر الأنبياء ، الذين سلفوا »[1].
وقال أبوحيان : « خصّ الأنبياء المذكورين بالذكر ، تشريفاً وتعظيماً لهم ، وبدأ بنوح ، لأنه الأب الثاني ، وأول الرسل ، ثم إبراهيم ، لأنه الأب الثالث ، ثم بأولاده ، وقدّم عيسى على من بعده تحقيقاً لنبوته ، وقطعاً لمماراة اليهود فيه ، وقدّم سليمان على داود ، لتوفر علمه ، كما قال: (ففهمناها سليمانَ)[2]، ثم جبر ما فات داود من التقديم اللفظي بإبرازه في جملة مستقلة بالذكر ، ونسبة كتاب إليه ، فحصل له التشريف المعنوي ، وكذا جبر ما فات موسى من التقديم بذلك ، ونسبة الكلام إليه مؤكداً بالمصدر الرافع لتوهم المجاز »[3]. قال ابن جماعة : « رتَّبهم هنا على غير ترتيب آية الأنعام ، لأن هذه الآية نزلت ردّاً لسؤال اليهود أن ينزل عليهم كتباً ، فبيَّن فيها أنه ليس كل الأنبياء أنزل عليهم كتاباً ، بل بعضهم بوحي ، وبعضهم بكتب ، وبعضهم بصحف ، فقدِّم نوحٌ ، لعدم كتاب أُنزل عليه ، ثم إبراهيم ، لأنه له صحفاً ، وتلاه بمن لا كتاب له ، ثم قدّم عيسى ، لأن له الإنجيل ، وتلاه بمن لا كتاب له ثم ختم بداود لزبوره ، ثم أجمل الرسل ، وختمهم بموسى لبيان أن تشريفه للأنبياء ليس بالكتب ، ولابد ، بل خصّ بعضهم بما شاء من أنواع الكرامات ، إما بتكلّم ، أو إسراء ، أو إنزال كتب ، أو صحف ، أو وحي على ما يشاء ، فناسب بهذا الترتيب ما تقدم ، وأما آيات الأنعام فسياقها في بيان نعمه على إبراهيم ، ومن ذكره ، فقرن بين كل اثنين منهم بما اتفق لهما من وصف خاص بهما ، فداود وسليمان بالملك والنبوة ، وأيوب ويوسف بالنجاة من الابتلاء ، وموسى وهارون بالأخوة والنبوة ، وزكريا ويحيى بالشهادة ، وعيسى وإلياس بالسياحة ، وإسماعيل واليسع بصدق الوعد ، ويونس ولوط بخروج كل منهما من قرية من بُعث إليه ، ونجاة يونس من الحوت ، ولوط من هلاك قومه »[4]. وقرىء (يونس) بكسر

(١) الكشاف (١/٥٨٢) .
(٢) الأنبيـــاء (٧٩) .
(٣) البحر (٣/٣٩٧ - ٣٩٨) باختصار وتصرف .
(٤) كشف المعاني (١١٠ - ١١١) .



النـون وفتحهـا[1]، لغتان . وفي قراءة (زبوراً/١٦٧) بضم الزاي[2]، إما مصدر كالقُعود ، سُمّي به الكتاب المنزل عليه ، أو جمع زبور ، على حذف الزائد ، وهو الـواو ، كما قالوا : ظريف وظروف . **(ورُسُلاً/١٦٤)** نصب على الاشتغال ، أو بأرسلنـا مقـدراً[3]. وقـرأ أُبيّ **(ورُسُـلٌ)**[4] على الابتداء . **(وكلَّمَ اللّهُ/١٦٤)** فيه التفـات . وقـرىء بنصب الجـلالـة[5]. **(رسـلاً/١٦٥)** بدل. **(وكـان الله عزيزاً حكيماً/١٦٥)** الطوفي : « هو مناسب لما في الآية ، لأن إرسال الرسل ، وتأييدهم بالمعجـزات وإقامة الحجة البالغة لهم على الخلق ، لا يتأتى إلا عن عزيز غالب حكيم قادر على خرق العادات بالمعجزات ، عالم بمواقع الحجج والبينات » . **(لكنِ اللّهُ يشهدُ/١٦٦)** أبوحيان: « الاستدراك بـ**(لكن)** يقتضي تقديم جملة محذوفة ، لأن لكن لا يُبتدأ بها ، فالتقدير ما ورد في سبب النزول »[6]. وقرىء بتشديد **(لكن)** ، ونصب الجلالة[7]. وقرىء **(أنزل)** بالبناء للمفعول ، وقرىء **(نزّله)** مشدداً[8] **(وكفى بالله شهيـداً)** قال الـطوفي : « منـاسب لقـوله : **(والملائكةُ يشهدون/١٦٦)** » . **(وصَـدُّوا/١٦٧)** قرىء بضم الصـاد[9] . **(وكـان الله عليـماً حكيـماً/١٧٠)** قال الطوفي : « هنا مناسب لقوله : **(قد جاءكم الرسولُ بالحق من ربكم/١٧٠)** ، لأن

---

(١) قراءة الكسر ، هي قراءة نافع في رواية ابن جماز عنه ، وقراءة الفتح ، هي قراءة النخعي وابن وثاب . البحر (٣/٣٩٧) .

(٢) هذه قراءة حمزة - كما في الكشف (١/٤٠٢) .

(٣) القول الأول هو ما قدّمه النحاس (إعراب القرآن ١/٥٠٦) ، ومكي (مشكل إعراب القرآن (١/٢١٣) ، وهو ما اختاره أبوحيان (٣/٣٩٨) .
والقول الثاني هو اختيار الألوسي (٦/١٧) ، وانظر معاني القرآن للفراء (١/٢٩٥) .

(٤) البحـر (٣/٣٩٨) .

(٥) عن إبراهيم بن وثاب - البحـر (٣/٣٩٨) .

(٦) البحـر (٣/٣٩٩) . وسبب النزول ، كما قال أبو حيان : « هو أنه لما نزل (إنا أوحينا إليك) ، قالوا : ما نشهد لك بهذا . . . » .

(٧) أسندها ابن عطية إلى الجراح الحكمي . المحرر (٤/٢٩٨) .

(٨) هذه قراءة السلمي ، والقـراءة السابقة هي قراءة الحسن ، والمفضل عن عاصم . البحر (٣/٣٩٩) ، والمحرر (٤/٩٨) ، وانظر ابن خالويه (٣٠) .

(٩) عن قتادة وأبي واقد . ابن خالويه (٣٠) .



الحق مستلزم للحكمة ، والإرسال بالحق يستدعي العلم به ، ولقوله : **(وإن تكفروا/ ١٧٠)** ، أي فإنه عليم بكفركم ، حكيم في تقدير ما تستحقوه من الجزاء عليه ، حاكم بإنفاذ ذلك » . **(يا أهل الكتاب/ ١٧١)** نزلت في النصارى ، وعقّب بها بعد الفراغ من قصة اليهود . أبوحيان : « لما انتهى من أمر اليهود ، الذين طعنوا في المسيح ، أخذ في أمر النصارى ، الذين أفرطوا فيه »[١] . **(المِسِّيح/ ١٧١)** قرىء بوزن الصِّدِّيق[٢] . **(ورُوحٌ منه/ ١٧١)** من لابتداء الغاية ، كهي في قوله : **(وسخرّ لكم ما في السموات وما في الأرض جيمعاً منه)**[٣] ، وقد ردّ بها عليّ بن الحسين بن واقد المروزي[٤] على نصراني استدل بالآية على أن عيسى جزءاً من الباري -تعالى عن ذلك- فقال : « إن كان يجب بهذه أن يكون عيسى جزءاً منه ، وجب أن تكون السموات والأرض وما بينهما جزءاً منه » ، فانقطع النصراني وأسلم »[٥] . **(ثلاثةٌ)** خبر الآلهة مقدراً : انتهوا . **(خيراً لكم)** أي وأتوا ، وهو لازم الإضمار . **(أن يكون)** قرىء بكسر **(أن)** نافية ، ورفع الفعل[٦] . **(وكفى بالله وكيلاً)** الطوفي : « هو مناسب لما قبله ، والمعنى : إن الله -سبحانه- هو الذي يُعِين الخلق على أمورهم ، حتى إنَّ مَن توكَّل على الله ، اكتفى فيه عن غيره ، فكيف يحتاج في أمره الخاص به إلى مساعد من ولد ، أو شريك ، ولا شك أن الولد إنما يُراد في العُرف للكثرة من قِلةّ ، أو العِز من ذلّة ، أو القوة من ضعف ، أو القدرة عن عجز ونحو ذلك من النقائص ، والله سبحانه منزَّه عن ذلك » . **(لَن يستنكفَ المسيحُ أن يكونَ عبداً لله/ ١٧٢)** هو متصل بما قبله من الرد على النصارى الزاعمين ببنوة المسيح ، أو إلٰهيته ، وعطف عليه **(ولا الملائكةُ المقربون)** من باب الاستطراد من ذكر الشيء إلى نظيره ، ومن الرد على فرقة إلى الرد على أخرى نحوها . وظن الزمخشري أن الآية

---

(١) البحـر (٣/ ٤٠٠) .

(٢) عن جعفر بن محمد - البحر (٣/ ٤٠٠) .

(٣) الجاثيـة (١٣) .

(٤) هو علي بن الحسين مُحدثُ مَرْو ، رَوَىٰ عن أبيه ، توفي سنة ٢١١هـ ، العبر / للذهبي (١/ ٣٦٠) .

(٥) البحـر (٣/ ٤٠١) .

(٦) عن الحسن - البحر (٣/ ٤٠٢) .



من باب الـترقي ، فاستـدل بها على أفضلية الملائكـة[1] على الأنبياء[2] ، وهـو غلط منه . قال الكرماني : « ويحتمل أن يكون المراد : ولا الملائكة بكثرتهم[3] ، فتكون لهم المزية عليه بالكثرة لا بالفضل » . (فسيحشرهم) الضمير عام عائد إلى الخلق لدلالة المعنى عليه ، خاص بمن يستنكف لما بعده من التفصيل . وقرىء بالنون[4] ، ففيه التفات . **(فأما الذين/١٧٣)** قدّم ثواب المؤمن ، لأنه مما يغم المستنكف ، ويزيده نكالاً . **(يأيها الناس/١٧٤)** الآية ، لما فرغ من قصة اليهود ، ثم من قصة النصارى ، عقَّب بذكر المؤمنين ، ونبيِّهم محمد -ﷺ- ، وذكر ما أنزل عليهم في مقابلة تسمية الفريقين بأهل الكتاب ، وذكر وعدهم في مقابلة وعد اليهود بقوله : **(لكنِ الراسخونَ/١٦٢)** الآية ، ومؤمني النصارى [بقوله: **(فأما الذين آمنوا/١٧٣)** الآية ، ولم يذكر معهم فريق كفـار ووعيدهم ، وإن كان التقسيم][5] بقـولـه : **(فـأمـا الذين آمنوا بالله واعتصموا به/ ١٧٥)** يقتضيه ، لأن الخطاب في صدر الآية بـ**(يأيها الذين آمنوا)**[6] ،

---

(١) في (أ) : فضيلة .

(٢) انظـر الكشـاف (١/ ٥٨٥) .

قال أبو حيان : « والتفضيل بين الأنبياء والملائكة إنما يكون بالسمع ، إذ نحن لا ندرك جهة التفضيل بالعقل ، وأما الآية ، فقد يقال : متى نفي شيء عن اثنين ، فلا يدل ذلك على أن الثاني أرفع من الأول ، ولا أن ذلك من باب الترقي ، فإذا قلت : لن يأنف فلان أن يسجد لله ، ولا عمرو ، فلا دلالة فيه على أن عمراً أفضل من زيد ، وإن سلَّمنا ذلك ، فليست الآية من هذا القبيل ، لأنه قابل مفرداً بجمع ، ولم يقابل مفرداً بمفردٍ ، ولا جمعاً بجمعٍ . . . . » . البحر (٣/ ٤٠٣ - ٤٠٤) .

ويُنسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة ، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة ، وأما أتباع الأشعري على قولين : منهم من يفضل الأنبياء ، والأولياء ، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً ، وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة ، وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة ، وبعض الصـوفية . هذا ما ذكـره شارح الـطحاوية ، ثم قال : « وحاصل الكلام : أن هذه المسألة من فضول المسائل ، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول ،وتوقف أبو حنيفة -رضـي الله عنه- في الجواب عنها » . انظر شرح العقيدة الطحاوية (٣٣٧ - ٣٤٨) .

(٣) الموجود في لباب التفسير (٣/ ١٣٣٣) إلى هنا فقط .

(٤) هذه قراءة الحسن . البحر (٣/ ٤٠٥) .

(٥) ما بين القوسين غير موجود في (ب) .

(٦) هذا النص غير موجود ، وأما الموجود هو قوله تعالى : (يأيها الناس. . . .) النساء (١٧٤) .



فشرفوا عن ذكر فريق الكفر ، تحقيراً له أن يُذكر معهم ، فحُذف اكتفاءً . وفي (**أنزلنا/١٧٤**) التفات إلى التكلم ، ثم في (**بالله/١٧٥**) التفات عنه . (**يستفتونَكَ/١٧٦**) الآية ، أبوحيان: « خُتمت السورة بهذه الآية ، كما بُدئت أولاً بأحكام الإرث ، لتشاكل المبدأ والمقطع ، وكثيراً ما وقع ذلك في السورة »[١]. قال صاحب المناجاة : « ولبنائها على الإيجاز ، وبحذف متعلق الفعل الأول ، طرد ذلك في حديث العاطف أيضاً ، بخلاف قوله: (**ويستفتونك في النساء**)[٢]، فإنها بُنِيت على الإطناب بذكره ، فأثبت العاطف » . الزمخشري : « الكلالة انتفاء الولد والوالد ، فاقتصر على نفي الولد ، ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة »[٣]. وقال الزملكاني : « المراد بالولد كلال الطرفين ، الولد والوالد معاً ، لأنهما مشتقان من معنى الولادة ، فالولد يجمع معنيين على التضاد ، كما في المولى ، والقنص للصيد والصائد ، والصِّهر للحَمو والختَنَ ، ونظيره قوله : (**كما فعل بأشياعهم من قبل**)[٤]، والأشياع : الأتباع ، فجُعل هنا للقدوة ، لأنه من شاع يشيع ، إذا اشتهر ، كلا الفريقين حاصل له الشهرة ، أما الطائفة الأولى ، فبكونها قدوة ، وأما الثانية ، فبكونها مقتدية » انتهى. (**وهو يرثها/١٧٦**) الضميران لما تقدم لفظاً لا معنىً ، من باب : عندي درهم ونصفه ، لأن الهالك لا يرث ، والحية لا تورث ، ونظيره (**وما يُعَمَّر من مُعَمَّرٍ ، ولا يُنْقَصُ من عُمُرِهِ**)[٥]. (**فإن كانتا**) الضمير للأختين الدّال عليهما (**وله أخت**) . وقيل : هو على لغة : أكلوني البراغيث . وضمير (**كانوا**) للوارثين الدّال عليه السياق . وقرىء (**فإن للذكر مثلَ**) بالنصب[٦]. (**أن تضلوا**) أي كراهة أن ، أو لئلا . (**والله بكل شيءٍ عليمٌ**) . الإمام : « في هذه

---

(١) البحر (٤٠٦/٣) ، إلا أن فيه : « بأحكام الأموال في الإرث وغيره » بدلاً من « بأحكام الإرث » .

(٢) النساء (١٢٧) .

(٣) الكشاف (٥٨٩/١) بتصرف .

(٤) سبأ (٥٤) .

(٥) فاطر (١١) .

(٦) عن ابن أبي عبلة - البحر (٤٠٨/٣) .



السورة لطيفة عجيبة ، وهو أن أولها مشتمل على كمال تنزيه الله وسعة قدرته ، وآخرها مشتمل على كمال العلم ، وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والإلٰهية ، والجلال والعزة ، وبهما يجب أن يكون العبد منقاداً للتكاليف »[1]. الطوفي : « الختم به مناسب لما في الآية ، لأنها تضمنت تفاصيل أحكام الفرائض ، وهذا التفصيل والهداية من الضلال ، يستدعي علم الفاعل لذلك » .

(١) التفسير الكبير (١١/١٢٣ - ١٢٤) باختصار .



سـورة المائـدة

تقدمت الإشارة إلى مناسبة وضعها هنا . وأقول هذه السورة أيضاً شارحة لبقية مجملات سورة البقرة ، فإن آية الأطعمة والذبائح فيها ، أبسط منها في البقرة ، وكذا ما حرَّمه الكفار تبعاً لآبائهم ؛ في البقرة موجز ، وفي هذه السورة مطنب أبلغ إطناب ، وفي البقرة ذكر القصاص في القتلى ، وهنا ذكر أوّل من سنّ القتل ، والسبب الذي لأجله وقع ، وقال من أجل ذلك: **(كتبنا على بني إسرائيلَ/٣٢)** إلى آخره ، وهو أبسط من قوله : **(ولكم في القصاص حياةٌ)**[١] وفي البقرة: **(وإذ قلنا ادخلوا هذه القريةَ)**[٢]، وذكرت قصتها هنا مطوَّلَة ، وذكر في البقرة من ارتدَّ مقتصراً[٣] عليه[٤]، وقال هنا: **(فسوف يأتِ الله بقومٍ يحبهم ويحبونه/٥٤)** ، وفي البقرة قصة الأيمان موجزة[٥]، وزاد ها هنا بسطها بذكر الكفارة[٦]، وفي البقرة قال في الخمر والميسر : **(فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناسِ ، وإثمهما أكبرُ من نفعهما/٢١٩)** وزاد في هذه السورة في ذمهما ، وصرَّح بتحريمهما[٧]، وفيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة بيان المغضوب عليهم والضالين[٨] في قوله: **(هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبةً عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه/٦٠)** الآية ، وقوله : **(قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلوا عن سواءِ السبيل/٧٧)** .

---

(١) البقـرة (١٧٩) .

(٢) البقـرة (٥٨) .

(٣) في (ب) : معترض أعله .

(٤) وذلـك في قوله تعالى : (ومن يرتدد منكم عن دينه ، فيمت وهو كافرٌ فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة. . .) . البقرة (١٧) .

(٥) وذلك في قوله – عز وجل – : (ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم أن تبروا وتتقوا. . .) . الآية (٢٢٤) . وقوله تعالى : (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . . .) الآية (٢٢٥) .

(٦) وهو ما في الآية (٨٩) .

(٧) وذلك في قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان . . .) الآية (٩٠) .

(٨) في (ب) : ولا الضالين .



وأما اعتلاقها بسورة النساء ، فقد ظهر لي فيه وجه بديع جداً ، وذلك أن سورة النساء اشتملت على عدة عقود ، صريحاً وضمناً ، فالصريح عقود الأنكحة ، وعقد الصداق ، وعقد الحلف في قوله : **(والذين عقدت أيمانكم/٣٣)** ، وعقد الأيمان في هذه الآية ، وعقد المعاهدة[١] والأمان في قوله : **(إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاقٌ/٩٠)** ، وقوله : **(وإن كان من قومٍ بينكم وبينهم ميثاقٌ ، فَدِيةٌ/٩٢)** ، والضمني عقد الوصية والوديعة والوكالة والعارية والإجارة وغير ذلك الداخل في عموم قوله : **(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها/٥٨)** ، فناسب أن يعقّب بسورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقد ، وكأنه قيل : **(يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود/١)** التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمّت ، فكان ذلك غاية التلاحم والتناسق والارتباط .

ووجه آخر في تقديم سورة النساء ، وتأخير سورة المائدة ، وهو أن تلك أولها: **(يأيها الناس/١)**، وفيها الخطاب بذلك في مواضع[٢]، وهو أشبه[٣] لخطاب الكفار ، وتنزيل المكي ، وهذه أولها **(يأيها الذين آمنوا/١)**، وفيها الخطاب بذلك في مواضع[٤]، وهو أشبه بخطاب[٥] المدني ، وتقديم العام وشبه المكي أنسب ، ثم إن هاتين السورتين في التلازم والاتحاد ، نظير البقرة وآل عمران ، فتينك اتحدتا[٦] في تقرير الأصول ، من الوحدانية والكتاب والنبوة ، وهاتين في تقرير الفروع الحكمية ، وقد ختمت المائدة بصفة القدرة ، كما افتتحت النساء بذلك ، وافتتحت النساء ببدء الخلق ، وختمت المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء ، فكأنهما سورة واحدة اشتملت على الأحكام ، من المبدأ إلى المنتهى . ولما وقع في سورة النساء :

---

(١) في (أ) : المعاهد .

(٢) وذلك في الآيات (١ ، ٧٠ ، ١٧٤) .

(٣) في (أ) : اسم .

(٤) وذلك في الآيات (٢ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ٣٥ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٦) .

(٥) في (أ) : اسم المدني .

(٦) في (ب) : اتحدا .



(إنا أنزلنا إليك الكتابَ بالحق لتحكمَ بين الناس/١٠٥) الآيات ، وكانت نازلة في قصة سارقٍ سرق درعاً ، فصَّل في سورة المائدة أحكام السارقين[١] والخائنين[٢]، ولما ذكر أنه أنزل الكتاب ليحكم بين الناس ، ذكر في سورة المائدة آيات في الحكم بما أنزل الله حتى بين الكفار ، وكرّر ذكر من لم يحكم بما أنزل الله[٣]، فانظر إلى هذه السور الأربع المدنيات ، وحسن ترتيبها ، وتلاحمها ، وتناسقها ، وتلازمها . وقد افتُتحت بالبقرة ، التي هي أول ما نزل بالمدينة ، وخُتمت بالمائدة ، التي هي آخر ما نزل بها ، كما في حديث الترمذي[٤].

ووجه التسمية بسورة المائدة ، ما تضمنته قصتها من الغرابة والابتداع ، وكونها معجزة لمن أنزلت عليه. (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود/١) الزملكاني : « هذه الآية متضمنة ضروباً من النظم ، منها الفصل ، وهو أن يبتدأ بكلام ، ولا يذكر جوابه ، حتى يؤتى بمبتدأ ثان وبجوابه ، ثم يؤتى بجواب الأول ، فـ(يأيها الذين آمنوا) نداء لجميع المؤمنين ، ثم قال : (أوفوا بالعقود) وهي العهود ، ولم يبيِّنها سبحانه ، ثم استأنف كلاماً آخر ، فقال : (أُحِلَّت لكم بهيمةُ الأنعام/١) وجواب (أوفوا بالعقود) في مفهوم (يأيها الذين آمنوا لا تُحِلوا شعائر الله/٢) ، وإنما أعاد (يأيها الذين آمنوا) ، وإن كان قد تقدم ، لأنه وقع فصل بينهما ، فأعاده ليعلم أنه متصل به ، كما قال : (إن ربك للذين هاجروا من بعدِ ما فُتِنُوا)[٥]، ثم عاد فقال : (إن ربك من بعدها لغفورٌ رحيمٌ)[٦]، وقوله : (إلا ما يتلى عليكم/١) . قد بيّن أن ما أجمله هنا ، في (حرّمت عليكم الميتة/٣) ، قال : « ويحتمل أن يكون كل فصل بعد قوله: (أوفوا بالعقود) متصلاً بما قبله ، ومفسراً للفصل الذي يليه ،

---

(١) وذلك في الآية (٣٨) .

(٢) وهو في الآية (١٣) .

(٣) انظر الآيات (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧) .

(٤) أخرجه الترمذي من قول عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- ، ثم قال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب ، وروي عن ابن عباس أنه قال : « آخر سورة نزلت : (إذا جاء نصر الله والفتح) . سنن الترمذي (٥/٢٦١) - كتاب : تفسير القرآن - باب (٦) .

(٥+٦) النحـل (١١٠) .



و (**غير مُحِلِّي الصيد/١**) على هذا متصل بـ(**أُحِلَّت لكم بهيمة الأنعام/١**) ، وتكون (**بهيمة الأنعام**) تعم الإِنسي والوحشي ، ويكون (**غير مُحِلِّي الصيد/١**) حالاً منفية بغير ، فالتقدير : إذا أُحِلّت لكم بهيمة الأنعام في حال امتناعكم من الصيد ، وأنتم في حال الإحرام ، ويكون قوله : (**إلا ما يُتلى عليكم/١**) مرموزاً به إلى قوله : (**وحُرِّم عليكم صيدُ البر ما دمتم حُرُماً/٩٦**) وفائدة ذِكر الحِل هنا ، البعث على الانتهاء من قتل الصيد في حال الإحرام ، فإن الحرج قد رفع بالحِل ، و (**إلا ما يُتلى عليكم**) في تقدير : إلا محرّم عليكم ، أو إلا ما يُتلى عليكم آية في تحريمه ، فإن صيد الوحش محرَّم عليكم فيها . وفائدة قوله: (**إلا ما يُتلى عليكم**) أي في آخر هذا الفصل ، وهو الميتة والدم ، وما اتصل بهما ، على التأويل الأول التعريف بأنه مُحَرَّم في كل الأحوال . أبوحيان: « مناسبة افتتاحها لآخر[1] النساء ، أنه تعالى لما ذكر أنه يبيِّن لهم كراهة الضلال ، بيَّن في هذه السورة أحكاماً كثيرة ، وهي تفصيل لذلك المجمل ، وقد ذكروا أن الكِندي[2] قال له أصحابه: اعمل لنا ، هذا القرآن . فقال : نعم . فاحتجب أياماً ، ثم خرج ، فقال : والله ، ما أقدر ، ولا يطيق هذا أحد ، إني فتحت المصحف ، فخرجت سورة المائدة ، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ، ونهى عن النكث ، وحلَّل تحليلاً عاماً ، ثم استثنى بعد استثناء ، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلا في أجلاد[3].

الزجاج : « العقود : أوكد من العهود ، وأصله في الأجرام ، ثم توسع فيه فأُطلق في المعاني »[4].

---

(١) في (أ) : آخــر .

(٢) يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي ، أبويوسف ، هو أحد أبناء الملوك من كندة ، نشأ بالبصرة وانتقل إلى بغداد ، فتعلم . واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك .

ألف وترجم وشرح كتباً كثيرة ، تزيد على الثلاثمائة ، ومن كتبه : « رسالة في التنجيم » ، و « رسالة في الموسيقى » ، و « الأدوية المركبة ». توفي سنة ٢٦٠هـ .

طبقات الأطباء (١/٢٠٦ - ٢١٤) ، لسان الميزان (٦/٣٠٥) ، آداب اللغة (٢/٢١٢) .

(٣) البحـر (٣/٤١١) .

(٤) انظـر البحـر (٣/٤١١) .



الزمخشري : « العقد : هو العهد الموثق ، شبه بعقد الحبل ونحوه »[1].

الراغب : « العقد : الجمع بين أطراف الشيء ، ويُستعمل في الأجسام الصلبة ، ثم يُستعار للمعاني »[2]، وقد فسَّرها ابن عباس هنا بكل ما أخذه الله على عباده فيما أحلّ وحرّم ، فهو من الإيجاز الجامع »[3].

(بهيمةُ الأنعام) من إضافة الشيء إلى جنسه ، لأن البهيمة أعم ، فأُضيفت إلى أخص . الزمخشري : « البهيمة : كل ذات أربع في البر والبحر »[4]. ابن عطية : « البهيمة : ما أُبهم من جهة نقص النطق والفهم »[5].

الراغب : « البهيمة : ما لا نُطْق له لما في صوته من الإبهام ، لكن خص في التعارف بما عدا السِّباع والطير »[6]. **(غيرَ/١)** استثنى بها كراهة تكرير إلا . وقرىء بالرفع[7]. قال أبوحيان: « وأحسن ما يخرج عليه أن يكون صفة لبهيمة ، ولا يلزم من الوصف بغير ، أن يكون ما بعدها مماثلاً للموصوف في الجنسية »[8]. **(مُحِلِّي الصيد ، وأنتم حُرُمٌ/١)** فيه النوع المسمى بتوهم[9] الطباق ، و**(حُرُمٌ)** جمع حرام ، يقال لمن دخل في الإحرام ، وفي الحَرَم . **(إن الله يحكم ما يريد/١)** الطوفي : « مناسب لقوله : **(أُحِلَّت/١)** إلى آخره ، لأنه حكم ». أبوحيان : « هذه الجملة جاءت مقوِّية لهذه الأحكام الشرعية المخالفة لمعهود أحكام العرب ، من الأمر بإيفاء

---

(١) الكشـاف (١/٥٩٠) .

(٢) المفـردات (٣٤١) مادة : عقـد .

(٣) في المحرر (٤/٣١٤) .
« بما أحلّ الله وبما حرم ، وبما فرض وبما حدّ في جميع الأشياء » .
وقال أبو حيان : « والظاهر : عموم العقود في كل ربط يوافق الشرع ، سواء كان إسلامياً ، أم جاهلياً » . البحر (٣/٤١١) .

(٤) الكشـاف (١/٥٩١) .

(٥) المحـرر (٤/٢١٧) .

(٦) المفردات (٦٤) مادة : بهم .

(٧) عن ابن أبي عبلة . البحر (٣/٤١٨) .

(٨) البحـر (٣/٤١٨) .

(٩) في (ب) : بتوهيم .



العقود ، وما بعدها ، فموجب الحكم والتكليف ، هو إرادته ، لا اعتراض عليه »[1]. (**ولا القلائدَ/٢**) المراد بها الهَدْي المقلّد ، وعطف على (**الهَدْي/٢**) عطف خاص على عام تأكيداً ومبالغة في التنبيه على الحرمة في المقلَّد . وقيل : أُريد القلائد نفسها ، نهى عن التعرُّض لها مبالغة في النهي عن التعرض للهَدْي ، أي لا تُحِلُّوا قلائده فضلاً عنه ، كما قال: (**ولا يُبْدِين زينتهن**)[2]، فنهى عن إبداء الزينة ، مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها[3]. (**ولا آمِّين/٢**) فقرىء بحذف النون والإضافة[4]. (**يبتغون/٢**) قرىء بالفوقية[5]، خطاباً للمؤمنين . (**وإذا حَلَلتم فاصطادوا/٢**) راجع إلى قوله: (**غيرَ مُحِلِّي الصيدِ وأنتم حُرُمٌ/١**). (**ولا يَجْرِمَنَّكم/٢**) راجع إلى قوله : (**لا تُحِلّوا شعائر الله/٢**) إلى آخره . الكسائي : « جَرَمه على كذا ، حَمَله »[6]. الفراء : « جَرَمه : كسبه ، وأَجْرَم : أكسب غيره »[7]. الراغب : « أصل الجَرْم : قطع الثمرة عن الشجرة ، وأَجْرَم : صار ذا جَرْم ، كأَثْمَرَ ، وأَلْبَنَ ، فاستُعير ذلك لكل اكتساب مكروه ، ولا يكاد يقال للكسب المحمود »[8]. وقرىء بضم أوله ، من أجرم ، بمعنى كسب . وقرىء (**يجرمنكم/٢**) بسكون النون[10]. (**شَنَآنُ/٢**) بفتح النون وسكونها[11]، والأظهر في المفتوح المصدر ، وفي الساكن

---

(١) البحر (٣/٤١٨) باختصار .

(٢) النور (٣١) .

(٣) انظر البحر (٢/٤٢٠) .

(٤) هي قراءة عبد الله وأصحابه . البحر (٣/٤٢٠) .

(٥) هي قراءة حميد بن قيس ، والأعرج . البحر (٣/٤٢٠) .

(٦) البحر (٣/٤١٠) .

(٧) الذي في معاني القرآن للفراء (١/٢٩٩) .
« وسمعت العرب تقول : فلان جريمة أهله ، يريدون كاسب أهله ، وخرج يجرمهم : يكسب لهم ، والمعنى فيها متقارب » .
وساق أبو حيان قول الفراء بلفظ : « جرمه : كسبه . . . . وأجرم . . . . اكتسب » . البحر (٣/٤١٠) .

(٨) المفردات (٩١) مادة : جرم .

(٩) عن ابن مسعود والأعمش . ابن خالويه (٣١) .

(١٠) قرأ بذلك الحسن ، وإبراهيم ، وابن وثاب ، والوليد عن يعقوب . البحر (٣/٤٢٢) .

(١١) قراءة الإسكان هي قراءة أبي بكر وابن عامر ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٠٤) .



الوصف . الراغب : « من سكّن ، أراد بغيض قوم ، ومن فتح جعله مصدراً »[1] .

أبو حيان : « الشنآن : البغض ، وهو أحد مصادر شَنِيء ، وله ستة عشر مصدراً ، وهي أكثر ما حُفظ للفعل »[2] . (**أن صَدُّوكم/٢**) بالكسر على الشرط ، وبالفتح على التعليل[3] . وقرىء (**أن يصدوكم**)[4] . (**وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان/٢**) فيه أربع مقابلات . قيل : والبر ، والتقوى بمعنى واحد ، وكُرِّر تأكيداً ، وردَّه ابن عطية ، بأن البِر يتناول الواجب والمندوب ، والتقوى تختص بالواجب[5] . وقال ابن عباس : « البر : ما أُمرتَ به ، والتقوى ما نُهيتَ عنه »[6] . وقد ورد في الحديث : « البِر ما اطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في صدرك »[7] فقابل البِر بالإثم . والعدوان : تجاوز الحد المشروع ، فهو مقابل للتقوى . الراغب : « البَّر خلاف البحر ، وتصوّر منه التوسع ، فاشتق منه البِر ، أي التوسع في فعل الخير ، ويُنسب ذلك إلى الله تارة نحو (**إنه هو البَر**)[8] ، وإلى العبد تارة ، فمن الله الثواب ، ومن العبد الطاعة ، وذلك يشمل الاعتقاد والأعمال الواجبة والمندوبة ، وعلى هذا ما روي أنه -ﷺ- سُئل عن البِر ، فتلا : (ليس البرُّ)[9] الآية[10] ، لأنها متضمنة للثلاثة . وبِر الوالدين : التوسع في الإحسان إليهما ،

---

(١) المفـردات (٢٦٧) مادة : شـنا .

(٢) البحـر (٣/ ٤١٠) باختصار .

(٣) قراءة الكسر هي قراءة أبي عمرو ، وابن كثير ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . الكشف (١/ ٤٠٥) .

(٤) عن ابن مسعود . المحرر (٤/ ٣٣٢) .

(٥) المرجع السابق .

(٦) البحـر (٤/ ٤٢٣) .

(٧) رواه الإمام أحمد عن وابصة بن معبد الأسدي -رضـي الله عنه- مرفوعاً بلفظ : (البِر ما اطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في النفس ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك) . مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٢٨) .

وذكر الهيثمي أن الطبراني رواه أيضاً ، ورجال أحد إسناديه ثقات . مجمع الزوائـد (١٠/ ٢٩٤) .

(٨) الطـور (٢٨) .

(٩) البقـرة (١٧٧) .

(١٠) روى ذلك الواحدي عن قتادة - أسباب النزول (٣٠) .

وضده العقوق . ويُستعمل البِر في الصدق ، لكونه بعض الخير المتوسع فيه ، نحو : بَرّ في قوله ، وفي يمينه »[1]. **(واتقوا الله/٢)** الطوفي : « مناسب لقوله : **(وتعاونوا/٢)** إلى آخره ، لأن الأول أمر ، والثاني نهي . وتقوى الله هي امتثال[2] المأمور ، واجتناب المحظور . **(إن الله شديد العقاب/٢)** مناسب لقوله : **(واتقوا الله)** ، لأن الإخبار بشدة العقاب يبعث[3] على التقوى . **(حُرِّمَتْ عليكم الميتةُ/٣)** شروع في بيان ما استثناه في قوله : **(إلا ما يُتلى عليكم/١)** ، **(والموقوذة/٣)** أبوحيان : « الوَقْذ : ضرب الشيء حتى يسترخِي ، ويشرف على الموت »[4] . **(والنطيحة/٣)** قرىء **(والمنطوحة)**[5] .

(وما أكل السَّبُعُ/٣) قرىء بسكون الباء[6]، قرىء **(وأكيل السبع)** ، **(وأكيلة السبع)**[7]. **(ذَكَّيتم/٣)** الراغب : حقيقة التذكية : إخراج الحرارة الغريزية ، لكن خُصَّ في الشرع بإبطال الحياة على وجه دون وجه »[8]. **(النُّصُب/٣)** حجارة تُنْصَب ، الواحد نصب بفتح النون ، وسكون الصاد ، وقرىء به ، وقرىء بفتحتين ، وبضم النون وسكون الصاد[9]، ويُجمع أيضاً على أنصاب . **(تستقسموا/٣)** تطلبوا القَسَم . **(بالأزلام/٣)** هي القِداح ، واحدها زلم بضم الزاي وفتحها . **(اليوم يئس الذين كفروا من دينكم/٣)** قال الزمخشري : « يئسوا منه أن يبطلوه ، وأن ترجعوا محلّلين لهذه الخبائث بعدما حُرّمت عليكم »[10]، فعُرف بذلك

(١) المفردات (٤٠) مادة : برّ .
(٢) في (ب) : للقتال .
(٣) في (أ) : يحث .
(٤) البحر (٣/٤١٠) .
(٥) عن عبد الله ، وأبي ميسرة . البحر (٣/٤٢٣) .
(٦) عن الحسن ، والفياض ، وطلحة بن سليمان ، وأبي حيوة . البحر (٣/٤٢٣) .
(٧) هذه قراءة عبد الله ، والقراءة السابقة عن ابن عباس . البحر (٣/٤٢٣) .
(٨) المفردات (١٨٠) مادة : ذكا .
(٩) القراءة بفتح النون ، وسكون الصاد هي قراءة الحسن ، والقراءة بفتحتين هي قراءة عيسى بن مريم ، والقراءة بضم النون وسكون الصاد هي قراءة طلحة بن مصرف . البحر (٣/٤٢٣) .
(١٠) الكشاف (١/٥٩٣) .



وجه الاتصال . الراغب : « اليأس انتفاء الطمع »[1]. (**اليوم أكملتُ لكم دينَكُم ، وأتممتُ عليكم نِعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً/٣**) ، قال بعضهم : « لما تقدم النهي عما نهى عنه ، حركهم على التمسك بما حدّ لهم بأكمل ما يكون ، فأتى بهذه الجمل ، كأنه قال : أنتم الآن بحيث لا مطمع لأعدائكم في توهين دينكم ، فتشددوا فيه ، وتأيّدوا بي ، فقد بيّنت لكم من أمور دينكم ما لم تحتاجوا إلى زيادة عليه ، ثم عاد إلى تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرَّمها بقوله : (**فمن اضطر/٣**) إلى آخره » . أبوحيان: « (**فمن اضطر/٣**) متصل بذكر المحرمات ، و(**ذلكم فِسقٌ/٣**) إلى آخره أكدّ به معنى التحريم ، لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل ، والنعمة التامة ، والإسلام المنعوت بالرضى دون غيره من المِلَل »[2]، والمَخْمَصَة : المجاعة ، لأنها تُورِث خمص البطن ، أي ضموره . (**متجانِفٍ/٣**) قرىء بلا ألف[3]. قال ابن عطية: « وهي أبلغ في المعنى ، لأن تشديد العين ، يقتضي مبالغة وتوغّلاً في المعنى ، وثبوتاً لحكمه ، وتفاعل إنما[4] هو محاكاة الشيء ، والتقرب منه »[5] . الراغب : « (**متجانفٍ لإثم**) : مائل إليه »[6] . (**فإن الله غفورٌ رحيمٌ/٣**) مناسب لما قبله كما تقدم في البقرة[7] . (**يسألونك ماذا أُحِل لهم/٤**) وجه اعتلاقه بما قبله ظاهر .

(**وما عَلَّمتُم/٤**) أي وصيد ما علمتم . (**الجوارحِ/٤**) جمع جارحة ، وهي الكواسب من سباع البهائم والطير سُميت بذلك ، إما لأنها تجرح ، وإما لأنها

---

(١) المفردات (٥٢٢) مادة : يأس .

(٢) البحر (٤٢٧/٣) .

(٣) عن أبي عبد الرحمن والنخعي وابن وثاب . البحر (٤٢٧/٣) .

(٤) في (ب) : لهما .

(٥) المحرر (٣٤٩/٤) .

(٦) المفردات (١٠١) مادة : حيف .

(٧) وهو قوله تعالى : (**. . . . فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه ، إن الله غفورٌ رحيمٌ**) ، البقرة (١٧٣) .



تكتسب ، والجَرح : الكسب ، ومنه **(ويعلم ما جرحتم بالنهار)**[1] . **(مُكَلِّبين/ ٤)** أي معلِّمين ، حال مؤكدة لقوله: **(علّمتم/ ٤)** . أبوحيان : « فائدتها أن يكون المعلّم ماهراً بالتعليم ، حاذقاً فيه ، قال : « واشتقت هذه الحال من الكَلْب ، وإن كانت عامة في الجوارح على سبيل التغليب ، لأن الغالب في صيدهم أن يكون بالكلاب »[2] . وقرىء بسكون الكاف ، من الكلب[3] . **(تعلمونهن/ ٤)** حال ثانية ، أو استئناف . **(عليه/ ٤)** الضمير ، قيل : للأكل[4] . وقيل : للإرسال . **(واتقوا الله/ ٤)** أبو حيان : « لما تقدم ذكر ما حرّم ، وأحلّ من المطاعم ، أمر بالتقوى التي بها يمسك الإنسان عن الحرام ، وعلَّل الأمر بالتقوى بقوله : **(إن الله سريع الحساب/ ٤)** ، لأنه كناية عن المجازاة التي تبعث على التقوى »[5] . **(اليوم أُحِلَّ لكم الطيباتَ/ ٥)** أبوحيان: « فائدة إعادة ذِكر إحلال الطيبات ، التنبيه بإتمام النعمة فيما يتعلق بالدنيا ، ومنها إحلال الطيبات ، كما نبّه بقوله : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي/ ٣)** على إتمام النعمة فيما يتعلَّق بالدين »[6] . **(وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌ لكم ، وطعامكم حِلٌ لهم/ ٥)** فيه النوع البديعي المسمى بالعكس . **(والمحصناتُ/ ٥)** فيه حذف ، أي أحلّ لكم ، والمراد بالإحصان هنا ، قيل : الحرية . وقيل : العِفة[7] . **(ومن يكفر بالإيمان/ ٥)** إلى آخره ، أبوحيان : « لما ذكر فرائض وأحكاماً يلزم القيام بها ، أنزل ما يقتضي الوعيد

(١) الأنعام (٦٠) .

(٢) البحر (٣/ ٤٢٩) .

(٣) مع تخفيف اللام ، وهي قراءة الحسن وابي زيد . المحرر (٤/ ٣٥٤) .

(٤) ذكر أبو حيان أن هذا القول هو الظاهر . البحر (٣/ ٤٣٠) .

(٥) البحر (٣/ ٤٣٠ - ٤٣١) باختصار .

(٦) البحر (٣/ ٤٣١) .

(٧) القول الأول هو قول مجاهد ومالك وغيرهما ، وهو اختيار أبي علي الفارسي ، والقول الثاني هو قول الجمهور ، ومنهم ابن عباس ، وهو الأشبه لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية ، وهي مع ذلك غير عفيفة ، فيفسد حالها بالكلية. . . . وهو توجيه ابن كثير (٢/ ٢٠) .
وانظر زاد المسير (٢/ ٢٩٦) ، والجامع للقرطبي (٦/ ٧٩) ، والبحر (٢/ ٤٣٢) ، وروح المعاني (٦/ ٦٥) .



على مخالفتها ، ليحصل تأكيد الزجر عن تصنيعها »[1]! وقال القفال : « لما حصلت لهم في الدنيا فضيلة مناكحة نسائهم ، وأكل ذبائحهم ، بيّن الفرق في الآخرة »[2]. وقال ابن الجوزي : « سمعت الحسن بن أبي بكر النيسابوري[3] يقول : « إنما أباح الله[4] الكتابيات ، لأن بعض المسلمين قد يعجبه حسنهن ، فحرّم ناكحهن من المَيل إلى دينهن بقوله : (ومن يكفر بالإيمان ، فقد حَبِطَ عملُه/٥)[5]. **(يأيها الذين آمنوا/٦)** أبو حيان : « لما افتتح بالأمر بإيفاء العقود ، وذكر تحليلاً وتحريماً في المطعم والمنكح ، استطرد إلى العبادات المحضة »[6]. **(إذا قمتم/٦)** أي أردتم القيام ، أُقيم المسبّب مقام السبب . قال أبوحيان : « لما كانت محاولة الصلاة في الغالب ، إنما هي بقيام ، جاءت العبارة **(إذا قمتم)**. وفيه حذف ، أي وأنتم محدثون ، دلّ عليه مقابلته بقوله : **(وإن كنتم جنباً/٦)** وقيل : التقدير : إذا قمتم من النوم ، وأن قوله : **(أو جاء أحدٌ منكم من الغائط/٦)** عطف عليه . وقيل : المعنى : إذا قمتم إلى الطهارة ، فسمّاها صلاة ، لأنها بها تتم »[7]. **(فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم/٦)** فصل بين المغسولات بالرأس الممسوح ورتّب الأعضاء ، لا على الترتيب الواقع ، للإشارة للترتيب . والقراءة **(وأرجلكم/٦)** بالنصب عطفاً على المغسول ، وبالجر[8] عطفاً على الممسوح ، للإشارة إلى مسح الخف ، وقرىء بالرفع[9]، مبتدأ حذف خبره أي اغسلوها .

(١) البحر (٣/٤٣٣) .

(٢) البحر (٣/٤٣٣) .

(٣) في زاد المسير « الفقيه » .

(٤) في زاد المسير « عز وجل » .

(٥) زاد المسير (٢/٢٩٨) .

(٦) البحر (٣/٣٤) ، باختصار .

(٧) البحر (٣/٤٣٤) باختصار ، وقد نسب أبو حيان هذا القول إلى الجمهور ، ونسب الأول إلى السدي وزيد بن أسلم ، ثم قال أبوحيان: « وهذا التأويل ينزّه حمل كتاب الله عليه » .

(٨) قراءة النصب هي قراءة نافع ، وابن عامر ، والكسائي ، وحفص ، وقراءة الجر هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٠٦) .

(٩) عن الحسن - البحر (٣/٤٣٨) .



الفـراء : « مسح من الأفعال التي تتعدى بنفسها ، وبالباء ، يقال : مسح رأسه وبرأسه ، وهزّه ، وهزّ به ، وخذ الخطام ، وبالخطام ، ومدّه ومدّ به ، وألقى يده ، وألقى بيده »[1]. **(وإن كنتم جنباً/٦)** لما ذكر تعالى الطهارة الصغرى ، ذكر الطهارة الكـبرى . **(فاطَّهَّرُوا/٦)** قرىء بوزن أَكْرِمُوا[2]، من أطهر رباعياً ، أي فأطهروا أبدانكم ، والهمزة للتعدية. **(كنتم مرضى/٦)** إلى آخره ، أخرّ قصة التيمم ، لأنه فرع ، وليشمل الحدث والجنابة معاً ، وفيه المزاوجة[3] على حد قوله :

إذا ما نهى الناهي فلجّ بي الهوى أصاخت إلى الواشي ، فلجّ بها الهجر[4]

فقـوله : **(فلم تجدوا)** مزاوجة الشرط ، **(فامسحوا/٦)** مزاوجة الجواب . **(ما يريـد الله/٦)** إلى آخره ، مناسب للتكليف بالطهارة ببيان العِلَّة في مشروعيتها ، وللترخيص في التيمم . وقرىء **(ليطهركم/٦)** بوزن: يكْرِمْكم[5]. **(ولِيتم نعمته عليكم/٦)** أي بالتطهير والرخصة ، وناسب ذكره هنا في نعمة الدين ما تقدم من ذكره في نعمة الدنيا ، من المطاعم والمناكح . **(ولعلكم تشكرون/٦)** مناسب لقوله: **(وليتم نعمتـه)** ، لأن النعمة سبب الشكر ، ومقتضيه ، قاله الطوفي : **(واذكروا نعمـة الله/٧)** لا يخفى وجـه اعتـلاقـه بقـوله : **(ولِيتم نعمته عليكم ، ولعلكم تشكرون)**. **(واتقوا الله ، إن الله عليمٌ بذاتِ الصدور/٧)** الطوفي : « هو مناسب لما في الآية ، لأن خيانة العهد ونقض الميثاق أمر باطن ، يحصل بالنية والعزم ، وإنما آثاره الدالة عليه تظهر بالفعل ، فأخبرهم[6] من علمه بذات الصدور بما يوجب لهم المراقبة ، وحفظ الميثاق ، بحيث لا ينقضونه بالعزم ، ولا بالفعل . وأيضاً ، فإن من

---

(١) لم أجد هذا النص بمعاني القرآن للفراء ، وساق أبو حيان قول الفراء مجتزءاً ببعضه ، وذلك من قوله : « وهزّه .... » إلى « ومدّ به ». البحر (٣/٤٣٧) .

(٢) البحر (٣/٤٣٩) من غير نسبة .

(٣) المزاوجة هي أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء ، أو ما جرى مجراهما . الإتقان (٣/٢٨٢) ، وعلوم البلاغة للمراغي (٣٣٦) .

(٤) سبق تخريجه في ص ٤٢٠ .

(٥) عن ابن المسيب . البحر (٣/٤٣٩) .

(٦) في (أ) : فاخبره .



شكـر النعمة ، ما محلّه القلب ، فأخبرهم أنه عالم بمن يشكر بقلبه ، وبمن لا يشكره » . **(يأيها الذين آمنوا ، كونوا قوَّامِين لله ، شهداءَ بالقسط/٨)** أبوحيان : « بدأ بالقِسط في آية النساء وأخّر هنا ، تفنناً في الفصاحة . ولما جاءت آية النساء في معرِض الاعتراف على نفسه ، وعلى الوالدين والأقربين ، بدىء فيها بالقسط ، الذي هو العدل والسواء من غير محاباة نفس ، ولا والد ، ولا قرابة ، وهنا جاءت في معرض ترك العداوات والإِحَن ، فبدىء[1] فيها بالقيام لله ، إذ كان الأمر بالقيام لله أولاً أردع للمؤمنين ، ثم أردف بالشهادة بالعدل ، والتي في معرض المحبة والمحاباة ، بدىء فيها بما هو أوكد ، وهو القسط ، والتي في معرض العداوة والشنآن ، بدىء فيها بالقيام لله ، وأيضاً ، فهناك تقدم حديث النشوز والإعراض والعدل بين النساء ، فناسب تقديم ذكر القسط ، وهنا تأخر ذكر العداوة ، فناسب أن يجاورها ذكر القسط »[2] . **(هو/٨)** أي العدل . **(واتقوا الله ، إن الله خبيرٌ بما تعملون/٨)** الطوفي : « مناسب لما في الآية ، لأن القيام بالقسط والعدل والعداوة ، أمور باطنة ، لها تعلق بالباطن ، ويظهر آثارها بالعمل الظاهر ، والعمل يشمل الأمرين ، فأخبرهم أنه عالم بجميع عملهم الخفي والظاهر ، ليعتمدوا المراقبة » . أبو حيان : « لما كان الشنآن محله القلب ، وهو الحامل على ترك العدل ، أمر بالتقوى ، وأتى بصفة خبير ومعناه عليم ، ولكنها تختص بما لَطُف إدراكه ، فناسب هذه الصفة ، أن ينبّه بها على الصفة القلبية »[3] . الكرماني : « ختم الآية السابقة بقوله : **(واتقوا الله ، إن الله عليمٌ بذات الصدور/٧)** ، وهذه بقوله : **(واتقوا الله ، إن الله خبيرٌ بما تعملون/٨)** ، لأن الأول وقع على النية ، والثاني على العمل »[4] . **(وعد الله الذين آمنوا/٩)** الآية . أبوحيان : « لما ذكر أوامر[5] ونواهي ، أعقبها

---

(١) في (ب) : قـرىء .

(٢) البحر (٣/٤٤٠) - بقليل من الاختصار .

(٣) البحر (٣/٤٤١) .

(٤) البرهان (١٣٦) .

(٥) في (أ) ذكر جميع أوامر ، وفي (ب) : ذكر جمع .... وما أثبتناه من البحر (٣/٤٤١) .



بالـوعـد والـوعيد ، وجاءت جملة المؤمنين فِعلية ماضية ، لتحقيق وقوعه ، وجملة الكافرين إسمية ، دالّة على ثبوت هذا الحكم لهم »[1]. وقال هنا ما ذكر ، وفي الفتح : ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً/٢٩**﴾ ، وقال ابن جماعة : « لأن ما هنا عام ، لم يرد به قوم بأعيانهم ، وما في الفتح خاص بالصحـابة ، وكان فيمن أظهر صحبته منافقون ، فقال : ﴿**منهم**﴾ تمييزاً وتفضيلاً لهم ، ونصّـاً عليهم بعـدما ذكر من جميل صفاتهم »[2]. الكرماني : « لما بالغ في وصفهم هناك كل المبالغة ، صرّح بالموعود ، فقال ﴿**مغفرةً**﴾ بالنصب ، وهنا لما لم تكن تلك المبالغة ، كنّى بالموعود » ، زاد في البرهان : « ورفع ما في هذه السورة ، ونصب ما هنالك ، مراعاة لفواصل الآي في كل منهما »[3]. وقال صاحب المناجاة : « لما كان الـوعد هنا مسبوقاً بقوله : ﴿**يأيها الذين آمنوا/٨**﴾ ، وفيه الأمر للحكام بالعدل ، ناسب الترغيب بترك المفعول حتى يذهب إلى كل ما يؤمل ، مع ثبوت المغفرة والأجر العظيم ، وطرح منه لفظ[4]. منكم ، حتى لا يتوهم التبعيض . وأما سورة الفتح ، فالكلام فيها للصحابة ، فكان محل أن يحذروا من الغفلة عن المداومة على ما هم عليه بتصوير التبعيض فيهم ، تعظيماً لهم واعتناء بهم » . ﴿**يبسطوا/١١**﴾ الراغب : « بسط اليد : مدّها ، ومنه : ﴿**باسطٌ ذراعيه**﴾[5]، وبسط الكف يستعمل تارة للطلب ، نحو : ﴿**كباسطٍ كفيه إلى الماء**﴾[6]، وتارة للأخذ نحو : ﴿**والملائكة باسطو أيديهم**﴾[7]، وتارة للبذل والإعطاء ، نحو : ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾[8] ، وتارة للصّـولـة والضرب ، نحـو : ﴿**يبسـطوا إليكم أيديهم**﴾[9]) »[10]. ﴿**فكفَّ أيديهم عنكم/١١**﴾ فيه مع ما قبله ثلاث مقـابـلات . ﴿**واتقـوا الله/١١**﴾ إلى آخـره ، أبـوحيان : « جاء الأمـر بالتقوى أمر مواجهة ، مناسبة لقوله : ﴿**اذكروا/١١١**﴾ ،

---

(١) المرجع السابق باختصار .
(٢) كشـف المعاني (١١٢) .
(٣) البرهان (١٣٧) ولكن بزيادة : « وأنه مفعول : (وعد) » .
(٤) في (أ) : لفظه .
(٥) الكهـف (١٨) .
(٦) الرعـد (١٤) .
(٧) الأنعـام (٩٣) .
(٨) المائـدة (٦٤) .
(٩) المائـدة (١١) .
(١٠) المفـردات (٤٦) مادة : بسـط .



وجـاء الأمر بالتوكل أمر غائب لأجل الفاصلة ، وإشعاراً بالعليّة ، وإفادة لعموم وصف الإيمان ، أي لأجل تصديقه بالله ورسوله ، ويؤمر بالتوكل كل مؤمن ، ولا تبدأ الآية بمؤمنين على جهة الاختصاص ، وختمها بمؤمنين على جهة العموم »[1] ، الطوفي : « الختم بالتوكل مناسب لما في الآية ، لأن مضمونها ، أمر ببعث النفوس المؤمنة على التوكل والتسليم إلى الله بقلب سليم ، والعلة أنه لا خير إلا بنعمة الله ، ولا شر إلا بقـدر الله » . **(ولقد أخذ الله/١٢)** أبوحيان: « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما أمر بذكر الميثاق الذي أخذه على المؤمنين في قوله : **(وميثاقه الذي واثقكم به/٧)** ، ثم ذكر وعده إياهم ، ثم أمرهم بذكر نعمته عليهم[2] ، إذ كفّ أيدي الكفار عنهم ، ذكّرهم بقصة بني إسرائيل في أخذ الميثاق عليهم ، ووعده لهم بتكفـير السيئـات ، وإدخـالهم الجنـة ، فنقضوا الميثاق وهموا بقتل الرسول ، حذرهم بهذه القصة أن يسلكوا سبيلهم في نقض الميثاق »[3] . **(وبعثنا/١٢)** فيه الـتفـات . **(نقيبـاً/١٢)** الـراغب : « النقيب : البـاحث عن القـوم ، وعن أحـوالهم »[4] . الأصم[5] : « هو المنـظور إليه الأمر[6] والتدبير »[7] . **(وقال الله إني معكم/١٢)** فيه التفات ، والخطاب قيل : لبني إسرائيل جميعاً . وقيل : للنقباء[8] .

---

(١) في البحـر (٤٤٢/٣) : « التقريب » .

(٢) في (أ) : عليكم .

(٣) البحـر (٤٤٣/٣) .

(٤) المفـردات (٥٠٣) مادة : نقب .

(٥) هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان ، شيخ المعتزلة ، كان ديناً وقوراً ، صبوراً على الفقر له تفسير ، وكتاب « خلق القرآن » ، توفي سنة ٢٠١هـ .
سير أعلام النبلاء (٤٠٢/٩) ، وفهرست ابن النديم (٢١٤) ، ولسان الميزان (٤٢٧/٣) .

(٦) كلمة « الأمر » : ليست في (أ) .

(٧) البحـر (٤٤٣/٣) .

(٨) القول الأول هو قول الجمهور ، والقول الثاني هو قول الربيع ومقاتل ، وهو ما مال إليه الفخر الرازي ، للقرب ، ورجح أبوحيان القول الأول ، لانسحاب الأحكام التي بعد هذه الجملة على جميع بني إسرائيل .
زاد المسير (٣١٢/٢) ، والتفسير الكبير (١٨٩/١١) ، والبحر (٤٤/٣) ، وروح المعاني (٨٧/٦) .



والمعيّة مجاز . الزملكاني : « قوله : (**لئن أقمتم الصلاة**/١٢) متصل بقوله : (**ميثاق بني إسرائيل**/١٢) ، لأنه ترجمة لأخذ الميثاق ، وقوله : (**وقال الله : إني معكم**/١٢) متصل بقوله : (**وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً**/١٢) ، وهما معترضات ، لأن النقباء لم ينقضوا الميثاق ولم يدخلوا في المعية ، لأن من كان الله معه لم يدخل في نقض الميثاق ، وتمام القصة : (**ونسوا حظاً مما ذكروا به**/١٣) ، وقوله : (**ولا تزال**/١٣) مستأنف لقصة أخرى . (**وآمنتم برسلي**/١٢). الإمام : « كان اليهود مقرّين بحصول الإيمان مع إقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وكانو مكذبين ببعض الرسل ، فذكر بعدهما الإيمان بجميع الرسل ، وأنه لا تحصل نجاة إلا بالإيمان بجميعهم »[١]. (**وعزرتموهم**/١٢) الراغب : « التعزير : النصرة مع التعظيم »[٢] ، وقال يونس[٣] : « عزّره : أثنى عليه بخير »[٤]. وقال أبوعبيدة « عظّمة »[٥]، وقال الفراء : « ردّه عن الظلم »[٦]، ويُطلق على الردع والتنكيل والقمع عن معاودة الفساد ، (**فجعله الزمخشري من باب المتواطىء**)[٧]، وأبوحيان من باب المشترط[٨]،

---

(١) التفسير الكبير (١١/١٩٠) باختصار . (٢) المفردات (٣٣٣) مادة : عزر .

(٣) يونس بن حبيب الضبي بالولاء ، أبو عبد الرحمن يعرف بالنحوي . أعجمي الأصل ، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة، فقد كان علامة بالأدب ، وكان إمام نحاة البصرة في عصره ، قال أبوعبيدة : « اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه » . من مؤلفاته : « معاني القرآن » و« اللغات » و« النوادر » ، توفي سنة ١٨٢هـ .

إرشاد اللبيب (٧/٣١٠) ، وفيات الأعيان (٢/٤١٦) ، طبقات النحويين للزبيدي (٤٨) ، طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة ، فهرست ابن النديم (٤٤) .

(٤) البحر (٣/٤٤٣) .

(٥) البحر (٣/٤٤٣) ، ولم أعثر على هذا النص في كتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة .

(٦) البحر (٣/٤٤٣) ، ولم أجده بكتاب المعاني للفراء .

(٧) ما بين القوسين هي عبارة أبي حيان بالبحر (٣/٤٤٣) . والذي بالكشاف (١/٥٩٩) هو : «نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو» .

(٨) البحر (٣/٤٤٣) . ولعل الأنسب هنا أن نسوق قول الراغب في ذلك ، حيث قال :
« التعزير : النصرة مع التعظيم .... والتعزير ضرب دون الحد ، وذلك يرجع إلى الأول ، فان ذلك تأديب ، والتأديب نصرة ما ، لكن الأول نصرة بقمع ما يضره عنه ، والثاني نصرة بقمعه عما يضره ، فمن قمعته عما يضره فقد نصرته .... » . المفردات (٣٣) مادة : عزر .



وقرىء بتخفيف الزاي[1]. (وأقرضتم الله/١٢) فيه التفات. (قرضاً/١٢) أقامه مقام إقراض، كقوله (فَتَقَبَّلَها ربها بقبولٍ حسنٍ، وأنبتها نباتاً حسناً)[2].
(لعنَّاهم/١٣) فيه التفات. (قاسية/١٣) في قراءة (قَسِيَّة)[3]، فقيل: للمبالغة. وقيل: ليست هذه في معنى القسوة. وإنما هي كالقسيّة من الدراهم، وهي التي خالطها غِش وتدليس[4]، قال:

«.... وخمس مئي منها قِسِيٌّ وزائفُ[5].

وكذلك هذه القلوب، لم تَصْفُ للإيمان، بل خالطها الكفر والفساد. وقال الفارسي: «هذه اللفظة معرّبة، وليست بأصل في كلام العرب»[6]. وقال الزمخشري: «قَسِيّة: أي رديئة مغشوشة، من قولهم: دِرهم قَسِيّ، وهو من القسوة، ولأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لِين، والمغشوش فيه يُبس وصلابة»[7]. وقرىء (قُسيَّة) بضم القاف، وتشديد الياء كجثي. وقرىء بكسر القاف إتباعاً[8]. (يُحَرِّفون الكلم/١٣) قرىء بكسر الكاف وسكون اللام. وقرىء (الكلام)[9]. (على خائنة/١٣) هى مصدر كالعافية، بدليل أنه قرىء (خيانة)[10].

---

(١) عن عاصم الجحدري - كما في البحر (٤٤٤/٣).

(٢) آل عمران (٣٧).

(٣) هي قراءة، حمزة والكسائي، والقراءة السابقة هي قراءة البقية، الكشف (٤٠٧/١).

(٤) القول الأول قاله أبو حيان، والقول الثاني حكاه هو، والطبري قبله عن قوم. البحر (٤٤٥/٣)، وجامع البيان (١٢٧/١٠)، والمحرر (٣٨٧/٤).

(٥) وصدره: وما زودوني غير سحق عمامة .... وهو لمزرد.
اللسان (زيف، قسا)، والحجة (٢١٧/٣)، والمحرر (٣٨٧/٤)، والدر المصون (٢٢٢/٤)، والبحر (٤٤٥/٣).

(٦) الحجة (٢١٧/٣) بمعناه، وهو بنصه الذي هنا في المحرر (٣٨٧/٤) والبحر (٤٤٥/٣).

(٧) الكشاف (٦٠٠/١).

(٨) ذكر ابن خالويه وأبو حيان القراءة الأخيرة دون نسبة، وذكر ابن خالويه القراءة الأول عن الضبي عن يحيى، وذكرها أبو حيان عن الهيصم بن شراخ. ابن خالويه (٣١)، والبحر (٤٤٥/٢).

(٩) هذه قراءة أبي عبد الرحمن والنخعي، والقراءة السابقة هي قراءة أبي رجاء. البحر (٤٤٦/٣).

(١٠) هي قراءة الأعمش، وابن محيصن. ابن خالويه (٣١)، والبحر (٤٤٦/٣).



وقيل : وصف الهاء للمبالغة ، كرواية ، أي خائن . وقيل : صفة مؤنث ، أي فرقة خائنة[1]. **(إن الله/١٣)** فيه التفات . **(يحب المحسنين/١٣)** مناسب للعفو والصفح . **(ومن الذين قالوا/١٤)** متعلق بقوله : **(أخذنا ميثاقهم/١٤)**. الزمخشري : « فإن قلت : فهلاّ قيل : ومن النصارى ؟. قلت : لأنهم إنما سمُّوا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله »[2]. وفي **(أخذنا/١٤)** التفات . **(ونسوا حظاً مما ذُكِّروا به/١٣)** الكرماني : « كرر ، لأن الأول في اليهود ، والثاني في النصارى »[3]. قال صاحب المناجاة : « وعطفت هذه بالفاء ، وتلك بالواو ، لأنه في اليهود ، اعتبر تحريفهم[4] ذنباً ونسيانهم ذنباً آخر ، فعطف بالواو . وأما النصارى ، فإنه لما أخذ منهم الميثاق ، ومن جملته تنزيهه عن الولد والصاحبة ، نسوا ذلك ، وكان أول ذنوبهم الاعتقادية ، فعطف بالفاء ، حيث لم يكن منهم بعد أخذ الميثاق ذنب أعظم منه ، وإشارة إلى أن مبدأ ضلال النصارى ، هو النسيان ، ومناسبة لقوله بعده : **(فأغرينا/١٤)** ». الإمام : « تنكير الحظَّين في الموضعين ، يدل على أن المراد به حظ واحد ، وهو الإيمان بالرسول ، لأنه مكتوب على اليهود في التوراة ، وعلى النصارى في الإنجيل . وخصّ هذا الواحد بالذكر ، مع أنهم تركوا أكثر ما أمرهم به ، لأن هذا هو المعظم والمهم »[5]. **(فأغرينا/١٤)** الراغب : « غَرِي بكذا ، أي لَهِج به ، ولَصِق ، وأصله من الغِراء الذي يُلْصَقُ به ، وأغْرَيْتُ فلاناً بكذا ، ألهَجْتُه »[6]. **(ينبئهم الله/١٤)** فيه التفات . الطوفي : « الفاصلة مناسبة لما في الآية ، لأنه ذنب ، فصحَّ السؤال عنه ، والمقابلة عليه ، وكذلك كل موضع وقع فيه هذه الصيغة ، أو معناها ، نحو **(فينبئكم بما كنتم تعملون)**[7] ، **(ثم ينبئهم بما كانوا**

---

(١) انظر البحر (٣/٤٤٦) .

(٢) الكشاف (١/٦٠١) .

(٣) البرهان (١٣٨) .

(٤) كلمة « تحريفهم » ليست في (ب) .

(٥) التفسير الكبير (٢١/١٩٣) .

(٦) المفردات (٣٦٠) مادة : غرا - بتصرف .

(٧) المائدة (١٠٥) ، الأنعام (١٦٤) ، التوبة (٩٤ ، ١٠٥) ، الزمر (٧) ، الجمعة (٨) .

يفعلون)[1] ، (تالله لتسألن عما كنتم تفترون)[2] ، فإنه لابد وأن يكون في سياق ذنب وجريمة يصح السؤال عنها . (يا أهل الكتاب/١٥) هو خطاب للفريقين معاً ، بعد ذكر حال كل منهما. (رسولنا/١٥) فيه التفات ، وإضافة تشريف . (ويعفوا عن كثير/١٥) فيه مع (يُبَيِّن لكم كثيراً/١٥) ثلاث مقابلات . وفي (يعفوا/١٥) ، و(تُخْفُون/١٥) جناس . (من الله/١٥) فيه التفات . (سُبُل السلام/١٦) قرىء بسكون الباء[3] . (ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم/١٦) الطوفي : « مناسب لقوله (يهدي الله من اتبع رضوانه سبل السلام/١٦) ، وسبل السلام ، والصراط المستقيم واحد ، ليس بينهما هنا إلا الجمع والإفراد ، وإنما هو من التفنن اللفظي . أبو حيان : « الظاهر أن هذه الجمل كلها متقاربة المعنى ، وكُررت للتأكيد »[4] . (قل فمن يملك من الله شيئاً/١٧)، في الفتح : (فمن يملك لكم/١١) قال ابن جماعة : « لأن هذه الآية عامة في المسيح وأمه ، ومن في الأرض جميعاً ، فليس هنا مخاطب خاص ، وآية الفتح في قوم مخصوصين ، وهم الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ ، فناسب زيادة (لكم) »[5] ، والفاء عاطفة على جملة محذوفة تضمنت كذبهم في مقالتهم ، أي قل : كذبوا ، أو ليس كما قالوا . (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما/١٧) الجملة مؤكدة لقوله : (إن أراد أن يُهلك المسيح/١٧) إلى آخره ، لأن من له الملك ، يفعل في ملكه ما يشاء . (يخلق ما يشاء/١٧) أي ليس خلقه مقصوراً على نوع واحد ، بل ما تعلَّقت مشيئته بإيجاده أوجده واخترعه ، فقد يوجد شيئاً ، لا من ذكر ولا أنثى ، كآدم ، أو من أنثى لا ذكر معها ، كالمسيح . ففي الجملة إشارة إلى أن المسيح وأمه مخلوقان . (والله على كل شيءٍ قديرٌ/١٧). الطوفي : « مناسب لما في الآية ، لأن الإهلاك والخلق والملك التام ، لا يتأتى بدون القدرة ». أبوحيان: « كثيراً ما تُذكر القدرة عقب الاختراع ، وذكر الأشياء الغريبة »[6] . (قل فلِم يعذبكم/١٨) مرتبطة بمقدر ، أي إن كنتم كما زعمتم . (بل

---

(١) الأنعام (١٥٩) .
(٢) النحل (٥٦) .
(٣) عن الحسن وابن شهاب . البحر (٣/٤٤٨) .
(٤) البحر (٣/٤٤٨) .
(٥) كشف المعاني (١١٤) .
(٦) البحر (٣/٤٥٠) .

أنتم بشرٌ ممن خلق/١٨) انتقال من استدلال إلى آخر ، تضمن وصفهم بوصفين : البشرية ، والمخلوقية ، وهما يمنعان النبوة ، فإن القديم لا يلد بشراً ، والأب لا يخلق ابنه ، كما امتنع بالاستدلال الأول ، وهو تعذيبهم أن يكونا أحباء الله ، فبطل الوصفان اللذان ادّعوهما . (**ولله ملك السموات والأرض/١٨**) ابن جماعة : « كُرر مع تقدمه في الآية قبله ، لأن لكلٍّ فائدة ، أما الأول ، فردّ على قولهم في المسيح ، أنه الإله ، فبيّن أن الألوهية لمن له ملك السموات والأرض ، وليس للمسيح ذلك ، فكيف يكون إلهاً ، والله هو خالقه ، والقادر على إهلاكه ، ولذلك قال : (**يخلق ما يشاء/١٧**) إشارة إلى خلق المسيح ، وقال : (**والله على كل شيء قديرٌ/١٧**) إشارة إلى قدرته على إهلاكه وأمه . وأما الثاني فردّ على قولهم :(**نحن أبناء الله وأحباؤه/١٨**) فهو توكيد لقوله :(**يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء/١٨**) ، لأنهم خلقه وملكه ، ولذلك قال : (**وإليه المصير/١٨**) فيجازي كلاً على عمله - إما بمغفرة ورحمة ، أو بعذاب ، ولو كنتم كما تقولون ، ما عذبكم لأن المحب لا يعذب محبوبه »[١]. الكرماني : « الأولى خاصة بالنصارى ، حيث قالوا :(**إن الله هو المسيح /١٧**) فقال : (**ولله ملك السموات والأرض ، وما بينهما/١٨**) ، ليس معه شريك ، ولو كان عيسى إلهاً ، لكان معه شريك ، وهو وجميع من في الأرض مخلوقون له ، وقدرته شاملة لهم ، والثانية في اليهود والنصارى معاً ، حتى قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، والأب والحبيب لا يعذب ابنه ، ولا حبيبه ، وأنتم مصيركم إليه ، فيعذب من يشاء منكم ، ويغفر لمن يشاء »[٢]. الطوفي : « الختم بـ(**وإليه المصير/١٨**) وعيد لهم على افترائهم عليه ، ومعناه : إن كنتم أبناءه وأحباءه ، فلِم يعذبكم إذا صِرتم إليه » . (**يا أهل الكتاب/١٩**) الكرماني : « كرره بحسب تكرير الأخبار عن حال أهل الكتاب ، وافترائهم »[٣]. وقال صاحب المناجاة : « الأول للمِنة عليهم ، بدليل : (**ويعفوا عن كثير/١٥**) ، والثاني : للحجة عليهم ، بدليل (**أن**

---

(١) كشف المعاني (١١٥) .

(٢) البرهان (١٤٠) بتصرف .

(٣) البرهان (١٣٨ - ١٣٩) باختصار كثير .



تقولوا/١٩) إلى آخره » . **(رسولنا/١٩)** فيه التفات . **(يُبَيِّن لكم/١٩)** فيه حذف المفعول ، إما اختصاراً ، أي ما كنتم تخفون ، أو اقتصاراً ، أي يكون منه التبيين والإيضاح . **(على فترةٍ/١٩)** متعلق بـ؛ جاءكم . الراغب : « الفترة والفتور : سكون بعد حركة »[١]. أبوحيان: « الفترة : السكون بعد الحركة في الأجرام ، وتستعار للمعاني »[٢]. **(أن تقولوا/١٩)** أي لئلا تقولوا ، أو كراهة أن تقولوا . **(والله على كل شيءٍ قديرٌ/١٩)** فيه التفات . الطوفي : « الختم به مناسب لما في الآية ، أي قدير على أن يبيّن أحكامه لأهل الكتاب ، على لسان رجل أمي ، أو تكون مناسبة القدرة راجعة إلى قوله : **(فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ/١٩)** ، أي فمن آمن ، فله البشرى ، ومن كفر ، فله العذاب ، والله قادر على كل شيء من إثابة وعقوبة وغيرهما » . **(وإذ قال موسى/٢٠)** أبوحيان : « مناسبة هذه لما قبلها ، أنه تعالى بيّن تمرد أسلاف اليهود على موسى ، وعصيانهم إياه ، مع تذكيره إياهم نِعم الله ، تسلية للرسول ﷺ عن ما يقاسيه من تمردهم »[٣]. **(وآتاكم ما لم يُؤتِ أحداً من العالمين/٢٠)** هو من تتمة خطاب موسى لليهود ، والمراد : عالمي زمانهم .

وقيل هو خطاب لهذه الأمة[٤]، أُنهِي الكلام عند قوله **(وجعلكم ملوكاً)**. ولما ذكّر موسى قومه بنعم الله ، ذكّر الله محمداً ﷺ بهذه النعمة العظيمة بهراً لقلوبهم . قال ابن عطية : « وهذا ضعيف ، لأن الكلام في نسق واحد ، من خطاب موسى لقومه »[٥] وردّه أبوحيان[٦] بأن القرآن جار على قانون كلام العرب

---

(١) في المفردات « سكون بعد حدّة » (٣٧١) مادة : فتر .

(٢) البحر (٤١٣/٣) .

(٣) البحر (٤٥٢/٣) باختصار قليل .

(٤) هذا قول سعيد بن جبير ، والقول الأول هو قول ابن عباس، ومجاهد، وهو اختيار الطبري ، وهو ما استصوبه الشوكاني .
جامع البيان (١٦٤/١٠ - ١٦٦) ، والبحر (٤٥٣/٣) ، فتح القدير (٢٧/٢) ، وانظر تفسير القرآن الكريم للخطيب (٣٦٦/١) .

(٥) المحرر (٣٩٨/٤) بتصرف

(٦) البحر (٤٥٣/٣) .



من الالتفاتات ، والخروج من خطاب إلى خطاب ، لا سيما إذا كان ظاهر الخطاب لا يناسب من خوطب أولاً . (**يا قوم/٢٠**) قرىء بضم الميم[١] حيث وقع . الكرماني : « صرّح هنا بالمنادى ، وفي سورة إبراهيم : (**اذكروا/٢٠**) بدونه ، لأن التصريح به للتشريف والاعتناء ، وهذه السورة ذُكِّروا فيها بنعم جسام ، فناسب مزيد الاعتناء والتشريف ، بخلاف ما في سورة إبراهيم »[٢]. (**كتب الله لكم/٢١**) أي يوجب عليكم دخولها ، فلا ينافي قوله بعد (**إنها محرّمةٌ عليهم/٢٦**). (**إن فيها قوماً جبّارين/٢٢**) قرىء : (**فيها قومٌ جبّارون**)[٣]. (**لن ندخلها/٢٢**) أتوا بـ(**لن/٢٢**) تأكيداً للنفي . (**من الذين يخافون/٢٣**) أي يخافون الله . وقيل : التقدير من الذين يخافونهم ، أي يخافهم بنو اسرائيل ، ويؤيده أنه قرىء بضم الياء[٤]. (**أنعَمَ الله عليهما/٢٣**) وَصْف ، أو جملة معترضة[٥]. (**إنا لن ندخلها أبداً/٢٢**) زادوا ثانياً في التأكيد ظرف التأبيد . (**فافْرُق/٢٥**) قرىء بكسر الراء[٦]. وقرىء (**فَفرِّقْ**)[٧] . (**أربعين سنةً/٢٦**) متعلق بما قبله ، أو بما بعده . (**فلا تأسَ/٢٦**) خطاب لموسى. وقيل: لمحمد ﷺ[٨] . الراغب : « الأسى : الحزن ، وحقيقته اتباع الفائت بالغم »[٩] . (**واتلُ عليهم/٢٧**) أبو حيان: « مناسبة هذه لما قبلها ، أنه تعالى لما ذكر تمرّد بني إسرائيل وعصيانهم أمر الله ، ذكر قصة ابني آدم ، وعصيان قابيل أمر الله ، ولها اعتلاق بقوله : (**إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم**

---

(١) عن ابن محيصن . البحر (٣/٣٥٤) .

(٢) البرهان (١٤١) باختصار .

(٣) عن ابن السميفع ، البحر (٣/٤٥٥) .

(٤) انظر البحر (٣/٤٥٥) ، وقد نسب قراءة الضم إلى ابن عباس ، وابن جبير ، ومجاهد .

(٥) ذهب أبو حيان إلى القول الأول ، وجوّز القول الثاني . البحر (٣/٤٥٥) .

(٦) عن عبيد بن عمير ، ويوسف بن داود . ابن خالويه (٣١ - ٣٢) ، والبحر (٣/٤٥٧) .

(٧) قرأ بذلك ابن السميفع . البحر (٣/٤٥٧) .

(٨) الظاهر أن القول الأول هو الأرجح ، لدلالة السياق عليه . وهو ما جرى عليه ابن كثير (٢/٤٠) ، واستظهره أبو حيان (٣/٤٥٩) ، والألوسي (٦/١٠) ، وانظر المحرر (٤/٤٠٨) .

(٩) المفردات (١٨) مادة : أسا .



أيديهم/١١) ، لما فيها من بسط اليد ، وبقوله: (قد جاءكم رسولنا يبينٌ لكم/١٥) لما فيها من الإخبار بالمغيب ، وقد قيل : إن الآيتين كانتا في بني إسرائيل ، وعليه الحسن ، وذلك أوضح في الاتصال »[١]. وضمير (عليهم/٢٧) قال أبوحيان : « الظاهر أنه لبني إسرائيل ، إذ هم المتحدَّث معهم أولاً ، والمقام عليهم الحجج ، والمنبؤون بها في غامض كتبهم التي لا تعلق للرسول بها إلا من جهة الوحي لتقوم الحجة بذلك عليهم ، إذ هو من دلائل النبوة »[٢].

وأقول: وجه إيراد هذه القصة هنا ، أن هذه الآيات لما كانت متعلقة باليهود ، وقد أخبر أنه كتب عليهم في كتابهم : أن النفس بالنفس في الآية الآتية ، ناسب أن يذكر في خلال ذلك مبدأ القتل ، وأوّل من سنّه ، ولهذا عقَّب القصة بقوله : (من أجل ذلك ، كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل/٣٢) إلى آخره ، وهذا غاية الملاءمة والارتباط . (قال لأقتلُنْك/٢٧) قرىء بالنون الخفيفة[٣]. (قال إنما يتقبّل الله من المتقين/٢٧) فيه جمل محذوفة ، التقدير : قال : لِمَ تقتلني ؟، قال : لتقبّل قُربانِك دوني . (لئن بَسَطْتَ/٢٨) الآية ، الزمخشري : « فإن قلت : لِمَ جاء الشرط بلفظ الفعل ، والجزاء بلفظ اسم الفاعل ؟. قلت : ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ، ولذا أكّده بالباء المؤكدة للنفي »[٤]. (إني أخاف/٢٨) تعليل . (إني أُريد/٢٩) قرىء (أنى) بفتح الهمزة والنون[٥]، استفهام إنكار واستبعاد ، أي كيف أُريد . وقيل : إن همزة الاستفهام مقدّرة في القراءة[٦]

(١) البحر (٣/٤٦٠) باختصار وتصرف .
وقد ذكر المؤلف هنا قول الحسن مختصراً ، وهو في البحر كالآتي :
« وقال الحسن : « لم يكونا - أي ابني آدم - ولديه لصلبه ، وإنما هما أخوان من بني إسرائيل ». قال : « لأن القربان إنما كان مشروعاً في بني إسرائيل ، ولم يكن قبل » . ثم قال أبوحيان : «ووهم الحسن في ذلك » .

(٢) البحر (٣/٤٦٠) بتصرف .

(٣) عن زيد بن علي - البحر (٣/٤٦١) .

(٤) الكشف (١/٦٠٧ - ٦٠٨) بقليل من الاختصار .

(٥) البحر (٣/٤٦٣) دون نسبة ، وكذا الدر المصون (٤/٢٤١) .

(٦) في (ب) : الإرادة .



المشهـورة[1]. وقيل : « لا » مقـدرة قبل (تَبوُء/٢٩) ، على حدّ (أن تضلوا)[2].
(وذلك جزاء الظالمين/٢٩) قيل : من كلام هابيل . وقيل : من كلام الله تعالى[3].
(فطوّعت/٣٠) قال الراغب : « هو أبلغ من أطاعت ، أي سمحت له وانقادت وسـوَّلَت »[4]. الـزمخشري : « وسَّعته له ، ويسّرته »[5]. أبوحيان: « هو فعل من الطَّوع ، وهو الانقياد ، كأن القتل كان ممتنعاً عليه ، متعاصياً ، وأصلها طاع له قتل أخيه ، أي انقـاد له ، وسَهُـل ، ثم عُدّي بالتضعيف ، فصار الفاعل مفعولاً ، والمعنى : أن القتل في نفسه مستصعب ، عظيم على النفوس ، فردّته هذه النفس الأمارة بالسوء طائعاً منقاداً »[6]. وقرىء (فطاوعت)[7] بمعنى : طوّعت ، أو على معنى : أن قتل أخيه ، كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه ، فطاوعته ولم تمتنع ، ذُكِر لزيادة الربط[8]. (فأصبح/٣٠) أي صار . قال ابن عطية : « أُقيم بعض الزمان

---

(١) حكـاه القشيري .
البحـر (٣/٤٦٤) .
(٢) النسـاء (٤٤ ، ١٧٦) ، وقد نصر الماوردي هذا التأويل . البحر (٣/٤٦٣) .
وذهب القرطبي إلى تضعيف هذا الوجه ، بقوله -ﷺ- : (ليس من نفس تقتل ظلماً ، إلا كان على ابن آدم الأول كِفل من دمها ، لأنه كان أول من سنّ القتل) . متفق عليه .
فثبت بهذا أن إثم القتل حاصل - الجامع (٦/١٣٧) .
وقال أبو حيان : « ولا يضعف هذا القول بما ذكره القرطبي ، لأن قائل هذا ، لا يلزم من نفي إرادته القتل ، بل قد لا يريده ويقع » .
البحـر (٣/٤٦٣) ، وانظر الدر المصون (٤/٢٤١ - ٢٤٢) .
والذي يبدو لي أن هذين التأويلين ، خروج باللفظ عن ظاهره لغير ضرورة ، وأنه لا مانع من حمل الإرادة في الآية على الحقيقة ، والله أعلم .
(٣) انظر البحـر (٣/٤٦٤) .
(٤) المفردات (٣١١) مادة : طوع - بتصرف .
(٥) الكشاف (١/٦٠٨) .
(٦) البحـر (٣/٤٦٤) .
(٧) عن الحسن ، وزيد بن علي ، والجراح ، والحسن بن عمران ، وأبي واقد . ابن خالـويه (٣١) ، والبحـر (٣/٤٦٤) .
(٨) ذكر الزمخشري هذين الوجهين السابقين ، الكشاف (١/٦٠٨) . والأول منهما ذكره سيبويه ، البحر (٣/٤٦٤) .



مقام كله ، وخُصّ الصباح بذلك ، لأنه بدء النهار والانبعاث إلى الأمور ، ومظِنة النشاط »[1] . (**يا وَيلَتى/٣١**) قرىء بكسر التاء[2] . (**أعجَزتُ/٣١**) قرىء بكسر الجيم[3] ، لغة . (**فأُوارِيَ/٣١**) قرىء ساكن الياء[4] ، مرفوعاً على الاستئناف ، أي فأنا أواري . (**سَوْءة/٣١**) قرىء بلا همزة ، مخفف الواو ، ومشددها[5] . (**من أجل ذلك/٣٢**) متعلق بـ(**كتبنا/٣٢**) ، وقيل : بالنادمين[6] . وقرىء (أجل/٣٠) بكسر الهمزة[7] . قال الراغب : « أي من الجناية ذلك »[8] ، قال : « والأجل بالكسر الجنايات التي يخاف منها أجلاً ، فكل أجل جناية ، وليس كل جناية أجلاً »[9] . (**كتبنا/٣٢**) فيه التفات . (**فسادٌ/٣٢**) قرىء بالنصب[10] على تقدير : أو أتى[11] فساداً . (**ومن أحياها/٣٢**) الضمير عائد إلى نفس الأولى ، مراداً به غيرها على طريق الاستخدام . (**إنما جزاء/٣٣**) الآية ، أبوحيان : « مناسبتها لما قبلها ظاهرة ، لما ذكر تغليظ الإثم في قتل النفس بغير نفس ، والإفساد في الأرض ، أتبعه ببيان الفساد ، الذي يوجب القتل »[12] . (**يحاربون الله/٣٣**) فيه التفات . وذِكر الله

(١) المحـرر (٤/٤١٥) .

(٢) عن الحسن - كما في ابن خالويه (٣٢) ، والدر المصون (٤/٣٤٥) .

(٣) عن ابن مسعود ، والحسن ، وفياض ، وطلحة ، وسلمان . ابن خالويه (٣٢) ، والبحر (٣/٤٦٧) .

(٤) قرأ بذلك طلحة بن مصرف ، والفياض بن غزوان . ابن خالويه (٣٢) ، والبحر (٣/٣٦٧) .

(٥) قراءة التخفيف هي قراءة الزهري ، وقراءة التشديد هي قارة أبي حفص . البحر (٣/٤٦٧) .

(٦) حكى أبو حيان هذا القول وسابقه ، وذكر أن الجمهور على القول الأول .
البحر (٣/٤٦٨) ، وانظر الجامع للقرطبي (٦/١٤٥ - ١٤٦) .
والذي صححه ابن الجوزي ، وجرى عليه ابن كثير ، ومال إليه الشوكاني هو القول الأول أي بسبب هذه النازلة ، ومن جرائها كتبنا . . . .
زاد المسير (٢/٣٣٩ - ٣٤٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/٤٦) ، وفتح القدير (٢/٣٣) ، وانظر الإملاء (١/٢١٤) ، والدر المصون (٤/٢٤٨) .

(٧) وهي قراءة أبي جعفر - انظر ابن خالويه (٣٢) ، والدر المصون (٤/٣٤٨) .

(٨+٩) المفردات (١٢) مادة : أجـل .

(١٠) عن الحسن - ابن خالويه (٣٢) .

(١١) في (أ) : ان .

(١٢) البحـر (٣/٤٧٠) .



تعظيم لجانب الرسول ، إذ محاربته تعالى غير ممكنة ، أو على تأويل : يخالفون . **(أن يُقَتَّلُوا ، أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّع/٣٣)** قرىء بالتخفيف في الثلاثة[١]. **(فاعلموا أن الله غفورٌ رحيمٌ/٣٤)** قال الطوفي : « مناسبة للتوبة ». **(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله/٣٤)** أبوحيان : « لما ذكر جزاء من حارب الله ورسوله ، وسعى في الأرض فساداً من العقوبات والعذاب العظيم ، أمر المؤمنين بتقوى الله ، وابتغاء القربات إليه ، فإن ذلك هو المنجي من المحاربة والعقاب المعدّ للمحاربين »[٢]. **(الوسيلة/٣٤)** الراغب : « هي التوصل إلى الشيء برغبة » ، قال : « وحقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة ، وهي كالقربة »[٣]. **(وجاهدوا في سبيله/٣٥)** أبوحيان: « صرّح به ، وإن كان مندرجاً تحت ابتغاء الوسيلة ، لأن به صلاح الأرض ودفع المحاربين »[٤] . **(إن الذين كفروا/٣٦)** الآية ، لما أرشد المؤمنين إلى معاقد الخير ، ومفاتيح السعادة ، وذكر فلاحهم ، شرح حال الكفار وعاقبة كفرهم . ووحَّد ضمير به ، مع تقدم معطوف ومعطوف عليه ، إما لتلازمهما ، فأُجْرِيا مجرى الواحد ، أو لإجراء الضمير مجرى الإشارة .

وقرىء **(تقبّل)** مبنياً للفاعل[٥]، والضمير لله . **(يريدون/٣٧)** قيل : يرجون . وقيل : يتمنون . وقيل : يكادون[٦]. **(أن يخرجوا/٣٧)** قرىء بالبناء للمفعول[٧]. **(ولهم عذاب مقيم/٣٧)** مناسب لقوله :**(وما هم بخارجين منها/٣٧)** ، لأن ذلك هو حقيقة الإقامة في العذاب . **(والسارق والسارقة/٣٨)** لما ذكر جزاء المحاربين

---

(١) هي قراءة الحسن ، ومجاهد ، وابن محيصن ، ابن خالويه (٣٣٢) ، والبحر (٣/٤٧١) .

(٢) البحر (٣/٤٧٢) .

(٣) المفردات (٥٢٤) مادة : وسل .

(٤) البحر (٣/٤٧٢) .

(٥) عن يزيد بن قطيب ، البحر (٣/٣٧٤) .

(٦) ذكر أبو حيان هذه الأقوال ، وزاد عليها قولاً رابعاً ، وهو يسألون ، ثم قال إنها أقوال متقاربة من حيث المعنى ، والإرادة ممكنة في حقهم ، فلا ينبغي أن تخرج عن ظاهرها » .
البحر (٣/٤٧٤) ، وانظر المحرر (٤/٤٣٢) .

(٧) عن النخعي ، وابن وثاب ، وأبي واقد ، ابن خالويه (٣٢) ، والبحر (٣/٤٧٥) .



بالعقوبات التي منها قطع الأيدي والأرجل من خلاف ، ذكر جزاء السارقين بذلك ، والسرقة أيضاً نوع من الحِرابة والفساد ، إلا أنها على سبيل الخُفية ، وتلك على سبيل الشوكة والظهور . وقرىء بالنصب ، مفعول اقطعوا ، وقرىء **(والسارقون والسارقات)** ، **(والسُّرَّقُ والسرَّقَةُ)**[1] ، الكرماني : « قدم السارق على السارقة ، لأن السرقة في الرجال أكثر ، وجرأتهم فيها وإقدامهم أشد ، وقُدّمت الزانية على الزاني في آية النور[2] ، لأن أثر المرأة في الزنا أبلغ ، لتزيينها وتمكينها »[3] . **(فاقطعوا أيديهما/٣٨)** قرىء **(أيمانهما)**[4] ، والجمع فيه على حدّ **(صَغَت قلوبكما)**[5] و**(حَمَلَت ظهورهما)**[6] من الاكتفاء بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف . **(والله عزيزٌ حكيمٌ/٣٨)** الطوفي : « مناسب لما في الآية ، إن التنكيل بالقطع ، يفتقر إلى عزّة وحكم ، وحفظ الأموال بالقطع من محاسن الحكمة » ، قال : « واعلم أنه حيث اقترنت هاتان الصفتان ، وفي السياق ما يستدعي الحكم والحكمة ، وجب حمل حكيم ، على أنه مشتق منهما ، على جهة استخدام اللفظ في معنيين ، وإن استدعي أحدهما ، جُعل مشتقاً منه ، فإن المعاني مستفادة من الكلام وسياقه ، ورُوي أن بعض الأعراب سمع قارئاً يقرأ هذه الآية ، فختمها بقوله: **(والله غفورٌ رحيمٌ)** فقال : « ما هذا كلام فصيح » ، فقيل له : ليس التلاوة هكذا ، إنما هي

---

(١) القراءة الأولى هي قراءة عيسى بن عمر ، وابن أبي عبلة .
والقراءة الثانية هي قراءة عبد الله .
والقراءة الأخيرة هي من مصحف أبيّ .
ابن خالويه (٣٢) ، والدر المصون (٤/٢٥٧) ، والبحر (٣/٤٧٦) .
وقد علّق ابن عطية على هذه القراءة الأخيرة ، بأن هذا يشبه أن يكون تصحيفاً من الضابط ، لأن قراءة الجماعة إذا كتبت السارق بغير ألف ، وافقت في الخط هذه . المحرر الوجيز (٤/٤٣٤) .

(٢) النور (٢) .

(٣) العجائب (١/٣٣١) .

(٤) في الدر المصون (٤/٢٦٤) ، والبحر (٣/٤٨٣) ، (أيمانهم) ونسباها إلى عبد الله بن مسعود ، وزاد ابن عطية (٤/٤٣٤) نسبتها إلى إبراهيم النخعي .

(٥) التحريم (٤) .

(٦) الأنعام (١٤٦) .



(عزيزٌ حكيمٌ/٣٨) ، فقال بَخٍ بَخٍ ، عزّ ، فحكم ، فقطع » ، (ألم تعلم/٤٠) الآية ، لما ذكر تصرّفه في المحاربين والسرّاق بالعقوبات ، نبّه على أن ذلك تصرّف في ملكه وملكه ، فيعذب من يشاء ، وهم المخالفون لأمره ، ويغفر لمن يشاء وهم التائبون ، ولذلك قدّم جملة العذاب ، وأخّر جملة المغفرة ، ليكون كاللّف والنشر المرتب ، وختم بوصف القدرة المناسبة للملك التام والتصرف العام . **(يأيها الرسول/٤١)** أبوحيان: «مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما ذكر الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً ، أمر رسوله ألا يحزن ولا يهتم بأمر المنافقين واليهود ، الذين يحدث منهم ذلك ، وفي ندائه بذلك ، وبـ**(يأيها النبي)**[1]، تشريف وتعظيم وتفخيم لقدره ، حيث لم ينادِه باسمه ، كما ناداه غيره من الأنبياء »[2]. **(يسارعون/٤١)** قرىء **(يسرعون)**[3]. **(ومن الذين هادوا/٤١)** معطوف على **(من الذين/٤١)** قبلها ، و**(سمّاعون/٤١)** خبر « هم » مقدراً ، ويؤيده أن قرىء **(سمّاعين)**[4] نصباً على الذم . **(للكذب/٤١)** قرىء بكسر الكاف ، وسكون الذال ، وبضمهما[5]، جمع كذوب كصبور ، وصبر . **(الكَلِم/٤١)** قرىء بكسر الكاف ، وسكون اللام[6]. **(من بعد مواضِعه/٤٧)** قال الزجاج : « من بعد أن وضعه الله مواضعه ، فأحلّ حلاله ، وحرّم حرامه »[7]. **(إن أُوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تُؤتوه فاحذروا/٤١)** فيه ثلاث مقابلات . **(للسُّحْت/٤٢)** بضم الحاء وسكونها ، مع ضم السين[8]، وهو الحرام ، لأنه

---

(١) الأنفال (٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠) ، التوبة (٧٣) ، الأحزاب (١ ، ٢٨ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٩) ، الممتحنة (١٢) ، الطلاق (١) ، التحريم (١ ، ٩) .

(٢) البحر (٤٨٧/٣) باختصار .

(٣) عن السلمي . البحر (٤٨٧/٣) .

(٤) هذه قراءة النحاس ، والضحاك . المحرر (٤٤٥/٤) ، والبحر (٤٨٧/٣) .

(٥) هذه قراءة زيد بن علي ، والقراءة السابقة هي قراءة الحسن وعيسى بن عمر . البحر (٤٨٧/٣) .

(٦) المحرر (٤٤٦/٤) ، والبحر (٤٨٨/٣) دون تعيين .

(٧) معاني القرآن (١٥٧/٢) باختصار قليل ، وفي البحر (٤٨٨/٣) هو كما هنا بنصه .

(٨) قراءة الحاء بالضم هي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، والكسائي ، وقراءة الحاء بالتسكين هي قراءة البقية . الكشف (٤٠٨/١) .

يسحت البركة ، أي يُذْهِبها ، من سَحَتَه الله وأَسْحَته ، أهلكه ، ومنه **(فيسحتكم بعذابٍ)**[1]، أي يستأصلكم ، ويهلككم . (الراغب : «السُّحْتُ : القِشر[2] الذي يُستأصل ، ويقال للمحذور الذي يلحق[3] صاحبه العار ، كأنه سحت دينه ومروتّه »[4] . وقرىء بفتح السين والحاء ، وبسكون الحاء مع فتح السين وكسرها[5]. قال أبو حيان : « فالبضم والكسر ، والفتحتين ، اسم للمسحوت ، كالدهن ، والرعي ، والقبض ، وبالفتح والسكون مصدر ، أراد به المفعول ، كالصيد بمعنى المصيد ، أو سُكِّنت الحاء طلباً للخِفة »[6]. **(إن الله يحب المقسطين/٤٢)** مناسب لقوله : **(وإن حكمتَ فاحكم بينهم بالقِسط/٤٢)**. **(وكيف يحكِّمونك/٤٣)** استفهام تعجيب . **(وعندهم التوراة/٤٣)** جملة حالية ، من مبتدأ وخبر . **(فيها حكم الله/٤٣)** حال من التوراة . **(ثم يقولون/٤٣)** قال أبوحيان : « مستأنفة »[7]، وقال الزمخشري : معطوفة على **(يحكِّمونك/٤٣)** »[8]، داخِلة في الاستفهام التعجبيّ . **(وما أولئك بالمؤمنين/٤٣)** قال الطوفي : « مناسب لقوله : **(ثم يتولون من بعد ذلك/٤٣)** ، لأن التولّي عن حكم الله كفر ». **(إنا أنزلنا التوراة/٤٤)** مرتبط بقوله: **(وعندهم التوراة فيها حكم الله/٤٣)** ، وفيه التفات . **(فيها هدىً ونورٌ/٤٤)** قيل : هما بمعنى ، والتكرير للتأكيد . وقيل : الهدى بيان الأحكام ، والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد[9]. وقال ابن عطية : « الهدى :

---

(١) طـه (٦١) .

(٢ +٣) في (ب) : الشيء : يلزم .

(٤) المفردات (٢٢٥) مادة : سحت .

(٥) ذكر أبو حيان القراءة بفتح السين والحاء دون نسبة .
وأسند القراءة بسكون الحاء مع فتح السين إلى زيد بن علي ، وخارجة بن مصعب عن نافع ،وعزا القراءة الأخيرة إلى عبيد بن عمير .
البحر (٤٨٩/٣) ، وانظر ابن خالويه (٣٢) ، والدر المصون (٢٦٩/٤) .

(٦) البحر (٤٨٩/٣) .

(٧) البحر (٤٩٠/٣) .

(٨) الكشاف (٦١٥/١) .

(٩) انظر البحر (٤٩١/٣) .

الإرشاد في المعتقد والشرائع ، والنور مما يُستضاء به ، من أوامرها ونواهيها »[1].

(**يحكم بها النبيون الذين أسلموا/٤٤**) فائدة وصفهم بالإسلام الذي هو معلوم ، إظهار شرف الإسلام ، وإكذاب اليهود والنصارى في دعواهم أن الأنبياء كانوا يهوداً أو نصارى ، وللإشارة إلى أن اليهود والنصارى بُعداء من هذا الوصف ، الذي هو الإسلام وإن كان دين الأنبياء كلهم قديماً وحديثاً . وقيل : المراد بـ(النبيون/٤٤) محمد ﷺ خاصة[2]، من العام المراد به الخصوص ، كقوله : (**أم يحسدون الناس**)[3]. (**بما/٤٤**) الباء سببية . (**استُحْفِظُوا/٤٤**) في بنائه للمفعول ، وصيغة الطلب ، ما يدل على أنه تعالى لم يتكّفل بحفظ التوراة بل طلب منهم حِفظها ، وكلّفهم ذلك ، فغيرّوا وبدلّوا ، بخلاف كتابنا ، فإن الله قد تكفّل بحفظه ، حيث قال:(**إنا نحن نزلنا الذِّكْر ، وإنا له لحافظون**)[4]، فلا يمكن أن يقع فيه تبديل ولا تغيير . (**من كتاب الله/٤٤**) فيه التفات . (**وكانوا عليه/٤٤**) الضمير للكتاب . وقيل : للحكم . وقيل : للرسول[5]. (**فلا تخشوا الناس واخشون/٤٤**) فيه طباق ، والتفاتان ، في الخطاب والتكلم[6]. وقيل : الخطاب لهذه الأمة[7] فالالتفات

---

(١) المحرر (٤/٤٥٤) .

(٢) هذا قول الحسن والسدي ، وهو ما قدمه القرطبي ، والذي عليه الأكثر هو القول بأن المراد هنا هم الأنبياء من لَدُن موسى إلى عيسى -عليهم الصلاة والسلام- ، وهو ما قدّمه الشوكاني .
زاد المسير (٢/٣٦٣) ، والجامع للقرطبي (٦/١٨٨) ، وفتح القدير (٢/٤٢) ، وانظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/٤٠) .

(٣) النساء (٥٤) .

(٤) الحجر (٩) .

(٥) انظر البحر (٣م ٤٩٢) ، وذكر أبو حيان أن القول الأول هو الظاهر . وهو ما قدمه القرطبي (٦/١٨٩) ، واقتصر عليه الشوكاني (٢/٤٢) .

(٦) هذا على أن الخطاب ليهود المدينة - كما قال مقاتل ، وهو ما جرى عليه القرطبي والشوكاني .
زاد المسير (٢/٣٦٥) ، والجامع (٦/١٨٨) ، وفتح القدير (٢/٤٢) .

(٧) قاله ابن جريج - كما في البحر (٣/٤٩٢) .
ويبدو لي أن هذا وإن كان خطاباً لليهود ، فإنه يتناول أيضاً المسلمين بطريق الدلالة ، إن لم يتناولهم بطريق العبارة .
وهذا ما مال إليه أبو حيان (٣/٤٩٢) ، وأبو السعود (٣/٤٢) .

فيه . (**ومن لم يحكم بما أنزل الله/٤٤**) فيه التفات . (**فأولئك هم الكافرون/٤٤**) ختم الآية الثانية بقوله: (**فأولئك هم الظالمون/٤٥**) ، والثالثة بقوله : (**فأولئك هم الفاسقون/٤٧**) ، فقيل : الأولى : في أهل الإسلام ، والثانية : في اليهود ، والثالثة في النصارى تخصيصاً لكلٍّ ما يليه . وقيل : الثلاثة في اليهود ، وصفهم بثلاثة أوصاف . وقيل : الثلاثة بمعنى الكفر ، عبّر عنه بألفاظ مختلفة ، اجتناباً لصورة التكرار ، ولزيادة الفائدة . وقيل : الأولى في المنكر ، والثانية في العالم ، والثالثة في الجاهل[1]. وقال صاحب المناجاة : « لما كانت الآية الأولى متعلقة بمخالفة الأحكام الاعتقادية ، خُتمت بوصف الكفر ، ولما كانت الآيتان متعلقتين بتغيير الأحكام الشرعية ، خُتمتا بوصفي الظلم والفسق » . (**وكتبنا/٤٥**) فيه التفات . (**عليهم/٤٥**) فيه التفات من الخطاب في (**ولا تخشوا/٤٤**) ، (**ولا تشتروا/٤٤**). (**أن النفس/٤٥**) إلى آخره ، القراءة في المعطوفات بالرفع والنصب[2]. وقرىء بتخفيف (**أن**) ، ورفع النفس وما بعدها[3]، والقراءة (**الأُذن/٤٥**) بضم الذال وسكونها[4]، لغتان . (**به/٤٥**) الضمير للقصاص الشامل للنفس والأعضاء والجروح ، وهو نوع غريب ، إذا كان الضمير عاماً ، ومرجعه خاص . (**فهو/٤٥**) الضمير للتصديق. (**بما أنزل الله/٤٥**) فيه التفات .

---

(١) انظر في هذه الأقوال زاد المسير (٣٦٦/٢) ، والبحر (٤٩٣/٣) .
وعلى أي حال فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فمن لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له ، مع أنه يعلم أن الله أنزله ، كما فعلت يهود ، فهو كافر ، ومن لم يحكم به ميلاً إلى الهوى من غير جحود ، فهو ظالم فاسق ، وهذا مذهب ابن عباس ، وهو ما قرره ابن الجوزي وبه قال الشنقيطي .
انظر المستدرك (١٣/٢) ، وجامع البيان (٣٥٧/١٠ - ٣٥٨) ، والجامع للقرطبي (١٩٠/٦) ، وأحكام القرآن لابن العربي (٦٢٤/١ - ٦٢٥) ، وأضواء البيان (١٠٣/٢) .

(٢) قراءة الرفع هي قراءة الكسائي ، وقراءة النصب هي قراءة البقية ، غير أن الجروح نصبه نافع وعاصم وحمزة ، ورفعه الباقون .
الكشف (٤٠٩/١) .

(٣) ذكر السمين أن أنساً رواها عن النبي - عليه الصلاة والسلام - .
الدر المصون (٢٧٧/٤) ، وانظر البحر (٤٩٥/٣) .

(٤) هذه قراءة نافع ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . الكشف (٤٠٩/١) .



(**وقَفَّيْنا/٤٦**) فيه التفات . (**على آثارهم/٤٦**) أي النبيين . (**فيه هدىً ونورٌ/٤٦**) جملة حالية ، أي كائناً ، ولذا عطف عليه (**ومصدّقاً/٤٦**) . (**وهدىً وموعظةً/٤٦**) حالان . وقرىء برفعهما[1] ، على تقدير : وهو . أبوحيان : « جعله أولاً (**فيه هدىً ونورٌ/٤٦**) ، وجعله ثانياً هدى وموعظة ، فهو في نفسه هدى ، وهو مشتمل على الهدى »[2] . (**وليحكم/٤٧**) القراءة بلام الأمر ، وبلام كي[3] ، على معنى آتيناه الإنجيل ، ليحكم ، فالعطف على هدى وموعظة ، على أن نصبهما على المفعول له . (**بما أنزل الله/٤٧**) فيه التفات . (**وأنزلنا/٤٨**) فيه التفات . (**ومهيمنا/٤٨**) اسم فاعـل من هَيْمَن ، ولم يجيء على هذا الـوزن إلا هو ، وشَيْطَن ، وبَيْطَر ، وخَيْمَن ، وبَيْقَـر[4] ، ومعناه الشاهد ، أو الرقيب ، أو المؤتمن ، أو المصدّق ، أو الأمين . قال ابن عطية : « ولفظ المهيمن أخص من هذه الألفاظ ، لأن المهيمن على الشيء هو المعتني بأمره ، الشاهد على حقائقه ، الحافظ لأصله »[5] ، وقرىء بفتح الميم الثانية[6] ، اسم مفعول ، وفاعله الله ، أو الحفّاظ في كل بلد ، أي أنه محفوظ من التبديل والتغيير ، وعلى كلّ ، هو حال من الكتاب . وقيل : هو حال من الكاف في (**إليك/٤٨**) على سبيل الالتفات[7] . وقيل : التقدير : وجعلناك يا محمـد مهيمنـاً عليه[8] . (**بما أنزل الله/٤٨**) فيه التفات . (**ولا تتبع أهواءهم**

---

(١) هذه قراءة الضحاك . البحر (٣/٤٩٩) .

(٢) البحـر (٣/٤٩٩) .

(٣) أي بكسر اللام ، وهي قراءة حمزة ، وأما الباقون فقد قرؤوا بلام الأمر أي بإسكان اللام . الكشـف (١/٤١٠) .

(٤) في اللسان (مادة : بقر) : « بيقر الرجل : هاجر من أرض إلى أرض » .

(٥) المحـرر (٤/٤٦٦) .

(٦) عن مجاهد ، وابن محيصن . ابن خالويه (٣٢) ، والبحر (٣/٥٠٢) .

(٧) هذا القول بناء على قراءة الفتح - كما ذهب إلى ذلك الطبري . جامع البيان (١٠/٣٨١) . وقد تعقب أبـوحيان هذا القـول قائـلاً : « وطعن في هذا القـول لوجـود الواو في (ومهيمناً) ، لأنها عطف على (ومصدقاً) ، ومصدقاً حال من الكتاب ، لا حال من الكاف ، إذ لو كان حالاً منها ، لكان التركيب لما بين يديك ، بكاف الخطاب » . البحر (٣/٥٠٢) .

(٨) وهو ما استبعده أبو حيان ، لبعده عن نظم القرآن . البحر (٣/٥٠٢) .



عما/٤٨) أي عادلاً عن ما . وقيل : ضُمِّن تتبع ، معنى تنحرف أو تنصرف . فَعُدِّي بعن[١] . (جعلنا/٤٨) فيه التفات. (شِرعةً ومنهاجاً/٤٨) قيل: هما بمعنى ، وهو الطريق الواضح . وقال المبرد[٢]: « الشِّرعة ابتداء الطريق ، والمنهاج : الطريق المستمر » ، وقال ابن الأنباري : « الشرعة : الطريق واضحاً كان أو غير واضح ، المنهاج لا يكون إلا واضحاً » .

(وقيل : الشِّرعة : الدين ، والمنهاج : الدليل . وقيل : الشِّرعة : النبي ، والمنهاج : الكتاب[٣]. وقال ابن عطية : « المنهاج مبالغة من النهج ، ويحتمل أن يريد بالشرعة الأحكام ، وبالمنهاج المعتقد »[٤]). الراغب : « النهج : الطريق الواضح »[٥]، « والشرع : نهج الطريق الواضح وأصله مصدر ، ثم جُعل اسماً للطريق ، فقيل له شِرْعٌ ، وشَرْعٌ ، وشَرِيعة ، واستُعير ذلك للطريقة الإلٰهية ، من الدين »[٦]. وعن ابن عباس : « الشرعة : ما ورد به القرآن ، والمنهاج : ما وردت به السنة »[٧]. وقرىء (شَرعة) بفتح الشين[٨]. (ولو شاء الله/٤٨) فيه التفات (ولكن/٤٨) فيه مقدّر ، أي لم يشأ ذلك . (وأن احكم/٥٠) الزملكاني: « معطوف على قوله :(وأنزلنا

---

(١) القول الأول هو قول أبي البقاء ، والقول الثاني هو ما ذهب إليه أبو حيان .
الإملاء (٢١٧/١) ، والبحر (٥٠٢/٣) ، وانظر الدر المصون (٢٩١/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٤٥/٣) .

(٢) هو أبو العباس ، محمد بن زيد الأزدي ، المعروف بالمبرد ، ولد بالبصرة وكان إماماً في الأدب والأخبار ، قال عنه ابن كثير : « كان ثقة ثبتاً فيما ينقله » .
من كتبه : « الكامل » ، و « المقتضب » ، توفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ . طبقات الزبيدي (١٠٨ - ١٢٠) ، وأخبار النحويين البصريين (٧٢ - ٨٠) ، والبداية والنهاية (٧٩/١١) ، والمقتضب (المقدمة) .

(٣) ذكر أبو حيان الأقوال السابقة الذكر ، وذهب إلى القول بأن الشرعة والمنهاج بمعنى واحد . البحر (٥٠٢/٣ - ٥٠٣) .

(٤) المحـرر (٤٧٠/٤) .

(٥) المفردات (٥٠٦) مادة : نهج .

(٦) المفردات (٢٥٨) مادة : شرع - بتصرف .

(٧) الدر المنثور (٢٩٠/٢) قريب منه .

(٨) عن النخعي وابن وثاب . البحر (٥٠٣/٣) .



إليك الكتاب بالحق/٤٨) أي وأنزلنا إليك أن احكم ، أو على قوله: (فاحكم بينهم/٤٨) ، واعترض بما بينهما » . قال القاضي أبويعلى : « وليست هذه الآية تكراراً لما تقدم ، وإنما نزلتا في شيئين مختلفين : أحدهما : شأن الرجم ، والآخر : التسوية »[١] . والقراءة بضم نون (وأن/٤٩) اتباعاً لحركة الكاف ، وبكسرها على أصل التقاء الساكنين[٢] . (أفحكم/٥٠) قرىء بالرفع على الابتداء ، والخبر (يبغون/٥٠) ، وقرىء بفتح الحاء والكاف والميم[٣] ، بمعنى الحكام . (يبغون/٥٠) بالغيبة والخطاب[٤] ، ففيه التفات . (أولياء/٥١) قرأ أُبيّ بدله (أرباباً)[٥] .

(لا يهدي القوم الظالمين/٥١) أي بوضع الولاية في غير موضعها . (فترى/٥٢) بالفوقية ، خطاباً عاماً ، أو للرسول . وقرىء بالتحتية[٦] ، عوداً لله ، أو للرأي . (يسارعون/٥٢) قرىء (يسرعون)[٧] . (دائرة/٥٢) الراغب : « الدائرة : عبارة عن الخط المحيط ، ثم عبّر بها عن الحادثة » ، قال : « والدائرة تقال في المكروه ، والدولة في المحبوب »[٨] . (فيصبحوا/٥٢) قرأ ابن الزبير : (فيصبح الفسّاق)[٩] . (ويقول/٥٣) بالنصب ، عطفاً على (فيصبحوا/٥٢) ، وبالرفع . وفي قراءة بغير واو[١٠] جواب: فماذا يقول المؤمنون حينئذ . (حَبِطت أعمالهم/٥٣) إما من تتمة قول

(١) البحر (٣/٥٠٤) .

(٢) البحر (٣/٥٠٤) ، دون نسبة .

(٣) هذه قراءة قتادة ، والأعمش . والقراءة السابقة هي قراءة السلمي ، وابن وثاب ، وأبي رجاء ، والأعرج . البحر (٣/٥٠٥) .

(٤) القراءة بالخطاب هي قراءة ابن عامر ، والقراءة بالغيبة هي قراءة البقية . السبعة (٢٤٤) ، والكشف (١/٤١١) .

(٥) وقرأ بذلك ابن عباس أيضاً . البحر (٣/٥٠٧) .

(٦) عن إبراهيم بن وثاب . البحر (٣/٥٠٨) .

(٧) قرأ بذلك قتادة والأعمش - البحر (٣/٥٠٨) .

(٨) المفردات (١٧٤) مادة : دار - بتصرف .

(٩) البحر (٣/٥٠٨) .

(١٠) هذه قراءة الحرميين وابن عامر ، وأما الباقون فقد قرؤوا بالواو وكلهم رفع (يقول) إلا أبا عمرو ، فإنه نصبه . الكشف (١/٤١١) .



المؤمنين ، أو من قول الله ، وعلى كلٍّ ، إما خبر ، وإما دعاء"[1]. (**من يرتد/٥٤**) بالإدغام والفكّ . (**أذلةٍ على المؤمنين ، أعزةٍ على الكافرين**) فيه طباقان . وعُدّي (**أذلة/٥٤**) بعلى ، والأصل تعديته باللام ، على تضمين معنى الحُنُوّ والعطف ، كأنه قيل : عاطفين على المؤمنين ، على وجه التذلّل والتواضع . وجاءت هاتان الصفتان بالاسم ، والصفتان قبل بالفعل ، في قوله: (**يحبهم ويحبونه/٥٤**) ، لأن المحبة منهم عبارة عن أفعال الطاعة ، ومنه تعالى عبارة عن الإنعام ، وكلاهما متجدد ، بخلاف صفتي التذلل والعزّة . وقدّم الوصف المتعلق بالله لشرفه . وقرىء بنصب (**أعزة/٥٤**) ، و(**أذلة/٥٤**)[2] حالاً . (**والله واسعٌ عليم/٥٤**) مناسب للفضل ، ولمن يؤتاه. (**إنما وليكم/٥٥**) لما نهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، بيّنَ هنا من هو وليّهم . الشيخ سعد الدين : « هو متصل به ، وما بينهما لتأكيد النهي وعبّر بالإفراد دون الجمع إشارة إلى التلازم ». وقرىء (**مولاكم**)[3]. (**ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون/٥٥**) نزلت في « علي » ، حين تصدّق بخاتمه ، وهو راكع في الصلاة[4] ، فعُرف مناسبة الختم بها . (**ومن يتولّ الله ورسوله/٥٦**) جواب الشرط محذوف أي يغلب ، دلّ عليه (**فإن حزب الله هم الغالبون/٥٦**) الراغب: « الحزب جماعة فيها غِلظ »[5] : « أصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم »[6] .

(**والكفار/٥٧**) بالجر عطفاً على (**الذين أُوتوا/٥٧**) ، وبالنصب[7] عطفاً على (**الذين اتخذوا/٥٧**) . وقرأ أُبيّ (**ومن الكفار**) . وقرأ ابن مسعود (**ومن الذين أشركوا**)[8]. (**وإذا ناديتم/٥٨**) عطف على اتخذوا ، عطف الخاص على العام ،

(١) انظر الدر المصون (٣٠٥/٤) .
(٢) البحر (٥١٢/٣) دون نسبة .
(٣) عن عبد الله . البحر (٥١٣/٣) .
(٤) روى ذلك الكلبي ، كما روى ذلك أيضاً محمد السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . أسباب النزول للواحدي (١٣٣) .
(٥) المفردات (١١٥) مادة : حزب .
(٦) البحر (٥١٤/٣) .
(٧) قراءة الجر ، هي قراءة أبي عمرو ، والكسائي ، وقراءة النصب هي قراءة البقية . الكشف (٤١٣/١)
(٨) انظر البحر في هذه القراءة والقراءة السابقة . البحر (٥١٥/٣) .



لشرف الصلاة . (**اتخذوها/٥٨**) أي الصلاة ، أو المناداة. (**هل تنقمون منا إلا أن آمنـا/٥٩**) هو من تأكيد المدح بما يشبه الذم ، و(**هل/٥٩**) بمعنى ما النافية . وقرىء (**تنقَمون/٥٩**) بفتح القاف[1]، لغة . وقرىء (**أنزل/٥٩**) بالبناء للمفعول في الموضعين[2]. وقرىء (**وإن أكثركم/٥٩**) بكسر الهمزة[3]. الزملكاني : « (**وأن أكثركم/٥٩**) معطوف على قوله : (**بالله/٥٩**) ، لأنهم تألّموا حيث نُسبوا إلى الفسق في مواضع من السورة ، كقوله : (**فلا تأسَ على القوم الفاسقين/١٢٦**) ، (**وإن كثيراً من الناس لفاسقون/٤٩**) » ، أبوحيان : « موضع أن يحتمل الرفع على الابتداء ، والخبر محذوف متأخر ، أي وفسق أكثركم ثابت معلوم عندكم ، أو مقدماً ، أي ومعلوم فسق أكثركم ، والنصب عطفاً على أن آمنا ، أو مفعول ولا تنقمون مقدراً ، أو مفعولاً معه ، والجر عطفاً على ما ، أو على علة محذوفة ، أي لِقلّة إنصافكم[4] » . (**من ذلك/٦٠**) على لغة من يفرد كاف الإشارة بكل حال . (**مثوبةً/٦٠**) بوزن معـونة . وقرىء بوزن مقتلة[5]، ووُضِعت هنا موضع العقوبة على حدّ (**فبشِّرهم بعـذاب أليم**)[6]. (**وعبـد الطاغوت/٦٠**) بصيغة الماضي . وقرىء (**وعَبَدُوا**)[7] (**وعَبْدَ**)[8] بسكون الباء ، مخففاً من مفتوحها ، ونصب الطاغوت . وبضم الباء ، ورفع الطاغوت[9] ، كشَرُف الرجل ، أي صار له أن عبد ، (**وعُبِد الطاغوت**) ، (**وعُبِدَت**) بالبناء للمفعول فيهما[10]. وقرىء (**ومن عبد**)[11]، (**وعباد**) بكسر العين

(١) عن أبي حيوة ، والنخعي ، وابن أبي عبلة، وأبي البرهشيم . البحـر (٣/٥١٦) .
(٢) عن أبي نهيك ، البحر (٣/٥١٦) .
(٣) قرأ بذلك نعيم بن ميسرة ، البحر (٣/٥١٦) ، وابن خالويه (٣٣) ، والمحتسب (١/٢١٣) .
(٤) البحـر (٣/٥١٧) باختصار .
(٥) عن ابن بريدة ، والأعرج ، نبيح ، وابن عمران ، البحر (٣/٥١٨) .
(٦) آل عمران (٢١) ، التوبة (٣٤) ، الانشقاق (٢٤) .
(٧) هذه قراءة أبيّ .
(٨) وهي قراءة الحسن في رواية .
(٩) عن ابن مسعود في رواية ، انظر القراءات السابقة . البحر (٣/٥١٩) .
(١٠) القراءة الأولى هي قراءة النخعي وابن القعقاع والأعمش في رواية هارون، والقراءة الثانية هي قراءة عبد الله في رواية . البحـر (٣/٥١٩) .
(١١) عن عبد الله أيضاً . البحر (٣/٥١٩) بدون تشكيل ، وفي الدر المصون (٤/٣٣٧) : (ومن عبدوا) .



مخففاً وبضمها مشدداً ، جمع عابد[1] ، وعبد بضمتين جمع عبد ، كرهن ورهن[2] ، (**وعُبَّد**) بالضم وتشديد الباء المفتوحة جامع عابد[3] ، (**وعبيد**)[4] ، (**وأعْبُد**)[5] ، (**وعَبَد الطاغوت**)[6] ، بالإضافة وفتح العين والباء ، أي وعَبَدة ، (**وعبدة الطاغوت**)[7] ، (**وعابدي**)[8] ، (**وعابدو**)[9] ، (**وعابد**)[10] ، (**وعبد**) بوزن كَلْب[11] ، وبوزن يقظ ضم القاف[12] ، (**وعابد الشيطان**)[13] بدل (**الطاغوت**) .

(**شرٌ مكاناً/ ٦٠**) الكرماني : « هو مبالغة من غير اشتراك ، على حدّ : العسل أحلى من الخل »[14] . (**وقد دخلوا بالكفر ، وهم قد خرجوا به/ ٦١**) أبوحيان : « خالف بين الجملتين اتساعاً في الكلام »[15] . ابن عطية : «قوله : (**وهم/ ٦١**) تخليص من احتمال العبارة أن يدخل قوم بالكفر ، ثم يؤمنوا ، ويخرج قوم كفرة[16] ، لو قيل : وقد خرجوا به ، فأزال الاحتمال بقوله : (**وهم/ ٦١**) ، أي هم بأعيانهم » ،

---

(١) قراءة التشديد عن أبي واقد الأعرابي ، وقراءة التخفيف هي قراءة بعض البصريين. البحر (٥١٩/٣) .

(٢) ابن عباس في رواية ، وجماعة ، ومجاهد ، وابن وثاب . البحر (٥١٩/٣) .

(٣) عن الأعمش وغيره .

(٤) ابن عباس في رواية .

(٥) عبيد بن عمر .

(٦) ابن عباس وابن أبي عبلة .

(٧+٨) ذكرهما أبو حيان دون نسبة .

(٩) ابن عباس في رواية .

(١٠) عون العقيلي .

(١١) الحسن .

(١٢) ابن وثاب والأعمش وحمزة ، انظر في القراءات السابقة البحر (٥١٩/٣) ، والدر المصون (٣٢٧/٤ - ٣٣٧) .

(١٣) نسبها أبو حيان (٥١٩/٣) إلى أبي عبيدة ، ونسبها الطبري (٤٤١/١٠) إلى بريدة الأسلمي وذكر السمين أنها تفسير لا قراءة (الدر المصون ٣٣٤/٤) .

(١٤) العجائب (٣٣٤/١) .

(١٥) البحر (٥٢١/٣) .

(١٦) في المحرر (٥٠٦/٤) : « .... ويخرج قوم وهم كفرة ، فكان ينطبق على الجميع : « وقد دخلوا بالكفر ، وقد خرجوا به » . فأزال الاحتمال قوله تعالى : (وهم قد خرجوا به) أي هم بأعيانهم ... » .



(والعـدوان/٦٢) قرىء بكسر العين[1] . (الربانيون/٦٣) قرىء (الربيّون)[2] . (لبئس/٦٣) قرىء بحذف اللام[3] . (يصنعون/٦٣) الزمخشري : « كل عامل لا يسمى صانعاً ، ولا كل عمل صناعة ، حتى يتمكَّن فيه ، ويتدرّب ويُنسب إليه ، وكان المعنى في ذلك أن مُواقع المعصية معه الشهوة ، التي تدعوه إليها ، وتحمله على ارتكابها ، وأما الذي ينهاه ، فلا شهوة معه ، في فعل غيره ، فإذا فرَّط في الإنكار ، كان أشد حالاً من المُواقع »[4]، وظهر بذلك الفرق بين ذم متعاطي الذنب ، وبين تارك النهي عنـه ، حيث جعـل ذاك عمـلاً ، وهـذا صناعة ، وختم تلك الآية بـ(يعملون/٦٢) ، وهذه بـ(يصنعون/٦٣) ، (يد الله/٦٤) قيل : هو على تقدير همزة الاستفهام . (غُلّت أيديهم/٦٤) دعاء ، أو خبر ، كذا (لُعِنوا بما قالوا/٦٤) وقـرىء بسكـون العين[5]. (يداه مبسوطتان/٦٤) استعارة لِسَعة جوده وإنعامه ، وإضافة إلى اليدين جرياً على طريقة العرب في قولهم : فلان ينفق بكلتا يديه . الزمخشري : « فإن قيل : لم ثُنِّيَتْ اليد هنا وهي مفردة في قولهم ؟. قلت : ليكون ردّ قولهم وإنكاره أبلغ ، وأدلّ على إثبات غاية السخاء ، ونفي البخل عنه ، وذلك أن غاية ما يبذله[6] السخي أن يعطي بيديه جميعاً ، فبُني المجاز على ذلك »[7]. وقـرىء (بسيـطتـان) ، و(بُسُـطان)[8] بضمتـين ، يقـال : يد بسيطة ، وبسط بالمعروف ، أي مطلقة . (ينفق كيف يشاء/٦٤) جملة مستأنفة ، مؤكدة للوصف بالسخاء ، وأنه لا ينفق إلا على ما تقتضيه مشيئته . (ألقينا/٦٤) فيه التفات .

---

(١) عن أبي حيوة . البحر (٥٢٢/٣) .
(٢) قرأ بذلك الجراح وأبو واقد . البحر (٥٢٢/٣) .
(٣) عن ابن عباس . البحـر (٥٢٢/٣) .
(٤) الكشـاف (٦٢٧/١) .
(٥) عن أبي السمال . البحـر (٥٢٣/٢) .
(٦) في (أ) : ما يبـذل .
(٧) الكشاف (٦٢٨/١) مع قليل من الاختصار .
(٨) ذكـر أبـو حيان أن هذه القراءة هي في مصحف عبد الله ، وأن القراءة الأولى هي قراءته . البحـر (٥٢٤/٣) .



(**بينهم/٦٤**) قيل : الضمير لليهود خاصة . وقيل : لهم وللنصارى ، لتقدم ذكرهم في الآيات السابقة[١]. (**العداوة والبغضاء/٦٤**) أبوحيان : « العداوة أخص من البغضاء ، لأن كل عدو مبغَض ، وقد يبغض من ليس بعدو »[٢]. ابن عطية : « كأن العداوة شيء يُشْهَد يكون عنه عمل وحرب ، والبغضاء لا تتجاوز النفوس »[٣]. (**كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله**) هو استعارة ، وإيقاد النار عبارة عن إظهار الحقد والكيد والمكر بالمؤمنين والاغتيال والقتال ، وإطفاؤها صرف الله عنهم ذلك ، وتفرّق آرائهم ، وحلّ عزائمهم ، وتفريق كلمتهم ، وإلقاء الرعب في قلوبهم ، فهم لا يريدون محاربة أحد إلا غُلبوا وقُهروا . وفي (**أطفأها الله/٦٤**) التفات . (**لكفرنا/٦٥**) فيه التفات . (**أقاموا التوراة/٦٦**) أي أظهروا ما انطوت عليه من الأحكام تشبيهاً بالقائم من الناس ، إذ هي أظهر هيآته . (**من ربهم/٦٦**) فيه التفات. (**أكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم/٦٦**) استعارة لسبوغ النعم ، وتوسعة الرزق عليهم ، كما يقال : قد عمّه الرزق من فوقه إلى قدمه ، ولا فوق ولا تحت . (**مقتصدةٌ/٦٦**) الراغب : « القصد : استقامة الطريق ، ومنه الاقتصاد ، وهو على ضربين : أحدهما : محمود على الإطلاق ، وذلك فيما له طرفا إفراط وتفريط ، كالجود فإنه بين الإسراف والبخل ، وكالشجاعة فإنها بين التهوّر والجبن ، وعلى هذا : (**واقصد في مشيك**)[٤]، والثاني : يُكَنّى به عما يتردد بين المحمود والمذموم ، كالواقع بين العدل والجور ، والقريب والبعيد ، وعلى ذلك قوله : (**فمنهم ظالمٌ لنفسه ، ومنهم مقتصدٌ ، ومنهم سابقٌ بالخيرات**)[٥]. وقوله : (**لو كان عَرَضاً قريباً ، وسفراً قاصداً**)[٦] أي متوسطاً ، غير متناهي البعد »[٧]. (**وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون/٦٦**) أبوحيان : « هذا تنويع في التفصيل ، فالجملة الأولى ، جاء خبرها مجروراً مقدماً ، والمجرور وصف ، والثانية جاء خبرها جملة مؤخرة ،

---

(١) القول الأول هو قول قتادة ، والقول الثاني هو قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل . زاد المسير (٢/٣٩٤) .

(٢) البحر (٣/٥٢٥) .

(٣) المحرر (٤/٥١٣) .

(٤) لقمان (١٩) .

(٥) فاطر (٣٢) .

(٦) التوبة (٤٢) .

(٧) المفردات (٤٠٤) مادة : قصد - بتصرف .



و(**مقتصدةٌ/٦٦**) وصف ، وبين التركيبين تفاوت غريب من حيث المعنى ، وذلك أن الاقتصاد جُعل وصفاً ، والوصف ألزم للموصوف من الخبر، فأتى في الطائفة الممدوحة بالوصف اللازم ، وأخبر عنها بقوله (**منهم**) ، والخبر ليس من شأنه اللزوم ، ولا سيما هنا ، فأخبر عنهم بأنهم من أهل الكتاب في الأصل ، ثم قد تزول هذه النسبة بالإسلام ، فيكون التعبير عنهم ، والإخبار بأنهم منهم باعتبار الحال الماضية ، وأما في الجملة الثانية ، فإنهم منهم حقيقة ، لأنهم كفار فجاء الوصف بالإلزام ، ولم يُجعل خبراً ، وجعل الخبر الجملة التي هي (**ساء ما يعملون/٦٦**) ،لأن الخبر ليس من شأنه اللزوم ، فهم بصدد أن يسلم ناس منهم ، فيزول عنهم الإخبار بمضمون هذه الجملة »[١] . (**يـأيها الرسول/٦٧**) أبوحيان: « مناسبة ذكرها خلال قصة اليهود والنصارى ، أنه تعالى آمنه من مكرهم ، وأمره بالتبليغ من غير مبالاة بأحد » ، قال « لأن الكلام قبل هذه الآية وبعدها معهم ، فيبعد أن تكون هذه الآية أجنبية عما قبلها وما بعدها »[٢] . (**وإن لم تفعل فما بَلَّغْتَ رسالته/٦٧**) ظاهر هذا الجواب ، لا ينافي الشرط ، إذ المعنى : وإن لم تفعل ، لم تفعل ، والجواب لابد أن يغاير الشرط حتى يترتب عليه . فقال الزمخشري : « فيه وجهان : أحدهما : أنه إذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات ، وكَتَمَها كلها ، كأنه لم يُبعث رسولاً ، كان أمراً شنيعاً ، فقيل : إن لم تبلّغ منها أدنى شيء ، وإن كلمة واحدة ، فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها ، كما عظَّم قتل النفس بقوله : (**فكأنما قتل الناس جميعاً**)[٣] ، والثاني : أن يراد : إن لم تفعل ، حلّ بك ما يوجبه كتمان الوحي من العقاب ، فوضع السبب موضع المسبب[٤] . وقال ابن عطية: « أي إن تركتَ شيئاً ، فكأنك قد تركتَ الكل ، فصار ما بَلَّغْتَ غير معتمد به ، فمعنى (**وإن لم تفعل/٦٧**) وإن تستوف »[٥] . وقال الزملكاني :

(١) البحر (٥٢٨/٣) - بقليل من التصرف .
(٢) البحر (٥٢٩/٣) - باختصار قليل .
(٣) المائدة (٣٢) .
(٤) الكشاف (٦٣٠/١) - بقليل من الاختصار .
(٥) المحرر (٥١٧/٤) .



« أي وإن لم تفعل هذا الخاص ، فما بلّغتَ مطلق رسالاته ، ويدلّ على أن الأول خاص ، (**والله يعصمك من الناس/٦٧**) ، دلّ على أنه تخوّف في رسالة مخصوصة » . وقال الإمام : « الأصح أن هذا خرج على قانون :

أنا أبو النجم ، وشِعْرِي شِعْرِي[١] .

ومعناه : أن شعري قد بلغ في الكمال والفصاحة إلى حيث متى قيل فيه إنه شعري ، فقد انتهى مدحه إلى الغاية التي لا يمكن أن يزاد عليها ، وهذا الكلام يفيد المبالغة التامة من هذا الوجه ، فكذا هنا » ، قال : « فإن لم تبلِّغ رسالته ، فما بَلَّغْتَ رسالته ، يعني أنه لا يمكن أن يُوصف ترك التبليغ بتهديد أعظم من أنه ترك التبليغ ، فكان ذلك تنبيهاً على غاية التهديد والوعيد »[٢] . وفي قراءة (**رسالاته**) بالجمع[٣] . (**حتى تقيموا/٦٨**) جمع في الضمير ، والمقصود التفصيل ، أي حتى يقيم أهل التوراةِ التوارةَ ، وأهل الإنجيلِ الإنجيلَ . (**إن الذين آمنوا/ ٦٩**) قرأ ابن مسعود (**يأيها الذين آمنوا**)[٤] . (**والصابئون/ ٦٩**) مبتدأ منويّ به التأخير . وقرىء بالياء[٥] على العطف (**لقد أخذنا/ ٧٠**) فيه التفات . (**كلما جاءهم رسولٌ / ٧٠**) العائد محذوف ، أي منهم ، وكذا جواب الشرط ، أي ناصبوه ، لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ، وقوله :(**فريقاً كذَّبوا/ ٧٠**) جواب سؤال ، كأنه قيل : كيف فعلوا برسلهم ، فقيل فريقاً كذَّبوا ، وفريقاً يقتلون ، قاله الزمخشري[٦] والزملكاني . (**ألاّ تكون/ ٧١**) بالنصب ناصبة ، والرفع مخففة[٧] . (**فَعَمُوا**

---

(١) البيت لأبي النجم . وهو في الخصائص (٣/٣٣٧) ، وأمالي الشجري (١/ ٢٤٤) ، وابن يعيش (١/٩٨)،والهمع (١/ ٦٠) ، والدرر (١/ ٣٥) .

(٢) التفسير الكبير (١٢/ ٥٢) .

(٣) هذه قراءة نافع ، وابن عامر ، وأبي بكر . الكشف (١/ ٤١٥) .

(٤) البحر (٣/٥٣١) .

(٥) عن عثمان ، وأبيّ ، وعائشة ، وابن جبير ، والجحدري . البحر (٣/ ٥٣١) .

(٦) الكشاف (١/ ٦٣٣) .

(٧) قراءة الرفع هي قراءة أبي عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وقراءة النصب هي قراءة البقية . السبعة (٢٤٧) ، والكشاف (١/ ٤١٦) .



وصَمُّوا/٧١) كناية عن العصيان . وبُدىء بالعمى ، لأنه أول ما يعرض للمعرِض عن الشرائع ألا يبصر من أتاه بها من عند الله ، ثم يعرض له الصمم عن سماع كلامه . وقرىء بضم العين والصاد وتخفيف الميم[1] ، من باب : زَكُم الرجل . وهي أفعال جاءت مبنية للمفعول ، وهي متعدية ثلاثية ، فإذا بُنِيت للفاعل صارت قاصرة ، فإذا أردتَ بناءها للفاعل متعدية ، أدخلتَ همزة النقل ، وهو نوع غريب في الأفعال . (ثم تاب الله/٧١) فيه التفات ، وأسند التوبة إليه دون العمى والصمم ، حيث لم يأتِ فأعماهم الله ، وأصمَّهم ، إسناداً للفعل الشريف إليه ، وأفادت الفاء تعقيب العمى والصمم للحسبان ، و(ثم) لتراخي التوبة وتماديهم في الضلال زماناً . (ثم عَمُوا وصَمُّوا كثيرٌ/٧١) قيل : هو على أكلوني البراغيث[2] . وقرىء (كثيراً)[3] بالنصب .

(والله بصيرٌ بما يعملون/٧١) أبوحيان : « ناسب ختم الآية بهذه الجملة المشتملة على صفة (بصيرٌ/٧١) ، إذ تقدَّم قبله (فعموا/٧١)[4] » . (أنه من يشرك) إلى آخره ، قيل : هو من تتمة كلام المسيح . وقيل : مستأنف من كلام الله[5] . (وما من إلهٍ إلا إلهٌ واحدٌ/٧٣) أُكِّد بزيادة (من/٧٣) الاستغراقية . (لَيَمَسَّن الذين كفروا/٧٣) قام الظاهر مقام المضمر ، إذ لم يأتِ ليمسنهم ، لتكرير الشهادة عليهم بالكفر ، والإعلام بأنهم كانوا بمكان من الكفر ، إذ جُعل الفعل في صلة الذين وهي تقتضي كونها معلومة للسامع ، مفروغاً من ثبوتها واستقرارها ، ولأنه قد تاب منهم طائفة (أفلا يتوبون/٧٤) لطف بهم واستدعاء إلى التنصّل من تلك المقالة الشنيعة ، وقدَّره

---

(١) عن النخعي، وابن وثاب . البحر (٣/٥٣٤) .

(٢) وقد حكى هذه اللغة البصريون عن طيء ، وحكاها بعضهم عن أزد شنوءة كما في أوضح المسالك (٢/٩٨). وانظر الكتاب (٢/٤٠ ، ٤١) ، ومعاني القرآن للفراء (١/٣١٦ ، ٣١٧) ، والتبصرة والتذكرة (١٠٧ ، ١٠٨) ، وسر صناعة الإعراب (٢/٦٢٩) .

(٣) عن ابن أبي عبلة . البحر (٣/٥٣٤) .

(٤) البحر (٣/٥٣٤) .

(٥) حكى أبو حيان هذا القول ، وقال عن القول الأول إنه هو الظاهر . البحر (٣/٥٣٥) .



الزمخشري : أيثبتون على الكفر ، فلا يتوبون ، وجعله استفهام تعجيب[1]، وقال الفـراء : « هو استفهام معناه الأمر ، كقوله : (**فهل أنتم منتهون**)[2][3] » . (**قد خَلَتْ من قبله الرسل/٧٥**) قرئ (**رسل**)[4] . (**كانا يأكلان الطعام/٧٥**) قيل : إنه كنـاية عن قضـاء الحـاجـة . (**نبيِّن/٧٥**) فيه التفـات . (**ثم انظر/٧٥**) كرَّره ، لاختلاف المتعلّق ، لأن الأول أمر بالنظر في كونه تعالى بيَّـن لهم الآيات ووضّحها بحيث لا يقع منها لبس ، والثاني أمر بالنظر في كونهم يصرفون عن استماع الحق وتـأمّله ، أو في كونهم يقلبـون ما بيّن لهم إلى الضد منه ، وهذا أمر تعجيب ، ودخلت (**ثم**) للتراخي ما بين العجبين ، وكأنه يقضي العجب من توضيح الآيات وتبيينها ، ثم ينظر في حال من بُيِّنت له ، فيرى إعراضهم عن الآيات أعجب من توضيحها ، لأنه يلزم من تبيينها تبيّنها لهم ، والرجوع إليها ، فكونهم أَفِكُوا عنها أعجب . (**ما لا يملك لكم ضرًّا ولا نفعاً/٧٦**) ابن جماعة : « في مواضع قدّم الضرّ ، وفي مواضـع النفع[5] ، فالأول حيث تقدم سياق الملك والقدرة ، والثاني حيث كان السياق في الدعاء والعبادة والسؤال »[6] . (**والله هو السميع العليم/٧٦**) فيه التفات . ولما كانت العبادة تتضمن قولاً واعتقاداً ، جاء الختم بهاتين الصفتين ، قاله أبوحيان[7] والطوفي . (**غير الحق/٧٧**) صفة مصدر ، أي غَلَوا . (**وضلُّوا عن سواء السبيل/٧٧**) قيل : تأكيد لضلّوا الأول[8] . وقيل : لا ، والمعنى : ضلّوا الآن بعد وضوح الحق[9] .

---

(١) في الكشاف (٦٣٤/١) : « ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر ، وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه . وفيه تعجيب من إصرارهم » .

(٢) المائـدة (٩١) .

(٣) لم أجد هذا القول في كتابه المعاني ، وإنما وجدته بالبحر (٥٣٦/٣) .

(٤) عن حطان . البحر (٥٣٧/٣) .

(٥) وذلك في الأنعام (٧١) ، والأنبياء (٦٦) .

(٦) كشف المعاني (١١٩) .

(٧) انظر البحـر (٥٣٨/٣) .

(٨) في (ب) : للأول .

(٩) وقد تعقب أبو حيان هذا التأويل ، بأنه خروج على الظاهر ، فلا داعي له . البحر (٥٣٩/٣) .



(**على لسان داود وعيسى/٧٨**) أفرد ، ولم يقل لسانَي ، أو ألسنة ، لأن الأفصح أنه إذا فرق منضماً الجزأين ، اختير لفظ الإفراد على لفظ التثنية والجمع . (**ذلك بما عصوا/٧٨**) تأكيد ، وإلا فقد فُهِم سبب اللعنة من إسنادها إلى الذين كفروا. (**وكانوا يعتدون**) يحتمل العطف والاستئناف[1] . (**كانوا لا يتناهون/٧٩**) تفصيل لما قبله . (**ترى كثيراً منهم/٨٠**) الضمير لبني إسرائيل ، مراداً به من في زمن الرسول ، وللآية وما بعدها اعتلاق بالآية السابقة في النهي عن اتخاذ الكفار أولياء . (**النبي/٨١**) فيه التفات من الخطاب في (**ترى/٨٠**) . (**ولكن كثيراً منهم/٨١**) من إقامة الظاهر مقام المضمر ، لتقدمه في (**ترى كثيراً منهم/٨٠**) ، لطول الكلام (**لتجدنَّ أشد الناس عداوةً/٨٢**) مناسب لما في الآية قبله من اتخاذ اليهود الكفار أولياء . وفي الخطاب التفات من النبي . وفي الآية طباقات بين أشد ، وأقرب ، وعداوة ، ومودة ، وآمنوا ، وأشركوا ، واليهود والنصارى . أبوحيان : « وصف العداوة بالأشد ، والمودة بالأقرب ، لتفاوت الجنسين إلى المؤمنين ، فتلك العداوة أشد العداوات وأظهرها ، وتلك المودة أقرب وأسهل »[2] . (**قسِّيسين/٨٢**) قيل : أعجمي معرَّب ، وقيل : القسِّيس بمعنى الصدِّيق[3] . وقرىء بدله (**صدِّيقِين**)[4] . (**وإذا سمعوا/٨٣**) قال ابن عطية : « هو خاص في من آمن من القادمين من أرض الحبشة ، وما قبله عام »[5] . (**إلى الرسول/٨٣**) فيه التفات آخر . (**أعْيُنَهم تفيض/٨٣**) أبوحيان : « أسند الفَيْض إلى الأعين وإن كان حقيقة للدموع ، كما قال :

.... ففاضت دموع العين ، مني صبابة[6]

---

(١) أورد أبو حيان هذين الاحتمالين ، ثم ذهب إلى أن الاحتمال الثاني يقوى بما جاء بعده كالشرح ، وهو قوله :(كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه) . البحر (٣/٥٤٠) .

(٢) البحر (٤/٤) . (٣) انظر البحر (٤/٣ - ٥) .

(٤)

(٥) المحرر (٥/٧) .

(٦) والشطر الثاني هو : على النحر ، حتى بلّ دمعي محملي . وهو لامرىء القيس .
الصبابة : رقة الشوق ، والمحمل : سير يحمل به السيف ، وأراد أنه بكى بكاء شديداً حتى بلّ دمعه محمل سيفه . ديوانه (٩) ، وشرح القصائد للتبريزي (٨٥) .



إما إقامة للمسبب مقام السبب ، لأن الفَيض مسبَّب عن الامتلاء ، والأصل : ترى أعينهم تمتلىء من الدمع حتى تفيض ، لأن الفَيض على جوانب الإناء ناشيء عن امتلائه . وإما على سبيل المبالغة في البكاء ، لما كانت تُفاض فيها ، جعلت الفائضة بأنفسها »[1] . الراغب : « فاض الماء : إذا سال منصبًّا »[2] . وقرىء ببناء **(ترى/٨٣)** للمفعول[3] . **(من الدمع مما عرفوا من الحق/٨٣)** .

(من/٨٣) الأولى : ابتدائية ، والثانية : سببية ، والثالثة تبيينية . **(ونطمع/٨٤)** أبوحيان : « الطمع قريب من الرجاء »[4] ، الراغب : « الطمع نزوع النفس إلى الشيء شهوة له »[5] . **(فأثابهم/٨٥)** قرىء **(فآتاهم)**[6] . **(بآياتنا/٨٦)** فيه التفات . **(يأيها الذين آمنوا/٨٧)** أبوحيان : « مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما مدح النصارى بأن منهم قسيسين ورهباناً ، وعادتهم ، الاحتراز عن طيبات الدنيا ومستلذاتها ، والنكاح[7] ، وأهم ذلك المدح[8] ترغيب المسلمين في مثل ذلك التقشف والتبتّل ، فبيّن تعالى أن الإسلام لا رهبانية فيه » . **(أحلّ الله/٨٧)** فيه التفات . **(لا يؤاخذكم الله/٨٩)** وجه اتصالها بما قبلها ، أن الآية التي قبلها نزلت فيمن حلف لا يأكل اللحم ولا يتزوج النساء ولا ينام ولا يفطر ، فلما ردّ عليهم بمضمونها ، عقبت بكفّارة الأيمان التي حلفوها . **(عقدتم/٨٩)** بالتخفيف والتشديد[9] . وفي قراءة **(عاقدتم)**[10] . وقرىء **(عقدت الأيمان)**[11] . وفي الآية

---

(١) البحر (٤/٥ - ٦) .

(٢) المفردات (٣٨٧) مادة : فيض .

(٣) البحر (٤/٦) ، والدر المصون (٤/٣٩٤) دون نسبة .

(٤) البحر (٤/٣) .

(٥) المفردات (٣٠٧) مادة : طمع .

(٦) عن الحسن - البحر (٤/٨) .

(٧) كلمتا « والنكاح » ، و « المدح » ليستا بالبحر .

(٨) البحر (٤/٨) .

(٩) قراءة التخفيف هي قراءة أبي بكر ، وحمزة ، والكسائي ، وقراءة التشديد هي قراءة البقية . الكشف (١/٤١٧) .

(١٠) هذه قراءة ابن ذكوان ، المرجع السابق . (١١) عن الأعمش . البحر (٤/٩) .



طباقان بين السلب والإيجاب ، واللغو ، وعقدتم . (**أهليكم/٨٩**) قرىء (**أهاليكم**) بسكون الياء[(١)]. (**أو كِسوتهم/٨٩**) قرىء بضم الكاف وقرىء (**أو كأسوتهم**)[(٢)] ، قال الزمخشري : « ومعناه : أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافاً كان أو تقتيراً ، لا تنقصونهم عنه ، ولكن تواسون بينهم وبينهم ، ومحل الكاف رفع ، والتقدير : أو طعامهم كأسوتهم ، يعني كمثل طعامهم إن لم تطعموهم الأوسط »[(٣)] . (**أو تحرير/٨٩**) الراغب : « التحرير : جعل الإنسان حرًّا »[(٤)] . (**إذا حلفتم/٨٩**) أي وحنثتم . (**يأيها الذين آمنوا/٩٠**) أبوحيان : « مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما أمرهم بأكل ما رزقهم حلالاً طيباً ، وكان من المستطاب المستلذ عندهم الخمر والميسر ، بيّن تحريمهما ، لأن اللذة فيهما يقارنها مفاسد عظيمة وقرن بهما ذِكر الأنصاب والأزلام ، وسوّى بين الأربعة في الإخبار عنها بأنها رِجس مبالغة في ذم الخمر والميسر ، والتنفير منهما »[(٥)] . (**رِجسٌ/٩٠**) الكثير أن الرجس والنجس بمعنى ، إلا أن النجس يقال في المستقذر طبعاً ، والرجس أكثر ما يقال في المستقذر عقلاً . (**فاجتنبوه/٩٠**) الضمير راجع للرجس المخبَر به عن الأربعة . (**إنما يريد/٩١**) الآية ، بيّن تعالى فيها مفسدتين في الخمر والميسر ، إحداهما : دنيوية ، والأخرى : دينية ، واقتصر على ذكر الخمر والميسر ، لأنهما المقصودان بالسياق . (**فهل أنتم منتهون/٩١**) استفهام بمعنى الأمر ، ولذا عطف عليه (**وأطيعوا الله/٩٢**) إلى آخره ، وكرّر (**وأطيعوا/٩٢**) تأكيداً . (**رسولنا/٩٢**) فيه التفات . (**ليس على الذين آمنوا/٩٣**) فيه التفات عن الخطاب . (**إذا ما اتقوا/٩٣**) إلى

---

(١) قرأ بذلك جعفر الصادق . البحر (٤/١٠) .

(٢) هذه قراءة ابن جبر ، وابن السميفع ، والقراءة السابقة هي قراءة النخعي ، وابن المسيب ، وابن عبد الرحمن . البحر (٤/١١) .

(٣) الكشاف (١/٦٤١) .

(٤) المفردات (١١١) مادة : جر .

(٥) البحر (٤/١٣) - باختصار .



آخره ، قيل : التكرار للتأكيد ، ولا ينافيه العطف بثم ، كما في قوله : (**كلا سوف تعلمــون ، ثم كلا سوف تعلمــون**)[1] . وقيل : لاختــلاف المتعلق ، فالأول للماضـي ، والثاني للحال ، والثالث للاستقبال . وقيل : الأول للشرك ، والثاني للكبائر ، والثالث للصغائر ، ولذا قُرِن به[2] (**وأحسِنوا ، والله يحب المحسنين/٩٣**) فيه التفـات . (**يـأيها الذين آمنوا/٩٤**) فيه التفات . أبوحيان : « مناسبة هذه الآيات ، أنه تعالى لما أمرهم ألا يحرِّموا الطيبات ، وأخرج من ذلك الخمر والميسر ، وهمـا حرامان أبداً ، أخرج بعده من الطيبات ما حرم في حال دون حال ، وهو الصيد »[3] . (**تناله أيديكم ورماحكم/٩٤**) الأول للصغار ، والثاني للكبار . ابن عطية : « خصّت الأيدي بالذكر ، لأنها أعظم تصرّفاً في الاصطياد ، وفيها تدخل الحبالات والشباك المعمولة باليد ، وخص الرماح بالذكر ، لأنها أعظم ما يخرج به الصيد وفيها يدخل السهم ونحوه »[4] . وقرىء (**يناله**) بالتحتية[5] . (**ليعلم/٩٤**) قرىء بوزن يُكْرِم[6] . (**وأنتم حُرُم/٩٥**) قال أبوحيان : « يشمل المحرم ، والكائن بالحرم بناء على استعمال اللفظ في معنييه »[7] . (**فجزاءُ مِثْل**) بإضافة جزاء بيانيّة وتنـوينه ، و(**مثل**) مرفوع صفة[8] ، وقرىء بنصبه ، مع رفع جزاء ، ونصبه[9] ، وقرىء (**فجزاؤه مثل**)[10] . (من النَّعَم/٩٥) قرىء بسكون العين لغة[11] . (**ذوا**

---

(١) التكاثر (٣ ، ٤) .

(٢) انظر البحر (١٦/٤) ، وقد ذهب أبو حيان إلى القول الأول .

(٣) البحـر (١٦/٤) .

(٤) المحـرر (٣٥/٥) .

(٥) هذه قراءة النخعي وابن وثاب - البحر (١٧/٤) .

(٦) وهي قراءة الزهري . ابن خالويه (٣٥) ، والبحر (١٧/٤) .

(٧) البحـر (١٧/٤) بمعنـاه .

(٨) هذه قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي . حجة القراءات (٢٣٥) .

(٩) القـراءة بنصب (مثل) مع رفع (فجزاء) هي قراءة السلمي ، والقراءة الأخيرة ، هي قراءة محمد بن مقاتل . البحر (١٩/٤) .

(١٠) هي قراءة عبد الله - البحـر (١٩/٤) .

(١١) هذه قراءة الحسن - البحـر (١٩/٤) .



عَدْلٍ) قرىء (ذو) بالإفراد[1] . (هَدْياً) قرىء بكسر الدال ، وتشديد الياء[2] . (أو كفارةٌ طعامُ) بالتنوين والإضافة . (مساكين) قرىء بالإفراد[3] على أنه اسم جنس . (أو عَدْل) قرىء بكسر العين[4] . (ليذوق وبال أمره) في الذوق استعارة . الراغب : « الوابل المطر الثقيل ، وقيل للأمر الذي يخاف ضرّه وَبَال لمراعاة الثِّقَل »[5] . أبوحيان : « الوبال : سوء العاقبة »[6] . (وطعامه/٩٦) من عطف الخاص على العام . وقرىء (وطَعْمُه)[7] . (متاعاً) مصدر ، أو مفعول له . (وحرم) قرىء بالبناء للفاعل[8] . (دمتم) قرىء بكسر الدال[9] . (حُرُماً) قرىء بفتحتين[10] . (جعل الله الكعبة/٩٧) أبوحيان: « لما ذكر تعالى تعظيم الإحرام بالنهي عن قتل الصيد ، وتعظيم الكعبة بقوله: (هدياً بالغَ الكعبة/٩٥) ، ذكر في هذه الآية تعظيم الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد »[11] . قلت : وبهذه الآية ظهر توافق أوّل السورة وآخرها . (قِياماً/٩٧) في قراءة (قِيماً) بحذف الألف[12] . وقرىء (قَيِّماً) بوزن سيِّد[13] . (ذلك) إشارة للجعل المذكور[14] ، ووجه الترتيب ما فيه من مراعاة المصالح . وقيل: الإشارة إلى ما أنبأ به في هذه السورة من المغيَّبات ، مثل قوله: (سمّاعون للكذب)[15][16] . (وأن الله بكل شيءٍ عليمٌ/٩٧) مناسب لما

(١) عن جعفر بن محمد - المرجع السابق ص ٢٠ .

(٢) هذه قراءة الأعرج - ابن خالويه (٣٥) .

(٣) وهي قراءة الأعرج ، وعيسى بن عمر . البحر (٤/٢١) .

(٤) عن ابن عباس ، وطلحة بن مصرف ، والجحدري . البحر (٤/٢١) .

(٥) المفردات (٥١١) مادة : وبل .

(٦) البحر (٤/٣) .

(٧) بضم الطاء ، وسكون العين ، وهي قراءة ابن عباس ، وعبد الله بن الحرث ، البحر (٤/٢٣) .

(٨) عن ابن عباس - البحر (٤/٢٤) .

(٩) هذه قراءة يحيى - البحر (٤/٢٤) .

(١٠) وهي قراءة ابن عباس - البحر (٤/٢٤) .

(١١) البحر (٤/١٥) باختصار .

(١٢) وهذه قراءة ابن عامر ، حجة القراءات (٢٣٧) .

(١٣) عن الجحدري - البحر (٤/٢٦) .

(١٤) وهو ما استظهره أبو حيان - البحر (٤/٢٦) .

(١٥) المائدة (٤١ ، ٤٢) .

(١٦) قاله الزجاج . معاني القرآن (٢/٢١٠) ، والبحر (٤/٢٦) .

قبله ، ولما تضمنته الآية من مراعاة المصالح . (**اعلموا أن الله شديد العقاب . وأن الله غفورٌ رحيمٌ/٩٨**) فيه مقابلة الترغيب بالترهيب كخاتمة الأنعام ، ونحوها . (**البلاغ/٩٩**) هو مصدر بلغ ، أقيم مقام مصدر بلّغ . (**قل لا يستوي الخبيث والطيب**) له اعتلاق بتحريم الخمر والميسر . (**يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء/١٠١**) الإمام : « مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما قال: (**ما على الرسول إلا البلاغ/٩٩**) ، صار كأنه قال : ما بلّغه الرسول فخذوه ، وكونوا مقتادين له ، وما لم يبلّغه ، فلا تسألوا عنه ، ولا تخوضوا فيه ، فربما جاءكم بسبب الخوض الفاسد ، تكاليف تشقّ عليكم »[١]. (**إن تُبْدَ**) قرىء بالبناء للفاعل وبالفوقية ، والتحتية[٢]. (**تَسُؤكم**) قرىء بالتحتية[٣]. (**والله غفورٌ حليمٌ**) قال الطوفي: « مناسب لقوله: (**عفا الله عنها/١٠١**) » . (**قد سألها/١٠٢**) فيه استخدام ، لأن الأشياء التي سأل عنها الصحابة ، غير التي سألها من قبلهم . (**ما جعل الله من بَحيرةٍ/١٠٣**) أبوحيان: « لما نهى تعالى عن سؤال ما لم يأذن فيه ، منع من التزام أمور لم يشرعها ، أو هو من باب العَوْد بعد الاستطراد إلى الكلام في المحلّلات والمحرمات ، (وله اتصال بقوله: (**لا تحرموا طيبات ما أحلَّ الله لكم/٨٧**) »[٤]) . ابن عطية : « (**جعل**) في هذه الآية ، لا يتجه أن يكون بمعنى خلق ، لأن الله خلق هذه الأشياء ، ولا بمعنى صيّر ، لعدم المفعول الثاني ، وإنما هي بمعنى ما سنّ[٥] ، ولا شرع »[٦]. قال أبوحيان : «ولم يذكر النحويون في معاني **جعل** ؛ شرع ، بل هي بمعنى صيّر ، والمفعول الثاني محذوف ، أي ما صيّرها الله

---

(١) التفسير الكبير (١١/١٠٤) .

(٢) القراءة بالبناء للفاعل مع التحتية ، هي قراءة الشعبي ، والقراءة بالبناء للفاعل ، مع الفوقية ، هي قراءة ابن عباس ومجاهد . البحر (٤/٣٠) .

(٣) وهي قراءة الشعبي - البحر (٤/٣٠) .

(٤) البحر (٤/٧٣) باختصار ، وما بين القوسين غير موجود بالبحر .

(٥) في (أ) : ما بين .

(٦) المحرر (٥/٦٨) .



مشروعـة »[1]. الـزملكـاني : « اعلم أن فَعَلَ يعمّ في العبارة لمعاني خمسة ، مثل (**وفعلتَ فعلتك التي فعلت**)[2] ، (**ولو أنهم فعلوا ما يوعظون**)[3] ، (**وما تفعلوا من خيرٍ ، يعلمه الله**)[4] . ثم بعد ذلك عَمِلَ ، لأنها لا تعمّ معنى النية والهمّ ، وإنما تقع في عمل البدن ونحوه ، قال تعالى : (**وقدِمنا إلى ما عملوا من عملٍ/٢٣**)[5] ، أي من صدقة وجهاد ، وغير ذلك ، فلا يدخل فيه العزم ، فإنهم لم يعزموا على شيء من ذلك ، وإنما جعل بمعنى صيّر كثيراً . وقيل : بمعنى أوجب أيضاً ، فقوله (**ما جعل الله من بحيرةٍ/١٠٣**) ، أي ما أوجبها ، ولا أمر بها » انتهى . (**يـأيهـا الذين آمنوا/١٠٥**) الآية ، قال ابن زيد[6] : « المعنى فيها : يا أيها الذين آمنوا من أبنـاء الذين بَحَّروا البحيرة وسيبّوا السوائب ، عليكم أنفسكم في الاستقامة على الـدين ، لا يضركم ضلال الأسـلاف إذا اهتديتم » ، قال : « وكان الرجل إذا أسلم ، قال له الكفار : سفّهت آباءك وضلَّلْتَهم ، فنزلت الآية بسبب ذلك »[7] ، وهـذا وجـه حسن في الـربط ، ثم للآية منـاسبـة بقوله : (**مـا على الرسول إلا البـلاغ/٩٩**) ، (**وعليكم/١٠٥**) اسم فِعـل بمعنى الـزموا ، فـ(**أنفسكم/١٠٥**) مفعـول به ، وقرىء (**أنفسكم**) بالرفع[8] على الابتداء والخبر ، مع مراعاة معنى الإغراء . وقيل : إنه تأكيد للضمير المستكن في (**عليكم**)[9] . (**لا يضرُكم/١٠٥**) قرىء بالفك مجزوماً جواب الأمر ، وقرىء بالجزم أيضاً والتخفيف ، مع ضم الضاد

(١) البحر (٤/٣٣) باختصار .
(٢) الشعـراء (١٩) .
(٣) النســاء (٦٦) .
(٤) البقـرة (١٩٧) .
(٥) الفرقـان (٢٣) .
(٦) هو أبو العباس ، أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد ، دمشقي ، من علماء الحنابلة من كتبه « محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو والأوزاعي » ، و « اختصار سيرة ابن هشام » ، توفي سنة ٨٧٠هـ . الضـوء اللامـع (٣/٧١) .
(٧) البحـر (٤/٣٦) .
(٨) حكاها الزمخشري عن نافع . الكشاف (١/٦٥٠) .
(٩) البحـر (٤/٣٧) .



وكسرها[1]، من ضار يضور وضار يضير. (**يأيها الذين آمنوا/١٠٦**) قال أبونصر القشيري[2]: « لما نزلت السورة بالوفاء بالعقود وترك الخيانات، انجرّ الكلام إلى هذا »[3]. الكرماني: « ذكر المفسرون[4] أن هذه الآية من أشكل آية في القرآن حكماً ومعنى وإعراباً »[5]. (**شهادةُ بينِكم/١٠٦**) الزملكاني: « أي عدد شهادة بينكم الذي ينفذ به الحكم إذا كان تنازع، ويدل عليه قوله: (**اثنان/١٠٦**)، ونظيره: (**الحج أشهرٌ**)[6] أي مدته أشهر. والشهادة مصدر وُضِع هنا بمعنى الشهود. وقوله: (**بينكم/١٠٦**) هو التنازع الواقع بينهم، والإضافة تقع بأدنى[7] ملابسة كقوله: (**ولمن خاف مقام ربه/٤٦**)[8]، أي مقامه بين يدي ربه. وقيل: على حذف الموصول، أي شهادة ما بينِكم[9]، ونظيره: (**وإذا رأيتَ، ثَمَّ رأيتَ**)[10] أي ما ثَمَّ. (**فِراقُ بيني وبينك**)[11] أي ما بيني. (**لقد تقطَّع بينكم**)[12] أي ما بينكم. وقرىء بتنوين (**شهادة/١٠٦**) مرفوعاً ومنصوباً[13]، على تقدير: ليشهد، وبينِكم فيهما منصوب على الظرف. (**إن أنتم ضربتم/١٠٦**) قال أبوحيان:

---

(١) القراءة الأولى هي قراءة أبي حيوة، والقراءة الثانية هي قراءة الحسن، والقراءة الثالثة هي قراءة النخعي. البحر (٣٧/٤)، والمحرر الوجيز (٧٦/٥)، وابن خالويه (٣٥).

(٢) هو أبو نصر، عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، من أهل نيسابور، كان واعظاً، فصيحاً، جريئاً. من كتبه « المقامات والآداب ». توفي سنة ٥١٤هـ.
مرآة الجنان (٢١٠/٣)، وتبيين كذب المفتري (٣٠٨ - ٣١٧)، والبداية والنهاية (١٨٧/١٢).

(٣) البحر (٣٨/٤).

(٤) « ان »: ليست في (أ).

(٥) العجائب (٣٣٩/١).

(٦) البقرة (١٩٧).

(٧) في (ب): بالأدنى. (٨) الرحمن (٤٦).

(٩) قاله الماتريدي - كما في البحر (٣٩/٤). وتبعه الرازي (١٤/١٢).

(١٠) الإنسان (٢٠).

(١١) الكهف (٧٨).

(١٢) الأنعام (٩٤).

(١٣) قراءة الرفع هي قراءة الشعبي والحسن والأعرج، وقراءة النصب هي قراءة السلمي والحسن أيضاً. البحر (٣٩/٤)، وقارنه بما في ابن خالويه (٣٥).

« هذا التفات ، ولو جرى على لفظ (**إذا حضر أحدكم**/١٠٦) ، لقيل : إن هو ضرب ، وإنما جاء الالتفات جمعاً ، لأن معنى (**أحدكم**/١٠٦) ، كل واحد منكم »[١]. (**تحبسونهما**/١٠٦) ، أبوحيان : « الخطاب للمؤمنين لا لما دلّ عليه الخطاب في قوله : (**إن أنتم ضربتم في الأرض ، فأصابتكم**/١٠٦) ، لأن من ضرب في الأرض وأصابه الموت ، ليس هو الحابس »[٢]. الراغب : « الحبس : المنع من الانبعاث »[٣]. الزملكاني : « أي تقيمونهما للحلِف . وقيل : تُصَبِّرونهما على اليمين ، ومعنى الصبر ، أن يحلف الرجل غير متبرع بها » . (**إن ارتبتم**/١٠٦) اعتراض بين القَسَم وجوابه . (**لا نشتري به**/١٠٦) الضمير للقَسَم . وقيل : لله . وقيل : لتحريف الشهادة[٤]. قال الكرماني : « وهو مقتضب من قوله : (**الذين يشترون بعهد الله**)[٥] الآية . والشراء كناية عن الأخذ » . (**ولو كان**/١٠٦) أي المقسم له ، وهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه . قال الكرماني[٦] : مقتضب من قوله : (**ولو على أنفسكم**/١٣٥) الآية ، قاله الزملكاني »[٧]. (**ولا نكتم شهادة الله**/١٠٦) أُضيفت إليه تعالى ، لأنه الآمر بإقامتها ، الناهي عن كتمانها . قال الزملكاني : « والجملة مقتضبة من قوله : (**وأقيموا الشهادة لله**/٢) . وقرىء بجزم (**نكتم**)[٨] نهياً ، ودخول لا الناهية على فعل المتكلم قليل . وقرىء بتنوين شهادة ، ونصب الجلالة[٩] ، مفعول (**نكتم**) ، وجرها على القسم بمد ألف ، ودونه[١٠] (**إنا**

---

(١) البحر (٤٢/٤) باختصار .

(٢) البحر (٤٢/٤) .

(٣) المفردات (١٠٦) مادة : حبس .

(٤) قال ابن عطية بالقول الأول ، وذكر أن القول الثاني محتمل ، وأسند القول الثالث إلى أبي علي . المحرر الوجيز (٨٦/٥) ، وانظر البحر (٤٤/٤) .

(٥) آل عمران (٧٧) .

(٦) في (أ) : الزملكاني ، وما أثبتناه من (ب) لأنه المناسب للسياق .

(٧)

(٨) عن الحسن والشعبي - المحرر (٨٦/٥) .

(٩) عن علي ، ونعيم بن ميسرة ، والشعبي بخلاف عنه . البحر (٤٤/٤) ، وراجع ابن خالويه (٣٥) .

(١٠) هذه القراءة رويت عن الشعبي وغيره ، والقراءة السابقة رويت عن علي ، والسلمي ، والحسن البصري . البحر (٤٤/٤) .



إذاً لمن الآثمين/١٠٦) قال الزملكاني : « مقتضب من قوله :(ومن يكتمها فإنه آثم قلبه/٢٨٣) . (فإن عُثِر/١٠٧) الراغب : « عثر الرجل : سقط على شيء ، ويُتَجَوّز به فيمن يطلع على أمر من غير طلبه ، كقوله : (فإن عثر/١٠٧) الآية ، (وكذلك أعثرنا عليهم)[1] أي وقفناهم على شيء من غير أن طلبوا »[2] . (استحقا إثماً/١٠٧) قال الزملكاني : « كناية عن الخيانة » .

وقال الكرماني : « أي جزاء إثم ، فحذف المضاف »[3] . (استحقَّ عليهم) القراءة بالبناء للفاعل والمفعول . و(الأوليان) مرفوع تثنية الأولى ، وبالبناء للمفعول ، و(الأولين) جمع أوّل[4] . قرىء بالبناء للفاعل ، و(الأولان) مرفوع تثنية أوَّل[6] ، و(الأوليين) منصوب تثنية أوَّل[5] . قال الكرماني : « من قرأ الأوليان ، أراد الأقربان إلى الميت ، وهو بدل من آخران ، أو من ضمير (يقومان) أو خبر مبتدأ ، كأنه قيل : من هما ؟ . قيل : هما الأوليان بالميت . ومن قرأ الأوليين ، فهو نعت لجميع الورثة . ومن قرأ الأولان فمعناه المتقدمان بالدعوى من الأول والآخر » . وقال غيره : « معنى القراءة الأولى : من الذين استحقَّ عليهم الإثم ، أي جنى عليهم ، وهم أهل الميت وعشيرته ، ومعنى الثانية ، من الورثة الذين استحق عليهم أوليان بالشهادة ، أن يجرّدوهما لقيام الشهادة ، ومعنى الثالثة كالأولى ، ومعنى الرابعة ، من الذين استحقَّ عليهم الأولان ، رد اليمين والنصب في الخامسة على القطع » . (لشهادتنا أحق من شهادتهما/١٠٧) سُمِّي القَسَم هنا شهادة ، لشبهه بها في إيجاب الحق . (إنا إذاً لمن الظالمين/١٠٧) مناسب لقوله : (وما

(١) الكهف (٢١) .

(٢) المفردات (٣٢٢) مادة : عثر .

(٣) العجائب (١/٣٤٣) .

(٤) القراءة بالبناء للمفعول ، مع الجمع في (الأولين) هي قراءة حمزة، وأبي بكر،والقراءة بالبناء للفاعل ، مع تثنية (الأوليان) ، هي قراءة حفص ،والقراءة بالبناء للمفعول ، مع تثنية (الأوليان) هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٣٨) .

(٥) هذه قراءة الحسن . البحر (٤/٤٥) ، وابن خالويه (٣٥) .

(٦) وهي قراءة ابن سيرين . البحر (٤/٤٥) .



اعتدينا/١٠٧) ، كما ناسب (إنا إذاً لمن الآثمين/١٠٦) كتم الشهادة . (ذلك أدنى أن يأتوا/١٠٨) إلى آخره ، أبوحيان : « جمع الضمير في (يأتوا) وما بعده ، وإن كان السابق مثنى ، باعتبار النصف والنوع »[١] . (يوم يجمع الله الرسل/١٠٩) أبوحيان : « مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى ، لما أخبر بالحكم في شاهدي الوصية ، وأمر بتقوى الله ، والسمع والطاعة ذكّر بهذا[٢] اليوم المهول المخوف ، وهو يوم القيامة ، فجمع بذلك بين فضيحة الدنيا ، وعقوبة الآخرة لمن حرّف الشهادة ، ولم يتق الله ، ولم يسمع »[٣] . وقد قيل إن (يوم/١٠٩) منصوب باسمعوا ، أو باتقوا ، أو بلا يهدي ، أو بإضمار « واحذروا » ، أو على البدل من منصوب (واتقوا)[٤] ، وكل ذلك ظاهر الاعتلاق .

(مـاذا أُجبتم/١٠٩) قرىء بالبنـاء للفاعل[٥] . (قالوا لا عِلم لنا/١٠٩) أي بالبواطن ، قال المرسي[٦] : أي إنك تعلم ما أظهروا ، وما أضمروا ، ونحن لا نعلم إلا ما أظهروا ، فعِلمك[٧] فيهم أنفذ من علمنا ، فبهذا المعنى نفوا العلم عن أنفسهم ، لأن علمهم مع علم الله ، كلا علم »[٨] . (علّامُ الغيوب/١٠٩) قرىء

(١) البحر (٤٧/٤) قبل كلمة « باعتبار » ، عبارة « فقيل هو » .
(٢) في (أ) : بقوله .
(٣) البحـر (٤٨/٤) .
(٤) القول الأول هو قول النحاس . إعراب القرآن (٤٨/٢) .
والقول الثالث هو قول الزمخشري . الكشاف (٦٥٢/١) .
وهو ما ضعّفه ابن عطية . المحرر (٩٥/٥) .
وقد ذكر أبو حيان الأقوال السابقة ، ثم اختار أن يكون (يوم) مفعولاً لقوله : (قالوا لا علم لنا) ، أي قال الرسل وقت جمعهم ، وقول الله لهم (ماذا أُجبتم) البحر (٤٨/٤) .
(٥) عن ابن عباس ، وأبي حيوة . البحر (٤٩/٤) .
(٦) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي أبو عبد الله ، شرف الدين . أصله من مرسيه ، وهو عالم بالأدب والتفسير والحديث ، كان ضريراً ، من كتبه : « التفسير الكبير » وسماه « ريّ الظمآن » ، و« التفسير الأوسط » ، و« التفسير الصغير » ، و« الكافي » في النحو .
بغية الوعاة (٦٠) ، إرشاد الأريب (١٦/٧) ، نفح الطيب (٤٤٣/١) ، الوافي (٣٥٤/٣) .
(٧) في (أ) : فلعلمك .
(٨) 

بنصب (**علام**)[1] على الاختصاص ، أو النداء ، و(**أنت**) خبر إنّ[2] ، أو هو محذوف لفهم المعنى[3] ، أي إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره . وفي قراءة (**الغيوب**) بكسر الغين[4] ، حيث وقع ، لاستثقال توالي ضمتين مع الياء . (**إذ**) قيل : يحتمل أن يكون بدلاً من (**يوم يجمع**/١٠٩)[5] . (**أيَّدتك**/١١٠) قرىء بالمد[6] . (**تُكَلِّم الناس في المهد وكهلاً**/١١٠) قال الزملكاني : « أي في المهد كلام إخبار ، وفي الكهولة كلام إنذار ، وذلك وجه الإنعام » . (**فتنفخ فيها**/١١٠) قرىء (**فتنفخها**)[7] . (**فتكون**) قرىء بالتحتية[8] . (**وإذ تُخرِج الموتى**/١١٠) كناية عن الإحياء ، أو يقدّر أحياء . (**بإذني**/١١٠) كُرِّر أربع مرات . وفي آل عمران[9] مرتين ، لأن هذا موضع ذكر النعمة والامتنان بها ، فناسب الإسهاب ، وهناك موضع إخبار لبني إسرائيل ، فناسب الإيجاز . (**سِحر**/١١٠) في قراءة (**ساحر**)[10] ، فالإشارة إلى عيسى ، وعلى الأول ، إلى ما به . (**إذ قال الحواريون**/١١٢) قال ابن عطية : « هو اعتراض لما وصف حال قول الله لعيسى يوم القيامة »[11] ، ومن جملته

---

(١) عن يعقوب ، ابن خالويه (٢٦) .

(٢) بالبحر (٤٩/٤) : « أو صفة لاسم أن » . وهو ما قاله الزمخشري بالكشاف (٦٥٣/١) .
وقد علق أبو حيان على ذلك قائلاً : « وهذا الوجه الأخير ، لا يجوز ، لأنهم أجمعوا على أن ضمير المتكلم ، وضمير المخاطب لا يجوز أن يوصف ، وأما ضمير الغائب ، ففيه خلاف شاذ للكسائي » .
البحر (٩٤/٤) .

(٣) ذهب إلى ذلك أبو حيان ، البحر (٩٤/٤) .

(٤) عن حمزة ، وأبي بكر . البحر (٤٩/٤) .

(٥) قاله أبو حيان . البحر (٥٠/٤) .

(٦) عن مجاهد وابن محيصن. المحرر (٩٨/٥) .

(٧) عن ابن عباس . البحر (٥١/٤) .

(٨) وهي قراءة عيسى بن عمر . البحر (٥١/٤) .

(٩) وذلك في (. . . أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله . . .). آل عمران (٧٩) .

(١٠) قرأ بذلك حمزة ، والكسائي . حجة القراءات (٢٣٩) .

(١١) إلى هنا ينتهي كلام ابن عطية .
المحرر (١٠٣/٥) .



(وإذ أوحيتُ إلى الحواريين) ، اعترض بقصتهم في طلب المائدة ، ولهذا قَطعت عن العاطف . (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم/١١٦) قال الامام : « هذا معطوف على قوله (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك/١١٠) »[1] . (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك/١١٦) قال الإمام : « ذُكِر هذا الكلام على طريقة المطابقة والمشاكلة ، وهو من فصيح الكلام ، ثم قال:(إنك أنت علّام الغيوب/١١٦) وهذا تأكيد للجملتين المتقدمتين ، أعني قوله:(إن كنتُ قلتُه ، فقد علِمتَه/١١٦) ، وقوله:(تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك/١١٦) »[2]. (وإن تغفر لهم ، فإنك أنت العزيز الحكيم/١١٨) وقال السيد في شرح التلخيص[3] : « قد يكون التناسب ، كهذه الآية ، فإن قوله :(وإن تغفر لهم/١١٨) ، يُوهِم أن الفاصلة الغفور الرحيم ، لكن يُعرف بعد التأمل أن الواجب هو العزيز الحكيم ، لأنه لا يغفر لمن استحق العذاب ، لأن من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ، وهو العزيز أي الغالب من عزه غلبه ، ثم وجب أن يوصف بالحكيم ، لئلا يتوهم أنه خارج عن الحكمة ، إذ الحكيم من يضع الشيء في محلة »[4]. انتهى .

روى الواحدي أن في مصحف عبد الله (وإن تغفر لهم ، فإنك أنت العزيز الرحيم)[5]، قال الإمام : « سمعت شيخي ووالدي يقول : العزيز الحكيم هنا ، أولى من الغفور الرحيم ، لأن كونه غفوراً رحيماً ، يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة لكل محتاج ، وأما العزة والحكمة ، فهما لا يوجبان المغفرة ، فإن كونه عزيزاً ، يعني أن يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وأنه لا اعتراض لأحد عليه ،

(١+٢) التفسير الكبير (١٢/١٣٤ ، ١٣٥) .

(٣) هو عبد الله العجمي ، السيد جمال الدين النقركارا ، ومعناه : صانع الفقه ، له شرح اللب ، وشرح اللباب ، وشرح الشافعية في التصريف الذي ألفه للأمير «منكلي بغا» وهو قريب ٨٠٠هـ ، بغية الوعاة (٢/٧٠) .

(٤)

(٥) التفسير الكبير (١٢/١٣٧) .



فإذا كان عزيزاً متعالياً من جميع جهات الاستحقاق ، ثم حكم بالمغفرة ، كان الكرم هنا أتمّ مما إذا كان كونه غفوراً رحيماً ، يوجب المغفرة والرحمة ، وكانت عبارته -رحمة الله عليه- أنه يقول : عزّ عن الكل ، ثم حكم بالرحمة فكان هذا أكمل »[1] .

وقال قوم آخرون : « إنه لو قال : فإنك أنت الغفور الرحيم ، أشعر ذلك بكونه شفيعاً لهم ، فلما قال: (**أنت العزيز الحكيم**/١١٨) ، دلّ ذلك على أن غرضه تفويض الأمر بالكلية إلى الله ، وترك التعرض لهذا الباب من جميع الوجوه » . (**ولله ملك السموات والأرض وما فيهن ، وهو على كل شيء قدير**/١٢٠) قال الإمام : « في هذه الخاتمة الشريفة ، أسرار كثيرة ، منها أنه قال : (**وما فيهن**/١٢٠) ، ولم يقل « ومن فيهن » ، فغلّب غير العقلاء ، والسبب فيه التنبيه على أن كل المخلوقات مسخرات في قبضة قهره وقدرته ، وقضائه وقدره ، وهم في ذلك التسخير كالجمادات التي لا قدرة لها ، وكالبهائم التي لا عقل لها .

ومنها ، أن مفتتح السورة كان بذكر العهد المنعقد بين الربوبية والعبودية (**يـأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**/١) ، كما أن حال العبد أن يشرع في العبودية ، وينتهي إلى الفناء المحض عن نفسه بالكلية ، فالأول هو الشريعة وهو البداية ، والآخر هو الحقيقة ، وهو النهاية ، فمفتتح السورة من الشريعة ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته وقهره وعلوه ، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة ، فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح ، وهذا المختتم .

ومنها ، أن السورة اشتملت على أنواع كثيرة من العلوم ، فمنها بيان الشرائع والأحكام والتكليف ، ومنها المناظرة مع اليهود في إنكارهم شريعة محمد ﷺ ومنها المناظرة مع النصارى في قولهم بالتثليث ، فختم السورة بهذه النكتة الواقعة بإثبات كل هذه المطالب ، فإنه قال : (**لله ملك السموات والأرض وما فيهن ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ**/١٢٠) معناه أن كل ما سوى الحق -سبحانه- ، فإنه ممكن لذاته ،

---

(١) التفسير الكبير (١٣٧/٣٢) .



موجود بإيجاده ، وإذا كان الأمر كذلك ، كان مالكاً لجميع الممكنات والكائنات ، مُوجِداً لجميع الأرواح والأجساد ، وإذا ثبت هذا ، لزم منه ثبوت كل المطالب المذكورة في هذه السورة ، أما حسن التكليف كيف شاء وأراد ، فذاك ثابت ، لأنه لما كان مالكاً لذلك ، كان له أن يتصرف في الكل بالأمر والنهي والثواب والعقاب كيف شاء وأراد ، فصح القول بالتكليف على أي وجه أراده -سبحانه- ، وأما الرد على اليهود ، فلأنه -سبحانه- لما كان مالك الملك ، فله بحكم المالكية أن ينسخ شرع موسى ، ويشرع شرع محمد -ﷺ- وأما الرد على النصارى ، فلأن عيسى ومريم داخلان فيما سوى الله فثبت كونهما عبدين مخلوقين ، وظهر بالتقرير الذي ذكرناه أن هذه الآية التي جعلها الله خاتمة لهذه السورة ، برهان قاطع في صحة جميع العلوم التي اشتملت هذه السورة عليها ، والله أعلم بأسرار كلامه »[1]. انتهى)[2].

وأقول فيما ظهر لي بفضل الله : لما ذكر من آخر المائدة ، أنه له ملك السموات والأرض ، على سبيل الإجمال ، افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله ، فبدأ بذكر أنه خلق السموات والأرض ، وضم إليه أنه جعل الظلمات والنور ، وهو بعض ما تضمنه ما فيهن ، وبدأ بهما قبل سائر المخلوقات ، لأنهما لكونهما طرفي الزمان ، وذانك ظرفا المكان ، كانا كالمقابلين لهما ، فكأن كلًّا قسم برأسه . وضمير قوله : **(الحمد لله)** ، أن له ملك جميع المحامد ، وهو من بسط **(لله ملك السموات والأرض وما فيهن)** ، ثم ذكر خلق النوع الإنساني ، وقضى له أجلًا ، وأنه منشىء القرون قرناً بعد قرن ، ثم أتى بقوله: **(قل لمن ما في السموات والأرض ، قل لله/١٢)** ، فأثبت له ملك جميع المظروفات لظرفي الزمان ، فكانت هاتان الآيتان مطابقتين من حيث الترتيب للآية المصدّر بها ، فالآية الأولى لإثبات تلك الظروف ، والأخريان للملك المظروفات ، وذلك تفصيل **(لله ملك السموات والأرض وما فيهن)** ، ثم ذكر خلق سائر الحيوان ، من الدواب والطير ، ثم خلق النوم واليقظة

(١) التفسير الكبير (١٢/١٣٩ - ١٤٠) بتصرف .

(٢) إلى هنا ليس موجوداً في (أ) .



والموت ، ثم أكثر في أثناء السورة من ذكر الخلق والإنشاء لما فيهن من النَّيِّرَين والنجوم ، وفلق الإصباح ، وفلق الحب والنوى ، وإنزال الماء ، وإخراج النبات والثمار بأنواعها ، إنشاء جنات معروشات وغير معروشات ، والأنعام حمولة وفرشاً ، وكل ذلك تفصيل لملكه ما فيهن ، وهذه مناسبة جلية . ثم إنه تعالى لما ذكر في صدر السورة أنه مهلك القرون ومنشىء قرون آخرين خَلَفاً عنها ، ذكر في خاتمة السورة نحواً من ذلك فقال: **(وهو الذي جعلكم خلائف الأرض)** ، وهذه مناسبة لطيفة بين أول السورة وآخرها ، وقد قرَّرنا في الإتقان ، أن من لطيف المناسبات مناسبة مطلع السورة لخاتمتها[1]، وكذلك لما افتتح السورة ببدء الخلق ، ختمها بذكر أشراط الساعة ، ثم البعث في قوله: **(يوم يأتي بعض آيات ربك/١٥٨)** الآية . وقوله: **(ثم إلى ربكم مرجعكم/١٦٤)** الآية ، وكذلك قال في أولها **(قل أي شيء أكبر شهادة ، قل الله/١٩)** ، وقال في آخرها: **(قل هلُمَّ شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرَّم هذا/١٥٠)** ، وقال في أولها: **(ثم الذين كفروا بربهم يعدلون/١)** ، وقال في آخرها **(وهم يعدلون/١٥٠)** ، فهذه عدة مناسبات .

ووجه آخر ، وهو أنه لما كان من مقاصد السورة الرد على الكفار ، حيث حرَّموا ما أباح الله من الأنعام والحرث ، وأباحوا ما حرّم من الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أُهل به لغير الله ، ولذلك سُمِّيت السورة باسم الأنعام نظراً إلى المقصد الأهم ، ناسب به الافتتاح بذكر الخلق والملك ، لأن الخالق المالك هو الذي له التصرف في ملكه ومخلوقاته إباحة ومنعاً ، تحريماً وتحليلاً ، فيجب ألا يُتَعدَّى عليه بالتصرف في ملكه ، ولا يُعدل به غيره ، ولا يُسَوَّين ، ولذلك أكثر في السورة من ذكر الخلق والإنشاء ، خصوصاً في المأكولات ، وفصَّل نوع ذلك وبسطه أبلغ بسط ، وفصَّله أبين تفصيل ، وكرَّره أعظم تكرير ، وقال: **(قد فصلنا الآيات/٩٧ ، ٩٨)** ، وكانت تلك الآيات كبراعة التخلص إلى المقصود ، ولهذه النكتة أيضاً ، قال عند التفرد بالربوبية : (وهو يُطْعِم ولا يُطْعَم/١٤) ، فخص وصف الإطعام ، للإشارة إلى أنه

---

(١) انظر الإتقان (٣/٣٣٠) .



المطعِم لا سواه ، فيجب أن يقتصر على ما أذن في أكله ، أو منع ، ولا يتبع غيره في إذن في ذلك أو منع ، وضمَّ إليه **(ولا يُطْعَم)** تعريضاً بالأصنام التي جعلوا لها حصة في الطعام حيث قالوا : **(وهذا لشركائنا/١٣٦)** .

فهذا ما ظهر لي من اللطائف والمناسبات ، فسبحان من أنزله كتاباً لا تُحصى عجائبه ولا تستقصى بدائعه ، ثم ظهر لي وجه آخر ، وهو أنه لما كان المقصود من هذه السورة بيان الخلق والملك ، اقتصر منها على ما يتعلق بذلك ، فافتتح بذكر بدء الخلق وبدأ بالسموات والأرض ، لتقدم خلقهما على الليل والنهار ، ثم بهذين لتقدم خلقهما على خلق نوع الإنسان ، ثم بهذا ، لتقدم خلقه على خلق سائر الحيوان ، كما ورد بكل ذلك الآثار ، ثم ذكر من وسط السورة الوفاة التي هي وسط في بدء الخلق والبعث وذكر معها النوم ، الذي هو شبيه بها ، وقدَّمه عليها في الوجود ، وذكر قصة إبراهيم في محاجته قومه ، للإشارة إلى أن فائدة النظر في المخلوقات الاستدلال بالخلق على الخالق ، ولم يقع ذلك مبسوطاً في سورة غيرها ، ثم ذكر الأنبياء ، الذين هم رؤوس النوع الإنساني وهم في الوجود متأخرون عما سبق ذكره ، ثم دخل خلق النبات والأنعام ، الذين بهما قوام أبدان العالم ، وفصَّل ما أباح أكله فيما حرمه ، ثم ذكر وصايا أكثرها ، أو كلها متعلق بقِوام المعاش ، عن القتل الذي هو إتلاف الوجود ، وقتل الأولاد ، مخافة الفقر ، والفواحش كالزنى المؤدي إلى فساد الأنساب ، وهي من أركان الوجود المهمة ، وعدم قربان مال اليتيم ، والوفاء بالكيل والوزن ، وبالعهود ، والعدل في الأقوال ، وكل ذلك من المصالح الدنيوية التي يستقيم بها المعاش ، وأشار إلى النوع الملكي ، والنوع الشيطاني في آيات ، ثم أشار إلى أشراط الساعة ، ثم البعث .

قد جمعت هذه السورة جميع المخلوقات بأسرها ، وما يتعلق بها ، وما يرجع إليها الذي هو تفصيل « **لله ملك السموات والأرض ، وما فيهن/١٢٠** » ، وظهر بذلك مناسبة افتتاح السور المكية بها ، وتقديمها على ما تقدم نزوله فيها ، وهي في جمعها



العلوم والمصالح الدنيوية ، نظير سورة البقرة في جمعها العلوم والمصالح الدينية ، وما ذكر منها من العبادات المحضة فعلى وجه الاختصار ، والإيماء ، كنظير ما وقع في البقرة من علوم بدء الخلق ونحوه ، فإنه فيها على وجه الإيجاز والإشارة ، فلله الحمد على ما ألهم .

فإن قلت : فلم لا افتتح القرآن بهذه السورة مقدمة على سورة البقرة ، لأن علم بدء الخلق سابق على الأحكام والتعبدات ؟ .

قلت : للإشارة إلى أن مصالح الدين والآخرة ، مقدمة على مصالح المعاش والدنيا ، ولأن المقصود من الخلق ، إنما هو العبادة ، فقدّم ما هو الأهم في نظر الشرع ، ولأن علم بدء الخلق كالفضلة ، وعلم الأحكام والتكاليف متعيّن على كل أحد ، فلذلك لا ينبغي[1] النظر في علم بدء الخلق ، وما جرى مجراه من التواريخ ، إلا بعد النظر في علم الأحكام وإتقانه .

ثم ظهر لي وجه آخر ، وهو أنه لما كانت هذه السورة تفصيل قوله : (**لله ملك السموات/ ١٢٠**) الآية ، أتى فيها بقوله: (**له الملك ، يوم ينفخ في الصور/٧٣**) ، فنبه على الملك العظيم ، الذي لا تعارض فيه (**لمن الملك اليوم**)[2] ، وأكثر فيها من لفظ الرب ، الذي هو بمعنى الملّاك ، فقال: (**وهو رب كل شيءٍ/١٦٤**) أي مالك كل شيء ، (**والله ربنا/٢٣**) فزاد بعد القسم بالله ، ذكر الرب تنبيهاً على أنهم اعترفوا له بالملك يومئذ ، وكذا (**ولا نكذب بآيات ربنا/٢٧**) ، وتكرر ذكر الرب في هذه السورة في أكثر من خمسين[3] موضعاً[4] ، كقوله : (**بربهم يعدلون/١ ، ١٥٠**) ، (**من آيات ربهم/٤**) ، (**إني أخاف إن عصيت ربي/١٥**) ، (**إذ وقفوا على**

---

(١) في (ب) : ينبغي .

(٢) غافر (١٦) .

(٣) فراغ في النسختين ، وما أضفته هنا فهو بعد عدّ عدد مرات ورود لفظ « الرب » في هذه السورة من خلال المعجم المفهرس ، حيث كان العدد الإجمالي هو « اثنين وخمسين » موضعاً .

(٤) كلمة « موضعاً » ليست في (أ) .



ربهم/ ٣٠) (لولا نزّل عليه آيةٌ من ربه/ ٣٧) ، (ثم إلى ربهم يحشرون/ ٣٨) ، (والحمد لله رب العالمين/ ٤٥) ، (كتب ربكم على نفسه الرحمة/ ٥٤) ، (قل اني على بينةٍ من ربي/ ٥٧) ، (وأمرنا لنسلم لرب العالمين/ ٧١) ، (هذا ربي/ ٧٧) ، (إلا أن يشاء ربي شيئاً/ ٨٠) ، (وسع ربي كل شيءٍ علماً/ ٨٠) ، (ذلكم الله ربكم ، لا إلـه إلا هو خالق كل شيءٍ/ ١٠٢) ، (قد جاءكم بصائر من ربكم/ ١٠٤) ، (اتبع ما أوحي إليك من ربك/ ١٠٦) ، (ولو شاء ربك ما فعلوه/ ١١٢) ، (إنه مُنَزَّلٌ من ربك بالحق/ ١١٤) ، (وتمت كلمة ربك/ ١١٥) ، (إن ربك هو أعلم/ ١١٧) ، (وهذا صراط ربك/ ١٢٦) ، (لهم دار السلام عند ربهم/ ١٢٧) ، (ذلك أن لم يكن ربك/ ١٣١) ، (وما ربك بغافلٍ/ ١٣٢) ، (وربك الغني ذو الرحمة/ ١٣٣) ، (فقل ربكم ذو رحمةٍ واسعةٍ/ ١٤٧) ، (وهم بربهم يعدلون/ ١٥٠) ، (ما حرّم ربكم عليكم/ ١٥١) ، (بلقاء ربهم يؤمنون/ ١٥٤)، (فقد جاءكم بينةٌ من ربكم/ ١٥٧) ، (أو يأتي ربك ، أو يأتي بعض آيات ربك/ ١٥٨) ، (قل إنني هداني ربي/ ١٦) ، (لله رب العالمين/ ١٦٢) ، (قل أغير الله أبغي رباً / ١٦٤) ، (ثم إلى ربكم مرجعكم/ ١٦٤) ، (فإن ربك غفورٌ رحيمٌ/ ١٤٥)[١]، وقال في سائر السور (فإن الله)[٢]، فخص هذه السورة بذكر الرب ، لما تكرر فيها من لفظه المناسب لقصة تفصيل الملك واختار في هذه المواضع كلها لفظ الرب على لفظ المالك ، لما في الرب زيادة على معنى المالك ، من معنى التربية والإصلاح المناسب كل ذلك لبدء الخلق والإنشاء ، ثم ظهر لي وجه آخر ، وهو أنه لما ذكر في سورة المائدة (يأيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ، ولا تعتدوا/ ٨٧) إلى آخره ، ثم ذكر بعده (ما جعل الله من بحيرةٍ/ ١٠٣) إلى آخره ، فأخبر عن الكفار أنهم حرّموا أشياء مما

---

(١) ونص الآية هو : (.... فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ ، فإن ربك غفورٌ رحيم) .

(٢) كما في البقرة (١٧٣) .



رزقهم الله افتراءً على الله ، وكان القصد بذلك تحذير المؤمنين أن يحرّموا شيئاً مما أحلّ الله فيشابهوا بذلك الكفار في صنعهم ، وكان ذكر ذلك على سبيل الإشارة ، ساق هذه السورة لبيان ما حرَّمه الكفار ، فأتى به على الوجه الأبين ، والنمط الأكمل ثم حالهم فيه ، وأقام الدلائل على بطلانه ، وعارضهم وناقضهم ، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه القصة ، فكانت هذه السورة شرحاً لما تضمنته المائدة من ذلك على سبيل الإشارة والإجمال ، وتفصيلاً وبسطاً وإتماماً وإطناباً ، وهكذا شأن سور القرآن ، يكون لكل سورة مقصد هو فيها مبسوط ، ويُجمل فيها شيء يُبسط في السورة التي تليها ، فتكون كل سورة تفصيلاً لما أجمل في السورة التي قبلها .

وقال بعضهم : افتتاح هذه السورة بالحمد مناسب لذكره في آخر المائدة فصل القضاء كما قال:(**وقُضي بينهم بالحق ، وقيل الحمد لله رب العالمين**)[1] .

---

(١) الزمـر (٧٥) .



سورة الأنعام

قال أبو حيان : « مناسبة افتتاح هذه السورة لآخر المائدة ، أنه تعالى لما ذكر ما قالته النصارى في عيسى وأمه ، من كونهما إلهين ، وجرت تلك المحاورة وذكر ثواب الصادقين ، وأعقب ذلك ، بأن له ملك السموات والأرض وما فيهن ، وأنه قادر على كل شيء ، عقَّبه بأن له الحمد المستغرق جميع المحامد ، فلا يمكن أن يثبت معه شريك في الإِلٰهية ، فيُحمد ، ثم نبّه على العِلة المقتضية لجميع المحامد ، والمقتضية لكون ملك السموات والأرض ، وما فيهن له بوصف خلق السموات والأرض ، لأن الموجد للشيء المنفرد باختراعه ، له الاستيلاء والسلطنة عليه ، ولما تقدم قولهم في عيسى وكفرهم بذلك ، وذكر الصادقين وجزاءهم ، أعقب خلق السموات والأرض ، بجعل الظلمات والنور ، فكان ذلك مناسباً للكافر والصادق »[1] .

(**خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور/١**) أتى في الأول بخلق ، في الثاني[2] بجعل ، قال في الكشاف : « الفرق بين الخلق والجعل ، أن الخلق فيه معنى التقدير ، وفي الجعل معنى التصيير ، كإنشاء شيء من شيء ، أو تصيير شيء من شيء ونقله من مكان إلى مكان ، ومن ذلك : (**وجعل منها زوجها**)[3] ، (**وجعل الظلمات والنور**)[4] ، لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة ، والنور من النار[5] ، (**أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً**)[6] . وناسب عطف الصلة الثانية بمتعلقها من جمع الظلمات وإفراد النور ، على الصلة الأولى بمتعلقها من جمع السموات ، وإفراد الأرض ، وتقدم في البقرة الكلام على جمع الأولين ، وتقديمهما ، وإفراد الآخرين

(١) البحر (٤/٦٧) .

(٢) في (أ) : الثانية .

(٣) الأعراف (١٨٩) .

(٤) الأنعام (١) .

(٥) في النسختين (وجعلناكم أزواجاً) ، وذلك خطأ ، ولذلك لم أثبته هنا ، حيث أن الصواب : (وخلقناكم أزواجاً) ، النبأ (٨) .

(٦) سورة ص (٥) .



وتأخيرهما . والمراد بالظلمات والنور هنا المعنى الحقيقي ، ردّاً على الدهرية النافين للفاعل المختار ، وعلى الزنادقة النافين لخلق الله الظلمة ، ولكل شيء قبيح[1] . وقيل المجازي ، أي الكفر والإيمان[2] ، ويحتمل إرادتهما معاً[3] . (ثم الذين كفروا/١) ابن عطية : « (ثم) دالّة على قُبح فعل الذين كفروا ، لأن المعنى أن خلقه لما ذُكر ، قد تقرَّر ، وآياته قد سطعت وإنعامه بذلك قد تبيَّن ، ثم بعد هذا كله ، عدلوا بربهم ، فهذا كما تقول : يا فلان أكرمتك ، وأحسنت إليك ، ثم تشتمني ، أي بعد وضع هذا كله ، ولو وقع العطف في هذا ونحوه بالواو ، لم يلزم التوبيخ كلزومه بثم »[4] ، ونظيره (ثم أنتم هؤلاء/٨٥) الآية . الكشاف : « فإن قلت : فما معنى (ثم/٨٥) ؟ . قلت : استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته ، وكذلك (ثم أنتم تمترون/٢) استبعاد ، لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم » . قال « ثم جملة (ثم الذين كفروا/١) معطوفة ، إما على (الحمد لله/١) ، على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق ، لأنه ما خلقه إلا نعمة ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، فيكفرون نعِمه ، وإما على (خلق السموات/١) على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ، ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه »[5] . (بربهم) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ، إذ الأصل « به » تنبيهاً على سوء صنيعهم ، حيث عدلوا بربه ، الذي هو مالكهم ومربيهم ومصلحهم ومسدي كل نعمة إليهم ، ثم هو من معنى الأمر السابق ، لا لفظه ، للإشارة المذكورة ، ولأنه أحسن في العربية من إعادته بلفظه . (يعدلون) أي يسوّون

---

(١) قاله مجاهد ، البحر (٤/٦٨) .

(٢) قاله الحسن ، البحر (٤/٦٨) .

(٣) ذهب إلى ذلك الواحدي ، البحر (٤/٦٨) .

ولعل الراجح هنا أن يقال : إن المراد هنا هو المعنى الظاهري من اللفظ ، أي الليل والنهار ، إذ لا ضرورة في العدول عن هذا الظاهر ، وخاصة أن (الظلمات) و(النور) اقترنا بالسموات والأرض في الآية ، والله أعلم .

(٤) المحرر (٥/١١٢) .

(٥) الكشاف (٢/٤) بتصرف .



به غيره في الإلٰهية والخلق والإيجاد. (**خلقكم من طينٍ/٢**) أي أصلكم آدم، أو من عرق طِين[1]. (**ثم قضى/٢**) هو الترتيب الذكري، لأن القضاء في الأزل، أو يفسّر بمعنى أظهر. (**أجلاً وأجلٌ مسمىً عنده/٢**) أعاد الثاني نكرة، فهو غير الأول، وقدّم على الظرف وإن كان السائر عكسه، نحو: عندي ثوب، تعظيماً لشأن الساعة، قاله في الكشاف[2]. أبوحيان: «في (**خلقكم/٢**) التفات من الغيبة في (**الذين كفروا/١**) وإن كان الخلق عاماً لهم وللمؤمنين، لأنه قصد[3] به تنبيه الكافر على أصل خلقه لقوله بعد: (**ثم أنتم تمترون/٢**)، فلا يندرج فيه من اصطفاه الله تعالى بالنبوة والإيمان»[4].

الشيخ سعد الدين: «أوثر في (**خلقكم/٢**) ضمير الخطاب، لأن الدليل الأنفسي يقرب إلى الناظر من دليل الآيات المشار إليه بقوله: (**خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور/١**)، والشكر عليه أوجب، وقد أُشير في كل من الدليلين إلى المبدأ والمنتهى، وما بينهما، فيتدبر». (**وهو الله/٣**) الآية، قال أبوحيان: «لما ذكر ما يدل على القدرة التامة والاختيار، ذكر ما يدل على العلم التام»[5].

قلت: فقدم دليل القدرة ليكون أول السورة مرتبطاً بقوله في آخر التي قبلها (**وهو على كل شيءٍ قديرٌ/١٢٠**)، والضمير عائد لما عاد عليه الضمائر السابقة[6]، وقيل هو ضمير الشأن، حذراً من اتحاد المبتدأ والخبر لفظاً ومعنى، إذ يصير التقدير: والله الله[7] متعلق بيعلم. وقال الزجاج: «ما تضمنه اسم الله من

(١) أي أن التأويل هنا على حذف مضاف إما في (خلقكم)، أي خلق أصلكم، وإما في (من طين)، أي من عرق طين... قال ذلك أبوحيان، البحر (٧٠/٤).
(٢) الكشاف (٥/٢).
(٣) في البحر (٧١/١): لكنه.
(٤) البحر (٧١/٤) بقليل من الاختصار.
(٥) البحر (٧١/٤ - ٧٢).
(٦) وهو الله، وهذا قول الجمهور - كما في البحر (٧٢/٤).
(٧) قاله أبو علي، البحر (٧٢/٤).



المعاني[١] ، كقولك أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب »[٢] . قال ابن عطية : « وهـذا عنـدي أفضل الأقوال ، وأكثرها إحرازاً لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى ، وإيضاحه أنه تعالى أراد أن يدل على خلقه وآثار قدرته وإحاطته واستيلائه ، ونحو هذه الصفات ، فجمع هذه كلها في قوله :(**وهو الله/٣**) أي الذي له هذه كلها في السموات وفي الأرض ، كأنه قال : وهو الخالق والرازق والمحيط في السموات وفي الأرض ، كما تقول : زيد السلطان في الشام والعراق ، ولو قصدت ذات زيد ، لقلت محالاً ، فإذا كان مقصد قولك[٣] زيد السلطان ، مقام هذه ، كان فصيحاً صحيحاً ، فكذلك في الآية ، أقام لفظة (**الله**) مقام تلك الصفات المذكورة »[٤] . انتهى . (**يعلم سركم وجهركم/٣**) خبر في ضمنه تحذير . الإمام : «المراد بالسرّ صفات القلوب ، وهي الدواعي والصوارف ، وبالجهر أعمال الجوارح . وقدّم السر ، لأن داعية القلب علةٌ لفعل الجارحة ، والعلة سابقة على المعلول بالذات ، فقدّمت في اللفظ »[٥] . التبريزي[٦] : « معناه : يعلم ما تخفون من نياتكم وأعمالكم ، وما

---

(١) أي أن قوله : (في السمـوات . . .) متعلق بما تضمنـه اسم الله من المعـاني . . . » . كما في البحـر (٧٢/٤) ، والمحرر (١٢٦/٥) .

(٢) معاني القرآن له (٢٢٨/٢) .

(٣) في المحرر (١٢٧/٥) : « فإذا كان مقصد قولك : زيد الآمر الناهي الناقض المبرم الذي يعزل ويولي في الشام والعراق فأقمت « السلطان » مقام . . .

(٤) المحـرر (١٢٧/٥) .
وقد نقل أبو حيان كلام الزجاج السابق الذكر ، وتعليق ابن عطية عليه ، ثم قال :
« وما ذكره الزجاج ، وأوضحه ابن عطية ، صحيح من حيث المعنى ، لكن صناعة النحو لا تساعد عليه ، لأنهما زعما أن في السموات متعلق بلفظ الله ، لما تضمنه من المعاني ، ولا تعمل تلك المعاني جميعها في اللفظ ، لأنه لو صرح بها جميعها ، لم تعمل فيه ، بل العمل من حيث اللفظ لواحد منها ، وإن كان في السموات متعلقاً بها جميعاً من حيث المعنى ، بل والأولى أن يعمل في المجرور ما تضمنه لفظ الله من معنى الألوهية وإن كان لفظ الله علماً ، لأن الظروف والمجرور قد يعمل فيهما العلم بما تضمنه من المعنى . . . » . البحر (٧٢/٤) .

(٥) التفسير الكبير (١٥٦/١٢) .

(٦) هو علي عبد الله بن الحسين بن أبي بكر الأردبيلي التبريزي ، أبو الحسن ، تاج الدين . ولد في أردبيل بأذربيجان ، وسكن تبريز ، ورحل إلى بغداد ومكة ومصر، وأصم في آخر عمره . =



تظهرون من أعمالكم ، وما تكسبون عام لجميع الاعتقادات والأقوال والأفعال ، وكسب كل إنسان عمله المفضي به إلى اجتلاب نفع ، أو دفع ضرّ ، ولهذا لا يوصف به الله تعالى »[1] . الكشاف : « فإن قلت : كيف موقع قوله : (**يعلم**) إلى آخره ؟ قلت : إن أراد المتوحد بالإلهية ، كان تقريراً له ، لأن الذي استوى في عمله السر والعلانية[2] ، هو الله وحده ، وإلا فهو مستأنف »[3] . (**وما تأتيهم/ ٤**) فيه التفات عن الخطاب إلى الغيبة ، ونكتته فيما ظهر لي ، أنه لما حكى تعالى عنهم في هذه الآية وصف الإعـراض ، أعرض عن خطابهم تحقيراً لهم . أبوحيان: « لما تقدّم الكلام أولاً في التوحيد ، وثانياً في المعاد ، وثالثاً في تقرير هذين المطلوبين ، ذكر بعد ذلك ما يتعلق بتقرير النبوة ، (**وتأتيهم/ ٤**) ماضـي المعنى ، و(**كانوا/ ٤**) مستقبل المعنى ، و(من) الأولى زائدة لتأكيد الاستغراق والثانية للتبعيض ، وتقديم (**عنها**) للفاصلة »[4] . (**فقد كذَّبوا بالحق/ ٥**) أي بالآية التي تأتيهم ، من إقامة الظاهر مقام المضمـر ، تقـريراً لوصف الآية بالحق . وقال الزمخشري : « هو مردود على كلام محذوف ، أي إن كانوا معرضين عن الآيات ، فقد كذَّبوا بما هو أعظم وأكبر ، وهو الحق ، يعني القرآن الذي تُحدّوا به ، فعجزوا عنه »[5] . (**فسوف/ ٥**) معطوف على محذوف دلّ عليه آخر الآية ، أي واستهزؤوا به ، قاله أبوحيان[6] .

قلت : فعـلى هذا يكـون في الآية احتبـاك ، ويكون حذف من الثانية جملة التكذيب . أبوحيان: « هذه رُتَب ثلاث صدرت من هؤلاء الكفار ، الإعراض عن تأمـل الدلائل ، ثم التكذيب ، وهو أزيد من الإعراض ، إذ المعرض قد يكون

= وقد كان من علماء الشافعية ، له كتاب كبير في « الأحكام » ، وكتب في التفسير والحديث والأصول والحساب ، توفي سنة ٧٤٦هـ .

الدرر الكامنة (٣/ ٧٢) ، معجم الأطباء (٣٠٧) .

(١) البحـر (٤/ ٧٣) .

(٢) في النسختين : أعلمه في السر والعلانية ، وما أثبتناه من الكشاف .

(٣) الكشاف (٢/ ٥) باختصار .

(٤) البحـر (٤/ ٧٣ - ٧٤) بتصرف .

(٥) الكشـاف (٢/ ٥) .

(٦) البحـر (٤/ ٧٥) .



غافلاً عن الشيء ، ثم الاستهزاء ، وهو أزيد من التكذيب ، إذ المكذب قد لا يبلغ إلى حد الاستهزاء »[1] . (**أنباء**) فيه حذف ، أي تضمن[2] أنباء ، والنبأ : الخبر الذي يعظم وقعه . (**ما كانوا به يستهزئون** /٥) علّق التهديد بالاستهزاء دون الإعراض والتكذيب ، لتضمنه إياهما ، إذ هو الغاية القصوى في إنكار الحق « وجاء هنا تقييد الكذب بالحق ، والتنفيس بسوف ، وفي الشعراء (**فقد كذبوا فسيأتيهم**/٦) ، لأن الأنعام متقدمة في النزول عليها ، فاستوفى فيها اللفظ ، وحذف من الشعراء ، وهو مراد إحالة على الأول ، وناسب الحذف الاختصار في حرف التنفيس ، فجاء بالسين » ، قاله الكرماني[3] .

وقال ابن جماعة : « هنا أبهم الحق ولم يصح بالقرآن ، وصرّح به في الشعراء في قوله : (**ما يأتيهم من ذِكرٍ من الرحمن محدثٍ**/٥) ، فناسب أن يبهم ، تعظيماً لشأن القرآن ، لأن السين أقربُ من سوف »[4] . وقال صاحب المناجاة : يمكن حمل الموعود به على عذاب الآخرة وهو بعيد ، وفي الشعراء على عذاب الدنيا ، من القتل وغيره ، وهو قريب . فناسب كل موضع ، حرفه » . (**ألم يروا**/٦) لما هددهم وأوعدهم على إعراضهم وتكذيبهم واستهزائهم ، أتبع ذلك بما يجري مجرى الموعظة والنصيحة ، وحضّ على الاعتبار بمن قبلهم ممن فعل كفعلهم ، فأُهلك مع كونهم أشد منهم قوة وتمكيناً . و« من » الأولى ابتدائية ، والثانية تبعيضية . الكرماني : « قال هنا (**ألم يروا**/٦) وفي الشعراء (**أولم يروا**/٧) بزيادة واو ، وفي سبأ (**أفلم يروا**/٩) بالفاء ، والضابط أنه حيث كان الثاني يقتضي النظر والاستدلال ، جاء بغير واو كما هنا ، وحيث كان يقتضي الاعتبار بالحاضر والمشاهدة ، جاء بالواو ، لعطف الجملة على الجملة قبلها ، وذكر الفاء فيما هو أشد اتصالاً بما قبلها »، قال :

---

(١) البحر (٤/٧٥) .

(٢) في (ب) : مضمر .

(٣) أسرار التكرار (٦٤ - ٦٥) بمعناه . وقد نقل المؤلف هذا النص هنا من البحر (٤/٧٥) .

(٤) كشف المعاني (١٢٣) .



« فلا يُنقض هذا الأصل بقوله: (ألم يروا إلى الطير مسخراتٍ)[1]، حيث جاء بلا واو، وهو مشاهد، لأنه متصل بقوله (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم)[2] وسبيله الاعتبار بالاستدلال، فبنى عليه (ألم يروا إلى الطير) »[3]، وذكر الإمام مثله وقال: « أنه لا يُنقض بقوله (أو لم يروا أن الله يبسط الرزق)[4] الآية »، قال: « لأن بسط الرزق والفقر إن لم يُشاهد[5]، فلهما أمارات تُرى وتُشاهد من لوازم الفقر والغنى »[6]. (مكَّنَّاهم/٦) جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ما كان من حالهم؟. (نُمَكِّن لكم/٦) فيهم التفات عن الغيبة إلى الخطاب، زيادة في تقريعهم.

قلت: وظهر لي نكتة أخرى، وهي الفرار من تخالف مرجع الضمائر، لو قيل لهم: (من)[7]، (مكناهم)[8]، و(عليهم/٦)، وما بعده، فإنها للفارين ولهم، ولو قيل لكفار مكة، فكانت الضمائر تتخالف، فعدل إلى الخطاب، لتجري ضمائر الغيبة على نسق واحد في المرجع[9]، بخلاف الضميرين أول الآية، لأنهما جاءا قبل ذِكر القرون[10]، واستُعمل مكّن في الأرض مُعَدًّى بنفسه، وفي الثانية باللام، تفنناً، وكلاهما فصيح. (وأرسلنا السماء/٦) قيل: هو المطر، وقيل: السماء المظلمة، على حذف مضاف، أي مطر السماء[11]. (مِدراراً) يوصف به المذكر والمؤنث للمبالغة في اتصال المطر ودوامه وقت الحاجة. (وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) « أغرب من فسّر الأنهار هنا، وفي قوله: (وهذه الأنهار تجري من تحتي)[12]

(١+٢) النحل (٧٩)، (٧٨).

(٣) أسرار التكرار (٦٥).

(٤) الروم (٣٧).

(٥) في (ب): يشاهد.

(٦) لم أعثر على ذلك في تفسيره.

(٧+٨) في (أ): بين، مكانهم.

(٩) في (أ): المربع.

(١٠) في (أ): القرآن.

(١١) انظر البحر (٧٦/٤)، والمحرر (١٣١/٥).

(١٢) لزخرف (٥١).



بالخيل ، وإن كان الفرس الواسع الخطوة يسمى بحراً ونهراً »[1] . **(وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين/٦)** فائدة ذكره إظهار القدرة التامة على إفناء ناس ، وإنشاء أناس ، وأنه تعالى لا يتعاظمه أن يُهلك قرناً ويخرِّب بلاده ، وينشيء مكانه آخر ، وفيه تعريض للمخاطبين بإهلاكهم إذا عصوا وإنشاء آخرين مكانهم ، ووصف قرناً بآخرين ، وهو جمع ، حملاً على المعنى ، مراعاة للفاصلة . **(ولو نَزَّلنا/٧)** الآية نزلت فيمن قال: **(ولن نؤمن لِرُقِيِّك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه)**[2]، ومناسبة ذكرها بعد ما تقدم ، أنه تعالى لما ذكر تكذيبهم بالحق ، وإعراضهم ، واستهزاءَهم كان مظِنَّة أن يُتوهَّم أنه لو جيء بالآية التي اقترحوها ، لم يعرِضوا ، ولصدقوا ولم يستهزؤوا ، فأخبر بأنه لو نزل عليهم كتاب في قرطاس ، وجسّوه بأيديهم ، لم يزدهم ذلك إلا تكذيباً ، وادّعوا أن ذلك من باب السحر لا من باب المعجز ، عناداً وتعنتاً ، وأن من كان له أدنى مسكة من عقل ، لا ينازع فيما أدركه البصر ، فضلاً عما لمسه باليد ، فذكر اللمس لأنه أبلغ ، ولأن الرؤية يقولون فيها سُكِّرت أبصارنا ، ولأنه يحصل به العلم للأضرّاء ، ولأنه أبعد عن السحر ، وعن التزوير ، وقيّده باليد ، مبالغة في التأكيد ، ولأنها أقوى من اللمس من سائر الأعضاء ، لأنه قد يُطلق ، ويراد به الفحص عن الشيء والكشف عنه ، كما في قوله : **(وأنا لمسنا السماء)**[3]، فذكر اليد ، لإزالة توهم إرادته . **(لقال الذين كفروا/٧)** فيه عدول إلى الظاهر عن المضمر ، تنبيهاً على علة القول ، وهي الكفر . **(وقالوا/٨)** استئناف ، أو عطف على جواب لو **(عليه)** فيه التفات عن ضمير الخطاب في **(عليك)**. **(ولو أنزلنا ملكاً/٨)** أي فكذبوه. **(وللبسنا)** قرىء بالتشديد ، وقرىء بلام واحدة ، مخففاً[4]. **(ولقد استُهزىء/١٠)** هذه تسلية للنبي ﷺ عن استهزائهم ، وتعريض بكفايته شرهم . **(من قبلك/١٠)** فيه التفات . **(سيروا في**

---

(١) هذه عبارة أبي حيان مع قليل من التصرف . انظر البحر (٤/٧٧) .
(٢) الإسراء (٩٣) .
(٣) الجن (٨) .
(٤) القراءة بتشديد الباء هي قراءة الزهري ، والقراءة بتخفيفها هي قراءة ابن محيصن . البحر (٤/٧٩) .



الأرض ، ثم انظروا/١١) في سائر المواضع **(فانظروا)**[١]. قال الزمخشري في الفرق: «جعل النظر مسبباً عن السير في قوله: **(فانظروا)** ، فكأنه قيل : سيروا لأجل النظر ، ولا تسيروا سير الغافلين ، وأما سيروا ثم انظروا ، فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع ، وإيجاب النظر في آثار الهالكين ، ونبّه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح »[٢]، انتهى . وقال الكرماني والإمام : « لما ذكر هنا إهلاك القرون ، وإنشاء قرن بعد قرن ، ناسب ثم التي للتراخي ، لأن استقراء الدنيا ، وتأمل الآثار الكثيرة فيها ، يحتاج إلى زمان طويل ، ولم يتقدم في سائر المواضع مثله[٣]، فجيء بالفاء الدالة على التعقيب »[٤]. قال ابن جماعة : « ولما تقدم هنا ذكر التكذيب ، ناسب الختم بالمكذبين ، ولما تقدم في غيرها ، ختم بغيره ففي النمل بالمجرمين[٥]، وفي العنكبوت بقوله: **(كيف بدأ الخلق/ ٢٠)** الآية ، وفي الروم بقوله: **(كيف كان عاقبة الذين من قبل ، كان أكثرهم مشركين/٤٢)** ختماً لكلٍّ بها يناسب ما قبله »[٦]. **(قل لمن ما في السموات/١٢)** أبوحيان: « لما ذكر تعالى تصريفه فيمن أهلكهم بذنوبهم ، أمر نبيه -عليه السلام- بسؤالهم ذلك ، فإنهم لا يمكنهم أن يقولوا إلا أن ذلك لله ، فيلزمهم بذلك أنه تعالى المالك لهم ، وهذا السؤال سؤال تبكيت وتقرير ، ثم أمره تعالى بنسبة ذلك لله ، ليكون أول من بادر إلى الاعتراف بذلك ، وقيل : في الكلام حذف ، تقديره : فإذا لم يجيبوا ، قل : لله »[٧].

قلت : وقد قدّمت أول السورة ، أن المقصود بها إثبات ملك السموات والأرض ، وما فيهن لله ، وأن عادة القرآن الاستطراد من المقصود إلى غيره بأدنى

---

(١) وذلك في آل عمران (١٣٧) ، والنحل (٣٦) ، والنمل (٦٩) ، والعنكبوت (٢٠) ، والروم (٤٢) .

(٢) الكشاف (٢/ ٧) .

(٣) آل عمران (١٣٧) ، النحل (٣٦) ، النمل (٦٩) ، الروم (٤٢) .

(٤) أسرار التكرار (٦٥) ، ولم أعثر على هذا النص في التفسير الكبير.

(٥) وذلك في قوله تعالى : **(فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين)** النمل (٦٩) .

(٦) كشف المعاني (١٢٥) .

(٧) البحر (٤/ ٨١) .



ملاءمة ، ثم العود إلى المقصود ، وكذا هذه السورة لا يزال يستطرد فيها من ذكر الخلق والملك والإنسان إلى غيره . ثم يعود إليه وهكذا من أول السورة إلى آخرها .

(**كتب على نفسه الرحمة/١٢**) أبوحيان : « لما ذكر تعالى أنه موجد العالم ، المتصرف فيه بما يريد ، دلّ ذلك على نفاذ قدرته ، أردفه بذكر رحمته وإحسانه إلى الخلق »[١] .

وأقول : لما ذكر تعالى أن له ما في السموات والأرض ، وذلك تصريح بالوحدانية ومن شأن الواحد في ملكه القهر والسطوة والجبروت ، وذلك مما يكاد ينصدع له قلوب المؤمنين الخاشعين ، ويستشعر منه الوجل والفزع ، أردفه بذكر الرحمة تسكيناً لروعهم ، وتطميناً لقلوبهم ، وأوردها بلفظ كتب ، وعلى ، المستَعْمَلَين في اللزوم والوجوب تأكيداً لثبوتها ، لأن وعده تعالى لا يُخلَف . وقد ورد في الحديث الصحيح : (لما فرغ الله من الخلق ، وقضى القضية ، كتب كتاباً عنده فوق العرش ، إن رحمتي تغلب غضبي) ، وفي رواية (سبقت غضبي)[٢] . وبهذا عرفت مناسبة ذكر هذه الجملة في هذه السورة ، لأنها كما دلّ عليه الحديث من جملة بدء الخلق الذي السورة شرح له ، كما بينته فيما تقدم ، ولهذا أعادها مرة ثانية في قوله :(**كتب ربكم على نفسه الرحمة/٥٤**) تأكيداً لثبوتها ، زاد هناك (**ربكم**) ، لأن ما هنا خطاب للكفار ، فلم يذكر فيه لفظ الرب ، إبعاداً لهم عنه وما هنا خطاب للمؤمنين ، حيث قال : (**وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل/٥٤**) إلى آخره ، فذكر فيه لفظ الرب مضافاً إليهم ، تشريفاً لهم وإشعاراً بمراعاته[٣] لمصالحهم ، وتربيتهم ، وتأنيساً لهم في الخطاب . وقدّم عليه هناك قوله :(**سلامٌ عليكم/٥٤**) ، الذي هو تحية المسلمين ، والسلام قبل الكلام . ولما كان الخطاب هنا للكفار ، لم يذكر السلام ،

---

(١) البحر (٨١/٤) .

(٢) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ :

« لما فرغ الله من الخلق ، كتب على عرشه ، (رحمتي سبقت غضبي) » ، المسند (٤٦٦/٢) .

ورواه البخاري أيضاً (١٨٧/٧ - ١٨٨) كتاب التوحيد - باب (٢٨) .

(٣) في (ب) : ثم اعامه .

إذ لا سلام على كافـر ، هذا ما ظهـر لي ، والله أعلم . **(ليجمعنكم إلى يوم القيامة/١٢)** لما ذكر رحمته لعباده ، ذكر يوم الجزاء ، الذي يظهر فيه أنواع رحمته الكثيرة ، وقد ورد في الحديث ، أن الله خلق مائة رحمة ، فأنزل في الأرض منها رحمة واحدة وأمسك عنده تسعة وتسعين ، يرحم بها عباده يوم القيامة(١) . وإلى قيل : بمعنى الـلام . وقيل : بمعنى في . وقيل : زائـدة . والصحيح على بابهـا من الغاية(٢) . **(لا ريب فيه/١٢)** أي في يوم القيامة . وقيل : في الجمع المفهوم من الفعل . **(الذين)** قال الأخفش : « هو بدل من ضمير الخطاب في **(ليجمعنكم)** فصحّ الـربط(٣) ، وإن كان الضمـير عاماً ، لأنه بدل بعض من كل . وفائدته تخصيص المنكرين للجمع بالوعيد ، ويصح كون الضمير خاصاً بالمنكرين ، فيكون بدل كل من كل(٤) ، وأعـربـه الزجاج مبتدأ ، والخبر **(فهم لا يؤمنون/١٢)**(٥) . فيكون جملة استئنافية ، لبيان أن المنكرين للجمع المرتابين في يوم القيامة خاسرون . **(وله ما سكن في الليل والنهار/١٣)** لما ذكر تعالى أن له ملك ما حوى المكان من السموات والأرض ، ذكر أن له ملك ما حوى الزمان من الليل والنهار ، وإن كان كلٌّ من المكان والزمان يستلزم الآخر ، لكن النصّ عليهما أبلغ في التأكيد . قال أبوحيان : « وقدّم المكان ، لأنه أقرب إلى العقول والأفكار من الزمان »(٦) .

---

(١) روى مسلم أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول :
(جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها ، خشية أن تصيبه) .
مسلم (٢١٠٨/٣) كتاب التوبة - باب (٤) .

(٢) وهو ما رجحه ابن عطية ، المحرر (١٣٩/٥) .
واستظهره أبو حيان ، وقد جوّز القول الأول ، واستبعد القولين الأخيرين . البحر (٨٢/٤) .

(٣) معاني القرآن للأخفش (٢٦٩/٢) .
وقد استبعد ذلك أبو البقاء ، لأن ضمير المتكلم والمخاطب لا يبدل منهما لوضوحهما غاية الوضوح ، وغيرهما دون ذلك . الإملاء (٢٢٦/١) .

(٤) هذا الكلام هو ملخص تعقيب أبي حيان على ردّ ابن عطية لقول الأخفش . انظر البحر (٨٣/٤) .

(٥) معـاني القـرآن (٢٣٢/٢) ، والبحر (٨٣/٤) .

(٦) البحـر (٨٣/٤) .



قلت : ولأنه أسبق خلقاً كما تقدم ، وفيه هنا المطابقة للآية المصدَّر بها السورة كما أشرت إليه قبل . وهنا محذوف ، أي وما تحرك ، فحُذف اكتفاء ، (واقتصر على الساكن ، **لأن كل متحرك قد يسكن ، وليس كل ساكن يتحرك . وقيل : لأن** السكون أكثر وجوداً من الحركة) »[1] . **(وهو السميع العليم/١٣)** صفة السمع مناسبة لما تقدم من المحاورات مع الكفار المكذبين ، وصفة العلم مناسبة لمعنى الجزاء الذي هو في يوم الجمع. **(قل أغير الله أتخذ ولياً/١٤)** لما تقدم أنه تعالى اخترع الموجودات ، وأنه مالك ما تضمنه المكان والزمان ، أمر نبيه أن يقول لهم على سبيل التوبيخ ، إن من هذه صفاته هو الذي يُتخذ وليّا وناصراً ومعيناً ، لا الآلهة التي هي لكم ، إذ هي لا تخلق ، ولا تضر ، ولا تنفع ، ولا تُطعِم . ودخلت الهمزة على الاسم دون الفعل ، لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليًّا ، لا في اتخاذ الولي . وقال الطبري : « الآية جاءت جواباً للكفرة ، الذين دعوه إلى عبادة أوثانهم »[2] . **(فاطر)** بالجر . نعت الله ، أولله بدل[3] . وقرىء بالرفع بإضمار هو . وبالنصب[4] بالمدح[5] . وقيل: صفة لغير[6]، أي أأجعل فاطر السموات والأرض غير الله . وقرىء **(فطر)** فعلاً ماضياً[7] . **(وهو يُطعَم/١٤)** أي يَرزق ولا يُرزق .

---

(١) ما بين القوسين هو نص كلام أبي حيان البحر (٨٣/٤) .

(٢) جامع البيان (٢٨٢/١١) .
وقد تعقب أبو حيان قول الطبري ، فقال : « وهذا يحتاج إلى سند في أن سبب نزول هذه الآية هو ما ذكره » ، البحر (٨٥/٤) .

(٣) القول الأول هو توجيه ابن عطية ، المحرر (١٤٢/٥) ، والزمخشري - الكشاف (٨/٢) ، وهو قول النحاس - إعراب القرآن (٥٨/٢) .
والقول الثاني هو ما ذهب إليه أبو البقاء - الاملاء (٢٢٦/١) .

(٤) ذكر أبو حيان أن هذه قراءة شاذة ولم ينسبها لأحد ، ونسب القراءة السابقة إلى ابن أبي عبلة . البحر (٨٥/٤) .

(٥) وهو ما استحسنه أبو حيان ، المرجع السابق .

(٦) الظاهر أن هذا معنى ما قاله أبو البقاء من أن (فاطر) صفة لولي على إرادة التنوين أو بدل منه ، أو حال -كما قال أبو حيان- والمعنى على هذا : أأجعل فاطر السموات والأرض غير الله . الإملاء (٢٣٦/١ - ٢٣٧) ، والبحر (٨٥/٤) .

(٧) عن الزهري ، البحر (٨٥/٤) .



أبوحيان : « وخصّ الإطعام من أنواع الانتفاعات لمسيس الحاجة إليه »[١] . وقد تقدم في كلامي ما هو أظهر من المناسبة . وقرىء **(ولا يطعم)** بفتح الياء ، أي أنه تعالى منزَّه عن أن يأكل . وقرىء **(ولا يطعم)** بضم الياء وكسر العين[٢] مثل الأول ، والأول عائد إلى الله ، والثاني عائد إلى الولي ، على سبيل اللّف والنشر وهو مرتّب إن جُعل للولي ، وغير مرتَّب إن جُعل لغيره . وقيل : هما الله ، أي يطعِم تارة ، ولا يطعِم أخرى ، على حسب المصالح ، كقول هو يعطي ويمنع[٣] . وقيل : الثاني بمعنى : ولا يستطعم ، يقال : أطعمت ، واستطعمت بمعنى[٤] . وقرىء : **(وهو يُطعَم)** بالبناء للمفعول ، **(ولا يُطعِم)** بالبناء للفاعل[٥] ، عكس القراءة المشهورة ، فالضمير لغير الله ، وقرىء **(وهو يُطعِم ولا يُطعَم)**[٦] . **(قل إني أُمرت أن أكون أول من أسلم/١٤)** هو تحريض للأمة على الإسلام ، كما يأمر الملك رعيته بأمر ، ثم يقول : أنا أول من يفعل ذلك ، ليحملهم على فعل ذلك . **(ولا تكونن من المشركين)** على تقدير : وقيل لي[٧] ، ليصحّ العطف على أُمرت ، واندراجه تحت قل ، وقيل : هو معطوف على معمول قل[٨] ، حملاً على المعنى ، أي قل إنني قيل لي كن أول من أسلم ، ولا تكونن ، ثم الخطاب له لفظاً ، والمراد أمته كقوله : **(لئن أشركت ليحبطن عملك)**[٩] . **(قل إني أخاف إن عصيتُ ربي/١٥)** الآية ، هو من التعليق على المستحيل ، وهو المعصية من المعصوم ، فالخوف والعذاب منتف . **(من**

---

(١) البحـر (٤/٨٥) .

(٢) القراءة الأولى هي قراءة مجاهد ، وابن جبير ، والأعمش ، وأبي حيوة ، وعمرو بن عبيد ، وأبي عمرو في رواية عنه . والقراءة الثانية ، قرأ بها يمان العماني ، وابن أبي عبلة . البحر (٤/٨٥ - ٨٦) .

(٣) وهو ما جوّزه الزمخشري ، الكشاف (٢/٨) .

(٤) حكاه أبو حيان عن الأزهري بنحوه ، ولم أعثر عليه في تهذيب اللغة للأزهري . البحر (٤/٨٦) .

(٥) روى ذلك ابن المأمون عن يعقوب . البحر (٤/٨٦) .

(٦) أي ببنائهما للفاعل ، وقد قرأ بذلك الأشهب ، المرجع السابق .

(٧) هكذا خرجه الزمخشري ، الكشاف (٢/٨) .

(٨) حكاه أبو حيان ، البحر (٤/٨٦) .

(٩) الزمـــر (٦٥) .



يصرف/١٩) بالبناء للمفعول ، فضميره للعذاب ، وضمير عنه لمن ورحمة للرب ، وللفاعل[(١)] ، فضميره للرب ، وعائد من محذوف ، أي من يصرفه ، و(عن) للعذاب[(٢)] ورجح ابن جرير القراءة الأولى ، لأنها أقل إضماراً[(٣)] ، وأبوعبيدة[(٤)] وغيره الثانية لمناسبة (**فقد رحمه/١٦**) ، ولم يأت فقد رحم ، ولأن في قراءة أُبيّ وابن مسعود (**من يصرف الله**)[(٥)] .

(**وذلك**) إشارة إلى الصرف المفهوم من يصرف . (**وإن يمسسك/١٧**) الآية ، أبوحيان : « الذي يقابل الخير هو الشر ، وعدل عنه إلى لفظ الضرّ ، لأن الشر أعم منه ، فأتى بالضر ، الذي هو أخص ، وبلفظ الخير ، الذي[(٦)] هو عام ، تغليباً لجهة الرحمة »[(٧)] .

ابن عطية : « ناب الضر هنا مناب الشر ، الذي هو مقابل الخير ، وهذا باب من الفصاحة ، يُسمَّىٰ ترصيع الكلام ، وهو أن يكون الشيء مقترناً بما يجتمع معه في قدر مشترك ، ونظيره (**إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**)[(٨)] ، فجاء بالجوع مع العري ، وبابه أن يكون مع الظمأ »[(٩)] ، « لكن

---

(١) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وأبي بكر ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٤٣) .

(٢) انظر البحر (٤/٨٦ - ٨٧) .

(٣) نقل المؤلف هذا القول عن أبي حيان في البحر (٤/٨٧) .
ولما راجعت تفسير الطبري ، وجدته أنه لم يرجح هذه القراءة المذكورة ، وإنما رجح القراءة الأخرى ، أي القراءة بالبناء للفاعل لدلالة قوله : (فقد رحمه) على صحة ذلك ، ولو كانت القراءة بالبناء للمفعول ، كان الوجه أن يقال : « فقد رحم » .... جامع البيان (١١/٢٨٦) .

(٤) في البحر (٤/٨٧) أبو عبيد .

(٥) لم أعثر على هذا الكلام في مجاز القرآن لأبي عبيدة ، وإنما وجدته في البحر (٤/٨٧) وقد علّق ابن عطية على ما سبق ذكره :
« وهذا توجيه لفظي تعلقه خفيف ، وأما بالمعنى فالقراءتان واحد » - المحرر (٥/١٤٤) . ويبدو لي أننا يجب ألا نرجح بين القراءتين ما دامتا متواترتين - كما قال أبو حيان ، البحر (٤/٨٧) .

(٦) كلمة « الذي » ليست في (أ) .

(٧) البحر (٤/٨٨) .

(٨) طه (١١٨) .

(٩) إلى هنا هو الموجود بالمحرر (٥/١٤٥ - ١٤٦) بتصرف .



الجامع اشتراك الجوع والعري في الخلوّ ، فالأول خلو الباطن ، والثاني خلو الظاهر ، والظمأ والضحى مشتركان في الاحتراق فالأول احتراق الباطن ، والثاني احتراق الظاهر ، وقدّم مسّ الضر على مسّ الخير ، لاتصاله بما قبله من الترهيب الدال عليه » . (**قل إني أخاف/١٥**) ، وجاء جواب الأول بالحصر مبالغة في الاستقلال بكشفه ، وجواب الثاني بقوله: (**فهو على كل شيءٍ قديرٌ/١٧**) دلالة على قدرته على كل شيء ، فيندرج فيه المسّ بخير وغيره[1] . وقال أبوحيان : « والأحسن تقدير الجواب محذوفاً ، أي فلا مُوصِل له إليك إلا هو ، أو فلا رادَّ له ، للتصريح به في آية أخرى[2] ، ثم أتى بعد ما هو شامل للخير والشر وهو قدرته على كل شيء »[3] .
ابن جماعة : « قال هنا ما ذكر ، وفي يونس : (**وإن يردك بخيرٍ ، فلا رادَّ لفضله/١٠٧**) فغاير العبارة في الخير ، وسوّى في الضر ، لأن الضرَّ إذا وقع لا يكشفه إلا الله ، فاستوى فيه الموضعان ، فأما الخير ، فقد يراد قبل نيله بزمن ، ثم ينيله بعد ذلك ، فهما حالتان ، حال إرادته قبل نيله ، وحال نيله ، فذكر الحالتين في السورتين ، فآية الأنعام حالة نيله ، فعبَّر عنه بالمس المشعر بوجوده ، ثم قال: (**فهو على كل شيءٍ قديرٌ/١٧**) ، أي على ذلك ، وعلى خيرات بعده ، فيه بشارة بنيل أمثاله ، وآية يونس حالة إرادته الخير قبل نيله ، فقال: (**يُرِدك**) ، ثم قال: (**فلا رادَّ لفضله**) ، أي إذا أراده قبل نيله ، ولذلك قال : (**يصيب به من يشاء من عباده/١٠٧**) ، فهذه في إرادة الخير ، وآية الأنعام في نيله إياه »[4] . (**وهو القاهر/١٨**) لما ذكر انفراده تعالى بتصرفه بما يريد من ضرّ وخير ، وقدرته على كل شيء ، ذكر قهره وغلبته وأن العالم مقهورون ممنوعون من بلوغ مرادهم ، بل يقهرهم ويجبرهم على ما يريده هو تعالى ، والقهر: الغلبة والحمل على الشيء من غير اختيار

(١) هذا كلام أبي حيان في البحر (٤/٨٨) باختصار .
(٢) ذكر أبو حيان هذه الآية ، وفي : (**وإن يردك بخيرٍ ، فلا راد لفضله**)، يونس (١٠٧) . البحر (٤/٨٨) .
(٣) المرجع السابق .
(٤) كشف المعاني (١٢٧) .



المحمول. (فوق عباده/١٨) هي فوقية القهر والغلبة والعلو والقدرة ، وقد قال فرعون: (وإنا فوقهم قاهرون)[١] ، ولم يُرِد الفوقية المكانية . أبوحيان: « العرب تستعمل فوق إشارة إلى علو المنزلة وشفوفها على غيرها من الرتب ، استعارة من فوقية المكان ، وفيه (يد الله فوق أيديهم)[٢] ، (وفوق كل ذي علمٍ عليمٌ)[٣] .

وقال النابغة[٤] :

بلغنا السماء بجدّنا وجدودنا   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا[٥] .

يريد علو الرتبة والمنزلة»[٦] . الإمام : « صفات الكمال محصورة في العلم والمقدرة ، فقوله: (هو القاهر فوق عباده/١٨) إشارة إلى كمال القدرة ، (وهو الحكيم الخبير/١٨) إشارة إلى كمال العلم »[٧] . (قل أيّ شيءٍ/١٩) عدل عن أي شهيد ، وهو المراد ، مبالغة في التعميم . (قل الله/١٩) أي لم يقولوه ، وهو مبتدأ ، خبره محذوف ، أي أكبر شهادة ، أو مبتدأ[٨] محذوف ، و(شهيد) خبر هو مقدراً ، أو

---

(١) الأعراف (١٢٧) .

(٢) الفتح (١٠) .

(٣) يوسف (٧٦) .

(٤) هو أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، شاعر جاهلي ، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ ، فتقصده الشعراء ، فتعرض عليه أشعارها . عمّر طويلاً ، وتوفي سنة ١٨ قبل الهجرة تقريباً .

شرح شواهد المغني (٢٩) ، ومعاهد التنصيص (١/٣٣٣) ، ونهاية الأرب (٣/٥٩) ، والشعر والشعراء (٣٨) .

(٥) هذا البيت في ديوان النابغة الجعدي (٦٨) كالآتي :

بلغنا السما مجداً وجوداً وسؤدداً . . . .

وانظر البحر (٤/٨٩) ، والشعر والشعراء (١/٢٨٩) ، وجمهرة أشعار العرب (١/١٥٣) ، ومعجم الشعراء (١٩٥) ، والأغاني (٥/٨) ، وخزائن الأدب (١/٥١٣) ، ودلائل الإعجاز للجرجاني (٧٤) .

(٦) البحر (٤/٨٩) .

(٧) التفسير الكبير (١٢/١٧٣) باختصار .

(٨) في النسختين « خبر » ولعل الصواب ما أثبتناه - كما في البحر (٤/٩٠) .



(الله)[1] مبتدأ ، و(**شهيد**) خبره[2] (**أُوحِي/١٩**) قرىء بالبناء للفاعل ، ونصب القرآن[3] . (**لأنذركم به/١٩**) أي ولأبشركم ، فحُذف اكتفاء ، واقتصره على الإنذار ، لأنه في مقام تخويف هؤلاء المكذبين. (**ومن بَلَغ/١٩**) أي بلغه القرآن إلى يوم القيامة . وقيل : بلغ الحكم . (**أئنكم/١٩**) قرىء (**إنكم**)[4] بلفظ الخبر ، فيحتمله ، ويحتمل الاستفهام ، بتقدير أداته. (**قل لا أشهد/١٩**) الآية ، ترتيب بديع ، حيث أمره أولاً أن يخبرهم بأنه لا يوافقهم في الشهادة ، ثم بإفراد الله بالألوهية ، لأن الأول لا يدل عليه بالمنطوق ثم بالتبري من إشراكهم ، وهو كالتوكيد لما قبله. أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن الآية نزلت في نفر من اليهود[5]، وهذا السبب يرشد إلى وجه ربط الآية بما بعدها ، وهو قوله :(**الذين آتيناهم الكتاب/٢٠**) الآية ، وعُرف منه أن قوله هنا (**الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون/٢٠**) فيمن كذب من أهل الكتاب ، وفيما تقدم في كفار مكة ، فليس تكراراً ، وقد جزم به الكرماني[6] وغيره .

والذين هنا مبتدأ ، على تقدير منهم . (**ومن أظلم/٢١**) الآية ، بدأ بالأظلم

(١) في النسختين « والله » - والصواب ما أثبتناه - كما في البحر (٤/٩٠) .

(٢) الحاصل أن المؤلف ذكر هنا إعرابين :
الإعراب الأول - بناء على الوقف على (...... قل الله) أن لفظ الجلالة (الله) مبتدأ محذوف الخبر دلالة ما تقدم عليه ، والتقدير : قل الله أكبر شهادة و(شهيد) خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : هو.
الإعراب الثاني : أن لفظ الجلالة (الله) مبتدأ ، و (شهيد)خبره، وقد علق أبوحيان على الإعراب الأول قائلاً : « ولا يتعين حمله على هذا ، بل هو مرجوح ، لكونه أضمر فيه آخراً وأولاً » .
ثم ذكر أن الوجه الآخر ، لا إضمار فيه ، مع صحة معناه ، فوجب حمل القرآن على الراجح لا على المرجوح . البحر (٤/٩٠).

(٣) قرأ بذلك عكرمة ،وأبو نهيك ، وابن السميفع ، والجحدري. ابن خالويه (٣٦) ، والبحر (٤/٩١) .

(٤) البحـر (٤/٩١) ، والمحـرر (٥/١٥٢) دون نسبة .

(٥) روى ابن جرير عن ابن عباس قال : جاء النحّام بن زيد ، وقردم بن كعب،وبحرّي بن عمير فقالوا : يا محمد ، ما تعلم مع الله إلهاً غيره ؟ فقال رسول الله-ﷺ- : (لا إله إلا الله ، بذلك بُعثت وإلى ذلك أدعو). فأنزل الله فيهم وفي قولهم : (**قل أي شيء أكبر شهادة....**) إلى (**لا يؤمنون**) .
وقد ذكر ابن جرير أن ذلك لم تثبت صحته ، جامع البيان (١١/٢٩٣) .

(٦) البرهـــان (١٤٧) .



وختم بأنه لا يفلح الظالمون ، ليعم الظالم غير الأظلم ، ويلزم منه عدم فلاح الأظلم من باب أولى . الكرماني : « قال هنا : (**الظالمون/٢١**) ، وفي يونس (**المجرمون/١٧**) ، لأن الآيات المتقدمة هنا كلها معطوفة بالواو ، وفي يونس كلها معطوفة بالفاء ، فروعي ذلك في الموضعين ، وختم هنا بـ(**الظالمون/٢١**) ، لمناسبة أول الآية (**ومن أظلم**)، وهناك بـ(**المجرمون**) ، لمناسبة قوله قبل: (**وكذلك نجزي القوم المجرمين/١٣**) »[١]، ووافقه الإمام في الختم ، ووجَّه الفاء في يونس ، بأن القضايا هناك كالنتيجة ، فرُتِّبت بالفاء ، وليست هنا كذلك ، فعُطِفت بالواو[٢]. (**ويوم/٢٢**) نُصب بـ(اذكر)مقدراً ، وقيل : على تقدير : لا يفلح الظالمون اليوم في الدنيا ويوم نحشرهم[٣]، ففيه حذف المعطوف عليه ، وهو أقوى في الربط . (**نحشرهم/٢٢**) بالنون ، ففيه التفات إلى التكلم ، وقرىء بالتاء[٤]، فيه التفات ، وقرىء بكسر الشين[٥]. (**ثم نقول للذين أشركوا/٢٢**) من إقامة الظاهر مقام لهم ، تنبيهاً على الوصف المترتب عليه توبيخهم ، إن كان ضمير يحشرهم خاص بمن افترى أو كذب ، وإن كان عاماً إلى جميع الخلق ، فلا . وعطف بثم للتراخي الحاصل بين مواقف يوم القيامة لطوله. (**أين شركاؤكم/٢٢**) سؤال توبيخ وتقريع . (**تزعمون**) حُذف منه المفعولان ، أي تزعمونهم شركاء. (**ثم لم تكن فتنتهم/٢٣**) أي حجتهم ومعذرتهم . وقيل : كفرهم ، على حذف مضاف ، أي لم تكن عاقبة كفرهم إلا إنكاره[٦]. و(**تكن**) قرىء في السبع بالتاء بدل ، أو نعت وقرىء

---

(١) أسرار التكرار (٦٦) بتصرف .

(٢) لم أعثر على ذلك في تفسيره .

(٣) القول الأول هو قول أبي البقاء ، وابن عطية . الإملاء (١/٢٣٨) ، والمحرر (٥/١٥٦) . والقول الثاني هو قول الطبري ، جامع البيان (١١/٢٩٧) .

(٤) قراءة النون هي قراءة الجمهور ، وقراءة التاء هي قراءة حميد ويعقوب . البحر (٤/٩٤) ، وانظر المحرر (٥/١٥٧) .

(٥) عن أبي هريرة - كما في المحرر (٥/١٥٧) .

(٦) القول الثاني قاله الزمخشري ، وهو قد جوّز القول الأول . الكشاف (٢/١١) .



(ربنا) بالنصب[1] على المدح ، أو النداء[2] . وقرىء برفع الاسمين[3] ، مبتدأ وخبر وفيه تقديم وتأخير ، أي قالوا ما كنا مشركين الله ربنا ، قاله ابن عطية[4] .

قلت : فهي جملة معترضة بين القول ومقوله . (**كيف كَذَبوا/٢٤**) فيه وقوع الماضي موضع المستقبل ، لتحقق وقوعه ، وكذا قوله : (**وضلّ/٢٤**) يحتمل العطف على (**كذبوا**) ليدخل في حيّز النظر ، والاستئناف ، فلا يدخل . (**من يستمع/٢٥**) إفراد ضميره مراعاة للفظ من ، وجمعه فيما بعد مراعاة لمعناها. الكرماني : « في يونس (**يستمعون/٤٢**) لأن آية يونس نزلت في جمع أكثر من النازل في آية الأنعام »[5] . (**وجعلنا**) قيل: هي حالية . وقيل : عطف على الجملة الاسمية[6] . (**أن يفقهوه/٢٥**) أي لئلا يفقهوه ، أو كراهة أن . (**وَقْراً**) قرىء بكسر الواو[7] . واعلم أن هذه الآية على حد قوله: (**ختم الله على قلوبهم**)[8] الآية ، معنى واستعارة ما وترتيباً ، فإنها أيضاً بُدئ فيها بالقلوب ، ثم بالآذان ، ثم الأبصار ، وهذه أبسط من تلك بالتصريح بالمقصود ، من عدم الفقه ، وعدم الإيمان بما يرون من الآيات . وضمير (**يفقهوه**) للقرآن ، لدلالة الحال عليه ، أو له في قوله: (**وأُوحي إليّ هذا القرآن/١٩**) . (**أساطير/٢٥**) قيل : جمع أَسْطارة . وقيل : أُسْطور . وقيل : أسطورة . وقيل : إسْطير . وقيل : اسطيرة . وقيل : جمع لا واحد له . وقيل : جمع الجمع ، وهو أَسْطار جمع سطَر . وقيل : جمع جمع الجمع ، وهو أَسْطار جمع

---

(١) القراءة بالتاء ، مع النصب هي قراءة نافع، وأبي عمرو، وأبي بكر، والقراءة بالتاء ، مع الرفع هي قراءة ابن كثير، وابن عامر، وحفص، والقراءة بالياء، مع النصب هي قراءة حمزة، والكسائي . حجة القراءات (٢٤٣ - ٢٤٤) .

(٢) انظر البحر (٤/٩٥) ، والمحرر (٥/١٩) ، والبيان (١/٣١٦ - ٣١٧) ، والإملاء (١/٢٣٨) .

(٣) قرأ بذلك عكرمة، وسلام بن مسكين ، البحر (٤/٩٥) .

(٤) المحرر (٥/١٩٥ - ١٦٠) .

(٥) أسرار التكرار (٦٧) باختصار .

(٦) انظر البحر (٤/٩٧) .

(٧) عن طلحة بن مصرف ، المحرر (٥/١٦٢ - ١٦٣) .

(٨) البقرة (٧) .



أَسْطُر ، جمع سَطْر[1] . (وهم ينهون عنه ، وينأون عنه/٢٦) فيه الجناس ، وضمير (عنه) قيل : للقرآن . وقيل : للرسول[2] ، ويؤيده سبب النزول[3] ، فعلى الثاني فيه التفات عن الخطاب في (جاؤوك يجادلونك/٢٥) . (ولو ترى إذ وُقِفُوا/٢٧) لما ذكر تعالى حديث البعث في قوله:(ويوم نحشرهم/٢٢) الآيات ، واستطرد من ذلك إلى شيء من أوصافهم الذميمة في الدنيا ، عاد إلى الأول ، كما هو حال الاستطراد ، أن يُعاد فيه إلى ما استطرد منه ، والخطاب عام لكل من يتأنّىٰ منه الرؤية . وقيل : للرسول[4] ، ففيه التفات عن الغيبة في عنه ، وجواب (لو) محذوف ، أي لرأيت ألماً فظيعاً . وقرىء (وقفوا) بالبناء للفاعل[5] فهي لازمة ، والمشهورة متعدية . قال صاحب المناجاة : « قدّم الوقوف على النار وإن كان متأخراً عن الوقوف على الرب ، لأن الغاية متقدمة في التصور ، وإن تأخّرت في الوجود » ، قال : « أو يقال : المراد بالوقوف على النار ، العبور على الصراط ، وعلى الرب القيام للحساب في المحشر ، وذلك بعد الصراط » .

قلت : هذا خاص بالمسلمين ، أما الكفار فلا يجوز واحد منهم الصراط أبداً ، كما وردت به الأحاديث[6] ، والأصوب أن يقال : إن المراد بالوقوف على الرب حين

---

(١) انظر البحـر (٨٤/٤) .

(٢) القول الأول قاله قتادة ومجاهد ، والقول الثاني قاله ابن عباس وابن الحنفية .
زاد المسير (٢١/٣) ، والبحر (١٠٠/٤) ، والمحرر (١٦٥/٥) .
وهذا القول الأخير هو اختيار الطبري (٣١٥/١١) ، وهو ما استظهره ابن كثير (١٢٧/٢) .

(٣) روى الواحدي عن ابن عباس أنها نزلت في أبي طالب ، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله -ﷺ- ، ويتباعد عما جاء به. . . . أسباب النزول (١٦٠) .

(٤) انظر البحر (١٠١/٤) ، والقول الأخير هو ما جرى عليه ابن عطية ، البحر (١٠١/٤) .

(٥) عن ابن السميفع ، وزيد بن علي . البحـر (١٠١/٤) .

(٦) من ذلك ما رواه البخاري ومسلم - وهو لفظ البخاري - عن أبي هريرة مرفوعاً :
(. . . يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها. . .) إلى أن قال : (ويضرب جسر جهنم) ، قال رسول الله-ﷺ-: (فأكون أول من يجيز . . .) الحديث .
البخاري (فتح الباري ٤٤٤/١١) كتاب الرقاق - باب : الصراط جسر جهنم . =



ينـادون في النار ، ويستغيثون تلك الاستغاثات ، فيقال لهم: (إنكم ماكثون)[1] ويقـال لهم : (اخسؤوا فيهـا ولا تكلّمـون)[2]. ولا نُكـذِّب بآيات ربنـا ، (ونكـون/٢٧) في قراءة بنصب الفعلين في جواب التمني ، وفي ثالثـة برفـع (نكذب) ، ونصب (نكون)[3] وقرأ ابن مسعود (فلا نكذب) بالفاء ، وقرأ أُبيّ (فلا نكذب بآيات ربنا أبداً ، ونحن نكون)[4]. (بل) للانتقال من غرض إلى آخر ، من غير إبطال . (وقالوا/٢٩) عطف على (لعادوا/٢٨) ، أي ولو رُدوًّا لكفروا ، وقالوا ما كانوا يقولونه قبل معاينة القيامة . (إن هي إلا حياتنا الدنيا/٢٩) زاد في غير هذا الموضع (نموت ونحيا)[5] ، لأن ما هنا حكاية ما يقولونه لو رُدوًّا بعد معاينة القيامـة ، ومـا في غيره حكـاية قولهم في الـدنيا ، فاختلفت القصتـان. (أليس هذا/٣٠) الإشـارة إلى البعث . وقيل : العذاب[6]. (فذوقوا العذاب/٣٠) فيه استعارة بليغة ، أي باشروه مباشرة الذائق ، إذ هي من أشد المباشرات . (قد خسر/٣١) هذا استئنـاف ، إخبـار من الله تعـالى عن أحـوال منكري البعث ، وخسرانهم ، أنهم استعـاضـوا الكفـر عن الإيمان ، فأشبهـوا البـائـع الذي أخذ وأعطى ، وكان ما أخذ سبباً لهلاكه ، وما أعطى سبباً لنجاته ، فعدم الربح ورأس المال . (حتى) غاية للتكذيب ، أما الخسران فلا غاية له. (الساعة/٣١) أصلها

= ومسلم (١/١٦٣) كتاب : الإيمان - باب : معرفة طريق الرؤية .
وانظر اليوم الآخر (القيامة الكبرى) للأشقر (٢٧٥) .

(١) الزخـــرف (٧٧) .

(٢) المؤمنـــون (١٠٨) .

(٣) القراءة بالرفع في (ولا نكذب) ، والنصب في (ونكون) هي قراءة ابن عامر في رواية هشام ابن عمار عن أصحابه عن ابن عامر .
والقراءة بالرفع فيهما هي قراءة ابن كثير،ونافع،وأبي عمرو ،والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر - رضي الله عنه . وأما القراءات بالنصب فيهما ، فهي قراءة ابن عامر ، وحمزة ، وعاصم في رواية حفص . حجة القراءات (٢٤٥) ، والمحرر (٥/١٦٨ - ١٦٩) .

(٤) انظر المحـرر (٥/١٦٩) .

(٥) المؤمنـــون (٣٧) .

(٦) هذا قول مقاتل . زاد المسير (٣/٢٤) . والقول الأول هو ما ذهب إليه أبو حيان - البحر (٤/١٠٦) .



لوقت لطيف مقدر ، ثم سُمِّي بها يوم القيامة لسرعة انقضاء الحساب فيه ، ثم غلبت عليها فلزمتها الألف واللام التي للغلبة. **(فيها)** الضمير عائد على الساعة ، أي في التقدمة لها ، أو الصفة التي تضمنها ذكر الخسارة ، أو الحياة الدنيا[1]، وإن لم يجرِ لها ذكر ، لكونها معلومة ، ودلالة العقل على أنها محل التقصيِّ ، أقوال . **(وهم يحملون)** صُدِّرت بالضمير ، لأنه أبلغ في النسبة ، إذ صار ذو الحال مذكوراً مرتين من حيث المعنى . **(على ظهورهم/٣١)** خصَّه إشارة إلى المبالغة في ثقل المحمول ، إذ الظهر يطيق من الحمل الثقيل ما لا يطيقه الرأس والكاهل. **(وما الحياة الدنيا/٣٢)** لما ذكر قولهم: **(وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا/٢٩)** ، ذكر قصارى أمرها ، وأن منتهاها أنها فانية منقضية عن قريب ، فصارت مشبهة باللهو واللعب إذ هما لا يدومان ، ولا طائل تحتهما ، ثم قيل : هما بمعنى ، وكُررا تأكيداً لذم الدنيا. وقال الرماني : « اللعب : عمل يشغل عما ينتفع به إلى ما لا ينتفع به ، واللهو صرف النفس عن الجد إلى اللهو »[2]. الإمام : « اللعب : فعل لا في طاعة تحصل ويُتعجل به مسرّة ، واللهو ما يشغل الإنسان من هوى وطرب »[3]. **(وللدار الآخرة/٣٢)** في قراءة **(ولدار الآخرة)** بالإضافة[4]، على حدّ مسجد الجامع . فقيل : تقديره : ولدار الحياة الآخرة ، بقرينة **(وما الحياة الدنيا/٣٢)** **(خير)** ، قيل : هي أفعل تفضيل ، حُذف متعلقه . وقيل : ليس للتفضيل ، إذ لا اشتراك بين الدارين في الخيرية حتى يقع التفضيل[5]. **(أفلا يعقلون/٣٢)** بالتحتية على نسق ما تقدم ، وبالفوقية التفاتاً إلى الخطاب[6]. الكرماني : « قدم اللعب على اللهو

(١) القول الأول هو قول الحسن ، وهو ما استظهره أبو حيان .
القول الثاني هو قول الطبري . والقول الثالث ، هو قول مقاتل ، وبه أخذ الزمخشري . انظر البحر (١٠٧/٤) ، وجامع البيان (٣٢٥/١١) ، وزاد المسير (٢٥/٣) ، والكشاف (١٤/٢) .
(٢) البحر (١٠٨/٤) .
(٣) لم أعثر عليه في تفسيره .
(٤) قرأ بذلك ابن عامر . حجة القراءات (٢٤٦) .
(٥) انظر البحر (١٠٩/٤) .
(٦) القراءة بالتاء ، هي قراءة نافع، وابن عامر، وحفص والقراءة بالياء ، هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٤٦) .



في هذه السورة في موضعين[1] وفي القتال[2]، والحديد[3]، وقدم اللهو على اللعب في الأعـراف[4] والعنكبـوت[5] ، وذلـك لأن اللعب زمانه الصبا ، واللهو زمانه الشباب ، والصبا متقدم على الشباب فقدم في أكثر المواضع ، ولهذا قُدِّم في قوله : **(وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين)**[6] ، **(لو أردنا أن نتخذ لهواً)**[7] ، وقدّم اللهو في الأعراف لأن ذلك من القيامة ، فذُكر على ترتيب ما انقضى ، وبدأ بما انتهى إليه الإنسان من الحالتين ، لأنه أقرب إلى اللّوم ، وأما في العنكبوت فالمراد ذكـر زمـان الدنيا ، وأنه سريع الانقضاء ، قليل البقاء ، وأن الدار الآخرة لهي الحيوان التي لا أمد لها ، ولا نهاية لأبدها ، فبدىء باللهو ، لأنه في زمن الشباب وهو أكثر من زمان اللعب ، وهو زمان الصبا »[8] .

ابن جماعة : « اللهو عن الشيء : تركه وإهماله ، والإعراض عنه ، ونسيانه ، والـلعـب فعـل مقـصـود لفـاعله ، فلما جاء في الأعـراف بعـد **(ومـا كنتم تستكبرون/٤٨)** ، وهو ذم لهم بالإعراض عن اتباع الحق ، وإعراضه ، ولذلك قال بعده:**(كما نسوا لقاء يومهم هذا/٥١)** ، ناسب تقديم اللهو ، وكذا آية العنكبوت جاءت بعد قوله:**(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض/٦١)** الآيتين الدالة على إعراضهم عن الحق واتّباعه ، مع علمهم به ، وبقية المواضع جاءت في سياق ذم الدنيا ، والاشتغال عن الله ، ولهوها ، وزينتها »[9] . **(لا يكذبونك/٣٣)** بالتشديد والتخفيف[10] فقيل: هما بمعنى. وقيل : بينهما فرق[11]. قال الكسائي : « العرب

(١) الأنعـام (٣٢ ، ٧٠) .
(٢) القتـال (٣٦) .
(٣) الحـديد (٢٠) .
(٤) الأعـراف (٥١) .
(٥) العنكبوت (٦٤) .
(٦) الزخـرف (٣٨) .
(٧) الأنبيـاء (١٧) .
(٨) البرهان (١٥٢ - ١٥٣) بتصرف .
(٩) كشـف المعـاني (١٥٤) .
(١٠) قراءة التخفيف هي قراءة نافع والكسائي ، وقراءة التشديد هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٤٧) .
(١١) الدر المصون (٤/٦٠٣ - ٦٠٤) .



تقول: كذّبت الرجل، إذا نسبتَ الكذب إليه، وأكذبته، إذا نسبتَ الكذب إلى ما جاء به دون أن تنسبه إليه، وتقول العرب أيضاً: أكذبتُ الرجل، إذا وجدته كذاباً كأحمدته، إذا وجدته محموداً»[1]، وقد ورد في الحديث أن الآية نزلت في قولهم: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، ولهذا قال: **(ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون/٣٣)**[2]، وبالغ في ذمهم، فسماهم ظالمين وجاحدين، والجحد أقبح وجوه الإنكار، وأقام الظاهر مقام «ولكنهم»، تنبيهاً على أن علة الجحود الظلم، ومجاوزة الحد في الاعتداء، ويقدر قبل **(فإنهم)**: فلا تحزن، عزّى نبيّه وسلّاه بما وقع للرسل قبله، فقال: **(ولقد كُذِّبتْ رسلٌ من قبلك/٣٤)** الآية، أي فتأسّ بهم، واصبر حتى يأتيك النصر. وفي **(نصرنا)** التفات عن الغيبة، ونكتته تعظيم النصر بإضافته إلى نون العظمة. وقرىء **(وأُوذوا)** بلا واو[3]، من أَذَيْتُ فلاناً، بالقصر. **(ولا مبدِّل لكلمات الله/٣٤)** أي لا خلف لمواعيده بالنصر وغيره، وفيه التفات عن التكلم. **(ولقد جاءك من نبأ المرسلين/٣٤)** تأكيد لما أُمر به من الصبر والتأسي. و**(من)** هنا، قيل: زائدة. وقيل: تبعيضية[4]، لأن منهم من لم يقصص عليه، وهي على هذا اسم فاعل، أو الفاعل مضمر، أي نبأ، بدلالة ما بعده، أو جاء بدلالة جاءك[5]. **(وإنْ كان كَبُر/٣٥)** الآية، حث على

---

(١) البحر (١١١/٤).

(٢) أخرج ابن جرير أن أبا جهل هو الذي قال ذلك، ثم نزلت الآية.
جامع البيان (٣٣٤/١١)، وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٦١/٥)، وذكره السيوطي في الدر (٩/٣) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم - وأنه صححه - والضياء في المختارة.

(٣) ابن عامر في رواية شاذة. ابن خالويه (٣٧)، والدر المصون (٦٦/٤).

(٤) القول الأول قاله الفارسي - كما في البحر (١١٣/٤). وهذا إنما يتمشى له على رأي الأخفش، لأنه لا يشترط في زيادتها شيئاً - معاني القرآن (٢٧٤)، والدر المصون (٦٠٦/٤ - ٦٠٧).

(٥) يبدو أن هذا الأخير هو معنى ما ذهب إليه أبو حيان، من أن الفاعل هنا مضمر، تقديره هو، ويدل على ما دل عليه المعنى من الجملة السابقة أي ولقد جاءك هذا الخبر من تكذيب اتباع الرسل للرسل والصبر والإيذاء إلى أن نصروا، وأن هذا الإخبار هو بعض نبأ المرسلين الذي يتأسّى بهم، و(من نبأ) في موضع الحال، وذو الحال ذلك المضمر والعامل فيها وفيه (جاءك). البحر (١١٣/٤). وأما القول السابق فهو قول الرماني، المحرر الوجيز (١٨٦/٥).



الصبر والتسليم لأمر الله . **(نَفَقاً)** قرئ **(نافقا)** ، وجواب إن محذوف ، أي فافعل . **(إنما يستجيب الذين يسمعون/٣٦)** ابن عطية : « هذا من النمط المتقدم في التسلية أي لا تحفل بمن أعرض ، فإنما يستجيب لداعي الإيمان ، الذين يفهمون الآيات ، ويتلقَّون البراهين بالقبول ، فعبَّر عن ذلك كله بـ**(يسمعون)** ، إذ هو طريق العلم بالنبوة ، والآيات المعجزة ، ولذلك ترى إذا بلَغَت الموعظة من أحد مبلغاً شافياً ، يقولون : استمع »[1]. الرماني : « الفرق بين أجاب واستجاب ، أن استجاب فيه قبول لما دُعي ، قال **(فاستجاب لهم ربهم)**[2] ، **(فاستجبنا له ونجيناه من الغم)**[3] ، ولا كذلك أجاب لأنه قد يجيب بالمخالفة »[4] . الزمخشري : « يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك ، بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون ، وإنما يستجيب من يسمع كقوله: **(إنك لا تسمع الموتى)**[5][6] » . **(والموتى يبعثهم الله)** قال أبوحيان : « الظاهر أن هذه الجملة مستقلة ، من مبتدأ وخبر ، وأن الموت والبعث على حقيقته ، وأنه تعالى أخبر أن الموتى على العموم من يستجيب وغيره يبعثهم فيجازيهم »[7] . ورُدَّ بأنه حينئذ ليس فيه كبير مناسبة ، وقيل : هما مجازان عن الكفر والإيمان ، أي أن الكفار يرشدهم الله للإيمان ، فحينئذ يؤمنون . قال أبوحيان: « وقد تظاهرت أقوال المفسرين على أن الموتى مراد به الكفار ، سُمّوا بالموتى ، كما سُمّوا بالصمّ والبُكم والعُمي[8] » .

قلت : والأرجح قول ثالث ، حمل الموتى على المجاز ، أي الكفار ، والبعث

---

(١) المرجع السابق (٥/ ١٩٠) بتصرف .
(٢) آل عمران (١٩٥) .
(٣) الأنبياء (٨٨) .
(٤) البحر (٤/ ١١٧) .
(٥) النمل (٨٠) .
(٦) الكشاف (٢/ ١٦) .
(٧) انظر البحر (٤/ ١١٧) .
(٨) انظر البحر (٤/ ١١٧) .



على الحقيقة[1]، والمعنى أن الكفار الذين هم كالموتى ، لا يسمعون ، فلا يستجيبون ، يبعثهم الله يوم القيامة ، فيجازيهم على كفرهم[2] ، أي أن أمرهم إلى الله ، لا إليك يا محمد ، فلا يهمّنك شأنهم . ففي هذه الآية ، أبلغ مناسبة وأدقها حيث ذكر الكفار بلفظ الموتى لمناسبة البعث ، وهذا نوع من التورية لطيف ، نظيره قوله :(**والنجم والشجر يسجدان**)[3] ، بعد قوله :(**الشمس والقمر بحسبان**)[4] ، فإنه يُوهم أن النجم الكوكب ، بقرينة ذكر الشمس والقمر ، وإنما المراد ما لا ساق له من النبات ، وكذا هنا لفظ الموتى ، يُوهم إرادة الأموات حقيقة ، بقرينة ذكر البعث ، وإنما المراد الكفار مجازاً ، إلا أن الفرق بين الآيتين ، أن المعنى الثاني هنا مجازي ، والثاني هناك حقيقي ، وكلاهما في باب التورية سواء ، وهناك قرينة أخرى للمعنى الثاني ، وهو الشجر ، وهنا لا قرينة له ، ويحتمل أن يكون قرينته ما تقدم من أحوال الكفار ، وتكذيبهم ، وعدم استجابتهم ، فعلى هذا تكون التورية مرشحة[5] من وجهين ، وعلى الأول مرشحة من وجه[6] واحد ، فلله المنة على ما ألهمنا من أسرار كتابه . (**ولكن أكثرهم لا يعلمون/٣٧**) أن المصلحة في صرفها ، لأنها لو نزلت ولم يؤمنوا ، لعُوجلوا بالعذاب . (**وما من دابةٍ في الأرض/٣٨**) الآية ، قال ابن الأنباري : « موضع الاحتجاج بهذه الآية أن الله لما ركّب في المشركين عقولاً ، وجعل لهم أفهاماً ، يعرف بعضها إشارة بعض ، وهدى الذكر منها لإتيان الأنثى ، وفي ذلك دليل على نفاذ قدرة المركّب ذلك فيها »[7] . وقال ابن عطية :

---

(١) البحر (٤/١١٨) ، وانظر زاد المسير (٣/٣٣ - ٣٤) ، والجامع (٦/٤١٨) ، وإرشاد العقل السليم (٣/١٣٠) . والذي جرى عليه ابن كثير والشوكاني ، هو القول بأن المراد بالموتى هنا الكفار . تفسير القرآن العظيم (٢/١٣٠) ، وفتح القدير (٢/١١٢) .

(٢) كما هو قول مجاهد وقتادة . البحر (٤/١١٨) .

(٣+٤) الرحمن (٦ ، ٥) .

(٥) التورية المرشحة : هي التي يذكر فيها لازم المورىٰ به ، وسُميت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورّى به . الإيضاح (٣٥٣) ، والتلخيص (٣٦٠) ، وأنوار الربيع (٥/٩) .

(٦) كلمة « وجه » : ليست في (أ) .

(٧) البحر (٤/١١٩) .



« المعنى في هذه الآية ، التنبيه على آيات الله الموجودة في آثار مخلوقاته »[١] . وقال الزمخشري : « الغرض في ذكر ذلك ، الدلالة على عِظم قدرته ولطف علمه ، وسِعة سلطانه وتدبيره لتلك الخلائق المتفاوتة الأجناس المتكاثرة الأصناف ، وهو حافظ لما بها[٢] ، وما عليها ، مهيمن على أحوالها ، لا يشغله شأن عن شأن ، وأن المكلفين ليسوا مخصوصين بذلك ، دون من عداهم من سائر الحيوان »[٣] . وقال أبوحيان : « الذي يظهر ، أنه تعالى لما حكى عن هؤلاء طلب نزول آية من ربه ، ولم يعتبروا ما نزل من الآيات ، وأُجيبوا بأن القدرة صالحة لإنزال ما اقترحوه ، ونبّهوا على جهلهم ، حيث فَرّقوا بين آية وآية ، أُخبروا أنهم وجميع الحيوان متماثلون في تعلق القدرة الإلٰهية بالجميع ، فلا فرق بين خلق من كُلِّف وما لم يُكَلَّف في تعلق القدرة بهما ، وإبرازها من صرف العدم إلى صرف الوجود ، فكأنه قيل : القدرة تعلَّقت بالآيات كلها ، مقترحها وغير مقترحها ، كما تعلَّقت بخلقكم وخلق سائر الحيوان ، ولذلك قال : (**إلا أُممٌ أمثالكم**/٣٨) ، يعني في تعلق القدرة بإيجادها ، وكذلك الآيات »[٤] .

وأقول : قد قدّمت الإشارة إلى وجه آخر من المناسبة ، وهو أن المقصود من السورة ذِكر أنه تعالى خالق جميع المخلوقات على اختلاف أصنافها[٥] ، فبدأ بنوع الأفلاك والزمان ، ثم بنوع الإنسان ، واستطرد منه إلى صفات نوع الكفر منه ، ونُبَذ من أحواله ، ثم عاد إلى ما الكلام فيه ، من ذِكر الخلق ، فذكر خلق سائر النوع الحيواني ، ثم استطرد منه إلى ما ذكره ، إلى أن عاد بعد طول الاستطراد إلى ذِكر الخلق ، فذكر خلق النجوم وأنواع النبات إلى غير ذلك . (**في الأرض**/٣٨) شامل للبر والبحر . (**ولا طائرٍ**/٣٨) قال أبوحيان : « هو من عطف الخاص على

(١) البحـر (١٩٢/٥) إلا أنه فيه كلمة « أنواع » بدلاً من كلمة « آثار » .

(٢) في الكشاف (١٧/٢) : « لما لها » .

(٣) المرجع السابق .

(٤) البحـر (١١٩/٤) بقليل من الاختصار .

(٥) في (أ) : الاختلاف ، وأوصنافها .



العام ، لدخوله في (دابة) ، وأفرده بالذِّكر ، لأنه أدلّ على عِظم القدرة من الماشي على الأرض »[1] . وقرىء برفعه[2] عطفاً على موضع دابة ، وقرىء (**ولا طير**)[3] . (**يطير**) فائدته نفي توهُّم إرادة غير الطائر المعروف ، إذا استُعير الطائر لغيره ، كقوله (**طائره في عُنُقِه**)[4] (**قالوا طائركم معكم**)[5] ، وقولهم : طار لفلان طائر في القِسمة . وفيه تنبيه على صور هيئة حالة الطيران ، واستحضار لمشاهدة هذا الفعل الغريب ، وجاء الوصف بلفظ (**يطير**) ، لأنه مشعر بالديمومة والغلبة ، لأن أكثر أحوال الطائر كونه يطير ، وقلَّما يسكن. (**بجناحيه**) تأكيد لرفع توهُّم أن يُراد بالطيران الشيء السريع . (**إلا أممٌ**) جمع الخبر حملاً على المعنى ، لأن المفرد في دابة وطير للاستغراق . (**أمثالكم/٣٨**) فيه التفات عن الغيبة . والمِثلية قيل في الخلق والرزق والأجل والحياة والموت والحشر والقصاص يوم القيامة[6] . وقيل: من حيث إنها تعرف الله وتسبِّحه وتحمده وتدعوه[7] ، بدليل : (**وإن من شيءٍ إلا يسبِّح بحمده**)[8] ، (**كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه**)[9] . وقيل: في الحاجة إلى مدبِّر يدبِّرهم فيما يحتاجون إليه من قُوت ولباس وكِن[10]. قال بعضهم : « أُبهمت عقول البهيم عن كل شيء ، إلا عن أربعة أشياء ، عن الإله -سبحانه ، وطلب الرزق ، ومعرفة الذَّكَر الأنثى ، وتهيئ كل منهما لصاحبه »[11].

---

(١) البحـر (٤/١١٩) بمعناه طولاً .

(٢) عن ابن أبي عبلة . الدر المصون (٤/٦١١) .

(٣) هي قراءة ابن عباس ، المرجع السابق .

(٤) الإسـراء (١٣) .

(٥) يـس (١٩) .

(٦) هذا قول الزجاج ، وهو أيضاً قول ابن عطية ، ولكن دون ذكر القصاص الذي ذهب إليه الطبري . جامع البيان (١١/٣٤٤) ، والمحرر (٥/١٩٢) ، والجامع (٦/٤٢٠) .

(٧) قالـه أبو عبيدة ، مجاز القرآن (١/١٩١) . ونقله الواحدي عن ابن عباس ، وإليه ذهب طائفة من المفسرين . البحر (٤/١٢٠) .

(٨) الإسـراء (٤٤) .

(٩) النـور (٤١) .

(١٠) قاله ابن عيسى ، البحر (٤/١٢٠) .

(١١) قاله أبو الدرداء ، البحر (٤/١٢٠) .



وعن سفيان بن عيينة[1] : في هذه الآية ، قال : « ما في الأرض آدمي ، إلا وفيه شَبَه من بعض البهائم ، فمنهم من يقدم إقدام الأسد ، ومنهم من يعدو عدو الذئب ، ومنهم من ينبح نباح الكلب ، ومنهم من يتطوَّس كفعل الطاووس ، ومنهم من يشبه الخنزير إذا أُلقي إليه الطعام الطيِّب تركه ، وإذا قام الرجل من رجيعه ، وَلَـغ فيه ، وكذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة ، لم يحفظ منها واحدة ، فإن سمع من أحد كلمة واحدة خطأ ، حفظها ، ولم يجلس مجلساً ، إلا رواها عنه »[2] . (ما فرطنا/٣٨) بالتشديد ، وقرىء بالتخفيف[3] ، وهما بمعنى .

وقال النقاش : « المخفف بمعنى أخرنا ، يقال : فرط الله عنك المرض ، أي أزالـه »[4] . وفيه التفات عن الغيبة . (ثم إلى ربهم) فيه التفات عن التكلم . (يحشـرون) أي الـدواب والـطير[5] . وقيل : هو عائـد إلى الكفار ، وما تقدَّم اعتراض. قال أبوحيان: « ويؤيده الإتيان بضمير العقلاء »[6] ، ففيه على هذا ، الالتفـات من الخـطاب في (أمثـالكم). **(والـذين كذَّبـوا بآيـاتنـا صُمٌّ وبُكْمٌ في الظلمات/٣٩)** قال أبوحيان : « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه لما تقدم قوله: **(إنما يستجيب الذين يسمعون/٣٧)** ، أخبر أن المكذبين بالآيات ، صُمٌّ لا يسمعون من ينبههم ، فلا يستجيب أحد منهم ، ولما كان قوله: **(وما من دابةٍ/٣٨)** الآية ، منبهاً

---

(١) هو أبو محمد : سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي ، سكن مكة وتوفي بها ، كان حافظاً ، ثقة ، أعور . قال الشـافعي : « لولا مالـك وسفيان ، لذهب علم الحجـاز » ، حج سبعـين حجة . له كتاب : « الجامع » في الحديث ، وكتاب التفسير ، توفي سنة ١٩٨هـ .
تذكرة الحفاظ (٢٤٢/١) ، والرسالة المستطرفة (٣١) ، وميزان الاعتدال (٣٩٧/١) .

(٢) لم أعثر على هذا الكلام في تفسير سفيان بن عيينة ، / جمع وتحقيق ودراسة : أحمد صالح محايري . وقد روى ذلك أبو سليمان الخطابي عن سفيان بن عيينة - كما في البحر (١٢٠/٤) .

(٣) عن الأعرج ، وعلقمة . المحتسب (٢٢٣/١) ، والدر المصون (٦١٣/٤) .

(٤) البحـر (١٢١/٤) .

(٥) ذهب إلى ذلك القرطبي ، وابن كثير ، وابن الجوزي ، وأبو السعود ، وهو ما قدمه الشوكاني . زاد المسير (٣٥/٣ - ٣٦) ، والجامع (٤٢١/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (١٣١/٢) ، وإرشاد العقل السليم (١٣١/٣) ، وفتح القدير (١١٤/٢) .

(٦) البحر (١٢١/٤) .



على عِظم قدرة الله ، ولطيف صنعه ، وبديع خلقه ، ذكر أن المكذِّب بآياته ، هو أصم عن سماع الحق ، أبكم »[1] .

وأقول : لما قال تعالى: (ما فَرَّطْنا في الكتاب من شيءٍ/ ٣٨) ، ودلّ على أنه ما من شيء نافع للعباد في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم ، إلا وقد تَضَمَّنه القرآن الكريم ، فمن ألقى إليه السمع وتأمَّلَه ، اهتدى به ، ومن أعرض عنه ، ضلَّ ، ذكر عقبه أن المكذبين به ، صُم لا يستجيبون له ، ولا يلقون السمع لما فيه ، فلا يحصل لهم العلم بما حواه من الخيرات ، فعبَّر بالصمّ ، لأن السمع طريق لحصول العلم ، وبقوله: (في الظلمات/ ٣٩) ، لأنهم منغمرون في ظلمات الجهل والضلال ، فلم يستضيئوا بشيء من نوره ، لعدم سلوكهم في سبله الواضحة البلجة ، فهم عُمي عن البصيرة ، كعمي البصر ، لأنه نظير (صمٌّ بكمٌ عميٌ)[2]، إلا أن قوله: (في الظلمات) أبلغ من قوله: (عُميٌ) ، كما قاله أبوحيان[3] إذ جعل الظلمات ظرفاً لهم ، ولِما فيه من الكناية عن مصيرهم يوم القيامة في ظلمات ، والمؤمنون يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، ثم ختم برد الأمر إلى المشيئة ، وأن الله تعالى شاء إضلالهم ، ومن شاء إضلاله ، فهو حائر على الصراط القويم ، عادل من سبل الكتاب المنير ، ومن شاهد آيته اهتدى ، فسلك الصراط المستقيم ، وهو اتِّباع القرآن ، والاهتداء إلى ما فيه من المنافع والمصالح ، وفي (بآياتنا/ ٣٩) التفات عن الغيبة في (ربهم/٣٨) وفي (من يشأ الله/ ٣٩) التفات عن التكلم ، وفي (يضلِله/ ٣٩) و(يجعله على صراطٍ مستقيمٍ/ ٣٩) طباق ، وكذا بين قوله: (في الظلمات) ، و(على صراط) ، لأن من كان على صراط مستقيم ، فهو في نور ووضوح ، ولأن الظلمات استعارة للكفر ، والصراط المستقيم استعارة للإسلام .

(قل أرأيتكم/ ٤٠) أبوحيان: « هذا ابتداء احتجاج على الكفار الذين يجعلون لله شركاء »[4]. الكرماني : « (أرأيتكم) كلمة استفهام وتعجب ، ليس لها نظير في

---

(١) البحر (٤/١٢٢) .
(٢) البقرة (١٨) ، (١٧١) .
(٣) البحر (٤/١٢٢) .
(٤) البحر (٤/١٢٤) .

العربية ، لِما فيها من الجمع بين علامتي خطاب ، وهي التاء والكاف ، وقال هنا ، وفي الآية الثالثة (أرأيتكم/٤٧) ، وفي الثانية (أرأيتم/٤٦) على العادة بطرح الكاف ، لأن المتوعدّ به في الآيتين عذاب الله ، وهو أشد من أحد السمع والأبصار ، فجمع بين الحرفين مبالغة في تأكيد التنبيه »[١]. الزملكاني : « لا يكاد يوجد للعرب مثل هذا النظم ، أرأيت ، وأرأيتك ، وأرأيتكم ، وكأنه تنبيه يدل عليه (أرأيت إن كان على الهدى)[٢] ، (أرأيت إن كذَّب وتَوَلَّى)[٣] ، ولا يحتمل أن يكون أرأيت واقعاً على ما بعده ، وكذا (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة)[٤] كأنه قيل : اسمع وتدبر ، (فإني نسِيتُ الحوت)[٥] ، وقيل : إنه استفهام عن الرأي الذي تأوَّلَه العلم ، قوله ومنه (ما أُريكم إلا ما رأى)[٦] ، أي لا أعلمكم إلا ما أعلم . وقيل : تأويله : ما ترى وما تقول . أبوحيان: « أرأيت بمعنى أخبرني ، نصّ عليه سيبويه[٧] والجمهور ، وهو تفسير معنى ، لا تفسير إعراب »[٨]. الفراء : « للعرب في أرأيت لغتان ، ومعنيان ، أحدهما : أن يسأل الرجل ، أرأيت زيداً ، أي بعينك ، فهذه مهمزة ، والثاني أن يقول : أرأيت ، وأنت تقول أخبرني ، فههنا تترك الهمزة إن شئت ، وهو أكثر كلام العرب ، تُومىء إلى ترك الهمز ، للفرق بين

---

(١) الذي في أسرار التكرار (٦٩) : « وقوله: (أرأيتكم.....) .... وليس لهذه الجملة في العربية نظير ، لأنه جمع بين علامتي خطاب ، وهما : التاء والكاف ، والتاء اسم بالإجماع ، والكاف حرف عند البصريين يفيد الخطاب فحسب ، والجمع بينهما يدل على أن ذلك تنبيه على شيء ما عليه من مزيد ، وهو : ذكر الاستئصال بالهلاك ، وليس فيما سواهما ما يدل على ذلك ، فاكتفى بخطاب واحد ، والعلم عند الله » .

(٢+٣) العلق (١١ ، ١٣) .

(٤) الكهف (٦٣) .

(٥) الكهف (٦٣) .

(٦) غافر (٢٩) .

(٧) الكتاب (١/٢٣٩) .

(٨) البحر (٤/١٢٦) إلا أن فيه بدل كلمة « الجمهور » : و « الأخفش والفراء ، والفارسي ، وابن كيسان وغيرهم » . وانظر الإملاء (١/٢٤١) ، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٧٠) ، وإرشاد العقل السليم (٣/١٣٢) .



المعنيين »[1] ، والقراءة بالوجهين[2] . أبوحيان : « إن الذي نختاره ، أن أرأيت باقية على حكمها من التعدي لاثنين ، فالأول منصوب ، والثاني لم نجده بالاستقراء ، إلا جملة استفهامية ، أو قَسَمِية ، وهنا المفعول الأول محذوف ، والمسألة من باب التنازع ، تنازع (**أرأيتكم/ ٤٠**) ، و(**أتاكم/ ٤٠**) في عذاب الله ، فأُعمل الثاني ، وحُذف معمول الأول ، لأنه مفعول ، وجملة (**أغير الله/ ٤٠**) المفعول الثاني ، وجواب الشرط محذوف ، دلّ عليه (**أرأيتكم**) ، أي إن أتاكم عذاب الله ، فأخبروني عنه ، أغير الله تدعون لكشفه »[3] .

الزمخشري : « بكّتهم بقوله : (**أغير الله تدعون**) بمعنى : أتخصون آلهتكم بالدعوة ، أم تدعون الله دونها »[4] . قال أبوحيان : « وهذا على رأيه ، أن تقدُّم المعمول مُؤْذِن بالحصر »[5] . وقال السبكي : « لا معنى للحصر هنا ، لأنه ليس المستفهم عنه دعاء الأصنام مقيد نفيه عن الله ، بل مجرد دعائهم إياها ، وإنما أراد الزمخشري الاختصاص ، وهو معنى غير الحصر ، فإن الحصر فيه نفي غير المذكور وإثبات المذكور ، والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه ، من غير تعرّض ، ولا يقصد لغيره بإثبات ولا نفي . مثال ذلك ، إذا قلت : ضربت زيداً ، فإن فيه ثلاثة أشياء : الضرب ، وكونه واقعاً منك ، وكونه واقعاً على زيد ، فتارة يكون قصد المتكلم لها على السواء ، وتارة مترجح قصده لبعضها على بعض ، ويُعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه ، فإن الابتداء بالشيء يدل على الاهتمام به ، وأنه هو الأرجح في غرض المتكلم ، كما قال سيبويه[6] ، وهم يقدمون ما هو عندهم

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣٣) باختصار .

(٢) القراءة بترك الهمزة هي قراءة الكسائي ، والقراءة باثبات الهمزة هي قراءة البقية ، إلا أن نافعا قرأ بتخفيف الهمزة ، الكشف (١/ ٤٣١) .

(٣) البحر (٤/ ١٢٧) بتصرف ، وانظر الدر المصون (٤/ ٦٢٣ - ٦٢٤) ، وراجع المقتضب للمبرد (٢/ ٦٨) .

(٤) الكشاف (٢/ ١٨) بقليل من الاختصار .

(٥) البحر (٤/ ١٢٨) بمعناه .

(٦) لم أعثر على ذلك فيما اطلعت عليه .



أهم ، وهم به أعنى ، فإذا قلت : زيداً ضربت ، علم أن خصوص الضرب على زيد ، هو المقصود ، وأنه هو المهم عند المتكلم ، وأنه الذي قصد إفادته السامع من غير تعرُّض ، ولا قصد لغيره بإثبات ولا نفي ، على ذلك مخرج هذه الآية وما شاكلها فيما لا يصح فيه معنى الحصر ، كقوله : **(قل أفغير الله تأمرونِّي أعبد)**[(١)] ، **(أفغير دين الله يبغون)**[(٢)] ، **(كلًّا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل)**[(٣)] ، **(أغير الله أتخذ ولياً)**[(٤)] ، لأن معنى الحصر في هذه الآيات فاسد »[(٥)] ، انتهى .

وهو من التحقيق بمكان .

أبو حيان : « هذه الآية عند علماء البيان من باب استدراج المخاطب ، وهو أن يُلِين الخطاب ويمزجه بنوع من التلطف والتعطف ، حتى يُوقع المخاطب في أمر يعترف به ، فتقوم الحجة عليه ، والله تعالى خاطب هؤلاء الكفار بلَينٍ من القول ، وذكر لهم أمراً ، لا ينازعون فيه ، وهو أنهم كانوا إذا مسّهم الضرّ يدعون الله لا غيره ، وجواب **(إن كنتم صادقين/٤٠)** محذوف ، أي إن كنتم صادقين في دعواكم أن غير الله إله ، فهل تدعونه لكشف ما يحِلّ بكم من العذاب »[(٦)] . [وفي أول الآية التفات . **(بل/٤١)** للانتقال من غير إبطال . **(إياه تدعون/٤١)** أي تخصونه بالدعاء . **(ما تدعون/٤١)** أي الذي تدعون ، وأغرب من جعلها مصدرية ظرفية ، أي مدة دعائكم . **(إليه/٤١)** ضميره عائد إلى ما ، أو إلى الله . **(ولقد أرسلنا/٤٢)** الآية ، فيه تسلية للرسول ، ومناسبته لما تقدم ، من إتيان العذاب المكذِّبين ، وتضرّعهم][(٧)] إلى الله ، وفيه التفات عن الغيبة . **(فأخذناهم/٤٢)**

---

(١) الزمر (٦٤) .
(٢) آل عمران (٨٣) .
(٣) الأنعام (٨٤) .
(٤) الأنعام (١٤) .
(٥) لم أعثر على هذا النص فيما اطلعت عليه .
(٦) البحر (٤/١٢٨) .
(٧) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) .



الأخذ : الإمساك بقوة وبطش وقهر ، وهو هنا مجاز عن متابعة العقوبة والملازمة . (يتضرعون/٤٢) الكرماني : « أُتي هنا بالفك ، وفي الأعراف بالإدغام[١] ، فقال (يَضَّرَّعون) لموافقة ما بعده من قوله :(تضرعوا/٤٣) الآية ، ماضيه ، وماضي المدغم أضرع »[٢] .

وقال صاحب المناجاة : « لما وقع في الأعراف ذِكر النبي مدغماً[٣] ، والمدغم أخف ، ناسبه بإدغام يضرعون ، أو يقال : لما كان الأنعام مقدَّماً على الأعراف ، أتى فيه بالأصل المقدَّم ، وهو عدم الإدغام ، وفي الأعراف المؤخّر بالفرع المؤخر ، وهو الإدغام ، أو يقال : إذ الخطاب هنا فيه لِين وتلطف فأتى بالفك ، لِما فيه من الهون ، وآية الأعراف في ذِكر النقم ، فأتى فيه بالإدغام المشتمل على التشديد مناسباً به الشدة » .

وأقول : الأحسن في هذه المواضع وأمثاله ، أنه من باب التفنن في الفصاحة ، واستعمال كلٍّ من اللغتين الجائزتين ، في موضع ، وذلك أحد وجوه الفصاحة ، وأفانين البلاغة . (فلولا إذ جاءهم/٤٣) الزملكاني : « فيه ظرف من الحجة ، ولذلك أُجيب بـ(لكن/٤٣) ، كأنه قيل : لم يتضرعوا ، ولكن قَسَت ، فالجواب معطوف على التأويل دون اللفظ ». وقال أبو حيان : « وقعت (لكن) بين ضِدين ، القسوة والضراعة ، لأنها عن اللِّين »[٤] . (وزين/٤٣) يحتمل العطف ، والاستئناف[٥] . (فتحنا عليهم أبوابَ كل شيءٍ/٤٤) استعارة للأبواب عن الأسباب التي هيَّأها الله لهم ، المقتضية لبسط الرزق عليهم ، لأنها مداخل إليه فهي مكنية ، وذكر لازم الأبواب ، وهو (فتحنا) تخييلية ، والقراءة بتخفيفه ، وتشديده[٦] مبالغة .

(١) وهو قوله تعالى (.... أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون) الأعراف (٩٤) .
(٢) أسرار التكرار (٧٠) إلا قوله: « ماضيه .... » فليس موجوداً بالكتاب .
(٣) وذلك أن قوله : (من نبي) يعتبر إدغاماً بغنة .
(٤) البحر (٤/١٣٠) بمعناه .
(٥) ذكرهما أبو حيان ، واستظهر الأول . البحر (٤/١٣٠) .
(٦) قراءة التشديد هي قراءة ابن عامر ، وقراءة التخفيف هي قراءة البقية . السبعة (٢٥٧) ، والكشف (١/٤٧٢) ، والنشر (٢/٢٤٩) .



(حتى إذا/٤٤) الآية ، (إذا) الأولى ظرفية ، والثانية فجائية ، وأصل الإبلاس : الإطراق لحلول نقمة ، أو زوال نعمة . (فقُطع دابر الذين ظلموا/٤٥) كناية عن استئصالهم ، إذ الدابر آخر القوم الذي يدْبُرهم . وفيه إقامة الظاهر مقام « دابرهم ». وقرىء (فقطع) بالبناء للفاعل[١] ، و(دابرَ) بالنصب ، والفاعل ضمير الله ، ففيه التفات عن التكلم . (والحمد لله/٤٥) فيه التفات على القراءة الأولى ، وإقامة الظاهر مقام المضمر على الثانية . وناسب الختم بالحمد لما فيه من إنجاز وعد الله للرسل بالنصر ، وهلاك مكذبيهم. (قل أرأيتم/٤٦) الآية ، عَود إلى الاحتجاج المتضمن للتهديد ، بعدما استطرد منه إلى قصة من تقدم ، للملاءمة . (يأتيكم به) أُفرد الضمير ، والمتقدِّم جمع ، إجراءً له مجرى اسم الإشارة ، أي بذلك ، أو على تأويل بما أخذ ، أو بالمأخوذ . (انظُر/٤٦) خطاب عام ، أو للرسول . (كيف نُصَرِّف) فيه التفات ، وقرىء بالتخفيف[٢] ، من صرف الثلاثي . (هم يصدِفُون/٤٦) ختم به ، وفيما سيأتي بقوله : (لعلهم يفقهون)[٣] قال صاحب المناجاة : « فالأولى فيمن علِم عدم إيمانه ، كأبي جهل ، وأبي لهب ، فعبرّ عنه بالإعراض ، [والثانية فيمن علم إيمانه ، فيُرجى فقهه ، ورجاء الله تحقيق ، قال : أو الأولى في الكفار[٤]] والثانية في المسلمين ، بدليل أنه ﷺ لما نزلت ، سأل ألا يذيق بعض أمته بأس بعض ، فلم يُعطَ ذلك[٥]. (قل أرأيتكم/٤٧) الآية ، تهديد

---

(١) عن عكرمة ، الدر المصون (٤/٦٣٥) .

(٢) نسبها أبو حيان إلى بعض القراء ، البحر (٤/١٣٢) .

(٣) الأنعام (٦٥) .

(٤) ما بين القوسين ليس في (ب) .

(٥) لم أعثر على ما يدل على أن سؤاله -ﷺ- كان بعد نزول هذه الآية ، ولكن الحديث رواه أحمد وابن ماجه -بدون ذكر ذلك- وفيه : (.... وإني سألت ربي عز وجل أن لا يهلك أمتي بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدواً فيهلكهم بعامة وأن لا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض، وقال يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة ولا أسلط عليهم عدواً ممن سواهم فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً وبعضهم يقتل بعضاً وبعضهم يسبي بعضاً) .

أحمد (٤/١٢٣) ، وابن ماجه (٢/١٣٠٣) رقم (٣٩٥٢) .



ثالث . قلت : وفي التهديدات الثلاثة ترجيح ، فإن الأول فيه من التلطف ما ليس في الثاني ، حيث أثبت فيه الكشف إن شاء ، وليس في الثاني إثبات الإتيان بما أخذ ، بل الإشارة إليه بنفي إله غير الله يأتي به ، وأما الثالث ، فليس فيه إثبات كشف ، لا صريحاً ولا إشارة ، بل صرّح بالهلاك في قوله: **(هل يُهلَكُ/ ٤٧)** ، ومع ذلك لم يُخْلِه من التلطف ، حيث قال : **(إلا القوم الظالمون/ ٤٧)** ، فالتفت عن الخطاب إلى الغيبة ، وعن الإضمار إلى الإظهار ، لأن في المخاطبة بالهلاك من المخاشنة ، ما ليس في الغيبة ، والاسم الظاهر ، وصح مقابلة البغتة بالجهرة ، لتضمنها معنى الخفية ، وبُدىء بها لأنها أردع من الجهرة. و**(هل)** بمعنى النفي . وقرىء **(يهلك)** بالبناء للفاعل[1] . وفي ذكر الظلم تنبيه على عِلَّة الهلاك. **(وما نرسل/ ٤٨)** فيه التفات. **(يمسهم/ ٤٩)** قرىء بنون مضمومة[2] من أمسّ . **(قل لا أقول لكم/ ٥٠)** الآية ، استدل المعتزلة[3] بقوله : **(ولا أقول لكم إني مَلَك/ ٥٠)** على أفضلية المَلَك على النبي[4] . وهو غلط منهم ، لأن الآية نزلت جواباً لأقوال صدرت من كفار مكة ، فالجملة الأولى جواب قولهم: **(لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً)**[5]، وحتى تُزيل جبال مكة ، وتوسعها في أشياء من ذلك . والثانية جواب طلبهم ، أن يخبرهم بالمغيبات ، ولهذا أمره أن يقول لهم: **(ولو كنت**

(١) عن ابن محيصن ، الدر المصون (٤/٦٣٧) .

(٢) عن علقمة ، البحر (٤/١٣٣) .

(٣) المعتزلة هي فرقة نشأت في العصر الأموي ، والأكثرون على أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء ، وكان ممن يحضرون مجلس الحسن البصري، فثارت تلك المسألة التي شغلت الأذهان في ذلك العصر ، وهي مسألة مرتكب الكبيرة ، هل هو كافر أم لا ، فقال واصل مخالفاً الحسن : أنا أقول إن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق ، بل هو في منزلة بين المنزلتين، فقال له الحسن : اعتزلنا ، فاعتزلهم ، ومن هنا سمي وأتباعه بالمعتزلة .

ومذهب المعتزلة يعتمد على أصول خمسة وهي : التوحيد ، والعدل والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

انظر تاريخ الجمهية والمعتزلة للقاسمي (٥٦) وما بعدها ، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١/١٣٨) .

(٤) انظر الكشاف (٢/٢٠) .

(٥) الإسراء (٩٠) .



أعلم الغيب لاستكثرت من الخير)[1] . الآية . والثالثة جواب قولهم: (مالِ هذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق)[2] ، وقولهم : لا هِمة له إلا النكاح ، فنزلت هذه مع قوله: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ، وجعلنا لهم أزواجاً وذرية)[3] مخبرة بأن هذا شأن البشر ، وإنما ينتفي الأكل والنكاح عن المَلَك ، وهو لم يدّعِ أنه مَلَك حتى يُورِدوا عليه ذلك نقضاً ، فأيّ دلالة في الآية على التفضيل[4] . قال الزمخشري : « ومحل (أعلم الغيب/٥٠) نصب عطفاً على محل (عندي خزائن الله/٥٠) ، على أنه أيضاً من جملة مقول القول »[5] . وقال أبو حيان: « الظاهر أنه عطف (لا أقول/٥٠) ، لا معمول له ، فهو داخل تحت (قل/٥٠) ، وغاير في متعلق النفي حيث لم يقل فيه : ولا أقول إني أعلم الغيب ، لأن كونه ليس عنده خزائن الله من أرزاق العباد معلوم لكل أحد ، وكذا كونه ليس ملكاً ، فنفى ادعاء ذلك ، ولم ينفهما من أصلهما ، لأن انتفاء ذلك من أصلهما معلوم ، فنفى أن يكابرهم في ادّعاء شيء يعلمون خلافه قطعاً ، ولما كان علم الغيب أمراً يمكن أن يظهر على لسان البشر ، بل قد يدَّعيه كثير ، كالكهان والمنجمين ، وكان ﷺ قد أخبر بأشياء من المغيبات ، وطابقت ما أخبر به ، نفى علم الغيب من أصله ، تنصيصاً على محض العبودية والافتقار ، وأن ما صدر عنه من أخبار الغيب ، إنما

(١) الأعراف (١٨٨) .

(٢) الفرقان (٧) .

(٣) الرعد (١٣٨) .

(٤) وهذا الردّ الذي ردّ به المؤلف كلام المعتزلة ، هو قول ابن المنير -بنحوه- قبله في كتابه «الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال» - الكشاف (الحاشية) ٢/٢٠ .
هذا ، وقد انقسم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر ، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة ، وإلى المعتزلة وتفضيل الملائكة ، وأتباع الأشعري على قولين : منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً ، وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة ، وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية .
وقد ذكر شارح العقيدة الطحاوية أدلة القائلين بتفضيل الأنبياء على الملائكة وعكسهم ، ثم قال : « وحاصل الكلام : أن هذه المسألة من فضول المسائل ، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول ، وتوقف أبوحنيفة -رضي الله عنه- في الجواب عنها » . شرح العقيدة الطحاوية (٣٣٧ - ٣٤٨) .

(٥) الكشاف (٢/٢١) بتصرف .



هو من الوحي الوارد عليه ، لا من ذات نفسه ، فقال : (**إن أتَّبِع إلا ما يُوحىٰ إليّ/٥٠**) ، وجاء هذا النفي على سبيل الترقي ، فنفى ما يتعلق بالعامة ، من الأرزاق ، ثم بالخاصة من العلوم بما يقع من الكوائن ، ثم بما هو أخصّ ، وهو عدم الأكل المخصوص بالملائكة ، المباين لضعف البشرية[1] ، انتهى .

وعكس صاحب المناجاة فقال : « لما كان علم الغيب من الخمس التي استأثر الله بها ، لم يمكن ادّعاؤه ، بخلاف (**عندي خزائن الله/٥٠**) و(**إني مَلَك/٥٠**) ، فإنهما مما يمكن ادّعاؤهما ، ألا ترى إلى قول يوسف : (**اجعلني على خزائن الأرض**)[2] ، وخزائن الأرض هي خزائن الله ، وقول النّسوة : (**ما هذا بشراً ، إن هذا إلا مَلَكٌ كريمٌ**)[3] ، فلما كان هذان الوصفان مما قد يدَّعِيهما المحِبُّون في النبي ﷺ ، قرن بهما : (**لا أقول/٥٠**) ، بخلاف علم الغيب ، فإنه لا يمكن أحد أن يدَّعيه له ، ولا أن يقول هو أيضاً به لنفسه . الكرماني : « قال في هود : (**ولا أقول إني مَلَكٌ/٣١**) ، بخلاف (**لكم**) ، لتقدمها أربع مرات ، فحذفها تخفيفاً ، ولم يتقدم هنا سوى مرة »[4] .

وقال صاحب المناجاة : « لما بُني الأمر في هذه السورة على الإطناب ، حيث قال : (**قل لا أقول لكم/٥٠**) ، وفي هود على الإيجاز ، حيث قال: (**ولا أقول/٣١**) ، أعطى كلًّا ما يناسبه . أو يقال : ما هنا أُمر به ﷺ ، فليس من محل تصرفه ، وما في هود هو القائل له ، فهو من محل تصرفه » . (**قل هل يستوي الأعمى والبصير/٥٠**) مَثَلٌ للكفار الذين كذّبوا ، وأوردوا أقوالًا لا تصلح حجة ولا متمسكاً ، وللمؤمنين ، لأنهم المنتفعون . قال ابن جرير : « ويخافون بمعنى يعلمون »[5] . وقال غيره : « إنه على حقيقته »[6] ، وهو الصواب ، لأن الخوف إنما

---

(١) البحر (١٣٤/٤) باختصار .
(٢) يوسف (٥٥) .
(٣) يوسف (٣١) .
(٤) أسرار التكرير (٧٠) .
(٥) جامع البيان (٣٧٣/١١) .
(٦) هذا قول أبي حيان (١٣٥/٤) .



هو فيما يترتب على الحشر من[1] المؤاخذة والعقاب . **(ليس من دونه وليٌّ ولا شفيعٌ/٥١)** قيل : حال[2] . وقيل : اعتراض ، إخباراً من الله عن صفة الحال يومئذ[3] . **(ولا تطرد/٥٢)** الآية ، نزلت لما طلب كفار مكة أن يطرد عنه فقراء أصحابه ليجالسوه ، ويؤمنوا به . ومناسبتها لما قبل ، أنه لما حكى إعراض المكذبين ، وأمر نبيه بالإعراض عنهم ، وصف إقبال المصدقين وأمره بالإقبال عليهم ، وعدم الإعراض عنهم . **(يدعون ربهم/٥٢)** أتى بالمضارع ، لإفادة الاستمرار ، أي أن ذلك ديدنهم وشأنهم . **(بالغداة والعشي/٥٢)** كناية عن الزمان الدائم ، ولم يُرِد بهما خصوص زمانهما ، كقولك : الحمد لله بكرةً وأصيلاً ، أي في كل حال ، فالغداة كناية عن النهار ، والعشي عن الليل قاله أبوحيان[4] . قلت : وينبغي أن يُخَرَّج على هذا قوله في صفة الجنة : **(ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشياً)**[5] أي على الدوام ، كما قال : **(أُكُلُها دائمٌ)**[6] . وفي قراءة **(بالغدوة)**[7] ، على لغة من يُنَكِّرها ، فيقول : رأيت غدوةً ، بالتنوين ، حكاها الخليل وسيبويه[8] . وقرىء **(بالغَدَوات والعَشِيَّات)**[9] . **(ما عليك من حسابهم/٥٢)** الآية ، فيه النوع المسمى في البديع بالعكس ، وهو رد العجز على الصدر ، والضمائر للمؤمنين . وقيل : في **(فتطردهم)** فقط ، وفي **(حسابهم)** و**(عليهم)** للكفار . وبُدىء في الجملتين بخطابه ﷺ تشريفاً له وتعظيماً . **(وكذلك/٥٣)** إشارة إلى الفتون السابق. **(فتنا)** فيه التفات عن الغيبة . الزملكاني : « تأويله : فضّلنا بعضهم على بعض في أمر

---

(١) في (أ) : فـي .

(٢) قاله الزمخشري ، الكشاف (٢/٢١) .

(٣) ذهب ابن عطية أن الجملة هنا تحتمل هذا القول وسابقه . المحرر (٥/٢٠٦) ، وانظر الجدول في إعراب القرآن (٤/١٢٣) .

(٤) البحـر (٤/١٣٥) .

(٥) مريـم (٦٢) .

(٦) الرعـد (٣٥) .

(٧) هي قراءة ابن عامر ، الكشف (١/٤٣٢) ، والسبعة (٢٥٨) .

(٨) انظر الكتاب (٣/٢٩٤) ، وانظر الدر المصون (٤/٦٤٠) .

(٩) عن ابن أبي عبلة ، الدر المصون (٤/٦٤١) .

الدين والدنيا ، فصار ذلك فتنة لهم ، حسداً وبغياً ، فاللام في (ليقولوا/٥٣) لام العاقبة ، والصيرورة » . (أهؤلاء/٥٣) الإشارة للتحقير. (أليس الله) فيه التفات عن التكلم . (بالشاكرين) الختم به في غاية الحسن ، لتقدم قوله: (منّ الله عليهم) ، فناسب ذكر لفظ الشكر . (وإذا جاءك/٥٤) عود إلى ما كان الكلام فيه ، بعد الاستطراد . (الذين يؤمنون/٥٤) فيه إقامة الظاهر مقام جاؤوك ، وحسّنه ما وقع من الفصل ، وإظهار صفة تشريفه لهم . (بآياتنا/٥٤) فيه التفات . (فقل سلامٌ عليكم/٥٤) قيل : أُمر بتبليغ السلام من الله إليهم . وقيل : بالسلام من عنده لهم[١] . (كتب/٥٤) إلى آخره ، تقدم ما فيه . (أنه/٥٤) بالكسر ، استئناف ، تفسير للرحمة ، وبالفتح[٢] بدل من الرحمة. (فإنه/٥٤) بالوجهين[٣] ، والفتح على الخبر ، أي فأمره أنه . وقرأت فرقة بفتح الأولى ، وكسر الثانية ، وأخرى بعكسه[٤] . (وكذلك/٥٥) إشارة إلى التفصيل الواقع في الآيات السابقة . (نفصّل/٥٥) فيه التفات . (ولتستبين/٥٥) عطف على عِلة مقدَّرة ، أي لنبينٍ لكم[٥] ، أو متعلق بمعلول مؤخر ، أي فصَّلناها[٦] . واستبان يكون لازماً ، ومتعدياً ، ولهذا وردت القراءة برفع سبيل ، ونصبه . والسبيل يؤنث في لغة الحجاز ، ويذكر في لغة تميم ، فوردت القراءة بالتاء[٧] . (سبيل المجرمين/٥٥) أي

---

(١) القول الأول لابن زيد ، والقول الثاني لعكرمة والحسن ، وقد جرى ابن كثير على القول الثاني . زاد المسير (٣/٤٩) ، والبحر (٤/١٤٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/١٣٥) ، وانظر الجامع للقرطبي (٦/٤٣٥) ، وفتح القدير (٢/١٢٠) .

(٢) قراءة الفتح هي قراءة نافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وقراءة الكسر هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٣٣) .

(٣) قراءة الفتح هي قراءة عاصم ، وابن عامر ، وقراءة الكسر هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٣٣) .

(٤) أي بكسر الأولى ، وفتح الثانية ، وقد حكاها الزهراوي عن الأعرج . البحر (٤/١٤١) .

(٥) هذا هو قول الكوفيين ، الجامع للقرطبي (٦/٤٣٧) .

(٦) وهذا قول النحاس ، إعراب القرآن (٢/٧٠) . وهو ما ذكره أبو حيان أولاً . البحر (٤/١٤١) ، وانظر تفسير المنار (٧/٤٥١) .

(٧) القراءة بالياء ، ورفع « السبيل » هي قراءة أبي بكر، وحمزة، والكسائي ، وأما القراءة بالتاء ، ورفع « السبيل » فهي قراءة البقية إلا أن نافعاً ، نصب « السبيل » . الكشف (١/٤٣٣ - ٤٣٤) .



والمؤمنين ، فحُذف اكتفاء . وآثر ذِكرهم ، لأنهم الذين أثاروا ما تقدم من الأقوال ، فكانوا أهم في هذا الموضع . **(قل إني نُهيتُ/٥٦)** لما ذكر تعالى تفصيل الآيات لتستبين سبيل المبطل من المحق ، نهاه عن سلوك سبيلهم . ولفظ **(نُهيتُ/٥٦)** أبلغ من النفي بلا أعبد ، إذ فيه ورود تكليف . وعبَّر بالذين ، لكون الكفار نزّلوها منزلة العاقل . **(لا أتَّبِعُ أهواءكم/٥٦)** جمعه ليعم عبادة الأصنام ، وما أُمروا به من طرد ضعفاء المؤمنين ، وغير ذلك مما ليس بحق . **(قد ضَلَلْتُ إذن/٥٦)** قرىء بكسر اللام[١] ، وقرىء بالصاد المهملة[٢] . **(وما أنا من المهتدين/٥٦)** تأكيد لجملة **(ضللت/٥٦)** ، وعدل عن « وما اهتديت » ، لأن المذكور أبلغ من جهة الاسمية ، والتعبير بمن قوم كذا ، ومراعاة للفاصلة . **(قل إني على بينةٍ/٥٧)** لما نفى أن يكون متبعاً للهوى ، نبّه على ما يجب اتباعه ، وهو الأمر الواضح من الله . **(وكذَّبتم به/٥٧)** قيل : الضمير لله . وقيل : لبيِّنة ، لأنها في معنى أمر بَيِّنٍ . وقيل : للقرآن[٣] المفهوم منها[٤] . **(يقضي الحق)** أي القضاء الحق . وقيل : الأصل **(بالحق)** ، وقرىء به . وفي قراءة **(يقص/٥٧)** بضم الكاف ، وصاد مهملة ، من القصص[٥] . **(وهو خير الفاصلين/٥٧)** قرأ ابن مسعود **(أسرع الفاصلين)**[٦] ،

---

(١) هي قراءة السلمي ، وابن وثاب ، وطلحة . البحر (١٤٢/٤) ، ابن خالويه (٣٧) .

(٢) عن يحيى ، وابن أبي ليلى الدر المصون (٦٥٦/٤) .

(٣) في (أ) : للقراءة .

(٤) انظر الجامع للقرطبي (٤٣٨/٦) ، وزاد المسير (٥١/٣) ، وروح المعاني (١٦٩/٧) ، وقد استظهر أبوحيان ، والسمين القول الأول . البحر (١٤٢/٤) ، والدر المصون (٦٥٧/٤) .
والقول الثاني هو قول النحاس ، ومكي .
إعراب القرآن (٧٠/٢) ، ومشكل إعراب القرآن (٢٧٠/١) .
والذي يظهر لي أن هذه الأقوال متقاربة ، وتؤدي إلى معنى واحد وهو أنهم كذبوا بالحق الذي جاءه من الله . انظر تفسير القرآن العظيم (١٣٦/٢) .

(٥) هذه قراءة الحرميين ، وعاصم ، والقراءة بالضاد معجمة مكسورة هي قراءة البقية . الكشف (٤٣٤/١) .
وقراءة (بالحق) ، هي قراءة عبد الله ، وأبيّ ، وثاب ، والنخعي ، وطلحة ، والأعمش. البحر (١٤٣/٤) .

(٦) البحر (١٤٣/٤) .



وهي مناسبة للحكم والقضاء ، كما هو ظاهر ، وللقصص ، على أن الفاصل بمعنى المبيّن . (**بالظالمين/٥٨**) الأصل بكم . (**وعنده مفاتح الغيب/٥٩**) ، مناسب لقوله :(**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب/٥٠**) ولقوله :(**ما عندي ما تستعجلون به/٥٨**) إلى آخره . واستُعيرت المفاتح للقدرة ، لأنها سبب الوصول إلى الشيء. وقرىء (**مفاتيح**) بالياء[١] . و(**مفتاح**) بالإفراد[٢]. وتقديم (**عنده/٥٩**) لإفادة التخصيص . (**ويعلم ما في البر والبحر/٥٩**) فيه طباق ، وقدّم البر ، لأنه أكثر مشاهدة ، أو للترقي ، لأن مخلوقات البحر ، أكثر وأغرب . (**وما تسقط من ورقةٍ إلا يعلمها/٥٩**) قيل : التقدير : يعلم الورقة قبل السقوط وبعده ومعه ، كقولك : ما يجيئك أحد ، إلا وأنا أعرفه ، فإنه ليس معناه في حال مجيئه فقط ، قاله الزجاج[٣].

قلت : قد ورد تفسير الورقة بالساقط من سدرة المنتهى ، وأن فيها ورقاً بعدد الخلائق ، مكتوب على كل ورقة اسم إنسان ، فإذا دَنَتْ وفاته ، سقطت . أخرجه أبو الشيخ[٤] في تفسيره عن محمد بن جحادة[٥] [٦]، وبذلك يُعرف وجه التعبير بالسقوط ، ولو كان المراد : ورق أشجار الدنيا ، لكان الأحرى أن يقال : وما تنبت

---

(١) عن ابن السميفع ، البحر (٤/١٤٤) .

(٢) عن جناح بن حبيش ، كما في ابن خالويه (٣٧) .

(٣) في معاني القرآن (٢/٢٨٢) : « المعنى : أنه يعلمها ساقطة وثابتة ، وأنت تقول : ما يجيئك أحد إلا وأنا أعرفه ، فليس معناه إلا وأنا أعرفه في حال مجيئه فقط » .

(٤) هو أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري ، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني ، وصفه الذهبي بأنه حافظ أصبهان ومسند زمانه، كان صالحاً خيراً، من تصانيفه : كتاب « العظمة » ، وكتاب « الثواب » ، توفي سنة ٣٦٩هـ .
تذكرة الحفاظ (٢/٩٤٥ - ٩٤٦) .

(٥) هو محمد بن جحادة الأودي أو الأيامي الكوفي، ثقة ، زاهد ، توفي سنة ١٣١هـ .
وتقريب التهذيب (٢/١٥٠) ، والتاريخ الكبير (١/٥٤) .

(٦) الذي في الدر المنثور (٣/١٥) : أن محمداً بن جحادة قال :
« لله - تبارك وتعالى - شجرة تحت العرش ، ليس مخلوق إلا له فيها ورقة ، فإذا سقطت ورقته ، خرجت روحه من جسده » .



أيضـاً ، فقد قال : **(ولا حبةٍ في ظلمات الأرض/٥٩)** فحصلت مطابقة في غاية الحسن ، بين ما في أعـلى السماء ، وما في أسفل الأرض ، وقد قيل : إن المراد الأرض . وقد قيل : إن المراد الأرض السابعة . وقيل : تحت الصخرة . وقيل : بل الأرض الأولى[1] . والحبـة التي تخفيها الزرّاع تحتها ، وأن التقدير : ولا تنبت حبة ، فتكون الجملة الأولى إشارة إلى الآجال ، والثانية إلى الأرزاق ، ويكون تنبت طباقاً مع **(تسقط)** ، و**(حبة)** مع **(ورقة)** ، و**(في)** مع **(من)** ، و**(لا)** مع **(ما)** ، وما فوق السماء أنوار ، فتقابل ظلمات ، فهذه ست مقابلات ، قدّر منها اثنان في الجملة الأولى ، وواحد من الثانية ، وتفرَّع عن ذلك نوع آخر ، وهو الاحتباك ، فإنه حذف من الجملة الأولى ، ما أثبت نظيره في الثاني ، وهو مقابل في ظلمات الأرض ، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول ، وهو تنبت ، نظير تسقط ، فلله المنة على ما فتح علينا من إدراك أسرار كتابه . **(ولا رطبٍ ولا يابسٍ/٥٩)** عطف على ما قبله منسحب عليه ، الاستثناء الأول ، وقوله: **(إلا في كتابٍ/٥٩)** تأكيد له أُعيد لطول الكلام ، وحسّنه كونه فاصلة ، وقرئا بالرفع[2] على الاستئناف ، و**(إلا في كتابٍ/٥٩)** خبره . وفيه الطباق . **(وهو الذي يتوفاكم بالليل/٦٠)** لما ذكر تعالى استئثـاره بالعلم التام ، ذكر استئثاره بالقدرة التامة ، فإنما القدرة قرينة العلم في اختصاص الإلٰهية بهما ، وذكر أبلغ قدرة أقهر شيء للأنام ، وهو النوم واليقظة ، فإنهما ليس للإنسـان فيهـما قدرة البتـة ، بل أمران يُوقعهما الله به بغير صنع ولا اختيار . أبـوحيان: « لما كان تَوَفِّي النـوم من الملاذ ، وأسباب الراحة والمحبوبات أسنده تعالى إليه ، ولما كان توفيّ الموت مؤلماً ومكروهاً للنفوس ، لم يسنده إليه ، بل

---

(١) انظر الجامع للقرطبي (٧/٤ - ٥) .
لعل الأولى هنا أن يقال: إن المراد هنا هو شجر الأرض ، بدليل الأثر الذي ساقه ابن جرير الطبري عن عبد الله بن الحارث ، حيث قال : « ما في الأرض من شجرة ولا كمغرز إبرة ، إلا عليها ملك موكل بها يأتي الله بعلمها : يبسها إذا يبست ، ورطوبتها إذا رطبت » . والله تعالى أعلم . جامع البيان (١١/٤٠٤) .

(٢) عن الحسن ، وعبد الله بن أبي اسحاق . ابن خالويه (٣٧) ، والمحرر (٥/٢٢٢) .



إلى الملائكة فقال : **(توفته رسلنا)**[1] ، **(يتوفاكم ملك الموت)**[2] ، **(توفاهم الملائكة)**[3][4] » .

قلت : إنما قال في آية الزمر : **(الله يتوفَّ الأنفس/٤٢)** ، ليُعلم أنه الفاعل الحقيقي للموت ، لا كما تقوله الدهرية ، ومن جرى مجراهم . **(ليقضي/٦٠)** قرىء بالبناء للفاعل ، ونصب أجل[5] . **(ثم ينبئكم بما كنتم تعملون/٦٠)** مناسب لقوله **(ويعلم ما جرحتم/٦٠)** ، وتقرير للعلم . **(وهو القاهر/٦١)** لما ذكر قصة توفي النوم ، أتبعه بذكر توفي الموت ، لما بينهما من المؤاخاة ، وناسب افتتاح قصة الموت بوصف القاهر كما لا يخفى . **(فوق عباده)** فيه التفات ، والأصل فوقكم . **(ويرسل/٦١)** قيل : من عطف الفعلية على الإسمية . وقيل : عطف على جمل الأفعال السابقة ، والجملة الإسمية اعتراض ، ويؤيده مناسقة **(عليكم)** لما تقدم في الخطاب . وقيل : عطف على وصف القاهر ، لأنه في معنى الفعل . وقيل : « بتقدير : وهو يرسل[6] . **(عليكم/٦١)** فيه التفات عن عباده . **(حَفَظَةً/٦١)** الكشاف : « فإن قلت : الله غني بعلمه عن كتبة الحفظة ، فما فائدتها ؟

قلت : لطف بالعباد ، لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم ، والملائكة موكلون بهم ، يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تُعْرَض عليهم على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة ، كان ذلك أزجر لهم عن القبيح ، وأبعد من السوء »[7] . **(تَوَفَّتْه/٦١)** في قراءة **(توفاه)**[8] . وقرىء **(يتوفّاه)** مضارع بتحتية[9] .

---

(١) الأنعام (٦١) .
(٢) السجدة (١١) .
(٣) النساء (٩٧) .
(٤) البحر (١٤٦/٤) بتصرف .
(٥) عن أبي رجاء ، وطلحة . الدر المصون (٦٦٤/٤) .
(٦) قال أبو البقاء باحتمال الأوجه الثلاثة الأخيرة . الإملاء (٢٤٥/١) . واستظهر أبوحيان القول الأول ، البحر (١٤٧/٤) .
(٧) الكشاف (٢٥/٢) .
(٨) هي قراءة حمزة ، الكشف (٤٣٥/١) .
(٩) عن الأعمش ، البحر (١٤٨/٤) ، والدر المصون (٦٦٧/٤) .
وفي ابن خالويه (يوفيه) ونسبها إلى الأعمش وابن أبي ليلى ، ابن خالويه (٣٧) .

(رسلنا/٦١) فيه التفات ، وفي آية السجدة (قل يتوفاكم ملك الموت/١١) ، والرسل هنا أعوانه يجذبونها من البدن ، فإذا حصلت إلى موضع الخروج ، تناولها فهو قابض ، وهم يعالجون ، فصح نسبة التوفي إليه وإليهم . (وهم لا يفرطون/٦١) قرىء بالتخفيف[1] ، فالأولى من التفريط ، وهو التواني والتأخر ، والثانية من الإفراط ، وهو مجاوزة الحد ، أي لا ينقصون مما أُمروا به ، ولا يزيدون فيه ، قاله ابن جني[2] ، وذلك راجع إلى أنهم لا يقدّمون أحداً قبل حضور أجله ، ولا يؤخرونه إذا حضر .

(ثم رُدُّوا) فيه التفات عن الخطاب . (إلى الله/٦٢) فيه التفات عن التكلم ، والأصل : رددتم إلينا. (مولاهم/٦٢) فيه إشعار برحمته لهم ، مسكن لبعض ما في قلوب العباد من فزع الموت ، لأن من كان مرده إلى مولاه ، أَنِس بكل خير . واستدل بقوله : (رُدُّوا/٦٢) على أن الروح كانت قبل البدن ، لأن الرد يُشعر بسابقة أمر حتى تردّ إليه[3] . (الحق/٦٢) قال الزمخشري : «معناه العدل الذي لا يحكم إلا بالحق »[4] ، وفيه أيضاً تأنيس للعباد . وقال الإمام : « فيه إشارة إلى أن من اتَّبع هواه ، يخلص بالموت من الموالي الباطلة ، وانتقل إلى المولىٰ الحق »[5] .

وقرىء بنصبه[6] على المدح . (ألا له الحكم/٦٢) أي لا لغيره . (وهو أسرع الحاسبين/٦٢) مناسب لأمر الموت المفضي إلى البعث ، وإن كان المراد بالرد البعث فأوضح . (قل من يُنَجِّيكم/٦٣) عود إلى الاحتجاج على المشركين ، مع تلطف وتذكير إنعام ، فهو متصل بقوله : (قل أرأيتم/٤٦) السابق بعدما استطرد فيه إلى

(١) عن عمرو بن عبيد ، والأعرج . الدر المصون (٤/٦٦٧ - ٦٦٨) .
(٢) المحتسب (١/٢٢٣) .
(٣) انظر روح المعاني (٧/١٧٨) .
(٤) الكشاف (٢/٢٥) .
(٥) التفسير الكبير (١٣/١٩) بمعناه .
(٦) عن الحسن ، والأعمش . ابن خالويه (٣٧ - ٣٨) ، والدر المصون (٤/٦٦٨) .



غيره ، كما هو عادة القرآن . (**وخُفْيَة/٦٣**) بضم الخاء وكسرها[1]. وقرىء (**وخِفية**)[2] من الخوف . (**لئن/٦٣**) أي قائلين . (**أنجيتنا**) في قراءة (**أنجانا**)[3]. (**قل الله/٦٤**) الآية ، أمر نبيه ﷺ بالمسابقة إلى الجواب ، ليكون هو السابق إلى الخير ، وإلى الاعتراف بالحق . (**ثم أنتم تشركون/٦٤**) استبعاد ، على حد ما تقدم أول السورة . (**قل هو القادر/٦٥**) الآية ، قالت طائفة : هو خطاب للكفار جرياً على نسق الآيات السابقة[4]. وقال آخرون : بل للمؤمنين[5]، ويؤيده الحديث[6]، وختمه بقوله (**لعلهم يفقهون/٦٥**) ، كما تقدمت الإشارة إليه ، ويؤيده أيضاً قوله بعدها : (**وكذّب به قومك/٦٦**) ، فغيَّر الأسلوب ، وأتى بالاسم الظاهر . (**أو يَلْبِسَكم شِيَعاً/٦٥**) حال ، أي يخلط فِرقاً مختلفين على أهواء شتى . وقرىء بضم الياء[7] من ألبس ، استعارة من اللباس ، وتقديره يلبسكم الفتنة شيعاً . (**ويذيق/٦٥**) كثُر استعمال الإذاقة في القرآن ، وكلام العرب للإصابة ، لأنها من

---

(١) قراءة الكسر هي قراءة أبي بكر ، وقراءة الضم هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٣٥) .

(٢) عن الأعمش ، الدر المصون (٤/٦٦٩) .

(٣) هي قراءة الكوفيين ، الكشف (١/٤٣٥) .

(٤) وهو ما ذهب إليه الطبري ، واستظهره أبو حيان . جامع البيان (١١/١٦) ، والبحر (٤/١٥١) .

(٥) وهو ما صححه القرطبي ، الجامع (٧/٩) . وعزاه ابن كثير إلى مجاهد ، تفسير القرآن العظيم (٢/١٣٩) .

(٦) وهو ما رواه مسلم عن ثوبان قال : قال رسول الله -ﷺ- : (إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها . وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض . وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة ، وألا يسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم . وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاءً ، فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال (من بين أقطارها)- حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً) .
مسلم (٣/٢٢١٥) ، حديث رقم (٢٨٨٩) ، كتاب الفتن - باب (٥) ، وانظر الجامع للقرطبي (٧/١٠) ، وروح المعاني (٧/١٨٠ - ١٨١) .
وعلى كلٍّ فإن هذه الآية وإن نزلت في سياق إنذار مشركي مكة وإقامة الحجة عليهم ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب -كما يقولون-، فهي تصلح لخطاب المشركين والمسلمين. . . وهذا ما ذهب إليه صاحب المنار (٧/٤٩٣) .

(٧) عن أبي عبد الله المدني ، الدر المصون (٤/٦٧١) .



أقوى حواس الاختبار . وقرئ بالنون[1]، ففيه التفات . **(انظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون/٦٥)** تنبيه على فائدة التكرير الواقع في القرآن ، واختلاف الآيات والحجج ، وضروب الأمثال ، لأن في ذلك ما يقتضي الفهم لا محالة ، إن عربت آية ، لم تعرب أخرى . **(وكذَّب به/٦٦)** قيل : الضمير للعذاب[2]، أو الوعيد[3]. وقيل : للقرآن الذي جاء فيه تصريف الآيات[4]. وقيل : للنبي ﷺ[5] . قال ابن عطية : « وهو بعيد ، لقرب خطابه بعده بالكاف »[6]. وقرئ **(وكذبت)**[7]، كما قال : **(كذّبت قوم نوح)**[8]. **(وهو الحق/٦٦)** استئناف . **(لكل نبأ مستقرٌ وسوف تعلمون/٦٧)** تهديد بليغ ، ووعيد عظيم . **(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا/٦٨)** كناية عن الاستهزاء بها ، والطعن فيها . **(فأعرض عنهم/٦٨)** من الإعراض بالذات لا بالقلب وحده . **(في حديثٍ غيره/٦٨)** قال الحوفي : « الضمير عائد إلى الخوض ، على حد :

إذا نُهِي السَّفيهُ ، جرى إليه ....[9].

أي إلى السفه »[10]. وقال أبو البقاء : « إلى معنى الآيات ، لأنها حديث

---

(١) عن الأعمش ، الدر المصون (٦٧٢/٤) .

(٢) قاله الزمخشري ، وذكر الألوسي أنه اختيار غالب المفسرين . الكشاف (٢٦/٢) ، وروح المعاني (١٨١/٧) .

(٣) قال باحتماله ابن عطية ، المحرر الوجيز (٢٣٢/٥) . ونحا إليه الطبري ، جامع البيان (٤٣٤/١١) .

(٤) قاله القرطبي وابن كثير ، الجامع (١١/٧) ، وتفسير القرآن العظيم (١٤٣/٢) . وهو ما استظهره ابن عطية ، المحرر (٢٣٢/٥) ، وانظر المنار (٥٠١/٧) .

(٥) وهو ما استبعده السمين ، الدر المصون (٦٧٢/٤) .

(٦) المحرر (٢٣٢/٥) .

(٧) عن ابن أبي عبلة ، البحر (١٥٢/٤) .

(٨) الشعراء (١٠٥) .

(٩) وعجز البيت هو : .. وخالف ، والسفيهُ إلى خلاف .
ولم أهتد إلى قائله ، وهو في مجالس ثعلب (٦٠/١) ، والمحتسب (١٧٠/١) ، والخصائص (٤٩/٣) ، والإنصاف (١٤٠) ، والهمع (٦٥/١) ، والدرر (٤٤/١) .

(١٠) البحر (١٥٢/٤) .



وقـول »[1][2] . (وإما يُنْسِيَنَّـك/٦٨) جاء هذا الشرط بإمـا ، لأنـه غير محقق الوقوع ، بخلاف إذا في أول الآية ، لأن خوضهم محقق . وفي قراءة بالتشديد[3] من نسّى . (مع القوم الظالمين/٦٨) أوقع الظاهر موقع معهم ، تنبيهاً على عِلَّة الخوض ، وهو ظلمهم ومجاوزتهم الحد . ولما نزلت ، قال المؤمنون : « لا يمكننا طواف ولا عبـادة في الحَـرَم ، فنـزلت : (وما على الذين يتقون/٦٩) الآية[4] ، وبذلك عُرف وجه الانتقال من خطاب الرسول إلى خطاب المتقين .

(لعلهم يتقـون/٦٩) هو المسمى في البـديع[5]. و(يتقـون/٦٩) أول الآية بمعنى : يتقون المعاصي ، وآخرها بمعنى يتقون الخوض ، فالمصدر به أعم .

(وذرِ الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعِباً/٧٠) مناسب لقصة الخوض والاستهزاء . وقد وقع في هذه السورة تفنن كثير ، وتنويع في التعبير عن الكفار ، فتارة بالذين كفـروا ، وتـارة بالـذين يمـترون ، وتـارة بالمعـرضـين ، وتـارة بالمكـذبين ، وتارة بالمستهزئين ، وتارة بالخاسرين ، وتارة بالمشركين ، وتارة بالمفترين ، وتارة بالظالمين ، وتـارة بالجـاحدين ، وتارة بالموتى ، وتارة بالجاهلين ، وبالذين لا يعلمون ، وتارة بالضـالـين ، وتـارة بالـذين يصدقون ، وتارة بالمجمعين ، وتارة بالخائفين ، وتارة بالمتخذين دينهم لعباً ولهواً ، مع مناسبة كل لفظ للآية التي هو فيها . وهذه غاية الفصاحة ، ونهاية البراعة . قال ابن عطية : « وإضافة الدين إليهم على معنى أنهم جعلوا اللعب واللهـو ديناً ، أو المراد : دينهم الذي كان ينبغي لهم »[6]. (وذكِّر به/٧٠) أي بالقرآن أو بالدين[7]. (أن تُبْسَل/٧٠) مفعول من أجله ، أي كراهة

---

(١) في (ب) : وقوله .

(٢) البحر (١٥٢/٤) ، وهو في الإملاء (٢٤٦/١) : « ...... حديث وقرآن » .

(٣) هذه قراءة ابن عامر ، الكشف (٤٣٦/١) .

(٤) البحر (١٥٣/٤) ، وزاد المسير (٦٢/٣) .

(٥) في النسختين فراغ .

(٦) المحرر (٢٣٨/٥) .

(٧) أو بالحساب - كما ذكر أبو حيان ، ومال إلى الأول من هذه الأقوال المذكورة ، وذكر أنه كقوله : (فذكِّر =



أن[1] ، وجوَّز أبوحيان كونه بدلاً من ضمير (به/٧٠) ، على حد : اللهم صلّ عليه الرؤوف الرحيم[2] . (**لا يؤخذ/٧**) أي المعدول به المفهوم من عدل . (**أولئك/٧٠**) قيل : إشارة إلى الذين اتخذوا[3] . وقيل : إلى الجنس المدلول عليه بقوله :(**أن تُبْسَل نفسٌ/٧**)[4] . (**شـرابٌ من حميمٍ ، وعذابٌ أليم/٧٠**) فيه ترصيع[5] (**ونُرَدُّ على أعقـابنا/٧١**) قال ابن جرير وغيره : « الردُّ على العقب يُستعمل فيمن أمّل أمراً فخـاب[6] . (**كـالذي/٧١**) حال من ضمير (**نُرَدُّ/٧١**) ، أي كائنين . (**استهوته الشيـاطـين/٧١**) قرىء : (**استهـوتـه الشيـطان**) وقـرىء : (**الشيـاطـون**)[7] . (**حيران/ ٧١**) حال من مفعول استهوته . (**له/٧١**) راجع إلى الذي ، حال أيضاً ، (**يدعونه إلى الهدى/٧١**) أي الطريق ، فأطلق عليه الهدى ، كما أطلق على الهدى الطريق في قوله : (**من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراطٍ مستقيمٍ**)[8] ،

= بالقرآن من يخاف وعيد) ، وهو قول ابن الجوزي ، وقدَّمه الألوسي على غيره من الأقوال ، وبه جزم محمد رشيد رضا .
زاد المسير (٣/٦٤) ، والبحر (٤/١٥٥) ، وروح المعاني (٧/١٨٦) ، والمنار (٧/٥١٩) .

(١) ذكر أبو حيان أن هذا الإعراب محل اتفاق . (البحر ٤/١٥٥) ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٢/٧٣) .

(٢) البحر (٤/١٥٥) ، وانظر همع الهوامع (٥/١٧٦) .

(٣) قاله الحوفي ، وتبعه الزمخشري ، وهو ما استظهره أبو حيان ، وبه قال الألوسي . البحر (٤/١٥٦) ، والكشاف (٢/٢٨) ، وروح المعاني (٧/١٨٧) .

(٤) المحـــرر (٥/٢٤٠) .

(٥) الترصيع : هو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان ، متفقة الأعجاز .
نهاية الإيجاز (٣٥) ، ومفتاح العلوم (٢٠٣) ، والفوائد لابن القيم (٢٢٩) ، وحسن التوسل (١٣٦) ، ونهاية الأرب (٧/١٠٤) .

(٦) جامع البيان (١١/٤٥٠) بمعناه ، ثم قال الطبري :
« وإنما يراد به في هذا الموضع : ونردُّ من الإسلام إلى الكفر - بعد إذ هدانا الله فوفقنا له - فيكون مثلنا في ذلك مثل الرجل الذي استتبعه الشيطان يهوي في الأرض حيران » .

(٧) نسب أبو حيان هذه القراءة إلى الحسن ، ونسب القراءة السابقة إلى السلمي ، والأعمش ، وطلحة . البحر (٤/١٥٨) .

(٨) الأنـعـــام (٣٩) .



والجملة صفة (**أصحاب**) ، و«إلى» متعلقة بـ(**يدعونه**). (**ائتنا/ ٧١**) بتقدير : قائلين . وقرىء (**أتينا**)[١] فعلاً ماضياً ، فـ(**إلى الهدى/ ٧١**) متعلق به .

الزمخشري : « هذه الآية وردت على ما كانت العرب تزعمه وتعتقده من أن الجن تستهوي الإنسان ، والغِيلان تستولي عليه ، كقوله : (**الذي يتخبطه الشيطان**)[٢] ، فشبّه به الضال عن طريق السلام التابع لخطوات الشيطان ، والمسلمون يدعونه إليه ، فلا يلتفت إليهم »[٣] . و(**استهوته**) قيل : من الهوى ، أي أمالته . وقيل : من الهوِي ، في هُوَّة[٤] . الإمام : « هذا المَثَل في غاية الحسن ، وذلك أن الذي يهوي من عال إلى وهدة عميقة ، يهوي إليها مع الاستدارة ، وذلك يوجب كمال التردد والتحيّر ، فعند نزوله لا يعرف أنه يسقط على موضع يزداد بلاؤه بسبب سقوطه عليه ، أو يقلّ ، ولا تجد للحائر الخائف أكمل ولا أحسن من هذا المَثَل »[٥] .

ابن جماعة : « قدّم في هذه الآية[٦] ، وفي الأنبياء[٧] النفع على الضر ، وفي سائر المواضع قدّم الضر على النفع[٨] ، لأن دفعه أهم من جلب النفع ، ولما ذكر هنا ، وفي الأنبياء الدعاء والعبادة ، والمقصود منهما غالباً طلب النفع وجلبه ، كان تقديمه أهم ، ولذلك قال في الحج : (**يدعو لمن ضره أقرب من نفعه/ ١٣**) أي المقصود بالدعاء »[٩] . (**وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ/ ٧١**) أي بأن نُسْلِم . قال الفراء وغيره : « تقع اللام

---

(١) كما في مصحف عبد الله بن مسعود ، البحر (٤/ ١٥٨) .

(٢) البقرة (٢٧٥) .

(٣) الكشاف (٢/ ٢٨) .

(٤) القول الأول هو معنى قول الزجاج ، والقول الثاني هو قول أبي علي الفارسي . الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٥) ، والجامع للقرطبي (٧/ ١٨) ، والبحر (٤/ ١٥٧) .

(٥) التفسير الكبير (١٣/ ٣١ - ٣٢) بقليل من الاختصار .

(٦) وذلك قوله تعالى : (**قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا/ ٧١**) .

(٧) وهو قوله تعالى : (**قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم**) الأنبياء (٦٦) .

(٨) وذلك في المائدة (٧٦) ، ويونس (٤٩) ، وطه (٨٩) ، والحج (١٢) ، والفرقان (٣) ، والفتح (١١) .

(٩) كشف المعاني (١٣٤) .



بمعنى أن ، بعد فعل الله أو أراده »[1] . وقيل : عِلَّة لمفعول محذوف ، أي بالإخلاص لكي نسلم وننقاد لرب العالمين[2] ، أقامه مقام « له » تنبيهاً على استحقاقه للانقياد له ، لكونه مالك العوالم كلها ، من الأصنام وغيرها . **(وأن أقيموا/٧٢)** قيل : عطف على **(لنسلم/٧١)** ، أي أُمرنا لأن نُسلم ، وأن أقيموا قاله الزجاج[3] ، ففيه انتقال من التكلم إلى الخطاب ، وهو من أنواع الالتفات التي عزّ وقوعها ، فلا تكاد توجد ، قال ابن عطية : « وتقديره على هذا : ولنقيم ، فخرج بلفظ الأمر ، لما في ذلك من جزالة اللفظ ، فجاز العطف ، إلغاء لحكم اللفظ ، وتعويلاً على المعنى »[4] . انتهى . وقال أبو حيان : « لما ذكر أن أقيموا في تأويل ، المصدر ، زال منه معنى الأمر ، وصح عطفه على ما هو في تأويله ، والتقدير أُمرنا بالإسلام ، وإقامة الصلاة »[5] . انتهى . قيل : هو منتظم مع قوله **(إن هدى الله/٧١)** ، وقل : أقيموا[6] . **(وهو الذي إليه تحشرون/٧٢)** جملة خبرية تتضمن التنبيه والتخويف لمن ترك امتثال ما أُمر به من الإسلام والصلاة والتقوى ، لأنه إنما يظهر ثمرات هذه الأفعال ، وحسرات تركها يوم الحشر .

قلت : وقد جمعت الآية جميع الأوامر والنواهي ، فبدأ بالأمر بالإسلام ، لأنه الأصل ، ثم بالصلاة لأنها أهم العبادات وآكدها بعد الإسلام ، ثم بالتوقي الذي

---

(١) البحر (١٥٩/٤) ، وذكر أنه مذهب الكسائي أيضاً ، وقال : « أردت ، وأمرت » . بدلاً من « فعل الله ، أو أراده » .
والذي في « معاني القرآن » للفراء هو : « .... والعرب تقول : أمرتك لتذهب وأن تذهب ، فأن في موضع نصب بالرد على الأمر... » .
معاني القرآن (٣٣٩/١) .

(٢) وهو ما استظهره أبو حيان .
البحر (١٥٨/٤) ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٧٤/٢) ، وروح المعاني (١٨٩/٧) .

(٣) معاني القرآن (٢٦٣/٢) .

(٤) المحرر (٢٤٧/٥) .

(٥) البحر (١٦٠/٤) بتصرف .

(٦) قال أبو حيان عن هذا القول بأنه ضعيف جداً ، ولا يقتضيه نظم الكلام . البحر (١٦٠/٤) ، وانظر معاني القرآن للفراء (٣٣٩/١) ، وإعراب القرآن للنحاس (٧٤/٢) ، والجدول (١٥٢/٤) .



هو شامل لبقية الأوامر وجميع المناهي ، وهو عطف عام على خاص . (**وهو الذي خلق السموات/٧٣**) ذكر ابتداء الخلق عقب ذكر الحشر ، دليلاً على صحته ، لأن البدء دال على الإعادة ، خصوصاً من خلق هذين الخلقين العجيبين اللذين هما أكبر من خلق النـاس ، كمن قال عند الاستدلال على ذلك : (**أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم**)[١] ، (**أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ، ولم يعي بخلقهن بقادرٍ على أن يحيي الموتى**)[٢] ، ثم عاد إلى تتمة الكلام في الحشر ، فقال : (**ويوم يقول كن فيكون/٧٣**) ، ونصب (**يوم/٧٣**) قيل : بتقـدير : واذكر الإعادة . وقيل : عطف على الهاء في (**اتقوه/٧٢**) ، أي واتقوا يوم ، أي عقابه وشدائده . وقيل : على السموات ، أي وخلق[٣] . وقيل : هو خبر مقدم ، و(**قوله**) مبتدأ مؤخر ، والحق صفته ، وجزم به الزمخشري ، ورجحه أبوحيان[٤] .

قلت : وكأن نكتته الإخبار بكونه قائماً بالحق في الدارين ، لقوله في جملة البدء بالحق ، والإشارة إلى أن خلقه في البدء والإعادة بحكمة وصواب ، لا عبثاً . وعلى الإعـراب الأول ، قيل : (**قوله الحق/٧٣**) مبتدأ وخبر . وقيل (**قوله/٧٣**) فاعل فيكـون ، وهي تامـة ، والتـمام عنـد (**لكن/٧٣**) . (**ولـه الملك يوم يُنْفَخ في الصور/٧٣**) الظرف متعلق بالملك ، إخباراً بانفراده به يومئذ ، على حد (**مالك يوم الـدين**)[٥] ، (**لمن الملك اليوم ، لله**)[٦] . وقيل : بدل من (**ويـوم يقـول/٧٣**)

---

(١) يـس (٨١) .

(٢) الأحقاف (٣٣) .

(٣) ذكر أبو حيان هذه الأعاريب السابقة ، وقال إنها كلها بعيدة ، ينبو عنها التركيب . البحر (٤/١٦١) . والإعراب الثاني من هذه الأعاريب ، هو مذهب الزجاج . معـاني القـرآن (٢/٢٦٣) ، وانـظر إعـراب القـرآن للنحـاس (٢/٧٥) ، والبيان لابن الأنبـاري (١/٣٢٦) ، والجدول (٤/١٥٤) .

(٤) انظر الكشـاف (٢/٢٩) ، والبحر (٤/١٦١) .

(٥) الفاتحـة (٤) .

(٦) غـافـر (١٦) .

قبله[1] . وقرىء (**ننفخ**) بالنون[2] . وفيه التفات ، وقرىء (**الصّور/٧٣**) بفتح الواو[3] ، وجمع صوره ، (**عالم/٧٣**) خبر هو مقدراً . وقرىء بالجر[4] بدل من ضمير (**له**) . (**الغيب والشهادة/٧٣**) قدّم الغيب ، لأنه عِلم أشرف . (**وهو الحكيم الخبير/٧٣**) الوصف الأول مناسب للخلق والإعادة الكائنين على وجه الحكمة كما تقدمت الإشارة إليه ، والثاني مناسب لعلم الغيب والشهادة ، لأن الخبر صفة تدل على علم ما لطف إدراكه من الأشياء . (**وإذ قال إبراهيم/٧٤**) الآية ، لما تقدم : (**قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا/٧١**) الآية ، ناسب ذكر هذه الآية هنا المشتملة على التذكار بقصة إبراهيم مع أبيه وقومه ، لرجوع العرب إليه ، واقتدائهم بكثير من آثاره ، لأنه جدّهم وبه شرفهم ، وباني البيت الذي هو مفخرهم ، فكأنه قيل : إنكار هذا النبي عليكم عبادة الأصنام ، مثل إنكار جدّكم إبراهيم على أبيه وقومه عبادتها . (**آزر/٧٤**) . بالفتح مجروراً بيان أو بدل من أبيه ، على أنه اسم أبيه[5] . وقيل : هو اسم الصنم ، فيكون منصوباً على التحذير ، أو بتقدير : أترك ، أو ذر . وقرىء بالضم[6] على النداء . وقيل : معناه : يا مخطىء[7] ، أو يا أعوج[8] بلغتهم . وقرىء : (**أأزرا تتخذ**) بهمزة استفهام ، ثم

---

(١) انظر إعراب القرآن للنحاس (٢/٧٥) ، والبحر (٤/١٦٠ - ١٦١) ، والدر المصون (٤/٦٩١) .
(٢) عن أبي عمرو في رواية عبد الوارث ، البحر (٤/١٦١) .
(٣) عن الحسن البصري ، الدر المصون (٤/٦٩٣) .
(٤) عن الأعمش ، البحر (٤/١٦١) .
(٥) وهو قول ابن عباس ، والحسن ، والسدي ، وابن اسحاق ، زاد المسير (٣/٧٠) .
(٦) قرأ بذلك يعقوب - كما في البدور الزاهرة (١٠٥) .
(٧) قاله الزجاج في معاني القرآن (٢/٢٦٥) .
(٨) وهو قول الفراء - كما في معاني القرآن (١/٣٤٠) .
وقد ذكر ابن الجوزي الأقوال السابقة ، وزاد قولاً لمجاهد ، وهو أن اسم أبي إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- هو : « تارح » ، زاد المسير (٣/٧١) .
ويبدو لي أن الصحيح أن (آزر) هو اسم أبي إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وذلك لما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي -ﷺ- : (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني ، فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يارب =



بهمزة مفتوحة ، وزاي ساكنة ، وتنوين الراء ، و(**تتخذ**) بلا همزة[1] ، أي عضداً وقـوة ومظاهرة على الله تتخذ ، قاله ابن عطية[2] ، وقال الزمخشري : « هو اسم صنم ، ومعنـاه : أتعبـد أزراً ، ثم قال : (**أتتخذ أصناماً آلهة/٧٤**) تثبيتاً لذلك وتقريراً ، وهو داخل في حد الإنكار »[3] . وقرىء (**أإزراً**)[4] مثلها ، لكن بكسر الهمزة الثانية ، بدلاً من الواو أي وزراً ومأثماً ، ونصبه بمضمر ، وفي مصحف أُبيّ (**يا آزر اتخذت**)[5] . (**إني أراك وقومك/٧٤**) بدأ بأبيه ، لأن النصح وسائر الفعل الجميل يُبدأ فيه بالأقرب فالأقرب ، كما قال تعالى : (**وأنذر عشيرتك الأقربين**)[6] . (**في ضلالٍ/٧٤**) هو أبلغ من ضالّـين ، حيث جُعـل الضـلال ظرفـاً لهم ، و(**كذلك/٧٥**) أي كما أريناه ضلال أبيه وقومه. (**نُري /٧٥**) بمعنى أرينا ، وهي بصرية ، كما ثبت الأثر[7] ، بأنه كشف له ، فرأى ذلك ببصره . (**مَلَكُوت/٧٥**) بناء مبالغة من الملك ، كرغَبَوت ورهبوت ، ورحموت وجبروت . وقرىء بسكون اللام ،

= إنـك وعدتني أن لا تخزيني يوم يُبعثون ، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد ، فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين. . .) الحديث . البخاري (٤/١١٠) كتاب الأنبياء - باب (٨) .
ولا ينافي هذا أن يكون له اسمٌ آخر وهو « تارح » ، لأنه قد يكون له اسمان كما لكثير من الناس ، أو يكون أحدهما لقباً .
وهذا توجيه الطبري (١١/٤٦٨) ، وإليه مال ابن كثير (٢/١٥٠) ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٢/٧٦) ، وروح المعاني (٧/١٩٤) ، والمنار (٧/٥٣٥) .

(١) عن ابن عباس ، البحر (٤/١٦٤) ، والدر المصون (٤/٦٩٧) .
(٢) المحـرر الوجيز (٥/٥٣) .
(٣) الكشـاف (٢/٣٠) .
(٤) عن ابن عباس أيضاً ، وأبي إسماعيل الشامي . البحـر (٤/١٦٤) ، والدر المصون (٤/٦٩٨) .
(٥) البحـــر (٤/١٦٤) .
(٦) الشـعـراء (٢١٤) .
(٧) حكى ابن جرير وغيره عن مجاهد، وعطاء، وابن جبير، والسدي، وغيرهم -واللفظ لمجاهد- : « فُرجت له السموات فنظر إلى ما فيهن ، حتى انتهى بصره إلى العرش ، وفُرجت له الأرضون السبع ، فنظر إلى ما في فيهن » .
وأورد ابن جرير أثراً آخر ، وهو أن الله رفع إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- حتى أشرف على أهل الأرض ، فأبصر أعمالهم ، فلما رآهم يعملون بالمعاصي ، قال : اللهم دمرّ عليهم . فقال له ربه : (أنا أرحم بعبادي منك ، اهبط ، فلعلهم أن يتوبوا إليّ ويراجعوا) » . =



(وملكوت)[١] بالمثلثة . وقرىء (تُري) بالفوقية . و(ملكوت) بالرفع[٢] ، أي ببصره دلائل الربوبية . (وليكون من الموقنين/٧٥) أي أريناه ، أو معطوف على محذوف أي ليقيم الحجة على قومه ، أو ليستدل به على الصانع ، وهذه قاعدة جارية في كل ما ورد في القرآن من ذلك[٣] . (فلما جنّ/٧٦) معطوف على جملة (وإذ قال/٧٤) ، وجملة (وكذلك) اعتراض ، قاله الزمخشري[٤] . وقال غيره : « إنه تفصيل لجملة (وكذلك) إلى آخره ، فليست معترضة » . (هذا ربي/٧٦) أي أهذا ، على طريق الإنكار على قومه . ابن عطية : « قال ذلك على سبيل التنزل مع الخصم ، وتقرير ما يُبنى عليه من استحالة أن يكون الرب بصفات الحدوث من قبول التغيُّرات ، ويؤيد القولين ، قوله آخر القصة :

(فلما أفَلَت قال يا قوم ِ إني بريءٌ مما تشركون/٧٨) ، فعِلم أنه قال ذلك في مجادلته

= انظر جامع البيان (٤٧٢/١١ - ٤٧٤) ، وزاد المسير (٧١/٣) ، والدر المنثور (٢٣/٣ - ٢٥) .
وقال ابن كثير (١٥٠/٢) - بعد أن ذكر ما سبق بنحوه - : « وروى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ وعلي ، ولكن لا يصح إسنادهما ، والله أعلم » .
وعلى أي حال يمكن أن تكون الرؤية هنا بصرية ، وذلك بأن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عياناً ، ويحتمل أن تكون علمية ، وذلك بأن يكون كشف عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده ، وعلم ما في ذلك من الحِكم الباهرة والدلالات القاطعة ، كما روى الإمام أحمد والترمذي عن معاذ بن جبل في حديث المنام :
(. . . فإذا أنا بربي -عز وجل- في أحسن صورة ، فقال : يا محمد ، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري يا رب . قال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري يا رب . فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري ، فتجلى لي كل شيء وعرفت . . .) .
مسند الإمام أحمد (٢٤٣/٥) ، وسنن الترمذي (٣٣٦/٥ - ٣٦٩) ، كتاب : تفسير القرآن باب (٣٩) ، وانظر جامع البيان (٤٧٦/١١) ، وتفسير القرآن العظيم (١٥٠/٢) ، وفتح القدير (١٣٣/٢) .

(١) هذه قراءة عكرمة ، والقراءة السابقة هي قراءة أبي السمال ، ابن خالويه ، (٣٨) ، والبحر (١٦٥/٤) .
(٢) البحر (١٦٥/٤) دون نسبة .
(٣) انظر البيان لابن الأنباري (٣٢٨/١) ، والبحر (١٦٥/٤) .
(٤) الكشاف (٣٠/٢) .



لقومه ، وقوله : (**وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**) »[1][2] الزمخشري : « (هذا ربي) قول من ينصف خصمه مع عِلمه أنه مبطل ، فيحكي قوله كما هو غير متعقب لمذهبه ، لأن ذلك أدْعَىٰ إلى الحق ، وأنجى من الشغب ، ثم يكِر عليه بعد حكايته ، فيبطله بالحجة »[3]. زاد أبوحيان : « فيكون هذا القول منه استدراجاً لإظهار الحجة ، وتوسلاً إليها ، كما توسّل إلى كسر الأصنام بقوله : (**فنظر نظرةً في النجوم ، فقال : إني سقيمٌ**)[4]، فوافقهم ظاهراً على النظر في النجوم ، وأوهمهم أن قوله : (**إني سقيمٌ**)[5] ناشيء عن نظره فيها »[6].

قلت : ويؤيد هذا التقرير ، ما في الحديث عند تردد الناس إليه في الشفاعة ، من قوله : « إني كذبت ثلاث كذبات ، إن أجادل بهن إلا عن دين الله ، فذكر قوله : (إني سقيمٌ) ، وقوله : (هذا ربي/٧٧)[7]، فدلّ على أنه أطلق هذين اللفظين بغير أداة الإنكار في مجادلته لقومه ، استدراجاً إلى إظهار الحق ، مورّياً

---

(١) الأنعام (٨٣) .
(٢) المحرر الوجيز (٥/٢٦١) بمعناه .
(٣) الكشاف (٢/٣١) .
(٤) الصافات (٨٨ ، ٨٩) .
(٥) الصافات (٨٩) .
(٦) البحر (٤/١٦٦) .
(٧) لم أعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ المذكور هنا ، ولفظه في البخاري كما رواه أبو هريرة مرفوعاً: (إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد ، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس منهم -فذكر حديث الشفاعة- فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله وخليله من الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، فيقول -فذكر كذباته-: نفسي نفسي ، اذهبوا إلى موسى) .
البخاري (٤/١١٣) باب : يزفون النسلان في المشي - كتاب : الأنبياء ، ورواه البخاري أيضاً في موضع آخر بلفظ : (لم يكذب إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- إلا ثلاث كذبات ، اثنتين منهن في ذات الله -عز وجل- ، قوله : (إني سقيم) وقوله : (بل فعله كبيرهم هذا) .
وقال : بينا هو ذات يوم وسارة ، إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له : إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه ، فسأله عنها ، فقال : من هذه ؟ قال : أختي . فأتى سارة . قال : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وأنّ هذا سألني عنك ، فأخبرته أنك أختي ، فلا تكذبين . فأرسل إليها ، فلما دخلت عليه ، ذهب يتناولها بيده ، فأخذ ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك . فدعت الله فأطلق ، ثم تناولها الثانية ، فأخذ مثلها أو أشد ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق ، فدعا بعض حجبته ، فقال : إنكم لم تأتوني بإنسان ، إنما أتيتموني بشيطان ، فأخدمها هاجر ، فأتته وهو قائم يصلي ، فأومأ بيده مهيا . قالت : رد الله كيد الكافر أو =



ومعرّضاً ، وذلك أصل من أصول[1] علم الجدل ، الذي كان -عليه السلام- أمة فيه ، بما آتاه الله من علم ، كما تقدم في مجادلته لنمرود ، وتبينَّ بذلك بطلان قول من ظن ، أنه قال ذلك في ابتداء أمره ، وعند نظره لنفسه . **(لا أُحبُّ الآفلين/٧٦)** احتج بالأُفول دون الطلوع ، لأنه أظهر ، لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب . وجاء بلفظ الآفِلين ، ليدل على أن ثم آفلين كثيرين ساواهم هذا الكوكب في الأُفول ، فلا مِزية له عليهم في أن يُعبد ، للاشتراك في الصفة الدالة على الحدوث . **(فلما رأى القمر بازِغاً/٧٧)** البزوغ أول الطلوع ، وذلك إنما يظهر في القمر والشمس ، لسعة جرمهما ، بخلاف الكوكب ، فإنه يبدو دفعة واحدة ، ويظهر بمجرد الظلام والليل ، لسبق طلوعه ، فلذلك لم يقل : كوكباً بازغاً . **(لأكونن من القوم الضالين/٧٧)** تعريض بقومه ، وتنبيه لهم على أن من اتخذ القمر إلهاً -وهو نظير الكوكب في الأُفول- فهو ضال ، وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه ، قاله الزمخشري[2] . **(الشمس)** تُذَكَّر في لغة ، وتُؤنَّث في الأشهر ، فقال : **(بازغةً/٧٨)** على المشهور ، وهذا على اللغة الأخرى[3] . وقيل : ذكر هذا إشارة إلى الطالع أو الكوكب أو المرئي أو النيرّ أو الضياء[4] . وقال الزمخشري : « جعل المبتدأ عين[5] الخبر ، لكونهما عبارة عن شيء واحد ، كقولهم : ما جاءت حاجتك ، وما كانت أمك . و**(لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا)**[6] وكان اختيار هذه الطريقة واجباً ، لصيانة

= الفاجر في نحره ، وأخدم هاجر) قال أبوهريرة : « تلك أمكم يا بني ماء السماء » .
البخاري (١١٢/٤ - ١١٣) باب : قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلًا) .... كتاب : الأنبياء .
ورواه أيضاً مسلم (١٨٤٠/٢) باب : من فضائل إبراهيم الخليل -ﷺ- كتاب : الفضائل .
ورواه أيضاً الترمذي (٣٢١/٥) باب : من سورة الأنبياء - عليهم السلام - كتاب : تفسير القرآن .
وأبو داود (٦٥٩/٢) باب : في الرجل يقول لامرأته يا أختي - كتاب : الطلاق .

(١) في (أ) : أصل . (٢) الكشاف (٣١/٢) . (٣) البحر (١٦٧/٤) .
(٤) انظر الإملاء لأبي البقاء (٢٤٩/١) ، ومعاني القرآن للأخفش (٢٨٠/٢) ، والجامع للقرطبي (٢٧/٧ - ٢٨) .
(٥) في الكشاف (٣٢/٢) : « مثل » . (٦) الأنعام (٢٣) .



الـرب عن شبهـة التـأنيث ، (**ألا تراهم قالـوا في صفة الله علّام ، ولم يقولوا : علّامة ، وإن كان علّامة أبلغ احترازاً من علامة التأنيث**)[1][2] . وقال أبوحيان: « يمكن[3] أن يقال: إن أكثر لغة الأعاجم لا يفرقون في الضمائر ، ولا في الإشارة بين المذكر والمؤنث ، بل هما سواء عندهم في العبارة ، فلما حكى كلام إبراهيم أشار إلى المؤنث ، كما يشار به إلى المذكر ، وحين أخبر تعالى عنها بقوله : (**بازغةً/٧٨**) ، و(**أفَلَت/٧٨**) أنّث على مقتضى العـربية ، إذ ليس ذلـك بحكـاية »[4] . (**إني بريءٌ/٧٨**) لما ظهرت الحجة ، أظهر البراءة مما سوى الله ، ثم أثبت التوحيد لله تعـالى . (**إني وجَّهت وجهي للذي فطر السمـوات والأرض/٧٩**) ، لأنهما أبلغ المخلوقات المشاهدة ، ولأنهما محل الكواكب ، والأصنام التي عبدوها ، ثم نفى عن نفسـه أن يكـون من المشركـين ، مبـالغـة في التبّري منهم ، فالأول[5] براءة من الشركـاء ، والـثـاني من المشركـين . (**وحـاجَّـه قومـه/٨٠**) تنـازع هو ، و(**أتحاجوني/٨٠**) في قوله :(**في الله/٨٠**)[6] على حد : (**يستفتونك ، قل : الله يفتيكم في الكلالة**)[7] . (**إلا أن يشاء/٨٠**) استثناء منقطع . (**شيئاً/٨٠**) مصدر ، أو مفعول به[8] . (**أفلا تتذكرون/٨٠**) تنبيه على غفلتهم ، حيث عبدوا ما لا يضر ولا ينفع ، وحاجّوه في الله الخالق الفاطر ، الضار النافع . (**وكيف أخاف/٨١**) الآية من أبلغ الحجج ، وأعظم إلزامات الجدل ، واختلف متعلق الخوف ، فبالنسبة إليه علّقه بأصنامهم ، وبالنسبة إليهم علّقه بإشراكهم بالله تركاً للمقابلة ، ولئلا يكـون الله عديل أصنـامـهم ، لو كان الـتركيب : ولا تخافـون الله ، وأتى

---

(١) ما بين القوسين ليس في (أ) .

(٢) الكشـاف (٢/٣٢) .

(٣) كلمة « يمكن » ليست في (أ) .

(٤) البحـر (٤/١٦٧) .

(٥) في (أ) : فـأول .

(٦) ذهب أبو حيان إلى أن قوله (في الله) متعلق بـ(أتحاجوني) ، لا بقوله (وحاجه قومه) ، وذكر أنه لو كان متعلقاً بـ(وحاجه . . .) ، لأضمر في (أتحاجوني) . . البحر (٤/١٦٩) .

(٧) النسـاء (١٧٦) .

(٨) البحـر (٤/١٧٠) ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٢/٧٨) .

بـ(ما/٨١)[1] في الأصنام ، لأنها لا تعقل . وقرىء (سلطاناً/٨١) بضم اللام[2]. اتباعاً . (فأي الفريقين/٨١) عدل عن أيّنا ، احترازاً عن تجريد نفسه ، فيكون ذلك تزكية لها . (الذين آمنوا/٨٢) الآية ، قيل : هو من كلام إبراهيم ، جواب سؤال لما لم يجيبوه . وقيل : من كلام الله تعالى على جهة القضاء بين إبراهيم وحاجِّيه[3]. (ولم يلبسوا إيمانهم/٨٢) أي يخلطوه بأن يؤمنوا ظاهراً ، ويشركوا باطناً ، فيكون قيد احتراز عن المنافقين . وقرىء بضم الياء[4]. (بظلم/٨٢) فسّر في حديث الصحيحين بالشرك[5]. (وتلك/٨٣) إشارة إلى ما تقدم من احتجاج إبراهيم بالكوكب وما بعده . (حُجتنا/٨٣) أُضيفت إليه تعالى على سبيل التشريف. (على قومه/٨٣) إشارة لعلو الحجة ، وقهرها . (نرفع درجاتٍ من نشاء/٨٣) قال زيد بن أسلم[6] : « بالعلم ، وهو مناسب لإيتاء الحجة »[7]. و(درجاتٍ/٨٣) بالإضافة والتنوين[8]. (إن ربك/٨٣) التفات. (حكيمٌ عليمٌ/٨٣) مناسب للحجة ، إذ هي علم دقيق ، يحتاج إلى إحكام وإتقان . (ووهبنا/٨٤) فيه التفات

---

(١) في (ب) : بها .

(٢) ذكر أبو حيان هذه القراءة ، دون أن ينسبها لأحد ، البحر (١٧٠/٤) .

(٣) حكى أبو حيان هذا القول وسابقه ، واستظهر الأول منهما . البحر (١٧١/٤) ، وانظر زاد المسير (٧٧/٣) .

(٤) عن عكرمة ، البحر (١٧١/٤) .

(٥) عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال : « لما نزلت : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شقّ ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه ! قال : (ليس ذلك ، إنما هو الشرك . ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه : (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلمٌ عظيمٌ) .
اللؤلؤ والمرجان (٢٥) كتاب : الإيمان ، باب : (٥٤) .

(٦) هو أبو أسامة ، أو أبو عبد الله ، زيد بن أسلم العدوي العمري ، من أهل المدينة المنورة ، وقد كان فقيهاً مفسراً ، كثير الحديث ، له كتاب في « التفسير » رواه عنه ولده عبدالرحمن ، توفي سنة ١٣٦هـ .
تذكرة الحفاظ (١٢٤/١) ، وتهذيب التهذيب (٣٩٥/٣) .

(٧) رواه أبو الشيخ عن زيد بن أسلم - كما في الدر المنثور (٢٨/٣) .

(٨) قراءة التنوين هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي ، وقراءة الإضافة هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٥٨) .



من الغيبة وتخلّص من قصة إبراهيم إلى ذكر سائر الأنبياء ، فورد ذلك مورد الامتنان على إبـراهيم ، بجعـل الأنبياء من ذريتـه ، لما مرّ على مراغمة قومه . **(إسحاق ويعقوب/٨٤)** لم يذكر معهما إسماعيل ، قيل : لأن المقصود هنا بالذكر أنبياء بني إسرائيل ، وهم بأسرهم أولاد إسحـاق ويعقـوب ، ولم يخرج من صلب إسماعيل نبي ، إلا النبي ﷺ ، ولم يذكر في هذا المقام ، لأنه أمره -عليه السلام- أن يحتج على العرب في نفي الشرك بالله بأن جدَّهم كان موحداً لله متبرئاً عن الشرك ، رزقه الله أولاداً ، أنبياء وملوكاً .

قلت : قد ذكره في الآية الثالثة بقوله : **(وإسماعيل واليَسَعَ/٨٦)** إلى آخره . وظهر لي أن نكتة ذكره هناك ، وإفراده بالذكر استقلالاً ، خصوصاً إذا جعلنا ضمير ذريته لنوح ، تعظيماً له ، حيث كان النبي -عليه السلام- من ذريته ، بخلاف إسحاق ويعقوب ، فذُكِرا على سبيل التبع لأبيهما ، وذُكر إسماعيل كأنه أصل بنفسه ، والله أعلم . **(ونوحاً هدينا من قبل/٨٤)** لما ذكر شرف أبناء إبراهيم ، ذكر شرف آبائه ، فذكر نوحاً ، الذي هو آدم الثاني ، فقال : **(من قبل/٨٤)** ، تنبيهاً على قدمه . وفي ذكره لطيفة ، وهو أن نوحاً ، عُبدت الأصنام في زمانه ، فوحّد الله ، وجادل قومه في عبادتها ، وإبراهيم كذلك ، فذكر الله أنه هدى نوحاً ، كما هدى إبراهيم . **(ومن ذريته/٨٦)** قيل : الضمير لنوح ، لأنه أقرب مذكور . وقيل : لإبراهيم ، لأنه المقصود بالذكر[1]، **(داودَ/٨٤)** بالنصب ، بتقدير : هدينا ، أو وهبنا ، وقُرن سليمان وداود ، لأنه ابنه ، وقد اشتركا في الملك ، وقدّم الأب ، وأيوب ويوسف ، لأنهما اشـتركا في المحنة والبلاء وحصول سلامة العاقبة ، وقدّم أيوب ، لأنه أشد

---

(١) القـول الأول هو اختيار الفـراء (٣٤٢/١) ، الـطبري (٥٠٧/١١) ، وهو ما استحسنه ابن عطية (٢٦٩/٥) ، والقول الثاني هو ما جوّزه الزجاج في معاني القرآن (٢٦٩/٢) ، وانظر البحر (١٧٣/٤) .
وعود الضمير إلى نوح هو الظاهر ، لأنه أقرب مذكور ، وعوده إلى إبراهيم ، لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن ، لكن يشكل عليه لوط ، فإنه ليس من ذرية إبراهيم ، بل هو ابن أخيه ، اللهم إلا أن يقال إنه دخل في الذرية تغليباً . . .
وهذا توجيه ابن كثير (١٥٥/٢) .



بلاء ، وموسى وهارون لاشتراكهما في الآخرة ، وقدّم موسى لأنه أفضل ، وزكريا ويحيى ، لأنه ابنه ، وعيسى وإلياس ، لاشتراكهما في أنهما لم يموتا إلى الآن ، وقدّم عيسى ، لأنه أفضل وصاحب كتاب ، وجمع إسماعيل والثلاثة بعده في آية ، لأنهم لم يبقَ لهم من الخلق أتباع . وقال بعضهم : « ذكر الأنبياء على مراتب ، مرتبة الملك ، ومرتبة البلاء ، ومرتبة القوة والصولة والبراهين والمعجزات لموسى وأخيه ، ومرتبة الزهد لزكريا والثلاثة بعده ، ومرتبة عدم الاتباع للأربعة الباقين »[1]، وذكر لوط من ذرية إبراهيم ، وهو ابن أخيه ، لأن العرب تسمي العم أباً ، وقرىء بفتح نون (**يونس**) ، وسين (**يوسف**)[2]. وفي قراءة (**اللَّيْسَع**) بلام مشددة[3] بوزن الضيغم . لطيفة : قال أبوحيان : « قد يسمي المسلمون بأسماء الأنبياء ، وتجافوا عن اسم لوط ، فقلّ من تسمّى به منهم »[4]. (**ومن آبائهم**/٨٧) موضع نصب ، فقيل : عطف على (**كلًّا فضلنا**/٨٦) وقيل : بتقدير : هدينا[5]، وذكر الأصول والفروع والحواشي . (**وهديناهم**/٨٧) كرر الهداية تفخيماً لشأنها ، وتأكيداً للأمر بالتوحيد ، ولذا قال : (**ذلك هدى الله**/٨٨) الآية ، فعرّض بقوله : (**ولو أشركوا**/٨٨) للمشركين . وفي (**هدى الله**) الثقات (**أولئك**/٨٩) الآية ، لما ذكر أنه فضَّلهم واجتباهم وهداهم ، ذكر ما فُضلّوا به ، وبدأ بالكتاب لأنه رتبة العلم ، ثم بالحكم ، وهو الفصل بين الناس ، أو الحِكمة ، وتلك رتبة أعلى من العلم ، ثم بالنبوة ، وهي مرتبة أشرف منهما ، ففيه ترق . وفي (**آتيناهم**/٨٩) التفات . (**فإن يكفر بها**/٨٩) أي بالثلاثة . وقيل : بالنبوة[6]، لأنها أقرب . (**هؤلاء**/٨٩)

---

(١) البحر (٤/١٧٤) بتصرف .

(٢) عن الحسن وطلحة ويحيى والأعمش وعيسى بن عمر ، البحر (٤/١٧٤) .

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي . زاد المسير (٣/٧٩) ، والبحر (٤/١٧٤) ، وانظر الكشف (١/٤٣٨) .

(٤) البحر (٤/١٧٤) .

(٥) هكذا قدرّه ابن عطية (٥/٢٧٣) ، وبه أخذ الشوكاني (٢/١٣٧) ، والتقدير السابق هو تقدير الزمخشري (٢/٣٣) ، وانظر البحر (٤/١٧٤) .

(٦) ذكر الزمخشري هذا القول ، وصدّر بسابقه . الكشاف (٢/٣٣) . وقد استظهر أبوحيان القول الثاني ، =



الإشارة به للتحقير . (فقد وكَّلنا بها قوماً/ ٨٩) استعير التوكيل للتوفيق للإيمان بها ، والقيام بحقوقها ، كما ويوكَّل الرجل بالشيء ليقوم به ، ويتعهده ويحافظ عليه . (هدى الله/٨٨) فيه التفات. (فبهداهم اقتده/٩٠) أي في التوحيد . وقيل : في مكارم الأخلاق التي كانوا متصفين بها ، كشكر نوح ، ومحاجّة إبراهيم ، وصدق وعد إسماعيل ، وحِلم إسحاق واستسلامه[1] ، وحسن ظن يعقوب ، واحتمال يوسف وعفوه ، وصبر أيوب ، وإنابة داود وتواضع سليمان ، وإخلاص موسى ، وإفصاح هارون ، وهجرة لوط ، وعبادة زكريا ، وعصمة يحيى ، وزهد عيسى ، وقد اجتمعت كلها في النبي -ﷺ- ، ولذلك قال له تعالى : (وإنك لعلى خلقٍ عظيمٍ)[2][3] . والهاء في (اقتده) للسكت ، إجراء للوصل مجرى الوقف . (لا أسألكم عليه/٩٠) أي الدعاء إلى الهدى . (إلا ذكرى/٩٠) في يوسف (ذكر/١٠٤) ، قال الكرماني وغيره : « لأنه تقدم قوله : (ولكن ذكرى)[4] ، فناسبه ، وكذا (فلا تقعد بعد الذكرى) »[5][6] . (وما قدروا الله/٩١) الآية ، نزلت في بعض اليهود ، قال له النبي ﷺ : « أليس تجد فيما أنزل الله على موسى ، أن

= وقال عن القول الأول : « وهو أيضاً له ظهور » . البحر (١٧٥/٤) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (١٥٥/٢) ، وفتح القدير (١٣٧/٢) .

(١) كأن المؤلف هنا يذهب إلى القول بأن الذبيح - الذي أمر الله نبيه إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) بذبحه - هو إسحاق - عليه الصلاة والسلام . وهو قول عمر، وعلي ، والعباس بن عبد المطلب ، وابن مسعود وإحدى الروايتين عن ابن عباس ، وكذا عن الإمام أحمد . وهو اختيار الطبري (٥٤/٢٣) . ولكن الراجح أن الذبيح هو إسماعيل - عليه الصلاة والسلام ، كما هو قول ابن عمر، وعبد الله بن سلام - والحسن البصري ، وسعيد بن المسيب، والشعبي ، ومجاهد وغيرهم وهو ما صححه ابن كثير (١٧/٤) ، وإليه ذهب ابن القيم ، وذكر أن القول الآخر باطل من عشرين وجهاً ، وأن شيخ الإسلام ابن تيمية بيّن أن هذا متلقى عن أهل الكتاب ، مع أنه باطل بنص كتابهم . انظر زاد المسير (٧٢/٧ - ٧٣) ، وزاد المعاد (٧١/١) .

(٢) القلم (٤) .

(٣) انظر البحر (١٧٦/٤) .

(٤) الأنعام (٦٩) .

(٥) الأنعام (٦٩) .

(٦) أسرار التكرار (٧٠) .

الله يبغض الحبر السمين ؟ ، فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء »[1] ، وهي مناسبة لما تقدم من ذكر الأنبياء ، وإيتائهم الكتاب ، وكفر قوم بذلك . وقيل : إنها في مشركي العرب[2] ، ومناسبتها على هذا ، أنه لما فرغ من قصة إبراهيم وأتباعه ، أخذ في تقرير النبوة ، والرد على منكري الوحي . وقرىء (**قدِّروا**) بتشديد الدال[3] ، و(**قدَره**) بفتحها[4] . (**قل من أنزل الكتاب/٩١**) هذا دليل على أن الآية نزلت في اليهود ، لا في كفار مكة ، وإلا لم يتم الاحتجاج ، لأن كفار مكة يكذِّبون بذلك أيضاً ، فلا يتم الدليل عليهم ، وكذا تخصيص كتاب موسى بالذكر ، دون كتاب عيسى وغيره من الكتب ، لأنه كتاب نبي اليهود ، وإنما يكون الاستدلال على الخصم بما يوافق هو عليه . قال الغزالي[5] : « وجه الاحتجاج بالآية ، يرجع حاصله إلى أن موسى أُنزل عليه شيء ، وهو واحد من البشر ، فبطل قوله ما أنزله الله على بشر من شيء ، ففي الآية من أنواع البديع المذهب الكلامي »[11] . (**تجعلونه/٩١**) قرأ الجمهور بتاء الخطاب في الأفعال الثلاثة ، وهو يؤيد كون الآية في اليهود أيضاً ، وليس التفاتاً عن الغيبة في (**قدروا/٩١**) و(**قالوا/٩١**) ، لأنه حينئذ يكون من تتمة قول النبي ﷺ لهم المأمور به ، وشرط الالتفات أن تكون الجملتان من كلام واحد . قال أبوحيان : « أدرج سبحانه تحت الإلزام توبيخهم ، والنعي عليهم بما صنعوه » ، قال : « ومن جعل الآية في كفار مكة ، جعل الخطاب لبني إسرائيل اعتراضاً خلال السؤال والجواب ، واستُبعد بأن فيه تفكيكاً لنظم الآية ، حيث جعل أول الكلام خطاباً مع المشركين ، وآخره مع اليهود . وأُجيب بأن الجميع لما اشتركوا في إنكار نبوة الرسول ، جاء بعض الكلام

---

(١) ذكر الواحدي هذا السبب المذكور بلفظ « ...... أما تجد في التوراة أن الله .... » الخ . أسباب النزول (١٤٧) .

(٢) وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري (٥٢٤/١١) ، وابن كثير (١٥٦/٢) والقول السابق مال إليه الألوسي (٢١٨/٧ - ٢١٩) ، ونسبه إلى الجمهور وانظر زاد المسير (٨٢/٣ - ٩٢) .

(٣) عن الحسن وعيسى الثقفي ، البحر (١٧٧/٤) .

(٤) عن الحسن ، القراءات الشاذة (٤٥) . (٥) في (ب) : العـراقي .

(٦) البحـر (١٧٧/٤) بمعناه . ولم أجد هذا النص في كتاب « جواهر القرآن » للغـزالي .



خطاباً للعرب ، وبعضه خطاباً لبني إسرائيل ، أما على قراءة الغيبة[1] ، فلا تفكيك ، لأن ذكره على سبيل الاستطراد ، عائد إلى اليهود المفهومين من إنزال الكتاب ، ومجيء موسى ، فكان التقدير يجعله المنزل عليهم ، أو الذي جاء به موسى إليهم ، وأوضحُ منه عوده إلى الناس ، لأن المراد بهم اليهود ، فإن التوراة هدى ونور لهم »[2] .

وعندي أن الآية نزلت مرتين ، مرة بمكة ، على قراءة الغيبة ، ومرة بالمدينة ، لما وقع من اليهود ما وقع ، فنزلت بحرف الخطاب ، وقد قرّرت في الإتقان قاعدة في ذلك[3] . (وعُلِّمتُم/٩١) إلى آخره ، إن كانت الآية في العرب ، فواضح ، وكذا إن كانت في اليهود ، فيكون امتناناً عليهم بإنزال التوراة ، حتى علموا منها ما لم يكونوا يعلمون لولاها . وفيها التفات على قراءة الغيبة لأنها وجملة (يجعلونه) من قائل واحد . (قل الله/٩١) أمره بالمبادرة إلى الجواب . (وهذا كتاب أنزلناه مباركٌ/٩٢) لما قرر بطلان قولهم : ما أنزل الله على بشر من شيء ، وأثبت إنزاله بإنزال كتاب موسى المتفق عليه عند الخصم ، عطف على إنزال هذا القرآن ، لأنه يلزم من تسليم إنزال التوراة ، إنزال القرآن بجامع أن الله قادر على الإنزال ، واستظهر عليه بقوله : (مصدق الذي بين يديه/٩٢) ، لأن الموافقة في الكتب ، وتصديق بعضها بعضاً ، أعظم شهادة على أن المتكلم بها واحد ، كما قال النجاشي حين سمع القرآن : أشهد أن هذا ، والذي أنزل على عيسى بن مريم يخرجان من مشكاة واحدة[4] . (ولتنذر/٩٤) عطف على ما قبله ، لأنه في معنى العِلَّة ، أي

---

(١) عن ابن كثير ، وأبي عمرو ، الكشف (١/٤٤٠) .

(٢) الذي في البحر (١٧٨/٤) هو : « وتتناسق قراءة التاء مع قوله (عملتم) ، ومن قال إن المنكرين العرب أو كفار قريش ، لم يمكن جعل الخطاب لهم ، بل يكون قد اعترض بني إسرائيل ، فقال : خلال السؤال والجواب : تجعلونه أنتم يا بني إسرائيل قراطيس ، وتمثل هذا يبعد وقوعه ، لأن فيه تفكيكاً لنظم الآية وتركيبها حيث جعل الكلام أولاً خطاباً مع الكفار ، وآخراً حطاباً مع اليهود ، وقد أجيب بأن الجميع لما اشتركوا في إنكار نبوة الرسول ، جاء بعض الكلام خطاباً للعرب ، وبعضه خطاباً لبني إسرائيل » . البحر (١٧٨/٤) .

(٣) لم أعثر على هذه القاعدة في الإتقان .

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام (١/٣٦٠) .



للبركة وللتصديق ، أو ليصدق . وقرىء بياء الغيبة[1] ، فالضمير للقرآن . وقيل : للرسول[2] ، فيكون التفاتاً عن الخطاب في (ولتنذر/٩٢) . (**وهم على صلاتهم/٩٢**) خصّها ، لأنها عماد الدين ، وأشرف العبادات وقرينة الإيمان ، وموافقة لما تقدم من قوله : (**وأُمِرْنا لنسلم/٧١**) ، (**وأن أقيموا الصلاة/٧٢**) . وقرىء (**صلواتهم**) بالجمع[3] . (**ومن أظلم/٩٣**) الآية ، لما ذكر قصة من أنكر إنزال الله تعالى على بشر من شيء ، ذكر قصة من ادَّعىٰ أن الله أنزل عليه ما لم ينزل ، وأوحى إليه ما لم يوح ، لأنه مقابلة في الكذب ، فبدأ بالعام ، وهو مطلق الافتراء ليعم افتراء الوحي وغيره ، ثم بافتراء الوحي وهو أخص ، ثم بأخص منه ، وهو افتراء إنزال الكتاب ، ليعم الوعيد كل مفتر على الله بوجه من هذه الوجوه . (**ولو ترى إذ الظالمون/٩٣**) عمم ليدخل فيه المذكورون وغيرهم ، وجواب (**لو/٩٣**) محذوف ، أي لرأيت أمراً فظيعاً . (**باسِطو أيديهم/٩٣**) كناية عن الضرب . (**أخرِجوا/٩٣**) بتقدير : قائلين . (**عذاب الهُون/٩٣**) قرىء (**الهوان**)[4] ، وأضاف العذاب إليه ، لأنه قد يكون على سبيل الزجر والتأديب والتطهير ، ولا هوان فيه ، كعذاب عصاة المسلمين . (**ولقد جئتمونا/٩٤**) معطوف على مقول القول المقدر . (**فرادى/٩٤**) قرىء منوناً ، وقرىء (**فردى**) كسَكْرى[5] . (**كما خلقناكم أول مرةٍ/٩٤**) أي حفاة عراة غُرْلاً . (**فيكم/٩٤**) أي في خلقكم ، أو في عبوديتكم ، أو عندكم[6] . (**تَقَطَّع**

---

(١) عن أبي بكر . الكشف (١/٤٤٠) .

(٢) لعل الأرجح هنا هو القول الأول ، لأنه هو الذي جرى له ذكر ، وهو ما استظهره أبو حيان (٤/١٧٩) ، واعتمده ابن كثير (٢/١٥٧) . وانظر زاد المسير (٣/٨٥) ، وروح المعاني (٧/٢٢٢) .

(٣) روى ذلك خلف عن يحيى بن أبي بكر ، وهي أيضاً قراءة الحسن بن أبي الحسن ، وأبي بكر عن عاصم . المحرر (٥/٢٨٥) ، والبحر (٤/١٨٠) .

(٤) عن عبد الله بن مسعود ، وعكرمة . البحر (٤/١٨١) .

(٥) هذه قراءة أبي عمرو ، ونافع ، والقراءة السابقة هي قراءة عيسى بن عمر ، وأبي حيوة . البحر (٤/١٨٢) .

(٦) انظر البحر في هذه الأقوال (٤/١٨٢) ، والقول الأول هو قول ابن قتيبة ، والقول الأخير هو قول ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٨٩) .



بينكم/٩٤) بالرفع ، فاعل على الاتساع في الظرف ، فاستُعمل اسماً[١]، أو على جعل البَيْنْ بمعنى الوصل[٢]، أو بمعنى الافتراق ، مجازاً عن الأمر البعيد ، والمعنى : لقد تقطعت المسافة بينكم ، لطولها ، فعبَّر عن ذلك بالبَيْنْ[٣]. وفي قراءة بالنصب[٤] على الظرفية ففاعل (تَقَطَّع/٩٤) ضمير التقطع ، أو ضمير الوصل الدال عليه السياق ، أو هو الفاعل ، وبُني ، لإضافته إلى مبني ، كقوله: (ومنا دون ذلك)[٥]، واختار أبوحيان أنه ظرف ، وأن (تقطع/٩٥) و(ضلّ/٩٤) تنازعا في (ما/٩٤) ، فأُعمل الثاني : وأُضمر في الأول [ضميره ، و(ما/٩٤) كناية عن الأصنام »][٦]، قال : « وهذا إعراب سهل ، لم يتنبه له أحد »[٧]. وقرأ ابن مسعود[٨] (وما بينكم). (إن الله فالِقُ الحب والنوى/٩٥) عوداً إلى مقصد السورة ، وما افتتح به ، من ذكر الخلق والإنشاء بعد ذلك الاستطراد . وقال الماتريدي : « وخصّ الحب والنوى بالذكر ، لأن جميع ما في الدنيا من النبات منهما فأضاف ذلك إلى نفسه ، كما أضاف جميع البشر إلى نفس واحدة ، لأنهم منها »[٩].

قلت : وفيه الإشارة إلى مادة النبات ، كما أشار إلى مادة البشر أول السورة بقوله: (خلقكم من طين/٢) ودلّ على قدرته الباهرة ، والبعث بعد الموت ، بشقّه النواة مع صلابتها ، وإخراجه منها نبتاً أخضر لَيِّناً ، وإلى ما ينشأ عنها بعد ذلك ،

---

(١) رجحه الفارسي ، الحجة (٣/٣٥٨) .

(٢) قاله أبوالفتح ، والزهراوي ، والمهدوي (البحر ٤/١٨٢) .
وقد اعترض ابن عطية على ذلك ، وذهب أنه لم يسمع من العرب البين بمعنى الوصل ، وإنما انتزع ذلك من هذه الآية ، والآية محتملة . المحرر (٥/٢٩١) ، وانظر مشكل إعراب القرآن للقيسي (١/٢٧٩) .

(٣) انظر المحرر (٥/٢٩١ - ٢٩٢) .

(٤) قراءة النصب هي قراءة نافع ، والكسائي ، وحفص ، وقراءة الرفع هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٤٠) .

(٥) الجن (١١) . وانظر البحر (٤/١٨٢) ، والإملاء (١/٢٥٤) ، وروح المعاني (٧/٢٢٥) .

(٦) في البحر (٤/١٨٣) : « ضمير ما ، وهم الأنصام » بدلاً مما بين القوسين .

(٧) البحر (٤/١٨٣) .

(٨) وكذلك مجاهد والأعمش ، البحر (٤/١٨٣) .

(٩) البحر (٤/١٨٤) .



ولذا قال بعده : (يُخرج الحي من الميت ، ومخرج الميت من الحي/٩٥) دليلاً على البعث أيضاً ، لأنه إذا أخرج من الميت الذي هو البيضة حيواناً حياً ، لم يتقدم له قبل ذلك حياة ، فلأن يعيد جسم الميت ، الذي تقدمت له الحياة ، حيًّا أولى .
وقرأ ابن مسعود : (فَلَقَ الحب) بصيغة الماضي[1] . وقوله : (ومخرج/٩٥) ، قيل : إنه معطوف على آية (فالق/٩٥) ، لأنه وصف مثله ، فلم يعطفه على (يُخرج/٩٥) ، لأن النبات عن فلق الحب والنوى ، من جنس إخراج الحي من الميت ، لأن النامي من حكم الحيوان ، ألا ترى إلى قوله: (يحيي الأرض بعد موتها)[2] ، فوقع قوله : (يخرج الحي من الميت/٩٥) من قوله:(فالق الحب والنوى/٩٥) ، موقع الجملة المبيّنة ، فلذلك عُطف على الوصف ، لا الفعل ، ولما كان هذا مفقوداً في آل عمرآن ، وتقدم قبل ذلك جملتان فعليتان ، (تُولج الليل في النهار ، وتُولج النهار في الليل)[3] ، كان العطف بالفعل »[4] . ورجَّح ابن هشام[5] وغيره عطف (مخرج/٩٥) على (يخرج/٩٥)[6] ، لأن الوصف شبيه بالفعل ، وفي ذلك تناسب الجملتين ، وموافقة المواضع التي عطف بها بالفعل ، وما تقدم في توجيه الأول ، ذكره جماعة ، منهم أبو حيان[7] وابن جماعة[8] ، وقال الإمام : « المحلّ محل أسماء الفاعلين ، لقوله : (فالِق الحب/٩٥) ، (فالِق الإصباح/٩٦) و(جاعِل الليل/٩٦) ، وعدل إلى الفعل في (يخرج الحي) ، كراهة اجتماع ثلاثة من حروف

---

(١) البحر (١٨٤/٤) .
(٢) الروم (٥٠) ، والحديد (١٧) .
(٣) آل عمران (٢٧) .
(٤) هذا نص كلام أبي حيان مع قليل من التصرف ، البحر (١٨٤/٤ - ١٨٥) .
(٥) هو أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الأنصاري ، المعروف بابن هشام . وهو من أهل القاهرة ، سكن دمشق وتوفي بها ، وقد كان نحوياً ، من كتبه : « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » ، و «قطر الندى » . توفي سنة ٨٣٥هـ . الضوء اللامع (٣٢٩/١) .
(٦) مغني اللبيب (٧٧٣/٢) .
(٧) البحر (١٨٤/٤ - ١٨٥) .
(٨) كشف المعاني (١٣٥) .



العلة : الواو ، والياء من نوى ، وواو العطف ، لو قال في الأول : ويخرج »[1] .

وضعَّفه صاحب المناجاة بوقوع مثله في قوله : (**الذي خلق فسوّى ، والذي**)[2] ، وبأنه كان يمكن وقوع اسم فاعل بلا عطف ، على وجه البدلية والبيان ، قال : « فالصواب أن (**يخرج الحي/٩٥**) وقع بياناً لفالق الحب ، كأن قائلاً يقول : كيف يفلق الحب والنوى ؟، فقال : يخرج الحي ، وهو الأخضر النامي من الميت ، وهو الحب ، أو النوى ، اللذين هما كالجامد . وجرى في (**ويخرج/٩٥**) على عطف أسماء الفاعلين بعضها على بعض » . انتهى. وفي قوله: (**إن الله/٩٥**) التفات من ضمائر التكلم في الآية التي قبله . (**فالِق الإصباح/٩٦**) قيل : التقدير : فالِق ظلمة الإصباح ، وهي الغَبَش الذي يعقبه الصبح . وقيل : شاقّ عمود الصبح عن الظلمة ، وكاشِفه[3] . وقرىء (**فَلَقَ**) فعلاً ماضياً[4] . و(**فالِق الإصباحَ/٩٦**) بنصب (**الإصباح/٩٦**) ، و(**فالقُ/٩٦**) بلا تنوين[5] ، لالتقاء الساكنين ، على حدّ : . . . . ولا ذاكرَ الله إلا قليلاً[6] .

وقرىء بفتح الهمزة[7] ، جمع صبح . أبوحيان: . «لما استدل على قدرته[8] الباهرة ، بدلالة أحوال النبات والحيوان ، وذلك من الأحوال الأرضية ، استدل على ذلك أيضاً بالأحوال الفلكية ، فإن فلق الصبح ، أعظم من فلق الحب والنوى ، لأن الأحوال الفلكية أعظم وقعاً في النفوس من الأحوال الأرضية »[9] .

---

(١) لم أجد هذا الكلام في التفسير الكبير .
(٢) الأعلى (٢) ، (٣) .
(٣) ذكر أبو حيان القولين ، ونسب الثاني منهما إلى الكرماني ، وهو اختيار الطبري قبله . البحر (٤/١٨٥) ، جامع البيان (١١/٥٥٤) .
(٤) عن النخعي ، وابن وثاب ، وأبي حيوة ، والأعمش . ابن خالويه (٣٩) ، والبحر (٤/١٨٥) .
(٥) المحرر (٥/٢٩٥) ، والبحر (٤/١٨٥) دون تعيين .
(٦) سبق تخريجه في ص ٥٧ .
(٧) قرأ بذلك الحسن ، القراءات الشاذة (٤٥) .
(٨) في (أ) : ذلك أيضاً ، وقدرته . . . .
(٩) البحر (٤/١٨٥ - ١٨٦) .



قلت : ولما كان خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر قد تقدم أول السورة ضمن قوله : (**وجعل الظلمات والنور/١**) ، لم تُذكر الأربعة هنا على وجه الخلق المجرد ، بل ذُكرت على وجه آخر ، ليكون أبلغ في التفننّ ، وتنويع الألفاظ ، فذكر النهار على وجه الفلق المشابه لفلق الحب عن النبات ، وبدوّه شيئاً فشيئاً ، من أصله المنشق عنه ، كما يبدو النابت من الحب والنوى على سبيل التدريج ، وذُكرت الثلاثة مقترنة بفائدة خلقها ، وهو السكن في الليل ، والحساب في الآخرين ، فأفاد الخلق وبيان العِلة والامتنان ، فسبحانه وتعالى . وفي قراءة : (**وجعل الليل/٩٦**) فعلاً ماضياً[١] ، وفي أخرى (**ساكناً**)[٢] . وقرىء : (**والشمسِ والقمرِ/٩٦**) بالجر عطفاً على لفظ (**الليل/٩٦**) ، وقراءة النصب[٣] عطف على محله ، أو بتقدير وجعل[٤] . وقرئا بالرفع[٥] على الابتداء ، والخبر محذوف ، أي مجعولان ، أو محسوبان . (**ذلك/٩٦**) إشارة إلى جميع ما تقدم . (**تقدير العزيز العليم/٩٦**) مناسب لما تقدم ، لأن تقدير هذه الأمور البديعة ناشيء عن كمال العلم والقدرة معاً ، و(**العزيز/٩٦**) الغالب الذي كل شيء في تسخيره وقهره . (**وهو الذي جعل لكم النجوم/٩٧**) ذكرها بعد الشمس والقمر ، للمناسبة ، وقرنها بفائدة خلقها ، وهو الاهتداء ، وفيه تعريض بعابدي الكواكب ، والنَّيِّرين ، أنهم أخطؤوا الموضوع ، لأنها إنما جُعلت ليُهتدىٰ بها ، ويُحسَب ، لا لتُعبد . وإضافة (**ظلمات**) إلى ما بعده للملابسة . (**قد فصَّلنا الآيات/٩٧**) فيه التفات . (**لقوم يعلمون/٩٧**) الكرماني : « ختم هذه بـ(**يعلمون**) ، والثانية بـ(**يفقهون/٩٨**) ، والثالثة بـ(**يؤمنون/٩٩**) ، لأن من أحاط عِلماً بما في الآية الأولى صار عالماً بوحدانية الله ، وهو أشرف العلوم ، فختم بـ(**يعلمون/٩٧**) ، والثانية مشتملة على ما فيه تدبرّ وتأمل ، والفقه علم

---

(١) هذه قراءة الكوفيين ، الكشف (٤٤١/١) .

(٢) أسند أبو حيان هذه القراءة إلى يعقوب ، وذكر قول الداني بأن هذه القراءة لا تصح عن يعقوب . البحر (١٨٦/٤) .

(٣) هذه قراءة الجمهور ، والقراءة السابقة هي قراءة أبي حيوة . المحرر (٢٩٥/٥) ، والبحر (١٨٦/٤) .

(٤) قاله الزمخشري ، وذهب إليه أبو حيان . الكشاف (٣٨/٢) ، والبحر (١٨٦/٤) .

(٥) ذكرها أبو حيان دون أن ينسبها لأحد . البحر (١٨٦/٤) .



يحصل بالفكر والتدبر ، فختم بـ(**يفقهون/٩٨**). ومن أقر بها في الثالثة ، صار مؤمناً ، فختم بـ(**يؤمنون/٩٩**) »[1]. وقال ابن جماعة : « لما كان حساب الشمس والقمر والنجوم ، والاهتداء بها خاصاً بالعلماء بذلك ، ناسب ختمه[2] بـ(**يعلمون/٩٧**) ، وإنشاء الخلائق من نفس واحدة ، ونقلهم[3] من صلب الرحم إلى الدنيا ، إلى البرزخ ، إلى الآخرة ، والنظر في ذلك ، والفكر فيه أدق ، ناسب ختمه بـ(**يفقهون/٩٨**) ، ولما ذكر ما أنعم به على عباده ، من سعة الأرزاق والأقوات والثمار ، وأنواع ذلك ، ناسب ختمه بالإيمان الداعي إلى شكره تعالى على نعمه »[4]. وقال أبوحيان: «الاهتداء بالنجوم واضح ، يحصل لمن له أدنى إدراك بالنظر في النجوم ، فناسب ختمه بالعلم ، والإنشاء من نفس واحدة ، يحتاج إلى فكر وتدقيق في الاستدلال به إلى البعث ، فناسب ختمه بالفقه ، ولما كان ظهور الآيات لا ينفع إلا من قدّر له الإيمان ، ختم آخر الآيات بقوله : (**يؤمنون/٩٩**) ، تنبيهاً على هذا المعنى »[5]. (**وهو الذي/٩٨**) فيه التفات . (**أنشأكم/٩٨**) في غيره (**خلقكم**)[6]. قال الكرماني : « لمناسبة قوله في أول السورة (**وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين/٦**) ، وفيما سيأتي »[7]. وقال في المناجاة : « لما اشتملت سورة الأنعام ، على خلق الإنسان ، وخلق ما خُلق لأجله من أنواع الأنعام والنبات ، خصّ الإنسان بلفظ الإنشاء ، لأنه المقصود الأول ، وبالذات ، وباقي المخلوقات بالخلق ، تمييزاً بينها وبينه » . (**فمستقَرٌّ/٩٨**) بفتح القاف ، مكان ، أو مصدر ، وبكسرها[8] اسم فاعل . (**ومستودَعٌ/٩٨**) بفتح الدال في السبعة ، وقرىء

---

(١) أسرار التكرار (٧٢) .

(٢) في (ب) : فيه .

(٣) في (أ) : نقلهم .

(٤) كشف المعاني (١٣٦) باختصار .

(٥) البحر (٤/١٨٨ ، ١٩٢) بتصرف ، واختصار .

(٦) الأنعام (٢) ، الأعراف (١٨٩) ، غافر (٦٧) ، التغابن (٢) .

(٧) وهو قوله تعالى : (**وهو الذي أنشأ جناتٍ معروشاتٍ**) الأنعام (١٤١) ، انظر أسرار التكرار (٧٢) .

(٨) قراءة الكسر هي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٤٢) .

بكسرها[1]. قال أبوحيان: «الاستقرار والاستيداع حالان يعتوران على الإنسان، من الظهر إلى الرحم، إلى الدنيا، إلى القبر، إلى الحشر، إلى الجنة، أو النار، ففي كل رتبة، يحصل له استقرار واستيداع، استقرار بالإضافة إلى ما قبلها، واستيداع بالإضافة إلى ما بعدها. ولفظ الوديعة يقتضي الانتقال»[2] انتهى.

وهذا تقرير حسن، يحصل به الجمع بين اختلاف الأقوال في ذلك. **(قد فصَّلنا/٩٨)** فيه التفات. **(وهو الذي/٩٩)** فيه التفات. **(أنزل من السماء ماءً/٩٩)** الآية، وقع ترتيب الآيات الثلاث على الواقع، وهو نظير ما وقع أول السورة، فبدأ بخلق الأجرام الفلكية، ثم بخلق الإنسان، وبيان أَجَلَيه ثم بما يقوم به أَوَد الإنسان في حياته. **(فأخرجنا/٩٩)** فيه التفات. **(به/٩٩)** أي بالماء. **(فأخرجنا منه/٩٩)** أي من النباتِ. **(خَضِراً/٩٩)** فيه تجريد. قال الليث: «الخَضِر في كتاب الله الزرع»[3]. وقال غيره: «الخضرة بمعنى النضارة، ولا مدخل للون فيه»[4].

(نخرج منه/٩٩) أي من الخضر. والجملة صفة له، أو استئناف[5]. وقرىء **(يخرج)** بالياء. و**(حبٌّ متراكب)** بالرفع[6] فاعله. **(ومن النخل/٩٩)** خبر مقدم. **(من طَلْعِها/٩٩)** بدل منه. **(قِنْوانٌ/٩٩)** مبتدأ، وهو بكسر القاف، لغة

---

(١) عن أبي عمرو، البحر (١٨٨/٤).

(٢) البحر (١٨٨/٤).

وهذا المنحى الذي نحا إليه أبو حيان في تعميم المستقر والمستودع يظهر أنه هو الراجح، لأنه لا دليل على التخصيص. وهذا هو توجيه الطبري في جامع البيان (٥٧/١١).

(٣) البحر (١٨٤/٤).

(٤) حكاه أبو حيان دون أن يذكر اسم قائله، البحر (١٨٤/٤).

(٥) القول الأول هو قول أبي البقاء في الإملاء (٢٥٥/١)، ولكنه ذهب أيضاً إلى تجويز القول الثاني وهو ما صنعه الألوسي أيضاً في تفسيره (٢٣٨/٧). وانظر البحر (١٨٩/٤).

(٦) وهي قراءة الأعمش، ابن خالويه (٣٩).



الحجاز ، وقرىء بضمها[1] ، لغة قيس ، وبفتحها[2] اسم جمع ، على فعلان . (**دانيةٌ/٩٩**) قيل : المعنى : وسحوق ، فحُذف اكتفاء ، واقتصر على الدانية ، لأن النعمة بها أظهر[3] . (**وجنات/٩٩**) بالكسر ، نصباً ، عطفاً على (**نبات/٩٩**) ، وهو ، (**ومن النخل**) عطف الخاص على العام ، لشرفه . وقرىء بالرفع[4] ، على تقدير : ومن الكرم ، لقوله : (**ومن النخل/٩٩**) ، قاله أبوالبقاء[5] ، وهو ظريف جداً ، من باب :

علَّفتُها تِبناً وماءً بارداً[6] .

وقد زال بذلك استشكال أبي عبيد وغيره[7] هذه القراءة ، قائلين بأن الجنات من الأعناب ، لا تكون من النخل ، وغفلوا عن أنه في مثل ذلك يقدر في المعنى لا من لفظ ما قبله ، كما قدروا في (**تبوؤوا الدار والإيمان**)[8] : ألفوا[9] . (**والزيتون والرمان/٩٩**) بالنصب إجماعاً ، عطفاً على نبات[10] . وقال الزمخشري : « على الاختصاص ، كقوله : (**والمقيمين الصلاة**)[11] ، لفضل هذين الصنفين »[12] ، ووجه صاحب المناجاة فضلهما ، بأن الزيتون ورد فضله وفضل دهنه ، شرعاً في

---

(١) عن المطوعي ، القراءات الشاذة للقاضي (٤٦) .
(٢) قرأها الأعرج في رواية ، وهارون عن أبي عمرو ، البحر (١٨٩/٤) .
(٣) انظر زاد المسير (٩٤/٣) ، البحر (١٨٩/٤) .
(٤) وهي قراء محمد بن أبي ليلى ، والأعمش ، وأبي بكر في رواية عنه عن عاصم . البحر (١٩٠/٤) .
(٥) الإملاء (٢٥٥/١) .
(٦) سبق تخريجه في ص (٦٨٤) من هذه الرسالة .
(٧) في البحر (١٩٠/٤) : وأبي حاتم . وانظر إعراب القرآن للنحاس (٨٦/٢) ، وراجع البيان لابن الأنباري (٣٣٣/١) .
(٨) الحشر (٩) .
(٩ + ١٠) انظر البحر (١٩٠/٤) .
(١١) النساء (١٦٢) .
(١٢) الكشاف (٤٠/٢) .



الآية والحديث[1] ، بدليل (من شجرةٍ مباركةٍ ، زيتونةٍ)[2] ، (والرمان) اشتمل على التساوي في الصورة والاسم ، والاختلاف في الطعم حلاوة وحموضة ، ولا نظير له في ذلك ، في الفواكه . وقال الزجاج : « قرن الزيتون بالرمان ، لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن ، من أوله إلى آخره ، قال الشاعر :

بُورك الميت الغريب ، كما بُو رك نضج الرمّان والزيتون »[3][4]

(مشتبهاً/٩٩) ، وفي الآية الآتية (متشابهاً/١٤١) ، لأن اشتبه ، وتشابه بمعنى واحد ، كاختصم ، وتخاصم ، واشترك ، وتشارك ، فاستعمل كل لفظ في موضع ، تفنناً وتنويعاً ، وجمعاً بين اللفظين الجائزين ، كما هو عادة القرآن . وقرىء هنا شاذاً (متشابهاً)[5] . (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه/٩٩) نبّه على حال الابتداء والانتهاء ، لأنها أغرب في الوقوع ، وأظهر في الاستدلال ، والقراءة بفتح الثاء ، والميم وبضمهما[6] . وقرىء بضم الثاء وسكون الميم[7] . وقرىء (ويُنْعِه/٩٩) بضم الياء . وقرىء (ويانِعه)[8] اسم فاعل ، من يَنَع . أبوحيان : « انظروا إلى حسن سياق هذا الترتيب ، لما تقدم أن الله فالق الحب والنوى ، جاء الترتيب في هذه الآية تابعاً له ، فبدأ بالخَضِر والحب المتراكب ، كما ابتدأ به في قوله :(فالق الحب/٩٥)[9] ،

(١) روى الدارمي عن أبي أسيد الأنصاري قال : قال رسول الله -ﷺ- : (كلوا الزيت فإنه مبارك ، وأئتدموا به وادهنوا به ، فإنه يخرج من شجرة مباركة) . سنن الدارمي (٤٩٨/١) كتاب الأطعمة - باب : في فضل الزيت .

(٢) النور (٣٥) .

(٣) هذا البيت لأبي طالب بن عبد المطلب . اللسان (٣٩٦/١٠) ، مادة : برك . وانظر البحر (١٩١/٤)

(٤) معاني القرآن (٢٧٦) .

(٥) البحر (١٩١/٤) دون نسبة .

(٦) قراءة الضم هي قراءة حمزة والكسائي ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . الكشف ٤٤٣/١) .

(٧) قرأت بذلك فرقة - كما قال أبو حيان ، البحر (١٩١/٤) .

(٨) هذه قراءة ابن أبي عبلة واليماني ، والقراءة السابقة هي قراءة قتادة والضحاك وابن محيصن . البحر (١٩١/٤) .

(٩) في البحر (١٩٢/٤) : « . . . . فحين ذكر أنه أخرج نبات كل شيء ، ذكر الزرع ، وهو المراد بقوله (خضراً، نخرج منه حباً متراكباً) ، وابتدأ به كما ابتدأ به في قوله (فالق الحب) ، ثم ثنى . . . . » الخ .



ثم ثنَّى بما له نوى، وهو النخل وما بعده ، وبدأ بالزرع على الشجر ، لأنه غذاء ، والثمر فاكهة ، والغذاء يقدَّم على الفاكهة ، وقدَّم النخل على سائر الفواكه ، لأنه يجري مجرى الغذاء بالنسبة إلى العرب ، وقدّم العنب لأنه يجري مجرى النخل في الانتفاع به في جميع أطواره ، فيؤكل خيوطاً ، وحصرماً ، وعنباً ، وزبيباً ، وعصيراً ، [كما يؤكل النخل طلعاً وجماراً وبسراً ورطباً وتمراً وعصيراً ، ولذلك شاركه في جميع الأحكام الشرعية التي انفرد بها عن سائر الفواكه ، من وجوب الزكاة ، والخرص ، وإباحة العرايا(1)](2)، وقدّم الزيتون ؛ لأنه أكثر منفعة من الرمان ، به وبدهنه أكلاً ووقوداً ، وغيرها ، وذكر الرمان لعجب حاله ، وغرابته ، فإنه مركَّب من قشر ، وعجم ، وماء ، فالثلاثة باردة يابسة كثيفة قابضة عفصة(3)، وماؤه بالضدّ ألذّ الأشربة ، وألطفها ، وأقربها إلى الاعتدال ، وفيه تقوية للمزاج الضعيف ، غذاء من وجه ، ودواء من وجه ، فجمع تعالى فيه بين المضادين ، فما أبهر قدرته ، وأعجب صنعته . **(وجعلوا لله شركاء الجن/١٠٠)** لما ذكر تعالى ما ذكر من دلائل قدرته ، ومتين صنعته ، وعظيم مِنَّتِه على عالم الإنسان بما أوجد له مما يحتاج إليه ، في قوام حياته ، ذكر ما عاملوه به من سوء صنيعهم ، حيث أشركوا به أخسّ العوالم الثلاثة ، وهم الجن ، ونسبوا إليه مما هو محال عليه ، من البنين والبنات »(4)، وقد ورد في الحديث : (ما أحد أصبر على أذى يسمعه ،من الله ، يدعون له ندّاً وولداً ، وهو يرزقهم ويعافيهم)(5)، وفي . **(جعلوا)** التفات عن ضمائر الخطاب . وفي **(الله)** التفات عن ضمائر التكلم و **(الجن)** بالنصب . قال الزمخشري : « مفعول أول ،

---

(١) وهو بيع الرطب على رؤوس النخل بقدر كيلة من التمر خرصاً فيما دون خمسة أوسق بشرط التقابض . سبل السلام (٣/٤٥).

(٢) ما بين القوسين ليس بالبحر .

(٣) العفص : الذي يتخذ منه الحبر . وطعام عفص : بشع . اللسان / مادة : عفص .

(٤) البحر (٤/١٩٣ - ١٩٣) بتصرف .

(٥) رواه البخاري عن أبي موسى -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال : (ليس أحد ، أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم ليدعون له ولداً ، وإنه ليعافيهم ويرزقهم) . البخاري (٨/٩٦) باب : الصبر على الأذى .... كتاب الأدب .



والثاني : (شركاء) قدم ، «وجعل» بمعنى : صيَّر» ، قال : « فإن قلت : ما فائدة التقديم ؟. قلت : استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكاً ، أو جنياً ، أو إنسياً ، ولذلك قدّم اسم الله على الشركاء »[١]. وعكس الحوفي[٢]. وقال أبو جعفر بن الـزبـير[٣]: « بل هو إضـمار فعـل ، وجـواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : من جعلوا ؟. قال : الجن ، أي جعلوا الجن »[٤]، واستحبـه أبـو حيان ، وأيده بأنه قرىء بالرفع ، على تقدير : هم الجن ، جواباً لمن قال : من الذي جعلوه ؟ ويكون ذلك على سبيل الاستعظام لما فعلوه ، والانتقاص لمن جعلوه[٥]. وقرىء بالجر[٦]، على الإضافة البيانية[٧]. (وخَلَقهم) حال ، أي أشركوا به -وهو قد خلقهم- من لم يخلقهم ، وهـذه غاية الجهـالة . وقرىء بسكون اللام[٨]، مصدر عطف على الجن ، أي وجعلوا خلقهم الذي ينحتونه أصناماً شركاء ، أو اختلافهم للإفك ،

---

(١) الكشـاف (٢/٤٠) بقليل من الاختصار .
وانظر إعراب القرآن للنحاس (٢/٨٧) ، والإملاء (١/٢٥٥) ، والبيان لابن الأنباري (١/٣٣٣) .

(٢) أي أن (شركاء) المفعول الأول ، و (الجن) المفعول الثاني . البحر (٤/١٩٣) .
وهو ما قدّمه ابن الأنباري في البيان (١/٣٣٣) ، وانظر مشكل إعراب القرآن (١/٢٨٢) .

(٣) هو أبو جعفر ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي . انتهت إليه الرئاسة -بالأندلس- في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول . له عدة مؤلفات منها « ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنـزيل » ، و « الـبرهـان في ترتيب سور القـرآن » ، و « الإعـلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام » . . . توفي سنة ٧٠٨هـ .
الإحاطة (١/٧٢) ، والدرر الكامنة (١/٨٤) ، والبدر الطالع (١/٣٣) ، وشذرات الذهب (٦/١٦) .

(٤) البحـر (٤/١٩٣) .

(٥) البحر (٤/١٩٣) ونسب أبو حيان القراءة المذكورة إلى أبي حيوة ويزيد بن قطيب . وانظر ابن خالويه (٣٩) .

(٦) قرأ بذلك شعيب بن أبي حمزة ، ورويت هذه القراءة أيضاً عن أبي حيوة ، وابن قطيب . البحر (٤/١٩٣) .

(٧) كما في الكشاف (٢/٤٠) .
وقال أبو حيان : « ولا يتضح معنى هذه القراءة ، إذ التقدير : وجعلوا شركاء الجن لله ، وهذا معنى لا يظهر». البحر (٤/١٩٤) .

(٨) عن يحيى بن يعمر ، وكذا في مصحف عبد الله ، البحر (٤/١٩٤) .



أي نسبوا قبائحهم لله ، حيث قالوا : (والله أمرنا بها)[1] . (وخرقوا/١٠٠) بالتخفيف والتشديد[2] ، أي اختلفوا وافتروا ، وقرىء بالحاء المهملة ، والفاء مشدداً أيضاً ، ومخففاً[3] ، بمعنى : زوّروا . (سبحانه وتعالى عما يصفون/١٠٠) « نزَّه نفسه -جلّ وعلا- ، والتعالي هنا الارتفاع المجازي ، قيل : وبين (سبحانه) (وتعالى) فرق من جهة أن « (سبحان) » مضاف إليه ، فهو من حيث المعنى منزَّه ، و(تعالى) فيه إسناد التعالي إليه ، على جهة الفاعلية ، فهو راجع إلى صفات الذات ، سواء سبّحه أحد أم لم يسبّحه »[4] . (بديع/١٠١) خبر هو . وقرىء بالنصب على المدح ، وبالجر[5] ردًّا على قوله: (لله)[6] ، أو ضمير (سبحانه)[7] ، قيل : قرّر سبحانه بهذه الآية نفي الولدية من جهات[8] : إحداها : انتفاء الصاحبة ، لأن الولد لا يكون إلا بين زوجين ، وبذلك ردّ عليهم ، بقياس الغائب على الشاهد ، والثانية كونه مبدع الأجسام ، ومخرج الأجسام لا يكون جسماً ، والولادة من صفات الأجسام ، والثالثة أنه ما من شيء ، إلا وهو خالقه ، والعالم به ومن كان بهذه الصفة ، كان غنياً عن كل شيء ، والولد إنما يطلبه المحتاج[9] . وقرىء (ولم يكن) بالتحتية[10] ، للفصل . (ذلكم/١٠٢) فيه التفات عن الغيبة . (لا إله إلا هو ، خالق كل شيءٍ/١٠٢) ، في غافر بتقديم (خالق كل شيءٍ/٦٢) : لأنه هنا تقدّم : (وجعلوا لله شركاء/١٠٠) ، فناسب تقديم كلمة التوحيد النافية

---

(١) الأعراف (٢٨) .
(٢) قراءة التشديد هي قراءة نافع ، وقراءة التخفيف هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٤٣) .
(٣) هذه قراءة ابن عباس ، والقراءة السابقة هي قراءة ابن عمر . البحر (٤/١٩٤) .
(٤) البحر (٤/١٩٤) بتصرف .
(٥) هذه قراءة المنصور ، والقراءة السابقة هي قراءة صالح الشامي . ابن خالويه (١٣٩) ، والبحر (٤/١٩٥) .
(٦) لفظ الجلالة (لله) ليس في (ب) .
(٧) انظر الجامع للقرطبي (٧/٥٣) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢/٨٧) ، وروح المعاني (٧/٢٤٢) .
(٨) في (أ) : وجهتين .
(٩) الكشاف (٢/٤١) .
(١٠) عن إبراهيم النخعي ، المحرر (٥/٣٠٤) .

للشرك ، ردًّا عليهم ، وهناك تقدّم كونه خالقاً ، بقوله : (**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس/٥٧**) ، فناسب تقديم ذِكر الخلق ، ثم كلمة التوحيد ، قاله الكرماني[١] والإمام[٢] وغيرهما . وقال صاحب المناجاة : « ذكر سبحانه كلمة التوحيد في القرآن على ثلاثة أنحاء ، مقدمة على الصفات ، كما في: (**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**)[٣]، ومتوسطة فيها كما هنا ، ومؤخرة كما في غافر[٤] للإشعار بأنه ينبغي للإنسان أن يجعل كلمة التوحيد مبدأ حاله ، ووسطه ، وختامه » .

أبو حيان : « بدأ بالاسم العَلَم ، ثم قال : (**ربكم/١٠٢**) أي مالككم ، والناظر في مصالحكم ، ثم حصر الإلٰهية فيه ، ثم كرَّر ووصف خلقه كل شيء ، ثم أمر بعبادته ، لأن من استجمعت فيه هذه الصفات ، كان جديراً بالعبادة ، وأن يُفرد بها ، ثم أخبر أنه -مع ملك الصفات- مالك كل شيء ، من الأرزاق والآجال ، رقيب على الأعمال »[٥]. (**لا تدركه الأبصار/١٠٣**) الآية ، فيه لف ونشر ، لأن (**اللطيف**) راجع لكونه لا يدركه بصر[٦]، و(**الخبير**) لكونه يدرك ما لا يدركه أحد ، حتى إن البصر لا يدرك نفسه . قال الزجاج : « في الآية دليل على أن الخلق لا يدركون الأبصار ، أي لا يعرفون كيفية حقيقة البصر ، الذي صار به الإنسان مبصراً من عينيه »[٧]. (**قد جاءكم بصائر/١٠٤**) هذا وارد على لسان الرسول ، لقوله آخره: (**وما أنا عليكم بحفيظ/١٠٤**) .

قلت : ويعقد[٨]. لهذا نوع في علوم القرءان ، ونظيره ما ورد على لسان

---

(١) أسرار التكرار (٧٣) .
(٢) لم أجد ذلك في التفسير الكبير .
(٣) البقرة (٢٥٥) ، آل عمران (٢) .
(٤) وذلك في قوله تعالى : (**هو الحي لا إله إلا هو ، فادعوه مخلصين له الدين. . .**) غافر(٦٥) .
(٥) البحر (٤/١٩٥) .
(٦) في (أ) : الأبصار .
(٧) معاني القرآن (٢/٢٧٨) ، وانظر البحر (٤/١٩٦) .
(٨) كلمة « ويعقد » ليست في (ب) .



جبريل ، كقوله : (**وما نتنزل إلا بأمر ربك**)[1] ، وقوله : (**وما منا إلا له مقامٌ معلومٌ**)[2] ، (**وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون**)[3] ، وسألحقه في الإتقان ، في موضع يناسبه إن شاء الله تعالى . والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به ، كما أن البصر نور العين الذي يبصر به . وقال ابن عطية :

« البصيرة للقلب مستعارة من إبصار العين ، وهي ما يتفق عن تحصيل العقل للأشياء المنظر فيها بالاعتبار »[4] .

الإمام : « البصيرة اسم للإدراك التام ، الحاصل في القلب ، والآيات ليست في أنفسها بصائر إلا أنها لقوتها وحلاها ، تُوجب البصائر لمن عرفها ، فلما كانت أسباباً لحصول البصائر ، سُمِّيت بصائر »[5] .

أبو حيان : « إسناد المجيء إلى البصائر مجاز لتفخيم شأنها ، إذ كان بمنزلة الغائب المتوقع حضوره كما تقول : جاءت العافية »[6] . (**فمن أبصر فلنفسه**/١٠٤) أي إبصاره ، أي نفعه وثمرته . (**ومن عَمِي فعليها**/١٠٤) أي عماه ، أي عاقبته ، فالإبصار والعمى كنايتان عن الهدى والضلال .

أبو حيان : « لما ذكر البصائر أعقبها بالإبصار ، والعمى ، وهذه مطابقة »[7] . (**وكذلك**/١٠٥) إشارة إلى تبيين الآيات السابقة . (**نُصَرِّف**/١٠٥) فيه التفات ، يردد الآيات على وجوه كثيرة . (**وليقولوا**/١٠٥) يخرج على القاعدة التي قرَّرناها ، من عطفه على مقدر[8] ، أو تعلقه بمؤخر ، أي نصرّفها[9] ، واللام للصيرورة .

---

(١) مريم (٦٤) .
(٢) الصافات (١٦٤) .
(٣) الصافات (١٦٥ - ١١٦) .
(٤) المحرر (٣٠٩/٥) .
(٥) التفسير الكبير (١٤٠/١٣) .
(٦) البحر (١٩٦/٤) .
(٧) البحر (١٩٦/٤) .
(٨) والتقدير : وكذلك نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا - وهذا تقدير ابن الأنباري . انظر زاد المسير (١٠٠/٣) ، والدر المصون (٩٥/٥) .
(٩) وإليه ذهب الزمخشري (٤٣/٢) ، وأبو البقاء (الإملاء ٢٥٦/١) ، وابن عطية (٣١١/٥) .



وقرىء بسكونها[1]، على أنها لام الأمر. وقال أبوحيان: «بل هي لام الأمر مطلقاً، على قراءة كسرها، وهو أمر تهديد وتوبيخ، وعدم اكتراث، أي نصرف الآيات، وليقولوا هم ما يقولون، فإنا لا نحفل بهم، ولا نلتفت إلى قولهم»[2]. (دارَسْتَ) أي قارَأْتَ وناظرتَ غيرك، حتى أخذتها عنه. وفي قراءة (دَرسْتَ) ماض مبني للفاعل، بتاء الخطاب، أي في الكتب القديمة حتى أتيت بها. وفي قراءة (دَرَسَتْ) بتاء التأنيث[3]، أي الآيات، أي ترددت على أسماعنا حتى بَلِيتْ، وقَدُمَتْ في نفوسنا، وانمحت[4]. وقرىء (دَرّسْتَ) بالتشديد، والخطاب. و(دُرّسْتَ) كذلك مبنياً للمفعول، و(دُوْرِسْتَ) بالبناء للمفعول من دارَسَ، و(دارسَتْ) بتاء التأنيث، أي دارستك الجماعة، وجاز الإضمار، لأن الشهرة بالدراسة، كانت لليهود عندهم. و(دَرُستْ) بضم الراء، وتاء التأنيث، و(دُرِسَتْ) بالبناء للمفعول، وتاء التأنيث و(درس) أي محمد، و(دَرسْنَ) بنون الإناث، أي الآيات، و(دَرَّسْنَ) بتشديد الراء كذلك، و(دارسات) أي هي قديمات، فهذه ثلاث عشرة قراءة[5]. (ولِنُبَيِّنه/١٠٥) إن كانت اللام في (وليقولوا/١٠٥) لام الصيرورة، فالعطف عليه، واللام هنا على بابها، أو للأمر[6]، فالوجهان من العطف على مقدر، أو التعلق بمؤخر، والهاء[7] للقرآن الدال عليه الآيات، أو لها. لأنها بمعناه، أو المصدر المفهوم من تصرّف، أو من نبينّه، أو من دارست[8]. (لا إله إلا هو/١٠٦) اعتراض بين الأمرين، أكّد به

(١) البحر (١٩٨/٤) دون نسبة، وكذا الدر المصون (٩٥/٥).
(٢) البحر (١٩٨/٤) بتصرف.
(٣) هذه قراءة ابن عامر، والقراءة الأولى هي قراءة أبي عمرو، وابن كثير، والقراءة الثانية هي قراءة البقية. الكشف (٤٤٣/١).
(٤) في (أ): وافحت.
(٥) انظر في هذه القراءات البحر (١٩٧/٤)، والمحرر (٣١١/٥)، والمحتسب (٢٢٥).
(٦) وهو ما استظهره أبو حيان، البحر (١٩٨/٤). وانظر المحرر (٣١١/٥).
(٧) أي في (ولنبينه).
(٨) انظر البحر (١٩٨/٤)، والدر المصون (٩٨/٥)، وزاد المسير (٣١١/٣).

وجوب اتِّباع الوحي . (**وما جعلناك/١٠٧**) الآية ، تعليل للأمر بالإعراض . (**ولا تَسُبُّوا/١٠٨**) لم يقل : ولا تَسُبّ ، كما قال (**وأعرض/١٠٦**) تعظيماً له ﷺ أن يُواجه بالنهي عما ليس من خُلقه ، إذ لم يكن سَبّاباً ، ولا فحّاشاً ولا عيّاباً ، فلذلك انتقل من خطابه إلى خطاب المؤمنين . (**عَدْواً/١٠٨**) مصدر بمعنى الاعتداء . وقرىء بضمتين ، وتشديد الواو[1] ، مصدر بمعناه . وقرىء بفتح العين ، وضم الدال مشدداً[2] ، أي أعداء ، وهو حال مؤكدة على الثلاثة . (**وأقسموا/١٠٩**) سُمِّي الحَلِف قَسماً ، لأنه يكون عند انقسام الناس إلى التصديق والتكذيب ، فكأنه يقوّي القسم الذي يختاره . (**لَيُؤْمِنُن/١٠٩**) قرىء بالبناء للمفعول والنون الخفيفة[3] . (**وما يُشْعِركم/١٠٩**) قيل : الخطاب للكفار . وقيل : للمؤمنين[4] . (**أنها إذا جاءت لا يؤمنون/١٠٩**) فيه أربع قراءات في السبعة ، كسر الهمزة ، مع ياء الغيبة ، استئناف إخبار منه تعالى ، أنهم لا يؤمنون إذا جاءت ، ومفعول (**يشعركم/١٠٩**) محذوف ، أي ما يكون عند مجيئها ، وكسرها ، مع تاء الخطاب كذلك . وجعل أبوحيان في القراءة الأولى التفاتاً[5] ، وهذا إنما يتأتى إذا جعلنا الخطاب في (**يشعركم/١٠٩**) للكفار. وفتح الهمزة مع ياء الغيبة[6] ، فالخطاب في (**يشعركم/١٠٩**) للمؤمنين ، و« أن » معمول ، و« لا » قيل : زائدة ، وعليه الكسائي[7] . وقيل « (أن) هنا بمعنى لعل ، وعليه سيبويه[8] ، ويؤيده قراءة أُبيّ :

---

(١) عن الحسن ، وأبي رجاء ، وقتادة ، ويعقوب ، وسلام ، وعبد الله بن يزيد . البحر (٤/٢٠٠) .

(٢) وهي قراءة بعض المكيين . ابن خالويه (٤٠) ، والبحر (٤/٢٠٠) .

(٣) عن طلحة بن مصرف . ابن خالويه (٤٠) ، والبحر (٤/٢٠١) .

(٤) القول الأول هو قول مجاهد ، وابن زيد ، والقول الثاني هو قول الفراء وغيره . البحر (٤/٢٠١) ، ومعاني القرآن للفراء (١/٣٥٠) .

(٥) البحــر (٤/٢٠١) .

(٦) القراءة بكسر الهمزة في (أنها) هي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، والقراءة بفتحها هي قراءة البقية . وقرأ أبو بكر بالوجهين .
والقراءة بالتاء في (لا يؤمنون) هي قراءة حمزة، وابن عامر، والقراءة بالياء هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٤٤ - ٤٤٦) .

(٧+٨) البحر (٤/٢٠٢) ، والكتاب (٣/١٢١٣) . والقول بأن « أن » هنا بمعنى لعل ، هو ما استجوده =



(**وما أدراكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون**)[1]. وقيل : التقدير لا يؤمنون ، أو يؤمنون ، أي ما يدريكم انتفاء الإيمان ، أو وقوعه ، ذكره النحاس وغيره[2]، ففيه اكتفاء ، وفتحها ، مع تاء الخطاب ، فـ(**يشعركم/١٠٩**) خطاب للكفار ، وتجري الأقوال في زيادة (**لا/١٠٩**) أو كون (**أن**) بمعنى لعل ، أو معادل لا يؤمنون محذوف[3]. والحاصل أن جعل الخطاب في (**يشعركم/١٠٩**) للكفار ، متعيّن على قراءة ، وللمؤمنين متعيّن على قراءة ، الأمران محتملان على قراءتين ، ولعل اختلاف السلف في ذلك ، ليس باختلاف ، إنما كلٌّ فسّر على قراءة. (**ونُقَلِّب/١١٠**) فيه التفات . ثم هو معطوف على (**لا يؤمنون/١٠٩**)[4] على استئناف (**أنها/١٠٩**) ، ومستأنف على فتحها ، أو معطوف عليه أيضاً ، داخل في حيّز (**وما يشعركم/١٠٩**) ، واستُعير تقليب الأبصار والأفئدة للتحيير والتردد وصرف الشيء عن وجهه ، وبُدىء بالقلوب ، لأنها الأصل في ذلك . وقرىء (**يُقَلِّب**) بالتحتية[5] فلا التفات . وقرىء ببنائه للمفعول ، ورفع (**أفئدتهم ، وأبصارهم**)[6]. وفي (**أفئدتهم**) التفات على قراءة (**لا تؤمنون**) بالخطاب[7]. (**كما/١١٠**) تشبيه ، أو تعليل[8] ، فعلى الأول ، قيل : فيه حذف ، أي فلا يؤمنون به ثاني مرة كما ،

= الفراء ، والفارسي ، ورجحه الزجاج ، والقول بأن « لا » زائدة ، هو ما ذهب إليه الفراء ، وانتصر له الفارسي .

انظر معاني القرآن للفراء (٣٥٠/١) ، والحجة (٣٨٠/٣) ، ومعاني القرآن للزجاج (٣١٠/٢) ، وزاد المسير (١٠٥/٣) ، والدر المصون (١٠٢/٥ - ١٠٦) .

(١) البحر (٢٠٢/٤) .

(٢) المرجع السابق ، والدر المصون (١٠٥/٥ - ١٠٦) .

(٣) قال أبو حيان بعد ذكر الأقوال السابقة :

« وهذا كله خروج عن الظاهر لفرضه ، بل حمله على الظاهر أولى .... أي وما يشعركم ويدريكم بمعرفة انتفاء إيمانهم ، لا سبيل لكم إلى الشعور بها » . البحر (٢٠٢/٤) .

(٤) ذهب إلى ذلك الزمخشري ، الكشاف (٤٤/٢) .

(٥) عن النخعي ، البحر (٢٠٤/٤) .

(٦) عن النخعي أيضاً - فيما رواه عنه مغيرة ، البحر (٢٠٤/٤) .

(٧) وهي قراءة حمزة وابن عامر ، كما في حجة القراءات (٢٦٧) .

(٨) ذكر أبو حيان هذين القولين ، ومال إلى الثاني منهما . البحر (٢٠٤/٤) ، وانظر الدر المصون (١١٠/٥ - ١١١) .



والأوجه عدمه ، وتعلقه بقوله :**(لم يؤمنوا/ ١١٠)** عائد إلى القرآن ، أو إلى الله ، أو إلى الرسول[١] . **(ونذرهم/ ١١٠)** بالنون ، وقرىء بالتحتية ، وقرىء بسكون الراء[٢] . **(ولو أننا نزَّلنا إليهم الملائكة/ ١١١)** الآية ، أي كما اقترحوا حيث قالوا : **(أو تأتي بالله والملائكة قبيلًا)**[٣] ، **(لولا أنزل عليه ملكٌ)**[٤] ، « أحْيِ لنا قُصَيًّا[٥] ، وفلاناً ، فيكلمونا أنك نبي »[٦] . **(قبلًا/ ١١١)** بضمتين ، جمع قبيل ، كرغيف ، ورُغُف ، أي جماعة ، وأصنافاً ، وبكسر القاف وفتح الباء[٧] بمعنى مقابلة ، أي عياناً ومشاهدة . وقرىء بضم القاف ، وسكون الباء ، تخفيفاً . وقرىء بفتح القاف ، وسكون الباء . وقرىء **(قبيلًا)** على الإفراد[٨] . **(إلا أن يشاء الله/ ١١١)** فيه التفات . **(وكذلك/ ١١٢)** أي كما جعلنا هؤلاء عدواً لك ، وفيه تأنيس بقراءة **(فيسبوا الله عدواً)**[٩] بضم الدال والتشديد[١٠] . **(جعلنا/ ١١٢)** فيه التفات . **(لكل نبيٍ عدواً/ ١١٢)** تسلية له ﷺ عن عداوة من عاداه ، فإن هذه سنة الله في الأنبياء قبله . وفي الإنجيل : « لا يفقد النبي حرمته ، إلا في بلده » وفي الحديث :

---

(١) انظر المرجعين السابقين .

(٢) القراءة الأولى هي قراءة النخعي ، والقراءة الثانية هي قراءة النخعي أيضاً ، والأعمش والهمداني . البحر (٤/ ٢٠٤) ، والدر المصون (٥/ ١١١) .

(٣) الإسراء (٩٢) .

(٤) الأنعام (٨) .

(٥) هو قصي بن كلاب بن مرّة ، سيد قريش في عصره ، كانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ، وهو يعتبر الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي .
طبقات ابن سعد (١/ ٣٦ - ٤٢) ، والسيرة الحلبية (١/ ١٦) ، والروض (١/ ٨٤) .

(٦) انظر أسباب النزول للواحدي (١٩٩) .

(٧) القراءة بكسر القاف ، وفتح الباء هي قراءة نافع ، وابن عامر ، والقراءة بضمها هي قراءة البقية . الكشف (١/ ٤٤٦) .

(٨) هذه القراءات الثلاث الأخيرة ، الأولى منها هي قراءة الحسن ، وأبي رجاء ، وأبي حيوة ، والثانية لابن مصرف ، والثالثة لأبيّ ، والأعمش . البحر (٤/ ٢٠٦) .

(٩) الأنعام (١٠٨) .

(١٠) قراءة التشديد مع ضم الدال هي قراءة الحسن بن أبي الحسن ، وأبي رجاء ، وقتادة ويعقوب ، وسلام ، وعبد الله بن زيد . المحتسب (/ ٢٢٦) ، والمحرر (٥/ ٣١٣) .



« أزهـد الناس في العالم أهله وجيرانه »[1]. (**شياطين**/١١٢) أحد المفعولين ، أو بدل . (**غروراً**/١١٢) مفعول له ، أو حال ، أي غارّين . (**ولو شاء ربك**/١١٢) فيه التفـات . الكـرمـاني : « قال هنـا ذلـك ، وفيما سيأتي : (**ولـو شاء الله ما فعلوه**)[2] ، لأن ما هنـا وقـع بعـد آيات فيها ذكر الرب ، وما هناك[3] بعد: (**وجعلوا لله**)[4] ، فناسب كلٌّ ما تقدمه »[5] .

وقال ابن جماعة : « لما تقدم هنا : (**جعلنا لكل نبيٍ عدواً**/١١٢) تسلية له ، ناسب ذلك (**ولو شاء ربك**/١١٢) الحافظ لك ، وهناك (**وجعلوا لله**)[6] . مناسبة (**ولو شاء الله**)[7] الذي جعلوا له ذلك »[8] . (**ما فعلوه**/١١٢) أي الوحي ، أو الغـرور[9] . (**فذرهم وما يفترون**/١١٢) يتضمن الوعيد والتهديد . و(**ما**/١١٢) مصـدرية ، أو موصولة[10] . (**ولِتَصْغىٰ**/١١٣) عطف على (**غروراً**/١١٢) ، لأنه بمعنى « ليغروا ». أبوحيان: « ترتيب هذه التعاليل[4] في غاية الفصاحة ، لأنه أولاً يكون الخداع وهو الغرور ، فيكون الميْل ، وهو الصغو[12] . فيكون الرضى ، فيكون الاقتراف ، فكل واحد مسبّب عمل قبله »[13] . وقرىء بسكون اللام في الثلاثة[14] ،

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي الدرداء ، وابن عدي في الكامل عن جابر وهو حديث ضعيف . انظر فيض القدير (١/٤٨١) .
(٢) الأنعـام (١٣٧) .
(٣) في (أ) : وما هنا .
(٤) الأنعـام (١٣٦) .
(٥) أسرار التكرار (٧٣ - ٧٤) .
(٦) الأنعـام (١٣٦) .
(٧) الأنعـام (١٣٧) .
(٨) كشف المعاني (١٣٨) .
(٩) انظر زاد المسير (٣/١٠٩) ، والبحر (٤/٢٠٧) .
(١٠) انظر البحر (٤/٢٠٨) .
(١١) بالبحر (٤/٢٠٨) : « المفاعيل » .
(١٢) عبارة : « وهو الصغو » : ليست في البحر .
(١٣) البحـر (٤/٢٠٨) .
(١٤) وهي قراءة الحسن - كما في البحر (٤/٢٠٨) ، والدر المصون (٥/١٢١) .



وخرّجه ابن جنّي على أنها -كالمكسورة[1]- لام كي سُكِّنَتْ شذوذاً ، وسكون لام كي في نحـو هذا شاذ في السماع ، قوي في القياس[2] . وقال غيره : « هي لام الأمر ، وهو أمر تهديد ، كقوله : (اعملوا ما شئتم)[3] ، وإبقاء حرف العلة في (لتصغى) على لغة من قرأ : (إنه من يتقي ويصبر)[4] . وقيل : هي فيه لام كي ، سُكِّنَتْ شذوذاً ، وفي الآخرين لام الأمر[5] . وقرىء (ولتصغي/١١٣) رباعياً ، بكسر الغين[6] . وفي قوله : (ما هم مقترفون/١١٣) إبهام يفيد التعظيم والتبشيع لما يعملون ، كقـولـه : (فغَشِيَهم من اليَمِّ ما غَشِيهم)[7] . (أفغيـر الله أبتغي حَكَماً/١١٤) هذا وارد على لسان الرسول ، جواباً لمن طلب من الكفار أن يحكم بينه وبينه أحبار اليهود . قال أبو حيان : « ووجه نظمها بما قبلها ، أنه لما حكى حلف الكفار ، وأجاب بأنه لا فائدة في إظهار الآيات المقترحة لهم ، بيَّـن الدليل على نبـوتـه ، بإنـزال القرآن عليه ، وقد عجز الخلق عن معارضته ، وحكم فيه بنبوّته ، وباشتمال التوراة والإنجيل على أنه رسول حق ، وأن القرآن كتاب حق من عند الله » . قال : « ووجه آخر ، وهو أنه لما ذكر العداوة وتهددهم ، قالوا ما ذكر في سبب النزول ، وكان من عادتهم إذا التبس عليهم أمر ، واختلفوا فيه ، جعلوا بينهم كاهناً حَكَماً ، فأمر أن يقول لهم ذلك »[8] .

أقول : وعندي أن هذه مبدأ قصة تحريم الميتة ، التي جادل فيها الكفار النبي

---

(١) كلمة « كالمكسورة » : ليست في (ب) .

(٢) المحتسب (١/٢٢٧) . والقول بأن اللام هنا هي لام كي ، هو قول النحاس أيضاً . إعراب القرآن (٢/٩٢) .

(٣) فصلـت (٤٠) .

(٤) يوسف (٩٠) . وقد قرأ بذلك قنبل ، البحر (٤/٢٠٨) .

(٥) حكاه أبو حيان ، واستبعده السمين ، البحر (٤/٢٠٨) ، والدر المصون (٥/١٢١) .

(٦) ذكر أبو عمرو الداني أنها قراءة الحسن ، البحر (٤/٢٠٨) .

(٧) طـه (٧٨) .

(٨) البحـر (٤/٢٠٨) .

والمؤمنين ، حيث قالوا : تأكلون[1] ما ذبحتم بسكين ، ولا تأكلون[2] ما ذبح الله بمسمار من ذهب[3] ، فأمر الله نبيه أن يقول للمؤمنين ذلك ، تهييجاً وإلهاباً ، لينزعوا عما عساه وقر في صدورهم من الشبهة التي أوردها الكفار ، ولذا قال : **(وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مُفَصَّلاً/١١٤)** فهو خطاب للمؤمنين أيضاً يتم به الاستدلال لتسليتهم[4] به ، وقوله : **(والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه مُنَزَّلٌ من ربك بالحق/١١٤)** زيادة تهييج للمؤمنين ، ليبالغوا في الامتثال والتصديق إذا أُلقِي إليهم هذا الكلام ، الذي إنما يُلْقَىٰ لمن عنده شك ، أو تردد حتى يحتاج إلى إقامة البينة ، ولِما فيه من التعريض بأنهم إن لم يصدِّقوا بذلك ، صُرِف عنهم إلى غيرهم ، فيكون لذلك الغير المزية عليهم ، ثم قال : **(فلا تكونن من الممترين/١١٤)** على وجه التعريض أيضاً بالمؤمنين ، فإن النبي -ﷺ- لا يقصد بهذا الخطاب ، وناسب ذكر هذه الآية بعد قوله : **(يوحي بعضهم إلى بعضٍ/١١٢)** إلى آخره ، فإن هذه الشبهة في أمر الميتة أوحاها كفار مكة ، ولذا قال بعد ذلك في ختام القصة : **(وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم/١٢١)** ، فختم بما بدأ به ، فتأمّل . والحَكَم أبلغ من الحاكم ، إذ هي صيغة للعدل من الحكام ، والحاكم جارٍ على الفعل ، وقد يقال لجائر ، قاله ابن عطية[5] والكرماني[6] وغيرهما[7] ونصبه على الحال ، و **(أفغير/١١٤)** . مفعول ، أو عكسه[8] ، وتقديم **(أفغير الله/١١٤)** للاختصاص ، لا الحصر على ما تقدَّم تقريره في **(أغير الله تدعون)**[9] ،

(١+٢) في (ب) : تأكلوا ، ولا تأكلوا ، لتسليهم .
(٣) انظر أسباب النزول للواحدي (١٦٧) ، والدر المنثور (٣/٤٢) .
(٤) في (ب) : تأكلوا ، ولا تأكلوا ، لتسليهم .
(٥) المحرر (٥/٣٢٦) .
(٦) انظر البحر (٤/٢٠٩) .
(٧) قاله إسماعيل الضرير - كما في البحر (٤/٢٠٩) .
(٨) انظر البحر (٤/٢٠٩) .
(٩) الأنعام (٤٠) .



و(**مُنزلٌ/١١٤**) بالتخفيف والتشديد[(١)] (**وتَمَّت كلمات ربك/١١٥**) قال أبو حيان: «لما تقدم من أول السورة إلى هنا دلائل التوحيد والنبوة والطعن على مخالفي ذلك، وكان من هنا إلى آخر السورة أحكام وقصص، ناسب ذكر هذه الآية هنا»[(٢)]. ولما كانت كاملة في نفسها، لا نقص فيها، عبرّ بـ(**تَمَّتْ/١١٥**)، دون «كَمُلَت»، على ما تقدم تقريره في (**تلك عشرةٌ كاملةٌ**)[(٣)]، وفي قراءة (**كلمة/١١٥**) بالإفراد[(٤)].

(**صِدقاً/١١٥**) مناسب لقوله:(**مُفَصَّلاً/١١٤**) و (**بالحق/١١٤**). (**وعدلاً/١١٥**) مناسب لقوله: (**حَكَماً/١١٤**) (**لا مُبَدِّلَ لكلماته/١١٥**). قرأ أُبيّ (**لكلمات الله**)[(٥)]. (**وهو السميع العليم/١١٥**)، (**وإن تطع أكثر من في الأرض/١١٦**) تخلّص إلى قصة تحريم الميتة، فهو ملائم لما قبله وما بعده معاً، إذ يصلح أن يكون نهياً عن طاعتهم في ابتغاء الحكم، وأن يكون متصلاً بما تقدم من قوله: (**اتَّبِع ما أُوحي إليك من ربك/١٠٧**)، وأن يكون نهياً عن طاعته في إباحة الميتة، وهذه غاية الملاءمة في الربط، قال أبوحيان: «كثيراً ما ذمّ الله الأكثر في كتابه»[(٦)].

قلت: لأن الصالح في كل عصر، قليل بالنسبة إلى الطالح، كما قال: (**وقليلٌ ما هم**)[(٧)]، وفي تاريخ البخاري[(٨)]، وطبقات ابن سعد[(٩)]، عن جبير بن نفير[(١٠)]

(١) قراءة التشديد هي قراءة ابن عامر، وحفص، وقراءة التخفيف هي قراءة البقية. الكشف (١/٤٤٨).
(٢) البحر (٤/٢٠٩).
(٣) الأنعام (١٩٦).
(٤) القراءة بالإفراد هي قراءة الكوفيين، والقراءة بالجمع هي قراءة البقية. الكشف (١/٤٤٧).
(٥) البحر (٤/٢١٠).
(٦) البحر (٤/٢١٠).
(٧) ص (٢٤).
(٨) هو أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، نشأ يتيماً، وقام برحلة طويلة في طلب الحديث، فسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث، اختار منها في صحيحه (٩٠٨٢) حديثاً =



قال: « لقد استقبلت الإسلام من أوله ، فلم أَزَل أرى في الناس صالحاً وطالحاً[1]. وأخرج البيهقي في الدلائل أن عِقداً لأخت أبي بكر[2] الصديق ضاع يوم فتح مكة ، فقال أبوبكر: أنشد الله والإسلام ، من وجد عقد أختي ؟ فلم يخبره أحد فبكت فقال : اسكتي يا بنيّة ، فإن الأمانة في الناس قليل[3]. ﴿وإن هم إلا يخرصون/١١٦﴾ تأكيد لما قبله. ﴿إن ربك هو أعلم من يضل/١١٧﴾ إلى آخره ، مناسب لقوله:﴿يضلوك عن سبيل الله/١١٦﴾ وارد مورد الوعيد والتهديد ، وفي سائر المواضع (بمن) بالباء[4]، وهو الأصل ، وما هنا إما على تقديرها ، أو تقدير فعل من أعلم . قال الكرماني : « وخصّ ما هنا بحذفها ، موافقة لقوله: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ »[5][6]. وقال الإمام: « لأنه في المعنى على تأويل : أعلم ممن يضل عن سبيله ، وفي سائر المواضع ، معناه : أعلم بأحوال من ضلّ ، من أحوال غيره »[7]. وقال صاحب المناجاة : « يحتمل أن يقال : التقدير : الله أعلم بالضال

= بالمكرر . وهو أصح الكتب بعد كتاب الله ، توفي سنة ٢٥٦هـ .
تذكرة الحفاظ (٢/١٣٢) ، وتهذيب التهذيب (٩/٤٧) ، والوفيات (١/٤٥٥) ، وطبقات الحنابلة (١/٢٧١ - ٢٧٩) ، وفتح الباري (المقدمة) (٤٦٩) .

(٩) هو أبو عبد الله ، محمد بن سعد الزهري ، ولد في البصرة وسكن بغداد . عرف بكاتب الواقدي ، لأنه كان يكتب له ، وقد كان مؤرخاً ثقة ، من حفاظ الحديث . من كتبه:« طبقات الصحابة » ، يعرف بطبقات ابن سعد . توفي سنة ٢٣٠هـ .
تهذيب التهذيب (٩/١٨٢) ، والوفيات (١/٥٠٧) ، وتاريخ بغداد (٥/٣٢١) .

(١٠) هو أبو عبد الرحمن ، جبير بن نفير الحضرمي ، أسلم في خلافة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه ، وكان ثقة فيما روى من الحديث ، توفي سنة ٨٠هـ . الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٤٤٠) .

(١) انظر التاريخ الكبير (٢/٢٢٣ - ٢٢٤) ، وطبقات ابن سعد (٧/٤٤٠) .

(٢) هو أبو بكر ، عبد الله بن أبي قحافة ، عثمان بن عامر التيمي القرشي ، أول من أسلم من الرجال وأول الخلفاء الراشدين ، كان غنياً جواداً ، عالماً بالأنساب ، حارب المرتدين ومانعي الزكاة . توفي سنة ١٣هـ .
طبقات ابن سعد (٩/٢٦ - ٢٨) ، وابن الأثير (٢/١٦٠) ، وتاريخ الخميس (٢/١٩٩) .

(٣)

(٤) النحل (١٢٥) ، والنجم (٣٠) ، والقلم (٧) .

(٥) الأنعام (١٢٤) .

(٦) أسرار التكرار (٧٤) .

(٧) لم أجد ذلك في التفسير الكبير .



عن سبيله ، فحذف لدلالة : (**وهو أعلم بالمهتدين/١١٧**) وقوله : (**من يضل عن سبيله/١١٧**) جملة معترضة ، ذُكرت للتعجب ممن يقع في هذا الأمر المحذور ، كأنه قيل : من الأحمق الذي يقع في هذا الأمر». وقال ابن جماعة : « قال هنا: (**يضل/١١٧**) ، وفي سائر المواضع : (ضلّ)[١] ، لأن هنا ، (**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك/١١٦**)، (**وإن كثيراً ليضلّون/١١٩**) ، وذلك مستقبل ، وبقية الآيات إخبار عمن سبق منه الضلال ، فناسب الماضي »[٢]، وقرىء (**يضل**) بضم الياء[٣] ، أي من يضل الناس ، وهو مناسب لقوله: (**يُضِلُّوك/١١٦**). (**فكُلُوا/١١٨**) قال الزمخشري : « مسبّب عن إنكار اتِّباع المُضِلِّين ، الذين حرّموا ما أباح الله ، وأباحوا ما حرَّم الله »[٤]، والخطاب به للمؤمنين ، لقوله : (**إن كنتم بآياته مؤمنين/١١٨**) ، وهو يؤيد ما قدَّمته في قوله: (**وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً/١١٤**) ، أنه للخطاب للمؤمنين ، ولذا قال : (**ومالكم ألا تأكلوا مما ذُكِر اسم الله عليه ، وقد فصّل لكم ما حرم عليكم/١١٩**) ، فعلم أن المخاطب بذلك المفصل المؤمنون ، والفعلان في السبعة بالبناء للفاعل وللمفعول[٥]، وللفاعل من فصّل دون (حرّم)[٦] ثلاث قراءات ، وقرىء بتخفيف (**فصل/١١٩**)[٧]، و(**إنَّ**)

---

(١) البقرة (١٠٨) ، النساء (١١٦ ، ١٣٦) ، المائدة (١٢ ، ١٠٥) .
الأنعام (٢٤ ، ٩٤) ، الأعراف (٥٣) ، يونس (٣٠ ، ١٠٨) .
هود (٢١) ، النحل (٨٧ ، ١٢٥) ، الإسراء (١٥ ، ٦٧) .
الكهف (١٠٤) ، النمل (٩٢) ، القصص (٧٥) ، الأحزاب (٣٦) .
الصافات (٧١) ، الزمر (٤١) ، فصلت (٤٨) .
النجم (٢ ، ٣٠) ، الممتحنة (١) ، القلم (٧) .

(٢) كشف المعاني (١٣٩) بتصرف .

(٣) قراءة الضم هي قراءة الكوفيين ، الكشف (٤٤٩/١) .

(٤) الكشاف (٤٦/٢) .

(٥) القراءة بالبناء للفاعل هي قراءة نافع والكوفيين ، والقراءة بالبناء للمفعول هي قراءة البقية . الكشف (٤٤٨/١) .

(٦) القراءة بالبناء للفاعل في « فصّل » و المفعول في « حرّم » هي قراءة أبي بكر عن عاصم ، وحمزة ، والكسائي . حجة القراءات (٢٦٨ - ٢٦٩) .

(٧) عن عطية ، ابن خالويه (٤٠) ، والبحر (٢١١/٤) .



على تقدير في . (ليضلون/١١٩) بفتح الياء ، وضمها[١] . (إن ربك/١١٩) إلى آخـره ، يتضمن الـوعيد والتهـديد . (وذروا ظاهـر الإثم وبـاطنـه/١٢٠) قال الماتريدي : « الأليق أن يُحمل ظاهر الإثم على أكل الميتة ، وباطنه على ما لم يُذكر اسم الله عليه »[٢].

قلت : وهذا تأويل مليح جداً ، مناسب للربط مع إرادة جميع الآثام الظاهرة والباطنة فلا تنافي ، فإن عادة القرآن ، أن يأتي بألفاظ يراد بها العموم ، مع أن في أفراد عمومها ، ما يليق بالقصة التي الكلام فيها ، كقوله في البقرة : (وأنفقوا في سبيـل الله/١٩٥) عقب الأمر بالقتال ، فإنه عام في جميع الإنفاق في وجوه الخير والبر ، وإن كان المناسب للمقام الإنفاق في الجهاد ، لأنه أحد أفراده ، فعبرَّ بما يشمله وغيره ، إرادة العموم ، وذكر أحد وجوه الإيجاز الذي[٣] بُني عليه القرآن ، وإلا لاحتاج إلى ذكر الخاص ، ثم ذكر العام ، فيطول ، وكذا قوله بعد : (وأحسنوا)[٤] ، فإنه عام ، وإن كان اللائق بالمقام : وأحسنوا بالنفقة ، فحـذف المتعلق ، ليعم النفقة وغيرها إيجازاً ، وكذا قوله : (وإياك نستعين)[٥] ، بعد : (إياك نعبد)[٦] حذف متعلقه ، ليعم الاستعانة على العبادة وغيرها ، وقِس على ذلـك. (وإنه لَفِسْقٌ/١٢١) جملة في موضع التعليل للنهي عن الأكل منه ، والضمير للأكل[٧] ، أو لما[٨] ، أو للذكر[٩] . (وإن الشياطين ليوحون/١٢١) الآية صريح في أن الخطاب في القصة المتقدمة للمؤمنين ، وكذا لما اتصل بها ، على

---

(١) قراءة الضم هي قراءة الكوفيين ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٤٩) .

(٢) البحـر (٤/٢١٢) .

(٣) في (أ) : التي .

(٤) البقـرة (١٩٥) .

(٥+٦) الفاتحة (٥) .

(٧) وهو ما جزم به ابن الجوزي ، وصدّر به الزمخشري ، وابن عطية . زاد المسير (٣/١١٥) ، والكشاف (٢٠/٤٧) ، والمحرر (٥/٣٣٤) .

(٨) في (مما لم يذكر) - كما جوّزه الحوفي . البحر (٤/٢١٣) .

(٩) كما جوّزه ابن عطية، المحرر (٥/٣٣٤).



ما قررته. ولما ختم الآية السابقة بقوله: (**إن كنتم بآياته مؤمنين/١١٨**) ، وهو شرط جيء به للتهييج والإلهاب ، لكونه بصورة عدم الجزم بإيمانهم ، ختم هذه -وهي آخر القصة- بما هو أبلغ من ذلك وآكد ، فقال : (**وإن أطعتموهم إنكم لمشركون/١٢١**) ، فإن أصعب ما على المؤمن أن يُشَبَّه بالمشرك ، فضلاً عن أن يُحكم عليه بالشرك . (**أوَ مَنْ كان ميتاً ، فأحييناه/١٢٢**) أي ضالاً ، فهديناه ، فاستُعير الموت للكفر ، والحياة للإيمان . قال أبوحيان:

« لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين ، ضرب للفريقين مثلاً ، فشبه المؤمن -بعد أن كان كافراً- بالحي ، المجعول له نور[1]، يتصرف به كيف سلك ، والكافر بالمختبط[2] في الظلمات ، المستقر فيها دائماً ، ليظهر الفرق بين الفريقين »[3]. وفي (**فأحييناه**) التفات . أبوحيان: « لما ذكر صفة الإحسان إلى عبده المؤمن ، نسب ذلك بنون العظمة في (**فأحييناه ، وجعلنا/١٢٢**) ، ولم ينسبه إلى نفسه في (**كان ميتاً/١٢٢**) ، وفي (**كمن مَثَلُه في الظلمات/١٢٢**) ، ولما ذكر جعل النور للميت ، قال : (**يمشي به في الناس/١٢٢**) ، أي يصحبه كيف تقلَّب. وقال : (**في الناس/١٢٢**) إشارة إلى تنويره على نفسه ، وعلى غيره من الناس ، فمنفعته ليست قاصرة على نفسه ، وقابل تصرفه بالنور ، وملازمة النور له باستقرار الكافر في الظلمات ، وكونه لا يفارقها ، وأكَّد ذلك بدخول الباء في خبر ليس »[4]، انتهى. وفي الآية طباق بين الموت والحياة ، والنور والظلمة ، والمشي والاستقرار ، ولم يقل في الكافر كمن هو ميت في الظلمات ، وهو مقتضى المقابلة ، فراراً من التكرار ، لتقدم لفظ الميت في الآية ، وقرىء (**أفمن**) بالفاء[5]. و(**كذلك/١٢٢**) إما[6] إشارة

(١) في (أ) : نور ، وكذا بالبحر أيضاً ، وفي (ب) : نورا - والصواب ما أثبتناه من (أ) .

(٢) بالبحر : « المختلط » .

(٣) البحر (٤/٢١٤) .

(٤) البحر (٤/٢١٤) .

(٥) وهي قراءة طلحة بن مصرف - على ما في البحر (٤/٢١٤) ، والدر المصون (٥/١٣٣) .

(٦) كلمة « إما » ليست في (ب) .



إلى إحياء المؤمن ، أو كون الكافر في الظلمات. (**زُيِّن للكافرين/١٢٢**) في يونس (**زين للمسرفين/١٢**). (**وكذلك/١٢٣**) إما عطف على (**كذلك/١٢٢**) ، أو على : (**وكذلك جعلنا لكل نبيٍ عدواً**)[١] ، ولم أرَ من تنبّه له ، وهو عندي أوضح وأوجه ، ولا يضر طول[٢] الفصل. (**في كل قريةٍ/١٢٣**) أعربه أبوحيان مفعولاً ثانياً ، و(**أكابِر مجرميها/١٢٣**) المفعول الأول ، وضعّف قول بعضهم أن (**أكابر/١٢٣**) أول ، والثاني محذوف ، أي فُسَّاقاً ، ليمكروا[٣] . وهذا الذي ضعّفه ، أوجه عندي ، لأن محط الفائدة على جعلهم ماكرين فيها ، لكن لا يتعينً تقدير : فُسَّاقاً ، بل يجوز جعل جملة (**ليمكروا/١٢٣**) مفعولاً ثانياً ، واللام لام كي ، أو لام الصيرورة[٤] وقرىء (**أكبر**)[٥] بالإفراد . (**حتى نُؤْتىٰ مثل ما أُوتي رسل الله/ ١٢٤**) أي من الرسالة والنبوة ، بدليل ما بعده : (**الله أعلم/١٢٤**) استئناف إنكار عليهم ، وفيه التفات عن التكلم ، وليس في (**رسل الله/١٢٤**) التفات ، لأنه من قائل آخر . (**حيث يجعل/١٢٤**) إما في تجريد (**حيث/١٢٤**) عن الظرفية ، ونصبها نصب المفعول به ، أو على السعة[٦] ، أو هي باقية على الظرفية المجازية على تضمين أعلم معنى ما يعدّى إلى الظرف ، أي أنفذ عِلماً ، حيث

---

(١) الأنعام (١١٢) .

(٢) في (أ) : لطول .

(٣) البحر (٤/٢١٥) .

(٤) انظر الإملاء (١/٢٦٠) ، والبحر (٤/٢١٥) ، والدر المصون (٥/١٣٤) .

(٥) عن ابن مسلم - على ما في البحر (٤/٢١٥) .

(٦) وهذا بناء على القول بأن (حيث) هنا خرجت عن الظرفية ، وهو قول أبي علي الفارسي ، وتبعه فيه الحوفي ، والتبريزي ، وهو ما نحا إليه ابن عطية ، وأبو البقاء .
الدر المصون (٥/١٣٧ - ١٣٨) ، والمحرر (٥/٣٤٠) ، والإملاء (١/٢٦٠) .
وقد تعقب أبو حيان هذا القول بأنه « تأباه قواعد النحو ، لأن النحاة نصوا على أن « حيث » من الظروف التي لا تتصرف - وشذ إضافة لدى إليها ، وجرها بالياء - ونصوا على أن الظرف الذي توسع فيه ، لا يكون إلا متصرفاً ، وإذا كان الأمر كذلك ، امتنع نصب « حيث » على المفعول به ، لا على السعة ولا على غيرها » . البحر (٤/٢١٦) .



يجعل ، أي هو نافذ العلم في هذا الموضع[١] . وقرىء بكسر **(حيث)** بناء أو إعراباً في لغة فقعس[٢][٣] . **(رسالاته)** بالجمع والإفراد[٤] . **(سيصيب الذين أجرموا/١٢٤)** علّقه بالذين أجرموا ، ليعم الأكابر وغيرهم . **(صَغَارٌ/١٢٤)** وفيه مقابلة للأكبرية ، وقُدِّم على العذاب ، لأنه في الدنيا بالقتل والأسر ، والعذاب في الآخرة ، والاقتران في الآخرة والذل والإهانة تحصل لهم في الموقف أولاً ، ثم يعقبه العذاب . **(عند الله/١٢٤)** أي في عرصة قضاء الآخرة ، أو في حكمه[٥] . وقال إسماعيل الضرير[٦] : « في الكلام تقديم وتأخير أي صَغَار ، وعذاب شديد عند الله »[٧] . **(فمن يُرِدِ الله/١٢٥)** الآية مناسبة لقوله : **(أو من كان ميتاً ، فأحييناه/١٢٢)** الآية ، كأنه شرح لكيفية الإحياء والإماتة الواقعين فيها ، أو عائد إلى قوله : **(ونُقَلِّب أفئدتهم/١١٠)** الآية ، أبوحيان : « شرح الصدر كناية عن جعله قابِلاً للإسلام متبعاً لقبول تكاليفه ، ونسبته إلى الصدر ، مجاز عن الذات ، ولذلك قالوا : فلان واسع الصدر ، إذا كان محتملاً ما يَرِد عليه من المشاق والتكاليف »[٨] .

---

(١) وهو ما استظهره أبو حيان ، على حين أن السمين ذهب إلى أنه ليس بشيء . المرجع السابق ، والدر المصون (١٣٨/٥) .

(٢) وهم فقعس بن طريف ، بطن من بني أسد ، من العدنانية . معجم قبائل العرب (٩٢٥/٣) .

(٣) انظر البحر (٢١٦/٤) ، وفيه « وروي (حيث) بالفتح » ، بدلاً من : « وقرىء بكسر (حيث) » ، وكذا بالدر المصون (١٣٩/٥) .

(٤) قراءة الإفراد هي قراءة ابن كثير وحفص ، وقراءة الجمع هي قراءة البقية . الكشف (٤٤٩/١) .

(٥) نسب أبو حيان القول الأول إلى الزجاج ، والقول الثاني إلى الفراء . البحر (٢١٧/٤) .

(٦) هو أبو عبد الرحمن ، إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الحيري ، نسبة إلى الحيرة – في نيسابور – ، مفسر ، من فقهاء الشافعية كان ضريراً . من مصنفاته : « الكفاية » في التفسير ، توفي بعد ٤٣٠هـ . نكت الهميان (١١٩) ، وطبقات الشافعية (١١٥/٣) .

(٧) البحر (٢١٧/٤) .

(٨) البحر (٢١٧/٤) .



قلت : الأولىٰ أن يُجعل مجازاً عن القلب ، لأنه محل القبول وعدمه ، والاتساع[1] والضيق ، وعبرّ بالصدر ، لأنه محل القلب والضيق . والحرج : الضيق الشديد . والقراءة (ضيقاً/١٢٥) بالتشديد والتخفيف[2]، فقيل : هما بمعنى ، والثاني : مخفف من المشدد[3] . وقيل : المشدد في الأجرام ، والمخفف في المعاني[4] . و(حرجاً/١٢٥) بكسر الراء صفة ، وبفتحها[5] مصدر ، أي ذا حرج ، روي أن عمر[6] قال : « ابغوا لي رجلاً من كنانة[7] راعياً ، وليكن من بني مدلج ، فلما جاءه قال: يا فتى ما الحرجة عندكم؟. قال: الشجرة تكون بين الأشجار ، لا يصل إليها راعية ولا وحشية. فقال عمر : كذلك قلب المنافق ، لا يصل إليه شيء من الخير »[8] . (كأنما يَصَّعَّد/١٢٥) بالتخفيف والتشديد ، من يتصعد . وقرىء به . وفي قراءة (يصّاعد)[9] شَبَه بذلك ، لأن صعود السماء يضرب مثلاً لما يبعد ويمتنع من الاستطاعة ، وتضيق عنه المقدرة ، ولذلك قالوا في تعليق الإيمان: (أو ترقىٰ في السماء)[10] . (وهذا/١٢٦) إشارة إلى القرآن أو الشرع الذي جاء به الرسول ، أو

---

(١) في (ب) : ولاتساعه .

(٢) قراءة التخفيف هي قراءة ابن كثير ، وقراءة التشديد هي قراءة البقية . الكشف (٤٥٠/١) .

(٣) البحر (٢١٨/٤) ، وانظر إعراب القرءان للنحاس (٩٥/٢) ، والحجة للفارسي (٤٠٠/٣) .

(٤) قاله الكسائي ، البحر (٢١٨/٤) .

(٥) قراءة الكسر هي قراءة نافع ، وأبي بكر ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . الكشف (٤٥٠/١).

(٦) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، ثاني الخلفاء الراشدين، يضرب بعدله المثل ، قال ابن مسعود : ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، هو أول من وضع التاريخ الهجري ، وأول من دوّن الدواوين ، كان نقش خاتمه : « كفى بالموت واعظاً يا عمر » ، توفي مقتولاً على يد أبي لؤلؤة الفارسي سنة ٢٣هـ .
ابن الأثير (١٩/٣) ، والإصابة : ترجمة رقم (٥٧٣٨) ، وحلية الأولياء (٣٨/١) .

(٧) كنانة فخذ من العوامر من بني شهر السراة بالسعودية . معجم قبائل العرب (١٥٨/٥) .

(٨) جامع البيان (١٠٤/١٢) ، والبحر (٢١٨/٤) ، وانظر روح المعاني (٢٢/٨) .

(٩) هذه قراءة أبي بكر ، وقراءة التخفيف هي قراءة ابن كثير ، وقراءة التشديد هي قراءة البقية . الكشف (٤٥١/١) . وأما قراءة (يتصعد) فهي قراءة عبد الله ، وابن مصرف ، والأعمش . البحر (٢١٨/٤) .

(١٠) الإسـراء (٩٣) .



الصنع الذي هو الهدى والضلال[1]. (**صراط ربك/١٢٦**) أُضيف إليه على جهة أنه من عنده وبأمره. (**قد فصّلنا/١٢٦**) فيه التفات. (**لهم/١٢٧**) راجع إلى قوم. (**دار السلام/١٢٧**) هو من أسماء الله، والإضافة للتشريف، أو مصدر بمعنى السلامة، أو التحية، لأنها فيها[2]. (**عند ربهم/١٢٧**) أي في نُزُلِه وضيافته، إشارةً إلى المكانة والزلفىٰ والإكرام. (**ويوم نحشرهم/١٢٨**) وفيه التفات، وفيه قراءة بالتحتية[3]، ونصب (**ويوم/١٢٨**) مفعول مقدراً قبل النداء. (**أَجَلَنا/١٢٨**) بالإفراد والجمع[4]. (**وقال/١٢٨**) فيه التفات على قراءة النون. (**إلا ما شاء الله/١٢٨**) قيل: الاستثناء لعصاة المؤمنين، ويؤيده عموم الخطاب، وأن الجن تغوي المسلم في تزيين المعاصي، وهو أوضح الأقوال فيه، ويليه في الوضوح قول ابن عطية أنه مخاطبة للنبي -ﷺ- وأمته، وليس مما يقال يوم القيامة، والمستثنى من كان يومئذٍ من الكفرة، وعلِم الله أنه يؤمن، فكأنه لما أخبرهم أنه يقال للكفار (**النار مثواكم**)، استثنى لهم من علم إيمانه، ويؤيده قوله: (**إن ربك حكيمٌ عليمٌ/١٢٨**) أي بمن يمكن أن يؤمن منهم[5]، انتهى.

قال أبو حيان: « وهذا تأويل حسن، وهو معنى قول ابن عباس: « هذه

---

(١) نسب أبو حيان هذا القول الأخير إلى إسماعيل الضرير، ونسب القول السابق إلى ابن عباس، ولكنه قال: « القرآن والشرع... ». البحر (٤/٢١٩).
والقول الأول هو قول ابن مسعود - كما في زاد المسير (٣/١٢١)، وانظر روح المعاني (٨/٢٣).
وقال ابن كثير: « أي هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد بما أوحينا إليك هذا القرآن، هو صراط الله المستقيم ».
تفسير القرآن العظيم (٢/١٧٥).

(٢) القول الأول هو قول ابن عباس، وقتادة، والحسن، والسدي. والقول الثاني هو قول الزجاج. والقول الثالث هو قول أبي سليمان الدمشقي. معاني القران للزجاج (٢/٢٩١)، والبحر (٤/٢١٩).

(٣) القراءة بالتحتية هي قراءة حفص، والقراءة بالنون هي قراءة البقية. الكشف (١/٤٥١ - ٤٥٢).

(٤) نسب ابن خالويه (٤٠) قراءة الجمع إلى الحسن.

(٥) المحرر (٥/٣٥٠ - ٣٥١).



الآية توجب الوقف في جميع الكفار » أي فيمن لم يمت منهم ، إذ قد يُسلم »[1] ، لا كما فهم بعضهم على غير وجهه . (إن ربك حكيمٌ عليمٌ/١٢٨) قال ابن عطية : « صفتان مناسبتان لهذه الآية ، كأن تخليد هؤلاء في النار ، صادر عن حكمة »[2] .

وقال التبريزي : « (حكيم) في تدبير المبدأ والمعاد (عليم) بما يؤول إليه أمر العباد »[3] ، وقال إسماعيل الضرير : « حكم عليهم بالخلود (عليم/١٢٨) بهم وبعقوبتهم »[4] (وكذلك نُوَلِّي/١٢٩) أبوحيان: «لما ذكر أنه تعالى وَلِي المؤمنين ، ذكر أن الكافرين أولياء بعضهم في الظلم والخزي »[5] .

---

(١) البحر (٤/٢٢١) .

وقد اختلف أهل التأويل في المراد من الاستثناء في (**إلا ما شاء ربك**) فبالإضافة إلى المذكور هنا ، نجد أن هناك من قال إن هذا استثناء أشخاص من المخاطبين ، وهم من آمن في الدنيا ، وقال آخرون : إن الاستثناء هنا من الأزمان ، أي خالدين فيها أبداً إلا الزمان الذي شاء الله ألا يخلدوا فيها ، واختلف هؤلاء في تعيين الزمان .

فقال الطبري : هي المدة التي بين حشرهم إلى دخولهم النار .

وقال الزمخشري : هي الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير .

وقال الحسن : إلا ما شاء الله من كونهم في الدنيا بغير عذاب .

انظر هذه الأقوال وغيرها : جامع البيان (١٢/١١٨) ، وزاد المسير (٣/١٢٤) و(٤/١٦٠ - ١٦١) ، والبحر (٤/٢٢١) ، وفتح القدير (٢/٥٢٥) .

والراجح هنا ، هو ما اختاره المؤلف ، من أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ، فهم مستثنون من الخلود في النار ، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن الرسول -ﷺ- الدالة على مضمون ذلك . وهو ما عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً - كما ذكر ابن كثير (٢/٤٦٠) في تفسير مثل هذه الآية في سورة هود ، وهو قوله تعالى : (**فأما الذين شقوا، ففي النار لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، إن ربك فعالٌ لما يريد/١٠٨**) .

وانظر جامع البيان (١٢/٤٨٤) ، وفتح القدير (٢/١٦١) ، وروح المعاني (٨/٢٦) .

(٢) المحرر (٥/٣٥١) .

(٣) البحر (٤/٢٢٢) .

(٤+٥) المرجع السابق .

وتفسير (**وكذلك نولي**) بما فسره به أبو حيان هنا ، هو قول قتادة . كما في زاد المسير (٣/١٢٤) ، وهو اختيار الطبري (١٢/١٢٠) ، وهناك قول آخر ، وهو « نسلط بعضهم على بعض » ، وهو قول ابن زيد على ما في زاد المسير (٣/١٢٤) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (٢/١٧٦) ، وروح المعاني (٨/٢٧ - ٢٨) .



قلت : بل هو متعلق بقولهم : (**ربنا استمتع بعضنا ببعض/١٢٨**) ، أخبر تعالى أن ذلك بخلقه وتقديره جزاءً بما كسبوا من الإثم ، (**وكذلك/١٢٩**) عاد إلى بقية الأخبار عن حالهم في الحشر ، فجملة (**وكذلك/١٢٩**) اعتراض . وفي (**نُوَلِّي/١٢٩**) التفات. (**يا معشر الجن/١٣٠**) الآية متصلة بالنداء الأول . (**ألم يأتِكم/١٣٠**) استفهام توبيخ وتقريع . وقرىء بالفوقية[(١)]. (**رُسُلٌ منكم/١٣٠**) قيل : من الجن أيضاً رُسُل[(٢)]. وقيل: لا ، والتقدير : من أحدكم ، أي الإنس ، كقوله : (**يخرج منهما اللؤلؤ**)[(٣)] أي من أحدهما وهو الملح[(٤)]، (**وجعل القمر فيهن نوراً**)[(٥)] أي في إحداهن ، وهي سماء الدنيا. وخصّ خطاب الإنس ، لشرفهم . (**شهدنا على أنفسنا/١٣٠**) هذه الجملة نابت مناب بلى . (**وشهدوا على أنفسهم/١٣٠**) كُرِّرت لاختلاف المخبر ، فإن الأولى إخبارهم عن أنفسهم ، والثانية إخباره تعالى عنهم ، أنهم شهدوا على أنفسهم .

قلت : الأولى إنشاء ، والثانية إخبار ، والأفعال الخاصة بمعنى الاستقبال. (**ذلك/١٣١**) إشارة إلى أقرب مذكور ، دلّ عليه الكلام ، وهو إتيان الرسل . وقيل : إلى قول : (**ألم يأتِكم**) ، أي لبيان[(٦)]. (**أن لم يكن ربك/١٣١**) فيه

---

(١) عن الأعرج ، البحر (٤/٢٢٣) .

(٢) وهو قول الضحاك ، ومقاتل ، وأبي سليمان ، زاد المسير (٣/١٢٥) .

(٣) الرحمن (٢٢) .

(٤) هكذا تأوله الفراء ، معاني القرآن (١/٣٥٤) .
والقول بأن الرسل من الإنس دون الجن ، هو قول الجمهور - كما في البحر (٤/٢٢٢) . ويبدو لي أن هذا هو الراجح ، بدليل قوله تعالى : (**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده**) إلى قوله : (**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل**) ، وقوله عن إبراهيم : (**وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب**) ، فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ، ولم يقل أحد من الناس أن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ، ثم انقطعت عنهم ببعثته . . .
وهذا هو توجيه ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (٢/١٧٧) .

(٥) نوح (١٦) .

(٦) القول الأول هو ما صدَّر به أبو حيان ، والقول الثاني حكاه التبريزي . البحر (٤/٢٢٤) ، وانظر روح المعاني (٨/٢٨) .



التفات . (وأهلها غافلون/١٣١) في هود (مصلحون/١١٧) قال ابن جماعة: «لأنه تقدم هنا : (وينذرونكم/١٣٠) ، والإنذار : الإيقاظ من الغفلات ، فناسب الختم بـ(غافلون/١٣١)، وفي هود تقدم: (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض/١١٦) ، فناسب الختم بقوله:(مصلحون) ، لأن ذلك ضد الفساد المقابل له »[١]. (ولكلٍّ/١٣٢) من المؤمنين والكافرين. (درجاتٌ/١٣٢) فيه تغليب للأشرف ، إذ النار تقال فيها دركات ، والدرجات خاصة بالجنة العالية . وقال الماتريدي: « ولكلٍّ من الكفار خاصة ، لأنه جاء عقب خطابهم ، فيكون راجعاً إليهم »[٢]. (يعملون/١٣٢) بالياء والتاء[٣] ، ففيه التفات عن الغيبة . (وربك الغني ذو الرحمة/١٣٢) لما ذكر من أطاع ومن عصى ، والثواب والعقاب ، ذكر أنه هو الغني من جميع الجهات ، لا تنفعه الطاعة ، ولا تضره المعصية ، ومع كونه غنياً عن خلقه ، فهو ذو الرحمة ، أي التفضل التام بهم ، ومن رحمته تأخير الانتقام من العصاة . (إن يشأ يُذْهِبْكُم/١٣٣) فيه الانتقال من خطاب النبي إلى خطاب قومه ، ثم عاد إلى خطابه في قوله:(قل يا قومِ اعملوا/١٣٥) أمر تهديد . (على مكانتكم/١٣٥) بالإفراد والجمع[٤]. (فسوف تعلمون/١٣٥) في هود (سوف/٩٣). قال ابن جماعة : « لأن آيتي الأنعام والزمر[٥] بأمر الله تعالى[٦] له بـ(قل) ، فناسب التأكيد في الوعيد بفاء السببية ، وآية هود من قول شعيب ، فلم يؤكد ذلك »[٧]. (من تكون له عاقبة الدار/١٣٥) الزمخشري : « هذا طريق من الإنذار لطيف المسلك ، فيه إنصاف في المقال ، وأدب حسن ، مع تضمن شدة

---

(١) كشف المعاني (١٤٠) .

(٢) البحر (٤/٢٢٥) بقليل من الاختصار .

(٣) القراءة بالتاء هي قراءة ابن عامر ، والقراءة بالياء هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٥٢) .

(٤) قراءة الجمع هي قراءة أبي بكر ، وقراءة الإفراد هي قراءة البقية ، الكشف (١/٤٥٢) .

(٥) وهو قوله تعالى : (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم ، إني عاملٌ ، فسوف تعلمون) ، الزمر (٣٩) .

(٦) كلمة « تعالى » ليست في (ب) .

(٧) كشف المعاني (١٤١) .



الوعيد ، والوثوق بأن المنذِر محقّ ، والمنذَر مبطل »[1] . وهو في الإنصاف نظير قوله : **(أي الفريقين خير مقاماً ، وأحسن ندياً)**[2] ، وقول حسان[3] :

. . . . فشركما لخيركما الفداء[4]

ومن شأنهم في مثل هذا إبراز الكلام في صورة الترديد إظهاراً لصورة الإنصاف ، ورمياً بالكلام على جهة الاشتراك ، اتكالاً على فهم المعنى . وفي قراءة (يكون) بالتحتية[5] . **(إنه لا يفلح الظالمون/ ١٣٥)** الظاهر أنه من كلامه تعالى ، غير داخل في المقول ، قصد به إثبات العاقبة للمتقين ، ونفيها عن الظالمين ، فهو تعريض بهم ، وتقوية لنفوس المؤمنين . **(وجعلوا/ ١٣٦)** التفات عن الخطاب في قوله : **(وما أنتم/ ١٣٤)** ، وما قبله ، لا عنه في قوله : **(اعملوا/ ١٣٥)** إلى آخره ، لاختلاف القائل ، وهذا عود إلى صفاتهم الذميمة ، من التحكُّم على الله في الإجابة والتحريم ، فهو منتظم مع قصة الميتة . أبوحيان : « لما ذكر تعالى قبح طريقة مشركي العرب في إنكارهم البعث ، ذكر أنواعاً من جهالاتهم ، تنبيهاً على ضعف عقولهم ، وفي قوله :

(مما ذرأ/ ١٣٦) أنه تعالى كان أولى أن يُجعل له الأحسن والأجود ، وأن يكون جانبه هو الأرجح .

---

(١) الكشاف (٢/ ٥٢) .

(٢) مريم (٧٣) .

(٣) هو حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري ، شاعر الرسول ﷺ ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، كان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله . توفي سنة ٥٤هـ . تهذيب التهذيب (٢/ ٢٤٧) ، والإصابة (١/ ٣٢٦) ، وتهذيب ابن عساكر (٤/ ١٢٥) .

(٤) وصدره : أتهجوه ولست له بند . الشعر والشعراء (٢٦٧) ، وشرح الأشموني (٣/ ٥١) .

(٥) هذه قراءة حمزة والكسائي ، الكشف (١/ ٤٥٣) .



وفي الآية حذف ، دلّ على القسم ، أي ونصيباً لشركائهم ، ولهذا قال : **(فقالوا هذا الله بزعمهم ، وهذا لشركائنا/١٣٦)** ، وفي قوله : (فقالوا/١٣٦) ، تأكيد للفعل الذي هو الجعل بالقول ليتطابق ويتظافر القول بالفعل ، ثم إنهم أخلفوا ذلك ، واعترض أثناء الكلام قوله (بزعمهم/١٣٦) للإخبار بكذبهم ، حيث أخلفوا ، ولم يقل ذلك إثر (وهذا لشركائنا/١٣٦) لتحقيق أنهم يخلفوا فيه . وفي قراءة بضم الزاي[١] ، لغة أسدية[٢] . وقرىء بفتحتين[٣] . **(فلا يصل إلى الله /١٣٦)** أي لا يقع موقع ما يصرف في وجوه البر ، من الصدقة على المساكين ، وزوّار بيت الله ، ونحو ذلك . **(فهو يصل إلى شركائهم /١٣٦)** بالمديح عليها ، والإنفاق على سدنتها . **(وكذلك/١٣٧)** أي ومثل تزيين قِسمة القربان بين الله وأصنامهم . وقال ابن الأنباري : « يجوز أن يكون **(وكذلك/١٣٧)** مستأنفاً ، غير مشار به إلى ما قبله ، فيكون المعنى : وهكذا زيّن »[٤] .

قلت : هذا الذي قاله ابن الأنباري ، كان يختلج في ضمير كثير ، في الآيات التي من هذا النمط كقوله : **(وكذلك جعلنا في كل قريةٍ)** [٥] ، **(كذلك نفصل الآيات)**[٦] ، وأنحاء ذلك ، فإن كثيراً منها ، يُتَكَلَّف فيه في صحة الإشارة إلى شيء سابق ، وعندي أن الإشارة ليست لشيء سابق ، بل مضمون الجملة التي دخلت عليها ، وهذا تخريج مطرّد بلا تكلُّف ، ولم أكن أجسر لأُصرِّح به ، حتى وجدت لي هذا السلف العظيم ، وهذا نظير أحد التخريجين في مثل : **(ولنبيّنه لقوم يعلمون)**[٧] ، من تعلقه بمؤخر معلول . **(زين/١٣٧)** بالبناء للفاعل ونصب

---

(١) قراءة الضم هي قراءة الكسائي ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٥٣) .

(٢) نسبة إلى بني أسد ، وهم بطن من عنز ، سكنوا طلعان ، وهو واد كثير المزارع . معجم قبائل العرب (١/٢١) .

(٣) عن ابن أبي عبلة ، البحر (٤/٢٢٧) .

(٤) البحر (٤/٢٢٩) .

(٥) الأنعام (١٢٣) .

(٦) يونس (٢٤) ، والروم (٢٨) ، والأنعام (٥٥) ، ولكن بلفظ (وكذلك . . .) ، وكذا بالأعراف (٣٢ ، ١٧٤) .

(٧) الأنعام (١٠٥) .



(**قتل** /١٣٧) مضافاً إلى (**أولادهم**)، ورفع (**شركاؤهم**) فاعلاً، وقرىء بالبناء للمفعول ورفع (**قتل**) مضافاً، ورفع (**شركاؤهم**)[١]، بإضمار فعل، أي زينه، على حد: (**يسبح له فيها بالغدو والآصال رجالٌ**) [٢]. بالبناء للمفعول، وقرىء كذلك، لكن بنصب (**أولادهم**)، وجرّ (**شركاؤهم**)[٣]، فصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول، وهذا وإن كان قليل الورود عن العرب، فإنه وارد فصيح، وجواب قِلة الورود ما قاله أبو عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب، إلا أقله، ولو جاءكم وافِراً لجاءكم عِلم وشعر كثير»[٤]. وقال ابن جني: «إذا ورد عن العربي الفصيح ما لا يقله القياس، فالأولى أن يحسن به الظن، لأنه يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة، قد طال عهدها، وعفا رسمها، فلا يُقطع عليه إذا سُمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ»[٥]، ومما ورد عن العرب من الفصل بين المتضايفين بغير الظرف، قوله:

فَزَجَجْتُها بمَزَجَّةٍ .... زجَّ القَلوصِ أبي مزادَه[٦]

وقوله: ... فسقناهم سوق البغاث الأجادل[٧].

---

(١) هذه قراءة السلمي، والحسن، وأبي عبد الملك قاضي الجند، صاحب ابن عامر. البحر(٤/٢٢٩).
(٢) النور (٣٦، ٣٧).
(٣) هي قراءة ابن عامر، الكشف (١/٤٥٣).
(٤) البحر (٤/٢٣٠).
(٥) لم أجد هذا الكلام في المحتسب لابن جني، وإنما وجدته ملخصاً، في البحر (٤/٢٣٠).
(٦) هذا البيت لا يعرف قائله.
انظر حاشية الصبان (٢/٢٧٦)، والخصائص (٢/٤٠٦)، والإنصاف (٢/٤٢٧).
زججتها: أي طعنتها، والمزجة: رمح قصير، وأبو مزادة: كنية رجل. والقلوص: الشابة من النوق. انظر شرح الشواهد للعيني (٢/٢٧٦).
(٧) وصدر البيت هو: عتوا إذ أجبناهم إلى السلم رأفة.
ذكره خالد بن عبد الله الأزهري في شرح التصريح (٢/٥٧) دون أن ينسبه. وكذا ذكره العيني في شرح الشواهد (٢/٢٧٦).
والبغاث: نوع من الطيور - انظر اللسان (٢/١١٨) مادة: بغث.
والأجادل جمع أجدل وهو الصقر - اللسان (١١/١٠٣) مادة؛ جدل.



وقوله : ... بواديه من قَرْع القِسِيّ الكنائنِ[1] .

وقوله : ... بالقاع فَرْكَ القطنِ المحالجِ[2] .

وقوله : ... فداسهم دوس الحَصاد الدائس[3] .

وقوله : ... فإن نكاحها مطرٍ حرامُ[4] .

وقوله : ... وسواك مانع فضله المحتاج[5] .

وقوله : ... تَسْقي امتياحاً ندىٰ المسواكَ ريقتِها[6] .

وقوله : ... ولا عدمنا قهر وَجْد صبّ[7] .

وقوله : ... ولا ترعوي عن نقض أهواؤنا العزم[8] .

---

(1) صدره : يطفن بحوزي المراتع لم ترع

وهو للطرماح : ديوانه (١٦٩) ، والشعر والشعراء (رقم ٣٧٩) ، والخصائص (٢/٤٠٦) ، وشرح شواهد العيني (٣/٤٦٤) ، والإنصاف (٤٢٩) .

(2) صدره : يَفْرُك حَبَّ السنبلِ الكُنَافِجِ

وهو لأبي جندل الطهوي : شرح شواهد العيني (٣/٤٥٧) ، ومعجم الشواهد (٤٥٧) .

والكنافج : المكتنز من السنابل .

(3) وصدره هو : وحلق الماذي والقوانس .

قاله عمرو بن كلثوم : شرح شواهد العيني (٢/٢٧٦) ، والأشموني (٢/٢٧٦) .

وفي الأصل « الحصيد » بدلاً من « الحصاد » .

والماذي : من الدروع البيضاء . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة من الحديد . اللسان : مادة : موذ ومادة : قنس .

(4) وصدره : لئن كان النكاح أحلَّ شيءٍ . . .

وهو للأحوص : ديوانه (١٨٩) ، والتصريح (٢/٥٩) ، والعيني (١/١٠٨) .

(5) وصدر البيت : مازال يوقن من يؤمك بالغنى . التصريح (٢/٥٨) .

(6) عجزه : كما تَضَمَّن ماءَ المُزْنَةِ الرصفُ .

وهو لجرير : ديوانه (٣٨٦) ، والعيني (٣/٣٧٤) ، والتصريح (٢/٥٨) ، والهمع (٢/٥٢) ، والدرر (٢/٦٦) .

والرصف : جمع رصفة ، وهي حجارة مرصوف بعضها إلى بعض . والمزنة : السحاب . والامتياح هنا : الاستياك .

(7) صدره : ما إن وجدنا للهوى من طب . التصريح (٢/٥٩) .

(8) صدره : نرى أسهماً للموت تصمي ولا تنمي .

لم أهتد إلى قائله ، وهو في الأشموني (٢/٤٨٩) ، والعيني (٣/٤٨٨) . =

وقرىء بكسر الزاي ، وسكون الياء[1] ، وقرىء (ليلبسوا/١٣٧) بفتح الباء[2] .

قال ابن جني : « استعارة من اللباس ، عبارة عن شدة المخالطة »[3] . واللام للتعليل ، إن كان التزيين من الشياطين ، وللصيرورة إن كان من السَّدَنة ، قاله الزمخشري[4] . (ما فعلوه/١٣٧) أي القتل ، والواو لكثير . وقيل : التزيين ، والواو للشركاء . وقيل : للمجموع[5] إجراء للضمير مجرى الإشارة ، وهو الأنسب بإيجاز القرآن ، وعموم ألفاظه . (فذرهم وما يفترون/١٣٧) تهديد ووعيد . (أنعامٌ/١٣٨) قرىء (نَعَمٌ) بالإفراد[6] . (حِجْرٌ/١٣٨) بمعنى محجور ، كذِبْح ، ونِطْح ، يستوي فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث . وقرىء بضم الحاء ، وقرىء بفتحها ، وقرىء بضمتين[7] ، وقرأ أُبيّ وابن عباس وابن مسعود وابن الزبير (حِرْج) بكسر الحاء ، وسكون الراء مقدمة على الجيم ، على القلب من حِجْر[8] . (خالِصةٌ/١٣٩) قرىء بالنصب[9] ، حال من ضمير الصلة ، وقرىء (خالصٌ)[10]

= وتصمي : من أصميت الصيد ، إذا رميته فقتلته بحيث تراه . وتنمي : من أنميت الصيد : إذا رميته فغاب عنك ثم مات . لا ترعوي : لا تكف .

(١) هذه قراءة بعض أهل الشام ، ورويت أيضاً عن ابن عامر ، البحر (٤/٢٣٠) .

(٢) قرأها النخعي ، المرجع السابق .

(٣) المحتسب (١/٢٣١) .

(٤) الكشاف (٢/٥٤) .

(٥) انظر البحر (٤/٢٣٠) ، والدر المصون (٥/١٨٠) .

(٦) عن أبان بن عثمان ، البحر (٤/٢٣١) .

(٧) هذه قراءة أبان بن عثمان ، وعيسى بن عمر .
والقراءة السابقة عن الحسن ، وقتادة ، والقراءة التي قبلها عن الحسن ، وقتادة ، والأعرج .
البحر (٤/٢٣١) .

(٨) البحر (٤/٢٣١) .

(٩) عن ابن عباس ، والأعرج ، وقتادة ، وابن جبير . وأسندها ابن خالويه إلى الزهري . البحر (٤/٢٣١) ، وابن خالويه (٤١) .

(١٠) أسندها ابن خالويه إلى ابن عباس ، وأسندها أبو حيان إلى عبد الله ، وابن جبير ، وأبي العالية وغيرهم .
ابن خالويه (٤١) ، والبحر (٤/٢٣١) .

و(**خالصاً**) بغير تاء[1]، وقرىء (**خالصُه/١٣٩**)[2] . بالإضافة إلى ضمير ما ، وهو بدل من ما ، أو مبتدأ خبره (**لـذكورنا/١٣٩**) والجملة خبر ما[3]، وعلى القراءة المشهـورة ، أُنّث (**خـالصة**) على معنى ما ، وذُكِّر (**ومحرّمٌ /١٣٩**) وما بعده على لفظها ، وهو خلاف الجادّة في القرآن ، فإن القاعدة فيه البدء بالحمل على اللفظ ، ثم الحمل على المعنى ، ووقع عكس ذلك في آيات يسيرة ، هذه منها ، قاله مكي[4] وغـيره[5]. (**على أزواجنـا/١٣٩**) أي نسـائنـا المعدّة لأن تكون أزواجنا ، (**وإن يكن/١٣٩**) بالتحتية ، ونصب ميتـة ، وبالفوقية والرفع على أنها تامة ، وبالتحتية والـرفـع ، وبـالفـوقية والنصب[6] أربـع قراءات في السبعـة . وقـرىء بتشـديد (**ميتـة/١٣٩**)[7] . (**فهم فيـه/١٣٩**) تغليب الـذكور . (**شركاء/١٣٩**) قرأ ابن مسعود بدله (**سواء**)[8] . (**سيجزيهم وصفهم/١٣٩**) أي جزاء وصفهم على الله في التحليل والتحريم من قوله :(**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ، هذا حلالٌ ، وهذا حرامٌ**)[9] . (**قد خسر/١٤٠**) الآية ، هذا وعيد ما تقدم في الآيات السابقة ، من قتـل الأولاد ، وتحـريم الأنعـام ، والحرث وما في بطون الأنعام ، وجاء على الترتيب ، من البدء بقتل الأولاد ، ثم تحريم الرزق . والقراءة في (**قتلوا/١٤٠**)

---

(١) قرأ بذلك ابن جبير ، المرجعين السابقين ، والمحتسب (١/٢٣٢) .

(٢) قرأها ابن عباس ، وأبو رزين ، وعكرمة ، وابن يعمر ، وأبو حيوة ، والزهري ، واقتصر ابن خالويه على إسنادها إلى ابن عباس . ابن خالويه (٤١) ، والبحر (٤/٢٣١ - ٢٣٢) .

(٣) انظر البحر (٤/٢٣٢) ، والدر المصون (٥/١٨٤) .

(٤) هو أبو محمد ، مكي بن أبي طالب الأندلسي القيسي ، مقرىء ، عالم بالتفسير والعربية، من كتبه : « مشكـل إعـراب القـرآن » ، و« الكشف عن وجـوه القـراءات وعللها »، و« التبصرة في القـراءات السبع » ، توفي سنة ٤٣٧هـ .
بغية الوعاة (٣٩٦) ، وفيات الأعيان (٢/١٢٠) ، إرشاد اللبيب (٧/١٧٣) .

(٥) مشكل إعراب القرآن (١/٢٩٢) ، وانظر البحر (٤/٢٣٢) .

(٦) هذه القراءة الأخيرة قرأ بها أبو بكر ، وأما القراءة بالتحتية والرفع فقد قرأ بها ابن كثير، وقرأ ابن عامر بالفوقية والرفع ، وقرأ باقي السبعة بالتحتية والنصب . البحر(٤/٢٣٣) .

(٧) قرأ بذلك يزيد ، البحر (٤/٢٣٣) .

(٨) البحـر (٤/٢٣٣) .

(٩) النحـل (١١٦) .



بالتخفيف والتشديد[١]، وقرىء (سفهاء/١٤٠) بالجمع[٢]. (وهو الذي أنشأ/١٤١) الآية ، أبوحيان: «لما أخبر تعالى عنهم ، أنهم حرّموا أشياء مما رزقهم الله ، أخذ يذكر ما امتنّ به عليهم من الرزق الذي تصرّفوا فيه بغير إذنه ، افتراء منهم عليه ، واختلافاً ، فذكر نوعي الرزق ، النباتي والحيواني ، فبدأ بالنباتي ، كما بدأ به في الآية المشبهة لهذا ، واستطرد منه إلى الحيواني ، إذ كانوا قد حرّموا أشياء من النوعين ، ولما كانت هذه الآية واردة في معنى ذكر المِنة والإحسان ، قدّم ما حاجة العرب إليه أشد ، وما هو أكثر قوتهم ، وهو النخل على الزرع ، ولما كانت الآية السابقة واردة عقب إنكار الكفار التوحيد وجعلهم معه آلهة ، واستطرد من ذلك إلى المعاد الأخروي ، واستدل عليه بقوله: **(وهو الذي أنزل من السماء ماءً ، فأخرجنا به نبات كل شيءٍ)**[٣] كان الابتداء في التقسيم بالزرع ، لصغر حبه ، فهو أدلّ على التوحيد والقدرة التامة ، وأبلغ في الاعتبار»[٤]. والجنات إن أُريد بها العموم ، فإفراد النخل وما بعده من عطف الخاص على العام ، تعظيماً لمنفعته ، والامتنان به ، أو الكروم المرتفعة والمنبسطة على الأرض ، فالآية نظير تلك الآية سواء في اشتمالها على الزرع والنخل والعنب والزيتون والرمان ، وإن كانت عكسها في الترتيب ، حيث ابتُدِىء هنا بالعنب ثم النخل ، ثم الزرع ، وهذا الثاني -أعني اختصاص الجنات بالكروم- هو المنقول عن ابن عباس ، أخرجه ابن جرير[٥]، وهو الموافق لقوله هناك: **(وجناتٍ من أعنابٍ)**[٦]. **(مختلفاً /١٤١)** حال مقدرة ، لأنه ليس وقت الإنشاء مختلفاً . **(أُكُلُه/١٤١)** الضمير قيل: للزرع وحده . وقيل: للثلاثة[٧]، إجراء له مجرى الإشارة ، أي المجموع ، وقيل: لها ، على تقدير

(١) قراءة التشديد هي قراءة ابن كثير، وابن عامر ، وقراءة التخفيف هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٥٥) .
(٢) قرأها اليماني ، كما في ابن خالويه (٤١) .
(٣) الأنعام (٩٩) .
(٤) البحر (٤/٢٣٥ - ٢٣٦) باختصار .
(٥) جامع البيان (١٢/١٥٦) .
(٦) الأنعام (٩٩) .
(٧) هذا قول الحوفي ، والقول السابق هو ما استظهره أبو حيان . البحر (٤/٢٣٦) .

مضاف ، أي ثمر[1] . (كلوا/١٤١) فيه التفات . (من ثمره إذا أثمر/١٤١) لما كانت تلك الآية واردة في معرض الاستدلال بها على الصانع وقدرته ، والحشر والإعادة بعد العدم ، قال : انظروا إلى ثمره إذا أثمر ، وينعِه ، إشارة إلى الإيجاد أولاً ، وإلى غايته ، ولما كانت هذه في معرض الامتنان وإظهار الإحسان بما خلق للأنام ، قال : كلوا ، ونبّه بقوله: (إذا أثمر/١٤١) ، على أنه لا ينتظر بالأكل الحصاد الذي يؤخرّ إليه إيتاء الزكاة . (ولا تسرفوا/١٤١) نهي عن الإسراف في الأكل والصدقة معاً ، فلا يسرف في الأكل ، حتى لا يبقى للصدقة شيء ، ولا في الصدقة حتى لا يبقى للأكل شيء . (ومن الأنعام/١٤٢) عطف على (جناتٍ) أي وأنشأ من الأنعام (حَمُولةً) : الإبل ، والبقر . (وفَرْشاً/١٤٢) الضأن والمعز ، فهما في مقابلة قوله تعالى: (معروشاتٍ ، وغير معروشاتٍ/١٤١) ، وقدّم الأعظم في الموضعين . (ولا تتبعوا خطوات الشيطان/١٤٢) في التحريم والتحليل من عند أنفسكم . (ثمانية أزواجٍ/١٤٣) بدل من (حمولةً ، وفرشاً /١٤٢)[2]، وقيل : بتقدير : أنشأ[3]، و(من الضأن/١٤٣) وما بعده معهما لف ونشر غير مرتب . وفي الآية من أنواع الجدل : السبر والتقسيم[4]، لأنهم لما حرّموا ذكور الأنعام تارة ، وإناثها أخرى ، قال تعالى في الرد عليهم: إن الخلق لله ، خلق من كلِّ زوجٍ مما ذكر، ذكراً وأنثى، فممَّ جاء تحريم ما ذُكر، ثم أي ما عِلتّه لا يخلو، إما أن يكون من

---

(١) أي إنما صحّ إرجاع الضمير في (أكله) للثلاثة ، على أن هناك مضافاً محذوفاً ، وهو : ثمر ، أي ثمر جنات . وروعي هذا المحذوف ، فقيل : (أكله) بالإفراد على مراعاته . انظر البحر (٢٦٣/٤) ، والدر المصون (١٨٨/٥) .

(٢) هذا قول الزجاج . وهو ما قدمه الفراء ، وذكر أبو حيان أنه قول الأكثرية ، واستظهره . معاني القرآن للزجاج (٣٢٨/٢) ، ومعاني القرآن للفراء (٣٥٩/١) ، والبحر (٢٣٩/٤) .

(٣) قاله الكسائي ، وضعّفه أبو البقاء ، وأثبته السمين بأن ذلك مسموع في كلام العرب . الإملاء (٢٦٣/١) ، والبحر (٢٣٩/٤) ، والدر المصون (١٩٢/٥) .

(٤) وهو يعني استيفاء أقسام الشيء الموجودة ، لا الممكنة عقلاً ، وعرفه القزويني بأنه هو ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين .
الإتقان (٢٦٧/٣) ، والإيضاح (٣٥٨) ، والتلخيص (٣٦٤) ، وراجع نضرة الإغريض (١١٢) ، والأقصى القريب (٩٦) .



جهة الذكورة ، أو الأنوثة ، واشتمال الرحم الشامل لهما ، أو لا يدرى له عِلِّيَّة ، وهو التعبدي ، بأن أُخذ ذلك عن الله ، والأخذ عن الله ، إما بوحي وإرسال رسول ، أو سماع كلامه ، ومشاهدة تَلَقِّي ذلك عنه ، وهو معنى قوله : (**أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا/١٤٤**).

فهذه وجوه التحريم ، لا يخرج عن واحد منها ، والأول يلزم عليه تحريم جميع الذكور ، والثاني يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراماً ، والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معاً ؛ فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة ، وبعض في حالة ، لأن العلة على ما ذكر ، تقتضي إطلاق التحريم والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ، ولم يدّعوه بواسطة رسول كذلك لأنه لم يأتِ إليهم رسول قبل النبي -ﷺ- ، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدّعى ، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال . وقرىء (الضأن/١٤٣) بفتح الهمزة[1] ، وقرىء (المعزى)[2] ، وقرىء (اثنان) بالرفع[3] مبتدأ ، والخبر مقدم ، وقرىء (اثنين اثنين) بالتكرير[4] ، وجملة (**نبئوني/١٤٣**) إلى آخره ، معترضة بين المتعاطفين ، للتقريع والتوبيخ ، ولما ثبت المدعى من بطلان قولهم ، وحكم عليهم بالافتراء ، والأظلمية ، وعدم الهداية ، قال على وجه المعارضة بتحريم ما أباحوه (**قل لا أجد فيما أُوحي إليّ محرماً /١٤٥**) الآية ، فالحصر فيه مجازي ، لا حقيقي ، لثبوت تحريم زيادة على المذكورات قطعاً ، قال الشافعي -رضي الله عنه- ما معناه : « إن الكفار لمّا حرّموا ما أحلّ الله ، وكانوا على المضادّة والمحادّة ، جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرّمتموه ، ولا حرام إلا ما أحللتموه ، نازلاً منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلاوة ، فيقول : لا أكل اليوم إلا الحلاوة ، والغرض المضادّة ، لا النفي والإثبات على الحقيقة ، فكأنه تعالى قال : لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة ، والدم ، ولحم

---

(١) قرأ بذلك طلحة بن مصرّف ، والحسن ، وعيسى بن عمر . ابن خالويه (٤١) ، والبحر (٤/٢٣٩) .

(٢) وهي قراءة أبيّ - على ما في الدر المصون (٥/١٩٤) .

(٣) قرأها أبان بن عثمان ، ابن خالويه (٤١) ، والبحر (٤/٢٣٩) .

(٤) لم أعثر على هذه القراءة .



الخنـزير ، ومـا أُهـل لغير الله به ، ولم يقصد حِل ما وراءه ، إذ القصد إثبات المحرَّم ، لا إثبات الحِل »[1].

قال إمام الحرمين : « وهذا في غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك[2] في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية »[3].

قلت : ما قاله الشافعي ، تقرير بالغ في الحسن ، عُرف به وجه الربط ، ومناسبة الآية لما قبلها ، وموقعها بأداة الحصر ، ولو قلنا إن الحصر حقيقي ، لم يُضِرنا ذلك ، لأن الآية مكية ، وتحريم كل ذي ناب من السباع ، ومخلب من الطير[4] متأخر ، فإن أكثر الشريعة إنما تقرر بعد الهجرة بالمدينة ، وقد صحَّ في الحديث ، أنه ﷺ حرّم لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر[5]. فالآية واردة على ما كان إذ ذاك ، ولا ينافيها ما صدر من التحريم بعد ، قاله[6] أبوحيان[7]. جاءت هذه المحرمات هنا منكَّرة ، وفي آيتي البقرة والمائدة[8] معرّفة ، لأن هذه مكية سابقة ، وتانِك مدنيتان فجاءتا معرّفتين بلام العهد ، إحالة على ما سبق تنزيله في هذه . وقرىء (**أوحي**/١٤٥) بالبناء للفاعل[9]، و(**يطعمه**/١٤٥) بتشديد الطاء ، وكسر

---

(١)،(٣) الإتقان (١/٨٤) .

(٢) هو مالـك بن أنس الحميدي ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، له كتاب « الموطأ » توفي سنة ١٧٩هـ ، الديباج المذهب (١٧-٣٠) حلية الأولياء (٦/٣١٦) .

(٤) روى مسلم عن ابن عباس قال : نهى رسول الله -ﷺ- عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير. مسلم (٢/١٥٣٤) كتاب : الصيد والذبائح - باب (٣) .

(٥) روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن أكل الحمر الإنسية .

اللؤلؤ والمرجان (٥٠٤) كتاب : الصيد والذبائح باب (٥) .

(٦) كلمة « قاله » ليست في (ب) .

(٧) لم أعثر على ذلك في البحر .

(٨) البقـرة (١٧٣) ، والمائـدة (٣) .

(٩) رويت هذه القراءة عن ابن عامر ، البحـر (٤/٢٤١) .



العـين من باب الافتعـال[1]، وقـرىء (**تطعـمـه**) فعـلاً ماضياً[2]، و (**إلا أن يكون/ ١٤٥**) استثناء منقطع ، لأنه كون وما قبله عين ، والقراءة (**تكون**) بالتأنيث ونصب (**ميتة**) ، ورفعها ، وبالتذكير والنصب[3]، وقوله : (**أو دماً / ١٤٥**) عطف على (ميتةً / ١٤٥) ، على قراءة النصب ، وعلى موضع أن ، (**يكون**) على الرفع ، وقـولـه : (**فإنـه رِجسٌ / ١٤٥**) عائد إلى لحم ، لأنه المحدث عنه . وقيل : إلى خنزير[4]، لأنه أقرب مذكور ، وخصّه بهذه الجملة ، لأن الرجسيّة في الميتة والدم ظاهرة طبعاً ، فلم يحتج إلى التنصيص عليها ، وسمى ما أهل فسقاً ، لتوغّله في باب الفسق .

ولـما كان صدر الآية مفتتحـاً بخطابه ﷺ بقوله : (**قل/ ١٤٥**) ، ختم الآية بالخطاب بقوله: (**فإن ربك/ ١٤٥**) ، اعتناء به ، وتشريفاً له ، افتتاحاً واختتاماً .
(**وعلى الذين هادوا / ١٤٦**) قال أبو حيان : « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما بيّن أن التحريم إنما يستند للوحي الإلهي ، أخبر أنه حرّم على بعض الأمم السابقة أشياء ، كما حرّم على أهل هذه المِلّة أشياء[5]، فالتحريم إنما هو راجع إلى الله في الأمم جميعها »[6].[(**حَرَّمنا/ ١٤٦**) فيه التفات عن قوله: (**فإن ربك/ ١٤٥**) ، (**ظُفُرٍ/ ١٤٦**) قرىء بسكون الفاء ، مع ضم الظاء وكسرها[7]. (**أو الحوايا/ ١٤٦**) عطف على (**ظهـورهما**) . (**أو ما اختلط / ١٤٦**) عطف على (**ما حملت / ١٤٦**) ،

---

(١) قرأها الباقر ، البحر (٤/ ٢٤١) .
(٢) قرأتها عائشة ، وأصحاب عبد الله ، ومحمد بن الحنفية ، البحر (٤/ ٢٤١) .
(٣) القراءة بالتأنيث ، هي قراءة ابن عامر ، وابن كثير ، وحمزة . والقراءة بنصب (ميتة) هي قراءة ابن كثير ،وحمزة، والقراءة برفعها ، هي قراءة ابن عامر . والقراءة بالتذكير ، مع نصب (ميتة) ، هي قراءة البقية . السبعة (٢٧٢) ، وحجة القراءات (٢٧٦) ، والنشر (٢/ ٢٥٧).
(٤) هذا قول ابن حزم ، والقول السابق هو ما استظهره أبو حيان ، والبحر (٤/ ٢٤١) .
(٥) في (أ) : جميعا .
(٦) انظر البحر (٤/ ٢٤٣) .
(٧) قرأ أبيّ ،والحسن، والأعرج بسكون الفاء مع ضم الظاء ، وقرأ الحسن أيضاً وأبي السمال بسكون الفاء ، وكسر الظاء . ابن خالويه (٤١) ، البحر (٤/ ٢٤٤) .



و(**أو/١٤٦**) بمعنى الواو[١]. (**ذلك/١٤٦**) قيل: خبر مبتدأ مقدر، أي الأمر ذلك، وعليه الحوفي[٢]، وقيل: مفعول ثان لـ(**جزيناهم/١٤٦**)، قُدِّم، وعليه أبو البقاء[٣]. وقيل: إشارة إلى الجزاء، وعليه الزمخشري[٤]. (**وإنا لصادقون/١٤٦**) قال ابن عطية:

«إخبار يتضمن التعريض بكذبهم في قولهم: «ما حرَّم الله علينا، وإنا حرَّمنا على أنفسنا من قبل تحريم إسرائيل على نفسه»[٥]. (**فإن كذَّبوك/١٤٧**) قيل: الواو لليهود، لأنهم أقرب مذكور. وقيل: للمشركين[٦]. (**فقل ربكم ذو رحمةٍ واسعةٍ/١٤٧**) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وهو مع ذلك ذو بأس شديد وإذا جاء بأسه لا يُرَدّ، فجيء بوصف الرحمة جملة أسمية، لأنها أبلغ، بخلاف وصف البأس، حيث لم يقل: وذو بأس، فراراً من تعادل الأخبار عن الوصفين، إذ باب الرحمة أوسع، فلا يتعادلان. (**عن القوم المجرمين/١٤٧**) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر. (**سيقول الذين أشركوا/١٤٨**) الآية، هذا إخبار بمستقبل غيب، وقد وقع كما أخبر به، فكان معجزة، وقد تمسَّك المعتزلة بمضمون هذه الآية على نفي القدر والمشيئة، لأنه تعالى كذَّبهم في قولهم: (**لو شاء الله ما أشركنا/١٤٨**) إلى آخره، وذلك يقتضي نفي مشيئته تعالى للشرك والمعاصي: وللناس في ذلك أجوبة فقال قوم: إنما ردَّ عليهم الاحتجاج بالقدر، والقدر لا يُحتج به شرعاً. وقال الماتريدي: يحتمل أن يكونوا قالوا ذلك استهزاءً وسخرية، لا اعتقاداً صحيحاً، ويحتمل أن تكون المشيئة بمعنى الرضى، أو بمعنى الأمر[٧]، وهذا الاحتمال

---

(١) انظر الإملاء (٢٦٤/١)، والبحر (٢٤٥/٤)، والدر المصون (٢٠٤/٥ - ٢٠٥).

(٢) البحر (٢٤٥/٤)، وبه قال مكي أيضاً، وأبو البقاء. مشكل إعراب القرآن (٢٩٨/١)، والإملاء (٢٦٤/١).

(٣) الإملاء (٢٦٤/١)، وراجع البحر (٢٤٥/٤)، والدر المصون (٢٠٧/٥ - ٢٠٨).

(٤) الكشاف (٥٨/٢).

(٥) المحرر (٣٨١/٥).

(٦) هذا قول ابن عباس، والقول السابق هو قول مجاهد، وهو ما استظهره أبوحيان. زاد المسير (١٤٤/٣)، والبحر (٢٤٥/٤ - ٢٤٦).

(٧) البحر (٢٤٦/٤).



الأخير ، جنح إليه الزملكاني في أسرار التنزيل ، وقرره أحسن تقرير فقال : « عادة العرب إذا أمرت بأمر ، فنقم عليه الآمر بذلك ، أن يقول الفاعل : لو شئت أنت لم أفعله ، أي أنت الذي أمرت به ، وكذلك أيضاً إذا فعل فعلاً يتمكّن غيره من نهيه عنه ومنعه ، يقول : لو شئت أنت ، لم أفعله ، أي لو نهيتني عنه ، تركته ، فالوجه أن يحمل هذا الفصل على الإباحة ، لأن ما تقدم يدل على أنه أمر ، فمنه قوله : (ثمانية أزواج/١٤٣) أي قل لهم : (آلذكرين حرَّم أم الأنثيين/١٤٣) ، فلم يكن قائلاً لهم هذا القول إلا بعد أن كان قولهم : إن الله حرَّم هذا ، أو أمر بتحريمه ، فكيف يجوز أن يكون مرادهم إضافة شركهم وافترائهم إليه ، ولو أرادوا ذلك ، لقال لهم : أتحريم الذكرين سألكم ، أم تحريم الأنثيين ، ليكون الخطاب طبقاً للسؤال[1]] ، ثم قال (نبئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين/١٤٣) فأعلَمَ بهذا القول ، أنهم كاذبون ، فلو كان ذلك على المشيئة ، لجاز عند من يؤمن بالقدر أن يكذّبهم الله فيه ، إذ المشيئات كلها مضافة إليه ، من كفر وإيمان ، ثم أتبع ذلك بقوله : (أم كنتم شهداء إذ وصَّاكم الله بهذا/١٤٤) ، ولا تكون الوصية إلا أمراً ظاهراً ، لا مشيئة باطنة ، وإنما تقع الشهادة على أمر ظاهر ، وهو أمره ، ثم قال تعالى : (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً/١٤٤) ، فجعل مقالاتهم كذباً ، ثم قال : (قل هَلُمَّ شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرَّم هذا/١٥٠) وذلك راجع إلى أمره ونهيه لا إلى المشيئة الخفية عنهم ، وهو أيضاً دال على أنهم قالوا : إن الله حرّمه ، وأمر بتحريمه ، فقد صرَّح سبحانه بهذا في موضع آخر ، وهو (وإذا فعلوا فاحشة ، قالوا وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها)[2] ، ومن هذا النظم قوله : (فخلف من بعدهم خلفٌ ورثوا الكتاب ، يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويقولون سيغفر لنا)[3] ، فبكَّتهم على ذلك بقوله : (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لّا يقولوا على الله إلا الحق)[4] ، وهو راجع إلى قولهم : (سيُغفر لنا)[5] ، لأن الكذب يخصّه ،

---

(١) ما بين القوسين ليس في (ب) .

(٢) الأعراف (٢٨) .

(٣+٤+٥) الأعراف (١٦٩) .



وأما[1] أخذهم عرض الأدنى ، فخطيئة . وفي قولهم : **(سيغفر لنا)** إيماء إلى أن الله تعالى وعدهم ذلك »[2] . انتهى كلامه ، وهو من الحسن بمكان ، ومن لم يعرف أساليب العرب في خطاباتها ومحاوراتها ، لن يحلّ له أن يتكلم في القرآن ولا يستنبط منه ، ولا يستدل به ، ولهذه النكتة وأمثالها يُعرف شرف علم البلاغة ، والاعتناء بأسرار التنـزيل ، ومعـرفة أساليبه ، رزقنا الله ذلك من فضله ، وقال هنا : **(ما أشركنا ، ولا آباؤنا ، ولا حرَّمنا من شيءٍ/١٤٨)** ، وفي النحل : **(ما عبدنا من دونه من شيءٍ نحن ولا آباؤنا ، ولا حرَّمنا من دونه من شيءٍ/٣٥)** ، بزيادة **(من دونه)** ، و **(نحن)** ، لأن لفظ **(أشركنا)** يُؤذن بالشريك ، فلم يحتج إلى أن يقال: **(من دونه من شيءٍ)** ، بخلاف لفظ **(عبدنا)** ، فإنه ليس مؤذناً بإشراك غيره ، فتعيّن أن يقال **(من دونه من شيءٍ)** ، ليصح التركيب ، حتى لو قيل في غير القرآن : ما أشركنا من دونه ، لم يصح معناه ، ولو قيل : **(ما عبدنا)** بدون **(من دونه)** ، لكان ظاهره إنكار العبادة من حيث هي الصادقة بعبادة الله وليس مراداً ، إنما المستنكر عبادة شيء من دون الله ، وأما **(من دونه)** الثانية ، فالإشراك يدل على تحريم أشياء ، وتحليل أشياء ، فلم يحتج إلى لفظ **(من دونه)** ، ولفظ العبادة لا يدل على تحريم شيء ، كما دلّ عليه لفظ **(أشركنا)** ، فقيد بقوله: **(من دونه)** ، ولما حذف **(من دونه)** هنـا ، ناسب أن يحذف **(نحن)** ، ليطرد الـتركيب في التخفيف ، ذكـر ذلـك الكرماني[3] وأبوحيان[4] وغيرهما . وقال صاحب المناجاة : « لما كان ما هنا من كلامه تعالى حكاية ما سيقولونه ، ذكر على وجه الإيجاز والاختصار ، كما هو طريقة الأكابر في خطابـاتهم وحكاياتهم ، فترك **(من دونه)** في الموضعين ، ولفظ **(نحن)** لأنه لا يستحقه هو لذاته دون غيره ، لعظمته الذاتية ، ولما كان في النحل حكاية ما قالوا ، راعى طريقة الإطناب والأداء بما قالوه بالألفاظ التامة ، من غير طرح شيء ، وأما

---

(١) في (أ) : ومـا .

(٢)

(٣) انظر أسرار التكرار (٧٥) .

(٤) البحـــر (٤/٢٤٧) .



وجه تخصيص ذكر (أشركنا) هنا ، و(عبدنا) في النحل ، فلأن هنا تقدم لفظ الإشراك ، وتأخَّر في عدة آيات ، وفي النحل وقع بعد هذه الآية : (بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله/٣٦) ، فبمناسبة ذلك ، اختِير لفظ (عبدنا) هناك ، و(أشركنا) هنا » .

وقال ابن جماعة : « لما حال في النحل بين ضمير (عبدنا) ، وما عطف عليه حائل ، وهو (من دونه من شيءٍ) ، أكّد بقوله: (نحن) ، ولما لم[1] يحل هنا شيء ، استغنى عنه »[2] . (كذلك كذَّب الذين من قبلهم/١٤٨) ، وفي النحل (كذلك فعل/٣٥) ، لأنه تقدم هنا : (فإن كذَّبوك/١٤٧) ، فناسبه كذَّب ، وهناك (ما عبدنا/٣٥) ، (ولا حرَّمنا/٣٥) ، فناسبه فَعَل ، ذكره ابن جماعة[3] . وقرىء (كذب/١٤٨) بالتخفيف[4] . (حتى ذاقوا بأسنا/١٤٨) مناسب لقوله : (ولا يُرَدُّ بأسه/١٤٧) . (هل عندكم من عِلمٍ/١٤٨) استفهام تهكُّم . (إن تتبعون/١٤٨) قرىء بالتحتية[5] ، ففيه التفات عن الخطاب ، ثم فيما بعده التفات عن الغيبة إليه . (قل فلله الحجة/١٤٩) جواب شرط محذوف ، دلّ عليه ما قبله ، أي إن لم تخرجوا علماً صدقكم فيما قلتم . (قل هَلُمَّ شهداءكم/١٥٠) أبوحيان: «بيّن تعالى كذبهم وافتراءهم على الله في تحريم ما حرّموه منسوباً إليه تعالى ، فقال : (نبئوني بعلمٍ/١٤٣) ، وقال : (أم كنتم شهداء/١٤٤) ولما انتفى هذان الوجهان ، انتقل إلى وجه ثالث ، وهو أن يستدعي منهم من يشهد لهم بتحريم ما حرّموا . والأمر هنا للتعجيز ، لا يوجد من يشهد بذلك شهادة حق ، لأنها دعوى كاذبة ، ولهذا قال : (فإن شهدوا ، فلا تشهد معهم) »[6] ، أي لا تصدقهم ، ولا تسلِّم

(١) « لم » : ليست في (أ) .

(٢) كشف المعاني (١٤١) .

(٣) كشف المعاني (١٤٢) .

(٤) ابن خالويه (٤١) ، والبحر (٢٤٧/٤) ، والدر المصون (٢١١/٥) دون تعيين .

(٥) قراءتها بالتحتية هي قراءة النخعي، وابن وثاب ، البحر (٢٤٧/٤) . وذكر ابن عطية أن هذه قراءة شاذة يضعفها قوله : (وإن أنتم) ، لأنه يكون من باب الالتفات . المحرر (٣٨٩/٥) .

(٦) البحر (٢٤٧/٤ - ٢٤٨) .



لهم ، لأن من سلَّم لهم ، فكأنه شهد معهم ، قاله الزمخشري[1] والقشيري[2] ، فهو من باب المشاكلة . وقيل : كناية . وقيل : استعارة تبعية . وقيل : مجاز عن ذكر اللازم ، وإرادة الملزوم ، لأن الشهادة من لوازم التسليم ، حكاها الشيخ سعد الدين في الحاشية . (**ولا تتبع أهواء الذين كذَّبوا بآياتنا/ ١٥٠**) من إقامة الظاهر مقام المضمر . (**والذين لا يؤمنون بالآخرة/ ١٥٠**) من تغاير الصفات ، والموصوف واحد مبالغة في ذمهم ، والنداء على ضلالهم . ولما ذكر ما حرّموا افتراء على الله ، وتبرءاً منه ، ذكر لهم ما حرّمه عليهم ، وأنهم إن كانوا يزعمون اتِّباع تحريم الله ، فهو ما حرّمه عليهم ، فليتَّبِعوه فقال : (**قل تعالوا أتلُ ما حرَّم ربكم/ ١٥١**) ، وقوله (**عليكم/ ١٥١**) إما متصل به ، وأول الكلام (**ألا تشركوا**) ، أو متصل بما بعده ، والتمام عند (**ربكم**) ، فيكون إغراء[3] ، وعلى الأول إما متعلق بـ(**حرّم/ ١٥١**) ، أو بـ(**أتلُ/ ١٥١**)[4] . « أن » تفسيرية .

الزمخشري : « فإن قلت : إذا جعلت « أن » مفسرة لفعل التلاوة ، وهو متعلق بـ(**ما حرم ربكم**) ، وجب أن يكون ما بعده منهياً عنه محرماً كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي ، فما تصنع بالأوامر؟ .

قلت : لما وردت هذه الأوامر مع النواهي ، وتقدمهن جميعاً فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه ، علم أن التحريم راجع إلى أضدادها ، وهي الإساءة إلى الوالدين ، وبخس الكيل والميزان ، وترك العدل في القول، ونكث عهد الله »[5] . (**وبالوالدين إحساناً/ ١٥١**) على تقدير : وأحسنوا . ولما أمر بالإحسان إلى

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٠) .

(٢) عبارة القشيري كما في البحر (٤/ ٢٤٨) : « فإن شهد بعضهم لبعض ، فلا يصدق ، إذ الشهادة من كتاب أو على لسان نبي ، وليست معهم شيء من ذلك » .

(٣) وقد ضعّف السمين هذا الوجه ، لتفكك الكلام عن ظاهره ، الدر المصون (٥/ ٢١٦) .

(٤) هذا اختيار الكوفيين ، وهو ما استجوده ابن الشجري ، والوجه السابق هو ما اختاره البصريون . البحر (٤/ ٢٤٩) ، والدر المصون (٥/ ٢١٣) .

(٥) الكشاف (٢/ ٦١) .



الـوالـدين ، نهى عن الإسـاءة إلى الأولاد ، فقـال : ﴿**ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ**/١٥١﴾ ، تنبيهاً على أن الولد له على الوالد حق كما أن للوالد عليه حقاً . مؤرج : « الإملاق : الجوع بلغة لخم[(١)]»[(٢)] . ﴿**نحن نرزقكم وإياهم**/١٥١﴾ ، في الإسراء : ﴿**نحن نرزقهم وإياكم**/٣١﴾ ، فقيل : هو من التفنّن . وقيل : قال هنا ﴿**من إملاق**/١٥١﴾ خطاباً للمقلّين الفقراء ، أي لا تقتلوهم من فقر كائن بكم ، فحسُن ﴿**نحن نرزقكم**/١٥١﴾ ما يزول به إملاقكم ، ثم قال : ﴿**وإياهم**/١٥١﴾ أي يرزقكم جميعاً . وقال هناك : ﴿**خشية إملاق**/٣١﴾ خطاباً للأغنياء ، أي خشية فقر يتجدّد بسببهم ، فحسُن ﴿**نرزقهم وإياكم**/٣١﴾ ، فكان كلٌّ من الآيتين مفيداً معنى مستقلاً ، قاله الكرماني[(٣)] وأبوحيان[(٤)] وابن جماعة[(٥)] وغيرهم .

وهذه الجملة إما معترضة من كلامه تعالى بين المأمور بقوله ، أولاً ، وهي على تقدير : قائلاً . ﴿**ذلكم وصّاكم به**/١٥١﴾ في هذا الوصف من اللطف والرأفة ، وجعلهم أوصياء له تعالى ما لا يخفى من الإحسان ، وكرّر الوصية في الآيات الثلاث على سبيل التوكيد ، وختم الأولى بقوله : ﴿**لعلكم تعقلون**/١٥١﴾ ، والثانية بقوله : ﴿**لعلكم تذكـرون**/١٥٢﴾ ، والثـالثة : بقوله : ﴿**لعلكم تتقون**/١٥٣﴾ ، لأن ما في الأولى تكـاليف ظاهرة ، ومناطها العقل قاله أبوحيان[(٦)]، وأشياء عظام جسام ، والوصية بها من أبلغ الوصايا فختم بما في الإنسان من أشرف السجايا ، وهو العقل الذي امتاز بها عن[(٧)] سائر الحيوان ، قاله الكرماني[(٨)]، وأمور لا يحمل على تركها إلا العقل الغالب على الهدى ، إذ الإشراك بالله لعدم استعمال العقل الدال على

(١) لخم : قبيلة من اليمن - كما في اللباب (١٣٠/٣) .
(٢) البحـر (٢٣٥/٤) .
(٣) أسـرار التكـرار (٧٥) .
(٤) البحـر (٢٥١/٤) .
(٥) كشـف المعاني (١٤٣) .
(٦) البحـر (٢٥٣/٤) .
(٧) في (أ) : مـن .
(٨) أسـرار التكـرار (٧٦) .



توحيده وعظمة نعمه على عبيده ، وكذلك عقوق الوالدين ، لا يقتضيه العقل ، لسبق إحسانهما إلى الولد بكل طريق ، وكذلك قتل الأولاد من الفقر ، مع وجود الرازق الكريم ، وكذلك إتيان الفواحش ، لا يقتضيه عقل ، وقتل النفس لغيظ ، أو غضب في القاتل ، فحسُن بعده (تعقلون/١٥١) ، قاله ابن جماعة[١] . وأما الوصايا التي في الآية الثانية ، فخَفِيَّة غامضة ، لابد فيها من الاجتهاد ، والذكر الكثير ، فخُتمت بـ(تذكّرون/١٥٢)، قاله أبوحيان[٢] . وقال الكرماني : « إنها جارية مجرى الزجر والوعظ ، فحسُن (لعلكم تذكرون/١٥٢) أي تتعظون بمواعظ الله »[٣] .

وقال ابن جماعة : « إنها متعلقة بالحقوق المالية والقولية ، أي لعلكم تذكرون في أنفسكم أن لو كان الأيتام أولادكم ، وكنتم أنتم القابضين لأنفسكم[٤] ما يُكال أو يوزن ، أو المشهود عليه ، أو المقر له ، أو الموعود ، أكنتم ترضونه لأنفسكم؟!!! فكما لا ترضونه لأنفسكم ، لا ترضونه لغيركم . وأما الآية الثالثة ، فمشتملة على ذكر الصراط المستقيم الجامع للتكاليف والتحريض على اتباعه ، وتركه مؤدّ إلى غضب الله ، وإلى عقابه ، فختم بالتقوى التي هي اتقاء النار ، وغضب الجبار ، قاله الثلاثة »[٥] .

وقال ابن عطية : « لما كانت المحرَّمات الأُول ، لا يقع فيها عاقل ، خُتمت بالعقل ، والمحرمات الأُخر شهوات ، وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر فخُتمت بالتذكر ، وركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل ، وتلك درجة التقوى ، فخُتمت بـ(تتقون/١٥٣) »[٦] .

---

(١) كشف المعاني (١٤٤ - ١٤٥) .
(٢) البحر (٤/٢٥٣) .
(٣) أسرار التكرار (٧٦) .
(٤) في « كشف المعاني » : لأنفسهم .
(٥) كشف المعاني (١٤٥) .
(٦) المحرر (٥/٤٠٠ - ٤٠١) .



وقال صاحب المناجاة : « يمكن أن يكون في الآيات الثلاث الإشارة إلى أحوال المكلف ، من أول عمره إلى آخره ، فإن الإنسان أول ما يتلّقاه بعد الصِّبىٰ وحصول البلوغ ، درجة العقل والتكليف ، فإذا صار إلى الكهولة ، صار في مرتبة التذكر لما علِمه ، ولم يجرِ على مقتضى عمله ، فإذا صار إلى الشيخوخة ، فهو زمان العكوف على الأعمال الصالحة ، والتحرُّز عن المشتبهات ، والتوقّي عن المكروهات ، وتلك مرتبة التقوى » . **(ولا تقربوا/١٥٢)** نهي عن جميع وجوه الاستيلاء ، بلفظ أبلغ ، أي لا تحوموا حوله ، فضلاً عن أن تتناولوه .

وقد قدَّمنا غير مرة ، أن النهي عن القربان ، أبلغ من النهي عن الإتيان . **(مال اليتيم/١٥٢)** خصّه بالذكر -وإن كانت أموال الناس كلها ممنوعاً منها- لأن الطمع فيه أكثر لضعفه ، وقلة مراعاته . **(إلا بالتي/١٥٢)** أي الخصلة التي هي أحسن . لم يقل : هي حسنة ، اعتباراً للأبلغ في حق اليتيم ، ولأنه لا يكفي في قربان ماله الحالة الحسنى ، بل الحسنى التي هي أفضل من غيرها . **(حتى يبلغ أَشُدَّه/١٥٢)** غايةً من حيث المعنى ، لا من حيث التركيب اللفظي ، والمعنى : احفظوا على اليتيم ماله إلى بلوغ أشده ، فادفعوه إليه . **(لا نُكَلِّف نفساً إلا وسعها/١٥٢)** لما كانت مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان ، يجري فيها الحرج ، ذكر هذه الجملة لبيان أن ما وراء الوسع معفو عنه ، وأن الواجب في إيفاء الكيل والوزن القدر الممكن دون التحقيق ، ثم هي إما معترضة ، أو على تقدير القول كما تقدم في **(نحن نرزقكم/١٥١)** **(وإذا قلتم/١٥٢)** شامل للشهادة والأخبار والحكم والأمر والتوسّط بين الناس وسائر وجوه القول . **(ولو كان/١٥٢)** أي المقول له ، أو عليه . **(وبعهد الله/١٥٢)** من إضافة المصدر للفاعل ، أو للمفعول ، أو المراد مطلق العهد بين الناس ، وإضافته إلى الله من حيث إنه أمر بحفظه والوفاء به[1] ، وتقديمه على الفاعل للاهتمام به . **(تذكرون/١٥٢)** بالتشديد والتخفيف[2] .

(١) انظر البحر (٢٥٣/٤) .

(٢) قراءة التخفيف هي قراءة حفص ، وحمزة ، والكسائي ، وقراءة التشديد ، هي قراءة البقية . السبعة (٢٧٢) ، والنشر (٢٥٧/٢) ، والبحر (٢٥٣/٤) .



(وأن/١٥٣) بالكسر مشدداً استئنافاً ، والفتح مشدداً[١] عطفاً على أن السابقة . وقرىء (وهذا) بدون (أنَّ)[٢] (هذا/١٥٣) إشارة[٣] إلى الإسلام ، أو القرآن[٤] ، عمَّم في هذه الآية بعدما فصَّل في الآيتين ، ليدخل فيه جميع ما تقدم ، وجميع شريعته . (صراطي/١٥٣) قيل : هو من كلامه تعالى. وقيل : من كلام الرسول . (ولا تتبعوا السبل/١٥٣) أي الطرق المختلفة ، شامل لطرق الكفر ، وطرق البِدَع والأهواء ، وطرق التحريم والتحليل الذي فعلوه على غير ما شرع الله . (ثم آتينا/١٥٤) ثم هنا لترتيب الأخبار لا الزمان ، قال الزجاج : « أي اتلُ ما حرّم ، ثم اتلُ آتينا »[٥] . « أو ثم قل آتينا ، أو ثم إني أخبركم أنا آتينا »[٦] . وقال الحوفي : « رَتَّبَتْ[٧] ثم التلاوة ، أي تلونا عليكم قصة محمد ثم نتلو عليكم قصة موسى »[٨] .

وقال ابن عطية : « مهلتها في ترتيب القول الذي أمر به محمد ، كأنه قال : ثم ما وصَّينا أنا آتينا »[٩] .

وقال الزمخشري : « عطف على (وصَّاكم). فإن قلت : كيف صحَّ عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل ؟ .

قلت : هذه التوصية قديمة لم تزل توصّاها كل أمة على لسان نبيها كما قال ابن

(١) قراءة الأخوين بالقراءة الأولى ، وأما القراءة الثانية ، فقد قرأ بها بقية السبعة ، ما عدا ابن عامر الذي خفف النون . السبعة (٧٣) ، والنشر (٢٧٧) ، البحر (٤/٢٥٣) .
(٢) قرأ بذلك الأعمش ، وهي كذلك في مصحف عبد الله . البحر (٤/٢٥٤) .
(٣) في (ب) : الإشارة .
(٤) انظر زاد المسير (٣/١٥١) ، والبحر (٤/٢٥٤) .
(٥) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٣٦) .
(٦) هذان القولان حكاهما أبو حيان ، البحر (٤/٢٥٥) .
(٧) في (أ) : أثبت .
(٨) البحـر (٤/٢٥٥) .
(٩) المحـرر (٥/٤٠١) .



عباس : « محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب » ، فكأنه قيل : ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديماً وحديثاً ، (ثم) أعظم من ذلك أنا (آتينا موسى الكتاب) ، وأنزلنا هذا الكتاب المبارك . وقيل : هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله: (ووهبنا له إسحاق ويعقوب/٨٤) »[١] . (تماماً/١٥٤) مفعول له ، أو مصدر لأتممناه مقدراً[٢] . (على الذي أحسن/١٥٤) أي من أهل مِلَّته . وقرأ ابن مسعود : (على الذين أحسنوا)[٣] ، وقرأ أُبيّ (تماماً للمحسنين)[٤] . وقرىء (أحسن/١٥٤) برفع النون[٥] ، فقيل هو على اختزال الواو من «أحسنوا» ، وإبقاء الضمة دالّة عليها ، كقول شاعره :

فلو أن الأطبا كانُ حولي[٦] . . . . . .

أي كانوا . وقيل : خبر هو ، أي على الوجه الذي هو أحسن والطريق الذي هو أتم وأكمل[٧] .

(بلقاء ربهم/١٥٤) فيه التفات . (وهذا/١٥٥) إشارة إلى القرآن . (كتابٌ

---

(١) الكشاف (٢/٦٢) .
وقد علقّ أبو حيان على ذلك قائلًا : « وهذه الأقوال كلها متكلفة ، والذي ينبغي أن يذهب إليه ، أنها استعملت للعطف كالواو ، من غير اعتبار مهلة وقد ذهب إلى ذلك بعض النحاة » . البحر (٤/٢٥٥) ، وانظر الدر المصون (٥/٢٢٥ - ٢٢٦) .

(٢) انظر البحر (٤/٢٢٥) ، والدر المصون (٥/٢٢٦ - ٢٢٧) .

(٣) البحر (٤/٢٥٥) .

(٤) البحر (٤/٢٢٥) .
وقد علق أبو حيان على هذه القراءة والقراءة السابقة ، قائلًا : « وهاتان القراءتان تفسير لا قرآن » . النهر المارد (٤/٢٥٥) .

(٥) قرأ بذلك يحيى بن معمر ، وابن أبي إسحاق ، البحر (٤/٢٥٥) .

(٦) وعجزه : . . . . . وكان مع الأطباء الأساة
ويروى أيضاً : الشفاة . ولم أهتد إلى قائله .
مجالس ثعلب (١/١٠٩) ، الإنصاف (١/٣٨٥) ، (٢/٥٤٦ ، ٧٥٣) ، خزانة الأدب (٢/٣٨٥) ، وشرح المفصل (٧/٥) و (٩/٨٠) .

(٧) هو معنى قول الكلبي . البحر (٤/٢٥٥ - ٢٥٦) . وإليه ذهب أبو البركات بن الأنباري ، والفراء . البيان (١/٣٥٠) ، ومعاني القرآن (١/٣٦٥) .



أنزلناه مباركٌ/١٥٥) في الأنبياء : **(وهذا ذِكرٌ مباركٌ أنزلناه/٥٠)** بتأخير الإنزال ، لأن ما هنا ردٌ لقول فنحاص : ما أنزل الله على بشر من شيء ، فبدأ بالإنزال اهتماماً به ، وآية الأنبياء في الذكر ، فجاءت على الأصل من تقديم الوصف بالمفرد على الجملة ، قاله ابن جماعة[1] .

قلت : وقال هناك (ذِكر) لمناسبة قوله : **(لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذِكركم/١٠)** .

وقال أبو حيان : « لما كان الوصف بالإنزال آكد من الوصف بالبركة ، قدّم ، لأن الكلام مع منكري الرسالة وإنزال الكتب الإلهية ، وكونه مباركاً عليهم ، هو وصف حاصل لهم منه متراخ عن الإنزال فلذلك تأخرّ »[2] . وقال: **(أنزلناه/١٥٥)** دون منزل ، لما فيه من الإضافة إلى نون العظمة المؤذنة بالتعظيم والتشريف . وفي **(أنزلناه)** التفات عن الغيبة في ربهم . **(فاتّبِعوه/١٥٥)** أي أوامره . **(واتقوا)** أي نواهيه . وقيل : اتبعوا عام ، واتقوا مخالفته . وقال التبريزي : « اتقوا غيره ، فإنه منسوخ » ، قال : « وفي وصف التوراة بالتمام إشارة إلى ذلك ، لأن التمام يُؤذن بالانصرام »[3] . **(أن تقولوا/١٥٦)** مفعول من أجله لـ**(أنزلناه/١٥٥)** ، أي كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا . وقرىء بياء[4] الغيبة . **(دراستهم/١٥٦)** أعاد الضمير جمعاً ، لأن كل طائفة جمع ، ونظيره **(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)**[5] . **(أو تقولوا/١٥٧)** انتقال من الإخبار بحصر إنزال الكتاب على غيرهم ، وأنه لم ينزل عليهم ، إلى الإخبار بحكم ، على تقدير ، **(فقد جاءكم/١٥٧)** قال الزمخشري : « جواب شرط محذوف ، أي إن صدقتكم فيما كنتم تعدّون من أنفسكم ، فقد ،

---

(١) كشف المعاني (١٤٦) .

(٢) البحر (٤/٢٥٦) .

(٣) البحر (٤/٢٥٦) .

(٤) عن ابن محيصن ، ابن خالويه (٤١) ، والبحر (٤/٢٥٧) .

(٥) الحجرات (٩) .



فحذف الشرط ، وهو من أحاسن المحذوف . **(فمن أظلم/١٥٧)** قيل : جواب الشرط أيضاً ، أي فإن كذَّبتم بعد مجيء البينة والهدى الواضح النيّر الذي لا شبهة فيه »[١] . **(كذَّب/١٥٧)** قرىء بالتخفيف[٢] . **(وصَدَف/١٥٧)** أي أعرض ، وأخرّ لأن الإعراض ناشيء عن التكذيب ، ولذا علّق الجزاء عليه ، وقرىء **(يصدفون/١٥٧)** بضم الدال[٣] . **(هل ينظرون)** الضمير عائد إلى الذين . **(أن تأتيهم/١٥٨)** بالتاء والياء[٤] . **(الملائكة/١٥٨)** أي لقبض أرواحهم إشارة إلى الموت ، وهي القيامة الصغرى . **(أو يأتي ربك/١٥٨)** أي أمره يوم البعث[٥] ، إشارة إلى القيامة الكبرى. **(أو يأتي بعض آيات ربك/١٥٨)** إشارة إلى أشراط الساعة . **(يوم يأتي بعض آيات ربك/١٥٨)** أي طلوع الشمس من مغربها ، كما في الحديث[٦] ، زاد في حديث آخر والقمر[٧] . **(لا ينفع نفساً إيمانها/١٥٨)** فاعل أخّر لاتصاله بضمير المفعول ، وقوله : **(لم تكن آمنت من قبل/١٥٨)** صفة نفساً . **(أو كسبت في إيمانها خيراً/١٥٨)** جعله الزمخشري عطفاً على **(آمنت/١٥٨)** ، واستدل به على أن الإيمان لا ينفع نفساً لم تكن تكسب في إيمانها طاعة[٨] ، كما هو

---

(١) الكشاف (٦٣/٢) .

(٢) قرأ بذلك ابن وثاب ، وابن أبي عبلة . ابن خالويه (٤١) ، والبحر (٢٥٨/٤) .

(٣) قرأت بذلك فرقة - كما في البحر (٢٥٨/٤) .

(٤) القراءة بالياء ، قرأ بها الأخوان ، والقراءة بالتاء قرأ بها الباقون . السبعة (٢٧٤) ، والحجة (٢٧٧) ، والنشر (٢٥٧/٢) ، والكشف (٢٥٨/١) .

(٥) (قلت) : نثبت لله ما أثبته لنفسه ، فلا نؤول ولا نشبه .

(٦) روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري عن النبي -ﷺ- : **(يوم يأتي بعض آيات ربك ، لا ينفع نفساً إيمانها)** ، قال : « طلوع الشمس من مغربها » . المسند (٣١/٣). ورواه ابن ماجه بنحوه (١٣٥٢/٢). كتاب الفتن - باب (٣٢) . ورواه أيضاً عبد بن حميد (المنتخب/٢٨٣) . وذكره السيوطي - بنحوه - وزاد نسبته إلى عبد الرزاق، والبخاري، ومسلم، وأبي داود . الدر المنثور (٥٧/٣) .

(٧) أخرج ذلك سعيد بن منصور ، والفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والطبراني عن ابن مسعود : « **(يوم يأتي بعض آيات ربك)** ، قال : طلوع الشمس ، والقمر من مغربها مقترنين كالبعيرين القرينين ، ثم قرأ : **(وجمع الشمس والقمر)** » . الدر المنثور (٥٧/٣) .

(٨) الكشاف (٦٣/٢) .



مذهبه ، وهذا فيه غلط وذهول عن أساليب البلاغة ، بل الآية من باب :

علَّفتهــا تِبنــاً ومــاءً بــارداً[1] . . . .

على تقدير فعل مناسب للمعطوف ، دعا إلى حذفه الإيجاز ، والتقدير : ولا ينفع نفساً توبتها ، لم تكن تكسب في إيمانها خيراً من قبل ، فأفادت الجملة الأولى أن الإيمان حينئذ لا يُقبل من الكافر ، وأفادت الثانية أن التوبة حينئذ لا تُقبل من العاصي ، والأحاديث مبيِّنة لذلك ، أخرج الشيخان عن أبي هريرة[2] قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رآها الناس ، آمن من عليها ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل »[3] .

وأخرج الترمذي والنسائي عن صفوان بن عسّال عن النبي ﷺ قال: (إن الله جعل بالمغرب باباً عرضه سبعون عاماً للتوبة لا يُغلق ، ما لم تطلع الشمس من قِبله ، فذلك قوله: (**يوم يأتي بعض آيات ربك** /١٥٨) الآية[4]. وأخرج عن أبي

---

(١) انظر ص (٦٨٤) من هذه الرسالة .

(٢) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، الملقب بأبي هريرة ، أكثر الصحابة رواية للحديث، استعمله عمر على البحرين مدة من الزمن . توفي سنة ٥٩هـ .
تهذيب الأسماء واللغات (٢٧٠/٢) ، والإصابة ، الكنى ترجمة (١١٧٩) ، والجواهر المضيئة (٤١٨/٢) .

(٣) ونص الحديث كما في اللؤلؤ والمرجان :
(لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها) ثم قرأ الآية .
اللؤلؤ والمرجان (٣١) ، رقم الحديث (٩٧) - باب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان - كتاب : الإيمان .

(٤) الترمذي (٥٤٧/٥) رقم الحديث (٣٥٣٦) - كتاب : الدعوات - باب (٩٩) . إلا أن فيه (مسيرة سبعين عاماً) .
(وذلك قول الله عز وجل . . .) بدلاً من «فذلك قوله» .
وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » . ولم أجد هذا الحديث في سنن النسائي .
ورواه ابن ماجه بنحوه (١٣٥٣/٢) - رقم الحديث (٤٠٦٨) باب : طلوع الشمس من مغربها - كتاب : الفتن .



هريرة مرفوعاً : (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قُبِل منه)[1] ، وأخرج أحمد من حديث ابن عمرو[2] مرفوعاً: (لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب ، فإذا طلعت طُبِع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل)[3] . وقرىء (يوم تأتي بعض/١٥٨) بالفوقية[4] ، على تأنيث (بعض/١٥٨) لإضافته إلى المؤنث ، كما قرىء بها (تلتقطه بعض السيارة)[5] ، وقرىء (لا تنفع نفساً)[6] بها ، لإضافة الفاعل إلى ضمير المؤنث ، قاله الزمخشري[7] ، وقال النحاس : « لما كان الإيمان والنفس كل منهما مشتملاً على الآخر ، أَنّثَ الإيمان إذ هو من النفس وبها »[8] . وقال أبوحيان: « أنّث الإيمان على معنى المعرفة والعقيدة ، مثل : جاءته كتابي فاحتقرها ، على معنى الصحيفة »[9] . قرىء (يوم/١٥٨) بالرفع[10] على الابتداء ، والخبر (لا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٧٥) ، وأخرجه مسلم ولكن بلفظ (تاب الله عليه) بدلاً من (قبل منه) .
مسلم (٣/٢٠٧٦) - رقم الحديث (٢٧٠٣) - باب : استحباب الاستغفار والاستكثار منه - كتاب : الذكر ، والدعاء ، والتوبة ، والاستغفار .

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي ، صحابي جليل كثير العبادة ، أسلم قبل أبيه ، وكان يشهد الحروب والغزوات ، ويضرب بسيفين ، وعمي في آخر حياته ، توفي سنة ٦٥هـ .
طبقات ابن سعد : القسم الثاني من (٤/٨ - ١٣) ، والإصابة : ترجمة (٤٨٣٨) ، والجمع بين رجال الصحيحين (٢٣٩) .

(٣) هذا جزء من حديث نصه : (إن الهجرة خصلتان : إحداهما : أن تهجر السيئات ، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله ، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة. . . .) الحديث . المسند (١/١٩٢) .

(٤) قرأ بذلك ابن عمرو ، وابن سيرين ، وأبو العالية ، البحر (٤/٢٥٩) .

(٥) يوســـف (١٠) .

(٦) عن ابن سيرين - كما في البحر (٤/٢٥٩) ، وابن خالويه (٤١) ونسبها ابن جني إلى أبي العالية . المحتسب (١/٢٤٦) .

(٧) الكشـاف (٢/٦٤) وزاد : « . . . . الذي هو بعضه ، كقولك : ذهبت بعض أصابعه ». وقد علّق أبو حيان على ذلك قائلاً : « وهو غلط ، لأن الإيمان ليس بعضاً للنفس » . البحر (٤/٢٦٠) .

(٨) هذا الكلام ذكره النحاس عن سيبويه . إعراب القرآن (٢/١٠٩) ، البحر (٤/٢٥٩) ، وكتاب سيبويه (١/٥١) .

(٩) البحـر (٤/٢٦٠) .

(١٠) قرأ بذلك زهير القروي ، البحر (٤/٢٦٠) .



ينفع/١٥٨) ، والعائد محذوف ، أي فيه . **(إن الذين فرقوا/١٥٩)** لما ذكر تعالى أن صراطه[١] مستقيم ونهى عن اتِّباع السُّبل ، واستطرد منه إلى ذِكر موسى ، وما أنزل عليه ، ثم ذكر القرآن وما اتصل به ، عاد إلى وعيد من اتَّبع السُّبل المختلفة وحاد عن سبيل الله الواحد الحق، تحذيراً لأهل القرآن أن يتفرقوا كما افترقت الطائفتان ، أهل الكتابين قبلهم . وفي قراءة **(فارقوا)**[٢] وقرىء **(فرقوا/١٥٩)** بتخفيف الراء[٣] . **(لستَ منهم في شيءٍ/١٥٩)** مبالغة في التبرّي والمباعدة والمباينة التامة . **(ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون/١٥٩)** كناية عن المجازاة ، ثم بيّن كيفية المجازاة على الإطلاق ، فقال: **(من جاء بالحسنة ، فله عشر أمثالها/١٦٠)** قال الماتريدي : « ليس على التحديد حتى لا يزاد ولا ينقص ، بل على التعظيم ، إذ هذا العدد له خطر عند الناس أو على التمثيل ، كقوله : **(كعرض السماء والأرض)**[٤]. وقال **(من جاء/١٦٠)** دون « من عمل » ، ليعلم أن النظر إلى ما ختم به ، وقبض عليه ، دون ما وجد منه العمل ، فكأنه قال : من ختم له بالحسنة ، وكذلك السيئة[٥] ، انتهى .

وما قاله أول كلامه مردود ، بل العدد مراد ، ثبت بذلك الأحاديث الكثيرة الصحيحة[٦] .

---

(١) في (أ) : الصراط المستقيم .

(٢) هذه قراءة الأخوين . السبعة (٢٧٤) ، والنشر (٢/٢٥٧) ، والحجة (٢٧٨) .

(٣) قرأ بذلك إبراهيم ، والأعمش ، وأبوصالح ، ابن خالويه (٤٢) ، والبحر (٤/٢٦٠) .

(٤) الحديد (٢١) .

(٥) البحر (٤/٢٦١) بقليل من الاختصار .

(٦) من ذلك مثلاً ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- فيما يروي عن ربه عز وجل- قال: قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيّن ذلك فمن هم بحسنة ، فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همّ بها فعملها ، كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثرة ، ومن همَّ بسيئة ، فلم يعملها ، كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو همّ بها فعملها ، كتبها الله له سيئة واحدة) .

اللؤلؤ والمرجان (٢٥ - ٢٦) حديث رقم (٨١) - كتاب الإيمان باب (٥٧) .



ابن جماعـة : « وعـد هنا بعشر ، وفي البقرة بسبعمائة ، لأن هذه في مطلق الحسنات ، وتلك خاصة في النفقة في سبيل الله »[(١)].

وقال ابن عطية : « هذه في الأعراب ، الذين آمنوا بعد الهجرة ، وتلك في المهاجرين ، (روي ذلك عن ابن عمر[(٢)] وأبي سعيد الخدري)[(٣)]، ويحتاج إلى إسناد »[(٤)].

قلت : الإسناد موجود ، فقد أخرجه عنهما ابن جرير[(٥)]، وأخرجه أبوالشيخ عن ابن عبـاس أيضـاً ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة[(٦)] أيضاً ، وقد سُقْتُ أسانيدهم في ترجمان القرآن[(٧)].

وأنّث (عشر) ، وإن كان مثل مذكّر ، لأنه في تقدير عشر حسنات أمثالها .

وقال الفارسي : « الإضافة إلى ضمير المؤنث »[(٨)].

وقـرىء (عشر/١٦٠) بالتنوين ، (أمثالها/١٦٠) بالرفع[(٩)]. (قل إنني هداني

---

(١) كشـف المعــاني (١٤٧) بتصرف .

(٢) هو أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ، صحابي ، نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه ، كان جريئاً جهيراً ، وكف بصره في آخرحياته، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة ، وذلك في سنة ٧٣هـ .
الإصابة : ترجمة (٤٨٢٥) ، وتهذيب الأسماء (٢٧٨/١) ، حلية الأولياء (٢٩٢/١) .

(٣) هو أبو سعيد ، سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل،غزا اثنتي عشرة غزوة ، ولـه (١١٧٠) حديثـاً . توفي سنـة ٧٤هـ . تهـذيب التهـذيب (٤٧٩/٣) ، وصفـة الصفوة (٢٩٩/١) ، وذيل المذيل (٢٢) .

(٤) المحرر (٤١١/٥ - ٤١٢) ، ولكن ما بين القوسين ليس موجوداً في المحرر .

(٥) انظر جامع البيان (٢٨٠/١٢) ، وقد ساق الطبري خبر ابن عمر بنحو خبر أبي سعيد ، وحكم محمود شاكر بصحة إسناد خبر أبي سعيد دون خبر ابن عمر .

(٦) انظر الدر المنثور (٦٤/٣) .

(٧)

(٨) البحـر (٢٦١/٤) .

(٩) قرأ بذلك الحسن ، وابن جبير ، وعيسى بن عمر ، والأعمش ، ويعقوب ، والقزاز عن عبد الوارث . البحـر (٢٦١/٤) .



ربي/١٦١) الآية ، لما تقدم ذكر الفِرق ، أمره تعالى بالإعلان بالشريعة ونبذ ما سواها ، وأن يخبر أنه ليس من تلك الفِرق ، بل هو على سبيل الحق ، وأسند الهداية إلى ربه ، ليدل على اختصاصه بعبادته إياه ، كأنه قيل : هداني معبودي ، لا معبودكم. (قِيَماً/١٦١) نصب بإضمار ، دلّ عليه (هداني/١٦١)، أو بإضمار اتبعوا ، أو الزموا ، أو مصدر (هداني/١٦١) على المعنى ، أو بدل من (إلى صراطٍ/١٦١) على الموضع[1]. (قِيماً/١٦١) بالتشديد والتخفيف[2] . (مِلَّة إبراهيم/١٦١) مناسب لما تقدم ذكره في قصة المحاجة ، ولأنه نبي تعظّمه جميع أهل الأديان . (وما كان من المشركين/١٦١) ردّ لزعم الكفار أنهم على دينه . (قل إن صلاتي ونُسكي/١٦٢) اقتصر عليهما ، لأنه لم يكن إذ ذاك شرع من العبادات ، سوى الصلاة . والنسك عبادة قديمة إن أُريد به الحج . وقيل : المراد به الذبح[3] ، كما قال: (فصلِّ لربك وانحر)[4]، وأيّد إرادة الذبح هنا ، بأنه قد تقدم في السورة المجادلة في أمر الذبيحة ، فأمر أن يخبر أن صلاته لله ، لا لغيره ، وذبحه على اسم الله ، لا الأصنام ، مخالفة للمشركين في الأمرين . (ومحياي / ٦٢) قرىء (ومحيي)[5] على لغة هذيل[6]. (وأنا أول المسلمين/١٦٣) أي من هذه الأمة ، وكذا قول السحرة : (أن كنا أول المؤمنين)[7] أي من قوم فرعون . (قل أغير الله أبغي رباً/١٦٤) تقدم وجه التقديم في (أغير الله تدعون/٤٠) ، ثم رأيت في حواشي الكشاف للشيخ سعد الدين ما نصّه : « فإن قلت : لو كان التقديم في

---

(١) انظر مشكل إعراب القرآن لمكي (١/٣٠١) ، والبحر (٤/٢٦٢) ، والدر المصون (٥/٢٣٨) .

(٢) قراءة التخفيف قرأ بها الكوفيون وابن عامر ، وأما قراءة التشديد فقد قرأ بها باقي السبعة . حجة القراءات (٢٧٨ - ٢٧٩) ، والبحر (٢/٢٦٢) .

(٣) ذهب إلى ذلك ابن عباس ، وابن جبير ، ومجاهد ، وابن قتيبة . البحر (٤/٢٦٢) .

(٤) الكوثر (٢) .

(٥) قرأ بذلك ابن أبي إسحاق ،وعيسى ، والجحدري . البحر (٤/٢٦٢) .

(٦) هذيل : من قبائل الحجاز المهمة ، وهي تنقسم إلى قمسين : شمالي وجنوبي ، وتقع ديار هذيل الشمالي في أطراف مكة ، وأما القسم الآخر فيدعى هذيل اليمن . معجم قبائل العرب (٣/١٢١٣) .

(٧) الشعراء (١٥) .



(قل أفغير الله تأمروني أعبد)[1] (أغير الله أبغي ربّا) للاختصاص ، لكان مدلول الكلام إنكار اختصاص الغير بالعبادة والربوبية ، وهو لا يفيد إنكار الشركة بل ربما يفيد جوازها ، بناء على ما تقرر عندهم ، من أن النفي إذا دخل في كلام فيه قيد ، توجه إلى القيد خاصة ، وأفاد ثبوت أصل الحكم .

قلت : ذاك إنما يكون إذا اعتُبر القيد أولاً ، ثم نُفي ، وأما إذا اعتُبر النفي أولاً ، ثم قُيّد ، فلا ، والتعويل على القرائن ، فههنا اعتبر النفي والانكار ، ثم الاختصاص ، فكان لاختصاص الغير بالإنكار ، بمعنى أن المنكر هو الأمر بعبادة الغير ، ألا ترى أن قولنا : ما زيدا ضربت ، وما أنا قلت هذا ، معناه : ولكن ضربت غيره ، وقاله غيري ، فلو كان المنفي الاختصاص ، لكان المعنى : ولكن ضربته وغيره ، وقلته أنا وغيري ، فإن قوله : (وما هم بمؤمنين)[2] لتأكيد النفي ، لا لنفي التـأكيد » ، انتهى . (ولا تكسب كل نفس إلا عليهـا/١٦٤) جواب لقـولهـم : (اتبعـوا سبيلنـا ولنحصـل خطايـاكم)[3] . (ولا تزر وازرة وزر أخرى/١٦٤) تأكيد للجملة قبلها . (ثم إلى ربكم/١٦٤) إلى آخره ، خبر أُريد به الـوعيد والتهـديد ، ثم ذكـرهم بنعمته عليهم ، فقال : (وهو الذي جعلكم خلائـف الأرض/١٦٥) الآية . ابـن جماعـة قال في « فاطـر » : (خــلائف في الأرض/٣٩) ، لأن ما هنـا تقـدمـه امتنانات كثيرة ، فناسب الخطاب لهم بلفظ التعريف ، الدال على أنهم خلفاؤها ، المالكون لها ، ففيه من التفخيم ما ليس في آية فاطر ، حيث نكّر ، فقال : (خلائف في الأرض) . فليس فيه من التمكن فيها ، والتصرف ما في قوله : (خلائف الأرض) »[4] .

وأقول في هذه الآية من براعة الختام ما لم يقدر على مثله بشر ، فإنها جمعت

---

(١) الزمـر (٦٤) .
(٢) البقـرة (٨) .
(٣) العنكبوت (١٢) .
(٤) كشـف المعـاني (١٤٩) .



الأحوال الثلاث : المبدأ بقوله: ﴿جعلكم خلائف الأرض/١٦٥﴾ ، وضمير[1] الإشارة إلى الفراغ والانقضاء بلفظ ﴿خلائف﴾ ، لما فيه من الإشعار بذلك ، ثم المعاش الدنيوي بقوله: ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجاتٍ/١٦٥﴾ واشتملت هذه الجملة على جميع المراتب بأنواعها ، مالاً ورزقاً وصحة وقوة وحسناً وجاهاً وشرفاً وعلماً ، وأضدادها ، وذكر العلة في ذلك بقوله: ﴿ليبلوكم فيما آتاكم/١٦٥﴾ ، وهو إشارة إلى العبادات ، كما قال: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[2] ، فتضمنت الجملة الوسطى حال الإنسان في الحياة ، ديناً ودنيا ، ثم ختم بذكر البعث ، الذي يظهر فيه أثر الابتلاء بالعقاب والثواب ، فقال: ﴿إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفورٌ رحيمٌ/١٦٥﴾ فكما كانت السورة جامعة للأمور الثلاثة على هذا الترتيب ، جاءَت آية ختامها وحدها جامعة لها على ترتيبها ، فسبحان من أنزله معجزاً بأمر لا تنقضي عجائبه ، ونوَّع الخطاب ، فانتقل من خطاب الأمة إلى خطاب النبي ﷺ ، وبدأ بوصف العقاب ، لمناسبته الآيات السابقة ، فإن غالبها تهديدات ، ولأن حصول المغفرة متأخر عنه لمن عُوقب من عصاة المسلمين ولمراعاة الفاصلة ، ولم يقل معاقب ، ليتعادل الوصفان في بناء المبالغة ، وأكّد وصف المغفرة بلام التأكيد دون وصف العقاب ، لأن جانب الرحمة أرجى ، كما قال : ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾[3] ، ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾[4] ، (سبقت رحمتي غضبي)[5] .

الكرماني : « لم يؤكد هنا وصف العقاب[6] ، وأكَّده في سورة الأعراف[7] لأنه

(١) في (أ) : وضمن .

(٢) الملك (٢) .

(٣) الأنعام (١٢) .

(٤) الأنعام (٥٤) .

(٥) هذا جزء من حديث رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي -ﷺ- قال : « لما قضى الله الخلق ، كتب كتاباً عنده : غلبت ، أو قال : سبقت رحمتي غضبي فهو عنده فوق العرش » . البخاري (٢١٦/٧) كتاب : التوحيد - باب (٥٥) .

(٦) حيث لم يأت هنا إلا قوله تعالى : ﴿إن ربك سريع العقاب﴾ الأنعام (١٦٥) .

(٧) وذلك في الآيات (١٦٦ - ١٦٨) من الأعراف .



تقـدم هنـا ما يُؤذِن بالكـرم والإحسـان ، وهـو (**من جاء بالحسنـة ، فله عشر أمثالها/ ١٦٠**) الآيات ، فناسب ترك التأكيد في جانب العقاب ، وفي الأعراف تقدم ما يؤذن بالغضب والعذاب من قوله : (**وأخذنا الذين ظلموا بعذابٍ بئيسٍ / ١٦٥**) الآيات ، فناسب توكيد جانب العقاب ، وأكّد معه جانب الرحمة أيضاً رحمة للعباد ، ولئلا يترجح جانب الخوف على الرجاء »[1] .

وقال غيره : « لما كانت هذه الآية في هذه الأمة ، لم يؤكد جانب العقاب لفضلها وشرف نبيها المبعوث بالرحمة ، وتلك في بني إسرائيل ، فأكدها لمناسبة استعصائهم وعتوهم » .

وقال صاحب المناجاة : « نبّه بحذف اللام هنا[2] على أن السرعة المشار إليها بحيث لا تحتمل دخول اللام ، وأنه لا واسطة بين الإرادة والوقوع ، وأدخلها في الأعراف[3] ، لتتم المقابلة » ، قال: « وإنما لم يقل: وسريع الغفران ، لتتم المقابلة ، لأنـه كان يُحوِج إلى أن يقـال : وسريع الرحمة ، فيطول الكلام ، وتفوت مراعاة الفـواصـل ، وأيضـاً قد ورد « سبقت رحمتي غضبي » ، فلما قال : (**سـريع العقـاب/ ١٦٥**) ، استلزم ذلك أن يكون أسرع في الغفران ، فلو قيل : سريع الغفران في مقابلة (**سريع العقاب**) ، لأوهم التماثل ، وبينهما بَون ، فأفاد بالأداة المذكورة ، كونه أسرع في الغفران وأنه أرحم الراحمين .

---

(١) أسـرار التكـرار (٧٧) .

(٢) وذلك في قوله تعالى : (**إن ربك سريع العقاب**) الأنعام (١٦٥) .

(٣) وهو ما في قوله تعالى : (**إن ربك لسريع العقاب**) الأعراف (١٦٧) .



سورة الأعراف

أقول مناسبة وضع هذه السورة عقب سورة الأنعام -فيما ألهمني الله سبحانه- أن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق ، وقال فيها : (**هو الذي خلقكم من طينٍ/٢**) ، وقال في بيان القرون : (**كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ/٦**) وأُشير فيها إلى ذكر المرسلين ، وتعداد كثير منهم ، وكانت الأمور الثلاثة على وجه الإجمال ، لا التفصيل ، ذُكرت هذه السورة عقبها ، لأنها مشتملة على شرح الأمور الثلاثة وتفصيلها ، فبسط فيها قصة خلق آدم أبلغ بسط بحيث لم يبسط في سورة ما بسطت فيها ، وذلك تفصيل إجمال (**هو الذي خلقكم من طينٍ/٢**)، ثم فُصِّلَت قصص المرسلين وأممهم ، وكيفية هلاكهم تفصيلاً تاماً شافياً كافياً مستوعباً ، لم يقع نظيره في سورة غيرها ، وذلك بسط حال القرون المهلكة ورسلهم ، فكانت هذه السورة شرحاً لتلك الآيات الثلاث ، كما كانت سورة الأنعام تفصيل قوله: (**لله ملك السموات والأرض وما فيهن ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ**)[1] ، وأيضاً فذلك تفصيل قوله : (**وهو الذي جعلكم خلائف الأرض**)[2]، ولهذا صدر السورة بخلق آدم ، الذي جعله في الأرض خليفة ، وقال في قصة عاد : (**جعلكم خلفاء من بعد قوم نوحٍ/٦٩**) وفي قصة ثمود : (**جعلكم خلفاء من بعد عادٍ/٧٤**) .

وأما وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر ما قبلها ، فهو أنه قد تقدم (**وأن هذا صراطي مستقيماً ، فاتبعوه/١٥٣**) ، (**وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ فاتبعوه/١٥٥**) ، وافتتح هذه السورة أيضاً بالأمر باتباع الكتاب في قوله : (**كتابٌ أنزلناه**[3] **إليك/٢**) إلى قوله : (**اتبعوا**[4] **ما أُنزل إليكم من ربكم/١٣**) .

---

(١) المائـدة (١٢٠) .

(٢) الأنعـام (١٦٥) .

(٣) في (ب) : أنـزل .

(٤) في (أ) : اتبعـوه .



وأيضـاً ، فلما تقـدم (**ثم ينبئهم بما كانـوا يفعلون/١٥٩**) ، (**ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون/١٦٤**) ، قال في مفتتح هذه : (**فلنسألن الـذين أُرسل إليهم ، ولنسألن المرسلين ، فلنقصَّن عليهم بعلمٍ/٦-٧**) ، وذلك شرح التنبيه المذكور .

وأيضاً ، فلما قال : (**من جاء بالحسنة ، فله عشر أمثالها/١٦٠**) الآية ، وذلك لا يظهـر إلا في الميزان ، افتتـح هذه بذكـر الـوزن ، فقـال: (**والـوزن يومئـذٍ الحق/٨**) ، ثم ذكر من ثَقُلَت موازينه ، وهو من زادت حسناته على سيئاته ، ثم من خفّت ، وهـو من زادت سيئـاتـه على حسناته ، ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الأعراف ، وهم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم .

وأمـا المنـاسبـة بين مطلع السـورة وختـامها ، فإنه ذكر في أولها (**كتابٌ أُنزل إليك/٢**) ، وقال في آخرها : (**إن وَلِيِّيَ الله الذي نزَّل الكتاب/١٩٦**) ، وقال (**فلا يكن في صدرك حرجٌ منـه/٢**) ، وقـابله بقوله : (**وأعرِض عن الجاهلين ، وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ ، فاستعذ بالله/١٩٩-٢٠٠**) ، وأرشده إلى ما يصنع إذا حصل في صدره نوع من الحرج ، وقال : (**وذكرى للمؤمنين/٢**) ، وللكفار (**قليلاً ما تذكرون/٣**) ، وقابله في آخر السورة بقوله : (**إن الذين اتقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيـطان تذكـروا ، فإذا هم مبصرون ، وإخـوانهم يمـدونهم في الغي ثم لا يقصرون/٢٠١-٢٠٢**) ، فذكـر تذكـر المؤمـنين ، وعـدم تذكر الكافرين ، وقال (**اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء/٣**) ، وقابله في آخرها بقوله : (**وإذا لم تأتهم بآيةٍ ، قالوا لولا اجتبيتها ، قل إنما أتَّبِع ما يوحىٰ إليّ من ربي/٢٠٣**) ، فانظر إلى هذا التوافق بين أول السورة وآخرها . وقال في أوائلها : (**ادعـوا ربكم تضـرعاً وخفيةً/٥٥**) ، وقال في آخرها : (**واذكر ربك في نفسك تضرعـاً وخيفـةً ، ودون الجهـر من القول/٢٠٥**) ، ولما افتتح صدر السورة بأنه خلقهم ثم صوّرهم ، ثم أمر الملائكة ، فسجدوا لآدم ، ذكر في خاتمتها أنه خلقهم



من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ، وذكر تغشّيه لها ، وحملها منه ، وذكر قبل ذلك استخراجهم من ظهر أبيهم آدم ، وأخذ الميثاق عليهم ، وذلك قبل تغشّيه لحواء ، وحملها بالأولاد على ترتيب ذكر خلقهم وتصويرهم قبل سجود الملائكة لآدم ، إشارة إلى خلق الأرواح قبل الأجساد ، ولما ذكر أول السورة استكبار إبليس عن السجود ، ختم السورة بـ(**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ، ويسبحونه ، وله يسجدون**/٢٠٦) ، وطابق آخر السورة أولها ، والتأم مقطعها مع مطلعها فالحمد لله على ما ألهم .

(**المص**/١) قيل : معناه ألم نشرح لك صدرك ، بدليل (**فلا يكن في صدرك حرجٌ**/٢)[١] . والحرج: قيل هو الشك ، فالخطاب له ، والمقصود أمته ، أي فلا تشكوا فيه ، وقيل : الضِّيق[٢]، وأسند النهي إليه ، وإن كان معناه نهي المخاطب عن التعرض للحرج ، لأنه أبلغ ، لما فيه من أن الحرج لو كان مما يُنهى ، لنهيناه عنك، فانتهِ أنت عنه ، بعدم التعرض له ، ولأن فيه تنزيهاً له-ﷺ- عن أن يُوَاجَه بالنهي ، لأن ما أنزله إليه ، يناسب أن يسرّ به ، وينشرح له صدره ، لما فيه من تخصيصه بذلك ، وتشريفه ، حيث أنزل عليه كتابه ، وجعله سفيراً بينه وبين خلقه[٣]. (**منه**/٢) قال ابن عطية « هو عام في جميع الجهات التي هي من سبب الكتاب ولأجله ، وذلك يستغرق التبليغ والإنذار وتعرض المشركين ، وتكذيب المكذبين ، وغير ذلك »[٤].

---

(١) قاله الكرماني . البحر (٢٦٦/٤) . وانظر ص (   ) من هذه الرسالة .

(٢) القول الأول قاله ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما، والقول الثاني قاله الحسن، والزجاج . زاد المسير (١٦٥/٣) .

ويبدو لي أن القولين متقاربان ، إذ الشك يؤدي إلى الضيق ولذا قال الطبري « الحرج : أشد الضيق .. وأصله من الحرج ، والحرج جمع حرجه . وهي الشجرة الملتف بها الأشجار ، لا يدخل بينها وبينها شيء ، لشدة التفافها بها » . جامع البيان (١٠٣/١٢ - ١٠٤) .

(٣) هذا النص من كلام أبي حيان ، البحر (٢٦٦/٤) .

(٤) المحرر (٤٢٤/٥) .



(لتنـذر/٢) متعلق بـ(أنزل/٢)[١] ، وجملة (فلا يكن/٢) إلى آخره معترضه ، وقيل : متعلق بـ(يكن/٢) ، فلا اعتراض[٢] . (وذكرى/٢) مجرور ، عطف على (لتنذر/٢)[٣] ، أو منصوب حملاً على المحل[٤] ، أو بتذكر مقدراً ، أو مرفوع عطفاً على كتاب[٥] . (للمؤمنين) حذف من (لتنذر به) مقابله ، أي الكافرين .

ولما خاطب الرسول بإنزال الكتاب إليه ، لينذر به ويُذَكِّر ، أمر الأمة باتِّباعه ، فقال : (اتَّبِعوا ما أُنزل إليكم/٣) . وقرىء (ابتغوا) ، (ولا تبتغوا)[٦] من الابتغاء . وقال ابن جرير : « إنه على تقدير : قل ، فحذف لدلالة (لتنذر/٢) عليه »[٧] . (تـذكرون/٣) بالخطاب والتشديد ، وبه والسكون[٨] ، و(تتذكرون)[٩] بتائين ، و(يتـذكـرون) بياء ثم تاء[١٠] وقـرىء (يَذَّكرون) بياء ، وتشديد[١١] ، وفيه على الأخيرتين التفات . (وكم من قريةٍ/٤) الآية ، فيه حذف مضاف ، لقوله : (أو هم قائلون/٤) ، أي أهـل قرية ، أو تقـدَّر بعـده ، أي أهلكنـا أهلهـا ، أو فجاء

---

(١) قاله الحوفي - كما في البحر (٤/٢٦٦) ، وهو قول الفراء أيضاً - معاني القرآن (١/٣٧٠) . وإليه ذهب الزمخشري في الكشاف (٢/٦٦) ، وأبو البقاء في الإملاء (١/٢٦٧) .

(٢) نقله أبو حيان عن ابن الأنباري ، وهو قول عبد القاهر الجرجاني أيضاً . البحر (٤/٢٦٦) ، والدر المصون (٥/٢٤٣) .

(٣) وذلك بالعطف على موضع الناصبة (لتنذر) المنسبك منها ومن الفعل مصدر ، والتقدير : لإنذارك به .

(٤) أي محل (لتنذر) ، إذ محلها النصب .

(٥) انـظر معـاني القرآن للفراء (١/٣٧٠) ، والكشاف (٢/٦٦) ، والبحر (٤/٢٦٧) ، والدر المصون (٥/٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٦) القراءة الأولى هي قراءة الجحدري ، والقراءة الثانية هي قراءة مجاهد، ومالك بن دينار . البحر (٤/٢٦٧) .

(٧) جامع البيان (١٢/٢٩٨) بمعناه مختصراً .

(٨) قراءة التخفيف هي قراءة حمزة، والكسائي، وحفص، وقراءة التشديد هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٧٩) .

(٩) قرأها أبو الدرداء ، وابن عباس ، وابن عامر ، البحر (٤/٢٦٨) .

(١٠) وهي قراءة ابن عامر ، حجة القراءات (٢٨٠) .

(١١) قرأها مجاهد ، البحر (٤/٢٦٨) .



أهلها[1] . وقرىء (**أهلكناهم فجاءهم**)[2] ، فالتقدير: قبل : (**قرية**) لا غير . وفي (**أهلكناها/٤**) التفات ، إن[3] لم يكن (**اتَّبعوا/٣**) على تقدير : قل[4] ، وفيه تَجوُّز ، أي أردنا إهلاكها ليصح تعقيب (**فجاءها/٤**) بالفاء ، أو لا تجوّز ، على أن الفاء تفسيرية ، إذ مجيء البأس ، هو الإهلاك ، و(**أو**) للتنويع . وخصّ هذين الوقتين لأنهما وقتان للسكون والدّعة والاستراحة ، فجيء العذاب فيهما أفظع وأشق ، ويكون بغتة[5] . (**دعواهم/٥**) استغاثتهم . (**فَلَنَسْأَلَنَّ/٦**) إلى آخره . ورد الأثر بأن[6] أول من يُحاسَب جبريل ، لأنه كان أمين[7] الله إلى رُسُلِه[8] .

ولما ذكر السؤال والحساب الذي هو الغرض المعبّر عنه بقوله: (**فَلَنَقُصَّنَّ/٧**) إلى آخره ، وهو أن يقال للرجل : فعلت كذا ، في يوم كذا ، حتى يأتي على آخر ما فعله وقاله في دنياه ، عقَّبه بالوزن ، لأنه يعقبه في الموقف ، فقال : (**والوزن يومئذٍ الحق/٨**) ، ثم قسَّم الناس إلى من تثقل موازينه ، وحكم لهم بالفلاح ، ومن تخفّ ، وحكم لهم بالخسران ، وسكت عمن استوت هنا ، ذكره بعد صدر

(١) بالبحر (٤/٢٦٨) : « وينبغي أن يقدر عند قوله: (فجاءها) أي فجاء أهلها » .

(٢) عن ابن أبي عبلة ، البحر (٤/٢٦٨) .

(٣) حرف « إن » ليست في (ب) .

(٤) كلمة « قل » ليست في (أ) .

(٥) انظر البحر (٤/٢٦٨ - ٢٦٩) ، والدر المصون (٥/٢٥٠ - ٢٥٢) .

(٦) « بأن » : ليست في (أ) .

(٧) في (ب) : أمـر .

(٨) روى إسحاق عن أبي سنان قال : أقرب الخلق من الله تبارك وتعالىٰ اللوح ، وهو معلّق بالعرش ، فإذا أراد الله عز وجل أن يوحي بشيء كتب في اللوح ، فيجيء اللوح حتى يقرع جبهة إسرافيل ، وإسرافيل قد غطى وجه بجناحه أو جناحيه ، لا يرفع بصره إعظاماً لله عز وجل ، فينظر فيه ، فإن كان إلى أهل السماء دفعه إلى ميكائيل وإن كان إلى أهل الأرض دفعه إلى جبريل ، فأول ما يحاسب يوم القيامة اللوح يدعى به ترعد فرائصه ، فيقال له : هل بلّغت ؟ فيقول : نعم ، فيقول ربنا تبارك وتعالى : من يشهد لك ؟ فيقول : إسرافيل ، فيُدعىٰ إسرافيل ترعد فرائصه ، فيقال : هل بلّغك اللوح ؟ فإذا قال إسرافيل : نعم ، فيقول اللوح : الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب .

كتاب العظمة (٢/٧٠٤ - ٧٠٥) وذكر المحقق : أنه مقطوع الإسناد ، لأن فيه رجلين لم يعرف فيهما حكم الجرح والتعديل .



السورة ، وأنهم موقوفون مع الطمع ، وجمع الموازين والميزان واحد ، على أنه جمع موزونات ، وهي الحسنات لا ميزان[1] . وضمّن (**يظلمون/٩**) معنى يكذبون ، أو يجحدون ، فعدّاه بالباء إن كانت الآية في الكفار ، وإن كانت في عصاة المؤمنين -وهو الأرجح- فالظلم على بابه . والباء للتقوية ، لتقديم المفعول على العامل ، مثل : (**إن كنتم للرؤيا تعبرون**)[2] ، أما الكفار ، فلا يُنصب لهم ميزان[3] . (**ولقد مكّنّاكم/١٠**) [عود إلى المخاطبين بـ(**اتبعوا/٣**) ، تذكيراً لهم بالنعم ، وما بينهما أُورد مورد الاعتبار والاتعاظ بذكر ما آل إليه أمرهم في الدنيا ، وما يؤول إليه[4] في الآخرة][5] ثم ذكّرهم بنعمة الإيجاد ، فقال : (**ولقد خلقناكم ، ثم صورناكم/١١**) فالخلق ، الإخراج من العدم إلى الوجود ، والتصوير: الإبراز في هذه الصورة البديعة ، ثم قيل الخطاب بالجملتين لبني آدم ، (**ثم**) في الثالثة لترتيب الأخبار ، والخلق في الأصلاب والتصوير في الأرحام[6] ، أو الخلق للأرواح ، والتصوير للأجساد[7] . وقيل : الخطاب بهما لآدم ، لأن العرب تخاطب الواحد العظيم بخطاب الجمع[8] ، وفي الثانية لذريته[9] ، و(**ثم**) الثالثة لترتيب الأخبار ، وقيل : على بابها ، على أن التصوير في صُلْبِه يوم أخذ الميثاق . وقيل : هو من تلوين الخطاب ، يخاطب الغير ، ويراد به الغير ، فيكون الخطاب لبني آدم ، والمراد آدم ،

---

(١) وهذا رأي المعتزلة الذين أنكروا الميزان ، ولكن جمهور الأمة على أن الميزان هنا هو الميزان حقيقة . أنظر فتح الباري لابن حجر (١٣/٥٣٨) ،وتذكرة الموتى والدار الآخرة للقرطبي (٣٧٧) ، ونهاية البداية والنهاية لابن كثير (٢/٦٧) ، واليوم الآخر - القيامة الكبرى للأشقر (٢٤٨) .

(٢) يوسف (٤٣) .

(٣) انظر البحر (٤/٢٧١) .

(٤) في (أ) : إليهم .

(٥) ما بين القوسين هو نص عبارة أبي حيان مع تغيير قليل ، البحر (٤/٢٧١) .

(٦) روي عن ابن عباس ، وبه قال عكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، والأعمش . زاد المسير (٣/١٧٢) ، والبحر (٤/٢٧٢) .

(٧) حكاه القاضي أبويعلى في المعتمد . زاد المسير (٣/١٧٣) ، والبحر (٤/٢٧٢) .

(٨) قاله الزجاج . معاني القرآن (٢/٣٢١) .

(٩) رواه العوفي عن ابن عباس . زاد المسير (٣/١٧٣) ، والبحر (٤/٢٧٢) .

كقوله (وإذ نجيناكم من آل فرعون)[1]، (فأخذتكم الصاعقة)[2]، (وإذ قتلتم نفساً)[3]، خوطب به من كان بحضرة الرسول من بني إسرائيل، والمراد أسلافهم[4]. (لم يكن من الساجدين/١١) جملة مؤكدة لمعنى ما أخرجه الاستثناء من نفي سجوده. ابن جماعة: «فإن قيل: ما سبب اختلاف الألفاظ، وزيادة المعاني، ونقصها في بعض قصص آدم، دون بعض، وكذلك سائر القصص، كقصة نوح وهود وموسى وغيرهم؟

قلنا: أما اختلاف الألفاظ، فلأن المقصود المعاني، لأن الألفاظ الدالة عليها أولا، لم تكن باللسان العربي، بل بألسنة المتخاطبين حالة وقوع تلك المعاني، فلما أُدّيت تلك المعاني إلى هذه الأمة، أُدّيت بألفاظ عربية، تدل على معانيها، مع اختلاف الألفاظ، واتحاد المعنى، فلا فرق بين (أبىٰ أن يكون مع الساجدين)[5]، وبين (لم يكن من الساجدين/١١) في دلالتها على معنى واحد، وهو عدم السجود، وكذلك لا فرق في المعنى بين (مالَكَ ألّا تكون مع الساجدين)[6]، و(مَنَعَك أن تسجد)[7]، لأن (لا) صلة زائدة.

وأما زيادة المعاني، ونقصها في بعض دون بعض، فلأن المعاني الواقعة في القصص فَرَّقَت في إيرادها، فذُكِر بعضها في مكان، وبعضها في مكان آخر، ولذلك عدة فوائد»[8]، انتهى.

---

(١) البقرة (١٤٩).

(٢) البقرة (٥٥).

(٣) البقرة (١٧٢).

(٤) حكى هذا الوجه أبو حيان. البحر (٤/٢٧٢)، وانظر معاني القرآن للأخفش (٣/٢٩٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٢١ - ٣٢٢)، والدر المصون (٥/٢٦٠ - ٢٦١).

(٥) الحجر (٣١).

(٦) الحجر (٣٢).

(٧) سورة ص (٧٥).

(٨) كشف المعاني (١٥١ - ١٥٢).



وقد ذكرت فوائد تكرير القصص في نوع الإطناب ، من كتاب الإتقان[1] ، فليُنظر منه . ونقل الكرماني الجواب المذكور في نكتة الاختلاف عن بعضهم ، ثم قال : « وهذا جواب حسن ، لو رضِيتَ به ، كُفِيتَ مؤنة السهر إلى السحر »[2] .

وقال صاحب المناجاة : « لا شبهة أن اختلاف المقامات في إيراد القصص يقتضي اختلاف الألفاظ والمعاني في أدائها ، وإن كانت قصة واحدة » . **(قال/١٢)** فيه التفات عن التكلم . **(ما منعك/١٢)** زاد في (ص) ، و(الحجر) : **(يا إبليس)**[3] ، قال الكرماني ، « لأن خطابه هنا قريبٌ عن ذكره ، فحسن حذف النداء والمنادى »[4] . وفيهما بعد بزيادة لفظ استكبر ، ولفظ أبى ، وقال صاحب المناجاة : « لما صرّح هنا بدعوى الخيرية ، ترك نداءه تحقيراً لقدره ، ولذلك لما صرّح بذكر الاستكبار هنا ، وفي (ص) ، شدَّد عليه في الإنكار بقوله : **(ما منعك)** فيهما ، لدلالته على الاستشعار بفعل ما ارتكبه ، وفي (الحِجر) لما لم يصرّح به ، قال : **(مالَكَ/٣٢)** ، فإنه لا يستدعي الاستشعار بفعل ما ارتكبه ، لإمكان ادِّعاء النِّسيان ، وجواز وقوعه منه . **(ألاّ تسجدَ/١٢)** في (ص) : **(أن تسجد/٧٥)** ، فقيل : (لا) هنا زائدة للتوكيد والتحقيق[5] . وقيل : غير زائدة ، على تضمين **(ما منعك/١٢)** معنى : ما دعاك ، أو ما ألجأك ، أو من أَمرَك ، أو على تقدير محذوف ، أي فأحوجك[6] .

الكرماني : « لما حذف هنا « يا إبليس » ، واقتصر على الخطاب ، جمع بين لفظ المنع ، ولفظ (لا) زيادة في النفي ، وإعلاماً بأن المخاطَب به إبليس » ، قال :

---

(١) الإتقان (١٩٩/٣) .

(٢) انظر البرهان (١٧١) .

(٣) ص (٧٥) ، والحجر (٣٢) .

(٤) البرهان (١٧٠) .

(٥) قاله الزمخشري ، واستظهره السمين ، الكشاف (٦٨/٢) ، والدر المصون (٢٦١/٥) .

(٦) انظر البحر (٢٧٣/٤) ، والدر المصون (٢٦٣/٥) .



« وإن شئت قلت : جمع في هذه السورة بين ما في (ص) ، وما في (الحجر) ، فقال : (**ما مَنَعَك أن تسجد**)[1] ، (**مالَكَ ألّا تكون مع الساجدين**)[2] ، فحذف (**أن تسجد**) من الأول ، و(**مالك**) من الثاني ، لدلالة الحال ، ودلالة السورتين ، فبقي (**ما منعك أن لا تسجد**) وهي لطيفة ، فاحفظها »[3] .

قلت : ففيه على هذا احتباك .

وقال صاحب المناجاة : « استعمل مع (**ما منعك/١٢**) ، ما يستعمل مع (**مالك**)[4] ليدل على أن التنويع في المقامين على وتيرة واحدة ، أو يقال في: (**أن لا تسجد**) صورة تحضيض على السجود ، كقولهم: هلّا تنزل ، وألا تنزل ، وخصّ بهذه الزيادة سورة الأعراف ، لكونها أطول من السورتين ، (**قال أنا خيرٌ/١٢**) إلى آخره ، كذا في (ص)[5] ، وفي الحجر : (**لم أكن لأسجد/٣٣**) فزاد لفظ الكون ، لزيادته في قوله : (**مالك ألا تكون/٣٢**) ، قاله الكرماني[6] . وقال صاحب المناجاة: « المنكر عليه في الحِجر أمران : تخلّفه عن الساجدين ، وترك السجود ، فأجاب بما يطابق الأمرين ، والمنكر هنا ترك السجود وحده ، فأجاب بجواب يطابقه ، وزاد في الحِجر لفظة (**لبشرٍ/٣٣**) إيماء إلى أنه مَلَك ، والمَلَك أعلى درجة ومقاماً ، فقال تعالى في الكهف : (**إلا إبليس كان من الجن/٥٠**) ردًّا لدعواه المَلَكية »[7] . (**قال فاهبط/١٣**) أبو حيان : « لما كان امتناعه من السجود بسبب ظهور شفوفه على آدم عند نفسه ، قابله الله بالهبوط المشعر بالنزول من علو إلى سفل »[8] . (**منها/١٣**)

---

(١) سورة ص (٧٥) .

(٢) سورة الحجر (٣٢) .

(٣) البرهان (١٧٢) .

(٤) الحجر (٣٢) .

(٥) سورة ص (٧٦) .

(٦)

(٧) في (ب) : الملائكة .

(٨) البحر (٤/٢٧٤) .



لم يتقدم مرجع الضمير، فقيل : من الجنة . وقيل : من السماء[1] . **(فما يكون لك أن تتكبر فيها/١٣)** قيل : التقدير : ولا في غيرها ، فحُذف اكتفاء ، لأن التكبر منهي عنه في كل مكان . **(فاخرج/١٣)** تأكيد بتكرار المرادف[2] . **(قال أنظِرني/١٤)** في (الحِجر) و(ص) : **(ربِّ فأنظِرني)**[3] ، فزاد (رب) و(الفاء) ، قال الكرماني : « لأنه لما اقتصر هنا في السؤال على الخطاب ، وحذف النداء ، اقتصر في الجواب على ذلك أيضاً ، وداعية الفاء ما تضمنه النداء من أدعو ، وأنادي ، نحو **(ربنا فاغفر لنا)**[4] ، أي ندعوك فاغفر ، وكذلك داعية الواو ، نحو : **(ربنا وآتنا)**[5] ، فأثبتها مع النداء ، وتركها مع تركه ، وناسب قوله : **(إنك من المنظَرين/١٥)** تركها ، و **(فإنك)** هناك إثباتها »[6] .

وقال الإمام وغيره : « **(أنظِر)** هنا وقع مستأنفاً ، غير مقصود به التسبب عما قبله ، فلا وجه للفاء ، وكذلك **(إنك من المنظَرين/١٥)** خبر مستأنف لا جواب مسبّب عن السؤال ، وحيث جاء بالفاء ، فهو سبب عما قبله ، أي إن أخرجتني فأنظرني ، ولما جاء بالفاء ، ناسب **(فإنك من المنظرين)**[7] عطف كلام على كلام ، لا عطف جواب على سؤال »[8] . **(إلى يوم يُبعثون/١٤)** أي الخلق راجع إلى غير مذكور ، لدلالة آدم عليه . **(قال إنك من المنظَرين/١٥)** أي سبق في علمنا أنك من هذه الطائفة، تحقيراً له عن أن يجاب سؤاله بنعم، أو قد أنظرتك، أو أنك منظَر ، لما فيه من الإشعار بالإجابة والإكرام ، فأخبر بما يدل على أنه لم يقع له ذلك إجابة ،

---

(١) القول الأول هو قول السدي ، والقول الثاني هو قول الزمخشري ، وهو مروي عن الحسن . زاد المسير (١٧٥/٣) ، والكشاف (٦٩/٢) .

(٢) في (ب) : المراد .

(٣) الحجر (٣٦) ، و ص (٧٩) .

(٤) آل عمران (١٩٣) .

(٥) آل عمران (١٩٤) .

(٦) البرهان (١٧٣ - ١٧٤) باختصار .

(٧) الحجر (٣٧) ، و ص (٨٠) .

(٨)



وإنما ذلك حُكْمٌ ، حكم له به في الإذلال في جملة من حكم له بذلك . (**فبما أغويتني/١٦**) الباء قسميّة ، لتلقّيها باللام . وقيل : سببية[١] ، و« ما » مصدرية عليها . وقيل : استفهامية على الثاني[٢] .

الكرماني : « قال في (الحجر) : (**ربِّ بما أغويتني/١٣٩**) مطابقة لما قبله في النداء وحذفه هنا مطابقة لما قبله في حذفه ، وزاد هنا الفاء العاطفة ، ليكون الثاني مربوطاً بالأول ، ولم يدخل في (الحجر) ، اكتفاء بمطابقة النداء » . قال : « وقوله في (ص) : (**فبعزتك/٨٢**) يؤذن أن الباء هنا قَسَمِيَّة ، ومعنى (**فبما أغويتني/١٦**) يؤول إلى معنى (**فبِعِزَّتك/٨٢**) »[٣] . (**صراطك/١٦**) نُصب إما بنزع على ، أو بتضمين (**لأقعدن/١٦**) معنى : لألزمنّ[٤] . (**ثم لآتينهم/١٧**) الآية ، أبوحيان : « إتيانه من هذه الجهات الأربع كناية عن وسوسته وإغوائه ، والجدّ في إضلاله من كل وجه يمكن ، ولما كانت هذه الجهات الأربع يأتي منها العدو غالباً ، ذكرها »[٥] .

وقال ابن عباس : « لم يقل : من فوقهم ، لأن الرحمة تنزل من فوقهم » ، أخرجه ابن جرير[٦] . وقال أبوحيان: « ولا من تحتهم ، لأن فيه تَوَحّشاً »[٧] .

الزمخشري : « فإن قلت : كيف قيل :(**من بين أيديهم ومن خلفهم/١٧**) بحرف الابتداء،(**وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم/١٧**) بحرف المجاوزة ؟ .

قلت : المفعول فيه عُدِّي إليه الفعل تعدّيه إلى المفعول به ، فكما اختلفت

(١) هذا القول هو ما بدأ به الزمخشري ، الكشاف (٢/٦٩) . وأما القول السابق ، فهو ما استظهره أبوحيان ، والسمين . البحر (٤/٢٧٤) ، والدر المصون (٥/٢٦٤) .

(٢) ذكر أبو حيان أن هذا الوجه ضُعِّف بإثبات الألف في ما الاستفهامية وذلك شاذ أو ضرورة . البحر (٤/٢٧٥) . والوجه الأول هو ما استظهره السمين ، الدر المصون (٥/٢٦٥) .

(٣) البرهان (١٧٤ - ١٧٥) .

(٤) انظر الدر المصون (٥/٢٦٦ - ٢٦٨) ، والقول الأول هو قول الزجاج في معاني القرآن له (٢/٣٥٨) .

(٥) البحر (٤/٣٧٦) .

(٦) جامع البيان (١٢/٣٤١ - ٣٤٢) .

(٧) هذا تابع لقول ابن عباس - كما في البحر (٤/٣٧٦) .



حروف التعدية في ذلك ، اختلفت في هذا ، وكانت لغة تُؤخذ ولا تقاس ، وإنما يُفَتَّش عن صحة موقعها فقط ، فلما سمعناهم يقولون عن يمينه ، وعلى يمينه ، وعن شماله ، وعلى شماله ، قلنا معنى : على يمينه ، أنه يُمكَّن من جهة اليمين تمكُّن المستعلي من المستعلَى عليه ، ومعنى : عن يمينه ، أنه جلس متجافياً عن صاحب اليمينَ ، منحرفاً عنه ، غير ملاصق له ، ثم كَثُر حتى استُعمل في المتجافي وغيره ، وقالوا : جلس بين يديه وخلفه بمعنى في ، لأنهما ظرفان للفعل ، ومن بينَ يديه ومن خلفه ، لأن الفعل يقع في بعض الجهتين ، كما تقول : جئته من الليل ، تريد بعض الليل »[1].

وقال أبوحيان: «إنما خصّ بين الأيدي والخلف بحرف الابتداء ، الذي هو أمكن في الإتيان ، لأنهما أغلب ما يجيء العدو منهما ، فينال فرصته . وقدّم الأيدي ، لأنها الجهة التي تدل على إقدام العدو وبسالته في مواجهة قرنه ، غير خائف منه . والخلف جهة غدر ومخاتلة . وخصّ الأيمان والشمائل بحرف المجاوزة ، لأنهما ليسا بأغلب ما يأتي منهما العدو ، وإنما يتجاوز إتيانه إلى الجهة التي هي أغلب في ذلك، وقُدِّمت الأيمان ، لأنها الجهة القوية في ملاقاة العدو ، وبالأيمان البطش والدفع فالآتي من جهتها أشجع وأبسل »[2]. **(قال اخرج منها مذؤوماً مدحوراً/١٨)** قال الكرماني : « لا نظير له في القرآن ، لأنه سبحانه لما بالغ في الحكاية عنه في قوله : **(لأقعدن لهم/١٦)** إلى آخره ، بالغ في ذمه بذلك ، إذ[3] الذأم أشد الذم »[4]. أبوحيان: « أمره بالهبوط أولاً ، ثم بالخروج مقيداً بأنه ذو صَغَار ، ثم به مقيداً بالذم والطرد »[5]. وقرىء **(مذموما/١٨)** بلا همز[6]، مسهّلاً من المهموز ، **(لَمَن)** لام

---

(١) الكشاف (٢/٧١) .

(٢) البحر (٤/٢٧٦ - ٢٧٧) بقليل من الاختصار .

(٣) في (أ) : إذا .

(٤) أسرار التكرار (٨٠) ، والبرهان (١٧٦) .

(٥) البحـر (٤/٣٧٧) بتصرف قليل .

(٦) قرأ بذلك الزهري ، وأبوجعفر ، والأعمش ، البحر (٤/٣٧٧) .

ابتداء ، و« من » موصولة . وقرىء بكسر اللام[١] . على معنى لَمن تَبِعك منهم وعيد شديد ، فحذف المبتدأ بدلالة (**لأملأن/١٨**) إلى آخره عليه[٢] . وقيل : متعلقة بـ(**ملؤوماً مدحوراً /١٨**) أي لأجل اتِّباعك[٣] . (**منكم/١٨**) أي منك وممن تبعك ، فغلّب الخطاب على الغيبة . (**ويا آدم اسكُن/١٩**) فيه طباق مع ما قبله . (**فوسوس لهما/٢٠**) قال أبوحيان : أي فعل الوسوسة لأجلهما ، وأما (**فوسوس إليه/١٢٠**) فمعناه : ألقى الوسوسة إليه »[٤] . (**وُوْرِي**) قرىء (**أُوْرِيَ**) بإبدال الواو همزة . وقرىء (**وُرِيَ**)[٥] بوزن كُسِيَ . (**سوآتهما/٢٠**) قرىء بالإفراد[٦] . (**وقال/٢٠**) بيان للوسوسة . (**إلا أن تكونا/٢٠**) أي كراهة أن . (**ملَكين/٢٠**) قرىء بكسر اللام[٧] ، ويؤيده (**هل أدلّك على شجرة الخلد ، وملكٍ لا يبلى**)[٨] . واستدل الزمخشري بالقراءة المشهورة على تفضيل المَلَك على البشر فقال : « فيه دليل

---

(١) قرأ بذلك الجحدري ، وعصمة ، عن أبي بكر عن عاصم . البحر (٤/٢٧٧ - ٢٧٨) ، وابن خالويه (٤٢) .

(٢) هذا قول الزمخشري ، الكشاف (٢/٧١) .
وقد علّق أبو حيان على قول الزمخشري هذا ، فقال : « فإن أراد ظاهر كلامه ، فهو خطأ على مذهب البصريين ، لأن قوله : (لأملأن) جملة هي جواب قسم محذوف ، فمن حيث كونها جملة فقط ، لا يجوز أن تكون مبتدأة ، ومن حيث كونها جواباً للقسم يمتنع أيضاً لأنها إذ ذاك من هذه الحيثية لا موضع لها من الإعراب ، ومن حيث كونها مبتدأة لها موضع من الإعراب ، ولا يجوز أن تكون الجملة لها موضع ، ولا موضع لها بحال لأنه يلزم أن تكون في موضع رفع ، لا في موضع رفع داخلاً عليها عامل غير داخل وذلك لا يتصور » . البحر (٤/٢٧٨) .

(٣) ذكره أبو الفضل الرازي - كما في الدر المصون (٥/٢٧٣) .

(٤) البحر (٤/٢٧٨) .

(٥) هذه قراءة ابن وثاب ، والقراءة السابقة هي قراءة ابن مسعود . البحر (٤/٢٧٩) ، والنهر المارد - حاشية البحر (٤/٢٧٨) .

(٦) أي (سوّتهما) وتسهيل الهمزة بإبدالها واواً ، وإدغام الواو فيها ، وقد قرأ بذلك مجاهد ، والحسن . البحر (٤/٢٧٩) ، وابن خالويه (٤٢) .

(٧) قرأها ابن عباس ، والحسن بن علي ، والضحاك ، ويحيى بن كثير ، والزهري ، وابن حكيم عن ابن كثير . البحر (٤/٢٧٩) ، وابن خالويه (٤٢) .

(٨) طـه (١٢٠) .



على أن الملائكة بالمنظر الأعلى ، وأن البشرية تلمح مرتبتها »[1] . وقال ابن فورك : « لا حجة فيها ، لاحتمال أن يريد ملكين في انتفاء شهوة الطعام »[2] .

وأقول : لا أزال أتعجب ممن أخذ يستدل بهذه الآية ، والكلام الذي فيها حكاه الله عن قول إبليس في معرض المناداة[3] عليه بالكذب، والغرور، والزور، والتدليس، وإنما يُستدل من كلامه تعالى ، أو كلام حكاه عن بعض أنبيائه ، أو إن لم يكن كذلك ، فكلام حكاه راضياً به ، مقرّاً له .

(وقاسَمهما/٢١) أي أَقْسَم لهما ، ففاعَلَ ليس على بابه من المشاركة ، وعبرّ به ، لأنه اجتهد في قَسَمه اجتهاد المقاسم[4] .

وقيل : على بابه ، على جعل قبول المحلوف له كالقَسَم[5] . وقرىء **(وقاسمهما بالله)**[6] . **(ودلاّهما بغرورٍ/٢٢)** استعارة ، جعل من يغتر بالكلام ، حتى يصدِّق فيقع في مصيبة ، كالذي يدلّى من علوٍ إلى سفل بحبل ضعيف ، فينقطع به ، فيهلك . قال الأزهري : « لهذه الكلمة أصلان :

أحدهما : أن الرجل يدلي بدلوه في البئر ليأخذ الماء ، فلا يجد فيها ماء ، فوضعت التدلِية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه ، فيقال : دلاّه ، أي أطعمه .

الثاني : جرّأهما على أكل الشجرة ، والأصل فيه : دلَّلهما ، من الدال والدالَّة ، وهي الجرأة »[7] ، « فأُبدلت من المضاعف الأخير حرف عِلّة »[8] . **(وطفِقا/٢٢)**

---

(١) الكشاف (٢/٧٢) .
(٢) المحرر (٥/٤٥٩) ، والبحر (٤/٢٧٩) .
(٣) في (أ) : المنادي .
(٤) وهو قول للزمخشري ، الكشاف (٢/٧٣) .
(٥) وهو ما ذهب إليه ابن عطية ، المحرر (٥/٤٥٩) .
(٦) البحر (٤/٢٧٩) دون نسبة .
(٧) تهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٧٢) مادة : دال .
(٨) هذا كلام أبي حيان في البحر (٤/٢٧٩) .



قرىء بفتح الفاء[1] . (**يخصفان**) قرىء بضم أوله[2] من أخصف ، بمعنى : خصف . وقرىء بفتح أوله وكسر الخاء وتشديد الصاد . وقرىء كذلك بفتح الخاء[3] . وقرىء بضم الياء وفتح الخاء وتشديد الصاد ، من خصف وقرىء كذلك بضم الخاء أيضاً[4] . (**عليهما/٢٢**) قال أبوحيان : « إن جعل الضمير لآدم وحواء ، ألزم منه تعدّي « يخصف » إليه محلاًّ ، وقد رفع الضمير المتصل ، وهو الألف الواقع على آدم وحواء ، وفي ذلك جعل الفاعل والمفعولين ضميرين لمسمى واحد ، وذلك لا يجوز إلا في باب ظن ، وفَقَد ، ووجد ، وعلم ، فإما أن يقدَّر مضاف أي على بدنَيهما ، أو يعود الضمير على عورتيهما ، لدلالة (**سوآتهما/٢٢** »[5] . (**وناداهما ربهما ، ألم أنهكما/٢٢**) أبوحيان : « لما كان وقت الهناء ، صرّح باسمه تشريفاً ، فقال : (**ويا آدم اسكن/١٢**) ، وحين كان وقت العزاء ، أخبر أنه ناداه ، ولم يصرّح باسمه »[6] ، « والنداء دعاء الشخص باسمه العَلَم ، أو نوعه أو وصفه »[7] . و(**ألم أنهكما/٢٢**) على تقدير : قائلاً ، وهو استفهام عِتاب وتنبيه على موضع الغفلة .

(**عن تلكما الشجرة/٢٢**) أبوحيان : « لما كان في القرب ، قال لهما : (**ولا تقربا هذه الشجرة/١٩**) ، فأُشير إلى الشجرة باللفظ الدال على القرب ، ولما واقعا الخطيئة ، قال : (**تلكما الشجرة/٢٢**) ، فأُشير إليها باللفظ الدال لبعده عن مكان الشجرة

---

(١) قرأها أبو السمال ، البحر (٤/٢٨٠) ، ابن خالويه (٤٢) .

(٢) عن الزهري .

(٣) هذه قراءة الحسن - فيما روى عنه محبوب - والقراءة السابقة هي قراءة الحسن - أيضاً - والأعرج ، ومجاهد وابن وثاب .

(٤) هذه قراءة عبد الله بن يزيد ، والقراءة السابقة حكاها أبو حيان دون نسبة . انظر في القراءات السابقة ابن خالويه (٤٢) ، البحر (٤/٢٨٠) ، والمحرر (٥/٤٩٢) .

(٥) البحر (٤/٢٨٠) - بتصرف .

(٦) البحر (٤/٢٨٠) - بتصرف قليل .

(٧) البحر (٤/٢٨١) .



وهـو الجنـة إنذاراً له بالخروج منها »[1]. وقرأ أُبيّ (**ألم تُنهيا عن تلكما الشجرة ، وقيل لكما**)[2]. (**قالا ربنا/٢٣**) الآية قال الزمخشري : « سَمَّيا ذنبهما -وإن كان صغيراً مغفوراً- ظلماً ، وقالا لنكونن من الخاسرين ، على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات »[3]. وقال ابن عطية: « اعترفا ، وطلبا التوبة والستر والمغفرة والرحمة وطلب إبليس النظِرة ، ولم يطلب التوبة ، فَوُكِل إلى رأيه »[4].

وقال غيره : « سُعِد آدم بخمسة أشياء : اعترف بالمخالفة ، وندم عليها ، ولام نفسه ، وسارع إلى التوبة ، ولم يقنط من الرحمة ، وشَقِي إبليس بخمسة : لم يقِر بالذنب ، ولم يندم ، ولم يلُم نفسه ، بل أضاف الغواية إلى ربه ، وقنط من الرحمة ، ولم يطلب التـوبـة » . (**قال فيها تحيون/٢٥**) الآية ، كالتفسير لقوله: (**ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حينٍ/٢٤**) ، ولذلك جاء (**قال/٢٥**) بغير واو ، لأن الأكثر في كلام العرب إذا لم تكن الجملة تفسيرية ، أو كالتفسيرية ، أن تعطف على الجملة قبلها . وتَمَّم هنا المقصود بالتنبيه على البعث والنشور ، وذلك غاية في براعة ختام قصة آدم .

ولما كان صدرها مفتتحاً بالتنبيه على نعمة الإيجاد -بعد ذِكر نعمة التمكين في الأرض ، وجعل المعايش- عاد إلى التذكير بنعمة أخرى ، فقال : (**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً/٢٦**) .

أقول : هذه السورة نظير سورة البقرة من وجه ، وذلك أن كلًّا منهما افتتح بذكر الكتـاب ، ولـما كانت تلك مدنية ، والمؤمنون بها أكثر ، وُصف فيها بأنه (**هدىً للمتقين/٢**) ولما كانت هذه مكية ، والكفار بها أكثر ، وُصف فيها بقوله : (**لتنذر**

---

(١) البحـر (٤/٢٨١) بتصرف .

(٢) البحـر (٤/٢٨١) .

(٣) الكشـاف (٢/٧٣) .

(٤) المحرر (٥/٤٦٤) .



به/٢) ، والإنذار يليق بالكافرين ، ثم فيها انتقل إلى ذكر نعمة الإيجاد والمعاش ، واستطرد إلى قصة خلق آدم ، ثم أقبل بعد فراغها على الكفار يخاطبهم . ولما كانت تلك مدنية ، وكفارها يهود ، قال : (يا بني إسرائيل/٤٧) ، لأنهم أهل كتاب وهذه مكية ، وكفارها المشركون ، فقال : (يا بني آدم/٢٦ ، ٢٧) ، فشَرَّف أولئك بذكر أبيهم إسرائيل ، لأنهم أهل كتاب ، ونُسب هؤلاء إلى الجد الأعلى ، وهو آدم ، الذي يشترك في النسبة إليه الناس كلهم ، لشركهم ، وعادة العرب إذا عظَّمت ، نسبت إلى الجد الأقرب والأشهر ، وإذا لم تعظِّم ، نسبت إلى الجد الأبعد والأخفى .

ثم ظهر لي ، أن هذه السورة كالمتممة لسورة الأنعام ، فهي منها بمنزلة سورة آل عمران من البقرة ، ولما كانت العرب تحرِّم نوعاً من المآكل ، ونوعاً من الملبس ، وهو اللباس حالة الطواف ، ذكر في سورة الأنعام الرد عليهم في تحريم المآكل بأطنب عبارة ، وقدّم اهتماماً به ، وذكر في هذه السورة الرد عليهم في تحريم الملبس ، لأنه كالفضلة بالنسبة إلى المآكل ، الذي به قِوام الحياة ، فلذلك أخّر وتخلّص إليه من قصة نزع لباس آدم وحواء ، الذي هو من وسوسة الشيطان ، إشارة إلى أن تحريمهم من اللباس مما لم يحرمه الله ، من وساوس الشيطان ، ولذلك قال بعدُ : (لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما/٢٧) إلى آخره . وقال : (إنه يراكم/٢٧) إلى آخره ، للإشارة إلى أن له غرضاً فيما وسوس إليهم ، من التعرّي حال الطواف ، ليرى هو وقبيله سوآتهم ويسخر منهم . وافتتح هذه الآية بـ(أنزلنا عليكم لباساً/٢٦) ، للإشارة إلى أنه منزل اللباس ، وخالقه ، فلا يرجع في التحريم والتحليل إلا إليه لأنه الخالق المالك ، فلا تصرف لغيره فيما خلقه بإذن ولا منع ، كما افتتح قصة تحريم الأنعام والحرث بأنه الخالق لذلك .

الزملكاني : « أنزلنا لباساً من باب التدريج ، لأنه إنما أنزل المطر ، والنبات



عنه ثم اللباس ، وهذا يسمى مجاز المجاز[1] . وقيل : أنزلنا بمعنى خلقنا ، كقوله[2] : **(وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواجٍ)**[3] ، **(وأنزلنا الحديدَ)**[4] ، **لأن خلق اللّه وفِعله عال في القدر والمنزلة** » . **(وريشاً/٢٦)** . قال[5] الزمخشري : « هو لباس الزينة ، استُعير من ريش الطائر ، لأنه لباسه وزينته ، أي أنزلنا عليكم لِباسين ، لباساً يواري سوآتكم ، وريشاً يزينكم ، لأن الزينة غرض صحيح ، كما قال : **(لِتَركَبوها وَزينةً)**[6] ، **(ولكم فيها جَمَالٌ)**[7] »[8] .

قلت : ويؤيده حديث : (الحمدُ للّهِ الذي كساني من الرياش ، ما أتجمَّل به في الناس)[9] . وقيل : هو ما يستر من لباس ومعيشة[10] ، فيكون مناسباً لقوله :

(ولقد مَكَّنّاكُم في الأرضِ ، وجَعلنا لكم فيها مَعَايِشَ/١٠) . وقرىء **(ورياشاً)**[11] ، وفسّره ابن عباس بالمال[12] . **(ولباسُ التقوى/٢٦)** بالنصب عطفاً ،

---

(١) مجاز المجاز : هو أن تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر ، فتُجَوِّز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما . البرهان للزركشي (٢/٢٩٨) .

(٢) في (أ) : كقولهم .

(٣) الزمـــر (٦) .

(٤) الحـديد (٢٥) .

(٥) في (أ) : قاله .

(٦) النحـل (٨) .

(٧) النحـل (٦) .

(٨) الكشـاف (٢/٧٤) .

(٩) رواه الإمام أحمد عن علي مرفوعاً ، ولفظه : (الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس ، وأواري به عورتي) . المسند (١/١٥٦) .

(١٠) ذكر أبو حيان أن أكثر أهل اللغة على هذا القول . البحر (٤/٢٨٢) ، وانظر معاني القرآن للزجاج (٢/٣٦٢) .

(١١) عن الحسن ، وزر بن حبيش ، وعاصم - في رواية - وابن عباس ، ومجاهد وآخرين . البحر (٤/٢٨٢) ، والمحرر (٥/٤٧١) ، وابن خالويه (٤٢) .

(١٢) زاد المسير (٣/١٨٢) .



والرفع[1] مبتدأ ، خبره ما بعده ، ثم قيل : المراد بالتقوى اتقاء الحرب ، ولباسه : الدرع والمغفر ، ونحو ذلك فتكون الآية جامعة لأنواع الملابس الثلاثة ، وذُكرت على سبيل الترقي ، ونظيره **(سرابيلَ تقيكم الحرَّ ، وسرابيلَ تقيكم بَأسَكُم)**[2] . وقيل : التقوى على ظاهرها من تقوى الله ، ولباسها ؛ قيل : ما خشُن من اللباس ، وقيل : ساتر العورة ، وفيهما تكرار ، وقيل : ما ادّخره في الآخرة ، وقيل : العفة والعمل الصالح ، وقيل : ما يحدث عنها من حسن السمت والسكينة والخشوع[3] ، وهو الأنسب فتكون هذه الآية في جمعها اللباسين ، نظير آية **(وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى ، واتقونِ)**[4] في جمعها الزادين . وقرىء **(ولبُوسُ التقوى)** ، وقرىء **(ولباس التقوى خيرٌ)** بإسقاط **(ذلك)**[5] ، والإشارة به للقريب تعظيماً ، على قراءة الرفع ، وبذلك الثانية للمجموع على بابها . وفي **(لعلهم يَذَّكَّرُون/٢٦)** التفات عن الخطاب . **(يا بني آدمَ/٢٧)** فيه التفات عن الغيبة . **(لا يفتننكم الشيطان/٢٧)** صورته نهي الشيطان ، والمقصود نهيهم أنفسهم عن الإصغاء إليه ، والطواعية لأمره ، على حدّ قول العرب : لا أرينَّك هنا ، صورته نهي المتكلم نفسه عن الرؤية ، ومعناه نهي المخاطب عن الإقامة بحيث يراه ، وقريب منه : **(فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مُسلِمُونَ)**[6] وقرىء بضم الياء ، من أَفْتَنَ . وقرىء **(لا يَفْتِنْكم)**[7] بغير نون تأكيد . **(كما)** في محل نصب ، أي فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم .

(١) قراءة النصب هي قراءة نافع، وابن عامر، والكسائي ، وأما قراءة الرفع ، فهي قراءة البقية . حجة القراءات (٨٠) والبحر (٤/٢٨٢ - ٢٨٣) .

(٢) النحل (٨١) .

(٣) انظر في هذه الأقوال وغيرها : زاد المسير (٣/١٨٣) ، والمحرر (٥/٤٧٣) ، والبحر (٤/٢٨٣) ولعل الأحسن هنا أن يجعل ذلك عاماً ، فكل ما يحصل به الاتقاء المشروع ، فهو من لباس التقوى ، وهذا هو توجيه أبي حيان في البحر (٤/٢٨٣) ، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٠٧) .

(٤) البقرة (١٩٧) .

(٥) هذه قراءة عبد الله ، والقراءة السابقة هي قراءة سكن النحوي . البحر (٤/٢٨٣) ، وابن خالويه (٤٣) .

(٦) البقرة (١٣٢) .

(٧) عن زيد بن علي ، والقراءة السابقة عن يحيى ، وإبراهيم . البحر (٤/٢٨٣) ، وابن خالويه (٤٣) .



(ينزِع/٢٧) حكاية حال ماضية ، وفيه الإسناد إلى السبب . (إنه/٢٧) تعليل للنهي ، وتحذير من فتنته ، وضميره للشيطان . وقال الزمخشري : « للشأن »[١] . (وقبيلُه/٢٧) عطف على الضمير المستتر في (يراكم/٢٧) ، وقرىء بالنصب[٢] ، عطفاً على اسم إن . وقيل : مفعول معه[٣] . (لا ترونهم/٢٧) قرىء (لا ترونه)[٤] إعادة له على الشيطان وحده ، لأنه رأسهم ، وهم[٥] تَبَعٌ له ، أو عليه وعليهم ، إجراءً للضمير مجرى اسم الإشارة. (وإذا فَعلوا فاحشةً/٢٨) كطوافهم[٦] عراة ، لأن الآية نزلت في ذلك[٧] ، وهو المقصود الذي سيق له الكلام ، ونكّر في سياق الشرط ، ليعُمّ ، لأن ذلك كان شأنهم في كل فاحشة كالشرك ، وتحريم البحائر ، والسوائب[٨] ، وما شابه ذلك. وفي (فعلوا/٢٨) التفات عن الخطاب ، وقال ابن عطية : « وإذا فعلوا وما بعده داخل في صلة الذين لا يؤمنون »[٩] وهو وجه حسن في الربط . (قل إن الله/٢٨) إلى آخره ، ردّ عليهم نسبتهم ذلك إلى الله ، دون تقليد آبائهم ، لظهور بطلانه لكل أحد . (قُل أَمَر ربي بالقِسطِ/٢٩) هذا يعارضه قولهم : (واللّهُ أمرنا بها/٢٨). (وأَقِيمُوا/٢٩) عطف على ما قبله ، لأنه في تقدير : قل أقسطوا . وقيل : على مقدر ، أي فاقبلوا[١٠] . وإقامة الوجه عند كل مسجد ،

---

(١) الكشاف (٢/٧٥) .

(٢) قرأها اليزيدي ، البحر (٤/٢٨٤) ، وابن خالويه (٤٣) .

(٣) البحر (٤/٨٢٥) ، وقد ذكر السمين الوجهين المذكورين هنا وقال عن الأول إنه هو الظاهر . الدر المصون (٥/٢٩٣) .

(٤) البحر (٤/٢٨٥) ، الدر المصون (٥/٢٩٤) دون نسبة .

(٥) في (أ) : وهو .

(٦) في (أ) : كطوف .

(٧) انظر زاد المسير (٣/١٨٤) .

(٨) البحائر : جمع بحيرة ، وهي التي يمنع درّها للطواغيت ، فلا يحتلبها أحد من الناس . والسوائب : جمع سائبة ، وهي التي يسيبونها لآلهتهم . انظر الجامع للقرطبي (٦/٣٣٥ - ٣٣٦) ، والسيرة النبوية لابن هشام (١/٩١) .

(٩) المحرر (٥/٤٧٧) .

(١٠) انظر الكشاف (٢/٧٥) ، والبحر (٤/٢٨٧) ، والدر المصون (٥/٢٩٥ - ٢٩٦) .



كناية عن الإخلاص لله عند كل صلاة ، مثل : **(وجّهت وجهي)** [1] وإطلاق المسجد على الصلاة مجاز ، من إطلاق المحل على الحال . **(كما بدأكم تعودون/٢٩)** إعلام بالبعث . الزمخشري : « احتجَّ عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق ، والمعنى : يعيدكم ، فيجازيكم على أعمالكم ، فأخلصوا له العبادة »[2] . **(فريقاً هدى ، وفريقاً حقّ عليهم الضلالةُ/٣)** تفصيل للخلق في الابتداء والإعادة ، وإعلام بأن من كتب له السعادة والإيمان ، أو الشقاء والكفر في الدنيا هم أهل ذلك في الآخرة ، لا يتبدل شيء مما أحكمه ، فـ**(فريقاً)** حال ، و**(هدى/٣٠)** صفته ، ويؤيد ذلك قراءة أُبيّ **(تعودون فريقين ، فريقاً هدى)**[3] إلى آخره ، وبذلك يُعرف وجه تقديم **(فريقاً)** ، ويسقط سؤال : أن تقديم المفعول يُؤذن بالاختصاص ، لانتفاء كونه مفعولاً ، وجاء إسناد الهدى إلى الله . ولم يجيء مقابله : وفريقاً أضلّ ، لأن المساق مساق من نُهي عن أن يفتنه الشيطان ، وإخبار أن الشياطين أولياء الذين لا يؤمنون ، وأن الله لا يأمر بالفحشاء ، فناسب هذا المساق ألا يسند إليه تعالى الضلال صريحاً ، مع أنه أُشير إليه بلفظ **(حقّ عليهم/٣٠)** .

الزركشي[4] في البرهان : « قال هنا: **(حقّ عليهم الضلالة/٣٠)** ، وفي النحل : **(ومنهم من حقّت عليه الضلالة/٣٦)** بالتأنيث ، لوجهين ؛ لفظي : وهو كثرة حروف الفاصل في آية الأعراف ، والحذف مع كثرة الحواجز أكثر[5] ،

---

(١) الأنعام (٧٩) .

(٢) الكشاف (٢/٧٥ - ٧٦) .

(٣) البحر (٤/٢٨٨) ، والمحرر (٥/٤٨٠) .

(٤) هو بدر الدين ، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، تفقه بمذهب الشافعي ، وحفظ كتاب «المنهاج» في الفروع للنووي ، وصار يعرف بالمنهاجي ، كان منقطعاً إلى الاشتغال بالعلم ، من مؤلفاته : « البرهان في علوم القرآن » ، و« البحر المحيط » في أصول الفقه ، توفي سنة ٧٩٤هـ .
حسن المحاضرة (١/١٨٥ - ١٨٦) ، والدرر الكامنة (٣/٣٩٧ - ٣٩٨) ، وشذرات الذهب (٦/٣٣٥) .

(٥) في البرهان : « أحسن » .



ومعنوي ، وهو أن (من) في قوله: (من حقَّت) ، راجعة إلَىٰ الجماعة ، وهي مؤنثة لفظاً ، بدليل : (ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً/٣٦) ، ثم قال : (ومنهم من حقَّت/٣٦) أي من تلك الأمم ، ولو قال : ضلّت ، لتعيّنت التاء ، والكلامان واحد ، وإذا كان معناهما واحداً ، كان إثبات التاء أحسن من تركها ، لأنها ثابتة فيما هو من معناه[1] ، وأما (فريقاً هدى/٣٠) الآية ، فالفريق مذكَّر ، ولو قال : فريق ضلُّوا ، لكان بغير تاء ، وقوله: (حقَّ عليهم الضلالة/٣٠) في معناه ، فجاء بغير تاء . وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب ، أن يدعوا حكم اللفظ الواجب في قياس لغتهم إذا كان في مركَّبه كلمة لا يجب لها ذلك الحكم »[2]، انتهى . (إنهم) تعليل لكون الضلالة حقَّت عليهم . وقرىء بفتح الهمزة[3]، وهو أصرح في التعليل. (يا بني آدم خُذوا/٣٧) فيه التفات عن الغيبة . وبُدىء باللباس قبل الأكل والشرب ، لأن مساق الكلام فيه ، فهو أهم ، وهذه الآية من أعظم آي القرآن إيجازاً ، قال بعضهم : « جمع الله الحكمة في شطر آية : (وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا/٣١) ». وفي العجائب[4] للكرماني : « قال طبيب نصراني لعلي بن الحسين[5] : « ليس في كتابكم من علم الطب شيء ، والعلم علمان ، علم الأديان ، وعلم الأبدان . فقال له علي : جمع الله الطب في نصف آية من كتابه : (وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا)، فقال الطبيب : ما ترك كتابكم لجالينوس[6] طباً » .

وقال بعض العلماء : « جمعت هذه الآية أحوال الأحكام :

الأمر بقوله : (خذوا زينتكم عند كل مسجدٍ) ، والإباحة بقوله: (وكلوا واشربوا) ،

---

(١) في البرهان : « من معنى الكلام المتأخر » .

(٢) البرهان (٣/٣٦٩) .

(٣) قرأها العباس بن الفضل وسهل بن شعيب وعيسى بن عمر . البحر (٤/٢٨٨ - ٢٨٩) .

(٤) العجائب (١/٤٠٢) بتصرف .

(٥) لعله الذي سبقت ترجمته في (ص ٦٥٢) .

(٦) وهو طبيب يوناني ، أتم دراسته في اليونان والاسكندرية ، ثم أقام بروما ، له (٥٠٠) مؤلف في الطب والفلسفة . توفي حوالي ٢٠٠م . الموسوعة الثقافية (٣٣٢) .



والنهي بقـولـه : (ولا تُسرفوا) ، والخبر بقوله: (إنه لا يحب المسرفين). (قل من حرَّم/٣٢) استفهام إنكار وتوبيخ للمجرمين . وقدّم إنكار تحريم الزينة على تحريم المآكل ، لأنه مقصد السورة . قال أبوحيان: « وإذا كان الاستفهام متضمناً للإنكار، فلا جواب له »[1]. وقرىء (قل هي لمن آمن)[2]. (في الحياة/٣٢) قيل : متعلق بـ(آمنوا/٣٢) فيكون مقصد الآية الإخبار بأنها في الآخرة لمن آمن في الدنيا. وقيل: خبر هي ، فتكون كائنة لهم في الدنيا ، مشوبة بالنقص ، أو بالمشاركة ، وخالصة لهم في الآخرة[3] ، و(خالصةً/٣٢) بالرفع خبر ، وبالنصب[4] حال ، وعلى التأويل الثـاني ، قال الكرماني : « التقدير : هي للمؤمنين والكافرين في الدنيا ، خالصة للمؤمنين يوم القيامة ، لا يشاركون فيها »[5].

قال الزمخشري : « التقدير : غير خالصة للذين آمنوا في الدنيا ، خالصة لهم يوم القيامة »[6]. قال التبريزي : « وإنما ترك ذكر الكافرين إشارة إلى أنها في الدنيا -بـطريق الأصـالـة والاستحقـاق- للمؤمنـين ، وأن الكفـار[7] فيها بطريق التبع لهم »[8] . (قل إنما حرَّم ربي/٣٣) الآية ، لما أبطل ما ادَّعوه من التحريم ، ونسبوه إلى الله ، أخذ يبيِّن ما حرَّم[9] الله معارضة ، فهو في مقابلة ما تقدم ، نظير : (قل تعالوا أتلُ ما حرم)[10]، في مقابلة ما متقدمه من تحريم الأنعام والحرث. (ما ظهر

(١) البحر (٢٩١/٤) .
(٢) قرأها قتادة ، البحر (٢٩١/٤) .
(٣) انظر الإملاء (٢٧٢/١) ، والبحر (٢٩١/٤) ، والدر المصون (٣٠١/٥ - ٣٠٢) .
(٤) قراءة الرفع هي قراءة نافع ، وقراءة النصب هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٨١) .
(٥) البحـر (٢٩١/٤) .
(٦) الكشـاف (٧٦/٢) .
(٧) في (أ) : الكافـر .
(٨) البحـر (٢٩١/٤) .
(٩) في (ب) : حرمـه .
(١٠) الأنعـام (١٥١) .

منها وما بطن/٣٣) قال التبريزي : « هو طوافهم عراة بالنهار وبالليل »[١] ، وهو وإن كان مناسباً للمقام ، لكن مع إرادة العموم الشامل لذلك ولغيره ، على حد ما تقدم في قوله: (**وذروا ظاهر الإثم وباطنه/١٢٠**). (**والإثم/٣٣**) عام في الأفعال والأقوال التي يترتب عليها الإثم . (**والبغي/٣٣**) شامل للظلم والكبر ، وإفراده بالذِّكر اهتماماً لشأنه . (**بغير الحق/٣٧**) بيان للواقع ، إذ ما كان بحق ، لا يسمى بغياً . (**وأن تشركوا بالله ما لم يُنَزِّل به سلطاناً/٣٣**) قال الزمخشري : « فيه تهكُّم ، لأنه لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره »[٢]. (**وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون/٣٣**) شامل لتحريم ما لم يحرم وغيره . (**ولكل أمةٍ أجلٌ/٣٤**) هذا وعيد لأهل مكة بحلول العذاب في أجل معلوم عند الله ، كما نزل بالأمم قبلهم. (**فإذا جاء أجلهم/٣٤**) قرىء (**آجالهم**)[٣]، الكرماني : « دخلت الفاء في (**فإذا**) ، لأنها جملة عطفت على جملة بينهما اتصال وتعقيب ، وحُذفت في يونس[٤]، لأن التقدير فيها : لكل أمة أجل فلا يستأخرون إذا جاء أجلهم »[٥]. وقال صاحب المناجاة : « أُقيم هنا (**لكل أمة أجل/٣٤**) مقام الشرط ، و(**فإذا جاء/٣٤**) مقام الجزاء ، وهناك (**إذا جاء/٤٩**) شرط ، و(**فلا يستأخرون/٤٩**) جزاؤه » ، قال : « أو يقال : جعل (**فإذا جاء**) هنا كالنتيجة لما قبله فقُرِن بالفاء » .

قلت : هو معنى ما قاله الكرماني هنا[٦]، وفي يونس من جعل ما هناك على التقديم والتأخير ، وأن (**فلا يستأخرون/٤٩**) حينئذ هو النتيجة . (**لا يستأخرون ساعةً/٣٤**) خصّها لأنها أقل الأوقات . (**ولا يستقدمون/٣٤**) قيل : لا يتصوّر

---

(١) في البحر (١٩٢/٤) : « (ما ظهر منها) طواف الرجل بالنهار عرياناً ، و(ما بطن) طوافها بالليل عارية » .

(٢) الكشـاف (٧٧/٢) .

(٣) عن الحسن وابن سيرين ، البحر (٢٩٣/٤) .

(٤) الآية (٤٩) من يونس .

(٥) أسرار التكرار (٨٠ ، ١٣٠) ، والبرهان (١٧٦) .

(٦)



التقديم بعد مجيء الأجل ، وأُجيب بتأويل جاء بمعنى قَرُب مجيئه . وقال أبوحيان: « وهو منقطع من الجواب على سبيل الاستئناف ، أي وهم لا يستقدمون الأجل قبل مجيئه »[1] ، وبهذا يسقط سؤال صاحب المناجاة : لِم قدّم الاستئخار مع أن الاستقدام مقدَّم ، وتمحّله في توجيهه . ﴿يا بني آدم إما يأتينكم رُسُلٌ/٣٥﴾ قيل : هذا الخطاب في الأزل ، وقيل : مراعىً به وقت الإنـزال ، وجاء بصورة الاستقبال ، لتقوية الإشارة إلى صحة نبوة محمد-ﷺ-[2] » .

وعندي أنه الذي خُوطب به آدم في قوله : ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً ، فإما يأتينكم مني هدىً/٣٨﴾[3] » الآيتين ، وهي حالة[4] وسطى ، لا في الإنزال ، ولا وقت الإنزال ، ويقوِّيه ذكره عقب قصة آدم ، وأن[5] يوافق الموضعين أولى ، وإنما خلَّل بينه وبين ﴿اهبطوا/٣٨﴾ هنا ، لقصة اللباس التي هي من مقاصد السورة ، وحسن التخلص إليها ، من نزع لباس آدم وحواء ، ولذلك أعاده في أثناء القصة .

فإن قلت : فما وجه النظم حينئذٍ ؟ .

قلت : هو على تقدير : قال ، معنىً ، عطفاً على : قال اهبطوا قال فيها تحيون ، وتُرِك لطول الفصل ، ولمناسقة النداء في الآيات السابقة .

وفي الآيتين احتباك ، على حدّ ما تقدم في سورة البقرة ، وقابل التقوى بالتكذيب والإصلاح بالاستكبار . وقرىء ﴿تـأتِيَنَّكم/٣٥﴾[6] بالتـأنيث للجماعـة ، وحمل ﴿يقصّون/٣٥﴾ على المعنى . وفي ﴿بآياتنا/٣٦﴾ بعد ﴿آياتي/٣٥﴾ شبه التفات .

ولما ذكر المكذبين بآياته ، عقَّب بمن افترى عليه كذباً ، ليشمل من نُسب إليه

---

(١) البحـر (٤/٢٩٣) .

(٢) انظر البحر (٤/٢٩٣) .

(٣) البقـرة (٣٨) .

(٤) في (أ) : خالصة .

(٥) في (أ) : وأمـا .

(٦) قرأها أبيّ ، والأعرج ، البحـر (٤/٢٩٤) .



تحريم ما لم يحرّم ، فناسب اتصاله بما تقدم ، فقال : **(فمن أظلم ممن افترى على الله/٣٧)** فيه التفات عن التكلم. **(رُسُلُنا/٣٧)** فيه التفات عن الغيبة . **(أين ما كنتم تَدعُون/٣٧)** سألوا عن مكانهم ، فأجابوا بالفعل ، حيث قالوا: **(ضلّوا عنا/٣٧)** وهو مطابق من جهة المعنى ، لا اللفظ ، لأنه في تقدير : ما فعل معبودكم . **(قال)** فيه التفات عن التكلم ، وفيه إيقاع الماضي موقع المستقبل ، لتحقيق وقوعه . **(من الجن/٣٨)** قدَّمهم على الإنس ، لأنهم الأصل في الإغواء والإضلال. و**(في)** الأولى[1] للمصاحبة ، والثانية[2] للظرفية . **(ادَّاركُوا/٣٨)** أصله **(تداركوا)** ، وقرىء به ، وقرىء **(ادّركوا)** ، والأصل : ادتركوا ، بوزن افتعلوا ، وقرىء **(أدْركوا)** بوزن أكْرَموا ، أي أدرك بعضهم بعضاً ، وقرىء **(أُدرِكوا)** بضم أوله ، وكسر الراء[3] أي أُدخِلوا في أدراكها . **(قالت أُخراهم لأُولاهم/٣٨)** هي لام التبليغ أي قالوا عنهم ، وفي شأنهم ، لأن خطابهم مع الله ، لا معهم . **(ولكن لا تعلمون/٣٨)** بالفوقية خطاب للسائلين ، أو لأهل الدنيا[4] . وبالتحتية[5] إخبار[6] عن الأمة **(فما كان/٣٩)** قال الزمخشري : « عطفوا هذا الكلام على قول الله للسَّفَلة **(لكلٍ ضعفٌ/٣٨)** »[7] . **(فذوقوا العذاب/٣٩)** قيل : من تتمة كلامهم . وقيل : خطاب من الله للجميع[8] . **(إن الذين كذبوا/٤٠)** الآية ، لما تقدم ذكر من كذّب واستكبر مقروناً بالوعيد بالنار ، أُعيد

---

(١) أي في قوله : (في أمم) (٣٨) .

(٢) وهي في قوله : (في النار) (٣٨) .

(٣) القراءة الأولى قرأها ابن مسعود ، والأعمش ، ورويت عن أبي عمرو. والقراءة الثانية ، ذكرها مكي عن مجاهد . والقراءة الثالثة هي قراءة مجاهد أيضاً . والقراءة الرابعة هي قراءة حميد . البحر (٢٩٦/٤) .

(٤) انظر زاد المسير (١٩٥/٣) ، والبحر (٢٩٦/٤) .

(٥) قرأها أبو بكر ، والمفضل عن عاصم ، البحر (٢٩٦/٤) .

(٦) في (أ) : إخباراً .

(٧) الكشاف (٧٨/٢) .

(٨) انظر البحر (٢٩٧/٤) .



ذِكره مقروناً بالوعيد بما يلقاه عقب مفارقة الروح الجسد ، وضم إليه ما يلقاه في الآخرة ، مبالغة في التأكيد ، وزيادة في التحذير . وفي (يآياتنا/٤٠) التفات (لا تُفَتَّحُ/٤٠) بالتخفيف والتشديد[١] . وقرىء بفتح أوله ، والتشديد[٢] . (ولا يدخلون الجنة حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياط/٤٠) هذا نفي مُغَيًّا بمستحيل ، ويسمى في البديع المناقضة[٣] ، والمعنى : لا يدخلون الجنة أبداً ، ونظيره قول الشاعر :

إذا ما شبت أو شاب الغراب[٤] .

وذكر الجمل ، لأنه أعظم الحيوان جثة بالنسبة إلى ما تعرفه العرب . وسمّ الخياط لأنه يضرب به المثل في ضيق المسلك . وقرىء (الجمل) بضم الجيم وتشديد الميم المفتوحة[٥] ، وهو الحبل الغليظ ، وقرىء بضم الجيم وتخفيف الميم[٦] ، وبضمها وسكون الميم[٧] ، وبفتحها وسكون الميم[٨] ، وكلها بمعنى الحبل الغليظ . والقراءة (سمّ/٤٠) بفتح السين ، وقرىء بكسرها ، وضمها[٩] . وقرىء (المخيط) بكسر

(١) قراءتها بالتاء والتخفيف هي قراءة أبي عمرو ، وقراءتها بالياء والتخفيف هي قراءة حمزة ، والكسائي ، وأما الباقون فقد قرؤوا بالتاء والتشديد . حجة القراءات (٢٨٢) .

(٢) قرأ بذلك أبو حيوة ، وأبو البرهسم ، البحر (٢٩٧/٤) .

(٣) المناقضة تعني : تعليق الشرط على نقيضين : ممكن ومستحيل ، ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق على عدم وقوع المشروط . بديع القرآن لابن أبي الإصبع (٣٢٣) .

(٤) وصدر البيت : وأنك سوف تحلم أو تناهي . . وهو للنابغة الذبياني . المرجع السابق ، والصناعتين (٣٥٨) ، وأمالي المرتضى (٥٥/١) .

(٥) قرأها ابن عباس ، ومجاهد ، وابن يعمر ، وأبومجلز ، والشعبي ، ومالك بن الشخير ، وأبو رجاء ، وأبو رزين ، وابن محيصن ، وإبان عن عاصم . البحر (٢٩٧/٤) .

(٦) مع فتحها ، وقد قرأ بذلك ابن عباس أيضاً في رواية مجاهد ، وابن جبير ، وقتادة ، وسالم الأفطس . البحر (٢٩٧/٤) .

(٧) قرأها عكرمة ، وابن جبير ، البحر (٢٩٧/٤) .

(٨) قرأها المتوكل ، وأبو الجوزاء . البحر (٢٩٧/٤) .

(٩) قراءة الضم هي قراءة عبد الله ، وقتادة ، وأبو رزين ، وابن مصرف ، وطلحة . وقراءة الكسر هي قراءة أبي عمران الحوفي ، وأبي نهيك ، والأصمعي عن نافع . البحر (٢٩٧/٤) . وقراءة الفتح هي قراءة ابن مسعود ، المحرر (٥٠٣/٥) .



الميم ، وسكون الخاء ، وفتح الياء ، وقرىء كذلك بفتح الميم[1] . **(وكذلك نجزي المجرمين/٤٠)** قال الزمخشري : « فيه إيذان بأن الإجرام هو السبب للعقاب ، ثم قال : **(وكذلك نجزي الظالمين/٤١)** ، لأن كل مجرم ظالم لنفسه »[2] . **(لهم من جهنم مهادٌ/٤١)** ، أي فراش . **(ومن فوقهم غواشٍ/٤١)** أي لحاف . قيل : هو استعارة لإحاطة النار بهم من كل جانب[3] ، ويجوز حمله على الحقيقة ، كقوله : **(قُطِّعَت لهم ثيابٌ من نارٍ)**[4] ، وعلى الأول فيه تجريد ، على حدّ : لي من فلان صديق حميم . وقرىء **(غواشُ/٤١)** بالرفع[5] .

ولما أخبر بوعيد الكفار ، عقَّب بوعيد المؤمنين ، كما هو عادة القرآن ، فقال : **(والذين آمنوا وعملوا الصالحات/٤٢)** وهو مبتدأ خبره **(أولئك/٤٢)** ، وجملة **(لا نُكَلِّف/٤٢)** إلى آخره معترضة ، وفائدتها أنه لما ذكر : **(وعملوا الصالحات)** ، نبّه على أنهم لا يكلفون من العلم ما هو خارج عن وسعهم وطاقتهم ، رفقاً بالمؤمنين وإعلاماً للكافرين أن الجنة -مع عِظمها- تُنال بالعمل السهل ، بلا مشقة .

وقرىء **(لا تكلفّ نفس)**[6] . **(وما كنا)** قرأ ابن عامر بإسقاط الواو[7] ، على أنها جملة موضحة للأولى . **(تلكُمُ الجنةُ/٤٣)** أُشير بها دون « هذه » -مع قربها- للتعظيم . **(ما وَعَدَنا/٤٤)** صرّح هنا بذكر المفعول ، لأن أهل الجنة مستبشرون بذكر موعودهم فذكروه مضافاً إليهم ، ولم يصرّح به في قوله : **(وما وَعَدَ ربكم/٤٤)** بأن يقال : وعدكم ليشمل كل موعود من عذاب أهل النار ، ونعيم أهل الجنة ،

(١) هذه قراءة طلحة ، والتي قبلها قراءة عبد الله ، وأبي رزين ، وأبي مجلز . البحر (٤/٢٩٧ - ٢٩٨) .
(٢) الكشاف (٢/٧٩) .
(٣) هذا قول أبي حيان ، والقول السابق رواه ابن الجوزي عن ابن عباس ، والقرظي ، وابن زيد ، والضحاك ، والسدي . البحر (٤/٢٩٨) ، وزاد المسير (٣/١٩٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/٢١٤) .
(٤) الحج (١٩) .
(٥) عن أبي رجاء ، ابن خالويه (٤٣) .
(٦) عن الأعمش ، البحر (٤/٢٩٨) .
(٧) البحر (٤/٢٩٩) .



وتكون إجابتهم بنعم تصديقاً لما وعد الله به الصنفين . **(نعم)** بفتح العين وكسرها[(١)] ، **(أن لَعنةُ اللّهِ/٤٤)** بتخفيف **(أن)** ، وتشديدها[(٢)] ، وقرىء بكسرها مشددة[(٣)] . **(الذين يصُدُّونَ/٤٥)** قال ابن الزملكاني : « هو مستأنف لبيان وصفهم ، لا جار على الظالمين ، لأنهم لم يكن ليقال لهم في الآخرة : **(وهم بالآخرة كافرون/٤٥)** » .

الكرماني : « ما هنا على القياس ، وتقديره : وهم كافرون بالآخرة ، وقدّم لمراعاة الفاصلة ، وفي هود لما تقدم : **(أهؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين)**[(٤)] ولم . يقل : « عليهم » [والقياس ذلك ، ولو قال][(٥)]، لا لتبس هم وغيرهم ، فقال: **(وهم بالآخرة هم كافرون/١٨)** ، ليعلم أنهم هم المذكورون ، لا غيرهم[(٦)] ، وليس هم فيه للتأكيد[(٧)] ، كما زعم بعضهم »[(٨)] ، انتهى . **(وبينهما)** قيل : بين الفريقين ، ففيه تغيير الأسلوب من قوله: **(بينهم)** ، وقيل : بين الجنة والنار[(٩)][(١٠)]. **(وهم يطمعون/٤٦)** قرىء **(وهم طامعون)** ،

---

(١) قراءة الكسر هي قراءة الكسائي ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٨٢ - ٢٨٣) .
(٢) قراءة التخفيف ، هي قراءة نافع ، وعاصم ، وأبي عمرو ، والقواس عن ابن كثير . وقراءة التشديد ، هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٨٣) .
(٣) هذه قراءة عصمة عن الأعمش ، البحر (٣٠١/٤) .
(٤) هود (١٨) .
(٦) ما بين القوسين أضفته من أسرار التكرار (٨١) .
(٥) في (أ) : لغيرهم .
(٧) في (أ) : تأكيد .
(٨) أسرار التكرار (٨١) .
(٩) في (أ) : والنهار .
(١٠) هذا قول ابن الجوزي ، والقرطبي ، وبه بدأ الزمخشري ، وابن عطية ، وابن كثير ، والقول السابق هو ما استظهره أبو حيان ، والسمين . زاد المسير (٢٠٤/٣) ، والجامع (٢١١/٧) ، والكشاف (٨١/٢) ، والمحرر (٥١٢/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٢١٦/٢) ، والبحر (٣٠١/٤) ، والدر المصون (٣٢٨/٥) .



وقرىء : (وهم ساخطون)[1] . (وإذا صُرِفَت أبصارهم/٤٧) فيه دليل على أن أكثر أحوالهم النظر إلى أهل الجنة ، وأن نظرهم إلى أهل النار إنما يكون بأن تُصرف أبصارهم نحوهم . وقرىء (وإذا قُلِبَتْ)[2] . (ربنا) دعوا به ، لأنه يناسب الرحمة والاستعطاف . (ما أغنى) استفهام توبيخ وتقريع . وقيل : (ما) نافية[3] . (تستكبرون) قرىء بالمثلثة[4] ، من الكثرة . (أهؤلاء) هو من جملة قولهم . والإشارة لأهل الجنة قاله الزمخشري[5] . و(أُدخِلوا) على قراءة الماضي المبني للمفعول واضحة ، وكذا ما قرىء (دَخَلوا)[6] . (ولا خوفٌ عليهم) بتقدير : مقولاً لهم ، وعلى قراءة الأمر ، بتقدير : قيل لهم ، وكذا ما قرىء : (أَدْخِلوا)[7] بوزن أَكْرِمُوا ، أي أنفسكم . وقال الزملكاني : «تمّ نداء أصحاب الأعراف عند قوله : (يستكبرون) ، ثم ابتدأ خبراً عن نفسه ، فقال -يخاطب أهل النار- : (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالُهُمُ اللّهَ برحمةٍ) ، يعني أصحاب الأعراف ، ثم عطف عنهم في الخطاب إلى أصحاب الأعراف ، فقال : (ادخلوا الجنة ، لا خوفٌ عليكم/٤٩) ، وهذا من باب العطف والرجوع » ، انتهى . (أفيضوا) أمكن من «اسقونا» ، لأنها تقتضي التوسعة ، كما يقال : أفاض الله عليه نعمه ، أي وسعها . و(أو) على بابها من كونهم سألوا أحد الأمرين . وقيل : بمعنى الواو ، لقوله : (إن الله حرّمهما)[8] ، وتعدّى الإفاضة إلى الرزق ، وهي خاصة بالماء ، على تقدير فعل

---

(١) هذه قراءة إياد بن لقيط ، والقراءة السابقة هي قراءة أبي رقيش النحوي . المحرر (٥/٥١٦) ، والبحر (٤/٣٠٣) .

(٢) قرأها الأعمش ، البحر (٤/٣٠٣) .

(٣) انظر البحر (٤/٣٠٣) . والقول الأول هو ما استصوبه ابن عطية ، واستظهره السمين. المحرر (٥/٥١٧) ، والدر المصون (٥/٣٣١) .

(٤) البحر (٤/٣٠٣) ، والمحرر (٥/٥١٧) دون نسبة .

(٥) الكشاف (٢/٨١) .

(٦) قرأها عكرمة ، والقراءة السابقة عن طلحة ، وابن وثاب ، والنخعي . البحر (٤/٣٠٤) ، وابن خالويه (٤٤) .

(٧) عن الحسن ، وابن سيرين . ابن خالويه (٤٤) ، والدر المصون (٥/٣٣٣) .

(٨) انظر البحر (٤/٣٠٥) ، والدر المصون (٥/٣٣٣ - ٣٣٤) .



يليق به ، أي ألقوا ، من باب :

علّفتُها تِبناً ، وماءً بارداً[1] .

ذكره الزمخشري[2] ، وأبوحيان[3] ، وهو دليل على أن ذلك لا يختصّ بالواو ، كما قيل ، وقوله: (على الكافرين/٥٠) من تمام كلام أهل الجنة ، وقوله: (الذين اتخذوا) إلى آخره استئناف ، من كلام الله تعالى ، ولذلك قال : (ننساهم) بالتكلم وليس فيه التفات غير قوله : (إن الله) ، لأنها ليست من متكلم واحد . وفيه مع (نسوا) مشاكلة ، كقوله : (الله يستهزىء بهم)[4] تسمية للعقوبة باسم الذنب . الكاف تعليلية ، وما الثانية عطف على الأولى . (ولقد جئناهم/٥٢) قال يحيى بن سلام[5] « الضمير لمكذبيّ محمد -ﷺ- وهو ابتداء كلام ، وتمّ الكلام عند قوله: (يجحدون) »[6] . (فصّلناه) أي بيّناه ونوّعناه بالأحكام والمواعظ والقصص والحجج . وقرىء بالضاد المعجمة[7] ، أي على جميع الكتب . قال صاحب التحرير[8] :

« فُضِّل القرآن على سائر الكتب المنزلة بثلاثين خصلة ، لم تكن في غيره »[9] . (على عِلْمٍ) أي عالمين بكيفية تفصيله ، أو أنه أهل للتفصيل ، فيكون حالاً من

---

(١) انظر ص(٦٨٤) من هذه الرسالة .

(٢) الكشاف (٢/٨٢) .

(٣) البحر (٤/٣٠٥) .

(٤) البقرة (١٥) .

(٥) هو يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة ، التيمي بالولاء ، ولد بالكوفة ، ونشأ بالبصرة ، ثم استوطن أفريقيا ، وهو مفسر ، فقيه عالم بالحديث واللغة . توفي سنة ٢٠٠هـ . ميزان الاعتدال (٣/٢٩٠) ، ولسان الميزان (٦/٢٥٩- ٢٦١) ، وفهرست ابن خير (٥٦) ، وغاية النهاية لابن الجزري (٢/٣٧٣) .

(٦) البحر (٤/٣٠٦) .

(٧) قرأ بذلك ابن محيصن ، والجحدري . البحر (٤/٣٠٦) ، وابن خالويه (٤٤) .

(٨) وهو محمد بن سليمان ، المعروف بابن النقيب ، الذي سبقت ترجمته ، واسم كتابه : « التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير » . كشف الظنون (٦/١٣٩) .

(٩) البحر (٤/٣٠٦) .

الفاعل ، أو مشتملاً على علم ، فيكون حالاً من المفعول[1] . (هدىً ورحمةً) حال ، أو مفعول له[2] . وقرىء بالرفع خبر هو[3] ، وبالجر[4] بدل ، أو نعت للكتاب[5] . (قد جاءت رسلُ ربّنا بالحقّ/٥٣) . قال أبوحيان : « فيه حذف ، أي ولم نصدّقهم ، أو لم نتبعهم »[6][7] ، (أَو نُرَدُّ/٥٣) بالرفع من عطف الفعلية على الاسمية . (فنعملَ/٥٣) بالنصب جواب الاستفهام ، أي أو هل نردّ ، وقرىء بنصب الأول ، عطفاً على الجواب ، ورفع الثاني[8] على الاستئناف ، وبرفعهما[9] ، ونصبهما[10] ، عطفاً للثاني على الأول فيهما . (إن ربكم الله/٥٤) فيه التفات عن التكلم . أبوحيان : « لما ذكر بدء خلق الإنسان ، وأمر[11] بنيه وانقسامهم إلى مؤمن وكافر ، وذكر معادهم وحشرهم إلى جنة ونار ، ذكر مبدأ العالم ، واختراعه والتنبيه على الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم والقضاء ، ثم بعد ذلك عاد إلى النبوة والرسالة ، إذ مدار القرآن على تقرير المسائل الأربع :

التوحيد ، والقدرة ، والمعاد ، والنبوة »[12] .

---

(١) وقد جوّز أبو البقاء الوجهين معاً ، والقول الأول هو قول ابن كثير ، وأيده بقوله تعالى : (أنزله بعلمه) . الإملاء (١/٢٧٥ - ٢٧٦) ، وانظر البحر (٤/٣٠٦) ، والدر المصون (٥/٣٣٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/٢١٩ - ٢٢٠) .

(٢) انظر البحر (٤/٣٠٦) . وقد ذهب ابن عطية إلى القول الأول ، وهو قول ابن الأنباري ، وأبي البقاء . المحرر (٥/٥٢٢) ، والبيان (١/٣٦٤) ، والإملاء (١/٢٧٦) .

(٣) قاله أبو البقاء - كما في الإملاء (١/٢٧٦) .

(٤) هذه قراءة زيد بن علي ، والقراءة السابقة ذكرها أبو حيان دون نسبة . البحر (٤/٣٠٦) .

(٥) وهذا تخريج الكسائي ، والفراء . البحر (٤/٣٠٦) ، ومعاني القرآن للفراء (١/٣٨٠) .

(٦) في (أ) : نلعنهم .

(٧) البحر (٤/٣٠٦) .

(٨) هذه قراءة الحسن فيما نقل الزمخشري . الكشاف (٢/٨٢) .

(٩) هي قراءة الحسن ، وعمرو بن عبيد ، ويزيد النحوي . المحرر (٥/٥٢٤) ، والبحر (٤/٣٠٦) ، وابن خالويه (٤٤) .

(١٠) هي قراءة ابن أبي إسحاق ، وأبي حيوة . البحر (٤/٣٠٦) ، وابن خالويه (٤٤) .

(١١) في (أ) : وأمم .

(١٢) البحر (٤/٣٠٧) .

وأقول : قد قدمت أن هذه السورة نظير سورة البقرة ، لما قال: **(اعبدوا ربكم الذي خلقكم/٢١)** ، ذكر بعد خلقهم خلق الأرض والسماء[١] ، ثم بعد آيات ذكر خلق الأرض والسماء ، وتسويتها سبع سموات[٢] ، ذكر قصة خلق آدم[٣] ، فكان بين خلق السماء والأرض ، وخلق البشر ارتباط في الدلالة على القدرة والبعث ، ولذلك قال: **(أَوَ لَمْ يَرَوْا أن الله الذي خلق السموات والأرض ، ولم يَعْيَ بخلقهن ، بقــادرٍ على أن يُحيِيَ المــوتى)**[٤] ، **(لَخلْقُ السمــواتِ والأرضِ أكــبرُ من خلقِ الناس)**[٥] ، كذلك ههنا ، لما ذكر خلق البشر ، أعقبه بخلق السموات والأرض ، وأيضاً فإن هذه السورة مفصّلة لما أجمل من سورة الأنعام ، وقد أجمل في أولها خلق السموات والأرض والظلمات والنور ، ففصّله في هذه الآية ، بأن بيَّن أنه خلقهما في ستة أيام ، وأنه استوى -بعد خلقهما- على العرش ، وأنه سخَّر في السموات : الشمس والقمر والنجوم ، وذكر تغشية الليل والنهار ، وطلبه له حثيثاً[٦] ، ذِكْر بَسْطٍ لما أوجز في مفتتح سورة الأنعام . وقرىء بنصب الجلالة[٧] ، عطف بيان . **(ثم استوى على العرش/٥٤)** فيه تورية مجردة . قال الزمخشري : « لا ترى باباً في البيان أدق ولا ألطف من التورية ، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في القرآن والحديث » ، قال : « فالاستواء له معنيان : الاستقرار في المكان ، وهو معنى قريب مُوَرًّى به غير مقصود ، لتنزيهه تعالى عنه ، والاستيلاء والملك ، وهو معنى بعيد ، وهو المقصود الذي وَرّى عنه بالقريب المذكور ولم يُذْكَر فيها شيء من لوازم المُوَرَّى به ، ولا المورى عليه ، فهي مجردة »[٨] .

(١) وذلك في الآية (٢٢) من البقرة .
(٢) وهو في الآية (٢٩) من البقرة .
(٣) وذلك في الآية (٣٠) من البقرة أيضاً .
(٤) الأحقاف (٣٣) .
(٥) غافـر (٥٧) .
(٦) انظر في ذلك الآية (٥٤) من الأعراف .
(٧) عن بعض المدنيين - كما في ابن خالويه (٤٤) ، ونسبها السمين إلى بكار . الدر المصون (٥/٣٣٨-٣٣٩) .
(٨) لم أجده في الكشـاف .



أبوحيان : « العرش : لفظ مشترك بين الملك والسلطان ، وبين سرير الملك ، ومنه (ورفع أبويه على العرش)[1] ، (نكّروا لها عرشها)[2] ، وبين ما أظلّ وعلا ، ومنه (معروشاتٍ ، وغير معروشاتٍ)[3] ، والسقف ، ومنه (وما كانوا يعرشون)[4] . واستوى يكون بمعنى استقر ، وبمعنى : علا ، وبمعنى : قصد ، ومنه (ثم استوى إلى السماء)[5] ، وبمعنى : استولى[6] .

وقيل : ضمير (استوى) عائد إلى المصدر المفهوم من خلق ، أي استوى خلقه على العرش ، وكذا (الرحمن على العرش استوى)[7] لا يتعين[8] عود ضميره إلى (الرحمن) ، إذ يحتمل أن (الرحمن) خبر مبتدأ محذوف ، ولضمير عائد إلى الخلق المفهوم من قوله : (تنزيلاً ممن خلق الأرض)[9] ، أي هو الرحمن استوى خلقه على العرش ، لأنه تعالى لما ذكر خلق السموات والأرض ، ذكر ما هو أكبر وأعظم وأوسع منها ، وهو العرش »[10]. (يغشي) بالتخفيف والتشديد[11]، والفاعل ضمير الله ، والليل مفعول أول ، والنهار ثان . وقرىء بفتح أوله ، والشين ورفع الليل[12].

---

(١) يوسف (١٠٠) .

(٢) النمل (٤١) .

(٣) الأنعام (١٤١) .

(٤) الأعراف (١٣٧) .

(٥) البقرة (٢٩) .

(٦) انظر زاد المسير (٣/٢١٢ - ٢١٣) . قلت : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب ، فلا نؤل ، ولا نعطل ، ولا نكيف ، ولا نحرف . وانظر تفسير القرآن العظيم (٢/٢٢٠) .

(٧) طه (٥) .

(٨) في (أ) : لا يصير .

(٩) طه (٤) .

(١٠) البحر (٤/٣٠٨) بتصرف ، والدر المصون (٥/٣٤٠) . (قلت) : لا داعي لهذه التأويلات البعيدة عن روح النص .

(١١) قراءة التشديد هي قراءة حمزة ، والكسائي ، وأبي بكر ، وقراءة التخفيف هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٨٤) ، والبحر (٤/٣٠٨ - ٣٠٩) .

(١٢) قرأها حميد بن قيس - كما قال عنه أبو عمرو الداني ، البحر (٤/٣٠٩) .

(يطلبهٍ) حال من الليل ، ونسبة الطلب إليه مجازية ، كنّى به عن معاقبة اللازم له ، فكأنه طالب له لا يدركه ، بل هو في أثره بحيث يكاد يدركه . الإمام[1] : « وصف هذه الحركة بالسرعة والشدة ، لأن تعاقب الليل والنهار يحصل بحركة الفلك الأعظم ، وتلك الحركة أشد الحركات سرعة ، وأكملها شدة حتى إن الباحثين عن أحوال الموجودات قالوا: الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل ، قبل أن يرفع رجله ويضعها ، يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل ، ولذلك قال : (**يطلبه حثيثاً/٥٤**) ، ونظيره : (**لا الشمس ينبغي لها**)[2] الآية ، شبّه ذلك المسير ، وتلك الحركة بالسباحة في الماء ، والمقصود التنبيه على السرعة والسهولة وكمال الاتصال »[3]، انتهى. (**حثيثاً**) صفة مصدر محذوف ، أي طلباً ، أو حال أي حاثّاً ، أو محثوثاً »[4] . (**والشمس**) بالنصب بتقدير : خلق . و(**مسخراتٍ**) حال وبرفع الأربعة[5] على الابتداء والخبر. وقرىء برفع (**والنجوم مسخرات/٥٤**)[6] فقط . ولما تقدم ذكر خلق السموات والأرض ، وقوله: (**بأمره**) ، قال : (**ألا له الخلق والأمر**) أي لإفادة أن كل خلق ، وكل أمر فهو له لا لغيره . ولما صدّر الآية بـ(**إن ربكم الله**) ، جاء آخرها : (**تبارك الله رب العالمين/٥٤**) وهو أعم من إن ربكم ، لأنه ذكر في الآية عوالم كثيرة .

(**ادعو ربكم/٥٥**) في[7] ذكر الرب عند الدعاء المناسبة التي قدمناها غير مرة . (**تضرعاً**) أي ذوي تضرع ، أي تذلل واستكانة . (**وخُفْيَةً**) في مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما ذكر استواءه على العرش المشعر بنهاية العلو ، نهى في هذه

---

(١) في (أ) : الأيام .

(٢) يس (٤٠) .

(٣) التفسير الكبير (١٤/١٢٣) .

(٤) انظر البيان لابن الأنباري (١/٣٦٤ - ٣٦٥) ، والبحر (٤/٣٠٩) ، والدر المصون (٥/٣٤٢).

(٥) قرأها ابن عامر ، حجة القراءات (٢٨٤) .

(٦) قرأها إبان بن ثعلب ، البحر (٤/٣٠٩) .

(٧) في (ب) : من .



الآية عن رفع الصوت بالدعاء ، وأمر بإخفائه ، للإشارة إلى أنه -وإن استوى على العرش- لا يخفى عليه الخفي ، لقربه من عباده بالعلم ، ولهذا ورد في الحديث : (إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً ، تدعون سميعاً قريباً)[1] . وقرىء **(وخِيفةً)**[2] من الخوف . (إنه) قرىء (إن الله)[3] بالإظهار مقام الإضمار . **(لا يحب المعتدين/٥٥)** شامل لجميع وجوه الاعتداء في الدعاء وغيره وهي كثيرة جداً ، وعطف عليه ما يناسبه من بعض أفراده استطراداً ، فقال : **(ولا تفسدوا في الأرض/٥٦)** وهو شامل لجميع أنواع الفساد على كثرتها ، في الأنفس والأموال ، والأنساب ، والعقول ، والأديان ، والمناسبة بين الاعتداء والإفساد ظاهرة . ثم عاد بعد الاستطراد إلى ما كان فيه الكلام ، فقال : **(وادعوه خوفاً وطمعاً)** فأمر بالدعاء أولاً مقترناً بوصفين من أوصاف اللسان ، وثانياً مقترناً بوصفين من أوصاف القلب ، فيه ترقّ من الأدنى إلى الأعلى . وفي الجمع بين الخوف والطمع طباق. **(إن رحمة الله قريبٌ/٥٦)** ذكرّه ، والرحمة مؤنثة ، قيل : لأنها بمعنى الرحم ، والترحم ، أو بمعنى الغفران[4] أو الثواب وقيل : على معنى النسب ، أي ذات قرب . وقيل : على تقدير موصوف مذكّر ، أي شيء قريب . وقيل : إجراء له مجرى فعيل الذي لا يؤنث ، كجريح ، وقتيل ، وقيل : هو من المصادر التي جاءت على فعيل ، كنعيق ، والمصدر لا يؤنث . وقيل : لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي[5] . وقيل : قريب وبعيد إذا استُعملا

---

(١) هذا جزء من حديث رواه البخاري عن أبي موسى قال : « كنا مع النبي -ﷺ- في سفر ، فكنا إذا علونا كبّرنا ، فقال النبي -ﷺ- : (أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، ولكن تدعون سميعاً بصيراً. . . .). البخاري (١٦٢/٧) كتاب الدعوات - باب : الدعاء إذا علا عقبه .

(٢) بكسر الخاء ، وهي قراءة أبي بكر ، البحر (٣١١/٤ ، والسبعة (٢٨٣) .

(٣) قرأها ابن أبي عبلة ، البحر (٣١١/٤) .

(٤) قاله النضر بن شميل ، واختاره الزجاج ، ورجحه النحاس . الدر المصون (٣٤٤/٥) ، ومعاني القرآن للزجاج (٣٨٠/٢) ، إعراب القرآن للنحاس (١٣١/٢) ، وانظر فتح القدير (٢١٣/٢ - ٢١٤) .

(٥) قال الجوهري - كما في البحر (٣١٣/٤) . وتعقبه أبو حيان بقوله : « وهذا ليس بجيد ، إلا مع تقديم الفعل ، أما إذا تأخر ، فلا يجوز إلا التأنيث. . . » البحر (٣١٣/٤) .



في النسب والقرابة أُنّثا ، وفي المسافة والرُّتَب ، جاز فيها التأنيث وعدمه[1] ، كقوله :

عشيّة لا عفراء منك قريبة .... فتدنو ، ولا عفراء منك بعيد[2]

ومنه : (وما يُدريكَ لَعل الساعةَ قريبٌ)[3] . وقيل : لما أُضيفت رحمة إلى الله ، اكتسب اللفظ التذكير[4] . وهذه عشرة أجوبة[5] .

قال ابن جرير : « قوله : (إن رحمةَ الله قريبٌ من المحسنين/٥٦) ، لأنه وقت مفارقة الأرواح الأجساد ، تنالهم الرحمة »[6] . (وهو الذي يُرسلُ/٥٧) لما ذكر تعالى الدلائل على كمال إلٰهيته[7] وقدرته وعلمه من العالم العلوي ، أتبعها بالدلائل من أحوال العالم السفلي ، فذكر الرياح والحساب والمطر والنبات المخرج به ، وانجرّ مع ذلك الدلالة على صحة الحشر والنشر والبعث والقيامة ، فتضمنت هاتان الآيتان أمر المبدأ والمعاد ، وجعل الخبر موصولاً في (إن ربكم الله الذي) ، وفي (وهو الذي) دلالة على كون ذلك معهوداً عند السامع ، مفروغاً من تحقق النسبة فيه ، والعلم به ، فلذا لم يأتِ التركيب « إن ربكم خلق » ، ولا « هو يرسل » .

الكرماني : « قال هنا : (يُرسلُ/٥٧) ، وكذا في الروم[8] ، وفي الفرقان[9] ،

---

(١) هذا قول الفراء في معاني القرآن (١/٣٨١) ، وانظر ردّ الزجاج له في معاني القرآن (٢/٣٨١) ، وانظر تعقيب السمين على الزجاج في الدر المصون (٥/٣٤٦) .

(٢) هكذا في البحر (٤/٣١٣) ، والمحرر (٥/٥٣٤) ، والدر المصون (٥/٣٤٦) ، وزاد المسير (٣/٢١٦) وهو لعروة بن حزام . انظر ديوانه (٥) ، وفيه « قريب » بدلاً من « قريبة » ، وكذا بالخصائص (٢/٤١٢) ، وانظر النكت والعيون (٢/٣٤) ، واللسان (١/٦٦٣) مادة : قرب .

(٣) الشورى (١٧) .

(٤) قاله ابن كثير في تفسيره (٢/٢٢٢) .

(٥) انظر في الأقوال السابقة زاد المسير (٣/٢١٦) ، والبحر (٤/٣١٣) ، والدر المصون (٥/٣٤٤-٣٤٦) .

(٦) جامع البيان (١٢/٤٨٧ - ٤٨٨) مختصراً .

(٧) في (أ) : إرادته ، وما أثبتناه من (ب) ، لأنه الموافق لما في البحر (٤/٣١٦) حيث نقل عنه النص المذكور هنا بقليل من الاختصار .

(٨) الروم (٤٦ ، ٤٨) .

(٩) الفرقان (٤٨) .



وفاطر[1] : (أرسل) بلفظ الماضي ، لأنه هنا ذُكر بعد الخوف والطمع ، وهما يكونان في المستقبل ، فكان (يُرسل) بلفظ المستقبل أنسب »[2] . زاد ابن جماعة : « لما تقدم (**يُغشي/٥٤**) بلفظ المضارع ، ناسبه (**يُرسل/٥٧**) لذلك ، وكذا تقدم (**ادعوا ربكم/٥٥**) ، والدعاء إنما يكون لما يأتي ، وكذا في الروم ، لما تقدم (**ومن آياته أن يُرسلَ الرياحَ/٤٦**) الآية ناسب بعده :

(**الله الذي يُرسل الرياحَ/٤٨**) بالمضارع ، وأما في الفرقان فتقدمه أفعال ماضية ، كقوله : (**مدّ الظل/٤٥**) و(**لجعله/٤٥**) ، (**ثم قبضناه/٤٦**) ، و(**جعل لكم الليل/٤٧**) ، و(**جعل النهار/٤٧**) و(**مرج/٥٣**) ، و(**خلق/٥٤**) ، فناسب ذلك أرسل بلفظ الماضي ، وفي فاطر تقدم (**اذكروا نعمة الله عليكم ، هل من خالقٍ غيرُ الله يرزقكم من السماء/٣**) وهو المطر ، وإنما يذكر بشكر النعم الماضية على زمن الشكر ، فناسب أرسل ماضياً »[3]، وكذا قوله: (**فاطرِ السمواتِ/١**) ، (**جاعلِ الملائكةِ/١**) بمعنى الماضي ، فبنى قوله أرسل عليه ، للمناسبة. (**الرياح**) بالجمع والإفراد[4] . (**نشراً**) بضمتين جمع ناشر ، على النسب ، أي ذات نشر ، خلاف الطي ، وبسكون الشين تخفيفاً[5]، وبفتحتين شذوذاً[6]، اسم جمع ناشر على النسب ، أي ذات نشر وبسكون الشين[7]، مصدر نشر ، خلاف طوى ، أو

(١) فاطر (٩) .
(٢) وبقية كلام الكرماني هو : « وفي الروم قبله : (**ومن آياته أن يرسلَ الرياحَ مُبشراتٍ وليذيقكم من رحمته ، ولتجري الفلك بأمره/٤٦**) ، فجاء بلفظ المستقبل وفقاً لما قبله . ثم قال : « وأما في الفرقان ، فإن قبله : (كيف مد الظل) الآية ، وبعد الآية : (وهو الذي جعل لكم) ، و(مرج) ، و(خلق) ، فكان الماضي أليق به » . أسرار التكرار (٨١) .
(٣) إلى هنا موجود في كشف المعاني (١٥٦ - ١٥٧) .
(٤) قراءة الإفراد هي قراءة ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر ، وقراءة الجمع هي قراءة البقية . المهذب / د. محمد سالم محيسن (٢٤١) .
(٥) قراءة (نشراً) بضمتين ، هي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وقراءتها بسكون الشين ، هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٨٥) .
(٦) قرأ بذلك مسروق فيما حكى عنه ابن جني في المحتسب (١/٢٥٦) .
(٧) أي مع فتح النون ، وهي قراءة حمزة ، والكسائي - كما في حجة القراءات (٢٨٥) .



بمعنى حيي . ومن قرأ بموحدة مضمومة ، وبسكون الشين[1] تخفيفاً من ضمها الذي قرىء به[2]، جمع بشير، كنذير ونذر . وقرىء (بشراً) بفتح الموحدة ، والسكون[3]، مصدر بشر المخفف . وقرىء (بشرى)[4] مصدر مقصور ، كرجعى . (بين يَدَي رحمته/٥٧) استعارة ، لأن (بين يدي) خاص بالأجرام ، والمراد أمام المطر . (سُقناه) فيه التفات ، لما فيه من عظم المنة ، وجليل النعمة . (لبلدٍ/٥٧) قال الزمخشري : « اللام للعلة »[5] وقال أبوحيان: « للتبليغ »[6] . (ميِّت) وصف البلد به استعارة لجدبه ، وعدم نباته فكأنه لعدم الانتفاع به كالجسد الذي لا روح فيه . أبوحيان : « لما كان ذلك موضع قرب رحمة الله ، وإظهار إحسانه ، ذكر أخصّ الأرض ، وهو البلد حيث مجتمع[7] الناس ، ومكان استقرارهم ، ولما كان المقصد في يس إظهار الآيات العظيمة الدالة على البعث ، جاء التركيب باللفظ العام ، وهو: (وآيةٌ لهم الأرض الميتة ، أحييناها/٣٣) »[8] .

قلت : وظهر من هنا ، وجه آخر في ارتباط هذه الآية لما قبلها ، وهو أنه تعالى لما أمر بالدعاء ، ووعد بقرب رحمته ، عقَّب بذكر إرسال الرياح بين يدي المطر ، وذكره باسم الرحمة ، لمناسبة ارتباطه بذكر الرحمة ، وقربها في آخر الآية قبلها . (فأنزلنا به) الباء ظرفية ، والهاء للبلد ، أو سببية ، والهاء للماء[9]، ففيه عدول عن

---

(١) وهي قراءة عاصم - كما في حجة القراءات (٢٨٦) .
(٢) أي بضم الباء والشين ، وهي قراءة ابن عباس ، والسلمي ، وابن أبي عبلة ، ورويت عن عاصم . البحر (٣١٦/٤) ، والدر المصون (٣٤٩/٥) .
(٣) قرأها السلمي ، ورويت عن عاصم . البحر (٣١٦) ، والدر المصون (٣٤٩/٥) .
(٤) قرأها ابن السميفع ، وابن قطيب . البحر (٣١٦) ، والدر المصون (٣٤٩/٥) ، وانظر ابن خالويه (٤٤) .
(٥) الكشاف (٨٤/٢) .
(٦) البحر (٣١٧/٤) .
(٧) في (أ) : يجتمع .
(٨) البحر (٣١٧/٤) .
(٩) القول بأن الضمير هنا للبلد ، ذكره ابن الأنباري ، ومال إليه السمين ، والقول بأنه للماء ، ذكره الزجاج . انظر زاد المسير (٢١٩/٣) ، والدر المصون (٣٥١/٥) ، والبحر (٣١٧/٤ - ٣١٨) ، والجامع للقرطبي (٢٣٠/٧) ، وفتح القدير (٢١٤/٢) .



كناية إلى كناية من غير فاصل ، كقوله : (**الشيطان سوّل لهم ، وأملى لهم**)[1] ، فإن فاعل (**أملى**) هو الله تعالى ، كذلك الإخراج . (**نُخرج الموتى**) إما تشبيه لمطلق الإخراج أو له بقيد المطر[2] . (**لعلكم تذكرون/٥٧**) ختم به لما ذكر الاستدلال به على البعث وذلك يحتاج إلى تذكر واتعاظ ، وختم الآية بعده بـ(**تشكرون**) ، لمناسبة النعم المذكورة . (**والبلد الطيب**) الآية ، ضُرب فيها مثل قلب المؤمن وانتفاعه بما سمعه من القرآن المنزل إليه والحكمة وسرعة قبوله لذلك ، ومثل قلب الكافر في كونه بضد ذلك ، وما سيضرب المثل بذلك ، لما كان سياق الآيات في إنبات الأرض بالماء المنزل إليها . قال أبوحيان: « لما قال : (**فأخرجنا به من كل الثمرات/٥٧**) ، تمّم هذا المعنى بكيفية ما يخرج من النبات من الأرض الطيبة ، والأرض السبخة . وفي الكلام حذف ، أي يخرج نباته وافياً حسناً ، لذكره في مقابلة (**إلا نَكِداً/٥٨**) . وخصّ خروج نبات الطيب بإذن ربه ، على سبيل المدح له ، والتشريف ونسبة الإسناد الشريفة الطيبة إليه »[3] .

قلت : وعلى هذا ، ففي الآية احتباك ، فإنه حذف من الجملة الأولى مقابل (**إلا نَكِداً**) أو من[4] الثانية مقابل (**بإذن ربه/٥٨**) . وفي (**بإذن ربه**) التفات عن التكلم ، ثم قال أبوحيان: « وغاير بين الموصولين فصاحة وتفنناً ، ففي الأولى ، قال : (**الطيِّب**) ، وفي الثانية قال: (**الذي خَبُثَ**) ، ولأنه لما قال[5] : (**والبلد**) ، ناسب (**الطيِّب**) للاختصار ، ولما حذف البلد من الثانية ، قال: (**الذي خَبُثَ/٥٨**) ، لتتعادل الجملتان في اللفظ ، فيكون في كلٍّ كلمتان . وقيل : هو تمثيل لروح المؤمن في عوده إلى جسده سهلاً طيباً ، كما خرج إذ مات ، ولروح

(١) سورة محمد -ﷺ- (٢٥) .
(٢) انظر البحر (٣١٨/٤) .
(٣) البحر (٣١٨/٤) بتصرف .
(٤) في (أ) : هو .
(٥) في (أ) : قالوا البلد .

الكافر ، لا يرجع إلا بالنكد ، كما خرج إذ مات[١] ، فيكون راجعاً من حيث المعنى إلى قوله: (**كذلك نخرج الموتى**)، أي على هذين الوصفين »[٢] .

قلت : ويحتمل أن يكون لخروج روح المؤمن بسهولة ، وروح الكافر بشدة ، وهو أنسب لضرب المثل بخروج النبات ، من كونه تمثيلاً للرجوع . وقرىء (**يخرج**) بالبناء للمفعول[٣] . وقرىء (**نكداً**) بفتح الكاف[٤] ، وبسكونها[٥] ، مصدرين وصف بهما للمبالغة. (**نُصَرِّفُ**) فيه التفات . وقرىء بالياء[٦] بلا التفات . (**لقد أرسلنا نوحاً/ ٥٩**) فيه التفات على قراءة الغيبة في (**نصرف**). أبو حيان: « لما ذكر في هذه السورة مبدأ الخلق الإنساني ، وهو آدم ، وقصّ من أخباره ما قصّ ، واستطرد من ذلك إلى المعاد ، ومصير أهل السعادة إلى الجنة ، وأهل الشقاوة إلى النار ، وذم الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، وجحدوا الآيات وكذبوا الرسل ، وذكر هذه الأمة ، المنزل عليها القرآن ، وتكذيبها نبيها ، قصّ تعالى أحوال الرسل ، رسولاً فرسولاً ، وتكذيب أممهم إياهم ، وما قاسوه منهم ، تسلية له -ﷺ- ، فبدأ بنوح ، لأنه أول الرسل ، وهو آدم الأصغر »[٧] .

وأقول : قد قدمت أن هذه السورة شرح لما أجمل من سورة الأنعام ، ومن ذلك ما أجمل فيها من ذكر المرسلين ، ومن قوله : (**ولقد كُذِّبَت رُسلٌ من قبلك فصبروا/ ٣٤**) الآية ، فافتتح هذه السورة بقوله: (**فلنسألن الذين أُرسل إليهم ، ولنسألن المرسلين/ ٦**) . ثم شرح قصة آدم ، واستطرد منها إلى ما استطرد ، ثم

---

(١) قاله ابن عباس ، وقتادة ، البحر (٤/ ٣١٨ - ٣١٩) .

(٢) البحر (٤/ ٣١٨ - ٣١٩) بتصرف واختصار .

(٣) قرأ بذلك ابن أبي عبلة ، وأبو حيوة ، وعيسى بن عمر . البحر (٤/ ٣١٩) ، والدر المصون (٥/ ٣٥٢) ، وابن خالويه (٤٤) وضبطها الناشر : « يخرج نباته » .

(٤) قرأ بذلك ابن القعقاع . (البحر ٤/ ٣١٩) ، والدر المصون (٥/ ٣٥٢) .

(٥) قرأ بذلك ابن مصرف ، انظر المرجعين السابقين .

(٦) انظر البحر (٤/ ٣١٩) .

(٧) البحر (٤/ ٣١٩) بتصرف .



عقَّب بأول الرسل، ونسق الباقين عليه. الكرماني: «لما لم يتقدم في هذه السورة ذكر رسول، ذكر (لقد أرسلنا/٥٩) استئنافاً بغير عطف، ولما تقدم ذكر الرسول مرات في هود[1]، وفي المؤمنين، ذكر نوح ضمناً في قوله: (وعلى الفلك/٢٢)، قيل: (ولقد أرسلنا)[2] في السورتين بواو العطف»[3].

الإمام: «لما لم يتقدم هنا دعوى نبوة، ورد قوم ذلك، لم يعطف، لأنه كلام مبتدأ. وفي هود قدّم ما يشعر بذلك، وهو قوله: (من قَبلهِ كِتابُ مُوسى/١٧) الآية فحسن العطف عليه بالواو، وأما المؤمنون فتقدم فيها قوله: (ولقد خلقنا الإنسانَ/١٢)، (ولقد خلقنا فوقَكم سَبعَ طرائقَ/١٧)، فناسب العطف عليه بقوله: (ولقد أرسلنا نوحاً/٢٣)»[4]. وقال صاحب المناجاة: «لما كانت قصص الأنبياء مذكورة على التوالي، حسب ظهورهم، والأعراف أول السورة، ذكروا فيها على هذا الوجه، ذكرت قصة نوح بغير عاطف، لأنها أول قصص الأنبياء عطفاً، وأول قصة ذكرت في القرآن وأول قصة ذكرت في السورة، فلم يكن للعطف محل، واللام[5] جواب قسم مقدر، أكّد تعالى هذا الإخبار بالقسم».

الزمخشري: «فإن قلت: ما لهم لا يكادون ينطقون باللام، إلا مع قد؟

قلت: لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها، التي هي جوابها. فكانت مظِنة لمعنى التوقع، الذي هو معنى قد، عند استماع المخاطب كلمة القسم»[6]، (فقال) كذا هنا، وفي المؤمنين[7]. وفي قصة عاد

---

(١) وذلك أنه قد ورد ذكر نوحٍ - عليه الصلاة والسلام - في الآيات: (٣٢، ٣٦، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٨٩) من هود.

(٢) هود (٢٥)، والمؤمنون (٢٣).

(٣) أسرار التكرار (٨٢).

(٤)

(٥) في (أ): والكلام.

(٦) الكشاف (٢/٨٤).

(٧) الآية (٢٣).



وصالح وشعيب ، هنا (قال)[1] بغير فاء ، والأصل الفاء ، وحُذفت فيها حذفت فيه توسعاً واكتفاء بالربط المعنوي ، وفي قصة نوح[2] من هود : (اني لكم/٢٥) على إضمار القول أي فقال : إني لكم[3] ، [قاله الكرماني وغيره][4] [5]. (يا قوم/٢٨) في ندائهم تنبيه لهم لما يلقيه إليهم ، واستعطاف وتذكير بأنهم قومه ، فالمناسب ألا يخالفوه .

وقال صاحب المناجاة : « لم ينسب إلى نوح الأُخوة لقومه كما نسبها[6] إلى سائر الأنبياء المذكورين ، إما لأنه لم يكن من نوع قومه ، إذ لم يخالطهم[7] مخالطة باقي الأنبياء ، أو لأنه لما كان الأب الثاني بعد آدم ، عظَّمه بذلك ، أو لأنهم كانوا يرونه في مقام الأب : لطول عمره » ثم قال : « فإن قلت : قد نسب إليه الأخوة في سورة الشعراء[8] .

قلت : الأخوة والأبوة إذا لم يكونا حقيقتين ، جاز تبادلهما ، واعتبار هذا مرة ، والأخرى أخرى ، غاية ما في الباب أنه اعتبر في هذه السورة هذا الوجه وفي الأخرى الآخر». (ما لكم من إلهٍ) لم يعطف هذه ، لأنها بيان وتفسير لعلة

---

(١) الآيات (٥٠) ، (٦١) ، (٨٤) ، من سورة هـود .

(٢) كلمة « نوح » ليست في (أ) .

(٣) كلمة « لكم » ليست في (ب) .

(٤) ما بين القوسين ليس في (أ) .

(٥) في أسرار التكرار (٨٢ - ٨٣) : قوله : (أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال) بالفاء في هذه السورة وكذلك في المؤمنين في قصة نوح (فقال) ، وفي هود في قصة نوح (إني لكم) بغير (قال) ، وفي هذه السورة في قصة عاد بغير فاء ، لأن إثبات الفاء هو الأصل وتقديره : أرسلنا نوحاً ، فجاء فقال ، فكان في هذه السورة والمؤمنين على ما يوجبه اللفظ .

وأما في هـود ، فالتقدير : فقال إني ، فأضمر قال : وأضمر معه الفاء ، وهذا كما قلنا في قوله تعالى: (وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم) أي فيقال لهم : أكفرتم ، فأضمر الفاء والقول معاً » . وانظر البحر (٤/٣٢٠) .

(٦) في (أ) : كما فيها .

(٧) في (أ) لم يخاطبهم .

(٨) وذلك في قوله تعالى : (إذ قال لهم أخوهم نوحٌ ألا تتقون) الشعراء (١٠٦) .



اختصاصه تعالى بأن يُعبد . (غَيرُهُ) بالرفع عطفاً على محل (إلٰه) ، وبالجر على لفظه[1] . وقرىء بالنصب[2] استثناء . (إني أخاف/٥٩) فيه إظهار الشفقة والحنو عليهم ، ليكون داعية إلى قبولهم قوله. (قال الملأ/٦٠) هو مختص بالأشراف ، وإنما لما يجبه غيرهم لأنهم يتعالون على الرسل ، لانغمار عقولهم بالدنيا ، وطلب الرياسة والعلو فيها . الكرماني : « هنا ، وفي عاد (قال) بغير واو[3] ، وفي المؤمنين وهود (فقال)[4] ، لأن ما في هاتين القصتين لا يليق بالجواب ، وهو (إنا لَنَراكَ في ضلالٍ مبينٍ/٦٠) ، (إنا لَنراكَ في سفاهةٍ/٦٦) ، بخلاف ما في السورتين ، فإنهم أجابوا بما استصوبوه جواباً »[5] . ابن جماعة : « زاد في قصة عاد : (الذين كفروا من قومه/٦٦) ، لأن نوحاً لم يؤمن أحد[6] من أشراف قومه ، بدليل (واتَّبعك الأرذلون/١١١) ، وهود آمن بعض أشراف قومه »[7] . (إنا لنراك في ضلالٍ مبينٍ/٦٠) ، والجواب بأن واللام ، وبذكر الضلال الذي هو أشد الغواية ، وبوصفه[8] بمبين ، وبإدخال في ، فكأن الضلال صار ظرفاً له ، وهو[9] أبلغ من ضالاً ، أو ذا ضلالٍ . (قال يا قومِ ليس بي ضَلالةٌ/٦١) ، لم يَرِد النفي منه على لفظ ما قالوه ، فلم يأت : لست في ضلال مبين ، بل جاء في غاية الحسن ، من نفي أن يلتبس[10] به ويختلط ضلالة ما واحدة . وفي ندائه لهم ثانياً ، والإعراض عن جفائهم غاية التلطف . ولما نفى عنه التباس الضلالة به ، دلّ على أنه على

---

(١) قراءة الجر ، هي قراءة الكسائي ، وقراءة الرفع ، هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٨٦) .

(٢) قرأ بذلك عيسى بن عمر ، البحر (٣٢٠/٤) .

(٣) الأعراف (٦٦) .

(٤) المؤمنون (٢٤) ، وهود (٢٧) .

(٥) أسرار التكرار (٨٣) .

(٦) في (أ) : أحداً .

(٧) كشف المعاني (١٥٩) .

(٨) « وبوصفه بمبين » ليست في (أ) .

(٩) في (أ) : فهو ، وفي (ب) : فيه - ولعل الصواب ما أثبتناه .

(١٠) في (ب) : يلبس .

الصراط المستقيم ، فصح أن يستدرك ، لأن (لكن) إنما يقع بين نقيضين ، والرسالة نقيض الضلالة لأنها لا تجامعها ، فقال : **(ولكني رسولٌ/٦١)** ، وقال : **(من رب العالمين/٦١)** تنبيهاً على أنه ربهم ، لأنهم من جملة العالمين ، أي من ربكم المالك لأموركم الناظر لكم بالمصلحة ، حيث وجَّه اليكم رسولاً يدعوكم إليه. **(أبلغكم/٦٢)** بالتخفيف والتشديد[١] استئناف على سبيل البيان لكونه رسولاً ، وروعي فيه المبتدأ ، ولو روعي الخبر ، لقيل : بلَّغكم ، فهو كقوله : **(فإني قريبٌ أُجيبُ)**[٢]. وجاء بلفظ المستقبل هنا ، وفي قصة هود[٣] ، وبلفظ الماضي في قصة صالح وشعيب : **(لقد أبلغتكم/٧٩)** لأن ما هنا ذُكِر في أول الرسالة ، وما هناك في آخرها عند دنو العذاب كما يفهم من سياق الآيات ، قاله الكرماني[٤]. **(رسالاتِ ربي/٦٢)** بالجمع هنا وفي قصة هود[٥] وصالح بالإفراد[٦] ، لأنه تعالى حكى عنهم عدة أشياء[٧] أخرى أُمِرُوا بها ، إلا قوم صالح وهود ، فليس فيها إلا الأمر بالإيمان ، فصار كأنها رسالة واحدة ، قاله الكرماني[٨] ، زاد ابن جماعة : « وقصة نوح وإن لم يذكر فيها عدة من التبليغات ، فهو معروف لطول مدته »[٩]. وقال صاحب المناجاة ما حاصله : « الجمع والمفرد كلاهما للعموم عند الإضافة ، وعبرّ بهذا مرة ،

---

(١) قراءة التخفيف هي قراءة أبي عمرو ، وقراءة التشديد هي قراءة البقية . حجة القراءات (٢٨٦ - ٢٨٧) .

(٢) البقـرة (١٨٦) .

(٣) الأعـراف (٦٨) .

(٤) أسـرار التكـرار (٨٣) .

(٥) أي بالجمع فيها أيضاً ، وذلك في الآية (٦٨) .

(٦) وذلك في قوله تعالى : **(وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي. . . .)** الأعراف (٧٩) .

(٧) في (ب) : أشياء عـدة .

(٨) في أسرار التكرار (٨٤) : « قوله : **(رسالات ربي)** في جميع القصص ، إلا في قصة صالح فان فيها : (رسالة) على الواحدة ، لأنه سبحانه حكى عنهم بعد الإيمان بالله والتقوى أشياء أمروا قومهم بها ، إلا في قصة صالح ، فإن فيها ذكر الناقة ، فصار كأنها رسالة واحدة ، وقوله : **(برسالاتي وبكلامي)** مختلف فيها » .

(٩) كشـف المعـاني (١٦٢) .



وبهذا أخرى تفنناً » .

أبو حيان : « جمع الرسالات باعتبار ما أُوحي إليه في الأزمان المتطاولة ، وباعتبار المعاني المختلفة ، من الأمر والنهي ، والزجر والوعظ ، والتبشير والإنذار »[1] . **(وأنصح لكم/٦٢)** في قصة هود : **(وأنا لكم ناصحٌ/٦٨)** ، قال الإمام : « لأنه ذكر هنا الضلال ، وهو فعل متجدد بترك الصواب إلى ضده ، ويمكن زواله في الحال[2] ، فقابله بالفعل لمناسبته له في التجدد ، وهناك ذكرت السفاهة ، وهي صفة لازمة لصاحبها فقابلها بالجملة الاسمية الدالة على اللزوم والثبوت »[3] .

الزمخشري : « في زيادة اللام مبالغة ، ودلالة على إمحاض النصيحة ، وأنها وقعت للمنصوح له ، مقصوداً به جانبه لا غير »[4] . **(وأعلمُ من الله ما لا تعلمون/٦٢)** فيه إبهام ، للتعظيم والتهديد . وما أحسن سياق هذه الأفعال ، حيث بدأ بالإبلاغ ، لأنه أول أمر يفهم به ، ثم[5] النصح ، ثم علمه من الله ما لا يعلمون من بطشه بهم ، وهو مآل أمرهم إذا كذّبوه ، فنبَّه على مبتدأ أمره ومنتهاه معهم . **(أوَعَجِبتم/٦٣)** قال الزمخشري : « عطف على جملة مقدرة ، أي كذبتم وعجبتم أن ؛ أي من أن »[6] **(على رجلٍ/٦٣)** أي على لسان رجل . **(لينذركم/٦٣)** إلى آخره ، قال أبوحيان: « عِلَل مترتبة[7] ، فجيء الذِّكر للإنذار ، والإنذار للتقوى ، والتقوى للرحمة »[8] ، **(فأنجيناه والذين معه /٦٤)** في يونس **(فنجيناه ومن معه /٧٣)** قال الكرماني : « لأن التشديد للمبالغة والكثرة ، و(من)

---

(١) البحر (٣٢١/٤) .
(٢) في (ب) : الحالة .
(٣) التفسير الكبير (١٦٢/١٤ - ١٦٣) باختصار .
(٤) الكشاف (٨٦/٢) .
(٥) « ثم » ليست في (أ) .
(٦) الكشاف (٨٦/٢) .
(٧) في (أ) : مرتبه .
(٨) البحر (٣٢٢/٤) بتصرف .



يقع على أكثر[1] ما يقع عليه « **الذين** » لأن « **من** » تصلح للواحد ، والتثنية ، والجمع ، والمذكر والمؤنث ، بخلاف « **الذين** » فإنه لجمع المذكر فحسب ، فكان التشديد مع « **من** » أليق »[2] . زاد صاحب المناجاة : « وخص سورة الأعراف بـ«أنجينا» ، و (**الذين**) : لكونها أطول ، وسورة يونس أخصر ، فناسبها (**نجينا**) ، و(**من**) » . وقال الإمام : (« **أنجينا** » هو الأصل ، والأكثر استعمالاً ، وكذلك « **الذين** » ، فأتى به في أول موضع ثم أتى في الموضع الثاني بالاستعمال الآخر)[3] .
(**عَمِين/٦٤**) جمع عَمٍ ، وهو خاص بعمى البصيرة ، وأما عمى البصر ، فيقال فيه : عامٍ ، وأعمى ، نصّ عليه الليث وغيره[4] .

أبوحيان : « لم يأتِ بالفاء ، لأنه جواب سؤال مقدر ، أي فما قال لهم يا قوم وكذا (قال الملأ »[5] . (**أفلا تتقون/٦٥**) استعطاف وتحضيض . أبوحيان : « لما كان ما هددّ به قوم نوح من الغرق ، واقعة لم تظهر في العالم مثلها ، قال : (**إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم/٥٩**) وواقعة هود كانت مسبوقة بواقعة نوح ، فقال : (**أفلا تتقون/٦٩**) إشارة إلى التخويف بأن يقع بهم مثل تلك الواقعة المشهورة »[6] . (**إنا لنراك في سفاهةٍ/٦٦**) فيه المبالغة السابقة ، قال صاحب المناجاة : « السفاهة أخف من الضلال ، لأنه أشد أنواع الغواية . ولما كانوا مسبوقين بقوم نوح ، وكان العذاب الواقع بقوم نوح مشهوراً معروفاً فيما بينهم ، نسبوا نبيهم إلى السفاهة ، التي هي أخف من الضلال ، ولما كان نوح أول الرسل ، وكأنه أتى بأمر مبتكر ، لم يعهد ولم يسمع قومه قط بإهلاك قوم كذبوا رسولاً ، نسبوه إلى الضلال المبين ، الذي هو أبلغ في النقض » . وقال أبوحيان : « لما كان كلام

(١) في أسرار التكرار (٨٤) : « على كثرة مما يقع عليه » .
(٢) المرجع السابق .
(٣)
(٤) انظر البحر (٤/٣٢٣) .
(٥) البحر (٤/٣٢٣) .
(٦) البحر (٤/٣٢٣) .



نوح لقومه ، أشد من كلام هود ، حيث قال : **(إني أخاف عليكم عذابَ يومٍ عظيمٍ/٥٩)** ، كان جوابهم له أغلظ ، ولما كان كلام هود ألطف ، حيث قال : **(أفلا تتقون/٦٥)** ، كان جوابهم له أخف »[١] .

وقال الكرماني : « لما خوَّف نوح الكفار بالغرق ، وشرع في عمل السفينة[٢] ، قالوا: **(إنا لنراك في ضلالٍ/٦٠)** ، حيث تتعب نفسك في سفينة في مفازة ، ليس فيها ماء ، وهود زيَّف[٣] عبادة الأوثان ، ونسب قومه إلى السفاهة ، فقابلوه بمثل ذلك »[٤] . **(ناصحٌ/٦٨)** في مقابلة في سفاهة . **(أمينٌ/٦٨)** في مقابلة **(لنظنك من الكاذبين/٦٦)** ، وبهذا عُرف نكتة ذِكره في جواب هود ، وجواب نوح .

القشيري : « شتان بين من دفع عنه ربه بقوله : **(ما ضلَّ صاحبكم وما غوى)**[٥] ، **(وما صاحبكم بمجنونٍ)**[٦] ، ومن دفع عن نفسه بقوله: **(ليس بي ضلالةٌ/٦١)** ، **(ليس بي سفاهةٌ/٦٧)** »[٧] . **(فاذكروا آلاء الله/٦٩)** تذكير ثانياً بالنعم مطلقاً ، بعد تذكيره بنعمتين خاصتين . **(أجئتنا/٧٠)** لم يُرِد حقيقة المجيء ، ولكن التعرض والقصد ، كما يقال : ذهب يشتمني ، من غير إرادة حقيقة الذهاب . **(ما أنزل الله)** في غيره **(ما نزل الله)** ، قال الكرماني : « لأن **(نزل)** للتكثير ، فذكر في الموضع الأول بلفظ المبالغة ، ليجري مجرى الجملة والتفصيل ، وذكر الجنس والنوع فيكون الأول كالجنس ، وما سواه كالنوع »[٨] .

---

(١) البحر (٤/٣٢٤) .
(٢) « السفينة » ليست في (أ) .
(٣) في (أ) : زيف في ، وفي (ب) : ريد ، وما أثبتناه من البحر .
(٤) البحر (٤/٣٢٤) .
(٥) النجم (٢) .
(٦) التكوير (٢٢) .
(٧) لطائف الإشارات (١/٥٤٣) بتصرف .
(٨) في (أ) : « والنكتة أن الكلام إذا كرره البليغ ، ينبغي ألايخلو كل تكرار عن فائدة زائدة فيكون الأول كما مرّ ، وبما يقول كالنوع » . انظر أسرار التكرار (٨٥) .



وقال صاحب المناجاة : « الأول توجيه نحو هذا وأمثاله بالحمل على التفنن[1]، فإنه وجه جامع لجميع الاختلافات الواقعة في القصص المتكررة »[2]. **(وقطعنا دابرَ/٧٢)** كناية عن الاستئصال . **(الذين كذَّبوا/٧٢)** إشارة إلى عِلة قطع الدابر . **(وما كانوا مؤمنين/٧٢)** جملة مؤكدة. **(وإلى ثمودَ/٧٣)** بمنع الصرف ، لأنه اسم القبيلة . وقرىء بصرف[3] اسماً للحي . **(بَيِّنَةٌ)** قال أبو حيان : « كثُر استعمال هذه الصفة في القرآن استعمال الأسماء ، فوليت العوامل ، فأشبه الأبطح والأبرق ، إذ لا يكاد يصرح بالموصوف معها »[4]. **(هذه ناقة الله/٧٣)** جواب ، كأنه قيل : ما البينة ؟.

فهو استئناف بياني ، والإضافة للتشريف ، ولأنه خلقها بغير واسطة ذكر وأنثى . **(آيةً/٧٣)** حال عامله الإشارة . **(تأكلْ/٧٣)** قرىء بالرفع[5] حالاً . **(ولا تَمَسُّوها بسوءٍ/٧٣)** كناية ، وتنبيه بالأدنى على الأعلى ، لأنه إذا نهى عن المسّ ، فعن العقر أولى[6]. **(فيأخذكم/٧٣)** استعارة . **(عذابٌ أليمٌ/٧٣)** في سورة هود **(عذابٌ قريبٌ/٦٤)** ، وفي الشعراء **(عذابَ يومٍ عظيمٍ/١٣٥)** ، قال الكرماني : « لأنه هنا بالغ في الوعظ ، فبالغ في الوعيد ، وفي هود لما اتصل بقوله: **(تمتعوا[7] في داركم ثلاثةَ أيامٍ/٦٥)** ، وصفه[8] بالقرب ، وفي الشعراء زاد ذكر اليوم ، لأن قبله **(لها شِربٌ ، ولكم شِربُ يومٍ معلومٍ/١٥٥)** ، والتقدير : لها شِرب يوم معلوم ، فختم الآية باليوم »[9].

---

(١) في (أ) : التفصيل .
(٢) في (ب) : المكررة .
(٣) قرأها ابن وثاب والأعمش . البحر (٣٢٧/٤) .
(٤) البحر (٣٢٧/٤) .
(٥) قرأها أبو جعفر في رواية ، البحر (٣٢٨/٤) .
(٦) في (ب) : من باب أولى .
(٧) في (أ) : يمسكم .
(٨) في (أ) : وهذه .
(٩) أسرار التكرار (٨٤) .

وقال صاحب المناجاة : « العذاب إذا اجتمع فيه هذه الأوصاف الثلاثة ، كان أشد ، ففرق الأوصاف الثلاثة في الآيات الثلاثة ، دلالة على أشديته من غير احتياج إلى ذكرها في آية واحدة » ، قال : « وإنما لم يقل : عذاب عظيم ، لأن العذاب إذا كان عذاب يوم عظيم ، كان عظيماً في نفسه ، فجعل[1] مدمجاً في تعظيم اليوم ، وأفاد عِظم اليوم والعذاب معاً » ، قال : « والفرق بين العظيم والأليم ما قارنه وجع ، سواء كان له غاية ، أو لا . والعظيم ما له غاية ، سواء كان معه ألم أم لا ، فبينهما عموم وخصوص من وجه ، أو يقال : كل عظيم أليم ولا عكس ، ويقال : إنهما سواء ، والتكرير للتأكيد » ، انتهى .

(تتخذون/٧٤) تفسير لـ**(بَوَّأكم/٧٤)**[2] . **(وتنحِتون/٧٤)** قرىء بفتح الحاء[3] . وقرىء بالياء التحتية ، مع كسر الحاء[4] ، وفتحها[5] ، قال أبو حيان : « ففيه التفات »[6] . ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى معترضاً أثناء كلام صالح . **(الجبال/٧٤)** نصب بإسقاط « من » ، وصرّح به في آية أخرى[7] تفنناً . وقال صاحب المناجاة: « كانوا فريقين ، فريق اتخذ الجبال بيوتاً ، وبنى عليها القلاع ، ونحتها إلى أن صارت مستوية الأطراف يتمكن عليها من وضع البيوت ، وفريق اتخذ منها البيوت كالكهوف ، فحيث حذف « من » ، أراد الأول ، وحيث ذكرها ، أراد الثاني » . **(بيوتاً/٧٤)** حال مقدراً ، ومفعول على تضمين **(تنحتون/٧٤)** معنى تتخذون . **(ولا تعثوا/٧٤)** قرىء بكسر أوله[8] ، لغة . **(قال الملأ/٧٥)** قرأ[9] ابن

---

(١) في (ب) : فحصل .

(٢) في (أ) : فبوأكم .

(٣) قرأها الحسن ، والأعرج ، البحر (٣٢٩/٤) ، ابن خالويه (٤٤) .

(٤) قرأها ابن مصرّف ، البحر (٣٢٩/٤) .

(٥) قرأها أبو مالك ، البحر (٣٢٩/٤) .

(٦) البحر (٣٢٩/٤) .

(٧) وذلك في قوله تعالى : **(وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين)** الحجر (٨٢) . وفي قوله تعالى : **(وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين)** الشعراء (١٤٩) .

(٨) قرأ بذلك الأعمش ، البحر (٣٢٩/٤) .

(٩) في (أ) : قال .



عامر (وقال) بواو عاطفة[1] . (لمن آمن/٧٥) بدل بإعادة الجار ، فإن كان ضمير (منهم) لقومه ، فبدل كل ، أو (للذين) ، فبدل بعض[2] .

الشيخ سعد الدين : « فيه مناقشة مشهورة ، وهي أنه لا يجوز أن يكون الجار والمجرور بدلاً من الجار والمجرور ، فإن دُفع بأن الإبدال[3] في المفرد أكثر ، أُجيب بأن التصريح بتكرير العامل ، أقل قليل ، بل ربما لا يوجد غير منازع » . (أتعلمون/٧٥) استفهام سخرية واستهزاء . (من ربه/٧٥) لم يقولوا : من ربنا ، ولا من ربكم ، كأنهم تبرؤوا من الله سبحانه ، وخصوا صالحاً به . (إنا بما أُرسل به مؤمنون/٧٥) جواب في غاية الحسن ، عدلوا عن قولهم نعم ، أو هو مُرْسَل ، إشارة إلى أن[4] أمر رسالته معلوم واضح مسلّم ، لا يدخله ريب ، فلا يحتاج أن يُسأل عنه ، ولا أن يُستفهم عن العلم به ، فأخبروا بأنهم مؤمنون بما أُرسل به ، وذلك يتضمن العلم بأنه مُرْسَل من الله . (إنا بالذي آمنتم به/٧٦) هو في معنى بما أُرْسِل بهِ ، وعدلوا عنه فراراً من الإقرار له بالرسالة . (فعقروا الناقة/٧٧) ، نسب العقر إليهم ، وإن كان العاقِر واحداً ، لكونه عن تمالُؤ منهم ورضاهم هم . (وعتوا/٧٧) ضمَّنه معنى استكبروا ، فعدَّاه بعن .

(فأخذتهم الرجفة/٧٨) قيل : الصيحة . وقيل : الزلزلة الشديدة[5] . فعلى الأول ، لا منافاة بينه وبين قوله في هود : (وأخذت الذين ظلموا الصيحةُ/٩٤)[6] ، وعلى الثاني كذلك ، لأن الرجفة ناشئة عن الصيحة ، صِيح بهم فرجفوا فناسب

---

(١) الكشف (١/٤٦٧) .

(٢) انظر البحر (٤/٣٢٩) ، والدر المصون (٥/٣٦٥) . والقول الثاني ، هو اختيار ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٢٥) .

(٣) في (أ) : الابتدال - وما أثبتناه من (ب) .

(٤) كلمة « أن » ليست في (ب) .

(٥) القول الأول هو قول مجاهد والسدي ، والقول الثاني هو قول أبي مسلم . وهو اختيار الزجاج . زاد المسير (٣/٢٢٦) ، والبحر (٤/٣٣١) .

(٦) في النسختين : (فأخذتهم الصحة) ، وما أثبتناه هو الصواب .



أن يُسند الأخذ لكل منهما .

زاد ابن جماعة : « والزلزلة[1] العظيمة لا تخلو غالباً عن صيحة ، وكذا قوله : (**فأُهلكوا بالطاغية**)[2] ، لتجاوز كل من الرجفة والصيحة الحدّ ، فسُمِّيت طاغية . أو المعنى بسبب الفِعلة الطاغية »[3] .

الكرماني : « حيث ذكر الرجفة ، وهي الزلزلة . قال : (**في دارهم/٧٨**) بالإفراد ، وحيث ذكر الصيحة ، قال (**في ديارهم**)[4] بالجمع ، لأن الصيحة كانت من السماء ، فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة ، فاتصل كل واحد بما هو لائق به »[5] . وقال ابن جماعة : « الزلزلة تناسب الدار ، لأن المراد بها البلد المزلزَل ، والصيحة تناسب الديار ، لأن المراد بها المنازل »[6] . وذكر صاحب المناجاة مثله . وقال الإمام : « حيث ذكر اجتماعهم مع نبيهم ، قال الدار ، وحيث ذكر افتراقهم منه ، وخروجه عنهم ، قال الديار »[7] . (**ولوطاً/٨٠**) قيل : عطف على الأنبياء قبله ، بتقدير : وأرسلنا . و(**إذ/٨٠**) معمولة له .

وقيل : نصب باذكر مضمره[8] ، فتكون المغايرة تفنناً . (**أتأتون/٨٠**) استفهام

---

(١) في (أ) : والمراد – وما أثبتناه من (ب) .

(٢) الحاقة (٥) .

(٣) الذي في كشف المعاني (١٦٤) هو : « .... قيل : إن ابتداء عذابهم كانت زلزلة عظيمة ، ثم صيحة عظيمة ، قطعت أكبادهم ، فماتوا جميعاً . وقيل : لأن الزلزلة العظيمة لا تخلو عن صيحة » .

(٤) هود (٦٧) ، (٩٤) .

(٥) أسرار التكرار (٤/٣٣١) .

(٦) لم أجد هذا النص في كشف المعاني .

(٧) الذي في التفسير الكبير (١٤/١٧٣) : (**فأصبحوا في دارهم جاثمين**) الآية (٩١) الأعراف ، يعني في بلدهم ، ولذلك وحَّد الدار ، كما يقال : دار الحرب ، ومررت بدار البزازين ، وجمع في آية أخرى فقال : (**في ديارهم**) ، لأنه أراد بالدار ما لكل واحد منهم من منزله الخاص به » .

(٨) قد جوّز النحاس هذا القول والقول السابق . إعراب القرآن (٢/١٣٧) . وهو صنيع الزمخشري في كشافه (٢/٩٢) ، وأبي البقاء في الإملاء (١/٢٧٩) . والقول الأول هو ما ذهب إليه أبوحيان ، البحر (٤/٣٣٣) .



إنكار وتوبيخ. (**الفاحشة/٨٠**) عرَّفه بلام الجنس على سبيل المبالغة، كأنه لشدة قبحه، جُعل جميع الفواحش، فهو أبلغ من الزنى، حيث قال فيه: (**إنه كان فاحشةً**)[١]، فأتى به منكَّراً، أي فاحشة من الفواحش. (**من أحدٍ/٨٠**) زيدت (**من**) للمبالغة. (**أئنكم لتأتون الرجالَ/٨١**) بيان لقوله: (**أتأتون الفاحشة/٨٠**). وفي قراءة (**إنكم**) بلا استفهام[٢].

الكرماني: «أتى في الجملة الثانية الاستفهام مع أن، واقتصر في الأولى على الاستفهام، لأن التوبيخ والتقريع في الثانية أكثر، وكذا في النمل[٣]، وفي العنكبوت (**إنكم لتأتون الفاحشة/٢٨**)، (**أئنكم لتأتون الرجال/٢٩**)، فأتى في الجملتين بأن لموافقة آخر القصة (**إنا منجُّوك/٣٣**)، (**إنا منزلون/٣٤**)»[٤]، (**شهوةً/٨١**) مصدر في موضع الحال. وقال الزمخشري: «مفعول له» أي لا حامِل لكم على ذلك إلا مجرد الشهوة، ولا ذمّ أعظم منه، لأنه وصف لهم بالبهيمية، وأنه لا داعي لهم من جهة العقل، كالنسل ونحوه»[٥]. (**بل/٨١**) للانتقال، وقيل: إضراب عن توبيخهم، أو الإخبار عن حالهم إلى الحكم عليهم بالحال التي تنشأ عنها القبائح، وتدعو إلى اتباع الشهوات وهي الإسراف، وهي الزيادة المفسدة، لما كانت عادتهم الإسراف أسرفوا حتى في باب[٦] قضاء الشهوة، فتجاوزا الحد المعتاد إلى غيره.

وقيل: إضراب عن محذوف، أي ما عدلتم، بل أنتم[٧]. وقال الكرماني: «بل رد لجواب زعموا أن يكون لهم عذر، أي لا عذر لكم ولا حجة بل أنتم،

(١) وذلك في قوله تعالى: (**ولا تقربوا الزنى، إنه كان فاحشةً وساء سبيلاً**)، الإسراء (٣٢).
(٢) قرأها نافع وحفص، البحر (٤/٣٣٤)، والكشف (١/٤٦٨).
(٣) الآية (٥٤)، والآية (٥٥).
(٤) أسرار التكرار (٨٥ - ٨٦)، والبرهان (١٨٥).
(٥) في الكشاف (٢/٩٢): «كطلب النسل ونحوه».
(٦) في (ب): وناب.
(٧) انظر الإملاء (١/٢٧٩)، والبحر (٤/٣٣٤)، والدر المصون (٥/٣٧٢).



وجاء هنا (**مسرفون/٨١**) باسم الفاعل ، ليدل على الثبوت ولموافقته ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأسماء . وجاء في النمل (**تجهلون/٥٥**) بالمضارع ، لتجدد الجهل فيهم ، وهو الجهل المركب الزائد على جهل أصل الخلقة البسيط ، ولموافقته ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأفعال »[١] ، وأما التعبير هنا بوصف الإسراف ، وهناك بوصف الجهل ، فتفنن ، (**وما كان/٨٢**) في النمل (**فما كان/٥٦**) ، الكرماني : « لأن ما قبله هنا اسم ، وهناك فعل ، والفاء للتعقيب ، والتعقيب في الأفعال ، فأتى بعد (**تجهلوا/٥٥**) بالفاء ، وكذا في العنكبوت[٢] لأنه بعد (**وتأتون في ناديكم المنكر/٢٩**) ، وبعد (**مسرفون**)[٣] الاسم بالواو »[٤] ، وكذا قال الإمام[٥] .

(**جواب**) قرىء بالرفع[٦] . (**أخرجوهم/٨٢**) في النمل (**أخرجوا آلَ لوطٍ/٥٦**) ، قال الكرماني وغيره : « لأن هذه السورة متأخرة النزول عن سورة النمل ، فأضمر فيها ما أظهره هناك »[٧] .

ابن عطية : « قال هنا : (**وما كان جوابَ قومِهِ إلا أن قالوا أخرِجُوهم/٨٢**) ، وفي العنكبوت : (**إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله/٢٩**) ، و(**إلا**) للحصر ، فلعل ذلك في مجالس ، أو الجوابان من طائفتين بما ذكر عنها »[٨] . (**إنهم أُناسٌ يتطهرون/٨٢**) قال أبو حيان : « فيه التعريض بما يوهم الذم ، وهو[٩] مدح على حد :

---

(١) البحر (٤/٣٣٤) ، والدر المصون (٥/٣٧٢ - ٣٧٣) .
(٢) الآية (٢٩) من العنكبوت (فما كان جواب قومه) .
(٣) الأعــراف (٨١) .
(٤) أسرار التكرار (٨٦ - ٨٧) .
(٥) لم أعثر على ذلك في التفسير الكبير .
(٦) قرأها الحسن ، البحر (٤/٣٣٤) .
(٧) أسرار التكرار (٨٧) ، والبرهان (١٨٧) .
(٨) لم أجد هذا النص في المحرر الوجيز .
(٩) في (ب) : فهــو .

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهن فُلُولٌ من قِراع الكتائبِ»[1][2]

وقال الزمخشري : « هو سخرية بهم وتهكم »[3] . **(كانت من الغابرين/٨٣)** تفسير وتوكيد لما تضمنه الاستثناء من كونها لم ينجها الله . وقال أبو عبيدة : « **(إلا امرأته/٨٣)** اكتفى به في أنها لم تنجُ ، ثم ابتدأ وصفها بعد ذلك بصفة لا تتعلق بها النجاة ، ولا الهلكة ، وهي أنها كانت غابرة أي متقدمة في السن ، كما قال : **(إلا عجوزاً في الغابرين/١٧١)** »[4][5] ، انتهى . وفي **(الغابرين/١٧١)** تغليب الذكور ، والأصل « من الغابرات » . الكرماني : « هنا **(كانت)** ، وفي غيره **(قدَّرناها)**[6] ، كأن المعنى : كانت في علم الله ، فهي بمعنى : قدَّرنا »[7] . وقال غيره : **(كانت/٨٣)** بمعنى : صارت ، وهي متأخرة عن التقدير أي قدرناها من الغابرين ، فصارت منهم »[8] . قال صاحب المناجاة : « وفيه الإشارة إلى إثبات الخلق والكسب معاً . **(وأمطرنا عليهم مطراً/٨٢)** حيث ذُكِر المطر في القرآن ، فالمراد به العذاب ، وقال الحافظ في البيان[9] :

« قد يستعمل الناس ألفاظاً ، وغيرها أولى بذلك الموضع منها ، ألا ترى أن الله تعالى لم يذكر لفظ المطر إلا في موضع الانتقام[10] ، وذكر في غيره الغيث[11] ، ولم

---

(١) قاله النابغة الذبياني . ديوانه (٣٢) ، غريب القرآن لابن قتيبة (١٩٠) ، والصناعتين (٤٠٨) .
(٢) البحر (٣٣٥/٤) . (٣) الكشاف (٩٢/٢) .
(٤) الشعراء (١٧١) ، والصافات (١٣٥) .
(٥) لم أعثر على هذا النص في مجاز القرآن لأبي عبيدة ، وهي في البحر (٣٣٥/٤) .
(٦) النمل (٥٧) .
(٧) أسرار التكرار (٨٧) ، والبرهان (١٨٨) .
(٨) أسند الكرماني هذا القول إلى الخطيب ، المرجع السابق .
(٩)
(١٠) وذلك في الأعراف (٨٤) ، هود (٨٢) ، الحجر (٧٤) ، الشعراء (١٧٣) ، النمل (٥٨) ، الأنفال (٣٢) ، الفرقان (٤٠) ، النساء (١٠٢) ، الأحقاف (٢٤) .
(١١) وذلك في لقمان (٣٤) ، والشورى (٢٨) ، والحديد (٢٠) .

يذكر الجوع إلا في موضع العقاب ، أو الفقر المدقع ، والعجز الظاهر ، وذكر في غيره السغب ، ولم يذكر النكاح إلا في موضع التزويج ، وذكر في غيره المباشرة ونحوها ، ولذلك لم يجمع في القرآن السمع على أسماع ، لا الأرض على أَرَضِين . والعامة لا تفرِّق بين المطر والغيث ، وتذكر الجوع في حال القدرة والسلامة »[١] ، انتهى . (**فانظر**/٨٤) خطاب للرسول ، أو لكل سامع وعظاً وزجراً أن تسلك هذه الأمة هذا المسالك . (**كيف كان عاقبة المجرمين**/٨٤) قال أبوحيان : « عام في قوم نوح وهود وصالح ولوط »[٢] .

الكَرماني : « ختم به هنا ، وفي غيره (**فَساءَ مَطرُ المنذرين**)[٣] ، موافقة لما بعده من قوله : (**فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**/١٠٣ »[٤] .

وأقول على ما نقلناه عن أبي حيان تنتهي القصة عند قوله: (**مطراً**/٨٢) ، وما بعده عائد إلى جميع القصص . (**وإلى مدين أخاهم شعيباً**/٨٥) ، وصفه هنا بالأخوة ولم يصفه بها في الشعراء في قوله: (**إذ قال لهم شعيبٌ**/١٧٧) ، مع قوله في سائر الرسل فيها : (**إذ قال لهم أخوهم**)[٥] ، لأن شعيباً أُرسل مرتين[٦] . وقيل : ثلاث مرات إلى قومين ، أو ثلاثة ، فمدين قومه ، وأصحاب الأيكة ليسوا قومه ، فوصفه بالأخوة لمدين ، دون أصحاب الأيكة[٧] . (**جاءتكم بينةٌ**/٨٥) قرأ الحسن :

---

(١)
(٢) وغيرهم - كما في البحر (٤/٣٣٦) .
(٣) الشعراء (١٧٣) ، والنمل (٥٨) .
(٤) البرهـــان (١٨٥) .
(٥) وذلك في الآيات (١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٦١) من الشعراء .
(٦) مرة إلى مدين ، ومرة إلى أصحاب الأيكة - كما هو قول قتادة . البحر (٤/٣٣٦) .
(٧) لم أعثر على ذلك فيما اطلعت عليه .
وذهب ابن كثير إلى أن (مدين) تطلق على القبيلة ، وعلى المدينة وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز ، قال تعالى : (**ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمةً من الناس يسقون**) ، وهم أصحاب الأيكة . . . » . تفسير القرآن العظيم (٢/٢٣١) .



(آية)[1] . (فأوفوا الكيل والميزان/٨٥) إما أن يُجعل الكيل مصدراً كنّى به عن المكيال الآلة ، أو الميزان مصدراً كالميعاد ، بمعنى الوزن لا الآلة ، لتحصل المطابقة . (ولا تبخسوا الناس أشياءهم/٨٥) من عطف العام على الخاص. (ولا تفسدوا في الأرض/٨٥) ترقٍ إلى أعم مما قبله. (ولا تقعدوا بكل صراطٍ تُوعِدون/٨٦) إن فُسِّر بقطع الطريق ، أو بأخذ المكس[2] ، ناسب ما قبله ، أو بصرف الناس عن الدين واتباع شعيب ، ناسب القول الثاني[3]، والصراط عليهما الطريق حقيقة ، وسبيل الله : طريق دينه مجازاً ، وجملة (توعدون وتصدون/٨٦) ، (وتبغونها/٨٦) أحوال ، ولم يذكر مفعول (توعدون/٨٦) ليذهب النفس كل مذهب من الشر ، لأن أوعد لا يكون إلا في الشر والصدّ ، إما حقيقة في عدم تمكين الناس من الذهاب إلى الرسول ، أو مجاز عن الإبعاد والصرف .

وفي (مَن آمن/٨٦) جناس . وأعاد الضمير في (به/٨٦) مذكَّرا ، وفي (تبغونها/٨٦) مؤنثاً ، لأن السبيل يذَّكر ويؤنث . وقيل : ضمير (به/٨٦) لله . وقيل : (توعدون/٨٦) ، (وتصدون/٨٦) تنازعا (من آمن/٨٦) ، فأُعمل الأول ، ولم يَرِد في القرآن إعمال الأول في التنازع ، سوى هذا الموضع على هذا القول[4] .

---

(١) البحر (٤/٣٣٦)

(٢) هذا معنى قول السدي ، والقول الأول هو ما ذهب إليه أبو هريرة . البحر (٤/٣٣٨) .

(٣) في النسختين : « ما بعده » ، ولعل الصواب ما أثبتناه . وعلى كلٍّ فإن السياق هنا فيه ركاكة ، ولعل الأنسب أن يقال : إن فُسِّر بقطع الطريق ، أو بأخذ المكس ، فهذان التفسيران يناسبان قوله تعالى: (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) .
وأما قوله: (وتصدون عن سبيل الله من آمن به) ، فهو يناسب القول الثاني . انظر البحر (٤/٣٣٨) .

(٤) ذهب إلى ذلك الزمخشري . الكشاف (٢/٩١) . وقد تعقبه أبو حيان بأن فيه تعسفاً في الإعراب لا يليق بأن يحمل القرآن عليه ، لما فيه من التقديم والتأخير ، ووضع الظاهر موضع المضمر من غير حاجة إلى ذلك ، وعود الضمير على أبعد مذكور مع إمكان عوده على أقرب مذكور. . . ولو كان من أعمال الأول ، للزم ذكر الضمير في الفعل الثاني. . .
البحر (٤/٣٣٩) ، وانظر الإملاء (١/٢٧٩) ، والدر المصون (٥/٣٧٧) .



(وانظر كيف كان عاقبة المفسدين/٨٦) تهديد وتذكير بعاقبة من أفسد قبلهم . (وإن كان طائفةٌ/٨٧) الآية ، هذا من أحسن ما يُتَلَطَّف به من المحاورة إذا برز المتحقق بالنصر[١] ، ووعيد للكافرين بالعقوبة . وقيل : للكفار خاصة[٢] ، لأن في (اصبروا) قوة التهديد . وقيل : للمؤمنين خاصة[٣] في معنى الوعد لهم بالظفر ، والحث على الصبر ، واحتمال الأذى . (أو لَتَعُودُنَّ/٨٨) فيه تغليب ، لأن شعيباً لم يكن في مِلتهم قط حتى يعود إليها ، وإنما ذلك خاص بمن آمن . وقيل : إنَّ عَادَ يأتي بمعنى صار ، ثم في الوُدّ مع الإخراج طباق معنوي . (أَوَلَوْ/٨٨) أي أيقع منكم أحد هذين الأمرين على كل حال ، حتى في حال كراهتنا لذلك ، قاله أبوحيان[٤] . وقدَّره الزمخشري : أتعيدوننا في مِلتكم في حال كراهتنا[٥] . و(لو)[٦] هنا مثلها في : ردوا السائل ولو[٧] بظلف[٨] ، أكرم زيداً ولو أساء[٩] . (قد افترينا/٨٩) قيل : هذه الجملة إخبار مستأنف[١٠] قاله الزمخشري : « وفيه معنى التعجب ، كأنه قال : ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام ، لأن

(١) في صورة المشكوك فيه - كما في البحر (٣٤٠/٤) .
(٢) قاله ابن عطية في المحرر الوجيز (٥٧٧/٥) ، وهو ما بدأ به الزمخشري . الكشاف (٩٥/٢) .
(٣) روي هذا القول عن منذر بن سعيد ، وبه قال مقاتل بن حيان . المحرر الوجيز (٥٧٧/٥) .
(٤) البحر (٣٤٢/٤) .
(٥) الكشاف (٩٦/٢) .
(٦) جملة « (ولو) هنا » ليست في (أ) .
(٧) في (أ) : ولم .
(٨) رواه النسائي عن ابن بجيد الأنصاري عن جدته أن رسول الله -ﷺ- قال : (ردوا السائل ، ولو بظلف محرق) .
النسائي (٨١/٥) كتاب الزكاة - باب (٦٩) ، ورواه الترمذي بنحوه (٥٢/٣ - ٥٣) كتاب الزكاة - باب (٢٩) ، وقال : « حديث حسن صحيح » .
(٩) أي أن الواو في (أولو) هي واو العطف ، عطفت على حال محذوفة ، وليست هي للحال كما ذهب إلى ذلك الزمخشري ، (الكشاف ٩٦/٢) .
هذا أحد التعقيبين اللذين تعقب بهما أبو حيان الزمخشري ، والتعقيب الآخر أن الزمخشري جعل الاستفهام خاصاً بالعود في ملتهم ، وذكر أبوحيان أن الأمر ليس كذلك ، بل الاستفهام هو عن أحد الأمرين الإخراج أو العود . البحر (٣٤٣/٤) .
(١٠) ذكره الزمخشري ، الكشاف (٩٧/٢) .



المرتد أبلغ في الافتراء من الكافر الأصلي ، من حيث إنه يزيد عليه بزعمه أنه قد بيّن له ما خفي على الأصلي ، من التمييز بين الحق والباطل حتى ارتد »[1] . وقيل : قَسَم ، بتقدير اللام ، أي والله لقد[2] . **(إلا أن يشاء الله/٨٩)** قال ابن عطية : « قيل : هو استثناء أُريد به الاستبعاد كقوله : **(حتى يلجَ الجملُ في سَمِّ الخياط)**[3] ، وقولهم : لا أفعل ذلك حتى يشيب الغراب ، وقد علِم استحالة ذلك ، فهو إحالة على مستحيل » ، قال : « وهذا تأويل للمعتزلة القائلون إن الكفر بغير المشيئة ، فحكاه المفسرون ولم يشعروا بما فيه »[4] ، انتهى .

وأهل السنة قالوا : هو استثناء تسليم وتأدب[5] . **(افتح/٨٩)** الفتح : القضاء بلغة حمير . وقيل : بلغة مراد[6] . **(إذاً/٩٠)** هي إذا الشرطية ، حُذفت جملتها ، وعُوض منها التنوين ، كإذ في ذلك على ما نبَّه عليه فئة قليلة ، واخترناه وحررناه في الإتقان[7] .

(فأخذتهم الرجفة/٩١) في هود : **(وأخذت الذين ظلموا الصيحة/٩٤)**[8] ، وتقدم نظيره في قصة صالح[9] ، وفي الشعراء **(فأخذهم عذابُ يومِ الظُّلة/١٨٩)** ، لأنها قصة أخرى لقوم آخرين كما تقدم بيانه ، وعلى تقدير أنها قصة واحدة ، جمع لهم بين الحر والصيحة والرجفة . **(الذين كذبوا شعيباً/٩٢)** مبتدأ خبره **(كأن لم يَغْنَوا فيها/٩٢)** أي[10] لم يقيموا ناعِمي البال ، رخِي العيش في دارهم ، وفيها قوة

---

(١) الكشاف (٢/٩٧) .
(٢) ذكره الزمخشري ، الكشاف (٢/٩٧) . وأورده ابن عطية احتمالاً ، المحرر الوجيز (٦/٤) .
(٣) الأعراف (٤٠) .
(٤) المحرر الوجيز (٦/٥) .
(٥) انظر البحر (٤/٣٤٤) .
(٦) انظر المرجع السابق .
(٧) الإتقان (٢/١٥٣) .
(٨) في النسختين (فأخذتهم الصيحة) ، وما أثبتناه هو الصواب .
(٩) وهو قوله تعالى : (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) ، هود (٦٧) .
(١٠) في (أ) : أن .



الإخبار عن هلاكهم ، وحلول المكروه بهم ، والتنبيه على الاعتبار بهم . قال الزمخشري : « وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص ، كأنه قيل : الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بأن أُهلكوا واستؤصلوا ، كأن لم يقيموا في دارهم ، لأن الذين اتبعوا شعيباً قد أنجاهم الله »[١].

ابن عطية : « غَنَيْتُ في المكان ، إنما يقال في الإقامة التي هي مقترنة بتنعم وعيش رخِي ، هذا الذي استقرأت من الأشعار التي ذكرت العرب فيها هذه اللفظة »[٢]. (**الذين كذَّبوا شعيباً/٩٢**) مبتدأ خبره (**كانوا هم الخاسرين/٩٢**) قال الزمخشري : « فيه معنى الاختصاص ، أي هم المخصوصون بالخسران العظيم ، دون أتباعه ، فإنهم هم الرابحون . وفي هذا[٣] الاستئناف والابتداء ، وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لأشياعهم ، وتسفيه لرأيهم . واستهزاء بنصحهم لقومهم ، واستعظام لما جرى عليهم »[٤].

وقال غيره : « هاتان الجملتان منبئتان عما فعل الله بهم في مقالتهم : (**لَنُخْرِجَنَّك/٨٨**)[٥]، فجاء الإخبار بإخراجهم بالهلاك ، وأي إخراج هو ، وقالوا إنكم إذن لخاسرون فحكم تعالى عليهم بالخسران . ثم الجملتان معترضتان ، لعطف (**فَتَوَلَّىٰ/٩٣**) وما بعده على (**فأخذتهم الرجفة فأصبحوا/٩١**) . (**فكيف آسىٰ على قومٍ كافرين/٩٣**) كان وجد في نفسه رِقة عليهم ، فسرى ذلك على نفسه باستحضار سبب التسلِّي عنهم والقسوة عليهم ، فذكر الكفر الذي هو أشنع أوصافهم »[٦]. وقرىء (**إِيسَىٰ/٩٣**) بالكسر[٧] ، لغة . (**وما أرسلنا/٩٤**) الآية ،

---

(١) الكشاف (٢/٩٧) .

(٢) المحرر الوجيز (٦/١٠) .

(٣) كلمة « هذا » ليست في (أ) .

(٤) الكشاف (٢/٩٧) .

(٥) في (ب) : قالوا لنخرجنك .

(٦) هذا نص عبارة أبي حيان مع قليل من الاختصار ، البحر (٤/٣٤٧) .

(٧) قرأها ابن وثاب ، وابن مصرف ، والأعمش ، البحر (٤/٣٤٧) .



لما ذكر تعالى ما حلّ بالأمم السالفة من بأسه وسطوته ، ذكر تعالى أن تلك عادته في أتباع الأنبياء إذا أصروا على التكذيب ، وأنه لا يعجِّل بالإهلاك والتدمير ، بل يقدم لهم المقدمات المنذرة بالهلاك ، [لعلهم يعتبرون فيؤمنون ، ثم يكشفها عنهم ليشكروا ، فإن أبوا إلا الإصرار ، أخذهم بالإهلاك][1]. **(بغتةً/٩٥)** وكل هذا تسلية للنبي -ﷺ- وتحذير لقومه ، وقد أُخذوا بالجوع ، ثم كشف عنهم ، ولم يؤمنوا ، كما قال : **(ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون/٧٦)**[2] ، وقال : **(فارتقب يوم تأتي السماء بدخانٍ مبينٍ/١٠)** إلى قوله : **(إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون ، يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون/١٥،١٦)**[3]. **(مكان السيئة/٩٥)** أي الحالة السيئة من البأساء والضراء ، الحالة الحسنة من السراء والنعمة . **(لفتحنا/٩٦)** استعارة للتيسير كما ييّسر على الأبواب المغلقة . وقرىء بالتشديد[4]. **(بركاتٍ/٩٦)** تنكير للتكثير والتعظيم. **(أفأمِن/٩٧)** استفهام توبيخ . الزمخشري : « فإن قلت : ما المعطوف عليه ؟ ولِمَ عُطِفت الأولى بالفاء ، والثانية بالواو ؟.

قلت : المعطوف عليه قوله : **(فأخذناهم بغتةً/٩٥)** ، وقوله : **(ولو أن أهل القرى/٩٦)** الآية ، وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه ، وإنما عُطفت بالفاء ، لأن المعنى : فعلوا ، وصنعوا ، فأخذناهم بغتة ، أَبَعْدَ ذلك أمِن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً ، وأمِنوا أن يأتيهم بأسنا ضحىً »[5]، انتهى.

وفي قراءة **(أوْ أمن/٩٨)** بسكون الواو[6]، فأو عاطفة للتنويع ، وأُعيد أهل القرى ظاهراً ، لما فيه من قصد[7] التفخيم والتهويل والتعظيم . وقيّد كل ظرف

---

(١) ما بين القوسين ليس في (أ) . (٢) المؤمنون (٧٦) . (٣) الدخـان .

(٤) قرأها ابن عامر ، حجة القراءات (٢٨٨) .

(٥) الكشـاف (٦٨/٢) .

(٦) وهي قراءة الحرميين وابن عامر ، الكشف (٤٦٨/١) .

(٧) في (ب) : قصة .



بما يناسبه ، من النوم للبيات ، واللعب للضحى ، وجاء (**نائمون/٩٧**) باسم الفاعل ، لأنها حالة ثبوت واستقرار للنائمين ، و(**يلعبون/٩٨**) بالمضارع ، لأنهم يشتغلون بأفعال متجددة شيئاً فشيئاً في ذلك الوقت . (**أفأمِنوا مكر الله/٩٩**) عُطفت هذه الجملة بالفاء ، لأنها تكرير لقوله : (**أفأمِن أهل القرى/٩٧**) ، (**أو أمِن/٩٨**) ، وتأكيد لمضمون ذلك ، فناسب إعادتها مصحوبة بالفاء . وفي (**مكر الله/٩٩**) استعارة ، والتفات ، وفي إعادة (**فلا يأمَن مكر الله/٩٩**) ظاهراً مضافاً إلى الله ، تحقيق لوقوع المكر بهم . (**أو لم يهدِ/١٠٠**) أي يبيِّن ، وفاعله ، قيل : ضمير الله ، لأنه قرىء (**نهدِ**) بالنون[1] . وقيل : ضمير ما جرى للأمم السالفة المفهوم من السياق . و(**أن/١٠٠**) محلها مفعول . وقيل : المصدر المنسبك من[2] (**أن لو نشاء/١٠٠**) أي إصابتنا ، أو قدرتنا على إصابتنا إياهم[3] .

و (**أن/١٠٠**) مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير للشأن ، وفي قراءة (**نهدِ**) بالنون التفات ، وعلى قراءة الياء الالتفات من[4] (**نشاء/١٠٠**) ، (**ونطبع/١٠٠**) جملة مستأنفة . (**تلك القرى/١٠١**) إشارة إلى بلاد قوم نوح ومن بعده . (**نَقُصُّ/١٠١**) عبّر بالمضارع مع مُضِي القص ، لإرادة الاستمرار . (**بما كَذَّبوا/١٠١**) زاد في يونس (**به/٧٤**) ، قال الكرماني : « لتقدم قوله هنا : (**آمنوا/٩٦**) ، (**ولكن كذبوا/٩٦**) من غير لحاق (**به**) ، فناسب تركها ، وفي يونس (**فكذبوه ، فنجيناه/٧٣**) ثم (**كذبوا بآياتنا/٧٣**) ، فناسب لحاق (**به**) ، كما ألحق الضمير فيما قبله »[5] . (**كذلك يطبع الله/١٠١**) فيه التفات ، وفي يونس (**نطبع/٧٤**) ، قال الكرماني : « لأنه تقدم هنا ذكر الله بالتصريح [والكناية ، فجمع بينهما ، فقال : (**ونطبع على قلوبهم**) بالنون ، وختم الآية بالصريح فقال :

---

(١) عن ابن عباس والسلمي ، ابن خالويه (٤٥) .
(٢) جواب - كما في البحر (٤/٣٥٠) .
(٣) انظر في كل ذلك البحر (٤/٣٤٩ - ٣٥٠) ، والدر المصون (٥/٣٩٣) .
(٤) في (أ) : في .
(٥) أسرار التكرار (٨٧) ، والبرهان (١٩٠) .



(كذلك يطبع الله)][1] ، وفي يونس بُني على ما قبله من قوله: (فنجيناه/٧٣) ، (وجعلناهم/٧٣) ، (ثم بعثنا/٧٤) بنون العظمة ، فناسب (نطبع) بالنون »[2] .

وقال ابن جماعة : « لما أكّدوا أول الآية هنا بالقسم ، ناسب ذلك تعظيم الطبع بنسبته إلى اسم الله ، وناسب الختم بوصف الكافرين الذي معناه أشد من وصف المعتدين ، فناسب كل آية ما خُتمت به »[3] . (وما وجدنا/١٠٢) فيه التفات ، (من عهدٍ/١٠٢) أي إيفاء عهد ، أو التزام[4] عهد . (ثم بعثنا من بعدهم موسى/١٠٣) أبوحيان: « لما قصّ على نبيه أخبار نوح وهود وصالح ولوط [وشعيب ، وما آل إليه أمر قومهم ، وكان هؤلاء لم يبقَ منهم أحد ، أتبع بقصص موسى وفرعون][5] وبني إسرائيل ، إذ كانت معجزاته من[6] أعظم المعجزات ، وأمته[7] من أكثر الأمم تكذيباً وتعنتاً واقتراحاً وجهلاً ، وكان قد بقي من أتباعه عالَم ، وهم اليهود ، فقصّ سبحانه وتعالى قصصهم علينا ، لنعتبر ونتعظ وننزجر عن التشبه بهم . ومناسبة هذه الآية لما قبلها ، أن بين موسى وشعيب مصاهرة -كما حكى الله في كتابه- ونسب ، لكونهما من نسل إبراهيم .

ولما افتتح قصة نوح بـ(أرسلنا) بنون العظمة ، أتبع ذلك قصة موسى ، فقال (ثم بعثنا/١٠٣) »[8] .

وأقول : ذكر الله المرسلين ، ولم ينص على معجزاتهم ، سوى موسى وعيسى لبقاء أتباعهم . فكان في ذكرها استلزام تصديقهم بالقرآن والنبي لمطابقتها لما

---

(١) ما بين القوسين أضفته من أسرار التكرار (٨٨) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) كشف المعاني (١٦٨) .

(٤) في (أ) : إلزام .

(٥) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) .

(٦) كلمة « من » ليست بالمخطوطة ، وإنما أضفتها من البحر (٣٥٤/٤) .

(٧) في (أ) : وأشد .

(٨) البحر (٣٥٤/٤) .

عندهم ، ولما لم يكن بقي من أتباع تلك الرسل أحد ، لم ينص على معجزاتها لعدم الفائدة المذكورة .

فإن قلت : قد ذكر معجزة صالح ، وهي الناقة ، ولم يبق من أتباعه أحد ، قلت : ظهر لي في ذلك نكتتان :

الأولى : أن أمر الناقة وعقرها كان مشهوراً بين العرب في الجاهلية وذكروه كثيراً في أشعارهم ، لأن صالحاً كان من العرب ، ومات بمكة أو بحضرموت ، قال بعض العرب :

فأتـاهـا أُحـيمـر كأخِي الـسّـهـم بعضب ، فقـال كوني عقـيرا[1]

وقـال آخــر :

فَتُنْتِجْ لكم غلمان أشـأم كلهـم كأحمـر عاد ، ثم ترضـع فَتُـفْـطِمِ[2]

أراد كأحمـر ثمـود .

فكان في ذكر الناقة ما يقتضي تصديق العرب بالقرآن ، وبأخباره . والآخر : أنه ورد أن الدابة التي تخرج قرب الساعة ناقة صالح[3]، فكان في ذكرها تمهيداً[4] لذكرها في الأشراط .

(وقال موسى يا فرعون إني رسولٌ من رب العالمين/١٠٤) فاتحه بذلك ، لأنه ادَّعى الربوبية ، لينبِّه على أنه في الوصف الذي ادَّعاه مبطل لا محق . (حقيقٌ على

---

(١) هذا البيت لأمية بن الصلت . ديوانه (٣٥) ، والمقرب لابن عصفور (١ / ٢٣١) ، وشرح شواهد شروح الألفية للعيني (٣٧٧/٤) ، وشرح الأشموني (٢٧٤/٣) .
(٢) هذا البيت لزهير بن أبي سلمى . ديوانه (٢٧) ، واللسان (٣١٥/١٢) مادة : شأم .
(٣) لم أعثر على ما يدل على ذلك .
(٤) في (أ) : ظهرا .



أن لَّا أقولَ على الله إلا الحقَّ/١٠٥) لما كان هذه دعوى ، أردفها بما يدل على صحتها ، فقال : (قد جئتكم ببينةٍ من ربكم/١٠٥) ولما قرَّر الرسالة ، فرَّع عليها تبليغ الحكم ، فقال : (فأرسِل معيَ بني إسرائيلَ/١٠٥) وقرأ الستة (على) حرف جر[١] ، على تضمين (حقيقٌ/١٠٥) معنى حريص[٢] ، أو على معنى الباء[٣] ، ويؤيده قراءة أُبيّ (بأن) ، وقرأ ابن مسعود (حقيقٌ أن) بإسقاط الجر[٤] ، فيحتمل إضمار (على) و« الباء » . وقرأ نافع (عليّ) بتشديد الياء[٥] ، قيل : (حقيقٌ) مبتدأ ، و(عليّ) خبره ، و(أن لا أقولَ/١٠٥) فاعل بحقيق ، لأنه في معنى : يحِقّ عليّ . وقيل : (أن لا أقولَ) مبتدأ ، و(حقيقٌ) خبره . وقيل : تم الكلام عند (حقيقٌ) ، و(عليّ أن لا أقولَ) مبتدأ وخبر[٦] .

وفي الخطاب تنويع ، فإنه انتقل من خطاب[٧] فرعون ، إلى خطاب قومه وقال: (من ربكم/١٠٥) تنبيهاً لهم أن فرعون ليس ربّاً لهم ، ثم انتقل ثانياً من خطابهم إلى خطابه ، وقال هنا: (معيَ/١٠٥) ، لأنه لم يذكر سوى رسالة موسى ، وفي « طه » : (فأرسِل معنا/٤٧) ، لأنه خطاب لموسى وهارون ، قاله ابن جماعة[٨] .
(قال إن كنتَ/١٠٦) أتى بإن ، لأنه في مقام الشاك ، ولهذا كرر قوله : (إن كنتَ من الصادقين/١٠٦) . (ثعبانٌ مبينٌ/١٠٧) أي ظاهر لا تخيُّل فيه ، بل هو ثعبانٌ حقيقةً . (للناظرين/١٠٨) « في ذكره تنبيه على عِظم بياضها ، لأن النظّارة إنما تعرض لها إذا كان بياضها عظيماً خارجاً عن العادة ، فيجتمع إليها الناس ، كما

(١) هي قراءة القراء السبعة ما عدا نافعاً . الكشف (١/٤٦٩ - ٤٧٠) .
(٢) ذكره الزمخشري في كشافه (٢/١٠٠) .
(٣) وهو قول الأخفش ، والفراء ، والفارسي . معاني القرآن للأخفش (٣٠٧/٣) ، ومعاني القرآن للفراء (٣٨٦/١) ، والدر المصون (٥/٤٠٢) .
(٤) انظر في هذه القراءة وسابقتها البحر (٤/٣٥٥ - ٣٥٦) .
(٥) الكشف (١/٤٦٩) .
(٦) انظر البحر (٤/٣٥٥) ، والدر المصون (٥/٤٠١ - ٤٠٦) .
(٧) في (أ) : الخطاب .
(٨) كشف المعاني (١٦٥) .



يجتمع النظّار للعجائب » ، قاله أبوحيان[1] . (**قال الملأ من قومِ فرعونَ/١٠٩**) ، (في « الشعراء » : (**قال للملأ حوله/٣٤**) ، والجمع أن فرعون وهم كلهم قالوا ذلك ، فحكى هنا قولهم ، وهناك قوله ، أو قاله ابتداء ، فتلقاه منه الملأ ، وقالوه لأتباعهم ، أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ)[2] .

قال ابن جماعة : « وخُصَّت الشعراء بحكاية قوله ، لتقدم مخاطبته لموسى بقوله : (**ألم نربِّكَ/١٨**) إلى آخره ، فناسب ذلك حكاية قوله »[3] . (**إنَّ هذا/١٠٩**) قال أبـوحيان : « أكثر استعمال لفظ (هـذا) إذا كان من كلام الكفار في التنقص والاستغراب ، نحو (**أهـذا الـذي يذكر آلهتكم**)[4] ، (**أهـذا الـذي بعث الله رسولاً**)[5] ، (**إنْ هذا إلا أساطير الأولين**)[6] ، (**ما هذا إلا بشرٌ مثلكم**)[7] ، (**إن كان هذا هو الحق من عنـدك**)[8] يعـدلـون عن اسم الشيء إلى الإشـارة ، تحقيراً »[9] . (**يريد أن يخرجكم/١١٠**) » استشعرت نفوسهم ما صار إليه أمرهم من إخراجهم ، وخلوّ مواطنهم ، وخراب بيوتهم ، فبادروا إلى الإخبار بذلك »[10] . (**من أرضِكم/١١٠**) زاد في الشعـراء (**بسحره/٣٥**) قال ابن جماعة : « لأن آية الشعراء من كلام فرعون ، ولما كان هو أشدهم في رد أمر موسى والتنفير عنه ، صرَّح بأنه سِحر ، ولذا قال : (**أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى/٥٧**)

---

(١) البحـر (٣٥٧/٤) .
(٢) هذا نص كلام أبي حيان ، البحر (٣٥٨/٤) .
(٣) كشف المعـاني (١٧٠) .
(٤) الأنبيـاء (٣٦) .
(٥) الفرقـان (٤١) .
(٦) الأنعـام (٢٥) .
(٧) المؤمنـون (٢٤) .
(٨) الأنفـال (٣٢) .
(٩) البحـر (٣٥٨/٤) .
(١٠) هذا نص عبارة أبي حيان مع قليل من الاختصار . البحر (٣٥٨/٤) .



قاصداً بذلك تنفير الناس عن اتباعه »[1]، وذكر مثله صاحب المناجاة . وزاد أنه لم يقل : « من أرضي » أو « أرض فرعون » ، إغراء لهم عليه ، وتحريضاً على بغضه وذمه بنسبة الأرض إليهم وتألفاً[2] لقلوبهم[3]، ليوهم أنه لعدله في ملكه ، كأنه ليس له أرض ، وإنما الأرض لهم ، ولهذا قال : **(فماذا تأمرون/١١٠)** ، وهو تَسَفُّلٌ منه لهم ، إذ الأمر من العالي للسافل ، وهو من قول فرعون ، لا من قول الملأ ، فإما أن يكون على تقدير : « قال » قبله ، وتمَّ كلام الملأ عند **(من أرضكم/١١٠)** أو على أن المراد : قال الملأ من قوم فرعون ، وفرعون معهم ، كما قرره الكرماني[4]، على حدّ : **(وأغرقنا آل فرعون)**[5]، أي وفرعون معهم . **(أرجئه/١١١)** بالهمز ، أي أخّره ، وبدونه[6]، أي أطعمه ، **(وأرسِل/١١١)** في الشعراء : **(وابعث/٣٦)** ، قال الكرماني والإمام وغيرهما : « لأن **(أرسل/١١١)** أكثر تفخيماً من **(ابعث)** ، وأعلا رتبة لإشعاره بالفوقية ، فلما حكى هنا قول الملأ لفرعون ، ناسب خطابهم له بما هو أعلا ، تفخيماً له ، وفي الشعراء صدَّر الكلام بأنه هو القائل لهم ، فناسب تنازله معهم ، ومشاورته لهم »[7]. **(بكل ساحرٍ/١١٢)** ، وفي قراءة **(سحّار)**[8] وكذا في يونس[9] القراءة بالوجهين ، ولم يُقرأ في الشعراء إلا **(سحار/٣٧)** لمناسبة زيادة **(بسحره/٣٥)** قاله ابن جماعة[10]. **(وجاء السَّحَرة فرعون قالوا/١١٣)** ، في الشعراء : **(فلما جاء السحرة قالوا**

---

(١) كشف المعاني (١٦٥) .

(٢) في (أ) : وتألف .

(٣) كلمة « لقلوبهم » ليست في (أ) .

(٤) أسرار التكرار (٨٨) .

(٥) البقرة (٥٠) ، والأنفال (٥٤) .

(٦) قراءة الهمز هي قراءة ابن كثير ، وهشام عن ابن عامر ، وأبي عمرو ، وقراءتها بدون الهمز هي قراءة الحلواني عن نافع ، وعاصم ، وحمزة - على تفصيل في كل ذلك . حجة القراءات (٢٨٩ - ٢٩٠) .

(٧) أنظر أسرار التكرار (٨٩) ، ولم أعثر على ذلك في التفسير الكبير للفخر الرازي .

(٨) هي قراءة حمزة والكسائي . الكشف (١/٤٧١) .

(٩) وذلك في قوله تعالى : **(وقال فرعون ائتوني بكل ساحرٍ عليمٍ)** ، يونس (٧٩) .

(١٠) كشف المعاني (١٧١) .



لفرعون/٤١) ، قال الكرماني : « لأن القياس هنا : وجاء السحرة فرعون ، وقالوا ، أو فقالوا ، لكن حذف الواو ، والفاء ، فيكون جواب سؤال مقدر ، ويقدر[1] فلما جاؤوا قالوا ، وأما تقديم فرعون ، وتأخيره ، فإن التقدير فيهما : فلما جاء السحرة فرعون ، قالوا لفرعون ، فأظهر الأول في هذه ، لأنها الأولى وأظهر الثاني في الشعراء ، لأنها الثانية »[2] .

وقال الإمام : « لما كانت قصة موسى وفرعون في الشعراء مستوفى[3] الذكر من أولها إلى آخرها ، وقع فيها زوائد لم تقع[4] في هذه ، ولا في طه كقوله : **(ألم نربِّك فينا وليداً/١٨)** ، وما بعده ، وقوله : **(ثم أغرقنا الآخرين/٦٦)** بُنِي فيها على الإطناب ، ولما كان المذكور في هذه بعض الأحوال ، بُني الأمر على الإيجاز ، ولهذا حذف **(بسحره)** هنا »[5] . **(إن لنا)**[6] القراءة بلفظ الاستفهام والخبر . **(لأجراً/١١٣)** أي عظيماً ، قال الزمخشري : « التنكير هنا للتعظيم كقولهم : إن له لإبلاً ، وإن له لغَنَماً يقصدون الكثرة »[7] . قال أبوحيان : « في خطاب السحرة فرعون بذلك دليل على استطالتهم عليه ، لاحتياجه إليهم ، ولما يحصل للعالم بالشيء من الترفع على من يحتاج إليه »[8] . **(قال نعم/١١٤)** أي إن لكم لأجراً ، ولذا عطف عليه . **(وإنكم لمن المقربين/١١٤)** أي لا أقتصر بكم على الأجر والجعل ، بل أزيدكم التقريب ، ورفع المنزلة والجاه ، وزاد في الشعراء **(إذاً/٤٢)** ، قال الكرماني : « وهي[9] مقدرة هنا ، وخصّت هذه السورة بالإضمار ، لأنها محل

---

(١) في (ب) : ومقدر .

(٢) أسرار التكرار (٨٩) مع تصرف .

(٣) في (ب) : مستوفا .

(٤) في (أ) : تقطع .

(٥) لم أعثر على هذا الكلام في التفسير الكبير .

(٦) قراءتها بهمزة واحدة ، على لفظ الخبر ، هي قراءة الحرميين ، وحفص ، وأما الباقون فقد قرؤوها بالاستفهام على أصل كل واحد. الكشف (١/٤٧٢) .

(٧) الكشاف (٢/١٠٢) .

(٨) البحر (٤/٣٦١) .

(٩) في (أ) : وهو .

الاختصار »[1]. (قالوا يا موسى إما أن تُلْقِي ، وإما أن نكون نحن الملقين/ ١١٥) قال الزمخشري : « تخييرهم إياه حُسْن أدب راعوه معه »[2].

وقال القرطبي[3] : « تأدَّبوا مع موسى ، فكان ذلك سبب إيمانهم »[4].

وقال أبو حيان : « ليس ذلك من باب الأدب ، [بل من باب][5] الثقة بأنفسهم ، وإيهام الغلبة ، وعدم الاكتراث بأمر موسى »[6].

وقال الزمخشري : « وفي قولهم ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل ، وتعريف الخبر ، وإقحام الفصل »[7]. و(إما/ ١١٥) في محل نصب على أن المعنى : اختر ، أو رفع ، على معنى إما إلقاؤك مبدوء به ، وحذف مفعول (تُلْقِي/ ١١٥) ، و(الملقِين/ ١١٥) للعلم به ، أو تنزيلاً له[8] منزلة اللازم ، أي توجّه الإلقاء .

الكرماني : « راعى هنا ، وفي « طه » فواصل الآي ، حيث قال (الملقين/ ١١٥) و(ساجدين/ ١٢٠) ، و(رب موسى وهارون/ ١٢٢)[9] ، وأدرج الوعيد في آية آخرها : (أشد عذاباً وأبقى/ ٧١) »[10]. (قال ألقوا/ ١١٦) أمر احتقار

---

(١) أسرار التكرار (٨٩) مع الاختصار .

(٢) الكشاف (١٠٢/٢) .

(٣) هو أبو عبد الله ، محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي ، من كبار المفسرين ، كان ورعاً متعبداً ، من كتبه : « الجامع لأحكام القرآن » تفسير ، و « والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة » ، توفي سنة ٦٧١هـ . نفح الطيب (٤٢٨/١) ، والديباج (٣١٧) .

(٤) الجامع (٢٥٩/٧) .

(٥) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) .

(٦) البحر (٣٦١/٤) .

(٧) الكشاف (١٠٣/٢) .

(٨) كلمة « له » ليست في (أ) .

(٩) في (طه) : (مَن ألقى) (٦٥) ، (سجداً / ٧٠) ، (برب هارون وموسى) (٧٠) .

(١٠) طه (٧١) .



توسَّل به إلى إظهار الحق . **(واسترهبوهم/١١٦)** بمعنى أرهبوهم .

الزمخشري : « أي أرهبوهم إرهاباً شديداً ، كأنهم استدعوا رهبتهم »[1] . وأُخِّرت هذه الجملة ، لأن الرهبة ناشئة عن رؤية العين . **(وأوحينا إلى موسى أن ألقِ عصاك/١١٧)** قيل : هو وحي إعلام ، وفائدة تجريده تثبيت الجأش ، والبشارة بالنصر . وقيل : وحي إلهام ، ألقى ذلك في روعه[3] . **(تلقف/١٧٠)** بفتح اللام ، وتشديد القاف ، أي تتلقف . وفي قراءة بسكون اللام[4] ، واللقف والتلقف : الابتلاع بسرعة . وقرىء **(تلقم)**[5] بالميم ، أي تبلع ، كاللقمة . **(فوقع الحق/١١٨)** أي ظهر واستبان ، قال في أرباب المعاني : « الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقره »[6] . وقال القاضي : « **(فوقع الحق/١١٨)** يفيد قوة الظهور والثبوت ، بحيث لا يصح فيه البطلان ، كما لا يصح في الواقع أن يصير إلا واقعاً ، ومع ثبوت الحق بطلت ، وزالت تلك الأعيان التي أفِكُوها »[7] . وفي الآية طباق لطيف ، فإن **(بَطَلَ/١١٨)** بمعنى[8] زال ، في مقابلة **(فوقع/١١٨)** بمعنى : ثبت وظهر . **(وما كانوا يعملون/١١٨)** أي إفْكهم في مقابلة **(الحق/١١٨)**. **(فغُلبوا هنالِك ، وانقلبوا/١١٩)** في الفعلين موازنة وقوع من الجانبين ، ولما كان الضمير فيهما شاملاً للسَّحَرة وغيرهم ، جُرِّد المؤمنون بعد ذلك وأُفردوا بالذكر ، فقال: **(وأُلقِي السحرة ساجدين/١٢٠)** أي خَروا سجدا ، كأنما ألقاهم مُلْقٍ لشدة خرورهم ، وعدم تمالكهم مما رأوا . **(قالوا)** في موضع الحال أي قائلين . **(آمنا برب العالمين/١٢١)** قالوا ذلك موافقة لقول موسى : **(إني رسولٌ من رب**

---

(١) أسرار التكرار (٨٩ - ٩٠) مع قليل من التصرف .

(٢) الكشاف (٢/١٠٣) .

(٣) انظر البحر (٤/٣٦٣) .

(٤) هذه قراءة حفص ، وأما القراءة السابقة فهي قراءة البقية . الكشف (١/٤٧٣) .

(٥) قرأها ابن جبير . البحر (٤/٣٦٣) .

(٦) البحر (٤/٣٦٤) .

(٧) البحر (٤/٣٦٤) .

(٨) في (أ) : بكل ، معنى .

العالمين/١٠٤) ، فلما كان هذا اللفظ قد يوهم غير الله ، لقول فرعون: **(أنا ربكم الأعلى)**[١]، زادوا : **(ربِّ موسى وهارون/١٢٢)** نصباً بالبدل على الإله الحق ، ورفعاً لذلك التوهم .

قال صاحب المناجاة : « فهو من باب التكميل[٢]، أو الاحتراس[٣]». **(قال فرعون/١٢٣)** صرّح به ، وفي الشعراء وطه ، قال: **(ءامنتم/٤٩ ، ٧١)** ، قال الكرماني : « لأن هذه السورة مقدمة عليهما ، فصرّح فيها ، وكنّى فيما بعدها »[٤] وقال الإمام هنا بعد ذكر فرعون ، وطال الفصل بآيات كثيرة ، فحُسن التصريح به ، وهناك قرُب من ذكره ، فكنّى عنه »[٥]. **(ءامنتم به/١٢٣)** أي برب العالمين ، وفي طه والشعراء : **(له/٧١ ، ٤٩)** أي لموسى ، لقوله : **(إنه لكبيركم/٧١ ، ٤٩)** قال صاحب المناجاة : « لما اشتمل كلامهم على الإيمان برب العالمين ، رب موسى وهارون ، وزّع الضمير في الموضعين ، فذكر به بالنسبة إلى صدر[٦] توحيدهم ، وهو برب العالمين ، وله بالنسبة إلى عجزه ، وهو رب موسى ، والتقدير : آمنا برب العالمين ، وأخلصنا لرب موسى وهارون .

وقيل : آمنتُ به ، وآمنتُ له واحد ، وأرد في كل موضع أحد الاستعمالين .

---

(١) النازعات (٢٤) .

(٢) التكميل : هو أن يأتي المتكلم بمعنى تام في فن من الفنون فيرى الاقتصار عليه ناقصاً ، فيكمله بمعنى آخر في غير ذلك الفصل الذي أتى به أولاً ، كمن مدح إنساناً بالحلم ، فيرى الاقتصار عليه بدون مدحه بالبأس ناقصاً ، فيكمله بذكره » .
أنوار الربيع (١٨٥/٥) ، ومعجم المصطلحات (٣٤٠/٢) ، والبيان للطيبي (٣٧٣) .

(٣) الاحتراس : هو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال كقوله: **(أذلةٍ على المؤمنين ، أعزةٍ على الكافرين)** (المائدة ٥٤) فإنه لو اقتصر على وصفه بالذلة وهو السهولة ، لتوهم أن ذلك لضعفهم ، فلما قيل : **(أعزةٍ على الكافرين)** علم أنها منهم تواضع ، ولهذا عدى الذل بعلى ، لتضمنه معنى العطف . البرهان للزركشي (٦٤/٣ - ٦٥) .

(٤) أسرار التكرار (٩١) .

(٥) لم أعثر عليه .

(٦) في (أ) : صدور .



(فسوف/١٢٣) في الشعراء : (فلسوف/٤٩) ، لأن هذه السورة مبنية على الإيجاز ، وتلك على الإطناب كما تقدم . (تعلمون/١٢٣) حذف المفعول للإبهام المقصود به التهويل ، أي ما يحل لكم ، ثم بيَّنه فقال : (لأقطِّعَنَّ/١٢٤) الآية ، قرىء : (لأَقْطَعَنَّ) ، و(لأَصْلُبَنَّكم) مضارع قطع ، وصلب الثلاثي بضم اللام وكسرها[١] ، وعطف هنا الصلب بثم ، وفي طه والشعراء بالواو[٢] ، لأن هذه أول سورة فبيَّن فيها البعدية ، وأحال فيما بعدها على[٣] ما علم هنا ، فأتى بالواو التي لا تنافي الترتيب ، بل يكون له في أحد استعمالاتها تفنناً واختصاراً في آية طه لكثرة جملها ، التي قامت مقام اثنين أو ثلاث ، ولموافقة ما عطف عليها من قوله: (ولتعلمن/٧٠) . (قالوا إنا/١٢٥) زاد في الشعراء : (لا ضَيْرَ/٥٠) ، قال الكرماني : « لبنائها على الإطناب ، وبناء هذه على الإيجاز »[٤] . (وما تنقم منا إلا أن آمنا/١٢٦) هذا من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم ، لأن الإيمان ليس مما ينقم . قال أبو حيان : « هذا الفعل من لسان العرب يعدّى بعلى ، يقال : نقِمت عليه كذا ، [وعدّي في القرآن بمن[٥] ، تشبيهاً له بانتقم ، فإن (آمنا) مفعول له][٦] .

قلت : الأولى أن يقال تضميناً له معنى : تكره .

وقرىء بفتح القاف[٧] ، لغة . (أتذر/١٢٧) استفهام إنكار . (ليفسدوا في الأرض ، ويذرك/١٢٧) فيه لف ونشر غير مرتب ، فإن ضمير (يذرك) لموسى ،

---

(١) بالبحر (٤/٣٦٥ - ٣٦٦) : « وقرأ مجاهد ، وحميد المكي ، وابن محيصن (لأقطعن) مضارع قطع الثلاثي ، و(لأصلبنكم) مضارع صلب الثلاثي بضم لام (لأصلبنكم) ، وروي بكسرها » . وانظر ابن خالويه (٤٥) .

(٢) طه (٧١) ، والشعراء (٤٩) .

(٣) في (أ) : ثم .

(٤) أسرار التكرار (٩١) .

(٥) في (ب) : لمن .

(٦) بالبحر (٤/٣٦٦) . « .... والذي يظهر من تعديته بمن أن المعنى : وما تنقم منا ، أي ما تنال منا. . . وعلى هذا يكون قوله : (إلا أن آمنا) مفعولاً من أجله ، واستثناءً مفرغاً » .

(٧) قرأها أبو حيوة ، وابن أبي عبلة ، والحسن وغيرهم . البحر (٤/٣٦٦) ، وابن خالويه (٤٥) .



ويفسدوا لقومه ، وقرىء **(ويذرك)** بسكون الراء[1] عطفاً على التوهم[2] تشبيه **(ليفسدوا/١٢٧)** بالمجزوم ، وعلى حد : **(فأصّدّقَ وأكُن)**[3] ، أو تخفيف[4] . وقرىء بالنون ، ورفع الراء[5]، إما تَوَعُّد منهم ، أو إخبار بما يؤول إليه الأمر ، وقرأ أُبيّ وابن مسعود : **(وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك)**[6]. وقرأ الأعمش : **(وقد تركك وآلهتك)**[7] ، وقرىء **(وإلاهتك)**[8] بالإفراد ، أي عبادتك ، فهو مصدر . وقيل : المراد بالشمس ، لأن من إعلامها إلٰهه ، وكان فرعون يدَّعِي أن الشمس استجابت ، وملَّكته عليهم[9] . **(وإنا فوقهم/١٢٧)** أراد فوقية العلو والرفعة والقهر[10]، لا المكانية . **(قال موسى/١٢٨)** الزمخشري : « فإن قلت : لم أُخلِيت هذه الجملة عن الواو ، وأُدخلت على التي قبلها ؟

قلت : هذه جملة مبتدأة مستأنفة ، وأما **(وقال الملأ/١٢٧)** فمعطوفة على ما سبقها[11] من قوله : **(قال الملأ من قوم فرعون/١٢٧)** »[12]. **(يُورِثها/١٢٨)** قرىء بفتح الراء ، وقرىء بتشديدها[13] للمبالغة . **(والعاقبة/١٢٨)** قرىء

---

(١) قرأ بذلك الأشهب العقيلي ، وأبو رجاء ، والحسن . البحر (٣٦٧/٤) ، وابن خالويه (٤٥) .

(٢) فيهما : توهم ، وما أثبتناه من البحر (٣٦٧/٤) .

(٣) المنافقون (١٠) .

(٤) انظر الدر المصون (٤٢٣/٥) .

(٥) قرأ بذلك أنس بن مالك . البحر (٣٦٧/٤) .

(٦) البحر (٣٦٧/٤) .

(٧) البحر (٣٦٧/٤) .

(٨) قرأ بذلك ابن مسعود ، وعلي ، وابن عباس ، وأنس ، وجماعة غيرهم . ابن خالويه (٤٥) ، والبحر (٣٦٧/٤) .

(٩) القول الأول نسبه ابن الأنباري إلى اللغويين ، والقول الثاني هو قول ابن قتيبة . انظر زاد المسير (٢٤٤/٣) ، والبحر (٣٦٧/٤) ، والجامع للقرطبي (٢٦٢/٧) .

(١٠) في (ب) : والقصر .

(١١) في (أ) : نسبها .

(١٢) الكشاف (١٠٥/٢) .

(١٣) هذه قراءة هبيرة عن حفص ، ويحيى ، وابن مسعود ، وأسندها أبو حيان إلى الحسن . وأما القراءة السابقة فهي قراءة ابن أبي ليلى . ابن خالويه (٤٥) ، والبحر (٣٦٨/٤) .



بالنصب[1] عطفاً على (**الأرض/١٢٨**). (**عسى ربكم أن يهلك عدوكم/١٢٩**) أتى بصيغة الترجي تأدباً مع الله . (**فينظرَ كيف تعملون/١٢٩**) جملة تجري[2] مجرى الحث والتحريض على طاعة الله . (**أخذنا/١٣٠**) أصله التناول باليد ، واستُعير هنا للابتلاء . (**بالسنين/١٣٠**) أصل السنة : الحول ، ثم استُعيرت للجدب ، وشاع حتى صار من الأعلام الغالبة . (**فإذا جاءتهم الحسنة ، قالوا لنا هذه/١٣١**) أي نحن مستحقون لها ، لم يعدُّوها فضلاً من الله ، بل استحقاقاً لهم . (**وإن تُصبهم سيئة يَطَّيَّروا بموسى/١٣١**) فلا يعدُّوها مستحقة لهم ، لما هم عليه من الكفر والمعاصي ، وجيء بـ(**إذ/١٣١**) في جانب الحسنة ، للإشارة أنها غالبة ومتحققة ، لأن إحسان الله هو المعهود إلى خلقه[3] ، حتى[4] في حال الابتلاء له وبـ(**إن/١٣١**)[5] في جانب السيئة ، لأنها نادرة وقليلة ، ولهذا عرَّف الحسنة ونكَّر السيئة . وقرىء (**تَطَيَّروا/١٣١**) بالفوقية ، وتخفيف الطاء ماضياً . وقرىء (**تشاءموا**)[6] . (**إنما طائرهم/١٣١**) أطلق على القَدَر طائر من باب المشاكلة ، وإلا فهو المأخوذ من زجر الطير . وقرىء (**طيرهم**)[7] . (**عند الله**) فيه التفات . (**فأرسلنا/١٣٣**) فيه التفات . (**الطوفان/١٣٣**) قال ابن عطية : « هو عام في كل شيء يطوف ، إلا أن استعمال العرب له أكثر في الماء والمطر الشديد »[8]. وقيل :

---

(١) قرأ بذلك ابن مسعود ، وأُبيّ . ابن خالويه (٤٥) ، والبحر (٣٦٨/٤) .

(٢) ليست موجودة في (أ) .

(٣) في (ب) : لخلقه .

(٤) في (أ) : جي .

(٥) و بـ(إن) : ليست موجودة في (أ) .

(٦) رويت عن مجاهد ، وذكر أبو حيان بأن هذه ينبغي أن تحمل على التفسير ، لا على أنه قرآن لمخالفتها سواد المصحف . البحر (٣٧٠/٤) . وأما القراءة السابقة ، فهي قراءة عيسى بن عمر ، وطلحة بن مصرف . ابن خالويه (٤٥) ، والبحر (٣٧٠/٤) .

(٧) قرأ بذلك الحسن - كما في البحر (٣٧٠/٤) ، و ابن خالويه (٤٥) .

(٨) المحرر الوجيز (٤٩/٦) .



هو هنا الطاعون بلغة اليمن . وقيل : الجدري [1] . (**والقُمَّل/١٣٣**) قرىء بفتح القاف وسكون الميم[2] . (**آيات مُفَصَّلات/١٣٣**) أي مفرقات ، بين الآية فصل من الزمان ، والفصل في الأجرام التفريق ، وفي المعاني التفريق المعنوي ، حتى[3] تستبين ويمتاز بعضها من بعض ، فلا يشكل ، (**فلما كشفنا عنهم الرجز/١٣٥**) من إقامة الظاهر مقام المضمر ، لكونه من[4] جملة أخرى . (**إلى أجلٍ هم بالِغوه/١٣٥**) لم يقل : بالِغيه ، لأن الوصف بالجملة فخامة ليست[5] كالوصف[6] بالمفرد ، لتكرر الضمير . (**إذا هم ينكُثون/١٣٥**) أي فاجؤوا بالنكث ، وبادروه ، ولم يؤخِّروه . (**فأغرقناهم/١٣٦**) الفاء تفسيرية لأن الإغراق تفسير للانتقام . (**اليَمِّ/١٣٦**) البحر ، قيل : هو بالسريانية . وقيل : بالعبرانية . (**كلمةُ ربك/١٣٧**) فيه التفات . وقرىء (**كلمات**)[7] بالجمع . (**ودمَّرنا/١٣٧**) فيه التفات. (**يعرشون/١٣٧**) بكسر الراء وضمها[8] ، وقرىء بضم الياء وفتح العين ، وقرىء بغين معجمة ، وسين مهملة[9] من غرس الأشجار .

قال الزمخشري : « وما أحسبه إلا تصحيفاً ، وهذا آخر ما اقتصَّ الله من نبأ

---

(١) هذا قول أبي قلابة ، والقول السابق ، هو قول ابن عباس ، ومجاهد ، ووهب ، وغيرهم ، وهو اختيار الفراء ، وابن قتيبة ، وبه بدأ ابن كثير . البحر (٣٧٣/٤) ، وزاد المسير (٢٤٨/٣ - ٢٤٩) ، والجامع للقرطبي (٢٦٧/٧) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٤٠/٢) .

(٢) وهي قراءة الحسن . البحر (٣٧٣/٤) ، وابن خالويه (٤٥) .

(٣) كلمة « حتى » ليست في (أ) .

(٤) في (ب) : في .

(٥) في (أ) : ليسق .

(٦) في (ب) : من الوصف .

(٧) قرأها الحسن ، وهي أيضاً رواية عن عاصم . الدر اللقيط (هامش البحر - ٣٨٦/٤) ، وابن خالويه (٤٥) .

(٨) قراءة الضم هي قراءة ابن عامر ، وأبي بكر ، وأما قراءة الكسر ، فهي قراءة الباقين . الكشف (٤٧٥/١) .

(٩) القراءة بضم الياء وفتح العين ، وتشديد الراء ، هي قراءة ابن أبي عبلة ، والقراءة الثانية ذكرها أبوحيان دون أن يعين من قرأها . انظر الجامع للقرطبي (٢٧٢/٧) ، والبحر (٣٧٧/٤) ، والمحرر (٥٨/٦) ، والدر المصون (٤٤١/٥) .



فرعون والقبط»[1]. وانظر إلى هذه البراعة في[2] الختام، كيف ختم بها آذن بالانتهاء من الإهلاك والإغراق والتدمير والميراث وتمام الكلمة، وكل لفظة من هذه كافية في حسن براعة الختام، ثم أتبع ذلك اقتصاص نبأ بني إسرائيل، وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون، واستعباده إياهم، ومعاينتهم الآيات العظام، ومجاوزتهم البحر، من طلب آلهة يعبدونها غير الله، تعريضاً باليهود المعاصرين للنبي -ﷺ-، وتسلية له، وإشارة إلى أن هذا شأن أسلافهم من قبلهم، الاستعصاء على الأنبياء، والاعتداء بعد الإكرام، ورؤية الآيات، فقال: **(وجاوزنا/١٣٨)** الآية. و«جاوز» هنا لا مشاركة فيه. وقرىء **(وجَوَّزنا)**[3]. **(يعكفون/١٣٨)** بضم الكاف وكسرها[4]. **(إنكم قومٌ تجهلون/١٣٨)** وصفهم بالجهل المطلق، وأكَّده بأن، لأن مثل هذا الكلام الشنيع لا يصدر إلا عمن بلغ غاية الجهل. وأتى بـ**(تجهلون/١٣٨)** دون جهلهم، إشعاراً بأن ذلك فيهم كالطبع والغريزة، لا تنتقل عنهم[5] في ماض ولا مستقبل.

ولما بدأ بنسبتهم إلى الجهل، ثنَّى بالإخبار بأن عُبَّاد الأصنام ليسوا على شيء، بل مآل أمرهم إلى الهلاك وبطلان العمل، ثم ثلَّث بالإنكار والتعجب من أن يقع هو في طلب إله لهم غير الله، وهو الذي شرَّفهم، وخصَّهم بالنِّعم التي لم يُعطها من سلف من الأمم. **(وإذ أنجيناكم/١٤١)** الخطاب لمن كان في عصر النبي -ﷺ- تذكيراً لهم بالنعمة على حد المذكور في البقرة[6]. وقرىء **(نجيناكم)**[7]،

---

(١) الكشاف (٢/١١٠).

(٢) حرف «في» ليس موجوداً في (أ).

(٣) قرأ بذلك الحسن، وإبراهيم، وأبو رجاء، ويعقوب. البحر (٤/٣٧٢)، وابن خالويه (٤٥).

(٤) قراءة الكسر هي قراءة حمزة، والكسائي، وقراءة الضم هي قراءة البقية. الكشف (١/٤٧٥).

(٥) عنهم: ليست في (أ).

(٦) الآية (٤٩).

(٧) قرأت بذلك فرقة. البحر (٤/٣٧٩)، والمحرر (٦/٦٣)، والدر المصون (٥/٤٤٦).



و(**يقتلون/١٤١**) مشدد ومخفف[١]. (**وواعدنا/١٤٢**) أجمل في البقرة المواعدة بأربعين[٢]، وفصلها هنا، وفائدة الفذلكة، وهي (**فتم ميقات ربه أربعين ليلةً/١٤٢**) دفع توهم كون العشرة بغير مواعدة، أو كونها من الثلاثين، أو كونها عشر ساعات مثلا[٣]، وفي (**ربه/١٤٢**) التفات، وذكر التمام دون الكمال، لأن الكمال يختص بما نقصت أجزاؤه، والتمام بما زاد على كمال الأجزاء، والثلاثين لم تكن ناقصة الأجزاء، فتمت بالعشر. وقرأ أُبيّ: (**وتممناها**) مشدداً[٤]، قيل: والفرق بين الميقات والوقت، أن الميقات ما قُدِّر فيه عمل من الأعمال، والوقت وقت الشيء[٥]، و(**أربعين/١٤٢**) تمييز لنسبة التمام. (**هارون/١٤٢**) قرىء بالضم على النداء[٦]. (**لميقاتنا/١٤٣**) فيه التفات. (**وكلّمه ربه/١٤٣**) فيه التفات أيضاً. (**أرِني/١٤٣**) أي ذاتك. (**لن تراني/١٤٣**) آكد في النفي من «لا»، وطُوبق[٧] به (**أرِني**) دون (**أنظر/١٤٣**)، إذ[٨] لم يقل: لم ينظر إلى[٩]، وطوبق في (**انظر إلى الجبل/١٤٣**) انظر دون أرني. (**دَكّاً/١٤٣**) أي مدكوكاً، وفي قراءة بالمد[١٠]، بوزن حمراء، أي أرضاً دَكّاء، وقرىء بضم الدال[١١]، جمع دَكّاء[١٢]، كغُز جمع غَزَّاء. (**يا موسى إني اصطفيتك/١٣٤**) الآية،

---

(١) قراءة التخفيف، مع فتح الياء، هي قراءة نافع، وقراءة التشديد مع ضم الياء هي قراءة البقية. الكشف (١/٤٧٤).

(٢) وذلك في قوله تعالى: (**وإذ واعدنا موسى أربعين ليلةً، ثم اتخذتم العجل من بعده**)، البقرة (٥١).

(٣) انظر البحر (٤/٣٨١).

(٤) المحرر (٦/٦٥).

(٥) انظر البحر (٤/٣٨٠).

(٦) البحر (٤/٣٨١)، والدر المصون (٥/٤٤٨) دون نسبة.

(٧) في (أ): وطريق.

(٨) في (ب): إذا.

(٩) لم ينظر إلى: ليست في (ب).

(١٠) هذه قراءة حمزة، والكسائي. الكشف (١/٤٧٥).

(١١) قرأ بذلك يحيى بن وثاب. البحر (٤/٣٨٥)، وابن خالويه (٤٥).

(١٢) أي قطعاً. البحر (٤/٣٨٥).

لما طلب الرؤية ومنعها ، عدَّد تعالى وجوه نِعمه العظيمة عليه ، وأمره أن يشتغل بشكـرهـا ، تسلية منه تعالى له . والقراءة (**برسالاتي/١٤٤**) ، و(**برسالتي**)[١] . وقرىء شذوذاً (**وبكلمي**)[٢] (**وتكليمي**)[٣]، وفي (**وكن من الشاكرين/١٤٤**) مبالغة تقدم تقريرها في البقرة . (**وكتبنا/١٤٥**) فيه التفات . (**فخذها/١٤٥**) أي فقلنا : خذهـا ، عطف على (**كتبنا**) ، ويجوز كونه بدلاً من (**فخذ ما آتيتك/١٤٤**)[٤]، (**وأمُر قومك يأخذوا بأحسنها/١٤٥**) أمر موسى بأشد وأكثر مما أمر به قومه ، وهكذا الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- لهم خصائص في التكاليف لم يكلَّف بها قومهم ، زيادة في الـزلفى . (**سأُريكم/١٤٥**) فيه شبه الالتفات ، وهو الانتقال من نون العـظمة إلى ضمير الإفراد ، والالتفات من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع . وقرىء بإشباع الضمة واواً على الرسم[٥]. وقيل : إنها لغة فاشية بالحجاز ، يقال : أورى يوري[٦]. وقرىء (**سأُوْرِثُكم**) بمثلثة[٧].

قال الـزمخشري : « وهي قراءة حسنـة ، ويصححهـا قولـه : (**وأورثنا القوم**) »[٨][٩]. (**سأصرف/١٤٦**) قال أبوحيان : « لما ذكر الفاسقين ، ذكر ما يفعل بهم ، ثم قيل : هو من تتمة خطاب موسى . وقيل : مقطوع عنه »[١٠]. (**يتكبرون في الأرض بغير الحق/١٤٦**) قيَّده ، لأن التكبّر قد يكون بالحق ، كتكبر المحق على المبطل ، فلا يكون مذموماً ، كقوله : (**أعِزَّةٍ على الكافرين**)[١١]. (**وإن**

---

(١) هذه قراءة الحرميين ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . الكشف (١/٤٧٦) ، والبحر (٤/٣٨٦) .

(٢) قرأ بذلك أبو رجاء . البحر (٤/٣٨٧) .

(٣) حكاها المهدوي عن الأعمش . البحر (٤/٣٨٧) .

(٤) انظر الدر المصون (٥/٤٥٣) .

(٥) قرأ بذلك الحسن . البحر (٤/٣٨٩) ، وابن خالويه (٤٦) .

(٦) ذهب الزمخشري إلى هذا القول . الكشاف (٢/١١٧) .

(٧) قرأ بذلك ابن عباس، وقسامة بن زهير . البحر (٤/٣٨٩) ، وابن خالويه (٤٦) .

(٨) الآية (١٣٧) من الأعراف .

(٩) الكشاف (٢/١١٧) .

(١٠) البحـر (٤/٣٨٩ - ٣٩٠) باختصار .

(١١) المائـدة (٥٤) .



يروا/١٤٦) قرىء بضم الياء[1] . (الرشد/١٤٦) بفتحتين ، وبضم الراء ، وسكون الشين[2] ، وقرىء بضمتين اتباعاً ، وقرىء (الرشاد)[3] قال أبوعمرو[4] : « (الرشد/١٤٦) بالضم: الصلاح في النظر ، وبفتحتين : الدِّين »[5] . (لا يتخذوه/١٤٦) قرىء (يتخذوها)[6] عَوداً على السبيل ، وذكر السبيل استعارة ، وفي (الرشد/١٤٦) ، و (الغي/١٤٦) طباق ، وكذا في (لا يتخذوه/١٤٦) و (يتخذوه/١٤٦) طباق السلب والإيجاب ، وقدّم (وإن يروا سبيل الرشد/١٤٦) لموافقة (وإن يروا كل آيةٍ لا يؤمنوا بها/١٤٦) فإيلاؤها بها أنسب . (كذبوا بآياتنا/١٤٧) فيه شبه الالتفات . (وكانوا عنها غافلين/١٤٦) الختم به مناسب لابتداء الآية بالصرف عن الآيات ، ولما ذكر غاشية المكذبين في الدنيا ، وهو الصرف عن الآيات ، ذكر عاقبتهم في الآخرة ، فقال: (والذين كَذَّبوا/١٤٧) الآية ، والاستفهام في (هل يُجزون/١٤٧) بمعنى التقرير ، أو النفي[7]، ولما كان الكلام في مناجاة موسى ، استطرد منه إلى ما استطرد إلى بقية تعلقاتها . فقال : (واتخذ قوم موسى من بعده/١٤٨) أي بعد مجيئه إلى الميقات . (من حليهم/١٤٨) بضم الحاء ، وكسرها[8] اتباعاً ، وبفتح الحاء وسكون اللام[9] . (عِجْلاً جسداً/١٤٨) قال ابن الأنباري : « ذكر الجسد دلالة على عدم الروح فيه »[10].

---

(١) هي قراءة مالك بن دينار . الكشاف (١١٧/٢) .
(٢) القراءة الأولى هي قراءة حمزة ، والكسائي ، والقراءة الثانية هي قراءة البقية . الكشف (٤٧٦/١ - ٤٧٧) .
(٣) هي قراءة أبي عبد الرحمن ، وأما القراءة السابقة فهي قراءة ابن عامر في رواية . البحر (٣٩٠/٤) .
(٤) أي أبو عمرو بن العلاء .
(٥) البحر (٣٩٠/٤) .
(٦) عن ابن أبي عبلة . البحر (٣٩٠/٤) .
(٧) القول الأول ، هو قول ابن عطية ، والقول الثاني هو اختيار أبي حسان والسمين . المحرر (٨٠/٦) ، والبحر (٣٩١/٤) ، والدر المصون (٤٥٨/٥) .
(٨) قراءة الكسر هي قراءة حمزة والكسائي ، وقراءة الضم هي قراءة الباقين . الكشف (٤٧٧/١) ، وحجة القراءات (٣٩٦) ، والسبعة (٢٩٤) .
(٩) قرأ بذلك يعقوب . البحر (٣٩٢/٤) .   (١٠) البحر (٣٩٢/٤) .



قال أبو حيان : « ويؤيده ما روي أن موسى بَرَده بالمبارِد ، واللحم لا يُبْرَد »[1] ، وكان الخُوار من تصويت الريح في تجاويفه . وقرىء (جؤار/١٤٨) بجيم وهمزة[2] ، وهو الصياح لشدة صوت . (ألم يروا/١٤٨) استفهام توبيخ وتعجيب . (أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً/١٤٨) وقد ركن في العقول أن من كان بهذه المثابة ، استحال أن يكون إلٰهاً ، وهذا نوع من أنواع البلاغة يسمى الاحتجاج النظري ، وبعضهم يسميه المذهب الكلامي .

واقتصر على سبب هذين الوصفين ، لأن انتفاء التكليم يستلزم انتفاء العلم ، وانتفاء الهداية يستلزم انتفاء القدرة ، وانتفاء العلم والقدرة يستلزمان انتفاء باقي الأوصاف . (اتخذوه وكانوا ظالمين/١٤٨) أي أقدموا على مثل هذا الأمر الشنيع ، وكان الظلم شأنهم وديدنهم فليس ذلك بأول ما أحدثوا من المناكير . (ولما سُقِط في أيديهم/١٤٩) هذه كلمة تُستعمل في الندم من غير إرادة السقوط ، كما يُستعمل : (ضربنا على آذانهم)[3] في النوم من غير إرادة ضرب . وسُقط في يده : فِعل لا يتصرف إلى مضارع ولا غيره . قال أبوعبيدة : « يقال إن ندم على أمر وعجز عنه : سقط في يده »[4] . وقال الزجاج : « معناه سقط الندم في أنفسهم ، كما يقال : حصل في أيديهم مكروه ، ومُحال أن يكون في اليد تشبيهاً لما يحصل في القلب والنفس بما يحصل في اليد ، ويُرى بالعين »[5] .

وقال ابن عطية : « العرب تقول : لمن كان ساعياً لوجه أو طالباً غاية فعرض له ما صدّه عن وجهه ، ووقفه موقف العجز ، وتيّقن أنه عاجز ، سُقِط في يد فلان ، وقد يعرض له الندم ، وقد لا يعرض » ، قال : « والوجه الذي يصل بين

---

(١) البحر (٣٩٢/٤) .

(٢) قرأ بذلك علي ، وأبوالسمال ، وفرقة . البحر (٣٩٢/٤) ، وابن خالويه (٤٦) .

(٣) وهي في القرآن الكريم (فضربنا على آذانهم) الكهف (١١) .

(٤) مجاز القرآن (٢٢٨/١) .

(٥) معاني القرآن (٤١٨/٢) بتصرف .



هذه الألفاظ ، وبين المعنى المذكور ، أن السعي أو الصرف أو الدفاع سقط في يد المشار إليه ، وصار في يده لا يجاوزها ، ولا يكون له في الخارج أثر »[1] .

وقال الزمخشري : « هذه كناية لما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ، لأن من اشتد ندمه وحسرته ، يعضّ يده غمًّا ، فتصير يده مسقوطاً فيها ، لأن فاه[2] قد وقع فيها ، و(سقط) مسند إلى ما في أيديهم ، وهو من باب الكناية »[3] . وقيل : هو مأخوذ من السقيط ، وهو ما يغشي الأرض بالغدوات شبه الثلج . ومعنى سقط في يده : وقع في يده ، والسقيط يذوب بأدنى حرارة ولا يبقى ، ومن وقع في يده السقيط ، لم يحصل منه على شيء ، فصار هذا مثلاً لكل من خسر في عاقبته ولم يحصل من تعبه على طائل ، فكانت الندامة آخر أمره . وقيل : من عادة النادم أن يطأطىء رأسه ، ويضع ذقنه على يده معتمداً عليها ، ويصير على هيئة لو نُزِعت يده ، لسقط على وجهه ، وكان اليد مسقوطاً فيها[4] . ومعنى (في) على ، أي سقط على يده . وقرىء (سقط/١٤٩) بالبناء للفاعل[5] أي الندم ، أو الخسران . و(أسقط) رباعياً ، مبنياً للمفعول[6] .

(لئن لم يرحمنا ربنا/١٤٩) في قصة آدم : (وإن لم تغفر لنا وترحمنا/٢٣) بتقدم المغفرة لأن هذه قصة[7] اتخاذ إله غير الله ، فبُدىء بالرحمة التي وسِعت كل شيء ، ومن نتائجها[8] المغفرة ، وتلك محاورة جرت بين آدم ، وبين ربه في عتاب صدر إليه ، فبادر إلى طلب غفران ما وقع عليه العتاب . والقراءة بالغيبة ، ورفع

---

(١) المحرر (٦/٨٣ - ٨٤) .

(٢) في الكشاف : «لأن فاقده» - والظاهر أنه خطأ من الناسخ ، أو من الطباعة .

(٣) الكشاف (٢/١١٨) .

(٤) انظر الدر المصون (٥/٤٦٣ - ٤٦٤) .

(٥) قرأت بذلك فرقة ، منهم ابن السميفع . البحر (٤/٣٩٤) ، وابن خالويه (٤٦) .

(٦) عن ابن أبي عبلة - كما في البحر (٤/٣٩٤) ، وذكر الفراء أنها لغة . معاني القرآن له (١/٣٩٣) .

(٧) في (أ) : تمته .

(٨) كلمة « نتائجها » ليست في (أ) .



(ربنا/١٤٩) ، وبالخطاب في الفعلين ، ونصب (ربنا) نداء[١] . وقرأ أُبيّ : (قالوا ربنا لئن) بتقديم المنادى[٢] .

قال أبو حيان : « يحتمل أن يكون القولان صدرا منهم على التعاقب ، وأن يكون كلٌّ من طائفة ، فمن غلب عليه الخوف ، وقوي على[٣] المواجهة[٤] ، خاطب ، ومن غلب عليه الحياء ، أخرج كلامه مخرج المستحيي من الخطاب ، فأسند الفعل إلى الغائب »[٥] . (غضبان أسِفاً/١٥٠) أي حزيناً ، وهو أبلغ من آسف بالمد . قال الواحدي : « إذا أتاك ما تكره ممن دونك ، غضِبتَ ، أو ممن فوقك ، حزِنتَ ، فأغضبه عبادتهم العِجل وأحزنه فتنة الله إياهم »[٦] . (أعجِلتم/١٥٠) استفهام إنكار . و« عجل » يتعدى بعن ، وضُمِّن هنا معنى سبق ، فتعدى تعديته[٧] . قيل : العجلة : التقدم بالشيء في غير وقته ، وهي مذمومة ، والسرعة : المبادرة بالشيء في وقته ، وهي محمودة . (وألقى الألواح/١٥٠) فتكسَّرت ، ورفع أكثرها الذي فيه تفصيل كل شيء ، وبقي سُبعها الذي في نسخته الهدى والرحمة ، وهو الذي أخذ بعد ذلك . (قال ابن أم/١٥٠) [ناداه نداء استعطاف وترفُّق وكان شقيقه ، والعادة في التلطف والتحنن ذِكر الأم ، كقوله: يا بن أمي ويا شقيق نفسي][٨] والقراءة (أم) بفتح الميم دلالة على الألف المحذوفة المنقلبة عنها ياء[٩]

---

(١) القراءة بالخطاب ، مع نصب (ربنا) ، هي قراءة حمزة والكسائي ، والقراءة بالغيبة مع رفع (ربنا) ، هي قراءة البقية . السبعة (٢٩٤) ، وحجة القراءات (٢٩٦ - ٢٩٧) .

(٢) البحر (٣٩٤/٤) .

(٣) فيهما : عليه - والصواب ما أثبتناه .

(٤) في (ب) : الراحة .

(٥) البحر (٣٩٤/٤) .

(٦) البحر (٣٩٤/٤) .

(٧) وهو قول الزمخشري في الكشاف (١١٩/٢) .

(٨) ما بين القوسين من البحر (٣٩٦/٤). وعجزه : أنت خلفتني لدهر شديد ، وهو لأبي زيد الطائي - الكتاب (٢١٣) والدرر (٧٠/٢) .

(٩) « ياء » ليست في (ب) .

الإضـافة ، وبالكسر[1] دلالة على الياء المحذوفة. وقرىء (أمي) بإثبات الياء . وقرىء (يا ابن أمي) بإثبات حرف النداء والياء . وقرىء (ابن أم) بكسر الهمزة والميم[2] .

(استضعفوني/١٥٠) وجدوني ضعيفاً. (فلا تُشْمِت/١٥٠) قرىء بفتح أوله مع كسر الميم وفتحها ، ونصب الأعداء[3] ، وشمت متعدية كأشمت ، وقرىء بالوجهين مع[4] رفع الأعداء[5] ، فهي لازمة ، ونهي الأعداء عليها عن الشماتة ، من باب : لا أرينـك هنـا ، أي لا تعمـل بي مكـروهاً ، فيشمتوا بي . (قال رب اغفر لي ولأخي/١٥١) أشركـه في الـدعاء ترضية له ، وجبراً لما جرّه ولامه . (إن الذين اتخذوا/١٥٢) استئناف إخبار من الله[6] . وقيل : من تتمة كلام موسى إلى قوله: (الدنيا/١٥٢) ، وصدّقه الله بقوله: (وكذلك نجزي المفترين/١٥٢) ، وعلى الأول في (ربهم/١٥٢) التفات من قوله: (بآياتنا/١٤٧) ، ثم في (نجزي/١٥٢) التفات عنه ، ثم في (إن ربك/١٥٣) التفات عنه ، وقوله ثانياً : (من بعدها/١٥٣) تكرير للأول تأكيداً ، فالضميران للسيآت . وقيل : الثاني للتوبة[7]، فلا تكرار ، وأردف المغفرة بالرحمة ليُعلم أن الذنوب -وإن عظُمت- فإن رحمته أعظم وأجل . (سكت

---

(١) هذه قراءة ابن عامر ، وأبي بكر ، وحمزة ، والكسائي ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . الكشف (٤٧٨/١) .

(٢) انظر في هذه القراءات : البحر (٣٩٦/٤) ، والدر المصون (٤٦٨/٥) .

(٣) القراءة بفتح الأول مع فتح الميم هي قراءة مجاهد . وأما القراءة بفتح الأول مع كسر الميم فهي قراءة ابن محيصن ، وأسندها ابن خالويه إلى مجاهد وحميد . البحر (٣٩٦/٤) ، وابن خالويه (٤٦) .

(٤) « مع » ليست في (أ) .

(٥) أي بفتح الأول وكسر الميم مع رفع (**الأعداء**) ، وقد قرأ بذلك حميد بن قيس . والوجه الثاني هو بفتح الأول ، وفتح الميم ، مع رفع (**الأعداء**) وقد قرأ بذلك مجاهد . البحر (٣٩٦/٤) .

(٦) وهو ما استظهره أبو حيان ، لقوله : (**وكذلك نجزي المفترين**) في نسق واحد مع الكلام قبله . البحر (٣٩٧/٤) .

(٧) ذكـر أبـو حيان هذين القـولـين ، ورجح الثاني منهما قائلاً : « لأنك إذا جعلت الضمير عائداً على السيئات ، احتجت إلى حذف مضاف ، وحذف معطوف ، إذ يصير التقدير : من بعد عمل السيئات والتوبة منها. البحر (٣٩٧/٤ - ٣٩٨) ، وانظر الدر المصون (٤٧١/٥) .



عن موسى الغضب/١٥٤) [استعارة ، شبّه خمود الغضب بانقطاع كلام المتكلم ، وهو سكوته]. وقال يونس[١] : « العرب تقول : سال الوادي يومين ثم سكت »[٢]. وقيل : هو حقيقة[٣]، قال الزجاج : « مصدر (سكت الغضب/١٥٤) سَكْت ، ومصدر سكت الرجل : سكوت »[٤]. وقيل : هو من باب القلب أي سكت موسى عن الغضب[٥] .

وقال الزمخشري : « هذا تمثيل ، كان الغضب يغريه على ما فعل ، ويقول له : قل كذا ، أو ألقِ الألواح ، وخذ برأس أخيك ، فترك النطق بذلك ، وترك الإغراء ، ولم يستحسن هذه اللفظة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم ، وذوق صحيح إلا كذلك ، والآية من قبيل شعب البلاغة ، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة[٦]: (ولما سكن عن موسى الغضب) ، لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة ، وطرفاً من تلك الروعة »[٧]. وقرىء (أسكت) رباعياً مبنياً للمفعول ، أي أسكته الله . وقرأ ابن مسعود : (ولما صبر) ، وقرأ أُبيّ (ولما انشق)[٨]. (واختار موسى قومَه سبعين رجلًا/١٥٥) هذا أحد الأفعال[٩] التي تتعدى إلى اثنين ، ثانيهما بحرف الجر ، ثم يحذف الحرف ، ويتعدى بنفسه ، وهي مقصورة على السماع . (لميقاتنا) فيه التفات ، وهو ميقات وُقِّت لهم ليخرجوا فيه ، فيدعون ويعتذرون من عبادة العجل ، فخرجوا وسمعوا كلام الله فقالوا : لن نؤمن لك حتى نرى الله

---

(١) وهو يونس بن حبيب . كما في البحر (٤/٣٩٨) .
(٢) البحر (٤/٣٩٨) .
(٣) في (أ) : ضمير .
(٤) المرجع السابق .
(٥) حكاه أبو حيان . البحر (٤/٣٩٨) .
(٦) هو معاوية بن قرة بن إياس المزني البصري ، ثقة ، عالم من التابعين ، وهو والد إياس بن معاوية الذي يضرب بذكائه المثل ، توفي سنة ١١٣هـ . تقريب التهذيب (٣٤٢) ، والمعارف لابن قتيبة (٤٦٧) .
(٧) الكشاف (٢/١٢٠) .
(٨) انظر في القراءات السابقة البحر (٤/٣٩٨) .
(٩) في (أ) : الذي .



جهرة ، فأخذتهم الرجفة فماتوا ، فحذف هذا كله إيجاز . والرجفة هنا هي الصاعقة المذكورة في البقرة[1] ، وهو يؤيد ترادف الرجفة والصيحة . **(وإياي/١٥٥)** عطف على الضمير المنصوب في **(أهلكتهم/١٥٥)** ، وبدأ بضمير **(هم)** ، لأنهم الذين أخذتهم الرجفة ، فكانوا أهمَّ في الذكر ، وأشرك نفسه في ذلك مبالغة في التسليم للمشيئة . **(أتُهلِكنا/١٥٥)** استفهام استعطاف . **(إن هي إلا فتنتك/١٥٥)** أي عذابك تصيب به من تشاء وتصرفه عمن تشاء ، قاله ابن عباس[2] ، فلا إشكال في الآية البتة ، وإطلاق الفتنة بمعنى العذاب مشهور ، ومنه **(يوم هم على النار يُفْتَنون)**[3] أي يُعذَّبون . وضمير **(هي)** للقصة . أو للفتنة المفسرة له . **(فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الغافرين/١٥٥)** أكَّد المغفرة هنا ، لأن السؤال لقومه المذنبين ، ولم يؤكدها في قوله : **(اغفر لي ولأخي/١٥١)** بل أكَّد الرحمة بقوله : **(وأنت أرحم الراحمين/١٥١)** ، لأن السؤال هناك لمعصومَين لم يُذنبا ، فنبَّه على سعة رحمته من غير تأكيد للمغفرة . **(هُدْنا/١٥٦)** قرىء بكسر الهاء[4] .

(قال عذابي أُصيب به من أشاء ورحمتي وسِعت كل شيءٍ/١٥٦) مطابق لقول موسى السابق ، وتقرير له . وفي الجملتين طباق في أربعة مواضع كما يُعرف بالتأمل . وقرىء **(أساء)**[5] من الإساءة ، وأنكرها أبو عمرو الداني[6] ، وقال : إنها

---

(١) وذلك في قوله تعالى : **(وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون)** البقرة (٥٥) .

(٢) رواه ابن أبي طلحة عنه - كما في زاد المسير (٣/٢٦٩) .

(٣) الذاريات (١٣) .

(٤) قرأ بذلك زيد بن علي ، وأبو حمزة . البحر (٤/٤٠١) ، وابن خالويه (٤٦) .

(٥) قرأ بذلك زيد بن علي ، والحسن ، وطاووس ، وعمرو بن فائد . البحر (٤/٤٠٢) ، وابن خالويه (٤٦) .

(٦) هو أبو عمرو ، عثمان بن سعيد الأموي ، المعروف بابن الصيرفي ، أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ، كان ديِّناً مجاب الدعوة ، مالكي المذهب . من كتبه : « التيسير في مذاهب القراء السبعة » ، و« المقنع في الرسم » . توفي سنة ٤٤٤هـ . إنباه الرواة (٢/٣٤١ - ٣٤٢) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (وفيات سنة ٤٤٤) ، والديباج المذهب (١٨٨) ، وطبقات ابن قاضي شهبة (٢/١٢٧) ، وطبقات المفسرين للسيوطي (١٥٩) ، وتلخيص ابن كلثوم (١٦٦ - ١٦٧) .



من وضع[1] المعتزلة[2] ، وقرأ بها سفيان ابن عيينة مرة ، فقام إليه بعض القراء ، وصاح به ، فقال سفيان : لم أدرِ ولم أفطن لما يقوله أهل البِدَع[3] . (فسأكتبها/١٥٦) أي الحسنة ، سألها موسى لقومه ، فجعلها سبحانه لأمة محمد . وقيل : الضمير للرحمة ، لأنها أقرب مذكور[4] .

قال بعضهم[5] : « لما سمع إبليس (ورحمتي وسِعت كل شيء/١٥٦) تطاول ، فجاء : (فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة/١٥٦) ، فيئس إبليس وتطاول لها اليهود والنصارى ، فلما عادت الصفة ، تبيَّن أن المراد أمة محمد [ﷺ ، ويئس النصارى واليهود من الآية »][6] . واقتصر على التقوى ، لأنها جامعة لكل خير يُفعل وشر يُترك . وعطف الزكاة من عطف الخاص على العام اهتماماً بها . (الذين يتبعون الرسول/١٥٧) هذا من حسن التخلص ، فإن الكلام كان في قصة موسى وقومه ، فتخلَّص إلى وصف النبي -ﷺ- ومتّبعيه . وقيل : هو من الاستطراد ، [لأن شرط حسن التخلص ألا يعود إلى ما يخلص منه ، والاستطراد أن يعود إلى المستطرد][7] منه ، وهنا قد عاد في قوله : (ومن قوم موسى أمةٌ/١٥٩) إلى آخر الآيات[8] . قال أبو حيان : « هذا من بقية خطابه تعالى لموسى ، أخبره بأنه سيبعث رسولاً من صفاته كذا وكذا ، ولما كان الرسول قد يكون ملكاً ، أردفه بالنبي (الأمي) »[9] قرىء

---

(١) في (أ) : موضع .

(٢) في البحر (٤٠٢/٤) ، والدر المصون (٤٧٧/٥ - ٤٧٨) : وقال أبو عمرو الداني : « لا تصح هذه القراءة عن الحسن وطاووس ، وعمرو بن فائد رجل سوء » .

(٣) البحر (٤٠٢/٤) ، والدر المصون (٤٧٨/٥) .

(٤) قال أبو حيان باحتمال القولين . البحر (٤٠٢/٤) .

(٥) كلمة « بعضهم » ليست في (أ) .

(٦) ما بين القوسين زيادة من البحر (٤٠٢/٤) لأنه كلام أبي حيان ، والموجود في النسختين بدل المنقول هنا ، هو كلمة « يئسوا » .

(٧) ما بين القوسين ليس في (أ) .

(٨) انظر الدر المصون (٤٧٨/٥) .

(٩) البحر (٤٠٣/٤) باختصار ، وبمعناه .

بفتح الهمزة[1] على أنه من تغييرات النسبة ، أو نسبة إلى الأم بمقتضى القصد ، أي أنه المقصود للناس .

(**يأمرهم/١٥٧**) إلى آخره ، فيه ست طباقات ، وهي جُمل من جوامع الكلم تجمع[2] جميع ما تضمنته الشريعة . (**ويضع/١٥٧**) قرىء (**ويذهب**)[3] . (**إصرَهم/١٥٧**) في قراءة (**آصارهم**)[4] بالجمع ، وقرىء (**أصرهم**) بفتح الهمزة[5] . (**والأغلال/١٥٧**) استعارة عن التكاليف الشاقة ، لأنها كالطوق والعوق . (**وعزَّروه/١٥٧**) قال يونس بن حبيب : التعزير المدح والثناء »[6] ، وقرىء بالتخفيف[7] ، وقرىء بزايين[8] ، من العز . (**النور/١٥٧**) القرآن . وقال ابن عطية : « هو كناية عن جملة الشرع »[9] . (**أُنزل معه/١٥٧**) أي[10] عليه مع نبوته . لأن استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به . (**قل يأيها الناس/١٥٨**) أبوحيان : « لما ذكر تعالى لموسى صفة محمد ، وأخبر أنه من أدركه وآمن به أفلح ، أمر تعالى نبيه بإشهار دعوته ورسالته إلى الناس كافة ، والدعاء إلى الإيمان بالله ورسوله وكلماته واتباعه »[11] . (**الذي/١٥٨**) في موضع نصب على المدح ، أو رفع[12] ، وجوّز الزمخشري اتباعه لله ، ولم يبالِ بالفصل[13] ، [وذكر هذه الصفات

---

(١) رويت هذه القراءة عن يعقوب وغيره . البحر (٤/٤٠٣) .

(٢) في (ب) : تجمعها .

(٣) قرأ بذلك طلحة . البحر (٤/٤٠٤) .

(٤) قرأ بذلك ابن عامر . السبعة (٢٩٥) ، وحجة القراءات (٢٩٨) .

(٥) البحر (٤/٤٠٤) .

(٦) البحر (٤/٤٠٣) .

(٧) عن الجحدري ، وقتادة ، وسليمان التيمي ، وعيسى . البحر (٤/٤٠٤) .

(٨) قرأها جعفر بن محمد . البحر (٤/٤٠٤) .

(٩) المحرر (٦/١٠٧) .

(١٠) في (ب) : أو .

(١١) البحر (٤/٤٠٥) .

(١٢) قاله أبو حيان في البحر (٤/٤٠٥) .

(١٣) الكشاف (٢/١٢٣) ، وقد استبعد أبو البقاء هذا الوجه ، لما فيه من الفصل بين الصفة والموصوف . الإملاء (١/٢٨٧) .

لأنها تقتضي الإذعان ، والانقياد لمرسله ، والأحسن كونها جملة مستقلة من حيث الإعــراب ، وإن كانت متعلقــة ببعضهـا من حيث المعنى][1] . (**فـآمنـوا بالله ورسـولـه/١٥٨**) هو من تتمة كلام النبي-ﷺ- المقول . ففي (**ورسوله/١٥٨**) التفـات ، والأصل : « وبي » ، وعدل عنه لنكتتين ، أحدهما : دفع التهمة عن نفسه بالمعصية لها ، والأخرى تنبيههم[2] على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوّة . (**وكلماته/١٥٨**) قيل : المراد كتبه ، القرآن وغيره . وقيل : كل المعجزات[3] .

وقرىء (**وكلمته**)[4] على إرادة الجمع ، وقيل : على إرادة عيسى ، لأنه كلمة من الله . وقرىء بدله : (**وآياته**)[5] . (**ومن قوم موسى أمةٌ/١٥٩**) الآية ، قال : هذه تهنئة مرضية[6] لموسى ، يعني أنه تعالى لما أجاب سؤال[7] موسى كتابة الحسنة لقومه بكتابتها[8] لقوم[9] محمد ، وأثنى عليهم ، جبر ما فاته من الجواب المرضـي له بالثناء على قومه ، بأن منهم هداة بالحق ، وعُدولاً ، وبذلك عُرف وجه مناسبة الآية لما قبلهـا . (**وقـطَّعنـاهم/١٦٠**) قرىء بالتخفيف[10] . (**اثنتي عشرة/١٦٠**) بسكون الشين[11] ، لغة الحجاز ، وقرىء بكسرها[12] ، لغة تميم ، وبفتحها[13] لغة . (**أسباطاً/١٦٠**) بدل لا تمييز ، لأنه لا يكون هنا جمعاً . (**أُمَماً/١٦٠**) بدل ثان ،

---

(١) ما بين القوسين منقول من البحر باختصار . (٤٠٥/٤) .

(٢) في (ب) : تنبيهه .

(٣) القول الأول ، هو قول ابن عباس بنحوه وهو اختيار ابن عطية ، والقول الثاني هو قول قتادة بمعناه . زاد المسير (٢٧٤/٣) ، المحرر (١٠٨/٦) ، والبحر (٤٠٥/٤ - ٤٠٦) .

(٤) عن مجاهد وعيسى بن عمر . المحرر (١٠٨/٦) ، والبحر (٤٠٦/٤) .

(٥) عن الأعمش - كما في البحر (٤٠٦/٤) .

(٦) في (ب) : كهيئة المرضية .

(٧) « سؤال » ليست في (أ) .

(٨) في (أ) : باجابة .

(٩) كلمة « لقوم » ليست في (أ) .

(١٠) قرأها إبان بن تغلب عن عاصم . البحر (٤٠٦/٤) .

(١١) هي قراءة الجمهور . البحر (٤٠٦/٤) .

(١٢) قرأها ابن وثاب ، والأعمش ، وطلحة بن سليمان ، وأبو حيوة ، وطلحة بن مصرف . البحر (٤٠٦/٤) .

(١٣) رويت أيضاً عن ابن وثاب ، والأعمش ، وطلحة بن سليمان . البحر (٤٠٦/٤) .

أو نعت[1] (أسباطاً/١٦٠). (فانبجست/١٦٠) قال أبو عمرو بن العلاء: «انبجست: عَرِقَتْ[2]، وانفجرت: سالت»[3]. (رزقناكم/١٦٠) قرىء (رزقتكم) بالتاء[4]. (حِطَّةٌ/١٦١) قرىء بالنصب على المصدر[5]. (نغفر/١٦١) بالنون، وبالتاء مبنياً للمفعول[6]. وقرىء بالياء كذلك[7]. وقرىء بتاء فوقية[8] مفتوحة، على أن الحِطَّة تغفر، لأنها سبب الغفران. (خطاياكم/١٦١) وفي قراءة (خطيئاتكم) بالجمع والإفراد[9]. (فبدَّل/١٦٢)[10].

قال ابن عطية: «بدّل: غيّر اللفظ دون أن يذهب بجميعه، وأبدل إذا ذهب به، وجاء بلفظ آخر»[11] (واسألهم/١٦٣) الضمير لقوم موسى مراداً به من كان منهم

---

(١) قالها أبو البقاء في الإملاء (١/٢٨٧)، والقول الأول هو اختيار الزمخشري في الكشاف (٢/١٢٤).

(٢) في (ب): تخرقت - وما أثبتناه من (أ)، فهو الموافق لما في البحر، والدر المصون.

(٣) البحر (٤/٤٠٣)، والدر المصون (٥/٤٨٨).

(٤) قرأها عيسى الهمذاني. البحر (٤/٤٠٨).

(٥) قرأها الحسن. البحر (٤/٤٠٩).

(٦) هذه قراءة نافع، وابن عامر، والقراءة السابقة هي قراءة البقية. حجة القراءات (٢٩٨ - ٢٩٩).

(٧) حكاها السمين عن أبي عمرو، ولكن بالبناء للفاعل فقط. الدر المصون (٥/٤٩١).

(٨) حكاها السمين عن أبي عمرو، وحكاها أبو حيان عن ابن هرمز. الدر المصون (٥/٤٩١)، والبحر (٤/٤٠٩).

(٩) قراءة الإفراد، هي قراءة ابن عامر، وقراءة الجمع مع كسر التاء هي قراءة ابن كثير وأهل الكوفة، ومع ضم التاء، هي قراءة نافع. حجة القراءات (٢٩٨ - ٢٩٩).

(١٠) كلمة «فبدل» ليست في (أ).

(١١) المحرر (٦/١١٣).

وقد علّق أبو حيان على ذلك قائلاً: «وهذه التفرقة ليست بشيء، وقد جاءت في القراءات: بدّل، وأبدل بمعنى واحد، قرىء: **(فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاةً)**، و**(عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً)**، **(عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها)** بالتخفيف والتشديد والمعنى واحد، وهو إذهاب الشيء والإتيان بغيره بدلاً منه، ثم التشديد قد جاء حيث يذهب الشيء كله، قال تعالى: **(فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسناتٍ)**... وعلى هذا كلام العرب نثرها ونظمها». البحر (٤/٤٠٩).



في عصر الرسول ، لا من أُريد بقوله : (وإذ قيل لهم/١٦١) ، وسائر الضمائر السابقة ، فهو استخدام . (عن القرية/١٦٣) أُريد أهلها للضمائر الآتية . (يَعْدُون/١٦٣) من العَدْو بمعنى الاعتداء ، وقرىء بضم أوله وكسر العين وتشديد الدال ، من الإعداد ، لأنهم كانوا يعدُّون في آلات الصيد ، وبفتحتين ، وتشديد الدال[١] ، وأصله يعتدون . (سَبتِهِم/١٦٣) أُضيف إليهم ، لأنهم مخصوصون بأحكام فيه . وقرىء (إسباتهم) بالكسر[٢] ، مصدر أسبت إذا دخل في السبت . (يسبتون) قرىء بضم أوله ، من أسبت وقرىء بالبناء للمفعول[٣] ، أي لا يُدار عليهم السبت ، ولا يُؤمرون بأن يسبتوا . (معذرةٌ) أي موعظتنا ، وقرىء بالنصب[٤] ، أي وعظناهم . (نَسُوا/١٦٥) أي تركوا ، مبالغة . (عن السوء/١٦٥) عدل إليه عن الضمير لقصد العموم . (وأخذنا الذين ظلموا/١٦٥) عدل إليه عن الضمير تنبيهاً على عليّة[٥] الأخذ ، وهي الظلم . (بئيسٍ/١٦٥) بوزن كريم ، مبالغة من بائس وفي قراءة بوزن جِيْد[٦] ، وفي أخرى بهمز كَبِئْر[٧] ، ووجهاً بأنها وصف على وزن فعل ، أو فعل الذم سُمِّي به ، على حد « نهي عن قيل وقال »[٨] . وقرىء بالفتح بلا تنوين ، فعلا بهمز ، ودونه[٩] أي بئيس

(١) هذه قراءة شهب بن حوشب ، وأبي نهيك ، والقراءة السابقة ذكرها أبو حيان دون نسبة . انظر البحر (٤/٤١٠) ، وابن خالويه (٤٦) ، والدر المصون (٥/٤٩٢) .

(٢) قرأها عمر بن عبد العزيز . البحر (٤/٤١١) ، وابن خالويه (٤٧) .

(٣) هذه القراءة نقلها الزمخشري عن الحسن ، والقراءة السابقة ، هي قراءة علي والحسن أيضاً وعاصم -بخلاف عنه- . الكشاف (٢/١٢٥) ، والبحر (٤/٤١١) .

(٤) قرأ بذلك حفص عن عاصم ، وزيد بن علي ، وعيسى بن عمر ، وطلحة بن مصرف . السبعة (٢٩٦) ، وحجة القراءات (٣٠٠) ، والبحر (٤/٤١٢) ، والدر المصون (٥/٤٩٥) .

(٥) في (ب) : علة .

(٦)، (٧) هذه قراءة ابن عامر . والقراءة السابقة قراءة نافع ، وأبي جعفر ، وشيبة ، السبعة (٢٩٦) ، وحجة القراءات (٣٠٠) ، والبحر (٤/٤١٢) ، وابن خالويه (٤٧) .

(٨) هذا جزء من حديث رواه المغيرة مرفوعاً : (إن الله كره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال)- البخاري (٢/١٣١) كتاب الزكاة باب (٥٣) .

(٩) هذه قراءة الحسن ، ورويت عن نافع ، والقراءة السابقة هي قراءته أيضاً ، ورويت عن أبي بكر . الدر المصون (٥/٤٩٩) .



العذاب ، وقرىء فعلاً بوزن شَهِد[١]، وبوزن ضَرَب[٢] وبوزن فرّح مشدد العمزة[٣]، [واسماً بوزن كَيْل[٤] وبوزن جَبَل[٥]، وبوزن كَبِد[٦]، وبوزن ضَيْغَم[٧]، وبوزن صَيْقِل[٨] بكسر[٩]] ، وبوزن ميِّت مشدد الياء[١٠]، وبوزنه مشدد الهمزة[١١]، وبوزن حِذْيَم[١٢]، وبئيس كالأولى بكسر الباء[١٣]، لغة تميم ، وبائس[١٤] فهذه اثنتان وعشرون قراءة[١٥]. **(فلما عَتَوا/١٦٦)** قيل : هو تكرير **(فلما نَسُوا/١٦٥)** ، وبقية الآية بيان للعذاب البئيس. **(تَأَذَّن/١٦٧)** تفعّل من

---

(١) عزاها أبو الفضل الرازي إلى عيسى بن عمر ، وزيد بن علي . البحر (٤١٢) .

(٢) قرأها جرية بن عائذ ، ونصر بن عاصم في رواية . البحر (٤/٤١٢).

(٣) هذه قراءة نصر بن عاصم في رواية . الدر المصون (٥/٤٩٨) .

(٤) قرأها خارجة عن نافع ، وطلحة . البحر (٤/٤١٣) .

(٥) قرأها نصر في رواية مالك بن دينار عنه . البحر (٤/٤١٣) .

(٦) قرأها أبو عبد الرحمن بن مصرف . البحر (٤/٤١٣) .

(٧) قرأها ابن عباس وأبو بكر عن عاصم والأعمش . البحر (٤/٤١٣) .

(٨) عن عيسى بن عمر والأعمش بخلاف عنه . البحر (٤/٤١٣) ، وصيقل : اسم امرأة كما في المرجع السابق .

(٩) ما بين القوسين ليس في (أ) .

(١٠) نصر بن عاصم في رواية . البحر (٤١٣) .

(١١) رويت عن الأعمش .

(١٢) الحسن والأعمش فيما زعم عصمة . البحر (٤١٣) ، والحذيم : هو الحاذق بالشيء . اللسان (مادة : حذم) .

(١٣) قرأها أهل مكة ، المرجع السابق .

(١٤) هذه قراءة أبي رجاء عن علي . المرجع السابق .

(١٥) الذي ذكره المؤلف في تفصيله السابق ثماني عشرة قراءة ، وسقط من شرحه ما ذكره أبو حيان من القراءات الآتية :

أ - أن الأعمش ومالك بن دينار قرآ : (بأس) .

ب - وأن فرقة قرأت (بيس) .

ج - ما حكاه الزهراوي عن ابن كثير وأهل مكة من أنهم قرؤوا : (بئس) بكسر الباء ولكنه لم يبين هل الهمزة مكسورة أو ساكنة .

د - وأن فرقة قرأت (باس) بفتح الباء وسكون الألف .

انظر البحر (٤/٤١٢ - ٤١٣) ، والمحرر (٦/١١٨ - ١٢١) ، وابن خالويه (٤٧) .

الإيذان ، وهو الإعلام أُجري مجرى فعل القسم ، كعلم الله وشهد الله ، فأُجيب بما يجاب به القسم. (**ربُّك/١٦٧**) فيه التفات . (**عليهم/١٦٧**) أي اليهود ، فهو غير مراد به ما أُريد بالضمائر قبله من الممسوخين . (**وقَطَّعْناهم/١٦٨**) فيه التفات (**دون ذلك/١٦٨**) أي دون أهل الصلاح ، أقام ذلك مقام أولئك وبلوناهم[١] . (**خَلْفٌ/١٦٩**) بسكون اللام في الذم ، وأما بفتحها ففي المدح . (**ورثوا/١٦٩**) قرىء بضم الواو ، وتشديد الراء[٢] . (**عَرَضَ هذا الأدنى/١٦٩**) فيه تخسيس له وتحقير ، والأدنى من دنو الحال وسقوطه وقِلَّته . (**ألم يُؤخذ/١٦٩**) توبيخ وتقريع ، وتقرير . (**أن لاَّ يقولوا/١٦٩**) عطف بيان أو بدل من ميثاق الكتاب ، ويجوز كون (**أن/١٦٩**) تفسيرية[١] وقرىء بتاء الخطاب[٣] على الخطابة ، لا الالتفات. (**على الله/١٦٩**) فيه التفات . (**ودرسوا**) عطف على (**ألم يؤخذ**) ، لأنه في معنى الإثبات كقوله: (**ألم نشرح**)[٤] (**ووضَعْنا**)[٥] . وقرىء (**ادَّارسوا**)[٦] ، وأصله (**تدارسوا**). (**أفلا يعقلون/١٦٩**) في قراءة بالخطاب[٧] التفاتاً أو خطاباً لهذه الأمة . (**والذين يُمَسِّكون بالكتاب/١٧٠**) أي ممن ورثه ، ففيه التفات على قراءة الخطاب . وقرىء بالتخفيف من أمسك ، وقرىء (**تَمَسَّكوا**) ، و(**استمسكوا**)[٨] . (**وأقام الصلاة/١٧٠**) أفردت بالذكر تعظيماً لشأنها . (**إنا/١٧٠**) فيه التفات. (**أجر**

---

(١) أي أن المراد من (دون ذلك) أنهم القوم الذين هم دون أولئك ، وهو من ثبت على اليهودية وخرج من الإيمان . انظر البحر (٤/٤١٥) .

(٢) قرأها الحسن . البحر (٤/٤١٦) .

(٣) هذا القول الأخير هو قول أبي حيان . والقول الأول هو قول الزمخشري . والقول الثاني حكاه أبوحيان . انظر البحر (٤/٤١٧) ، والكشاف (٢/١٢٨) ، وانظر الدر المصون (٥/٥٠٥) .

(٤) عن الجحدري . المحرر (٦/١٢٩) ، وابن خالويه (٤٧) .

(٥+٦) الشرح (١) ، (٢) .

(٧) علي والسلمي . البحر (٤/٤١٧) ، وابن خالويه (٤٧) .

(٨) قراءة الخطاب هي قراءة نافع ، وابن عامر ، وحفص ، وقراءة الغيبة هي قراءة البقية . حجة القراءات (٣٠١) .

(٩) القراءة الأولى هي قراءة عمر ، وأبي العالية وأبي بكر عن عاصم . والقراءة الثانية هي قراءة أبيّ . والقراءة الثالثة هي قراءة عبد الله والأعمش . البحر (٤/٤١٧ - ٤١٨) .



المصلحين/١٧٠) من إقامة الظاهر مقام المضمر. **(نَتَقْنا/١٧١)** النتق : الجذب بشدة . **(ظُلَّةٌ/١٧١)** سحابة . **(خذوا/١٧١)** على تقدير : قلنا . **(واذكروا/١٧١)** قرىء **(واذَّكِروا/١٧١)** بالإدغام ، و**(تذكَّروا)**[١] .

وهذا آخر ما سيق في هذه السورة من قصة بني إسرائيل مع نبيهم . **(وإذ أخذ ربك/١٧٢)** الآية ، أقول مناسبتها لما قبلها كون كلٍّ فيه أخذ الميثاق . وفي **(ربك/١٧٢)** التفات. **(من ظهورهم/١٧٢)** بدل اشتمال من بني آدم. **(ذرياتهم/١٧٢)** بالجمع والإفراد[٢]، مفعول **(أخذ/١٧٢)** وهو بمعنى أخرج ، قال الزمخشري : « الدليل على أن هذه الآية مقطوعة عن قصة اليهود ، مسوقة لأجل المشركين قوله : **(أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل/١٧٣)** ، ويحتمل أنها سيقت لليهود ولعطفها على قصصهم ، وكونها على نمطها وأسلوبها ، ولقوله بعدُ: **(واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا)** »[٣] . **(شهِدنا/١٧٢)** هو من قول الله ، وتمام قولهم : **(بلى/١٧٢)** فهي التفات ، أو من قول الملائكة ، فيقدر : قال الملائكة ، أو هو من تمام مقولهم[٤]: **(أن يقولوا)** بالغيبة والخطاب[٥]، ففيه التفات . **(نُفَصِّل/١٧٤)** بالنون ففيه التفات ، إن لم يكن **(شهِدنا/١٧٢)** من قوله تعالى ، وقرىء بالياء[٦]، ففيه التفات إن كان **(شهِدنا/١٧٢)** من قوله: **(واتلُ عليهم/١٧٥)** أي اليهود .

---

(١) هذه قراءة ابن مسعود ، والقراءة السابقة هي قراءة الأعمش . البحر (٤/٤٢٠) ، وابن خالويه (٤٧) .

(٢) قراءة الإفراد هي قراءة الكوفيين وابن كثير ، وقراءة الجمع هي قراءة البقية . السبعة (٢٩٧) ، وحجة القراءات (٣٠١ - ٣٠٢) .

(٣) الكشاف (٢/١٣٠) بتصرف .

(٤) انظر في ذلك زاد المسير (٣/٣٨٤ - ٣٨٥) ، والبحر (٤/٤٢١) . والقول بأن الملائكة هي التي قالت ذلك ، قد رواه ابن جرير عن عبد الله بن عمرو في حديث مرفوع ، ولكن ذكر ابن كثير أنه قد ورد أيضاً بطريق موقوف على عبدالله ، وأنه أصح من المرفوع .
جامع البيان (١٣/٢٣٣- ٢٥٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/٢٦٢) ، وانظر فتح القدير (٢/٢٦٣) .

(٥) قراءة الغيبة ، هي قراءة أبي عمرو ، وقراءة الخطاب ، هي قراءة البقية . حجة القراءات (٣٠٢) ، والبحر (٤/٤٢١) .

(٦) قرأت بذلك فرقة - كما في المحرر (٦/١٤١) ، وانظر البحر (٤/٤٢٢) .



أبو حيان : « لما ذكر أخذ الميثاق على توحيده وربوبيته ، وأن من كفر بعد ذلك كان[1] كافراً بعد إقراره بالربوبية ، ذكر حال من آمن به ، ثم كفر بعده ، تعريضاً باليهود الذين كانوا مقِرِّين منتظرين بعثة الرسول -ﷺ- ، فلما بُعث كفروا به »[2].

(فانسلخ/١٧٥) الانسلاخ : التعرِّي من الشيء حتى لا يعلق به منه شيء . وفي إطلاقه هنا استعارة ، إجراءً للمعاني مجرى الأجرام . وقيل : إنه من باب القلب ، أي انسلخت الآيات منه[3].

وفي الآية من أنواع البديع المزاوجة . [وفي (فأَتْبَعَهَ الشيطان/١٧٥) مبالغة ، حيث جُعل كأنه إمام للشيطان يتبعه . وقرىء :][4] (فاتَّبعه) مشدداً[5]، قال صاحب اللوامح[6] :

« بين تبعه واتَّبعه المشددة[7] فرق ، فتبعه إذا مشى في أثره ، واتَّبعه إذا زاوله[8] مشياً »[9]. وقال القتبي : « تبعه من خلفه ، وأتبعه بالقطع ، أدركه ولحقه »[10].

(فمَثَلُه/١٧٦) إلى آخره . قيل : وجه التشبيه في تركه الحكمة ، حَمْلَها أم لم يحملها . وقيل : تهالكه على الدنيا ، وقلقه واضطرابه على تحصيلها ، فهو لا يزال تعِباً قلِقاً في تحصيلها ، كما أن الكلب لا يزال لاهِثاً. وقيل : لا يُنيب إلى الحق ،

---

(١) « كان » : ليست في (أ) .

(٢) البحر (٤/٤٢٢) بتصرف .

(٣) هذا قول ابن مسعود . البحر (٤/٤٢٢) . والقول السابق هو ما جرى عليه ابن الجوزي . زاد المسير (٣/٢٨٩) . وإليه نحا الألوسي روح المعاني (٩/١١١) .

(٤) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) .

(٥) قرأها طلحة بخلاف والحسن فيما روى عنه هارون . البحر (٤/٤٢٣) .

(٦) هو أبو الفضل ، عبد الرحمن بن أحمد العجلي الرازي ، مقرىء ، عارف بالأدب ، كثير التنقل ، له شعر في الزهد ، من مصنفاته : « اللوامح في شواذ القراءات » . توفي سنة ٤٥٤هـ . بغية الوعاة (٢٩٦) ، وغاية النهاية (١/٣٦١) .

(٧) في (ب) : المشدد .

(٨) في (أ) : داراه ، وفي البحر : واراه - ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٩) البحر (٤/٤٢٣) .

(١٠) غريب القرآن لابن قتيبة (١٧٤) . البحر (٤/٤٢٣) .



دُعي أو لم يُدعَ ، أُعطِي أو لم يُعطَ ، قيل : وشُبِّه بالكلب ، لأنه لا شيء في الحيوان أخسّ منه[1]. أبوحيان : « لما ذكر الإحسان بإيتاء الآيات [أسنده تعالى إلى ذاته الشريفة ، ولما ذكر الانسلاخ وما بعده الذي هو إساءة][2] أسنده إليه »[3].

وفي الكلام حذف ، أي ولكنه أخلد ، فحططناه في مقابلة رفعناه . وجملة (**إن تحمل/١٧٦**) وما بعده في موضع الحال ، وهو عزيز الوقوع .

(**ساء مثلاً القوم/١٧٧**) قرىء (**ساء مثلُ القوم**)[4]. (**من يهدِ الله/١٧٨**) فيه التفات. (**فهو المهتدي/١٧٨**) رُوعي فيه لفظ (**من/١٧٨**). (**يُضْلِل فأولئك هم الخاسرون/١٧٨**) رُوعي فيه معناها ، وحسّنه كونه فاصلة ، وفي الآية احتباك ، فإن مقتضى التركيب ، فأولئك هم الضالون ، كما قال : (**فهو المهتدي/١٧٨**) ، لكنه حُذف اكتفاء بذكر نظيره في الجملة الأولى ، وحذف من الأولى ضد الخسران اكتفاء بذكر نظيره في الثانية . (**ولقد ذرأنا/١٧٩**) فيه التفات . أبوحيان: « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أن في ضِمن ما تقدم وعيد الكفار »[5]. قيل : وفي الآية قلب ، أي ذرأنا جهنم لكثير[6] . (**أولئك كالأنعام/١٧٩**) أي في عدم الفقه في العواقب والنظر للاعتبار والسماع للتفكير. (**بل هم أضل/١٧٩**) ، لأنهم يعصون ولا ينقادون لربهم ، والأنعام لا تعصي ، وتنقاد لأربابها ، والأنعام تعرف ربها وتسبِّح

---

(١) انظر في الأقوال السابقة وغيرها . زاد المسير (٣/ ٢٩٠) ، والبحر (٤/ ٤٢٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٦٧) . ويظهر لي أن هناك تقارباً بين الأقوال المذكورة هنا ، والمقصود أنه لما انسلخ المتحدَّث عنه في الآية عن آيات الله ، صار مثله في استمراره على الضلالة ، وتهالكه على الدنيا ، كمثل الكلب الذي يلهث في حالتيه إن حملت عليه ، وإن تركته . وانظر فتح القدير (٢/ ٢٦٥) .

(٢) ما بين القوسين ليس في (أ) .

(٣) البحر (٤/ ٤٢٤) بتصرف .

(٤) الجحدري والأعمش . ابن خالويه (٤٧) .

(٥) في البحر (٤/ ٤٢٦) : «ومناسبة هذا لما قبله ، أنه لما ذكر أنه هو الهادي وهو المضل أعقبه بذكر من خلق للخسران والنار ، وذكر أوصافهم فيما ذكر وفي ضمنه وعيد الكفار» .

(٦) اعترض أبو حيان على ذلك ، وذكر أن القلب لا يكون إلا في الشعر على الصحيح . البحر (٤/ ٤٢٧) .



له ، وهم لا يعرفونه ولا يسبِّحونه ، ولذلك قال : **(أولئك هم الغافلون/ ١٧٩)** قيل : للانتقال لا للإبطال[1] . **(ولله الأسماء/ ١٨٠)** فيه التفات . أبو حيان : « مناسبتها لما تقدم ، أنه لما ذكر أنه ذرأ لجهنم كثيراً ، ذكر نوعاً منهم ، وهم الذين يلحدون في أسمائه ، وهم أشد الكفار عِتِياً ، وأيضاً فلما نبّه على أن من أسباب دخول جهنم الغفلة عن ذكر الله ، أمر هنا بذكره بأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا »[2] ، و« ذَر » يُستعمل كثيراً في الوعيد كقوله : **(ذرني ومن خلقتُ وحيداً)**[3] . والقراءة **(يُلْحِدون/ ١٨٠)** من ألحد ، ولحد[4] ، فقيل : هما بمعنى وهو العدول عن الحق ، والإدخال فيه ما ليس منه ، والرباعي أشهر استعمالاً من الثلاثي . وقيل : ألحد : مال وانحرف ، ولحد ركن وانضوى[5] . **(سيجزون/ ١٨٠)** السين لتحقيق الوعيد . **(ما كانوا يعملون/ ١٨٠)** عام في الإلحاد وغيره . ولما ذكر أنه ذرأ للنار كثيراً [ذكر في مقابلتهم: **(وممن خلقنا أمةٌ يهدون. . ./١٨١)** ، وهم قليل بالنسبة إلى ذَرِّ النار،][6] فلذلك أتى بمن التبعيضية ، والمراد بهم من هذه الأمة ، قاله ابن عباس وأكثر المفسرين[7] ، فهي في مقابلة قوله :

---

(١) وهو ما ذهب إليه أبو حيان . البحر (٤/ ٤٢٨) .

(٢) البحر (٤/ ٤٢٩) .

(٣) المدثر (١١) .

(٤) قراءة (يلحدون) بفتح الياء والحاء ، هي قراءة حمزة ، وقراءتها بضم الياء وكسر الحاء هي قراءة باقي السبعة . حجة القراءات (٣٠٣) ، والبحر (٤/ ٤٣٠) .

(٥) هذا قول الكسائي ، والقول السابق هو قول ابن السكيت . الدر المصون (٥/ ٥٢٣) .

(٦) ما بين القوسين ليس في (أ) .

(٧) البحر (٤/ ٤٣٠) . ولعل مما يؤيد ذلك ما رواه ابن جرير الطبري عن ابن جريج قال : ذكر لنا أن النبي -ﷺ- قال : (هذه أمتي بالحق يأخذون ويعطون ويقضون) . جامع البيان (١٣/ ٢٨٦) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٦٩) ، وذكره السيوطي في الدر (٣/ ١٤٩) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ . وروى الشيخان عن معاوية -رضي الله عنه- قال : سمعت النبي -ﷺ- يقول : (لا يزال من أمتي أمةٌ قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتيهم أمر الله ، وهم على ذلك) . اللؤلؤ والمرجان (٤٩٩) ، كتاب الإمارة ، باب (٥٣) . ويبدو لي أن الراجح هنا ، القول بالتعميم ، فظاهر لفظ الآية بيّن أن ممن خلق أمة موصوفون بكذا . دون تخصيص ، لا في =



﴿ومن قوم موسى﴾[1] الآية . وانظر إلى تضمنه الفرق بين العبارتين من التشريف والتخصيص والتكريم لهذه الأمة ، حيث أضافهم إلى ذاته الشريفة ، وأنه خلقهم ، وأضاف أولئك إلى صاحب دعوتهم . وقيل : في الآية حذف ، أي وممن خلقنا للجنة ، لإثبات مقابلة في ﴿ذرأنا لجهنم﴾[2] وفي ﴿خلقنا﴾ التفات . ﴿والذين كذَّبوا بآياتنا/١٨٢﴾ عود إلى ما كان الكلام فيه بعد الاستطراد . ﴿سنستدرجهم/١٨٢﴾ قال أبوعبيدة : « الاستدراج أن يدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً ، ولا يهجم عليه ، وأصله من الدَّرجة ، وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مرقاة مرقاة ، ومنه دَرَج الكتاب ، طواه شيئاً بعد شيء ، ودَرَج القوم ماتوا بعضهم في إثر بعض »[3] ، ودَرَج الصبي ، قارب بين خُطاه . وقرىء بالياء[4] ، ففيه التفات ، وما بعده التفات عنه . ﴿وأُملِي/١٨٣﴾ فيه التفات من ضمير العظمة إلى ضمير الإفراد ، أي أؤخرهم ملاوة من الدهر ، أي[5] زماناً طويلاً ، ومنه : ﴿واهجرني ملِياً﴾[6] ﴿إنْ/١٨٤﴾ بالكسر والفتح[7] . ﴿كَيدي متين﴾ سمّى فعله بهم كيداً ، لأنه شبيه به من حيث إنه في الظاهر إحسان ، وفي الباطن خذلان . ﴿أوَ لَم يتفكروا /١٨٤﴾ قال

= أشخاص ولا في أزمان ، وعلى هذا ، فهي تصلح لأن تكون لكل هاد بالحق من هذه الأمة وغيرها ، وفي زمن الرسول -ﷺ- وغيره ، كما أن مقابلها في قوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم﴾ ، لا يدل على تخصيص أشخاص ولا زمان . وقد روى ابن جرير عن قتادة قال : « بلغنا أن نبي الله -ﷺ- كان يقول إذا قرأها : هذه لكم ، وقد أعطي القوم مثلها: ﴿ومن قوم موسى أمةٌ يهدون بالحق ، وبه يعدلون﴾ . جامع البيان (١٣/٢٨٦) ، وأورده السيوطي في الدر (٣/١٤٩) وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وانظر زاد المسير (٣/٢٩٤) ، والمحرر (٦/١٥٨) .

(١) الأعـراف (١٥٩) .

(٢) حكاه أبو حيان في البحر (٤/٤٣٠) .

(٣) ليس بكتاب المجاز ، وهي في البحر (٤/٤٣٠) .

(٤) النخعي وابن وثاب . البحر (٤/٤٣١) ، وانظر ابن خالويه (٤٧) .

(٥) « أي » ليست في (أ) .

(٦) مريـم (٤٦) .

(٧) قراءة الفتح هي قراءة عبد الحميد عن ابن عامر . وقراءة الكسر هي قراءة الجمهور . البحر (٤/٤٣١) ، والدر المصون (٥/٥٢٥).



الزملكاني : « تمَّ الكلام هنا » . و(**ما بصاحبهم/١٨٤**) نفي مستأنف والاستفهام هنا ، قيل : توبيخ ، وقيل : تحريض . وقيل : التقدير فيعلموا ما بصاحبهم[(١)].

ولما حضَّهم على التفكر في أمر الرسول والاستدلال على صدقه ، عقبه بالحض على التفكير في أمر ذاته[(٢)] ، والاستدلال على وحدانيته فقال : (**أو لم ينظروا/١٨٥**) الآية ، فبدأ بملكوت السموات والأرض لِعظمها ، ثم بيَّن أن في كل شيء من مخلوقاته آية على وحدانيته ، ثم نبَّههم على تفكُّر خاص بأنفسهم ، وهو النظر في اقتراب آجالهم ومبادرة الموت لهم على حال الغفلة . وفي (**خلق الله/١٨٥**) التفات . (**ويذرهم/١٨٦**) بالياء والنون ، فيه التفات ، وبالرفع استئنافاً والجزم[(٣)] عطفاً على محل الجزاء . (**يسألونك/١٨٧**) أي اليهود ، كما دل عليه سبب النزول[(٤)] ، فهو عَود بعد الاستطراد .

ومناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه تقدم ذكر التوحيد والنبوة والقضاء[(٥)] ، فاتبع بذكر المعاد ، إذ الأربعة مرتبطة [بعضها ببعض][(٦)] في القرآن ، وأيضاً فلما تقدم (**وأن عسى قد اقترب أجلهم/١٨٥**) المتضمن ، لأن الأجل مكتوم عن الخلق ، وأن الموت إنما يجيء بغتة ، وفي ذلك حث على المبادرة إلى التوبة والإسراع إلى الخير ،

---

(١) انظر البحر (٤/٤٣١ - ٤٣٢) ، والدر المصون (٥/٥٢٥) .

(٢) في (ب) : الرســول .

(٣) القراءة بالنون مع الرفع على الاستئناف ، هي قراءة نافع ، وابن عامر ، وابن كثير ، والقراءة بالياء مع الرفع على الاستئناف هي قراءة أبي عمرو ، وعاصم ، والقراءة بالياء مع الجزم هي قراءة حمزة ، والكسائي . حجة القراءات (٣٠٣ - ٣٠٤) ، والبحر (٤/٤٣٣) .

(٤) ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية قولين : أحدهما أن قوماً من اليهود قالوا : يا محمد ، أخبرنا متى الساعة ؟ فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس . والثاني : أن قريشاً قالت : يا محمد ، بيننا وبينك قرابة ، فبيِّن لنا متى الساعة ؟ فنزلت هذه الآية ، قاله قتادة . زاد المسير (٣/٢٩٧) . ولعل القول بالعموم في القوم الذين سألوا ، هو الأولى ، لأنه لا خبر يدل على التخصيص - كما قال الطبري (١٣/٢٩٣) .

(٥) كلمة « القضاء » ليست في (أ) .

(٦) في (ب) : « ببعضها » بدلاً من « بعضها ببعض » .



عقَّبه بأمر الساعة ، وأنه أيضاً مكتوم عن الخلق ، ولا يأتي إلا بغتة حثاً وتحذيراً.
(الساعةِ/١٨٧) من الأعلام الغالبة . **(أيان/١٨٧)** قرىء بكسر الهمزة[1] ، لغة سليم ، استفهام من الزمان ، وأَغْرَب من قال أصله : « أيّ أو ان » حذف الهمزة لكثرة دوره ، وقلبت الواو ياء ، فالتقى ثلاث ياءات ، فحذف أحديهما[2] .
(مُرساها/١٨٧) مصدر ، أي إرساؤها ، أي قرارها ، والرّسو ثبات الشيء الثقيل .
(ثَقُلَت/١٨٧) استعارة للشدة والصعوبة ، وأصله أن يتعدى بعلى ، تضمن[3] معنى ما يتعدى بفي ، أو تضمنت[4] في معنى على . **(كأنك حفِيٌ/١٨٧)** أي مبالغ في الاعتناء بها ، مستقص ، متتبع مشتغل به ، جملة معترضة بين **(يسألونك)** ، و**(عنها)** ، لأن حفِيًّا يتعدى بالباء ، وقيل : عُدِّي هنا بعن لتضمنه معنى كاشف ، أو عن بمعنى الباء[5] ، وقرأ ابن مسعود **(كأنك حَفِيٌ بها)**[6] . و**(قل إنما علمها عند الله/١٨٧)** كرر الجواب ، كما كرر السؤال توكيداً . **(قل لا أملك لنفسي/١٨٨)** الآية ، نزلت لما قال أهل مكة : « ألا تخبرنا بالسعر الرخيص قبل أن يغلو ، فنشتري ونربح »[7] . وقال أبوحيان: « ومناسبتها لما قبلها ظاهر جداً ، يعني أنه أحد الأمور التي لا يعلمها إلا الله ، كعِلم الساعة »[8] .

وهذه الآية كالشارحة لإجمال آية الأنعام : **(قل لا أقولُ لكم عندي خزائنُ اللّهِ ولا أعلمُ الغيبَ/٥٠)** . الكرماني : قدّم هنا النفع على الضر ، لمناسبة ما قبله وما بعده من تقدم الهداية على الإضلال في قوله : **(من يهد اللّهُ/١٧٨)** الآية ، والخير

---

(١) عن السلمي . المحرر (١٦٦/٦) ، والبحر (٤٣٤/٤) .
(٢) حكاه السمين في الدر المصون (٥٣٠/٥) .
(٣) في (ب) : فضمير .
(٤) في (ب) : أو ضمنت .
(٥) انظر البحر (٤٣٥/٤) ، والدر المصون (٥٣١/٥) .
(٦) البحر (٤٣٥/٣) .
(٧) روي ذلك عن ابن عباس . زاد المسير (٢٩٩/٣) ، البحر (٤٣٥/٤ - ٤٣٦) .
(٨) البحر (٤٣٦/٤) باختصار .



على السوء من قوله: (لاستكثرتُ من الخير ، وما مَسَّنِيَ السوءُ/١٨٨) ، وقدّم في يونس[١] الضر على النفع ، لأنه الأصل ، إذ العبادة لله تَكون أولاً خوفاً من عقابه ، ثم طمعاً في ثوابه ، ولذلك قال : (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً)[٢]، فكذا أكثر ما ورد في القرآن بتقديم الضر على النفع ، وما قدّم فيه النفع ، فلسابقة لفظ يتضمنه ، وذلك في ثمانية مواضع[٣] هذا آخرها ، وفي الأنعام لتقدم (ولِيٌ ولا شفيعٌ/٧٠) ، (وإن تعدل كلَّ عدلٍ/٧٠) ، وفي يونس لتقدم (ثم ننجي رسلَنا/١٠٣) ، (ولا تدعُ/١٠٦) ، وفي الأنبياء لتقدم (علِمتَ ما هؤلاء ينطقون/٦٥) ، وفي الفرقان[٤] لتقدم نِعم كثيرة ، وفي الرعد لتقدم (طَوعاً وكرهاً/١٥) بتقديم الطوع ، وفي سبأ لتقدم (يبسط الرزق/٣٦ ، ٣٩) بتقديم البسط ، وفي الشعراء لتقدم (هل يسمعونكم إذ تدعون/٧٢) وهذا من لطائف القرآن ، وساطع براهينه »[٥]. (لاستكثرت من الخير ، وما مسني السوءُ/١٨٨) فيه لف ونشر مرتب . وقيل : تمّ الكلام عند قوله: (من الخير/١٨٨)، (وما مسني/١٨٨) استئناف أي لم يمسني السوء ، وهو الجنون الذي رميتم به[٦].

قال مؤرّج : « السوء : الجنون بلغة هذيل »[٧]. (نذير) قيل : فيه حذف واكتفاء ، أي للكفار ، لدلالة ما بعده عليه[٨].

---

(١) الآية (١٨) من سورة يونس .

(٢) السجدة (١٦) .

(٣) هذه المواضع هي : الشعراء (٧٣) ، الفرقان (٥٥) ، يونس (١٠٦) ، الأعراف (١٨٨) ، الأنبياء (٦٦) ، الرعد (١٦) ، الأنعام (٧١) ، سبأ (٤٢) .

(٤) في (ب) : القرآن .

(٥) أسرار التكرار (٩٢ - ٩٣) بتصرف .

(٦) حكاه أبو حيان . البحر (٤٣٧/٤) . وعلّق عليه قائلاً : « وهذا القول فيه تفكيك لنظم الكلام ، واقتصار على أن يكون جواب « لو » ، (لاستكثرت من الخير) فقط ، وتقدير حصول علم الغيب يترتب عليه الأمران ، لا أحدهما ، فيكون إذ ذاك جواباً قاصراً » . البحر (٤٣٧/٤) . وتفسير (السوء) هنا بالجنون ، هو تفسير الحسن . زاد المسير (٣٠٠/٣) .

(٧+٨) البحر (٤٣٧/٤) .

قلت : ولما كانت هذه السورة مكية ، قدم النذارة ، ولما كانت سورة البقرة مدنية ، قدّم البشارة في قوله : (**إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً/ ١١٩**) . (**هو الذي خلقكم/ ١٨٩**) قال أبوحيان: « مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه لما ذكر الساعة ، والكفار لا يؤمنون بها ، ذكر بدء الخلق دليلاً على الإعادة . وقيل : وجه المناسبة ، أنه لما ذكر الملحدين في أسمائه التي اشتقوا منها أسماء لأصنامهم ، فأخذوا اللّات [من الله][1] ، والعُزّى من العزيز ، وأمرهم بالنظر والاستدلال على الوحدانية ، بيّنَ هنا أن أصل الشرك من إبليس ، حيث أدخله على آدم وحواء ، بقوله : سمّيا الولد عبد الحرث»[2] . وفي ذلك إيماء إلى الاتحاد في الأسماء منها ، أُعيد الضمير فيه إلى النفس مؤنثاً باعتبار اللفظ ، وفي (**ليسكن/ ١٨٩**) مذكّراً باعتبار المعنى ، وحسَّنه كون الـذَّكَر هو الذي يسكن إلى الأنثى . و(**تغشّاها/ ١٨٩**) كناية عن الجماع ، والحَمْل بالفتح ما كان في البطن ، أو على رأس شجرة ، وبالكسر ما كان على ظهر أو رأس غير شجرة[3] . وقرىء بالكسر[4] . (**فَمَرَّت به/ ١٨٩**) قال الحسن : « أي استمـرت به »[5] . وقيل : هو على القلب ، فمـرَّ بها أي استمر بها[6] . وقرىء بتخفيف الراء[7] من المِرْية ، أي شكّت فيما أصابها ، أو هو حَمْل أم مرض . وقرىء (**فمـارَتْ**)[8] مخففاً ، أي جاءت وذهبت ، من مارت الريح ، أو ارتابت من[9] مارى . وقـرأ ابن مسعـود (**فـاستمـرت بحملهـا**)[10] ، وقرأ سعد بن أبي وقاص

---

(١) ليست في (أ) .

(٢) البحر (٤/٤٣٨) .

(٣) البحر (٤/٤٣٩) ، والدر المصون (٥/٥٣٣) .

(٤) قرأها حماد بن سلمة عن ابن كثير . البحر (٤/٤٣٩) .

(٥) البحر (٤/٤٣٩) ، وهو اختيار ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٣٠١) .

(٦) حكاه أبو حيان ، والسمين . البحر (٤/٤٣٩) ، والدر المصون (٥/٥٣٣) .

(٧) قرأ بذلك ابن عباس ، ويحيى بن يعمر . البحر (٤/٤٣٩) ، وابن خالويه (٤٧) .

(٨) قرأها عبد الله بن عمروِ بن العاص ، والجحدري . البحر (٤/٤٣٩) .

(٩) « من » ليست في (أ) .

(١٠) البحر (٤/٤٣٩) .



(فاسْتَمَرَّتْ به)[1] ، وقرأ أُبيّ (فاستمارَتْ به)[2] من المِرْية . (أثقلت) دخلت في الثقل ، كأصبح وأمسى ، أو صارت ذات ثِقل ، كأتْمَر الرجل ، وألْبَن . وقرىء بالبناء للمفعول[3] . (شركاءَ/١٩٠) بالجمع ، وفي قراءة بكسر الشين ، وسكون الراء[4] ، مصدر بمعنى الشريك . اعلم أن الحديث ورد أن الآية في قصة آدم وحواء ، أخرجه أحمد والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه من حديث سمرة[5] ، مرفوعاً[6] ، وله شاهد عن ابن عباس بسند صحيح ، أخرجه ابن أبي حاتم[7] ،

---

(١) الدر المصون (٥/٥٣٤) وزاد نسبتها إلى ابن عباس والضحاك .

(٢) البحر (٤/٤٣٩) ، وأسندها ابن خالويه إلى ابن عباس . ابن خالويه (٤٨) .

(٣) عن اليماني . ابن خالويه (٤٨) .

(٤) قرأ بذلك ابن عباس ، وأبو جعفر ، وشيبة ، وعكرمة ، ومجاهد ، وإبان بن ثعلبة ، ونافع ، وأبو بكر عن عاصم . البحر (٤/٤٤٠) .

(٥) هو أبو سليمان : سمرة بن جندب بن هلال الفزاري ، صحابي جليل ، من الشجعان ، كتب رسالة إلى بنيه ، قال ابن سيرين : فيها علم كثير ، توفي سنة ٦٠هـ .
الإصابة : ترجمة (٣٤٧٤) ، وتهذيب التهذيب (٤/٢٣٦) ، والمحبر (٢٩٥) ، والجمع بين رجال الصحيحين (٢٠٢) .

(٦) الحديث هو : (لما حملت حواء ، طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد فقال : سميه عبد الحرث ، فإنه يعيش ، فسموه عبدالحرث فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره) . المسند (٥/١١) .
وانظر سنن الترمذي (٥/٢٦٧) حديث رقم (٣٠٧٧) ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب . ورواه الحاكم ولكن ليس فيه ذكر إبليس ، وإنما فيه أن حواء نذرت لئن عاش لها ولد ، تسميه عبدالحارث . المستدرك (٢/٥٤٥) .

(٧) ونصه هو : « حملت حواء ، فأتاها إبليس ، فقال : إني صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة لتطيعني ، أو لأجعلن له قرني إيل فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن ، فخوفهما ، سمياه عبدالحارث ، فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً ، ثم حملت فأتاهما أيضاً فقال مثل ذلك ، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد ، فسمياه عبدالحارث ، فذلك قوله : **(جعلا له شركاء فيما آتاهما)** . الدر (٣/١٥٣) .

وقد ذكر ابن كثير هذا الحديث ، وبين أنه حديث معلول ، وخاصة أن الراوي - وهو الحسن - نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا الحديث عنده مرفوعاً ، لما عدل عنه ، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أن تلقاه من بعض أهل الكتاب .

وعلى ذلك ، فليس المراد من السياق هنا آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ، ولهذا قال تعالى : **(فتعالى الله عما يشركون)** . . . . فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين ، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس . انظر تفسير القرآن العظيم (٢/٢٧٥) .



وسياق الآية يرشد إلى ذلك ، وقد توقف جماعة في ذلك لقوله في آخر الآية : (**فتعالى الله عما يشركون/١٩٠**) ، والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعاً ، فألجأهم ذلك إلى حمل الآية على بعض مشركي العرب وزوجه ، وإلى القدح في الحديث ، وهذا كله قصور منهم ، فإن حمل الآية على غير آدم وحواء ، مناف لأولها كل المنافاة ، والقدح في الأحاديث الصحيحة لا يليق بأهل المعرفة ، والذي يخلص من الإشكال أن قصة آدم وحواء تمَّت عند قوله : (**فيما آتاهما/١٩٠**) ، وأن قوله : (**فتعالى الله/١٩٠**) تخلص إلى قصة مشركي العرب ، ولذلك اتصل بها : (**أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ/١٩١**) إلى آخره ، وقد وجدت السلف تفطَّنوا لذلك ، فأخرج عبدالرزاق[1] عن السدي[2] ، قال: « هذا من الموصول المفصول »[3] ، وأخرج ابن أبي حاتم عنه في قوله : (**فتعالى الله عما يشركون/١٩٠**) ، قال :

« هذه فصل من آية آدم ، خاصة في آلهة العرب »[4] ، وأخرج عن طريق السدي عن أبي مالك[5] قال : « هذه مفصولة أطاعاه في الولد ، (**فتعالى الله عما يشركون**) هذه لقوم محمد »[6] . وبهذا التقرير انحلت هذه العقدة ، وانجلت هذه المعضلة ، ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع ، بعد التثنية ، ولو كانت القصة واحدة لقال : « **عما يشركان** » ، كقوله: (**دعَوَا الله ربَّهما/١٨٩**) ، (**فلما آتاهما صالحاً جعلا**

---

(١) هو أبو بكر ، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، من أهل صنعاء ، من حفاظ الحديث الثقات ، من كتبه « الجامع الكبير » في الحديث . توفي سنة ٢١١هـ . تهذيب التهذيب (٦/٣١٠) ، وطبقات الحنابلة (١٥٢) ، وميزان الاعتدال (٢/١٢٦) ، والرسالة المستطرفة (٣١) .

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي ، حجازي الأصل ، سكن الكوفة ، قال فيه ابن تغري بَرْدي : « صاحب التفسير والمغازي والسير » ، توفي سنة ١٢٨هـ . النجوم الزاهرة (١/٣٠٨) ، واللباب (١/٥٣٧) .

(٣) تفسير القرآن / تعبد الرزاق (١/٢٤٦) .

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٣/١٥٢) ، وزاد نسبته إلى ابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٥)

(٦) الدر المنثور (٣/١٥٢) .



له شركاءَ فيما آتاهما/١٦٠) فما غيرَّ الأسلوب في الضمير إلا لنكتة ، وهي اختلاف المخبر عنه ، ولذلك وردت الضمائر في الآيات المتصلة بها بصيغة الجمع ، وأكَّد ذلك أيضاً بالعدول من الغيبة إلى الخطاب في قراءة (تشركون/١٩٠) بالفوقية[٢] فإنه خطاب للعرب المخاطبون بقوله أول الآية: (خلقكم من نفسٍ واحدةٍ/١٨٩) ، وهذا نوع بديع من فنون القرآن ، وهو الموصول لفظاً ، المفصول معنىً ، وقد عقدت له باباً في الإتقان ، أوردت فيه عدة أمثلة[٣] ، وذكرتها في هذا الكتاب في محلها . (أيشركون/١٩١) قرىء بتاء الخطاب[٤] . (ما لا يخلق/١٩١) فيه تغليب غير العاقل لكثرته . (وهم يُخْلَقون/١٩١) فيه تغليب العاقل ، وحسَّنه مراعاة الفاصلة . (وإن تدعوهم/١٩٣) فيه التفات على قراءة (أيشركون/١٩١) بالغيبة ، وضمير (هم) للشركاء الأصنام . وقيل : الخطاب للرسول والمؤمنين وضمير (هم) للكفار[٥] . (لا يتَّبِعوكم/١٩٣) مشدد ، ومخفف[٦] . (أم أنتم صامتون/١٩٣) صح عطفها على الفعلية ، لأنها في معنى : أم صمتم ، وحسَّنه مراعاة الفاصلة ، وأن الصمت أمر لازم ، والدعاء يحدث ويتجدد ، فناسب الأول الاسم ، والثاني الفعل . (إن الذين/١٩٤) الآية ، جملة مؤكدة لما قبلها .

وقرىء بتخفيف (إن) نافية ، ونصب عباداً[٧] خبرها ، أي ليسوا أمثالكم ، بل أنتم أشرف منهم ، لما لكم من الأرجل والأيدي والأعين والآذان ، فكيف تعبدون من هو دونكم . ومعنى القراءة المشهورة ، أنهم مثلهم في كونهم مخلوقين للمملوكين ،

---

(١) الدر المنثور (١٥٢/٣) .

(٢) عن السلمي . البحر (٤٤٠/٤) .

(٣) انظر الإتقان (٢٥٢ - ٢٥٤) .

(٤) قرأ بذلك السلمي . البحر (٤٤١/٤) ، وابن خالويه (٤٨) .

(٥) انظر زاد المسير (٣٠٥/٣) ، والبحر (٤٤٠/٤) . ولعل القول بأن الخطاب هنا للكفار هو الأرجح ، لقوله بعد (إن الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم) .

(٦) قراءة التشديد هي قراءة الجمهور ، وقراءة التخفيف هي قراءة نافع . حجة القراءات (٣٠٥) ، والبحر (٤٤١/٤) .

(٧) مع نصب اللام في (أمثالكم) ، وهي قراءة ابن جبير . البحر (٤٤٤/٤) .

فلا منافاة بين القراءتين . وخرَّج أبوحيان الشاذة على أنها إن المخففة ، أُعملت في لغة من ينصب بإن الجزأين[1] ، وفي ذلك شذوذان ، الأول أسهل منه ، و(**أمثالكم**) على هذه القراءة بالنسب تابع . وقرىء بالرفع خبر (**إن**) مخففة ، و(**عباداً**) حال من عائد الصلة[2] . (**فليستجيبوا/١٩٤**) أمر تعجيز . (**ألَهم/١٩٥**) الآية استفهام إنكار وتعجيب . وفي الآية الترقي من الأدنى إلى الأعلى ، لأن الأيدي أشرف من الأرجل ، والأعين أشرف منها ، والسمع أشرف من البصر . والقراءة (**يبطشون/١٩٥**) بالضم والكسر[3] . والبطش الأخذ بقوة . (**إن وَلِيِيَ الله/١٩٦**) إعلام بأنه لا يضرّه كيدهم شيئاً . وقرىء بياء واحدة[4] على حذف إحدى الياءات ، أو على تقدير إن ولِيّاً الله ، فحذف التنوين للساكن ، على حد :

ولا ذَاكِـرَ الله إلا قليـلاً . . . .

وقرىء (**وليّ الله**) بياء واحدة ، والإضافة إلى الله[5] ، والمراد به جبريل[6] أو التقدير : إن ولِي الله من هو صالح ، فحُذف لدلالة (**وهو يتولّى الصالحين/١٩٦**)[7] . (**والذين يدعون من دونه لا يستطيعون/١٩٧**) الآية ، هذا معنى ما تقدم في قوله: (**ولا يستطيعون لهم نصراً/١٩٢**) الآية ، قال الواحدي :

---

(١) البحر (٤٤٤/٤) .

(٢) البحر (٤٤٥/٤) ، والدر المصون (٥٤١/٥) دون نسبة .

(٣) قراءة الكسر هي قراءة الحسن ، والأعرج ، ونافع . وقراءة الضم هي قراءة أبي جعفر ، وشيبة ، ونافع . البحر (٤٤٥/٤) ، والدر المصون (٥٤٢/٥) ، وابن خالويه (٤٨) حيث أضاف الحسن .

(٤) قرأ بذلك أبو عمرو في رواية عنه . السبعة (٣٠٠) ، وابن خالويه (٤٨) وأضاف الحسن وشيبة .

(٥) قرأ بذلك الجحدري - كما نقل عنه أبو عمرو الداني . البحر (٤٤٦/٤) . ونسبها ابن خالويه إلى الحسن وشيبة . ابن خالويه (٤٨) .

(٦) وهذا تخريج الأخفش . البحر (٤٤٦/٤) . وقد علق أبو حيان على هذا التخريج قائلاً : « وتفسير هذه القراءة بأن المراد بها جبريل - وإن احتملها لفظ الآية - لا يناسب ما قبل هذه الآية ولا ما بعدها ، ويحتمل وجهين من الإعراب ولا يكون المعنى جبريل .
أحدهما : أن يكون وليّ الله اسم إن ، والذي نزل الكتاب هو الخبر ، على تقدير حذف الضمير العائد على الموصول ، والموصول هو النبي -ﷺ- . . . . » . ثم ذكر الوجه الثاني وهو التقدير الذي ذكره المؤلف هنا بعد ذلك . انظر البحر (٤٤٦/٤ - ٤٤٧) ، وانظر الدر المصون (٥٤٣/٥) .

(٧) حكاه السمين في الدر المصون (٥٤٥/٥) .



« وأُعيد ، لأن الأول مذكور على جهة التقريع ، وهذا مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة ، ومن لا يجوز ، كأنه قيل : الإله المعبود يجب أن يكون يتولى الصالحين ، وهذه الأصنام ليست كذلك ، فلا تكون صالحة للإلهية »[1].

(وتراهم/١٩٨) الآية ، أثبت النظر مجازاً لمعنى المقابلة ، ونفاه حقيقة .

أقول : وغايَر بين اللفظين في الإثبات والنفي ، حيث عبَّر في الثاني بالبصر ، لئلا يكون الكلام كالمتناقص ، والخطاب في (تراهم/١٩٨) ، و(إليك/١٩٨) للرسول ، أو لكل مخاطب ، وأفرد بعد جمع (تدعوهم/١٩٨) لأنه اقتطع من جملة الشرط ، واستؤنف للإخبار عن حالهم .

وقيل : الآية في الكفار[2] ، لا في الأصنام ، والنظر المثبت الحقيقي والمنفي المجازي ، ويناسبه قوله في الآية بعده: (وأعرِض عن الجاهلين/١٩٩). (خُذِ العفوَ/١٩٩) هذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق فقد ورد أنها نزلت فيها . قال جعفر الصادق[3]: « ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها »[4] ، ومن استعمال هذه اللفظة في كلام العرب قول حاتم[5]:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب[6]

---

(١) البحر (٤/٤٤٧) .

(٢) هو قول مجاهد، والحسن، والسدي، ولكن السياق يؤيد بأن المقصود هنا الأصنام ، وهو ما عليه ابن كثير . انظر زاد المسير (٣/٣٠٧) ، والبحر (٤/٤٤٧) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/٢٧٦) .

(٣) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ، السبط ، الهاشمي ، القرشي ، يلقب بالصادق ، تابعي ، جليل ، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، له منزلة رفيعة في العلم ، له أخبار مع بعض الخلفاء العباسيين وكان جريئاً عليهم ، صداعاً بالحق ، توفي ١٤٨هـ . وفيات الأعيان (١/١٠٥) ، وصفة الصفوة (٢/٩٤) ، وحلية الأولياء (٣/١٩٢) .

(٤) البحر (٤/٤٤٨) .

(٥) هو أبو عدي ، حاتم بن عبد الله الطائي ، الطائي القحطاني ، يضرب المثل بجوده ، كان من أهل نجد ، وزار الشام ، فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية . توفي سنة ٤٦ قبل الهجرة . تهذيب ابن عساكر (٣/٤٢٠ - ٤٢٩) ، وتاريخ الخميس (١/٢٥٥) ، والشعر والشعراء (٧٠) .

(٦) هذا البيت غير موجود في ديوان حاتم الطائي ، وهو في البحر (٤/٤٤٨) ، والمحرر (٦/١٨٥) ، والكشاف (٢/١٣٨) .



وقرىء (بالعرف) بضمتين[1] . (وإما ينزغَنَّك/٢٠٠) أي يحمِلنَّك بوسوسته على ما لا يليق ، « والنزغ أدنى حركة ، ومن الشيطان أدنى وسوسة » قاله الزجاج[2] . وقال ابن عطية : « حركة فيها فساد . وقلَّما تُستعمل إلا في فعل الشيطان ، لأن حركاته مسرعة[3] مفسدة » ، قال :

« وينزغنَّك عام في الغضب وتحسين المعاصي ، واكتساب الغوائل وغير ذلك »[4] ، وفاعل (ينزغنّك/٢٠٠) نزغ : من الإسناد إلى[5] المصدر على حد : جدّ جده . (إنه سميعٌ عليمٌ/٢٠٠) ختم بهما ، لأن الاستعادة تكون باللسان ، ولا تجدي إلا باستحضار معناها بالقلب ، فسميع راجع إلى القول اللساني ، وعليم إلى الاستحضار القلبي . وفي حم السجدة : (إنه هو السميع العليم)[6] بالتعريف ، لأن هذه نزلت أولاً ، وتلك ثانياً ، فحسُن التعريف ، أي هو السميع العليم الذي تقدم ذكره عند نزغ الشيطان . أبوحيان: « مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة جداً[7] . ولما ذكر نزغ الشيطان للرسول ، أعقبه بمس طائفة للمؤمنين : (الذين اتقوا/٢٠١) الآية ، قال أبوحيان : « والنزغ أخف من مسِّ الطائف ، لأن النزغ أدنى حركة ، والمس الإصابة ، والطائف يشعر بالطوفان والدوران ، فهو أبلغ لا محالة ، فكان للمتقين مزيد في ذلك على الرسول ، وانظر[8] لحسن هذا البيان ،

---

(١) قرأ بذلك عيسى بن عمر . البحر (٤/٤٤٨) .
(٢) معاني القرآن (٢/٤٣٨) باختصار .
(٣) في (أ) : مسروعة .
(٤) المحرر الوجيز (٦/١٨٨ - ١٨٩) .
(٥) في (أ) : أو .
(٦) حم السجدة (فصلت) : (٣٦) .
(٧) البحر (٤/٤٤٨) .
(٨) في (أ) : أو نظر .



حيث جاء الكلام في الرسول بلفظ (إن) المحتملة للوقوع وعدمه المتقضية لندرته، على تقدير وقوعه، وفي المتقين بـ(إذا) الموضوعة للتحقق والكثرة[1]، فالمس لهم[2] واقع لا محالة وغالب[3]، والنزعة له قد تقع وقد لا تقع، وإذا وقعت فيه نادرة، وفي مس الطائف استعارة»[4]، والقراءة طائف، اسم فاعل، و(طَيْف)[5] مصدر، أو مخفف من طيف المشدد، وقرىء به[6]، قال أبوعمرو: «هما بمعنى الوسوسة»[7]. وقال الكسائي: «الطيف: اللمم، والطائف ما طاف حول الإنسان»[8]، وقال الفارسي: «الطيف كالخطرة، والطائف كالخاطر»[9] ويختص إطلاقهما بالوسوسة، ويختص الخيال بالطيف فلا يقال فيه طائف، لأنه اسم فاعل لا حقيقة[10]، ونحو **(فطاف عليها طائفٌ من ربك)**[11]. بالطائف فلا يقال فيه طيف، لأنه اسم فاعل حقيقة، قاله السهيلي[12]. ودلّ **(تذكروا/٢٠١)** على حصول نسيان لهم، وقرأ ابن الزبير **(تأمَّلوا)**[13]، وقرأ أُبيّ: **(إذا طاف من الشيطان طائفٌ تأملوا)**[14]، وفي بقية الآية مفاجأة الإبصار عقب التذكُّر. **(وإخوانهم/٢٠٢)**

---

(١) في (أ): والكثيرة، وفي البحر: أو للترجيح.

(٢) في (أ): كلهم.

(٣) في البحر: أو يرجح.

(٤) البحر (٤/٤٤٩).

(٥) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو، والقراءة السابقة هي قراءة نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة. حجة القراءات (٣٠٥).

(٦) عن ابن عباس وابن جبير. ابن خالويه (٤٨).

(٧) البحر (٤/٤٥٠).

(٨) البحر (٤/٤٤٩).

(٩) البحر (٤/٤٤٩).

(١٠) بالبحر «لم يقل اسم فاعل من طاف الخيال، لأنه تخيل لا حقيقة...» البحر (٤/٤٥٠).

(١١) القلم (١٩).

(١٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي، نسبة إلى سهيل -من قرى مالقة-، عمي وعمره سبعة عشر سنة، وهو حافظ عالم باللغة والسير، من كتبه «الروض الأنف»، و«التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام». توفي سنة ٥٨١هـ.
وفيات الأعيان (١/٢٨٠)، ونكت الهميان (١٨٧)، وزاد المسافر (٩٦).

(١٣+١٤) البحر (٤/٤٥٠).



الضمير للشياطين الذي دل عليه الشيطان ، والواو في (**يمدونهم**/٢٠٢) لهم أيضاً ، وهم فيه للإخوان ، وهم الكفار ، ويجوز عود ضمير (**وإخوانهم**) إلى المتقين ، وأُريد بإخوانهم الكفار من باب أخوة التقابل ، كما يقال : الليل والنهار أخوان . وقيل : ضمير (**إخوانهم**/٢٠٢) للجاهلين مراداً بهم من يغويهم من شياطين الإنس والجن ، والأول قول الجمهور[١] ، ورجحه ابن جرير[٢] . قال الزمخشري : « إنه أوجه ، لأنه في مقابلة (الذين اتقوا »[٣] ، والقراءة (**يمدونهم**/٢٠٢) من مدّ ، وأمد[٤] . وقرىء (**يُمادُّونهم**)[٥] ، وفي (**يبصرون**) ، و(**يقصرون**) لزوم ما لا يلزم . وقرىء (**يَقْصُرون**) من قصر[٦] . وادَّعى الزجاج أن (**وإخوانهم**/٢٠٢) الآية متصل بقوله : (**ولا يستطيعون لهم نصراً**/١٩٢) الآية »[٧] . (**اجتبيتَها**/٢٠٣) قال الفراء : « العرب تقول : اجتبيت الكلام ، وارتجلته واختلقته ، إذا افتعلته من قِبل نفسك »[٨] . قال أبوحيان : « وهذا القول منهم من نتائج الإمداد في الغي »[٩] . (**هذا بصائر**/٢٠٣) أخبر عن المفرد بالجمع ، لأن المشار إليه القرآن ، وهو يشتمل عل سُوَر وآيات وبيان وحجج . (**وهدىً ورحمةٌ لقومٍ يؤمنون**/٢٠٣) الإمام : « الناس في الاستدلال بالقرآن على التوحيد والنبوة والمعاد ثلاثة أقسام :

أحدها : الذين بالغوا في هذه المعارض إلى حيث صاروا كالمشاهدين لها ، وهم

---

(١) البحر (٤/٤٥١) .

(٢) جامع البيان (١٣/٣٣٧) ، وانظر زاد المسير (٣/٣١٠ - ٣١١) وتفسير القرآن العظيم (٢/٢٧٦) .

(٣) الكشاف (٢/١٣٩) .

(٤) أي بضم الياء ، وكسر الميم ، وهي قراءة نافع ، والقراءة السابقة ، وهي بفتح الياء ، وضم الميم ، هي قراءة البقية .
السبعة (٣٠١) ، حجة القراءات (٣٠٦) ، والبحر (٤/٤٥١) .

(٥) عن الجحدري . البحر (٤/٤٥١) .

(٦) قرأ بذلك ابن أبي عبلة ، وعيسى بن عمر . البحر (٤/٤٥١) ، وابن خالويه (٤٨) .

(٧) معاني القرآن (٢/٤٣٩) .

(٨) البحر (٤/٤٥١) ، وهو في معاني القرآن للفراء (١/٤٠٢) على النحو التالي : « هلا افتعلتها ، وهو من كلام العرب ، جائز أن يقال : اختار الشيء وهذا اختياره » .

(٩) البحر (٤/٤٥١) .



أصحاب عين اليقين ، فالقرآن في حقهم بصائر .

والثاني : الذين وصلوا إلى درجات المستدلين ، وهم أصحاب علم اليقين ، فهو في حقهم هدى .

والثالث : من اعتقد ذلك الاعتقاد الجازم ، وإن لم يبلغ مرتبة المستدلين ، وهم عامة المؤمنين ، فهو لهم رحمة ، وهم الذين قال[1] : (ورحمةٌ لقومٍ يؤمنون/٢٠٣) »[2].

ولما ذكر أنه بصائر وهدى ورحمة ، أمر بالإنصات إليه عند قراءته ، لأن ما اشتمل على هذه الأوصاف ، جدير الإصغاء إليه ليحصل المنصت منه هذه النتائج العظيمة ، فقال : (وإذا قرىء/٢٠٤) الآية ، قال الفراء : « الإنصات : السكوت للاستماع ، ونصت وأنصت واحد »[3]. وقال الزجاج : « المراد باستمعوا له وأنصتوا ، اعملوا بما فيه ، ولا تجاوزوه ، نحو « سمع الله لمن حمده » أي أجابه[4].

وقيل : ولما أمرهم بالاستماع لقراءة القرآن ، ارتقى إلى أمر رسوله بذكر ربه ، فقال : (واذكر ربك/٢٠٥) الآية[5]، فذكر نوعَي الذِّكر الفاضِلَين ، إذ خير الذِّكر الخفي ، وأفضل النوعين ذِكر القلب ، الذي لا تسمعه الحفَظَة كما في الحديث[6]، فبدأ به ، وفسّر ذكر القلب بمراقبته تعالى تضرعاً لطلب الثواب ، وخفية من ترك العقاب ، ولما قال في نفسك ودون الجهر ، أغنى عن أن يقول خفية ، ولما لم يذكر في الآية السابقة ما يدل على ذلك قال: (ادعوا ربكم تضرعاً وخُفيةً/٥٥) ، وفي

---

(١) في (أ) : قالـوا .

(٢) التفسير الكبير (١٠٦/١٦) بتصرف .

(٣) البحر (٤٣٨/٤) .

(٤) معاني القرآن (٤٤٠/٢) إلا أنه في بداية النص قال : « ويجوز أن يكون . . . » .

(٥) قاله أبو حيان . البحر (٤٥٢/٤ - ٤٥٣) ، وانظر زاد المسير (٣١٣/٣) .

(٦) روى الإمام أحمد عن سعد بن مالك قال : قال رسول الله -ﷺ- : (خير الذكر الخفي ، وخير الرزق ما يكفي) - المسند (١٧٢/١) .
وفيه محمد بن عبد الرحمن ، وثقه ابن حبان ، وضعفه ابن معين ، وبقية رجاله رجال الصحيح . انظر فيض القدير (٤٧٢/٣) .



(ربك) تشريف وإشعار بالإحسان والتربية ، فاختير على لفظ الله ، ولمطابقته لـ**(تضرعاً وخفيةً)** ، لأنها تصريح بمقام العبودية. **(بالغدو)** قيل : هو جمع غدوة ، فلذا قابله بالجمع . وقرىء **(الإيصال)**[1] مصدر آصلت ، دخلت في وقت الأصيل ، فيكون الغدو مثله . **(ولا تكن من الغافلين)** مناسب للابتداء بالذكر ففيه مبالغة تقدمت مراراً ، ثم النهي له ، والمراد منه تعريضاً . ولما أمر بالذِّكر ، أخبر عن الملائكة أنهم يذكرونه حثاً للمؤمنين على التشبه بهم ، والمناظرة لهم ، فقال : **(إن الذين عند ربك/٢٠٦)** وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر ، ومعنى العندية الزلفى والقرب . **(وله يسجدون/٢٠٦)** قدم المجرور للاختصاص والفاصلة ، والتعريض بالكفار الذين يسجدون لغيره .

---

(١) قرأ بذلك أبو مجلز ، وأبو الدرداء . البحر (٤٥٣/٤) ، وابن خالويه (٤٨) .

سـورة الأنفـال

وضع هذه السورة وبراءة ، هنا ليس بتوقيف من الرسول[١] -ﷺ- للصحابة كما هو المجمع عليه في الآيات ، والمرجَّح في سائر السور ، بل من اجتهاد من عثمان -رضي الله عنه- كما دلّ عليه الحديث الآتي[٢] ، وقد كان يظهر في بادىء الرأي أن المناسب إيلاء الأعراف بيونس وهود ، لاشتراك كلٍّ في اشتمالها على قصص الأنبياء[٣] ، وأنها مكية النزول خصوصاً أن الحديث ورد في فضل[٤] السبع الطوال[٥] ، وعدُّوا السابعة بيونس ، ففي[٦] فصلها من الأعراف بسورتين فصل للنظير من سائر نظائره ، هذا مع قِصَر سورة الأنفال بالنسبة إلى الأعراف وبراءة ، وقد استشكل ذلك قديماً حَبْر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس ، فأخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان[٧] والحاكم عن ابن عباس قال : قلت لعثمان[٨] ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال ، وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي

---

(١) « الرسول » : ليست في (ب) .

(٢) يبدو أن الراجح أن وضع جميع السور - بما فيها الأنفال وبراءة - بتوقيف من الرسول -ﷺ- ، لأن الحديث المذكور هنا ، سترى -بعد قليل- أنه ضعيف . راجع في ذلك مناهل العرفان (١/٣٥٣-٣٥٨) .

(٣) في (أ) : الآيـة .

(٤) « فصل » : ليست في (ب) .

(٥) عن واثلة بن الأسفع أن رسول الله -ﷺ- قال : (أُعطيت مكان التوراة السبع ، وأُعطيت مكان الزبور المئين ، وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفُضِّلت بالمفصل) رواه أحمد والطبراني بنحوه . مجمع الزوائد (٧/١٥٨) باب : فضل القرآن .

(٦) في (أ) : في .

(٧) هو أبو حاتم ، محمد بن حبان التميمي البستي ، نسبة إلى بست - بسجستان - ، وتنقل في الأقطار ، مؤرخ ، علامة ، جغرافي ، محدث ، من كتبه : « المسند الصحيح » في الحديث و « روضة العقلاء » في الأدب ، و « الثقات » ، توفي سنة ٣٥٤هـ .
معجم البلدان (٢/١٧١) ، وشذرات الذهب (٣/١٦) ، واللباب (١/١٢٢) ، وطبقات السبكي (٢/١٤١) ، ومرآة الجنان (٢/٣٥٧) .

(٨) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي ، ذو النورين وثالث الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين ، وهو الذي قام بالجمع الثاني للقرآن بعد الجمع الأول لأبي بكر . توفي مقتولاً سنة ٣٥هـ . حلية الأولياء (١/٥٥) ، وتاريخ الخميس (٢/٢٥٤) ، والمحبر (٣٧٧) .



من المثين ، فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم» ، ووضعتموها في السبع الطوال »؟ .

فقال عثمان : كان رسول الله -ﷺ- تنزل عليه السورة ذات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء ، دعا بعض من كان يكتب فيقول : (ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا) ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله -ﷺ- ، ولم يبيِّن لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما بسطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ووضعتها في السبع الطوال »[1] .

فانظر لابن عباس -رضي الله عنه- كيف استشكل على عثمان أمرين : وضع الأنفال -وهي قصيرة- مع السور الطويلة ، ووضعها هي وبراءة في أثناء السبع الطوال ، مفصولاً بهما بين الست ، والسابعة . وانظر عثمان-رضي الله عنه- كيف أجابه أولاً بأنه لم يكن عنده في ذلك توقيف ، وأنه استند[2] إلى الاجتهاد وأنه قرن بين الأنفال وبراءة لكونها مشبهة لقصتها في اشتمال كلٍّ على الأمر بالقتال ، ونبذ العهود ، وهذا وجه من المناسبة جَلي ، فرضي الله عن الصحابة ، ما أدقّ أفهامهم ، وأجزل آراءهم وأعظم أحلامَهم .

وأقول : يتم بيان مقصد عثمان-رضي الله عنه- في ذلك بأمور :

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/٥٧) ، وأبو داود (١/٤٩٨) كتاب الصلاة - باب (١٢٥) ، والترمذي (٥/٢٧٢) كتاب : التفسير - باب (١٠) وقال : حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي . والمستدرك للحاكم (٢/٢٢١) وصححه ووافقه الذهبي ، وابن حبان (١/١٢٦) ولم أعثر على هذا النص في سنن النسائي ، وإنما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٠٧) .
وقد ضعّف هذا الحديث الشيخ أحمد شاكر ، بل حكم عليه بأنه لا أصل له في تعليقه على المسند (١/٣٢٩) ، وانظر الفتح الرباني (١٨/١٥٥) ، وانظر مناهل العرفان للزرقاني (١/٣٥٤) .
(٢) في (أ) : مسند .



الأول : أنه جعل الأنفال قبل براءة ، [مع قِصَرها ، لكونها مشتملة على البسملة فيقدمها ، لتكون كقطعة منها ، ومفتتحها براءة لخلوِّها منها كتتمتها وبقيتها ، ولهذا قال جماعة من السلف إن الأنفال][1] وبراءة سورة واحدة ، لا سورتان .

الثاني : أنه وضع براءة هنا لمناسبة الطول ، فإنه ليس في القرآن بعد الست السابقة سورة أطول منها ، وذلك كافٍ في المناسبة .

الثالث : أنه خلَّل بالسورتين أثناء السبع الطوال ، المعلوم ترتيبها في العصر الأول ، للإشارة إلى أن ذلك أمر صادر لا عن توقيف ، وإلى أن الرسول -ﷺ- قبض قبل أن يبيِّن محلهما ، فوُضعا هنا كالوضع المستعار ، بخلاف ما لو وُضعا بعد السبع الطوال ، فإنه كان يُوهم أن ذلك محلها بتوقيف ، وترتيب السبع الطوال يرشد إلى دفع هذا الوهم . فانظر إلى هذه الدقيقة التي فتح الله بها ، ولا يغوص عليها إلا غواص .

الرابع : أنه لو أخرّهما[2] ، وقدَّم يونس ، ثم أتى بهود كما في مصحف أُبيّ ، لمراعاة مناسبة السبع الطوال ، وإيلاء بعضها بعضاً[3] ، لفاته مع ما قدَّمناه أمر آخر آكد في المناسبة ، فإن الأَولى بسورة يونس أن تُولَىَ بالسور الأربعة التي بعدها ، لما اشتركت فيه من تناسبها في المقدار ، ومن اشتمال هود على قصص الأنبياء ويونس[5] على قصة نبي ، وكذا إبراهيم ، ومن كون الجميع مكِّيات ، ومفتتحة بالحروف المقطعة ، ومسماة باسم نبي . والرعد اسم ملك ، وهو مناسب لأسماء الأنبياء .

فهذه خمسة أوجه في مناسبة الاتصال بين يونس وما بعدها ، وهي آكد من ذلك

(١) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) .
(٢) في (ب) : أخرها .
(٣) في (أ) : بعضها .
(٤) في (ب) : كذا .
(٥) في (ب) : ويوسف .



الوجه الواحد في تقديم يونس بعد الأعراف ، ولبعض[1] هذه الأمور ، قُدِّمت سورة الحِجر على النحل ، ووضعت بعد سورة إبراهيم ، ولو أُخِّرت براءة عن هذه الخمسة أو الستة ، لبعُدَت المناسبة جداً لطولها بعد عدة سُوَر أقصر منها بخلاف سورة النحل بعد الحجر التي هي أقصر منها ، فإنها ليست كبراءة في الطول ، ويشهد لمراعاة الفواتح في مناسبة الوضع ما ذكرناه من تقديم الحِجر على النحل لمناسبة ذوات[2] الراء قبلها ، وما تقدم من تقديم آل عمران على النساء ، وإن كانت أقصر ، لمناسبة البقرة ، وإيلاء الطواسين والحواميم بعضها بعضاً ، وتوالي العنكبوت والروم ولقمان والسجدة ، لافتتاح كلٍّ بألم[3]، ولهذا قدِّمت على الأحزاب التي هي أطول منها .

هذا ما فتح الله به في هذا المحل، وإن فتح بزيادة ألحقتها.

وأما ابن مسعود فقدم في مصحفه البقرة والنساء وآل عمران والأعراف والأنعام والمائدة ويونس ، فراعى السبع الطوال ، وقدّم الأطول منها ، فالأطول ، ثم ثنَّى بالمئين ، فقدّم براءة على النحل ، ثم هود ، ثم يوسف ، ثم الكهف ، وهكذا الأطول فالأطول ، وذكر الأنفال بعد النور ، ووجه مناسبتها لها ، أن كلًّا مدنية ومشتملة على أحكام ، وأن في النور **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم/٥٥)** الآية ، وفي الأنفال : **(واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض تخافون/٢٦)** الآية ، ولا يخفى ما بين الآيتين من المناسبة ، فإن الأولى مشتملة على الوعد بما تضمنته الثانية ، فتأمل .

(يسألونك عن الأنفال/١) ابن الزملكاني : «هو مطلق قيَّده قوله : **(قل الأنفالُ للّهِ والرسولِ/١)** ، إذ دلّ على أن السؤال كان عن الأنفال لِمن هي ، وليس في

---

(١) في (أ) : ولتقضي ، وفي (ب) : وبعض - ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٢) في (أ) : فوات .
(٣) في (أ) : باكم .



قوله: (قل الأنفال لله/١) بيان العِلة في ذلك كما قال : (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينِكم/١) دلَّ على أن العِلة فيه تنازعهم[١] في الأنفال . والنفل: الغنيمة ، لأنها تفضُّل من الله على هذه الأمة ، إذ لم تحل لأحد قبله . انتهى .

وأقول : قد تظافرت الأحاديث على أن سبب نزول هذه ، وما اتصل بها تنازع الصحابة في غنائم بدر[٢]. ويستنتج من هذه أمور ، منها :

وجه تسمية السورة بالأنفال ، لأنها المقصود الأعظم منها . ومنها أن القصد من السورة بيان قسمة الغنائم ، ولمن هي ، وقد قدمنا غير مرة أن سور[٣] القرآن تُستفتح[٤] بما[٥] يشير إلى المقصود ، ثم يُستطرد منه إلى غيره بأدنى ملاءمة ، ثم يُعاد إلى تقرير المقصود بأوضح مما ذكر في المفتتح ، ثم يُستطرد منه من شيء إلى

---

(١) في (أ) : لهم .

(٢) من الأحاديث الواردة في ذلك : ما رواه الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت قال : « خرجنا مع رسول الله -ﷺ- ، فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس ، فهزم الله تعالى العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله-ﷺ- لا يصيب العدو من غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها ، فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق به منا ، نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله-ﷺ- خفنا أن يصيب العدو منه غرة ، فاشتغلنا به ، فنزلت (يسألونك عن الأنفال. . . .) . الفتح الرباني (١٤٧/١٨) . ذكره الترمذي ورواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . الترمذي (٢٦٨/٤) كتاب : تفسير القرآن - باب (٩) . وابن‌حبان : الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١٧٢/٧) . والمستدرك (١٣١/٢ - ١٣٢) . وانظر جامع البيان (٣٦٨/١٣ - ٣٧٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٨٣/٢ - ٢٨٤) . وروى الطبري ، وأبوداود ، والبيهقي ، والحاكم عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أنه قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله -ﷺ-: من فعل كذا فله كذا وكذا من النفل ، قال : فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوا ، فلما فتح عليهم قالت المشيخة : كنا ردءاً لكم فلو انهزمتم انحزتم إلينا لا تذهبوا بالمغنم دوننا ، فأبى الفتيان وقالوا : جعله رسول الله-ﷺ- لنا ، فأنزل الله (**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول**) قال : فكان ذلك خيراً لهم وكذلك أيضاً أطيعوني فإني أعلم .
جامع البيان (٣٦٨/١٣) ، وأبو داود (١٧٥/٣) كتاب : الجهاد - باب (١٥٦) ، والبيهقي (٢٩١/٦ - ٢٩٢) ، والحاكم (١٣١/٢ - ١٣٢) وقال : صحيح ، وأقره الذهبي .

(٣) في (أ) : السورة . (٤) في (ب) : تفتتح . (٥) في (أ) : بها .



شيء ، ثم يُشار في آخر السورة إلى مثل ما افتتح به ، وهنا قد افتُتحت السورة بحكاية السؤال والجواب إجمالاً ، ثم استطرد منه إلى شرح قصة بدر التي وقع السؤال عن غنائمها ، ثم إلى أشياء ملائمة ، ثم عاد إلى تقرير المقصود بقوله: **(واعلموا أنما غنِمتم من شيءٍ/٤١)** الآية ، ثم استطرد منه إلى عِدة أشياء ، ثم ختم بذكر الغنائم في قوله: **(ما كان لنبيٍ أن يكون له أسرى/٦٧)** الآيات ، فانظر إلى هذه البراعة العظيمة في تخصيص كلٍّ من المواضع الثلاثة بما ذكر فيها ، وتأمل بذوقك ترى العجب العجاب ، فإنه لو ابتدأ بذكر القِسمة[١] أولاً ، لم يؤمن عدم طمأنينة بعض القلوب بذلك ، حيث أخَّر بعض الغنيمة عن الغانمين ، وهم ذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وهو[٢] السهم الذي[٣] جعل لله ، فبُدىء أولاً بالإخبار بأن الغنائم مُلْك لله ورسوله يجعلانها حيث شاءا ، ليستقر ذلك في القلوب ، وتُسَر به النفوس ، وتتوطَّن على إخراجها كلها عنها ، وأنها لا ملك لها فيها ، ولا شبهة ملك ، وقوَّى ذلك بما اتصل به ، بأن الله هو الناصر والوالي والممد إلى غير ذلك ، فلا ريب إذا كانت الأنفال ملكه وملك رسوله ، فلما[٤] توطَّنت على ذلك ، جاء بيان القِسمة المذكورة بإثبات الأخماس الأربعة لهم ، وإخراج الخمس عنهم لمن سمَّاه ، فسَهُل قبول ذلك والإذعان له ، ولو قدّم العتب على أخذ الفداء من الأسرى أول السورة ، لكادت قلوب الخُلَّص تنفر من تناول الغنائم ، ولكن أخّر آخر السورة بعد تقرير قسمة الغنائم ، وإطابتها للنفوس ، فسبحان الحكيم المنزل لهذا الكتاب الباهر على ترتيب الحِكَم الباهرة .

وقرأ سعد بن أبي وقاص وابن مسعود **(يسألونك الأنفال)**[٥] بحذف **(عن)** ، فقيل : هي مقدرة . والصواب أن لكل قراءة معنى . قال العلماء : السؤال إذا كان

---

(١) في (أ) : الغنيمة .

(٢) في (أ) : وهـم .

(٣) في (أ) : الذين .

(٤) في (أ) : فـلا .

(٥) البحر (٤/٤٥٦) ، وابن خالويه (٤١) .

لاقتضـــاء معنى في نفس المسؤول عنـه ، تعـدَّى بعن ، نحـو **(يسـألـونك عن الساعة)**[1] ، **(يسألونك عن الشهر الحرام)**[2] ، ومنه **(يسألونك عن الأنفال/ ١)** ، أي عن حكمها . وقال :

سَلي إن جهلـتِ النـاس عنـا وعنهـم[3] . . . . . .

وتقول : سألت زيداً عن مسألة كذا . وإذا كان لاقتضاء مال أو نحوه ، تعدَّى للمفعول الثاني بنفسه ، نحو : **(وإذا سألتموهن متاعاً)**[4] ، وتقول : سألت زيداً مالاً ، ومنـه : **(يسـألـونك الأنفال/ ١)** أي يطلبونها منك أن تعطيها لهم ، وكلٌّ صحيح ، فإن من الصحـابة من سأل حكمها ، ومنهم من سأل أن يعطيه منها شيئـاً ، منهم سعـد صاحب القراءة فناله منها سيفاً ، فنزلت كما أخرجه أحمد[5] وغيره. وقرىء **(عَلَّنْفَال)**[6] على نقل حركة الهمزة بعد حذفها إلى لام التعريف ، وإدغام النون فيها . **(ذاتَ بينكم/ ١)** ابن الزملكاني : « أي خصومة بينكم» . وقال أبو حيان: « البَيْنُ هنا الفراق والتباعد . (ذات) نعت لمحذوف أي أحوالاً ذات افتراقكم ، لما كانت الأحوال ملابسة للبَيْنْ أُضيفت صفتها إليه ، كما تقول : اسقني ذا إنائك ، أي صاحب إنائك ، أي ما فيه من الماء »[7]. وقيل : البَيْنْ بمعنى

---

(١) الأعـراف (١٨٧) ، والنازعات (٤٢) .

(٢) البقـرة (٢١٧) .

(٣) وعجـزه : . . . . وليس سواء عالم وجهول - وهو للسموأل . ابن عقيل (١/ ٢٠٨) ، والأشموني (١/ ٢٣٢) ، والعيني (٢/ ٧٦) .

(٤) الأحــزاب (٥٣) .

(٥) أخرج الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال : « لما كان يوم بدر ، قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العـاص ، وأخذت سيفه -وكان يسمى ذا الكتيفة- فأتيت به نبي الله-ﷺ- . قال : (اذهب فاطرحه في القبض) ، قال : فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي ، وأخذ سَلَبي ، قال : فما جاوزت إلا يسيراً ، حتى نزلت سورة الأنفال ، فقال لي رسول الله ﷺ : (اذهب فخذ سيفك) . المســند (١/ ١٨٠) . وأخرجه الطبري (١٣/ ٣٧٣) ، وأبو عبيد في الأموال (١٢٧) وهو ضعيف لانقطاعه .

(٦) قرأ بذلك ابن محيصن . البحر (٤/ ٤٥٦) ، ومختصر ابن خالويه (٤٨) .

(٧) البحــر (٤/ ٤٥٦) .



الوصل ، وعليه الزجاج[1] . وقال ابن عطية : « (ذات) هنا يُراد بها نفس الشيء وحقيقته ، والذي يُفهم من (بينكم) ، هو معنى يعم جميع الوُصَل والالتحامات والمودّات ، وذات ذلك هو المأمور بإصلاحها أي نفسه وعينه ، فحضَّ الله على إصلاح تلك الأحوال ، فإذا صلُحت صلُح ما يعمها[2] ، وهو البَيْن الذي لهم ، وقد يُستعمل لفظة الذات على أنها لزيمة[3] ما تُضاف إليه ، وإن لم يكن نفسه وعينه ، وذلك في قوله[4] : (بذات الصدور/٤٣) ، و(ذات الشوكة) ، ويحتمل ذات البَيْن أن يكون هذه »[5][6] ، انتهى .

أبوحيان: «أمرهم أولاً بالتقوى ، لأنها أصل الطاعات ثم بإصلاح ذات البَيْن[7] ، لأن ذلك أهم نتائج التقوى في ذلك الوقت الذي تشاجروا فيه ، ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله فيما أمرهم به من التقوى والإصلاح وغير ذلك ، وعلَّقه بقوله : (إن كنتم مؤمنين/١) على وجه التهييج والإلهاب ، كما يقول الأب لابنه : إن كنتَ ابني ، فأطعني ، أو على معنى : إن كنتم كامِلي الإيمان ، وكذا قال ابن عطية:[8] (إنما المؤمنون/٢) أي الكامِلو[9] الإيمان [(به ، أخبر عنهم بموصول ، وُصِل بثلاث مقامات عظيمة : مقام الخوف ، ومقام زيادة الإيمان)][10] ، ومقام التوكل . ولما كانت هذه جامعة لأفعال القلوب ، عقَّبه بآية مشتملة على أفعال الجوارح والمال ، فذكر إقامة الصلاة والصدقة ، لأنها عمود لأفعال الجوارح والمال ، ثم أكَّد

---

(١) معاني القرآن (٢/٤٤٢) .
(٢) في (أ) : ما يعملها .
(٣) في (ب) : لزهدها .
(٤) في (أ) : بقوله .
(٥) في (أ) : بعده .
(٦) المحرر (٦/٢١٣ - ٢١٤) بتصرف .
(٧) في (أ) : اليمين .
(٨) انظر المحرر الوجيز (٦/٢١٤ - ٢١٥) .
(٩) في (أ) : الكاملون .
(١٠) ما بين القوسين ليس موجوداً في (ب) .

الحصر السابق بقوله: (**أولئك هم المؤمنون/٤**) وأكّد مضمون هذه الجملة بقوله: (**حقاً/٤**) فإنه مصدر مؤكد رافع لتوهّم المجاز في الإسناد الخبري ، ثم ذكر ما ادَّخر لهم عنده ، فذكر ثلاثة أمور : الدرجات وهي في مقابلة الأعمال القلبية ، والمغفرة ، وهي في مقابلة البدنية ، لأن الصلاة تكفِّر السيئات ، والرزق الكريم ، وهو في مقابلة المالية[١] .

قال أبوحيان : « وهذا النوع من المقابلة ، من بديع علم البديع »[٢] . وقيل : إن (**حقاً**) متصل بقوله: (**لهم درجاتٌ/٤**) ، وكذا في آخر السورة . وقرىء (**وجلت**) بفتح الجيم[٣] ، وقرأ ابن مسعود وأُبيّ : (**فزعت**)[٤] . ابن جماعة : « قال هنا : (**إذا ذُكِر الله وَجِلت قلوبهم/٢**) ، وفي الرعد : (**ألا بذكر الله تطمئن القلوب/٢٨**) لأن المراد هنا ذِكر عظمة الله وجلاله ، وشدة انتقامه ممن عصى أمره ، لأن الآية نزلت عند تنازعهم في غنائم بدر ، فناسب ذكر التخويف ، وآية الرعد نزلت فيمن هداه الله[٥] وأناب إليه ، فالمراد بذلك الذِّكر ، ذِكر رأفته ورحمته وعفوه ولطفه بمن أطاعه وأناب إليه ، وجمع بينهما في آية الزمر ، فقال : (**تقشعِر منه جلود الذين يخشون ربهم/٢٣**) أي عند ذكر عظمته وعفوه وكرمه »[٦] . (**كما أخرجك ربك من بيتك بالحق/٥**) قال أبوحيان : « ليس في القرآن أشكل من هذه الجملة ، وقد اضطرب المفسرون فيها على أربعة عشر[٧] قولاً ، أحدها : أن الكاف بمعنى واو القسم ، و« ما » بمعنى الذي[٨] ، واقعة على الله ، وجواب القسم يجادلونك ،

---

(١) البحر (٤/٤٥٧ - ٤٥٨) بتصرف .

(٢) البحر (٤/٤٥٨) .

(٣) عن يحيى وأبي وافد ، ابن خالويه (٤٨) .

(٤) ذكر ابن عطية أن هذه قراءة أبيّ بمفرده ، وأن ابن مسعود إنما قرأ (فرقت) . المحرر (٦/٢١٦) ، وانظر البحر (٤/٤٥٧) .

(٥) لفظ الجلالة ليس موجوداً في (أ) .

(٦) كشف المعاني (١٧٦) .

(٧) بالبحر « خمسة عشر قولاً » . البحر (٤/٤٥٩) .

(٨) في (ب) : من .

أي والله الذي أخرجك من بيتك بالحق يجادلونك ، قاله أبوعبيدة[1] .

الثاني : أن الكاف بمعنى إذ ، وما زائدة ، أي اذكر إذ أخرجك .

الثالث : الكاف بمعنى على ، وما بمعنى الذي ، أي امضِ على الذي أخرجك .

ورُدَّ الثلاثة بعدم[2] ثبوت المعاني المذكورة في لسان العرب ، وخُلُوِّ الموصول على الأخر من عائد .

الرابع : قال عكرمة : « التقدير : وأطيعوا الله ورسوله ، فالطاعة خير لكم كما كان إخراجك خيراً لهم » .

الخامس : قال الكسائي : « المعنى : كما أخرجك على كراهة فريق منهم ، كذلك يجادلونك في قتل كفار مكة ، لكراهتهم ذلك ويودون أن غير ذات الشوكة من بعد ما تبينَّ لهم ، أنك إنما[3] تفعل ما أُمِرْتَ به ، لا ما يريدون ، فالتشبيه واقع في الكراهتين كما حقَّقه ابن عطية[4] .

السادس : قال الفراء : التقدير : امضِ لأمرك في الغنائم ، ونَفِّل من شئت ، وإن كرهوا ، كما أخرجك ربك وهم كارهون[5] .

قال ابن عطية : وتحريره أن يقال : هذه القصة من إخراج الله الأنفال عنهم، وجعلها لله ولرسوله ، كقصة إخراجه من بيته ، فإنهم كرهوها ، وكانت خيراً

---

(١) مجاز القرآن (١/٢٤٠) ، والبحر (٤/٤٥٩) .

(٢) في (أ) : بمنع .

(٣) كلمة « إنما » ليست في (أ) .

(٤) في المحرر الوجيز (٦/٢٢٠) . « والتقدير - على هذا التأويل - يجادلونك في الحق مجادلة ككراهتهم إخراج ربك إياك من بيتك ، فالمجادلة -على هذا التأويل- بمثابة الكراهية ، وكذلك وقع التشبيه في المعنى » .

(٥) معاني القرآن للفراء (١/٤٠٣) .



لهم ، فكذلك هذه خير لهم ، وإن كرهوها فالخِيَرة فيما صنع الله[1] »[2].

وكذا قال الزمخشري : « الكاف خبر مبتدأ محذوف ، أي هذه الحال في كراهتهم لها ، مثل حالهم في كراهة خروجهم للحرب »[3] .

السابع : قال الأخفش : الكاف نعت لـ(حقاً)[4] .

الثامن : أنها في موضع رفع ، أي كما أخرجك ، فاتقوا الله ، كأنه ابتداء وخبر .

التاسع : أنها في موضع نصب ، صفة مصدر ، أي الأنفال ثابتة لله ثباتاً ، كما أخرجك ، أي مثل ثبات إخراج ربك إياك .

العاشر : أنها رفع ، أي هذا وعد حق كما ، والإشارة إلى (لهم درجاتٌ) إلى آخره[5] .

الحادي عشر : أن المعنى : وأصلحوا ذات بينكم خير لكم كما ، فالكاف نعت لخبر ابتداء محذوف .

الثاني عشر[6] : المعنى : قِسمتك الغنائم حق ، كما كان خروجك حقاً .

الثالث عشر : أن التشبيه وقع بين إخراجين ، أي إخراج ربك إياك من بيتك وهو مكة ، وأنت كاره لخروجك ، وكانت عاقبة ذلك الخير والنصر والظفر ، كإخراج ربك إياك من المدينة ، وبعض المؤمنين كاره ، ويكون وراءه الظفر والنصر .

---

(١) في (أ) : ذكر اللّـه .

(٢) المحرر الوجيز (٦/٢١٩) .

(٣) الكشاف (٢/١٤٣) . وهو ما ذهب إليه الزجاج في معاني القرآن (٢/٤٤١ - ٤٤٢) .

(٤) معاني القرآن للأخفش (٢/٣١٨) .

(٥) في البحر (٤/٤٦٢) : أن الكاف في موضع رفع ، والتقدير : لهم درجات عند ربهم ، ومغفرة ورزق كريم هذا وعد حق ، كما أخرجك .

(٦) هذا القول الثالث عشر بالبحر . وأما القول الثاني عشر فهو فيه كالآتي : أنه شبه كراهية أصحاب رسول الله -ﷺ- بخروجه من المدينة حيث تحققوا خروج قريش للدفع عن أبي سفيان وحفظ عيره ، بكراهيتهم نزع الغنائم من أيديهم وجعلها للرسول أو التنفيل منها . البحر (٤/٤٦٢) .



الرابع عشر : الكاف تتعلق بقوله : (**فاضربوا فوق الأعناق/١٢**) وهي للتشبيه مجازاً ، كقول القائل لعبده : كما وجَّهتك إلى أعدائي فاستضعفوك ، وسألت مدداً فأمددتك وقوَّيتك وأزحت عِلَلَك ، فخذهم الآن فعاقِبْهم ، وكما كَسَوتُك وأجريتُ عليك الرزق ، فاعمل كذا ، فالتقدير : كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وغشَّاكم النعاس أَمَنة منه ، يعني إياه ومن معه ، وأنزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، وأنزل عليكم من السماء ملائكة مردفين ، فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان ، كأنه يقول : قد أزحتُ عِلَلَكم ، وأمددتكم بالملائكة ، فاقتلوا الكفار . وكل هذه الأقوال أو غالبها متكلَّف ، وليس فيها شيء يُستحسن كما قال أبوحيان[1] .

قلت : وأنسبها عندي السادس .

ثم قال أبو حيان : « ظهر لي في المنام أنها متعلقة بمحذوف تقديره : نصرك ، وإن الكاف للتعليل ، أو لأجل إن خرجت لإظهار دين الله ، وإعزاز شريعته ، وقد كرهوا خروجك تهيؤاً للقتال ، وخوفاً من الموت ، وجادلوك في الحق بعد وضوحه ، نصرك الله ، وأمدك بملائكته[2] .

وفي أسرار التنزيل لابن الزملكاني : « قيل : كما متصل بـ(**يجادلونك/٦**) غير أن مجادلتهم في الحق مذمومة عنده تعالى ، وفعله سبحانه لا يقع فيه ذم ، فالتشبيه محوَّل عن موضعه ، وكذا لو جُعل متصلاً بـ :كارهون ، لأن الذم[3] واقع على كراهتهم أيضاً ، فالتقدير : كما كانت كراهتهم لإخراج الله إياك بالحق ، يجادلونك

---

(١) انظر البحر (٤/٤٥٩ - ٤٦٣) ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٢/١٧٦) ، والدر المصون (٥/٥٥٩ - ٥٦٣) .

(٢) البحر (٤/٤٦٣) بتصرف .

(٣) « الذم » ليست في (أ) .



في الحق بعدما تبيَّن ، وهو شبيه بقوله : (أفإن مت فهم الخالدون)[1] ، (أفإن مات ، أو قُتِل انقلبتم)[2] ، وقوله :

(كأنما يُساقون إلى الموت/٦) متصل بقوله : (وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون/٥) ، وهذا قد يؤول إلى القول السادس ، وفيه مزيد تدقيق ». وقرىء (بعدما بُيِّن)[3] ، (وهم ينظرون/٦) أي يعلمون أنه واقع بهم ، أو ينظرون أسبابه ، (وإذ يَعِدُكم) هذا مبدأ[4] تِعداد النِّعم على المؤمنين في وقعة بدر ، يذكِّرهم بها ليذعنوا لأمره تعالى في الأنفال ، ولكونها سِيقت للتقدير ، جاءت بغير عاطف .

(إذ تَستغيثون/٩) ، (إذ يغشاكم) ، (إذ يوحي) ، فكلها منصوبة باذكروا مقدراً[5] . وقرىء (يعدكم) بسكون الدال[6] . وقرىء (الله احدى) بإسقاط الهمزة[7] على غير قياس ، وقرىء (أحد) بالتذكير[8] ، لأن تأنيث الطائفة مجاز . وقرىء (بكلمته)[9] على إرادة الجمع ، أو إرادة كلمة تكوين الأشياء ، وهي كُن .

قيل : والمراد بكلماته ما وعد نبيّه بقوله : (يوم نبطش البطشة الكبرى/١٦) الآية في آيات أُخر من هذا النمط . (ليحق الحق/٨) متعلق بمقدر ، أي فعل ذلك . قال أبوحيان : « وتقديره متأخراً أحسن »[10] .

وقال الزمخشري : « يجب أن يقدّر متأخراً حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق

---

(١) الأنبياء (٣٤) .

(٢) آل عمران (١٤٤) .

(٣) بضم الباء ، وهي قراءة عبدالله ، البحر (٤/٤٦٣) ، وابن خالويه (٤٨) .

(٤) في (ب) : مبتدأ .

(٥) في (أ) بعد كلمة « مقدراً » : وقرىء (بعدما بين) .

(٦) قرأها مسلمة بن محارب . البحر (٤/٤٦٤) ، والمحرر (٦/٢٢٥) .

(٧) عن ابن محيصن . المرجعين السابقين ، وابن خالويه (٤٩) .

(٨) رويت أيضاً عن ابن محيصن . البحر (٤/٤٦٤) .

(٩) قرأها مسلم بن محارب . البحر (٤/٤٦٤) ، ابن خالويه (٤٩) .

(١٠) البحر (٤/٤٦٤) .

عليه المعنى »[1] .

وقيل : متعلق بـ يقطع[2] . ابن جماعة : « إن قيل : ليحق الحق ظاهره أنه من تحصيل الحاصل ، فالجواب أن معناه ليقع عند المسلمين الحق عنده »[3] .

ابن الزملكاني : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته أي ينصر دينه ويؤيده ، دل عليه قوله : (ويقطع دابر الكافرين/٧) وقوله : (ليحق الحق/٨) أي يظهر ، وليس الفصلان بمعنى واحد ، إذ يصير على حد : أُريد أن أعطيك لأعطيك . وقوله : (ويُبطِل الباطل/٨) أي يفني الكفر ، بدليل (ولو كَرِه المجرمون/٨) » ، انتهى .

قال أبو حيان : « ولو هنا مثلها في : رُدُّوا السائل ولو بظلف[4] ، أكرم زيداً ولو أساء ، الآتية لاستقصاء ما يظن أنه لا يندرج في عموم ما قبلها ، للمنافاة بينهما . قيل : وهاتان الآيتان متقدمتان في النزول على (كما أخرجك ربك/٥) ، وفي التلاوة بعدها ليقابل الحق بالحق ، والكراهة بالكراهة »[5] . (إذ تستغيثون/٩) قيل : الخطاب للنبي -ﷺ- فقط ، لأنه الذي استغاث يوم بدر كما في حديث الترمذي وغيره[6] ، فهو من خطاب الواحد بخطاب الجمع تعظيماً ، والاستغاثة طلب

---

(١) الكشاف (١٤٥/٢) ، وهو ما صححه السمين في الدر المصون (٥٦٥/٥) ، وراجع البحر (٤٦٤/٤) .

(٢) ذكره أبو حيان . البحر (٤٦٤/٤) .

(٣) في كشف المعاني (١٧٨) : « . . . ليقع الحق عنده من نصر المسلمين وغلبهم ، أو ليحق عندكم الحق عنده من النصر والغنيمة » .

(٤) في (أ) : بظن .

(٥) البحر (٤٦٤/٤) بتصرف .

(٦) روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال : نظر نبي الله (ﷺ) إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله(ﷺ) القبلة ثم مدّ يديه وجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ، فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه من منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، فقال : يا نبي الله ، كفاك مناشدتك ربك إنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألفٍ من الملائكة مردفين) . =



الغوث والنصر ، وقيل : طلب سدّ الخلة عند الحاجة (أني) بالفتح وبالكسر[1] على الحكاية باستجاب ، لأنه في معنى القول ، أو على إضمار القول . (بألفٍ) قرئ بالمد بوزن أفلس على الجمع . وقرئ (بالألف)[2] ، فالإفراد لمن قاتلن أو للرؤوس . (مردفين/٩) بفتح الدال وكسرها[3] ، أي خلف كل مَلَكٍ مَلَكٌ وراءه ، وقرئ بفتح الراء وكسر الدال المشددة[4] ، والأصل مرتدفين ، وقرئ بضم الراء اتباعاً للميم ، وبكسرها اتباعاً للدال[5] . (وما جعله/١٠) أي[6] الإمداد . (إلا بُشْرى/١٠) زاد في آل عمران (لكم/١٢٦) ، لأن القصة فيها مطنبة ، وهنا موجزة ، وقدَّم (به/١٠) هنا ، وأخَّره هناك[7] تفنناً ، وجاء هنا (إن الله عزيزٌ حكيمٌ/١٠) ، لأنه منقطع عما بعده ، وهناك (من عند الله العزيز الحكيم/١٢٦) لتعلق (ليقطع/١٢٧) بعده بما قبله .

ابن الزملكاني : « (ولتطمئن/١٠) معطوف على (بشرى/١٠) لأنه على[8] معنى ليبشركم . وقيل : تقديره : ولتطمئن فَعَل ذلك كقوله: (ولكن الله رمىٰ ، وليبلي)[9] ، (إذ) من لطيف ما قيل فيه أنه متعلق بـ(حكيم/١٠) ، لأن إلقاء[10]

= وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . الترمذي (٥/٢٦٩) كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأنفال ، ورواه أيضاً الإمام أحمد (١/٣٢) .

(١) قراءة الفتح هي قراءة الجمهور ، وقراءة الكسر رواها عيسى بن عمر ، وأحمد عن أبي عمرو . البحر (٤/٤٦٥) ، وابن خالويه (٤٨) .

(٢) قرأها الجحدري والسدي ، والقراءة السابقة عن الجحدري أيضاً . البحر (٤/٤٦٥) ، ابن خالويه (٤٥) .

(٣) قراءة الفتح هي قراءة نافع ، وقراءة الكسر هي قراءة البقية . حجة القراءات (٣٠٧) .

(٤) قرأها بعض المكيين . المحرر (٦/٢٢٨) ، والبحر (٤/٤٦٥) . وذكرها ابن خالويه ولكن دون أن يشكل الراء في (مردفين) وأسندها إلى الخليل عن أهل مكة . ابن خالويه (٤٩) .

(٥) رويت القراءة الأولى عن الخليل ، والقراءة الثانية حكاها ابن عطية دون تعيين من قرأها . المحرر (٦/٢٢٨) ، والبحر (٤/٤٦٥) .

(٦) في (أ) : إلى .

(٧) حيث قال تعالى : (.... ولتطمئن قلوبكم به) آل عمران (١٢٦) .

(٨) في (ب) : في . (٩) الأنفال (١٧) . (١٠) في (أ) : البقاء .



النعاس عليهم أَمَنة ، حِكمة من الله تعالى (يغشاكم النعاس/١١) في قراءة (يُغْشِيكم) من غَشِي ، وأغشىٰ ، ونصب (النعاس)[١] ، والفاعل ضمير الله ، ويناسبه (ويُنزِّل) ، ويناسب الأولى يغشى طائفة منكم ، وفيه استعارة ، جعل ما غلب عليهم من النعاس غشاء لهم . (أَمَنة منه/١١) فيه نوع من الجناس . وقرىء بسكون الميم[٢] ، وهو مفعول له . (ماءً) قرىء بالقصر ، لغة . (ليطهركم/١١) قرىء بسكون الطاء . (ويذهب) قرىء بالجزم[٣] . (رِجزَ الشيطان/١١) قيل : الوسوسة . وقيل : الجنابة الحاصلة عن الاحتلام[٤] . وقرىء بضم الراء . وقرىء (رِجس)[٥] . (وليربط على قلوبكم/١١) أصل الربط : الشد ، وهو حقيقة في الأجسام ، فاستُعير هنا لما حصل في القلب من الشدة والطمأنينة على لقاء العدو بعد الزلزلة . (ويُثبِّت به الأقدام/١١) وهو حقيقة فالضمير للماء ، لأنه لبَّد الرمل الغواص . وقيل : مجاز عن عدم الفرار ، فالضمير لمصدر يربط[٦] . أبوحيان : « ترتيب هذه التعليلات أحسن ترتيب ، فبدأ بالتطهير من الجنابة ، لأنه الآكد ، ثم بلازمه ، وهو التطهير المعنوي ، وهو إذهاب رجس الشيطان ثم بفعل القلب ، ثم بلازمه ، وحيث ذكر التعليل أظهر حزمه ، وحيث ذكر لازمه ، لم يظهره ، ولما كانت هذه الجملة من (وإن يعدكم/٧) إلى هنا لا تناسب منصب الرسالة ، خُوطب

---

(١) هذه قراءة نافع والقراءة السابقة هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو . - البحر (٤/٤٦٧) ، وانظر حجة القراءات (٣٠٨ - ٣٠٩) .

(٢) عن ابن محيصن ، المحرر (٦/٢٣٣) .

(٣) هذه قراءة عيسى بن عمر ، والقراءة السابقة هي قراءة ابن المسيب ، والقراءة التي قبلها هي قراءة الشعبي . البحر (٤/٤٦٨ - ٤٦٩) ، وابن خالويه (٤٩) .

(٤) يبدو لي أن تفسير الرجز هنا بالوسوسة هي الأولى ، لأن التطهير من الجنابة قد حصل في قوله : (ليطهركم به) ، وهو تطهير للظاهر ، وما هنا ، فهو تطهير للباطن . والله أعلم - وهذا توجيه ابن كثير (٢/٢٩٢) . وانظر البحر (٤/٤٦٩) ، والمفردات (١٨٧) مادة : رجز . واللسان (٩٥) مادة : رجس .

(٥) هذه قراءة أبي العالية ، والقراءة السابقة هي قراءة ابن محيصن ، ونسبها ابن خالويه إلى مجاهد . البحر (٤/٤٦٩) ، وابن خالويه (٤٩) .

(٦) انظر البحر (٤/٤٦٩) .



بها المؤمنـون ، ولما كان الوحي إلى الملائكة من المناسب له ، خُوطب به الرسول وحده ، فقال: **(إذ يُوحي ربك/١٢)** ففي ذلك تشريف له »[١] . **(أني معكم/١٢)** قرىء بكسر الهمزة[٢] على إضمار القول ، أو إجراء **(يُوحي)** مجراه[٣] . **(فثَبِّتوا الذين آمنوا/١٢)** قال الزجاج[٤] وابن عطية[٥] وغيرهما : بأشياء يلقونها في قلوبهم فتقوى بها ، ولهـذا طابقه بقوله : **(سأُلقِي في قلوب الذين كفروا الرعب/١٢)** بسكون العين وضمها[٦] . **(فاضربوا/١٢)** من تتمة خطاب الملائكة . وقيل : انتقال إلى خطاب المؤمنين[٧] تسخيناً لهم ، وحضاً على نصرة الدين . وقيل : « لفظه أمر ، والمراد به الخبر عن صورة الحال ، كما تقول إذا وصفتَ حرباً لمن تخاطبه : لقِينا القوم وهزمناهم ، فاضرب بسيفك حيث شئتَ واقتلِ ، وخذ أسيرك ، أي هذه كانت صفة الحال »[٨] .

وقــال الـزمخشري : « يجوز أن يكـون **(فثبِّتـوا/١٢)** تفسـيراً لقـولـه : **(أني معكم/١٢)** ، و**(فاضربوا/١٢)** تفسيراً لقوله: **(سأُلْقِي/١٢)** ، إذ لا معونة أعظم من التثبيت ، ولا رُعْب أعظم من ضرب الأعناق »[٩] . **(فوق/١٢)** قال الأخفش وغيره : إنها زائدة[١٠] . وقيل : بمعنى على ، والمفعول محذوف ، أي فاضربوهم على

---

(١) البحر (٤/٤٦٩ - ٤٧٠) بتصـرف .

(٢) قرأها عيسى بن عمر - كما في البحر (٤/٤٦٩) .

(٣) أي مجرى القول ، لأنه بمعناه ، وهو مذهب الكوفيين ، والقول السابق هو مذهب البصريين . الدر المصون (٥/٥٧٨) .

(٤) معـاني القـرآن (٢/٤٤٧) .

(٥) المحـرر (٦/٢٣٨) .

(٦) قراءة الضم هي قراءة ابن عامر ، والكسائي ، والأعرج . البحر (٤/٤٧٠) .

(٧) وهو ما جوّزه الزمخشري ، وذكر أبو حيان أن القول السابق هو الظاهر . الكشاف (٢/١٤٨) ، والبحر (٤/٤٧٠) ، وانظر زاد المسير (٣/٣٢٩ - ٣٣٠) .

(٨) هذا كلام ابن عطية في المحرر (٦/٢٣٨ - ٢٣٩) .

(٩) الكشـاف (٢/١٤٨) .

(١٠) البحر (٤/٤٧٠) ، ومعاني القرآن للأخفش (٢/٣١٩) .

الأعناق[1] . وقيل : هي[2] بمعنى دون[3] . وقيل : هي على بابها والمضروب الرؤوس[4] ، وقال ابن عطية : « أراد وصف أبلغ ضربات العنق وأحكمها ، وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ، ودون عظمة الرأس من المفصل ، ولهذا قال دريد بن الصمة[5] لابن الدغنة[6] : « خذ سيفي ، وارفع عن العظم ، واخفض عن الدماغ ، فهكذا[7] كنت أضرب أعناق الأبطال »[8]، فكان قوله : (فوق الأعناق/١٢) متمكناً على هذا . (بنانٍ/١٢) اسم جنس جمعي ، واحده بنانة ، وهي الأصابع . وقيل : المفاصل حيث كانت من الأعضاء ، ومن شعر عنترة[9] :

---

(١) وهذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/٢٤٢) .

(٢) في (أ) : هـو .

(٣) قاله ابن قتيبة . غريب القرآن (١٧٧) .

(٤) قاله عكرمة . البحر (٤/٤٧٠) .

(٥) هو دريد بن الصّمّة الجشمي البكري ، من هوازن ، كان شاعراً ، ومن المعمرين في الجاهلية ، وكان شجاعاً ، غزا نحو مائة غزوة ، لم يهزم في واحدة منها ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، قتل يوم حنين ، توفي سنة ٨هـ .
الأغاني (١٠/٣ - ٤) ، وخزانة الأدب (٤/٤٤٦) ، وتهذيب الأسماء واللغات : القسم الأول من الجزء الأول (١٨٥) ، والروض الأنف (٢٨٧) .

(٦) ابن الدغنة ، قيل اسمه الحارث بن يزيد ، وقيل غير ذلك ، والدغنة هي أمه ، وقيل : أم أبيه ، وقيل : دابته ، ومعنى الدغنة : المسترخية ، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر ، وقد كان سيد قبيلة القارة ، وهو الذي أجار أبا بكر -رضي الله عنه- عندما أراد الهجرة إلى الحبشة فمكث في مكة فترة ثم رد جواره عليه .
فتح الباري (٧/٢٣٠) ، وإرشاد الساري (٦/٢١٥) ، والسيرة النبوية لابن هشام (١/٣٧٢) ، وأبوبكر الصديق للطنطاوي (٨٩) .

(٧) في (أ) : هكذا .

(٨) المحرر (٦/٢٣٩ - ٢٤٠) .

(٩) هو عنترة بن شداد العبسي ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الأولى ، أمه حبشية ، سرى إليه السواد منها ، كان مغرماً بابنة عمه « عبلة » ، فقلّ أن تخلو له قصيدة من ذكرها ، وشهد حرب داحس والغبراء ، وعاش طويلاً ، وقتله الأسد الرهيص أو جبّار بن عمرو الطائي . توفي نحو سنة ٢٢ قبل الهجرة .
خزانة الأدب (١/٦٢) ، وآداب اللغة (١/١١٧) ، وجمهرة أشعار العرب (٩٣) ، والشعر والعشراء (٧٥) .



. . . . . ويضرب عند الكرب كل بنــان[1]

(ذلك) خطاب للرسول . (**شاقُّوا الله/١٣**) قيل : التقدير : شاقُّوا أولياء الله ، فالمفاعلة على بابها . وقيل : لا تقدير ، ولأنه تعالى لما شرع شرعاً ، وأمر أوامر ، وكذَّبوا وصدوا ، كان كل شقي في شِقٍّ[2] (**ذلكم فذوقوه/١٤**) خطاب للكفار[3] ، ففيه التفات . ولما ذكر عذاب الدنيا ضم إليه عذاب الآخرة ، فقال : (**وأن للكافرين عذاب النار/١٤**) وفيه أيضاً التفات ، ونكتته التعميم ، ولما كان عذاب الدنيا بالنسبة إلى عذاب الآخرة يسيراً ، سمّى ما أصابه منهم ذوقاً ، لأن الذوق يُعرف به الطعم ، وهو يسير . الزمخشري : « عطف على (ذلكم) ، أو نصب على أن الواو بمعنى مع »[4] . وقرىء (ان) بالكسر[5] استئنافاً . (**يأيها الذين آمنوا/١٥**) الآية ، لما أخبر تعالى أنه سيُلقي الرعب في قلوب الكفار ، وأمر من أمر بضرب أعناقهم وبنانهم ، حرَّض المؤمنين على الصبر عند مكافحة العدو ، ونهاهم عن الانهزام . (**زحفاً/١٥**) حال من المفعول ، وقيل : من الفاعل . وقيل : منهما[6] . قال الليث : « الزحف : الجماعة يمشون إلى عدوهم »[7] . وقال الفراء : « الزحف : الدنو قليلاً قليلاً ، سُمِّي به الجيش العرمرم ، لأنهم لكثرتهم كانوا يزحفون ، أي يدبون دبيباً »[8] . (**فلا تُوَلُّوهم الأدبار/١٥**) عدل إليه عن لفظ الظهور ، تقبيحاً لهذا الفعل ، وتبشيعاً له ، وتخسيساً لمنزلة من تولَّى . (**يومئذٍ/١٦**)

---

(١) وصدره : وكان فتى الهيجاء يحمي ذمارها . ديوانه (٣١٢) ، والجامع للقرطبي (٣٧٩/٧) ، والبحر (٤٧١/٤) .

(٢) هذا قول أبي حيان ، وهو ما جرى عليه ابن كثير ، والقول السابق هو مقتضى كلام ابن الجوزي . زاد المسير (٣٣٠/٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٩٣/٢) ، والبحر (٤٧١/٤) .

(٣) عبارة « خطاب للكفار » : ليست في (أ) .

(٤) الكشاف (١٤٨/٢) .

(٥) قرأ بذلك الحسن ، وزيد بن علي ، وسليمان التميمي . البحر (٤٧٣/٤) .

(٦) انظر البحر (٤٧٤/٤) ، والدر المصون (٥٨٣/٥) ، وانظر إعراب القرآن للنحاس (١٨١/٢) .

(٧) البحر (٤٧٣/٤) .

(٨) البحر (٤٧٣/٤) باختصار .



أي يوم اللقاء . وقيل : يوم بدر[1] . (دُبُرَه/١٦) قرىء بسكون الباء[2] . (إلا/١٦) استثناء من حال محذوف ، أي ومن يُوَلِّهم ملتبساً بأية حال إلا في حال كذا . (باءَ) مناسب لتولِّيه . (فلم تقتلوهم/١٧) قال الزمخشري : « جواب شرط محذوف ، خوطب به الصحابة لما افتخروا بقتلهم ، أي إن افتخرتم بقتلهم ، فأنتم لم تقتلوهم ، وذلك قطع لتنازعهم في الأنفال »[3] (وما رميتَ إذ رميتَ) النفي للخلق ، والإثبات للمكسب ، وصرّح به هنا دون الأول ، فلم يقل فلم تقتلوهم إذ قتلتموهم ، لأن الرمي كان أمراً خارقاً للعادة ، معجزاً آية من آيات الله ، فبُولغ فيه . (وليُبْلِيَ/١٧) متعلق بمقدر كما سبق ، والبلاء هنا للخير والنعمة . (المؤمنين/١٧) فيه التفات . (سميعٌ/١٧) أي لأقوال من افتخر . (عليمٌ/١٧) أي بنيات من قاتل . (ذلكم/١٨) فيه التفات . ابن الزملكاني : « أي الأمر ذلكم ، ونحوه : (ذلك ومن يعظِّم حُرُمات الله)[4] ، (ذلك ومن عاقب)[5] ، وقالوا: كذلك نقيض لا ، لأن لا تنفي ما بعدها ، وكذلك تثبيت له ، ونحو لأكلا » . انتهى .

(مُوهِنُ/١٨) مشدد ومخفف ، من وَهَن ، وأوهَن[6] والوَهَن أبلغ من الضعف . وفي قراءة بإضافته إلى (كيدِ)[7] . (إن تستفتِحوا/١٩) خطاب للكفار كما دلّ عليه

---

(١) قاله الجمهور . المحرر الوجيز (٢٤٦/٦) . وهذا القول بأن الإشارة بقوله: (يومئذ) إلى يوم بدر ، لا يظهر -كما قال أبو حيان- لأن ذلك في سياق الشرط ، وهو مستقبل ، فإن كانت الآية نزلت يوم بدر قبل انقضاء القتال ، فيوم بدر من أفراد لقاء الكفار ، فيندرج فيه ولا يكون خاصاً به ، وإن كانت نزلت بعده ، فلا يدخل يوم بدر فيه بل يكون ذلك استئناف حكم في الاستقبال . البحر (٤٧٥/٤) .

(٢) البحر (٤٧٥/٤) .

(٣) الكشاف (١٤٩/٢) بتصرف .

(٤) الحج (٣٠) .

(٥) الحج (٦٠) .

(٦) القراءة الأولى هي قراءة نافع، وابن كثير ، وأبي عمرو . والقراءة الثانية هي قراءة باقي السبعة ، والحسن ، وأبي رجاء ، والأعمش ، وابن محيصن . البحر (٤٧٨/٤) ، وحجة القراءات (٣٠٩) .

(٧) قرأ بذلك حفص عن عاصم . حجة القراءات (٣١٠)، والمحرر (٢٥٢/٦).



سبب النزول[1] ، ففيه التفات عن قوله (**كيد الكافرين/١٨**) . (**ولن تغني/١٩**) قرىء بالتـذكير[2] للفصل . (**وأن الله/١٩**) بالفتح عطفاً على (**أن الله**) المقدم ، وبـالكسر[3] استئنـاء . وقرأ ابن مسعود (**والله**)[4] . (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله/٢٠**) عود إلى حثهم على الطاعة في أمر الأنفال المفتتح به السورة في قوله : (**وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين/١**) ، مع تضمن معنى العموم فيما وِليه من عدم التولِّي وغيره . (**ولا تَولَّوا عنه/٢٠**) أفرد الضمير إما لتلازم الطاعتين ، كما في (**والله ورسوله أحق أن يرضوه**)[5] ، أو عوداً للرسول خاصة[6] لأن التولِّي حقيقة إنما يصـح عنـه ، أو عوداً للأمـر المفهـوم من أطيعـوا ، أو للطوع المفهـوم منه[7] . الكرماني : « لما لم يُطْلِق لفظ التثنية على الله وحده ، لم يجمع بينه وبين غيره في ضميره ، ولهذا نظائر في القرآن »[8] . انتهى . وهو نفيس جداً .

(**قالوا سمعنا وهم لا يسمعون/٢١**) جاءت المنفية مضارعاً ، لا على نمط المثبتة لأن لفـظ الـمُضِي لا يدل على استمرار الحال وديمومته ، بخلاف المضارع فإنه يدل على ذلك إثباتاً ونفياً . وجاء حرف النفي « لا » ، لأنها أوسع في نفي المضارع من « ما » ، وأدل على انتفاء السماع في المستقبل ، **أي هم ممن لا يقبل أن يسمع** . (**إن شر الدواب/٢٢**) جمع بين هؤلاء وبين غيرهم من الحيوان ، وأتى

---

(١) روى الواحدي عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال : « كان المستفتح أبا جهل ، وأنه قال حين التقى بالقوم : « اللهم أينا كان أقطع للرحم ، وأتانا لما لم نعرف ، فافتح له الغداة » ، وكان ذلك استفتاحه ، فأنزل الله تعالى : (**إن تستفتحوا ، فقد جاءكم الفتح . . .**). أسباب النزول (١٧٤ - ١٧٥) .

(٢) عن يحيى وإبراهيم . مختصر ابن خالويه (٤٩) .

(٣) قراءة الكسر هي قراءة ابن كثير ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وأبي عمرو ، وحمزة ، والكسائي . قراءة الفتح هي قراءة نافع ، وابن عامر ، وعاصم في رواية حفص . المحرر (٦/٢٥٤ - ٢٥٥) .

(٤) المحـرر (٦/٢٥٥) .

(٥) التوبة (٦٢) .

(٦) وهو ما ذهب إليه الزمخشري . الكشاف (٢/١٥٠) .

(٧) انظر الكشاف (٢/١٥٠) ، والبحر (٤/٤٧٩) .

(٨) البحـر (٤/٤٧٩) .



بلفظ الدواب الذي يُطلق عرفاً على البهائم ، لمناسبتهم في عدم السماع والعقل .
(الصُّمُّ البُكْم/٢٢) فيه استعارة على حد **(صمٌ بكمٌ عميٌ)**[١] ، **(ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم/٢٣)** ابن عطية : « أخبر تعالى بأن عدم سمعهم وهداهم ، إنما هو لِما علِمه الله منهم من الشر ، وسبق في قضائه عليهم ، فخرج ذلك في عبارة بليغة »[٢] .

وقال الإمام : « عبرَّ عن عدمه في نفسه بعدم عِلم الله بوجوده ، وتقدير الكلام ، لو حصل فيهم خير لأسمعهم الحجج والمواعظ سماع فَهْم ، ولو أسمعهم إذ علِم أن لا خير فيهم ، لم ينتفعوا » قال : « ومعلومات الله أربعة أقسام : عِلمه بجملة الموجودات ، وعِلمه بجملة المعدومات ، وعِلمه أن كل واحد من الموجودات لو كان معدوماً ، كيف يكون حاله ، وعِلمه أن كل واحد من المعدومات لو كان موجوداً ، كيف يكون حاله ، فالأولان عِلم بالواقع ، والآخران عِلم بالمقدَّر الذي هو غير واقع ، فقوله : **(ولو عِلم الله فيهم خيراً/٢٣)** من الثاني ، وهو العلم بالمقدَّرات ، لا الواقِعات ، ومنه **(ولئن نصروهم ليولُّن الأدبار)**[٣] ، **(ولو رُدُّوا لعادُوا)**[٤] ، أخبر عن المعدوم لو كان موجوداً ، كيف يكون حاله »[٥] . انتهى .
(يأيها الذين آمنوا/٢٤) الآية لما ذم من لا يسمع ، أمر المؤمنين بالاستجابة ، التي هي ثمرة السماع ، والمراد بها الامتثال ، وبالدعاء الحث والتحريض ، وأفرد ضمير دعاكم لما تقدم . والحياة هنا مجاز عن الاتصاف بالعلم والدين ، ونظيره إطلاق الموت على الجهل في قوله :

لا تعجبن الجهول حليته ... فذاك ميت وثوبه كفن[٦]

---

(١) البقرة (١٨) .
(٢) المحرر (٦/٢٥٧) .
(٣) الحشر (١٢) .
(٤) الأنعام (٢٨) .
(٥) التفسير الكبير (١٥/١٤٩ ، ١٥٠) .
(٦) البحر (٤/٤٨١) دون نسبة .

(واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه/٢٤) حضٌّ على المراقبة وتخويف من عدم الاستجابة ، لئلا يكون -والعياذ بالله- سبباً للانقلاب ، ولذا ختم بالحشر ، وهو غالباً يذكر في معرض[١] التخويف والتهديد . والآية فيها تلميح إلى قصة التنازع في الأنفال ، وكذا الآيات التي تليها ، وكذا قال : (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصةً/٢٥) ، لأن التنازع لم يقع من جميع الصحابة ، لأن من المعلوم أن[٢] مثل الصدِّيق[٣] والفاروق ، ومن جرى مجراهما ، لا ينظرون إلى عَرَض الحياة الدنيا ، ولا ينافسون فيه . وأكّد المضارع المنفي بالنون ، وهو قليل في الاستعمال ، ولم يقع منه في القرآن غير هذا الموضع ، لأن القرآن بجمعه كل شيء ، جمع جميع أصناف اللغات والاستعمالات العربية ، مشهورها ونادرها ، وغالبها وشاذها ، بحيث لم يفُتْه من استعمالاتها شيء أصلاً حتى إن النادر والشاذ يأتي منه في القرآن الكلمة والكلمتان إشارة لأصل ذلك الاستعمال ، كما تقدم في قراءة (قتل أولادهم شركائهم)[٤] بجر الشركاء ، ونظيره (استحوذ)[٥] فيما صُحح[٦] من المعتل ، ومن تأمل القرآن ، وجده بحراً لا ساحل له في أنواع العلوم والمعارف والبلاغات[٧] والأساليب .

وقرىء (لتصيبن) بلام القسم[٨] . (واعلموا أن الله شديد العقاب/٢٥) مناسب لعموم إصابة الفتنة الظالم وغيره . (واذكروا/٢٦) ذكَّرهم بالنعمة حثاً لهم على ترك

---

(١) في (أ) : بعـض .

(٢) كلمة « أن » ليست في (أ) .

(٣) في (أ) : أبي بكـر .

(٤) انظر ص (   ) من هذه الرسالة .

(٥) وذلك في قوله تعالى : (استحوذ عليهم الشيطان) المجادلة (١٩) ، فالأصل والقياس : استحاذ كما في قراءة عمر ، وأما (استحوذ) فهو شاذ في القياس ، فصيح فى الاستعمال . ذكر ذلك أبوحيان - البحر (٢٣٨/٨) .

(٦) في (أ) : صححه .

(٧) في (أ) : البلاغة .

(٨) قرأ بذلك الزبير . البحر (٤٨٤/٤) .

التنازع أيضاً . (يأيها الذين آمنوا/٢٧) الآية نزلت في أبي لُبابة[١]، حيث استشارته قريظة ، فنصحهم[٢] ومناسبة ذكرها بعدما تقدم من الأمر بطاعة الرسول والاستجابة له ، وعدم التولي عنه ، والنهي عن التشبه بمن قالوا سمعنا ، وهم لا يسمعون ، واضحة . وقد وقع أيضاً في أواخر السورة ذكر قصة بني قريظة . (وتخونوا/٢٧) يحتمل الجزم والنصب ، والأول أرجح[٣]. وقرىء (أمانتكم/٢٧) بالإفراد[٤]. (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنةً/٢٨) ذكرها ، لأن السبب الحامل لأبي لبابة على النصح لهم ، ما كان له فيهم من المال والولد ، وناسب ذلك قوله قبل: (واتقوا فتنةً/٢٥) ، فكان أحسن تمهيد . (وأن الله عنده أجرٌ عظيمٌ/٢٨) أي فالرغبة فيما عنده لطاعته أولى من الرغبة في المال والولد . (يأيها الذين آمنوا

(١) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري ،قيل: اسمه بشير ، وقيل غير ذلك ، كان نقيباً ، شهد العقبة وبدراً ، توفي في خلافة علي -رضي الله عنهما- ، وقيل غير ذلك . الإصابة (١٦٨/٤) ترجمة (٩٨١) ، والاستيعاب (١٦٨/٤) .

(٢) وقد ذكر ذلك الواحدي في أسباب النزول فقال : « إن رسول الله -ﷺ- حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة ، فسألوا رسول الله -ﷺ- الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا من أرض الشام ، فأبى أن يعطيهم ذلك إلى أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأبوا وقالوا : أرسل إلينا أبا لبابة ، وكان مناصحاً لهم ، لأن عياله وماله وولده كانت عندهم ، فبعثه رسول الله-ﷺ- ، فأتاهم ، فقالوا : يا أبا لبابة ما ترى ، أننزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه ، إنه الذبح فلا تفعلوا . قال أبو لبابة: والله مازالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله ، فنزلت فيه هذه الآية ، فلما نزلت شدّ نفسه على سارية من سواري المسجد ، وقال : والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت ، أو يتوب الله عليّ ، فمكث سبعة أيام ، لا يذوق فيها طعاماً حتى خر مغشياً عليه ، ثم تاب الله عليه ، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك ، فقال: لا والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله-ﷺ- هو الذي يحلني ، فجاءه فحله بيده .... » .
أسباب النزول (١٥٧ - ١٥٨) .

(٣) هذا ما ذهب إليه أبو حيان ، وعلله بقوله : « لأن النصب يقتضي النهي عن الجمع ، والجزم يقتضي النهي عن كل واحد » ، وهو ما مال إليه السمين أيضاً . البحر (٤٨٦/٤) ، والدر المصون (٥٩٤/٥ - ٥٩٥) .

(٤) قرأها مجاهد ، ويحيى ، وعبيد عن أبي عمرو ، وإبراهيم . البحر (٤٨٦/٤) ، وابن خالويه (٤٩) .



إن تتقوا الله/٢٩) الآية هي نازلة في توبته ، فناسب ذكرها بعد قصة خيانته. **(وإذ يمكـر/٣٠)** لما ذكر قوله: **(فآواكم/٢٦)** ، والمراد الإيواء إلى المدينة ، ذكر مبدأ الهجرة ، فإن هذه القصة في المكر ، وهي المشاورة في دار الندوة على الأمور الثلاثة ، وقعت ليلة الهجرة وكانت سبب[١] الأمر بها . وقرىء **(ليثبتوك/ ٣٠)** مشدداً[٢]. **(وإذا تُتْلىٰ/٣١)** الآية ، لما ذكر مكر الكفار بالنبي ، ذكر مكرهم بالقرآن . وفي **(آياتنا/٣١)** التفات . **(قد سمعنا/٣١)** أي ولا نطيع . **(لو نشاء لقلنا مثل هذا/٣١)** ، هذا منهم على سبيل البُهت والمصادمة ، وإلا فقد طُولبوا بسورة مثله ، فعجزوا . **(إن كان هذا/٣٢)** أي القرآن ، أو ما جاء به الرسول من التوحيد وغيره . **(هو الحقَّ/٣٢)** بالنصب ، لأن **(هو)** فصل . وقرىء بالرفع[٣]، وهي لغة تميم ، رفع ما بعد الفصل . **(حجارةً من السماء/٣٢)** الكشاف : « فإن قلتَ : ما فائدة قوله: **(من السماء)** ، والأمطار لا تكون إلا منها ؟

قلت : فإنه أراد أن يقول : فأمطِر علينا السِّجيل ، وهي الحجارة المسوَّمة للعذاب ، فوضع حجارة من السماء موضع السِّجيل كما يقال : صبّ عليه مسرودة من حديد ، أي[٤] درعاً »[٥]. **(وما كان الله/٣٣)** فيه التفات . **(ليعذبهم/٣٣)** قيل : نزلت هذه الجملة بمكة عندما قالوا ، للإخبار بأنهم مستحقو العذاب ، لكنه لا يعذبهم وهو فيهم إكراماً لهم ، وجرياً على عادته تعالى مع مكذبي أنبيائه ، لأنه لا يعذبهم عذاباً يستأصلهم ، ما دام أنبياؤهم يقيمون فيهم[٦]. ولما كان الإمطار للحجارة مندرجاً تحت العذاب ، سلّط النفي على العذاب الذي إمطار الحجارة نوع

---

(١) في (ب) : سببها .

(٢) عن ابن وثاب . الدر المصون (٥/٥٩٦) ، والكشاف (٢/١٥٥) ، وابن خالويه (٤٩) .

(٣) قراءة الرفع هي قراءة الأعمش ، وزيد بن علي . وقراءة النصب هي قراءة الجمهور. البحر (٤/٤٨٨) .

(٤) كلمة « أي » ليست في (ب) .

(٥) الكشاف (٢/١٥٥) .

(٦) قاله ابن أبزي . البحر (٤/٤٨٩) .



منه . وقرىء بضم اللام[1] لغة .

أبو حيان : « أكد نفي العذاب في حال كونه فيهم باللام التي هي للتوكيد عند الكوفيين ، وعلى تقدير الإرادة عند البصريين ، فدلّ على انتفاء إرادة العذاب ، وهو أبلغ من انتفاء العذاب ، ولم يؤكده في جملة استغفارهم ، - وهو قولهم : غفرانك ، للإشارة إلى أن كينونته فيهم أنفع لهم من الاستغفار ، فشتان ما بينهما . وقيل : ضمير (وهم يستغفرون/٣٣) للمؤمنين الباقين بين أظهرهم »[2] . وقيل : الجملة حال أُريد بها نفي استغفارهم[3] ، أي لو كانوا ممن يؤمن[4] [ويستغفر لما عذَّبهم ، كقوله: (وما كان ربك ليهلك القرى بظلمٍ ، وأهلها مصلحون)[5] أي لو كانوا ممن يصلح][6] (ومالَهم/٣٤) أي لا مانع من تعذيبهم . (وما كان صلاتُهم/٣٥) لما نفى عنهم أن يكونوا وُلاة البيت ، ذكر من فِعلهم الخبيث القبيح ما يؤكد ذلك ، وأن من كانت صلاته ما ذكر ، فغير أهل لأن يكون ولِياً له ، والمعنى : وضعوا مكان الصلاة التي تلِيق بوُلاة[7] البيت التصفير والتصفيق أي أقاموهما مقامها على وجه قول الشاعر :

وما كنت أخشى أن يكوّن عطاؤه ... أداهِم سوداً أو مدحرجة سُمرا[8]

أقام مقام العطاء القيود والسياط ، ومنه :

---

(١) لعل الصواب أن يقال بفتح اللام - كما في ابن خالويه (٤٩) وهي قراءة أبي السمال ، ومثله ما روى عبد الوارث عن أبي عمرو . وانظر البحر (٤/٤٨٩) ، والدر المصون (٥/٥٩٧) بتصرف .

(٢) البحر (٤/٤٩٠) بتصرف .

(٣) وقد ذهب إلى ذلك صاحب الكشاف (٢/١٥٦) .

(٤) في (أ) : يؤمنوا ويصلحوا .

(٥) هود (١١٧) .

(٦) ما بين القوسين ليس في (أ) .

(٧) في (ب) : بولاية .

(٨) البحر (٤/٤٩١) دون نسبة .



قلت اطبخوا لي جُبَّـةً وقميصـاً[1]

والمُكاء : فُعال : لأنه باب مصادر الأصوات ، كالصُراخ والحُوار .

قال ابن عطية : « وكانت العرب تفعل ذلك على جهة التقرُّب والتشرُّع »[2] . وقـرىء بنصب (صـلاتهم/٣٥) ، ورفـع (مكـاءً وتصديةً/٣٥) . وقرىء (مكاً) بالقصر منوناً[3] . (فذوقوا/٣٥) فيه التفات . (بما كنتم تكفرون) ، وفي الأعراف (يكسبـون/٩٦) ، لأنها فيمن ضلَّ وأضـلَّ . وفي الإضـلال زيادة كسب على الضلال . (إن الذين كفروا/٣٦) فيه التفات . أبوحيان: « مناسبتها لما قبلها ، أنه لما شرح حالهم في الطاعات البدنية وهي صلاتهم بالمكاء والتصدية ، شرح حالهم في الطاعات المالية وهي إنفاقهم في الصدِّ عن سبيل الله على خلاف المشروع »[4] .

قلت : كان ذلـك في مقابلة قوله في أول السورة في وصف المؤمنين: (الذين يقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون/٣) .

فانـظر إلى هذا الارتبـاط العجيب الأنيق بين آيات القـرآن ، ومبادىء السور [ومخالصها ومقاطعها. (والذين كفروا/٣٦) أعادهم بلفظ الظاهر ، لأن المراد من مات على الكفر][5] . والمنافقون أسلم منهم جماعة . (الخبيث من الطيِّب/٣٧) وصفان يصلحان للآدميين وللمال ، وقد تقدما في الآية ، فقيل : بالعود إلى الأول ، فـ(ليميز) متعلق بـ(يحشرون/٣٦)[6] . وقال ابن العربي[7] : « المعنى : أخَّر عذاب

---

(١) سبق في ص (   ) من هذه الرسالة .

(٢) المحـرر (٦/٢٩٣) .

(٣) هذه قراءة أبي عمرو ، والقراءة السابقة هي قراءة إبان بن تغلب ، وعاصم ، والأعمش بخلاف عنهما. البحر (٤/٤٩٢) .

(٤) البحـر (٤/٤٩٣) بتصرف .

(٥) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) .

(٦) وهو ما ذهب إليه أبو حيان في البحر (٤/٤٩٣) ، والسمين في الدر المصون (٥/٦٠٢) .

(٧) في البحر (٤/٤٩٣) : ابن القشيري . والنص المذكور هنا ليس موجوداً في « أحكام القرآن » لابن العربي .



الكفار إلى يوم القيامة ، ليستخرج المؤمنين من أصلابهم » .

وقيل : العَود إلى الثاني ، فـ(ليميز/٣٧) متعلق بـ(يُغْلَبون)[١] ، أو بـ(تكون)[٢] .

ولما كان تقلُّب الإنسان في ماله بوجوه التصرف لرجاء حصول الربح ، أخبر بأن هؤلاء على الضد من ذلك بقوله : (**أولئك هم الخاسرون/٣٧**) ولما أخبر بحشر الكفار إلى جهنم ، دعا المتعنتين إلى الإسلام ، وتلطَّف بهم ، فقال : (**قل للذين كفروا/٣٨**) الآية ، وقرأ ابن مسعود : (**إن تنتهوا نغفر لكم**)[٣] . وقرىء (**يغفر**) بالبناء للفاعل[٤] . (**وإن يعودوا**) الجواب محذوف ، دل عليه تمام الآية ، أي ينتقم منهم ، ويهلكهم . (**وقاتِلوهم/٣٩**) أمر للمؤمنين . (**ويكونَ/٣٩**) قرىء بالرفع[٥] . (**بما يعملون/٣٩**) بالياء والتاء[٦] . (**واعلموا أنما غنمتم/٤١**) عَود إلى ما سيقت السورة له من قسمة الأنفال ، ووقع هنا أعظم موقع ، عقب (**وقاتِلوهم حتى لا تكون فتنةٌ/٣٩**) ، فإن القتال يستلزم الغنيمة ، مع ما يتضمنه من تبشير المؤمنين بغلبة الكفار ، وغنم أموالهم . (**فأن لله خُمُسَهُ/٤١**) استفتاح كلام ، أُريد به التبرُّك ، وتفخيم الأمر ، والتحذير من التهاون في عدم صرفه لأربابه ، وكأن من قصَّر في ذلك ، فقد قصَّر فيما هو لله ، ومن استبدَّ بشيء منه ، فقد غصب الله ماله ، فأشبه الكفار ، ولذلك قال : (**إن كنتم آمنتم بالله ، وما أنزلنا على عبدنا/٤١**) وفي ذلك تنكيل عظيم لولاة السوء الذين استأثروا بالخمس ، وصرفوه في ملاذهم وملاذ من أحبوا وحبسوا الفاضل ، وتركوا من ملَّكه الله ذلك من فوق سبع سمواته ، لا يصل منه إلى نقير ، ولا قطمير ، فقراء محاويج عالة يتكففون

---

(١) وهو قول ابن عطية ، المحرر الوجيز (٢٩٨/٦) .

(٢) ذكر ذلك الزمخشري . الكشاف (١٥٧/٢) .

(٣) انظر البحر (٤٩٤/٤) .

(٤) البحر (٤٩٤/٤) دون نسبة .

(٥) قرأ بذلك الأعمش . البحر (٤٩٥/٤) .

(٦) قراءة التاء ، هي قراءة الحسن ، ويعقوب ، وسلام بن سليمان . البحر (٤٩٥/٤) .



الناس ، فترى من أقارب رسول الله -ﷺ- وأولاده الشرفاء الحنفاء من لا يجد ما يكفيه ، فضلاً عن أن يغنيه ، وقد قال جدهم المصطفى : « إن لكم في خمس الخمس ما يكفيكم ، أو يغنيكم »[1]. ولو رأيتهم وهم يسألون على الأبواب ، ويبيت أحدهم طاوياً ، أو عارياً ، لبكيت من رؤية ذلك دماً ، ولقد[2] رؤي منهم من هو في أغلال الحديد إربه في الأسواق يسأل ، ثم يُعاد ليلاً إلى السجن بدعوى بعض أقاربهم المتغلبين أنه فلاحه يطالبه بالخراج ، فإنا لله ، وإنا إليه راجعون ، وقد آن أن يُتلى عليهم قوله -ﷺ- : « رُبَّ متخوِّض في مال الله ، له النار يوم القيامة »[3]. قرىء (خمس) بسكون الميم . وقرىء بكسر الخاء[4] اتباعاً لحركة الهاء. **(إن كنتم آمنتم/٤١)** جوابه محذوف لدلالة ما قبله ، أي فاصرفوا الخمس لأربابه . **(وما أنزلنا/٤١)** فيه التفات ، عطف على **(بالله/٤١)**. **(على عبدنا/٤٦)** صيغة تشريف . وقرىء بضمتين[5] ، جمع عبد ، أُريد الرسول ، ومن معه من المؤمنين .

(يوم الفرقان/٤١) يوم بدر ظرف لـ**(أنزلنا/٤١)**. وقيل: لـ**(غنمتم/٤١)** قاله الزجاج[6] ، واستحسنه ابن عطية[7] ، وفيه[8] ما قدمته من أن هذه الآية لقسمة الأنفال المتنازع فيها . **(والله/٤١)** فيه التفات. **(بالعدوة/٤٢)** بضم العين ،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله -ﷺ- : (رغبت لكم عن غسالة الأيدي ، لأن لكم في خمس الخمس ما يغنيكم أو يكفيكم) . الدر المنثور (١٨٦/٣) .

(٢) في (أ) : وقد .

(٣) رواه الإمام أحمد ، ولفظه عنده هو : (إن الدنيا خضرة حلوة ، فمن أخذها بحقها بورك له فيها ، ورب متخوّض في مال الله ومال رسوله له النار يوم يلقى الله) . المسند (٤١٠/٦) . ورواه البخاري بنحوه ، صحيح البخاري (٤٩/٤) كتاب فرض الخمس - باب (٧) .

(٤) هذه قراءة النخعي ، والقراءة السابقة هي قراءة الحسن ، وعبد الوارث عن أبي عمرو . البحر (٤٩٩/٤) .

(٥) قرأ بذلك زيد بن علي . البحر (٤٩٩/٤) .

(٦) البحر (٤٩٩/٤) .

(٧) المحرر الوجيز (٣١٥/٦) .

(٨) في (أ) : وقيل .



وكسرها[1] شط الوادي . وقرىء بفتح العين[2] لغة ثالثة. **(القصوى/٤٢)** بالتصحيح لغة الحجاز . وقرىء **(القصيا)**[3] بالإعلال لغة تميم ، وهي القياس . وقرأ ابن مسعود **(بالعدوة العليا ، وهم بالعدوة السفلى)**[4] . **(والركب/٤٢)** أي عِير أبي‌سفيان. **(أسفل/٤٢)** قرىء بالرفع[5] اتساعاً على الظرف .

الزمخشري : « فإن قلت : ما فائدة هذا التوقيت ، وذكر مراكز الفريقين وأن العِير كانت أسفل منهم ؟

قلت : الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته ، وتكامل عدته ، وضعف شأن المسلمين ، وأن غلبتهم في مثل هذا الحال ليست إلا صنعاً من الله بحوله وقوته ، وباهِر قدرته ، وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء ، والدنيا لا ماء بها ، وهي رمل تسوخ[6] بها الأرجل ولا تمشي إلا بمشقة وتعب ، والعِير وراء[7] ظهور العدو ، مع كثرة عددهم ، فيها الحماية[8] التامة لهم ، وتقوية قلوبهم »[9] . **(ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد/٤٢)** ، ولم يتفق لكم التلاقي لتثبيط بعضكم[10] بعضاً لكثرتهم وقلتكم[11] . **(ولكن/٤٢)** تلاقيتم على غير ميعاد . **(ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ليهلك/٤٢)** بدل ، أو عطف بيان[12] **(ليقضي/٤٤)**. والهلاك قيل : من قتل الكفار ، والحياة

---

(١) قراءة الكسر لابن كثير ، وأبي عمرو ، وقراءة الضم لباقي السبعة . الكشاف (٤٩١/١) .
(٢) قرأها الحسن ، وقتادة ، وزيد بن علي ، وعمرو بن عبيد . البحر (٤٩٩/٤) ، ابن خالويه (٥٠) .
(٣) قرأها زيد بن علي . البحر (٥٠٠/٤) .
(٤) البحر (٥٠٠/٤) .
(٥) قرأ بذلك زيد بن علي . البحر (٥٠٠/٤) .
(٦) في (ب) : تسفع .
(٧) في (أ) : ولا .
(٨) في (أ) : لحابه .
(٩) الكشاف (١٦٠/٢) بتصرف .
(١٠) في (ب) : بعضهم .
(١١) في (ب) : وقلتهم .
(١٢) انظر البحر (٥٠١/٤) .

حياة من عاش منهم[1] . وقيل : المراد الكفر والإيمان ، أي أنه جعل قصة[2] بدر آية ، ليؤمن من يؤمن ويكفر من يكفر عن وضوح وبيان[3] ، فهو متعلق على هذا لـ(مفعولاً) . وقيل : الأصل : وليهلك فحذف العاطف[4] . وفي قراءة بفتح اللام[5] ، لغة . (لسميعٌ عليمٌ/٤٢) مناسب للإيمان والكفر ، لاشتمالهما على نطق اللسان واعتقاد القلب . (ولو أراكهم كثيراً لفشلتم/٤٣) أسند الإرادة إلى الرسول ، وأسند[6] الفشل إلى الأمة تنزيهاً[7] لمنصبه الشريف أن يُسند إليه الفشل الذي ليس من خلقه ، وهذا من محاسن تنويع[8] الخطاب . (إنه عليمٌ بذات الصدور/٤٣) مناسب للفشل لأنه والجبن والجزع والجرأة والصبر من صفات القلوب . (وإذ يريكموهم/٤٤) هذه إرادة يقظة بخلاف الأولى ، وهي خاصة بالأمة ، ولما ذكر الفشل ، ناسبه التعقيب بالأمر بالثبات ، فقال : (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً/٤٥) أي كافرة ، واللقاء اسم للقتال غالباً . ولما كان اللقاء حالة تُذْهِل عن كل شيء ، أُمروا بالذِّكر خوف الغفلة عنه ، اهتماماً به ، فقال : (واذكروا الله كثيراً/٤٥) فهو من هذه الجهة نظير (حافظوا على الصلوات)[9] أثناء قصة الأزواج والمطلقات . ومن جهة أخرى نظير الأمر بالذكر أثناء قصة الحج : (فإذا قضيتم مناسككم ، فاذكروا الله كذكركم آباءكم)[10] ، فإنهم كانوا في الحج يقفون فيذكرون مآثر آبائهم ومفاخرهم ، وكانوا في الحروب يذكرون محبوباتهم ،

---

(١) ذكر أبو حيان أن هذا هو الظاهر . البحر (٥٠١/٤) .

(٢) في (أ) : بـدر قصـة .

(٣) قاله ابن اسحاق وغيره . المحرر (٣٢١/٦) ، والبحر (٥٠١/٤) .

(٤) انظر البحر (٥٠١/٤) ، والدر المصون (٦١٣/٥) .

(٥) قرأها الأعمش ، وعصمة عن أبي بكر عن عاصم . البحر (٥٠١/٤) .

(٦) في النسختين : وحر له في - ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٧) في (أ) : بنونها .

(٨) في (أ) : الخطاب تنويع .

(٩) البقرة (٢٣٨) .

(١٠) البقرة (٢٠٠) .

ووقع ذلك في أشعارهم كثيراً ، قال بعضهم :

ذكرت سليمى وحرُّ الوغى ... كقلبي ساعة فارقتُها
وأبصرت بين القنا قدَّها ... وقد مال نحوي فعانقتُها[1]

فكأنه قال : واذكروا الله كذكركم محبوباتكم ، ولم يصرّح به كقوله : (كذكركم آباءكم/٢٠) تنزهاً عن ذكر النساء ، ولأنها صفة سفَهَ ، بخلاف ذِكر الآباء [في الجملة ، فأشار إلى ذلك بقوله : (كثيراً/٤٥) ، ولا شك أن حالة الحرب لا يُذكر فيها الآباء][2] ، ويذكر المحبوبات لشدة[3] الشغف بهن ، فكان طلب ذكر الله في حالة الحرب أهم من طلبه في حالة الحج ، فلذلك قال (كثيراً) . (لعلكم تفلحون/٤٥) أي تفوزون ، والفلاح كلمة جامعة للخير ، فتعم الظفر والنصر في الدنيا ، والثواب في الآخرة ، ثم أمرهم بطاعته وطاعة رسوله وترك التنازع ، ونبههم على أنه سبب الفشل وعدم النصر وذهاب القوة لتجاذب الآراء ، فقال : (وأطيعوا/٤٦) الآية . (فتفشلوا/٤٦) قرىء بكسر الشين[4]، لغة . (وتذهبَ ريحكم/٤٦) عطف على جواب النهي . وقرىء بالجزم ، والياء[5] . والريح استعارة للقوة والنصر[6] . وقيل : للدولة[7] شُبِّهت لنفوذ أمرها بالريح وهبوبها ، يقال : هبَّت رياح فلان ، إذا دالت له ، ونفذ أمره ، قال الشاعر :

---

(١) البحر (٥٠٣/٤) دون نسبة .
(٢) ما بين القوسين ليس في (أ) .
(٣) ليست في (أ) .
(٤) قرأها الحسن وإبراهيم . البحر (٥٠٣/٤) ، وابن خالويه (٥٠) .
(٥) وهي قراءة عيسى بن عمر ، وأسندها ابن خالويه إلى قتادة، وإبان عن عاصم . البحر (٥٠٣/٤) ، وابن خالويه (٤٩) .
(٦) قاله مجاهد وقتادة . زاد المسير (٣٦٥/٣) .
(٧) هذا قول أبي عبيدة ، وابن قتيبة ، وبه قال الزمخشري . مجاز القرآن (٢٤٧/١) ، وغريب القرآن ( ) ، والكشاف (١٦٢/٢) .

إذا هبَّت رِياحــك فاغتـنـمهــا فإن لكـــل عاصفــة سكــونــا[1]

وقيل المراد ريح الصبا ، التي كانت تبعث لنصرتهم[2] .

قلت : والأولى أن يكون استعارة مكنية للنصر ، وذكر الريح التي هي الصبا -وهي من لوازم نصرهم- تخييل ، وذلـك جمع بين القـولـين . **(بَطَراً/٤٧)** قال الهـروي : « وهـو الطغيان عند النعمة »[3]. وقال ابن الأعرابي : « سوء احتمال الغنى »[4]. وقـال الأصمعي : « الحـيرة عنـد الحق ، فلا يراه حقـاً »[5]. وقال الزجاج : « التكبر على الحق ، فلا يقبله »[6] . **(ويصدون/٤٧)** ابن الزملكاني : « وجه رده إلى النظم ، أن يُجعل في تقدير المصدر ، أو يُجعل **(بطراً/٤٧)** حالاً ، أي يبطرون » . **(نَكَص/٤٨)** رجع القهقرى هارباً . **(إني أخاف الله/٤٨)** قيل : معذرة كاذبة .

وقيل : خاف أن يكـون حضر الـوقت الـذي أُنـظر إليه[7]. **(والله شديـد العقاب/٤٨)** يحتمل أن يكون من تتمة كلام الشيطان ، وأن يكون من كلامه تعالى استئنـافاً على سبيل التهديد للشيطان[8] ومن تابعه[9]. **(إذ يقول المنافقون/٤٩)** كلها تِعداد نِعم من قوله: **(وإذ يَعِدُكم الله/٧)** إلى هنا ، وتخلَّلها استطرادات كعادة

---

(١) لم أعثر على قائله ، وهو في البحر (٥٠٣/٤) ، والقرطبي (٢٤/٨) ، والدر المصون (٦١٧) .

(٢) وهو قول ابن زيد ومقاتل - كما في زاد المسير (٣٦٥/٣) . ومؤيد ذلك قوله -ﷺ-: (نُصرتُ بالصَّبا ، وأُهلكتْ عاد بالـدبـور) . رواه البخـاري (٢٢/٢) . كتـاب : الاستسقـاء . باب (٢٥) ، ومسلم (٦١٧/١) كتاب : صلاة الاستسقاء باب : (٤) . كلهم من رواية ابن عباس -رضـي الله عنهما- . ويبدو لي أن القول في العموم في الريح هنا هو الأولى ، لمراعاة ظاهر اللفظ .

(٣+٤+٥+٦) البحر (٤٩٦/٤) ، ولم أعثر على قول الزجاج في معانيه ، وفي الحقيقة إن الأقوال المذكورة هنا ، هي بمثابة تفسير نوعي لكلمة « البطر » ، فكلها تندرج تحت هذا اللفظ. . والله أعلم .

(٧) القول الأول هو قول قتادة وابن الكلبي ، والقول الثاني هو قول الزجاج وابن الأنباري وغيرهما . معاني القـرآن للزجـاج (٤٢١/٢) ، زاد المسير (٣٦٧/٣) ، والبحر (٥٠٥/٤) . ولعل القول الثاني هو الأقوى ، لأنه رأى خرق العادة ، ونزول الملائكة للحرب .

(٨) كلمة « للشيطان » ليست في (أ) .

(٩) انظر زاد المسير (٣٦٧/٣) ، والبحر (٥٠٥/٤) .

القرآن ، ولذلك ترك العاطف في الجميع ، إلا ما لم يكن مراداً بها تعديد نِعَمه ، كقوله : ﴿وإذ قالوا اللهم/٣٢﴾ الآية ، وكذا ﴿وإذ يمكر/٣٠﴾ الآية ، لأنها خاصة به-ﷺ- ، فلم تندرج فيما سِيق لِتعداد النِّعم على المؤمنين المتنازعين في الأنفال .

﴿والـذين في قلوبهم مرضٌ/٤٩﴾ من عطف الصفات ، وهي لموصوف واحد[١] ، وُصِفُوا بالنفاق وبالمرض . وقيل : المراد بهم قوم أسلموا بمكة ومُنِعوا من الهجرة ، وأُخرجوا كَرهاً ، فلما نظروا إلى قِلة المسلمين[٢] ، ارتابوا ، وقالوا ذلك[٣] ، والإشارة بهؤلاء للتحقير ، فقال تعالى رداً عليهم : ﴿ومن يتوكل على الله/٤٩﴾ جواب الشرط محذوف ، يدل عليه تمام الآية ، أي يعزّه وينصره . ﴿ولو ترى/٥٠﴾ الآية نزلت فيمن قتـل ببـدر من الكفـار[٤] ، فمنـاسبتها لما قبلها واضحة والأدبار كناية عن الأستاه ، وجواب « لو » محذوف ، أي لرأيت أمراً فظيعاً . ﴿وذوقوا/٥٠﴾ على إضمار القـول من الملائكة ، أي ويقولون ذوقوا. ﴿ذلك/٥١﴾ من تتمة كلام الملائكة . وقيل : مستأنف من كلام الله تعالى[٥][٦] ، ففي ﴿قدَّمت أيديكم/٥١﴾ التفات . ﴿كـدأب آل فرعون/٥٢﴾ ذُكِر مرتين ، فكل تشبيه للصنع الذي يليه . قال ابن عطية : الأول دأب في أن أُهلِكُوا لما كفروا ، والثاني دأب في أن لم يغيّر نعمتهم ، حتى غيرّوا ما بأنفسهم »[٧] .

---

(١) وهو ما ذهب إليه القرطبي . الجامع (٨/٢٧) ، وانظر البحر (٤/٥٠٥) .

(٢) في (أ) : المشـركين .

(٣) رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وإليه ذهب الشعبي في آخرين . كما في زاد المسير (٣/٣٦٧ - ٣٦٨) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (٢/٣١٨) .

(٤) حكـاه القرطـبي (٨/٢٨) .
والراجح هنا أن السياق وإن كان سببه وقعة بدر ، ولكنه عام في حق كل كافر وهو ما يفيده ظاهر الآية ، إذ لا تخصيص فيها ، وهي مثل قوله تعالى : ﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ سورة محمد-ﷺ- (٢٧) .
وهذا توجيه ابن كثير (٢/٣١٩) .

(٥) كلمة « تعالى » ليسـت في (أ) .

(٦) قال ابن عطية باحتمال القولين . المحرر (٦/٣٤١) .

(٧) المحـرر (٦/٣٤٤) .



وقال غيره : « كُرِّر لوجوه منها : أن الثاني جرى مجرى التفصيل للأول ، لأن في الأول ذكر إحراقهم ، وفي الثاني ذكر إغراقهم ، أو أُريد بالأول ما نزل بهم من العقوبة حال الموت ، وبالثاني ما نزل بهم من العذاب في الآخرة ، وفي الأول بآيات الله إشارة إلى إنكار دلائل إلٰهيته ، وفي الثاني بآيات ربهم إشارة إلى إنكار نِعم[1] من ربَّاهم ، ودلائل تربيته وإحسانه على كثرتها وتواليها ، ففي الأول اللازم منه الأخذ ، وفي الثاني اللازم منه الهلاك والإغراق »[2] .

الزمخشري : « وفي قوله : (**بآيات ربهم/٥٤**) زيادة دلالة على كفران النِّعم ، وجحود الحق ، وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب »[3] . (**فأهلكناهم/٥٤**) فيه التفات ، وضميره راجع إلى الذين من قبلهم . (**وأغرقنا آل فرعون/ ٥٤**) خصهم بالذكر لعتوِّهم بادعاء الربوبية ، ففيه لف ونشر غير مرتب . (**كانوا ظالمين/٥٤**) فيه مراعاة[4] معنى (**كل**) للفاصلة . (**إن شر الدواب/٥٥**) نزلت في بني قريظة[5] ، قيل : شرُّ الناس الكفار ، وشرهم المُصِرُّون ، وهو معنى (**فهم لا يؤمنون/٥٥**) أي لا يقع منهم إيمان . وشرُّ المُصِرِّين الناكثون للعهد ، فأخبر تعالى أنهم جامعون لأنواع الشر . (**عند الله/٥٥**) فيه التفات . (**الذين/٥٦**) بدل من (**الذين/٥٥**) قبله . (**ينقضون/٥٦**) عبر بالمضارع ، لإفادة الاستمرار . (**فشرِّدْ بهم من خَلْفَهُم/٥٧**) أبوحيان: « كنَّى به عن قتل من ظُفِر به وتنكيله ، وكأن المعنى : فإن[6] تظفر بهم فاقتلهم قتلاً ذريعاً حتى يفرّ عنك من خلفهم ويتفرق .

ولما كان التشريد -وهو التطريد والإبعاد- ناشئاً عن قتل من ظفر به في الحرب من المعاهدين الناقضين ، جُعل جواباً للشرط ، إذ هو متسبِّب عن الجواب »[7] .

---

(١) في (أ) : نعم الله .

(٢) البحر (٤/٥٠٧ - ٥٠٨) .

(٣) الكشاف (٢/١٦٤) .

(٤) في (أ) : ومراعاة .

(٥) انظر الجامع للقرطبي (٨/٣٠) ، زاد المسير (٣/٣٧١) .

(٦) في (أ) : من .

(٧) البحر (٤/٥٠٩) بتصرف .

الكرماني : « التشريد : التخويف الذي لا يبقى معه قرار »[1]. وقرىء بذال معجمة[2] ، فقيل : هي بدل من المهملة[3] . وقيل : بمعنى فَرِّق.
قال الزمخشري : « كأنه مقلوب من شَذَر ، ومن قولهم : ذهبوا شَذَرَ مَذَرَ »[4].

وقال قطرب : « هو بالمهملة التفريق ، وبالمعجمة التنكيل »[5]. وقرىء (مِن خلفِهم) جار ومجرور[6] ، فالمفعول محذوف ، أي ناساً[7]. (لعلهم) ضميره لمن ، لا لما عادت عليه الضمائر السابقة . (وإما تخافن من قوم) عدل عن الضمير للفصل بضمير غيرهم في (لعلهم) مع رعاية العموم . (فانبذ إليهم) أي عهدهم . (على سواءٍ) أي على طريق[8] مستو ، أي[9] قَصْد ، كنايةً عن إظهاره وتبيينه . وهذه الآية أشد شيء اعتلاقاً بقوله: (براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين)[10]، وكأنها القصة الحاملة لعثمان -رضي الله عنه- على وضع براءة عقبها ، وهذا يحقق ما قلته لك أن السورة تكون شارحة لقصة أُجملت في سورة قبلها ، فإن صدر براءة كله تفصيل لهذه الآية . (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا/٥٩) الآية نزلت فيمن أفلَت من الكفار يوم بدر ، فهو عود إلى ما كان فيه بعد الاستطراد . والقراءة بالخطاب للرسول ، أو لكل سامع ، وبالغيبة[11]

---

(١) البحر (٤/٥٠٩) .
(٢) قرأ بذلك الأعمش بخلاف عنه . البحر (٤/٥٠٩) ، وابن خالويه (٥٠) . وذكرها الزمخشري عن ابن مسعود . الكشاف (٢/١٦٥) .
(٣) ذكره أبو حيان . البحر (٤/٥٠٩) .
(٤) الكشاف (٢/١٦٥) .
(٥) البحر (٤/٥٠٩) ، والدر المصون (٥/٦٢١) .
(٦) قرأها أبو حيان ، والأعمش بخلاف عنه . البحر (٤/٥٠٩) .
(٧) في (أ) : ثانياً .
(٨) في (أ) : ميستو .
(٩) « أي » : ليست في (ب) .
(١٠) التوبة (١) .
(١١) هذه قراءة ابن عامر ، وحمزة ، وحفص ، والقراءة السابقة هي قراءة الباقين . السبعة (٣٠٧) ، وحجة القراءات (٣١٢) ، والبحر (٤/٥١٠) .



فالفاعل[1] الرسول التفاتاً ، أو ضمير حاسب الذي دل عليه الفعل على حد : « ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »[2] ، أو الذين والمفعول الأول محذوف ، أي أنفسهم ، أو على تقدير « أن » قبل (سبقوا) ، ويؤيده قراءة ابن مسعود (أنهم سبقوا)[3] . وقرىء (ولا يحسب الذين) بالتحتية ، وفتح آخره على حذف النون الخفيفة بملاقاة الساكن[4] ، كقوله :

لا تهين الفقير .... البيت[5]

(إنهم/٥٩) بالكسر استئنافاً ، والفتح تعليلاً[6] . (لا يُعجِزون) قرىء (يعجزون) بتخفيف النون وتشديدها[7] . وبتشديد الجيم[8] من عجزّه ، نسبه إلى العجز . (وأعِدُّوا/٦٠) انتقال من خطاب الرسول إلى خطاب الأمة . (رِباط) مصدر ، أو جمع ربط ، أو ربيط[9] . وقرىء (رُبُط) بضمتين ، وبضم وسكون[10] ، فهو جمع . قال أبوحيان : « قال[11] أبو زيد[12] : « الرباط من الخيل : الخمس فما فوقها »[13] .

(١) في (أ) : فاعــل .
(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن) . البخاري (١٣/٨) ، كتاب الحدود . باب : لا يشرب الخمر .
(٣) راجع البيان لابن الأنباري (١/٣٩٠ - ٣٩١) ، والإملاء (٩/٢) ، والبحر (٥١٠/٤) ، والدر المصون (٦٢٣/٥) .
(٤) عن الأعمش - كما في البحر (٥١٠/٤) .
(٥) سبق تخريجه في ص (   ) .
(٦) قراءة الفتح هي قراءة ابن عامر ، وقراءة الكسر هي قراءة البقية . حجة القراءات (٣١٢) .
(٧) قراءة التشديد هي قراءة ابن محيصن ، وقراءة التخفيف هي قراءة طلحة . البحر (٥١١/٤) .
(٨) هي قراءة ابن محيصن أيضاً . البحر (٥١١/٤) .
(٩) وهو ما جوّزه الزمخشري في الكشاف (١٦٥/٢) ، والقول السابق هو ما جوّزه السمين في الدر المصون (٦٢٩/٥) .
(١٠) القراءة بضمتين هي قراءة الحسن ، وأبي حيوة ، وعمرو بن دينار . والقراءة بضم وسكون هي قراءة أبي حيوة ، والحسن أيضاً . البحر (٥١١/٤) ، وابن خالويه (٥٠) .
(١١) كلمة « قال » ليست بالنسختين ، وإنما هي من البحر .
(١٢) لعل المقصود هنا ، هو أبو زيد ، سعيد بن أوس ثابت الأنصاري ، صاحب النحو واللغة ، له كتاب « النوادر » ، « معاني القرآن » توفي سنة ٢١٥هـ إنباه الرواة (٣٠/٢) وشذرات الذهب (٣٤/٢-٣٥) .
(١٣) البحــر (٥١١/٤) .



(تُرْهِبُون) مخفف ومشدد . وقرىء بدله (تخزون)[1] . (عدو الله) قرىء بالتنوين ، ولام الجر[2] ، وفي ذِكره تعظيم ما هم عليه من الكفر وتقوية لذمهم ، (وعدوكم) في ذكره تحريض على قتالهم ، إذ في الطبع أن يعادي الإنسان من عاداه ، ويبغي له الغوائل . ولما حضَّ على إعداد القوة ، ورباط الخيل ، حضَّ على النفقة في سبيل الله بقوله : (وما تنفقوا) الآية ، وأخرجه مخرج العموم الشامل لما تقدم في الجهاد وغيره . (جَنَحُوا) مالُوا ، تعدّى بإلى واللام ، وضميره قيل : لبني قريظة الذين نبذ إليهم العهد . وقيل : للمشركين في (ولا يحسبن الذين كفروا)[3] . (للسّلم) بالكسر والفتح[4] ، يُذَّكر ويؤنث ، حملاً على معنى المسالمة .

وقيل : على نقيضه ، وهو الحرب . (فاجنح) قرىء بضم النون[5] ، لغة قيس . ولما كان جنوحهم مشتملاً على عهد قولي[6] ، وإضمار غدر[7] ، أو وفاء ، وقبول الرسول له مشتملاً على قبول لفظي[8] ، وإضمار توكُّل ، ناسب الختم بالسميع العليم . (يأيها النبي حسبُك اللّهُ ، ومَن اتبعكَ مِن المؤمنين/٦٤) هذه الآية مكية سابقة على نزول ما قبلها ، بل وعلى سائر السورة ، لأنها نزلت لما أسلم عمر ، كما صحَّت به الأحاديث[9] ، ولما كانت شديدة المناسبة لقوله : (فإن حسبَك

---

(١) قراءة التشديد في (ترهبون) هي قراءة الحسن ، ويعقوب ، وابن عقيل ، لأبي عمرو ، والقراءة بـ(تخزون) هي قراءة ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد . البحر (٥١٢/٤) .

(٢) قرأها السلمي . البحر (٥١٢/٤) . (٣) انظر البحر (٥١٣/٤) ، وزاد المسير (٣٧٦/٣) .

(٤) قراءة الكسر هي قراءة أبي بكر عن عاصم ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . السبعة (٣٠٨) ، وحجة القراءات (٣١٢) .

(٥) قرأها الأشهب العقيلي . البحر (٥١٤/٤) ، وابن خالويه (٥٠) .

(٦) في (أ) : يولي .

(٧) في (أ) : عذار .

(٨) في (أ) : لفي .

(٩) أخرج البزار عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : « لما أسلم عمر -رضي الله عنه- قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم ، وأنزل الله : (يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) . وأخرج الطبراني ، وأبوالشيخ ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : « لما أسلم مع النبي -ﷺ- تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة ، ثم إن عمر أسلم ، فصاروا أربعين ، فنزل : (يأيها النبي حسبك الله ، ومن اتبعك من المؤمنين) . الدر المنثور (٢٠٠/٣) .



اللَّهُ) إلى آخـر الآية ، وُضِعت عقبهـا ، و(من) عطف على الله ، أو الكـاف قولان[1] . وقرىء (أَتْبَعَكَ) بوزن أَكْرمك[2] . (حرِّض) قرىء بالصاد المهملة[3] . (إن يكُن) إلى آخره ، كلٌّ شرطية[4] في معنى الأمر . أبوحيان : « قُيِّدت الجملة الأولى بقوله : (صابرة) ، وحذف من الثانية اكتفاء به ، وقُيِّدت الثانية بقوله : (من الذين كفروا) ، وحذف من الأولى ، فانظر إلى فصاحة هذا الكلام ، حيث حذف من كل جملة ، ما أثبت نظيره في الأخرى ، ولما كان الصبر شديد المطلوبية ، أُعيد في أولى[5] جملتي التخفيف دون قيد الكفر ، اكتفاء بما تقدم »[6] . وقرأ أبو عمرو (يكن منكم مائةٌ) الأولى بالتـذكـير لاحظ (يغلبـوا) ، والثـانية بالتأنيث [لاحظ (صـابـرة). وفي قراءة بالتـذكـير فيهـا ، وأخـرى بالتـأنيث فيهـا . وقرأ الأعرج بالتـأنيث][7] فيما عدا الأخيرة[8] . وقرىء (وعلم) بالبناء للمفعول[9] . و(ضعفاً)

---

(١) على القول الأول ، يكون المعنى : يكفيك الله ، ويكفيك من اتبعك من المؤمنين ، وبهذا فسر الحسن البصري وجماعة ، وذكر أبوحيان والسمين أن هذا القول ، هو الظاهر .
وعلى القول الثاني ، يكون المعنى : حسبك الله ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ، والظاهر أن هذا القول الأخير هو الراجح ، ولهذا قال تعالى -بعد ذلك- : **(يأيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال . . .)** .
انظر معاني القرآن للفراء (٤١٧/١) ، وزاد المسير (٣٧٧/٣) ، والبحر (٥١٥/٤) ، والدر المصون (٦٣١/٥ - ٦٣٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٢٤/٢) .

(٢) قرأ بذلك الشعبي - كما في البحر (٥١٦/٤) .

(٣) هذه قراءة الأعمش - على ما في البحر (٥١٧/٤) .

(٤) أي كل من الجملتين المذكورتين هنا شرطية ، وهاتان الجملتان **(إن يكن منكم عشرون صابرون. . .)** ، **(وإن يكن منكم مائةٌ. . .)** .

(٥) في (أ) : الأولى .

(٦) في البحـر (٥١٦/٤) : « ولما كان الصبر شديد المطلوبية ، أثبت في أولى جملتي التخفيف وحذف من الثانية ، لدلالة السابقة عليه ، ثم ختمت الآية بقوله: **(والله مع الصابرين)** مبالغة في شدة المطلوبية ، ولم يأتِ في جملتي التخفيف قيد الكفر اكتفاء بما قبل ذلك » .

(٧) ما بين القوسين ليس في (ب) .

(٨) انظر البحـر (٥١٧/٤) . وقراءة التذكير فيهما ، وهي قراءة الكوفيين ، ورواها خارجة عن نافع . وأما قراءة التأنيث فيهما ، فهي قراءة الحرميين وابن عامر . السبعة (٣٠٨) ، وحجة القراءات (٣١٣) ، والبحر (٥١٧/٤) .

(٩) قرأ بذلك المفصل عن عاصم . البحر (٥١٧/٤) .



بالضم لغة الحجاز ، وبالفتح لغة تميم[1] . وقرىء بضمتين . وقرىء بالمد[2] جمع ضعيف ، كظرفاء ، وظريف . **(والله مع الصابرين/٦٦)** ترغيب في الثبات للقاء العدو . **(ما كان لنبيٍ/٦٧)** الآيات ، نزلت في أسرى بدر[3] ، فهو عود بعد الاستطراد . وقرىء **(للنبي)** معرّفاً[4] . قال أبوحيان : « وقراءة التنكير أولى ، لأنه لم يتوجه فيها العتب عليه معيناً . ولما كان معصوماً ، حوّل الخطاب عنه إلى أمته ، في قوله : **(تريدون/٦٧)** وما بعده ، لأنه -ﷺ- لم يُرد ذلك وإنما هم الذين أرادوه وأشاروا به ، فوافقهم »[5] . و**(يكون)** بالتاء والياء[6] ، و**(أسرى/٦٧)** و**(أسارى)**

---

(١) القراءة بالفتح هي قراءة عاصم، وحمزة ، والقراءة بالضم هي قراءة البقية . حجة القراءات (٣١٣) .

(٢) قرأ بذلك القعقاع . والقراءة السابقة هي قراءة عيسى بن عمر . البحر (٥١٨/٤) ، وابن خالويه (٥٠) .

(٣) روى مسلم عن ابن عباس قال : فلما أسروا الأسارى قال رسول الله -ﷺ- لأبي بكر وعمر : « ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ » فقال أبوبكر : يا نبي الله ! هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار . فعسى الله أن يهديهم للإسلام . فقال رسول الله-ﷺ- « ما ترى ؟ يا ابن الخطاب » قلت : لا . والله ! يا رسول الله ! ما أرى الذي رأى أبوبكر . ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم . فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه . وتمكني من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه . فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوى رسول الله-ﷺ- ما قال أبوبكر ولم يهو ما قلت . فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله-ﷺ- وأبوبكر قاعدين يبكيان قلت : يارسول الله ! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله-ﷺ-: « أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة » (شجرة قريبة من نبي الله-ﷺ-) وأنزل الله عز وجل : **(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)**. إلى قوله : **(فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً)** ، فأحل الله الغنيمة لهم . رواه مسلم (١٣٨٣/٢ - ١٣٨٥) كتاب : الجهاد والسير . باب : (١٨) . وروى بعضه أبو داود في سننه - رقم (٢٦٩٠) كتاب : الجهاد باب : ١٣١ . ورواه الواحدي في أسباب النزول (١٦٠) .

(٤) قرأ بذلك أبوالدرداء، وأبو حيوة - على ما في البحر (٥١٨/٤) .

(٥) البحر (٥١٨/٤) بتصرف .

(٦) قراءة التاء ، هي قراءة أبي عمر ، وقراءة الياء هي قراءة الباقين . حجة القراءات (١٣)، والبحر (٥١٨/٤) .



قراءتان[1] ، فقيل : هما جمع أسير وقيل : أسارى جمع أسرى[2] . وقيل : الأسرى غير الموثقين عندما يؤخذون ، والأسارى الموثقون ربطا . قاله أبوعمرو بن العلاء ، وأبو حاتم[3] ، وأنكره الأخفش[4] . (يُثخن/٦٧) مخفف ومشدد[5] . والإثخان : المبالغة في القتل والجراحات ، وأثخنه الجرح : أثبته حتى تثقل عليه الحركة ، وأثخنه المرض ، أثقله من الثخانة ، وهي الغِلَظ والكثافة . وقرىء (يريدون/٦٧) بالتحتية[6] ، ففيه التفات ، ثم في (لَمَسَّكم/٦٨) التفات عنه . (عَرَضَ الدنيا/٦٧) سُمِّي عرضاً ، لأنه حدث قليل اللُّبث . (والله يريد الآخرة/٦٧) قرىء بالجر[7] ، على تقدير : عرض الآخرة[8] ، فحذف المضاف وأبقى المضاف إليه بحاله ، وسمى ثواب الآخرة عَرَضاً من باب المشاكلة . وقيل : يقدِّر عمل الآخرة[9] . (لولا كتابٌ من الله سَبَقَ/٦٨) قيل : المراد ما كتبه في اللوح المحفوظ من إباحة الغنائم لهم . وقيل : عفوه عن هذا الذنب المُمَيَّز[10] منهم . وقيل : عفوه عن أهل بدر ، وألا يعذبهم بشيء أصلاً . وقيل : المراد ما ذكر في القرآن من أنه لا يعذبهم ، والرسول فيهم ، أو أن الصغائر تُغفر لمن اجتنب الكبائر ، وعليه

---

(١) القراءة بالألف هي قراءة أبي عمرو ، والقراءة بغير ألف هي قراءة البقية . حجة القراءات (٣١٤) .

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن له (٢/٤٢٥) .

(٣) البحر (٤/٥١٨) .

(٤) لم أجد ذلك في كتابه « معاني القرآن » ، وإنما أشار إلى ذلك صاحب البحر (٤/٥١٨) .

(٥) قراءة التشديد قرأ بها أبو جعفر ، ويحيى بن يعمر ، ويحيى بن وثاب ، وقراءة التخفيف هي قراءة الجمهور . البحر (٤/٥١٨) ، وابن خالويه (٥٠) .

(٦) البحر (٤/٥١٨) ، والكشاف (٢/١٦٨) ، وابن خالويه (٥١) دون نسبة .

(٧) قرأ بذلك سليمان بن جماز المدني . البحر (٤/٥١٨) .

(٨) هذا قول أبي البقاء ، وهو ما ذهب إليه الزمخشري . الإملاء (٢/١٠) ، والكشاف (٢٠/١٦٨) ، وراجع البحر (٤/٥١٩) ، والدر المصون (٥/٦٣٨) .

(٩) حكاه أبو حيان ، والسمين ، وهو تقدير ابن عطية . البحر (٤/٥١٩) ، والدر المصون (٥/٦٣٨) ، والمحرر (٦/٣٧٩) ، وانظر زاد المسير (٣/٣٨١) .

(١٠) في (أ) : المصر ، وفي (ب) : المعيرّ ، ولعل الصواب ما أثبتناه فهو يناسب ما في البحر (٤/٥١٩) ، والمحرر (٦/٣٨٢) .



النحاس[1][2] والماوردي[3][4]. (**فكلوا/٦٩**) قال الزمخشري: «متسبب عن جملة مقدرة، أي قد أبحت لكم الغنائم»[5]، أو قد أحللت لكم الفداء». (**واتقوا الله/٦٩**) قال ابن عطية: «هو اعتراض، لأن قوله: (**إن الله غفورٌ رحيمٌ/٦٩**) متصل بقوله: (**فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً/٦٩**)[6]. (**يأيها النبي قل لمن في أيديكم/٧٠**) شبه بقوله: (**يأيها النبي إذا طلَّقتم/١**) من ابتدائه بخطاب النبي، ثم خطاب الأمة، أو هو المخاطب وحده بصيغة الجمع تعظيماً. (**من الأسارى/٧٠**) في قراءة (**الأسرى**)[7].

وقرىء (**من أسرى**)[8] منكراً. (**يُؤْتِكم/٧٠**) قرىء (**يُثِبْكم**)[9] من الثواب. (**أُخِذ**) قرىء بالبناء للفاعل[10]. (**وإن يريدوا/٧١**) جواب الشرط محذوف، دل عليه المذكور، أي فليتوقعوا مثل ذلك. (**إن الذين آمنوا/٧٢**) الآيات، هذه غاية

---

(١) إعراب القرآن له (١٩٧/٢).

(٢) هو أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، مفسر وأديب، فأخذ النحو عن الزجاج وغيره، من مصنفاته: «تفسير القرآن»، و«إعراب القرآن»، و«معاني القرآن». توفي سنة ٣٣٨هـ. ابن خلكان (٢٩/١)، وروضات الجنات (٦٠)، وطبقات الزبيدي (١٤٩ - ١٥٠)، والفلاكة والمفلوكين (٨٠)، وإنباه الرواة (١٠١/١).

(٣) النكت والعيون.

(٤) انظر في الأقوال السابقة زاد المسير (٣٨٢/٣)، والبحر (٥١٩/٤)، والقول الأول هو اختيار الطبري (٧٠/١٤)، ويستشهد لهذا القول بما في الصحيحين عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ-: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي-ﷺ- يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة). اللؤلؤ والمرجان (١٠٤) كتاب: المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) الموجود في الكشاف (١٦٩/٢) إلى هنا فقط.

(٦) المحرر (٣٨٤/٦) مع اختصار قليل.

(٧) هذه قراءة الجمهور، والقراءة السابقة هي قراءة قتادة، وأبي جعفر، وابن أبي إسحاق، ونصر بن عاصم، وأبي عمرو. البحر (٤٢١/٤).

(٨) قرأها ابن محيصن. البحر (٥٢١/٤).

(٩) عن الأعمش. البحر (٥٢١/٤)، وابن خالويه (٥٠).

(١٠) عن الحسن، وأبي حيوة، وشيبة، وحميد. البحر (٥٢١/٤).



البراعة في ختام هذه السورة ، وظهر لي في وجه الختم بها ما لم أقف عليه لأحد ، وذلك أن السورة لما نزلت في تنازعهم في الأنفال وحثهم على إصلاح ذات البَيْن ، وذكَّرهم بنعمه ، وحذَّرهم من التنازع غاية التحذير إلى آخر ما تقدم ، ختمها بذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض ، فلا ينبغي تنازعهم ، بل اللائق بهم التواد والتحاب والتواصي والتوافق ، وألا يكون عرض الدنيا الفاني الزائل قاطعاً بينهم ، ولذا ورد فيما تقدم ذم من يريد عرض الدنيا ، وقلَّل الدنيا وحقَّرها ، فسمَّاها عرضاً ، وأورد هذه الآيات هنا مشتملة على غاية البلاغة واستيفاء الأقسام ، فذكر أن المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض ، ووقف ولاية من آمن ولم يهاجر على الهجرة ، وبيَّن أن هذه الولاية الموقوفة ، هي ولاية الخصوص ، وأما ولاية العموم ، وهي النصرة في الدين فثابتة ، ثم بيَّن أن الكفار بعضهم أولياء بعض ، وهو تحذير من موالاة أحد منهم بقرينة ما عقبه من التهديد ، لقوله : **(إلا تفعلوه/٧٣)** إلى آخره ، ثم استطرد إلى ذِكر ولاية أخرى أخصّ مما تقدم ، وهي وِلاية التوارث ، فذكر أنها خاصة بذوي الأرحام ، بخلاف غير القرابة ، وإن كان[1] لهم مطلق الولاية في التناصر والتواد ، فانظر إلى عِظم وقع هذه الجملة هنا ، ولم تكن لتقع موقعاً أحسن من هذا الموقع ، وخلَّل أثناء هذه الولايات بالثناء على أصناف المؤمنين ، والوعد الحسن لهم . أبوحيان : « بدأ بالمهاجرين لشرفهم ، ولأنهم أول من استجاب لله ، ثم بالأنصار ، ثم بمن آمن ولم يهاجر ، ولم ينصر لتأخرّهم عن هاتين الفضيلتين »[2] .

الكرماني : « قدم هنا **(بأموالهم وأنفسهم/٧٢)** على **(في سبيل الله/٧٢)** وأخَّره في سورة براءة[3] ، لمناسبة تقدم ذكر الأموال هنا في الفداء وعرض الدنيا والغنيمة ، وفي براءة تقدم ذكر الجهاد في **(ولما يعلم الله الذين جاهدوا/١٦)** ، و**(كمن آمن**

---

(١) كلمة « كان » ليست في (ب) .

(٢) البحر (٥٢١/٤) باختصار .

(٣) وهو قوله تعالى : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم درجةً عند الله ، وأولئك هم الفائزون) التوبة (٢٠) .



بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله/ ١٩) ، فناسب كلًّا ما ورد فيه ، ولما كرّره في الآية الثانية[١] ، حذف (بأموالهم وأنفسهم) اكتفاء بذكره في الأولى ، وزاد في الثالثة[٢] حذف (في سبيل الله) اكتفاء بما في الآيتين »[٣] .

وقال صاحب المناجاة : « لما كان في الصحابة الغني والفقير ، أراد الله الثناء على الطائفتين » .

(وَلايتهم) بالفتح ، بمعنى النصر ، والكسر[٤] بمعنى الإمارة ، وتولّي الميراث . (تعملون) قرىء بالياء[٥] . (أولياءُ بعضٍ) قرىء (أولى ببعض)[٦] . قال ابن عطية : « وهذا يجمع الموارثة والمعاونة والنصرة »[٧] . (إلا تفعلوه) أي ما ذكرت لكم من موالاة المسلمين ، وقطع الكفار قاله الزمخشري[٨] . (تكن فتنةٌ) إلى آخره ، هو نظير قوله: (ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم)[٩] . وقرىء (كثير) بالمثلثة[١٠] . (والذين آمنوا) الآيات . قال أبوحيان : « ليست تكراراً ، لأن تلك مسوقة لولاية بعضهم بعضاً ، وهذه للثناء والتشريف والوعد الحسن »[١١] . (أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ) أقول لهذه مناسبة آخرة السورة لأولها ، وخاتمتها لفاتحتها ، لتقدم نظير ذلك أول السورة . ولما تقدم هناك وصفهم[١٢] بأعمال القلوب

---

(١) الآية (٧٤) من الأنفال ، وهي : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله. . . .) الآية .

(٢) وذلك في قوله تعالى : (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم ، فأولئك منكم) الأنفال (٧٥) .

(٣) أسرار التكرار (٩٥) بتصرف .

(٤) قراءة الكسر هي قراءة حمزة ، وقراءة الفتح هي قراءة البقية . حجة القراءات (٣١٤) .

(٥) عن السلمي والأعرج . البحر (٤/ ٥٢٢) .

(٦) البحر (٤/ ٥٢٢) .

(٧) المحرر (٦/ ٣٩١) .

(٨) انظر الكشاف (٢/ ١٧٠) .

(٩) الأنفال (٤٦) .

(١٠) قرأ بذلك أبو موسى الحجازي عن الكسائي ، البحر (٤/ ٥٢٣) .

(١١) البحر (٤/ ٥٢٣) باختصار .

(١٢) في (ب) : وضحهم .



من الخوف والزيادة[1] في الإيمان والتوكل . زاد في الوعد[2] **(درجاتٌ/٤)** ، ولما لم يكن هنا سوى الأفعال البدنية والمالية ، اقتصر على المغفرة والرزق الكريم المذكور من أول السورة في مقابلتها ، ثم ذكر من تأخر إيمانه وتأخرت هجرته ، وهم[3] أهل الهجرة الثانية ، فقال : **(والذين آمنوا من بعد/٧٥)** الآية ، فألحقهم بهم[4] بصيغة « من » التبعيضية ، على حد : « ابن أخت القوم منهم ، **(ومولى القوم منهم)** »[5][6]، وشتان ما بين المرتبتين[7].

قال ابن جرير : « كأن الحاجز بين الهجرتين[8] نزول الآية[9]. **(إن الله بكل شيءٍ عليمٌ/٧٥)** قال أبوحيان: « الختم به في غاية البراعة ، إذ قد تضمنت أحكاماً كثيرة في مهمات الدين وقوامه وتفصيل الأحوال فصفة العلم تجمع ذلك كله ، وتحيط بمبادئه وغاياته »[10].

---

(١) في (ب) : وزيادة .

(٢) في (أ) : الرعـد .

(٣) في (أ) : وعلـم .

(٤) في (أ) : بـه .

(٥) ما بين القوسين ليس مثبتاً في (ب) .

(٦) رواه البخاري عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال : (ابن أخت القوم منهم ، أو من أنفسهم) . وفي رواية : (مولى القوم من أنفسهم) أو كما قال . البخاري (١١/٨) باب : مولى القوم من أنفسهم وابن الأخت منهم .

(٧) في (ب) : الرتبتيـن .

(٨) في (ب) : لابحـرين .

(٩) في جامع البيان (٨٩/١٤) : « يقول تعالى ذكره : (والذين آمنوا) بالله ورسوله ، بعد تبياني ما بينت من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضاً ، وانقطاع ولايتهم من آمن ولم يهاجر حتى يهاجر . (وهاجروا). . . (وجاهدوا معكم) أيها المؤمنون - فأولئك منكم في الولاية. . » . وما نقله المؤلف هنا ، إنما هو من البحر (٥٢٣/٤) الذي نسبه إلى الطبري .

(١٠) البحـر (٥٢٣/٤) .



سورة براءة

تقدم مناسبة وضعها هنا ، وأما وجه سقوط البسملة منها على خلاف ما عليه سائر السور من الافتتاح بها ، فأخرج الحاكم في المستدرك بسند ضعيف عن ابن عباس قال : سألت علياً لِمَ لَمْ تُكتب في براءة (بسم الله الرحمن الرحيم) ، قال : « لأنها أمان ، وبراءة أُنزلت بالسيف ، ليس فيها أمان »[1].

وكفى بهذا الكلام من هذا الإمام ، وهذا والحديث السابق في أول الأنفال أصل أصيل في تتبع أسرار القرآن ، ومناسباتها ترتيباً وتقديماً وتأخيراً ، وإثباتاً وحذفاً ، وقد صح في أحاديث أن براءة نُسخ منها الجم الغفير ، وأنها كانت طويلة جداً . وفي المستدرك عن حذيفة[2] قال : « ما تقرؤون ربعها »[3]، وهذا صريح في أنه نُسخ منها أكثر من ثلاثة أرباعها ، ولما بضعة عشر اسماً بينتها في الإتقان[4].

(براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين/١) انظر إلى هذا المطلع الذي تكاد براعته تسحر القلوب ، وتبهر العقول ، أما أولاً فلمناسبته لمقاصد السورة ، فإنها سيقت لنبذ العهود ، وقتل الكفار حيث وُجدوا ، وطردهم من جزيرة العرب ، وكشف أسرار المنافقين وما إلى ذلك ، فلا يكن مطلع لذلك أنسب ولا أبلغ من هذا المطلع المفتتح بالبراءة ، ثم إضافة هذه[5] البراءة إلى الله ورسوله ،

---

(١) المستدرك (٢/ ٣٣٠) إلا أن فيه كلمة « نزلت » بدلاً من « أنزلت » . وأما الحكم على سنده بالضعف ، فهو من قول المؤلف هنا .

(٢) هو أبو عبد الله ، حذيفة بن حيسل بن جابر العبسي . واليمان لقب حسل ، كان حذيفة -رضي الله عنه- صاحب سر الرسول-ﷺ- في المنافقين ، ولاه عمر -رضي الله عنه- على المدائن -بفارس- له في كتب الحديث (٢٢٥) حديثاً ، توفي سنة ٣٦هـ . ابن عساكر (٤/٩٣) ، والإصابة (١/٣١٧) ، وحيلة الأولياء (١/ ٢٧٠) .

(٣) المستدرك (٢/٣٣١) ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) وهي : التوبة - والفاضحة - والعذاب - والمقشقشة - والمنقرّة - والبحوث - والحافرة - والمثيرة - المبعثرة - المخزية - المنكّلة - والمشردة - والمدمدمة . الإتقان (١/١٥٥ - ١٥٦) .

(٥) في (ب) : بهـذه .



وفيها من التفخيم والتعظيم ما لا يخفى ، و(براءة) خبر مبتدأ مقدر ، أي هذه . وقرىء بالنصب[١] . قال ابن عطية : « أي الزموا »[٢] . وقال الزمخشري : « أي اسمعوا » ، ثم قال : « فإن قلت : لم عُلِّقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين ؟ .

قلت : قد أذن الله في معاهدة المشركين أولاً ، فاتفق المسلمون مع رسول الله -ﷺ- ، وعاهدوهم ، فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ إليهم ، فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك ، فقيل لهم : اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما[٣] عاهدتم به المشركين »[٤] .

وقال ابن عطية : « لما كان عهد الرسول لازماً لجميع أمته ، حسُن أن يقول: (عاهدتم/١) »[٥] . (فسيحوا/٢) أمر إباحة ، وفي ضمنه تهديد . وفيه التفات من غيبة إلى خطاب[٦] . (واعلموا أنكم غيرُ مُعجزي الله/٢) أُعيد مرة ثانية .

قال الكرماني : « وليس بتكرار ، لأن الأول للمكان ، والثاني للزمان ، وقد ذُكرا في قوله : (في الأرض أربعةَ أشهرٍ/٢) »[٧] . (وأن الله مُخزي الكافرين/٢) يحتمل أن يكون التفاتاً . (وأذانٌ/٣) فيه مما في براءة من الفخامة وهو بمعنى الإيذان ، كالعطاء بمعنى الإعطاء . وقرىء (وإذْن)[٨] . (ان الله/٣) قرىء بالكسر[٩] ، على تقدير القول ، أو لأن الأذان في معناه . (ورسولُهُ/٣) بالرفع

(١) قرأ بذلك عيسى بن عمر . البحر (٥/٤) .

(٢) المحرر الوجيز (٦/٣٩٩) .

(٣) في (ب) : لأن .

(٤) الكشاف (٢/١٧٢) .

(٥) المحرر (٦/٤٠٠) .

(٦) في (أ) : الخطاب .

(٧) أسرار التكرار (٩٥) .

(٨) أسند ابن خالويه هذه القراءة إلى يزيد ، وأسندها أبو حيان إلى الضحاك ، وعكرمة ، والمتوكل . ابن خالويه (٥١) ، والبحر (٥/٦) .

(٩) عن الحسن والأعرج - كما في البحر (٥/٦) .

مبتدأ ، أي بريء أيضاً منهم . وقرىء بالنصب[1] عطفاً على اسم أن . وقيل : مفعولاً معه[2] . وقرىء بالجر[3] على الجِوار . وقيل : القَسَم[4] .

أبو حيان : « جملة (براءة) إلى آخرها [إخبار بثبوت البراءة ، وجملة (وأذان/٣) إلى آخرها][5] ، إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت ، فلا تكرار . وعلّقت البراءة بالمعاهدين ، لأنها مختصة بهم ، والأذان بالناس ليحيطوا به علماً من بريء منه وغيره »[6] . والتعدية بإلى لإفادة معنى الوصول والانتهاء ، و(من) في (بريءٌ من المشركين/٣) هي المعدية لفعل البراءة في نحو : برئت منك ، ومن الدّين ، وفي براءة : (من الله/١) غيرها ، بل هي في موضع الصفة متعلقة بكائنة .

(فإن تبتم/٣) فيه التفات . (وبَشِّر/٣) استعارة تهكمية في مقام وأنذر ، وفيه التفات من خطاب الكفار إلى خطاب النبي . (إلا الذين عاهدتم/٤) فيه التفات من خطاب إلى خطاب المؤمنين ، وهو استثناء متصل بقوله : (إلا الذين عاهدتم/٧) ، (ينقصوكم/٤) قرىء بالضاد المعجمة[7] ، وهي مناسبة للعهد ، ففيها طباق معه ، وفي المشهورة طباق مع قوله : (فأتِمُّوا/٤) ، لأن التمام ضد النقص ، قاله الكرماني[8] . (إن الله يحب المتقين/٤) حث على الوفاء بالعهد ، لأنه من التقوى . (فإذا انسلخ الأشهر الحرم/٥) فيه استعارة ، شبّه فراغ الشهر

---

(١) قرأ بذلك ابن أبي اسحاق ، وعيسى بن عمر ، وزيد بن علي . البحر (٥/٦) .

(٢) وهو ما جوزه الزمخشري ، وذهب السمين إلى أن الوجه الأول هو الأظهر . الكشاف (٢/١٧٣) ، والدر المصون (٦/٨) .

(٣) رويت عن الحسن . البحر (٥/٦) .

(٤) انظر البيان لابن الأنباري (١/٣٩٣ - ٣٩٤) . وإعراب القرآن للنحاس (٢/٢٠٢) . والدر المصون (٦/٨) .

(٥) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) .

(٦) البحر (٥/٧ - ٨) بتصرف .

(٧) قرأ بذلك عطاء بن السائب الكوفي ، وعكرمة ، وأبو زيد ، وابن السميفع . البحر (٥/٨) .

(٨) العجائب (١/٤٤٨) . البحر (٥/٨) .



بانسلاخ الثوب . قال أبو الهيثم[1] : « يقال : أهللنا هلال شهر كذا ، أي دخلنا فيه ، ولبسناه ، فنحن نزداد كل ليلة إلى مضي نصفه لباساً منه ، ثم نسلخه عن أنفسنا بعد تكامل النصف منه جزءاً فجزءاً ، حتى نسلخه عن أنفسنا كله فينسلخ ، وأنشد :

إذا ما سَلَخْتُ الشهرَ أهْلَلْتُ مثلَه
كفى قاتِلاً سَلْخي الشهورَ وإهلالي »[2] [3]

وعُرِّفت الأشهر بعد تنكيرها ، لأنها عينها . (حيث وجدتموهم/٥) عام في الأماكن من حِلٍّ وحَرَم . (واحصروهم/٥) وقرىء (وحاصروهم)[4] (واقعدوا لهم كل مَرْصَدٍ/٥) ليس المراد حقيقة القعود ، بل المعنى : ارصدوهم في كل مكان يُرصد فيه ، فلذا جاز حذف « في » منه ، كقوله :

..... وقد قعدوا إنقاقها كل مقعد[5] .....

(فإن تابوا/٥) أي عن الكفر ، فهو يتضمن الإيمان . (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة/٥) ذكر أعظم شعائر الدين . (فخلوا سبيلهم/٥) كناية عن الكفِّ عنهم ، وفيه مطابقة لقوله : (وخذوهم واحصروهم/٥) معاً . (إن الله غفورٌ رحيمٌ/٥) مناسب للتوبة وما ذكر معها .

الكرماني : « أعاد هذه الجمل بعد ذلك ، لا على وجه التكرار ، بل هذه في المشركين ، وتلك في اليهود[6] ، لقوله : (اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً)[7] ، وهذه

---

(١) هو أبو الهيثم الرازي ، إمام لغوي ، أدرك العلماء ، وأخذ عنهم وتصدر بالري للافادة ، توفي سنة ٢٧٦هـ . بغية الوعاة (٢/٣٢٩) .

(٢) لم أعرف قائله ، وهو في اللسان (٣/٢٥) مادة : سلخ ، والدر المصون (٦/١١) .

(٣) البحر (٥/٩) . (٤) البحر (٥/١٠) دون نسبة . (٥) البحر (٥/١٠) ولم يعزه .

(٦) بعد هذا قال الكرماني : « .... فيمن حمل قوله : (اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً) على التوراة . وقيل : هما في الكفار ، وجزاء الأول تخلية سبيلهم وجزاء الثاني إثبات الأخوة لهم ، والمعنى بإثبات الله القرآن » . أسرار التكرار (٩٦) .

(٧) التوبة (٩) .



صفة لليهود ، وان كانت في المشركين أيضاً فذلك من النوع المسمى بالتردد ، وهو تعلق كلٍّ بشيء غير الآخر ، فهذه علّق بها تخلية السبيل ، وتلك علّق بها إثبات عذاب الآخرة لهم »[1] . (وإن أحدٌ/٦) الآية ، لما أمر تعالى بقتل المشركين حيث وُجدوا وأخذهم وحصرهم وطلب غرتهم[2] ، ذكر لهم حالة لا يُتعرض لهم فيها ، وهي ما إذا جاء أحدهم مسترشداً طالباً[3] للحجة ، والدلالة على ما يُدعىٰ إليه من أمر الدين والسماع للقرآن ، لأن ذلك أدعى إلى دخول الناس في الإسلام .

ولما كان القرآن أعظم المعجزات ، علّق السماع به ، لأنه الطريق إلى الفهم ، وكلام الله من إضافة الصفة إلى الموصوف . (مَأْمَنَه/٦) مكان أمنه . (ذلك/٦) الأمر بالإجارة وإبلاغ المأمن بسبب أنهم جَهَلَة لا يعلمون ما الإسلام ، وما حقيقة ما يدعو إليه ، فلابد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا ، ويفهموا الحق . (كيف/٧) استفهام تعجيب وإنكار واستبعاد . وفي الآية إضمار ، أي كيف يكون لهم وهم غادرون ناكثون بدليل تمام الآية .

ولما كان استفهام الإنكار بمعنى النفي ، صلُح مجيء الاستثناء . (كيف/٨) الكرماني : « قيل : هو تكرار للتأكيد ، واكتفى بذكر (كيف) عن الجملة بعده ، لدلالة الأولى عليه . وقيل : التقدير : كيف لا يقتلونهم ، فلا يكون من التكرار في شيء »[4] . (يظهروا/٨) قرىء بالبناء للمفعول[5] . (إلّاً/٨) عهداً ، أو قرابة ، أو حِلفاً ، أو سياسة ، أو جؤاراً ، أي رفع صوت بالتضرع ، أقوال .

---

(١) لم أجد هذا الكلام في أسرار التكرار ، وإنما وجدت ما ذكرته سابقاً ، ويظهر أن هذا الكلام زيادة توضيح من مؤلفنا .

(٢) في (أ) : عريهم .

(٣) في (أ) : طلبا .

(٤) أسرار التكرار (٩٦) ، والبرهان (٢٠٦) .

(٥) قرأ بذلك زيد بن علي . البحر (١٣/٥) .



وقيل : هو[1] اسم الله[2] بالسريانية[3]. وقرىء بفتح الهمزة ، وهو مصدر من فعل الإل ، وهو العهد[4]. وقرىء (إيلًا)[5] وهم اسم الله[6] (ولا ذمةً/٨) قيل : هو من عطف المترادفين ، على أن الإل[7] بمعنى العهد[8].

وقال الأصمعي : « الذمة كل ما يجب أن يُحفظ ويُحمى »[10]. (يرضونكم/٨) استئناف . (اشتروا/٩) فيه استعارة (لا يرقبون في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمةً/١٠) قال أبوحيان: « لما كان في الأول (فيكم) ، وكانت قد تُوهم التخصيص بالمخاطبين ، نبَّه على تعميمه في كل مؤمن »[11]. وقال الكرماني : « بناء على ما تقدم ، هذه في اليهود ، والأولى في المشركين . وقيل : الأول ذُكِر جزاء للشرط ، ثم أُعيد تقبيحاً لهم ، لاتصاله بقوله : (ساء ما كانوا يعملون/٩) »[12]، وأما صاحب المناجاة فذكر كقول أبي حيان ، ثم قال : « فإن قلت : لِمَ لَمْ يقل في مؤمن من أول الأمر؟ وما فائدة التعميم بعد التخصيص ؟.

---

(١) جملة « وقيل : هو » بدلها في (أ) : هم .

(٢) لفظ الجلالة ليس موجوداً في (ب) .

(٣) انظر البحر (١٣/٥) ، والمحرر (٤١٨/٦ - ٤١٩) ، وزاد المسير (٤٢٠/٣) ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٥٣/١) . والقول بأن « الإل » هنا القرابة ، مروي عن ابن عباس ، وذكر ابن كثير أن هذا القول هو الأظهر والأشهر ، وأن عليه الأكثر . تفسير القرآن العظيم (٣٣٨/٢) .

(٤) البحر (١٣/٥) دون نسبة ، ونسبها ابن خالويه (٥٢) إلى الكلبي .

(٥) عن عكرمة ، وطلحة بن مصرف - على ما في البحر (١٣/٥) ، وابن خالويه (٥٢) .

(٦) ليس ذلك بصحيح ، إذ لم يرد هذا الاسم في الكتاب والسنة ، كما أشار إلى ذلك الزجاج في معاني القرآن (٤٧٩/٢) .

(٧) في (أ) : الأول .

(٨) انظر المحرر (٤١٩/٦ - ٤٢٠) ، وروح المعاني للألوسي (٥٥/١٠) .

(٩) في (أ) : « وقرىء (ايلا) وهو اسم » ، والظاهر أن هذه العبارة وضعت هنا سهواً .

(١٠) البحـر (٤/٥) .

(١١) في البحـر (١٤/٥) : « ولما كان قوله : (لا يرقبوا فيكم) يتوهم أن ذلك مخصوص بالمخاطبين ، نبه على علة ذلك ، وأن سبب المنافاة هو الإيمان » .

(١٢) أسرار التكرار (٩٦) .



قلت : لأن في هذا النوع من التحريض ما ليس في الاقتصار على الثاني ، كما في قولك : هذا لا ينفعك ، ولا أحداً من الناس ، فكأنك[1] نفيت[2] عنه مرتين ». (فإخوانكم/١١) الغالب إطلاق الإخوان على أخوة الصداقة ، والإخوة على إخوة النسب ، وقد يأتي بخلافه نحو (إنما المؤمنون إخوةٌ)[3] ، (أو بيوت إخوانكم)[4]. (ونُفَصِّل/١١) فيه التفات واعتراض بين الشرطين . (فإن تابوا/١١) ، (وإن نكثوا/١٢) ، وفائدته التحريض على تأمل ما فصَّله تعالى من الأحكام . (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم/١٢) فيه طباق . (وطعنوا/١٢) مجاز عن العيب ، وحقيقته : الإصابة بالرمح والعود ونحوه . (فقاتِلوا أئمة الكفر/١٢) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر . (لا أيمانَ لهم/١٢) بفتح الهمزة ، أي معتداً بها ، وفيه رد العجز على الصدر . وفي قراءة بكسر الهمزة[5]، ففيه جناس محرَّف[6] مع[7] أيمانهم . ثم قيل : المراد به الإسلام ، ففيه طباق مع الكفر . وقيل : المراد به الأمانة[8]، يقال : آمنه إيماناً ، كآذنه إيذاناً ، ففيه مناسبة للعهد ، وإيهام الطباق مع الكفر ، وتورية لاحتمال اللفظ معنيين ، وإرادة البعدي ، وهي مرشّحة من وجهين ، لأن الكفر يلائم المُورَّى[9] به ، ، والعهد يلائم المُورَّى عنه ،

---

(١) في (أ) : لأنك .

(٢) في (أ) : لقيت .

(٣) الحجرات (١٠) .

(٤) النور (٦١) .

(٥) قرأ بذلك الحسن ، وعطاء ، وزيد بن علي ، وابن عامر ، وقرأ الجمهور بالقراءة الأولى . حجة القراءات (٣١٥) ، والبحر (١٥/٥) .

(٦) الجناس المحرف : هو أن يكون الشكل وحده فارقاً بين الكلمتين . جوهر الكنز (٩٤) ، وأنوار الربيع (٨٥/١) .

(٧) في (أ) : على .

(٨) انظر زاد المسير (٤٠٤/٣) . والقول الأول هو تفسير الحسن - كما في البحر (١٥/٥) ، وتبعه الزمخشري في الكشاف (١٧٧/٢) وهو ما اختاره مكي . الكشف (٥٠٠/١) ، وانظر زاد المسير (٤٠٤/٣) .

(٩) في (أ) : المودي .



فانظر ما حوته هذه القراءة من أنواع البديع . **(ألَا/١٣)** تحضيض وحث على المقاتلة ، بذكر قبائحهم **(أتخشونهم/١٣)** توبيخ . **(فالله/١٣)** فيه التفات . **(ويشفِ/١٤)** قرىء بالنون[1] على الالتفات ، ثم فيما بعده التفات . **(عليهم ويشفِ صدور قومٍ مؤمنين/١٤)** ليس من وضع الظاهر موضع المضمر ، لأن المراد بهم غير المخاطبين ، وهم خزاعة[2] الذين نقض فيهم العهد ، ونالتهم الحرب ، واستنصروا بالنبي -ﷺ- ، فنبذ عهد المشركين من أجلهم . **(ويُذْهِب غيظ قلوبهم/١٥)** تأكيد للجملة قبلها ، لأن شفاء الصدور من ألم الغيظ هو إذهاب الغيظ ، فهي من نوع التتميم . وقرىء (يذهب) بفتح أوله لازماً ، ورفع **(غيظ)**[3] ، وقرىء كذلك مرفوعاً[4] استئنافاً .

(ويتوبُ الله/١٥) بالرفع استئنافاً ، والنصب[5] جواباً للأمر **(وَلِيجةً/١٦)** بِطانة ، تُطلق على الواحد والجمع . **(تعلمون/١٦)** بالتاء مناسب لـ**(حسبتم/١٦)** و**(منكم/١٦)** ، وبالياء[6] مناسب للذين جاهدوا ولم يتخذوا . **(ما كان للمشركين/١٧)** الآية ، أقول : هو مناسب للأمر بقتالهم المقتضي لإخراجهم ، الذي هو ضد إقامتهم ، المعبَّر عنها بالإعمار ، والمنفي كونه لائقاً بهم ، أي فإذا لم تكن إقامتهم به لائقة بهم ، فقاتلوهم واقتلوهم وأخرجوهم ، وهو أيضاً تمهيد للأمر بإخراجهم من المسجد الحرام الآتي في آية **(إنما المشركون نَجَسٌ ، فلا يقربوا**

---

(١) عن زيد بن علي . البحر (١٧/٥) .

(٢) وهي قبيلة من الأزد ، من القحطانية ، كانوا بأنحاء مكة في مرّ الظهران وما يليه من جبالهم . معجم قبائل العرب/كحالة (٣٣٨/١) .

(٣) عن عيسى بن عمر - كما في ابن خالويه (٥١) ولكن بدون تشكيل ، وانظر البحر (١٧/٥) ، والدر المصون (٢٧/٦) .

(٤) أي مرفوع الباء - وهي قراءة زيد بن علي ، البحر (١٧/٥) .

(٥) القراءة الأولى هي قراءة الجمهور ، والقراءة الثانية هي قراءة زيد بن علي ، والأعرج ، وابن أبي إسحاق ، وعيسى الثقفي ، وعمرو بن عبيد ، وعمر بن قائد ، ومقاتل بن سليمان ، وأبي عمرو ، ويعقوب - فيما روي عنهم . البحر (١٧/٥) ، وابن خالويه (٥١) .

(٦) قراءة التاء هي قراءة الجمهور . وقراءة الياء هي قراءة الحسن ، ويعقوب في رواية رويس ، وسلام . البحر (١٨/٥) .



المسجد الحرام بعد عامهم هذا/٢٨) ، فانظر إلى نظم القرآن وعجائبه . **(يعمُرُوا/١٧)** قرىء بضم أوله وكسر الميم[١] ، أي يعينوا على عمارته . **(مسجد الله/ ١٧)** بالإفراد والجمع[٢] ، إما إطلاقاً له على المسجد الحرام للتعظيم ، أو للعموم . **(شاهدين/١٧)** حال . وقرىء بالرفع[٣] أي وهم . **(على أنفسهم/١٧)** قرىء بفتح الفاء[٤] ، أي أَجَلّهم قدراً ، وأشرفهم وهو الرسول . **(وفي النار هم خالدون/١٧)** قرىء **(خالدين)**[٥] حال كقوله : في الدار زيد قاعداً . [**(مساجد اللّهِ مَن آمن بالله/١٨)** سيق للرد على المشركين ، ويتضمن الحث للمؤمنين على عمارتها)][٦] ، **(ولم يخش إلا الله/١٨)** ذكر تعريضاً بالمؤمنين ، وحثاً لهم على ألا يخشوا سواه ، فهو مناسب لقوله : **(أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه/١٣)** ، فانظر إلى ارتباط الآي واعتلاقها بالمقصد . **(فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين/١٨)** ذكر بصيغة الرجاء ، و[من][٧] تبعيضية[٨] ، لأن المقام يناسب ذلك ، لأنه الرد على من ادَّعى الفخر بعمارة المسجد وهو كافر ، فقيل له : إن من عمر المسجد ، وهو بهذه الصفات الجليلة ، فقصارى أمره أن يُرجى له اللحوق بالمهتدين ، فما ظنك بمن ليس فيه صفة منها ، فلذا لم يقل : أن يكونوا مهتدين لأنها أبلغ في التعظيم من قوله: **(من المهتدين/١٨)**. **(أجعلتم/١٩)** الآية إنكار عليهم أيضاً ، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ، وفي الكلام حذف ، أي أهل سِقاية ، ليصح

---

(١) قرأ بذلك ابن السميفع . البحر (١٨/٥) .

(٢) قراءة الإفراد قرأ بها ابن كثير ، وأبو عمرو ، والجحدري . وقراءة الجمع هي قراءة باقي السبعة ، ومجاهد ، وقتادة ، وأبو جعفر ، والأعرج ، وشيبة . السبعة (٣١٣) ، وحجة القراءات (٣١٦) ، والبحر (١٨/٥) .

(٣) قرأ بذلك زيد بن علي . البحر (١٩/٥) .

(٤) البحر (١٩/٥) دون نسبة ، وكذا الدر المصون (٣٠/٦) .

(٥) عن زيد بن علي ، البحر (١٩/٥) .

(٦) ما بين القوسين ليس موجوداً في (ب) .

(٧) ما بين القوسين ليس موجوداً في (ب) .

(٨) في (ب) : التبعيضية .



مقابلته بالذات في قوله : (كمن آمن/١٩) . وقرىء (سقاة الحج وعَمَرة المسجد)[١] جمع ساق وعامر ، فلا حذف .

وقرىء كذلك بنصب المسجد[٢] على إرادة التنوين في (عمرة) . (والله لا يهدي القوم الظالمين/١٩) هو في مقابلة قوله في المؤمنين : (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين/١٨) . ابن جماعة : « ختم به ، وفي الآية [الآتية بقوله][٣] : (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين/٢٤) وبعده : (زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين/٣٧) لأن هذه الآية نزلت فيمن فضَّل سِقاية الحاج وعِمارة المسجد على الإيمان والجهاد[٤] ، فوضعوا الأفضل في غير موضعه ، وهو معنى الظلم ، أو نقصوا الإيمان بترجيح ذلك عليه ، والظلم النقص أيضاً ، كقوله : (ولم تظلِم منه شيئاً)[٥]، والثانية في المسلمين الذين اتخذوا أقاربهم الكفار أولياء ، وهو وصف فِسق[٦] لا ينافي الإيمان ، والثالثة في الكفار الذين نسؤوا النسيء ، ولذلك قال : (زيادةٌ في الكفر/٣٧) »[٧] ، ولما نفى استواء المؤمنين ومن

---

(١) عن أبي وجزة السعدي ، وأسندها صاحب البحر إلى ابن الزبير ، والباقر ، وأبي حيوة . ابن خالويه (٥٢) ، والبحر (٥/٢٠) .

(٢) يعني قرىء كما سبق مع نصب المسجد ، وهي قراءة ابن جبير . انظر المرجعين السابقين .

(٣) ما بين القوسين غير موجود في (أ) .

(٤) عن النعمان بن بشير قال : « كنت عند منبر رسول الله -ﷺ- فقال رجل : ما أبالي أن لا أعمل بعد الإسلام ، إلا أن أسقي الحاج . وقال آخر : ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أعمر المسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد في سبيل الله ، أفضل مما قلتم . فزجرهم عمر ، وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله-ﷺ-، وهو يوم الجمعة ، ولكن إذا صليت الجمعة ، دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه . فأنزل الله -عز وجل- : (أجعلتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الآخر) الآية إلى آخرها .

رواه مسلم (١٤٩٩/٢) كتاب الإمارة . باب (٢٨) ، ورواه الطبري (١٦٩/١٤) .

وأورده السيوطي في الدر (٢١٨/٣) ، وزاد نسبته لأبي داود وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، والطبراني وغيرهم .

(٥) الكهف (٣٣) .

(٦) في كشف المعاني : « وبعض الفسق » ، بدلاً من « وهو وصف فسق » .

(٧) كشف المعاني (١٨٣) بتصرف قليل .



ذكر زاد بيان حالهم وضوحاً ، وأنهم أعظم درجة ، فقال : ﴿الذين آمنوا/٢٠﴾ الآية ، ولما قال : ﴿أولئك هم الفائزون/٢٠﴾ ، بيَّن الفوز بقوله : ﴿يبشرهم/٢١﴾ الآية ، وأسند التبشير إلى ربهم ، لإفادته معنى الإحسان والتربية والإصلاح . ونكَّر رحمة وما بعده للتعظيم ، أي رحمة لا يبلغها وصف واصف . ولما تحلَّوا بأوصاف ثلاثة : الإيمان والهجرة والجهاد ، بشَّرهم بثلاثة : الرحمة والرضوان والجنات ، وبدأ بالرحمة ، لأنها الوصف الأعم ، ثم ارتقى إلى الرضوان لأنه أكبر ، وهو غاية الإحسان من الرب إلى عبده ، ولما كانت الهجرة فيها ترك وطن كانوا فيه منعَّمين ، ناسب أن يذكر ﴿لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ/٢١﴾ . وقرىء ﴿يبشرهم﴾ بفتح أوله وضم الشين[1] ﴿ورضوانٍ﴾ بضم أوله وبضمتين[2] . ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا/٢٢﴾ الآية ، أقول : هو شرح لما تضمنه آخر الأنفال من قوله : ﴿أولئك بعضهم أولياء بعضٍ/٧٢﴾ ، وقوله : ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعضٍ/٧٣﴾ ، ومتعلق بما تقدم من قوله : ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً/١٦﴾ ، فهو على عادة القرآن من العَود إلى ما تقدمت الإشارة إليه ، أو وقع ضِمناً بالتفصيل والتبيين . وقرىء ﴿إن استحبُّوا/٢٣﴾ بالفتح[3] تعليلية ، واستحبوا بمعنى أحبوا ، وضُمِّن معنى : اختاروا وآثروا ، فعدِّي بعلى . ﴿قل إن كان آباؤكم/٢٤﴾ الآية ، قال أبوحيان: « هي في الحضِّ على الهجرة »[4] السابقة في وصف المؤمنين ، لقوله : ﴿ومساكنُ ترضونها/٢٤﴾ » .

قلت : فيشبه أن تكون الآية التي هي قبلها كذلك ، وأن اتخاذ الآباء والإخوان الكفار ، هو الحامل على الإقامة بينهم في دار الكفر ، ولو انفصل عن موالاتهم ، انفصل عن دارهم .

---

(١) عن الأعمش وطلحة بن مصرف وحميد بن هلال . البحر (٥/٢١) .

(٢) القراءة بضم الراء قرأها عاصم في رواية أبي بكر ، والقراءة بضم الراء والضاد معاً ، هي قراءة الأعمش . البحر (٥/٢١) .

(٣) قرأ بذلك عيسى بن عمر . البحر (٥/٢٢) .

(٤) إلى هنا ينتهي كلام أبي حيان (البحره/٢٢) ، وما بعد ذلك هو من كلام المؤلف .



وظهـر لي وجه آخر ، وهو أنها في الحضِّ على الجهاد ، لقوله : **(وجهادٍ في سبيله/٢٤)** ، ولم يقل : وهجرة ، فتكون متصلة بالآيات السابقة في الحثِّ على القتال ، **(ألا تقاتلون قوماً/١٣)** ، **(أتخشونهم/١٣)** ، **(قاتلوهم/١٤)** ، **(ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم/١٦)**. وهو المعنى الذي حُمِلَت عليه أولاً ، فتكون عوداً بعد الاستطراد . فإن قلت : فما بال ذكر المساكن ؟.

قلت : الجهاد يحتاج إلى مفارقة المسكن بالسفر ، ولهذا تخلَّفوا عن غزوة تبوك ، ركوناً إلى الظلال والثمار ، وقالوا : **(لا تنفروا في الحَرّ/٨١)** فكأن هذه الآية تمهيد للآيات الآتية في قصة تبوك .

أبـو حيان: « ذكـر في الآية السـابقة الآباء والإخوان ، لأنهم أهل الرأي[1] والمشـورة ، ولم يذكـر الأبنـاء ، لأنهم في الغالب تبع لآبائهم ، وذكرهم في الآية الثانية ، لأنها سيقت للمحبة ، وهم بالنفس أعلق ، ولذا قدَّمهم على الإخوان ، وقدَّم الآباء ، لما عرف من وجوب بِرهم وإكرامهم ، وأخرّ العشيرة ، لأنها أبعد في القرابة »[2] .

وفي قراءة : **(عشيراتكم)** بالجمع[3] ، وهو جمع قليل . قال الأخفش : « العرب تجمع عشيرة على عشائر ، ولا تكاد تقول عشيرات »[4] .

وقرأ الحجاج[5] : **(أحب/٢٤)** بالرفع ، فأنكره عليه يحيى بن يعمر[6] ، لمخالفته

---

(١) في (أ) : المـواد .

(٢) البحـر (٥/٢٢) بتصـرف .

(٣) قرأ بذلك أبو بكر عن عاصم ، وأبو رجاء ، وأبو عبد الرحمن . حجة القراءات (٣١٦) ، والبحر (٥/٢٢) .

(٤) ليس بكتابه « معاني القرآن » ، وهو في البحـر (٥/٢٢) .

(٥) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، ولد ونشأ بالحجاز ، وانتقل إلى الشام ، قلده الخليفة عبد الملك بن مروان أمر عسكره ، وأمره بقتال عبدالله بن الزبير ، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير ، وقتل ابن الزبير وفرّق جموعه ، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف ، ثم العراق . وقد كان سفاكاً للدماء ، وخطيباً فصيحاً . توفي سنة ٩٥هـ .

وفيات الأعيان (١/١٢٣) ، وتهذيب التهذيب (٢/٢١٠) ، والبدء والتاريخ (٦/٢٨) .

(٦) هو أبو سليمان ، يحيى بن يعمر العدواني البصري ، تابعي جليل ، كلّفه الحجاج بأمر من الخليفة عبد =



إجماع القراء النقلة ، فنفاه من البصرة[1] . (فتربصوا/٢٤) فيه تهديد ووعيد . **(لقد نصركم الله/٢٥)** قال أبوحيان: « لما تقدم قوله : **(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديهم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم/١٤)** واستطرد بعد ذلك بما استطرد ، ذكّرهم تعالى نصره إياهم في مواطن -وهي مقامات الحرب- جمع موطن ، بكسر الطاء ، الموقف والمقام »[2] . (ويوم حُنينٍ/٢٥) من عطف الزمان على المكان ، وقدره الزمخشري : وموطن يوم حنين[3] . (إذ/٢٥) بدل من (يوم/٢٥). **(أعجبتكم/٢٥)** أُضيف الإعجاب إليهم -وإن كان صادراً من بعضهم- مجازاً . **(وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت/٢٥)** أي مع رحبها ، أي شدة سعتها ، لصعوبة الحال ، فكأنهم لا يجدون مكاناً يسكنونه للهرب والنجاة ، لفرط ما لحقهم من الرعب ، فالباء للمصاحبة ، وما مصدرية . وقد خُتمت السورة بنظير هذه الجملة في قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا ، فهي من مناسبة أول السورة لآخرها ، وقد ورد في أثر أن هذه الآية أول ما نزل من سورة براءة ، خرجته في الأنفال[4] .

وقرىء بسكون الحاء[5] ، لغة تميم . (سكينته) قيل : نصره الذي تسكن إليه النفوس[6] . وقيل : رحمته التي سكنوا بها . وقيل : الوقار والثبات بعد الاضطراب والقلق[7] . وقرىء بكسر السين وتشديد الكاف[8] ، مبالغة في السكينة ، نحو :

= الملك بن مروان ، أن يقوم مع نصر بن عاصم الليثي في إعجام القرآن . توفي قبل ٩٠هـ . غاية النهاية (ترجمة رقم ٣٨٧٣) ، ومناهل العرفان (١/٣٩٩) .

(١) البحر (٢٢/٥) ، إلا أنه لم يذكر أنه نفاه من البصرة .

(٢) البحر (٥/٢٣ - ٢٤) بقليل من الاختصار .

(٣) الكشاف (٢/١٨١) .

(٤) أخرج ذلك الفريابي عن مجاهد - كما في الدر المنثور (٣/٢٢٣) .

(٥) عن زيد بن علي . البحر (٥/٢٤) .

(٦) وهو ما ذهب إليه ابن عطية . المحرر (٦/٤٥٠) .

(٧) هذا القول حكاه أبو حيان ، والقول السابق هو قول الزمخشري . البحر (٥/٢٥) ، والكشاف (٢/١٨٢) .

(٩) عن زيد بن علي . البحر (٥/٢٥) .



شرّيب ، وصدّيق . (على رسوله/٢٦) ذُكر تعظيماً للمؤمنين ، وإلا فالسكينة لم تزل عليه-ﷺ- ومازال ثابت الجأش ساكنه ، ولم يولِّ مع من ولَّى ، كما صح في الحديث[١] . (نَجَسٌ/٢٨) بفتحتين ، مصدر وُصف به للمبالغة . وقرىء بكسر النون ، وسكون الجيم ، صفة مشبهة ، وقرىء (أنجاس)[٢] . (فلا يقربوا) نهي . فمن حيث اللفظ للمشركين ، ومن حيث المعنى للمسلمين ، أي لا تتركوهم يقربونه . (عَيْلَةً/٢٨) الفقر . وقرىء (عائلة)[٣] مصدر كالعاقبة. (فسوف/٢٨) أتى به دون السين ، لتأخر الغِنى عنهم بعد ذلك بُرهة[٤]، وعلَّقه بالمشيئة ، لأنه يقع في حق بعض دون بعض ، وفي وقت دون وقت بحسب ما تقتضيه الحكمة . (قاتِلوا الذين/٢٩) الآية ، هذه الآية في قتال أهل الكتاب ، ذُكرت بعد ما تقدم الأمر بقتال المشركين ، وهي في مبدأ الأمر بغزوة تبوك ، لأنها غزو[٥] للروم ، وهم[٦] أهل الكتاب . (يدينون/٢٩) من دان فلان بدين كذا ، أي اتخذه ديناً واعتقده . (دين الحق/٢٩) قيل : تقديره : الدين الحق ، من إضافة الموصوف للصفة . وقيل : الحق هو الله[٧] . (الجزية/٢٩) سُمِّيت بذلك من جزى يجزي ، إذا كافأ عما أُسدي إليه ، لأنها جزاء ما مُنِحُوه من الأمن ، لأنهم يجزونها ، أي

(١) روى مسلم عن العباس أنه قال : « شهدت مع رسول الله -ﷺ- يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث ابن المطلب رسول الله-ﷺ- فلم نفارقه ، ورسول الله-ﷺ- على بغلة له بيضاء ، أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله-ﷺ- يركض بغلته قبل الكفار » . مسلم (١٣٩٨/٢) كتاب : الجهاد والسير - باب (٢٨) .

(٢) هذه قراءة ابن السميفع ، والقراءة السابقة هي قراءة أبي حيوة . البحر (٢٧/٥ - ٢٨) .

(٣) عن ابن مسعود وعلقمة . البحر (٢٨/٥) ، ومختصر ابن خالويه (٥٢) .

(٤) في (ب) : مدة .

(٥) في (أ) : غزوة .

(٦) في (أ) : وعلم .

(٧) ذكر ابن الجوزي القولين ، ونسب الثاني منهما إلى قتادة . زاد المسير (٤١٩/٣) . والقولان مؤداهما واحد ، فالدين الحق ، هو دين الله. وإن كان البون شاسعاً ، لأن الحق على الأول صفة للدين وعلى الثاني صاحب الدين .



يقضونها ، أو لأنها تجزي عن القتل . **(عن يدٍ/ ٢٩)** قيل : المعنى عن اعتراف[١] منهم وطاعة ، وعدم امتناع ، لأن من أبى ، لم يعطِ يده ، بخلاف المطيع المنقاد ، ولذا قالوا[٢] أعطى بيده ، إذا انقاد ، ونزع يده عن الطاعة ، ومنه **(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)**[٣] . وقيل : عن قوة منكم ، وقهر واستعلاء عليهم .

وقيل : عن إنعام عليهم بذلك ، لأن قبولها عِوضاً عن أرواحهم نعمة عظيمة . وقيل : عن غِنى منهم[٤] وقدرة ، فلا تؤخذ من الفقير . وقيل : التقدير عن يد إلى يد[٥] . **(وقالت اليهود/ ٣٠)** لما بيَّـن سبحانه إلحاق اليهود والنصارى بأهل الشرك في القتـال ، عقَّبـه بما هو كالسبب له وكالشرح لقوله **(لا يؤمنون بالله/ ٢٩)** وهو مضاهاتهم للمشركين في دعوى الولد . **(عُزَيْرٌ/ ٣٠)** القراءة بالتنوين على أنه عربي ، وبتركه[٦] على أنه أعجمي[٧][٨] وليس مصغَّراً ، بل على هيئته كسليمان . **(ذلك قولهم بأفواههم/ ٣٠)** أي لا يعضده برهان[٩] ، فهو كاللفظ المهمل الذي يصدر عن الفم ، ولا يؤثر في القلب ، لا معنى له ، قيل : لم يذكر الله قولاً مقروناً بالأفواه

---

(١) في (أ) : الاعتراف .

(٢) في (ب) : قال .

(٣) البقـرة (١٩٥) .

(٤) بعد قوله : « عن غنى منهم » في (أ) : عن إنعام عليهم .

(٥) انظر البحر (٥/ ٣٠) ، والجامع للقرطبي (٨/ ١١٥) ، وتفسير سفيان بن عيينة (٢٦٠ - ٢٦١) . وذكر ابن العربي بعض هذه الأقوال ، وزاد عليها غيرها ، ثم قال : « قال الإمام - أي الإمام مالك- : هذه الأقوال منها متداخلة ، ومنها متنافرة ، وترجع إلى معنيين :
أحـدهمـا : أن يكـون المراد باليد الحقيقة ، والآخر أن يكون المراد باليد المجاز . فإن كان المراد به الحقيقـة ، فيرجع إلى من قال : إنه يدفعها بنفسه غير مستنيب في دفعها أحداً . وأما جهة المجاز ، فيحتمل أن يريد به التعجيل ، ويحتمل أن يريد به القوة ، ويحتمل أن يريد به المنة والإنعام » . أحكام القرآن (٢/ ٩٢٢ - ٩٢٣) .

(٦+٧) في (أ) : وبترك ، عجمي .

(٨) قراءة التنوين هي قراءة عاصم والكسائي . والقراءة الثانية هي قراءة الباقين . حجة القراءات (٣١٦ - ٣١٧) .

(٩) جملة : « أي لا يعضده برهان » ليست في (أ) .



والألسن إلا وهـو زور[1] . (يضاهئون/٣٠) بالهمز وبتركه[2] . (قاتَلَهم الله/٣٠) دعاء عليهم عام لأنواع الشر . وقيل : أصله الدعاء ، ثم كَثُر [استعماله[3] على جهـة التعجب في الخـير والشر من غير إرادة الـدعـاء ، وهو من باب : عاقبتُ اللِّص ، لا مفـاعلة فيه . (اتخـذوا/٣١)][4] فيه لَف ونشر[5] مجمـل ، لأن الأحبار علماء اليهود ، والرهبان عُبَّاد النصارى ، فهو على حد : (وقالوا كونوا هوداً أو نصـارى)[6] . (والمسيح/٣١) عطف على (رهبانهم/٣١). (يريدون/٣٢) الآية . أبـوحيان : « مثلهم ومثـل حالهم في طلبهم أن يبـطلوا نبوة محمد-ﷺ- بالتكذيب ، بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم ، منبث في الآفاق بفيه ليطفئه . فنور الله هذا الصادر عن القرآن والشرع ، فمن حيث سماه نوراً ، سمى محاولة إفساده إطفاء ، وناسب ذِكر الإطفاء الأفواه »[7] . ابن جماعة : « هنا (يريدون أن يطفئـوا/٣٢) ، فأن ومعمـولـه مفعـول (يـريـدون/٣٢). وفي الصف (يريدون ليطفئوا/٨) على حذف المفعول ، أي يريدون الافتراء لأجل أن يطفئوا » ، قال : « ويؤيد ما قلناه من إظهار المفعول هنا ، وحذفه هناك ، ما ختم به الآيتان ، ويظهر ذلـك بالتـدبر »[8][9] . انتهى . (ويأبى الله/٣٢) وهو فعل موجب ، والموجب لا تدخـل معه « إلا » ، لا تقول[10] : كرهت إلا زيداً ، فقال الزجاج : « هو على حذف المستثنى منه ، أي ويأبى الله كل شيء إلا أن يتم »[11] . وقال الأخفش :

---

(١) في (ب) : اذن .
(٢) قراءة الهمز هي قراءة عاصم وابن مصرف . والقراءة الثانية هي قراءة باقي السبعة . البحر (٣١/٥) .
(٣) بالبحر (٣١/٥) : « ثم كثر استعماله حتى قالوه .... » .
(٤) ما بين القوسين ليس في (ب) .
(٥) كلمة « ونشر » ليست في (أ) .
(٦) البقـرة (١٣٥) .
(٧) البحـر (٣٣٠/٥) باختصار .
(٨) في (أ) : بالتدابـر .
(٩) كشـف المعاني (١٨٤) .
(١٠) في (أ) : لاثقاً ، وفي (ب) : الأفعال ، وما أثبتناه من البحر (٣٣/٥) .
(١١) معاني القرآن له (٤٤٤/٢) بمعناه ، وانظر البحر (٣٣/٥) .

« الصغير »[1] ، والفراء دخلت « إلا » ، لأن الكلام في معنى الجحد لأن يأبى ، مَنْع وامتناع ، فضارع النفي[2] . وقال الكرماني « معناه لا يرضى إلا أن يتم »[3] . وقال الزمخشري : « أُجري يأبى مجرى لم يُرِد ، أو لا يريد ، ولهذا قُوبل به **(يريدون أن يطفئوا)** ، فهو واقع موقع : ولا يريد الله إلا أن يتم »[4] . **(ليظهره/٣٣)** الضمير راجع إلى الرسول . وقيل : إلى الدين[5] . **(يأيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان/٣٤)** أبوحيان : « لما ذكر أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، ذكر ما عليه كثير منهم ، تنقيصاً لشأنهم وتحقيراً لهم ، وأن مثل هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم ، فضلاً عن اتخاذهم أرباباً »[6] .

قلت : وفيه شرح اتخاذهم أرباباً باتباعهم في الصد عن[7] سبيل الله . وصدّر

---

(١) هو أبو المحاسن ، علي بن سليمان بن الفضل ، المعروف بالأخفش الأصغر ، نحوي ، من أهل بغداد ، أقام بمصر فترة ، وخرج إلى حلب ثم عاد إلى بغداد ، من تصانيفه « شرح سيبويه » ، و« الأنواء » ، و« المهذب ». توفي سنة ٣١٥هـ . بغية الوعاة (٣٣٨) ، ووفيات الأعيان (١/٣٣٢) ، وإنباه الرواة (٢/٢٧٦) .

(٢) البحر (٥/٣٣) ، ومعاني القرآن للفراء (١/٤٣٣) .

(٣) البحر (٥/٣٣) .

(٤) الكشاف (٢/١٨٦) .

(٥) ذكر ابن الجوزي القولين ، وأسند الأول منهما إلى ابن عباس . زاد المسير (٣/٤٢٧) ، وانظر البحر (٥/٣٣) .

والقولان مؤداهما واحد ، وهو أن هذا الدين الذي أرسل به محمد-ﷺ- سيظهره الله على سائر الأديان .

وقد روى مسلم عن ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ: (إن الله زَوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها) .

مسلم (٣/٢٢١٥) كتاب : الفتن - باب (٥) رقم (٢٨٨٩) .

وروى الإمام أحمد في المسند (٤/١٠٣) عن تميم الداري قال : سمعت رسول الله-ﷺ- يقول: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل الله به الكفر) .

وصححه الشيخ الألباني - سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٧) رقم (٣) .

(٦) البحر (٥/٣٥) .

(٧) في (أ) : على .



بخطاب[1] المؤمنين تحذيراً لهم أن يكون علماؤهم وعبادهم على هذه الطريقة الذميمة . وقدم ذكر أكل أموال الناس بالباطل ، على الصد عن سبيل الله[2]، مبالغة في التنفير ، لأن الناس أشد بغضاً لمن أكل أموالهم منهم للعاصي بغير ذلك ، ولهذا قال-ﷺ-: (ازهد في الدنيا ، يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس)[3]، وشمل الأكل كل تناول كان بغير وجه شرعي ، والصد عن كل معصيته بغير ذلك . قال أبوحيان: « (ويصدون) يحتمل أن يكون لازماً وأن يكون متعدياً ، وهو أبلغ في الذم »[4]. (والذين يكنزون/٣٤) هو أيضاً من فعلهم ، كما وردت به الأحاديث[5] ، وقصد به العموم لمن فعل ذلك من المسلمين[6]. وقرىء بإسقاط الواو[7] جرياً على ما قبله .

---

(١) في (أ) : بخلاف .

(٢) في (أ) : السبيل .

(٣) رواه ابن ماجه (١٣٧٤/١) - كتاب : الزهد . باب : (١) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير، وزاد نسبته إلى الطبراني في الكبير ، والحاكم ، والبيهقي في شعب الإيمان عن سهل بن سعد ، ثم ذكر أنه صحيح .

وقال المناوي : « وحسنه الترمذي ، وتبعه النووي وصححه الحاكم ، واغتر به المصنف فرمز لصحته ، وكأنه ما شعر بتشنيع الذهبي عليه بأنه فيه خالد بن عمر ، وضاع ، ومحمد بن كثير المصيصي ، ضعفه أحمد . .

فيض القدير (٤٨١/١) .

(٤) البحر (٣٥/٥) .

(٥) لم أعثر على شيء في ذلك ، إلا ما رواه البخاري عن زيد بن وهب قال : « مررت على أبي ذر بالربذة ، فقلت : ما أنزلك بهذه الأرض ؟

قال : كنا بالشام ، فقرأت : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، فبشرهم بعذابٍ أليم) ، قال معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا في أهل الكتاب . قال : قلت : « إنها لفينا وفيهم » .

البخاري (٢٠٣/٥) كتاب : تفسير القرآن . باب : (٦) .

وانظر تفسير القرآن العظيم (٣٥٢/٢) .

(٦) والقول بالعموم في الآية هو مذهب ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي طلحة . انظر تفسير القرآن العظيم (٣٥٢/٢) .

(٧) أي بإسقاط الواو من (والذين . . . . .) ، وهي قراءة طلحة بن مصرف . الدر المصون (٤١/٦) .



وقرىء : (يكنزون) بضم أوله[1] من أكنز . وأصل الكنز في اللغة ، الضم والجمع ، ثم غلب استعماله في المدفون من الذهب والفضة ، وخُصّا بالذكر من بين سائر الأموال لأنهما قيمة الأشياء وأثمانها . **(ولا ينفقونها/٣٤)** الضمير ، قيل : للذهب ، لأن تأنيثه أشهر . وقيل : للكنز أو النفقة الدال عليها الفعل . وقيل : للفضة عَوداً على أحد المذكورين ، كقوله : **(تجارةً أو لهواً ، انفضوا إليها)**[2] .
(فبشِّرهم/٣٤) دخلت الفاء لتَضَمُّن الذين معنى الشرط . **(يوم/٣٥)** ناصبه أليم ، أو يعذبون الدال عليه عذاب[3] . **(يُحْمَى/٣٥)** بالتحتية[4]، من أحميت الحديدة ، أدخلتها في النار لتحمى ، وبالفوقية[5]، على معنى تحمى النار عليها .
(فتُكْوَى/٣٥) قرىء بالتحتية[6] للفصل . **(جباههم وجنوبهم وظهورهم/٣٥)** قيل : خُصَّت هذه المواضع بالكَي لأنها[7] في الجبهة أشنع ، وفي الجنب والظهر أوجع ، وقيل : لأنها مُجَوَّفة ، فيصل إلى أجوافها الحر ، بخلاف اليد والرجل . وقيل : لأنهم كانوا يعبسون وجوههم ، إذا رأوا الفقير ، وينحرفون عنه بجنوبهم ، ويُولونه ظهورهم[8] . **(هذا/٣٥)** على إضمار القول ، أي ويقال لهم وقت الكي ، والإشارة إلى المال المكنوز ، لأنه حاضر يُحمى عليه ، ويعذّب به ، أو إلى الكي على

---

(١) عن أبي السمال ، ويحيى بن يعمر . البحر (٥/٣٦) .
(٢) الجمعة (١١) : وانظر زاد المسير (٣/٤٢٩) ، ومعاني القرآن للفراء (١/٤٣٤) ، والبحر (٥/٣٦) ، والدر المصون (٦/٤٢) .
(٣) انظر البحر (٥/٣٦ - ٣٧) .
(٤) في (أ) : دخلت الفاء .
(٥) القراءة الأولى هي قراءة الجمهور . والقراءة الثانية هي قراءة الحسن وابن عامر . البحر (٥/٣٦) .
(٦) عن أبي حيوة . البحر (٥/٣٧) ، وابن خالويه (٥٢) .
(٧) في (ب) : لأنه .
(٨) القول الثاني من الأقوال المذكورة هنا ، هو قول أبي ذر فيما رواه عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤٣١) . وفي صحيح مسلم عن الأحنف بن قيس قال : « كنت في نفر من قريش ، فمر أبو ذر وهو يقول : « بشّر الكانزين بكي في ظهورهم ، يخرج من جنوبهم ، وبكي من قبل أقفائهم يخرج من جباههم ، قال : ثم تنحى فقعد ، قال : قلت من هذا ؟. قالوا : أبو ذر . قال : فقمت إليه . قلت : ما شيء سمعتك تقول قبيل ؟ قال : ما قلت إلا شيئاً قد سمعته من نبيهم -ﷺ- قال : قلت : ما تقول في هذا العطاء ؟ قال : خذه ، فإن اليوم معونة ، فإذا كان ثمناً لدينك فدعه . =



حذف مضاف ، أي جزاء ما كنزتم ، والأمران في قوله : (**فذوقوا ما كنتم تكنزون/٣٥**) ، وقرىء بضم النون[1] . (**إن عدة الشهور**) أبوحيان : « مناسبة الآية لما قبلها ، أنه تعالى لما ذكر أنواعاً من قبائح أهل الشرك وأهل العذاب ، ذكر أيضاً نوعاً منها ، وهو تغيير العرب أحكام الله في الأشهر ، من إحلال شهر حرام ، وتحريم آخر بدله ، فإنهم كانوا يستحلون المُحَرَّم ، فيقاتلون فيه لاستطالتهم ثلاثة أشهر حُرُم متوالية ، ويُحَرِّمون بدله صَفَر »[2] . وصدّر بذكر عدد الشهور ، وتبيين الحُرُم منها ، وأن ذلك مكتوب (**عند الله/٣٦**) من مبدأ الخلق . وأتى بالشهور جمع كثرة ، لأنها فوق العشرة . (**عند الله/٣٦**) أي في حكمه . (**اثنى عشر/٣٦**) قرىء بسكون الشين وبسكون العين ، مع إثبات الألف[3] ، ففيه جمع بين ساكِنَين على غير حِدة[4] ، كما روي : التقت حَلَقتا البِطان[5] ، بإثبات ألف « حلقتا » . (**شهراً/٣٦**) تمييز مؤكد . وفي تذكرة ابن الصائغ : « سأل العلامة ركن الدين[6] عن فائدة (**شهراً**) ، مع أن (**اثنى عشر**) خبر عن (**عدة**) ، ولا مدخل لشهر في العدة أصلاً ، وهو سؤال حسن ، وجوابه أنه قد قيّد عدة الشهور بكونها عند الله ، فأخبر

= مسلم (٦٩٠/١) كتاب : الزكاة . باب (١٠) .
وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -ﷺ- : (ما من صاحب كنز ، لا يؤدي زكاته ، إلا أحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح ، فيكوى بها جنباه وجبينه ، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . . .) .
مسلم (٦٨٢/١) كتاب : الزكاة . باب (٦) .

(١) عن يحيى بن يعمر ، وأبي السمال - كما في ابن خالويه (٥٢) .
(٢) البحر (٣٨/٥) بتصرف وشرح .
(٣) القراءة الأولى هي قراءة طلحة ، والقراءة الثانية هي قراءة ابن القعقاع ، وهبيرة عن حفص (البحر ٣٨/٥) .
(٤) في (أ) : حـد .
(٥) وهو مثل يضرب للأمر إذا اشتد . جمهرة الأمثال (١٨٨/١) ، والبطان : حزام الرحل .
(٦) لعل المقصود هنا ، ركن الدين ، حسن بن محمد الاستراباذي الموصلي الشافعي ، ولي التدريس بالمدرسة النورية . من تصانيفه : شرح مقدمة ابن الحاجب ، المساة بالكافية ، وشرح الشافية لابن الحاجب في التصريف ، توفي سنة ٧١٥هـ . الدرر الكامنة (١٦/٢ ، ١٧) ، وطبقات الشافعية (٨٦/٦) ، ومعجم المؤلفين (٢٨٣/٢) .



عن تلك العدة المقيَّدة بأنها اثنى عشر شهراً من شهورنا المعروفة ، وفي ذلك فائدة عظيمة ، ألا ترى قوله تعالى : (وإن يوماً عند ربك كألف سنةٍ مما تعدّون)[(١)] فكانت الفائدة في ذلك أن عِدة الشهور عند الله اثنى عشر شهراً مما تعدّونه شهراً ».

(في كتاب الله/٣٦) ، أي حكمه . وقيل : اللوح المحفوظ . وقيل : القرآن لأنها هِلالية ، وذلك في قوله: (يسألونك عن الأهلة)[(٢)] الآية ، وقوله: (وقدَّره منازل لتعلموا)[(٣)] الآية[(٤)] . (يوم/٣) متعلق بكتاب .

ابن عطية : « أي فيما كتبه وأثبته في اللوح أو غيّره ، فهي صفة فعل ، مثل خلقه ، ورزقه ، وليس بمعنى قضائه وقدره ، لأن تلك قديمة قبل خلق السموات والأرض »[(٥)].

أبو حيان: « لما كانت أشياء توصف بكونها عند الله ، ولا يقال فيها إنها مكتوبة في كتاب الله ، (إن الله عنده علم الساعة)[(٦)] ، جمع هنا بينهما ، إذ لا تعارض »[(٧)] .

(منها/٣٦) الضمير عائد على (اثنى عشر) وفي (فيهن) عائد إلى الأربعة ، لأن القاعدة العربية عودها على الكثير ، وهن على القليل ، وسر ذلك الاعتبار بالتمييز كما بيّناه في الأنفال[(٨)] وخصّ الأربعة بالنهي عن الظلم فيهن ، وإن كان منهياً عنه في كل وقت تشريفاً لها ، وتعظيماً لحرمتها . [(كافةً/٣٦) حال من الفاعل أو المفعول][(٩)] . (النسِيءُ/٣٧) مصدر كالنكير ، بمعنى التأخير ، أي تأخير حُرْمة شهر

---

(١) الحج (٤٧) .

(٢) البقرة (١٨٩) .

(٣) يونس (٥) .

(٤) انظر البحر في هذه الأقوال (٥/٣٨) . وقد جزم ابن الجوزي بالقول الثاني ، وهو قول ابن عباس زاد المسير (٣/٤٣٢) . وهو ما صدّر به الألوسي . روح المعاني (١٠/٨٩) .

(٥) المحرر (٦/٤٨٤) .

(٦) لقمان (٣٤) .

(٧) البحر (٥/٣٨) .

(٨) انظر ص ( ) من هذه الرسالة .

(٩) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) .



إلى غيره . وفي قراءة بالتشديد بلا همز على تسهيله ، والإدغام ، كنَبي[1] . وقرىء بسكون السين[2] ، و(النَّسوء) بوزن فَعُول ، بفتح الفاء[3] . (يُضَلُّ/٣٧) بالبناء للفاعل والمفعول[4] . وقرىء بضم أوله من أضلَّ[5] ، فالفاعل ضمير الله ، أو الذين كفروا ، والمفعول محذوف ، أي أتباعهم . وقرىء (يَضَلُّ) بفتحتين ، لغة . وقرىء (نُضِلُّ) بالنون المضمومة[6] ، ففيه التفات إلى المتكلم . وفي (حرّم الله) التفات منه إلى الغيبة . (لِيواطِئوا/٣٧) قرىء بالياء المحضة ، بدلاً من الهمزة ، وتشديد الياء[7] ، مبالغة في بيان الياء وتخلّصها[8] من الهمز .

(زُيِّنَ/٣٧) قرىء بالبناء للفاعل[9] ، ففيه ضمير راجع إلى ذلك الفعل . (يأيها الذين آمنوا/٣٨) هذه أول الآيات النازلة في غزوة تبوك ، وهي من هنا إلى أواخر السورة نزلت تعاتبهم على تثاقلهم عن النفر إليها ، لأنها كانت في وقت عسرة وحرٍّ شديد ، وقد طابت الثمار والظلال . ووجه ارتباطها بما تقدم ، أنه تعالى لما شرح معايب الكفار ، رغَّب في مقاتلتهم . (ما لكم/٣٨) استفهام إنكار وتقريع . (اثّاقَلْتم/٣٨) قرىء (تثاقلتم)[10] على الأصل . وقرىء (أثاقلتم) بفتح الهمزة[11]

---

(١) قراءة (النسيء) بتشديد الياء من غير همز هي قراءة الزهري ، وحميد ، وأبي جعفر ، وورش عن نافع والحلواني .

ورويت هذه القراءة أيضاً عن ابن كثير مع تسهيل الهمزة بإبدالها ياء وإدغام الياء فيها . السبعة (٣١٤) ، والتيسير (١١٨) ، والبحر (٣٩/٥) ، وابن خالويه (٥٢) .

(٢) قرأ بذلك السلمي ، وطلحة ، والأشهب ، وشبل . البحر (٣٩/٥) ، والدر المصون (٤٧/٦) .

(٣) قرأ بذلك مجاهد ، ورويت عن طلحة والسلمي . البحر (٤٠/٥) .

(٤) هذه قراءة الأخوان ، وخلف ، وأما القراءة السابقة فهي قراءة البقية . السبعة (٣١٤) ، وحجة القراءات (٣١٨) ، والبحر (٤٠/٥) .

(٥) عن ابن مسعود في رواية ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وعمرو بن ميمون ، ويعقوب . البحر (٤٠/٥) ، وابن خالويه (٥٢) .

(٦) هذه قراءة النخعي ، ومحبوب عن الحسن ، والقراءة السابقة هي قراءة أبي رجاء . البحر (٤٠/٥) .

(٧) عن الزهري . ابن خالويه (٥٢) .

(٨) في (ب) : وتخليصها .

(٩) عن زيد بن علي ، ونسبها ابن خالويه إلى ابن مسعود . البحر (٤١/٥) ، وابن خالويه (٥٢) .

(١٠) عن الأعمش . البحر (٤١/٥) ، وابن خالويه (٥٣) .

(١١) البحر (٤١/٥) دون نسبة ، ونسبها ابن خالويه (٥٣) إلى أبي عمرو .



للاستفهام ، على تقدير : فيما قبله ، أي ما لكم تتثاقلون ، كما قال أبوحيان[(١)] ، أو ما تصنعون إذا قيل لكم ، كما قال الزمخشري[(٢)] .

ولما ضمّن (**اثّاقلتم/٣٨**) معنى المَيل والإخلاد ، عُدِّي بإلى . (**أَرَضِيتم/٣٨**) استفهام إنكار وتعجب . (**من الآخرة/٣٨**) أي بدلها . (**في الآخرة/٣٨**) قيل : متعلق بمحذوف ، أي محسوباً في نِعَم الآخرة . وقيل : تقليل[(٣)] .

(**ولا تَضرُّوه/٣٩**) الضمير لله ، وقيل : للرسول[(٤)] . (**والله على كل شيءٍ قديرٌ/٣٩**) الختم به مناسب لما ذكر في الآية من التعذيب والاستبدال وانتفاء الضرر . (**إلا تنصروه/٤٠**) الضمير للرسول خاصة ، وجواب الشرط محذوف ، دلَّ عليه ما بعده ، أي فسينصره في المستقبل ، كما نصره في الماضي . (**سَكينَتَهُ عليه/٤٠**) قيل : على الرسول ، كضمير (**أيَّده/٤٠**) . وقيل : على صاحبه[(٥)] ، لأن الرسول-ﷺ- لم تزل معه السكينة ، ففيه تلوين الضمائر . وقيل : عليهما[(٦)] ، وأُفرد لتلازمهما ، وفي مصحف حفصة (**عليهما وأيّدهما**)[(٧)] .

---

(١) البحر (٥/٤١) .

(٢) الكشاف (٢/١٨٩) .

(٣) قال أبو حيان بالقول الأول ، ونسب القول الثاني إلى الحوفي . البحر (٥/٤٢) ، وانظر الدر المصون (٦/٥١) .

(٤) القول الأول ، هو قول الحسن ، وهو ما عليه ابن كثير ، والقول الثاني هو قول الزجاج ، وذكر ابن عطية أنه هو الأليق .
معاني القرآن للزجاج (٢/٤٤٨) ، زاد المسير (٣/٤٣٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/٣٥٨) ، والمحرر (٦/٤٩٦) ، والبحر (٥/٤٢) .

(٥) هذا القول مروي عن ابن عباس وغيره ، والقول السابق هو الأشهر . وإذا كان -ﷺ- لم تزل معه سكينة ، فإن ذلك لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ، ولهذا قال : (**وأيده بجنودٍ لم تروها**) .
انظر زاد المسير (٣/٤٤٠ ، ٤٤١) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/٣٥٨) .

(٦) ذكره ابن الأنباري - كما في زاد المسير (٣/٤٤١) .

(٧) البحر (٥/٤٣) .



وقرىء (وآيده) بالمد[1]. (وكلمةُ اللهِ/٤٠) بالرفع على الإخبار، لأنه أثبت. وقرىء بالنصب[2] أي وجعل. (والله عزيزٌ حكيمٌ/٤٠) الختم به مناسب للدلالة[3] على القهر والغلبة، والحكمة المناسب لإعزاز دينه وأوليائه، وإخماد الكفر وأعدائه. (انفروا خفافاً وثقالاً/٤١) لما توَّعد من تثاقل عن النفر مع الرسول، وضرب له من الأمثال ما ضرب، أتبعه بهذا الأمر الجزم. والخفة والثقل مستعارات لمن يمكنه السفر بسهولة، ومن يمكنه بصعوبة. (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) قدّم الأموال، لأنها أول ما يُصرف وقت التجهيز. (لو كان عَرَضاً/٤٢) الآية، عدل عن خطابهم إلى خطاب النبي -ﷺ- بخبره عن المخلَّفين. (بَعُدَت/٤٢) قرىء بكسر العين[4]، لغة تميم. (الشُّقَّةُ/٤٢) هي الغاية التي تُقصد. وقرىء بكسر الشين[5]، لغة تميم. (وسيحلفون/٤٢) إخبار بغيب، والقول مقدَّر في الآية، إما قبل (بالله/٤٢)، أو بعده وإلا لقيل: لو استطاعوا لخرجوا[6][7]. (لو/٤٢) قرىء بضم الواو[8] فراراً من تثقل الكسرة[9] عليها، وبفتحها[10]. (عفا اللّهُ عنكَ/٤٣) هو استفتاح كلام يخاطب به من يراد تعظيمه، ورفع[11] قدره، كما يقال: أصلح الله الأمير كان كذا وكذا، وهذه عادة العرب في محاوراتهم، قاله جماعة.

---

(١) عن مجاهد - المحرر (٦/٥٠٠).

(٢) قراءة الرفع هي قراءة الجمهور، وقراءة النصب هي قراءة الحسن بن أبي الحسن، ويعقوب، وأبي مجلز، والأعمش. المحرر (٦/٥٠٠)، وابن خالويه (٥٢).

(٣) في (ب): لدلالته.

(٤) عن عيسى بن عمر. البحر (٥/٤٥)، وابن خالويه (٥٣).

(٥) عن عيسى بن عمر، والأعرج. البحر (٥/٤٥)، وابن خالويه (٥٣).

(٦) في (أ): يخرجوا.

(٧) انظر الدر المصون (٦/٥٣).

(٨) عن الأعمش، وزيد بن علي. البحر (٥/٤٦).

(٩) في (أ): الكثرة.

(١٠) قرأ بذلك الحسن - كما في الدر المصون (٦/٥٤).

(١١) في (ب): ورفعه.

ولما كان في الكلام نوع عتب على الأُذْن ، بدىء بذلك تأنيساً له وخوفاً على قلبه أن يتأثر لهيبة الكلام ، وهذه من الله بنبيه -عليه الصلاة والسلام- غاية المبرّة. (**حتى/٤٣**) غاية لمحذوف أي وهلاّ أخّرتهم ، أو تركتهم بلا إذن . (**لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر/٤٤**) أي في القعود كراهة أن يجاهدوا ، أو في ترك أن يجاهدوا .

ولما كانت الآية في المؤمنين ، ناسب ختمها بالمتقين ، ولما كانت التي بعدها في المنافقين ، ناسب ختمها بقوله: (**يترددون/٤٥**) .

(**عُدَّةً/٤٦**) قرىء بإسقاط التاء[١] على حد « وإقام الصلاة »[٢] مضافاً للضمير ، وقرىء عِدَّه بكسر العين وبالتاء ، وبالكسر وهاء الضمير[٣]. (**ولكن/٤٦**) الكشاف[٤]: « فإن قلت : كيف موقع حرف الاستدراك ؟

قلت : لما كان قوله: (**ولو أرادوا الخروج/٤٦**) معطياً معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو، صح وقوع (**ولكن كره الله انبعاثهم/٤٦**) ، كأنه قيل : اخرجوا ، ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهته انبعاثهم »[٥].

وقيل : حكاية عن قول الله في سابق قضائه[٦]، والقعود عبارة عن التخلف . (**ما زادوكم/٤٧**) قرىء (زادكم) بالإفراد[٧] ، أي خروجهم . (**ولأَوْضَعُوا/٤٧**) أي أسرعوا ، ومفعوله محذوف ، أي ركائبهم ، لأن الراكب أسرع من الماشي .

---

(١) مع ضم العين ، وهي قراءة محمد بن عبد الملك بن مروان ، وابنه معاوية - البحر (٤٨/٥) .
(٢) النور (٣٧) .
(٣) هذه قراءة زر بن حبيش ، وعاصم في رواية ، والقراءة السابقة نسبها ابن خالويه إلى زر بن حبيش أيضاً . الدر المصون (٥٨/٦) ، وابن خالويه (٥٣) .
(٤) كلمة « الكشاف » ليست في (أ) .
(٥) الكشاف (١٩٣/٢) .
(٦) انظر البحر (٤٨/٥) .
(٧) قرأها ابن أبي عبلة . البحر (٤٩/٥) .



وقـرىء (ولأوفضـوا)[1] أي أسرعـوا ، كقـولـه : (إلى نُصُبٍ يُوفِضُـون)[2] .
و (لأرفضـوا) بالراء[3] بمعناه . (وفيكم سمّاعون لهم/٤٧) أي نمّامون يسمعون
حديثكم ، فينقلونه إليهم ، أو قوم يسمعون لهم ويطيعونهم ، فاللام على الأول
للتعليل ، وعلى الثاني لتقوية التعـدية[4] . (والله عليمٌ بالظالمين/٤٧) عام في
المنافقين والسمّاعين ، وهو تهديد . (وقلّبوا/٤٨) قرىء بتخفيف اللام[5] . (ولا
تَفْتِنِّي/٤٩) قرىء بضم أولـه ، ومن (أفتن) لغـة تميم[6] . (سقـطوا/٤) قرىء
(سقط)[7] مراعاة للفظ (مَن/٤٩) . وفي الآيات تلوين الخطاب بين النبي -ﷺ-
والمؤمنين .

(قل لَن يُصيبَنا/٥١) قرىء (قل هل يُصَيِّبنا) بتشديد الياء ، مضارع صيّب .
وقرىء (لن يُصيبَنَّا) بنون التوكيد[8] ، على تشبيه « أن » بـ« لا » ، و« لم » . (إلا
إحدى الحسنيين/٥٢) أي الغنيمة أو الشهادة . (ونحن نتربص بكم/٥٢) أي أحد
السوأين المفسر بما صرّح به ، ففيه احتباك ، حيث حذف من كل شق ، ما أثبت
نظيره في الآخر .

وقرىء (إلاحدى) بوصل ألف (احدى)[9] لغة[10] . (فتربصوا/٥٢) أمر تهديد .
(أنفقوا/٥٣) قال الزمخشري : « هو أمر في معنى الخبر ، كقوله: (فليمدد له الرحمن

(١) عن مجاهد ، ومحمد بن زيد . البحر (٤٩/٥) ، وابن خالويه (٥٣) .
(٢) المعـارج (٤٣) .
(٣) عن ابن الزبير . البحر (٤٩/٥) ، والدر المصون (٦٠/٦) .
(٤) البحـر (٤٠/٥) .
(٥) عن مسلمة بن محارب . البحر (٥٠/٥) ، وابن خالويه (٥٣) .
(٦) هي قراءة عيسى بن عمرو ، وابن السميفع ، ونسبهـا ابن مجاهـد إلى إسماعيل المكي . البحر (٥١/٥) ، وانظر ابن خالويه (٥٣) ، والمحرر (٥١٥/٦) .
(٧) لم أجد هذه القراءة فيما اطلعت عليه .
(٨) القراءة الأولى هي قراءة ابن مصرف ، وأعين قاضـي الري . والقراءة الثانية وردت عن أعين قاضـي الري أيضاً . البحر (٥١/٥) ، وانظر ابن خالويه (٥٣) .
(٩) في (أ) : القسـمة .
(١٠) عن ابن محيصن . المحرر (٥٢١/٦) .

مداً)[1] ، والمعنى : لن يتقبل منكم ما أنفقتم طوعاً أو كرهاً »[2] .

وقرىء بضم الكاف[3] . (إنكم كنتم قوماً فاسقين/٥٣) تعليل لعدم التقبّل . (إنما يتقبل الله من المتقين)[4] ، وذلك في فسق مخصوص ، وهو الكفر والنفاق ، كما زاده إيضاحاً بقوله : (وما منعهم/٥٤) الآية ، فبدأ بالكفر ، وضم إليه التهاون بالصلاة ، التي هي رأس الأعمال البدنية والزكاة التي هي قرينتها .

ابن جماعة : « قال هنا : (كفروا بالله وبرسوله/٥٤) ، وفيما سيأتي : (ورسوله)[5] ، لأن ما هنا في[6] سياق إثبات بعد نفي ، فناسب التأكيد بإعادة الجار »[7] . والقراءة (يقبل/٥٤) بالياء والتاء[8] .

وقرىء (نقبل) بالنون[9] ، ففيه التفات ، ثم في (بالله) التفات ثان . وقرىء (نفقتهم) بالإفراد[10] . (فلا تُعْجِبْك/٥٥) الآية ، لما قطع سبحانه رجاء المنافقين من[11] جميع منافع الآخرة ، بيِّن أن ما أُوتوه من منافع الدنيا ، إنما هي[12] أسباب لتعذيبهم ، فلا ينبغي أن يُستحسن ، قيل : وفي الآية تقديم وتأخير ، والمعنى : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة ، فجملة (إنما يريد/٥٥) اعتراض لتشد[13] الكلام وتقويه لانتفاء الإعجاب . وقيل : هي على ظاهرها ، والتعذيب بها في الدنيا لما يقاسونه من التعب

---

(١) مريم (٧٥) .

(٢) الكشاف (٢/١٩٥) .

(٣) عن الأعمش وابن وثاب . البحر (٥/٥٢) .

(٤) المائدة (٢٧) .

(٥) التوبة (٥٩ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٠٥) .

(٦) حرف « في » ليس في (ب) .

(٧) كشف المعاني (١٨٥) .

(٨) قراءة الياء هي قراءة حمزة والكسائي ، وقراءة التاء هي قراءة البقية . حجة القراءات (٣١٩) .

(٩) قرأت بذلك فرقة - كما في البحر (٥/٥٣) ، والمحرر (٦/٥٢٤) .

(١٠) عن الأعرج . البحر (٥/٥٣) ، والمحرر (٦/٥٢٤) ، وابن خالويه (٥٣) .

(١١) في (أ) : بين . (١٢) في (ب) : هم . (١٣) في (أ) : لتشييد .

في جمعها وحفظها ، والرزايا فيها من غير أجر ، والحسرة على تخلّفها[1] . وقدّم الأموال على الأولاد ، لأنها كانت أعلق بقلوبهم ، وهم إليها أميل ، ولهذا كان منهم من يقتل ولده خشية ذهاب ماله[2] .

ابن جماعة : « الآية هنا بالفاء ، وتكرار لا وباللام في ليعذبهم وبلفظ الحياة ، وقال بعد (ولا تعجبك/٨٥) الآية بالواو ، وسقوط لا والحياة ، و[أن/٨٥] موضع اللام ، لأن هذه في قوم أحياء ، وقبلها أفعال مضارعة ، تتضمن معنى الشرط ، كأنه قيل : إن اتَّصفُوا بهذه الصفات من الكسل وما ذكر ، فلا تُعجبك ، والآيتين في قوم أموات ، وقبلها أفعال ماضية ، فلا يصلح الشرط ، فناسب مجيئها بالواو ، ولما تقدم التأكيد بالحصر في قوله : [(إلا أنهم/٥٤) ، (إلا وهم/٥٤)][3] ناسب التأكيد بتكرار لا ، بخلاف الآتية ، ومفعول الإرادة هنا محذوف ، أي ما هم فيه من الأموال والأولاد ، واللام تعليلية ، ومفعولها في الآتية [(أن يعذبهم/٨٥) ، كما تقدم في (يريدون أن يطفئوا/٣٢) ونظيرتها ، وحذف الحياة في الآتية][4] إيجازاً ، واكتفاءً بذكرها في الأولى ، وإيذاناً بخستها ، وأنها لا تستحق أن تُسمى حياة ، ولا سِيما حين تقدمها ذكر موت أربابها ، فناسب ألا تُسمى حياة »[5] .

[أبو حيان : « الزهوق : الخروج بصعوبة »][6] . (ويحلفون/٥٦) الآيتين لما ذكر سبحانه فِرق المنافقين ، أخبر بحالهم مع المؤمنين ، من الحلف لهم أنهم منهم ، والفِرق منهم ، وأنه لو أمكنهم الهرب[7] ، هربوا ، وقرىء (مغاراتٍ) بضم الميم[8] ، من أغار الرجل ، بمعنى غار ، أي دخل ، أو من أغار الثعلب ، إذا

(١) في (ب) : تخليفها .
(٢) انظر البحر (٥/٥٤) .
(٣) ما بين القوسين ليس موجوداً في (أ) .
(٤) ما بين القوسين غير موجود في (أ) .
(٥) كشف المعاني (١٨٦) .
(٦) ما بين القوسين ليس مثبتاً في (أ) . وانظر البحر (٥/٣٥) .
(٧) كلمة « الهرب » ليست في (أ) .
(٨) عن سعد بن عبد الرحمن بن عوف . البحر (٥/٥٥) ، وابن خالويه (٥٣) .



أسرع ، يعني مهـارب ومغـاراً . (مُدَّخلاً/٥٧) بتأكيد ومبالغة ، أصله مدتخل ، مفتعل ، من ادّخل ، وفي قراءة (مَدخلاً) بفتح الميم ، من دخل ، وقرىء بضم الميم من أدخـل ، وقرىء (مُنْدَخَلاً) بالنون من اندخل ، و(متدخلاً) بالتاء[1] . أبوحيان : « بُدىء بالأعم ، وهو بالملجأ ، ثم بالمغارات وهي الغِيران في الجبال ، ثم بالمدخل[2]، وهو النفق باطن الأرض »[3] . (لَوَلَّوا/٥٧) قرىء (لَوَالَوا)[4] من الموالاة ، أي لتابعوا ، وأسرعوا إليه . وقرىء (لَوَأَلُوا) بالهمز[5]، أي[6] لا لتجؤوا إليه . وأفرد الضمير في (إليه/٥٧) ، لأن العطف بأو . (وهم يجمحون/٥٧) قرىء (يحجـزون) بالجيم والـزاي[7] بمعنـاه ، أي يسرعـون ويهـرولون . (ومنهم من يلمزك/٥٨) الآيات ، هذه الآيات لم تنزل في قصة تبوك ، وإنما وُضعت هنا لكون الأمرين من المنافقين[8]، والسورة غالبها لبيان أحوالهم ، وكشف عوراتهم[9]، ولذا قيل مازالت تنزل (ومنهم) ، (ومنهم) ، حتى ظننا أنها لا تُبقي أحداً ، فناسب ذكرها في خلال ذكرهم ، وقد تقدم (ومنهم من يقول ائذن لي/٤٩) ، ويأتي (ومنهم الذين يُؤذون النبي/٦١) ، (ومنهم من عاهد الله/٧٥) .

---

(١) القـراءة الأولى هي قراءة الحسن ، وعبـد الله بن مسلم ، ومسلمـة بن محارب ، وابن محيصن ، ويعقوب ، وابن كثير بخلاف عنه ، والقراءة الثانية هي قراءة محبوب عن الحسن ، والقراءة الثالثة هي قراءة أبيّ ، والقراءة الأخيرة هي قراءة أبي حاتم . البحر (٥/٥٥) ، وابن خالويه (٥٣) .

(٢) عبارة : « ثم بالمدخل » ليسـت في (أ) .

(٣) البحـر (٥/٥٥) بقليل من الاختصار .

(٤) قرأ بذلك الأشهب العقيلي ، ورواها ابن أبي عبيدة بن معاوية بن نوفل عن أبيه عن جده . ابن خالويه (٥٣) ، والبحر (٥/٥٥) ، والدر المصون (٦/٧٠) .

(٥) أنكر سعيد بن مسلم القراءة السابقة على هذه القراءة ، وظن أنها تكون على هذا النحو المذكور هنا . البحر (٥/٥٥) .

(٦) في (أ) : الذي أي .

(٧) عن أنس بن مالك والأعمش . البحر (٥/٥٥) .

(٨) روى ابن جرير الطبري أن سبب النزول هو أن ذا الخويصرة التميمي قال للنبي-ﷺ- يوماً: اعدل يا رسول الله ، فنزلت هذه الآية . جامع البيان (١٤/٣٠٣) . وقصة ذي الخويصرة -معراة عن سبب النزول- رواها البخاري (٦/٢٠٥) كتاب : تفسير القرآن - باب (١٠) .

(٩) في (ب) : عوارهـم .



الليث : « اللَّمز[1] : كالمغمز[2] في الوجه »[3] وقال الجوهري : « العيب ، وأصله الإشارة بالعين ونحوها »[4] .

وفي قراءة (يلمزك/٥٨) بضم الميم . وقرىء (يُلامِزُك)[5] ، وهي مفاعلة من واحد . وأتى بـ(رضوا/٥٨) جملة فعلية للإشارة إلى عدم ثبوته ، وبالسخط اسمية ، لأنه ثابت لهم ملازم ، وقرنه بإذا المفاجئه ، للإشارة إلى سرعة مفاجأتهم بالسخط ، وعدم تأخيره .

(ولو أنهم رَضُوا/٥٩) الآية ، بدأ بالوصف القلبي ، وهو الرضى ، ثم بالقولي . ولما كانتا متغايرتين[6] تعاطفتا ، ثم بالرجاء ، ثم بالالتجاء ، ولما كانتا متلازمتين ، وهما كالشرح لقولهم: (حسبنا الله/٥٩) ، ترك[7] التعاطف .

وفي (رسوله/٥٩) التفات عن الكاف . وفي تقديم إلى الله إفادة الاختصاص وجواب « لو » محذوف ، أي لكان خيراً لهم . (إنما الصدقات/٦٠) الآية ، لما ذكر تعالى من يعيب الرسول في قسم الصدقات ويريد إعطاءه منها ، ذكر مستحقيها ، ليعلم أنه لا حق لغيرهم فيها ، فلا عيب على الرسول في عدم إعطائهم منها ، وليمنع من ليس من أهلها من طلبها ، والتشوف إليها ، وأكَّد ذلك بقوله (فريضةً من الله/٦٠) وبقوله : (والله عليمٌ حكيمٌ/٦٠) ، ليُعلم أن ذلك حكم جزم من الإله القادر الغالب القاهر العليم لما[8] يفرض ، الذي يضع الشيء

---

(١) « اللمز » : ليست في (أ) .
(٢) في (أ) بدلاً من « كالغمز في » : المولي .
(٣) البحر (٥/٣٥) .
(٤) الصحاح (٣/٨٩٥) مادة : لمز .
(٥) القراءة الأولى هي قراءة يعقوب ، والحسن ، وحماد بن سلمة عن ابن كثير . والقراءة الثانية مروية أيضاً عن حماد بن سلمة عن ابن كثير. البحر (٥/٥٦) ، وابن خالويه (٥٣) .
(٦) في (أ) : تغاير بين ، وفي (ب) : مغايرتين - ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٧) في (أ) : نزل .
(٨) في (أ) : كما .



في محله بحكمته الباهرة وعدّى العاملين بعلى ، لا بفي ، لأنها للاستعلاء المشعر بالولاية .

الكشاف : « فإن قلت : لِمَ عدل عن اللام إلى (في) في الأربعة الأخيرة ؟

قلت : للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره ، لأن في للوعاء ، فنبَّه على أنهم أحِقاء بأن تُوضع فيهم الصدقات ويُجعلوا مظِنة لها . وتكرير[1] « في » في قوله: (وفي سبيل الله ، وابن السبيل) : فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين ، لما فيهما من الجمع بين الفقر والعبادة والغربة .

فإن قلت : فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف[2] ذكر المنافقين ؟.

قلت : دلّ بكون هذه الأصناف خاصة مصارف الصدقات على أنهم ليسوا منها ، حسماً لأطماعهم ، وإشعاراً باستيجابهم الحرمان »[3] . وقرىء (فريضة/٦٠) بالرفع[4] على معنى : تلك فريضة . (ومنهم الذين يؤذون النبي/٦١) وجه الربط بما قبله ظاهر ، لأن كلًّا حكاية قول مصدر من المنافقين في أذى النبي -ﷺ- ، فذاك قولهم فيه[5]، إنه لم يعدل في القسمة ، وهذا قولهم فيه[6] : (هو أُذُنٌ). (ويقولون هو أُذُنٌ/٦١) [أي يصدِّق كل ما][7] يسمع ، ويقبل قول كل أحد[8] . سُمِّي بالجارحة التي هي آلة السماع ، كأن جملته أُذُن سامعة ، ويستوي فيه الواحد والجمع . (قل أُذُنُ خير لكم/٦١) فيه القول بالموجب ، كأنه قيل : سلَّمنا أنه أُذُنٌ ، لكنه أُذُنُ خيرٍ، لَا[9] أُذُنُ شرٍ ، كقوله :

(١) في (أ) : وتكرر .
(٢) فيهما : تضاعف .
(٣) الكشاف (٢/١٩٨ - ١٩٩) .
(٤) عن ابن أبي عبلة . الجامع للقرطبي (٨/١٩٢) ، والبحر (٥/٦) .
(٥+٦) في (ب) : فيهم .
(٧) ما بين القوسين ليس في (أ) .
(٨) كلمة « أحد » ليست في (أ) .
(٩) في (ب) : الا .



وإخــوان حســبـتــهــم دروعـــا

فكـــانــوهـــا ، ولــكـــن للأعـــادي

وقـــالـــوا قد صَفَــت منـــا قلوب

صدقـــوا ، ولـــكـــن عن ودادي[1]

و (أُذُن/٦١) خبر هو[2] هو مقـدراً ، وإضافته على حد : رجل صدق . وقرىء بالتنـوين[3] ، ورفـع (خير/٦١) خبر ثان ، أوصفة (أُذُن/٦١)[4] . ثم بيَّن جهة الخيرية بقوله : (يؤمن بالله/٦١) ، ومن آمن بالله كان خائفاً منه ، لا يقدم على الإيذاء بالباطل . (ويؤمن للمؤمنين/٦١) أي يسمع منهم ، ويصدِّقهم ، ويسلم لهم ما يقـولـون لكونهم مؤمنين فهم صادقون ، ولذا عدّى الأول بالباء ، والثاني باللام ، لأن الإيمان الذي هو نقيض الكفر يعدّى بالباء ، والذي بمعنى التسليم يعـدّى بالـلام ، ومنـه : (ومـا أنت بمؤمنٍ لنـا)[5] ، قالـه في الكشـاف[6] . (ورحمةٌ/٦١) بالرفع عطفاً على (يؤمن/٦١) ، وبالجر[7] عطفاً على (خيرٍ/٦١) وما بينهما اعتراض .

وقرىء بالنصب[8] مفعولاً له ، حُذف متعلقه أي ويأذن لكم ورحمة[9] . (والذين يؤذون/٦١) عام في هؤلاء وغـيرهم . (رسـول الله/٦١) من إقامة الظاهر مقام المضمر تعظيماً وتشريفاً ، ووصفه في الآية بوصفي النبوة والرسالة . (والله ورسوله أحق أن يُرْضُوه/٦٢) أفرد الضمير لتلازم الرضاءين ، إذ رِضى الله ، ورِضى رسوله

---

(١) هذه الأبيات لعلي بن فضال المجاشعي القيرواني ، أبو الحسن الفرزدقي . بغية الوعاة (٣٤٥) .

(٢) في (أ) : ثـان .

(٣) عن الحسن ، ومجاهد ، وزيد بن علي ، وأبي بكر عن عاصم في رواية . البحـر (٦٢/٥) .

(٤) انظر الدر المصون (٧٣/٦) .

(٥) يوســف (١٧) .

(٦) الكشاف (١٩٩/٢) .

(٧) هذه قراءة حمزة ، والقراءة السابقة هي قراءة البقية . حجة القراءات (٣٢٠) .

(٨) عن ابن أبي عبلة . البحر (٦٣/٥) .

(٩) في (أ) : رحمة .

واحد[1] . وقيل : حذف من الأول نظير المذكور[2] .

وقيل : فيه تقديم وتأخير ، أي والله أحق أن يرضوه ورسوله[3] . **(ألم يعلموا/٦٣)** استفهام توبيخ . وقرىء بالفوقية[4] ، ففيه التفات . وقرىء **(ألم تعلم)**[5] خطاباً عاماً ، أو للنبي -ﷺ- على الالتفات ، فيكون الاستفهام للتقرير ، **(فأنَّ/٦٣)** بالفتح ، وقرىء بالكسر[6] على الاستئناف . **(عليهم سورةٌ تنبئهم بما في قلوبهم/٦٤)** الضمائر الثلاثة للمنافقين . وقيل : الأخير فقط ، والأولان للمؤمنين[7] . **(استهزِؤوا/٦٤)** أمر تهديد . **(إن نعفُ/٦٦)** بالياء مبنياً للمفعول ، وبالنون ففيه التفات . **(نعذب/٦٦)** بالتاء كذلك ، وبالنون[8] ، وقرىء فيهما بالتحتية ، مبنياً للفاعل ، وبالفوقية للمفعول[9] . **(والمنافقات بعضهم من بعضٍ/٦٧)** ، وقال في المؤمنين : **(بعضهم أولياء بعضٍ)** ، لأن المنافقين أعداء

---

(١) البحر (٥/٦٤) .

(٢) وهو ما قوّاه أبو البقاء في الإملاء (٢/١٧) . ذكره ابن عطية عن سيبويه . المحرر (٦/٥٥٠) ، وانظر الكتاب (١/٧٦) . وقد علقّ أبوحيان على ذلك قائلاً: « فقوله : « مذهب سيبويه أنهما جملتان ، حذفت الأولى ، لدلالة الثانية عليها إن كان الضمير في « أنهما » عائداً على كل واحدة من الجملتين ، فكيف تقول : حذفت الأولى ، ولم تحذف الأولى ، إنما حُذف خبرها . وإن كان الضمير عائداً على الخبر ، وهو (أحق أن يرضوه) ، فلا يكون جملة إلا باعتقاد كون أن يرضوه مبتدأ ، و(أحق) المتقدم خبره ، لكن لا يتعين هذا القول ، إذ يجوز أن يكون الخبر مفرداً ، بأن يكون التقدير : أحق بأن يرضوه ، وعلى التقدير الأول ، يكون التقدير : والله إرضاؤه أحق » . البحر (٥/٦٤) .

(٣) حكاه ابن عطية عن المبرد . المحرر (٦/٥٥١) ، وانظر الدر المصون (٦/٧٥) .

(٤) عن الحسن والأعرج . البحر (٥/٦٤) .

(٥) عن أبيّ . المحرر (٦/٥٥٢) .

(٦) عن ابن أبي عبلة . البحر (٥/٦٥) .

(٧) هذا قول الزمخشري ، والقول السابق ذكر أبو حيان أنه هو الظاهر . الكشاف (٢/١٩٩ - ٢٠٠) ، والبحر (٥/٦٦) .

(٨) القراءة بالنون في (نعف) و (نعذب) ، هي قراءة عاصم . والقراءة بالياء في الأولى ، وبالتاء في الثانية مع البناء للمفعول فيهما هي قراءة الباقين . حجة القراءات (٣٢٠) .

(٩) هذه قراءة مجاهد ، والقراءة السابقة هي قراءة الجحدري . البحر (٥/٦٧) ، وابن خالويه (٥٣) .



السريرة ، لا موالاة بينهم ، كما قال : ﴿تحسبهم جميعاً ، وقلوبهم شتَّى﴾[1] ، إلا أن بعضهم من بعض في الكفر والنفاق . ﴿يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف/٦٧﴾ فيه ثلاث طباقات . ﴿ويقبضون أيديهم/٦٧﴾ كناية عن الشح ، أو عن الإمساك عن كل خير . ﴿نَسُوا الله/٦٧﴾ أي تركوا طاعته . ﴿فنَسِيهم/٦٧﴾ تركهم من رحمته وفضله .

أبو حيان : « يعبَّر عن الترك بالنسيان مبالغة في أنه لا يخطر ذلك ببال »[2] . ﴿كالذين من قبلكم/٦٩﴾ فيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب ، والكاف في موضع نصب ، متعلق بـ: وعد[3] ، أو بـ: فعلتم مقدراً[4] ، أو رفع أي أنتم كالذين[5] . ﴿كانوا أشد/٦٩﴾ إلى آخره ، تفسير لشبههم بهم .

الكشاف : « فإن قلت : أي فائدة في قوله : ﴿فاستمتَعُوا بخلاقهم/٦٩﴾ ، وقوله : ﴿كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم/٦٩﴾ مغنٍ عنه ، كما أغنى : ﴿كالذي خاضوا/٦٩﴾؟ .

قلت : فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع ، ثم يُشبِّه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم ، وأما ﴿وخضتم كالذي خاضوا/٦٩﴾ فمعطوف على ما قبله ومسند إليه ، فاستغنى بإسناده إليه عن تلك المقدمة »[6] .

وقال غيره : « أُعيد ﴿كما استمتع الذين من قبلكم/٦٩﴾ بالاسم الظاهر ، ليدل

---

(١) الحشـر (١٤) .

(٢) البحـر (٦٨/٥) .

(٣) وهو ما ذهب إليه أبو البقاء . الإملاء (١٨/٢) . وهو قول الزجاج ، وأبي البركات بن الأنباري . معاني القرآن (٤٦٠/٢) ، البحر (٦٨/٥) ، البيان (٤٠٣/١) . وقد علّق ابن عطية على هذا قائلاً : « وفي هذا قلق » .

(٤) هذا تقدير الفراء . معاني القرآن (٤٤٦/١) .

(٥) انظر الكشاف (٢١٠/٢) ، والبحر (٦٨/٥) ، والدر المصون (٨٢/٦ - ٨٣) .

(٦) الكشـاف (٢١٠/٢) باختصار .



على التحقير . لأنه كما يدل بإقامة الظاهر مقام المضمر على التعظيم كذلك يدل به على ضده »[1] . (وخضتم/٦٩) أي دخلتم في اللهو وإقامة الباطل ، وهو مستعار من الخوض في الماء .

قال أبو حيان : « ولا يُستعمل إلا في الباطل »[2] .

(كالذي خاضوا/٦٩) أي كالخوض الذي خاضوه . وقيل : الأصل كالذين خاضوا ، فحُذفت النون . وقيل : الذي هنا موصول مصدري[3] . (أولئك/٦٩) الإشارة إلى الذين من قبل . وقيل : للمنافقين ، والخطاب للرسول ، ففيه خروج من خطاب إلى خطاب غير الأول ، ويقوِّيه قوله : (أَلَم يأتهم/٧٠) بالغيبة . وفيه التفات وتبيين لما أبهم في الآية قبل[4] . (أتتهم/٧٠) بيان للنبأ ، وفيه تقدير ، أي فكذَّبوهم ، فأُهلكوا فما[5] كان . (والمؤمنون والمؤمنات/٧١) الآية ، لما ذكر المنافقين والمنافقات وصفاتهم القبيحة ووعيدهم ، عقَّبه بذكر المؤمنين والمؤمنات وأعمالهم الصالحة ، ووعدهم . وفي الآية ثلاث طباقات ، وتعميم بعد تخصيص ، وفيها مع آية المنافقين ثمان مقابلات : (المؤمنون/٧١)[6] في مقابلة المنافقين ، (والمؤمنات/٧١) في مقابلة (والمنافقات/٦٧) ، و(أولياء بعض/٧١) في مقابلة (من بعض/٦٧) ، و(يأمرون بالمعروف/٧١) في مقابلة (يأمرون بالمنكر)[7] ، (ويُؤْتُون الزكاة/٧١) في مقابلة (ويقبضون أيديهم/٦٧) ، (ويطيعون الله/٦٧) في مقابلة (نسوا الله/٦٧) ، و(سيرحمهم الله/٧١) في مقابلة (فنَسِيهم/٦٧) .

---

(١) البحر (٦٩/٥) باختصار .

(٢) المرجع السابق .

(٣) القول الأول باعتبار أن « الذي » للجنس ، وهو أحد الوجهين اللذين ذكرهما أبو البقاء (الإملاء ١٨/٢) ، وهو قول أبي البركات بن الأنباري (البيان ٤٠٣/١) . والقول الأخير . هو قول الفراء (معاني القرآن ٤٤٦/١) .

(٤) المحرر (٥٦٠/٦) ، والبحر (٦٩/٥) .

(٥) « فما » : ليست في (أ) .

(٦) في (أ) : المؤمنين .

(٧) جملة (يأمرون بالمنكر) : ليست في (أ) .

قاله الزمخشري : « والسين تفيد تأكيد الوعيد ، كما تفيد تأكيد الوعد »[1]. (وعد الله/٧٢) الآية ، هي تفصيل للرحمة ، وذكر الرضوان في مقابلة ذكر اللعنة من وعيد المنافقين . (يأيها النبي/٧٣) الآية ، أبوحيان: « لما ذكر وعيد غير المؤمنين ، وكانت السورة قد نزلت في المنافقين ، بدأ بهم فقال : (وَعَدَ الله المنافقين والمنافقات والكفار/٦٨) ، ولما ذكر أثر الجهاد ، وكان الكفار أشد شكيمة ، وأقوى أسباباً في القتال ، بدأ بهم »[2]. (يحلفون/٧٤) أي المنافقين . (وما نَقَموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله/٧٤) هذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم . (فإن يتوبوا/٧٤) فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم إحساناً ولطفاً . (لنصَّدَّقن ولنكونن/٧٥) قرأ الأعمش فيهما بالنون الخفيفة[3] (فأعْقَبَهم/٧٧) الضمير لله . وقيل : لفعلهم ، وكذا في (يلقون)[4]. (ألم يعلموا/٧٨) استفهام وتوبيخ . وقرىء بالفوقية[5] خطاباً للمؤمنين ، فهو استفهام تقرير . (الذين يَلْمِزون/٧٩) مبتدأ خبره (سَخِر الله/٧٩). (والذين لا يجدون/٧٩) من عطف الخاص على العام ، وهو المطَّوِّعين تشريفاً . (جهدهم/٧٩) بضم الجيم ، وقرىء بفتحها[6]، لغتان بمعنى . وقيل : الأول القوت ، والثاني العمل[7]. [(سخِر الله منهم/٧٩) من باب المشاكلة[8]]. (استغفِر لهم ، أو لا تستغفِر لهم/٨٠) أمر تسوية ، كقوله : (فاصبروا أو لا تصبروا)[9]. (فَرِح المُخَلَّفون/٨١) لما ذكر تعالى ما ظهر من النفاق واللَّمز[10] من

---

(١) الكشاف (٢/٢٠٢) بمعناه .

(٢) البحر (٥/٧٢) باختصار .

(٣) البحر (٥/٧٤) ، وابن خالويه (٥٤) .

(٤) انظر في هذين القولين زاد المسير (٣/٤٧٥) ، والبحر (٥/٧٤) . ويمكن أن يقال : إن الله أعقبهم النفاق بسبب فعلهم ذاك إلى يوم يلقونه تعالى . وانظر تفسير القرآن العظيم (٢/٣٧٤) .

(٥) عن أبي عبد الرحمن ، والحسن . المحرر (٦/٥٧٦) .

(٦) عن ابن هرمز ، والأعرج ، وعطاء ، ومجاهد . البحر (٥/٧٥) ، ابن خالويه (٥٣) .

(٧) هذا قول الشعبي ، والقول السابق هو ما ذهب إليه أبو عبيدة . البحر (٥/٧٦) ، ومجاز القرآن (١/٢٦٤) .

(٨) ما بين القوسين ليس موجوداً في (ب) .

(٩) الطور (١٦) .

(١٠) في (ب) : والزمن .



المنافقين الذين خرجوا مع النبي -ﷺ- إلى غزوة تبوك ، ذكر حال المنافقين الذين تخلَّفوا . والمخلَّف[1] لفظ يقتضي الذم والتحقير . (بمقعدهم/٨١) هو مصدر ، أي بقعودهم . (خِلاف/٨١) نُصب على الظرف ، أي بعد[2] ، ويؤيده ما قرىء (خَلْفَ)[3] . وقيل : مفعول له[4] ويؤيده ما قرىء (خُلف) بضم الخاء[5] .
(رسول الله/٨١) فيه التفات عن الخطاب . (وكَرِهوا/٨١) فيه مع (فرح/٨١) طباق معنوي ، لأن الفرح من ثمرات المحبة . (لو كانوا يفقهون/٨١) قرأ ابن مسعود : (يعلمون)[6] . (فليضحكوا قليلاً ، وليبكوا كثيراً/٨٢) هو أمر أُريد به الخبر ، وإنما خرج على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم لا يكون غيره ، وفيه طباقان . (فإن رَجَعَكَ الله/٨٣) فيه التفات ، واستعمال « إنْ » في الممكن للإشارة إلى أنه -ﷺ- لا يعلم من مستقبلات أمره إلا ما[7] أعلمه الله ، قاله ابن عطية[8] وغيره . (فاقعدوا/٨٣) أي أقيموا . (مع الخالفين/٨٣) أي مع[9] المتخلفين . وقيل : المخالفين . وقيل : الأخِسَّاء[10] . (ولا تُصَلِّ/٨٤) عقوبة لهم ثانية .

---

(١) في (أ) : أو المخلف .
(٢) قاله أبو عبيدة ، والأخفش ، وعيسى بن عمر . وبه أخذ أبو البقاء ، وعليه جرى ابن كثير . مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٦٤) ، والإملاء (٢/١٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/٣٧٦) ، والبحر (٥/٧٩) .
(٣) عن ابن عباس ، وأبي حيوة ، وعمرو بن ميمون . البحر (٥/٧٩) ، وابن خالويه (٥٤) .
(٤) قاله الطبري وقطرب ، ومؤرج ، والزجاج . جامع البيان (١٤/٣٩٨) ، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٤٦٣) ، والدر المصون (٦/٩١) .
(٥) البحر (٥/٧٩) ، والمحرر (٦/٥٨٥) دون نسبة .
(٦) المحرر (٦/٥٨٥) .
(٧) في (أ) : ان .
(٨) المحرر (٦/٥٧٦) .
(٩) كلمة « مع » : ليست في (ب) .
(١٠) ذكر أبو حيان هذه الأقوال في البحر (٥/٨١) ، ويبدو أن الراجح هو القول الأول ، الذي قاله أبو عبيدة ، والفراء ، وأيده ابن عطية ، ورجحه الطبري ، الذي ذكره عن ابن عباس . مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٦٥) ، ومعاني القرآن للفراء (١/٤٤٧) ، والمحرر (٦/٥٨٧ - ٥٨٨) ، وجامع البيان (١٤/٤٠٤) . وانظر زاد المسير (٣/٤٨٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/٣٧٨) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢/٣٤) .



(إنهم/٨٤) تعليل للمنع من الصلاة . (ولا تُعْجِبك/٨٥) الآية ، قال ابن عطية : « كُرِّرت للتأكيد والتقرير ، وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه »[١] . وقال بعضهم[٢] : « ليس بتكرير ، بل الآيتان في فريقين من المنافقين » . وقيل : أُريد بالأولى لا تُعَظِّمهم في حال حياتهم بسبب كثرة المال والولد ، وبالثانية لا تُعظِّمهم بعد وفاتهم لمانع الكفر والنفاق . وعطف هنا بالواو ، لقوله[٣] قبل : (ولا تصل/٨٤) ، (ولا تقم/٨٤) وهناك بالفاء لقوله : (ولا ينفقون إلا وهم كارهون/٥٤) ، أي فهم يعجبون بكثرة المال والولد ، فنهاه عن الإعجاب بفاء السبب . وقال هناك : (ولا أولادهم/٥٥) ، لأنها مشعرة بالنهي عن الإعجاب بالمجموع ، فتضمنت الآيتان النهي عن الإعجاب بهما منفردين ومجتمعين ، وهذه دقيقة لطيفة[٤] . (وإذا أُنزلت/٨٦) فيه معنى التكرار وأن ذلك كان ديدنهم ، الاستئذان[٥] في التخلف عن الجهاد. (أن/٨٦) تفسيرية ، أو مصدرية[٦] . ثم في (استأذنك/٨٦) التفات إليه ، قاله أبوحيان[٧] . (مع الخوالف/٨٧) أي النساء ، مبالغة في الذم . (وطُبِع على قلوبهم/٨٧) قيل : هو على حذف همزة الاستفهام ، أي أَوَ طُبع على قلوبهم ، فلأجل الطبع لا يفقهون[٨] . (لكن الرسول/٨٨) الآية ، لما ذكر اختيار المنافقين الدعة وترك الجهاد ، ذكر حال المؤمنين في المثابرة عليه ، وضمَّ إليهم الرسول تشريفاً لهم ، وفيه التفات. (الخيرات/٨٨) جمع خيرة ، وهو المستحسن[٩] من كل شيء ، فيتناول محاسن الدنيا والآخرة .

---

(١) الذي في المحرر (٥٩١/٦) هو : « ووجه تكريرها تأكيد هذا المعنى وإيضاحه ، لأن الناس كانوا يفتنون بصلاح حال المنافقين في دنياهم » .

(٢) وهو أبو علي الفارسي . البحر (٨٢/٥) ، والدر المصون (٩٥/٦) .

(٣) في (أ) : ولقوله .

(٤) البحر (٨٢/٥) باختصار .

(٥) في (أ) : الاستمران .

(٦) انظر البحر (٨٢/٥) ، والمحرر (٥٩٢/٦) ، والإملاء (١٩/٢) .

(٧) البحر (٨٣/٥) .

(٨) انظر البحر (٨٣/٥) .

(٩) في (ب) : المستحي .

وقيل : (أعد الله لهم جنات) تفسير له[1] . (وجاء المُعَذِّرون من الأعراب/٩٠) لما ذكر حال المنافقين من أهل المدينة ، وذكر حال المتخلِّفين من الأعراب وقسَّمهم إلى ذي عذر وغيره . (والمعذِّرون/٩٠) أصله المعتذرون ، فأُدغم . وقرىء[2] (المعتذرون)[3] بمعناه . وقرىء (المُعْذِرون/٩٠)[4] من أعذر . وقرىء (كذبوا/٩٠) بالتشديد[5] . (ليس على الضعفاء/٩٠) بيان للمعذِّرين ، وتفصيل للعذر المقبول . وقرىء (نصحوا الله/٩١)[6] بتعدية الفعل بنفسه . (ما على المحسنين/٩١) شامل للمذكورين وغيرهم . (ولا على الذين إذا ما أتوك/٩٢) هو مندرج في قوله : (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون/٩١) ، زِيد معه وصف . وفي (أتوك/٩٢) التفات وجواب (إذا/٩٢) ، قلت : و(تولوا/٩٢) جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : فما كان حالهم إذا أجابهم الرسول ؟ ، فقيل : تولوا . وقيل : هو الجواب . وقيل على حذف العاطف[7] .

هذا آخر ما انتهى إليه شيخنا ....

---

(١) انظر البحر (٥/٨٣) .

(٢) في (ب) : وقرىء به وقرىء .

(٣) في (ب) : المتعـذرون .

(٤) القراءة الأولى هي قراءة سعيد بن جبر ، والقراءة الثانية هي قراءة ابن عباس ، وزيد بن علي ، والأعرج ، ويعقوب ، والكسائي في رواية ، وغيرهم . الحبر (٥/٨٤) ، وابن خالويه (٥٤) .

(٥) هذه قراءة الحسن -في المشهور عنه- وأبيّ ، ونوح ، وإسماعيل . البحر (٥/٨٤) ، والمحرر (٦/٥٩٦) . وزاد ابن خالويه نسبتها إلى ابن عباس وأبي رجاء . ابن خالويه (٥٤) .

(٦) عن أبي حيوة . البحر (٥/٨٥) .

(٧) انظر المحرر (٦/٥٩٩ - ٦٠٠) ، والبحر (٥/٨٦٠) . والقول الأخير -كما في البحر- هو قول الجرجاني .





فهــرس الأحاديــث والآثــــار



الحديث / الأثر	الصفحة



الحديث / الأثـر	الصفحة



الحديث / الأثـر	الصفحة



الحديث / الأثر	الصفحة



الحديث / الأثر	الصفحة

فهـرس القوافـي





فهـرس الأعــلام

الصفحة



الصفحة



الصفحة



الصفحة



الصفحة



الصفحة



الصفحة



الصفحة



الصفحة



الصفحة



فهـــرس المراجـــع

- آداب اللغة / لجرجي زيدان - مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٦٧م .
- الإتقان في علوم القرآن / السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ت سنة ٩١١هـ. ط. الحلبي الرابعة سنة ١٣٩٨هـ سنة ١٩٧٨م .
- الإحاطة في أخبار غرناطة/للوزير لسان الدين بن الخطيب - تحقيق : محمد عبدالله عنان - دار المعارف بمصر .
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان - علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ت سنة ٧٣٩هـ ، تقديم وضبط : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية بيروت .
- أحكام القرآن / للجصاص ، أحمد الرازي - دار الكتاب العربي - بيروت .
- أحكام القرآن للشافعي ، محمد بن إدريس ت سنة ٢٠٤هـ ، كتب هوامشه : عبدالغني عبدالخالق ، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤٠٠هـ سنة ١٩٨٠م .
- أحكام القرآن / لابن العربي ، أبي بكر محمد بن عبد الله ت سنة ٥٤٣هـ ، تحقيق : علي محمد البجاوي . دار الفكر بيروت .
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري / لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ت ١٢٣هـ ، المطبعة الكبرى الأميرية . ط ٦ سنة ١٤٠٤هـ .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود ، محمد بن محمد الطحاوي ت سنة ٩٥٢هـ .
- أسباب النزول ، للواحدي / أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ت ٤٦٨هـ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط سنة ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب . لابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ت سنة ٤٦٣ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مكتبة النهضة .
- أسد الغابة / لابن الأثير ، علي بن محمد الجزري ، تحقيق : محمد البنا ، ومحمد عاشور ، ومحمود فايد - طبعة دار الشعب .
- الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر / ابن الفضل أحمد بن علي بن حجر ، المكتبة التجارية بمصر سنة ١٣٥٨هـ ، ١٩٣٩م .



- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي - طبعة سنة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ -المطابع الأهلية للأوفست- الرياض .
- إعجاز القرآن / للباقلاني ، محمد بن الطيب ، تحقيق أحمد صقر - دار المعارف سنة ١٩٦٣م .
- إعراب القرآن / للنحاس (أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨هـ) . تحقيق الدكتور زهير غازي زاهر . الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ ، عالم الكتب .
- الأعلام / للزركلي الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، بيروت.
- أعلام النساء / لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة . طب ٣ سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- إغاثة اللهفان / لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر ، تحقيق : محمد حامد الفقي - دارة المعرفة .
- الأمالي / لإسماعيل بن القاسم القالي البغدادي - ط٢ سنة ١٣٤٤ - ١٩٢٦ - دار الكتب المصرية .
- الأمالي الشجرية / لابن الشجري / أبي السعادات هبة الدين علي - دار المعرفة ، بيروت .
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) / للشريف المرتضى ، علي بن الحسين العلوي سنة ٤٣٦هـ - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتاب العربي ، ط٢ سنة ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م .
- إمتاع الأسماع / للمقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي - تحقيق : محمود شاكر - ط٢ - الشؤون الدينية بقطر .
- الإمتاع والمؤانسة / لأبي حيان التوحيدي - طبع في مصر سنة ١٩٣٩م .
- إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن / للعكبري (أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ت ٦١٦هـ) - دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- أنباء الهصر بأنباء العصر / للصيرفي ، علي بن داود الجوهري ، تحقيق : د. حسن الحبشي - مطبعة المدني سنة ١٩٧٠م - القاهرة .
- إنباه الرواة على أنباء النحاة / للقفطي ، علي بن يوسف ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .



- الأنساب / للسمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، عني بنشره : مرجليوت - مكتبة المثنى - بغداد سنة ١٩٧٠م .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، أبوالبركات ، عبدالرحمن بن محمد الأنباري النحوي - ط السعادة الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (عبد الله بن عمر بن محمد ت ٦٨٥هـ) بهامش حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي - دار صادر بيروت .
- أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية / لمحمود بن أبي القاسم بن أحمد الشافعي الأصفهاني / مكتبة أحمد الثالث - تركيا ، نسخة مصورة للميكروفيلم بالمكتبة المركزية لجامعة الإمام ابن سعود بالرياض .
- البحر المحيط / لأبي حيان (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي ت ٦٥٤هـ) - مطابع النصر الحديثة ، الرياض .
- بدائع الزهور في وقائع الدهور / لابن إياس (محمد بن أحمد) تحقيق محمد مصطفى ، الطبعة الأولى ، الحلبي سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- بدائع الصنائع للكاساني (أبي بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدين الكاساني ت ٥٨٧هـ - الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧ ، المطبوعات العلمية بمصر .
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد / لابن رشد ، محمد أحمد بن رشيد الحفيد - ط الحلبي الرابعة سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- البداية والنهاية / لابن كثير (أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ) الطبعة الأولى سنة ١٣٥١هـ ١٩٣٢م - مطبعة السعادة بمصر .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / للشوكاني (محمد بن علي ت ١٢٥٠هـ) الطبعة الأولى ، سنة ١٨٤٨هـ - مطبعة السادة بمصر .
- بديع القرآن / لابن أبي الإصبع ، عبد العظيم بن عبد الواحد سنة ٦٥٤هـ ، طبعة سنة ١٩٥٧م .
- البرهان في علوم القرآن / للزركشي ، محمد بن عبد الله - التحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم الحلبي - الطبعة الأولى ، سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
- البرهان في متشابه القرآن / للكرماني ، أبي القاسم ، محمود بن حمزة ، تحقيق : ناصر العمر - رسالة ماجستير سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .



- بغية الوعاة من طبقات اللغويين والنحاة / للسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ت سنة ٩١١هـ - طبع في مصر سنة ١٣٢٦هـ .
- البيان في غريب إعراب القرآن / لابن الأنباري (أبي البركات عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧هـ) . تحقيق الدكتور/ طه عبد الحميد طه ، ومراجعة مصطفى السقا - الناشر/ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- البيان والتبيين / للجاحظ ، عمرو بن بحر ت سنة ٢٥٥هـ - تحقيق : عبدالسلام هارون . - مكتبة الخانجي بمصر ط ٢ سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .
- تاج العروس من جواهر القاموس / للزبيدي ، محمد مرتضى ت سنة ١٢٠٥هـ ط ١ سنة ١٣٠٦هـ - المطبعة الخيرية بمصر .
- تاريخ الأدب العربي / لـ كارل بروكلمان - تعليق : د . عبد الحليم نجار ، ط٤ - دار المعارف بمصر .
- تذكرة الحفاظ / للذهبي ، أبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أحمد ت سنة ٧٤٨هـ - طبع في حيدر أباد سنة ١٣٣٣هـ .
- التذكرة في أحوال الموتى والدار الآخرة / للقرطبي ، شمس الدين أبي عبد الله بن أحمد ت سنة ٦٧١هـ - القاهرة . مكتبة الكليات الأزهرية - ١٩٨٠م . تحقيق أحمد حجازي السقا .
- الترغيب والترهيب / للمنذري ، أبي محمد زكي المنذري سنة ٦٥٦هـ - دار إحياء التراث العربي - ط٣ سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٨٦م .
- تفسير الجلالين : لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي ، بهامش الفتوحات الإلهية للجمل ، طبعة الحلبي .
- تفسير سفيان بن عيينة ت سنة ١٩٨هـ - جمع وتحقيق ودراسة : أحمد صالح محايري - المكتب الإسلامي - ط٢ سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- تفسير القرآن / للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت سنة ٢١١هـ ، تحقيق : د. مصطفى مسلم ، مكتبة الرشيد ، ط١ سنة ١٤١٠ - ١٩٨٩م .
- تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ) - طبعة الحلبي .
- التفسير القيم / لابن قيّم الجوزية ، جمع محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي - لجنة التراث العربي - بيروت .



- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) / للفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسيني - ط دار الفكر .
- تفسير المنار / للشيخ محمد رشيد رضا ، دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية بالأوفست .
- التفسير والمفسرون / للشيخ محمد حسين الذهبي ، ط٢ سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ ، دار الكتب الحديثة .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (أبي بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ) - دار الكتاب العربي بيروت .
- تاريخ الجهمية والمعتزلة / للقاسمي ، جمال الدين القاسمي ، مؤسسة الرسالة ط٢ سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس / لحسين بن محمد الديار بكري - مؤسسة شعبان - بيروت .
- تاريخ الطبري / للطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير سنة ١٣١٠هـ - تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم - دار سويد بيروت .
- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم للتنوخي المعري ، المفضل بن محمد ت سنة ٤٤٢هـ - تحقيق : عبدالفتاح الحلو - منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- التاريخ الكبير / للبخاري محمد بن إسماعيل - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- تاريخ المذاهب الإسلامية / لأبي زهرة - دار الفكر العربي سنة ١٩٨٧م .
- تأويل مشكل القرآن - لابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم ت سنة ٢٧٦هـ - تحقيق : السيد أحمد صقر . طبعة الحلبي .
- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان / للطيبي ، شرف الدين حسين بن محمد ت سنة ٧٤٣هـ - تحقيق : د . هادي مطر الهلالي - عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية ط١ سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- التحرير والتنوير / لابن عاشور ، الدار التونسية ، محمد الطاهر بن عاشور - للنشرة سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين / لعبد الله حجازي الشرقاوي ، بهامش «فتوح الشام» / للواقدي ، ابن عبدالله ، محمد بن عمر ت سنة ٢٠٧هـ ط٤ الحلبي سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .



- تقريب التهذيب / لابن حجر ، أحمد بن علي ت سنة ٨٥٢هـ ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
- التلخيص في علوم البلاغة / لمحمد عبد الرحمن القزويني - دار الكتب .
- تهذيب الأسماء واللغات / لمحيي الدين بن شرف النووي ت سنة ٦٧٦هـ - الطباعة المنيرية .
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير / لعلي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ابن عساكر ت ٧٥١هـ ، تهذيب : عبدالقادر بدران - دار المسيرة .
- تهذيب التهذيب / لابن حجر العسقلاني ، طبعة الهند - ط ١ سنة ١٣٢٥هـ .
- تهذيب اللغة / للأزهري محمد أحمد / تحقيق د : عبد الله درويش - مطابع سجل العرب .
- الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت ٦٧١هـ) - مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- جامع البيان في تفسير القرآن / للطبري - تحقيق : محمود شاكر وأحمد محمد شاكر - الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ - دار المعارف بمصر .
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور / لابن الأثير الجزري ، تحقيق : مصطفى جواد وجميل سعيد ، بغداد ، المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٦م .
- الجرح والتعديل / لابن أبي حاتم ، أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت ٣٢٧هـ - دائرة المعارف العثمانية ، الهند سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٢م .
- الجمع بين رجال الصحيحين / لابن القيسراني ، محمد بن طاهر ت سنة ٥٠٧هـ - دار الكتب العلمية - بيروت ط٢ سنة ١٤٠٥هـ .
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام / لمحمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق د. محمد علي الهاشمي - منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود - سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، علي بن أحمد ت سنة ٤٥٦هـ ، تحقيق : عبد السلام هارون - دار المعارف ، الطبعة الرابعة .
- جمهرة اللغة / لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي البصري ت سنة ٣٢١هـ - طبعة حيدر أباد الهند - الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥هـ .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع / للسيد أحمد الهاشمي - دار الكتب العلمية - ط٦ .



- جواهر القرآن / للغزالي ، أبي حامد محمد بن محمد - دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط ٤ سنة ١٩٧٩م .
- الجواهر المعينة في طبقات الحنفية / لأبي الوفاء محمد بن محمد القرشي ت سنة ٧٧٥هـ - دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٣٢هـ .
- جوهر الكنز / ابن الاثير ، أحمد بن إسماعيل ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، الاسكندرية ت سنة ٧٣٧هـ ، منشأة المعارف سنة ١٩٨٣م .
- الحاوي للفتاوى / للسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت سنة ٩١١هـ ط٢ سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م - دار الكتب العلمية - بيروت .
- حجة القراءات / لأبي زرعة (عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ت ٤٠٣هـ) ، تحقيق سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة / للسيوطي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى للحلبي ، سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء / لأبي نعيم الأصفهاني ، أحمد بن عبد الله ت سنة ٤٣٠هـ - مطبعة السعادة سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- حلية اللب المصون على الجوهر المكنون / بهامش عقود الجمان - لعبد الرحمن الأخضري - القاهرة ، المطبعة الشرقية سنة ١٣٠٥هـ .
- حلية المحاضرة / لمحمد بن الحسن الحاتمي ، تحقيق : د. جعفر الكتاني - طبع وزارة الثقافة والإعلام بالعراق سنة ١٩٧٩م .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / لعبد القادر بن عمر البغدادي ت سنة ١٠٩٣ - دار صادر ، بيروت .
- الخصائص / لابن جني ، أبي الفتح عثمان ، تحقيق : محمد علي النجار - دار الكتب المصرية . سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
- دائرة المعارف (دائرة المعارف البستانية) - طبعة في بيروت سنة ١٨٧٦م - ١٩٠٠ .
- الدرر اللوامع على همع الهوامع / لأحمد بن الأمين الشنقيطي - دار المعرفة - بيروت .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور / للسيوطي ، الناشر ، محمد أمين رفج - بيروت .
- درة التنزيل ، وغرة التأويل / للخطيب الإسكافي - دار الآفاق الجديدة - بيروت ط٢ سنة ١٩٧٧م .



- دلائل الإعجاز / لعبد القاهر الجرجاني ت سنة ٤٧١هـ - تعليق وشرح : محمد عبد المنعم خفاجي - مكتبة القاهرة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- دلائل النبوة / للبيهقي / أبي بكر أحمد بن الحسين ت ٤٥٨ - تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان - دار النصر ط١ ، سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- الديباج المذهب في معرفة علماء أهل المذهب / لإبراهيم بن علي بن فرحون المالكي توفي ٧٩٩هـ - دار الكتب العلمية .
- ديوان أبي الأسود - تحقيق : الشيخ محمد حسين آل ياسين - مطبعة المعارف . بغداد ط٢ سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ديوان امرىء القيس - (١) تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم دار المعارف ط٤ شرح الحسن السندوبي (٢) .
- ديوان البحتري - تحقيق : حسن كامل الصيرفي - دار المعارف سنة ١٩٦٣م .
- ديوان جرير - دار صادر . بيروت سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .
- ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب - تحقيق : نعمان محمد أمين - طبعة دار المعارف .
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري / تصحيح : مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي - ط الحلبي الثانية سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
- ديوان أبي العتاهية / إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان - دار صادر - بيروت سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ديوان الفرزدق - عني بجمعه / عبد الله إسماعيل الصاوي - مطبعة العلوي . الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م .
- ديوان النابغة الذبياني - شرح وتقديم : عباس عبد الساتر - دار الكتب العلمية . ط١ سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٦٤م .
- ذيل طبقات الحفاظ / للسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، مطبوع في مجلد واحد مع ذيل تذكرة الحفاظ - طبع في دمشق سنة ١٣٤٧هـ .
- ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين / في آخر تاريخ الطبري ، محمد بن جرير - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة .
- روائع البيان (تفسير آيات الأحكام في القرآن) / للشيخ محمد علي الصابوني ، ط ٢ سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م - منشورات مكتبة الغزالي - دمشق .



- روح المعاني / الألوسي (محمود بن شكري الألوسي ت ٢٢٧٠هـ) - دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- الروض الأنف / لأبي القاسم بن عبد الله الخثعمي السهيلي - المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .
- الرياض النضرة في مناقب العشرة / للمحب الطبري - طبع في مصر سنة ١٣٢٧هـ .
- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا / لشهاب الدين محمود الخفاجي - طبع بمصر سنة ١٢٧٣هـ .
- زاد المنير / لابن الجوزي ٥٩٧هـ - الطبعة الأولى - المكتب الإسلامي .
- السراج المنير / للخطيب الشربيني ، ط ٢ - دار المعرفة - بيروت .
- السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر/لجمال الدين محمد الشلي - مخطوط في الخزانة التيمورية .
- السلوك / للمقريزي - تحقيق : سعيد عاشور ، مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٠م .
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) للترمذي ، أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ت سنة ٢٧٩هـ - طبعة الكتب الستة استنبول .
- سنن الدارقطني / لأبي الحسن علي بن عمر ت سنة ٣٨٥هـ : تحقيق : عبد الله هاشم اليماني - طبعة شركة الطباعة الفنية - القاهرة سنة ١٣٨٦هـ .
- سنن أبي داود (سليمان بن الأشعب السجستاني الأزدي ت سنة ٢٧٥هـ - (طبعة الكتب الستة استانبول) .
- السنن الكبرى / للبيهقي ، أحمد بن الحسين البيهقي - دار صادر .
- سنن ابن ماجة / لأبي عبد الله ، محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ت سنة ٢٧٥هـ .
- السيرة الحلبية / لعلي بن برهان الدين الحلبي - دار الفكر - بيروت .
- السيرة النبوية / لأبي محمد عبد الملك بن هشام - تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي - ط الحلبي سنة ١٣٣٥هـ - ١٩٣٦م .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب / لابن عماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي بن العماد ت سنة ٣٨٩هـ - دار المسيرة - بيروت ط ٢ سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٩م .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد - طبعة الحلبي الثانية سنة ١٣٥٨ - سنة ١٩٣٩م .



- شرح التصريح على التوضيح / لخالد بن عبد الله الأزهري - المطبعة الأهلية - ط٢ ، سنة ١٣٢٥هـ .
- شرح الحكم / لابن عباد ، محمد بن إبراهيم ت سنة ٧٣٣هـ - المطبعة الأزهرية - ط٢ سنة ١٣٤٣ - ١٩٢٥م .
- شرح ديوان امرىء القيس/الحسن السندوبي - ط٥ - مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- شرح شذور الذهب / لعبد الله بن هشام الأنصاري - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .
- شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق : جماعة من العلماء - المكتب الإسلامي ط٤ سنة ١٣٩١هـ ، بيروت .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك / لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني ت ٧٦٩هـ - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة بمصر ، ط ١٤ سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- شرح المفصل / لموفق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش ت سنة ٦٤٣هـ - الطبعة المنيرية .
- شروح التلخيص - طبعة الحلبي سنة ١٩٣٧م .
- شعر النابغة الجعدي - المكتب الإسلامي ، دمشق ط١ سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- صبح الأعشى في كتابة الإنشا / للقلقشندي ، أبي العباس ، أحمد بن علي بن أحمد ت سنة ٨٢١هـ - مطابع كوستاتوماس ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية .
- الصحاح / للجوهري إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت . ط٢ سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- صحيح البخاري / أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل البخاري ت سنة ٢٥٦هـ ، طبعة الكتب الستة ، استنبول .
- صحيح مسلم / أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج القشيري ت سنة ٢٦١هـ - طبعة الكتب الستة ، استنبول .
- صفة الصفوة / لابن الجوزي ، عبد الرحمن بن الجوزي - دائرة المعارف العثمانية بالهند - ط٢ سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- الصناعتين / أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري - تحقيق : علي البجاوي ، ومحمد أبوالفضل إبراهيم - ط الحلبي الأولى سنة ١٣٧١هـ ، ١٩٥٢م .



- ضعيف الجامع الصغير وزيادته - تحقيق : محمد ناصر الألباني - المكتب الإسلامي ، بيروت ط ٢ سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد / للأدفوي ، أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب ت ٧٤٨هـ ، طبع في مصر سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤ .
- طبقات الحنابلة / لأبي الحسين ، محمد بن أبي يعلى - دار المعرفة .
- طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين السبكي - طبع بمصر سنة ١٣٢٤هـ .
- الطبقات الكبرى / لابن سعد محمد بن سعد كاتب الواقدي - دار صادر بيروت سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- عصر سلاطين المماليك / رزق سليم -
المجلد الأول : الناشر مكتبة الآداب ، مطبعة التوكيل سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .
المجلد الثالث : الناشر مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية .
المجلد الرابع : المطبعة النموذجية سنة ١٣٦٩ - ١٩٥١م .
المجلد الخامس : المطبعة النموذجية سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
المجلد السادس : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م .
- عقد الجمان في علم المعاني والبيان / للسيوطي - القاهرة ، المطبعة الشرقية سنة ١٣٠٥هـ .
- العمدة في غريب القرآن / لمكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق : يوسف المرعشلي - مؤسسة الرسالة - ط١ سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- العين / للخليل بن أحمد الفراهيدي ت سنة ١٧٥هـ - تحقيق : عبد الله درويش - مطبعة العاني ، بغداد ، سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م .
- غاية النهاية في طبقات القراء / ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري ت ٤٣٣هـ - عني بنشره : ح ، برجس تراس - ط ٢ دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- غريب القرآن / لابن قتيبة أبي محمد ، عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ - دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- فتح الباري لشرح صحيح البخاري / لابن حجر العسقلاني - تصحيح وتحقيق معالي الشيخ عبدالعزيز بن باز - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .



- الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل مع مختصر شرحه بلوغ الأماني/ أحمد عبد الرحمن البنا ، الشهير بالساعاتي - دار الشهاب القاهرة .
- فتح القدير / لمحمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية / للجمل سليمان بن عمر العجلي الشهير بالجمل ١٢٠٤هـ ، طبعة الحلبي .
- الفلاكه والمفلوكين / أحمد بن علي الدلجي ، الطبعة الأولى ، الشعب ، سنة ١٣٢٢هـ .
- الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون / ابن طولون ، محمد بن علي بن أحمد بن خماريه الدمشقي سنة ٩٥٣هـ - طبع في دمشق سنة ١٣٤٨هـ .
- فهرست ابن خير ، أبي بكر بن الإشبيلي ، وقف على نسخها وطبعها ومقابلتها الشيخ / فرنسشكه قداره زيدين ، وتلميذه خريان رباره طرغوه - الطبعة الثانية سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .
- فهرس الفهارس والإثبات / لعبد الحي عبد الكريم الكتاني سنة ٩٨٦هـ ، طبع في فارس سنة ١٣٤٦هـ .
- فهرس الكتنجانه ، جمع وترتيب : حسنين محمد ، ط١ بمصر سنة ١٣٠١هـ .
- الفهرست لابن النديم ، (محمد بن إسحاق ت ٤٣٨هـ) طبع في ليبسيك سنة ١٨٧١م .
- فوات الوفيات / لمحمد شاكر الكتبي ت سنة ٧٦٤هـ ، طبع بمصر سنة ١٢٩٩هـ .
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية / لمحمد عبد الحي اللكنوي الهندي - طبع في مصر سنة ١٣٢٤هـ .
- فوائد في مشكل القرآن / لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام - تحقيق : د. سيد رضوان علي الندوي - دار الشروق ط٢ سنة ١٩٨٢م .
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان / لابن قيم الجوزية ، أبي عبد الله ، محمد بن أبي بكر ، بإشراف لجنة تحقيق التراث - مكتبة الهلال - بيروت .
- القاهرة تاريخها وآثارها / للدكتور عبد الرحمن زكي - الدار المصرية سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- القاموس المحيط / للفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ت سنة ٨١٧هـ . المؤسسة العربية للطباعة ، بيروت .



- القراءات الشاذة / لعبد الفتاح القاضي ، ملحق بالبدور الزاهرة ط١ دار الكتاب العربي - بيروت سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- الكامل في التاريخ / لعز الدين بن الأثير (أبي الحسن علي بن محمد بن محمد الجزري ت ٦٣٠هـ) دار صادر بيروت - سنة ١٣٨٥ - ١٩٦٥م .
- الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف / لمحمد بن يزيد المبرد - تحقيق : أحمد شاكر - طبعة الحلبي الأولى سنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
- كتاب سيبويه (أبي بشر ، عمرو بن عثمان ت ١٨٠هـ - تحقيق : عبد السلام هارون - عالم الكتب - بيروت .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / لحاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي) وكالة المعارف استنبول سنة ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها / لمكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧هـ - تحقيق : د. محيي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- كشف المعاني في المتشابه والمثاني / لابن جماعة ، أبي عبد الله ، محمد بن إبراهيم ت سنة ٧٣٣هـ - تحقيق : عبدالوهاب المشهداني .
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة / للشيخ نجم الدين الغربي - تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور - الناشر ، محمد أمين دمج ، بيروت .
- لباب التأويل في معاني التنزيل / للخازن (علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن) ت ٧٢٥هـ - الطبعة الثانية للحلبي سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- اللباب في معرفة الأنساب / لابن الأثير الجزري ، أبي السعادات المبارك بن محمد ت سنة ٦٠هـ - دار صادر - بيروت سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- لسان العرب / لابن منظور (محمد بن مكرم الأفريقي ت ٧١١هـ) دار صادر بيروت - الطبعة الثانية .
- لسان الميزان / لأحمد بن حجر العسقلاني - مؤسسة الأعلمي - بيروت - ط ٢ سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / لضياء الدين بن الأثير - تحقيق أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة - مطبعة نهضة مصر ط١ سنة ١٣٨٠ - ١٩٦٠م .



- مجاز القرآن / لأبي عبيدة (معمر بن المثنى التيمي ت ٢١٠هـ) تحقيق/ د. فؤاد سزكين ، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠ - ١٩٧٠م - مكتبة الخانجي - دار الفكر .
- مجالس ثعلب / لأبي العباس ، أحمد بن يحيى ثعلب ت سنة ٢٩١هـ - تحقيق : عبد السلام هارون . ط٢ دار المعارف بمصر .
- المجتمع المصري / للدكتور سعيد عاشور - دار النهضة العربية ط ١ سنة ١٩٦٢م .
- المجددون في الإسلام / لعبد المتعال الصعيدي - مكتبة الآداب - الرياض .
- مجمع الزوائد ونبع الفوائد / للهيثمي (علي بن أبي بكر بن سليمان أبي الحسين ت ٨٠٧هـ). الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧ . دار الكتاب بيروت .
- المجموع (شرح المهذب) - للنووي - طبعة دار الفكر .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام / أحمد بن تيمية ت سنة ٧٢٨هـ - الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ - مطابع الرياض .
- المحبر / أبي جعفر محمد بن حبيب ت ٢٤٥هـ - عنيت بتصحيحه : د. ايلزه ليختن شتيتر- المكتب البخاري - بيروت .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات / لابن جني ، أبي الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٣هـ - تحقيق : ناصف وآخرون ط ١٣٨٦هـ .
- محيط المحيط / لبطرس البستاني - مكتبة لبنان ط سنة ١٩٨٧م .
- المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) للملك المؤيد ، عماد الدين ، إسماعيل أبي الفداء - دار المعرفة .
- مختصر في شواذ القرآن / لابن خالويه ت سنة ٣٧٠هـ - عني بنشره : ج . برجشتراسد - المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٤م .
- مختصر المعاني / للتفتازاني ، مسعود بن عمر ت سنة ٧٩١هـ - دلهي ، مكتبة رشيدية سنة ١٩٤٠م .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل / لعبد الله بن أحمد النسفي ت ٧١٠هـ - بيروت المكتبة الأموية .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر / للمسعودي علي بن الحسين - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط١ السعادة بمصر سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .



- المستدرك على الصحيحين / لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري ١٤٠٥هـ مع ذيله تلخيص المستدرك / للحافظ الذهبي ، دار الكتاب العربي بيروت .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤٠هـ - طبعة الكتب الستة استنبول - وطبعة دار المعارف ، تحقيق أحمد شاكر .
- مسند الإمام الشافعي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- مسند أبي داود الطيالسي ، (سليمان بن داود الطيالسي ت سنة ٢٠٤هـ) - دار المعرفة . بيروت .
- المعارف / لابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم ت سنة ٢٧٦هـ - تحقيق : د. ثروت عكاشة - ط ٤ دار المعارف .
- معالم التنزيل / لمحمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦هـ مطبوع بهامش لباب التأويل للخازن ، الطبعة الثانية للحلبي سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- معاني القرآن / للأخفش (أبي الحسن سعيد بن مسعده ، الأخفش الأوسط ت ٢١٥هـ) - تحقيق: د. فائز فارس/ الطبعة الأولى ، المطبعة العصرية الكويت سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م .
- معاني القرآن / للفراء ، أبي زكريا يحيى بن زياد ت سنة ٢٠٧هـ - عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ سنة ١٩٨٠م .
- معاني القرآن وإعرابه / للزجاج ، إبراهيم بن السري - تحقيق د. عبد الجليل شلبي - المكتبة العصرية ، بيروت .
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص / للعباسي ، عبد الرحيم بن أحمد ت سنة ٩٦٣هـ - تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد - عالم الكتب سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م .
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) / لياقوت الحموي ، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ت سنة ٦٢٦هـ - مطبعة المأمون .
- معجم الأطباء / للدكتور / أحمد عيسى بك - مطبعة فتح الله إلياس نوري بمصر - ط١ سنة ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م .
- معجم البلدان / لياقوت عبد الله الحموي البغدادي - دار صادر - بيروت .
- مجمع الشعراء / للمرزباني ، محمد بن عمران سنة ٣٨٤هـ - مكتبة القدسي ط ١٣٥٤هـ .



- معجم قبائل العرب / لعمر رضا كحالة - دار العلم للملايين سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / للدكتور أحمد مطلوب - مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- معجم المطبوعات العربية والمعربة - جمع وترتيب / يوسف إلياس سركيس - مطبعة سركيس بمصر سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م .
- معجم المؤلفين / لعمر رضا كحالة - مكتبة المثنى - بيروت .
- مغني اللبيب / لمحمد هاشم الأنصاري - تحقيق : د. مازن المبارك ، ومحمد علي عبدالله - دار الفكر - بيروت ط٥ سنة ١٩٧٩م .
- مفتاح السعادة / لطاش كبرى زاده / طبع حيدر آباد سنة ١٣٢٩هـ.
- المفردات / للراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني ت ٥٠٢هـ) - تحقيق/ محمد سيد كيلاني ، طبعة الحلبي الأخيرة سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .
- المقتضب / للمبرد ، أبي العباس ، محمد بن يزيد ت سنة ٢٨٥هـ - تحقيق : محمد عبدالخالق عظيمة - عالم الكتب ، بيروت .
- المقنى في سرد الكنى / للذهبي محمد بن أحمد ت سنة ٧٤٨هـ - تحقيق : محمد صالح عبدالعزيز المراد - الجامعة الإسلامية بالمدينة ط١ سنة ١٤٠٨هـ .
- مناهل العرفان في علوم القرآن / للزرقاني ، محمد عبد العظيم الزرقاني الحلبي ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٢هـ .
- المهذب في القراءات العشر / للدكتور محمد سالم محيسن - دار الأنوار ط٢ سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م .
- الموسوعة الثقافية / للدكتور حسين سعيد - دار المعرفة - ط سنة ١٩٧٢م .
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء / للمرزباني ، أبي عبد الله محمد بن عمران ت سنة ٣٨٤هـ - عنيت بنشره : جمعية نشرة الكتب العربية - المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣هـ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال / للذهبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان سنة ٧٤٨هـ - طبع في مصر سنة ١٣٢٥هـ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / لابن تغري بردي الآتابكي (أبي المحاسن يوسف بن عزي بردي ، الآتابكي ت ٨٧٤هـ - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .



- نزهة الألباء ، في طبقات الأدباء / لعبد الرحمن بن محمد الأنباري - طبع في مصر سنة ١٢٩٤هـ .
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، أبي الخير ، محمد بن محمد ت سنة ٨٣٣هـ تصحيح ومراجعة : علي محمد الطباع - دار الفكر .
- نصب الراية لأحاديث الهداية / للزيلعي ، عبد الله بن يوسف ت سنة ٧٦٢هـ - المكتبة الإسلامية ، ط ٢ سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- نضرة الإغريض في نصرة القريض / للمظفر بن الفضل العلوي ت سنة ٦٥٦هـ - تحقيق : د. نهر عارف الحسن - مطبعة طربين/ دمشق سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- نفح الطيب / للمقري ت سنة ١٠٤١هـ - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة بمصر ، ط ١ سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م .
- نكت الهميان في نكت العميان / للصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي - المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م .
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب / للقلقشندي - تحقيق إبراهيم الأبياري - ط١ سنة ١٩٥٩ - القاهرة - الشركة العربية للطباعة والنشر .
- نهاية البداية والنهاية لابن كثير إسماعيل بن كثير - تصحيح وتعليق : إسماعيل الأنصاري .
- النوادر في اللغة / لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري دار الكتاب العربي - بيروت ط٢ سنة ١٣٨٧هـ - سنة ١٩٦٧م .
- النور السافر عن أخبار القرن العاشر / لعبد القادر بن شيخ العيدروس - طبع في بغداد سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م .
- هدية العارفين : أسماء المؤلفين ، وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادي ت ١٣٢٩هـ - الطبعة الأولى - استنبول سنة ١٩٥١م .
- الوافي بالوفيات / لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي - طبع استانبول سنة ١٩٣١م - ط سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- الوسيط / لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - ط ٢ سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .







فهـرس الموضوعـات

قسم الدراسة

قسم التحقيق

الفهارس العامة




طبع في المطبعة الأهلية
AL-AHLEIA P. PRESS Doha - Qatar

رقم الايداع بدار الكتب القطرية : ٤٢ لسنة ١٩٩٤م
الرقم الدولي (ردمك) ٦ - ٠٣ - ٢٣ - ٩٩٩٢١ جـ ٢
٤ - ٠٤ - ٢٣ - ٩٩٩٢١ للمجموعة ٢ جـ